بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله، ونصلى على نبيه الكريم، وندعو الله أن يشمل المسلمين فى العالم الإسلامى برحمته وعنايته، وأن يجعل هذا العام فاتحة خير للإنسانية جميعها وقد التزمت بشريعة الله، فترعى الحق، وتقهر الباطل، وتفسح الطريق لطلائع النور الذى يقهر الظلمات، ويهدى الناس إلى طريق قويم.

ومجلة الأزهر لسان الأزهر منذ خمسة وسبعين عاماً، كانت خلالها غذاءً شهرياً دسماً وقوراً هادفاً يقدم للقراء (زاد) الإسلام فى أسلوب عصرى يزيد من إيمانهم، ويشد من أزرهم ويمدهم بالأسلوب الأدبى الواضح الجلى.

فقد حوت آراء كبار العلماء البارزين فى الأفق الإسلامى، ونحمد الله أن «مجلة الأزهر» قد تقدمت خطوات موفقة، حيث يجد القارىء التفسير القرآنى على صفحاتها منسجما مع منطق العصر روحاً، وفكراً، ومحرراً بأسلوب عصرى مستطاب حرره فى مجلداتها الثمينة أئمة كبار من أمثال: الإمام محمد مصطفى المراغى، ومحمود شلتوت، وإبراهيم الجبالى، ويوسف الدجوى والإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى.

وللمجلة زاد متعدد مستطاب؛ فإذا قصدت باب الفتاوى فى «مجلة الأزهر»، فستجد أئمة فى الإفتاء، يتقدمهم الأساتذة: محمد الخضر حسين، ومحمود شلتوت، وعبدالمجيد سليم، وحسنين مخلوف، وغيرهم. ولذلك كانت هذه المجلة المباركة مشعل نور ساطع، يقابل معضلات العصر بفكر مؤمن مطمئن، ونظر ثاقب، وفهم سديد لروح الشريعة، ومقاصد الدين الحنيف.

وإننا ندعو أبناءنا طلاب الجامعات والمعاهد إلى متابعة هذه المجلة فى مدها الظافر، وهى بحمد الله مستمرة فى السير على منهج الأعلام الكبار الذين تولوا تحريرها، وندعو الله أن يوفقنا وجميع المجلات الإسلامية إلى أداء رسالتها الرفيعة، فالمسلمون فى حاجة إلى فيض من صحف الدعوة، لا إلى مجلة الأزهر وحدها، وبهذه الأقلام المجاهدة نستبين الطريق حين نقضى على الشبه الضالة، ونؤكد الحق الصريح، وعلى الله قصد السبيل.

أسرة التحرير

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومي

نائب رئيس التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدي

مدير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

سكرتير التحرير

أحمد السيد تقي الدين

داخل العدد

المحرم ١٤٢٤هـ - مارس ٢٠٠٣م

ملف العدد

الجزء الأول - السنة السادسة والسبعون

الاشتراك السنوي

داخل مصر	١٨ جنيها مصريا
الدول العربية	٥٠ دولارا أمريكيا
أوربا وأمريكا	٨٥ دولارا أمريكيا
اليابان وشرق آسيا	١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

☎ ٥٧٨٦٢٠٠ - ٥٧٨٦١..

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / الأزهر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

الاشتراكات: قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

افتتاحية العدد

بعد خمسة وسبعين عاماً

تسعمائة عدد أو أقل قليلاً في خمسة وسبعين عاماً! . هذا ما ينطق به الواقع الصريح في مجلة الأزهر، التي تؤلف بماضيها الحافل مجموعة علمية فائقة كُتبت بأقلام مخلصة تدعو إلى الله على بصيرة.

وقراءة أي عدد من أعداد المجلة تُقدم النمط المختار لكتاب علمي تنوعت موضوعاته، فمحت السأم الذي قد يغشى قارئ كتاب في موضوع واحد، وتعددُ الكُتاب يُقدم نماذج شتى لأساليب مختلفة باختلاف الكاتبين، وذلك كله في إطار منهج إعلامي خاص، يوضح الفكرة الإسلامية في شتى مجالات الحياة، ويضيف الطريف من البحوث إلى التليد المفيد.

وهذا في العدد الواحد، فما ظنك بتسعمائة عدد أخذت تتوالى في مطلع كل شهر عربي؟ فهي هلال علمي يبزغ مع الهلال الكوني ليشارك في التنوير الحقيقي، التنوير الذي ينبعث من مشكاة القرآن الكريم، ومن هالة الحديث الشريف، ومن تراث حي متوثب شهد له المخلصون من زعماء الفكر الإسلامي؛ ولذلك كانت المجلة في أعدادها الأولى تسمى «مجلة نور الإسلام»، وقد كُتب في غلاف كل عدد هذا النص القرآني الخالد:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ
قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ
كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ
سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(1).

أقول ذلك مؤكداً رسالة المجلة التي تتزعم الوجهة الصالحة في الاتجاه، فقد لحق الزيف هذه الأيام أموراً كثيرة منها مدلول كلمة التنوير، إذ أصبحت في مُعتقد من يهرفون بها هي الاتجاه

(1) المائدة (15، 16).



محمد صادق عرجون



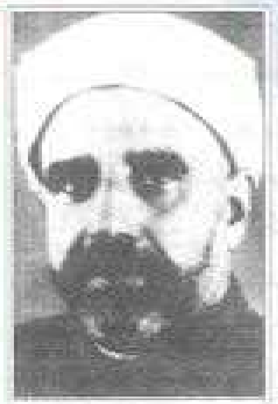
محمد الخضر حسين

إلى فصل الدين عن الدولة، ومعنى ذلك البُعد عن سبيل الله، ومن معجزات هذا الدين الخالد، أن كل دعوة تنافي نور الحقيقة تكون هزيمة لأصحابها، فكم سُودت الأوراق، وتعددت الندوات، وصدرت الكُتب التي تتزعم التنوير الزائف؛ ثم ماذا كانت النتيجة؟. كانت النتيجة بفضل المجلات المُخلصة وفي طليعتها مجلة الأزهر وبفضل الأقلام المؤمنة وفي طليعتها كُتاب مجلة الأزهر، أن هتف المسلمون بمبادئ الإسلام، كما أتى بها القرآن، وأن انهزمت كل دعوة مُريبة صورت الزيف حقاً، والضلال هُدى، وأبى الله إلا أن يتم نوره.

ولقد كان من هدى هذه المجلة، التزامها بالمسلك المثالي الذي خطه رئيس تحريرها الأول الأستاذ الكبير محمد الخضر حسين شيخ الأزهر الأسبق، فيما كتبه بالعدد الأول من المجلة حيث قال: «خرجت هذه المجلة وهي تحمل سريرة طيبة لا تنوي أن تُهاجم ديناً بالطعن، ولا أن تتعرض لرجال الأديان بالمكروه، إذ لا يغرب عنها ما يحدث عن مثل هذا القصد، من الفتن وبواعث التفرقة، بين سكان الوطن الواحد، وهم في حاجة إلى السكينة والهدوء» إلى آخر ما كتبه الإمام الأكبر، مفسراً بواعث هذا الاتجاه، وسيقرؤه القارئ فيما يلي من هذه الصفحات.

ثم جاء من بعده الأستاذ محمد فريد وجدي، وهو علم الأعلام في بابه، فكان من أهم ما اتجه إليه على صفحات هذه المجلة، أن يناقش الآراء الوافدة من أوروبا وأمريكا مناهضة للإسلام في تياره الحميد، مناقشة بلغت أرقى درجات السمو الخلقي في تجنب الهذر، وكنت أعجب حين أجده يردُّ على من تناوله بالتجريح السفيه، ردّ المُصافح المبتسم، وكأنه بهذا الارتقاء النفسي قد ضرب المثل العملي للسلوك الإسلامي في أرفع مجاليه، وقد قدر لي أن أجمع بعض ما كُتب في هذا المجال في كتاب كبير تحت عنوان «مناقشات وردود»، وجلُّه مما نشره الباحث الكبير على صفحات مجلة الأزهر، فحاز الكتاب موضعاً كريماً في المكتبة العربية؛ وهذا يلفتنا إلى شيء ضروري هو العمل على إحياء كثير مما نشر في مجلة الأزهر من المقالات الحية ذات التأثير القوي في شتى مجالات الفكر الإنساني، وأعترف أن كُتباً مستقلة، قد خرجت تحمل المقالات المتفرقة على صفحات المجلة، إذ نُشرت موضوعاتها تباعاً من قبل مثل كتاب «رسائل الإصلاح» للأستاذ الخضر حسين، وكتاب السيرة المُحمدية في ضوء العلم والفلسفة للأستاذ محمد فريد وجدي، وكتابي (عثمان بن عفان) و (خالد بن الوليد) للأستاذ محمد صادق عرجون وكتاب (من رياض القرآن) للأستاذ عبداللطيف السبكي وكتاب (فقه عمر) للأستاذ محمد المدني؛ وكتاب


عباس محمود العقاد


محمد مصطفى المراغي

(تفسير سورة النور) للأستاذ إبراهيم الجبالي، وكتاب (مقالات وفتاوى) للأستاذ يوسف الدجوى، وكتاب (أعلام الأزهر) للأستاذ كامل الفقى، وكتاب (ما يقال عن الإسلام) للأستاذ عباس محمود العقاد، وكتاب (الإسلام كما يراه الأوروبيون) للدكتور محمد غلاب، وكتاب (حديث رمضان) للإمام محمد مصطفى المراغي.. وكثير من شعر الإلياذة الإسلامية للأستاذ أحمد محرم».. وغير ذلك مما لو حاولتُ رصده لكتبتُ فهرساً ضافياً لمكتبة إسلامية تصلح وحدها لبعث نهضة علمية ثاقبة تُرشد إلى الطريق القويم.

وقد كان من قدر مجلة الأزهر أن حملت الراية على نطاق واسع بعد مجلة «المنار» التي كان يصدرها المُصلح الكبير السيد محمد رشيد رضا، إذ انتقل الرجل إلى رحاب ربه بعد خمس سنوات من ظهور مجلة الأزهر، وتركت المنار فراغاً كبيراً في العالم الإسلامي، ولكن مجلة الأزهر ملأت هذا الفراغ واتسعت في مدى بحوثها اتساعاً لم يتح للمنار على فضلها السابق، بل كانت رائدة في التبويب والنشر، مع ريادتها في البحوث والمقالات، فصار منهجها التبويبي منهجاً يُحتذى به، إذ بدأت في السنوات الأولى تضع أبواباً ثابتة للتفسير والحديث والتشريع والفتاوى الدينية، والشخصيات التاريخية، والردود الناقدة، فجعلت كُل مجلة إسلامية تصدر بعدها تتخذ منهج مجلة الأزهر، وقد تطوّرات المجلة في مدى خمسة وسبعين عاماً، فاتجهت إلى رحاب فسيحة، أوسع مدى، وأشمل نطاقاً، فتبعتها المجلات الأخرى فيما اتجهت إليه، وليس هذا بغريب، فالأزهر بجامعته ومعاهده، رائد الفكر الإسلامي منذ أكثر من ألف عام، ومجلة الأزهر شعاعٌ قوىُّ الإضاءة، ينبعث من أفق الأزهر، فإذا ظهرت مجلة معبرة عن اتجاهه الإسلامي، فإنها تجد من القبول والاحتفاء ما وجده الأزهر نفسه من الثناء والتقدير، وتوفيق المجلة في هذا المضمار، تحقيقٌ عملي لقول الله عز وجل:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[٢].

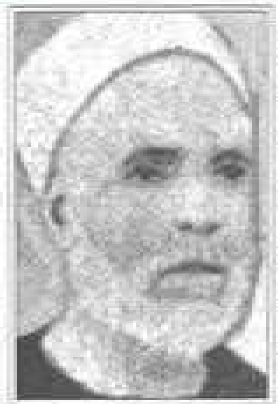
وقد اتجهت كُليات الإعلام في الجامعات المختلفة بمصر إلى الحديث عن المجلات

---

(٢) العنكبوت [٦٩].

والصحف في رسائل جامعيّة تتحدث عن الاتجاهات الصحفية البارزة لكُل مجلة أو جريدة، فأعدت رسائل خاصة بالدكتوراة والماجستير عن مجلات الرسالة والثقافة والسياسة الأسبوعية والمقتطف وغيرها، كما أعدت رسالةً عن مجلة الأزهر، وأنا أرى في هذا المجال أن مجلة الأزهر تتسع لرسالات عدّة، نظراً لجهادها الطويل عبر السنين، وبخاصة فيما يتصل بالبحوث الأكاديمية التخصصة، فعندما تولى الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبدالرازق رحمه الله مَشيخة الأزهر الشريف، اتجه بالمجلة إلى وجهة البحوث العلمية التى تمثل النشاط العلمى لأساتذة الأزهر، وأيد الأستاذ محمد فريد وجدى هذا الاتجاه فيما نشره في افتتاحية السنة الثامنة عشرة من سنوات المجلة، وبذلك ظهرت بحوث ممتازة متوالية في التشريع والعقيدة والنحو والصرف والبلاغة بأسلوب جامعي هادف، تكوّن منه مددٌ هائل للبحث العلمي، وبذلك يتيسر السبيل لإصدار عدة رسائل عن مجلة الأزهر في اتجاهاتها العلمية المتشعبة.. ففي كلية أصول الدين مثلاً يوجه الطالب إلى دراسة مسائل العقيدة على صفحات مجلة الأزهر، أو مباحث الأخلاق الإسلامية، وأبواب التفسير أو أبواب الحديث وفي كلية الشريعة يوجه الطالب إلى دراسة أبواب الفقه وأصوله وتاريخ التشريع وتاريخ المذاهب الفقهية التى توالت على صفحات المجلة، وفي كلية اللغة يوجه الطالب إلى دراسة (الشعر على صفحات مجلة الأزهر) أو بحوث الأدب المستفيضة في هذه المجلة الحافلة، أو حركات التيسير في البلاغة والنحو، كما تداولتها الأقلام تجديداً ومحافظة، أما البحوث التاريخية عن الوقائع الإسلامية وأعلام التاريخ فتحتاج إلى رسالة أو رسالات؛ وبهذا تكون المجلة تصدر فيضاً زاخراً لمن يبحثون عن الموضوعات الطريفة فلا يجدونها، فيلجئون إلى التكرار السقيم!.

وقد عاشت المجلة عهداً مليئاً بالأفكار الوافدة، والتجديد المنحرف والمعتدل، وخاض كُتابها حرباً شريفة في منازلة النزعات المريضة وأذكُر من أعلام هذه الحلبة الأساتذة: محمد فريد وجدى ومحمد عبدالله دراز، ومحمد المدنى، وعبداللطيف السبكى، وعلى العمارى، وحسن حسين، ومحمد غلاب، ومحمد الخضر حسين، وغيرهم، وقد غاب عن ذهنى من لو تتبعت أسماءهم لضاق النطاق، وهذا النشاط الناقد المتربص بكل تحريف ضال في حاجة إلى من يُسلّط عليه الضوء، فلماذا لا تُصدر الرسائل كاشفة عن هذا الاتجاه، وكتاب الله ـ عز وجل ـ كم تعرض لافتراءات ظالمة دحضتها هذه المجلة دحضاً، ولاتزال هذه الافتراءات تتجدد، وأنت تعجب كُل العجب لمن يعيد شُبهات جريئة قد ظهر بُطلانها، فيظل يلوكها، وكأنها شيء جديد، وهذا يدل على خبث



يوسف الدجوى

المقصد قطعاً، لأنّ الباحث الجاد يتتبّع كُلَّ ما قيل في موضوعه قدر طاقته، قبل أن يبدأ بالكتابة، فإذا غفل عما قيل، فهو جاهل بأصول البحث من جهة، كما هو ذو هدف مغرض من ناحية ثانية، وإلا فكيف يلاكُ الحديث المملول المُعاد عن بعض التناقض المزعوم في آيات القرآن، وعن ترتيب الآيات والسّور، وعن قسوة بعض الحدود، وعن ضرورة فصل الدين عن الدولة، وعن ظُلم المرأة في الميراث، إلى آخر هذه التّرهات، مع أن صفحات مجلة الأزهر قد عالجت هذه الشُّبهات بمنطق لا يُفلّ!. وفي مراجعة ما قيل في هذا المجال ما يرُدّ البصر خاسئاً لدى من يُحرّف الكَلِمَ عن مواضعه، مما يدل على أن المجلة قد أدّت دورها الضروري في مجتمع يمتزج فيه الطيب بالخبيث!.

ومن محامد مجلة الأزهر أنها سَجّلت كثيراً من أحاديث شيوخ الأزهر، ودُروسهم الدينية، فكان هذا التسجيل رداً على أباطيل اخترعها المُخترعون دون أدنى حقيقة، فقد زعم بعضُ الكُتّاب في مجلة الهلال أن الإمام المراغي قد شنّ في دروسه الدينية حملة على حزب الوفد باسم الدين، وكانت دروسه تلك أمام جلالة الملك، فرددتُ عليه فوراً بما يدحض هذه الفرية وقلتُ له: «إن أحاديث الإمام المراغي نُشرت حرفياً بمجلات الأزهر في السنوات: ١٣٥٦و١٣٥٧ و١٣٥٩ و١٣٦٠ و١٣٦١ و١٣٦٢ و١٣٦٣ و١٣٦٤هـ. وقد جمعها ولده الأستاذ رشاد المراغي في كتاب خاص نقلاً عن مجلة الأزهر دون تصرف، وأنا أتحدّى الكاتب أن يُثْبت أن حرفاً واحداً بها يتضمن هجوماً على الوفد، والإمام المراغي تعلّم معنى قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾[٣].. فكيف تكون أحاديثه في أطهر بقاع الأرض مجالاً لمحاربة حزب سياسيّ، وتأييد حزب آخر».. ولولا أن مجلة الأزهر سَجّلَتْ هذه الأحاديث، لَراجَتْ هذه الفريةُ.

كما ذكرتُ رداً على ما زعمه الكاتب من أنّ المراغي دعا إلى تتويج الملك في الأزهر، وتقديم سيف له بهذه المناسبة، فقلتُ: «إن احتفال الأزهر بالتتويج قد سجل بمجلة الأزهر، وليس به شيء مما زعم الكاتب»، وكان مما سُجل خطبة الإمام المراغي التي قال فيها مخاطباً جلالة الملك: «مولاي، أذكركم بحقوق الله ـ سبحانه وتعالى ـ وبحقوق عباده، فللّه حقّ الطاعة فيما أمر ونهى، وحقُ العمل بما بيّن وهدى، وللرعيّة حق العدل بينها، وتوفير الخير

(٣) الجن (١٨).

لها، وسعادة أهلها، وفي الحديث الصحيح: «مَنْ ولاه الله عز وجل شيئاً من أمر المسلمين، فاحتجب دون حاجتهم وخلّتهم وفقرهم، احتجب الله عنه»، ومن حقوق الله يا مولاي حمل الرعية على الاعتصام بالكتاب والسُّنّة ورفعة شأنها.. ولايوجد في تعاليمه ما هو أشد من هذه التعاليم وقد نُشرت الخطبة كاملة في عدد جمادى الأولى من مجلة الأزهر سنة ١٣٥٦هـ، ومهّد لها رئيس التحرير الأستاذ الكبير محمد فريد وجدي بمقدمة بارعة قال فيها: «إن الكلمة جمعت من أصول الإسلام في ولاية الأمر، وحقوق الرعيّة على راعيها ما يجبُ على قيّم الدين أن يجهر به، وهو تجديد وفّق الله الأستاذ الإمام المراغي إليه، تنويهاً بمكانة الدين من مقومات الملك».

ذكرتُ ذلك في الرد الحاسم على هذه المُفتريات، فردّ عليّ الكاتب بأنه نقل عن غيره، فهو معذور، وقد وضحت الحقيقة السافرة بالرجوع إلى مجلة الأزهر، فكانت سجلاً رائعاً لمواقف الشجاعة الخُلقية، عند أئمة الإسلام ممن تفترى عليهم الأباطيل، فيُصدقها الأغرار، ولكن الحق لا يعدم النصير!.

والذين يلغون بأن الأزهر يتملّق رجال السياسة، عليهم أن يرجعوا إلى مواقف شيوخ الأزهر كما سُجلت بهذه المجلة، ليعرفوا أنهم مخطئون، ولو تأملوا الفتاوى الدينية التي نشرتها المجلة في مهبّ الأحداث الخطيرة، لعرفوا أنّ الأزهر هو لسان الإسلام الناطق بحكم الله جهاراً دون إسرار، وهذه المجلة المباركة تقول لهم بلسان الحال: ﴿ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴾[٤].

وإنّي لأرجو أن أسير على درب الفُضلاء ممّن تولوا رياسة التحرير من قبلي، وكلُّهم مُخلص مُوفق، ولئن كان لي رجاء أتقدم به لحضرات الذين يوالون المجلة بنتاجهم الكريم، فهو ألا يُسيئوا الظن بي، حين أُهمل من مقالاتهم ما لا يُضيف الجديد، لأن الكتابة العلمية جهد ومثابرة ومران، وليست اكتفاء بما هو مُدوّن من قبل، بل هي تحليل وكشف وابتكار، ومن الله العون والتأييد، وليُعلم جيداً أن المنصب الإداري شيء، والبحث العلمي شيء آخر.

د./ محمد رجب البيومي

(٤) الحاقة (١٩).

مَعَ المجلة فى خمسةٍ وسبعين عامًا

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

تروى كتب السنة أن رسول الله ﷺ وقف يخطب فى حجة الوداع فقال: «أيها الناس إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض.. إلى آخر ما قال رسول الله.

وذلك أن المشركين كانوا يعملون بالنسىء وكانوا يغيرون الأشهر فيجعلون المحرم صفرا فانتكست الأيام والشهور نتيجة لهذا الهوس والغرور. وذلك أنهم كانوا إذا سنحت لهم فرصة من عدو لهم أو ضعيف لا يخشون بأسه اهتبلوا ما أتيح لهم أو سنحت به الظروف فأغاروا غير عابئين بحرمات أو عهود.

فلم يكن موسم الحج فى يومه، ثم دارت الأيام فأصبح كما أراد الله ـ تعالى ـ قبل عبث الجاهلية وعاد الحج فى ميقاته كما أراد الله ـ تعالى ـ ولعل ذلك هو السبب ـ فى رأيى ـ فى تأخر حجه ﷺ إلى العام التاسع مع أن الحج فرض قبل ذلك بسنوات، فلم يحج المصطفى إلا فى العام التاسع، وما ذاك فى رأيى كما أسلفت إلا أن عرفة لم تكن فى يومها الذى أراده الله.

وهذا الحديث من دلائل نبوته ﷺ وإعجازه فلا يقول هذا القول إلا نبى فمن الذى يدرك أن هذا اليوم هو يوم كذا فليس ثمة أدلة مادية تحدد معالم يوم معين إلا ما تعارف الناس عليه.

فمن الذى يدرك أن هذا اليوم ليس هو إلا نبى؟ فكيف يتسنى لإنسان كائنا من كان فى ذلك الزمان أن يحكم بهذه الحقيقة إلا نبى؟ وأحسب أنه ما لم يطلعه الله على هذه الحقيقة فلن يتأتى له أن يحكم بها، وهذا من دلائل نبوته ﷺ.

ونحن اليوم فى أول محرم من عام أربع وعشرين وأربعمائة وألف. تمر خمسة وسبعون عاما على صدور العدد الأول من مجلة الأزهر وكأن الزمان قد استدار كهيئته يوم صدور أول عدد من مجلة الأزهر كان ذلك فى عام ١٣٤٩هـ الموافق ١٩٣١م، ففى مثل هذا اليوم من خمسة وسبعين عاما صدر العدد الأول من مجلة الأزهر الشريف تتصدره افتتاحية بقلم

صاحب الفضيلة الشيخ محمد الخضر حسين رئيس تحرير المجلة وقت صدورها، وهو مجاهد عظيم غنى عن التعريف والبيان وهو تونسى الجنسية احتضنته مصر واحتضنه الأزهر برحابة صدر وسعة أفق ليكون شيخًا للأزهر، فحدد فى مقاله فى أول عدد من المجلة المباركة معالم الطريق ووسطية المنهج الذى مازالت المجلة تسير فى ضوئه مع مراعاة ظروف العصر وتطور الزمن.

وعرفانا من أسرة تحرير المجلة بمقال المجاهد العظيم تنشر المجلة نص المقال ضمن هذا العدد ويسعدنا أن ننشر نص اللائحة الداخلية للمجلة كما أقرها المجلس الأعلى للأزهر فى ٢٤ من رجب عام ١٣٦٥هـ الموافق ٢٣ من يونيه ١٩٤٦م كما تنشر المجلة بهذه المناسبة مقالات بعض من تولوا رياسة تحريرها من رجال الأدب والفكر فى مصر.

والمجلة إذ تؤرخ لهذه المناسبة الكريمة ترجو أن توضح لقرائها الكرام أنها ترفض شكلا وموضوعا الاحتفالات التى يطلق عليها أعياد برونزية أو فضية أو ذهبية أو ماسية.

لكننا نؤرخ لهذه المناسبة من منطلق رسالتنا، رسالة الإسلام التى تشهد عظمة الفكر الإسلامى وعراقته، ونجدد العهد سائلين الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن نكون على الدرب سائرين مرددين قوله تعالى:

﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾(١)

وإننا ننتهز هذه المناسبة الكريمة ونذكر أنفسنا وإخواننا القراء بأننا بإذن الله على الدرب سائرون فى ضوء قوله تعالى:

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٢).

ونحن نحمد الله تعالى - الذى بنعمته تتم الصالحات - أن هيأ لنا العمل فى هذا الموقع سائلين الله ـ تعالى ـ أن يجعلنا خير خلف لهؤلاء الأسلاف العظام الذين عمرت بهم مجلة الأزهر طوال تاريخها المديد مما نطالعه فى مقال الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى رئيس التحرير مما عرضه فى إيجاز بليغ نسأل الله سبحانه ـ وتعالى ـ أن يبلغنا مما يرضيه آمالنا وأن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا إنه على كل شىء قدير.

***

(١) الأحزاب (٢٣).

(٢) الذاريات (٥٥).

افتتاحية العدد الأول من مجلة الأزهر

لفضيلة الشيخ محمد الخضر حسين رئيس تحرير «مجلة الأزهر»

كتبها سنة ١٣٤٩هـ.

الحمد لله الذى أخرجنا من الظلمات إلى النور، وأنزل القرآن حكمة بالغة وشفاء لما فى الصدور، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، المؤيد بآيات تنفى عن النفوس قذى الريب والجحود وتملؤها بقرارة اليقين، وعلى آله الذين اقتدوا به فأقاموا صروح التقوى على أثبت أساس، وصحابته الذين دعوا إلى سبيل الحق بالحجة فكانوا خير أمة أخرجت للناس، ورحم الله من نبذ الأهواء والأوهام، وقال: ربى الله ثم استقام.

أما بعد فالإسلام هداية خالصة، ومطلع حياة زاهرة، ما نزل بأرض إلا خرجت من جهالة إلى علم، ومن غواية إلى رشد، ومن خمول إلى نباهة قدر، ومن هوان إلى عزة جانب، وإذا شهد التاريخ على جماعة من المسلمين بجهالة أو خلاعة أو بطالة أو احتمال مهانة، فما ذاك إلا أنهم لم يكونوا من تعاليم الإسلام على بينة، أو لأن أفئدتهم فى غطاء من الشهوات فلم يكن لهم فى العمل على هذه التعاليم من نصيب.

ومازال الإسلام على جلاء حقائقه وروعة حكمته يبتلى بطوائف يصدون عن سبيله فى لون من المداجاة والرياء، وآخرين يناصبونه العداوة فى جهل وغرور، وكان أهل العلم فيما سلف على يقظة مما يعمل هؤلاء وهؤلاء، فيقعدون لهم كل مرصد، ويزيحون شبههم، ويرفعون الغطاء عن سرائرهم وما تكنّ أقوالهم، فيذهب باطلهم زاهقا وتبقى كلمة الحق هى العليا.

ولم يكن للجاهلين على الإسلام قبل اليوم طريق يهاجمونه منه غير حديث يناجى به الرجل بعض النفوس التى يجدها على شفا حفرة من الغواية، أو تأليف بعض الكتب كما فعل ابن الراوندى وفريق من الباطنية، وكان أهل العلم يأخذون فى دفاعهم هذه الطريقة نفسها، فيؤلفون الرسائل والكتب ويقطعون بها حبل إغوائهم، ويحفظون الأمة من عدوى أمراضهم.

أما اليوم فقد تهيأت لخصوم الدين الحنيف طرق أخرى ينفذون منها إلى ما يبتغون من إشاعة قول باطل أو تزيين عمل خاسر، ومن أشد هذه الطرق خطراً الكتابة فى المجلات السيارة، فقد يسبق إلى بعض قرائها أنها لا تنطق برأى إلا أن يكون موزوناً، ولا تدعو إلى عمل إلا أن يكون مرضيا.

أجل فى المجلات خير كثير، وفيها مع هذا الخير صحف لا تتحرى مواطن النصيحة فيكون لبعض ما تنشره أثر فى إفساد القلوب غير يسير.

وإذا كانت المؤلفات الصادرة عن الصراط السوى فيما سلف إنما تقع فى أيدى أفراد من الناس غير كثير، فقد تهيأ لها اليوم بوسيلة المطابع أن تنزل فى كل واد، وتقذف بوساوسها فى كل ناد، فأصبح لهذه المؤلفات من الأثر، أكثر مما كان لها يوم كانت تخط بالقلم ويقرؤها نفر قليل فى معزل من الناس.

ولما كان الأزهر الشريف هو المعهد الذى حمل لواء العلوم الإسلامية أحقابا، ونهض بها فى نشاط وقوة حتى صار الينبوع الذى تستمد منه سائر الأقطار علما ورشدا، وجب أن يكون نصيبه فى الإرشاد والذود عن حمى الشريعة فوق كل نصيب، فحقيق بالأزهر أن يكون له فى الدعاء إلى الخير صوت ينفذ إلى جوانب الأرض يمينًا ويسارًا، وحقيق به أن يأخذ فى النداء إلى الحق بأبعد الوسائل مدى وأبلغها فى النفوس أثرا.

وهذا ما جعل الناس يتشوقون إلى أن يروا مشيخة الأزهر معنية بإصدار صحيفة تقرر حقائق الدين على وجهها الصحيح، وتدعو إلى الفلاح بالتى هى أرفق وأدعى إلى القبول.

أحس الناس شدة الحاجة إلى هذه الصحيفة ووثقوا بأن سيكون لها فى إنارة السبيل والذب عن حوزة الدين موقف خطير، وهذا الإحساس الشريف هو الذى بعث حضرة صاحب العزة عبدالعزيز محمد بك مدير هذه المجلة أن اقترح على المجلس الأعلى للمعاهد الدينية فى جلسته المنعقدة فى ٣ جمادى الثانية سنة ١٣٤٥هـ الموافق ٨ من ديسمبر سنة ١٩٢٦ أن يدرج فى



محمد الأحمدى الظواهرى



محمد الفحام

ميزانية المعاهد مبلغاً يقوم بإنشاء مجلة إسلامية، فعهد إليه المجلس بوضع تقرير فى مشروع هذه المجلة على أن يعرضه عليه فى جلسته المقبلة، وفى ٨ من المحرم سنة ١٣٤٦هـ - الموافق ٢٧ من يوليو سنة ١٩٢٧م عرض حضرته هذا التقرير على المجلس فكان من المجلس أن قرر تأليف لجنة من حضرات أصحاب الفضيلة الأساتذة: المدير العام للمعاهد الدينية المرحوم الشيخ أحمد هارون، وشيخ معهد الإسكندرية لذلك العهد الشيخ محمد عبداللطيف الفحام وكيل الجامع الأزهر، وشيخ معهد طنطا المرحوم الشيخ عبدالغنى محمود، وعهد إليها ببحث ما احتواه التقرير من الاقتراحات فنظرت اللجنة فى التقرير وقدمت نتيجة بحثها إلى المجلس، وحينما أخذ ينظر فى ميزانية سنة ١٩٢٩م أدرج فيها مبلغا للإنفاق على هذه المجلة، إذ وثق بأنها عمل صالح وفاتحة نهضة مباركة.

ولما أسندت مشيخة الأزهر إلى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى كان من أول ما توجهت إليه عنايته

مشروع هذه المجلة، فأخذ يدبره بجد وحكمة حتى لانت صعابه، وتهيأت بتأييد الله أسبابه.

خرجت هذه المجلة وهي تحمل سريرة طيبة، لا تنوى أن تهاجم دينا بالطعن، ولا أن تتعرض لرجال الأديان بمكروه من القول، إذ لا يعزب عنها ما يحدث عن مثل هذا القصد من الفتن وبواعث التفرقة بين سكان الوطن الواحد وهم في حاجة إلى السكينة والتعاون على المصالح فردية كانت أو اجتماعية.

خرجت هذه المجلة بعد أن رسمت لنفسها خطة لا تمس السياسة في شأن، وقصارى مجهودها أن تعمل على نشر آداب الإسلام وإظهار حقائقه نقية من كل لبس، وتكشف عما ألصق بالدين من بدع ومحدثات، وتنبه على ما دس في السنة من أحاديث موضوعة وتدفع الشبه التي يحوم بها مرضى القلوب على أصل من أصول الشريعة، وتعنى بعد هذا بسير العظماء من رجال الإسلام، وإن في سيرهم لتذكرة لقوم يفقهون، ويضاف إلى هذا ما تدعو فائدته إلى نشره من المباحث القيمة علمية كانت أو أدبية، وسترى هذه المقاصد إن شاء الله مودعة في الأبواب المفصلة على ما يأتي: التفسير، السنة، السيرة النبوية، أصول الدين، دفع الشبه، أصول الفقه، الفتاوى والأحكام، العلوم والآداب، آراء الباحثين، التاريخ، السير والتراجم، أنباء العالم الإسلامي، الطرف والملح.

تتناول المجلة من مباحث هذه العلوم والفنون ما يدعو الحال إلى نشره، ولا تحكي رأيا خارجا عن نهج الصواب إلا أن تقرنه بما يكشف عن كنهه، وستتحرى بتوفيق الله - تعالى - الطريقة التي تتجلى بها سماحة الدين في بهاء طلعتها وصفاء ديباجتها، وتراعي في تحريرها الأساليب التي تألفها أذواق القراء، ويجتلون فيها صور المعاني ماثلة أمامهم لا لبس فيها ولا التواء.

تناقش المجلة الأشخاص أو الجماعات الذين يقولون في الدين غير الحق، مقتدية في مناقشتها بأدب قوله تعالى:

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾

النحل ١٢٥

وإذا كان هذا أدبها مع قوم هم عن الحق غافلون، فأحرى بها أن تأخذ به في مناقشة آراء العلماء إذا رأت في بعضها انحرافا عما تقتضيه نصوص الشريعة أو أصولها الثابتة الواضحة، نذكر هذا ليلاحظه الذين يرغبون في مراسلة المجلة ببعض منشآتهم الموافقة لمنهجها. ومن أجل أن يكون جهاد هذه المجلة متصلا بالحركة الفكرية في البلاد الأوروبية أنشئ في إدارة المجلة قسم لترجمة ما يجئ في الصحف الأجنبية من مباحث علمية أو مقالات يتحدث فيها عن الإسلام، غير أننا لا نضع أمام القراء مقالة في الإسلام صدرت من غير منصف إلا أن نصلها بما يستبين به خطأ كاتبها ناقلا كان أو مدعيا.

هذا غرض المجلة وهو بلا ريب غرض نبيل، وهذه خطتها وهي كما عرفت خطة من يمشي على سواء السبيل، وما توفيقنا إلا بالله.

مجلة الأزهر في عهدها الجديد

مقال الأستاذ/ محمد فريد وجدى رئيس تحرير مجلة الأزهر فى افتتاحية العدد الأول من المجلة فى عامها الثامن عشر سنة ١٣٦٦هـ.

في سنة (١٣٤٥) هـ، (١٩٢٦) م، اقترح أحد أعضاء مجلس الأزهر الأعلى، إنشاء مجلة للجامعة الأزهرية، لتحمل رسالتها إلى سائر البلاد الإسلامية، وتكون صلة علمية بين شعوبها العالمية، فصدرت تلك المجلة في أول المحرم من سنة (١٣٤٩) هـ (١٩٣٠) م.

ظهرت هذه المجلة باسم (نور الإسلام) فتباشر بها المسلمون في جميع أكناف الأرض، وتخاطفوا نسختها تيمنا بها، واتسع نطاقها حتى بلغ ما تطبعه سبعة آلاف نسخة، ولم تتم السنة الرابعة من يوم صدورها بعد، مع أن مجال الكتابة فيها إلى ذلك الحين كان مقصورا على التفسير والحديث، وإحياء السنة وإماتة البدعة، والدعوة إلى الفضائل، دون الخوض فيما تسرب إلى القلوب من الشبهات العلمية من بين ثنايا المعارف الحديثة، وما تحمله المجلات من الدراسات الفلسفية، وما تصدره المطابع من ترجمات المؤلفات الأجنبية؛ فكل القراء يشعرون في هذا الدور بالحاجة الملحة إلى معرفة رأى الدين في تلك المقررات العلمية والفلسفية، المزعزعة للعقائد الدينية، على وجه يثلج عليه الصدر، ويحفظ كرامة الفلسفة والعلم، وظلوا يطالبون مشيخة الأزهر بذلك بلسان الصحافة؛ فرأت ضرورة إيتاء الناس بطلبتهم من هذه الناحية، وأن تزيد في مادة المجلة حتى تتناول مناقشة الآراء الحديثة والرد على ما يستدعي الرد منها، لحماية القلوب من تسرب سموم الإلحاد إليها، محمولا بين أطواء ما يدرسه الطلبة في المدارس والجامعات المدنية، بحيث تكون تلك المناقشات والردود مناسبة لما ألفه المعاصرون من أساليبها، ومستمدا من المقررات العلمية نفسها.

في هذه الأثناء فوتحت في أمر تولي إدارة مجلة نور الإسلام ورياسة تحريرها، فقبلت هذا العرض؛ وفي اليوم الحادي عشر من شهر سبتمبر سنة ١٩٣٣ باشرت مهمتي فيها، فآنست من الرأي العام والصحافة ارتياحًا تنشطني على المضي قُدمًا فيما عهد به إليّ، واطردت زيادة قراءة المجلة حتى بلغوا أربعة عشر ألفا، وما كادت تمضي سنتان حتى تولى مشيخة الأزهر المغفور له الشيخ محمد مصطفى المراغي، فجعل اسمها (مجلة الأزهر)، ومكثتُ أصدرها على عهده نحو عشر سنين، حاظيًا بتشجيعه المستمر، وتأييده العظيم.

ولما لبى دعوة ربه، وانتقل إلى الدار الآخرة، وخلفه حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبدالرازق، أهلّ عهد جديد لمجلة الأزهر، فإنه حفظه الله لإيلافه نظام الجامعات في مصر وأوروبا طالبا ومدرسا، كان لابد له من أن يفيض على كل ما يسند أمره إليه النظام الذي ألفه طوال حياته العلمية؛ ففاتحني فضيلته بأنه يرى أن يدخل مجلة الأزهر في طور جديد من الاتقان، وتعدد البحوث، وكبر الحجم، ما تصبح معه مجلة جامعية بكل ما تتسع له هذه الكلمة من المعاني.



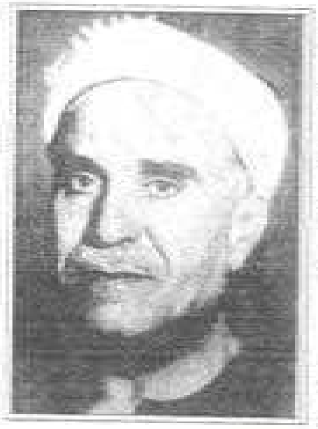
محمد فريد وجدي

فأجبت فضيلته بأن هذا الأمر أقصى ما تتطال إليه أماني كل محب للإسلام، لم يلبث أن أخذ يعقد لتحقيقه اللجان لوضع نظامه العملي، وتقدير نفقاته، وتبين وجوه تنفيذه، فكون لجنة دائمة لتشرف على تنفيذ لائحتها الداخلية، مؤلفة من فضيلة الأستاذ الشيخ محمود أبوالعيون سكرتير عام الجامع الأزهر والمعاهد الدينية، ومن مديرها، ومن حضرة الدكتور محمد ماضي ممثلا لحضرات مدرسي الكليات، وحضرة الدكتور محمود الخضيري عن مكتب البحوث والثقافة، وقد نشرنا هذه اللائحة في ذيل هذا العدد.

بهذا الإصلاح القيم نأمل أن تبلغ مجلة الأزهر إلى مستوى المجلات الجامعية الكبرى، وأن يكون للأزهر منها خير أداة لبث أنوار الثقافات التي تتلألأ فيه اليوم، إلى حيث تصل هذه المجلة من أرجاء العالم.

وها نحن نقدم أول عدد منها للقارئين في طورها الجديد، واعدين أن نجري على السنة التي وضعت لها، راجين أن نصل بالجري عليها إلى غاية ما يرجوه فضيلة الأستاذ الأكبر وجميع المسلمين لها من الإتقان والكمال.

ومما يجب أن تلفت الأنظار إليه أن الأزهر الذي عاني منه الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده وتلامذته ما عانوا في سبيل إدخال العلوم الكونية إليه، قد قام اليوم على السمت الذي كانوا يرجونه له، وأصبح فيه اليوم كهول وشباب يكفلون مضيه قدما في طريق التطور الذي لابد منه لكل مؤسسة كتب لها أن تماشي الأحياء، وتتعقب أطوارهم.



مصطفى عبدالرازق



الإمام محمد عبده

فإذا كنا نفخر بهؤلاء الكهول والشباب، وتعلق على جهودهم الآمال الكبار، فيجب أن تذكر إلى جانب هذا أن حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبدالرازق هو الذي استطاع بحكمته العالية أن يجعل لهذا التطور مظهرا خارجيا رائعا، بتحويله هذه المجلة إلى مجلة جامعية، ودعوته أركان النهضة الأزهرية المباركة للكتابة فيها، وهو حادث جلل سيبقى أثره خالدا في تاريخ التطور العلمي في هذه البلاد.

***

اللائحة الداخلية لمجلة الأزهر

تبعا لمذكرة فضيلة الأستاذ الأكبر التى أقرها المجلس الأعلى للأزهر فى ٢٤ من رجب ١٣٦٥هـ الموافق ٢٣ من يونية ١٩٤٦م.

الغرض من هذه اللائحة هو تنظيم مجلة الأزهر بحيث تصلح لحمل رسالة الجامع الأزهر، والتعبير عنها أكمل تعبير؛ ولأجل هذا حددت أغراض المجلة والموضوعات التى تكتب فيها، والإشراف على تحريرها وإدارتها على النحو التالى:

أ- أغراض المجلة

أغراض المجلة هى الدفاع عن الاسلام وبيان فضائله، والتعبير عن مساهمة الأزهر فى العناية بالدراسات الاسلامية عناية إنشائية، وتكون حلقة اتصال بين الأزهر وسائر الجامعات والمعاهد العلمية من جهة، وبين الأزهر والرأى العام المثقف من جهة أخرى، وتكون أداة تعليم الأزهريين، وأداة توجيه دينى وإصلاحى للمسلمين.

ب- تفصيل الموضوعات التى تكتب فيها مجلة الأزهر

لما كانت مجلة الأزهر تنشر لحمل رسالة الأزهر إلى الشعوب الإسلامية وغيرها، وجب أن يكون ماينشر فيها مناسبا لمهمتها، وذلك بأن تكون هذه المجلة من غزارة المادة وتنوع البحوث بحيث تمثل الاتجاهات الثقافية والإصلاحية للجامع الأزهر، وهذا كما يأتى:

أولاً: نشر البحوث المؤيدة لعقائد الإسلام وشرائعه المبينة لهيمنته العالمية، والمبطلة بالحجج والبينات لشبهات الإلحاد التى تقف فى طريق هذا الإصلاح العالمى العظيم.

ثانيًا: نشر بحوث طريفة قائمة على أسس سليمة من مناهج البحث فى العلوم الإسلامية خاصة، وفى الآداب والعلوم والفنون والاجتماع عامة، مع الإلمام بحركة التيارات الفكرية فى العالم.

ثالثًا: نشر مختارات مما يظهر فى المجلات والكتب مما يكون فيه فائدة علمية أو أدبية لقراء المجلة، وذلك رغبة فى مسايرة الحركة الفكرية فى العالم.

رابعًا: التعريف بالكتب التى تتصل بالإسلام مما ينشر فى مختلف اللغات والبلاد، والتعريف بالمخطوطات العربية القيمة لا سيما الموجود منها بدار الكتب الأزهرية، ونشر مخطوطات عربية قصيرة ذات قيمة، وتلخيص منتخبات من رسائل جماعة كبار

الأزهر

العلماء والرسائل التى يضعها أعضاء البعثات الأزهرية فى الخارج ورسائل الأستاذية فى مختلف أقسام التخصص بالجامع الأزهر.

خامسًا: نشر مباحث فى مذاهب الإصلاح الدينى والاجتماعى وفى نظم التعليم والآداب.

سادسًا: تزويد القراء بأهم أخبار المعاهد والجمعيات العلمية فى مصر والخارج، وبأهم الأخبار الخاصة بالتغييرات الاجتماعية والثقافية فى العالم الإسلامى وغيره، وكذلك بأخبار الجامع الأزهر العلمية الدراسية.

جـ- نظام المجلة

(١) تصدر المجلة فى نحو مائة صفحة فى أول كل شهر عربى ما عدا شهرى الحر الشديد، وتكون سنتها عشرة أشهر.

(٢) أن يكون لها ملحق يكتب بلغة أجنبية فى موضوع يهم من لا يعرف العربية من المسلمين وغيرهم، أو يشتمل على طبعة مستقلة لبعض المخطوطات العربية القيمة، أو لما يظهر فى المجلة من بحوث.

د- لجنة مجلة الأزهر

يتولى الإشراف على تنفيذ اللائحة لجنة تدعى «لجنة مجلة الأزهر» وتتألف من السكرتير العام للجامع الأزهر والمعاهد الدينية، ومدير مجلة الأزهر، وممثل لمكتب البحوث والثقافة الإسلامية بالأزهر، وأحد أساتذة الكليات بالجامع الأزهر.

ويختار حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر العضوين الأخيرين ويعين أحدهما سكرتيرا لتحرير المجلة.

وتجتمع هذه اللجنة مرتين فى الشهر على الأقل، وهى تختص بتدبير المقالات والبحوث التى تعد للنشر فى المجلة ويتولى بإشرافها مكتب البحوث والثقافة الإسلامية بالجامع الأزهر أبواب المجلة الخاصة بالترجمة من اللغات الأجنبية وإليها، وأخبار الهيئات العلمية والدينية، والتطورات الاجتماعية، وأخبار الأزهر، وتختص أيضا بتقدير المكافآت لأصحاب المقالات والبحوث، وتقدير قيمة الاشتراك فى المجلة وثمن بيعها مراعية نفقاتها، والإشراف على نظام الطبع والتوزيع.

هـ- موظفو المجلة

تسند إدارة المجلة ورياسة تحريرها إلى مدير جدير بها من النواحى الدينية والإدارية والثقافية. ويشترط أن يكون عارفا ببعض اللغات الأجنبية، وله من السلطة إزاء مرءوسيه من الموظفين والخدم ما لكل مدير إدارة فى مصالح الحكومة، وهو الذى يتلقى مكاتبات المجلة الإدارية ويوقع على كل منها بما يجب اتباعه ويراقب تنفيذها، وهو الذى يتلقى البحوث والدراسات التى يراد نشرها فى المجلة ويعرضها على لجنة المجلة.

ويلى المدير سكرتير التحرير يعاونه ويقوم مقامه فى حال غيابه.

ويكون لإدارة المجلة قلم كتاب مؤلف من كاتب حسابات وآخر لتلقى المكاتبات الإدارية من المدير وتصريفها، ومن مصحح للمجلة ويتبع الإدارة حاجب وفراشان.

رسالة الأزهرى فى عهده الجديد

مقال فضيلة الشيخ/ محب الدين الخطيب رئيس تحرير مجلة الأزهر فى افتتاحية عدد شهر صفر ١٣٧٢هـ.

لو لم يكن لأحد فى هذه الأرض رسالة قدسية علينا يؤمن بها، ويعيش لها، ويتصرف فى جميع أموره ـ الخاصة والعامة ـ بمبادئها وسننها، لكان ينبغى أن يكون ذلك لربيب الأزهر، لأنه مسلم يؤمن برسالة الإسلام، وبها يحيا وعليها يموت.

ولو جاز لمسلم أن يجهل بعض شعب الإيمان فى رسالة الإسلام . لكان ينبغى لربيب الأزهر أن يكون بمنجاة من هذه النقيصة. لأنه ـ ولله الحمد ـ عالم برسالة الإسلام، وواقف على تفاصيل شعبها، وقد ارتفع به علمه بهما إلى منزلة يحسده عليها كل ذى نعمة فى الأرض، وهى منزلة الوراثة لمقام النبوة، والأزهرى من أعرف العارفين بما لهذا المقام من مزايا، وما على صاحبه من أعباء، ومسئوليات.

وللأزهرى ضمير طالما كان يناجيه فى خلوته، ويتحدث إليه ـ بين الفينة والفينة ـ بما حامله الإسلام من تلك المسئوليات والأعباء، منذ تأهل لنصيبه فى الوراثة من مقام النبوة، إلا أن بعض الذين يؤثرون العافية فى حاضرهم، كانوا يجدون لأنفسهم ما تعتذر به إلى ضمائرهم يوم كانت تناجيهم بما عليهم من أعباء الميراث الأعظم. كيف لا والنظام الذى كان قائما فى هذه الناحية من دنيا المسلمين. أسسه لنا الأغيار على أنه سلم للإسلام فى ظاهره بينما هو حرب عليه فى مقوماته وحقائقه الجوهرية وأهدافه الإنسانية القصوى. فكان ذلك النظام يحاول ـ بأساليبه المرنة وأنامله الناعمة ـ أن يحمل الإسلام على أن يبقى قابعا فى المسجد فلا يخرج منه بمبادئه وسننه إلى ساحات المجتمع، وأندية الناس، وأسواق التعامل ومدارس التثقيف، فضلا عن محاكم القضاء

ودواوين الحكم.. ومن هنا كان بعض حملة رسالة الإسلام يجدون لأنفسهم بعض العذر بأن أمام هذه الرسالة عقبات تعترضها، وتحول بينهم وبين العمل بها.

ولا ينكر أحد على ورثة الأنبياء أن فيهم طائفة لم تكن تبيح لنفسها الإسراف فى هذه المعاذير، لأن الله ـ جل وعز ـ وهبهم من مضاء العزيمة وسعة الأفق وحكمة التصرف ما يصل ماضى هذه الأمة بحاضرها، ويلوح به النور فى أعداقها نحو المستقبل.

والآن وقد أكرم الله الإنسان بهذا الانقلاب العظيم الذى وقع على مرأى منا ومسمع فى الثلاثة أشهر الأخيرة، فإنه ساوى بين العلماء فى موقفهم من رسالة الإسلام.. وكما ذهب الانقلاب بذلك النظام الجاهلى الفاسد فقوضه تقويضا، فإنه قد ذهب كذلك بالمعاذير التى كان بعض ورثة الأنبياء يعللون بها موقفهم من العمل برسالة الإسلام إذا ناجتهم ضمائرهم بما حملهم الله من أعبائها.

ويشاء الله أن تبدأ السنة الدراسية فى معاهدنا الأزهرية ومدارسنا الرسمية وجامعاتنا بعد استتباب هذا الانقلاب المبارك، فيقف المدرس من أبنائه الطلبة موقف الأمين على أثمن ما ائتمن الله الأمناء عليه فى الأرض، وإنها لأمانة مزدوجة: أمانة العلم، وأمانة الجيل، بل أمانة الملة، وأمانة الوطن.

إن النظام الذى أقامه الأغيار لنا فى الجيل الذى مضى قد صرف النفوس عن تضامن الجماعة وتعاونها بالمبادىء الإنسانية الكريمة، والسنن الإسلامية الحكيمة، بما أيقظ من أنانيات، وما هيج من شهوات، وما أحدث من عصبيات وحزبيات، وما ترتب على ذلك من فرقة وتشتت، حتى صرنا إلى ما ضجت من شناعته الأرض والسماء، وتحولنا به عن إنسانيتنا المتراحمة إلى ما لا يرضاه لنا إلا العدو. وأفدح ما منينا به فى عشرات السنين الأخيرة واختلاف قلوبنا عما أراد لها الإسلام أن تكون عليه، وقد سرت عدوى ذلك من طبقة إلى طبقة ومن جيل إلى جيل، حتى وصلنا إلى بداية السنة الدراسية لهذا العام، وإذا أمانة الجيل الآتى كلها بين يدى المدرس أزهريا كان أو فى المدارس الأخرى والجامعات.

وإن الدولة بجميع قواها قائمة الآن بمهمة التطهير، ومهمتها هذه تتناول آثار ما أفسد الدهر من قلوب الخاصة، وهاهى ذى قلوب الخاصة نفسها ممن سيتولون بعد سنوات قريبة جميع أمور الأمة ـ من صغيرها إلى كبيرها ـ قد وضعها الله أمانة بين أيدى القائمين بالتدريس، وهم

مكلفون من الله، ومن روح النظام القائم، ومن حاجة الأمة الملحة، بأن يعنوا بقلوب تلاميذهم فيعدوها للطهر والفضيلة والشهامة والرجولة ومكارم الأخلاق.

وأول ما يكون ذلك بالقدوة والأسوة. والتلميذ الناشىء يتعلم مما يرى بعينه أكثر ما يتعلم مما يسمع بأذنه، والدعوة بالقدوة والأسوة هى التى تمت بها أعظم معجزة عرفتها مصر فى ألوف مؤلفة من السنين، وذلك يوم تحولت عما كانت عليه إلى ما رأت بعينها آثاره الباهرة فى سيرة أبى عبدالله عمرو بن العاص السهمى وصحبه الأكرمين، بل هى تنازلت حتى عن لغتها إلى لغة هؤلاء الفضلاء الرحماء الطاهرى القلوب العاملين بسنن الأنبياء من إبراهيم إلى موسى فالمسيح فخاتم النبيين وإمام المصلحين محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه. فبالقدوة تحولت مصر والشام والعراق وشمال أفريقية عن دياناتها إلى دين الإسلام فى عشرات قليلة من السنين، وبالقدوة وحدت قومياتها بقومية هؤلاء الإنسانيين على قدم الأنبياء، وانصرفت عن ألسنتها إلى لسانهم، فكانوا جميعا أمة الحق والخير، وبالقدوة يستطيع مدرسو الأزهر والمدارس الأخرى كلها أن يطهروا قلوب أبنائهم رجال الجيل الآتى، فيحدثوا انقلابا - كالانقلاب العسكرى - فى أقل من سنة، بل من الحصة الأولى التى يلقون فيها أبناءهم الطلبة ويقطعون معهم العهد أمام الله على أننا عزمنا على أن نكون أمة صدق وحياء وجد وعمل، تقيم الحق حيثما يكون، وتعين على الخير ما استطاعت إلى ذلك سبيلا.

يقول أبو عبدالرحمن عبدالله بن حبيب بن ربيعة السلمى (تلميذ أميرى المؤمنين عثمان بن عفان، وعلى بن أبى طالب وأضرابهما من علماء الصحابة كعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت، وأبى بن كعب رضى الله عنهم أجمعين) : «وحدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن - كعثمان بن عفان وعبدالله ابن مسعود وغيرهما - أنهم كانوا إذا تعلموا من النبى صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل. قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً».

وهذا معنى قول أم المؤمنين عائشة يوم سألها التابعون عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: «كان خلقه القرآن»، أى أنه وأصحابه كانوا كلما حملت رحمة الله إلى إنسانية الأرض آية

فى تقويم الأخلاق وتهذيبها تخلقوا بها بالعمل، حتى تكون خلقهم الأصيل، وحتى تصدر أعمالهم كلها عن ذلك الخلق كما أراده الله لعباده. فالعلم حجة على صاحبه حتى يصحبه العمل، والعلم بلا عمل أضر على صاحبه من الجهل البسيط. ولذلك استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من علم لا ينفع، ولا ينتفع التلميذ بمعرفة المبادىء إلى درجة أن يعمل بها وتكون سنة له فى الحياة إلا إذا تلقى ذلك بالقدوة، ورأى تطبيقه وتنفيذه فى تصرفات أبيه فى الروح، وهو المعلم الذى ائتمنه الله على فلذات أكباد الناس، وعلقت الدولة آمالها عليهم فى إقامة الحق والخير للوطن. بعد أن تستريح هى من عناء التطهير فيما أفسدته الأجيال التى عاصرناها والتى سبقتنا.

إن القيام بمهمة «التطهير» له ناحية رسمية تتعلق بموظفى الحكومة والذين يتصل سلطانهم ونشاطهم بأمانات الدولة والمصالح العامة، وهؤلاء قد رسمت الدولة خطتها الحكيمة فى تمحيصهم، واستخلاص ذوى الأيدى الطاهرة منهم ليحملوا بها تلك الأمانات، وليؤدوا بها ما نيط بهم من مصالح. وهنالك ناحية أخرى للتطهير تتصل بقلوب الأمة ونفوسها، والقيام بذلك من واجب ورثة الأنبياء حيثما كانوا وحيثما يكون الناس. فالعالم المسلم إذا بدأ فطهر قلبه، وأخلص لله نفسه ومداركه وجوارحه، جعل الله له على قلوب الناس ومداركهم، وجوارحهم سلطاناً يصوغها به على ما يرضى الله فى كل ما يصدر عنه من توجيه وإرشاد. وأخطر من ذلك سلطان المدرس الأزهرى على قلوب أبنائه الطلبة ونفوسهم ومداركهم، وجوارحهم، لأن سلطانه من هدى الله، ومكتسب من مواريث النبوة، وما أعظمه من سلطان، وما أغلاها من مواريث!

إنها مهمة خطيرة، وإذا كان المدرس فى غير المعاهد الأزهرية مكلفاً بها من الدولة، ومن نداء الوطن، فالمدرس الأزهرى مكلف بمثل ذلك وبما هو أعظم منه، من الدولة وممن هو أعظم من الدولة، ومن الوطن وممن هو أعز وأجل من الوطن، وهو الله تباركت آلاؤه وعز سلطانه.

***

عهد جديد

مقال الأستاذ أحمد حسن الزيات فى افتتاحية عدد شهر رمضان سنة ١٣٧١هـ

باسم الله جل اسمه، عز حكمه، منزل كتابه هدى، ومرسل رسوله رحمة.

وبهدى صاحب الرسالة محمد صلوت الله عليه، لسان الوحى، ومنهاج الشرع، ومعجزة البلاغة؛

وبتوجيه صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر، الإمام عبدالمجيد سليم، شيخ الجامع الأزهر، بقية المتقين من أهل الدنيا، وخاتمة المحققين من رجال الدين؛

تخطو هذه المجلة هذه الخطوة فى سبيل الله، مؤيدة بالحق، مسددة بالصواب، تدعو إلى الله بالدعاء البيّن، وتجادل عن دينه بالقول اللين، وترفع صوت الأزهر ندياً فوق هذه الأصوات المنكرة التى تتخاطب بالحديد، وتتجاوب بالوعيد، وتزعم أن الله مكن أصحابها فى الأرض ليبدلوا حكمه، ويعدلوا نظامه، ويقولوا بسلطان العديد وحجة العدّة: هذا حلال وهذا حرام، وهذا حر وذلك عبد!



عبدالمجيد سليم

وما نريد بالأزهر هذه البنايا ومن يعمرها من أساتذة وطلاب، إنما نريد به ذلك التراث النبوى الذى آل إليه واستقر فيه وحُفظ به واستفاض منه؛ ذلك التراث القدسى الذى ضمن الله له البقاء، لأنه ينمو من نفسه كالحى، ويضيىء من ذاته كالشمس، ويتجدد من طبعه كالربيع، ويكفل لهذا العالم الذى ضللته الآراء ومزقته الأهواء وفرقته المذاهب، نظاما يجعل الكون كله أسرة، والناس جميعهم أخوة؛ تجد فيهم الفقير، ولاتجد المحروم، وترى بينهم

الضعيف، ولا ترى المظلوم، لأن الإسلام جعل بين الغنى والفقير سبباً هو البر، وأنشأ بين القوى والضعيف نسباً هو الرحمة.

فالأزهر بهذا المعنى هو الإسلام تجمعت منابعه الثرة ومشارعه الصافية فى هذه البقعة المباركة من هذه الأرض الطيبة التى شرفها الله بالذكر فى كتابه، وأنذر من أرادها بالسوء شر عذابه، وفى إيثار مصر بهذا الفضل من الله دلالة على ما هيأ لها من أسباب القوة لحفظ دينه وبقاء ذكره.

ومصادق ذلك أن القاهرة خلفت بغداد بعد أن دمر المغول العراق، وورثت قرطبة بعد أن مزق الفرنج الأندلس، فكانت للشريعة موئلا، وللعربية معقلا، وللعلماء مثابة. وكان الأزهر يومئذ هو المنارة الهادية فى محيط مكفهر الآفاق بالضلالة والجهالة والعجمة، يرسل النور لامعاً فى حين، ومشرقا فى حين، حتى أراد الله لنوره أن يتم، ولدستوره أن يسود، فكانت القاهرة مظهر هذا النور، وكان الأزهر فى العهد الحديث مبعث هذا الدستور!

ليس الأزهر إذن جامعاً للصلاة كجامع عمرو، ولا جامعة للعلم كجامعة فؤاد، وإنما هو فضلا عن التعبد فيه والتعلم به رسالة ودعوة.

هو رسالة لأن علماءه بما استُحفظوا من كتاب الله هم ورثة نبيه. ومعنى الوراثة أن



أحمد حسن الزيات

تظل الرسالة المحمدية باقية على الدهر يتناقلها الخلف عن السلف لتكون رحمة للناس من كل جنس وفى كل عصر.

وهو دعوة، لأن الرسالة تقتضى التفقه فى الدين والإنذار به. وعلماء الأزهر هم الطوائف التى نفرت من كل فرقة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم. فإذا تفقهوا ولم ينذروا أنكروا ما خلقوا له، وعصوا ما أمروا به.

والأستاذ الأكبر قد فصل هذا الإجمال بيانه الذى نشره على الناس، وكان أول ما عُنى به من وجوه الإصلاح أن وجه همه إلى عملين عاملين: إنشاء مراقبة للبحوث والثقافة، تنشر أضواء الإسلام بين المسلمين، وتعقد أسباب الأزهر بالعالم.

وتقوية مجلة الأزهر لتكون لسان صدق لدعوته، وبلاغ حق لرأيه. وذلك عهد جديد لم يكن للأزهر بمثله عهد قديم.

كان الأزهر في عهوده الغابرة مصباحاً محصور الضوء في مشكاة؛ لا يجد الضالون في بيداء الحياة هدى على نوره ولا أمناً على شعاعه. أما إشارق الهدى المحمدى في البلاد النائية والأمم الغربية، فقد كان من عمل الله لا من عمل مبشر ولا منذر. كان ينتقل من قلب إلى قلب لأنه دين الفطرة، وينسرب من شعب إلى شعب لأنه دين الحق.

لم يكن للإسلام ما للنصرانية من جماعات تبشر، ومؤتمرات تقرر، ومؤسسات تطبب وتعلم، وحكومات تؤيد وتنظم. ولم يكن لعلمائه ما للقساوسة من المهاجرة في سبيل الدعوة، والمغامرة في نشر العقيدة، والتدسس إلى الضمائر والقلوب بالكلم الطيب والكرم الصيب والعمل المواسى. وإذا جازت للأزهر هذه العزلة في عصر مضى، فلا تجوز له في هذا العصر الذى أظلم بالبدع حتى اشتبه الطريق، وتورط في الأباطيل حتى التاث الأمر. وانقسم فيه المشرق والمغرب إلى عقيدتين اقتصاديتين تزعم كلتاهما أنها هي وحدها السبيل الواضحة المأمونة إلى سعادة الإنسان وعمارة الأرض. هاتان العقيدتان: الرأسمالية والشيوعية. وضعهما ابن آدم المادى الصناعي الناقص فذكر فيهما الهوى ونسى الله، وأراد بهما الجسد وأغفل الروح. ومن أجل ذلك غلا طغيان القوة، وعلا سلطان المال، وبغى شيطان الفرقة، وآل الأمر بالناس إلى أن يلدوا للجيش، وينتجوا للسلاح، فغلب الجوع، وعم الخوف، وشاع القلق. وكأنما انتكس الزمان فارتد إلى أوائل القرن السابع للميلاد؛ فالناس يعانون من عناد الروس والأمريكان، ما كانوا يعانون من فساد الفرس والرومان.

والإسلام الذى أنقذ الخليقة من ضلال كسرى وقيصر، حرى أن ينقذها مرة أخرى من غي الرئيس (الأبيض) وبغى الرفيق (الأحمر)!

والأزهر بحكم وراثته للنبوة وخلافته للرسالة مكتوب عليه أن يحاول هذا الإنقاذ. ولن تتهيأ له وسائله إلا إذا وصل علماؤه أسبابهم بأسباب الرسول. ففهموا الكتاب كما أنزل عليه، وفقهوا السنة كما صدرت عنه، وتجملوا بما تجمل به من أخلاق العظمة، وتحملوا ما تحمله من مكاره الدعوة، واعتقدوا أنهم جنود الله يرى بهم عدوه في كل وقت، وفي كل أرض، وعلى أى صورة، فيعيشون للموت كالجند، ويعملون للحياة كالقادة، ويعزفون عن الدنيا كالرسل.

على أن اختلاف الزمن، واتساع الرقعة، ونضوج العقل، وتقدم العلم، وتطور النظم، وتعقد الاجتماع، وتعدد المذاهب، توجب أن تكون وسائل الدعوة اليوم أقوى وأنفذ منها بالأمس. وخطاب الناس على قدر عقولهم وعلومهم من أدب الرسول. واستعانة الجدليين الأقدمين بفلسفة الإغريق، قدوة لعلمائنا المحدثين في الاستعانة بعلوم الفرنج. وثقافة الأزهر مشتقة من مصدر الوحى وقانون الطبيعة، فمتى تتصل بتيار الفكر الحديث تتفاعل هي وهو فيكون من هذا التفاعل ما يريد به الله تجديد دينه وكفاية شرعه وإدامة ذكره.

إن العالم بعد أن كابد ما كابد من مادية العلم وآلية المدنية أخذ يرجع متسرق القوى منقطع الرجاء إلى أحضان الدين، ظهر ذلك ظهور الأمر العجيب في أوربا وأمريكا، فرأى الناس في الأدب والفن والتعليم نزوعا إلى الروحية جرى على ألسنة الأبطال في القصص، وغلب على مصادر الإلهام في الشعور، ووجدوا في الأدباء الأحياء الذين أنغضوا رءوسهم إلى الدين من قبل، من أناب إلى الله كالشاعر (توماس إليوت) والكاتب (جراهام جرين)، فنشدوا العزاء في الإيمان، وعقدوا الرجاء في الروح. وإنا لنجد هذا النزوع الروحى على أعمه وأتمه في أدباء الشرق عامة، وفي كتاب مصر خاصة. وحسب المراقب نظرة عجلى إلى هذه الجماعات التى تحمل اسم محمد، وإلى هذه المجلات التى تدعو دعوة محمد، وإلى هذه المؤلفات التى تشرح رسالة محمد، وإلى هذه الأفلام التى تصور جهاد محمد ليرى أن الفلك قد استدار، وأن الطريق قد استبصر، وأن العقل قد اهتدى، وأن الغيث الإلهي الذى جاد النفوس بعد جفاف، وأخصب القلوب بعد إمحال، إنما هو إيذان من العليم الخبير الذى يعلم من خلق، ويخبر ما أنشأ، باتصال الأرض بالسماء، واتحاد المادة بالروح. ويومئذ يتغير ما بالأنفس فيغير الله ما بالقوم، ويتطهر ما بالقلوب فيطهر الله ما بالمجتمع.

وليس على الأزهر في هذه الحالة إلا أن يطلق النور من كواه، ويدل العيون على منار الإسلام وصواه. أما الهداية فمن الله وأما النهاية فللحق. ولا بأس على الإسلام أن تطير النُحل الفاسدة على جنباته، فإن له من ديمقراطيته الأصيلة، واشتراكيته المعتدلة، وأخوته الشاملة، مناعة من كل سوء، وأمنة لكل جنس، ومودة لكل دين. والله سبحانه كفيل أن يظهره على الدين كله، فإن انتصاره انتصار للعقل، وانتشاره انتشار للعدل، وسيادته سيادة للسلام.

مجلة الأزهر.. سطور من الذكريات

للأستاذ الدكتور/ علي أحمد الخطيب
رئيس تحرير مجلة "الأزهر" الأسبق

ويبدو لي – ابتداء – أنني يجب أن أقدم نفسي للسادة القراء بخاصة، وأنه يشترك معي في اللقب: «الخطيب» إخوة سوريون، سبق أن تولى أحدهم، وهو الأستاذ محب الدين الخطيب رئاسة تحرير مجلة الأزهر، كما تولى أمرها – في بداية إنشائها فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الخضر حسين الذي تولى مشيخة الأزهر في الخمسينات وكان تونسيا – رحم الله الجميع وأجزل مثوبتهم، فلم تكن رئاسة تحرير المجلة إذاً وقفا على المصريين أمثالي؛ وإذا كان الأزهر نفسه ليس لأبناء مصر خاصة، فلا غرابة أن تكون مجلته «الأزهر» هي: الأخرى – للناس أجمعين.

إنني أحد أبناء الأزهر.. هذا المعهد العتيق الذي ارتشفنا من نبعه المقدس: قرآنا وسنة لنحافظ على واجبنا نحو الإسلام ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، وفي أروقة هذا الصرح العظيم ـ الذي لم يضم أوثانا آلهة ـ تلقينا أشرف العلوم وأجلها بين إخوة لنا من أنحاء العالم عاشوا فيه طلابا، وعادوا إلى بلادهم رسلا، مزودين بالعلم والحكمة، سفراء أمناء لمصر.. هذا البلد الأمين.

مجلة الأزهر وعصر النشأة

نشأت مجلة الأزهر في منتصف القرن الرابع عشر الهجري فقد صدر العدد الأول منها في (المحرم ١٣٤٩هـ)، موافقا النهايات من الثلث الأول للقرن العشرين (٢٩ من مايو ١٩٣١)؛ فهي بهذا العدد من (المحرم ١٤٢٤هـ) تستقبل عامها السادس والسبعين من عمر مديد وجهاد شريف حفاظا للإسلام والمسلمين بمشيئة الله – عز وجل.

نشأت مجلة الأزهر – حين نشأت – والقاهرة، ومثلها العواصم المصرية، تموج بنشاط ثقافي علمي فريد، فما كان يمر أسبوع بها إلا وناد أو قاعة تعلن عن محاضرة يلقيها أحد الأعلام الأفذاذ من المصريين وغيرهم، كما نشط بها الإنتاج العلمي الذي طرحته دور النشر والمكتبات بحي الأزهر والفجالة والعتبة وشارع عبدالعزيز متناولا شتى المؤلفات العصرية من مثل: فجر الإسلام للأستاذ أحمد أمين، ومبادىء الكيمياء للدكتور أحمد زكي والدكتور أحمد

عبدالسلام الكرداني، وعلم الأخلاق لأرسطو للأستاذ أحمد لطفي السيد، والروايات مصرية ومترجمة من مثل «الحاج شلبي» للأستاذ محمود تيمور، و«الشاهنامة» للدكتور عبدالوهاب عزام، و«آلام فرتر» للزيات – إلى جانب ما كان يطبع من عيون التراث الإسلامي من مثل «مسند الإمام أحمد» الذي أصدرته المطبعة «الميمنية» من قبل، و«فتح الباري شرح صحيح البخاري» للعلامة ابن حجر العسقلاني، والسير النبوية المختلفة بجانب ما طبع أو كان يطبع من عيون التراث الأدبي واللغوي وغيرهما.

كذلك كان في الميدان صحافة بدت قومية، وأخرى علق بها عنوان القومية بينما مارست صفحاتها المريب من نزغات الفكر وسموم المذاهب؛ فتسرب إلى المجتمع غبار المذاهب الهدامة من هوى الفلسفات الاجتماعية إلى «أصل الأنواع» لدارون وأحبابه من أبناء الشرق

في الوسط من هذا الركام نشأت مجلتان، مالبثتا إلا قليلا حتى تميزتا بالقومية الخالصة والإنتاج الجاد فاستأثرتا بالقارىء الحكيم المجد في طلب الثقافة الرفيعة عن وعي ونقد وبصيرة، ليس في مصر وحدها، بل في الساحة العربية كلها، هما:

مجلة الأزهر، وقد علمنا تاريخ انشائها وصدور أول أعدادها (المحرم ١٣٤٩).

ومجلة الرسالة التي صدر عددها الأول في ١٨ من رمضان ١٣٥١ – ١٥ يناير ١٩٣٣ برئاسة تحرير الأستاذ أحمد حسن الزيات أي بعد نحو عام ونصف من صدور مجلة الأزهر وحين تقرأ منهج المجلتين: الأزهر والرسالة تجد تبويبهما يكاد يكون واحدا. ففي كلا المجلتين باب:

للعلوم والآداب، وآراء الباحثين، والتاريخ، والسير والتراجم والطرف والملح على طريق كل منهما ومنهجه. ثم تتخذ كلتاهما سبيلها الخاص لطرح هدفيها. لذا غلبت الصفة الدينية على «الأزهر» والأدبية على «الرسالة».

ويلفت النظر في كلتا المجلتين ما حوتا من مسلسلات كانت في النهاية كتبا قيمة، ذكر الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي ما كان منها في مجلة «الأزهر» في حديثه بهذا العدد، ونذكر بعض ما كان مثلها في «الرسالة» ففي هذه الأخيرة: «حلقات الأدب في الفسطاط» للأستاذ محمد عبدالله عنان، و«الأدب الفارسي والأدب العربي» للدكتور عبدالوهاب عزام، و«على هامش السيرة» للدكتور طه حسين، و«العوامل المؤثرة في الأدب» للزيات، وغيرها[1].

●●●

(١) انظر المجلد الأول

سارت مجلة الأزهر تؤدى رسالتها فى ضوء منهجها الذى سطره الأستاذ الخضر حسين جاهدة مجاهدة، تبذل كل طاقتها.. وكل ما حوت طاقات محرريها، وكم كان الجهد خارقا عنيفا فى أعدادها الأولى حتى عرفت بحوثها القيمة التى لاتزال إلى يومنا تحتفظ بمكانتها العلمية الفريدة التى يشاركها نفس المنزلة فى البحث أعضاء المجمع - مجمع البحوث الإسلامية - فى سنواته المبكرة.

حتى إذا بلغت رئاسة تحريرها الأستاذ أحمد حسن الزيات - فى رئاسته الثانية لها شاء الله - تعالى - أن أعمل معه، وبدأ عملى بالمجلة فى سبتمبر من عام ١٩٦٤م. وظللت أعمل بها ثمانية عشر عاما قبل أن أتولى رئاسة تحريرها فى صفر ١٤٠٣- نوفمبر ١٩٨٢. إلى جانب الأخوين: الأستاذ إبراهيم الأصيل والأستاذ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم.

لم يكن العمل مع الأستاذ الزيات سهلا، كما لم تكن مواعيده هى مواعيد العمل الرسمية المعروفة، ولم يكن لى ولا لزملائى مكان محدد لأداء أعمالنا الأداء الواجب، يضاف إلى ذلك كله إشرافه الدقيق على تصحيح المادة التى اختارهو موضوعاتها.. وكان نادرا مايقرأ كل ماقدم إليه من مقالات، إنما أقرأ، أو يقرأ عليه زميل بضعة أسطر منها فيجيزها أو يردها مهما كان شأن كاتبها، وكان ذلك



الشيخ محمد متولى الشعراوى



د. محمد رجب البيومى

منه سببا فى أن يرانى بعض الزملاء قد تعمدت ألا أحسن العرض عليه، وشيئا فشيئا لم أعد أقيم لحديثهم وزنا. أليس عليهم أن يجيدوا الإنتاج؟!

كنت أقول للأستاذ الزيات: فلان عالم جليل! فيقول: «يعرف يكتب المقال ياعلى»؟ فأسكت..

فأى شيء كان يرضى هذا الرجل؟!

أراه كان يستمتع بالقراءة لأربعة من الكتاب.

أذكر من هؤلاء، الأربعة: الأستاذ كامل شاهين صاحب كتاب «اللباب فى العروض والقافية» والأستاذ محمد متولى الشعراوى والدكتور محمد رجب البيومى.

صحب الزيات بعض كتاب «الرسالة» فكتبوا بمجلة الأزهر، منهم الاستاذ العقاد الذى كاد يكون الوحيد الذى يأخذ عن مقاله (عشرة جنيهات) مكافأة تصرف له على وجه السرعة التى لم تتوفر لبقية الكتاب.

لقد كان الزيات قمة أدبية وثروة قومية مافى ذلك شك، ولولا مقاله: (أمة التوحيد تتوحد)[٣] لظل على القمة من شموخه، لكن المقال كان صدعا فى بنيانه على أية حال.. كان الرجل أندر من عرفت فى اختيار المقال ونقده.. وكان باعه عظيماً فى النقد عامة مع ذاكرة أدبية مفعمة بالروائع، بصيرة بالأحكام.

تقدمت إليه شاعرة من قطر عربى، أحسبه العراق، بديوان لها. فقرأه ثم كتب لها مقرظاً ديواناً لها آخر ساكتا تماما عن ديوانها الأخير الذى طمعت أن يكتب عنه

على يدى هذا الرجل تخرجت فى أعمال المجلة.. ومالبثت - حين أولانى رياسة تحريرها - فضيلة الدكتور الحسينى هاشم - رحمة الله عليه - أن وضعت منهج الشيخ الخضر حسين الذى أصدره فى أول أعدادها ليكون هو الصراط الذى نسير عليه. ولم نترك المقال دون (تحكيم). كنت أقف عند تخصصى ولا أتعدى الحكم على ماعداه، ومن هنا وفقنى الله.. - عز وجل - إلى أساتذة وإخوة لى علماء فى الشريعة والحديث وغيرهما أبعث إليهم بالمقال ليروا فيه



الدكتور الحسينى هاشم

رأيهم قبل النشر، وهذا «التحكيم» لايعلمه كثير من كتاب المجلة إلا الآن بهذه السطور.

لقد كانت المجلة محكمة تماما دون أن تدون عن نفسها ذلك، ودون أن تتحدث عن هؤلاء المحكمين.

وعنيت والزملاء- بإصرار - أن يُلحق الحديث الشريف - فى أى مقال - ببيان واضح عن مصدره، ولقد ضاق بذلك بعض الأخوة الكتاب.. ولكنا كنا تعودنا الإصرار.

وأقسم - والله خير الشاهدين - أنى كنت بـ (روزاليوسف) حين كانت تتولى طبع المجلة - وقد قرأت حديثاً شريفاً بمقال فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق، ولم أجده كتب مصدره، فاتصلت به فى بيته فقد كان اليوم يوم «جمعة» على ما أذكر، وحدثته بالأمر، فطلب إلى العودة إلى الحديث معه بعد نصف ساعة، فاتصلت فأنبأنى بأنه لايذكر المرجع، وطلب إلىّ رفع الحديث الشريف من المقال.

(٣) عندما توليت العمل بالمجلة دأبت فى البحث عما أحاط بهذا المقال من أحوال، إذ كان الزيات كتبه قبل أن أعمل بالمجلة بأكثر من عام. وعلمت من الزميل الفاضل د/ إبراهيم الأصيل براءة العاملين بالمجلة جميعاً من وزر هذا المقال.

أقول ذلك لمن آله عَمَلُ المجلة في هذا الأمر.

●●●

صـحب المجلة هدية مجانية لقرائها تعدت أحياناً المائة وخمسين صفحة، وكان لنا بها اهتمام بالغ جدا لاسيما، وقد وفر الله - سبحانه - لي وللزملاء المحررين - أصدقاء علماء مخلصين، منهم أخي الأستاذ، أحمد حسن جابر رجب، وله إلمام طيب بالتراث، فكانوا يشيرون علينا بالنوادر، فنسرع بالبحث عنها وتقديمها في طبعة حديثة حتى توفر لقارئ المجلة على مدى خمسة عشر عاماً مكتبة قيمة منها. حوت - على سبيل المثال لا الحصر:

وفي جانب القرآن:

قانون التأويل لأبي حامد الغزالي.

الفوز الكبير في أصول التفسير لشاه ولي الله الدهلوي.

قواعد مهمة يحتاج إليها المفسر للسيوطي

البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، لبرهان الدين أبي القاسم محمود الكرماني.

غرائب التنزيل تصنيف الإمام زين الدين محمود بن أبي بكر الرازي.

وهي جميعا - كما يرى القارئ - من عيون التراث.

وفي العقيدة:

الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة.

الفقه الأكبر للإمام الشافعي.

العقيدة الطحاوية لأبي جعفر الطحاوي «وكل كسابقه من التراث».

وفي السير النبوية:

عُنينا بتقديم (سيرة) كل ربيع أول، فكان منها:

سيرة النبي ﷺ لعز الدين أبي الحسن «ابن الأثير» صاحب «أسد الغابة».

السيرة النبوية في ضوء روايات الإمام الطبري.

السيرة النبوية لابن الجوزي.

جوامع السيرة لابن حزم مع الرسائل الخمسة له.

مقدمة قبل الهجرة للدكتور علي الخطيب.

وفي الفقه:

حجة المصطفى ﷺ لمحب الدين الطبري.

رسالة الصلاة المنسوبة لأحمد بن حنبل.

السياسة الشرعية للإمام الأكبر الشيخ عبدالرحمن تاج.

القنوت بين الشرعة والبدعة.. للإمام الأكبر جاد الحق علي جاد الحق.

وفي الحديث الشريف:

الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة للسيوطي.

الخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة لابن حجر العسقلاني.

كتاب المراسيل (كاملا) للإمام أبي دواد السجستاني صاحب السنن.

كفاية التعبد وتحفة التزهد للإمام عبدالعظيم المنذري.

وفي أعلام المسلمين:

الإمام مالك بن أنس للدكتور محمود عبدالمتجلي خليفة.

الإمام الخطابي رائد شراح صحيح البخاري للدكتور يوسف الكتاني.

الحسن البصري لأبي الفرج بن الجوزي.

الإمام ابن ماجه للدكتور عبدالعزيز عزت.

المختار من الجوهر الأسنى في تراجم علماء وشعراء بوسنة لمحمد البوسنوي الخنجي.

وفي المعلومات الثقافية:

السر في انتشار الإسلام للأستاذ محمد أحمد عرفة.

تراثنا المخطوط من التأليف إلى الوراقة للدكتور / علي الخطيب.

دور الاستشراق في تغريب المرأة المسلمة للدكتور / عبدالفتاح بركة.

عودة القدس للدكتور رءوف شلبي.

وفي المشكلات بين ظهراني المسلمين:

التطرف الديني وأبعاده للإمام الأكبر جاد الحق علي جاد الحق.

التطرف المنسوب إلى الإسلام للدكتور يحيى هاشم فرغل.

أسرار الماسونية للجنرال جواد رفعت آتلخان.

أوضاع الأقليات المسلمة في القارة الإفريقية للمشير محمد عبدالرحمن سوار الذهب.

تلك جميعا نخبة من بين (١٨٠) مائة وثمانين هدية صحبت مجلة الأزهر على مدى خمسة عشر عاما لا مَنَّ فيها ولا استعلاء، فما كان للأزهر فإنما هو لله - سبحانه - نرجوه - عز وجل - أن يتقبله وأن يغفر لنا.

***

مجلة الأزهر الغراء فى عيدها تتطور دائما نحو الأفضل

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا

ها هى «مجلة الأزهر» الغراء فى عيدها الماسى، بعد مرور خمسة وسبعين عامًا على ظهورها، لم تتخلف أو تتزحزح عن المكان الذى اتخذته لنفسها فى طليعة المجلات الإسلامية الجادة، فقد حدد الاسم الذى حملته منطلقها وهويتها وحقيقة انتمائها لخير أمة أخرجت للناس، وجاء مسارها فى أعدادها المتتالية مصدقا لهويتها الإسلامية، ومعبراً عن مضمون رسالتها الحضارية الرشيدة التى أصبحت مقترنة بحركة التنوير والإصلاح الهادفة إلى الانتقال بوعى المسلمين وواقعهم نحو الأفضل دائمًا. فهى تتحرك من موقع الاهتمام ببلورة أعراض الأزمة الفكرية للأمة الإسلامية الناهضة فى حقبتها المعاصرة، كالتغريب والتبعية والجمود والسطحية والارتجال وغيرها من التراكمات المرضية، إلى موقع جديد، تعنى فيه بتمييز الآراء حول هذه القضايا، وبتجلية مدارسها ورموزها المعبرة عنها. كذلك تتحرك المجلة من موقع الدعوة إلى الاجتهاد والتنظير وتقديم النماذج واقتراح المناهج، إلى موقع التحديد الدقيق لفقه الواقع بما ينطوى عليه من أسئلة كبيرة أو صغيرة، وقضايا كلية أو جزئية، وإلى محاصرة المساحات المظلمة على الخريطة الفقهية المعاصرة، باستكتاب أهل العلم والاختصاص. وليس أدل على ذلك كله من اعتبارها مرجعًا أصيلاً للباحثين فى كل هذه الميادين.. ميادين العمل الإسلامى الرحبة فكريًا وعلميًا وإصلاحيًا.

ولعل أبرز ما يميز «مجلة الأزهر» منذ ظهورها هو أنها تسعى دائما إلى عرض جوانب المنهج الإسلامى الرشيد لاستيعاب حركة الحياة، وتقدم رؤية مستنيرة لتطبيق هذا المنهج بعد تنقية مفاهيمه واستقصاء علاقاته بقضايا فرعية عديدة ومتنوعة: اجتماعية واقتصادية وعلمية وسياسية. وهى قضايا ذات صبغة عالمية ـ بحكم طبيعتها ـ فى الثقافات والحضارات الأخرى.

وإذا جاز لى أن أبدى رأيًا فى هذه المناسبة، فإنى أؤكد على أهمية استمرار طرح هذه الموضوعات التى تهم جميع المفكرين والعلماء، والمثقفين على اختلاف اتجاهاتهم وانتماءاتهم، وأحسب أنه قد آن الأوان لأن يمتد هذا الاهتمام ليشمل الدعاة فى مختلف مواقعهم بالبلدان الإسلامية وغير الإسلامية.

وأرى أن يتم التركيز نسبيًا فى المرحلة القادمة على محور «العلوم الكونية والتقنية» لما له من أهمية قصوى فى الحياة المعاصرة فكريًا وعمليًا، ولارتباطه الوثيق بمقومات النهضة الإسلامية المنشودة وبتفعيل الدور المنوط بأبناء الأمة فى مواجهة تحديات العولمة الجديدة الساعية إلى فرض نموذجها المادى بكل ما لديها من وسائل.

وإذا كان الإنسان قد انشغل بقضايا العلم والتقنية لدرجة أصبح معها البحث العلمى فى عصرنا سلاحا تنفق عليه الدول المتقدمة فى سعة وبذخ، وتحوط أسراره بالكتمان، وتعلق عليه الأمل فى حل مشكلاتها وبسط نفوذها، فإن مناهج العلم وأفكاره، من ناحية أخرى، أصبحت هى السائدة فى ميادين الفكر والعمل، بحيث لا يوجد مجال من مجالات النشاط الإنسانى فى زماننا لا يعتمد على العلم فى تطويره والإسراع بإيقاع حركته، كما أصبح العلم ستارًا لمحاولات الهجوم على الإسلام عقيدة وتاريخًا وحضارة، وأصبحت «العلمية» وصفا يولع بإطلاقه المنظرون ودعاة التحديث على مذاهبهم ورؤاهم الفكرية، وغدت الحاجة الى «المنهجية العلمية» ضرورة تفرضها طبيعة الإبداع والإنتاج المعرفى القائم على ملكتى الخيال والتفكير اللذين يتصف بهما العقل الخصيب فى عصر تدفق المعلومات وصناعة المعرفة. ومن المنتظر أن تؤدى الثورة البيولوجية والمعلوماتية المعاصرة إلى تغيير خطير فى أنماط الحياة والقيم والسلوك، بعد أن تجاوزت هذه الثورة حدودها فى تحليل العالم بمعزل عن القيم الإيمانية الهادية.

وفى ضوء هذه الاعتبارات تظهر أهمية تناول قضايا العلم والتقنية من منظور إسلامى، واعتبار هذا التناول مطلبا إسلاميا، قبل أن يكون ضرورة معرفية وحضارية. وهذا يقتضى القيام بدراسات تفصيلية وتحليلية مقارنة لتفنيد مواقف التيارات الفكرية المختلفة، على أن تتم هذه الدراسات فى ضوء رؤية أعم وأشمل

يستعين بها المسلمون على تغيير واقعهم وتطويره بمعايير الإسلام وأدواته فى التغيير والتطوير، ويواجهون بها كل ضروب التحدى الوافد أو الموروث، وتكون فى الوقت نفسه بيانًا لغير المسلمين بحقائق الإسلام وخصائصه التى تعلق عليها البشرية آمالها فى الخلاص من حالة القلق التى تعانى منها الحضارة المادية المعاصرة، وعندئذ سيكون لهذا الفكر العلمى الإسلامى الرشيد أجل الأثر فى تصحيح وجهة العلم لدى عقلاء العالم ومفكريه إذا ما درسوا الإسلام فى حقائقه، واستفادوا منه فى إصلاح شئون حياتهم.

ومن هنا فإن رسالة «مجلة الأزهر» الغراء يمكن أن تفرد فى مرحلتها القادمة مساحة أكبر لعرض قضايا العلم المعاصر فى إطار من التصور الإسلامى المستمد من القرآن الكريم والسنة المشرفة، باعتبار العلم ظاهرة لها إطارها العقدى، ورصيدها الحضارى، وهدفها الإنسانى، وانطلاقًا من الإيمان بأن المنهج الإسلامى ـ بربانيته وعالميته ـ هو الأقدر على تقديم الحلول الشافية لكل المشكلات التى تؤرق العقل عن الكون ومصير الإنسان، فضلا عن أنه يتسع لكل القيم النبيلة التى تجعل من المعرفة عمومًا غاية سامية لخدمة المجتمع الإنسانى بأسره، نظرًا لما لها من علاقة وثيقة بالبحث عن الحقيقة فى أعماق النفس، وفى آفاق الوجود. إن مبادىء الإسلام السامية ومنهجه الرشيد وقيمه الهادية هى أفضل الضمانات التى تحدد للإنسان ما يجوز فعله بالمعلومات التى جمعها، والقوانين العلمية التى اكتشفها والتقنيات الجديدة التى يطورها ويستخدمها. وفى هذه الحصيلة الإيمانية للمعرفة تكمن القوة الدافعة للإنسان نحو حب الخير والحق والجمال، ويتحقق إنقاذ هذا العالم الممزق المتناحر والمهدد بالدمار بين لحظة وأخرى.

ولسوف يدعم رسالة المجلة على هذا النحو، ويساعد على نشرها، تخصيص موقع باسمها على شبكة المعلومات الدولية Internet لبث أهم محتوياتها باللغتين العربية والإنجليزية، وتحقيق التفاعل والتواصل بين قرائها فى كل أنحاء العالم، والتعريف بكتابها.

كذلك يمكن التخطيط لإنتاج قرص ضوئى (CD ROM) يضم مواد الأعداد السابقة من المجلة كاملة، فتلبى بذلك حاجة الآلاف من طلاب العلم والباحثين فى مشارق الأرض ومغاربها.

هذا والله من وراء القصد

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تفسير سورة البقرة

قال تعالى:

﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ الآية: ٢٥٣

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

الإشارة بتلك فى قوله:

﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ ﴾ إلى جماعة الرسل الذين تقدم ذكرهم فى السورة والذين أرسلهم الله - تعالى - لهداية البشر، وأمرنا - سبحانه - بالإيمان بهم.

أى أولئك الرسل الذين أرسلناهم لهداية الناس ﴿ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ أى جعلنا لبعضهم مناقب وخصائص ومزايا لم تتوافر للبعض الآخر.

و﴿ تِلْكَ ﴾ مبتدأ و﴿ ٱلرُّسُلُ ﴾ عطف بيان لتلك. وجملة:

﴿ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ هى الخبر، وكانت الإشارة باللفظ الدال على البعيد، لبيان سمو مكانة الرسل - عليهم الصلاة والسلام - وأنهم هم المصطفون الأخيار.

ثم بين - سبحانه - بعض مظاهر التفضيل فقال: ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ أى منهم من فضله الله بتكليمه إياه كموسى - عليه السلام - فقد وردت آيات صريحة فى ذلك، منها قوله - تعالى - :

﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾(١).

وقوله - تعالى -:

﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى ﴾(٢).

وقوله - تعالى - :

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾(٣)

ثم قال - سبحانه -:

﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ أى: ومنهم من رفعه الله على غيره من الرسل مراتب سامية ومنازل عالية.

قيل: كإبراهيم الذى اتخذه الله خليلا، وإدريس الذى رفعه الله مكاناً علياً، وداود الذى آتاه الله النبوة والملك.

والذى عليه المحققون من العلماء والمفسرين أن المقصود بقوله - تعالى - :

﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ هو سيدنا محمد ﷺ لأنه هو صاحب الدرجات الرفيعة والمعجزة الخالدة الباقية إلى يوم القيامة والرسالة العامة الناسخة لكل الرسالات قبلها.

وقد صرح صاحب الكشاف بذلك فقال: قوله:

﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ أى ومنهم من رفعه الله على سائر الأنبياء، فكان بعد تفاوتهم

(١) النساء (١٦٤).
(٢) الأعراف (١٤٣).
(٣) الأعراف (١٤٤).

فى الفضل أفضل منهم درجات كثيرة. الظاهر أنه أراد محمداً ﷺ لأنه هو المفضل عليهم، حيث أوتى مالم يؤته أحد من الآيات المتكاثرة المرتقية إلى ألف آية أو أكثر. لو لم يؤت إلا القرآن وحده لكفى به فضلا منيفا على سائر ما أوتى الأنبياء، لأنه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات. وفى هذا الإبهام من تفخيم فضله وإعلاء قدره مالا يخفى، لما فيه من الشهادة على أنه العلم الذى لا يشتبه، والمتميز الذى لا يلتبس. ويقال للرجل: من فعل هذا؟ فيقول: أحدكم أو بعضكم، يريد به الذى تعورف واشتهر بنحوه من الأفعال فيكون أفخم من التصريح، وسئل الحطيئة عن أشعر الناس، فذكر زهيراً والنابغة ثم قال: ولو شئت لذكرت الثالث، أراد نفسه، ولو قال: ولو شئت لذكرت نفسى لم يفخم أمره(٤).

ثم قال - تعالى -:

﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾

﴿ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾: هى المعجزات الظاهرة البينة. وروح القدس: هو جبريل - عليه السلام - والروح هنا بمعنى الملك الخاص. القدس أصل معناه الطهارة، وهو يطلق على الطهارة المعنوية وعلى الخلوص والنزاهة. فإضافة روح إلى القدس من إضافة الموصوف إلى الصفة. قيل القدس اسم الله كالقدوس فإضافة روح إضافة للتشريف أى روح من ملائكة الله.

والمعنى: وأعطينا عيسى بن مريم الآيات الباهرات، والمعجزات الواضحات كإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى، وإخبار قومه بما يأكلونه ويدخرونه فى بيتهم، وفضلا عن هذا فقد قويناه بجبريل - عليه السلام - لأن عيسى - عليه السلام - قد عاش حياته محاربا من أعدائه الرومان ومن قومه الذين أرسل إليهم وهم بنو إسرائيل ولم يؤذن له بالقتال ليدافع عن نفسه بل تولى الله - تعالى - الدفاع عنه بجنده الذين من بينهم جبريل - عليه السلام -.

قال الزمخشرى: فإن قلت لم خص موسى وعيسى من بين الأنبياء بالذكر؟ قلت: لما أوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين الله وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية من الآيات. لما كان هذان النبيان قد أوتيا ما أوتيا من عظام الآيات خصا بالذكر فى باب التفضيل. هذا دليل بين على أن

(٤) تفسير الكشاف جـ١ صفحة ٢٩٧.

من زيد تفضيلا بالآيات منهم فقد فضل على غيره. ولما كان نبينا محمد ﷺ هو الذى أوتى منها ما لم يؤت أحد فى كثرتها وعظمها كان هو المشهود له بإحراز قصبات الفضل غير مدافع».

وقال الإمام القرطبي ما ملخصه: هذه الآية تثبت التفاضل بين الأنبياء وهناك أحاديث تقول: «لا تخيرونى على موسى»[5] و«لا تخيروا بين الأنبياء»[6] و«لا تفضلوا بين الأنبياء»[7] أى لا تقولوا فلان خير من فلان، ولا فلان أفضل من فلان فكيف الجمع؟ فالجواب أن هذا كان قبل أن يوحى إليه بالتفضيل وقبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم، وأن القرآن ناسخ للمنع من التفضيل أو أن قوله هذا من باب الهضم والتواضع. أو المراد النهى عن الخوض فى ذلك لأن الخوض فى ذلك ذريعة إلى الجدال، والجدال قد يؤدى إلى أن يذكر بعضهم بما لا ينبغى أن يذكر به، وقد يؤدى إلى قلة احترامهم. ثم قال. وأحسن من هذا القول من قال: إن المنع من التفضيل إنما هو من جهة النبوة التى هى خصلة واحدة لا تفاضل فيها، وإنما التفضيل فى زيادة الأحوال والخصوص والكرامات والألطاف والمعجزات، وأما النبوة فى نفسها فلا تتفاضل، وإنما تتفاضل بأمور أخرى زائدة عليها، ولذلك فهم رسل، وأولو عزم، ومنهم من كلمه الله. فالقول بتفضيل بعضهم على بعض إنما هو بما منح من الفضائل، وأعطى من الوسائل. وبذلك نكون قد جمعنا بين الآية والأحاديث من غير النسخ.

ثم قال - تعالى -:

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾

أى: ولو شاء الله - تعالى - ألا يقتتل الذين جاؤا بعد كل رسول من الرسول وبعد أن جاءهم الرسل بالبينات الدالة على الحق، لو شاء الله ذلك لفعل، ولكن الله - تعالى - لم يشأ ذلك، لأنه خلق الناس مختلفين فى تقبلهم للحق، فترتب على هذا الاختلاف أن آمن بالحق الذى جاءت به الرسل من فتح له قلبه، واتجه إليه اختياره، وأن كفر به من آثر الضلالة على الهداية واستحب العمى على الهدى، وترتب عليه - أيضاً أن تقاتل الناس وتحاربوا.

ومفعول المشيئة محذوف دل عليه

(5) صحيح مسلم حديث رقم ٢٣٧٣.

(6) مسند الطيالسى حديث رقم ٢٣٦٦ - جـ١، صـ ٣١٢.

(7) صحيح مسلم حديث رقم ٢٣٧٤.

جواب الشرط أى لو شاء الله ألا يقتتل الذين جاءوا من بعد الرسل ما اقتتلوا.

وقدم - سبحانه - المسبب وهو الاقتتال على السبب وهو الاختلاف كما يشهد له قوله:

﴿وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا﴾ للتنبيه على سوء مغبة الاختلاف، وللتحذير من الوقوع فيه، لأن وقوعهم فيه سيؤدى إلى أن يقتل بعضهم بعضاً، وللإشارة إلى أنه - سبحانه - قادر على إزالة الاقتتال فى ذاته حتى مع وجود أسبابه، لأنه - تعالى - هو الخالق للأسباب والمسببات.

وفى قوله:

﴿مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾.

إشارة إلى ما جبلت عليه بعض النفوس من العناد الذى يؤدى إلى التنازع والاختلاف والتقاتل حتى بعد ظهور الحق، وانكشاف وجه الصواب، لأن هذه النفوس قد آثرت الهوى على الرشاد، واتخذت طريق الغى طريقاً لها.

وفى قوله:

﴿وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا﴾.

إشارة إلى أنه - سبحانه - لم يشأ أن يزيل القتال الذى حدث بين المقاتلين، لأن هذا القتال قد نشأ بينهم بسبب اختلافهم، وسوء اختيارهم، وعدم استجابتهم للهدايات والتوجيهات والبينات التى جاءتهم بها الرسل - عليهم السلام -.

ثم ختم - سبحانه - الآية بقوله:

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾

أى: لو شاء الله عدم اقتتالهم لأى سبب من الأسباب لما اقتتلوا، ولكنه - سبحانه - يفعل ما يريد حسب ما تقتضيه حكمته، وترتضيه مشيئته فهو الكبير المتعال الذى كل شئ عنده بمقدار فالآية الكريمة تبين أن الرسل - عليهم السلام - يتفاضلون فيما بينهم، وتنهى الناس فى كل زمان ومكان عن الاختلاف والتنازع لأنهما يؤديان إلى أوخم العواقب، وأسوأ النتائج.

***

السنة

الحدود الشرعية

للأستاذ الكبير عبد الرحمن الجزيري
عضو جماعة كبار العلماء بالأزهر

٣

إعداد الشيخ/ علي حامد عبد الرحيم

ذكرنا في مقالنا السابق نص حديث عائشة - رضي الله عنها - المتعلق بفاطمة المخزومية التي أقام رسول الله ﷺ عليها حد السرقة. وبينا بعض ما يتعلق بهذا الحديث من أحكام. وقد بقي الكلام في أمور:

(١) حد القذف.

(٢) القصاص.

(٣) التعزير.

(٤) حكم ما لا نص عليه في الشريعة سواء كان عقوبة أو غيرها.

فإليك البيان:

من مختارات مجلة الأزهر
المجلد التاسع سنة ١٣٥٧هـ

(١) فأما حد القذف فقد بينه الله - سبحانه - بقوله:

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾(١).

والقذف هو عبارة عن أن يتهم شخص آخر بالزنا صريحا كأن يقول له: أنت زان، أو دلالة كأن ينسب شخص آخر إلى غير أبيه. فمن صدر منه ذلك كان جزاؤه أن يجلد ثمانين جلدة، ما لم يأت بأربعة شهداء يشهدون بأنهم رأوا بأعينهم المتهم يزني في امرأة لا تحل له، لا فرق بين أن يكون القاذف والمقذوف رجلا أو امرأة. وإنما خص الله المقذوف من النساء بالذكر حيث عبر بالمحصنات، لأن ضرر الزنا يتعدى المرأة إلى أسرتها، فقذفتها يصيبهم به معرة شديدة، بخلاف الرجل. وكذلك خص الله القاذف من الرجال بالذكر حيث قال:

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ﴾ لأن النساء يغلب عليهن الحياء عادة فلا تقذفن الرجال بالزنا. وقد بينت السنة أنه لا فرق بين الرجال والنساء في القذف، كما بينت الشروط اللازمة لإقامة حد القذف من عقل وحرية، إلى آخر ماهو مبين في كتب الفقه.

على أن الآية الكريمة قد أشارت إلى أهم شرط من هذه الشروط، وهو أن يكون المقذوف محصنا ذكرا كان أو أنثى. ومعنى إحصانه هنا أن لا يكون قد ارتكب جريمة الزنا قبل قذفه، أو بعده قبل إقامة الحد، فإن ثبت عليه ذلك فإنه لا يكون محصنا ويسقط الحد عن القاذف. ومن أتى امرأة بعقد فاسد كأن تزوجها بغير شهود، أو أتى امرأة وهي نائمة ظنا منه أنها زوجته وهي ليست كذلك، فإن حد الزنا يسقط عنه بهذه الشبهة، ولكن هل يرفع عن فعله الإحصان بحيث لو قذفه شخص بالزنا لا يجلد ثمانين جلدة، أو هو لا يزال محصنا يحد قاذفه؟ فيه خلاف. فبعضهم يرى أن الإقدام على هذا الفعل بدون حيطة يرفع الإحصان. وبعضهم يقول لا يرفع عنه الإحصان إلا الزنا الموجب للحد. فهذا هو حد القذف.

وقد أجمعت الشرائع والعقول على أن القذف بهذا المعنى اعتداء على الأعراض التي يقتضي النظام العام صيانتها، خصوصا إذا لوحظ ما يترتب عليه من شر وفساد، لأن قذف المحصنات بالزنا يوجب لا محالة العداوة والبغضاء بين الأسر، ويولد الضغائن والأحقاد في نفوس الناس، وربما أفضى إلى الانتقام بقتل الأنفس، وذلك شر وبيل يجب أن توضع له عقوبة تزجر الناس عنه، فلا يطلقون لألسنتهم العنان فيه حذرا مما يترتب عليه من شر وفساد.

ولكن بعض الناس يتخيل أن عقوبة الجلد شديدة لا تناسب المدنية الحاضرة.

والجواب عن مثل هذا هو أن يقال: ينبغي لمن يتكلم بهذا أن يدرك أولا معنى الجريمة،

---

(١) النور (٤).

ومعنى ما يترتب عليها من الآثار التى تؤذى المجتمع الإنسانى، ثم يقارن بينها وبين العقوبة ليعلم أن الغرض من العقوبة إنما هو زجر الناس عن كل فعل أو قول يضر بالمجتمع ويؤذى أفراده وجماعته. فإذا فشت الجرائم بين الناس وأصبح كل واحد غير آمن على عرضه أو نفسه أو ماله فإنه لا يكون لهذا معنى إلا أن الإنسان الذى ميزه الله بالعقل مساو للحيوان المفترس الذى يعتدى قويه على ضعيفه، وذلك هو الهلاك والفناء للأفراد والجماعات. فلابد من زاجر يزجر المجرمين فاسدى الأخلاق، ويوقفهم عند الحد الذى يصلح للبقاء. ولابد أن يكون ذلك الزاجر قاطعا لدابر الجريمة كى لا يكون لها أثر بين الناس. فمن مصلحة المجتمع ومصلحة المجرمين أنفسهم أن تكون العقوبة زاجرة بصرف النظر عن تفاوت حال المجرمين فى الرقة والخشونة أو الذكورة والأنوثة، فإن ذات الجريمة واحدة وآثارها الضارة واحدة.

ولا يليق بعاقل مشرع أن يقول إن المجرم الذى يهاجم أعراض الناس فيثلمها بلسانه كذبا وافتراء لا يستحق عقوبة الضرب الموجعة، بل الواجب أن يقول إن هذه الجريمة لها أسوأ الأثرين الأفراد والجماعات، فيجب أن توضع لها عقوبة تقلعها من أساسها. فالعقوبة التى وضعها الله -تعالى- لازمة ضرورية.

فعلى المؤمنين الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن ينزهوا ألسنتهم عن قذف الناس بهذه الفاحشة، إن لم يكن خوفا من العقوبة الدنيوية تخوفا من الله الذى وصفهم بأنهم فاسقون.

أما المستهترون الذين لا يبالون بأمر الله -عز وجل- ولا يخشونه فإن هؤلاء أحط من الأنعام، فلا زاجر لهم إلا بما يؤذيهم، وإلا تمادوا فى نهش أعراض الناس بدون حساب.

على أن الشافعية والحنابلة قالوا: إن للمقذوف الحق فى أن يعفو عن قاذفه، ويسقط بذلك العفو حد القذف. وفى ذلك سعة. فإذا سبق لسان أحد إلى قذف شخص بهذه الفاحشة فإنه يصح له أن يسترضيه ويزيل ذلك الأثر من نفسه، فإذا عفا عنه فإن عفوه يصح، سواء كان قبل رفع الأمر للحاكم أو بعده. والمالكية يوافقون على هذا الرأى إذا كان العفو قبل أن يرفع الأمر للحاكم، أما بعد رفع الأمر للحاكم فإن العفو يصح إذا كان المقذوف يخاف على نفسه سوء السمعة. أما إذا كان مشهورا بالعفة ولا يؤذيه إذاعة التهمة فإن العفو لا يصح. وعلى أى حال فإن القول بصحة عفو المقذوف معقول، لأنه هو الذى وقع عليه ضرر القذف، ومتى عفا ذهب أثر الجريمة الضار. فإذا قذفه ثانيا بعد العفو فإنه لا يحد ولكن يعزر كى لا يعود إلى شتمه. ويمكنك أن تقول إن العفو يسقط حد القذف عند الأئمة الثلاثة خلافا للحنفية.

ومع ذلك فإن الحنفية يقولون إنه لا يقام إلا إذا رفع المقذوف الأمر للحاكم.

ومما ينبغى ملاحظته أن إقامة الحد بالجلد يجب أن يراعى فيها حال المجرم واحتماله للعقوبة، فإذا كان جسمه ضعيفا لا يحتمل أو كان مريضا فإنه يؤخر إلى أن يقوى على احتمال

العقوبة، فإذا كان ضعفه طبيعيا بحيث لا يرجى له قوة فإنه يجمع له أعواد بقدر عدد العقوبة ويضرب بها مرة واحد. وهذا هو رأى جماهير العلماء. ومن هذا كله يتضح لك أن الشدة فى العقوبة إنما هى بالنسبة للفجار الأقوياء الذين يؤذون الناس بما يوجب حقدهم عليهم وعدم الصفح عنهم، وهؤلاء شرهم على أنفسهم وعلى المجتمع شديد، فلا ينبغى لأحد أن يرحمهم فى أى زمان ومكان.

(٢) وأما القصاص فهو أن يعاقب الجانى بمثل جنايته على أرواح الناس أو عضو من أعضائهم، فإذا قتل شخص آخر، استحق القصاص وهو قتله كما قتل غيره. وقد عنيت الشريعة الإسلامية بالمحافظة على دماء الناس عناية تامة، فهددت الجناة الذين يعتدون على دماء الناس تهديدا شديدا. ويكفى فى زجر المسلم الذى يؤمن بالله واليوم الآخر قوله تعالى:

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[٢].

فإن فى هذه الآية من الشدة ما تقشعر له جلود القساة إن كانوا مسلمين. وقد قال بعض أئمة المجتهدين: إن قاتل النفس خالد فى النار كالكافر بدون فرق كما هو ظاهر هذه الآية، وسواء صح هذا القول أو لم يصح فإنه يكفى أن يمكث القاتل معذبا فى نار جهنم زمنا طويلا، ويكفيه غضب الله عليه ولعنته إياه، ويكفيه أن الله أعد له عذابا عظيما، يوم لا تنفع الظالمين معذرتهم. لا شك أن من كان عنده مثقال ذرة من إيمان وسمع هذه الآية فإنه يفر من العدوان على دماء الناس كما تفر الشاة من الذئب. فلو فرض وقتل شخص آخر فى جنح الظلام، وأفلت من القصاص فى هذه الحياة الدنيا، فإن ذلك شر له لا خير له، لأن العقوبة الأخروية الشديدة تنتظره، وغضب الله عليه فى هذه الحياة الدنيا ينتظره. أما من اقتص منه فى حياته الدنيا فإنه يكون كفارة له فى الآخرة على التحقيق، لأن الله أكرم من أن يعذب مرتين، وقد فعل به ما فعله بغيره جزاء وفاقا.

وقد عرفت أن القصاص يسقط بالعفو أو الصلح، بخلاف الحد فإنه لا يسقط بالعفو لأنه حق الله، ولكن هذا هو رأى الحنفية. أما غيرهم فإنهم يقولون: إن الذى لا يسقط بالعفو هو حد الزنا وحد السرقة بعد رفع الأمر إلى الحاكم، وأما حد القذف فإنه يسقط بالعفو مطلقا. وإذا كنت على ذكر مما بيناه لك فى مقالنا الأول من أن حد الزنا لا يقع إلا إذا شهد بالجريمة أربعة شهود رأوا بأعينهم الفعل نفسه، وذلك متعذر لا يمكن تحققه عمليا، فإن تنفيذه يكون منوطا بإقرار الجانى وحده. أما حد الشرب فبعضهم يرى أنه من باب التعزير.

وعلى هذا يمكن أن يقال: إن الحد الذى يتصور وقوعه ولا يسقط بالعفو هو حد السرقة

---

(٢) النساء (٩٣).

بعد رفعه إلى الحاكم على الوجه الذى بيناه سابقاً.

وها هنا سؤال معروف، وهو أن الشريعة الإسلامية جعلت عقوبة القتل من باب القصاص الذى يصح سقوطه بالعفو مع كونه من أفظع الجرائم وأشدها ضررا بالمجتمع الإنسانى، ومقتضى ذلك أن تجعله من باب الحدود التى لا تقبل السقوط بحال من الأحوال كى يعلم الجانى أنه مقتول لا محالة فلا يقدم على الجريمة.

والجواب: أن ذلك من محاسن التشريع الإسلامى ودقته. وذلك لأن الغرض من العقوبة قد بينه الله - تعالى - بقوله:

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾(٣)

وإذا كان الغرض من القصاص هو حقن الدماء والكف عن العدوان على الأرواح ليعيش الناس آمنين، فإن من الضرورى أن ينظر الشرع فى كل النواحى التى يترتب عليها حفظ الأرواح وصيانتها. فإذا كانت العقوبة تزجر فاسد الأخلاق الذى تميل نفسه إلى الجريمة فتمنعه عن قتل نفسه وقتل غيره، ولكن يجب النظر أيضا إلى ما يرفع الأحقاد والضغائن من نفوس الأسرة حقنا للدماء ومحافظة على الأرواح. ولما كان من البديهى الذى لا ريب فيه أن القتل يحدث عند أولياء الدم حقدا شديدا ويترك فى أنفسهم لوعة لا تنطفىء إلا بالتشفى من القاتل وتحكمهم فيه، فقد جعل الشارع لأولياء الدم سلطانا على القاتل الذى يثبت عليه القتل، فإن شاءوا عفوا عنه فى نظير مال أو غيره، وإن شاءوا اقتصوا منه بالقتل بدون تمثيل أو تعذيب. وفى ذلك سلوى تذهب بها أحقادهم، فلا يمعنون فى العدوان ولايسرفون بقتل الأبرياء من أسرة القاتل فتثور ضغائن خصومهم فيقابلوتهم بالمثل، ويترتب على ذلك إراقة الدماء البريئة بأقبح معانيها.

إن الحوادث قد دلت على أن كثيرا من جنايات القتل نشأت من إهمال رأى ولاة الدم وحرصهم على أن ينتقموا لأنفسهم من القاتل، فهم يعمدون إلى اتهام غيره من أقاربه الأبرياء ويكتمون أمره كى يقتلوه عند سنوح الفرصة بأيديهم تشفيا، وبذلك تسود الفوضى بين الأسر، وتكثر فيهم حوادث القتل بدون أن يكون للقانون أدنى تأثير على أنفسهم. أما لو كان لولى الدم رأى فى القصاص من أول الأمر فإنه يرى فى تسلطه على القاتل ما يطفىء لوعته ويرفع عنه المهانة، فتهدأ نفسه، فإن عفا عنه فذاك وإلا اقتص منه وحده ووقفت الفتنة عند هذا الحد. ولا يقال إذا عفا أولياء الدم عن القاتل كان إطلاقه خطرا على الأمن، لأنا نقول: إن ولى الدم فى الغالب يصر على القصاص. وإذا فرض وعفا عنه ولكن رأى الحاكم أن إطلاقه يهدد الأمن العام فله أن يعزره بما

(٣) البقرة (١٧٩).

شاء، وله أن يجعله تحت المراقبة التى تحول بينه وبين العدوان حتى يتحقق من حسن سلوكه.

فمن محاسن الشريعة الإسلامية ودقتها أنها جعلت عقوبة القتل قصاصا يقبل فيه الحاكم الصلح أو العفو من أولياء الدم بشروط وتفاصيل تطلب من كتب الفقه ولا يسعها المقام.

أما الجناية على الأطراف من يد أو عين أو سن، فقد جعلت الشريعة الإسلامية عقوبتها القصاص أيضا، بمعنى أنه يفعل بالجانى مثل ما فعل جزاء وفاقا، ولكن يشترط المماثلة بين العضوين، فلا تفقأ عين عوراء فى نظير عين سليمة، ولا يقطع لسان أخرس فى لسان متكلم، ولا تقطع يد عاطلة بيد عاملة، ونحو ذلك مما هو مبين فى محله. وهذا هو العدل المطلق، فإن الذى يعتدى على إتلاف عضو إنسان لا جزاء له إلا أن يتلف منه ذلك العضو، كما قال تعالى:

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾(٤).

وربما يقال: إن فى ذلك الجزاء تكثيراً لأرباب العاهات بين أفراد الأمة، فبعد أن كان الناقص هو المعتدى عليه أصبح المعتدى ناقصا مثله، وذلك ضار بقوة الأمة وهيبتها.

والجواب: أن فى القصاص تقليلا لأرباب العاهات لا تكثيرا، بل فى القصاص قضاء على الجريمة من أصلها. كما قال تعالى:

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾

لأن الذى يوقن بالجزاء المماثل، ويعلم أنه إذا اعتدى على عضو من أعضاء بدن غيره قطع مثله منه، فإنه يحجم عن ارتكاب الجريمة بتاتا، وبذلك يرتفع العدوان، فلا يوجد ذو عاهة أصلا لا معتد ولا معتدى عليه. أما الذى يعلم أن نتيجة عدوانه عقوبة بالسجن القليل فإنه لا يبالى بتكرار فعله مع كثيرين، فتزيد أرباب العاهات والمجرمون معا. على أن السجن إذا طال أمده فإنه يكون من شر الآفات التى تقضى على حياة المجرم، فإنه يصبح عاطلا مستهتراً بالجرائم كما هو مشاهد فى كثير من متعودى الإجرام والسجون. فمتى أمكن القصاص بالتساوى بين العضوين كان من العدل أن يقتص من الجانى بمثل جنايته، وإن لم يمكن كان للحاكم أن يعزره بما يراه زاجرا له عن العودة، ورادعا للأشرار عن ارتكاب الجرائم. على أنك قد عرفت أن القصاص فى نظر الشريعة الإسلامية حق المعتدى عليه، فله أن يصطلح مع خصمه على مال وغيره أو يعفو عنه، فإذا رأى الحاكم أن العفو يترتب عليه ضرر بالأمن فله أن يتخذ الوسائل التى يراها لصيانة الأمن.

«يتبع»

(٤) الشورى (٤٠).

مواقف إسلامية

مِنْ دُرُوسِ التَّرْبِيَةِ العَمَلِيَّةِ

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

وفاء طالب العلم

عرف ابن المبارك أن شيخه «حماد بن زيد» قد سأل عنه ويرجو لقاءه. بعد حضوره من دار «ميمون».. وكان الشيخ مقيما بالحجون مع صفوة من تلاميذه.

وقال ابن المبارك متحسرا ـ ولم يكن يعلم بوجود أستاذه قال: يسأل عنى شيخى.. بل يحضر للقائى؟!

وعلى الفور ذهب إلى أستاذه الذى وجد تلاميذه يتحلقونه.

والذى خف إلى ابن المبارك. فتعانقا فى شوق.

ويداعب الشيخ تلميذه قائلا:

أحضر إلى الخيم فأجد عبدالله بن المبارك يترك مناسك الحج، ثم يذهب لشراء الجوارى والغلمان.

لقد تغيرت بعدى يا ابن المبارك!

قال عبدالله فى أدب التلميذ: لقد كنت أنشد شابا نشأ فى عبادة الله تعالى. وقد رأيت منه ما أدهشنى وأسعدنى.. ولقد حاولت شراءه كى أعتقه. ثم انصرف عنى. بعد أن خيب ظنى.

ونظر «حماد» الشيخ إلى تلميذه عبدالله مندهشا: أى رجاء لك فيه؟ أى رجاء لك.. وهو فتى لن يبلغ مبلغك من الفقه والحديث؟![1]

(١) عن مجلة الحج ١٤١٧/١٢ للدكتور محمد رجب البيومى.

ولاحظ فى الموقف ما يلى:

١ـ الأستـــاذ هو الذى يســـأل عن التلميذ.. ذاهبا إلى حيث يقيم.. لكنه لم يجده.. فلم تأخذه العزة بالإثم لأنه عاد.. دون أن يراه.

٢ـ يخف التلميذ للقاء أستاذه يعتصره الألم.. مع أنه لم يُعرفه بحجه هذا العام.

٣ـ فلما التقيا تعانقا فى شوق.. وأمام بقية الركب الذى يشاهد درسا عمليا فى علاقة الأستاذ بالتلميذ.

٤ـ ثم كانت هذه الدعابة الحبيبة من الأستاذ.. الدعابة التى تختصر المسافة بين الجيل القديم والجيل الجديد.. بعيدا عن التجهم المانع من الانسجام بينهما.. وبالتالى من تحصيل الفائدة.

٥ـ وإذا بلغ الاحترام المتبادل بين التلميذ وأستاذه أن التلميذ لم يكن يطرق الباب على شيخه إلا إذا طلع من بيته.. وبإرادته.. إذا حدث هذا فإنا نحمد للأستاذ هنا إصراره على أن ينوب عنه التلميذ، والتلميذ النجيب فى إلقاء الدرس معتزا به اعتزازاً تتواصل به الأجيال.. حين يحس الأستاذ بالسرور أن يرى صنع يديه، يتحدث، وبطلاقة ولا بأس.. فهو بعض عمله. وثمرة غرسه، ومن ثم فهو سعيد به مقبل عليه.

٦ـ وحين يتساءل الأستاذ عن جدوى البحث عن عبد مضى لسبيله.. وماذا عنده من علم إلى جانب ابن المبارك العالم الفاضل.. حين يتساءل الأستاذ هكذا.. لا يجد التلميذ غضاضة فى لفت نظر أستاذه إلى أنه لا يبحث عن العلم.. فالعلم فى الكتب.. وإنما يبحث عن الخلق.. تمثله عبد يغيب.. ولا يعرفه أحد![2] ولكن ربه كان يعرفه.

قال ابن المبارك لشيخه: لم أختره لفقه أو حديث. ولكن ليكون زوجا لابنتى. فلن أجد تقيا أحب إلى الله منه. ثم ذكر لشيخه ما كان من أمر هذا الشاب التقى النقى.

فقال حماد: وإذا رضيت به أنت.. فهل ترضى به فتاتك مع أنه شاب أسود. كان رقيقا بالأمس. ثم حرر على يدك. فتبسم ابن المبارك قائلا:

هى تعرف قصة زواج والدى الفقير بابنة تاجر «مرو» الموسر. وقد كان لا يملك حتى الصداق!

ثم ذكر عبدالله قصة أبيه الذى كان حارسا لبستان هذا التاجر فى «مرو».

فجاء صاحب البستان الذى أمره أن يقطف له رمانة من البستان. فذهب وجاء

(٢) كما سنذكر بعد قليل.

برمانة ظهر أنها حامضة.. وكلما كرر المحاولة يجد التاجر الرمانة حامضة!

فقال له التاجر: ويلك.. ألا تعرف الحلو من الحامض؟ وأنت حارس البستان منذ ست سنين:

ثم سأل الجيران الذين أكدت شهادتهم أنه بلغ فى الأمانة حدا ليس وراءه وراء. وكانت هذه الأمانة مهر ابنته التى زفها إليه.

قال الراوى: والعجيب أن ابن المبارك يروى القصة. ثم لا ينقص منها حرفا.

وفاء بوفاء

إنه وفاء الحارس الأمين.. يتوج بوفاء صاحب البستان!

الحارس الأمين الذى يعرف أن درهما واحدا حراما.. يدمر ألفا من الحلال!

والمالك الذى يختار لابنته.. من يسعدها بخلقه وإن كان من السلم الاجتماعى فى أدنى درجاته!

خادم.. نعم.. ولكنه صالح.. مصلح.. وأنعم به زوجا.

وقبل هذا أنعم بغنى يختاره لابنته.. على ما تحفل به القرية من شباب أقوياء أغنياء!

ثم بحسن تربيته لها حين كان يختار لها من الحكايات.. ما يحفل به ماضيه من قصص الكفاح.. والشرف.. والتى قد يرفض البعض ذكرها.. بالتنصل من ماضيهم خوفا على هيبتهم أن تزول!!

وهنا نفهم كيف كان رد الخاطب الصالح فتنة.. وفسادا كبيرا.

لأنه حرمان للأمة من عملة نادرة.. بقدر ما كان قبوله خيرا وبركة على المجتمع كله..

ولقد كان من جوانب العظمة فى شخصية صاحب البستان أنه هو الذى يعرض ابنته عرضا.. وهو إذن قرآنى الدوافع والأهداف لأن القرآن الكريم يقول:

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾(٣).

وإذن.. فالذين يرفضون الخاطب الصالح.. بعيدون عن الوعى بحقائق القرآن.. منقادون لتقاليد بالية.. صارت لهم دينا غير الدين.. ولكنهم لا يشعرون!

ومن عظمة المالك.. إلى عظمة الأجير الذى لم تمتد يده لثمرة فى البستان بعد أن صار زوجا لابنته. وكأنما يقيمه الحق ـ تعالى ـ حجة على أناس اليوم يتعللون لأكل الحرام.. صادرين عن قاعدة (الإضافة لأدنى ملابسة). ومن ثم فهم يسوغون ما

(٣) القصص (٢٧).

يفعلون.. مسارعة فى هوى أنفسهم.. ولكن خادما.. من خدم هذه الأمة يجسد الله ـ تعالى ـ فيه خلق الأمانة.. فيلزمهم كلمة التقوى.

القمة العلمية والقيمة الأخلاقية

وطلب الشيخ أن يجلس ابن المبارك مكان شيخه ليحدث التلاميذ.

فقال ابن المبارك: معاذ الله! معاذ الله أن أحدث. وشيخى جالس يستمع.

فقال حماد:

أقسمت عليك لتفعلن! أقسمت عليك لتفعلن.

فقال ابن المبارك: سأحدث بكل ما رويته عنك. وبدأ وفيا لخطته فقال: حدثنى شيخى.. حماد بن زيد.. عن فلان.. عن فلان، ثم يذكر الأحاديث. وكلها عن شيخه حماد.

وأكد ابن المبارك أنه مازال التلميذ الوفى..

ولما تعجب السامعون قال لهم حماد: هكذا اضمن بقاء درس ما بقى ابن المبارك!

وهكذا تظل دائرة المعلم الكبيرة تشمل دائرة التلميذ الصغيرة فى بؤرتها. من حيث إن المركزين متحدان فى نقطة واحدة. ولم تتحرك النقطة الصغيرة لتخرج من محيطها وإلا تلاشت وذهبت هباء، ومن لم يكن له ماض فلا مستقبل له.

المصلح الاجتماعى

كان ابن المبارك إلى جانب علمه مصلحا اجتماعيا؛ فقد قلنا إنه فى مستهل رحلة الحج كان يجمع الدراهم حتى من الفقراء.. ثم يخلطها.. وهو اليوم.. وبعد الحج يسأل كل حاج عن نوع الهدايا التى وصاه بها أهله وولده. ثم يشتريها.. ويوزعها فلا تحس نفس بالهوان، ولا تحس أخرى بالغرور، وإنما هى الأخوة الجامعة المانعة، الجامعة على الحق.. المانعة من الإحراج.

وهذا مادل عليه ابن المبارك عندما أصر الأستاذ على أن ينوب عنه تلميذه استسلم التلميذ.. لكنه ظل محتفظا بوفائه وولائه لأستاذه.. فلم يشأ أن يتعالم فى حضرته.. أو يتفاصح على مرأى ومسمع منه.

ولكنه محض الدرس لكل ما رواه عن أستاذه.. ليظل أستاذه سيد المجلس.. حتى لو تكلم التلميذ!

إن التلميذ هنا يعود بالفضل لأهله.

وما كان أسعد الأستاذ بتلميذ متميز.. يذكرنى بما أقوله لتلاميذى اليوم من النجباء.. إذن لو متنا.. لذهبنا إلى ربنا راضين.. وأين من هذا النموذج الآن تلاميذ متشاكسون يتحرقون شوقا إلى الكلام.

أما بعد :

فهذا هو تاريخنا.. تلك آثارنا تدل علينا.. فانظروا بعدنا إلى الآثار إنها آثار.. سلوك.. قدوة.. لمن يشاء أن يتخذ إليها سبيلا، وخاصة فى موسم الحج الذى هو فرصة العمر فى حياة المسلم.. والذى كان فى رحلة مباركة يذكر فيها الله.. ويشهد منافع له وللمسلمين..

ولكن الواقع اليوم يؤكد كما قيل بحق: إن المسلمين يتمتعون بأنبل تاريخ.. لكنهم للأسف يملكون أضعف ذاكرة.

والناس من حولنا يخططون بدقة، ثم ينفذون، بصبر ولكننا نعشق الكلام.

نتصور أن الأشياء تحل بمجرد الكلام فيها. فلو قررنا أن الدنيا بخير.. فهى بخير، وإذا أعلنا أن الرخاء تحقق، فقد تحقق الرخاء.

لا يعترفون بالخطأ إلا بعد أن يقع.. ثم يفكرون فى تغطيته.. ليتوب الزمن عنهم فى تصحيحه..

أما غيرنا فيتعلم من الخطأ ولا يحاول أن يلدغ من الجحر مرتين. ولديهم أفكار،

لكن الفكرة لا تموت بموت صاحبها، وليس لإنسان أن يستبد بالرأى وإن كان عبقريا.. وإنما هى روح الفريق تجمع الكل فى خندق واحد.

وذلك واحد من ملايين المواقف يزدان بها تاريخنا.. ونحن أولى الناس بتدبرها، ثم فهم دروسها فى موسم من مواسم الخير حافل بصور هذا الخير، والذى يتطلب الأخيار القادرين على أن يتأملوا العبرة.. ثم ليكون منهم الاعتبار.

نحن أحوج ماتكون إلى فن الإدارة.. ثم قوة الإرادة وبهما معا تتحقق الوحدة الجامعة.

إن أوروبا المختلفة فى كل شىء! تتحد! والمسلمون المتفقون! مختلفون!

إن الباطل اليوم يتحول إلى بطل بينما الحق عاجز فى زمان يستنسر فيه البغاث!

مرة أخرى:

ما أحوج أمتنا إلى: إرادة قوية وإدارة حكيمة!

***

خصوصية الهجرة النبوية العملية فى تاريخ الهجرات النبوية

للدكتور/ عبد الحليم عويس

الهجرة فى تاريخ الأنبياء

● كانت الهجرة قدراً من أقدار الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - بصور مختلفة ولغايات تتصل بالدعوة بطريقة مباشرة وغير مباشرة..

● لقد أخرج الله آدم من الجنة ليبدأ رحلة الجهاد الأكبر ضد الشيطان مسلماً بالوحى الكريم الذى عبر عنه كتاب الله، القرآن فى قوله تعالى:

﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾(١).

ولو بقى آدم فى الجنة لما كانت هناك حاجة إلى الأنبياء أو الشياطين!!

● ولما امتلأت الأرض فساداً، ووصل نوح - عليه السلام - بعد أطول رحلة فى تاريخ الدعوة إلى مرحلة اليأس الذى توضحه الآية القرآنية فى قوله تعالى:

﴿أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾(٢).

وأغرق الله الأرض، وبدأ نوح رحلة دعوة جديدة على أرض جديدة...!!

---

(١) طه (١٢٣).

(٢) هود (٣٦).

● وكانت الهجرة قدراً ثابتا فى حياة إبراهيم - خليل الرحمن عليه السلام - لدرجة أنه نسب إلى العبرانية من كثرة عبوره إلى الأماكن بحثا عن الأمن فى الحياة والمناخ المهيأ لاستقرار الإيمان واستمراره!!

● أما ابنه إسماعيل - عليه السلام - فكانت هجرته من أعجب الهجرات فى التاريخ، فقد هاجر وهو صبى فى المهد، والقاه أبوه وأمه هاجر «ولهاجر من اسمها نصيب» فى أرض جرداء، لا زرع فيها ولا ماء، تنفيذاً لأمر الرحمن الرحيم، العزيز الحكيم، وإلى هذه الهجرة يعود قيام أعظم مدينة مقدسة فى التاريخ وهى مكة المكرمة وأصبح هذا الطفل المهاجر فى المهد أباً للعرب الساميين، بينما أصبح أخوه إسحاق أباً للساميين الآخرين أبناء عمومتهم!!

● وهاجر لوط هجرة مصاحبة لهجرة عمه إبراهيم فشكلا معا فريقين مهاجرين متكاملين، يأمران بالمعروف وينهيان عن المنكر حيثما ارتحلا وحيثما حلا.

● وكانت هجرة يوسف - عليه السلام - هجرة عجيبة من جانب آخر.. فقد بدأت بمؤامرة ثم بمحاولة قتل غير مباشرة حين ألقاه إخوته فى الجب، ثم ما تبع ذلك من استرقاق وعبودية وسجن واتهام بالباطل، حتى مكنه الله فى الأرض، ووقف يوسف - عليه السلام - ينظر إلى الماضى البعيد ويبصر تخطيط العناية الإلهية ويقول :

﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ﴾(٣)، ويقول - أيضا - مستخلصاً العبرة من رحلته الطويلة :

﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾(٤).

● وكانت رحلة موسى إلى أرض مدين ثم هجرته - عليه السلام - لبنى إسرائيل من مصر معلماً إضافيا من معالم تاريخ الهجرات فى حياة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام!!

هجرة الرسول نسيج وحدها فى تاريخ الأنبياء

- وتأتى هجرة رسول الله محمد بن عبدالله ﷺ نسيجا وحدها.. فهذه الهجرة قد انتهت بإقامة دولة وإقامة حضارة ومن نواة الدولة والحضارة ونموذجهما انطلق الإسلام إلى آفاق الأرض عقيدةً وشريعةً وحضارة، ومازال إشعاع الهجرة ممتداً فى العالم!!

- لقد غادر رسول الله محمد ﷺ ليلة السابع والعشرين من شهر صفر فى السنة الثالثة عشرة من الدعوة «١٢ من سبتمبر سنة ٦٢٢م»، وقد استمر الرسول فى رحلته هو ورفيقه أبوبكر، وعامر بن فهيرة والدليل عبدالله بن أريقط حتى وصلوا إلى قُباء على مشارف المدينة فى يوم الإثنين ٨ من ربيع الأول سنة ١٤ من النبوة والدعوة، وهى السنة الأولى من الهجرة، «٢٣ من سبتمبر سنة ٦٢٢م».

(٣) يوسف (١٠٠).

(٤) يوسف (٩٠).

هجرة الرسول بين الأسباب والعناية الإلهية

● كانت خطة الهجرة محكمة.. كأقوى ما يكون الإحكام وأبرعه. وكان هذا ضرورة من ضرورات نجاح هذا الفتح الجديد.. فتجاهل القوانين التى وضعها الله لمسيرة الحياة تعد إرتجالية ساذجة لا تليق بالدعوات الكبرى.. وأبرز أعمال هذه الدعوات الانسجام مع قوانين الله.. لا تجاهلها. ومع كل هذه الأسباب المادية - من الحيطة والحذر - وقفت عناية الله إلى جانب المهاجرين الكبيرين فى أكثر من موقف مروع..

● وكانت وقفتها - قبل الأسباب المادية - عمود النجاح.. لكنها كانت رعاية للأسباب.. وإنجاحاً لمهمة استحقت أن تفوز بالنجاح، وقد تجلت العناية الإلهية فى مواقف حاسمة.

● تجلت حين خرج الرسول من داره، وفتيان قريش يلتفون حول الباب، فضرب الله عليهم النوم.. وخرج الرسول بعد أن وضع على رؤوسهم التراب وهو يقرأ :

﴿ يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤) تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٥) لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (٦) لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧) إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ (٨) وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾(٥).

● وتجلت حين كانا فى الغار وجاء المشركون إليه، فلو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرهما فأغشاهم الله، فلم يبصروا، ويسر الله - سبحانه - وسائل الأمان.. من عنكبوت وحمام وأغصان أشجار متدلية على باب الغار.. ما تجلت به رعايته..!!

● وتجلت عناية الله حين حمى الله المهاجرين الكبيرين من «سراقة بن مالك» الذى لحق بهما على أمل الفوز بجائزة قريش.. فأعجزه الله عن الوصول إليهما.. وهو على بعد خطوات منهما..

● وتجلت حين تحول سراقة.. سراقة الذى رأى بعينيه حماية الله لهما... تحول إلى مضلل لقريش.. يصرفها عن طريقهما.. ويحرس مسيرتهما....!!

الأسس الثابتة للدولة الإسلامية.. دولة الهجرة

وبنجاح هذه الرحلة الخالدة.. التحمت عناصر إبداع الحضارة التى أرست دعائمها هداية الله... وبدأ الرسول ﷺ عندما بركت ناقته القصواء فى مربد «لسهل وسهيل ابنى عمرو»... يبنى أول أساس من أسس الدولة الإسلامية الناشئة.. يبنى المسجد وبسواعده - عليه السلام - سواعد النبى القدوة.. وليس أوامر «صاحب

(٥) ياسين (١-٩).

النظرية الدنيوية» التي لا يطبقها على نفسه!!

بسواعد النبي القدوة، وسواعد الصحابة جميعا من مهاجرين وأنصار.. تم بناء المسجد.. فكان ثاني مسجد بني في الإسلام.. إذ سبقه بأيام مسجد قباء الذي وضع الرسول حجره الأساسي وهو في طريقه إلى المدينة.. «والمسجد هو قلب المجتمع ومركز الدولة المسلمة».

- وآخى بين المهاجرين والأنصار.. وهو الأساس الثاني.. في مجتمع الدولة الإسلامية، دولة التكافل المادي والمعنوي!!

- وهو إخاء آخر معانيه الاقتصاد والمال.. إن العون المعاشي قد يكون أحد معانيه.. لكنه - كما ذكرنا - آخر هذه المعاني.

- كان الإخاء وأداً وقتلاً لمعنى العصبية القبلية والقومية..

- وكان الإخاء إرساء لمعنى جديد على حياة الجاهلية.. معنى فوقية العقيدة على الدم والتراب.

- وكان الإخاء إعلانا لميلاد الدولة الجديدة بأواصرها الجديدة وهويتها الجديدة.

- وتأتي «الصحيفة» التي وضعها الرسول كدستور للمدينة كلها.. كأساس ثالث لإرساء دعائم الدولة الجديدة.. أو كركن ثالث من أركان العقد الاجتماعي الأول في التاريخ، الحضاري لدولة الإسلام التي تعترف بالتعددية، وبالاختلاف، وتحمي الآخر غير المسلم إذا التزم بالدستور وحقوق المواطنة الصالحة.

● وفي هذه الصحيفة.. تحددت علاقة المسلمين بعضهم ببعض من جانب، وعلاقتهم بالطوائف الأخرى الموجودة بالمدينة من غير المسلمين من جانب آخر.. ليتحقق استقرار وضع المدينة «الوطن» على أساس التعايش السلمي بين كل الطوائف، واشتراك الجميع في الدفاع عن المدينة «الوطن» وقت الخطر، واعتبار الجميع أصحاب حق في التمتع بالمدينة كمدينة أمن ورزق.. وخضوعهم جميعا للقانون - الخاص بهم أحيانا - والإسلامي في القضايا الكبرى المتعلقة بالخطوط الكبرى للسياستين الداخلية والخارجية.

● إنها دولة الحضارة.. ودولة العقيدة.. ودولة الرحمة للعالمين، والاحترام للآخرين، والعدل الكامل «المطلق» بين المسلمين وغير المسلمين.

● دولة الهجرة من الوثنية والعنصرية والجور والظلم.. إلى عبادة الله وحده، وسعة الدنيا والآخرة.. تحت قيادة نبي الرحمة للمسلمين، وغير المسلمين.. رحمة الله للعالمين، عليه الصلاة والسلام.

خطبة الجمعة

من دروس الهجرة (*)

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصي

أحمد الله تبارك وتعالى، هو الدائم الذي لا يتبدل، والباقي الذي لا يزول:

﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾(١).

نشهد أن لا إله إلا أنت:

﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(٢).

ونشهد أن سيدنا محمداً عبدك ورسولك، عبدك في ليله، وجاهد لك في نهاره، فكان عبداً شكوراً، فعليه صلواتك وسلامك، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الذاكرين المعتبرين، وأتباعه المستمسكين بحبل الله القوي المتين:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴾(٣).

يا أتباع محمد ﷺ:

في هذه الآونة الحاضرة من تاريخ الدنيا ومر الزمن، يقف أبناء الإسلام في مشارق الأرض

(*) ٢٨ من ذي الحجة سنة ١٣٧٦ هـ - ٢٦ يولية سنة ١٩٥٧م.

(١) الحديد (٣).

(٢) آل عمران (٢٧).

(٣) الأنبياء (٩٤).

ومغاربها وقفة الاعتبار والذكرى، لأنهم يودعون من حياتهم عاماً مضى بما له وما عليه، ولا يدرون ما الله قاض فيه، وهم يستقبلون ببزوغ هلال السنة الهجرية بعد قليل عاماً جديداً لا يدرون ما الله فاعل فيه:

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[4]

وهم فى هذه الوقفة يتذكرون أعظم حادث فى تاريخهم، كان نقطة التحول فى تاريخ البشرية، وكان بداية الانتقال من الضعف إلى القوة، ومن الحيرة والبلبلة إلى الاستقرار والاستعلاء، ألا وهو حادث هجرة النبى محمد عليه صلوات الله وسلامه عليه من مكة إلى المدينة، بعد أن فعل الكافرون به وبقومه الأفاعيل، وبعد أن تربصوا بدين الله الدوائر، ووقفوا لدعوة النور فى كل مرصد، يقطعون عليها الطريق، ويعذبون أهلها العذاب الشديد، لا لشىء إلا لأنهم قالوا: ربنا الله، وفوق أن هذه الهجرة كانت رحمة من الله لعباده ونجدة، نراها قد انطوت على دروس كثيرة عميقة الدلالة دقيقة المغزى بعيدة الأثر فى نفوس الكرام، ومن واجب المسلمين أن تحسنوا الانتفاع بهذه الدروس عن طريق تذكرها والتأثر بها:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[5].

من الدروس التى نفقهها فى حادث الهجرة أن صاحب المبدأ القويم الكريم لا يساوم فيه ولا يحيد عنه، بل هو يجاهد من أجله ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وهو يستهين بالشدائد والمصاعب تعترض طريقه عن يمين وشمال، ولكنه فى الوقت نفسه لا يصبر على الذل يناله، ولا يرضى بالهوان يلحق دعوته، فإذا أحس بشىء من ذلك نأى بدعوته عن مواطن إذلالها، واغترب بها ليحفظ كرامتها ويصون حياتها، ولو أدى ذلك إلى ترك البلد والوطن، والأهل والسكن، وها هو ذا محمد صلوات الله عليه يترك مع صحبه ديارهم وعقارهم، ومساكنهم وأموالهم، ويخرجون مغتربين فى سبيل الله، مجاهدين لوجه الله، فأعز الله شأنهم وكتب النصر لهم، وزكى رسول الله شأن هذه الغربة حين قال: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء»!.

وإذا كان إمام الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام قد ترك داره ووطنه فى سبيل دينه ودعوته، فليس معنى هذا أنه تنكر لهذا

(4) لقمان (34).

(5) ق (37).

الوطن، أو نسى حقه، أو استهان بمكانته؛ معاذ الله؛ فإن الرجل الأصيل وإن اغترب يظل حافظاً عهد بلاده، ذاكراً حقوق وطنه، ورب مغترب عن وطنه طوعاً أو كرهاً يحب هذا الوطن أكثر من أناس كالبهائم يقيمون فيه، ويرتعون فى واديه، ومع ذلك لا يحفظون حقه، ولا يصونون كرامته؛ وهذا رسول الله يخرج من مكة مهاجراً مرغماً، وما يكاد يبلغ ظاهر مكة حتى يلتفت إليها فى حنين عارم وشوق قاهر وحب عميق ويناجيها قائلاً:

«والله إنك لأحب أرض الله إلىّ، وإنك لأحب أرض الله إلى الله، ولولا أن أهلك أخرجونى منك قهراً ما خرجت».

وكان كلما ألح به الشوق وبصحبه إلى مكة يدعو ربه قائلاً: «اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة» وذلك لتخف حدة الشوق؛ وترجم القرآن الكريم عن شوق محمد إلى مكة وتعلقه بها، وعن تلطف الله برسوله فى هذا المجال فقال:

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[6].

ولقد أمر الله نبيه عقب الهجرة بأن يتجه فى صلاته إلى بيت المقدس، فأطاع الرسول أمر ربه وإن كان يحب فى نفسه التوجه إلى الكعبة فى مكة، وجعل محمد يقلب وجهه فى السماء راجياً أن يعيد توجيهه إلى الكعبة، ولما نزل القرآن بالتحول إلى الكعبة استدار محمد وهو فى صلاته فكان فى نصفها الأول متجهاً إلى بيت المقدس، واتجه فى نصفها الآخر إلى الكعبة، وليس وراء ذلك تقدير للوطن وحب له من الغريب الأكرم محمد ﷺ.

ومن دروس الكفاح التى نأخذها عن الهجرة أن الشباب إذا نبتوا فى بيئة الصلاح والتقوى والتهذيب، نشأوا على العمل الصالح والسعى الحميد والتصرف المجيد، وهؤلاء هم شباب الإسلام قد رضعوا رحيق التربية الدينية الكريمة فكان لهم فى مواطن البطولة والمجد أخبار وذكريات، وهذه طائفة منهم تشارك فى حادث الهجرة أفضل مشاركة... هذه عائشة الصبية تعد الطعام للمهاجرين العظيمين، وطائفة منهم تشارك فى حادث وهذه أسماء الفتية تحمل الزاد لهما وتربطه بنطاقها، هذا عبدالله بن أبى بكر الفتى يتجسس لهما ويحمل إليهما الأخبار وهما مختفيان فى الغار... وهذا على بن أبى طالب الشاب يتعرض للتضحية الكبرى، ويقدم على الفدائية

(6) القصص (85).

المثلى، فينام فى فراش الرسول ليلة الهجرة، وهو يعلم أن سيوف المشركين تستعد للانقضاض على النائم فوق هذا الفراش، ويظل علىٌّ فى مكة بعد ذلك يؤدى الأمانات إلى أهلها، غير عابئ بتهديد المشركين أو وعيدهم، ثم يهاجر علىٌّ الشاب منفردا فى ثقة وإيمان.

ومن الدروس التى نأخذها عن الهجرة أن الله ينصر من ينصره، ويعين من يلجأ إليه ويعتصم به، ويكون للعبد المخلص الموقن حين تنقطع به الأسباب، وحين يخذله الناس، فهذه هى الهجرة يراها الأغرار الجهلاء فراراً وانكساراً، ولكنها فى الواقع كانت عزاً من الله وانتصاراً، وهذا محمد وصاحبه تجتمع عليهما قوى البغى والطغيان، فتقبل عليهما عناية الرحمن:

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٧)

وبم نصر الله رسوله يوم الهجرة؟...

نصره بأضعف جنده، وما يعلم جنود ربك إلا هو... نصره بنسج العنكبوت:

﴿إِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾(٨).

ونصره ببيض الحمام، وما أرق بيض الحمام.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾(٩).

يا أتباع محمد ﷺ:

إن المسلمين وهم بين العام الراحل والعام المقبل، لابد لهم من نظرة يلقونها على سجلاتهم وصفحات حياتهم لينظروا ماذا كسبوا وماذا خسروا، فيحمدوا الله ـ جل جلاله ـ على ما ربحوه، ويستغفروه مما اقترفوه أو صنعوه، فلنقف بين العامين وقفة المهاجر بنفسه وإن لم يهاجر بحسه... فلنهاجر إلى الله بقلوبنا وعقولنا وأعمالنا، ولنلجأ إليه حتى يكون لنا ومعنا:

﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾(١٠).

واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون.

(٧) التوبة (٤٠).
(٨) العنكبوت (٤١).
(٩) النازعات (٢٦).
(١٠) آل عمران (١٦٠).

هجرتهم.. وهجرتنا

للأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعنى

الهجرة نوعان: هجرة من مكان إلى مكان، وهجرة من أحوال وأوضاع إلى أحوال وأوضاع أخرى، وهجرة النبى من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ومعه أصحابه - رضى الله عنهم - جمعت بين الهجرتين معاً، هجرة من مكان إلى مكان، وهجرة من حال وشأن، إلى حال وشأن.

والهجرة ـ عموماً ـ مبدأ إيمانى عظيم، كان له وجود فى التاريخ النبوى قبل الإسلام، وقد قرن الله مبدأ الهجرة الإيمانى بالجهاد المسلح فى سبيل الله، ووعد المهاجرين فى سبيله بالجزاء الحسن فى دار الخلود.

﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾(١)

والهجرة من مكان إلى مكان لها سبب معروف تكرر ذكره فى القرآن الكريم، ومن ذلك قوله عز وجل:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾(٢).

فسبب الهجرة من مكان إلى مكان هو الاستضعاف وليس الضعف. وقد شدد القرآن النكير على الذين يرضون بأن يستضعفهم أحد من الناس فرداً كان أو جماعة، فجعل مأواهم جهنم، لأنهم رضوا بالهوان والذل، ولا عذر لهم كما بين القرآن، لأن أرض الله واسعة.

(١) آل عمران ١٩٥.
(٢) النساء (٩٧).

فكان عليهم أن يفروا إليها ومن الملاحظ أن هذا التكبير يراه من يرضون بالذل والهوان عند الموت، وهم على أعتاب الآخرة فما بالك بما يقال لهم عند الحساب؟

وهذا المعنى الإيمانى يكاد يكون فطرياً عند البشر فهذا شاعر جاهلى يشدو به فى شعره فيقول:

وفى الأرض منأى للكريم عن الأذى
وفيها لمن خاف القلى متحول

كما بالغ شاعر جاهلى آخر فى تصوير هذا المعنى فقال

ولا يقيم على ذل يراد به
إلا الأذلان: عير الحى والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته
وذا يشج فلا يرثى له أحد

حيث شبه من يرضى بالهوان بين الناس بالحمار فى تسخيره وإعيائه، وهو فاقد الإرادة. ثم بالوتد الذى يُدَقُّ فى الأرض، حتى يتشقق رأسه دون أن يأسف عليه أحد.

فالحفاظ على العزة والكرامة الإنسانية فطرة فطر الله الناس عليها.

وفى هذا الإطار كانت الهجرات الثلاث فى صدر الدعوة فقد هاجر المسلمون إلى الحبشة مرتين بتوجيه رسول الله ﷺ، لما اشتد اضطهاد المشركين لهم وكانت الهجرتان الأوليان إلى الحبشة ثمرة لسببين:

الأول: خشية أن تفتن قريش المؤمنين فى دينهم.

الثانى: النجاة من أذى قريش، وملاحقتها لأوائل المؤمنين بالتعذيب والتنكيل.

ومن اللافت للنظر أن النبى ﷺ ظل بمكة، يدعو إلى الله، ويُعلى شأن عقيدة التوحيد ولم يهاجر. وهذا يرجع لاعتبارين:

الأول: لأنه ﷺ مكلف بالدعوة إلى الإسلام وكانت الدعوة فى أول أمرها موجهة أساساً إلى قومه العرب. كما قال - عز وجل:

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾(٣).

فبقاؤه بمكة، وسط المعارضة الشديدة من قومه هو الرسالة التى اجتباه الله لها.

الثانى: لو كان قد هاجر إلى الحبشة، كما هاجر بعض أصحابه، لكان ذلك تنصلاً ونكوصاً عن الرسالة وهو ﷺ القائل لعمه أبى طالب حين رجاه أن يكف عن بعض نشاطاته فى الدعوة: «والله يا عماه لو وضعوا الشمس فى يمينى، والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته، حتى يظهره الله أو أهلك دونه»(٤).

أما الهجرة الكبرى إلى المدينة، فلم تكن باختياره وإنما هى تكليف من الله - عز وجل.

وحتى فى هذه الهجرة كانت شجاعة رسول الله تتجلى كالشمس فى رائعة النهار، فبقى هو بمكة، وهاجر أصحابه قبله أرسالاً إلى المدينة، أما هو ﷺ فكان آخرهم خروجاً، إلا ما كان من

(٣) الشعراء (٢١٤).
(٤) سيرة ابن هشام ٢٦٤/١.

أمر على بن أبى طالب - رضى الله عنه - الذى أبقاه الرسول ﷺ بمكة ليرد ودائع الناس التى كانوا قد أودعوها عنده ﷺ.

كانت الهجرة إلى المدينة تمحيصاً للمؤمنين، واختباراً صعباً اجتازوه بنجاح مذهل، حيث فارقوا أرضهم وديارهم وبعض أولادهم وأهليهم استجابة لأمر الله، وإعلاء كلمته، وقهروا حظوظ أنفسهم إيثاراً لما عند الله، وما عند الله خير للأبرار.

كما كانت الهجرة إلى المدينة إيذاناً بفجر جديد فى تاريخ الدعوة.

فصار للإسلام دولة عزيزة الجانب، ميز الله فيها بين أهل الشرك وأهل الإيمان.

ودخلت الدعوة فى طور جديد، فأذن للمؤمنين بقتال من يقاتلهم، بعد أن كان القتال محظوراً فى مكة، قبل الهجرة واتسعت آفاق الدعوة، حتى عمت أرجاء شبه الجزيرة كلها، وكاتب رسول الله ﷺ الملوك ورؤساء العشائر يدعوهم إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة.

ثم انطلقت مواكب الدعوة من كل القيود التى كانت مكبلة، بها وخرجت من حدود شبه الجزيرة إلى شرق الأرض وغربها، وشمالها وجنوبها، فأقامت الحجة لله على الناس، ليحيا من حيى عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة، وما ربك بظلام للعبيد.

كانت هجرة الرسول وأصحابه من مكان هو مكة، إلى مكان هو المدينة.

وكانت - كذلك - هجرة من حال وشأن إلى حال وشأن لهما آثار عظيمة.

● كانوا فى مكة أفراداً فصاروا فى المدينة دولة.

● كانوا فى مكة مضطهدين فصاروا فى المدينة مكرمين.

● كانوا فى مكة فاقدى الأمن فصاروا فى المدينة آمنين.

● كانوا فى مكة لا يردون عن أنفسهم أذى، فصاروا فى المدينة يكيدون من كادهم، ويرهبون من يعاديهم.

● كانوا فى مكة يعبدون الله متخفين فصاروا فى المدينة يرفعون الأذان عالياً مدوياً خمس مرات فى اليوم لا يخافون إلا الله - عز وجل.

هذه هى هجرتهم، تحول عظيم صاعد فى سماء الدعوة هجرة من مكان إلى مكان.

وهجرة من شأن إلى شأن.

لم تكن هروباً كما يزعم المستشرقون وإنما كانت أمراً من عند الله ليقضى الله أمراً كان مفعولاً.

وقد قضى الله ذلك الأمر فأشرقت شمس الإسلام على الكون كله.

هجرتنا

والأمة الإسلامية - الآن - مطالبة بالهجرة كما هاجر سلفها العظيم، ولكن ما هى الهجرة المطلوبة من الأمة الآن؟

هل هى هجرة من مكان إلى مكان؟

أم هى هجرة من شأن إلى شأن، ومن وضع إلى وضع، ومن حال إلى حال؟

الهجرة المطلوبة من الأمة ـ الآن ـ ليست من مكان إلى مكان، فلا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية قد تكون الهجرة من مكان إلى مكان مشروعة فى حق الأفراد، أما فى حق الأمة بأسرها فلا، وإلا كان معناها أن تترك الأمة أوطانها، وتهيم على وجوهها فى الأرض.

إن الأمة مطالبة بهجرة فورية عامة شاملة من الأوضاع المزرية، والشئون المؤسفة، والأحوال المتهرئة التى تعيش فيها إلى أوضاع وشئون وأحوال تليق بها باعتبارها أمة تحمل رسالة عظيمة خالدة ما كلف الله بها أمة غيرها منذ فجر التاريخ حتى الآن. إذ ليس فى الوجود أمة خاطبها الله – عز وجل – بمثل قوله تعالى:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[٥].

كما حباها منزلة رفيعة ما منحها أمة من الأمم من قبلها ولا من بعدها، منزلة تلى منزلة رسولها الكريم فى الفضل، وهى منزلة العدالة والشهادة على الأمم جميعاً يوم القيامة:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[٦].

هذه الأمة ضائعة الآن بين أقدام الأمم تابعة لا متبوعة، مأمورة لا آمرة، لم تملك أمر نفسها فضلاً عن أن يكون لها سلطان على غيرها، لا يعمل لها عدو حساباً، ولا يحمل لها صديق تقديراً ولا احتراماً، وجودها كعدمها، وكلامها كسكوتها، وحياتها كموتها.

دماؤها أرخص من دماء البعوض، وحقوقها مسلوبة، وحرماتها منتهكة، اجتماعها كتفرقها وحضورها كغيابها، حتى اشبهت فى هوانها قبيلة تيم فى العالم القديم، وهى قبيلة بلغت من الضعف منزلة كان يضرب بها المثل، وفيهم يقول الشاعر:

ويقضى الأمر حين تغيب تيم

ولا يستأمرون وهم حضور

يعني: أن وجودهم كعدمهم فى عدم الاعتداد بهم وهذا هو الواقع بالفعل فى شأن الأمة الآن ومن ينازع فى هذا فهو مكابر أو معاند، والاعتراف بالعيوب أول خطوة فى إصلاحها إن أردنا الإصلاح كما ينطبق على أوضاع الأمة المزرية الآن قول الشاعر الحكيم:

هذا الذى إن عاش لا يُعْتَنى به

وإن مات لا تحزن عليه أقاربه

أمة أراد الله لها العزة بما تحمل فى قلوبها من إيمان وأرادت هى لنفسها الذل والهوان،

(٥) آل عمران (١١٠).

(٦) البقرة (١٤٣).

وهى قادرة على أن تكون عزيزة كريمة، حتى غُدَتْ من سقط المتاع الذى وصفه الشاعر:

وما للمرء خير فى حياة

إذا ما عُدَّ من سقط المتاع[٧]

هذه بعض أحوال أمتنا وبعض أوضاعها الآن لذلك هانت على نفسها، وهانت عند الناس.

هذه الأوضاع هى التى أطمع فيها كل من هب ودب على وجه الله، حتى أرذل وأحقر خلق الله «اليهود» التى تُسْتَبْلُ دماء الشعب الفلسطينى المجرد من السلاح نهاراً، بعد أن طردته من أرضه ودياره.

واحتلت القدس الشريف، وانتهكت حرمة المسجد الأقصى، مسرى رسول الله ﷺ الذى بارك الله حوله.

فماذا فعلت الأمة فى إزاحة هذا الخطر؟ لم تفعل شيئاً، إلا أن تطيع أوامر هيئة الأمم، وما يسمى بالشرعية الدولية، وتعصى أوامر الله ونواهيه، وشريعة خالق السموات والأرض، وابتغت العزة عند غير الله فأحاط بها الذل والضياع من كل صوب.

وخذ إليك واقعة ثانية: الحرب الأمريكية التى يهدد بها الرئيس الأمريكى بوش العراق ظلماً وعدواناً هذه المشكلة مشكلة، عربية إسلامية بالدرجة الأولى الدنيا كلها تتحدث عنها كل لحظة من الزمن اسأل نفسك ما هو الدور الذى يؤديه العرب والمسلمون فى هذه المشكلة، لدفع الخطر الجسيم الذى ستتعرض له الأمة كلها، وليس الشعب العراقى وحده؟ لا شىء على الإطلاق، فهم عمْىٌ لا يرون شيئاً، صم لا يسمعون شيئاً، بكم لا يقولون شيئاً، إنهم ـ العرب والمسلمين ـ فى حالة انعدام كامل، والدنيا كلها تغلى من حولهم، حتى الشعوب غير الإسلامية هذه المشكلة، العربية الإسلامية، غاب عنها العرب والمسلمون فى جانبها الإيجابى وهى الآن مشكلة أوروبية خالصة:

المؤيدون علناً لأمريكا فى إبادة الشعب العراقى أوروبيون والمعارضون لها معارضة لها وزن أوروبيون؟

أما فى الجانب السلبى، فللأسف الشديد تجد العرب والمسلمين ضالعين فى الوقوف بجانب أمريكا، فدول الخليج صارت مستعمرات أمريكية، ومراكز لقوات أمريكا وحلفائها، قوات برية وبحرية وجوية هائلة تربض فوق أراضى دول الخليج، ليسهل على أمريكا اجتياح العراق، وتدمير كل ما فيه من منشآت ومرافق وقتل نسائه وأطفاله وشبابه وكهوله وشيوخه ويعلم الله أن أمريكا ما كانت لتحقق أى أهداف لها فى العراق لولا مساندة شيوخ الخليج، وهذه نكسة فى

(٧) سقط المتاع هو: الأشياء التافهة التى إذا سقطت من الرحل تركها صاحب الرحل على الأرض لأنها لا قيمة لها.

حاضر الأمة يندى لها الجبين، لم يسبق لها مثيل فى تاريخها القريب أو البعيد.

ومنذ أكثر من عام اجتاحت أمريكا أفغانستان لا بعمل ذاتى منها، ولكن بمساندة المسلمين (باكستان والتحالف الشمالى وتركيا).

فبعض فصائل الأمة الآن، هى التى تطعن الأمة من الخلف والأمام، ومن اليمين والشمال، وهذه الظواهر البغيضة هى التى قصمت ظهر الأمة وما تزال.

إذن المطلوب من الأمة الآن أن تهاجر من هذه الأوضاع المخزية، إلى ما فيه عزتها وكرامتها لتكون ـ حقاً:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(٨).

وإذا لم تهاجر فستظل أسيرة الظلم والاضطهاد والذل والهوان والضياع. فالله عز وجل لا يحابى أحداً، وإنما له فى الحياة سنن صارمة ينفذها فى العباد. ألم يقل عز وجل:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾(٩)

هذه السنة الإلهية، تشمل تصرفات الأفراد وتصرف الجماعات وتصرفات الأمم، فالجالس من الأفراد لا يعينه الله على القيام حتى يريد هو القيام ويبدأ فيه.

والعاصى لا يعينه الله على الطاعة حتى يرغب فيها هو ويبدأ بها.

والضعيف لا يعينه الله على القوة حتى يهجر هو الضعف ويخطو فى طريق القوة.

وأمتنا لن يغير الله حالها من سيء إلى حسن أو من حسن إلى أحسن، إلا إذا أحدثت هى نية وعزماً صادقاً على تغيير ما بها من ضعف وهوان. ثم تأخذ بالأسباب ليعينها الله على ما تريد ويغير ما بهم من سوء ومهانة.

هجرتنا إلى ما تكون؟

هجرتنا تكون إلى نقيض ما نحن فيه الآن إلى الإيمان الصادق بالله، وإلى أخلاق الإيمان وعمل الصالحات، وإفراد الله تعالى بالولاء، وهذا ما نصت عليه الآية الكريمة:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾(١٠)

هذه القيم الثلاثة:

- الاستخلاف فى الأرض.
- تمكين الدين والسيادة الإيمانية.
- تبديل الخوف أمناً.

هى الأهداف العظمى التى تسعى نحوها

---

(٨) آل عمران (١١٠).

(٩) الرعد (١١).

(١٠) النور (٥٥).

كل الشعوب والأمم، ثمنها عند الله الإيمان والعمل الصالح، وإفراد الله بالولاء والطاعة فإذا تحققت فى الأمة هذه الأوصاف فلن تكون أمة فوق الأرض أكرم وأعز منها، وليمكن الله لها فى الأرض تمكيناً لا تستطيع قوة مهما كانت أن تنال منها.

ومع السعي لتحقيق هذه الأوصاف، يجب عمل الآتى:

أولاً: الاعتصام الكامل بحبل الله فى كل شئون الحياة، ما يتصل منها بالدنيا، وما يتصل منها بالدين.

ثانياً: التخلص الكامل من التبعية المهينة لقوى الغرب الكبرى، وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية.

ثالثاً: قيام وحدة شاملة بين شعوب الأمة فى السياسة الخارجية والعسكرية، على غرار ما يجرى فى التكتلات المعاصرة، مثل الاتحاد الأوروبى

رابعاً: التعاون المثمر فى المجالات الاقتصادية والثقافية والتعليمية.

خامساً: الأخذ بأسباب النهضة الحديثة لاستثمارات الطاقات الطبيعية المركوزة فى الأرض والبحار، والتوسع فى فقه الدنيا لأن من لا يملك دنياه لا يملك دينه ولا حريته.

سادساً: الاهتمام البالغ بالشئون الصناعية وبخاصة صناعة الأسلحة والمعدات الثقيلة اللازمة لاستثمار الطاقات.

سابعاً: التخلص من القوانين الوافدة التى تتعارض مع أحكام الشريعة الغراء.

هذا ما يجب أن تهاجر إليه الأمة، فليست هجرتها هجرة مكان، ولكنها هجرة تغيير أحوال بأحوال، ليغير الله ما بنا من تخلف ومهانة وضياع

ومن ديننا رحابة صدر للاستفادة من تجارب الأمم فى غير العقائد والتشريع والأخلاق:

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾(١١)

والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

***

---

(١١) التوبة (١٠٥).

هِجرة المُسلمين الأولى إلى الحَبشة

لفضيلة الشيخ/ فوزي الزفزاف

عندما يطلق لفظ الهجرة ويذكر دون تحديد، تنصرف الأذهان تلقائيا إلى هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى يثرب، لأن هذه الهجرة صارت من أهم أحداث تاريخ البشرية، فقد نقلت الدعوة الإسلامية من الحيز المكاني الضيق إلى الأفق الرحب الواسع، ومن المحلية إلى العالمية، وكانت بحق بداية تأسيس الدولة الإسلامية الكبرى، ولذلك اتخذها المسلمون تقويما للتاريخ الإسلامي..

غير أن هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى يثرب لم تكن الهجرة الأولى للمسلمين إلى خارج مكة، مهبط الوحي، والموطن الأول للدعوة إلى الإسلام، فقد سبقتها هجرتان للمسلمين إلى الحبشة...

إن المتتبع لتاريخ الدعوة الإسلامية منذ أن بدأ نزول الوحي على محمد بن عبدالله عليه الصلاة وأزكى السلام يجد أنها قد مرّت بمراحل مختلفة، كل مرحلة كانت لها طبيعتها وظروفها التي كانت تفرض على الرسول ﷺ منهجا معينا في أسلوب تبليغ الدعوة يلائم طبيعة كل مرحلة...

فمعلوم أن مكة كانت ـ قبل البعثة ـ مركز دين العرب في شبه الجزيرة العربية، يتجمع فيها سدنة الكعبة والقوّام على الأوثان والأصنام المقدسة عند سائر العرب، والتي نالوا بسبب خدمتها المجد والرفعة، وحققوا برعايتها الغنى والثراء.. فالدعوة إذن إلى تصحيح العقيدة الدينية بإبطال عبادة الأصنام والأوثان المقدسة ستكون بمثابة الزلزال المدمر الذي سيقضي على مراكز القوة والقيادة والريادة لقريش على سائر العرب.. ومادام الأمر كذلك فإن أسلوب تبليغ الدعوة إلى الدين الجديد يحتاج إلى كياسة وحكمة، وعزيمة وقوة.

ومقتضى الحال كان يحتم أن تكون الدعوة في بدء أمرها سرية لئلا يفاجأ أهل مكة بما يهيجهم، وبما يثير مقاومتهم... وكان من الطبيعي أن يعرض الرسول ﷺ الإسلام أولا على ألصق الناس به من آل بيته وأصدقائه المقربين جدا إليه، الذين يتوسم فيهم الخير، ويأمل فيهم كتمان الأمر.. فأجابه جمع عُرفوا في التاريخ الإسلامي بالسابقين الأولين في مقدمتهم: زوجته أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد ـ رضي الله عنها ـ ومولاه زيد بن حارثة، وابن عمه علي بن أبي طالب، وصديقه الحميم أبو بكر الصديق ـ وكان رجلا ذا خلق ومعروف، يألفه قومه لمكانته ومنزلته بينهم ـ فنشط أبو بكر من جانبه في الدعوة إلى الإسلام مع مَنْ يثق بهم من قومه فأسلم بدعائه: عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبدالله.

ومن أوائل المسلمين أيضا: بلال بن رباح الحبشي، وأبو عبيدة عامر بن الجراح، وأبو سلمة بن عبدالأسد، والأرقم بن أبي الأرقم، وعثمان بن مظعون، وأخواه قدامة وعبدالله، وعبيدة بن الحارث، وسعيد بن زيد، وامرأته فاطمة بنت الخطاب ـ أخت عمر بن الخطاب ـ وخباب بن الأرت، وعبدالله بن مسعود، وخلق سواهم... ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ. أسلم هؤلاء سرا، وكان الرسول ﷺ يجتمع بهم ويرشدهم إلى الدين متخفيا، لأن الدعوة كانت لاتزال فردية وسرية.

لكن من مراجعة الأحداث يتبين أن أنباءها كانت قد بلغت إلى قريش، بيد أنها لم تكترث بها في أول الأمر، ولم تُعرها اهتماما، ولعلها حسبت محمدا أحد أولئك الديانيين الذين يتكلمون في الألوهية وحقوقها، كما صنع أمية بن أبي الصلت، وقس بن ساعدة، وعمرو بن نفيل، وأشباههم، إلا أنها توجست خيفة من ذيوع خبره وامتداد أثره، وأخذت ترقب على مر الأيام مصير دعوته.

ومرت ثلاث سنين، والدعوة لم تزل سرية وفردية، إلى أن نزل الوحي يأمر الرسول ﷺ، بإظهار الدعوة، وكان أول مانزل في هذا الصدد قوله تعالى:

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾(١).

وكان أول مافعل الرسول ﷺ بعد نزول هذه الآية، أن بدأ الدعوة في الأقربين فدعا بني هاشم، وبني عبدالمطلب بن عبد مناف إلى الإسلام.. فصدّه أبو لهب وقال له: مارأيت أحدا جاء على بني أبيه بشر مما جئت به.

ثم صعد النبي ﷺ يوما على الصفا فجعل ينادي: يابني فهر! يابني عدي! لبطون قريش، حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر

(١) الشعراء (٢١٤).

ماهو الخبر، فجاء أبو لهب وقريش، فقال الرسول ﷺ: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقى؟ قالوا: نعم، ماجربنا عليك إلا صدقا، قال: فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد، فقال أبو لهب: تبالك سائر اليوم. لهذا جمعتنا؟ فنزل قوله تعالى:

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾(٢).

والذى يقرأ سورة الشعراء التى وقعت فيها آية:

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ويفكر فى معانيها، ويتدبر مقاصد قصص الأنبياء التى وردت فيها، يجد أنها كانت تهيئ الرسول ﷺ ومَنْ آمن معه إلى تقبل ماسيحدث فى المستقبل من تكذيب قريش وكفار مكة لهم، وماسيتعرضون له من أذى وتعذيب واضطهاد حين يجهرون بالدعوة، فقد ذكرت السورة قصة سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ من بداية نبوته إلى هجرته مع بنى اسرائيل ونجاتهم من فرعون وقومه، وغرق فرعون ومن معه، ومآل إليه الذين كذبوا الرسل من قوم نوح، وعاد، وثمود، وشعيب، وقوم إبراهيم، وقوم لوط.. وفى الوقت نفسه يجد فى السورة إنذاراً للذين سيكذبون الرسول بما يؤول إليه أمرهم إن استمروا على التكذيب، على غرار ماحدث للذين كذبوا الرسل قبلهم..

ولم يزل الرسول ﷺ يدعو الأقربين من قومه إلى الإسلام إلى أن نزل قوله تعالى:

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾(٣).

فأخذ رسول الله ﷺ يجهر بالدعوة إلى الدخول فى الإسلام، ويوضح ضلال الشرك بالله، ويذكر عجز الأصنام وأنها حجارة لاتضر ولاتنفع، ويبين أن مَنْ يعبدها فهو فى ضلال مبين.

وهنا انفجرت مكة بمشاعر الغضب والغرابة والاستنكار، كيف تسمع صوتا يجهر بتضليل عبادة الأصنام؟؟ وقامت قريش تستعد لحسم هذه الثورة التى اندلعت بغتته، والقضاء على هذا الدين الجديد الذى يخشى أن يأتى على زعامتها وعلى تقاليدها وموروثاتها، لأن معنى الإيمان بهذا الدين الجديد انتفاء سيادتهم وكبريائهم على العرب، التى اتخذوها بالصبغة الدينية، فهم سدنة الكعبة وحماة الأوثان والأصنام.

وحاولوا فى أول الأمر استمالة محمد ﷺ ليكف عن هذه الدعوة عن طريق وساطة عمه أبى طالب، وعن طريق إغرائه بالمال، والسيادة، والملك.. فلم يفلحوا،

---

(٢) سورة المسد.

(٣) الحجر (٩٤).

وكان رده الحاسم القاطع فى قوله المأثور: «والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ماتركته...».

ولما رأت قريش أن كل هذه الأساليب لم تفلح فى كف محمد عن دعوته ـ بعد ظهورها وانتشارها ـ كونوا جماعة من سادات قريش رئيسها أبو لهب، اتخذت قرارا حاسما ضد رسول الله ﷺ وضد صحابته الذين آمنوا معه وهو: محاربة الإسلام، وإيذاء رسوله، وتعذيب الذين آمنوا به بلا رحمة ولاشفقة، يحبسونهم، ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش، والمقاطعة، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر..

كانت بداية الاضطهادات فى أواسط وأواخر السنة الرابعة من النبوة، وبدأت تشتد وتتفاقم فى السنة الخامسة حتى تعذر على المسلمين استمرار المقام فى مكة، وأخذوا يفكرون فى طريقة تنجيهم من هذا العذاب الأليم الذى يتعرضون له من المشركين.

وفى تلك الفترة الضنكة الحالكة نزلت سورة الكهف واشتملت على ثلاث قصص فيها إشارات بليغة من الله ـ تعالى ـ إلى عبادة المؤمنين، فقصة أصحاب الكهف ترشد إلى الهجرة من مراكز الكفر والعدوان حين مخافة الفتنة على الدين، يقول الله ـ تعالى:

﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾(٤)

وقصة الخضر وموسى تفيد أن الظروف لاتجرى ولاتنتج حسب الظاهر دائما، بل ربما يكون الأمر على عكس كامل بالنسبة للظاهر، وقصة ذى القرنين تفيد أن الله لايزال يبعث من عباده ـ بين آونة وأخرى ـ مَنْ يقوم بإنجاء الضعفاء..، ثم نزلت سورة الزمر تشير إلى الهجرة وتعلن أن أرض الله ليس بضيقة، يقول الله ـ تعالى:

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(٥).

فلما رأى الرسول ﷺ مايصيب أصحابه من البلاء من مشركى قريش، وأنه غير قادر على أن يمنع عنهم هذا البلاء ـ وكان قد علم أن النجاشى ملك الحبشة ملك عادل لايظلم عنده أحد ـ قال لأصحابه: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لايظلم عنده أحد، وهى أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه».

---

(٤) الكهف (١٦).

(٥) الزمر (١٠).

وفى رجب سنة خمس من النبوة هاجر أول فوج من الصحابة إلى الحبشة، كان مكونا من عشرة رجال، وقيل من اثنى عشر رجلا وأربع نسوة، رئيسهم عثمان بن عفان ومعه السيدة رقية بنت رسول الله ﷺ، وقد قال النبى ﷺ فيهما: إنهما أول بيت هاجر فى سبيل الله بعد إبراهيم ولوط عليهما السلام.

وكان رحيل هؤلاء تسللا فى ظلمة الليل - حتى لاتفطن لهم قريش - خرجوا إلى البحر ويمموا ميناء شعيبة، وقيضت لهم الأقدار سفينتين تجاريتين أبحرتا بهم إلى الحبشة، وفطنت لهم قريش فخرجت فى آثارهم، لكن لما بلغت إلى الشاطئ كانوا قد انطلقوا آمنين، وأقام المسلمون فى الحبشة فى أحسن جوار، وبسط عليهم النجاشى حمايته وأمنه.

وكانت تلك الهجرة هى هجرة المسلمين الأولى إلى الحبشة، غير أن حب الوطن اشتد بهؤلاء المهاجرين، وقد ترامت إليهم أخبار من مكة تفيد أن قريشا خففت من عدائها للرسول ﷺ وأصحابه.. فعادوا إلى مكة، ولكن ما أن عادوا إلى مكة حتى وجدوا قريشا لاتزال على عنادها وإصرارها على مقاومة الرسول ﷺ، وعلى تعذيب أصحابه، فعادوا مرة أخرى إلى الحبشة (الهجرة الثانية) وبلغ عدد المهاجرين الى الحبشة - فى الهجرة الثانية - ثلاثة وثمانين رجلا وتسع عشرة امرأة - على أرجح الأقوال -.

ولكن هل تركت قريش المسلمين المهاجرين إلى الحبشة يعيشون فى سلام فى موطن هجرتهم؟ لا. لقد عزّ على قريش أن يجد المهاجرون مأمنا لأنفسهم ودينهم فى الحبشة!! فاجتمع المشركون فى مكة لمناقشة هذه القضية التى أرّقتهم، وأجمعوا على ضرورة عودة هؤلاء المهاجرين حتى لاتنتشر دعوة محمد فى الخارج فى الوقت الذى يحاولون فيه وأدها فى مهدها بمكة..

فاختاروا رجلين جَلْدين لبيبين هما: عمرو بن العاص، وعبدالله بن ربيعة «قبل أن يسلما» لإيفادهما إلى الحبشة لتنفيذ هذه المهمة، وأرسلوا معهما الهدايا القيمة للنجاشى ولبطارقته، وقالوا لهما: إدفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشى فيهم، ثم قدّما إلى النجاشى هداياه، ثم سلاه أن يُسلم المهاجرين إليكما قبل أن يكلمهم.

وبعد أن قابلا البطارقة وقدما إليهم الهدايا، وزوداهم بالحجج - الكاذبة - لطرد المهاجرين المسلمين، وبعد أن اتفقت البطارقة معهما على أن يشيروا على النجاشى بإقصائهم، حضرا إلى النجاشى، وقدما له الهدايا، ثم كلماه فقالا له:

«أيها الملك، إنه قد ضوى إلى بلدك غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا فى دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه، لانعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم

أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه».

وقالت البطارقة: صدقا أيها الملك، فاسلمهم إليهما، فليرداهم إلى قومهم وبلادهم..

ولكن النجاشى كان رجلا عاقلا حكيما، لابد له من تمحيص القضية، وسماع أطرافها جميعا قبل أن ينطق بالحكم، فغضب النجاشى، ثم قال: لاها الله، إذن لا أسلمهم إليهما، ولايكاد قوم جاورونى، ونزلوا بلادى، واختارونى على مَنْ سواى، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان فى أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما، ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسنت جوارهم ماجاورونى.

فأرسل إلى المسلمين ودعاهم فى حضور بطارقته، فقال لهم النجاشى: ماهذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا به فى دينى ولا دين أحد من هذه الملل؟

فقال جعفر بن أبى طالب - وكان هو المتكلم عن المسلمين -: «أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسئ الجوار، ويأكل منا القوى الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ماكنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده لانشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام «وعَدّد عليه أمور الإسلام» فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ماجاءنا به من دين الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئًا، وحرّمنا ماحرم علينا، وأحللنا ماأحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ماكنا نستحله من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على مَنْ سواك، ورغبنا فى جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك».

فقال له النجاشى: «هل معك مما جاء به عن الله من شئ؟ فقال له جعفر: نعم، فقال له النجاشى: فاقرأه علىّ؛ فقرأ عليه صدرا من سورة مريم: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾(٦) فبكى النجاشى حتى اخضلت لحيته. وبكت بطارقته حتى اخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ماتلاه عليهم، ثم قال لهم النجاشى: إن هذا

(٦) مريم (١).

والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما ولايكادون» - يخاطب عمرو بن العاص وصاحبه.

فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص لعبد الله بن أبى ربيعة: «والله لآتينه غدا بما أستأصل به خضراءهم، فقال له عبدالله: لاتفعل فإن لهم أرحاما وإن كانوا قد خالفونا، ولكن أصرّ عمرو على رأيه وقال: لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبد.

فلما كان الغد قال للنجاشى: «أيها الملك، إنهم يقولون فى عيسى بن مريم قولا عظيما!».

فأرسل إليهم النجاشى يسألهم عن قولهم فى المسيح، ففزعوا، ولكن أجمعوا على الصدق كائنا ماكان، فلما دخلوا عليه وسألهم، قال له جعفر: «نقول فيه الذى جاءنا به نبينا ﷺ: هو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول».

فأخذ النجاشى عودا من الأرض، ثم قال: «والله ماعدا عيسى بن مريم ماقلت هذا العود، فتناخرت بطارقته، فقال: وإن نخرتم والله»..

ثم قال للمسلمين: اذهبوا فأنتم شيوم بأرضى - والشيوم: الآمنون بلسان الحبشة - مَنْ سبّكم غرم، مَنْ سبّكم غرم، مَنْ سبّكم غرم، ما أحب أن لى دَبْرا من ذهب وأنى آذيت رجلا منكم - والدبر: الجبل بلسان الحبشة -.

ثم قال لحاشيته: «رُدّوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لى بها، فوالله ماأخذ الله منى الرشوة حين ردّ علىّ مُلكى فآخذ الرشوة فيه، وماأطاع الناس فىّ فأطيعهم فيه»..

قالت أم سلمة - رضى الله عنها - التى تروى هذه القصة: «فخرجا من عنده مقبوحين مردودا عليهما ماجاءا به، وأقمنا عند النجاشى بخير دار مع خير جار.

وهكذا أخفقت حيلة المشركين، وفشلت مكيدتهم ومؤامرتهم، ولكن هل استسلم كفار مكة للأمر الواقع وتركوا محمدا ﷺ يباشر دعوته فى حرية وامتنعوا عن تعذيب المسلمين وإلحاق الأذى بهم؟ كلا وكلا وكلا، لقد ازدادوا عداوة لمحمد ومَنْ آمن به، وصمموا على محاربة الدعوة بشتى الطرق وبكل الأساليب ولو أدى ذلك إلى قتل محمد ﷺ.

ولكن هيهات هيهات:

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[٧]

فقد أمر الله رسوله بالهجرة من مكة إلى يثرب التى يحتفل المسلمون بمناسبتها فى أول كل عام هجرى، والتى كانت سببا فى اندحار الشرك فى النهاية، وإعلاء راية التوحيد.

(٧) الأنفال (٣٠).

كعب بن زهير وبردة النبى صلى الله عليه وسلم

للأستاذ الدكتور/ عبدالحليم حفنى

وكعب هو: كعب بن زهير بن أبى سلمى صاحب أشهر قصيدة فى الإسلام، وهى قصيدة البردة التى صاحبت دخول كعب الإسلام، وإسلام كعب وإن لم يخل من بعض الغرابة فى ملابساته الاجتماعية إلا أنه لم يكن غريبا من الناحية النفسية، وذلك أن كعبا تربى فى بيت يشع فيه الإيمان رغم الجاهلية من حوله، فقد كان أبوه زهير يحمل نزعة الإيمان بالله واليوم الآخر مع أنه عاش ومات فى الجاهلية، ومن المعروف أن زهيرا كان أحد أفراد قلائل من الشعراء الذين كان صيتهم يتردد صداه فى كل أنحاء الجزيرة العربية، وخصوصا أصحاب المعلقات الذين اتفق العرب على أنها أجود قصائد الشعر العربى، وكان زهير من أبرز أصحاب المعلقات، ولكن تميز زهير بن أبى سلمى لم يكن فى الشعر فحسب، وإنما كان أيضا فى مجال أنذر وأضيق وهو مجال الإيمان الدينى، الذى يتركز فى الإيمان بالله وباليوم الآخر، فقد كان الاعتقاد السائد فى المجتمع العربى قبل الإسلام إنكار البعث والحساب، والقرآن الكريم يعبر عن ذلك كثيرا كقوله تعالى:

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[١]

بل كانوا يسخرون أشد السخرية ممن يقول بالبعث، وقد تكرر هذا فى القرآن كثيرا كقوله تعالى عنهم:

﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾[٢]

وأما الإيمان بالله فى المجتمع الجاهلى فلم يكونوا يعرفون منه إلا لفظه فحسب، فهم يعرفون الله وأحيانا يحلفون به، ولكنهم لم يكادوا يعرفون عن حقيقته شيئا، بل كانوا يتمثلونه فى أصنامهم ومعبوداتهم المرئية، أما زهير بن أبى سلمى فقد كان أحد أفراد قلائل يعرفون الله معرفة حقة، أو قريبة من الحقيقة، وكان يعلن ذلك فى شعره، كقوله عن الله - سبحانه - وعن البعث والحساب:

(١) الجاثية (٢٤) (٢) الصافات (١٦)

فــلا تكتُمُنَّ الله مــا فى نفوسـكم

ليــخفى ومـهـمــا يُكْتم الله يعلم

يؤخَّرْ فـيوضع في كتـاب فَيُدَّخَرْ

ليــوم الحســاب أو يعــجَّلْ فــيُنْقم

فهو فى البيت الأول منها يؤكد أن الله يعلم كل خافيه مهما حاول صاحبها كتمانها، وعلم الغيب من أخص صفات الله التى لم تكن فى الجاهلية موضع حديث أو تفكير، وفى البيت الثانى يؤكد زهير إيمانه بالبعث وأن الله لابد أن يحاسب على كل عمل ويجازى عليه، إما فى الدنيا وإما فى الآخرة، بل إن حديث زهير يوحى بأن الله سيحاسبهم على ما يكتمونه فى نفوسهم، وذلك فى سياق دعوته بنى عبس وبنى ذبيان إلى الصلح وإضمار الخير، قائلاً: فإن أضمرتم الشر أو الغدر فإن الله يعلمه مهما حاولتم كتمانه وإخفاءه، ولابد أن يحاسبكم عليه، إما عذابا فى الآخرة، وإما انتقاما فى الدنيا، ولو أن مؤمنا فى الإسلام مهما يبلغ إيمانه، بل لو أن داعيا إلى الله فى الإسلام يريد أن يدعو إلى الصلح فمهما يبلغ فلن يحتاج فوق دعوة زهير إلى مزيد.

ومن نحو هذا نعلم أن زهيرا كان مؤمنا عميق الإيمان بالله رغم الجاهلية من حوله، حيث لاشك فى أن زهيرا مات قبل الإسلام ولو بسنة واحدة وإذن فلم يكن غريبا أن يكون الذين تربوا فى بيت زهير يعلمون هذا الإيمان، ويحملونه أويحملون قدرا كبيرا منه، ومن الذين تربوا فى كنف زهير أبناه بجير وكعب، فأما بجير فقد كان أقرب وأسرع إلى الإسلام حين بلغته دعوته، فترك قبيلته مزينة وأسرع إلى المدينة ليستضئ، بنور نبى الإسلام ﷺ ويحظى بالحياة فى رحابه، وأما كعب فقد أثقلته موروثات الجاهلية، وصده عن الإسلام فى بادئ أمره ما صد أئمة الكفر وسادة القبائل، من أن نفوسهم تأبى أن تنسلخ من أمجادها، وتنزل من عليائها، ليصبح الواحد منهم مجرد تابع لمحمد القرشى فى زعمهم، وكان كعب قد بلغ من المجد الأدبى بين القبائل أن أصبح أحد أشهر شاعرين بين العرب، ثانيهما الحطيئة، فكيف يخلع هذا الثوب البالغ الرفعة من المجد والحسب والتراث؟ ومن أجل ذلك نشب بينه وبين أخيه بجير خلاف عميق رغم حرص كل منهما الواضح على صلة الرحم، ودارت بينهما مراسلات عتاب ولوم، وبوصفهما شاعرين كانت رسائلهما بالشعر، فقد أرسل كعب إلى أخيه بجير رسالة غاضبة ساخطة على أنه تخلى عن دين أبيه وأسرته، واتبع محمدا الذى يقول عنه كعب ما قاله عنه أعداء الله من أنه ساحر يسلب من يستمع إليه عقله ووعيه لينساق وراءه كأنه سكران، ويؤكد كعب لبجير أن محمدا الملقب بالمأمون ظل يسقيك من سحره حتى أفقدك عقلك ووعيك فاتبعته، فيقول فى رسالته إلى بجير:

من مُـبْلغٌ عنى بجيــرا رســالة

فهل لك فيمـا قلت بالخيف هل لكا

شربت مع المأمون كـأسـا رَوِيَّةً

فــأنهلك المأمــون منهــا وَعَلَّكا

وخالفت أسباب الهدى واتبعته

على أى شئ وَيْبَ غيــرك دلكا

على خلق لم تُلْفِ أمــا ولا أبا

عليــه، ولم تُدرِك عليــه أخــا لكا

فإن أنت لم تفعل فلستُ بآسف

ولا قــائل إمَّــا عــثرتَ لَعــاً لكا

والنَّهَل فى البيت الثانى يعنى أول الشراب والعَلُّ تكرار الشراب، وإذا كان شارب الخمر لا يسكر من الكأس الأولى وهى النهل، فلا بد أن يسكر من تكرار الشرب المتوالى، وهو العَلّ، فكعب يقول لبجير إنك لم تكتف بالكأس الأولى من محمد، بل ظللت تشرب، مما يعنى فى عرف الشاربين أنه لابد فَقَدَ وعيه من السكر، ولكن كعبا يختم رسالته إلى أخيه بتهديد قاس هو قطع كل علاقة بينهما إذا لم يرجع عن الضلال الذى اتبعه إلى الهدى الذى كان عليه آباؤه فى زعمه، حتى يصل الأمر إلى أن بجيرا لو عثر فلن يقول له كعب كما يقول أى شخص للآخر (لعاً لك) وكانوا إذا عثر شخص يقولون له (لعاً لك) مما يعنى الدعاء له بالسلامة فى العثرة.

ومن هذا نتبين أن رسالة كعب كانت بالغة الخطورة فى أثرها الاجتماعى ضد الإسلام وضد شخص النبى ﷺ من حيث إنها لابد أنها ستسهم بقدر كبير فى التنفير من الإسلام حينذاك، خصوصا لشهرة كعب وشهرة أبيه اللذين كانت الركبان تتلقف شعرهما لتتنقل به بين القبائل.

وعندئذ أحس بجير بالخطر المحدق بأخيه كعب، فقد كان الشعر أخطر وسيلة يحارب بها ضد أى شئ عند العرب، ولخطورة الشعر ضد انتشار الدعوة الإسلامية أمر النبى بقتل بعض الشعراء وهم ضمن الذين أمر بأن يقتلوا ولو كانوا متعلقين بأستار الكعبة، لأنهم حاربوا الإسلام ونبيه بشعرهم، وبعض آخر من الشعراء استطاعوا حين أحسوا بالخطر على حياتهم أن يهربوا فى كل وجه من الأرض، مثل هُبَيْرة بن أبى وهب، وعبد الله بن الزِّبَعْرى، وكعب بن زهير بصيته الذائع، وشاعريته الكبيرة كان أخطر على انتشار الدعوة الإسلامية من هؤلاء الشعراء جميعا، وبجير يعلم ذلك، ويعلم بل يتوقع أن النبى سيأمر بقتل كعب بعد أن علم النبى برسالة كعب من بجير نفسه، وحينئذ فلن يكون الأمر فى حاجة إلى أن يرحل أحد من المدينة ليقتل كعبا فى مزينة، بل إن الإسلام فور فتح مكة انتشر فى كل القبائل ومنها مزينة، فالمسلمون فى قبيلة مزينة سيقتلون كعبا حين يبلغهم أمر النبى بقتله، فعندئذ أخذت بجيرا عاطفة الرحم بأخيه كعب فأرسل إليه رسالة شعرية يحذره وينصحه بأن يترك العزى واللات وغيرهما من معبودات الجاهلية، ويؤمن بالله وحده، وتلك هى وسيلة النجاة الوحيدة مما ينتظره من هلاك لا مفر منه، فيقول:

من مُـبْلغٌ كـعبـا فهل لك فى التى

تلوم عليــهــا باطلا وهى أحــزم

إلى الله (لا العزى ولا اللات) وحده

فـــنجـــو إذا كـــان النجـــاء وتُسْلَم

لدى يوم لا ينجـــــو وليس بمفلت

من الناس إلا طاهر القلب مُـــسْلم .

فـــدين زهـيــــر وهو لا شئ دينُه

ودين أبى سُلْمى علىّ مُـــحـــرَّمُ

ومع ما يتوقع من إثارة هذه الرسالة للفزع فى نفس كـعـب إلا أن الواقع فى المجتمع كـان أشد إثارة للفزع فى نفســه، فإن القبائل العربية فى كل أرجاء الجزيرة ما إن سمعت بأن قريشا استسلمت لمحمد فى فتح مكة حتى اندفعوا إلى الإسلام كما يصور القرآن الكريم ذلك فى قوله تعالى:

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣ ﴾[٣].

وقـبـيلة مـزينة كـانت أقـرب إلى مكة من غيرها، فكانت بطبيعة الحال أشد اندفاعا إلى الإسلام من غـيرهـا، ورسالة بجير إلى كـعـب كانت بعد فتح مكة، ويحددها الرواة بأنها كانت عند انصراف النبى من الطائف عقب غزوة حنين، ومعنى ذلك أن كعبا وجد نفسه حينئذ محاطا بالمسلمين من كل وجه، وهو الذى انتشر شعره بالصد عن الإسلام وهجاء نبى الإسلام ﷺ وأغلب الظن أنه فكر حينئذ فى أن يلجأ إلى ذوى الجاه والقوة من رؤسـاء القبائل الذين يعرفون قدره وقدر أبيه زهير بن أبى سلمى ليحموه من وعيد محمد وبطش المسلمين، ولكنه وجدهم جميعا حينئذ إما قد أسلموا، وإما خائفين من محمد مثل خوفه، فلم يجد مخرجا أو منقذا قط إلا إلى الله ورسوله كما قال له بجير بالضبط فى رسالته، وهو يشير إلى هذا فى قصيدته بقوله:

وقـــال كل خليل كنتُ آمُلُه

لا أُلهينَّك إنى عنك مشـــغـول

فـــقلتُ خلُّوا ســـبيلى لا أبالكمْ

فكل مـا قـدَّر الرحمنُ مَـفْعـول

ولا شك أنه لم يكن يعلم هل سيـقـبله الرسول أم يصر على قتله؟ بل أخطر من ذلك هو لا يدرى هل سيتركه المسلمون يصل إلى الرسول حيا وهم أصبحوا منبثين فى كل مكان يجتازه ؟ وقد كان كعب بالغ الدقة فى تصويره أو تصوره لمعاناته وخوفه فى أثناء رحلته من قبيلته إلى المدينة المنورة حيث يقول :

مـازلت أقـتطع البيـداء مُـدَّرعـا

جنح الظلام وثوب الليل مـــسدول

فهو يصور كان حذره وخوفه يجعل كل خطوة يخطوها كـأنها اقـتطاع يقـتطعه من الصحراء التى اختار لها اسم البيداء إيحاء بالإبادة والهلاك، ومن أجمل التصوير قوله مع أنه حرص على أن تكون الرحلة فى ظلام الليل المسدل عليه إلا أن ذلك لم يكن كافيا للمبالغة فى تستره وتخفيه، فنسج من الظلام درعا

(٣) سورة النصر.

لبسها فوق ظلام الليل ليكون أشبه بتعبير القرآن:

﴿ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾[٤].

وذلك فى قوله: (.. مدَّرعا جنح الظلام وثوب الليل مسدول).

وبعد أن أعد كعب قصيدته التى أنشأها قبل أن يرحل، وقد يكون نسقها أو أكملها فى أثناء الرحلة، وبعد هذه الأهوال من المخاوف التى اجتازها استطاع أن يصل إلى المدينة، فلجأ إلى أحد معارفه من المسلمين من قبيلة جهينة، فغدا به إلى مسجد رسول الله فى صلاة الفجر حتى لا يعرفه أحد، وهناك أشار لكعب إلى رسول الله، وبعد أن صليا مع النبى قام كعب وجلس بين يدى النبى، والنبى لا يعرفه، فقال يا رسول الله إن كعب بن زهير جاء يستأمن منك تائبا مسلما، فهل أنت قابل منه إن جئتك به ؟! قال نعم، قال أنا يا رسول الله كعب بن زهير، ولكن أحد الأنصار ما إن سمع اسم كعب الذى هجا النبى وصد الناس عن الإسلام حتى وثب يقول يا رسول الله دعنى أضرب عنق عدو الله، فقال ﷺ: «دعه عنك فإنه قد جاء تائبا نازعا».

وألقى كعب قصيدته المشهورة التى مطلعها:

بانت سـعـاد فقلبى اليـوم متـبـول

مـــتـيم إثرها لم يفـــد مكبـــول

وبلغ من رضا النبى ﷺ حينئذ عن كعب وعن قصيدته أن منح كعبا بردته مكافأة له، وأهم من المكافأة أن تكون إعلانا عن عفو الرسول عنه وحمايته له، وبقيت بردة النبى ﷺ مع آل كعب حتى اشتراها منهم معاوية بعشرين ألف درهم، وما أبخسه من ثمن لبردة سيد البشر، وقد سميت هذه القصيدة قصيدة البردة، التى كانت فيما بعد مددا فياضا لكثير من الشعراء نهجوا نهجها فى مدح النبى ﷺ: ومن أشهرهم فى القديم البوصيرى، وفى الحديث أحمد شوقى.

والقصيدة فى مضمونها الموضوعى كالطابع الغالب على الشعر القديم كله تعد بيانا وتقريرا وافيا عن نفسية الشاعر والملابسات المحيطة به عندما قالها، وليست محض خيال أو صياغة شعرية كما يتوهم البعض، فالشاعر يجعل المقدمة تعبيرا عن الأمنية المسيطرة على نفسه وهى أن يحظى بعفو النبى ﷺ عنه وبرضاه، وجعل سعاد رمزا لها، ولكن هذه الأمنية بعيدة المنال كبعد سعاد حبيبته التى أمست بأرض لا تبلغه إياها إلا النوق العتاق النجيبات، ولو كان بعد الشقة بينه وبينها هو كل العقبة لهان الأمر، فها هوذا قد ركب الناقة ذات الفضائل العديدة فى صفاتها والتى تستطيع أن توصله إلى محبوبته، ولكنه يجد عقبات أخرى أشد وأخطر، تتمثل فى هؤلاء الغواة الذين يسعون

(٤) النور (٤٠).

بالوشاية به ونشر الأقاويل عنه عند النبى، ومن ذلك قوله :

تسعى الغواة جنابيها وقولهم

إنك يا ابن أبى سلمى لمقتول

ويقول :

لا تأخذنّى بأقوال الوشاة ولم

أذنب ولو كثرت فىّ الأقاويل

وفى خضم هذه المخاطر التى تحيط به، والأهوال التى تحدق بحياته يجد فى نفسه من الإيمان الذى تربى عليه رغم جاهلية البيئة، ورغم أن القبائل التى كانت تطلب ود زهير ثم ابنه كعب، ورؤساؤها الذين كانوا يتنافسون فى أن يحظوا بقربهما، كل أولئك انفضوا عن كعب حينما أصبح عدوا لنبى الإسلام، قائلين كما تصف القصيدة :

وقال كل صديق كنت آمله

لا ألهينك إنى عنك مشغول

رغم ذلك كله فإن كعبا يعتصم بإيمانه الذى شب معه فى كنف زهير قائلا :

فقلت خلوا سبيلى لا أبالكم

فكل ما قدر الرحمن مفعول

وهكذا نجد كل ملابسات موقف كعب ماثلة فى القصيدة، وكأنها بيان أو (تقرير) تفصيلى عن كل ما يحيط به من حوله، ومن كل ما يشعر به داخل فى موقفه هذا العصيب، ومن أجمل وأدق ما تتضمنه القصيدة أمران :

أحدهما الدلالة النفسية لمطلعها وهو حديث سعاد، التى جعلها رمزا لأمنيته التى ترتبط بها حياته نفسها وهى أن ينال عفو النبى عنه، فقد تضمن هذا المطلع كل خواطره، وكل ما يتأرجح فى نفسه من عوامل التذبذب بين الأمل واليأس والخوف، فالأمنية مسيطرة عليه سيطرة الحب على المحب، والأمل يدفعه إلى تتبع أثرها مهما بعدت الشقة واحتاجت إلى راحلة نادرة المثال، ولكن هذا الأمل لا يصفو وإنما تعترضه نوبات من الشك أو اليأس، فأما الشك فيتمثل فى تردد سعاد بين الوفاء بالوعد والتنصل منه كما تتلون الغول فى عدة أشكال وألوان تظهر بها فيما تصوره أساطير البادية وخيالاتها، وأما اليأس فهو أن التعامل مع سعاد ينتهى إلى الحكم بأن مواعيدها مواعيد عرقوب التى لا تتحقق أبدا والتى ضربها العرب مثلا للتيقن من خلف الموعد، وإذن فقد كانت مقدمة القصيدة صورة بالغة الصدق والدقة فى التعبير عن نفسية الشاعر وخواطره المضطربة بين الأمل واليأس والخوف والسخط على الذين تخلوا عنه فى محنته الرهيبة، ولم تكن سعاد امرأة حقيقية، ولا زوجا لكعب كما ينحو بعض المتزمتين من شراح القصيدة .

وأما الأمر الثانى مما تتضمنه القصيدة من جمال فهو وصفها البالغ الدلالة مع شدة

الإيجاز لما عاناه كعب فى أثناء رحلته إلى المدينة من قبيلته مزينة، ولن يتضح ذلك كل الوضوح حتى تعلم الملابسات المحيطة به حينذاك، فالروايات تذكر أن هذا الموقف كان عند منصرف النبى ﷺ من الطائف أو من ثقيف، أى أن ذلك كان فى السنة الأخيرة من حياة النبى، بعد فتح مكة والانتصار على ثقيف فى الطائف وما حولها، وحينئذ سيطر الإسلام على جزيرة العرب، ودخل الناس فى دين الله أفواجا، فأعلنت القبائل كلها دخولها فى الإسلام، ومنها بطبيعة الحال مزينة قبيلة الشاعر، وشعر كعب كانت تسير به الركبان، وتتلقفه القبائل، خصوصا حينما يتعلق بأحداث تعنى القبائل، ولم يكن للقبائل حينذاك حديث أهم من حديث النبى ودينه الجديد، وكل ذلك لا يبلغ من الإثارة ما تبلغه أبيات كعب التى هاجم فيها شخص النبى ﷺ ودينه الجديد، فلا شك فى أن هذه الأبيات ستكون أسرع فى تنقلها بين القبائل حينذاك من أى شيء، ولا شك أن الإسلام حين انتشر، بل سيطر على كل القبائل ما كانوا لينسوا أبيات كعب ومساسها بالنبى ودينه الجديد، وكعب أول من يعلم هذا حق العلم، ويوقن بخطورته عليه حق اليقين، وحيث أعلنت القبائل كلها إسلامها واستسلامها للنبى، فمعنى ذلك أن كعبا أصبح يتوجس خيفة من كل شخص يلقاه، وكل شخص أصبح مسلما،

ولنا أن نتصور مدى الرعب الذى يعانيه شخص أصبح يشعر بأن كل الناس من حوله أصبحوا أعداء، وكثير منهم يتنافسون فى الحرص على قتل كعب، ليعلنوا أنهم قتلوا كعبا دفاعا عن النبى، وغيرة على الإسلام لعل ذلك يجعل لهم حظوة عند النبى وعند المسلمين، ولنا أن نتصور مدى الرعب والهلع الذى ينصب على نفس كعب وهو يرحل إلى المدينة لعله ينجو بحياته حتى يصل إلى رسول الله طالبا منه العفو الذى لم تبق له فى الحياة بارقة أمل إلا هو، فهو لا يستطيع أن يرحل فى نهار، ولا أن يظهر لأحد من الناس، لأن كل إنسان يراه، بل كل شبح أو خيال يتراءى له فهو موت محقق أو يكاد، والمسافات لا تقدر بطولها أو عرضها من الأرض، وإنما تقدر بمدى اليسر أو العسر الذى يصاحب اجتيازها، والذى يصاحب رحلة كعب لا يكفى وصفه بالعسر أو المشقة أو الجهد، أو أى وصف مما يألفه الناس من التعبير عن الصعوبة، وإنما يحتاج إلى ما وصفه به كعب فى قوله :

مازلت أقتطع البيداء مُدّرِعًا

جنح الظلام وثوب الليل مسدول

فهو لا يسير فى هذه الرحلة سيرا وإنما يقتطع أرضها اقتطاعا كما يقطع المرء من شيء صلب قطعة قطعة، وهو يسير فى صحراء، ولكنه يختار لها اسم البيداء ليكون فى الاسم

دلالة على ما يلائم معاناته حينئذ، وهو ما يعنى أن هذه الرحلة تقترن بهما الإبادة والهلاك، ثم إن شعوره بأن كل الناس أصبحوا أعداء يجعله يفكر فى الوقاية منهم، وأداة الوقاية والحماية عندهم هى الدرع، والدرع المألوفة رغم صلابتها لا تحقق له الأمن، لأنها إنما تحمى من الطعنات، بينما هو يريد الحماية من الأعين بحيث لا تقع عليه عين إنسان، فلجأ إلى صورة خيالية بديعة، هى أن ينسج من الظلام الكثيف درعا يستتر ويحتمى بها (مُدَّرعا جنح الظلام) ويزيد الشاعر فى إبداعه فيقول إن غيره كان يمكن أن يستتر بالظلام الذى يسدله الليل على الكون، ولكن ذلك لا يكفيه هو، وإنما يحتاج إلى درع خاصة من الظلام ليكون سيره فى ظلام فوق ظلام، مبالغة فى التخفى والاستتار (وثوب الليل مسدول) وكعب يتوقع أنه إن قدرت له النجاة فى الرحلة فسيلقى هذه القصيدة بين يدى النبى ﷺ وحينما يكون عند النبى يكون قد تجاوز الرحلة، ولكنه يصور للنبى أن الرعب الذى عاناه فى الرحلة من شدته وقسوته كأنه مازال ماثلا فى نفسه ولذلك يختار تعبير (مازلت أقتطع البيداء) بدل نحو ظللت أقتطع البيداء.

وإذا كان بعض المسلمين قد بلغت بهم الغيرة على الدين وعلى شخص النبى أن هموا بقتل كعب حين كشف عن نفسه أمام النبى، فإن النبى كان أشد منهم تسامحا وأعظم رفقا، وهو كما وصفه ربه: ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٥) ثم إنه بوصفه إمام المسلمين وقائدهم الدينى والسياسى ماكان ليجعل الإسلام وهو فى مهده يفقد صوتا من أشد الأصوات جذبا للعرب مثل صوت كعب ابن زهير، لذلك عفا عن كعب وقبل توبته وإسلامه، بل منحه شيئا عظيما لم يمنحه لشخص سواه، هو بردته التى حققت لكعب مزيتين كل منهما لا توازن بشئ، ولا يدانيها شئ، إحداهما أنها مكافأة كما يكافأ الشعراء على مدحهم، ولكن أية مكافأة تدانى بردة رسول الله حين يلبسها كعب فيغبطه عليها كل المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها وفى حياة كعب وبعد موته إلى يوم القيامة؟ والميزة الأخرى أن البردة كانت حماية وحصنا يلوذ به كعب من غضب المسلمين واستيائهم مما أسلفه كعب من المساس بشخص النبى ﷺ ودينه الجديد.

***

(٥) التوبة (١٢٨).

الهجرة معركة بين الحق والباطل

للأستاذ/ محمد حسن دراز

تعرض المسلمون فى مكة للاضطهاد، فأنجح الله ـ عز وجل ـ سعى رسوله ﷺ لاتخاذ الأنصار من أهل المدينة، فأمر أصحابه بالهجرة إليها، هاجروا جميعاً إلا من حبس أو فتن، واستبقى ﷺ على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ وأسر إلى أبى بكر بالهجرة، وقد اختار ﷺ موقع الغار جنوبى مكة جهة اليمن تعمية لقريش، وأعلم أبوبكر ابنه عبدالله، وغلامه عامر بن فهيرة، وابنته أسماء، ليأتيهما عبدالله بأخبار قريش، وأسماء تحمل لهما الطعام، والغلام يأتى بالغنم لتمحو آثار أقدامهم. ويستبقى عليه السلام على بن أبى طالب كرم الله وجهه، ليخلف رسول الله ﷺ فى فراشه تعمية لرجال قريش المتحفزين لقتل رسول الله ﷺ، قال تعالى:

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(١)

إن الإيمان دفع عليا ـ كرم الله وجهه ـ أن ينام على فراش رسول الله ﷺ، وسيوف المشركين محيطة به ودفع أبا بكر ـ رضى الله عنه ـ حين وصلا إلى الغار، أن يستمهل رسول الله ﷺ ليستبرئ الغار من سبع أو حية، يقى الرسول الكريم بنفسه.

وعندما تهيئا للرحلة، أتتهما أسماء بنت أبى بكر بما أعدت من طعام، وثبتت فى وجه صناديد قريش، عندما تعرضوا لها بالأذى. قالت: «لما خرج رسول الله ﷺ وأبوبكر ـ رضى الله تعالى ـ عنه، أتانا نفر من قريش، فيهم أبو جهل بن هشام، فوقفوا على باب أبى بكر، فخرجت إليهم فقالوا: أين أبوك يا بنت أبى بكر؟ فقلت: لا أدرى ـ والله ـ أين أبى.

(١) التوبة (٤٠).

فرفع أبوجهل يده ـ وكان فاحشاً خبيثاً ـ فلطم خدى لطمة طرح منها قرطى » بالثبات الفتاة المؤمنة! وبالنذالة الجاهل المشرك، ثم انصرفوا.

تقول الفتاة المؤمنة: «لبثنا ثلاث ليال، ماندرى وجهة رسول الله ﷺ ». تتبع المشركون آثار أقدامه حتى وصلوا إليه، فاضطرب أبوبكر خشية على رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله، لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، فطمأنه ﷺ قائلاً: «يا أبابكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما» ولقد امتدت فروع شجرة بباب الغار حتى غطت مدخله، ونسجت العنكبوت بيتها، وباضت الحمامتان فى مدخل الغار، حتى قال أمية بن خلف ـ أعدى أعداء رسول الله ﷺ: إن هذا الغار أقدم من ميلاد محمد، وما دخله أحد، وانصرف القوم خزايا خائبين، وفى الطريق يدرك سراقة بن مالك أن الركب مر بديار (بنى مدلج) فامر بفرسه ولبس لامته ليطارد محمداً ﷺ فيرده على قريش ليظفر بالجائزة، ولكن الله ـ عزوجل ـ يحفظ نبيه، انطلق سراقة بفرسه، فيعثر ويسقط الرجل عنه، ثم ينطلق به فيعثر، ويسقط عنه، حتى إذا اقترب من الرسول صلوات الله عليه حتى سمع قراءته للقرآن، يعثر به فرسه، وتسوخ قوائمه فى الأرض، ويسقط عنه، فإذا انتزع الفرس قوائمه، تبعها دخان كالإعصار فتأكد أن رسول الله ﷺ محفوظ، وأن دينه ظاهر، فتحول من مطارد إلى مستجير، نادى: أنا سراقة بن مالك، انظرونى أكلمكم، فوالله لا أريبكم، ولا يأتيكم منى شىء تكرهونه، فقال ﷺ لأبى بكر: قل له: وما تبتغى منا؟ قال: تكتب لى كتاباً يكون آية بينى وبينك، فقال ﷺ لأبى بكر: أكتب له يا أبا بكر، فكتب له كتاباً فى رقعة، فجعله سراقة فى كنانته وسكت فلم يذكر من ذلك شيئاً.

ويمر رسول الله ﷺ بخيمة أم معبد فى الطريق القريب من المدينة، يلتمس عندها طعاماً فلا يجد، لأن الجو حار، والأرض قاحلة، والماشية هزيلة ينظر رسول الله ﷺ فيجد شاه فى الخيمة خلفها الجهد، فيستأذن أم معبد أن يحلبها، فتقول: هى دونك، فاحلبها إن كان بها حلب، إنها أجهد من ذلك، فيمسح رسول الله عليه السلام على ظهرها وعلى ضرعها ويسمى الله ـ عزوجل ـ فيمتلىء الضرع، ويؤتى بإناء يعجز الرجل عن حمله، ويشرب القوم وتشرب أم معبد، ثم يحلب فيه حتى يملاه ويتركه لها.

ويأتى زوجها فيجد الحليب فى البيت، فيقول: من أين لك هذا يا أم معبد ولا حلوبة فى البيت؟ فتقول: لقد مر بنا رجل مبارك، وكان من أمره كذا وكذا، فيقول الرجل: ما أظنه إلا ابن عبدالمطلب الذى تطلبه قريش، صفيه يا أم معبد، فتقول: « رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة، حسن الخلق، مليح الوجه، إذا صمت فعليه الوقار، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء، حلو المنطق، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن، أبهى الناس وأحلمهم من بعيد، وأحسنهم من قريب، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظراً، وأحسنهم قداً، له رفقاء يحفون به، إن قال استمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا لأمره ».

صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

دعوة الإسلام إلى توحيد موقف المسلمين تجاه التحديات المعاصرة

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

إن حقائق الإسلام وتشريعاته توحد المسلمين، ولا تفرقهم وأن اجتهادات الأئمة وتعدد الآراء واختلافها - أحياناً - إنما كان فى الفروع لا فى الأصول.. ولم يمنع الإختلاف من وحدتهم وتضامنهم ولم يكن - يوماً - مدعاة للتعصب لرأى دون الآخر..

ولما كان للتشريع الإسلامى هذا المنهج.. فإن من الطبيعى أن تقدر دعوته لتوحيد موقف المسلمين فى كل أمورهم الدنيوية، وفى كل خطاهم وحياتهم، وخاصة تجاه التحديات المعاصرة التى يتعرضون لها.

لقد وضح القرآن الكريم وحدة هذه الأمة:

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾(1).

وفى دعوة الإسلام لتوحيد موقف المسلمين تجاه التحديات يحذر القرآن الأمة الإسلامية من أهم تلك التحديات التى يحاول أعداؤها أن ينشروها بينهم وهى التى تتمثل فى:-

الخلافات بين المسلمين

والخلافات أكبر تحد وأخطر معول هدام يقضى على هذه الأمة، ومن أجل ذلك نرى الاستعمار قبل أن يغادر بعض الدول التى تحررت ترك حدوداً مصطنعة وترك حدوداً تمثل تنازعاً وإختلافاً بين الدول حتى لا تتحد الأمة وحتى تظل فى خلافات سياسية ودولية فيها بينها..

وإلى جانب الاختلاف على الحدود، راح أعداؤنا يضخمون الخلافات الفقهية التى جرت بين العلماء فى بعض المسائل الفرعية، ففى جو الخلاف تضعف الأمة، ويتغلب

(1) المؤمنون (٥٢).

عليها عدوها، وبهذه الخلافات فى الأمور الدينية استطاعوا أن يحدثوا شروخا بين فصائل الشباب المسلم ولا شئ أقسى وأخطر من الاختلاف فى الدين، إنه اختلاف يتهدد دنيا الإنسان بالأخطار، ويتهدد آخرته كذلك، ولذا اعتبره القرآن خروجا عن حظيرة الإسلام:

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾(٢)

والذين يشغلهم الخلاف يهدرون حياتهم دون طائل، ويضيعون أعمارهم من غير فائدة.

ومن بين تلك التحديات ما ينهض به أعداء هذه الأمة من محاولة حصرها فى موقف المدافع، لا فى موقع المنطلق لنشر دعوته، المهاجم بها لكل الأباطيل، وبهذا المخطط الخبيث بث أعداؤنا كثيرا من الشبهات التى تقع تحت حصر ليجعلوا المسلمين فى موقف المدافع عنها وليشغلوهم بها، فانتشرت دعاوى وشبهات حول المرأة فى الإسلام وكون الرجل يأخذ ضعفها فى الميراث، وشبهات أخرى حول تعدد الزوجات، وحول الطلاق، وانتشار الإسلام بالسيف أو بالقوة وكلها شبهات زائفة ولا أساس لها من الصحة، وتعاليم الإسلام ذاتها تحمل الحكم التشريعية العليا، والأسرار الآلهية التى تحمل سعادة البشر وتحمل العدالة والحق والخير فى كل تشريع إلهى محكم.. وليس معنى هذا ألا نرد على تلك الشبهات، بل المراد أن نرد عليها بالقيام بنشر الإسلام وإبراز فضائله ومحاسنه وتشريعاته السمحة التى كانت من أهم الأسباب فى نشر الإسلام واعتناق الكثيرين له عن اقتناع ومحبة.

وهناك تحديات كثيرة عسكرية وسياسية واجتماعية واقتصادية وصحية وثقافية.. وتتمثل التحديات العسكرية فى الاستعمار وغزوه لكثير من البلاد والدول والأقليات الإسلامية.

وتظهر التحديات السياسية فى محاولة نشر المنظمات السياسية التى تفرق الأمة فى تناحر، وخلافات لا تنتهى.

وتظهر التحديات الاجتماعية، فى نشر التعامل فى المجتمع بتلك التقاليد الوافدة فى الأسرة وفى البيئة وفى الزى وفى غير ذلك من المجالات الاجتماعية.

وتتضح التحديات الاقتصادية فى نشر التعامل بالربا ومحاولة تسميته بغير اسمه، ومحاولة استدانة الدول الإسلامية ووقوعها غريقة بالديون التى تضيع معها هيبتها، ويهتز معها قرارها.

(٢) الأنعام (١٥٩).

وأما التحديات الصحية: ففى نشر الخمور وتداولها والمخدرات والسموم البيضاء، وغيرها من المواد التى تقضى على صحتها وعلى عقل كل فرد من أفراد هذه الأمة.

وأما التحديات الثقافية: فتظهر فى الغزو الفكرى الذى يمثل أخطر هذه التحديات، والذى يعمل على تغريب هذه الأمة وتغييب رسالتها التى تقوم بها، وبإيقاف المد الإسلامى إلى الخارج وبضربه من الداخل.

وفى محيط هذه التحديات المتعددة والمحيطة بالأمة من كل جانب تصاب الأمة بالوهن، وتوشك الأمم أن تتداعى عليها بسبب ضعفها وتسبب الخلافات التى تفرق فيها، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ حين قال: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا: أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينتز عن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن، قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا، وكراهية الموت»(٣).

وفى مواجهة تلك التحديات لابد لنا من التمسك

أولا: بالعقيدة الإسلامية، وهى عقيدة التوحيد التى نؤمن فيها بالله ربا وبالإسلام دينا وبسيدنا محمد ﷺ نبيا ورسولا، ونؤمن فيها بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، ويتطابق الإيمان مع العمل.. والتمسك بالإسلام عقيدة يستوجب التمسك به تشريعا ومعاملة وسلوكا وأخلاقا والتمسك بالعقيدة الإسلامية، عقيدة التوحيد، يجعل من الأمة وحدة لا تختلف ولا تتفرق بل تعتصم بحبل ربها، كما قال جل شأنه:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾(٤)

والتمسك بعقيدة التوحيد يجمع الناس ويوحدهم فلا يخرج أحد عن الطاعة ولا يفارق الجماعة: قال ﷺ: «من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية»(٥).

ثانيا: أن نتمسك بالقرآن ونشر تعاليمه، وتطبيق ما جاء به من هداية ومنهج ربانى يهدى إلى أقوم السبل، ولأهمية القرآن الكريم فى توحيد الأمة، وفى إمدادها بالقوة الإيمانية الكبرى، أدرك أعداؤها ما يمثله القرآن من خطر عليهم فقال المستر (غلادستون) وزير بريطانيا الأول وكبير أعمدة الاستعمار

(٣) رواه أحمد وأبو داود.

(٥) رواه البخارى.

(٤) آل عمران (١٠٣).

في الشرق الأوسط: «ما دام هذا القرآن موجودا فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق بل ولا أن، تكون هي نفسها في مأمن».

وقال «سيمون»: «إن الوحدة الإسلامية التي تجمع آمال الشعوب السمر، وتعبر عن أمانيهم هي التي تساعدهم على رفض السيطرة الأوربية والتخلص منها».

ثالثا: لابد من تكوين وحدة إسلامية بين جميع المسلمين، وحين يكون للمسلمين - على الأقل - موقف إسلامي موحد فإنه لن يكون لتلك التحديات سبيل علينا، بل تصبح الأمة الإسلامية أكبر الدول والأمم وأقواها وأعزها.

إن هذه الوحدة المنشودة هي التي دعا إليها الإسلام وأكد الدعوة إليها:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(٦).

ودعا الرسول صلوات الله وسلامه عليه إلى توحيد المسلمين ومعاونة بعضهم فقال صلوات الله وسلامه عليه:

«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ثم شبك أصابعه»(٧).

وإن على المجتمعات والدول الإسلامية أن توحد موقفها وتتعاون لإنقاذ الأقليات الإسلامية، ومواجهة التحديات العالمية وعلى جميع الدول الإسلامية أن تمد يد العون لكل البلاد المحتاجة والفقيرة وتساعد الأقليات، وتخلصها مما يدبره لها أعداء الإسلام، وحتى لا يكون لتيارات الفساد والشر سبيل لها.

ويوم أن تتحد بلاد العالم الإسلامي وتتوحد على هدف منشود تحقق به خيريتها، وتنصر دينها، يوم أن ينصرها الله نصراً مؤزرا، ويمكن لها في الأرض لتقيم شريعة الله في الأرض، مؤكدة صلتها به، ومقوية روابطها بالمجتمع، ومدافعة عن دين ربها، آمرة بالمعروف وناهية عن المنكر.

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾(٨).

---

(٦) الحجرات (١٣).
(٧) رواه البخاري.
(٨) الحج (٤٠، ٤١).

مناهج التجديد المعاصرة

للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومي

إن من خصائص التجديد الإصلاحي في الإسلام أنه لاينفصل بين الدين والسياسة، وذلك عكس مايجري في معظم الجماعات الدينية الكبرى والصغرى معا.

وبذلك يصبح من السهل أن نؤول أعراض الاضطرابات الإسلامية بإعادتها إلى جذر مشترك وهو عدم الانفصام بين الدين والدولة وذلك تاريخ الدولة الإسلامية.

وفي نفس الوقت يعبر عن هوية إسلامية ويعرب عن تميز النهضة الإسلامية عن النهضة الأوروبية التي بدأتها بانفصال الدين عن الدولة وخلفت صراعا عدائيا بين الأصولية الكهنوتية والعلمانية وهي عودة إلى مقولة رومانية وثنية نسبت إلى نبي الله عيسى: ما لقيصر لقيصر وما هو لله فهو لله.

- فالترابط بين الدين والدولة هوية إسلامية.
- والانفصام بينهما مبدأ روماني وثني: تشكل به الغرب.

ومن المبدأ القائل الترابط بين الإسلام والدولة أو القول بالانفصام بينهما تشكلت مناهج المصلحين المجددين.

وتعود حركات التجديد الإسلامي الحديث إلى بدايات القرن الثامن عشر.

- أولى هذه الحركات: هي حركة المصلحين الذين أرادوا ربط الأمة الإسلامية بمثلها الأعلى الإسلامي.
- وثاني هذه الحركات: حركة العلمانيين دعاة فصل الدين عن الدولة وهم الذين احتكوا بالغرب، ولولا التأثير الأوروبي لظل العلمانيون لايؤبه لهم.

أولاً: حركات التجديد والإصلاح الإسلامي:

وقد أدرك المفكرون الإسلاميون الضعف الداخلي والخارجي للعالم الإسلامي، وبحثوا الوسائل لنفخ قوى جديدة في الجماعة الإسلامية وقد وجهت النداءات الأولى شخصيات إسلامية هي:

١ - جمال الدين الأفغانى :

ويقال إنه نشأ فى كابول أو فى ضواحى إيران - وحياته لم تعرف الراحة أبدا.

فقد كان مستشار الترك وشاه العجم والقى دروسا فى الأزهر وفى القاهرة، وقضى عدة سنوات فى الغرب وارتاح فى الأستانة - تركيا.

وكان جمال الدين الأفغانى وهو العالم الإسلامى داعية سياسياً قبل كل شئ ومصلحا إسلاميا احيا موات العقول، لأنه بشر بجميع الوسائل، ليس ضد السيادة الأجنبية فقط بل ضد الملوك المسلمين المستبدين أنفسهم وضد أنظمتهم المتصدعة.

وإذا كان جمال الدين قد أثر تأثيرا غير عادى فى العالم الإسلامى فهو قد أيقظ النفوس أكثر مما دلها على طرق جديدة.

٢ - محمد عبده :

لازمه وزامله وتتلمذ عليه ونجح فى تعميق أفكار استاذه، وذلك بان جعل منها طريقة مذهبية متلاحمة.

وهذه الروح الكبيرة لهذا الرجل الذى كان من أكبر المصلحين فى الإسلام فى العصر الحديث ولد فى قرية من قرى مصر وقد اصطدم بمعارضات كثيرة، أعداء التجديد، وأعداء كل فكرة إصلاحية فاضطر إلى ترك البلاد بعض الوقت - ثم عاد إليها وعين مفتيا للديار المصرية وتوفاه الله ١٩٠٥م بعد مضى تسع سنوات على وفاة جمال الدين.

وإذا كان هذا قد بشر بالثورة كوسيلة لخلاص المسلمين، فإن محمد عبده كان يبث إصلاحا روحيا وسياسيا للجماعة الإسلامية فى رأسها وأعضائها.

وكانت تعاليمهما القاعدة الأساسية لكل حركة إصلاحية جاءت بعدهما ثم تطورت تلك الأفكار الإصلاحية مع كل حركة إصلاحية وانتشرت أفكارهما مع انتشار المراكز الإسلامية وأخذ مفهوم الأمة الإسلامية يطفو على السطح مع مفاهيم «الجامعة الإسلامية» الذى بثه جمال الدين «والسلفية» فى مقابل، الأساليب الغربية أو «المستغربين» وكان يدل هذا الإسم وحده على أن السلفيين لايرون تقليد «أوروبا» وليس الحل الأوروبى هو الوسيلة الوحيدة للإصلاح بل يعتقدون أنهم يجدون فى الإسلام الحل الوحيد الذى يتفق مع المشاكل الحاضرة.

وبقيام المجددين الإسلاميين ضد المفهوم الأوروبى «للأمة» و«القومية» الذى أوجد الخلاف بين الجماعة الإسلامية، فانهم وقفوا موقف المعارضة من «المستغربين» و«العلمانيين».

وهكذا دفع الإمام الشيخ محمد عبده بمسيرة الإصلاح التى بدأها السيد جمال

الدين فدافع بقوة عن حقوق الشعب، ضد الملكية المستبدة، وتحرير المرأة وتعليمها.

وبرغم أن منهج الإمام محمد عبده انطلق سلفيا فإن دعوته إلى تحرير المرأة ليس غربيا إنما هو من صميم الإسلام.

لذلك كانت السلفية لديه القراءة الجديدة للإسلام التى تنحى دونها قيود الأعراف والتقاليد ثم تخلطها بالإسلام مع تقادم العهد وتلك غشاوة تمنع الرؤية إلى الجديد وكان الجدل الدينى الذى احتدم حول تحرير المرأة بين الأزهر والمفكرين الإصلاحيين من المصلحين والمحافظين قد فتح لسواد الشعب الاشتراك فى تلك القضية فأحيا فيه هياجه الحماس طريق العنف والثورة وذلك من أجل تشويه مذهب الإمام ومن يلوذ بآرائه.

وكانت غاية الإصلاح السلفى أن يجعل الجماعة الإسلامية عصرية ولكن دون أن يلحق الأذى بالروح الإسلامية.

وكان التركيز على هوية الجماعة الإسلامية مما لفت نظر المصلحين فى العالم الإسلامى، وتشكلت مدارس الإصلاح وكان من أبرز المدارس الإصلاحية فى الوسط الإسلامى.

٣ - المصلحون الهنود

السير أحمد خان وجامعة عليكرة:

كان الوسط الإسلامى الثقافى الهندى يتميز بالتقوى الإسلامية والمحافظة على هويته الإسلامية، وبسبب الاحتلال البريطانى رفض الوسط الثقافى الهندى الاندماج فى الحضارة الغربية وكره الاحتلال البريطانى برغم أن مسلمى الهند كانوا أقرب إلى أوروبا منهم لأى شعب إسلامى آخر.

واقتفوا منهج الإمام محمد عبده الحر المستنير الذى ينطلق من ركيزتين:

- القرآن والسنة.
- الاجتهاد المثقف بثقافة العصر.

لذلك كان أثره الواضح على المصلحين الهنود بميلهم نحو التأويل الحر المعتدل للإسلام كتأويل النصوص الدالة على تحرير المرأة وهى من القضايا الجديدة أبرزها الاحتكاك بالحضارة الأوروبية وفى نفس الوقت ليست خارجة على الإسلام والابتعاد عن الوقوف المتصلب أمام النصوص.

وكان المحرك الدافع للحركة الإصلاحية الهندية الكبرى: السير سيد أحمد خان الذى عمل موظفا فى الإدارة البريطانية، وكان وراء عائلته تقليد إسلامى طويل غنى، وقد ولد أحمد خان سنة ١٨١٧ وحمل من إقامته الطويلة فى إنجلترا يقينا بأن على المسلمين، إذا كانوا لايريدون البقاء فى أسفل الحائط، أن يختاروا طرق الغرب الفكرية والفنية.

ولكى يعطى أبناء دينه الأدوات الفكرية اللازمة فقد أسس «جامعة عليكرة»

الإنجليزية الشرقية، وكانت طرق التعليم فيها هى طرق جامعتى: أكسفورد وكامبردج نفسها.

ولكى يتجنب النقد العنيف من جانب العلماء المحافظين، المعادين للتجديد، من هذا النوع، فقد اتخذ بعض الحكام المسلمين، الذين هم فوق كل شك من ناحية التجديد كحماة لهذه الجامعة الفنية.

٤ - محمد إقبال:

وكان إنشاء هذه الجامعة على النظام الغربى له أثره فى القضاء على العداوة التى أشعلها جمال الدين ضد إنجلترا.

ويسرت الطريق أمام المصلحين الهنود على عقد أواصر التعاون بينهم وبين البريطانيين.

وبرغم أن الشاعر المفكر السير محمد إقبال، كان متشبعًا تمامًا بالروح الأوروبية، بعد إقامة طويلة فى انجلترا وألمانيا، فإنه لم يكن من أنصار المستغربين.

ولكنه كان يفكر فى إيجاد القواعد الديموقراطية حقيقة للجماعة الإسلامية، ديموقراطية النبى والخلفاء الأربعة الأولين.

وهى نفس الدعوة التى دعا إليها المصلحون المصريون: لذلك جاءت ديموقراطية محمد إقبال قريبة الشبه من المصلحين المصريين.



محمد إقبال

ولقد بصمت الدعوة الإصلاحية التجديدية ببصماتها على المجتمع الهندى الإسلامى فقويت الجماعة الوطنية التى استيقظت وقويت فى الإسلام فى الهند - وشكلت «جامعة عليكرة» النخبة الإسلامية المعاصرة التى تسلمت مقدرات الدولة الباكستانية الفتية.

ويعتبر محمد إقبال، مبشرا بالدولة الإسلامية الجديدة فى الهند:

ولكنه لم يشاهد نجاح أفكاره السياسية، لأنه مات قبل تسع سنوات من تحقيق دولة الباكستان، التى بشر بها إرثا لماض إسلامى كبير.

وأحدث عمل المصلحين، هذا، دويا عظيما فى الطبقات الوسطى وسواد الشعب المسلم.

وهذه الحركة بشكلها: السياسى والاجتماعى، حفظت على الجماعة إسلامها وهويتها ووقفت بحماسها الشعبى للدفاع ضد تأثير الاجتياح الأجنبى.

وتأسست بين سنة ١٩٢٠ - ١٩٣٠ جمعيات إسلامية عديدة يجمعها هدفان:

- النضال ضد النفوذ الأجنبى.
- بعث عظمة الإسلام وماضى الجماعة الإسلامية.

ووفق طبيعة الإسلام فإن الإصلاح إصلاح دينى وسياسى واجتماعى.

ثانيا: العلمانية وحركات الإصلاح:

وإذا كان التجديد الإصلاحى قد سعى إلى التركيز على أن الإسلام هو الطريق الصحيح السليم، فإن هناك فى المقابل حركات إصلاحية، أخرى، تذهب بالعكس إلى تغيير جذرى فى الدستور الإسلامى.

وهذه الحركات تستهدف العلمانية الأوروبية، تلك العلمانية التى اتخذت من مبدأ فصل الكنيسة عن الدولة شعاراً للتنظيم الدولى والاجتماعى فى المغرب.

وقد طبقت فى تركيا وحدها، بين جميع البلدان الإسلامية، العلمانية الكاملة.

وكان مؤسسو تركيا المعاصرة قد نشأوا فى جو الوطنية الأوروبية.

فكمال أتاتورك وضع مقابل النظام الإسلامى نظاما غربيا: فصل الدين عن الدولة فصلا تاما، الأمر الذى جعل من العلمانية مبدأ لايحيد عنه، وغدت تركيا بالمفهوم الكمالى، دولة علمانية.

وكان فصل الدين عن الدولة جذريا فى البلاد الإسلامية الواقعة تحت الاحتلال السوفيتى.

ولكن الأمر هنا لايتعلق بإصلاح حقيقى لسان حال التطور الروحى للشعوب، بل بثورة اجتماعية فرضتها دولة أجنبية.

وحمل بذور العلمانية «المستغربون» فظهرت بوادرها فى غالبية الدول الإسلامية.. وتتابع الصراع بين «المستغربين» وبين المصلحين المجددين.

ومع الصراع الحاد كان الإسلام قد دخل المسرح السياسى والاجتماعى والثقافى وواجه المشكلات التى جدت على المجتمع الإسلامى دون أى تصدع فى قواه بل كان قويا قائدا رائدا وظهر تأثيره على الشعوب الإسلامية أكثر قوة مما كان ظن «المستغربين».

ومازال الصراع يتذبذب بين قطبى التطور الفكرى فى البرلمان.

فى الشارع وفى المؤسسات التعليمية والثقافية إنهما يتصارعان فى قلب المسلم ويتقاذفا الاتهامات: فهذا يتهم ذاك بالرجعية، وذاك يتهم هذا بالجرى وراء الغرب.

***



القوى الدينية فى إسرائيل

بين تكفير الدولة ولعبة السياسة

تأليف

د. رشاد عبدالله الشامى

عرض وتقديم

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

١

من أبرز ما يواجه الدارسين والباحثين.. ذلك التباين الحاد بين عناصر البنية الاجتماعية فى دولة إسرائيل؛ حيث يلاحظ الدارسون والباحثون أن ذلك التباين يكاد يكون خصيصة من خصائص تلك الدولة؛ إذ لم يصادف مثل ذلك التباين فى أية دولة عرفتها البشرية ـ منذ عرفت نظم السياسة ـ فى تاريخها الممتد عبر عصور التاريخ.

وإنما كان التباين فى المجتمع الإسرائيلى حاداً بتلك الدرجة الغريبة؛ لأنه ليس مثل ذلك الاختلاف الفطرى الذى أقام الخالق – جل شأنه – أمر الناس عليه، حيث خلق الناس من ذكر وأنثى، وجعلهم شعوباً وقبائل، ليلتقوا وليتعارفوا فى رحمة تجمعهم على شكر الخالق بطاعته والاستجابة له، والتسليم بأن العمل الصالح هو منشيء الكرامة الإنسانية، ومناط الفضل، على ما نص عليه قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾(١)

فالتباين فى المجتمع الإسرائيلى ناشيء عن اختلاف بينهم فى درجة استهواء العوارض الحبوية لهم، وتمكنها منهم، حتى كانوا الشيء ونقيضه، فكان منهم الطيِّع المستجيب، والفاسق المتكبر بغير حق، المكابر بضلال وتضليل، على نحو ما تكشفه الصورة التى قدمها القرآن الكريم فى قوله تعالى مخاطباً موسى – عليه السلام – حين أبلغه أنه اصطفاه برسالته، وأنه كتب عناصر تلك الرسالة وشرائعها فى الألواح التى دعاه إلى أخذها، وأمر قومه أن يأخذوا بأحسنها، منبهاً إياه إلى أن من قومه من سيُصرف عن آياته تلك:

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾(٢).

وكان من أبرز مظاهر استهواء العوارض الحيوية لجماعات من سفهاء بنى إسرائيل... طلبهم من رسولهم موسى – عليه السلام ـ بعد أن اجتاز بهم البحر بمعجزة من الله لينقذهم من فرعون ـ أن يجعل لهم إلهاً صنماً من مثل أصنام غيرهم، على ما قرره المولى – سبحانه وتعالى – فى قوله:

﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾(٣).

ثم ما كان منهم بعد ذلك، حين استغلوا غياب موسى – عليه السلام – عنهم ـ فى أثناء لقائه ربه ـ واستضعافهم أخاه هارون – عليه

---

(١) الحجرات (١٣).

(٣) الأعراف (١٣٨).

(٢) الأعراف (١٤٦).

السلام- فاتخذوا عجل السامري المصنوع من حليهم إلهاً من دون الله.. حيث استهواهم خواره، كما نبه إليه قوله تعالى:

﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾(٤).

وفي الوقت نفسه الذي انحط فيه الاستهواء بجماعات من بني إسرائيل -وموسى - عليه السلام - مازال بينهم بهداية ربهم -إلى هذا الدرك من السفه والجهل والضلال الوقح.. كان منهم جماعة متوازنة قائمة على الحق، وصفهم القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾(٥).

وظلوا على هذا التباين الحاد الناشيء عن استهواء المقاصد المادية لهم، فكانوا يسارعون في الإثم والعدوان وأكل السحت، على الرغم من وجود موسى وهارون عليهما السلام - بينهما، وعلى الرغم من نهي الربانيين إياهم عن ذلك، ومحاولة كفهم عنه، دون جدوى. بل لقد تجاوزوا كل حدود العقل؛ فتجرأوا على الله، وعللوا عدم تحقيقه رغباتهم بأن يد الله - جل شانه - مغلولة، كما صوره القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ۝ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾(٦).

ولازمهم هذا التباين في مراحل حياتهم، فاستعصوا على اليهودية لما دانوا بها، وتابوا على الاستجابة لمبادئها، ولكنهم جعلوا منها إطاراً يستر حدة تباينهم عن الآخرين، حيث جعلوا منها زياً يخفي ما يضمرون، فاستهانوا بكل ما شرعته لهم اليهودية إذا وجدوا فيه تعارضاً مع رغباتهم، دون اكتراث، ولا مبالاة؛ فلا قيمة لشريعة، ولا كرامة لنبي أو رسول، ولا قداسة لكتاب؛ فالشريعة - باسم اليهودية - تُهدر، والانبياء والرسل - بكل صلف وغطرسة - يُقتلون أو يكاد لهم بما يشوه صورهم، وينحط بهم في مهاوي الرذيلة، والكتاب - بكل وقاحة ضالة - يُزيف؛ ليحققوا به ما يدفعهم إليه ذلك الاستهواء، وهم - مع هذا وذاك - لا يفتأون يعلنون انهم على يهوديتهم، مثل غيرهم ممن يلتزمون باليهودية، ويُجلون الانبياء والرسل، ويحافظون على التوراة من أسباب الزيف والتضليل.

(٤) الأعراف (١٤٨).

(٥) الأعراف (١٥٩).

(٦) المائدة (٦٢ - ٦٤).

البراجماتية إسرائيلية المنشأ

وإنما كان تميز المجتمع الإسرائيلي على هذا النحو من حدة التباين -في جملته- فلم يشبه تباينهم تباين غيرهم من المجتمعات البشرية؛ لأنهم تواطأوا على عدم التسليم بأي قواعد عامة تشملهم وغيرهم، واجتمعوا -أخلاقياً، وفكرياً، وسلوكياً- على عدم احترام أي قانون أو مُقنن، فكل قانون قابل للتغيير حتى لو كان تشريعاً سماوياً، وكل مُقنن قابل للإعدام المادي بالقتل أو المعنوي بالتشويه حتى لو كان نبياً أو رسولاً؛ فالمصلحة الشخصية فوق كل شيء وقبله، فإذا تعارضت معها التوراة غيرت التوراة، واخترع التلمود، أو حرف النص وزيف بالتفاسير والتأويلات... إلخ ذلك، وإذا تطلبت المصلحة الشخصية التخلص من نبي أو المصلح فالوسائل والأساليب فوق الحصر؛ من التصفية الجسدية، إلى تشويه السيرة والسمعة بما ضمنوه كتاب العهد القديم (التوراة) من أكاذيب وافتراءات تسيء إلى الأنبياء والمرسلين، فلا مانع من أن يشتهي رسولهم داود امرأة قائد جيشه فيرسله على رأس الجيش بعيداً لينال منها ما اشتهاه.. إلى غير ذلك مما ملأوا به هذا الكتاب، على نحو ما يصرح به الواقع، وما سجله عليهم القرآن الكريم في نحو قوله تعالى:

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(٧).



فلسفة التعليم في إسرائيل تعتمد المواد العلمية من منظور توراتي

وقوله جل شانه:

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾(٨).

وقوله عز وجل:

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(٩).

(٧) آل عمران (٧٨).

(٨) المائدة (١٣).

(٩) النساء (١٥٥).

فهم إنما تواطأوا على ذلك، واجتمعوا عليه، لإيمانهم بالشخصية الفردية وحدها أساساً للحياة فى مجتمع، وليس العكس، فعلى المجتمع أن يفسح المجال - بقوانينه وتقاليده - ليحقق كل فرد ما يريد، وينال ما يرغب فيه، وإلا فلا قيمة لتلك القوانين، ولا سلطان لتلك التقاليد؛ على ما تبثه (البراجماتية) اليوم فى أمريكا، حتى ساد الحياة فيها، وانطلقت قياداتها تبشر به فى العالم الحديث.

من هذا الخليط.. تكون المجتمع الإسرائيلى اليهودى، حيث ضم من هؤلاء وهؤلاء، فكانوا كما وصفهم القرآن الكريم فى قوله تعالى:

﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾(١٠).

وهكذا.. انعم مجتمعهم بالعداوة التى لا نهاية لها، واشتد بين عناصره الصراع الدائم، على نحو ما صوره القرآن الكريم فى قوله تعالى:

﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾(١١)

وواصلوا رحلتهم - على هذا النمط - مع الحياة فى كل موطن ينزلون به، لا يفترق الخلف عن السلف إلا فى الشكل والأسلوب، سواء حطوا رحالهم فى أوروبا - شرقاً أو غرباً - أو حطوها فى آسيا، أو نزلوا فى أفريقيا، أو استقروا فى أمريكا - شمالاً أو جنوباً - دون أن يلفت ذلك أنظار كثير من الباحثين، حتى إذا انتزعوا من أرض فلسطين ذلك القطاع الذى أقاموا فيه - بالقهر والمكر - دولة تضمهم، وأقاموا فيها نظاماً دولياً.. ظهرت أمارات التباين الحاد بين عناصر هذا المجتمع الإسرائيلى اليهودى من جديد.

المجتمع الإسرائيلى فى دولة إسرائيل

ولقد حاول الأستاذ الدكتور رشاد عبدالله الشامى أن يقدم صورة لأبعاد هذا المجتمع الناشىء، بعد بروزه على الصعيد الدولى بنحو خمسين عاماً، فقدم دراسته التى تعرض لها اليوم فى هذه السلسلة التحليلية النقدية، تحت عنوان: (القوى الدينية فى إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة).

أما الباحث فهو الدكتور رشاد عبدالله الشامى، أستاذ ورئيس قسم اللغة العبرية وآدابها بكلية الآداب جامعة عين شمس.

وأما الكتاب فهو واحد من سلسلة (عالم المعرفة)، يحمل رقم (١٨٦)، من إصدارات المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت، وقد صدر فى ذى الحجة ١٤١٤هـ يونيو ١٩٩٤م.

وقد أصدر الدكتور الشامى قبل هذا الكتاب عشرة كتب، دارت جميعها فى المحور اليهودى، على ما ذكر فى ذيل هذا الكتاب.

---

(١٠) الحشر (١٤).

(١١) المائدة (٦٤).

والكتاب يضم ثمانية وستين وثلاثمائة صفحة من القطع المتوسط، تحتوى على أربعة أبواب ومقدمة، تتبع فيها الدكتور العلاقة بين الصهيونية واليهودية، ومكان الدين من دولة إسرائيل، مستنطقاً - فى ذلك - الواقع السلوكى والفكرى فى المجتمع الإسرائيلى، على تباين صوره، واختلاف توجهاته؛ أفراداً وجماعات، وطوائف وأحزاباً.

والدكتور الباحث - فى سبيله إلى جمع عناصر تلك الصورة الكاشفة التى تعرف بأبعاد المجتمع الإسرائيلى، وطبيعة العلاقة بين تلك العناصر - تحمل أعباء الغوص وراء الجذور الإسرائيلية لكل جماعة أو طائفة أو حزب، كما تحمل أعباء البحث وراء الأغصان المتشعبة التى نشأت عن تلك الجذور، وتتبعها فى تلافيفها المعقدة، مستقرئاً فى ذلك الواقع الحيوى، حتى يوفر للصورة المقدمة أكبر قدر من الصدق والوضوح.

ولهذا.. اضطر الدكتور إلى أن يتعرض لكثير من التفاصيل التى تتعلق بتاريخ - أو جذور - نشأة الأحزاب والقوى الدينية فى إسرائيل، والتى تتناول العقائد التى تؤمن بها تلك الأحزاب والقوى الدينية، والتى تتناول الأفكار التى تتبناها، والصراعات الدائرة بينها وبين القوى العلمانية فى الدولة من جهة، والحروب الناشبة بين الحاخامات بعضهم مع بعض.. تلك التى تصل إلى حد التشهير، وتكفير كل منهما الآخر.

الصهيونية بين الشرق والغرب

فى الفصل الأول من الباب الأول (إشكالية العلاقة بين الصهيونية واليهودية) أشار الدكتور - معتمداً على آراء طائفة من المفكرين الإسرائيليين - إلى أن الصهيونية نشأت فى بيئتين مختلفتين، لكل منهما سماته وخصائصه التى تميزه، وتباعد بينهما.

١- أما البيئة الأولى.. فكانت بيئة اليهود الخارجين من أسوار (الجيتو) فى أمريكا وغرب أوروبا الذين استجابوا لرغبة الانعتاق والتخلص من التقاليد اليهودية، والخروج على الإطارات التقليدية لحياة اليهود، والذين استسلموا تماماً للانصهار بين الشعوب الأمريكية والأوروبية، حيث أصبحت الصورة المثلى أمامهم.. هى أن يكونوا شعباً على غرار الشعوب التى انصهروا فيها.

وهؤلاء.. لم تكن الفكرة الصهيونية عند أى منهم مرتبطة بتطلعات للعودة إلى صور الحياة التقليدية لليهود، ولم يجيبوا عن المشكلة اليهودية وفقاً لأنماط السلوك المعاصرة الخاصة بالشعوب التى عاشوا بينها.

وهذا يعنى: أن الجمهور اليهودى انقسم - خلال فترة قصيرة - بين أولئك الذين يحرصون على الشرائع الدينية، وأولئك الذين لا يحرصون عليها.. ولم تستطع فكرة (العهد بين الله وشعبه المختار) أن تظل راسخة بين أولئك الذين تبخر الأساس الدينى فى يهوديتهم.

وهكذا.. جاء مؤسسو الصهيونية من بين صفوف اليهود العلمانيين المتصهرين، الذين سعوا إلى طرح حل علمانى ـ دولة يهودية ـ لتلك الطائفة الجديدة، بهدف خلق مجتمع مثالى متميز؛ عن طريق التسامح، والعدل الاجتماعى بواسطة كسب العادات الدولية نفسها التى تتيح إقامة فنادق إنجليزية فى مصر، وعلى رءوس الجبال فى سويسرا، ومقاه فيينائية فى جنوب أفريقيا، ومسارح فرنسية فى روسيا، وأوبرات ألمانية فى أمريكا، والبيرة البافارية ـ المشهورة بأنها أفضل الأنواع فى العالم ـ فى باريس.

٢ـ وأما البيئة الثانية فكانت بيئة اليهود فى شرق أوروبا، حيث تم اقتحام (حدود الاستيطان اليهودى) ـ وتطلق على المناطق التى كان يقيم فيها اليهود فى روسيا ـ عن طريق عدد آخذ فى الازدياد من الشبان اليهود الذين تمردوا على عالمهم القديم، ورفعوا راية التمرد ضد المؤسسة الحاخامية، ثم توجه جزء من جهد هؤلاء الشباب وإمكاناتهم الديناميكية إلى الحركات الثورية صاحبة البشرى الاشتراكية والعالمية.

وقد صاحب هذه الثورات الرافضة اضطرابات ومذابح، وصلت ـ بعد مقتل القيصر (الكسندر الثانى ١٨٨١) ـ إلى أبعاد هزت الطبقة المثقفة اليهودية من الأعماق، ودفعتها بقوة إلى الحركة الصهيونية.

وإلى هذا.. اختلف اليهود فى هذه البيئة عنهم فى البيئة الأولى؛ فى أن الاحتياطى اليهودى الكبير الذى سوف تستقى منه الحركة الصهيونية عنفوانها وقوتها فيما بعد.. لم يكن المعبد لديهم عبارة عن ذكرى طفولة كئيبة، بل واقعًا تصارعوا معه، ولم يقدروا عليه؛ فقد كانت الثقافة اليهودية معروفة بالنسبة لهم ـ بكل أبعادها، وتعبيراتها، وصلواتها ـ ولم تكن اللغة العبرية لغة غريبة على آذانهم، وكانت (اليديشية) ـ وهى اللهجة التى كان يستخدمها يهود شرق أوروبا فى ألمانيا الجنوبية ـ هى لغة غالبيتهم، وكانت فلسطين بالنسبة لهم هى مراد كل أولئك الذين لم ينسوا ما تلقوه من دراسة فى فترة طفولتهم.

وهذا يوضح مدى عظم الفرق بين يهود الشرق ويهود الغرب فى القضايا الأساسية للصهيونية.

فبالنسبة للصهيونى فى شرق أوروبا كانت مشكلة (ماهية اليهودى) قضية تحظى باهتمام خاص.

والحقيقة.. هى أن صهيونية شرق أوروبا لم تكن ذات توجه واحد؛ حيث نشبت داخلها خلافات حول معظم القضايا؛ فقد جاء من شرق أوروبا رجال (اليسار الصهيونى)، وكان من بينهم من نظر إلى الصهيونية باعتبارها الطريق اليهودى نحو الثورة العمالية، ومن هناك.. جاء أيضا رجال الثورة العملية (مؤسسو الاستيطان وبناء الدولة) وجاء رجال (المركز الروحى)، وجاءت (الصهيونية الدينية)، وكذلك التيار العلمانى المعروف

الذى كفر بكل ما هو مقدس لدى المؤمنين بالدين اليهودى.

وهكذا.. انقسم صهيونيو الشرق بين الإقليميين ـ الذى كانوا يرون أن حل ضائقة اليهود فى أى مكان متاح، هى القضية العاجلة التى تقدم على قضية (العودة إلى صهيون) ـ وبين أولئك الذين قدسوا اسم فلسطين قولاً وعملاً، وكان من بين صفوفهم أنصار (هرتزل) ومواصلو طريقه من ناحية، ونقاده وأعداؤه العنيفون من جهة أخرى.

أى إن يهود الشرق اندفعوا مباشرة من التقاليد اليهودية المنغلقة إلى عالم الثورة من ناحية، وإلى الصهيونية من ناحية أخرى؛ فكان الصدام مع المؤسسة الحاخامية، ومع التقاليد اليهودية فى شرق أوروبا متناقضًا تمامًا مع ذلك الهدوء الذى ميز اليهود المتصهرين فى فرنسا، وإنجلترا، وألمانيا، والنمسا، وهنغاريا.

الصهيونية بين الدين والسياسة

ويذكر الدكتور الشامى: أن النتيجة التى ترتبت على تلك المفارقة الصهيونية.. هى أنه لم يكن كافياً بالنسبة للصهيونيين من شرق أوروبا.. نقل النموذج البعيد الأوروبى الغربى إلى المجتمع اليهودى الجديد؛ لأن مسألتى المضمون والهوية كانتا على رأس اهتماماتهم؛ فكان الفارق واضحاً بين الصهيونية الغربية الهرتزلية ـ التى تسعى إلى نقل أوروبا الليبرالية مع يهودها إلى منطقة إقليمية ـ وبين الغالبية العظمى من صهيونيى الشرق الأوروبى، الذين تصارعوا مع التقاليد، والذين سعوا إلى هدم المجتمع اليهودى القائم على المؤسسات الدينية، وتقديم بشرى اجتماعية جديدة عن طريق هجرة اليهود إلى فلسطين.

فتصور عدد من أوائل المفكرين السياسيين للصهيونية ـ اعتباراً من هرتزل ـ: أن الدولة اليهودية لن يكون لها اهتمام باليهود خارج حدودها؛ لأنها سوف تطور لنفسها هوية قائمة بذاتها مع الارتباط بمرحلة سابقة من الثقافة اليهودية أو ما قبل اليهودية.

أما الصهيونيون الدينيون فقد أملوا فى: أنه عن طريق العودة إلى الوطن اليهودى، وإقامة مجتمع يكون يهوديًا خالصًا.. سوف تتلاشى آليًا كل الأمراض التاريخية التى التصقت بالشخصية اليهودية، وكانوا يأملون فى إعادة بناء طائفة يهودية ـ فى فلسطين ـ لا تتعرض لتأثيرات الاندماج. والإصلاح الدينى.

وقد طرح الصهيونيون الدينيون بدلاً من الانعتاق السياسى ـ الذى يعنى الاندماج ـ انعتاقًا ذاتيًا، أى اتجاها نحو التحرير الداخلى يعيد إليهم طابعهم الدينى الأصيل، بالإضافة إلى إعادة الاستقلال السياسى لليهود.

وحينما واجهت الصهيونية العلمانية معضلة التوجه إلى الصهيونيين الدينيين، كان عليها أن تجد حلاً بربط جسور التفاهم ـ فى النظرية الصهيونية ـ بين إصرار يهود شرق

أوروبا على الارتباط بكل ما هو وارد في العهد القديم بشأن (شعب الله المختار)، و(الوعد الإلهي)، و(الحق التاريخي)، وغيرها من الادعاءات التي رسخت في الوجدان الديني اليهودي عبر العصور.. وبين الاتجاه العلماني في الحركة الصهيونية الذي نحا منحى القوميات الجرمانية والسلافية.

لذلك.. اضطرت الصهيونية العلمانية إلى وضع الرموز والأشكال الدينية اليهودية التي جردت من محتواها الأخلاقي في خدمة القومية اليهودية.

وهكذا.. فإن الصهيونية ـ على الرغم من رفضها لليهودية ـ سعت إلى اكتساب الشرعية، وتجنيد الجماهير باستغلال النزوع اليهودي لتضفي على نفسها صبغة دينية، ولتظهر كأنها امتداد لليهودية، وليس نقيضاً لها؛ فتبنت الأفكار والرموز الدينية المألوفة لدى الجماهير، وحولتها إلى رموز وأفكار قومية، في صياغة شبه دينية.

وقد وضح ذلك المسعى في العمل على إعطاء تفسير جديد للتاريخ اليهودي، وجعله ذا مغزى قومي، بحيث يكون الدين إحدى صوره، والحديث عن دولة اليهود على طريق مظاهر جديدة، مثل: إحياء اللغة العبرية، وتجديد المفاهيم المتصلة بالعهد القديم، والعدل الاجتماعي وفقًا لنبوءة الأنبياء، والثورة اليهودية مع التخلي عن جانب التعصب.

وما يخدعون إلا أنفسهم

ويقرر الدكتور الشامي: أن الصهيونيين الاشتراكيين ـ بذلك ـ اعتقدوا أنهم توصلوا إلى إجابة للمضمون الثقافي والاجتماعي للمجتمع الإسرائيلي الذي سيقام في (صهيون)، حيث تركوا يهودية الشرائع، وحافظوا على قيم اليهودية؛ أي إنهم توصلوا إلى وجهة نظر تجمع العنصر الديني اليهودي ـ بما في ذلك العلاقة بفلسطين ـ والعنصر العلماني، بما يدعم مطالبة الصهيونيين بفلسطين من ناحية، وبما يسمح بممارسة العقائد والطقوس اليهودية التقليدية من ناحية أخرى، وبترجمتها إلى اصطلاحات قومية علمانية.

كما إن اليهود الدينيين الصهيونيين طوروا أنفسهم، وسلموا بالصهيونية العلمانية، حيث رأوا أن مدنّس يوم السبت، والكافرين بأسس العقيدة اليهودية، معبرون شرعيون عن (العودة إلى صهيون)، وعن شريعة توطين فلسطين.

أي إن القوميين العلمانيين كما رأوا في الدين تعبيراً عن روح القومية، رأى الصهيونيون الدينيون أن في الصهيونية العلمانية تعبيراً عن اليهودية التقليدية.

وعلى هذا الأساس.. استطاعت الحركة الصهيونية أن تصل إلى لغة مشتركة بين العلمانيين والدينيين، وأن تكسب جناحاً من اليهود التقليديين في داخلها.

وقد لعب هذا الجناح الديني دوراً مهماً في بداية الحركة الصهيونية في تشجيع هجرة الدينيين إلى فلسطين، كاحتياطي إنساني، يشترك في الحركة الصهيونية.

وقد واصل هذا الجناح دوره في الاتجاه نفسه داخل الدولة اليهودية، كشريك في كل الائتلافات الحكومية التي قامت في إسرائيل منذ قيامها حتى الآن، مستغلاً ذلك في فرض الكثير والمزيد من التنازلات من الأحزاب العلمانية.

لقد أرادت الصهيونية السياسية أن تجعل من إسرائيل شعباً مثل سائر الشعوب، وبدلاً من الاستيعاب الشخصي والقومي جاءت فكرة (اليهودية الجديدة) والزعيمة الروحية والقيمية.

وبدلاً من (العهد القديم) جاءت الفردية الجديدة تجاه الإنسانية كلها، وأصبحت الصهيونية الاشتراكية هي البديل للرسالة اليهودية، وهي التي تحافظ على تقاليد (الاختيار المسيحاني).

ولكن (إمتون روبنشتاين) يؤكد فشل الصهيونية الاشتراكية، أو (حركة العمل) في تحقيق هذه الرسالة المسيحانية العلمانية الجديدة، وتبدّد سحر (نبوءة العودة إلى الأرض) بوساطة العمل الأجير (للعمال العرب) في حقول (الاستيطان العامل)، وكذلك.. تبدّد (الحماس المسيحاني) شبه الديني الذي ميز حركات العمال في البلاد، وتبدد الإيمان بأن شعب إسرائيل سينقذ العالم الذي (صلبه)، وبدأت تهب في معسكر (الصهيونية الاشتراكية) رياح جديدة.

ومع غروب الإيمان الاشتراكي.. بدأ يحدث في المجتمع الإسرائيلي تغيير تدريجي في مجال الموقف من الدين والتقاليد.

ويمكن القول: إن السبب الرئيسي وراء هذا التغيير يكمن في تقلص الدوافع العقائدية؛ مما جعل الاهتمام يتحول إلى الحياة اليومية التي بدت حافلة بالحرب، وحوادث الحدود، وخدمات الاحتياط، والمصاعب الاقتصادية.. وهي عوامل أسهمت في حدوث انهيار في المجتمع الإسرائيلي، مع ازدياد عدد اليهود النازحين إلى مختلف أنحاء العالم، بحثاً عن المال والحياة الهانئة، بعد أن فقدوا ثقتهم في الصهيونية، وفي شعبهم، حتى شعر بعضهم بالحاجة إلى عقيدة بديلة، سواء كانت تشكل استمراراً لسياسة (الحركة العمالية) أو كانت عقيدة جديدة تتفق مع احتياجات إسرائيل.

وخلال بحثهم هذا.. أعلن كثيرون منهم التوبة، والعودة إلى التعاليم الدينية.

ومن أجل ذلك.. يجب أن يؤخذ في

الحسبان أن إسرائيل قد تتطور إلى دولة تفرض فيها المؤسسات الدينية طابعها بشكل حاسم فى كل مجال من مجالات الحياة.

ولا يقف الدكتور الشامى عند رصد تأكيد (روبنشتاين) فشل الصهيونية الاشتراكية، ولكنه يرصد فى المقابل معارضة (جرشوم شوكن) لإمنون فى ذلك، حيث قرر: أنه ليست هناك أية دلائل وحقائق تشير إلى ازدياد حجم القطاع الدينى، كما إن البيانات الخاصة بعدد التلاميذ فى التعليم الدينى لا تشير إلى هذا التحول.

وتكمن وجهة نظر (إمنون روبنشتاين) بشأن ازدياد قوة القطاع الدينى فى رفض الموقف العلمانى للأحزاب الاشتراكية الصهيونية من ناحية، وفى تغير وجهة النظر من بعض المفاهيم الصهيونية، مثل: (رفض المنفى)، وتقاليده، وتاريخه.. وهى من المضامين الرئيسية فى (الصهيونية الاشتراكية).

ويفسر المفكر الإسرائيلى (يعقوب عميت) هذا الاتجاه بأنه تعبير عن خيبة الأمل لدى الشباب الإسرائيلى من سائر الحلول التى طرحت عليه الآن؛ إذ إن عدداً ليس بقليل من التائبين يهجرون الصهيونية وتحقيق وصاياها، ويعودون إلى خلف جدران (الجيتو الروحى)، ولم يعد لهم بعد دور فى بناء المجتمع الإسرائيلى المجدد للقيم، ويعفون أنفسهم حتى من واجب الدفاع عنه.

ولذلك.. فإذا كان هناك نزوح من البلاد، فإن هناك نزوحاً من الصهيونية أيضاً.

ولكن (إمنون روبنشتاين) يدعم تأكيده فشل الصهيونية الاشتراكية بقوله: إن (الشتات اليهودى) لم يعد كله سلبياً، بل أصبح مركزاً للأشواق، وفى بعض الأحيان مصدراً للغيرة، وتحول (الفتى الأبدى)، و(الفلاح ثقيل اللسان) المشحون بالعاطفة الخرساء.. إلى أبطال يهود حقيقيين، وبدأت موضة تغيير الأسماء اليهودية إلى أسماء عبرية تتراجع بالتدريج، فما كان يعتبر موضة وقومياً - خلال سنوات الاستيطان، وخلال السنوات الأولى للدولة - قد فقد سحره، وبعد جيل من ترجمة أعياد إسرائيل التقليدية إلى أعياد طبيعية وقومية.. أصبحت لهذه الأعياد مرة أخرى مغاز مستمدة مباشرة من التقاليد اليهودية.

فلقد ذهبت نظرية (دين العمل) إلى سبيلها - كما جاء فى تعليق الأديب الإسرائيلى (أهارون ميجد) على الواقع الجديد - وجاء دين الآباء ليملأ المكان الخالى؛ ففى ليلة عيد الغفران ستكون الشوارع هادئة ونظيفة، والسيارات لن تصرخ.. وبدلاً من أن تتجول العصابات فى المدينة، سيكون من الأفضل لها أن تدخل إلى المعابد لتستمع إلى الصلاة.

مؤسسات التعليم العالى فى إسرائيل

للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

تحرص إسرائيل، منذ إنشائها فى فلسطين العربية، على العناية بالتعليم بصفة عامة والتعليم العالى بصفة خاصة نظراً لما يحققه من عائد اقتصادى متميز، ومردود حضارى راق، يتمثل فى خلق قدرات بشرية فائقة علمياً وإعداد نخب متخصصة فائقة تقنياً، وتخرج صفوة مختارة من الباحثين الفائقين لتطوير فروع البحث العلمى النظرى والتطبيقى لذلك تدرك إسرائيل أهمية تدبير الاعتمادات المالية اللازمة لتمويل بناء وتوسيع مؤسسات التعليم العالى، وتجهيزها بالمعامل، والمختبرات، ودوائر الأبحاث التى تحتاجها لأداء دورها العلمى والبحثى، فهى ترى أن ذلك هو السبيل الأكيد لتحقيق التحدى الحضارى الذى يشكل - فى نظرها - السلاح البتار الذى يمكن التلويح به فى وجه خصومها من العرب لتأمين الرادع العلمى، وتفعيله ضد أى مخاطر نظراً على المستوى الإقليمى، لدرئها، والوقاية منها وفى إطار التعليم العالى يمكن تقسيم المؤسسات التعليمية إلى نوعين، الأول الجامعات، والثانى، المعاهدالعليا، ويضم النوع الأول العديد من الجامعات التى سيتم تناولها على النحو التالى:

● **الجامعة العبرية فى القدس:** يعتبر الدكتور «هرمان شابيرا» أستاذ الرياضيات السابق فى جامعة «هيدلبرج» الألمانية، صاحب فكرة إنشاء الجامعة العبرية، التى عرضها أمام أول مؤتمر صهيونى فى مدينة بال بسويسرا عام ١٨٩٧، وقد لاقت فكرته موافقة المؤتمر ولم تمر سنوات حتى وُضع حجر الأساس لهذه الجامعة على جبل سكوبس فى القدس عام ١٩١٨، وجرى افتتاحها رسميا عام ١٩٢٥ وتضم الجامعة العبرية عدداً من الكليات، منها كلية الزراعة، والعلوم الطبيعية، والصيدلة، والطب، والتربية، ويقوم ببحوث الجبر والمنطق الرياضى وتطبيقاته، والاحتمال ونظرياته، وفوق ذلك، توجد دائرتان للفيزياء النظرية والتجريبية، تجرى فى إطارهما بحوث الفيزياء النووية، والوميض الإلكترونى، والتحليل الطيفى، وتوجد أيضا ثلاثة مختبرات، الأول للبصريات

لاستكشاف الظواهر البصرية للتحكم في مسار الأشعة عند اختراقها للبلورات، والثاني مختبر الإشعاع الميكروموجي لإجراء التجارب والأبحاث حول أشعة لازر، ومازرا، ويقوم العلماء في هذا المختبر بقياس مستويات الطاقة لمعرفة أسباب صفة المغناطيسية في الذرات للاستفادة منها ، في فهم الصفات الفيزيائية للبلورات، ولقد أمكن بفضل أبحاث البلورات ابتكار أجهزة كشف الصواريخ الموجهة، والأقمار الصناعية على مسافات بعيدة، والثالث مختبر الفيزياء التطبيقية لإجراء الأبحاث حول الطاقة الشمسية، كان من ثمرتها ظهور الأجهزة الشمسية للتدفئة المركزية والتبريد ، والتهوية، وقد انتشر استخدام هذه الأجهزة في المنازل، وأماكن العمل. وفي هذا السياق تعتبر الجامعة العبرية من أهم مراكز التعليم والبحث، إذ يبلغ عدد الدارسين فيها ما يربو على ١٥ ألف دارس، ويعمل أساتذتها، وخبرائها في ما يزيد على ١٦٠٠ مشروع للأبحاث . واللافت للنظر أن الجامعة تضم أيضاً أقساماً علمية أخرى مثل قسم الفيزياء الحرارية العالية، وقسم الحرارة النووية، وقسم النبات، وقسم الزراعة، وقسم الجيولوجيا، وقسم الأرصاد الجوية والمناخيات. ومن جهة أخرى تشرف الجامعة العبرية على مدرسة « حاييم وايزمان » للكيمياء، التي لا تقل في الأهمية عن أية كلية جامعية، وتضم عدة أقسام، وهي قسم الكيمياء الحيوية، وقسم الكيمياء العضوية وقسم الكيمياء الفيزيائية، وقسم الكيمياء التحليلية واللاعضوية وما يجب التأكيد عليه أن هذه الجامعة تتولى إلى جانب النشاط العلمي الأساسي، نشاطات علمية أخرى في مجالات العلوم الطبيعية، والرياضية، والفيزيائية، ومن ثم تسهم في تنمية النشاط العلمي في إسرائيل.

● **جامعة تل أبيب:** افتتحت هذه الجامعة عام ١٩٥٦، وبدأت الدراسة فيها بكليتين، هما الاقتصاد، والقانون، ثم توسعت في عدد كلياتها، ومعاهدها عام ١٩٥٩، وتحتل هذه الجامعة المرتبة الثانية بعد الجامعة العبرية، وتضم الآن كلية العلوم، وكلية الطب، وكلية العلوم الاجتماعية، وكلية العلوم الإنسانية، وكلية الدراسات الطبية المتواصلة، وكلية الحقوق، وتضم الجامعة أيضا معهد « دوتولو » لعلم الصحة الفسيولوجي، ومعهد علم الوراثة، ومعهد الأبحاث الصهيونية، ومعهد « كيلون » للرياضيات التطبيقية، ومعهد « شاريت » للعلوم التربوية . ومعهد العلوم الفضائية وتجرى فيه تجارب علمية حول الصواريخ، ويتم فيه تحضير الوقود الصلب والسائل لها ، وقد توصل فيه علماء الفضاء إلى صنع صاروخ أرض جو، باسم « شافيت » مداه ٢٧٠ كم، وأكاديمية إسرائيل للموسيقى، ومدرسة « ركاناتي » للإدارة العامة والمالية، ومدرسة « وشتياب » للفنون الجميلة والتطبيقية

● **جامعة بار إيلان:** قامت بتأسيس هذه الجامعة، مؤسسة مزراحي الدينية في مدينة « رامات جان » عام ١٩٥٥، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى الحاخام « مئير بار إيلان » وهدف هذه الجامعة إعداد، وتأهيل، وتخريج جيل من الشباب المتدين، المتمسك بالعقيدة اليهودية، وأحكام الشريعة، وتقوم الدراسة فيها على أساس نظام الساعات المعمول به في الجامعات الأمريكية، ومن هنا فالجامعة تفتح أبوابها للدارسين من أمريكا وكندا، لإتمام دراستهم فيها، وتضم عدداً من الكليات، مثل كلية الدراسات الإنسانية التي تقوم بتدريس اللاهوت اليهودي والتاريخ والأدب اليهودي، واللغات مثل اللغة العبرية والعربية والإنجليزية والفرنسية واليونانية واللاتينية، وكلية العلوم الاجتماعية، وتقوم بتدريس التاريخ والفلسفة والاجتماع والاقتصاد وعلم النفس والتربية، وكلية العلوم، وتقوم بتدريس الأحياء والكيمياء والفيزياء والرياضيات والحيوان والنبات والبكتريا الحيوية

● **جامعة حيفا:** أسست هذه الجامعة في حيفا عام ١٩٥٢، وبدأت الدراسة فيها بمعهد القانون والاقتصاد، ثم توسعت عام ١٩٥٤، بإنشاء دائرتين، إحداهما للعلوم الإنسانية والأخرى للمحاسبة، وتلتهما افتتاح دائرة العلوم الاجتماعية عام ١٩٥٧. ويلفت الانتباه بأن بلدية حيفا تولت تطوير هذه الجامعة، وافتتحتها بشكلها الجديد عام ١٩٦٤، وتضم كليتين، هما كلية الدراسات الإنسانية، وكلية العلوم الاجتماعية بأقسامهما التي تشمل اللغة العربية وآدابها، واللغة العبرية وآدابها، والتاريخ اليهودي، والتاريخ العام، واللغة الفرنسية وآدابها، واللغة الإنجليزية وآدابها، والجغرافيا، والتربية، والاجتماع، والعلوم السياسية.

أما النوع الثاني من التعليم العالي فيشمل المعاهد العليا وهي:

معهد إسرائيل التكنولوجي « (التخنيون) : يُعتبر الدكتور « بول ناثان » صاحب فكرة إنشاء هذا المعهد عام ١٩١٧، وافتتح رسميا عام ١٩٢٤، ويتولى القيام ببحوث الطاقة الذرية، والبحوث التطبيقية . ويضم المعهد في جنباته العديد من الكليات والأقسام والمختبرات، منها كلية الهندسة المدنية، وكلية هندسة البناء وتخطيط المدن، وكلية الهندسة الميكانيكية، وكلية الهندسة الكهربائية، وكلية الهندسة الكيميائية، وكلية الهندسة المعمارية، وكلية هندسة الطيران. كما يشمل المعهد عدة أقسام وهي هندسة الإدارة الصناعية، والرياضيات، والطبيعة، والكيمياء، والميكانيكا، والعلوم النووية، وعلم الميكروبات والجراثيم العامة والتطبيقية، والدراسة العامة والتربية كما يوجد عدة مختبرات: هي مختبر وفحص مواد البناء، ومختبر فحص الآلات المائية، ومختبر ميكانيك التربة وفحص الطرقات، ومختبر الفحص الميكانيكي، ومختبر الصدأ، ومختبر التلبيس المعدني، ومختبر المائيات (الهيدروليك)، ومختبر هندسة التربة وتجدر الإشارة إلى أنه أنشئ في المعهد دائرة خاصة بالهندسة والعلوم النووية، الهدف من ذلك هو تدريب العلماء في مجال فيزياء المفاعلات النووية لإمداد المفاعلات بهم وهي مفاعل ديمونا، ومفاعل النبي روبين، ومفاعل

نحال سوريك، ومفاعل ريشون ليتسيون. وتتمحور الدراسة فى هذه الدائرة حول تأهيل خبراء المفاعلات الذرية من خلال حضور المحاضرات العلمية، وإجراء إختبارات عملية فى الفيزياء، وكيمياء تكنولوجيا محطة الطاقة الذرية، والتعدين النووى وفى هذا السياق يضم معهد التخنيون أيضا «معهد إينشتاين للفيزياء» الذى يؤهل المهندسين الفيزيائيين للقيام بالأبحاث الفيزيائية فى مجال الأشعة الكونية، ودراسة خصائصها فى محطة اقيمت لهذا الغرض على قمة جبل الكرمل، وأخرى أقيمت فى نفق داخل هذا الجبل كما يقوم فريق من علماء معهد التخنيون بتدريب الباحثين من الطلاب على كيفية إنتاج مواد غذائية أفضل فى إطار ما يسمى بدائرة «تكنولوجية الغذاء» وما يتعين التأكيد عليه أن معهد التخنيون يُعد من ابرز المؤسسات الكبرى للتدريس والبحوث فى العلوم والتكنولوجيا، إذ يبلغ عدد الدارسين فيه ٤٠٠٠ طالب، وعدد المشاريع المتعلقة بالبحوث الأساسية والتطبيقية ما يزيد على ١٢٠٠ مشروع كما يعمل في المعهد نخبة من كبار العلماء فى مختلف التخصصات، ويقوم بالتدريس فيه حوالى ١٥٠٠ أستاذ ومحاضر متفرغ ومن ناحية أخرى يتلقى المهندسون فى إسرائيل تدريبهم الفنى والعملى فى هذا المعهد لرفع كفاءة الأداء لديهم، ومعرفة كل جديد فى مجال تخصصهم.

● **معهد وايزمان للعلوم:** أشرف على تأسيس هذا المعهد عام ١٩٣٤ فى مدينة «رحبوت» «حاييم وايزمان» أول رئيس لإسرائيل، ويعتبر المعهد من أكبر مراكز الأبحاث العلمية فى إسرائيل، وتُعد أبحاثه العلمية من أهم الأبحاث التى تنشرها المجلات العلمية العالمية. ويضم فى رحابه كليات الرياضيات التطبيقية، والفيزياء النووية، والتأثير النووى، والالكترونيك، بلورات أشعة إكس، النظائر، البيوفيزياء، الكيمياء العضوية، والاحياء التجريبية كما توجد أقسام الكيمياء الضوئية، والتحليل الطيفى، والتحليل الطيفى بواسطة الأشعة تحت الحمراء، والبيوكيمياء، والوراثيات الحيوانية والنباتية، وبالإضافة إلى ذلك توجد عدة دوائر علمية متخصصة، مثل دائرة الكيمياء العضوية، وتقوم بالأبحاث المتصلة بكيفية نشوء الكربون، والنباتات، وكيفية تكوين زيت البترول فى العصور الجيولوجية القديمة، كذلك القيام بالأبحاث المرتبطة بمعرفة المواد الكربوهيدراتية التى تشكل الأغذية التى يحتاج اليها الإنسان، وأيضا الأبحاث المتعلقة بالمواد الهيدروكربونية الازمة لإدارة المحركات الآلية، ودائرة الأطياف تحت الحمراء وبلورات أشعة إكس، لتطويرطرق حديثه لانكسار أطياف الأشعة تحت الحمراء، وتستخدم هذه الدائرة أضخم وأعظم جهاز للتحليل الطيفى المعروف باسم (رحفوت) لقياس الأطياف والانكسارات التى تحدث بواسطة الأشعة تحت الحمراء. ودائرة الرياضيات التطبيقية، لابتكار الأساليب الرياضية لاستخدامها فى مجال

الجيوفيزياء، وإجراء الأبحاث التى تهدف إلى اكتشاف البترول أو الماء فى باطن الأرض، بالتعرف على نوعية الصخور، ومكوناتها. هذا وقد توصل الخبراء فى إسرائيل إلى اكتشاف البترول عام ١٩٥٦، بواسطة الحفريات التى قاموا بها. ويجدر ذكره أن هذه الدائرة العلمية مزودة بعقل الكترونى (ويزاك) يعتبر من اهم العقول في العالم، الذى قام المعهد بصناعته، كما توجد دائرة ابحاث النظائر، لدراسة تاثير النظائر على الصفات الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية للمواد. وأيضا دائرة الإلكترونيك لتطوير الاجهزة الإلكترونية، وإجراء الأبحاث فى مجالات المغناطيسية، والميكرومغناطيسية، ودائرة البيولوجيا التجريبية التى تتولى القيام بالأبحاث لمعرفة أسباب مرض السرطان ودائرة الفيزياء النووية التي تضم ثلاثة أنواع من الدراسات، وهي الدراسات النظرية في مجال التركيب النووي، والدراسات التجريبية فى مجال البناء النووى ، ودراسات الطاقة العالية فى مجال الأشعة الكونية، وقد تمكن الخبراء العاملون بهذه الدائرة من صنع، وتطوير أجهزة جديدة تقوم بدراسة صفات السوائل، والجوامد. واللافت للنظر أن معهد وايزمان مزود بمكتبة زاخرة من ٥٠ الف مجلد ومرجع علمى، وتتلقى المكتبة ما يزيد على ٥٠٠ مجلة علمية سنويا من مختلف بلاد العالم، كما يحصل المعهد على دعم مادى أجنبى، خاصة من الولايات المتحدة الامريكية، فى مقابل قيامه بالابحاث لحساب المؤسسات فيها. ومن المهم أن نذكر انه قد انبثقت عن المعهد شركة خاصة معروفة باسم يدا (YADA) للبحث والتطوير لتقوم بتحقيق الأفكار الجديدة، والاختراعات، وتحويلها إلى اجهزة وأدوات للاستفادة منها تجاريا، ومن ناحية أخرى يوجد أيضا معهد النقب للدراسات العليا لدراسة احوال صحراء النقب، ويتكون هذا المعهد من ثلاثة أقسام، الأول لدراسة الهندسة، والثانى لدارسة العلوم الطبيعية، والثالث لدارسة العلوم الإنسانية والاجتماعية ويمكن القول فى ختام هذا العرض لمؤسسات التعليم العالى فى إسرائيل انها قامت بدور فعال فى تنمية البحث العلمى والتقنى، وفى خلق الكوادر العلمية، وتأهيل الكفاءات التى تحتاجها مشاريع التنمية فى مختلف قطاعات الاقتصاد الإسرائيلي، غير أن ذلك يفرض على الأمة العربية مهمة وضع استراتيجية للتعليم يستهدى بها خبراء التربية بهدف تطويره فى جميع مراحله، والاهتمام بتأهيل المعلم، ورعاية الفائقين من الدارسين والباحثين، لأنهم هم علماء المستقبل، ومنهم تصنع الأمة العربية حاضرها ومستقبلها، لتحتل مكانة حضارية متميزة يزهو بها ابناؤها وسط عالم لا يعترف إلا بسلطان العلم سبيلا إلى التقدم.

نحال سوريك، ومفاعل ريشون ليتسيون. وتتمحور الدراسة فى هذه الدائرة حول تأهيل خبراء المفاعلات الذرية من خلال حضور المحاضرات العلمية، وإجراء إختبارات عملية فى الفيزياء، وكيمياء تكنولوجيا محطة الطاقة الذرية، والتعدين النووى وفى هذا السياق يضم معهد التخنيون أيضا «معهد إينشتاين للفيزياء» الذى يؤهل المهندسين الفيزيائيين للقيام بالأبحاث الفيزيائية فى مجال الأشعة الكونية، ودراسة خصائصها فى محطة أقيمت لهذا الغرض على قمة جبل الكرمل، وأخرى أقيمت فى نفق داخل هذا الجبل كما يقوم فريق من علماء معهد التخنيون بتدريب الباحثين من الطلاب على كيفية إنتاج مواد غذائية أفضل فى إطار ما يسمى بدائرة «تكنولوجية الغذاء» وما يتعين التأكيد عليه أن معهد التخنيون يُعد من أبرز المؤسسات الكبرى للتدريس والبحوث فى العلوم والتكنولوجيا، إذ يبلغ عدد الدارسين فيه ٤٠٠٠ طالب، وعدد المشاريع المتعلقة بالبحوث الأساسية والتطبيقية ما يزيد على ١٢٠٠ مشروع كما يعمل في المعهد نخبة من كبار العلماء فى مختلف التخصصات، ويقوم بالتدريس فيه حوالى ١٥٠٠ أستاذ ومحاضر متفرغ ومن ناحية أخرى يتلقى المهندسون فى إسرائيل تدريبهم الفنى والعملى فى هذا المعهد لرفع كفاءة الأداء لديهم، ومعرفة كل جديد فى مجال تخصصهم.

● **معهد وايزمان للعلوم:** أشرف على تأسيس هذا المعهد عام ١٩٣٤ فى مدينة «رحبوت» «حاييم وايزمان» أول رئيس لإسرائيل، ويعتبر المعهد من أكبر مراكز الأبحاث العلمية فى إسرائيل، وتُعد أبحاثه العلمية من أهم الأبحاث التى تنشرها المجلات العلمية العالمية. ويضم فى رحابه كليات الرياضيات التطبيقية، والفيزياء النووية، والتأثير النووى، والالكترونيك، بلورات أشعة إكس، النظائر، البيوفيزياء، الكيمياء العضوية، والأحياء التجريبية كما توجد أقسام الكيمياء الضوئية، والتحليل الطيفى، والتحليل الطيفى بواسطة الأشعة تحت الحمراء، والبيوكيمياء، والوراثيات الحيوانية والنباتية، وبالإضافة إلى ذلك توجد عدة دوائر علمية متخصصة، مثل دائرة الكيمياء العضوية، وتقوم بالأبحاث المتصلة بكيفية نشوء الكربون، والنباتات، وكيفية تكوين زيت البترول فى العصور الجيولوجية القديمة، كذلك القيام بالأبحاث المرتبطة بمعرفة المواد الكربوهيدراتية التى تشكل الأغذية التى يحتاج اليها الإنسان، وأيضا الأبحاث المتعلقة بالمواد الهيدروكربونية اللازمة لإدارة المحركات الآلية، ودائرة الأطياف تحت الحمراء وبلورات أشعة إكس، لتطويرطرق حديثه لانكسار أطياف الأشعة تحت الحمراء، وتستخدم هذه الدائرة أضخم وأعظم جهاز للتحليل الطيفى المعروف باسم (رحفوت) لقياس الأطياف والانكسارات التى تحدث بواسطة الأشعة تحت الحمراء. ودائرة الرياضيات التطبيقية، لابتكار الأساليب الرياضية لاستخدامها فى مجال

الجيوفيزياء، وإجراء الأبحاث التى تهدف إلى اكتشاف البترول أو الماء فى باطن الأرض، بالتعرف على توعية الصخور، ومكوناتها. هذا وقد توصل الخبراء فى إسرائيل إلى اكتشاف البترول عام ١٩٥٦، بواسطة الحفريات التى قاموا بها. ويجدر ذكره أن هذه الدائرة العلمية مزودة بعقل الكترونى (ويزاك) يعتبر من أهم العقول فى العالم، الذى قام المعهد بصناعته، كما توجد دائرة أبحاث النظائر، لدراسة تأثير النظائر على الصفات الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية للمواد. وأيضا دائرة الإلكترونيك لتطوير الأجهزة الإلكترونية، وإجراء الأبحاث فى مجالات المغناطيسية، والميكرومغناطيسية، ودائرة البيولوجيا التجريبية التى تتولى القيام بالأبحاث لمعرفة أسباب مرض السرطان ودائرة الفيزياء النووية التي تضم ثلاثة أنواع من الدراسات، وهي الدراسات النظرية في مجال التركيب النووي، والدراسات التجريبية فى مجال البناء النووى ، ودراسات الطاقة العالية فى مجال الأشعة الكونية، وقد تمكن الخبراء العاملون بهذه الدائرة من صنع، وتطوير أجهزة جديدة تقوم بدراسة صفات السوائل، والجوامد. واللافت للنظر أن معهد وايزمان مزود بمكتبة زاخرة من ٥٠ ألف مجلد ومرجع علمي، وتتلقى المكتبة ما يزيد على ٥٠٠ مجلة علمية سنويا من مختلف بلاد العالم، كما يحصل المعهد على دعم مادى أجنبى، خاصة من الولايات المتحدة الأمريكية، فى مقابل قيامه بالأبحاث لحساب المؤسسات فيها. ومن المهم أن نذكر أنه قد انبثقت عن المعهد شركة خاصة معروفة باسم يدا (YADA) للبحث والتطوير لتقوم بتحقيق الأفكار الجديدة، والاختراعات، وتحويلها إلى أجهزة وأدوات للاستفادة منها تجاريا، ومن ناحية أخرى يوجد أيضا معهد النقب للدراسات العليا لدراسة أحوال صحراء النقب، ويتكون هذا المعهد من ثلاثة أقسام، الأول لدراسة الهندسة، والثانى لدراسة العلوم الطبيعية، والثالث لدراسة العلوم الإنسانية والاجتماعية ويمكن القول فى ختام هذا العرض لمؤسسات التعليم العالى فى إسرائيل أنها قامت بدور فعال فى تنمية البحث العلمى والتقنى، وفى خلق الكوادر العلمية، وتأهيل الكفاءات التى تحتاجها مشاريع التنمية فى مختلف قطاعات الاقتصاد الإسرائيلي، غير أن ذلك يفرض على الأمة العربية مهمة وضع استراتيجية للتعليم يستهدى بها خبراء التربية بهدف تطويره فى جميع مراحله، والاهتمام بتأهيل المعلم، ورعاية الفائقين من الدارسين والباحثين، لأنهم هم علماء المستقبل، ومنهم تصنع الأمة العربية حاضرها ومستقبلها، لتحتل مكانة حضارية متميزة يزهو بها أبناؤها وسط عالم لا يعترف إلا بسلطان العلم سبيلا إلى التقدم.

جبل النار في فلسطين (*)

للشاعر السوري الأستاذ / عمر أبوريشة

نام في غيهب الزمان الماحي   جبل المجد والندى والسماح[1]
أسكرته أجيال نعمته البكر   بفيض الأعراس والأفراح[2]
حين أنفاسه تموج على الكون   بفيض النبوة الفواح[3]
وترف الحياة فيه على آثار   عيسى من غدوة ورواح[4]
فتمشت عليه دهم الليالي   وكسته من نسجها بوشاح[5]
وطوت سفره العجيب الموشى   بأساطير عهده الوضاح[6]
فإذا الأعصر الخوالي مطاف   لخيالات شاعر صداح[7]
وإذا الطرف ليس يعثر إلا   بقيود مغموسة بجراح[8]
ورقاب محنية تتشظى   مزقا فوق منجل السفاح[9]
ليس بدعا إذا تعالى وضيع   واستباح الحمى الحرام إباحي[10]
قد تحوك الأقدار من لبدة الليث   وشاحا لذات عهر وقاح![11]

(*) من ديوان «شعر» ص١١٢ والشاعر عمر أبوريشة من كبار الشعراء في سورية تقلد وظائف متعددة وكان سفيرا لبلاده في دول شتى قبل أن يطلب إحالته إلى التقاعد.

(١) غيهب: ظلام. (٢) أجيال نعمته: أيام عزه الماضية. (٣) فيض النبوة، لأنه موطن كثير من الأنبياء.

(٤) ترف: تزهر وتتلألأ. (٥) دهم: سود.

(٦) سفره: كتابه. الموشى: المزخرف. الوضاح: الساطع. (٧) الأعصر الخوالي: الأيام السالفة ذات المجد الزاهر.

(٨) الطرف: العين. (٩) تتشظى: تطير شظاياه.

(١٠) بدعا: غريبا. إباحي: متحلل منحل. (١١) تحوك: تنسج.

يا ظلام الأجيال قص جناحيك   فهذي طلائع الإصباح[12]
مرود كحل الجفون الكسالى   فأفاقت على السنا اللماح[13]
فنضا من عيائه الجبل الهاجع   واهتز مفعم الأتراح[14]
وتعالى صياحه يتوالى   فاشرأبت نسوره للصياح[15]
تركت في الوكون أفراخها الزغب   وهبت على أزيز الرياح[16]
وتبارت عصائبا فالفضا الرحب   بساط من مخلب وجناح[17]

***

غضب البغي فانبرى يحشد الهول   ويرنو إلى الأذى بارتياح[18]
شق فكي جهنم فأسالت   في الروابي لعابها والبطاح
فاقشعرت من وهجه القلل الشم   وأجت شوامخ الأدواح[19]
وتدجى الدخان يحجب عين الشمس   عن مأتم الثرى المستباح[20]
فتهاوت تلك النسور وأزرت   بالمنايا على اللظى المجتاح[21]
تنشب المخلب المعقف في البغي   وتزجي المنقار في إلحاح[22]
ولسان اللهيب يلعب بالريش   ويطوي الجراح فوق الجراح
غضبة للنسور لا النصر فيها   بمتاح ولا الونى بمباح[23]
لم تزحزح تلك المخالب إلا   بعد ما جردت من الأرواح

---

(١٢) طلائع: مقدمات. (١٣) المرود: ميل المكحلة. اللماح: اللامع.

(١٤) عيائه: ضعفه. الهاجع: النائم. الأتراح: الأحزان. (١٥) اشرأبت: رفعت أعناقها.

(١٦) الوكون: العشاش. الزغب: الصغيرة. أزيز: صوت. (١٧) عصائبا: أسرابا.

(١٨) البغي: ذوو البغي من المعتدين. (١٩) القلل الشم: القمم العالية. أجت: التهبت. الشوامخ: الأعالي.

(٢٠) تدجى: أظلم. الثرى: هنا أرض الوطن. (٢١) أزرت بها: لم تحفل. المجتاح: المكتسح.

(٢٢) المعقف: المنحني للقبض. (٢٣) متاح: مهيأ. الونى: الانتظار.

فتلاشى الدخان عن وثبات الـ ـبغى فى بركة الدم النضاح[٢٤]

وسرى الليل مالنا جبل النا رِ سكونا، لولا نشيد الأضاحى[٢٥]

***

يا دماء النسور تجرى سخاء بغرام البطولة الفضاح

أنبتى العز سرحة تتفيا بأظاليلها شتيت النواحى[٢٦]

أنت دمع السماء إن لهث الحقـ ـلُ وجفت سنابل وأقاحى[٢٧]

أى برد خلعته أحمر اللو ن على كاهل الجهاد الصراح[٢٨]

فيه إيماءة إلى نهبة العليـ ـاء من قبضة الزمان الوقاح[٢٩]

ليس يبلى على الزمان وللعا ص خيوط فى نسجه اللواح[٣٠]

تحفظ البيد ذكريات لياليـ ـه وتهفو لعهده النزاح[٣١]

وتحن الغياض فى الشام شوقا لتثنيه مثقلا بالسلاح[٣٢]

يا شهيد الجهاد، يا صرخة الهو ل إذا الخيل حمحمت فى الساح[٣٣]

أى مهر لم تدم خاصرتيه من حفيف المهماز يوم اكتساح[٣٤]

أى عود ما زغردت لك فيه كل مياسة القوام رداح[٣٥]

كلما لاح للكفاح صريخ صحت لبيك يا صريخ الكفاح[٣٦]

---

(٢٤) تلاشى: تبدد. النضاح: المتدفق. (٢٥) الأضاحى: الشهداء.

(٢٦) سرحة: شجرة. يتفيا: يستظل. (٢٧) لهث: تعب من الظمأ. أقاح: زهر الأقحوان.

(٢٨) البرد الأحمر: الدم الجارى، والبرد فى الأصل: الثوب الرقيق. (٢٩) إيماءة: إشارة. نهبة: اغتصاب. الوقاح: المتواقح.

(٣٠) العاص: هو البطل سعيد بن العاص الذى استشهد على جبل النار وقد قيلت هذه القصيدة فى حفل تأبينه. اللواح: المحرق.

(٣١) تهفو: تحن. النزاح: البعيد. (٣٢) الغياض: جمع غيضة وهى الأجمة، مجتمع الشجر.

(٣٣) حمحمت: صهلت. الساح: جمع ساحة. (٣٤) لم تدم: لم تجرح. اكتساح: فوز.

(٣٥) عود: رجوع وإياب. رداح: ممتلئة. (٣٦) صريخ: دعوة للنجدة.

تحمل الحملة القوية والإيما نَ أقوى فى قلبك الفراح[٣٧]

فكأن الحياة لم تلق فيها ما يروى تعطش الملتاح

هبة فى يديك كانت ولما رامها المجد عفتها بسماح[٣٨]

وكأنى أراك فى زحمة الهو ل على سرج ضامر طواح[٣٩]

وأخوك الجسور فى القمم السو د مطل على الروابى الفساح[٤٠]

لوحت كفه بمنديله الأحـ ـمر شوقا إلى اللقاء المتاح[٤١]

فتحت الأجيال تهتف يا خا لد جاهد فى فيلق الجراح[٤٢]

فترنحت واندفعت وهيهـ ـات يلين الجواد بعد جماح[٤٣]

واقتحمت اللظى فكنت مع الصيـ ـد فراشا على فم المصباح[٤٤]

أى فتى المجد إنه العمر يوم خاسر، وآخر لرباح[٤٥]

إن من سامك المنون لقوم لم يحيوا على الحجى والفلاح[٤٦]

كيف زاغت حلومهم فتمشى الـ ـبغى ما بينهم طليق السراح[٤٧]

أرخصوا خشبة الصليب وباعو ها وقودا إلى اللئام الشحاح[٤٨]

---

(٣٧) الملتاح: شديد الظمأ. (٣٨) عفتها: كرهتها.

(٣٩) ضامر: فرس فتى. طواح: يذهب فى كل مكان. (٤٠) الجسور: الجرىء. الفساح: الواسعة.

(٤١) منديله الأحمر: كناية عن لون الدم.

(٤٢) خالد: هو ابن الوليد، والجراح أبوعبيدة، وقد انضم خالد تحت قيادته فى فتح سوريا، وإلى ذلك يشير الشاعر. الفيلق: الجيش.

(٤٣) الجماح: رمى الفرس صاحبه على حين غرة، وأراد هنا: الوثوب للقتال.

(٤٤) الصيد: النبلاء المترفعون. (٤٥) أى: أداة نداء وفتى المجد: هو الشهيد سعيد بن العاص.

(٤٦) المنون: الموت. الحجى: العقل. (٤٧) حلومهم: عقولهم. طليق السراح: متروك العنان.

(٤٨) الصليب: وفق ما يعتقد الإنجليز النصارى، والحقيقة أن المسيح لم يصلب. اللئام الشحاح: البخلاء، وهم اليهود.

وأهانوا مهد المسيح وردّوه على طهره فراش سفاح(٤٩)

خفروا ذمة العهود وصمّوا الأذن عن صرخة الهضيم اللاحي(٥٠)

كم وعود معسولة نكبرها ... في فؤاد العروبة السمّاح(٥١)

فحشدنا لهم جيوش ولاء ... ومددنا أكفنا للصفاح

وسفكنا الدم الزكي وزيّنا جبين الرحى بغار النجاح(٥٢)

وأردنا الأسلاب منهم فكنا

نحن أسلابهم، ونحن الأضاحي(٥٣)

***

جبل النار لن تنام كما نمت جريح العلا كسيح الطماح(٥٤)

لك حب في قاسيون وصنين وسيناء ما له من براح(٥٥)

أنت للعرب كالمنارة في الساحل لاحت لأعين الملاح

***

---

(٤٩) سفاح: عهر ونجاسة.

(٥٠) خفروا الذمم: خانوا العهود التي وثقوها. الهضيم: المظلوم. اللاحي: اللائم.

(٥١) معسولة: حلوة.

(٥٢) الزكي: الطاهر. الرحى: الحرب. الغار: الإكليل.

(٥٣) الأسلاب: الغنائم. الأضاحي: ما يضحى به ذبحا.

(٥٤) الطماح: الأمل الطموح.

(٥٥) قاسيون: جبل مطل على دمشق. وصنين: جبل في لبنان. وسيناء: أراد به جبل الطور في صحراء سيناء. براح: ذهاب.

قصة العدد

مصرع الطاغية

للأستاذ الدكتور عبد اللطيف الحسيري

سار عبد الله بن حذافة السهمي إلى فارس يحمل رسالة الرسول ﷺ إلى كسرى في السنة السادسة من الهجرة يدعوه إلى الإسلام.

وحلّ الصحابي في أرض الإيوان غريبا لا يعرف أحدا ممن يراهم حوله. وتفرس في رجل يلبس ملابس العرب ويجلس مع الفارسيين وينطق بلغتهم فدنا منه وقال له في هدوء: أراك عربيّ الزي فهل لك صلة بالعرب فابتسم فيروز الديلمي. وهذا اسمه وقام إليه يحدثه باللغة العربية ويقرؤه السلام فابتهج عبد الله وانتحى به إلى مكان خال. وقال له: أنا مسلم من أتباع رسول الله محمد وقد أرسلني ﷺ من المدينة إلى كسرى برسالة يدعوه فيها إلى الإسلام. فكيف أصل إليه.

أطرق فيروز إلى الأرض وسبح في تفكير طويل ثم قال بعد هنيهة: سمعت عن رسول الله وأنا باليمن. فأنا يمني من أصل فارسي لأن جدي كان أحد الذين صحبوا جيش سيف بن ذي يزن لقتال المحتلين من الأحباش وطاب له المقام هناك وتزوج أبي من فتاة عربية أنجبتني فأنا عربي فارسي. وأنصحك أن تطلب الإذن على كسرى وتعطيه الرسالة وتسمع رده ثم تخرج سريعا.

قال عبد الله: لماذا أخرج سريعا؟

فقال فيروز: كسرى ملك متجبر غشوم ولا آمن عليك أن يأمر فيك بسوء وأمرك اليوم بين يدي الله. الرجل جبار عنيد.

فضحك عبد الله وقال: كأنك مسلم إذ تقول إن أمري بين يدي الله؟!

فابتسم فيروز، وقال: أوشك أن أكون مسلماً فقد عرفت عن نبى الإسلام أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحرِّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ويدعو إلى إغاثة الملهوف وحماية المسكين ويؤمن بالله ولا يشرك به أحداً، كما عرفت أنه ابن عبدالمطلب شيخ مكة الذى شهد معركة الفيل ورأى اندحار أبرهة فالرجل أصيلٌ ابن أصيل ومضتْ مدة يسيرة عرف بعدها عبدالله بن حذافة كيف يلقى كسرى بعد أن طلب الإذن وتقدم إليه منتصب القامة غير هياب ولم يسجُدْ أمامه كما فعل زائروه بل ارتفعت هامته وهو يقول: هذه رسالةٌ من رسول الله ﷺ فدهش كسرى وطلب الترجمان ليقرأ فإذا الرسالة تقول:

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم الفرس، سلام على من اتبع الهدى. . .»، فلم يطلق كسرى أن يستمر المترجم فى القراءة وصاح: مَن هذا الذى يقدِّم اسمه على اسمى، وهو عبدى وأخذَ الرسالة ومزقها ثم التفت إلى جلسائه وقال: أأقتل هذا الرسول فوراً أم أتركه لأنظر فى أمره بعد حين؟ فقال أحد الجلساء: أمهله ياسيِّد الكون فهو رسول يبلغ رسالة صاحبه.

فزمجر قائلاً: ليخرج فوراً مدحوراً.

خرج عبدالله بن حذافة فوجد فيروز يترقب مجيئه فسأله فى لهفة عما تم فأخبره بما كان. فقال له فى عجلة: عجِّل بالسفر إلى المدينة فقد يعنّ لكسرى أن يقتلك لأنه متردد، لا يستقر على رأى وإذا بلغت رسول الله ﷺ فأخبره أنىّ على دينه وأنا راحل معك إلى اليمن وسنفترق عند الطائف لتأخذ طريقك إلى المدينة وأتوجه إلى أهلى فى صنعاء.

صَحَّ ما توقعه فيروز فقد سأل كسرى عن عبدالله بن حذافة وطلب إحضاره سريعاً ليقضى فيه أمراً فلما لم يجد له أثراً فيما حوْل الإيوان اشتط، فكتب رسالة إلى باذان عامله باليمن قائلاً: ابعث إلىَّ هذا الرجل الذى يدَّعى أنه نبى مع رجلين قويين من جندك ولا تتأخر لحظة عن تنفيذ أمرى.

وقبلْ أن تصل رسالة كسرى إلى باذان بساعات كان فيروز الديلمى قد وصل إلى صنعاء وتحدث مع باذان بما كان من أمر كسرى مع رسول محمد فألم الوالى بكل شىء وحين جاءه أمر كسرى أحضر فيروز الديلمى وقال له: لن أستطيع مخالفة كسرى فماذا أصنع؟

قال فيروز: ابعث إلى محمد فأخبره بما كان.

قال باذان فى أسف: إذا ذهب محمد إلى كسرى فلن يرجع..

فرد فيروز: إن محمداً صادق صادق وله رب يحميه.

وصل رسول باذان إلى المدينة وقابل رسول الله ﷺ وأعلمه بما أمر به كسرى وأنه لا يستطيع أن يهمل رسالته ولابد من اصطحابه إليه فابتسم رسول الله ﷺ وقال لرسول باذان: إذهب إلى صاحبك وأقرئه السلام، وقل له إن كسرى قد قُتل منذ أيام، وأن ولده شيرويه هو الذى دبَّر مصرعه، حين رآه جباراً عنيداً وطاغية يسرف فى سفك الدماء حتى تذمرت الرعية والتفَّت حول شيرويه فهيهات له إن يحافظ على العرش الكسروى إذ لو قامت الثورة على يدىْ غيره لا تنتقل الأمر من آل ساسان، وكان شيرويه قد نصح والده من قبل بأن يرأف بالرعية حتى يتجنب ثورة الثائرين فنهره نهراً شديداً بمحضر الأمراء وقال: كلّ الناس عبيدى، فمن الذى يثور علىّ؟!

سرَّ رسول باذان بما سمع لأنه كان يعرف هوى باذان فعجل بالرحيل إلى اليمن سريعاً ممتطياً جواداً مدرباً على القفز العاجل فى مهامه الصحراء ولمْ يمض وقت يسير حتى طويت الأرض تحت فرسه طياً وعجَل بالذهاب إلى الوالى فرحاً مستبشراً ونظر باذان دهشاً وسأل يتعجل الأمر: ماذا صنعت؟ وبم أجاب محمد؟

فقال الرسول: أخبرنى رسول الله أنَّ كسرى قد قتل وقد قام بالأمر من بعده ولده شيرويه.

فتعجب باذان وقال: هذا أمرٌ لم يعلم به أحد فكيفَ انتهى إلى محمد؟

فرَد فيروز: هو نبى الله وإنه لصادق

فقال باذان: لو تحقق ذلك فأنا مُسلم أنطق بالشهادتين.

ثم جاءت الأنباء إلى اليمن بمصرع كسرى وتولية شيرويه فقال فيروز: لباذان: قد صدق رسول الله وهُنا نفر من المسلمين ينشرون دعوة الإسلام فأحضرْهم إليك وبَلِّغْهم ما تمَّ من إسلامك.

وتم ذلك فعلاً وجاء النبأ إلى رسول الله ﷺ فسر وأرسل وفداً من المسلمين بقيادة معاذ بن جبل - رضى الله عنه - ينشر تعاليم الإسلام ويَهْدى إلى التى هى أقوم، ففرح باذان بمقدم معاذ وأعلن أن الإسلام دين الله وأخذت رقعة الإسلام تتسع شيئاً فشيئاً فى البلاد المجاورة بما أبدى باذان وفيروز من همة فى نشر الدين الحنيف.

فى هذه الآونة جاءت الأنباء إلى اليمن بأنّ مسيلمة الكذاب قد ادَّعى النبوة وجمع حوله من بنى حنيفة فى نجد مَن صدقوا نبوته حين قال لهم: إن نجداً أولى بالنبوة من الحجاز وزاد فأرسل إلى رسول الله ﷺ مَن يقول له أنتَ نبىُّ الحجاز وأنا نبى نجد والأرض بيننا سواء.

فاضتْ هذه الأنباء باليمن فرأى الأسود العنسى وكان يدَّعى الكهانة ويظهر التنبؤ بالغيب أن يكون هو الآخر نبياً لليمن فليستْ نجد والحجاز أعلى قدراً من اليمن ومنها ملوك التبابعة وحمير، وأَذْواء قحطان، وقد جعل له عيوناً تدخل بيوت الناس وتعلم أسرارها وتجىء إليه بما فيها من الأشياء ومَن بها من النساء والأطفال فيخرجُ على الناس ويذيع لكل واقد أسرار بيته ويقول: جاءنى الوحى بما عندك، وقد تابعهُ على أمره قوم من الأعراب، فاشتد بهم ساعده واقتحم بهم بلاد نجران فألقت إليه يد الإذعان وتقدم إلى مذحج فأسلمتْ له وصدَّقت نبوته وهكذا تم له جيشٌ كثيفٌ هَجم به على صنعاء

وكان باذان قد لقى ربّه مسلما وولىّ بعده سهر بن باذان الشاب المتحمس فجمَّع جيوشاً لقتاله ولكنه كان قليل التجربة فاستمر القتال

أقل من شهر انتصرَ عقبه الأسود انتصاراً كبيراً ثم لبس التاج فوق قناع القناة على وجهه وكان يأمر الناس فجأة بالانفضاض من حوله زاعماً أن الوحى قد حضره فيشيع بين الناس أن السماء ترسل إليه جبريل ليخبره بما يكون وزاد عتوّه فقتل شَهْر بن باذان وتزوّج على الفور امرأته الجميلة (آذاد) وكانت إحدى بنات الفرس الشهيرات بالحسن فاذعنت عن كره وغضب وفى قلبها من الغِلّ ما لا طاقة لها باحتماله وقد سرّهُ اجتماع الناس حوله فتكبّر وجعل يقتل من يحس أنه يتآمر عليه، ولا يرضى بنبوته ويقول: أمرنى الملك من السماء لأنه لا يؤمن بى وقيس قتلهم من ناصروه وأيدوه ولكنه خاف انقلابهم عليه فاستأصلهم.

واتّصل فيروز الديلمى ومن معه من المؤمنين برسول الله ﷺ وأخبروه بما كان من أمر الأسود العنسى، وبما فعل بالمسلمين من قتل وتشريد فأرسل رسول الله ﷺ وبر بن يحنس إلى صنعاء يأمر المسلمين بقتال الأسود ومقاومة من ارتدّوا عن الإسلام فبعث الهمة فى نفوس المسلمين وصمّموا على قتال هذا الكاذب الدعى، هنا فكّر المسلمون فى المقاومة ولكنّهم رأوا أن الأسود قد أثارَ الحمية فى نفوس معشرهم وجعلهم يعتقدون أن اليمن أَوْلَى بالرسالة وأنهم سيعيدون مجد التبابعة على يده، وهم فى ازدياد متواصل بحيث لا يقوى المسلمون على دفع تيارهم العارم، فاهتدى فيروز إلى رأى عرضه على القادة من المسلمين وهو أن يسعى إلى زوجة الأسود العنسى، وهى ابنة عمه (آذاد) وتقدّر مكانته، وكَمْ شكت إليه بغضها الشديد لهذا الأسود الجلف الذى قتل زوجها بين يديها واقتادها كرهاً إلى مضجع الزوجية وهى الآن تظهر له الودّ مرغمة وقلبها يتقطع غيظاً وبتدبيرها المحكم يتم اغتيال هذا الكاذب الدعى، فإذا عرف أتباعه مصرعه ورأوا رأسه بين أيديهم انصرفوا عنه وعرفوا كذبه وسهل جمع الكلمة وإعلان الحق والله غالب على أمره.

وافق المجتمعون على تدبير فيروز وتم التنفيذ ببراعة وإحكام، وننقل هنا صورة ممّا روته كتب التاريخ عن هذا الحل الحاسم المريح.

قال فيروز: مضَيتُ إلى قصر الأسود العنسى والتقيتُ بابنة عمى (آذاد) وقلتُ لها: يا ابنة العم تعلمين ما نزل بنا من هذا الأسود الدعى، وقد قتل قومك وزوجك وفضحَ نساء الفرس بما أنزل بهنّ من الموبقات، وصرَعَ أزواجهن دون جريمة، وانتزعَ الأمر منا طُغياناً وجبروتاً، وقد جاءنا كتاب رسول الله ﷺ يحث على قتاله ويدعو إلى مصرعه قضاءً على فتنة الارتداد عن الإسلام، فهل لك أن تعيننا عليه وأنت تعرفين من أمره ما يسهل القضاء عليه فى سكون لا يثير الضجيج؟

قالت فى حماسة: والذى بعث محمداً بالحق بشيراً ونذيراً ما ارتبتُ فى الإسلام لحظة عين وما خلق الله رجلاً فى الدنيا أبغض فى عينىّ من هذا الشيطان الرجيم، ووالله ما عرفته إلا فاجراً لئيماً أثيماً لا يَرعى حقاً ولا ينتهى عن منكر وله آفات لو قلتها لك لا تصدق، إذ هو شيطان لا إنسان.

فقلت: وكيف ندبّر مصرعه؟

قالت: إنه متحرز، يتوقع الشر دائماً وليس فى القصر مكانٌ إلا والحرس محيطون به غير حُجرة بعيدة فى أقصى القصر يظنّها الناس مهجورة ينام فيها خفية دُون أن يعرف أحد غيرى أنها مثواه والحراس كذلك لا يعرفون، وقد قال لى إنها أقرب مكان للهروب لو نزلتْ نازلة، ومكانها البعيد يجعل الناس لا يعرفون أنها مكان إقامته.

قال فيروز: وماذا نصنع؟

قالت: سأقول له إن جدارها يحتاج لإصلاح ولابدَّ من نقبه ليُبنى من جديد ثم يجىء العامل صباحاً فينقب الجدار على أمل أن يبنيه من الغد فإذا جاء الليل وذهب الأسود فى النوم رفعت المصباح الضئيل لكم وجئتمْ من موضع النقب فدخلتمْ عليه والحراس بعيدون لا يعلمون إذ لا يعرفون مكانه بالحجرة البعيدة.

قال فيروز: ربّما ظنّ شراً حين تقولين إنك تريدين نقب الجدار!

قالت: هو الذى حدثنى بضرورة نَقْبه وإصلاحه من جديد ليكون قوياً متيناً فالأمر طبيعى لا يثير أدنى ارتياب.

فرد فيروز: سأرقب مجىء العامل من الغد فإذا أتم عمله عرفت أن الحيلة قد نجحت وجمعت القوم من أتباعى ومعهم جيشٌ المسلمين دُون أن يظهروا السلاح فإذا تحت الضوء أسرعت مع الشجعان إلى النقب فدخلنا منه حذرين دون أن يسمع صوتنا أحد ثم اقتحمنا الحجرة بعيداً عن الحراس.

قالت: وفقك الله.

وفى صباح اليوم التالى جاء العامل فشرع فى النقب دون أن يُثير ريبة الأسود، ووعد باستكمال العمل فى الغد وأعد المسلمون عدتهم للانقضاض الحذر، وفى غسق الليل ظهر ضوء للمصباح ووقفتْ آذادُ حاملة إياه فتقدم فيروز ومعه ابن عمه (دازديه) (شقيق) (آذاد) وكان من النقمة على الأسود فى درجة الغليان فقادتهما إلى مضجع الأسود، وهو نائم يغط ويخور خوار الثور فعجلا بتقطيعه بالسيف قبل أن يتمكن من المقاومة حتى انتهى أمره فى لحظات

وبقى فيروز ودازديه فى القصر حتى طلع نور الفجر فارتفعا إلى السور الأعلى وصاحا بالأذان: «الله أكبر الله أكبر» فأقبل المسلمون أفواجاً واقتحموا القصر من النقب ورأى الحراس رأس الأسود فعرفوا أن أمره قد انتهى ولم يظهروا أدنى مقاومة وجلجل صوت الأذان فى كل مكان فحصل من الرعب والفزع بين أنصار الأسود ما ظنوا به أن جيشاً كثيفاً قد جاء من المدينة إلى صنعاء وأنه لا قبل لهم بمحاربته فولوا هاربين.

قال فيروز: ولما أسفر النهار بعثنا بكتاب إلى رسول الله ﷺ نبشره بمصرع عدو الله الأسود فعلموا أن رسول الله ﷺ قد تنبأ بمصرعه ليلة قتل وقد قال لأصحابه: قتل الأسود قتله رجل مبارك من أهل بيت مسلمين هو فيروز الديلمى.

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

من وصايا لقمان

قال لقمان لابنه: يابنى ليكن أول شئ تكتسب بعد الإيمان: خليلا صالحا، فإنما مثل الخليل كمثل النخلة إن قعدت فى ظل أظلتك، وإن احتطبت من حطبها نفعك، وإن أكلت من ثمرها وجدته طيبا.

مجالس العلماء

قال الشعبى: جالسوا العلماء، فإنكم إن أحسنتم حمدوكم، وإن أسأتم تأولوا لكم وعذروكم، وإن أخطأتم لم يعنفوكم، وإن جهلتم علموكم، وإن شهدوا لكم نفعوكم.

حقا

من اتكل على حسن اختيار الله -تعالى- له، لم يختر غير ما اختار الله له.

الحسن بن على

حسن تخلص

سأل الرشيد الأوزاعى عن لبس السواد، فقال: لا أحرمه ولكنى أكرهه قال: ولم؟ قال: لأنه لاتجلى فيه عروس، ولايلبى فيه محرم، ولايكفن فيه ميت، فالتفت الرشيد إلى أبى يوسف القاضى، وقال: ماتقول أنت فى السواد؟ قال: يا أمير المؤمنين النور فى السواد، فاستحسن الرشيد ذلك، ثم قال: وفضيلة أخرى يا أمير المؤمنين قال: وماهى؟ قال: لم يكتب كتاب الله إلا به؟ فاهتز الرشيد لذلك.

كأنك لا تموت

أراك يزيدك الإثراء حرصا
على الدنيا كأنك لا تموت
فهل لك غاية إن صرت يوما
إليها قلت حسبى قد رضيت

سفيه.. وحليم

شتم سفيه حليما وهو ساكت، فقال: إياك أعْنى، فقال: وعنك أُغْضى.

مدح التواضع وذم الكبر

قيل من وضع نفسه دون قدره رفعه الناس فوق قدره، ومن رفعها عن حده وضعه الناس دون حده.

وقيل لحكيم: هل تعرف نعمة لايحسد عليها؟ قال: نعم التواضع، قيل له: فهل تعرف بلاء لايرحم صاحبه عليه؟ قال: نعم، الكبر.

يحيى بن خالد وأحد الشعراء

دخل أحد الشعراء على يحيى بن خالد البرمكى فأنشده:

سألت الندى هل أنت حر فقال لا
ولكننى عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة
توارثنى من والد بعد والد

فأمر له بعشرة آلاف درهم.

قالوا..

- جوهر الإسلام أمران: كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة.
- من أعطى الاستغفار، أعطى المغفرة.
- أصل الرجل: عقله، وحسبه: دينه، ومروءته: خلقه.
- أفضل الرجال من تواضع عن رفعة، وزهد عن قدرة، وأنصف عن قوة.
- من مدح رجلا بما ليس فيه، فقد بالغ فى ذمه.
- من كساه الحياء ثوبه، لم ير الناس عيبه.
- خير من الخير مسديه.

دعاء

اللهم إن استغفارى إياك مع كثرة ذنوبى للؤم، وإن تركى الاستغفار مع معرفتى بسعة رحمتك لعجز، إلهى كم تحببت إلىّ بنعمتك، وأنت غنى عنى، وكم أتبغض إليك بذنوبى وأنا فقير إليك، سبحان من إذا توعد عفا، وإذا وعد وفى.

علاقاتنا فى الحياة

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

تتراوح علاقاتنا الحياتية بين هذه الأنماط: علاقتنا بأنفسنا.. علاقتنا بالآخرين.. علاقتنا بالكون.

ولكى نكون موضوعيين فى الوقوف عند هذه العلاقات.. فلنقل منذ البدء: إن «علاقة» حميمة توشج بين كل هذه الأنماط، بحيث لا يمكن أن تستقر واحدة منها فى غياب الآخرين.. إن علاقتنا بأنفسنا – مثلا – تستمد عناصر وجودها الحى من نقاء علاقتنا بالآخرين.. وعلاقتنا بالآخرين تستقطب فى حركة انتمائها علاقتنا بالكون.. وعلاقتنا بالكون هى الأخرى.. تغيم أو تشرق فى ضوء من علاقتنا بأنفسنا.. ومن هنا كانت هذه الأنماط من علاقاتنا الحياتية متكاملة متناغمة الأبعاد والأعماق.. كأنها أضلاع مثلث واحد.

وليس هذا التكامل.. أو هذا التداخل.. بمفض فى النهاية إلى تمييع الوجود الفردى لكل علاقة من هذه العلاقات.. بقدر ما هو مفض إلى أصالتها وإلى عراقة انتمائها.. فإن الوجود الأنانى وحده، هو الذى يمكن أن يشكل لطخة سوداء فى جبهة أى وجود.. لأنه يعزله بالضرورة عن أن يكون فاعلا.. ومنفعلا.. أما أن يتناغم مع وجود أو أكثر من وجود.. فإن ذلك وحده.. هو الذى يعطى الدليل على إمكانية أن يكون وجودا إيجابيا مثريا.. يعطى ويأخذ.. يؤثر ويتأثر.. يفعل وينفعل.. وفى ظلال هذه «المعاطاة» يمكن لكل طرف من هذه الأطراف أن يعين على تكامل الكل.. وإضفاء روح الشمول على إطاره ومحتواه.

ولنبدأ بتأمل «علاقتنا بأنفسنا».. إن تحديقا غير متسرع يؤكد لنا أن هذه العلاقة قائمة أساسا على التلاحم الوجودى بيننا كوجود موضوعى.. وبين أنفسنا كطاقة.. وكقدرة.. وكفكر.

ومن هنا كان الصراع الخالد معركة لا تهدأ ولا تنتهى بين جواذب الهبوط وهواتف الاستعلاء فى إطار الذات.. أملا فى أن يسفر الصراع عن صفاء الجوهر.. وارتفاعه الشاهق المنتمى.. عن المستوى الترابى البليد.. ثم كان الإلحاح الدائب على إشعاع أضواء هادية مكان هذه الدياجير.. حتى لا تفرغ الذات من شىء قبل أن تمتلىء بشىء آخر أعلى وأثرى.. ثم كان إلحاح أعرض وأعمق على ربط النفس البشرية بغايات كبيرة.. وأهداف جليلة.. وتحطيم كل ما يعتاق انطلاقها إلى أمام.. حتى لا تدور فى حلقات مفرغة تبدأ من حيث تنتهى أو من حيث لا تنتهى على السواء..

إن هذا «الإحياء» الدءوب.. لكل مناطق الإبداع فى أعماق الذات.. كان غاية كل الأديان والرسالات ولعل أندى صوت فى هذا المجال كان صوت النبى العظيم محمد ﷺ حين قال لأصحابه وهو راجع من غزوة وقتال «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»(١) وهو جهاد النفس.. إن ذلك كان بدء الجولة الداخلية التى تقوم بتحرير المناطق المحتلة فى أغوار الذات.. لـيبدأ من بعد ذلك الزحف إلى كسب مواقع جديدة.. لابد أنها ستتوق يوما إلى مثل هذا الصفاء الآدمى الصادح فى سلوك هذه الطلائع المسلمة.. الفاتحة باسم الله.. وباسم كرامة الإنسان!

ولقد جاء رجل إلى النبى ﷺ يقول: «أوصنى يا رسول الله.. قال: أمستوص أنت؟ قال: نعم.. قال: إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته فإن كان رشدا فأمضه وإن كان غيا فانته عنه»(٢).. هنا تخطو القضية خطوة أخرى إلى الأمام.. فليست المسألة مسألة جهاد كادح داخل النفس.. وإنما هى بالدرجة الأولى تسليم الذات كل زمام الموقف «إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته».. حتى يمكن للإنسان أن يكون هنا مناط مسئولية.. ولكنها مسئولية مسئولة أمام هذه الميزان: «فإن كان رشدا فأمضه.. وإن كان غيا فانته عنه» هذا تخطيط راشد لتربية الجماهير.. إن أسلوب الكبح لا يجدى.. ولكن أسلوب الحفز.. وربط هذا الحفز بضمانات أخلاقية واقية هو الذى يعمل على تنشيط قوى النفس.. وإطلاق امكانياتها فى فضاء التحقق الوجودى.

إن علاقتنا بأنفسنا – فى المنظور الإسلامى – لا ينبغى لها أن تنهض على أسس من الوصايا والشعارات وإنما ينبغى لها أن تنهض دائما على فهم حقيقة النفس وحقيقة دورها الشاق.. وحقيقة الصراع الناشب فى داخلها بين شتى النوازع.. والخلجات.

ولنعبر دائرة الحديث عن علاقاتنا بأنفسنا إلى الحديث عن «علاقتنا بالآخرين».

إن «الآخر» دائما هو المقياس الذى نقيس به آماد تطورنا النفسى والسلوكى.. لأن الذات تلقى امتحانها الواصفى مواجهة هذا الانفتاح.. أو قل هذا التخطى لطامحها الذاتية فى سبيل أن تفسح لمطامح الآخرين دون رغب ما.. فى مقابل ما.. إن ذلك يشكل قمة التصفية النفسية.. ويشكل إلى جانب ذلك قمة الوعى بحتمية التناغم الوجودى الذى بدونه لا يكون الوجود..

---

(١) اتحاف السادة المتقين ٦/٢٧٩.

(٢) كنز العمال ١٥/٧٩٤.

ولابد من تعميق علاقتنا بالآخرين على أساس من الحب المطلق.. والمشاركة فى الغيم والإشراق كهذا الذى تغنى به المسيح - عليه السلام -: «أحبوا أعداءكم.. باركوا لاعنيكم.. احسنوا إلى مبغضيكم.. صلوا من أجل الذين يسيئون إليكم».. وكهذا الذى مجده وانحنى عليه محمد عليه الصلاة والسلام: «والله لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[٣].. «انصر أخاك ظالما أو مظلوما»[٤].. «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»[٥].

إن هذه المقابلة الراشدة بين ما هو لك.. وما هو للآخرين.. تؤكد أن صوتا من نوع فريد قد أراد أن يقيم العالم من جديد على أسس جديدة.. لا تتيح فيها الأنانية.. ولا تستشرى فى زواياها أثرة عمياء!

إن «الآخر» بقدر ما هو مجلى من مجال تحققنا الأخلاقى.. وإحساسنا برسالة الإنسان للإنسان.. يشكل فى الوقت نفسه مرآتنا الصافية.. التى تعكس همومنا.. وغناءنا.. وهو لنا كتاب مفتوح الصفحات ترى فيه كل ما هو مشتعال ورائع.. ومضىء.. فالذى يقيم علاقته بالآخرين على أساس من الإحساس بالوهب.. لا التلقى.. دائما يواجه فى نفسه منطقة محترقة تماما.. مازال حتى الآن فى حاجة إلى نفقضة خصب تعيد إليها فورة البكارة.. وروعة الاقتدار.

وحين نتحدث عن «علاقتنا بالكون» نحس فى داخلنا بأن رسوخ هذه العلاقة أو انحلالها دليل على مدى صداقتنا أو عداوتنا لقضية أننا نحيا الحياة.. فهل يمكن أن تقوم علاقة فاشلة بين الإنسان والكون.. ثم يبقى للإنسان أو للكون وجود أو حتى أشباح وجود؟ إن الكون إطارنا.. ونحن محتواه.. ودائما تتألق قيمة «القصيدة الكونية» بقدر ما يقوم بين إطارها ومحتواها من حوار فاهم عميق.

إن علاقتنا بالكون تنهض على أساس من الإحساس النابض بحركته.. والعقل المتفتح لمعطياته.. والفهم الكبير لمعادلاته الصعبة.. إن معارضة بليدة لحركة الكون قد تعطل الكون والإنسان جميعا.. إن رفض العقل لمعطيات الكون قد تشل العقل والكون على السواء.. إن حجب الفهم عن معادلات الكون قد يخلق فهما أعقد يرجم الإثنين بمزيد من العجز.. ومزيد من الإحباط.

---

(٣) البخارى ١/١١.

(٤) البخارى ٣/١٦٨.

(٥) البخارى ١/١٢٩.

الإسلام والحياة

للدكتور / حسين عباس الأنصارى

لم يستطع تشريع بشرى على مر التاريخ أن يحقق السعادة والاستقرار لأى مجتمع من المجتمعات كما حقق ويحقق التشريع الإلهى، وهذا أمر منطقى يؤيده واقع الناس وتاريخ الأمم والشعوب. ومن الطبيعى أن لا يستطيع المخلوق أن يضع منهج حياته أو يخطط لمستقبله وهو قاصر النظر، محدود البصيرة، فكان من الحتم أن يضع هذا المنهج خالق البشر وصانعهم

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾.

الملك (١٤)

ومنام هذا التشريع الإلهى هو الإسلام الذى جمع بين جوهر الرسالات السماوية كلها، ثم وضع منهجا للناس إلى أن تقوم الساعة يتعاملون به فيما بينهم كبشر وبينهم وبين مخلوقات الله الأخرى من حيوان ونبات وجماد، وفيما يحيط بهم مما أبدع الخالق فى كونه.

فالإنسان ليس كائنا منفصلا عن باقى مخلوقات الله، بل إنه يتأثر بها ويؤثر فيها.

وإذا نظرنا إلى عالم اليوم الذى نعيش فيه فإننا نجده مليئا بالظلم والبغى والفساد، ينتشر بين ربوعه الدمار والخراب والفقر والأمراض الفاتكة، وتسود كثيرًا من بلدانه حياة لا يرتضيها الحيوان لنفسه، حيث لا مأكل ولا مشرب ولا ملبس ولا مأوى، فى عصر يموت فيه الكثير من التخمة، ويرفل فيه الكثير بين القصور الفاخرة والضياع الشاسعة، هذا للشتاء وهذا للصيف وذاك للربيع وآخر للخريف، أين هذا من تشريع الإسلام حيث يقول ﷺ (ليس المؤمن الذى يشبع وجاره جائع) أخرجه الطبرانى.

والتشريع الإسلامى يشمل شتى مناحى الحياة فيما يتصل بحياة الناس وحركة المجتمع.

فهناك التشريع المالى والتشريع الجنائى والتشريع الاجتماعى وسنضرب بعض الأمثلة فقط لهذه التشريعات وبيان سموها على تشريعات البشر مهما كان مصدرها.

التشريع المالى

(أ) التعامل بالربا: حرم الله التعامل بالربا وتوعد المتعاملين به عقابا أليما فى الدنيا والآخرة حيث يقول سبحانه:

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَوٰا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَٰنُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَوٰا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَوٰا فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَانتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَوٰا وَيُرْبِى الصَّدَقَٰتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾

البقرة (٢٧٥ ، ٢٧٦)

هذا الوعيد الشديد بالخسران فى الدنيا والآخرة لمصلحتنا نحن، فالله غنى عن العالمين لايضره انحرافهم عن الجادة ولاينفعه سيرهم على الصراط المستقيم، لكنه - سبحانه وتعالى - محب لخلقه، ولذلك فإنه يرشدهم إلى مافيه خيرهم وفلاحهم، لكن الإنسان ظلوم كفار. وكم شقى أناس وشقيت دول وذلت بسبب التعامل بالربا. فكثير من دول العالم الثالث ترسف فى أغلال الذل والخنوع بسبب تراكم فوائد الديون الربوية والتى تتعدى قيمتها قيمة الديون الأصلية حيث الفائدة مركبة تتزايد عاما بعد عام، وأضحت الدول الغنية المقرضة تتحكم فى مقدراتها السياسية والعقدية والاجتماعية.

وكم من الشركات وأصحاب المشاريع أفلسوا بسبب تراكم الديون الربوية عليهم فى فترات الكساد بسبب عجزهم عن سدادها وسداد الفوائد المركبة عليها.

وقد أثبت رجال الاقتصاد من غير المسلمين أن أحسن نظام للتعاملات المالية هو أن تعود «الفائدة» إلى الصفر حتى ينصلح اقتصاد العالم أى أن يكون التعامل على أساس المشاركة والمرابحة والمضاربة كما هو الحال فى التشريع الإسلامى.

(ب) تحريم الغش: حرم الإسلام الغش فى التعاملات المالية وشدد النكير على ذلك لدرجة التحذير من الخروج عن الملة حيث يقول ﷺ: (ليس منا من غشنا) رواه الحاكم فى المستدرك عن ابن عباس رضى الله عنهما.

وفى رواية أخرى عن أبى بردة بن نيار رضى الله عنه: مرَّ النبى ﷺ برجل يبيع طعاما فأعجبه، فأدخل يده فيه فإذا هو بطعام مبلول فقال ﷺ: (ليس منا من غشنا) وهو حديث صحيح أخرجه الإمام مسلم.

والغش فى البيع فى شريعة الإسلام يترتب عليه فساد البيع ويلزم البائع برد الثمن للمشترى مع تحمل البائع للإثم الذى حذر منه ﷺ إن كان يعلم بما فى سلعته من عيب، مع تسويئ سمعته وكساد تجارته ومضاعفة خسارته، عكس ما كان يقصد، وبهذا التشريع الحكيم تستقر الأسواق وتنتعش التجارة وتسود المحبة والود بين البائع والمشترى.

أما فى عالم اليوم الذى ابتعد عن تعاليم التشريع الإسلامى فإن التفنن فى أساليب الغش والتدليس أصبح نوعا من الشطارة و«الفهلوة» والبائع ليس ملزما برد ثمن السلعة إلا فى البلاد التى تطبق روح الشريعة الإسلامية وإن لم تكن بلدانا إسلامية.

والتاجر الصدوق فى شرع الإسلام له مكانًا عليا كما أخبرنا بذلك ﷺ حيث يقول: (التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء). رواه الترمذى وقال حديث حسن وفى رواية أخرى: «التاجر الصدوق تحت ظل العرش يوم القيامة»[٥] ولن يفلس تاجر صدوق. وصدق رسول الله ﷺ،

فإن التاجر الصدوق الأمين يبارك الله له فى تجارته ويضاعف أرباحه أضعافا مضاعفة.

والصدق فى التجارة يؤدى إلى انتعاش المجتمع واستقراره فلا مشاحنات ولا أضغان بين البائعين والمشترين، بل أمان وود وتآلف.

والإسلام يشجع الحركة الدائبة للمسلم سواء فى التجارة أو فى الزراعة أو فى الصناعة، إذا كان قادرا فبنفسه، وإذا كان غير قادر أو لايجيد هذه الفنون فبالمشاركة مع غيره من ذوى الخبرة وسيبارك الله للجميع وتعمر المجتمعات وتنتعش. كما أن الإسلام يحارب العاطلين بالوراثة والذين يريدون أن يعيشوا حياتهم على الفوائد الربوية دون أن يبذلوا جهدا بدنيا أو ذهنيا.

التشـــريع الجنائـــى

(أ) القصاص: جميع وسائل منع الجريمة أو التقليل منها فى جميع القوانين الوضعية فى العالم فشلت فشلا ذريعا فى بلوغ هذه الغاية. أما الإسلام فقد وضع العلاج الناجع لأنه تشريع السماء. وضع العلاج أولا بتربية النفس الإنسانية على حب الحياة وصولا إلى حياة باقية أفضل، وحب الآخرين من منطلق الأخوة الإنسانية:

﴿ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾.

المائدة (٣٢)

وقوله ﷺ: (كل المسلم على المسلم حرام. دمه وماله وعرضه) «أخرجه مسلم» وغير المسلم يندرج تحت هذه القاعدة لأن الإسلام يحفظ دماء الإنسان وماله وعرضه أيا كانت عقيدته باعتباره إنسانا مكرما من قبل الله.

أما حين لاينفع هذا التهذيب ولا هذا الإصلاح لنفس طبعت على الشر وحب الإفساد، فلا مناص أن يوضع لها العلاج المناسب من العقوبة الرادعة حسب الجرم الذى يرتكبه. والهدف من العقوبة إنما هو الردع لمنع الجريمة قبل وقوعها أو تقليلها إلى أدنى مستوى، وليس الهدف تسليط السيوف على الرقاب أو إيجاد أناس مشوهين عاجزين، كما يُدعى أصحاب النفوس المريضة، ليس عن جهل، وإنما على أساس خالف تعرف.

وحينما نقرأ قوله سبحانه وتعالى:

﴿ وَلَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُولِى الْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾.

البقرة (١٧٩)

نعلم النتيجة من العقوبة وهى منع الجريمة وليس تطبيق العقوبة فحينما يكون العقاب رادعا فإن المقبل على الجريمة يفكر ألف مرة قبل ارتكابها، وبذلك تصبح الجرائم شبه منعدمة، ويصير المجتمع آمنا ويسوده الازدهار والنمو.

فإذا أيقن القاتل أنه سيُقتل فلن يقدم على هذه الجريمة الشنعاء. وبذلك يحفظ نفسه ونفس من كان سيقتله.

أما إذا علم أنه سيسجن ولو سجناً مؤبداً كما يحدث فى كثير من بلدان العالم فإنه ستكون

لديه آمال في الفكاك من هذا الحكم بسبب الألاعيب من المدافعين عنه واستصدار البراءة لأمور شكلية أو شهادات زور، أو تخفيف الحكم إلى سنوات معدودات، يعود بعدها إلى الحياة أعتى مما كان قبل سجنه وهذا أمر يؤيده الواقع وتؤيده الأبحاث الاستقصائية. وعقوبة السجن للجنايات سواء كانت مشددة أم مخففة لاتمثل علاجاً ناجعاً لمحاربة الجريمة، بل إنه يترتب عليها مفاسد كثيرة وهذه هي بعض المفاسد والعيوب:

– انفصام عرى الزوجية وتعرض الزوجة والأبناء للانحراف بسبب عدم وجود رب البيت، لأن الزوجة إما أن تطلب الطلاق، وهذا في الغالب الأعم، وتتزوج بآخر ربما يكون غير أمين على أبنائها فيسومهم سوء العذاب.

وإما أن تحافظ على عرى الزوجية وتتمسك بزوجها السجين، وفي هذه الحالة فإنها تحتاج إلى إرادة فولاذية للمحافظة على نفسها من وساوس الشيطان ومن أطماع من في قلوبهم مرض من بني الإنسان.

وقد حث الإسلام على عدم امتناع الأزواج عن إعطاء أزواجهم حقهم الشرعي لمدة تزيد على أربعة أشهر حماية لهن من الانحراف يقول سبحانه:

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

البقرة (٢٢٦، ٢٢٧)

وهذا تشريع خالق البشر الذي هو أدرى باحتياجهم.

– من الواقع والمشاهد أن السجين يغادر السجن وهو أكثر انحرافاً وأعتى إجراماً، حيث يلتقي في السجن بالمجرمين العتاة وأصحاب السوابق كما يقال عنهم بالمحدثين في الإجرام، أو الذين وقعوا في براثن الجريمة لظروف طارئة عليهم، والنتيجة النهائية في الغالب الأعم أن يتأثر الصغار بالكبار، أعني الصغار في فن الإجرام فيصيرون مجرمين خطرين يهددون أمن المجتمع وسلامته.

وإذا لم يكن هناك بد من إبقاء عقوبة السجن على ما هي عليه لمدد طويلة فإنني أرى تلافيا لتولد شذوذ السلوك أن يمكن السجين من الالتقاء مع زوجته بصفة منتظمة فهذا حق إنساني يقره الشرع الحنيف، مادامت الزوجة متمسكة بزوجها ولم تطلب الطلاق.

– كما يؤكد الواقع والمشاهد أيضا فإن عقوبة السجن لاتمحو الحقد من النفوس ولاتشفي الغليل. وكم سمعنا وقرأنا أن شخصا ما قُتل بعد خروجه من السجن مباشرة بعد أن قضى فيه سنوات قد تزيد على العشرين، وذلك أخذا بالثأر من هذا القاتل من قبل أهل القتيل، أما لو كان هذا القاتل قد قُتل قصاصا بمجرد ارتكابه الجريمة لهدأت النفوس وزالت الأحقاد، بل ربما تصافت القلوب وسارت الحياة في طريقها الطبيعي. فما فائدة عقوبة السجن إذن؟!.

– كم تتكلف الدول لرعاية المسجونين من أكل وشرب ولباس ومأوى وأفراد حراسة وموظفين لاشك أن ذلك يكلف مئات الملايين، حتى في الدول الفقيرة دون عائد. اللهم إلا عائدا عكسيا يضر بالمجتمع ولايفيده. وهذه نقطة تستحق الدراسة

والمراجعة أيضا. وأولى بأي دولة أن توفر هذه الملايين لرعاية مواطنيها وتحسين أحوال معيشتهم.

أما عن الحدود في التشريع الإسلامي، فقد وضعها رب العباد لإصلاح حياة الناس وتهذيب نفوسهم وتنقية مجتمعاتهم من الإفساد والرذائل.

فإذا قطعت يد السارق مثلا فإنه سيكون معروفا بين الجميع أنه سارق وهو يسير بينهم أقطع اليد فيحذروه، كما أنه سيشعر بالخزي والعار بين أهله وبين أفراد مجتمعه وإذا ما تخيل أي شخص يحمل عقلا في رأسه ماسيحدث له فإنه لن يقدم على هذه الجريمة المخزية.

والمقبل على الزنى حينما يتخيل نفسه وهو يقام عليه الحد وسط جمع من الناس كما أمرنا سبحانه بذلك، كنوع من تبشيع الجريمة في عين مرتكبها فإنه لن يقبل عليها إلا إذا كان مغيب العقل.

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

النور (٢)

وحد الزنا لايقام تقريبا إلا إذا ارتكبت هذه الفاحشة على قارعة الطريق، لأنه يشترط لاثبات هذه الجريمة شهادة أربعة شهود عدول يرون الفعل رأى العين ويتأكدون من ذلك تماما، وإلا طبق عليهم حد القذف.

ألا يستحق من يرتكب جريمة بهذا الفجور أن يطبق عليه العقاب الموجع حتى يظل المجتمع عفيفا نظيفا، لايوجد بين جنباته من يقتل أمه وأباه نتيجة لاختلاط الأنساب ولإنزال غضب الله على الذين ينتهكون حرماته ويتعدون حدوده.

(ب) حد القذف: من طبيعة المسلم أن يكون صادقا أمينا، عف اللسان نقي القلب، لايحمل ضغائن للآخرين، يفتش عن عيوب نفسه ليصلحها، ويحب للآخرين مايحب لنفسه، كما وجهنا لذلك ﷺ في الحديث الشريف (لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه) أخرجه البخاري.

وليس هناك إنسان عاقل يحب أن تسوء سمعته وتتشوه صورته ويضار في شرفه أو شرف أهل بيته.

أما حينما يبتعد الشخص عن هذه المعاني السامية وذلك السلوك الحميد، فإنه يصبح عضوا فاسدا في المجتمع يجب تقويمه وتحذير المجتمع منه ونيل العقاب المناسب لجرمه، حسب ماقرره الله – سبحانه وتعالى – في كتابه العزيز:

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

النور (٤، ٥)

فحد القذف كما حدده الله هو أنجع علاج للمحافظة على طهارة المجتمع وإشاعة النقاء والصدق بين أفراده.

هذه بعض شذرات من عظمة التشريع الإسلامي في مجال العقوبات بإيجاز شديد أرجو أن يكون غير مُخل وإنني كتبتها بحس المسلم وليس بقلم المتخصص، معتذرا مقدما عن التقصير والخطأ.

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

مشاهدة الأفلام الجنسية حرام

«الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبي بعده، سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين».

● اطلعنا على الطلب المقدم من الأستاذ / س.ح.ع: المتضمن - ما حكم الشرع فى مشاهدة الزوج أو الزوجة للأفلام الجنسية الإباحية أو مشاهدة الأفلام الجنسية التعليمية.

●● الجـواب:

مما لاشك فيه ويعرفه كل مسلم أن الإسلام حرم الزنا تحريماً قطعياً كما حرمته الأديان السماوية جمعاء. ومن المبادىء التى قررها الإسلام أنه إذا حرم شيئاً حرم ما يؤدى إليه ويبعث عليه من وسائل كالإثارة، والخلوة الآثمة، والصورة العارية.

ومن هنا قرر الإسلام أن: «ما يؤدى إلى الحرام فهو حرام». ومما هو مقرر أيضاً فى الإسلام حرمة النظر إلى العورات ولو كان من رجل إلى رجل، أو من امرأة إلى امرأة بشهوة أو بغير شهوة، وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة ولايفضى الرجل إلى الرجل فى الثوب الواحد ولا المرأة إلى المرأة فى الثوب الواحد».

مسلم وأحمد وأبو داود والترمذى

وعلى ما سبق فمشاهدة عورات الرجال والنساء حرام وحتى ولو كانت العورات المشاهدة صوراً فى أفلام، اللهم إلا إذا دعت هناك ضرورة طبية تفرض اطلاع الطبيب على هذه العورات للعلاج، والضرورة تقدر بقدرها.

وفى واقعة السؤال: يحرم النظر إلى الأفلام الجنسية التى تعرض مناظر العورات

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
أحمد الطيب
مفتى جمهورية مصر العربية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

المكشوفة سواء للزوج أو للزوجة لأن النظر إلى هذه العورات محرم شرعاً وهو انحراف عن الفطرة المستقيمة التى فطر الله الناس عليها.

والله سبحانه وتعالى أعلم

●●●

الاستنساخ جريمة فى حق الإنسان

● اطلعنا على الطلب المقدم من / ج.خ.د. والمتضمن: ارجوا من فضيلتكم بيان الحكم الشرعي فيما يلي:

أولاً: أطفال الأنابيب.

ثانياً: استئجار الأرحام

ثالثاً: الاستنساخ البشرى

●● الجـواب:

أولاً: بالنسبة للإنجاب بوضع لقاح الزوج والزوجة خارج الرحم ثم إعادة نقله إلى رحم الزوجة لا مانع منه شرعاً إذا ثبت قطعاً أن البويضة من الزوجة والحيوان المنوى من زوجها وتم تفاعلهما وإخصابهما فى أنبوب خارج رحم هذه الزوجة ثم أعيدت البويضة الملقحة إلى رحم تلك الزوجة نفسها دون استبدال أو خلط بمنى إنسان آخر وأن ذلك لضرورة طبية كمرض بالزوجة أو الزوج يمنع من الحمل بالطريق العادى أو أن الزوجة لا تحمل إلا بهذه الوسيلة، ويجب أن يتم ذلك على يد طبيب حاذق مؤتمن فى تعامله.

ثانياً: أما استئجار الأرحام فإنه محرم وممنوع شرعاً، وقد صدر قرار مجمع البحوث الإسلامية رقم (١) بجلسته بتاريخ ٢٩/٣/٢٠٠١ بتحريم تأجير الأرحام. وكذلك أجمع الفقهاء المعاصرون أثناء بحث هذه المسألة (فى إحدى ندوات المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية) على حرمتها، لأن

هناك طرفا ثالثا غير الزوج صاحب النطفة والزوجة صاحبة البويضة، ولا يمكن الجزم مع وجود الطرف الثالث بتحديد الأم الحقيقية لهذا الطفل. فهل الأحق به صاحبة البويضة التى تخلق منها الطفل وحمل كل خصائصها الوراثية؟ أو الأحق به الأم الحاضنة صاحبة الرحم الذى تم فيه نموه وتطوره وتبدله حتى صار جنينا مكتملاً؟.. والطفل الذى يأتى بين والدتين لا يدرى من أمه على سبيل القطع والتأكد، وسيعيش ممزقاً بين انتمائه لهذه وانتمائه لتلك.. وهذا من الأسباب التى حملت الفقهاء على إن استئجار الأرحام محرم شرعاً.

وبناء على ما سبق يتضح :-

أولاً: جواز أطفال الأنابيب بشرط أن يكون الماء من الزوج والبويضة من زوجته، وأن تعاد البويضة الملقحة مرة أخرى فى رحم الزوجة ذاتها التى أخذت منها البويضة ومع مراعاة بقية الشروط المنوه عنها سابقاً.

ثانياً: تحريم ما يسمى باستئجار الأرحام تحريماً قطعياً للعلل المذكورة سابقاً.

ثالثاً: الاستنساخ بالمعنى المشار إليه حالياً وهو الاستنساخ البشرى هو جريمة أخلاقية وقانونية ترتكب فى حق الإنسان وتمثل اعتداء على ذاتيته وخصوصياته التى يتميز بها من بين سائر الحيوانات.. والاستنساخ فى هذا المستوى العابث المنفلت من كل القيود والضوابط ليس خلقاً جديداً للإنسان يضاهى خلق الله ـ تعالى ـ وإنما هو عبث بما خلق الله من البويضات والحيوانات الدقيقة والخلايا الحية - وهذا العبث يعكس الوجه الآخر القبيح - والخطير - لتقدم العلوم والتقنيات وتطورها خارج إطار الأخلاق ومقاصد الشرائع السماوية.. ورغم أن الاستنساخ البشرى قد أحاطته جملة من الشكوك والريب فى امكان تطبيقه وصيرورته أمراً واقعاً إلا أن ما نشرته الصحف حالياً عن الطفلة «إيفا» «حواء» أثار الرعب فى نفوس عقلاء العالم من علماء وسياسيين ومفكرين وقانونيين وغيرهم وذلك لما يحدثه هذا العبث من عدوان ينتهى لا محالة إلى هدم الأسرة وتحطيم الهيكل الاجتماعى للإنسان وتدمير روابط النسب والقرابة وصلات الأرحام ومؤسسة الزواج، وهى مؤسسة مقدسة منذ القدم، احترمتها الأديان وعولت عليها كثيراً من أحكامها وتشريعاتها وقيمها.. هذا إضافة إلى أن الاستنساخ البشرى سوف يقدم لنا إنساناً مبتورا من أى جذور ينتمى اليها أو يشعر بالولاء لها.. انساناً مشوه الفكر متحجر القلب أنانى الشعور باختصار إنسان لا

أخلاقى، لا أصل له ولا فرع، ولنا أن نتصور الصور البشعة للجرائم التى يسهل اقترافها على أيدى هؤلاء المعزولين عقلياً ونفسياً وشعورياً.. ولعل هذا ما دعا المؤسسات العلمية فى أوروبا وأمريكا إلى المناداة بضرورة التدخل لوضع حد لهذا العبث المجنون الذى طال أخيراً كينونة الإنسان وتاريخه وحضارته، ومن نفس هذا المنطق يحرم علماء الإسلام والمسيحية واليهودية هذا اللون من الاعتداء العلمى على خليفة الله فى الأرض، ويعدونه نشاطاً إبليسياً يتعاون عليه شياطين الإنس والجن. وصدق الله العظيم:

﴿ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا﴾

(١) النساء (١١٩)

إذا تركنا هذا اللون من الاستنساخ المدمر أعنى الاستنساخ البشرى، وذهبنا نتأمل الاستنساخ فى مجالات أخرى كالنبات مثلاً، أو فى مجالات طبية بهدف الحصول على أعضاء تعوض الإنسان المريض ما يفقده أو ما يتلف من أعضائه كالكبد والكلى وغيرهما.. فهذا الاستنساخ إذا تم وأجريت عليه التجارب العلمية اللازمة وثبتت فعاليته فإنه مشروع وتشجعه شريعة الإسلام التى تشجع كل بحث علمى يصب فى مصلحة الإنسان المادية والمعنوية.

وعلى ما سبق: يتضح لنا أن استنساخ الإنسان بصفة كلية حرام شرعاً وخروج على منهج الله فى استخلاف الإنسان وعلى الإطار الأخلاقى والاجتماعى حسبما رسمه له القرآن الكريم أما استنساخ جزء أو عضو من أعضاء الإنسان فإنه إن كان لتعويض الإنسان المريض عما يفقده أو لعلاجه من بعض الأمراض فهو مشروع، وكذا الاستنساخ لزيادة إنتاجية النبات أو تحسين سلالة الحيوانات بشرط ألا يؤثر ذلك على توازن البيئة ولا يخل بالمصلحة التى أرادها الله ـ تعالى ـ للكون: إنساناً وحيواناً ونباتاً وجماداً.

والله سبحانه وتعالى أعلم

ترسل الاستفتاءات إلى العنوان التالى: مجلة الأزهر - مدير التحرير - بريد رابعة العدوية - مدينة نصر

هناك طرفا ثالثا غير الزوج صاحب النطفة والزوجة صاحبة البويضة، ولا يمكن الجزم مع وجود الطرف الثالث بتحديد الأم الحقيقية لهذا الطفل. فهل الأحق به صاحبة البويضة التى تخلق منها الطفل وحمل كل خصائصها الوراثية؟ أو الأحق به الأم الحاضنة صاحبة الرحم الذى تم فيه نموه وتطوره وتبدله حتى صار جنينا مكتملاً؟.. والطفل الذى يأتى بين والدتين لا يدرى من أمه على سبيل القطع والتأكد، وسيعيش ممزقاً بين انتمائه لهذه وانتمائه لتلك.. وهذا من الأسباب التى حملت الفقهاء على إن استئجار الأرحام محرم شرعاً.

وبناء على ما سبق يتضح :-

أولاً: جواز أطفال الأنابيب بشرط أن يكون الماء من الزوج والبويضة من زوجته، وأن تعاد البويضة الملقحة مرة أخرى فى رحم الزوجة ذاتها التى أخذت منها البويضة ومع مراعاة بقية الشروط المنوه عنها سابقاً.

ثانياً: تحريم ما يسمى باستئجار الأرحام تحريماً قطعياً للعلل المذكورة سابقاً.

ثالثاً: الاستنساخ بالمعنى المشار إليه حالياً وهو الاستنساخ البشرى هو جريمة أخلاقية وقانونية ترتكب فى حق الإنسان وتمثل اعتداء على ذاتيته وخصوصياته التى يتميز بها من بين سائر الحيوانات.. والاستنساخ فى هذا المستوى العابث المنفلت من كل القيود والضوابط ليس خلقاً جديداً للإنسان يضاهى خلق الله ـ تعالى ـ وإنما هو عبث بما خلق الله من البويضات والحيوانات الدقيقة والخلايا الحية - وهذا العبث يعكس الوجه الآخر القبيح - والخطير - لتقدم العلوم والتقنيات وتطورها خارج إطار الأخلاق ومقاصد الشرائع السماوية.. ورغم أن الاستنساخ البشرى قد أحاطته جملة من الشكوك والريب فى امكان تطبيقه وصيرورته أمراً واقعًا إلا أن ما نشرته الصحف حالياً عن الطفلة «إيفا» «حواء» أثار الرعب في نفوس عقلاء العالم من علماء وسياسيين ومفكرين وقانونيين وغيرهم وذلك لما يحدثه هذا العبث من عدوان ينتهى لا محالة إلى هدم الأسرة وتحطيم الهيكل الاجتماعى للإنسان وتدمير روابط النسب والقرابة وصلات الأرحام ومؤسسة الزواج، وهى مؤسسة مقدسة منذ القدم، احترمتها الأديان وعولت عليها كثيراً من أحكامها وتشريعاتها وقيمها.. هذا إضافة إلى أن الاستنساخ البشرى سوف يقدم لنا إنساناً مبتورا من أى جذور ينتمي اليها أو يشعر بالولاء لها.. انساناً مشوه الفكر متحجر القلب أنانى الشعور باختصار إنسان لا أخلاقى، لا أصل له ولا فرع، ولنا أن نتصور الصور البشعة للجرائم التى يسهل اقترافها على أيدى هؤلاء المعزولين عقلياً ونفسياً وشعورياً.. ولعل هذا ما دعا المؤسسات العلمية فى أوروبا وأمريكا إلى المناداة بضرورة التدخل لوضع حد لهذا العبث المجنون الذى طال أخيراً كينونة الإنسان وتاريخه وحضارته، ومن نفس هذا المنطق يحرم علماء الإسلام والمسيحية واليهودية هذا اللون من الاعتداء العلمي على خليفة الله في الأرض، ويعدونه نشاطًا إبليسياً يتعاون عليه شياطين الإنس والجن. وصدق الله العظيم:

﴿ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا﴾

(١) النساء (١١٩)

إذا تركنا هذا اللون من الاستنساخ المدمر أعنى الاستنساخ البشرى، وذهبنا نتأمل الاستنساخ فى مجالات أخرى كالنبات مثلاً، أو فى مجالات طبية بهدف الحصول على أعضاء تعوض الإنسان المريض ما يفقده أو ما يتلف من أعضائه كالكبد والكلى وغيرهما.. فهذا الاستنساخ إذا تم وأجريت عليه التجارب العلمية اللازمة وثبتت فعاليته فإنه مشروع وتشجعه شريعة الإسلام التى تشجع كل بحث علمي يصب فى مصلحة الإنسان المادية والمعنوية.

وعلى ما سبق: يتضح لنا أن استنساخ الإنسان بصفة كلية حرام شرعًا وخروج على منهج الله فى استخلاف الإنسان وعلى الإطار الأخلاقى والاجتماعي حسبما رسمه له القرآن الكريم أما استنساخ جزء أو عضو من أعضاء الإنسان فإنه إن كان لتعويض الإنسان المريض عما يفقده أو لعلاجه من بعض الأمراض فهو مشروع، وكذا الاستنساخ لزيادة إنتاجية النبات أو تحسين سلالة الحيوانات بشرط ألا يؤثر ذلك على توازن البيئة ولا يخل بالمصلحة التى أرادها الله ـ تعالى ـ للكون: إنساناً وحيواناً ونباتاً وجماداً.

والله سبحانه وتعالى أعلم

ترسل الاستفتاءات إلى العنوان التالي: مجلة الأزهر - مدير التحرير - بريد رابعة العدوية - مدينة نصر

تتار العصر

للأستاذ / أحمد السيد تقي الدين

في سنة ٦٥٥هـ كتب هولاكو زعيم التتار رسالة حادة كان لها وقع الصاعقة على رأس الخليفة العباسي المستعصم بالله، آخر خلفاء الدولة العباسية.

كان التتار قد اجتاحوا هراة، وبخارى وآذربيجان، وتبريز، وسمرقند، وبلخ، وقتلوا مئات الألوف دون تمييز بين طفل رضيع وامرأة وشيخ مسن، وأحرقوا الأرض بحيث لم يغادروها إلا وقد صارت خرائب وأطلال بالية.

ويصف ابن الأثير ما حاق بشعوب الإسلام على يد التتار بقوله:

«لقد جرى من هؤلاء التتار مالم يُسمع بمثله من قديم الزمان وحديثه، طائفة تخرج من حدود بلاد الصين لا تنقضي عليهم سنة حتى يصل بعضهم إلى بلاد أرمينية.. وتالله لا أشك أن من يجيء بعدنا إذا بعد العهد ويرى هذه الحادثة مسطورة ينكرها ويستبعدها والحق بيده». ولم يكن ابن الأثير يعلم أن ما ذكره من أهوال ستتكرر وفي نفس المكان.. بغداد وعلى يد تتار جدد!

ارتجت الخلافة العباسية رعباً وهلعاً من خطاب هولاكو زعيم التتار وزلزلت الأرض زلزالها من تحت أقدام الخليفة المستعصم بالله، فهو يعلم أنه لا قبل له بمواجهة هولاكو بعد أن ارتضى لنفسه حياة الدعة واللهو، والعالم الإسلامي من حوله يموج بالفتن والاضطرابات، بل وقد اجترأ عليه حكام الممالك الإسلامية، فها هو ذا السلطان جلال الدين خوارزم شاه، سلطان الدولة الخوارزمية يرسل الجيوش لمحاربة الخليفة العباسي نفسه.

أما الرسالة فقد حملت كل ألوان التهديد والوعيد للخليفة العباسي الذي كان قد اعتاد حياة اللهو والمرح ولم يألف جو الحرب والجهاد وكان يقضي جل وقته وسط الشعراء والقيان والمغنين الذين أغدق عليهم الأموال ببذخ، فلم يكن له ولا لأي من رجاله علم بالحرب وحشد الجيوش.

كان هولاكو قد طالب الخليفة العباسي بهدم حصون بغداد وردم الخنادق المحيطة بها وتسليم ما لديه من خيل وسلاح وعتاد، وأن يحضر هو نفسه «الخليفة» مع خاصة رجاله لمقابلته في معسكره خارج بغداد.

لم يجد الخليفة العباسي ما يفعله غير الإذعان، فقد شل عقله عن التفكير والتمس النصيحة من رجاله فلم يجدها، فلم يكونوا في معظمهم أهل مشورة ودراية، بل كانوا في مجملهم شعراء وأهل لهو وطرب.

خرج الخليفة مع خاصة دولته بعد أن استجاب لتعليمات هولاكو وهدم الحصون وردم الخنادق وسبقته قافلة هائلة تحمل الهدايا والتحف والسلاح والعتاد والمال.

وكانت النتيجة أن ذبحه هولاكو ومعه رجاله، وشرب الخمر في عظام رأسه. واقتحم جنده بغداد فأضرموا النار في بيوتها وبقروا بطون الحوامل وقتلوا كل من يحيا على وجه الأرض، ولم يتركوا أي وجه للحياة حتى النبات والحيوان.

حتى كتب مكتبة بغداد ومخطوطاتها قذفوا بها في الفرات وصنعوا منها جسراً عبرت عليه جحافلهم، واجتاحت جيوش هولاكو التي ضمت بين صفوفها نفر من الأعراب تنكروا لدينهم وعروبتهم التماساً لعرض زائل: غنائم الحرب، ووهج الشعور بالقوة، للتغلب على مايعتمل في نفوسهم من إحساس بالضعف والدونية، اجتاحوا أرض العراق كلها، وواصلت جيوش الشر مسيرتها فاجتاحت بلاد الشام أيضاً ناشرة الرعب والفزع والخراب:

﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(١)

ثم كانت المعركة الأخيرة.. عين جالوت في مواجهة مصر، قلب الأمة الإسلامية النابض، حيث كان سلطانها «سيف الدين قطز» ومساعده «ركن الدين بيبرس البندقداري» قد أعدا للأمر عدته، فلم ترهبهما رسالة هولاكو، ورفضا الإذعان والتسليم فكان النصر الذي حفظ للأمة الإسلامية بقاءها وكيانها وأعاد لها هيبتها المفقودة.

واليوم وبعد مرور مايقرب من سبعة قرون ونصف القرن يقف تتار العولمة، جيوش الشر على أبواب بغداد يطلبون نفس ما طلبه هولاكو من قبل، وبعد أن نشروا الرعب والخراب والدمار بأفغانستان، وتوعدوا العالم كله بالويل والثبور وعظائم الأمور ما لم يؤيدوا مسيرتهم الشيطانية.

ترى هل يعيد التاريخ نفسه؟.

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾(٢).

(١)

(٢) الزمر (٥٣).

طوفان من الشر والخطر فى تجربة استنساخ البشر

للشيخ / عبد الخالق نصير
الأمين المساعد للثقافة الإسلامية

قبل أن يتحدث علماء الدين عن آرائهم فى تجارب استنساخ البشر، من الناحية الدينية ـ لابد لهم أن يعرفوا مفهوم الاستنساخ ومعناه ـ وكذلك علماء الاجتماع والقانون وعلماء النفس والطب والسياسة، وغيرهم من العلماء ـ للوصول إلى منبع الخطر ومكمن الشر وأمواج البلاء فى استنساخ البشر، لكى يبحثوا عن وسائل النجاة من خطر هذا الطوفان المدمر للحياة الإنسانية.

مفهوم الاستنساخ عند الأطباء

قال علماء الطب: إنه تجربة عملية، القصد منها استخراج كائن حى يشبه الكائن الحىّ الذى تؤخذ منه الخلية الحية، وقالوا إن عملية الاستنساخ فى النباتات والحيوانات. قد نجحت، واستخرجت منها الأنواع ذات الخصائص المتميزة. مثل استنساخ الخلايا النباتية لتحسين الإنتاج الزراعى، ومثل استنساخ النعاج والقرود والبقر والقطط، ولابد أيضا من معرفة مدى أهمية الاستنساخ الخاص بعلاج الأمراض المستعصية، وأثره فى زيادة الثروة النباتية والحيوانية واستخدامه فى التنمية الاقتصادية لصالح الإنسانية، إنقاذا لها من الفقر والمرض.

كيف تتم تجربة الاستنساخ البشرى؟

ذكر العلماء المتخصصون، أن هذه التجربة تتم بأخذ بويضة خليّة تكاثرية، وتنزع المادة الوراثية منها بالكامل، ثم يتم أخذ نواة من أى خلية فى الجسم لاستنساخها، فتوضع مكان البويضة التى تم تفريغها، ويتم تعريض هذه الخلية إلى شحنة كهربائية أو محلول كيماوى، لتنشيط الخلية لكى يتم بذلك ـ انقسامها، وتكاثرها.

وتقوم الخلية بدور البويضة المخصّبة، ثم بعد ذلك ـ يتم زرع الجنين فى رحم امرأة لتحمله حتى موعد ولادته، ويصبح الجنين الوليد – نسخة وراثية طبق الأصل من الخلية المأخوذة من الشخص رجلا كان أو امرأة.

وقد أصبح الاستنساخ البشرى ـ مستعداً الآن لغزو العالم، وبخاصة بعد ما زعموا ظهور «حواء» أول طفلة مستنسخة فى تاريخ البشرية، ولابد لنا أيضا ـ من معرفة الفرق بين الطفل المستنسخ، وطفل الأنابيب، لأن بينهما فرقا كبيرا، فعملية الاستنساخ البشرى تسعى للحصول على صورة طبق الأصل من إنسان سواء أكان رجلا أو امرأة.

أما طفل الأنابيب، فقد جاء عن فكرة ابتكرها العلماء لعلاج العقم، ولمساعدة الزوجين على إنجاب طفل، وفى هذه الحالة يتم تلقيح البويضة من الزوجة بالحيوان المنوى من الزوج ـ داخل أنبوبة، وعندما يتم تخصيب البويضة ـ توضع فى رحم الأم لتنمو بشكل طبيعى حتى موعد الولادة، وتكون «كروموزومات الجنين» نصفها مأخوذ من الأب والنصف الآخر من الأم، مثل أى مولود عادى، وهنا قد يأتى إلينا سؤال يقول: إذا كانت النواة المستجلبة بعملية الاستنساخ ـ قد أخذت من خلية زوج شرعى وتمت عملية الاستنساخ منه ومن زوجته الشرعية وتم ذلك بينهما، وبخاصة إذا كان الزوجان لا يستطيعان الإنجاب بالطريقة المعتادة، وهما فى شوق كبير إلى مولود يملأ حياتهما سعادة، ـ فهل يدخل تحت باب علاج العقم بطريقة من طرق العلاج الجائزة شرعا؟ أنا أرى أن هذا جائز إذا كان هناك تأكيد لنجاح العملية وسلامة الجنين من أى خطر يعود على الطفل، أو على والديه ـ أما إذا أجريت أو تمت عملية الاستنساخ فى هذه الخصوص بطريق غير شرعى ـ فالاستنساخ فى هذه الحالة يؤدى إلى دمار المجتمع فيكون حراما وغير جائز شرعا، وهذا رأيى الخاص فى الاستنساخ لعلاج العقم.

ثم إن عملية الاستنساخ لا تسمى خلقا، وإنما هى تجارب صنعها الإنسان وأجراها على النبات والحيوان والإنسان ـ أما الخلق فتتجلى فيه قدسيّة وقدرة الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ كما جاء ذلك واضحا فى القرآن الكريم:

﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾(١).

وقال تعالى:

(١) الرعد (١٦).

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾(٢).

فالخلية والنواة والبويضة من صنع الله، والشفرة الوراثية، والرحم الذى يزرع فيه الجنين من صنع الله .. إلخ.

وبذلك نستطيع أن نؤكد ونقول، إن الاستنساخ ليس خلقا من خلق البشر، بل هو من خلق الله، لأن البشر لا يخلقون شيئا:

﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾(٣).

والبشر يقوم بالعلم والتجارب، فتجارب الاستنساخ فى البشر تؤدى إلى تساؤلات كثيرة محيرة لمن يريد الإجابة عنها، منها تساؤلات بيولوجية، ونفسية وأدبية وأخلاقية واجتماعية، وقانونية، وما مدى الخطر فى تجربة استنساخ البشر؟

● هل سينتهى أمر الاستنساخ إلى تدمير الأسرة؟ وهل ستؤدى هذه التجارب إلى موت عدد كبير من الأطفال عند إجرائها؟

● وهل سينقرض الزواج وتستغنى المرأة عن الزوج بهذا الاستنساخ ليكون لها ولد تتحقق فيه لها غريزة الأمومة؟!

● وهل سينتشر الشذوذ الجنسى بسبب الاستنساخ؟

● وهل ستنتهى السعادة بين الرجل والمرأة لعدم وجود السكن والمودة والرحمة، وهى غايات من غاية الزواج؟!

● وهل ستموت الغريزة الجنسية بين الذكر والأنثى المباحة شرعًا؟

وهى غريزة ضرورية للاستمتاع بين الزوج والزوجة، لتحقيق الخلافة التى جعلها الله للإنسان فى هذه الأرض:

﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾(٤).

● أليس خلق الزوجة من نفس الزوج آية من آيات الله ـ تعالى؟ قال تعالى:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٥).

● هل يعتبر الاستنساخ البشرى تغييرًا لخلق الله بأسلوب شيطانى؟! فقد قال ـ تعالى ـ حاكيًا قول الشيطان:

(٢) المؤمنون (١٢ : ١٤).
(٣) النحل (١٧).
(٤) الواقعة (٥٨ ، ٥٩).
(٥) الروم (٢١).

﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾(٦)

● وهل يستطيع الإنسان المستنسخ أن ينجب ولدا من منى يُمْنَى؟!

﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾(٧).

● وهل سيؤدى الاستنساخ إلى العبث فى الجينات الوراثية وإفساد حياة البشرية أو تدميرها فى الأجيال القادمة؟!

● هل سيؤدى الاستنساخ إلى الإخلال فى التوازن الكونى بين الرجال والنساء، إذا زاد عدد أحد الجنسين على الآخر من النسخ المتشابهة؟!

● وإذا تم استنساخ عدد من الرجال كل منهم نسخة من الآخر، ثم تزوج أحدهم بزوجة، فهل تعرف الزوجة زوجها الحقيقى من بين هؤلاء الرجال؟! وكيف تعاشر زوجها الحقيقى من بينهم؟ ألا يؤدى ذلك إلى إشاعة الفاحشة؟!

● ولو تم استنساخ عدد من النساء كل واحدة نسخة من الأخرى فهل يعرف الزوج زوجته الحقيقية من بين هؤلاء النساء؟

وفى النهاية هل سيؤدى الاستنساخ بهذه الكيفية إلى الشيوعية الجنسية؟! وينتشر مرض الإيدز؟!

● ولو ارتكبت جريمة من الجرائم من أحد الرجال الذين تم استنساخهم من نسخة واحدة، فهل يعرف المجرم الحقيقى أمام القضاء وفى المحاكم - من بين هؤلاء المستنسخين؟ أين المتهم؟ ومن المذنب؟! ومن البرىء؟! ألا يؤدى ذلك إلى كثرة الجرائم، وضياع الحقوق؟! هل يعرف المجرمون بسيماهم أمام العدالة؟! ولو كان القاضى من هؤلاء المستنسخين من نسخة واحدة - فمن هو؟ ومن سيصدر الحكم؟ ومن المحكوم عليه ومن المحكوم له من بين هؤلاء؟! هل تستطيع أن تميز بينهم؟!

● ولو وقعت حرب بين المستنسخين من نسخة واحدة، وقتل بعضهم فى المعركة وجرح آخرون منهم ونجا من نجا، فمن القتلى والجرحى؟! ومن الأحياء الناجون؟! كيف يعرفون وهم من نسخة واحدة؟! ومن المهزوم؟ ومن المنتصر؟!

● وهل من الممكن أن يؤدى التلاعب فى استنساخ الجنس البشرى إلى ظهور أمراض نفسية أو عصبية أو أمراض مستعصية لا علاج لها بسبب وقوع الخلل فى الفطرة أو بسبب وجود فيروسات خطيرة أو ميكروبات جديدة نتيجة لهذا الاستنساخ؟!

● هل من الجائز أن يؤدى الاستنساخ البشرى إلى ظهور إنسان آخر ـ متوحش ـ لا

(٦) النساء (١١٩).
(٧) الطارق (٥ : ٧).

يعرف الإنسانية أو الرحمة ويصبح كالحيوان المفترس فى الغابة؟ ألا يتعارض هذا مع تكريم الله ـ تعالى ـ للإنسان؟!

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾(٨) وكل هذه التساؤلات وغيرها تحمل أبعاد الخطر وطوفان الشر والشرور فى تجارب استنساخ البشر، فهل نستطيع أن نجد أطواق النجاة؟ ومن الذى يعصمنا من هذا الطوفان المدمر؟!

﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾(٩)

كما قال القرآن الكريم، ومعلوم لنا جميعا أن الدين الإسلامى لا يتعارض مع التقدم العلمى ولا يقف أمامه ـ مادام العلم يُستخدم لصالح البشرية ومنفعتها لا لضررها وتدميرها. فالإسلام يدعو إلى العلم النافع، ففى الحديث الصحيح «اللهم إنى أسألك علما نافعا» وجاء أيضا «اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع..»

وجاء فى أول الوحى:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾(١٠).

وقد أمرنا الله أن نستزيد من العلم:

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾(١١) وتفضل علينا ـ سبحانه ـ بنعمة العلم والاختراع فقال:

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾(١٢).

وأرشدنا إلى استمرار البحث العلمى بقوله:

﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(١٣).

والإسلام لا يمنع استخدام الاستنساخ فى علاج بعض خلايا الجسم ـ طلبا للشفاء من أمراض خبيثة ـ لأنه يدعو إلى العلاج واستخدام الدواء، وكذلك استخدام الاستنساخ فى تنمية الثروة الحيوانية والنباتية بشرط ألا يترتب على ذلك ضرر يعود على الإنسان. فالقاعدة الشرعية تقول: «لا ضرر ولا ضرار» أما الاستنساخ البشرى فغير مقبول ـ دينيا ـ ومرفوض ـ دوليا ـ ويكفى فى خطورة الاستنساخ البشرى أنه يؤدى إلى القضاء على القرابة، والنسب والمصاهرة، وصلة الأرحام.

فأين العمات والأعمام والأخوال والخالات بل أين الآباء والأمهات؟ وأين المحرمات من النساء؟ وعلى من توزع المواريث؟ وأين الحقوق والواجبات بين الأزواج والزوجات؟ وأين القيم الدينية؟ والأحكام الشرعية؟ والتقاليد الاجتماعية؟ وكل هذا يؤدى إلى دمار المجتمعات البشرية.

(٨) الإسراء: (٧٠). (٩) هود (٤٣). (١٠) العلق (١: ٥).
(١١) طه (١١٤). (١٢) النساء (١١٣). (١٣) الإسراء (٨٥).

رسالة .. و .. رد

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

BY AIR MAIL
PAR AVION

الوفد كثير والحج قليل

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد: فرسالة هذا العدد جاءت من القارىء م. ع. س من الجيزة يقول فيها:

قرأنا فى الصحف أن الحج والعمرة يكلف الدولة أكثر من خمسة مليارات علما بأن أغلب هؤلاء الحجاج والمعتمرين سبق لهم الحج فى حين أن الدولة تعانى من ضوائق مالية خانقة فما رأى الدين فى ذلك؟

وقبل أن أجيب عن هذه الرسالة أمهد لها بكلمة موجزة عن حكم الحج وحكمته ومنزلته فى الإسلام، فقد روى الإمام مسلم من حديث عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أن جبريل ـ عليه السلام ـ حين جاء رسول الله ﷺ فى صورة رجل ليعلم الصحابة أمور دينهم كان من أسئلته عليه السلام لرسول الله ﷺ: «يا محمد، أخبرنى عن الإسلام» فقال رسول الله ﷺ: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، إن استطعت إليه سبيلا» قال: «صدقت» فقال ـ عمر رضى الله عنه ـ: «فعجبنا له يسأله ويصدقه...» الحديث رواه مسلم.

وروى البخارى عن عبدالله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: بُنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان» وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: «خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «أيها الناس إن الله كتب ـ أى فرض ـ عليكم الحج فحجوا» فقال رجل ـ وهو الأقرع بن حابس كما جاء فى رواية ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا، ثم قال ﷺ: لو قلت نعم لوجبت ولما

استطعتم ثم قال: ذرونى ما تركتكم فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شىء فدعوه».

وقال تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(١)

من هذه النصوص السابقة تبين لنا أن الحج أحد أركان الإسلام الخمسة كالصلاة والزكاة والصوم وأنه فرض على المسلم مرة واحدة فى العمر بشرط الاستطاعة وتتحقق الاستطاعة بأن يكون المسلم صحيح البدن قادرا على أداء المناسك والمشاعر من طواف وسعى وغيرهما، وأن يكون مالكا للزاد والراحلة وما يكفيه ومن يعوله إلى أن يعود، وألا يكون مدينا لا يرجو السداد فإن كان يرجو السداد، فعليه الحج، وأن تكون الطريق آمنة فإن تحققت الاستطاعة بالصحة والمال وأمن الطريق، وجب عليه الحج على الفور عند الأئمة الثلاثة: أبى حنيفة، ومالك، وابن حنبل - رضى الله عنهم - وقال الإمام الشافعى: والثورى، والأوزاعى، ومحمد بن الحسن الشيبانى، إن الحج واجب على التراخى فلا يأثم من وجب عليه الحج بتأخيره متى أداه قبل الوفاة لأن رسول الله ﷺ أخر الحج إلى سنة عشر مع أن إيجابه كان سنة ست: فلو كان واجبا على الفور ما أخره صلوات الله عليه، والأرجح رأى الجمهور وهو أن الحج واجب عند الاستطاع على الفور لحديث ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «من أراد الحج فليعجل فإنه قد يمرض المريض وتضل الراحلة وتكون الحاجة» رواه أحمد والبيهقى وابن ماجة وغيرهم.

وعنه أنه ﷺ قال: «تعجلوا بالحج - يعنى الفريضة - فإن أحدكم لا يدرى ما يعرض له» رواه أحمد والبيهقى وقال ما يعرض له من مرض أو حاجة.

أما تأخير رسول الله ﷺ الحج إلى السنة العاشرة مع أن الحج فرض فى السنة السادسة فذلك لسببين: **الأول**: أنه صلوات الله عليه كان مشغولاً بتأمين الدولة الإسلامية فى المدينة المنورة ونشر الإسلام فى ربوع الجزيرة العربية كلها.

والثانى: أن الكعبة المشرفة كانت محاطة بالأصنام فلما حطم صلوات الله عليه الأصنام عام الفتح وطهر الكعبة منها وأصبحت الجزيرة كلها تدين بالإسلام حج صلوات الله عليه حجته الوحيدة فى الإسلام وهى حجة الوداع.

وعليه فإن الحج فريضة العمر أى يجب فى العمر مرة واحدة وذلك لا يمنع أن يكون الحج بعد ذلك تطوعا لمن استطاع وأراده عملا واستجابة لدعوة سيدنا إبراهيم - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والتسليم:

﴿ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾(٢).

---

(١) آل عمران (٩٧).

(٢) إبراهيم (٣٧).

وتأمل معنى تعبير «تهوى إليهم» فهو من الهوى أى السقوط من أعلى فالجسم الساقط من عل لا إرادة له فى السقوط والهوى وليس بمستطيع أن يمنع نفسه منه، وعليه فلا حرج على من يحاول الحج مرة ومرات أخرى بعد حج الفريضة ولذلك نرى أغلب أهل الموسم ممن سبق له الحج.. ومع ذلك فالواجب علينا ترشيد هذا الأمر ضمن الأمور الكثيرة التى يجب علينا أن نرشدها.

وأسوق فى هذا المقام حادثة وقعت لأحد العلماء والصالحين:

كان إبراهيم بن أدهم ذاهباً إلى الحج مع بعض أحبابه ومريديه وكانوا قد حجوا حجة الفريضة وفى الطريق مروا على قوم فى أشد الحاجة إلى الطعام والشراب والكساء فأعطاهم ابن أدهم ما كان مع القافلة من زاد ومال وأخبر أصحابه الذين سبق لهم الحج أن ما فعلوه يعدل فى ثوابه ثواب حج التطوع إن لم يزد، وعاد ولم يحج هذا العام لأنه كان ومن معه قد سبق لهم الحج مرات.

وما فعله ابن أدهم - رضى الله عنه - موافق تماماً لروح الإسلام ومطابق كل التطابق لفقه الأولويات والذى دعا إليه كل الأئمة فى الماضى والحاضر فإذا قرأت مثلا فى الفقه أن المصلى إذا رأى أعمى يوشك أن يقع فى حفرة قاتلة أو يتردى فى بئر فيموت وعلمت أن الفقهاء يجيزون له أن يقطع صلاته لينقذ هذا الإنسان بل يوجبون عليه ذلك مع ما للصلاة من أهمية قصوى فى ديننا، فهى ركن الإسلام الأعظم وعموده الذى بنى عليه، كما قال صلوات ربى وسلامه عليه «الصلاة عماد الدين»(٤) وأعتقد أن وزارة الداخلية المصرية تشترط فيمن تسمح له بالحج ألا يكون قد حج خلال خمسة الأعوام السابقة وهذا أمر عظيم جداً لأننا لا نريد أن يُحرم الناس من هذه المتعة الروحية التى يشعرون بها أثناء أداء الحج، كما أمر الدين، وكما سن رسول الله ﷺ لأنهم بعد أداء الفريضة ينجذبون رغما عنهم - كما سبق الإشارة إلى ذلك - فى قوله تعالى:

﴿ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾

أما من يحج ليعود يحمل لقب الحاج أو ليجعل الحج فسحة أو رحلة سياحية كم يفعل كثير من رجال الأعمال والفن فيما يسمى بالحج السياحى، فهؤلاء فى ظنى لا يشعرون بالانجذاب إلى البيت الحرام، وقد قرأت فى بعض الآثار: (يأتى على الناس زمان يحج أغنياؤهم للنزهة وأوساطهم للتجارة وقراؤهم للرياء والسمعة وفقراؤهم للمسألة) وذلك ما حدا بعمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أن يقول لما رأى كثرة الحجيج: (الوفد كثير والحج قليل) أى أن عدد أهل الموسم الذين جاءوا لأداء الحج كثير أما من يحجون حجاً حقيقياً فأقل من القليل.

على أن نفسى لا تطاوعنى أن أدع القلم قبل أن أشير إلى مسألة فى غاية الأهمية تتصل بموضوع الرسالة وهى:

لماذا يتسى الإعلاميون من يقضون الصيف

هم وعائلاتهم فى مصايف أوروبا ومن يقيمون لأولادهم أعياد ميلاد يكلفونها عشرات الملايين انهم يستقدمون بعض المدعوين أو بعض المطربين بتذاكر طائرة على نفقتهم وربما على طائرات خاصة، ولقد سمعت – والله أعلم – ان بعضهم يأتيه الطعام الذى يشتهيه من أوروبا ساخنا، وبعضهم – والله أعلم – يحلق شعره فى إيطاليا أو فرنسا هذا بالاضافة إلى مدربى الكرة الذين يتقاضون عشرات الآلاف من الدولارات كراتب شهرى أو سنوى.

يجب علينا ان نقف فى وجه الإسراف والتبذير فى كل اتجاه وفى كل مجال مراعاة لأحوال دولتنا المالية التى تمر بازمة طاحنة.

أما ان نقول: إن الاسراف فى الحج والعمرة يجب وقفه ونغض الطرف عن الإسراف والبذخ فى الكماليات بل فى المعاصى والمحرمات، فهذا من ازدواج المعايير كما يقولون، بل من قلب الموازين. على ان الإنفاق فى الحج والعمرة مهما زاد له مردود مالى لقول رسول الله ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة» رواه النسائى والترمذى وصححه.

ونفى الفقر هنا ليس خاصاً بالافراد بل يشمل الدول لان الدول تتكون من الأفراد بدليل الجمع فى الخطاب «تابعوا» ثم إن المسلم الذى تنجذب روحه رغما عنه إلى الحج ويؤدى المناسك على الوجه الأكمل متلافيا ما قصر فيه فى الحجة السابقة ويعود نقيا من الذنوب كيوم ولدته امه، اى يعود ملتزما اى يعود ملتزما بالتعاليم الاسلامية. لاشك ان هذا المسلم سيكون مقتصداً فى نفقاته العادية بعد الحج مخلصا فى عمله متقنا له وهذا بلاشك يعود على الدخل القومى بأفضل أثر، بالإضافة إلى ان أكثر من نصف نفقاته يعود على الدولة متمثلا فى ثمن تذاكر الطائرة أو الباخرة والمشتريات الأخرى.

واختم هذا الرد بالحديث الآتى: روى البخارى ومسلم عن عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت: قلت يا رسول الله (ألا نغزوا ونجاهد معكم قال: «لكنْ أحسن الجهاد وأجمله: الحج حج مبرور» قالت عائشة: «فلا أدع الحج بعد إذ سمعت هذ من رسول الله ﷺ».

ومعنى هذ أنها - رضى الله عنها - قررت تكرار الحج والعمرة كل عام.

وقد جاء فى حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - الذى رواه النسائى ان رسول الله ﷺ قال: «جهاد الكبير والضعيف والمرأة الحج» وقد ذكر الفخر الرازى فى تفسيره الكبير «مفاتيح الغيب» فى تفسير قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ ﴾[3].

ان المراد الثواب كان ما أخرجه من مال أو غيره فقد رجع إليه[4].

---

(3) البقرة ١٢٥.

(4) مفاتيح الغيب جـ٤ ص٢٩٩ ط الفد العربى.

النوم .. دقائق وحقائق

للأستاذ / مجدى عبدالحميد بشير

للحصول على قسط كاف من النوم فى أثناء الليل لا النهار فوائد جمة لكنه أمر صعب المنال يعانى منه بشكل خاص كبار السن الذين يصبحون أشد إحساسًا بالضجيج والضوضاء الأمر الذى يؤدى إلى سرعة استيقاظهم ليلاً.. ومن المشاكل التى تضيف عبئا يحول دون النوم العميق الأوجاع والآلام الناشئة عن العلل والامراض والأدوية التى يتناولها هؤلاء الناس ومن هنا كان التركيز على نشر العادات السليمة للنوم الصحى وتبيين العادات الضارة التى تحرم الإنسان فوائد النوم العميق التى لا تقع تحت حصر.

ويقسم الخبراء النوم إلى نوعين اساسيين والفيصل فى هذا التصنيف هو النشاط الكهربى للمخ.

النوع الأول: هوالنوم الذى تتحرك فيه الأعين حركات شديدة السرعة ومن علاماته قصر نبضات القلب وتقاربها وسرعتها، وربما وصفت تلك المرحلة بالتضارب، لان العقل فيها يكون مشغولاً تماماً كما لو كان الإنسان يقظا، كما أنه يقع فيها الاحلام السريعة.. أما أجزاء المخ التى تختص باتخاذ القرارات وبعض أنواع التذكر فسرعان ما تهدأ بينما تنشط المناطق المسئولة عن العاطفة.

النوع الثانى: يسمى نوع الموجات البطيئة ويتميز بموجات بطيئة نسبيا من النشاط الكهربى للمخ وتحدث فيه العمليات الهضمية المختلفة والعمليات التخزينية وقسم الباحثون هذا النوع لأربعة مراحل الفيصل فيها أيضا هو نشاط المخ وسرعة الاستيقاظ، وأكدوا على نقطة شديدة الأهمية أرجو ان يوليها القارىء العزيز كل الانتباه وهى أن الفترة الثالثة والرابعة فى هذا النوع هى أشد فترات النوم عمقاً.

واما جودة النوم ورداءته فتتغير بتقدم السن، فقد أكد الخبراء أنه فى سن ٦٥ يبذل المخ جهداً شاقاً لبلوغ مراحل النوم العميق ونخص بالذكر المرحلة الثالثة والرابعة من النوع الثانى للنوم أما سن ٧٥ فربما عجز البعض عن الوصول لهذه المرحلة من النوم

العميق وهو ما يفسر سرعة استيقاظ الطاعنين في السن وعدم شعورهم بالراحة حتى بعد النوم طوال الليل.

وصحيح أن الكبار يكفيهم الهجوع قليلاً في أثناء الليل، إذ يعوضون ذلك بنوم القيلولة نهاراً وهو نوم استثنائي لكنه لا ينفي أهمية تحصيل القسط الوافر من النوم فما هو يا ترى القدر الكافي من النوم العادي الصحي؟؟

الشائع بين الناس هو ثماني ساعات يومياً، لكن دراسة نشرت مؤخراً أكدت ارتفاع معدل الوفايات بين أولئك الذين ينامون ثماني ساعات أو أكثر ليلاً، بينما قالت الإحصاءات بقلة الوفيات بين أولئك الذين ينامون سبع ساعات وهو قول مردود عليه إذ الآجال بيد الله وحده لا يؤثر فيها طول سهر ولا قلة نوم، مع الأخذ بالأسباب طبعاً.

والفائدة الممكنة من تلك الإحصاءات هي أن النوم لفترات طويلة يعد ببساطة سبباً لمرض خطير وأن هناك ما يؤثر على صحة الفكرة الشائعة التي تؤكد جدوى النوم ثماني ساعات ليلاً كما أن قلة النوم تؤدي الى الدوخة والغثيان وهو أن يتسبب في وقوع الحوادث وقد ربطت الدراسات بين الأرق - وهو عدم القدرة على النوم عند الرغبة فيه - ومجموعة من المشاكل الصحية التي تتراوح بين أمراض القلب وزيادة مستويات الهرومانات المؤدية إلى ارتفاع الضغط، ناهيك عن المشكلة شديدة الخطورة وهي عدم كفاءة الجهاز المناعي واختلاله في أداء وظائفه الحيوية وقد بنيت دراسة نشرت مؤخراً أن الرجال فقط في سن ٦٥ وما بعدها يعانون من الأرق المزمن وهو ما يؤدي إلى مشاكل في ضعف القدرات المعرفية الأمر الذي يؤكد الدور الحاسم للنوم المريح اللازم لقوة الذاكرة أو الحافظة على وجه التحديد.. كما أن لقلة النوم أثر في ضعف القدرات المعرفية ووهنها بالإضافة إلى الإحساس بالتعب والإنهاك نهاراً وهو ما يؤدي بدوره لأن يكون الإنسان نزقاً عصبياً في تعامله مع الآخرين ولا تنس السهو الذي يحد كثيرا من الأنشطة الذهنية والجسمية التي تحتفظ للعقل بقدرته الباهرة على العمل.

وختاماً أخي المسلم إليك بعض النصائح التي تجعلك تستفيد من فترات نومك أقصى استفادة ممكنة فاتبع هذه الوصايا ما استطعت إلى ذلك سبيلا.

أولاً: لتحرص على أسلوب حياة بعينه بمعنى الذهاب إلى الفراش والاستيقاظ في وقت محدد تقريبا كل يوم والسبب أن المخ يحتاج للتعود على «أسلوب» معين حتى ينتبه إلى تخفيف قبضته على مجرى الوعي لدى الإنسان.

ثانياً: اجعل حجرة النوم مخدعاً للنوم فقط فإن كنت متزوجا أضف إلى وظائفها أن تكون مكاناً للمعاشرة الزوجية فلا تضع فيها تلفازا ولا مذياعاً ولا حاسوباً ولا منبها أو ساعة لأن الإحساس بالوقت يزكي القلق ويزيد حدته.

ثالثاً: إياك والمنبهات فاحذر تناولها فتأثيرها يدوم ساعات خصوصاً لدى كبار السن كما أنها تقلل من قدرة الجسم على بلوغ مراحل النوم العميق إلى النوع الثاني من النوم كما أنها لا تمتع صاحبها بالنوع الأول من النوم.

رابعاً: نحن بحمد الله بعيدون عن تعاطي المشروبات الكحولية التي توهم شاربها بسعادة زائفة وتجلب الغثيان والكوابيس والأحلام المزعجة ولا تلك المشروبات المحرمة من مدرات البول فإنها تكون سببا في كثرة الذهاب إلى الحمام.

خامساً: اعتياد النشاط ولقد أكدت الدراسات أن الأصحاء بدنيا من كبار السن هم الذين ينالون قسطا كافيا من النوم ناهيك عن حفز البالغين على ممارسة التمارين الرياضية المقيدة لهم.

أما النقطة السادسة: فنقطة جوهرية مهمة الا وهي الخروج من البيت إلى الأماكن الطلقة المفتوحة فإن التعرض للضوء ذو تأثير أكيد على جودة النوم وعلى «نظام» الحياة اليومية وكذا بعض الغدد التي تفرز «الميلاتونين» وهو هرمون ينتج عنه الإحساس بالنعاس والأمان وهو أمر لا يقدر أهميته القابعون في البيوت والخاملون والكسالى عن أداء أعمالهم وحتى لو توفر لهم في المنزل أشد أنواع الإضاءة سطوعا فإنها لا تضاهي أبداً ضوء الشمس فلا تحرم نفسك من هذه النعمة العظيمة التي سخرها الله - تعالى - لنا.. وقد نشر اليابانيون في العام الماضي بَحثا أوضحوا فيه أن التعرض لشمس منتصف النهار الساطعة المتلألئة يزيد مستويات الميلاتونين لدى الكبار ويحسن من استفادتهم من ساعات نومهم ليلا ولا تنسى أخيراً وصية الرسول ﷺ لكل مسلم أن يكون اجتماعيا لا يعزل نفسه عن الاخرين ولا يتقوقع على ذاته فقد قال ﷺ «إن من أحبكم إلى وأقربكم مني مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون» فمحبة الناس تزيل الكآبة والحزن وتجلب المرح والبشاشة.

وبعد فإن السنة النبوية الشريفة والقرآن الكريم قبلها هما مصدر لكل الحقائق العلمية الصادقة التي كان أحدثها ما توصل إليه العلماء ونشرته هيئة الأعجاز العلمي في القرآن والسنة من أن الإنسان يكون ميتا موتا حقيقا في المرحلة الثالثة من النوم وهو ما صرح به القرآن الكريم في قول الله عز وجل:

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1].

فما أسعد المسلمين بكتاب ربهم العظيم وسنة نبيهم الكريم ﷺ.

---

(١) سورة الزمر: ٤٢.

بين الصحف و المجلات

إعداد الأستاذ
محمود الفشني

الحرب الصليبية والعجز العربى
الرأى الشرعى لمن يساعدون هؤلاء الأعداء

وحول الأزمة العراقية تجولنا داخل الصحف وتوقفنا عند صحيفة الأسبوع فى موضوع تضمن لفتاوى لكبار العلماء حول هذه الحرب فى عددها الصادر فى ٢٤/٢/٢٠٠٣ قالت فيه: يا مامشايخنا تكلموا يرحمكم الله. المسلمون فى محنة ولا نجد إلا ديننا إسلامنا لنحتمى به بعد أن تخاذل الحكام والحكومات.

● وتناولت الصحيفة موضوع المعارضة العراقية وتعاونها مع الصهيونية وأمريكا وبريطانيا وهل ذلك جائز أم لا: أجاب الشيخ المستشار فيصل مولوى نائب رئيس المجلس الأوروبى للبحوث والفتوى قائلا: إن تعاون بعض أطراف المعارضة مع أمريكا وبريطانيا حرام من الناحية الشرعية وخيانة من الناحية الوطنية والله ينهانا عن تولى أعدائنا ضد إخواننا فيقول:

﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾(١).

ويعتبر الذين يقومون بهذا الأمر منافقين.. لأن هذا سوف يؤدى إلى تمزيق الطرق وسيطرة العدو الصهيونى عليه.

(١) سورة آل «عمران الآية ٢٨».

● وأجاب عن نفس السؤال د. يوسف القرضاوى مؤكدا أن آيات القرآن حذرت من موالاة أعداء الأمة لأن فى طاعتهم معصية لله لقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾(٢).

وأكد فى رده على مقاطعة أمريكا اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا لأنها القوة التى تشد أزر إسرائيل.

● ثم أشار الدكتور يوسف أبو حليبة عميد كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية سابقا - فلسطين إلى أن أمريكا تبحث عمن تعتمد عليه لتنفيذ مخططاتها كما فعلت فى أفغانستان ولا يجوز التعاون مع العدو أو التنسيق معه لضرب المسلمين تحت أى حجة ولا يجوز الوقوف فى صف الأعداء مهما كان الشعار الذى يرفعونه.

رسالة إلى القمة العربية

كتب الأستاذ رضا محمود حسين فى جريدة الوفد فى عددها الصادر فى ٢٤/٢/٢٠٠٢ يقول يا حكام العرب اتحدوا واتقوا الله فى أوطانكم فإن أمريكا أمام قوتكم لا تساوى جناح بعوضة، إن الأمة العربية والأمة الإسلامية هى خير أمة أخرجت للناس لما حباها الله سبحانه وتعالى بالرسل والأنبياء والكتب المطهرة والملائكة وقال لهم رب العزة جل جلاله:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾(٣).

وقال سبحانه وتعالى:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾(٤).

و توالت الأحداث والانتصارات للأمة الإسلامية عندما اتحدت على كلمة الحق والعدل وإعلاء كلمة الله وإخفاق كلمة المشركين بالله، وقد وضع الله فى قلوب المؤمنين القوة والعزة مهما كان عددهم وعتادهم ووضع فى قلوب المشركين والذين كفروا الذلة والمهانة فقال سبحانه وتعالى:

﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾(٥).

***

(٢) آل عمران «١٠٠».
(٣) آل عمران «١١٠».
(٤) آل عمران «١٠٣».
(٥) البقرة «٢٤٩».

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم
عادل رفاعى خفاجة

«مجلة الأزهر و آمال المستقبل»

حينما نشرت مجلة الأزهر أول أعدادها، كان المشاركون فيها شيوخا كبارا ملكوا ناصية البيان، وتعمقوا في الدين بالقدر الذى أوجب لهم احترام الآخرين. ويكفى أن يكون فى مقدمتهم الشيخ محمد الخضر حسين ـ شيخ الأزهر فى ذلك الوقت.

وللقارىء أن يتصور مدى قوة المادة المنشورة فى المجلة بعددها الأول بالإضافة إلى رصانة الأسلوب..

كانت هذه بداية مجلة الأزهر وهو ما يذكرنا بقول الشاعر:

إن الهلال إذا رأيت نموه
أيقنت أن سيكون بدرًا كاملاً

وبفضل الله فإن المجلة تخطو خطواتها الجادة فى ثبات نحو النمو والتقدم فى كثير من الاتجاهات: فمن حيث الكم نجد أن المجلة قد بدأت بحوالى مائة صفحة وظلت تتزايد حتى بلغت فى غالب أعدادها الآن ١٦٠ صفحة تزيد على ذلك فى بعض المناسبات.

كما يصدر معها كتيب ـ يوزع بالمجان ـ يعرض أحد كتب التراث أو يعالج بعض القضايا العصرية الهامة.

أما من ناحية الإعداد والتنسيق فخلال هذه الرحلة الطيبة المباركة وصلت المجلة إلى استخدام أحدث التقنيات فى عالم الطباعة مما أدى إلى ظهورها فى شكل أكثر تميزًا عن ذى قبل.

ومن حيث الموضوعات فمازالت المجلة تقدم لقرائها المزيد والجديد، فتضيف أبوابا جديدة مثل: قصة العدد ـ ما يقال عن الإسلام ـ كتاب الشهر ـ خطبة الجمعة وجميعها يعالج بأقلام أساتذة متخصصين، بالإضافة إلى باب بين الصحف والمجلات ويعطى إطلالة على أهم ما قدمته الصحافة خلال شهر كامل.

وكذلك هذا الباب: «بين المجلة والقارىء» الذى يعد نافذة على آراء القراء، فتدرس إدارة المجلة تلك الآراء وتنفذ الصالح منها، وهو ما ظهر واضحًا فى استجابة القراء عند ردهم على بطاقة الاستبانة التى طرحتها المجلة لقياس رغبات القراء وكشف توجهاتهم وميولهم وما يفضلون قراءته فى المجلة، لقد جاءت رسائل القراء بغزارة تشير بشكل واضح إلى الارتباط القوى بين المجلة وقرائها ومن جانبها قامت إدارة المجلة بتنفيذ أغلب تلك الاقتراحات.

وإذا كانت تلك السطور الماضية تناولت فى عجالة حديث الماضى والحاضر فإن لنا فى المستقبل آمال نعرض لها فى لمحة سريعة وهى آمال نتمنى تحقيقها ونسعى إلى تنفيذها.

من هذه الآمال:

١ـ وضع أعداد المجلة كاملة منذ صدورها حتى الآن على أقراص مدمجة (C.D) تساهم فى خدمة الدارسين والمهتمين بمسائل الفقه الإسلامي.

وهو ما قامت المجلة بخطوات نحو تنفيذه، غير أنه يحتاج إلى المزيد من الوقت.

٢ـ فتح نافذة لمجلة الأزهر على شبكة الانترنت، وهو ما ننتظر تنفيذه فى هذا العام بمشيئة الله تعالى من خلال موقع: www.al azharonline.org

الذى تقوم بتنفيذه شركة:

www.sheikh mohammed.co.ae

المعنية بتنفيذ مشروعات سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم ولى عهد دبى ووزير الدفاع بدولة الإمارات العربية المتحدة.

ويا حبذا لو تم ترجمة المجلة أو بعض موضوعاتها إلى عدة لغات، لنشر صحيح الدين الإسلامى ففى ذلك أبلغ رد لمن يشيعون الأكاذيب ضد الإسلام والمسلمين.

٣ـ إصدار طبعة للمجلة أو ملخص لها «بطريقة بريل Braille» توجه إلى إخواننا وأبنائنا المكفوفين وهو ما ييسر لهم متابعة أحدث الأبحاث الإسلامية، وآراء العلماء حول مستجدات العصر وأهم القضايا.. بدلا من تركهم يعتمدون على المصادر الغربية التى قد تقدم لهم بعض أمور الدين بطريقة غير صحيحة.

وفى ذات الوقت ستعد هذه المطبوعة نافذة للمكفوفين فى أنحاء العالم للتعرف على صحيح الدين الإسلامى وهى نافذة قد تكون غير متاحة لهم حتى أيامنا هذه.

وبعد: فإذا كنا قد تكلمنا عن الماضى والحاضر وآمال المستقبل فلابد أن نختتم بحديث الوفاء:

ونعنى به الدعوة إلى تكريم هؤلاء العلماء الأفاضل الذين شاركوا بمجهوداتهم فى إنشاء وتدعيم واستمرار مجلة الأزهر منذ صدورها إلى الآن حتى وصلت إلى هذه المرحلة الطيبة شكلا وموضوعا وليكن فى هذا التكريم ما يدفع الكتاب المعاصرين لبذل الجهد، ليستكملوا المسير على درب أسلافهم.

والله من وراء القصد وبه التوفيق

عادل خفاجة

{وإلى رسائل القراء} ←

الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه

نبدأ بحديث القراء عن أحد الصحابة أو التابعين فقد تناول الخليفة العادل عمر بن الخطاب فكتب كل من القارئ خيرى محمد إبراهيم أبو الروس والقارئ/ محمد عبد الغنى إسماعيل عن الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ.

نبدأ ببعض ما كتب الشيخ خيرى أبو الروس حيث يقول:

ولد سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ فى مكة المكرمة حوالى سنة ٥٨٤م وبلغ فى مكة المكرمة مكانة كبيرة حتى إن قريشاً كانت تبعثه سفيراً لها بين القبائل لفض المنازعات والمشاكل بينها.

أسلم سيدنا عمر بن الخطاب ابن نفيل بن عبد العزى العدوى فى السنة السادسة من البعثة النبوية الشريفة وكان إسلامه فتحاً ونصراً للمسلمين وكان ذلك بعد هجرة المسلمين إلى الحبشة. ولقد هاجر سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ إلى المدينة المنورة جهراً وليس سراً وشهد مع رسول الله ﷺ «بدراً» وبقية المشاهد وقد وافق الوحى رأى سيدنا عمر فى القرآن الكريم فى أكثر من موضع منها رأيه فى أسرى بدر من المشركين ومنها تحريم الخمر ومنها آيات الحجاب ولقد لقب بأمير المؤمنين وهو أبو عبد الله وأبو حفص وكانت مواقف سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ مشهورة فى خلافة الصديق سيدنا أبو بكر ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ وولاه الصديق «القضاء» فظل سنتين لا يأتيه متخاصمان هيبة منه فهو الملقب بالفاروق لأنه فرق بين الحق والباطل وكان يعطى كل ذى حق حقه وكان عندما يراه الشيطان فى طريق يفر هارباً إلى طريق آخر خوفاً منه ولقد تولى سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ الخلافة فى عام ١٣ هجرية ودامت خلافته أكثر من عشر سنوات.

ولقد ابتكر سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ ترتيبات إدارية جديدة على العرب والمسلمين فأنشأ الدواوين وهو أول من لقب بأمير المؤمنين وهو أول من وضع نظام الحسبة فى الإسلام، وهو أول من وضع التقويم الهجرى.

ومما كتبه القارئ محمد عبد الفتاح إسماعيل ـ الطالب بالأزهر ـ قنا ـ قفط ـ نقتطف هذه الكلمات:

«... ومن رحمته ـ رضى الله عنه ـ أنه رأى شيخاً ضريراً يسأل على باب، فلما علم ـ رضى الله عنه ـ أنه يهودى قال له: ما ألجأك إلى ما أرى قال له: أسأل الجزية والحاجة والسن، فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله فأعطاه ما يكفيه وأرسل إلى خازن بيت المال، وقال له انظر إلى هذا وأمثاله فوالله ما أنصفناه، أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم، ورفع عنه الجزية وعن أمثاله. فأى رحمة تفوق هذه الرحمة؟!

وفاته ـ رضى الله عنه ـ: وتوفى ـ رضى الله تعالى عنه ـ مقتولاً على يد لؤلؤة المجوسى غلام المغيرة بن شعبة.

يرحمك الله يا عمر يا أمير المؤمنين بقدر ما جاهدت وما رحمت الضعفاء وبقدر ما عملت لإصلاح الأمة بأكملها».

لم أتعلم غيرها

أما القارئ الشيخ / ابراهيم البدرى / إمام وخطيب بالأسكندرية يقول:

سأل شقيق البلخى تلميذه حاتم الأصم: ماذا تعلمت منى؟ قال: ثمانى مسائل قال شقيق: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب عمرى معك ولم تتعلم إلا ثمانى مسائل! قال لم أتعلم غيرها، فقال: ماهى؟ قال حاتم:

الأولى: نظرت هذا الخلق فرأيت كل واحد يحب محبوباً فهو مع محبوبه إلى القبر فإذا وصل الى القبر فارقه! فجعلت الحسنات محبوبى فإذا دخلت القبر دخل محبوبى معى.

فقال: أحسنت ياحاتم فما الثانية؟.

قال: نظرت فى قول الله عز وجل:

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾

النازعات: ٤٠

فاجهدت نفسى فى دفع الهوى عنها.

الثالثة: أنى نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل من معه شىء له قيمة ومقدار رفعه وحفظه، ثم نظرت إلى قول الله عز وجل:

﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾.

النحل: ٩٦

فكلما وقع معى شىء له قيمة ومقدار وجهته الى الله ليبقى عنده محفوظاً.

الرابعة: أنى نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع إلى المال وإلى الحسب والشرف والنسب فنظرت فيها، ثم نظرت الى قوله تعالى:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾.

الحجرات: ١٣

فعملت فى التقوى حتى أكون عند الله كريماً.

الخامسة: أنى نظرت إلى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم فى بعض ويلعن بعضهم بعضاً، ثم نظرت إلى قول الله عز وجل:

﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾

الزخرف: ٣٢

وعلمت أن القسمة من عند الله سبحانه فتركت عداوة الخلق عنى.

السادسة: نظرت إلى هذا الخلق يبغى بعضهم على بعض، ويقاتل بعضهم بعضاً، فرجعت الى قول الله عز وجل:

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾.

فاطر: ٦

فعاديته وحده وتركت عداوة الخلق.

السابعة: نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل فيها نفسه ويدخل فيما لا يحل له، ثم نظرت إلى قوله تعالى:

﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾

هود : ٦

فاشتغلت بما لله تعالى على، وتركت مالى عنده.

الثامنة : نظرت إلى هذا الخلق فرأيتهم كلهم متوكلين على مخلوق، هذا على ضيعته، وهذا على تجارته وهذا على صناعته، وهذا على صحة بدنه، وكل مخلوق متوكل على مخلوق مثله، فرجعت إلى قوله تعالى :

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾

الطلاق : ٣

فتوكلت على الله عز وجل فهو حسبى.

قال شقيق : وفقك الله تعالى ياحاتم.

من إبداعات القراء

قسوة الليل

شعر / زكريا عبد المحسن على سيد

(١) قد أقبلَ الليلُ بالأشجانِ يغشانا — والعقلُ يسبحُ فى الأفكارِ حيرانا

(٢) والقلبُ فيه لظى الأشواقِ ثائرةٌ — تعصى الكرى وتُذيقُ الوَجْدَ نيرانا

(٣) فلا أرى عبراتِ العينِ تُبرئُنى — ولا أرى لطريقِ الصبرِ عُنوانا

(٤) ما عادَ ليلُ الصَّفَا بالحُبِّ يُبهِجُنا — ويلتقى فى حِمَى الأسحارِ أحانا

(٥) نبكى على (عُمَرٍ) فالعدلُ منحسرٌ — والظلمُ منتشرٌ، قد باتَ نشوانا

(٦) يلهو بأرضِ الهدى، والنارُ رايتُهُ!! — عَمَّ البقاعَ ويَسقى الأهلَ طُغيانا!!!

(٧) فالظلمُ يسعى وصوتُ الخوفِ يُطرِبُهُ!! — يذيقُ مَن ذا اللظى بَرًّا وشُطآنا

(٨) والحزنُ يقبعُ فى الآفاقِ يؤلمُها — والنارُ تأكلُ أفراحًا وبستانا

(٩) ما عادَ يفرحُ دربٌ فى نضارته — أو يعتلى كروانُ الحُبِّ أغصانا

(١٠) كم تشتكى ربواتُ الطُّهرِ ضارعةً — عسى الإلهُ يُعيدُ الفرحَ ريّانا

نعتذر للسادة القراء لعدم نشر رسائلهم كاملة، وذلك حرصًا من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من القراء. ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق فى اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها. كما نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم ونواصل نشرها تباعا بمشيئة الله



أنباء العالم الإسلامى

للأستاذ / محمد الشرقاوى

افتتاح موقع الأزهر على الانترنت

شهدت مكتبة الأزهر الشريف افتتاح مشروع «الأزهر أون لاين» والذى يتضمن حفظ ١٢٥ ألف مطبوع متنوع، وتحويل ٤٢ ألف مخطوطة إلى وثائق يمكن إظهارها على الشبكة الدولية للمعلومات، كما يتيح موقع الأزهر الاطلاع على نوادر المخطوطات من داخل وخارج الأزهر.

صرح بذلك فضيلة الشيخ أحمد خليفة رئيس الإدارة المركزية لدار الكتب الأزهرية، الذى أوضح أن نشر تراث مكتبة الأزهر على الانترنت يتيح لملايين البشر مطالعة تراث الأزهر لتتعرف بنفسها على سماحة ويسر الدين الإسلامى.

افتتاح المركز الإسلامى فى أوكرانيا

افتتح المركز الإسلامى فى مدينة «سيمافروبول» فى أوكرانيا وهى عاصمة شبه جزيرة القرم وسكانها من المسلمين التتار وحضر حفل الافتتاح ممثل الرئيس الأوكرانى وبعض قادة المسلمين وممثلون عن أكثر من «٣٠٠» جمعية إسلامية فى القرم.

ويتكون المركز من مسجد ومكتبة إسلامية وقاعات دراسية ونادٍ للانترنت وصالة للاستقبال وصالة للرياضة وقسم للأنشطة النسائية.

وقاحة إسرائيلية

أدان مجلس مسلمى عموم بريطانيا أمس قيام إحدى الشركات الإسرائيلية المستوردة للخمور بلصق صورة المسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة على زجاجات الخمر المستوردة من أوكرانيا معتبراً أن هذا الإجراء فيه مساس بمشاعر المسلمين فى كافة أنحاء العالم وينطوى على إزدراء واضح لمعتقداتهم.

وقال «عنايت بنجالا والا» المتحدث الرسمى باسم مجلس مسلمى عموم بريطانيا : إن المسلمين البريطانيين وكافة المسلمين فى شتى أنحاء العالم يدينون هذا العمل من جانب الشركة الإسرائيلية ويطالبونها بالتوقف فوراً عن وضع صورة المسجد على زجاجات الخمر.

الجالية الإسلامية فى أمريكا تندد بقرار إحصاء عدد المساجد

أعربت أوساط الجالية الإسلامية فى الولايات المتحدة عن استيائها من خطة لمكتب التحقيقات الفيدرالى الأمريكى «اف بى اى» لإحصاء عدد المساجد فى البلاد بزعم استخدام بعض المساجد لتغطية نشاطات إرهابية.

وقد ذكرت صحيفة الحياة اللندنية أن زعماء الجالية الإسلامية نددوا بهذا القرار وأكدوا أن له دوافع عنصرية وقال الناطق باسم مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية «كير» : إن هذا أمر مخيف ويظهر أن المسئولين الأمريكيين ينظرون إلى جميع المسلمين بريبة.

وتأتى هذه الحملة الجديدة ضد المساجد بالولايات المتحدة بعد أن أعلنت الشرطة البريطانية أنها عثرت على أسلحة صغيرة عندما داهمت مسجد «فينز برى بارك» فى العاصمة لندن واعتقلت سبعة من الجالية الإسلامية هناك.

محطة إذاعية إسلامية فى تشاد

أعلن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى تشاد عن إنشاء محطة إذاعية إسلامية جديدة تبث برامج دينية ودعوية تحت إشراف المجلس وقال رئيس المجلس: إن الإذاعة الجديدة بدأت بثها التجريبى أوائل الشهر الماضى بمعدل ١٢ ساعة فى اليوم على أن يتواصل البث طيلة الـ ٢٤ ساعة.

بعد انتهاء الفترة التجريبية فى أغسطس القادم واعتبر رئيس المجلس إنشاء المحطة الإذاعية خطوة متقدمة فى اتجاه دفع العمل الإسلامى والدعوة فى العاصمة «انجمينا» وضواحيها هذا ويقوم المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى تشاد بالإشراف على المساجد والخلاوى والكتاتيب القرآنية والمدارس الإسلامية ويتولى الإفتاء والإشراف على القضاء الشرعى والأئمة والخطباء وينظم القوافل الدعوية لنشر الإسلام فى البلاد بين الوثنيين.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

مبارك يبحث مع فضيلة الإمام الأكبر دور علماء الأزهر فى بيان سماحة الإسلام

● استقبل السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمقر رياسة الجمهورية ودارت المقابلة حول الدراسة فى الأزهر وما يقوم به من إيفاد علماء إلى خارج مصر لكى يشرحوا ويبينوا سماحة الإسلام وأن شريعة الإسلام تعطى كل ذى حق حقه، وأنها تقوم على العدل والإنصاف ووجوب الوقوف إلى جانب المظلوم حتى ينتصر والوقوف فى وجه الظالم حتى يندحر، وأوضح أن الأزهر يستقبل طلاباً وطالبات من ٩٦ دولة على مستوى العالم يقوم برعايتهم فى مأكلهم ومشربهم ومسكنهم وعلاجهم ويتلقون العلم إلى جانب إخوانهم وأخواتهم المصريين.

كما تحدث فضيلته مع السيد الرئيس حول سفر فضيلته فى الوقت المناسب لزيارة أمريكا وأوروبا لكى يشرح ويبين سماحة الإسلام وأحكامه والإجابة عن الاستفسارات التى تطرح، وأن يشرح بطريقة حكيمة كيف أن شريعة الإسلام تعطى كل ذى حق حقه وأنها تحرص على نشر السلام والرخاء والإخاء بين أبناء المجتمع الإنسانى كله وفى الوقت نفسه ترفض الإرهاب والاعتداء على حقوق الآخرين، وأن هذه الجولة من شأنها مواجهة المفاهيم المضللة عن الإسلام فى الغرب، والتأكيد على نفى فكرة الصراع الحضارى وتأكيد حتمية التعاون الإنسانى.

الإمام الأكبر:

مصر دائماً تقف إلى جانب الحق والعدل والسلام

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير فيدون أنستاسيو سفير جمهورية قبرص بالقاهرة يرافقه السيدة ميكاليس ميشيل المستشار الصحفي للسفارة بالقاهرة، حيث رحب فضيلته بهما في الأزهر الشريف مشيداً بالعلاقة القوية والقديمة بين مصر وقبرص موضحاً أن الله ـ عز ـ وجل أوجدنا من أب واحد وأم واحدة لكي نتعاون فيما بيننا ولكي نتبادل المنافع التي أحلها الله ـ سبحانه وتعالى ـ ومصر وقبرص بينهما علاقات طيبة والسيد الرئيس محمد حسني مبارك رئيس الجمهورية يهتم بالقضايا العربية والدولية ويقف بجانب هذه القضايا بالحق والعدل والسلام وذلك في ظل الظروف الراهنة التي تتعرض لها المنطقة، وقد دعا السادة الملوك والأمراء والرؤساء للاجتماع لتوحيد الصف العربي لمناقشة الأمور على الساحة ومن أهمها قضية العراق وقضية الشعب الفلسطيني، مشيرا إلى أن مصر وقفت إلى جانب قبرص في قضيتها التي كانت تعاني منها بسبب تقسيمها، ومصر دائما تقف إلى جانب الحق والعدل والسلام، ومن جانبه شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على هذا اللقاء وعلى إتاحته هذه الفرصة، وقال: إنه لشرف عظيم أن أحظى بهذا اللقاء وهو يعلم مهام ومشاغل فضيلته، وأنه ينقل تحيات ومشاعر الحب من جانب حكومة وشعب قبرص لمصر وأزهرها الشريف، وأشار إلى أن أعداداً كبيرة من القبرصيين يسكنون في مصر وأن عدداً كبيراً من المصريين يسكنون في قبرص منذ أكثر من ٥٠٠ خمسمائة عام وحيث إننا نعيش في وقت الأزمات فعلينا أن نتعاون ونصلي من أجل تحاشي الكارثة التي ستدمر المنطقة بأكملها، وقال: إنه بالرغم من صغر حجم قبرص إلا أنها تملك الكلمة المسموعة، وتتخذ المواقف النبيلة فتقف إلى جانب الحق وتتعاون مع الدول المحيطة والمجاورة وبخاصة مصر.

الإمام الأكبر يطالب بتدريس اللغة العربية في مناهج دولة ماليزيا

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف جلالة السلطان إسماعيل فترا سلطان ولاية كلنتان بماليزيا والسيدة حرمه السلطانة أنيس بنت عبدالحميد ونجله الأمير محمد فخري إسماعيل فترا والوفد المرافق رفيع المستوى بالولاية، حيث رحب فضيلته بجلالة

السلطان والوفد المرافق مشيداً بعمق العلاقة بين مصر وأزهرها الشريف ودولة ماليزيا الشقيقة، مشيراً إلى أن أعداداً كبيرة من طلاب وطالبات ماليزيا تخرجوا في الأزهر الشريف ويحتلون المراكز المرموقة والقيادية في ماليزيا إلى جانب الطلاب والطالبات الذين يدرسون الآن في الأزهر وجامعته العريقة، وهي أعداد كبيرة أيضاً بجوار إخوانهم وأخواتهم من الطلاب والطالبات المصريين، وأن الدراسة في الأزهر الشريف تمتاز بالتوسط والاعتدال، ويحرص الأزهر الشريف على أن يحفظ الطالب أو الطالبة القرآن الكريم إلى جانب دراسة المواد الشرعية مثل التفسير والحديث ودراسة الفقه على المذاهب الأربعة، ودراسة المواد اللغوية والتبحر فيها مثل اللغة العربية والصرف والأدب والبلاغة والمحفوظات، وقد أوضح فضيلته بأن ما يقرب من ٥٠ ألف طالب من أبناء ماليزيا تخرجوا في الأزهر الشريف وهم يستطيعون تعليم أبناء بلادهم اللغة العربية، وأن دولة ماليزيا هي الأكثر عدداً ممن يدرسون في الأزهر الشريف، والأزهر يفتح أبوابه لطلاب وطالبات ماليزيا، وطلب فضيلته أن يتم وضع حصص للغة العربية في مناهج دولة ماليزيا حتى يعرف الطالب أو الطالبة كيف يقرأ القرآن الكريم قبل أن يأتي للتعلم في الأزهر الشريف، والمسلم لا يستطيع أن يتعلم القرآن أو يحفظه إلا إذا درس اللغة العربية، ومن جانبه قدم جلالة السلطان والسيدة حرمه الشكر لمصر رئيساً وحكومة وشعباً وللأزهر الشريف شيخه وعلمائه وطلابه على هذا الاستقبال الحار وعلى ما تقدمه مصر وأزهرها الشريف لأبناء ماليزيا للتعليم في الأزهر الشريف وحصولهم على أعلى الشهادات، وقال جلالته: إنه فخور جداً بأبناء بلاده الذين يتعلمون في الأزهر الشريف والذين تخرجوا فيه، وأن هناك أعداداً كثيرة ستأتي أيضا للتعلم في الأزهر الشريف وجامعته، وقال: إن ولاية اتلانتن الماليزية بها أكثر من ١٤٠٠ خريج من الأزهر، وأن جلالته سيقوم بزيارة طلاب ماليزيا الذين يدرسون بمدينة البعوث الإسلامية، وقال: إن مدارس ولاية اتلانتن يدرسون المقررات التي يدرسها الأزهر الشريف إلى جانب دراستهم لمواد أخرى وقدم جلالته الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لزيارة ولاية كلنتان الماليزية، وقد شكره فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على هذه الدعوة ووعد بتلبيتها في الوقت المناسب وقدم فضيلته المصحف الشريف المفسر طبعة الأزهر الشريف لجلالته ولجلالة السلطانة حرمه.

تايلاند تطلب مركزاً للدراسات الإسلامية تحت إشراف الأزهر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف معالي وزير خارجية تايلاند الدكتور سوراكيرات سائيراتاي يرافقه سعادة

سفير تايلاند بالقاهرة والوفد المرافق رفيع المستوى، حيث رحب فضيلته بالسادة الضيوف في مصر وأزهرها الشريف مؤكداً على عمق العلاقة بين مصر وأزهرها الشريف ومملكة تايلاند، وأن الأزهر الشريف تمتاز الدراسة به بالاعتدال والتوسط والبعد عن التطرف الأعمى والعصبية المقيتة، وقال: إننا نعتبر الناس جميعاً إخوة في الإنسانية وعليهم أن يتعاونوا من أجل صالح البشرية بعيداً عما يتنافى مع الأدب الإنساني ونحن في مصر نستقبل أبناء العالم للدراسة بالأزهر الشريف بمدن البعوث الإسلامية بالقاهرة والإسكندرية يتلقون العلم والتعليم بجانب إخوانهم في مصر، وأن أبناء تايلاند الذين يدرسون بالأزهر الشريف يمتازون بالخلق الرفيع والإقبال على العلم والمداومة على التحصيل، ومملكة تايلاند المتحدة تعتبر من الدول التي لها طلاب كُثُر يدرسون بالأزهر الشريف بل تعتبر ثاني دولة من حيث تعداد الطلاب، وقال فضيلته: نحن في مصر مسلمين ومسيحيين نعيش كأسرة واحدة نتلاقى في الأعياد والمناسبات القومية ونتزاور دائماً ونتمتع بالحقوق ونؤدي الواجبات لا فرق بيننا ولكل إنسان عقيدته، المسلم يذهب إلى المسجد، والمسيحي يذهب إلى الكنيسة، ولا إكراه على العقائد، والذي يحاسب على العقائد هو الله - عز وجل - ولأن الإكراه على العقائد لا يولد مؤمنين صادقين وإنما يولد منافقين كذابين، ومن جانبه شكر السيد وزير الخارجية فضيلته على حسن الاستقبال والترحيب وقدم تقديره وشكر بلاده لمصر وللأزهر الشريف للمنح التي تقدم لأبناء تايلاند للدراسة بالأزهر الشريف مشيداً بدور الأزهر كمؤسسة دينية تعليمية كبرى ليس لها مثيل في العالم، وقال: إن عدد المسلمين في تايلاند يبلغ عشرة ملايين مسلم، وحرية العبادة مكفولة للجميع وإن مملكة تايلاند لها علاقات ممتازة بالدول المجاورة، وقال: إننا نساند القضية الفلسطينية ونقف بجانبها، وبصدد إنشاء بنك إسلامي وتمنى أن يلقى العاملون به الفرصة لزيارة الأزهر الشريف لدراسة المعاملات الإسلامية وبخاصة كتاب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الخاص بالمعاملات الإسلامية، وقد وجه السيد الوزير الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لزيارة مملكة تايلاند وسيقوم بإرسالها رسمياً لفضيلته لزيارة المسلمين هناك والإشراف على البنك، كما طلب سيادته علماء من الأزهر الشريف لتايلاند لإلقاء المحاضرات، كما ناقش إمكانية فتح مركز للدراسات الإسلامية في تايلاند تحت إشراف الأزهر الشريف، وأن مملكة تايلاند تشجع التعاون مع مصر في التجارة والصناعة والسياحة، وفي نهاية اللقاء، شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على هذا اللقاء الطيب الهام مؤكداً على تقديره وامتنانه لمواقف الأزهر عقب أحداث ١١ سبتمبر مشيراً إلى أنها سياسة حكيمة.

بتوجيهات من فضيلة الإمام الأكبر:

توفير كل ما هو ممكن ومتاح للبوسنة والهرسك بالطرق الدبلوماسية

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد دولة البوسنة والهرسك برئاسة الدكتور عصمت نائب عميد كلية الدراسات الإسلامية بالبوسنة، والدكتور رئيس شعبة اللغة العربية بجامعة سراييفو، والدكتور مدير مكتبة غازي خسرو بك التابعة للمشيخة الإسلامية، وقد رحب فضيلته بالسادة الضيوف في الأزهر الشريف مشيداً بالصلة القوية بين الأزهر الشريف ودولة البوسنة والهرسك معرباً بأن الأزهر الشريف يفتح أبوابه لأبناء البوسنة والهرسك للتعليم في الأزهر بجانب إخوانهم من طلاب مصر وعلى استعداد لإمدادهم بالكتب الدراسية والمناهج التعليمية ويوجد طلاب من البوسنة والهرسك يدرسون في الأزهر الشريف وجامعته العريقة، شكر السادة الضيوف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على حسن الاستقبال والحفاوة وعلى ما يقدمه الأزهر الشريف منذ القدم لأبناء بلادهم حيث إن العديد من أبناء البوسنة درسوا وتخرجوا في الأزهر الشريف ويحتلون المكانة والمناصب المرموقة في بلادهم، وأن أكبر العلماء البوسنيين تخرجوا في الأزهر الشريف ونالوا أعلى الشهادات منه، ومنذ أكثر من ١٥٠ مائة وخمسين سنة كتب أحد العلماء مخطوطات منها المصحف الشريف بخط اليد، وأن كثيراً منهم درسوا في المراكز الإسلامية المختلفة بالقاهرة، وقال إن لديهم مكتبة إسلامية تحتوي على العديد من المخطوطات التي جمعها الطلاب البوسنيين منذ عهد الأتراك، والبوسنة بها ستة مدارس إسلامية تقوم على تعليم الطلاب اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم، وقد أبلغ الضيوف تحيات المسلمين والعلماء من البوسنة والهرسك لفضيلة الإمام الأكبر والشكر على ما يقدمه الأزهر لتعليم أبناء بلادهم أمور الدين الإسلامي واللغة العربية، وقد أهدى الوفد المصحف الشريف بخط اليد لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الذي قام فضيلته بإهدائه لمكتبة الأزهر الشريف. وقد وافق فضيلته على توفير كل ما هو ممكن ومتاح للبوسنة والهرسك عن طريق الطرق الدبلوماسية موضحاً أن الأزهر الشريف لا يدخر وسعاً في تقديم العون والمساعدة لأبناء المسلمين في كل مكان كما وجههم فضيلته إلى زيارة مكتبة الأزهر الشريف للاطلاع على ما بها من كتب ومخطوطات.

الأزهر يطالب بتحسين أوضاع اللاجئين فى العالم

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيدة آناليريا فرانش مديرة المكتب الإقليمى لمفوضية الأمم المتحدة لشئون اللاجئين للشرق الأوسط بالقاهرة، حيث رحب فضيلته بسيادتها مؤكدا على أن الأزهر الشريف على استعداد للتعاون فى خدمة اللاجئين فى أى مكان، ومن جانبها شكرت الضيفة فضيلته على إتاحته الفرصة لهذا اللقاء وأشارت إلى أنها ممثلة المكتب فى القاهرة، وتتابع شئون اللاجئين فى مصر وفى دول أخرى وبخاصة فى الفترة الأخيرة التى تمر بهـا المنطقـة من جـراء مـا يحـدث فى العراق، ورغم تمنياتها أن يسود السلام، إلا أن الموقف يتطلب العمل والاستعداد من باب الاحتياط ربما تنشب حرب ففي هذه الحالة نطلب من فضيلتكم المساعدة بتوجيه نداء للدول المجاورة بأن تفتح حدودها لاستقبال اللاجئين، وتقول أيضاً أننا نعمل بعيداً عن الدور الإعلامى وذلك من أجل السلام وبعيداً عن الحروب، ونأمل أن يحل السلام بدلا من الحرب، وقد أعرب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر عن شكره للمؤسسات التى تهتم بأوضاع اللاجئين لأنهم بشر مثلنا ويحتاجون للرعاية، ونحن مسئولون عنهم كمسئوليتنا عن أنفسنا، ولابد أن نهيىء لهم ضروريات الحياة، وإذا ما قصرنا فى ذلك فسيحاسبنا الله حساباً عسيراً، ونحن نشاهد ما يحدث فى فلسطين من اعتداءات متكررة ومن قتل وتخريب وتشريد وتجريف للأرض، وقد تفشى المرض إلى جانب التردى فى النواحى الاقتصادية، ويجب على العالم التكاتف لتقديم العون والمساعدة لهؤلاء، ونقدم الشكر لكل الهيئات والمؤسسات التى تعمل لحماية اللاجئين ونحن ندعو الله - عز وجل - أن لايحدث ما يؤذى الشعب العراقى، لأن ذلك سيؤدى إلى اضطراب فى العالم كله، والأزهر الشريف يدعو إلى معاونة وتحسين أوضاع اللاجئين سواء أكانوا من فلسطين أم من أى دولة فى العالم.

الإمام الأكبر يستقبل وفداً نيجيريا

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد دولة نيجيريا الذين يدرسون بمعهد التدريب والبحوث لتنظيم الأسرة بالإسكندرية، حيث رحب فضيلته بالسادة الحضور فى الأزهر الشريف وقد أجاب عن أسئلتهم واستفساراتهم حول ما يتعلق بتنظيم الأسرة وقال: إنه جائز حينما يتفق الزوجان على ذلك متى كانت هناك حاجة تدعو إليه، وهى مسألة يقدرها الزوجان حسب ظروفهما وبالوسائل التى يريانها كفيلة بذلك كتباعد فترة الحمل أو إيقافه لمدة معينة، وهناك حالات

يقررها الطبيب المعالج، وفيما يتعلق بالختان أوضح فضيلته أن المرجع الأساسى هو رأى الطبيب لأنها مسألة طبية، فما يقوله الطبيب المختص يؤخذ به ولكل حالة ما يناسبها، وحول الرأى الشرعى فى تعدد الزوجات قال فضيلته: إن الشريعة الإسلامية قد حددت ذلك حينما تكون هناك ضرورة تدعو إلى التعدد مع اشتراط العدل فيما بينهن، وفيما يخص أطفال الأنابيب قال فضيلته: هو حلال للزوجين وأى صورة أخرى بخلاف الزوجين فهو حرام حرام حرام، وحول الرأى فى الأحداث الجارية أوضح فضيلته: إن الإسلام يمد يده بالسلام إلى كل من يمد يده إليه بالسلام، فمن يتعامل معنا كمسلمين معاملة حسنة فنحن ملزمون بأن نعامله معاملة حسنة، أما من يعتدى علينا فقد أذن الله لنا أن ندافع عن أنفسنا وبالنسبة للقضية الفلسطينية: نحن مع إخواننا فى فلسطين نؤيدهم ونساعدهم ونقف إلى جوارهم ونمدهم بكل ما يحتاجون إليه حتى تكون لهم دولته الحرة المستقلة وعاصمتها القدس الشريف أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى رسول الله ﷺ وبالنسبة لما يحدث فى العراق: فنحن ضد أى عدوان يقع على الشعب العراقى وكل ما نرجوه هو أن تحل قضية العراق سلمياً دون حرب، والسيد الرئيس محمد حسنى مبارك يحاول ويسعى جاهداً لحل القضية حلاً سلمياً.

واختتم فضيلته حديثه بأن شريعة الإسلام قد نظمت أمور الأسرة تنظيماً حكيماً.

الإمام الأكبر يستقبل وفد جامعة القرآن الكريم بالسودان

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد جامعة القرآن الكريم بالسودان برئاسة الدكتور أحمد سعيد وكيل الجامعة الذى نقل تحيات العاملين من أساتذة وطلاب جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بأم درمان، ويذكر أن الجامعة قد شاركت فى معرض الكتاب الدولى بالقاهرة.

وأوضح فضيلة الإمام الأكبر للسادة الضيوف النظام التعليمى الذى يسير عليه الأزهر الشريف مؤكداً على حفظ القرآن الكريم فى مرحلة الابتدائى والإعدادى والثانوى كما قدم شرحاً مبسطاً للنظام الإدارى بالأزهر الشريف، وقد وجههم فضيلته لزيارة جامعة الأزهر الشريف للوقوف على النظم الإدارية بها أيضاً.

ويستقبل وفداً ماليزيا

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الوفد الماليزى الذى يزور مصر فى إطار زيارته لمعرض الكتاب المصرى الدولى بالتنسيق مع مكتبة دار الشروق ويرأس الوفد داتو نظمى من وزارة الشئون الدينية بكتائب شئون الجيش الماليزى، وقد رحب فضيلته بالسادة الضيوف مشيداً بعمق العلاقات الطيبة بين مصر وأزهرها الشريف وبين دولة ماليزيا وأوضح أن الآلاف من الطلبة والطالبات الماليزيين يدرسون بالأزهر

الشريف وجامعته العريقة إلى جانب الذين تعلموا وحصلوا على أعلى الشهادات وسافروا إلى بلادهم يقومون بتعليم أبناء بلادهم القرآن الكريم واللغة العربية وعلوم الشريعة الإسلامية وقد أجاب فضيلته عن أسئلتهم واستفساراتهم.

الإمام الأكبر يجتمع برؤساء ومديرى عموم المناطق الأزهرية

● اجتمع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بالسادة رؤساء ومديرى عموم المناطق الأزهرية على مستوى الجمهورية، حيث استعرض فضيلته الإيجابيات فى امتحانات النقل فى الفصل الدراسى الأول، كذا الوقوف على السلبيات مؤكداً على المقومات التى تعزز امتحانات الفصل الدراسى الثانى، مشدداً على وضع القيود والضوابط التى يتم عليها اختيار مقار لجان الامتحانات سواء فى النقل أو الشهادات، وناقش فضيلته التدابير اللازمة لضبط سير الدراسة فى الفصل الدراسى الثانى مؤكداً ومشدداً على العناية بتحفيظ القرآن الكريم لأنها وظيفة الأزهر الأساسية وشعار الأزهر الذى اتخذناه هو (ليس بأزهرى من لم يحفظ القرآن الكريم) كما تم مدارسة توفير الكتب الدراسية المقررة على الطلاب واستلامهم لها دون نقص، مؤكداً على التزام هيئة التدريس بالخطة والمنهج واستمرار الدراسة حتى نهاية المواعيد المقررة لها مع تكثيف الإشراف والمتابعة من القائمين على أعمال التوجيه تحت إشراف شيوخ المعاهد ورؤساء المناطق لانتظام سير العمل فى الفصل الدراسى الثانى، كما أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على الاهتمام بتجربة المصحف المعلم بصوت المرحوم الشيخ محمود الحصرى واستعراض ثمارها وفوائدها، والخطوات التى اتخذت بغية تطبيقها تدريجيا بالمعاهد الأزهرية، حيث إنها تعين الطلاب والطالبات على حفظ القرآن الكريم حفظًا سليمًا، وتم توزيع الكاسيتات وأشرطة التسجيل على المعاهد حسب المقرر على كل مرحلة، كما تم مناقشة الإجراءات التى اتخذت بخصوص المعينين الجدد والموزعين على المناطق الأزهرية والبالغ عددهم تسعة عشر ألف موظف فى تخصصات التعليم والدعوة ومجموعات توعية ومكتبية وخدمات معاونة، والتزام المناطق بالتعليمات الصادرة بشأنهم وتوزيعهم على المواقع المحتاجة إليهم بالفعل سداً للعجز، كما أكد فضيلته على استخدام أجهزة التقنية الحديثة، وكيفية استخدامها لصالح العملية التعليمية بالمعاهد الأزهرية وطلب الاحتياجات المطلوبة حتى يمكن استكمال النقص.. حضر الاجتماع فضيلة الشيخ رئيس قطاع المعاهد الأزهرية وفضيلة الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر الشريف والسادة وكلاء قطاع المعاهد والمسئولون عن العملية التعليمية بقطاع المعاهد الأزهرية.

his companion, “Grieve not; surely Allah is with us,” Then Allah sent down His serenity on him, and aided him with hosts you did not see; and He made the word of the ones who disbelieved the basest; and the word of Allah (is the one) which is the uppermost; and Allah is Ever-Mighty, Ever-Wise.﴿ [At-Tawbah (Repentance) : 40]

The Messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, decided his aim behind the Migration and he resorted to a way by which he could fulfill his aim. For more explanation, he prepared the human and material means that fitted the circumstances and the possible conditions. Moreover, he organized these means well and then applied them in a sound realistic method. As a result, his plan succeeded and he reached his aim. One of the most outstanding of those means was putting the right person in the right place i.e. employing each of the selected persons in a position corresponding to his abilities and skills. For example, he chose Abu Bakr to accompany him and also for financing, Ali Ibn Abi Talib to repay trusts and to sleep in his bed to blind the polytheists, and Abdullah Ibn Abu Bakr to get them informed and bring them the news of the polythiests, etc. In fact, the story of Migration spreads ease and hope in Muslims’ souls and indicates that every affliction has wisdom behind and every distress is followed by bliss.

In conclusion, Migration paved the way for the Islamic Call to penetrate through hearts and minds. It also enabled Muslims to declare their creed freely and without fear. Moreover, it let humanity get out of its darkness, eased its confusion and pushed it towards the way of good and righteousness. So, Migration was a victory from Allah to believers and a light to those who fought in His way and for His sake. They shall enjoy freedom after constraint and honor after humiliation.

[1]Migration Is A Great Historical Event

By: The Honorable Sheikh,
Abdul-Mohsin Mahmoud Abdul-Fattah.

When we talk about the Migration of Muslims, we should mention strong faith, tough fighting, struggle, patience against bitter enemies and stern polytheists who aimed at keeping and maintaining the age of polytheism. At that time, Muslims were few in numbers living in humiliation, weakness and submissiveness till the Messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, and those who believed in him say, "When will Allah vindicate us? The Messenger thought to consult his companions about migrating to Abyssinia to enjoy freedom of creed, thought and declaring rites of religion. He, may the blessing and peace of Allah be upon him, said to his followers: ***"If you go out to the land of Abyssinia, you shall find a just king. You shall stay there till Allah makes a way out for you."*** So, some of the Muslims such as Uthman Ibn Affan and his wife, Ruqaya and the Messenger's daughter migrated and then Muslims followed till they reached about eighty-three persons. When they reached Abyssinia, An-Najashi received and treated them with great generosity.

After that, Muslims migrated to Medina where the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, was received with great ovation. Medina was under the rule of two tribes, namely, Al-Aws and Al-Khazraj. The Prophet honored them by calling them Al-Ansar (The Supporters). Moreover, he said: ***"If it was not for Migration, I wish I would be one of Al-Ansar."*** The two tribes were going into continuous internal conflicts. This led to division as there were opposing factions among

[1 1] An Article published (In Arabic) at Al-Azhar Magazine.

them. If a man of any of the two tribes wished to go out to get or fulfill something, he would expose himself to great danger. Consequently, this continuous conflict resulted in their being living in a state of unease and discomfort. There was no man having the authority and able to unite them or make them reach a settlement. Accordingly, this matter called for a unique man from outside Medina. This man was Muhammad, may the blessing and peace of Allah be upon him, and so was the Migration. His insight led him to realize that his call shall find listeners and great response at Medina other than anywhere else.

The Migration changed the path of history as it is an indication upon great morals and values and a living example full of inspiration. The Messenger's Migration from Mecca to Medina was not out of fear but it was applying a well-designed plan that was discussed and agreed upon. He did not migrate fearing the aggression and persecution of Quraysh but it was fulfilling of a promise made with some of those who came from Medina at the time of pilgrimage. In addition, he, may the blessing and peace of Allah be upon him, was not seeking wealth, fame, authority or glory. He neither migrated out of grudge on the unjust polytheists of Mecca nor longing for going to his advocates of Medina; he used to invoke saying: ***"O my Lord! Guide my people as they do not know."*** In brief, his Migration was out of love to all humanity and believing in freedom and its preserving.

Migration was a heroic act done on bases of sound planning, so we find that the Ever-Glorious Qur'an records Migration as a victory from Allah, Glory be to Him, to His Prophet as He revealed:

﴿In case ever you do not vindicate him, yet Allah readily vindicated him, as the ones who disbelieved drove him out the second of two, as the two were in the cavern, as he said to

and working according to the Divine laws guaranteed existence and extension for our predecessors. Sound method and its harmony with nature is not enough to apply it on others unless there is he who believes in it as a creed, applies it as a law and sets it as a system (for his life).

It will not be reasonable for any one to follow that method and give up his present creed or religion that establishes a kind of amicability and adherence which makes it too difficult to urge him to embrace another religion except by a kind of brain-wakening as well as releasing mind from the control of habit and siege_of an inherited religion. That is the reason that spurs the supports of falsehood to care for its preservation and motivates them to resist all those trials of wakening and freeing using all the possible means of oppression and terrorism so that they can preserve their predominance as well as their assumption of being gods on earth.

Consequently, there will be an inevitable clash between those who are entrusted by Allah to disseminate guidance and those who prevent and stand as a barrier against spreading light among mankind. Islam stated this law of clash as Allah, The Al-Mighty, revealed:

﴾And had it no been for the repelling by Allah of mankind, some by means of others. The earth would indeed have been corrupted; Allah is The Owner of Grace over the worlds.﴿

[Surat Al-Baqarah (The Cow): 251]

That matter necessitates a power for the people of truth to keep their rights and pave the way for truth to prevail and reach all people and after that they can choose:

﴾So whosoever decides, then let him believe, and whosoever decides, then let him disbelieve﴿[Surat Al-Kahf (The Cave) :29]

But when a power rises on earth aiming at keeping Allah's light from reaching people, people of truth should stand and face it:

﴾And fight them until there is no temptation, and the religion is for Allah﴿ **[Surat Al-Baqrah (The Cow): 193]**

So, this confrontation and resistance become an obligation on the people of truth and a requisite in order to spread the religion of Allah among people:

﴾And the ones who have striven in Us, indeed We shall definitely guide them to our ways; and surely Allah is indeed with the fair-doers﴿ **[Suart Al-Ankabut (The Spider):69]**

When Muslims do what they are needed to do towards their religion while believing in it, applying its laws and working according to its system, Allah shall look high at them and let them be feared by their enemies. Accordingly, they will always get victorious over their enemies and then exerting a lot of efforts will not be needed to convince or persuade the world with the Islamic method.

There is an important question that demands an answer. If Muslim countries are based on true ideological belief, would they let go of those distinguished scientists at the fields of atom, astronomy, space and aviation and let their minds be exploited by Jews and West?

To conclude, West is in extreme need to a divine ideology allowing it to be psychologicaly rebalanced as well as organizing its relations with others sharing it the same planet. Rather it is in need to organize his relations with the Creator. This need will not be justified except in Islam. This means that the human soul will not be relaxed or be at ease except on the shore of this straight religion as Allah, The Al-Mighty, revealed:

﴾And upon that day the believers shall exult. In the victory (from) Allah; He vindicates whomsoever He decides, and He is The Ever-Mighty, The Ever-Merciful.﴿

[Ar-Rum (The Romans): 4-5]

'*Istihsan*', Public interest and eliminating of excuses; without stubbornness in applying or interpreting in other ways.

Al-Maraghy, the Grand Imam, was the one who founded ***"Specialization in Subject"*** in each of the three colleges and its period was six years after finishing post-graduation studies. It aims at graduating jurists like Malik, Abu Hanifah, Ash-Shafi`i and Ahmad Ibn Hanbal (from the college of Shari`ah), men of letters like Al-Jahiz and Abdul-Qahir (from the college of Language) and theologians like Al-Ash`ary and Al-Ghazaly (from the College of Usulul-Din). When students began to submit their theses, Al-Maraghy was among the first people to attend discussion in theses of jurisprudence in order to disseminate his teachings in this cultural atmosphere.

The Honorable Sheikh Muhammad Al-Madany, the former Dean of Shari`ah College, was among those who witnessed this event, so he dedicated a chapter in ***"Ar-Risalah Magazine"*** depicting this wonderful scientific atmosphere seen at the first time in the history of modern Al-Azhar. He wrote saying: "Among the great principles that we heard was what has been stated by Imam Al-Maraghy that religion, not jurisprudence, is stated in the Book of Allah. It would be excessiveness to consider the judgments deducted by the jurists, on which they dispute, agree and sometimes abrogate, as judgments of religion. Or to consider that whoever denies any of them as denies something of the religion. However, religion is that which was sent down on the prophet. In regard, rules organizing methods of dealing are but the views of jurists derived from the juristic principles and they are liable to be changed according to age, conditions and requisites." In brief, Allah, the Ever-Lasting, summarizes all this in one verse in which He revealed:

{Surely the ones who have caused disunity in their religion and (become) sects, you are not one of them in anything}

[Al-An`am (Cattle) :159]

[1]Islam Is The Only Resort
By: Dr. Hamdi Fatouh Wali

We realize that there is an aggressive, materialistic campaign led by the West. We also realize that it is more malicious and intense than the others. Our void of thinking and spiritual and religious weakness are their best means used in attacking us. This void of thinking gave the chance to this malicious wave to extend inside us and invade the heads of our children. In other words, this is an invasion of thinking that shall result in economic subordination and cheap begging.

Moreover, we realize that there are tremendous efforts exerted, from several centuries, to confine Islam in the circle of mere belief and rituals and prevent it from penetrating in the system of man's actual life. Although, we realize all the dangerous consequences that may befall us, we do not feel worried about our spiritual identity and religious distinction owing to the harmony between our Divine Islamic Law and our human natural needs. If we look into the clash between the material laws and nature, we shall realize the secret behind Islam's resistance against all creeds on earth. Despite the conspiracies and plots that Islam faces every day, it always gets out victorious and more stronger.

Although we are certain that Allah, Glory be to Him, is Able to preserve His religion and that He is perfecting His light, we should be aware that He assigns reasons and causes for his bondsmen that enable them to achieve victory and establishment in the Land. He who works according to these reasons shall achieve peace and be secure while he who does not apply them shall be ignored and defeated. In regard, applying these reasons

[1] An Article published (In Arabic) at Al-Azhar Magazine.

Sheikh Muhammad Mustafa Al-Maraghy
The Former Grand Sheikh of Al-Azhar.
By: Dr. Muhammad Rajab Al-Biomi

The former Grand Sheikh of Al-Azhar, Mustafa Al-Maraghy, was born in 1880. He spent many years working as a judge in the Sudan, then he became the head of the Supreme Religious Court. He, may Allah rest his soul in peace, was the Imam of Muslims at his age and the banner-holder of reformation in Al-Azhar. He was famous for his high sense of honor and good-manners. He was chosen to be the Sheikh of Al-Azhar in May 1928. So, he was keen on reforming the Islamic Community as witnessed in his suggestions to change the laws of marriage and divorce.

He set a plan to reform Al-Azhar targeting at broadening the mind and intellect of the student in Al-Azhar and securing better opportunities for his future career after graduating from it. His project was approved by scholars. Delaying in applying this plan caused him to resign from his post then he was reinstated again in April 1935. He showed his great unease towards the activities of the foreign missionaries especially after what has been published in the Egyptian newspaper that these missionaries have made frequent trials in order to Christianize a number of Muslims persuading them by money and that they will be joined to jobs with generous, tempting salaries. So, ***"Politics Newspaper"*** was urged to call upon freezing the activities of these missionaries immediately.

Those who talked about the Grand Imam, Muhammad Mustafa Al-Maraghy, like Abbas Al-Aqqad, Ahmed Amin, Ahmed Hassan Az-Zayyat and sheikh Mustafa Abdur-Raziq, agreed unanimously that he is the student worthy to inherit his Shiekh, Imam Muhammad Abdou. He was lucky to get his degree

on his hand and to be selected to be the head of judicature in the Sudan due on his proposal.

In order to get acquainted with the most important ideas in the plan of reformation adopted by sheikh Al-Maraghy, we say that it was involving Al-Azhar, judicature and language. These three were the most outstanding aspects in his strife. He was sure that the reformation of Al-Azhar will not be fulfilled except by relating Al-Azhar to the culture of its age and allowing it to get acquainted with its civil culture and modern sciences. He decided that there must be three colleges at Al-Azhar: the first specialized in Shari'ah, the second in creed and the third in language. He affirmed that the book, student and the instructor should be fairly beneficial. Moreover, he asserted that those who graduate from these colleges should obtain their due rights in life in order to give nation from their fruitful efforts that which may guide and enlighten. Sheikh Al-Maraghy drew his plan with clear points and manifest facts as he set time, stated the method, chose subjects and prepared this huge plan in a legal frame.

Naturally, every new project faces criticism. The Grand Imam seized the opportunity (the first celebration held at Al-Azhar) as he made his elegant speech be directed to those who opposed his plan calling to reform Al-Azhar.

When we talk about the reformation of the Islamic community, we have to point to sheikh Al-Maraghy for his great contributions in deducting the religious texts in order to benefit the Islamic Nation. In addition, he was the supreme judge in the religious courts, so he faced a lot of cases such as families problems, divorce, maintenance and heritage problems. He reviewed all the sayings of jurists of all schools, using his deep insight that is well-versed in the secrets of jurisprudence, issues of principles and requisites of Analogy, in order to select that which may relieve people. Moreover, he referred to Preference

AL-AZHAR MAGAZINE
Al-Muharram 1424 A. H.

ENGLISH SECTION
Mar. Abril 2003

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

Migration Is An Answer To Those Who Claim That Islam Spread By Sword

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

The members of *Darun-Nadwah* (the Parliament of Quraysh) who represent all those tribes that refused and stood against Islam called for by Muhammad, may the blessing and peace of Allah be upon him. So, they refused two suggestions and accepted the third offered by Abu Jahl Ibn Hisham. He supported his suggestions saying: "By Allah! I have an opinion that you have not reached before." In brief, he suggested that they choose a strong, young man from each distinguished tribe and to give him a keen sword. After that they should head to the house of Muhammad and strike him by swords at the same time. Therefore, Bani Abd Manaf will not be able to accuse one tribe of killing him or seek revenge and so they will accept the blood-money.

The Messenger and his companion were saved and received with great ovation at Medina. So, why such orientalists claim that Islam was not disseminated except by sword? Who were carrying the swords: the Messenger or the polytheists? If only they stop calling Migration as flight. If it had not been Allah's will, Muhammad would have never migrated. He stayed at Mecca for about thirteen years bearing all kinds of torture, so migration was not flight but it was victory and support from Allah as He, The Most-High, said:

﴿In case ever you do not vindicate him, yet Allah readily vindicated him, as the ones who disbelieved drove him out the second of two, as the two were in the cavern, as he said to his companion, "Grieve not; surely Allah is with us"﴾

[At-Tawbah (Repentance): 40]

الفهرس



بسم الله الرحمن الرحيم

عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ:

«يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله فى قلوبكم الوهن. فقال قائل: يا رسول الله.. وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت.»

سنن أبى داود ج٤/ص ١١١، حديث: ٤٢٩٧

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير
أ.د. محمد رجب البيومي

نائب رئيس التحرير
الطاهر محمد الطاهر الحامدي

مدير التحرير
عادل رفاعي خفاجة

سكرتير التحرير
أحمد السيد تقي الدين

داخل العدد

ملف العدد

المؤامرة
«من فلسطين إلى العراق»

الاشتراك السنوي

- داخل مصر ١٨ جنيها مصريا
- الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا
- أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا
- اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات
بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
☎ ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم
مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / الأزهر / مصر
ت: ٢٦٣٨٥٩٩

افتتاحية العدد

العدوان الأمريكي على العراق

يقول الشاعر العربي:

ومهما تكن عند امرىء من خليقه وإن خالها تخفى على الناس تُعلم

وقد تحمست أمريكا لهيئة الأمم المتحدة حين إنشائها، بل جعلت نفسها حاميتها الأولى، وأوقعت في صدور الناس أن جهودها السياسية والحربية معا، هي التي دعت إلى وجودها، وطفقت زماناً ما تؤيد حرية الشعوب المظلومة، وتدعو إلى مكافحة الاستعمار، حتى ظن الأغرار أنها حامية مبادىء الميثاق الأطلنطي الداعية إلى الحرية والعدالة والمساواة، وكانت لاتنى تعلن عن ذلك، وترسم تمثال الحرية الذي أقامته على كثير من المطبوعات التي تصدر عنها، ثم شاءت الظروف العالمية أن يسقط الاتحاد السوفيتي، وأن تصبح وحدها القوة العالمية في الكون. وقد ارتاح الناس بدءاً لانفرادها بالسيطرة على شئون العالم بعد رحيل الخصم المعاند، مخدوعين بدعايتها إلى الحرية وعزة الشعوب، ولكن هذا الارتياح قد انقلب غضباً ساخطاً بعد أمد محدود من سقوط الاتحاد، إذ لبست أمريكا ثوب النمر، وأخذت تفرض استعمارها - المقنع بعبارة رعاية المصالح الأمريكية - على العالم، ومن حاول معارضتها في سياستها الغاشمة، جعلت تفتعل الأسباب الموهومة لمحاربته، ولم تخدع العالم بعبارة (المصالح الأمريكية هذه) إذ فهم الناس وجهها الاستعماري الفاضح، فلكل دولة من دول العالم مصالح تبتغيها، فهل يجوز لليابان أو الصين أو روسيا أن تحتل البلاد بدعوى هذه المصالح، كما فهم الناس أيضا انحرافها الشائن



الغزاة يتحركون

إلى الباطل حين جعلت تسوس العالم بميزانين مختلفين، فهي تشن الحرب على العراق بدعوى إحراز الأسلحة الكيمائية والبيولوجية في حين أنها هي التي تمد إسرائيل بأضعاف أضعاف ما تتوهمه من أسلحة العراق جهاراً عياناً دون خفاء. وفي حين أنها تخفض الرأس أمام كوريا الشمالية، وقد أعلنت جهاراً أنها تمتلك هذه الأسلحة! والطفل الصغير يتساءل: لماذا تحرم أمريكا على العراق هذه الأسلحة وهي نفسها مصدر الخطر الأعظم بامتلاكها كل أدوات التدمير التي تسعى في إزالتها؟ وتبيح لنفسها ما توهمت وجوده عند العراق؟ ثم حاولت خداع العالم حين لجأت إلى الأمم المتحدة، فلم تجد الإقناع الجازم بصواب سياستها مع ما بذلت من أفانين الإغراء في كل ميدان. فلما سُدّ الباب في وجهها تنكرت بغيا لهيئة الأمم، وأعلنت وجهها الاستعماري البغيض سافراً دون حياء، فعرف الناس جميعاً خداعها الذي حاولت إنكاره من قبل، إذ مهما تكن لدى المرء من خليقة مستورة فسيكشف عنها النقاب.



بغداد تحترق قبل من نصر

والعالم في القرن الحادي والعشرين يعلم عن يقين أن المسألة ليست مسألة صدام حسين، وإنما هي في المرتبة الأولى الاستيلاء على حقول البترول، واحتواء مناجم الشرق الأوسط، وتمكين إسرائيل من السيطرة الاقتصادية على هذه المناجم، بعد أن مكّنتها من شعب فلسطين بما هيأته لها من أساليب الدمار، تلك الأساليب التي ندّدت بها هيئة الأمم المتحدة لقذارتها الدنيئة، ولم تجد مدافعاً عنها غير (الفيتو الأمريكي) المتكرر حيناً بعد حين، وقد ندّد العالم جميعه بالطغيان الأمريكي، وقامت المظاهرات العارمة في كل البلاد حتى في الدولتين الباغيتين أمريكا وانجلترا، وقد بقي على العالم الإسلامي أن يتجاوز المظاهرات المندلعة في أرجائه إلى عمل حاسم يدعو إلى المقاطعة الصارمة لكل ما هو أمريكي! وليس الأمر أمر صدام فهو في منطق الواقع أساس كل بلاء، ومصدر كل نكبة منذ أعلن الحرب على إيران المسلمة ولكنه أمر الشعب العراقي العظيم بحضارته الخالدة، وتراثه العربي المجيد، وأخوته الإسلامية إذ هو عضو من جسد إذا اشتكى سهرت له جميع الأعضاء!

هذا وقد أثبتت صحف التاريخ على مدى الزمن، أن كل حرب عدوانية مهما أحرزت النصر أو لا، فإن ثمراتها المغتصبة لا تدوم، لأن المنهزم والحق معه يعمل جاهدا على استرداد حقه، وسيبلغه ما دام قد وطّد العزم على استرداده، وها هي ذي ألمانيا التي اندحرت في الحرب العالمية الثانية كان أول شرط للمنتصرين أن تقسّم إلى دولتين



بعد أن أثخنوه بالجراح يقدمون له العلاج.. يالها من إنسانية

شرقية وغربية، وأن يقام سور منيع بين الدولتين عُرف بسور برلين ليكون حداً فاصلاً لا يجب اختراقه، لتبقى قوة ألمانيا مجزأة مقسمة لا تعرف الاتحاد، ثم مرت الأيام، وعوامل الثورة تشتعل في نفوس الألمانيين، منتظرة اليوم الذي يُهدم فيه هذا السور الكريه، وقد تحقق الأمل بعزيمة قاهرة، فهدم السور وعادت ألمانيا إلى الاتحاد من جديد! لتكون من الدول التي وقفت في وجه العدوان الأمريكي وصاحت: لا، بملء الفم فالذين يتحدثون عن تقسيم العراق اليوم يتجاهلون سوابق التاريخ العالمي، تلك التي أكدت انتصار الحق مهما ظهر تغلب الباطل حيناً من الدهر، كما يتجاهلون أن أغراضهم في سلب خيرات الشعوب، وامتصاص دمائها التي هي من حق المواطنين قد كشفت للعيان، فدلت على لصوصية مقنعة، واستزاز بغيض يرجع بالإنسان إلى أظلم عصور الغاب، حين كان الإنسان البدائي يفترس الإنسان كالوحش القوى تماماً مع الوحش الضعيف! وإذا علم ذلك تماماً فإن ادعاء أمريكا اليوم بأنها رمز التقدم الحضاري، لم يعد موضع الاستنكار فحسب، بل صار اليوم موضع السخرية والاستهزاء!!

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ الشعراء (٢٢٧).

د. / محمد رجب البيومي

نداءٌ إلى العَالِمِ المتحضِّرِ وإلى كل القوى المحبة للسلام

تدارس مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ما يجرى في عالمنا العربي والإسلامي من أحداث جسام وما يمتلىء به واقعنا المعاصر من نذر الشر والدمار الذى يصنعه جنون القوة التى تدوس بأقدامها كل القيم والأعراف والقوانين الدولية التى جاهدت البشرية وضحت في سبيلها عبر التاريخ بالأنفس والأموال. وعاشت تعانى لإعلانها والالتزام باحترامها.

تدارس المجمع هذه الأحداث واستصحب ما يحيط بعالمنا العربي والإسلامي من نذر الدمار والشر التى تمثلها الحشود العسكرية مدججة بأقوى وأخطر آلات الدمار.

وأيقن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف أن أمتنا العربية والإسلامية بل وعقيدتنا الدينية (الإسلام) هى هدف أساسى لكل هذه الحشود العسكرية التى تستهدف ملايين البشر من أبناء أمتنا، وتستهدف كذلك عقيدتنا وكافة مقدساتنا، وكل ما يملكه عالم العرب والمسلمين من مصدر الثروة والقوة، متمثلا هذا كله في مرحلته الأول ضرب العراق واحتلال أرضه وامتلاك ثروته الوفيرة من النفط.

وأيقن المجمع أن هذا الإصرار على ضرب العراق ما هو إلا مقدمة لضربات أخرى تستهدف بقية الوطن العربي الذى أعلنت القوى المعادية للإسلام والعروبة أنها بعد السيطرة على العراق ستعيد تقسيم وترتيب الأوضاع في المنطقة العربية بما يحقق المصالح الأمريكية والإسرائيلية وينهى مقاومة الشعب الفلسطيني.

لهذا يصدر المجمع هذا البيان إلى قوى العالم المتحضر وإلى جميع القوى المحبة للسلام، وإلى الأمة العربية والإسلامية هذا النداء:


القوات الغازية لحظة اقتحامها للعراق

أولا: يقدر المجمع ويحيى مواقف الدول التى أعلنت استنكارها للعدوان على العراق، ورفضها للحرب المتوقعة ضدها وجهادها الدبلوماسي داخل الأمم المتحدة ومجلس الأمن وفى مقدمتها فرنسا وألمانيا وروسيا والصين وغيرها.

ثانيا: يرحب المجمع ويؤكد على أهمية مواقف الشعوب في مختلف أنحاء العالم، وفى أمريكا خاصة التى أعلنت رفضها لضرب العراق ودعوتها إلى حل الأزمة بالوسائل السلمية وفى إطار الشرعية الدولية ومجلس الأمن.

ثالثا: يحيى المجمع الموقف والجهد الذى بذله الرئيس محمد حسنى مبارك ودعوته إلى عقد القمة العربية -في مدينة شرم الشيخ بمصر- والتى أصدرت بيانها الرافض بالإجماع لضرب العراق وحل الأزمة بالقوة.

رابعاً: يحيى المجمع ويؤكد على قرار قمة شرم الشيخ الذى يدين ويرفض ويحرم على كافة الدول العربية تقديم أى مساعدات - من أى نوع - لآلة الحرب الأمريكية عند عدوانها على العراق.

خامسا: يحيى المجمع ويبارك الموقف الداعم لرفض ضرب العراق وضرورة استخدام الوسائل السلمية فى حل الأزمة والصادر عن القمة الإسلامية التى عقدت فى الدوحة بدولة قطر، ويعتبر هذا إعلانا دائما ومؤكدا يجمع العرب والمسلمين على رفض ضرب العراق.

وحيث لاحظ المجمع من متابعة جلسة مجلس الأمن التى عقدت مساء الجمعة ٧ / ٣ / ٢٠٠٣ للاستماع ولمناقشة تقرير المفتشين الدوليين عما أحرزوه من تقدم فى التفتيش على أسلحة الدمار الشامل فى العراق وأعلن فيه المسئولان (د. بيلكس، ود. محمد البرادعى) أنهم لم يجدوا فى العراق ما يؤكد إنتاجه لأسلحة نووية وما قرروه من أن إعادة إنتاج سلاح نووى عراقى

يحتاج إلى أجهزة ومؤسسات لا توجد ولا يستطيع العراق مع الحصار الاقتصادى المفروض عليه أن يوجدها.

ثم ما أعلناه من تعاون السلطات العراقية معهم فى تفتيش أى موقع يريدون تفتيشه بما فى ذلك القصور الرئاسية، مع توفير كل ما يطلبونه من وسائل وآليات بما فى ذلك استخدام الطائرات المروحية المزودة بتقنيات عالية الكفاءة ومزودة بأجهزة للكشف عن أسلحة الدمار الشامل من الجو.

ومتابعة المجلس لجلسة مجلس الأمن هذه، وما تحدث به وزراء روسيا وفرنسا والصين وغيرهم من رفض ضرب العراق وضرورة إعطاء المفتشين الدوليين مهلة أخرى لا سيما بعد أن وافق العراق على تدمير ٣٤ صاروخا من صواريخ صمود ٢، التى يملكها بما يؤكد صدق توجهه للالتزام بقرار مجلس الأمن رقم ١٤٤١.

ومع تلويح مندوبى فرنسا وروسيا والصين بأنهم سيستخدمون حق النقض (الفيتو) ضد رغبة أمريكا باستصدار قرار يبيح لأمريكا ضرب العراق.

لاحظ المجمع أن وزير خارجية أمريكا (كولن باول) تحدث بعد الجلسة فى مؤتمر صحفى رفض فيه كل دعوة لاستمرار الحلول السلمية، وكانت المفاجأة أن يعلن الرئيس الأمريكى فى بيانه الأسبوعى أن أمريكا ليست بحاجة إلى مجلس الأمن وأنها ستتخذ القرار الذى يخدم مصالحها.

وفى ضوء ما سبق يعتقد المجمع أن العدوان على العراق واقع لا محالة وهنا ونطق وشريعة الإسلام أنه إذا نزل العدو فى أرض المسلمين يصبح الجهاد فرض عين على كل مسلم ومسلمة لأن أمتنا العربية والمسلمة ستكون أمام غزوة تستهدف الأرض والعرض والعقيدة والوطن.

وبناء عليه فإن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف يدعو العرب والمسلمين فى كل أنحاء العالم أن يكونوا على استعداد للدفاع على أنفسهم وعن عقيدتهم وأن يعتصموا بحبل الله جميعا ولا يتفرقوا ويكونوا فوق ما يحيطهم من خلافات حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا.

ويدعو المجمع جميع العرب والمسلمين فى كل أنحاء العالم ألا يهنوا وألا يضعفوا أمام هذا العدوان لأن الحق تبارك وتعالى متكفل بنصرة دينه وإظهاره على الدين كله.

وختاما يذكر المجمع بقول الله تعالى:

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾(١).

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

السيد وفا أبو عجور

---

(١) الحج (٤٠)

أكلت يوم أكل الثور الأبيض

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

هذا مثل عربى ورد فى حكاية من حكايات «كليلة ودمنة» -لابن المقفع- الذى حقق شهرة واسعة فى الوطن العربى واعتقد أنه يحق للوطن العربى بمقتضى أغلال الملكية الفكرية التى استطاع الخبث الغربى أن يقنع المشرع العربى أو المصرى - على الأخص - أن يسن قانونا بها يحكم أغلال القيود حول معصم العالم اعتقد أنه بمقتضاها يحق للوطن العربى أن يقول للعالم إن هذا المثل عربى مائة فى المائة ولا يحق ولا يجوز لأحد فى العالم أن يستخدمه أو ينتفع به دوننا وأنا بذلك أريد أن أعلن للقوى الغاشمة السكرى بغرور القوة أن ما فعلته مع «نورييجا» رئيس «بنما» حينما اختطفته من بلاده لتحاكمه على جرائم زعمت أنه ارتكبها ضد بلاده وأنها بهذا العمل جعلت «نورييجا» هو الثور الأبيض وأن العالم العربى بل والعالم كله لم يع درس المثل العربى السابق وكان لزاما على العالم أن يقف ضد قوى الشر الحقيقى فى العالم ليمنع التهام الثور الأبيض وما ذلك إلا لأنه تمهيد سافل منحط لأكل الثيران الأخرى أو الخراف المعدة للذبح بعد ذلك، بل إن ما حدث ليس تطبيقا للمثل العربى فقط، بل إنه تحقيق ودليل من دلائل النبوة المحمدية، إذ أنذر ﷺ الذين يتثاقلون عن فعل الخير ويوادعون المسىء ويمالئونه، بل ويتزلفون لغروره وقوته ولا يضربون على يده ويمنعونه عن الإساءة حيث قال ﷺ: «كان الرجل من بنى إسرائيل إذا رأى أخاه على ذنب نهاه تعزيرا، فإذا كان من الغد لم يمنعه ما رأى منه أن يكون أكيله وخليطه وشريبه فلما رأى الله ذلك منهم ضرب بقلوب بعضهم على بعض وذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ثم قال: والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدى المسىء ولتأطرنه على اتباع الحق أطرا أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض

أو يلعنكم كما لعنهم»[1].



ومفاد هذا الحديث كما أفهمه أن النبي ﷺ بحكايته ما كان يفعله بنو إسرائيل من النهي عن المنكر نهيا شكليا لا يصل إلى حد التغيير أو الإنكار والمقاطعة بدليل أنه في اليوم التالي يصبح المنكر عاديا ومرتكبه محبوبا ومألوفا ومنخرطا ومعاشرا هذا هو سلوك بني إسرائيل لكن الإسلام يطلب منا أن نقف في صف الحق وندافع عنه ونتأى عن المنكر ونرفضه ونقاطع مرتكبه ولا نخالطه فإنه بغير هذا يصبح النهي غير ذا موضوع ويصبح الأمر كما يسميه العامة «إمساك العصا من المنتصف» لكن الإسلام دين المبادىء والمثل والإيجابية والنقاء برفض الميوعة في الفكر والمواقف ولذلك يقول النبي ﷺ: «لا يكن أحدكم إمعة يقول إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أساءت ولكن وطنوا أنفسكم على أنه إذا أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تتجنبوا الإساءة» فالسكوت على ما تفعله قوى الشر الحقيقية في العراق ميوعة لا يرضاها الله ولا يرضاها الإسلام فطبائع الاستبداد وغرور القوة لن تقف عند حد فهي مثل النار في الهشيم سوف تأتي على كل البلدان العربية والإسلامية قطعة قطعة أو بلدا بلدا فلا يتصور عرش من العروش أو تاج من التيجان أنه بمنأى عن أطماع الغزوة البربرية وكأني بما يحدث وما سوف يحدث تحقيق لنبوءة النبي ﷺ وإخباره بأن زمن الأشلاء الممزقة سوف يجيء وها قد جاء. إن الغطرسة الأمريكية لا تبغي عدالة للشعب العراقي ولا ديمقراطية له ولا حرية فتلك شنشنة نعرفها من أساليب المراوغة التي بلا حياء يلقونها في ساحات الخطابة في مجلس الأمن أو هيئة الأمم وكم عاني الشرق العربي منها ولنا

(١) حديث ٥٠٣٥ مسند أبي يعلى ٨/٤٤٨، المعجم الكبير ١٠/١٤٦، أبي داود ٤/١٢١ بألفاظ متقاربة.

مع بريطانيا - العظمى سابقا الذنب حاليا - جولات وجولات من معاهدات واتفاقات ذات الوجه المضيء الحسن. المدمر في الحقيقة والموضوع. وكم من كلام واتفاقات بريطانية كانت كما وصفها كتاب الله:

﴿ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾[2]

وكما قلت فإن أطماع قوى الشر ظاهرة واضحة في التهام شعوبنا بلدان العالم العربي كله وذلك أمر غير خاف على ذي فطنة فلا الحرية ولا الديمقراطية هي هدف أمريكا للحرب وإنما اسأل عن البترول تعرف أنه وراء كل بلوى فحقول النفط هي الهدف.

فمن قبل كم عانت أفريقيا من الموت ظمأ وجفت زراعتها حتى لم يعد للحياة فيها أثر وكادت أن تموت ظمأ تحت بصر العالم الغربي كله فماذا قدم العالم المتحضر ساعتئذ؟ لم يقدم سوى معلبات لم تسد الرمق ولكنها تحافظ بالكاد على حياة القطيع تابعا ذليلا خاضعا مهينا. لم يحفر الغرب بئرا للمياه لأنه يعلم أنه عندما يملك الظمآن ماء يمكن أن يستغني بها عن الغرب كله، لماذا لم تفكر أمريكا وحلفاؤها، حلفاء الظلام في إنقاذ أفريقيا في ذلك الحين وتركتها نهبا للمرض والظمأ والجوع تعالج سكرات الموت تكاد تلفظ أنفاسها؟!

إن وجه أمريكا الكالح وتلاعبها بالألفاظ الوقحة وسخريتها لا تخفى على أحد لكني أرجو أن يتبين الجميع أن هذا طوفان، ولا منجى من طوفان الطمع والشراسة إلا بالوحدة والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾[3]

﴿ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[4].

وعلى جميع أبناء الأمة وقادتها على وجه الخصوص ومفكريها وذوي الرأي فيها ألا يتوهموا أنه في ممالأة العدو الشرس المخادع نجاة فإن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[5].

ثم يصف الله سبحانه وتعالى الجبناء الذين يسارعون في ممالأة الأعداء وأنه لا نجاة لهم فسيعودون بالحسرة والندامة حيث قال:

(٢) الحديد (١٣).
(٣) آل عمران (١٠٣).
(٤) الأنفال (٤٦).
(٥) المائدة (٥١).



﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾(١).

فهاهى الدول الغازية ومن معها بكل وقاحة تعلن عن مشاركتها فيما تسميه إعمار العراق بعد أن دمرته وأهيب بجميع دول المنطقة ألا تتصور أنها أكثر ذكاء من الثعالب وتحسب أنها بمنأى عن الغزو والتدمير فكما سكت العالم على ما فعل برئيس بنما «نوريجا» وتمالأ بالصمت ومهد للطغيان فكذلك العرب تمالأوا بالصمت والعجز والسلبية على تدمير العراق فإنهم بهذا الصمت يقدمون رؤوسهم قربانا فى مذابح الطغيان ولست أدرى لماذا تقفز إلى ذهنى قصيدة «أرنست هيمنجواى» «لمن تدق الأجراس» حيث يقول:

كل إنسان جزء من هذا العالم
وكل إنسان يموت
فإنما يقتطع به جزء من هذا العالم
فعندما تسمع دق الأجراس
فلا تسأل لمن تدق الأجراس
إنها تدق لك أنت

***

وأنا أقول لكل العرب ودول العالم الثالث عندما تسمعون دوى الصواريخ وأزيز الطائرات ودخان الحرائق وهى تلتهم البشر والحياة فى بغداد.

فلا تسأل أى مدينة تتهدم
ولا أى بشر يحترقون
إنها مدينتك أنت
وجسمانك يحترق بين أطلالها
وتيجان وعروش تتهاوى

قال صاحبى وقلبه يدمى مما حدث للعراق وسوف تتوالى بعدها بلاد وأمورات. قال: علمنى فن المراوغة والجدل والتبرير الوقح لاغتصاب مقدرات الشعوب وحقها فى اختيار حكامها.

قلت: لن يكلفك الأمر شيئا أكثر من أن تدير مؤشر التلفاز على أى محطة عالمية فيها مسئول أمريكى أو أحد أذنابهم البريطانيين يتكلم ويتحاور فتعرف منه لتتعلم كيف تكون المراوغة وكيف تغتال الحقائق وتنقلب وتتكفئ موازين المصطلحات فلا تعرف حقا أو باطلا قال صاحبى: فى سبيل أن أتعلم كيف أحاور السفلة سوف أتجرع مرارة الألم وأنا أنظر إلى هذه الوجوه الوقحة.

(١) المائدة (٥٢).



متى نتجه إلى الإسلام

للدكتور / حمدى فتوح والى

إذا كانت أمم الأرض جميعا، قد عرفت هويتها، وحددت غايتها، ووظفت معاهدها ومدارسها، وإعلامها وثقافتها، لتعميق هذه الهوية، ووضوح تلك الغاية، فإنى أرى أبناء أمتى قد ناموا نوما طويلا وغابوا عن واقع الحياة غيابا معيبا.

وقد يكون لدى كل واحد من أبناء الأمة، من المشاغل الذاتية، والهموم الشخصية ما يكفى لصرف طاقته فى محاولة حلها، وقضاء الوقت فى معالجتها، والخروج من أسرها، وإذا سقط كل واحد من الأمة فى دائرة تلك الاهتمامات الصغيرة، فلن تجد الأمة من يفكر لها، ويتفرغ لرسم سياستها، وضبط أمورها، وهذا أعظم ما يسعى إليه أعداء الأمة، والساعون إلى تدميرها.

ومن هنا كان لزاما على كل من يستطيع التفكير السليم، لإخراج الأمة من أزمتها الحضارية، أن يبذل الجهد، ويمحض النصح، ويستقصى الطاقة ليصل بأمته إلى وضوح الهدف، وصفاء الرؤية، وتحديد ملامح الطريق دون غبش، أو ضباب أو تضليل.

فبينما تسعى دول لا تملك حضارة ولا تراثا، ليقنعوا العالم ـ ظلما وزورا ـ أنهم أبناء حضارة، وصناع ثقافة، وأصحاب تاريخ قديم وعريق ـ كالذى نسمعه من أمريكا وإسرائيل، إذا بأمتنا الإسلامية تنسلخ من جلدها، وتهرب من مجدها، وتتوارى من تراثها، وترضى أن تتخبط فى جهلها، وتتلبط فى وحلها، كمجنون فقد عقله، أو مخمور فقد رشده، أو تائه ضل هداه.

إن أدق تشخيص لحالة أمتنا اليوم هو أننا مصابون بما يشبه الشلل المعنوى، فى أجهزتنا الخلقية، وملكاتنا النفسية، ومواهبنا الشخصية، مما يجعلنا فى حالة عجز عن الحراك الصحيح نحو تحقيق أهدافنا وتأكيد وجودنا. أو هى كما يقول الشيخ محمد الغزالى: «تشبه أحياء انقطع عنها التيار الكهربائى، فغرقت فى الظلام،

ولابد من إصلاح الخلل الذى حدث كى يسطع التيار مرة أخرى. وعلاج الأعطال الشديدة أو الخفيفة بالكلام البليغ، أو النصح المخلص لا يكفى! بل لابد من إزالة أسباب الخلل، ومن إعادة الأوضاع إلى أسسها السليمة، إلى فطرتها الأولى[1].

﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾[2].

إن التغيير الذى طرأ على فطرة الأمة فلوثها، وعلى عقيدتها فأفسدها، وعلى شريعتها فعطلها، هو الخلل الذى قطع عنها النور.. فباتت تخبط فى ظلام دامس وليل بهيم:

﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾[3]

«لقد ظن كثير من الناس أنهم مسلمون بمجرد الصلاة والصيام وكل ما لا يكلفهم بذل دم ولا مال، وانتظروا على ذلك النصر من الله، وليس الأمر كذلك، فإن عزائم الإسلام لا تنحصر فى الصلاة والصيام ولا فى الدعاء والاستغفار، وكيف يقبل الله الدعاء ممن قعدوا وتخلفوا، وقد كان فى وسعهم أن ينهضوا ويبذلوا»[4].

لم يفهم أحد من المسلمين الأوائل أنه يستطيع أن يكون مسلمًا بالنية الطيبة.. وهو يخالف الإسلام فى سلوكه الواقعى، اعتمادًا على أن الله «رب قلوب»، وأنه مطلع على بواطن النفوس، مدرك للنوايا الطيبة المختفية وراء الأعمال!! وإنما أدركوا أن النية والعمل وجهان لأمر واحد لا دلالة لأحدهما بدون الآخر»[5].

إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ وهو القادر على نصر أمته دون مشقة أو عناء هو الذى اشترط لإنزال نصره شرطا لا يتم إلا به، وهو أن يرى من الأمة إيمانا به، والتزاما بدينه، وغيرة على شريعته، وجهادا فى سبيله، وانتصارا لدعوته:

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ﴾[6]

﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[7]

«ومن المعلوم أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ غير محتاج إلى نصرة أحد، وإنما يريد بنصرته ـ تعالى ـ إطاعة أوامره، واجتناب نواهيه، ولكن المسلمين أهملوا جميع ما أمرهم به كتابهم فى ذلك أو أكثره، واعتمدوا فى استحقاق النصرة على كونهم مسلمين موحدين، وظنوا أن هذا يغنيهم عن الجهاد بالأنفس والأموال. ومنهم من اعتمد على الدعاء والابتهال لرب العزة، لأنه يجده أيسر عليه من القتل والبذل.

ولو كان مجرد الدعاء يغنى عن الجهاد لاستغنى به النبى ﷺ وصحابته وسلف هذه الأمة، فإنهم الطبقة التى هى أولى بأن يسمع الله دعاءها. ولو كانت الآمال تبلغ بالأدعية والأذكار دون الأعمال والآثار، لانتقضت سنن الكون، وبطل التشريع[8]، ولم يقل الله ـ سبحانه:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[9].

إننى أتحدث إلى بقية الخير فى أمتى ممن نجوا من التبعية الفاضحة والغثائية الذليلة، واستشعروا بشاعة المؤامرة التى تحكيها قوى الشر العالمية للحيلولة دون الإسلام ومقام القيادة، هذا المقام الذى يملك الإسلام وحده أسبابه، ويستوفى شروطه، منطلقا من قول ربنا ـ سبحانه:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[10]

وحتى يدرك المخلصون من أبناء الإسلام مدى وحشية المؤامرة وبشاعة الكيد، ويدركوا أيضا مدى عظمة الإسلام وعمقه وقوته فإنى أسوق إليهم بعض أقوال المستشرقين من أعداء الإسلام لنعرف كيف يخططون، وفيما يفكرون ـ آملا أن تحرك تلك الأقوال فى نفوس المخلصين همة، وتثير فى قلوبهم حمية، وتشعل فى كيانهم غيرة.

يقول المستشرق الإنجليزى المعاصر «هاملتون جب»: «هل يمكن أن نقع يوما ما تحت وطأة الخطر الإسلامى؟ ثم يجيب هو عن هذا السؤال فيقول: «أجل.. إنهم اليوم ضعاف متفرقون لا نرى لدى شبابهم عزما أكيدا يحملهم على التضحية، ولا نرى عن ذوى الرأى والوجاهة فيهم أنهم يستطيعون الجلوس معا جلسة جدية يتحدثون فيها عن مشاكلهم، فضلا عن أن يتمكنوا من حلها.. لكن المسألة الكبرى هى مسألة الزعامة فحينما يجد الإسلام «صلاح الدين الجديد» رجلا يجمع بين الحنكة السياسية العظيمة، وبين شعور برسالته

(1) الطريق من هنا ـ الشيخ محمد الغزالى، ص٢٧، دار البشير للطباعة، سنة ١٩٨٧م.
(2) الروم ـ آية ٣٠.
(3) سورة النور ـ آية ٤٠.
(4) لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم ـ شكيب أرسلان، ص٤٨.
(5) هل نحن مسلمون ـ محمد قطب، دار الشروق، ص١٨.
(6) سورة الحج ـ آية ٤٠.
(7) سورة محمد ـ آية ٧.

(8) لماذا تأخر المسلمون ـ شكيب أرسلان، ص٤٩، دار البشير للطباعة.
(9) العنكبوت ـ آية ٦٩.
(10) سورة البقرة ـ ١٤٣.

الدينية يبلغ أعماق نفسه فإن ما عدا ذلك يتحلل من تلقاء نفسه»[11].

ويقول أحد علماء جامعة السربون في مؤلفاته: «إن العالم فيه ثلاث قوى.. قوة الشرق، وقوة الغرب، وهناك قوة ثالثة لو عرفت نفسها لأمكنها أن ترث القوتين، وهذه القوة هي القوة الكامنة وراء يقظة المسلمين، لأن لهم نظرة انفردوا بها عن العالم في تنشئة الرجال»[12].

ويؤكد ذلك ما صرح به المستشرق «سالازار» في حديث له مع بعض الصحفيين من أن الخطر الحقيقي إنما هو الذي يمكن أن يحدثه المسلمون من تغيير نظام العالم. فقيل له: إنهم في شغل عن أن يفكروا في هذا بخلافاتهم ونزاعاتهم. فقال: إنني أخشى أن يخرج من بينهم من يوجه خلافهم إلينا»[13].

ويعبر عن هذا المعنى مستشرق آخر هو «مرماد يوك باكتول» بطريقة أخرى فيقول: «إن المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم في الدنيا الآن بنفس السرعة التي كانوا نشروها بها سابقًا، إذا رجعوا إلى الأخلاق التي كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول، لأن هذا العالم الخاوي من القيم لا يستطيع أن يقف أمام روح حضارتهم»[14].

ولا يخفى مفكروهم وعلماؤهم مدى ما يشعرون به من خطر، وما يعتمل في صدورهم من خوف ورعب، إذا استيقظ الإسلام، وعاد ليقود الأرض من جديد فيقول «جوستاف بوغ» في كتابه «الحساب الأخير» «إن العالم الإسلامي قد أفلت من قبضة الموت، الذي أعده ونسق أكفانه الاستعمار الأوربي، وإن العالم الإسلامي يسرع الخطى إلى الشباب، ليصفي حسابه مع الاستعمار الأوروبي الصهيوني، وهو حساب عسير ورهيب»[15].

وواضح في شهادات هؤلاء المستشرقين مدى الرعب الذي يستشعرونه من عودة الإسلام. وهذا الرعب الذي نلحظه في كلمات هذا الكاتب، يأتي صدى لما يستشعره هو وقومه من عقدة الذنب تجاه الإسلام، هذا الذنب الذي يراه الكاتب لبشاعته وعنفه غير قابل للصفح والغفران، وهو شعور يحق وما يضمرونه من مكر سيىء وكيد رهيب.

(11) انظر كتاب «وجهة الإسلام» هاملتون جب ص٢٣٢.

(12) لم هذا الرعب كله من الإسلام - جودت سعيد. منشورات مسجد جامعة دمشق. ص٢٠.

(13) المرجع السابق.

(14) المرجع السابق - نقلا عن مجلة الناخب - لصالح العشماوي من مقال لمحب الدين الخطيب.

(15) انظر كتاب «دولة القرآن» - محمد عبدالباقي سرور.

وإذا كان بغضهم للإسلام الذي رضعوه صغارًا، وتلقنوه في مدارسهم فتيانًا، ومارسوه تشويها وطعنا بألسنتهم وأقلامهم شيوخا، قد حال بينهم وبين الدخول في هذا الدين الذي أدركوا عظمته وعرفوا حقيقته. فإن هناك من أهل الغرب من استمع لنداء الفطرة، واستجاب لراعي الخير، ومال بعقله وقلبه إلى هذا النور بعد أن ظهر له الحق واضحا، فسارع إلى اعتناق هذا الدين ومن هؤلاء المنصفين الكاتب النمسوي «ليبولد فايس» الذي لم يملك نفسه أمام عظمة الإسلام فأعلن إسلامه، وانبرى يدافع عن هذا الدين العظيم، الذي غفل عنه أهله، وفرط في حقه ذووه.

يقول هذا الرجل: «كنت كلما زدت فهما لتعاليم الإسلام من ناحيتها الذاتية وعظم ناحيتها العملية، ازددت رغبة في التساؤل عما دفع المسلمين إلى هجر تطبيقها تطبيقا تاما على الحياة الحقيقية.. ثم يقول: لقد ناقشت هذه المشكلة مع كثير من المسلمين المفكرين في جميع البلاد ما بين طرابلس الغرب إلى هضبة «البامير» في الهند، ومن البوسفور إلى بحر العرب. فأصبح ذلك تقريبا شجي في نفسي لحما في النهاية على سائر أوجه اهتمامي بالعالم الإسلامي من الناحية الثقافية، ثم زادت رغبتي في ذلك شدة حتى أني - وأنا غير المسلم - أصبحت أتكلم إلى المسلمين أنفسهم مشفقا على الإسلام من إهمال المسلمين وتراخيهم. إلى أن كان يوم - في خريف عام ١٩٢٥ وأنا يومئذ في جبال الأفغان، فقد تلقاني حاكم إداري شاب بقوله: «ولكنك مسلم، غير أنك لا تعرف ذلك من نفسك» لقد أثرت فيّ هذه الكلمات، غير أني بقيت صامتا. ولكن لما عدت إلى أوروبا مرة ثانية في عام ١٩٢٦ وجدت أن النتيجة المنطقية الوحيدة لميلي هذا أن أعتنق الإسلام» وعندما سئل عن سبب اعتناقه الإسلام قال:

«لا أستطيع اليوم أن أقول أي النواحي قد استهوتني أكثر من غيرها، فإن الإسلام على ما يبدو لي، بناء تام الصنعة، وكل أجزائه قد صنعت ليتمم بعضها بعضا، ويشد بعضها بعضا. فليس هناك شيء لا حاجة إليه، وليس هناك نقص في شيء، فنتج عن ذلك كله ائتلاف متزن مرصوص. ولعل هذا الشعور من أن جميع ما في الإسلام من تعاليم وفرائض «قد وضعت مواضعها» هو الذي كان له أقوى الأثر في نفسي»[16]

(16) الإسلام على مفترق الطرق - محمد أسد. ص١٤، ١٥.

وهذه شهادة أخرى من رجل غربي منصف، لم ينهزم أمام مرزونة البغيض، ولم يضعف أمام سلطان الهوى، وكيد الشيطان وهو المستشرق المجرى «جرمانوس» يقول:

«إنني وأنا الرجل الأوربي، الذي لم يجد في بيئته إلا عبادة الذهب والقوة والسطوة الميكانيكية، تأثرت أعمق التأثير ببساطة الإسلام، وعظمة سيطرته على النفوس. إن الشرق الإسلامي سيبقى مستوليا على قلبي بروحانيته ومثله العالية فالإسلام حافظ دائما على مبادئه الداعية إلى الحرية والإخاء والمساواة بين أبناء الجنس البشري. إنه لا يوجد في تعاليم الإسلام كلمة واحدة أو عمل واحد من شأنه أن يعوق تقدم المسلم، أو يمنع زيادة حظه من النور والقوة والمعرفة ثم يعلنها الرجل في صراحة ووضوح ليسمع بها قومه ممن أعماهم التعصب الأعمى، والحقد البغيض فيقول: «لقد أخطأ الأوروبيون إذ لم يفهموا الإسلام على حقيقته، وبالتالي لم يتشبعوا بروحه.

إن ما يميز الإنسان عن الحيوان هو إدراكه أن في الكون قوانين روحية تحكمه، وأنه تسيره قوى غير محسوسة. وهذه الحقيقة هي أساس كل دين، ولكنه لا يوجد دين يؤكدها أكثر من دين الإسلام»[١٧].

إن شهادة أهل الغرب للإسلام وهم الذين لم ينشأوا في داره، ولم يستظلوا بظلاله. تعد إدانة لأهل الإسلام، وتوبيخا لعلمائه، وتسفيها لعقلائه، وسخرية من قادته.

إن من أعجب العجب أن يدرك أعداؤنا سر قوتنا، وتميز شريعتنا وربانية دعوتنا، فيعملون جاهدين لصرفنا عن إدراك هذا السر بألوان من الإغواء والإغراء، حتى لا يستيقظ فينا حسنا الإيماني، ووازعنا الديني، وتميزنا الحضاري.

إن العالم الغربي على اختلاف ملله ونحله، لم يعد يشغله إلا عودة الإسلام. ولهذا فقد اتفقت كلمتهم على عداوة الإسلام وإبادته، وإن غلفوا دعواهم بأغطية كاذبة من دعاوى الإرهاب حتى لا يوقظوا في الأمة ضميرها الإيماني النائم، فيرتد مكرهم عليهم وينقلب السحر على الساحر، وهو ما نرجوه ونأمله من قول ربنا سبحانه:

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[١٨].

(١٧) البيان تقدم الشعوب الإسلامية - د. عبدالكريم جرمانوس - لاهور - سنة ١٩٥٣م.
(١٨) غافر (٥١).

وحدة الأمة عنوان قوتها

لفضيلة الشيخ / عبدالمنصف محمود عبدالفتاح*

قال الله تعالى:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾[١].

إن أقوى عامل على تقدم الأمة ونهضتها، وخير سبيل لعلو شأنها، ورفع منارها، وبلوغها ذروة المجد والشرف: هو اتحاد القلوب وتضافر الجهود، وجمع الكلمة.. فالاتحاد أساس كل خير وسعادة وعماد الرقي والسيادة، فكم به عمرت بلاد، وسادت عباد، وما نال قوم نصيبهم من رغد العيش والهناء، ولا فاز شعب من الشعوب بحظه الوافر من الراحة وسلم من العناء إلا بالتآلف والتناصر، والتعاون والتضامن، وما حظيت أمة بما تأمله وترتجيه: إلا بجمع شملها، وتوحيد صفوفها، وسعيها الدائب إلى كل ما يجلب لها الخير، ويحقق لها الرخاء ويدفع عنها شر الأعداء.. فبالاتحاد تقوى الشوكة وتتم النعمة، وتؤمن الغوائل، ويكثر التواصل، وتعظم المحبة، وتنال المآرب، لهذا كله حث الإسلام على الاتحاد ورغب فيه لما يترتب عليه من جليل المنافع وعظيم الفوائد، فالله - عز وجل - يأمرنا بالاتحاد والتضامن تحت راية القرآن، وأن نكون جميعا كتلة متماسكة وقلبا واحدا ويدا واحدة، تسير على هديه، وتستضيء بضوئه، بحيث لا تصدر إلا عن حكمه النفيسة، وتعاليمه السامية وإرشاداته الحكيمة، وتوجيهاته الرشيدة، وأن نكون دعاة إصلاح وسلام، لا دعاة فرقة وخصام، أليس جميع المسلمين كالجسم الواحد وكل فرد منهم كعضو من أعضاء ذلك الجسم: يألم الكل لألم البعض ويألم البعض لألم الكل، قال رسول الله ﷺ: «المؤمنون كرجل واحد، إذا اشتكى عينه، اشتكى كله، وإذا اشتكى رأسه اشتكى كله»[٢].

وإذا كان الأمر كذلك فواجب على الفرد أن يسعى لمصلحة الكل، لما يعود عليهم بالخير والسعادة وواجب على الكل أن يسعوا في مصلحة الفرد، لأنه عضو من أعضائهم.

(*) المدير العام الأسبق للدعوة والإعلام الديني.
(١) آل عمران: ١٠٣.
(٢) رواه مسلم.

قال الله تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[2]

ولا ريب أن معنى الأخوة لا يتحقق فيهم، ولا يؤتى ثمراته المرجوة، إلا بتكاتف الجميع وتضامنهم في تنفيذ كل عمل مفيد، وشعور كل فرد منهم بأنه عضو من جسم أمته، عليه واجب يؤديه، وله وظيفة يقوم بها لخير المجموع بأمانة وإخلاص، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضها بعضا» وعن النعمان بن بشير ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[4].. لقد أنشأ النبي العربي ﷺ على الوحدة: خير أمة أخرجت للناس، أنشأها وجعلها عربية: عربية في لغتها، عربية في ثقافتها، في تفكيرها، في علمها، في أدبها، في تاريخها، حتى باتت أمة العرب بفضل الوحدة كعبة العالم يحج الناس إليها للأخذ عنها، وصدق الله حيث يقول:

﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[5].

ويقول ـ جل شأنه:

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾[6].

والأمة التي يبلغ الإحساس من مشاعر أفرادها إلى هذا الحد، أو يلتقي إحساسها على هذه الوحدة: تكون على همة عالية، وشيم سامية، وإقدام يسوقها إلى ما قدر لها في هذا الوجود من حرية وسيادة، وعزة وكرامة:

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[7]

وقد أثر عن الإمام الشيخ محمد عبده أنه قال: «إذا أحسست من أمة ميلا إلى الوحدة فبشرها إلى ما أعد الله لها في مكنون غيبه من السيادة العليا».

لقد دعت السماء على ألسنة الأنبياء والمرسلين إلى لم شمل الشعوب في إطار واحد؛ لكي تحافظ على كيانها وأمنها، وحريتها واستقلالها.. وإن عظمة ذي القرنين «قورش» التي سجلها له التاريخ بأحرف من نور على صفحات الخلود: لم تكن في انتصاراته

(2) الحجرات: 10.
(4) رواه البخاري.
(5) الأنبياء: 92.
(6) المؤمنون: 52.
(7) المنافقون: 8.

العسكرية وفنونه الحربية، مثل ما كانت رغبته الأكيدة في أن يجعل من المشرق والمغرب، أمة واحدة، وذو القرنين هذا من أسرة فارسية ظهر في منتصف القرن السادس قبل الميلاد في وقت كانت بلاده منقسمة إلى دويلتين تقعان تحت سيطرة حكومتي بابل وآشور فاستطاع بفضل ما أوتي من قوة وموهبة توحيد الدويلتين الفارسيتين تحت حكمه ثم استطاع أن يضم إليها البلاد شرقا وغربا وشمالا بفتوحاته التي أشار إليها القرآن الكريم في سورة الكهف قال تعالى:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾[8]

وأسس أول إمبراطورية فارسية وظل حاكما فريدا في شجاعته وعدالته حتى توفي سنة ٥٢٩ قبل الميلاد.. فالاتحاد قوة معنوية، تفوق كل قوة مادية (مع الأخذ بالأسباب) ومن مقتضياته: تعاون الجميع على العمل للمصلحة العامة التي تعود على المجتمع بالنفع العميم، والخير العظيم، قال تعالى:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[9]

فالإسلام يأمر باتحاد كل قوم تضمهم أرض وتظلهم سماء وإن اختلفت أديانهم وتباينت نحلهم على الخير والمصلحة العامة لا فرق في ذلك بين مسلم ومسيحي فحياة الوطن وارتقاؤه لا تكون إلا باتحاد كل المقيمين فيه، لأنهم في أرض الوطن سواء وخيراته بينهم بلا استثناء، قال رسول الله ﷺ: «يد الله مع الجماعة والشيطان مع من يخالف الجماعة»، وفي خطبة عمر المشهورة التي خطبها في الجابية «عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد..» وفيه: «من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة» كيف لا والتفرق يؤدي حتما إلى النزاع وتفكك الرابطة واختلاف الكلمة، ونتيجته الخذلان والاضمحلال قال الله ـ تعالى:

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[10].

وقال رسول الله ﷺ: «لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا»، وما ذاك إلا لأن التنازع والاختلاف، وسيلة في تمكين العدو من الوقيعة بالمتنازعين، والنصرة عليهم ولم لا يكون ذلك؟ أليس اختلافهم يضعف من

(8) الكهف: 83 ـ 85.
(9) المائدة: 2.
(10) الأنفال: 46.

قوتهم ومُثبط من هممهم، ووهن لعزائمهم؟ حتى إذا ما هاجمهم عدوهم قابلوه بقلوب خائرة وعزائم فاترة وهمم كليلة وقوة ضئيلة وبذلك يمكن أن ينال منهم ما لا يستطيع أن يناله مع اتحادهم وتآزرهم وتآلفهم وتعاونهم.. فالتنازع في كل شيء، مجلبة الفساد، وداعية الدمار فكم شاهدنا من عائلات كبيرة كانت في رغد من العيش، ترتع في بحبوحة من الرفاهية وبيوت كثيرة كانت بفضل اتحادها ماضية في طريق العز والغنى والمجد والسؤدد، حتى إذا دبت فيهم عقارب التنازع، وسرى في أفرادها سم التفرق، وفتكت بها جراثيم الشقاق، وأخذ الشيطان فيهم مأخذه، تفرقوا وتناحروا وأحاط بهم الذل والهوان، وتغلب عليهم أضعف أعدائهم، وأصبحت بيوتهم خاوية على عروشها:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾(١١).

وقد عاش العرب زمنا طويلا متفرقين متنازعين، فلا دولة ترعاهم، ولا حاكم يسوسهم ولا دين يجمعهم، ولا راية تظلهم!! فلما جاء الإسلام، جمع شملهم ووحد كلمتهم، ووضعهم تحت راية واحدة وأصبحوا بنعمة الله إخوانا فدوخوا الممالك، وافتتحوا البلاد، وسادوا العباد وصاروا أولى قوة، وأولى بأس شديد، فرعب منهم عدوهم وخشي بأسهم، وتهيب سلطانهم.. ويعلم من أحاط بكل شيء علما أنهم ما نالوا ذلك بكثرة عددهم، ولا بوفرة عددهم، ولكن نالوا ذلك بقوة إيمانهم، ورباطة جأشهم، وبفضل اتحادهم والتاريخ ناطق، بأن كل أمة اتحدت كلمة أبنائها، علا شأنها، وارتفع ذكرها وقويت شوكتها، وهابها أعداؤها واتسع سلطانها، ونمت تجارتها، وازدادت ثروتها، وغدت في مصاف الدول العظمى، فلا نزاع في أن الاتحاد والوفاق من أهم وسائل رقي الأمم، والتفرق والشقاق من دواعي تأخرها وسقوطها، وقد تجني يد الغاصب لها من خلافها ما لا تجنيه من وراء جيوشها وأساطيلها..

ثم إن ما بذله ويبذله السيد الرئيس المفدى محمد حسني مبارك من جهود مشكورة في سبيل جمع الشمل، وتوحيد الصفوف وجمع الكلمة للأمة العربية والإسلامية لحماية شعوبها من عدوان البغاة الآثمين، والطغاة الظالمين، والجبابرة أعداء المسلمين لجديرة حقا بأن يسجلها التاريخ على صفحاته المضيئة بأحرف من نور تقديرا له وتكريما لشخصه المحبوب وفقه الله وسدد على طريق الخير خطاه، والسلام عليكم ورحمة الله.

---

(١١) يونس: ٤٤.

العودة إلى الله.. طريقنا إلى النصر

للأستاذ/ عادل رفاعي خفاجة

هاجمت القوات الأمريكية والبريطانية العراق -هذا البلد العربي المسلم الشقيق- بدون أي سند قانوني، وبالرغم من قيام المظاهرات الشعبية -في معظم دول العالم- تنادي بالسلام وترفض العدوان، وبالرغم من أن مؤتمر القمة العربية الذي عقد مؤخراً في مدينة شرم الشيخ بمصر أكد على رفض جميع الدول العربية لأي عدوان على أي دولة عربية وبرغم أن قوى دولية عديدة تتمثل في القمة الفرنسية الأفريقية وقمة عدم الانحياز والقمة الإسلامية جميعها رفضت الحرب على العراق، وبالرغم من أن الدول الأوروبية الرئيسية وفي مقدمتها: فرنسا وألمانيا عارضت الحرب وأعلنت أن الحرب لا يجب أن تكون إلا خيارا أخيرا بعد نفاد كل الوسائل السلمية وأكدت أنها لا تدعم ولا تؤيد الحرب دون صدور قرار من مجلس الأمن الدولي، وطالبت بإعطاء المفتشين الدوليين الفرصة لنزع أسلحة الدمار الشامل (المزعومة) بعيداً عن شبح الحرب، خاصة وقد استجاب العراق للتعاون الجاد مع لجان التفتيش، وأن لجان التفتيش تلك قد قامت بتدمير أسلحة فاقت كميتها ما تم تدميره في حرب الخليج سنة ١٩٩١م، برغم كل ذلك فقد قامت أمريكا بضرب العراق!!

- عبثاً حاولت أمريكا أن تضفي الشرعية على حربها ضد العراق فمارست أساليبها المعهودة مع الدول غير دائمة العضوية في مجلس الأمن لعلها تحصل على قرار يخول لها ضرب العراق، ولما تأكدت أن غالبية الدول ضد الحرب كشفت عن وجهها القبيح وأعلنت أنها ستضرب العراق سواء صدر قرار من مجلس الأمن أو لم يصدر، وأنه لابد أن يغادر صدام العراق ثم

أعلنت مرة أخرى أنها ستضرب العراق سواء خرج صدام من الحكم أم لم يخرج.

وكم هو غريب حقاً أن تعلن أمريكا أنها تخشى على أمنها من أسلحة الدمار الشامل فى العراق، وفى الوقت الذى كانت فرق التفتيش الدولية تدمر أنظمة الصواريخ «صمود ٢» لأن مداها أكثر من المدى المسموح به للعراق وهو مائة وخمسين كيلومتر، كانت أمريكا تجرى تجاربها على صاروخها الجديد عابر القارات الذى يزيد مداه على سبعة آلاف وخمسمائة كيلومتر. ففى الواقع أن أمريكا لاتخشى شيئاً على أمنها من العراق ولكنه منطق القوة الغاشمة الذى يجيز للقوى ما ليس له.

رأت أمريكا أن تفعل ماتريد وتبغى وتعربد كما تشاء فنحن العرب الذين رضينا بواقعنا الأليم المر من تفكك وتشرذم، وها قد بدأت الحرب والعالم العربى ينظر ويكتفى بإدانة العدوان. لقد صدق فينا قول النبى ﷺ: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قلنا: يا رسول الله: أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: أنتم يومئذ كثير ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل، ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل فى قلوبكم الوهن، قلنا: وما الوهن؟ قال: حب الحياة وكراهية الموت».[1]

بدأت الحرب، وضاع صوت السلام، وعلا صوت المعركة -للأسف- وهى معركة لايعلم منتهاها إلا الله.

وبعيداً عن الدواعى المعلنة للحرب مثل:

- القضاء على أسلحة الدمار الشامل.
- وإسقاط نظام صدام حسين.

فإن الدواعى غير المعلنة كثيرة نذكر منها:

- الاستيلاء على البترول.
- تقسيم العراق.
- اعادة تقسيم المنطقة بالشكل الذى يسمح لأمريكا ببسط هيمنتها.
- بالإضافة إلى أهداف أخرى لا يعلمها إلا الله الذى يعلم السر وأخفى.

أما أهم الأسباب الحقيقية التى أدت بنا إلى هذه الكارثة فهى:

(١) مسند الإمام أحمد ٥/٢٧٨.

- البعد عن الله وتعاليم الإسلام:

بداية من إغفال حقوق الجار التى وصانا بها النبى ﷺ حين قال: «مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[2].

نعم لقد أغفل بلد منا حقوق جاره فقام باجتياحه، متناسيا هذه الحقوق المقدسة التى حثنا ديننا الحنيف على احترامها. فبعدنا عن ديننا خطوة.

ولم نكترث (كأمة) أن يكون لنا جيش عربى موحد يواجه الأزمات برغم أن هذا المطلب يحثنا عليه ربنا العزيز فى قرآنه حيث يقول:

﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[3]

لقد نسينا قول ربنا العزيز ولم ننفذ أمره؛ فبعدنا عن ربنا وعن ديننا خطوة أخرى.

ونسينا مرة أخرى (كأمة) أن نصلح بين أخوينا، وبين أيدينا كتاب الله يقول:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[4]

فبعدنا عن ديننا خطوات.

أقول.. بدلاً من أن ننصاع لأمر ربنا، ذهبنا لاستدعاء القوات الأمريكية ليكون لها الصدارة والقيادة فى حرب الخليج الأولى ونئد بأيدينا أمل التضامن العربى، مع أن الله سبحانه وتعالى يأمرنا فى كتابه العزيز بالوحدة والتضامن حيث يقول جل شأنه:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[5]

إن ما طالب به الرئيس محمد حسنى مبارك بإنشاء نظام عربى جديد يمتلك من الآليات والمقومات ما يمكنه من الدفاع عن الإرادة العربية ويتصدى لمخططات الاستيلاء على ثروات الأمة العربية، ويقوم بحماية الأمة العربية وتحقيق مصالحها المشتركة، يعتبر أهم الحلول فى عالم اليوم الذى يسيطر عليه ويسوده صاحب القوة الغاشمة.

- عدم الاهتمام بشئون بعضنا البعض؛ حتى أن بعض النظم العربية

(٢) سنن الترمذى ٤/٣٣٢، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.
(٣) الحجرات/٩.
(٥) آل عمران/١٠٣.
(٤) الحجرات/١٠.

تفضل العمالة الأجنبية غير المدربة عن نفس العمالة من دول الجوار، ويتناسى هذا البعض أن الشعوب العربية ما هي إلا أعضاء جسد واحد وهو ما وجهنا إليه النبي الكريم حيث قال: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إن اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[٦].

- تشرذم الإعلام العربي، فبدلاً من أن يصطف إعلامنا في خدمة قضايا الأمة العربية نجده يهاجم بعضه بعضا، معطيا صورة سيئة عن الواقع العربي، لقد هانت علينا أنفسنا مما سهل على أعدائنا النيل من كرامتنا!!

ويرحم الله الشاعر الكبير أحمد محرم حيث قال:

خذلنا الكتاب -ورب الكتاب-

فأين الحمى ومن نحتمي

ومن يخذل الله لا ينتصر

ومن يهن الله لا يُكرم

- أما رأس المال العربي فلا يستثمر في الوطن العربي، وبدلاً من أن يكون سببا لرخاء شعوبنا بإنشاء المشاريع الاقتصادية الانتاجية في ميادين الحياة المختلفة، وبدلاً من استخدامه في تحقيق حياة حرة كريمة لشعوب المنطقة، نجد أن هذا المال يُستغل فقط في شراء السلع الاستهلاكية من خارج الوطن العربي، والباقي من هذا المال يدخر في البنوك خارج العالم العربي أيضا، ليصبح - للأسف- سلاحاً ضدنا حين نواجه تهديداً بتجميد تلك الأرصدة أو الاستيلاء عليها تحت أي مسمى أو ادعاء.

- أما زكاة المال -التي أقرتها الشريعة الإسلامية- على هذه الثروات التي أنعم الله بها على أمتنا العربية، فتكفي لحل مشاكل الفقراء في المنطقة، وذلك بإيجاد فرص عمل تضمن لهم حياة كريمة وتحولهم من مستهلكين إلى قوة إنتاجية فضلاً عن زيادة الروابط بين أفراد الأمة الواحدة.. وهو ما علمنا إياه رسولنا الكريم حين قال ﷺ لمن جاءه سائلاً: «اذهب فاحتطب»[٧] بعد أن جهزه بأداة بسيطة يحتطب بها.

---

(٦) صحيح مسلم ج٤/ ١٩٩٩ حديث رقم ٢٥٨٦.

(٧) سنن ابن ماجة ٢/ ٧٤٠.

هكذا علمنا رسولنا الكريم أن نستثمر أبسط ما نملك لنحيا بعزة وكرامة، وهو مثال يجب أن نحتذيه، وبخاصة اننا نملك من الثروات الشيء الكثير.

وهذا أيضا حديث رسولنا الكريم يقول: من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له». قال (أبو سعيد الخدري راوي الحديث): فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل.[٨]

أين نحن من هذا الهدى النبوي الشريف.. ولمن نزل هذا القرآن؟! إنه نزل لهذه الأمة التي جعلها الله خير أمة أخرجت للناس.

(*) إن السبيل الوحيد الآن للخروج من هذه الكارثة وما قد يترتب عليها من أزمات أخرى.. أن نترك فوراً هذا الظلام الذي يلفنا جميعا - والذي ألقاه علينا حب الذات - لنخرج سريعاً إلى النور ولن نجده إلا في العودة إلى الله وتعاليم ديننا الحنيف؛ فنصحح أخطاءنا السابقة، فإن الإصلاح الذاتي القائم على الهدى الإلهي هو المنطلق الأساسي لبناء القدرات العربية ويجب علينا جميعا الارتقاء إلى مستوى التحديات القاسية التي نواجهها، علينا أن نتغير لله القائل:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[٩]

ويجب أن نعتمد أولاً وأخيرا على الله الذي وعدنا بالنصر حيث يقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[١٠]

ويجب على جميع الحكومات العربية الآن أن تتكاتف فورا لمساعدة العراق الشقيق أولاً بإرسال الغذاء والأدوية لعلاج المصابين من شعب العراق المناضل.

ثانياً: بالعمل الجاد على وقف القتال وهذا أضعف الإيمان.

***

---

(٨) صحيح مسلم ج٣ ص١٣٥٤، حديث رقم ١٧٢٨.

(٩) الرعد/ ١١.

(١٠) محمد/ ٧.

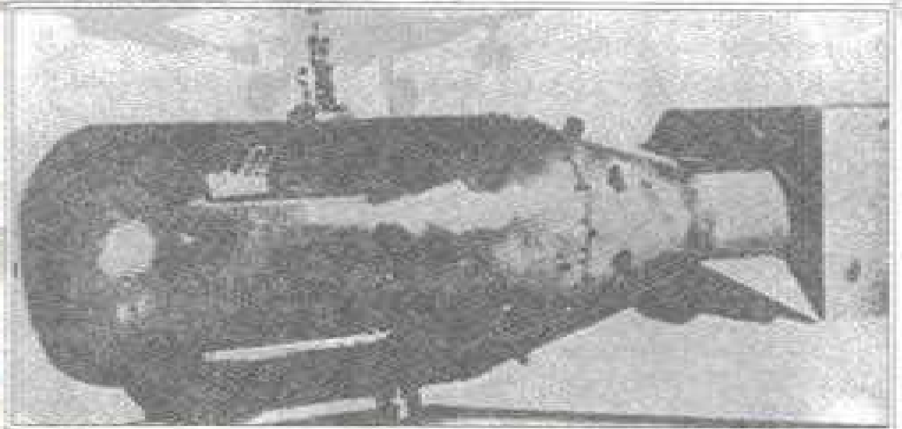
ليست معركة العراق بل هى معركة الأقصى

للأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

لم يكن مستغربا من وزير الدفاع الأمريكى دونالد رامسفيلد أن يستخدم عبارات رجل العصابات الأمريكى الأشهر (آل كابونى) عشية الغزو الأمريكى للعراق: «يمكنك الحصول بكلمة طيبة وبندقية أكثر مما يمكنك الحصول عليه بالكلمة الطيبة فقط، فما تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية حاليا هو عمل إجرامى لا تقوم به سوى عصابة عتيدة فى عالم الإجرام، والإناء لا ينضح إلا بما فيه.

فالتوجهات السياسية والعسكرية، بل وحتى تلك التى يسمونها بالمساعدات الإنسانية كلها لم تكن ذات يوم تحكمها أى أخلاقيات أو مبادئ من أى نوع، دينية كانت أو أخلاقية. فأى دين وأى أخلاق تلك التى دفعت الولايات المتحدة إلى استخدام السلاح النووى للمرة الأولى فى التاريخ ضد اليابان وتدميرها لكل أوجه الحياة على جزيرتى هيروشيما وناجازاكى، وذلك لإنهاء التفوق اليابانى الكاسح فى الحرب العالمية الثانية. ولازالتا حتى اليوم تعانيان من جراء الاستخدام الأول فى التاريخ لأسلحة الدمار الشامل!!

أى أخلاقيات تلك التى دفعت هؤلاء التتار إلى ضرب الغابات الفيتنامية بالأسلحة البيولوجية والكيماوية، بعد أن أعيتهم الحيل إزاء المقاومة الشجاعة لأبناء فيتنام الذين كان كل ذنبهم أنهم رفضوا أن يكونوا أعضاء فى إمبراطورية الشر الأمريكية، وقاوموا الاحتلال الأمريكى الغاشم بكل ما أوتوا من قوة حتى تم لهم النصر.



اول البلاء النووى - عفواً اول قنبلة نووية تلقى فى التاريخ على إحدى بقاع الكرة الأرضية - ألقيت على هيروشيما وقتلت واصابت ٢٠٠ ألف نسمة وتعتبر بدائية مقارنة بما هو موجود اليوم - هذه هى حضارة أمريكا!

واليوم فى العراق يخوض أباطرة الدمار حربا ضد الشعب العربى كله ممثلا فى شعبنا العربى فى العراق وصمدت المقاومة الشعبية العراقية صمودا لم يحسب أباطرة الشر حسابه، الأطفال والنساء والشيوخ حملوا السلاح دفاعا عن بلادهم، وليس دفاعا عن صدام حسين الذى قد يكون من أسوأ الطغاة فى العالم، لكن الواضح أن شعبه لم ينقلب عليه، وكان بإمكانه ذلك ولكنه لم يفعل. لماذا؟ هل لدى قادة حملة تحرير العراق إجابة؟

ذهبوا يحررون شعب العراق، فاحتلوا أرضه وقتلوا النساء والشيوخ والأطفال.. حقا يا له من عمل إنسانى نبيل تستحق عليه الولايات المتحدة الشكر ومعها حليفتها بريطانيا التى شاركت فى هذا العمل الإنسانى الجليل نظرا لما تحمله من شهادات وخبرات سابقة فى التعامل مع شعوب الشرق الأوسط، وآخرها حرب ١٩٥٦م النبيلة عندما احتلت بورسعيد والإسماعيلية لتحرير شعب مصر ومعها الحليف الاستراتيجى الدائم: إسرائيل! وقتلت الآلاف من أبناء شعب مصر البطل.

قد يكون العراقيون فعلا يكرهون نظامهم الحاكم، ولكنهم إن خيروا بين حكامهم الظلمة الطغاة، وبين حكام المستقبل من الأمريكيين والبريطانيين وعملائهم، فلا أراهم يختارون إلا حكامهم الظلمة.. لماذا؟

لأنها طبيعة فينا نحن العرب، لا نقبل الاحتلال، وترفض العملاء والخونة، ولا نخرج عن طاعة حكامنا، وإن حدث فإن ذلك لا يكون على أسنة رماح أجنبية محتلة.

لماذا؟ لأنا مسلمون وديننا يأمرنا بألا نشق عصا الطاعة على حكامنا طالما أقاموا فروض الإسلام.. هكذا نحن.

قد يكون بأسنا بيننا شديداً، ولكننا نقف دائما وأبدا صفًا واحداً في مواجهة الخطوب..

في مصر قيل ما قيل عن حكم جمال عبدالناصر، لكن في الأزمات التف الشعب كله حول ناصر كما حدث في ١٩٥٦ في مواجهة العدوان الثلاثي الذي قادته انجلترا بزعم إعادة الديمقراطية إلى مصر.. هكذا جاء في مئات الألوف من المنشورات التي ألقوها على محافظات القناة.



قنبلة MOAB زنة ٢١,٥٠٠ رطل ملقبة بأم القنابل تكلف إنتاجها الملايين من الدولارات ومهمتها الدمار وحصد أرواح البشر: أحدث منتجات الشر الأمريكية.

وعقب هزيمة ١٩٦٧ التف الشعب كله حول (ناصر) وطالبه بالصمود وإعادة البناء والاستعداد للحرب، ووعدوه جميعا بالنصرة والتأييد، ورفضوا تنحيه عن الحكم.

هكذا نحن، جنود لا نخرج على الطاعة أبدا، ونلتف حول قادتنا، ونتمسك بهم، لأن ديننا يأمرنا بذلك، وإذا كان العراقيون يكرهون صدام حسين، فإنهم لن يتركونه أبدا للأمريكيين والبريطانيين يختطفونه ليقتلوه بل سيقاتل الشعب كله دونه..

لماذا؟ لأنه قائدهم، وسقوطه فيه إذلال لهم ولكبريائهم وتدمير لمعنوياتهم.. قد ينقلبون عليه، ولكن ليس وقت الحرب، سيتشبث به الجميع.. حتى الشيعة الذين سحقهم وأذلهم سيدافعون عنه، لأنه اليوم أصبح الضمان القوى لعزتهم في مواجهة القوة العظمى المهيمنة على العالم، وإذا قُدر لهم الاستمرار في الصمود فسيغفرون له خطاياه كلها مقابل قيادته لهم في المحنة.

العراقيون لا يريدون الاحتلال، لا يريدون العملاء. وسيتكرر صمود الشعب

العربي في أي بقعة عربية يقصدها الأمريكيون وحلفاؤهم، ولن يجدوا من الشعب العربي غير الالتفاف حول قادته والتمسك بهم.

كنا وسنظل جنودا محاربين ضد الغزاة.. الجهاد طبيعة في دمنا، ولن نتخلى عن طبيعتنا ما حيينا، إنها فطرة نولد بها ونموت عليها.

وقد أدرك الغرب هذا، ومن هنا كان هذا العدوان السافر على شعب العراق، هذا العدوان ليس موجهها ضد العراق فقط، ولكنه عدوان يهدف إلى كسر طبيعة الجندي العربي في شعبنا العربي كله، حتى يرضوا بالجرثومة التي زرعوها وسطنا في فلسطين: إسرائيل.. تلك الحية الرقطاء، ويرضوا بها كأمر واقع، ويتخلوا عن فطرتهم وطبيعتهم المستمدة من دينهم.. وهي الجهاد.. قرار غزو العراق أصدره شارون.. وليس بوش أو حتى تابعه بلير، الحرب التي تدور الآن في العراق ليس المقصود بها صدام حسين أو الشعب العراقي، بل المقصود بها الشعب العربي كله، بل والأمة الإسلامية بأسرها.. المعركة الدائرة الآن هي معركة الهدف منها كسر إرادتنا ووأد أي حلم لنا في العودة إلى المسجد الأقصى والقدس الشريف إنهم يجروننا إلى معركة تجعلنا نتحدث عن حق الشعب العراقي في تقرير مصيره، بدلا من الحديث عن حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وهذا ما يسعى إليه شارون الذي لا يشغله الآن سوى ذبح أكبر عدد ممكن من أبناء شعبنا العربي الفلسطيني المقاتل في سبيل العقيدة أولا والحرية ثانيا.



الغابات الفيتنامية التي أحرقها الغزاة الأمريكيون بالأسلحة الكيماوية

لو كان سليمان حيًّا ما وسعه إلا تدمير الهيكل

للأستاذ الدكتور/ على أحمد الخطيب



الهيكل.. الهيكل.. الهيكل..!

صيحة اليهود التى تطن فى آذان العالم - لاسيما فى الغرب - لإقناع الناس أن الهيكل هو الروح الوحيد الذى يرفع عنهم اللعنة..!!!

وصيحة اليهود فى العالم بأنهم بفقده فقدوا الروح الذى يصلهم بالله - عز وجل.

يقولون:

حيث لا هيكل فلا كاهن،

وحيث لا هيكل ولا كاهن؛ فلا صلاة ولا مذبح ولا قربان [زكاة]؛ فتبقى اللعنة التى ينوءون بها، ويسعون للتخلص منها..!

فهل هذا هو الحق..؟

هل الهيكل بدرجات موظفيه - هو الذى يرفع اللعنة فتطهر قلوبهم وتسعد أرواحهم؟

أم للعنة سبب واحد.. آخر، تزول بوجوده، وتستقر بزواله.

سبب واحد، ليس غير ذكره القرآن الكريم، وذكرته التوراة المتداولة بأيديهم، إن هم مارسوه، وأدوا حقه تلاشت اللعنة، وزالت بلواها.

إنه «الميثاق» وليس «الهيكل».

الميثاق الذى واثقهم الله - تعالى - عليه: أن يؤدوا فروضه بعينها، وينتهوا عن أضدادها وأخذ عليهم العهد بالعمل به فأقروا صاغرين. قال - تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

البقرة - ٦٣

ويومئـــذ لم يكن هناك هيكل على الإطلاق. قال - تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾

المائدة - ١٢

وعصى بنو إسرائيل ونقضوا العهد فحلت عليهم اللعنة بهذا النقض. قال - تعالى:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾

المائدة - ١٣

والقرآن الكريم يذكر الحق. قال - تعالى:

﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾

الإسراء - ١٠٥

ولا تفسير التنزيل العزيز إنكار بنى إسرائيل له.

وهذا نص من أسفار التوراة المتداولة يخاطبهم: «إذا سلكتم فى فرائضى، وحفظتم وصاياى، وعملتم بها.. ألتفت إليكم وأثمركم وأكثركم وأفى ميثاقى معكم» لاويين ٢٦ / ٣ - ٩.

والقرآن الكريم يحيطنا علماً بذلك حيث يقول ربنا - عز وجل:

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾

البقرة - ٤٠

ويستطرد النص بالتوراة:

«لكن إن لم تسمعوا لى، ولم تعملوا كل هذه الوصايا، وإن رفضتم فرائضى، وكرهت أنفسكم أحكامى، فما عملتم كل وصاياى، بل نكثتم ميثاقى، فإنى أعمل هذه بكم: أسلط عليكم رعبا وسلا وحمى تفنى العينين وتتلف النفس.. فتهلكون بين الشعوب» لاويين ٢٦ / ١٤ - ١٦ - ٣٨.

وفى سفر «التثنية» نجد الحكم نفسه. ويقولون: إن موسى خاطب الشعب، وكانوا يؤمنون على كل جملة يتلوها عليهم:

«ملعون من لا يقيم كلمات هذا الناموس ليعمل بها».

---

(١) عزرتموهم: أى نصرتموهم ووقرتموهم - للأنف - فتكرم

ويقول جميع الشعب: آمين، تثنية ٢٧ / ١٦ ..

ولا تعقيب لنا بعد هذه النصوص فقرارها باللعنة وسببها أوضح ما يكون ..!!

وتبقى اللعنة وتظل، لأن بنى إسرائيل لا يرضون لها رحيلاً.

فأى هيكل هذا الذى يرفعها وميثاق الله وعهده دبر آذانهم ووراء قلوبهم!

●●●

ولقد شاء ربنا العزيز لحكمة أن يحيطنا تفصيلاً بهذا الميثاق، فقال - وقوله الحق:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

البقرة ٨٣ - ٨٥

ها نرى: أولى مبادىء الميثاق التوحيد التام، وهو أول ما خلعه أكثرهم وارتموا فى أحضان الوثنية .. بداية من الأفراد العاديين إلى ملوكهم، حتى كان من ملوكهم من عبد أشخاصاً من الملوك الوثنيين[٢].

وزحفت الوثنية حتى حلت بالهيكل وتعبدوا لها، ورأى حزقيال النبى بنفسه «عند باب هيكل الرب بين الرواق والمذبح نحو خمسة وعشرين رجلاً ظهورهم نحو هيكل الرب ووجوههم نحو الشرق وهم ساجدون للشمس» حزقيال ٨ / ١٦.

وعتوا فى كفرهم حتى قالوا: «الرب لا يرانا، الرب قد ترك الأرض» حزقيال ٨ / ٩-١٢.

●●●

ثم هذا الميثاق الكريم الذى حدثنا به المولى - عز وجل - ليس - هو - مجملاً فى التوراة، فهو مذكور بتفصيل، نشير إلى شىء منه.

جاء بسفر التثنية أن وحيا لله - عز وجل - كان إلى موسى - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - خاطب به موسى القوم:

«اسمع .. يا إسرائيل - الفرائض والأحكام التى أتكلم بها فى مسامعكم».

ثم ساق لهم الوحى - وها هو كما كتبوه، يبدأ بالتوحيد ويشدد عليه:

(٢) راجع مجلة الأزهر - ذا القعدة ١٤٢٣ص ١٨١٩

«أنا هو الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر».

«لا يكن لك آلهة أخرى أمامى، لا تصنع تمثالاً منحوتاً: صورة ما، مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من أسفل، وما فى الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهن، ولا تعبدهن، لأنى أنا الرب إلهك إله غيور» تثنية ٥ / ١-١١.

باختصار مع مطابقة الأصل.

ولنعم الجزاء أن لو وفوا. قال - تعالى:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾

المائدة - ٦٥

وفى التوراة المتبادلة.

«إن سمعت سمعاً لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه التى أوصيك بها اليوم يجعلك الرب إلهك مستعلياً على جميع قبائل الأرض، وتأتى عليك جميع هذه البركات:

مباركاً تكون فى المدينة، ومباركاً تكون فى الحقل، ومباركة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك وثمرة بهائمك: نتاج بقرك وإناث غنمك.

مباركة تكون سلتك ومعجنك

مباركاً تكون فى دخولك ومباركاً تكون فى خروجك» تثنية - ٢٨ / ١-٦.

فأما إذا خالفتم، فلم يستجب أى من إسرائيل لصوت الرب ولم يعمل بجميع وصاياه وفرائضه؛ فلسوف:

«تأتى عليك جميع هذه اللعنات وتدركك:

ملعوناً تكون فى المدينة، وملعوناً تكون فى الحقل، ملعونة تكون سلتك ومعجنك، ملعونة تكون ثمرة بطنك، وثمرة أرضك: نتاج بقرك وإناث غنمك

ملعوناً تكون فى دخولك، وملعوناً تكون فى خروجك.

يرسل عليك الرب اللعن والاضطراب والزجر فى كل ما تمتد إليه يدك» .. الخ.

تثنية ٢٨ / ١٥-٢٥.

لقد انتهى الأمر.

وكما وقعت لعنة التوراة حلت لعنة القرآن؛ لأن بنى إسرائيل لم يتغيروا..

هل من شعب واحد فى الأرض لم يصب منهم بسوء؟!

«كنتم لعنة بين الأمم يابيت يهوذا، ويابيت إسرائيل» زكريا ٨ / ١٣.

ظللتم على ما كان عليه آباؤكم والهيكل بين أيديهم والإثم فى أفواههم.

وها أنتم تطلبون الهيكل، والدم الحرام يقطر من أيديكم، والنشوة به

ملء صدوركم، وكأنكم تنتقمون ممن أذلكم من: «نبوخذ نصر» و«شيشق»، و«تيطس» الذى محى الهيكل من الوجود عام (٧٠) م.

اللهم إن الهيكل برىء من اللعنة، لا يخفض لها ولا يرفع..

أقيموا الميثاق تزول اللعنة.. ولكنكم تأبون.. فأنى لها أن تزول..؟ ولو كان الهيكل وعليه هارون النبى نفسه.. على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام.. وبجواره ألف «أخ هاروني»، وألف «أخت هرون».

لقد زال الهيكل من الوجود وأنتم أعلم الناس بذلك، لكنكم تريدون أرضا تفيض لبناً وعسلاً.

لقد قضى الأمر وانتهى بحكم السماء.. وليس لكم إلا ما كتب الله عليكم: لعنات متتاليات..



وإنها لنحو عشر لأنكم نقضتم الميثاق، لعنات أوردها الكتاب العزيز بداية من قوله ـ تعالى:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾

إلى قوله ـ تعالى:

﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

النساء – ١٥٥ – ١٦١

ولكنكم – يا بنى إسرائيل – ما رضيتم بما نقضتم.

قدرات إسرائيل النووية

للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

تنفرد إسرائيل بحيازة قدرات نووية ضخمة، دون سائر دول المنطقة العربية، وقد أفضى ذلك إلى خلل فى ميزان القوى لصالح إسرائيل. ومن الواضح أن إسرائيل فرضت ستارا من التعتيم على قدراتها النووية، فى إطار «استراتيجية الاحتكار النووى الإسرائيلية» التى تقوم على عدد من الركائز، منها رفض إسرائيل إخضاع ترسانتها النووية للرقابة والتفتيش الدولى بدعوى أنها لازالت فى حالة حرب مع بعض دول الجوار الجغرافى، وعدم اعترافها بامتلاك السلاح النووى لتتفادى الضغوط الدولية عليها، ولتتحاشى استفزاز الدول العربية لامتلاك سلاح نووى مضاد، وفى نفس الوقت محاولة منها للالتفاف حول قوانين الكونجرس الأمريكى التى لا تسمح بمنح أية معونات اقتصادية لأية دولة تسعى إلى حيازة السلاح النووى، وأيضا رفض الانضمام إلى معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية، ورفض إدراج مسألة الترسانة النووية الإسرائيلية، فى جدول أعمال أية مفاوضات مع العرب للتسوية السياسية للصراع العربى الإسرائيلى، واعتبار تلك المسألة خطاً أحمر، لا يجب مناقشته، أو المساس به، وكذلك محاولة حرمان الأطراف العربية من حيازة أى نوع من أسلحة الدمار الشامل سواء نووية أو كيمائية أو بيولوجية، حتى تحافظ على تفوقها العسكرى على العرب كعامل ردع. ومن هنا يرى الكاتب والمحلل السياسى الإسرائيلى «مناحم بريش» ضرورة تعزيز القوة بالقدرة النووية، فيقول فى كتابه «الخيار النووى لإسرائيل»: «إن الجهد القومى فى مجال الأمن الإسرائيلى يعتمد على «تعزيز القوة» الحقيقية كضرورة حيوية، ويأتى فى المقام الأول «القدرة النووية» التى تعزز القوة، وتكملها كجزء لا يتجزأ منها. وجدير بالذكر أن إسرائيل بدأ اهتمامها بالأبحاث النووية قبل نهاية حرب ١٩٤٨، وقد أدرك «حاييم

وايزمان»، أول رئيس لإسرائيل، بوصفه عالمًا بارزًا من علماء الكيمياء العضوية، أهمية توفر مصدر للطاقة النووية في إسرائيل، لتوليد الطاقة الكهربائية، وتحلية مياه البحر. ومن ثم تم تشكيل لجنة علمية تتبع «دائرة البحث والتخطيط» بوزارة الدفاع للقيام بإجراء الدراسات حول الموارد المعدنية في صحراء النقب، وقد أسفرت هذه الدراسات عن اكتشاف اليورانيوم الطبيعي اللازم كوقود لتشغيل المفاعلات النووية، كما ارسلت العديد من البعوث العلمية الإسرائيلية إلى العديد من دول أوروبا وأمريكا المتقدمة نوويًا لدراسة علوم الذرة عام ١٩٤٩، وأقيمت دائرة للأبحاث في النظائر المشعة، تابعة لمعهد وايزمان، في نفس العام.

وبالإضافة إلى ذلك جرى تشكيل لجنة الطاقة الذرية الإسرائيلية عام ١٩٥٢، وإنشاء دائرة للفيزياء في معهد وايزمان، برز من أعضائها، الدكتور «إسرائيل دومستروفسكي» الذي توصل، من خلال أبحاثه، إلى إنتاج الماء الثقيل الضروري لتشغيل المفاعلات بطريقة كيميائية. ومن اللافت للنظر أن إسرائيل باعت عام ١٩٥٣ حق براءة إختراع الدكتور «إسرائيل دومستروفسكي» لإنتاج الماء الثقيل، لفرنسا، وفي مقابل ذلك فتحت فرنسا مؤسساتها الذرية لتدريب العلماء الإسرائيليين، في مجال الأبحاث النووية. وانطلقت، تبعا لذلك، سلسلة من الأبحاث النووية، واكبت في نفس الوقت تخريج نخبة من الكوادر العلمية المتخصصة في مجالات الذرة المؤهلة لدعم القدرات النووية في إسرائيل، وتبع ذلك إنشاء أربع مفاعلات نووية نتناولها بالتفصيل على النحو التالي:

– مفاعل ديشون ليتسيون: يعتبر مفاعل ديشون ليتسيون أول مفاعل بدأت إسرائيل بناءه في ٢٠ / ١١ / ١٩٥٤ شمال مدينة «ديشون ليتسيون»، وتم الفراغ منه في ٢٥ / ١٢ / ١٩٥٦، وافتتح رسميا في ١٢ / ٢ / ١٩٥٧. وقد وضع تصميمات بنائه شركة «ايه إم إف أتومكس» AMF Atomics الأمريكية، وتبلغ طاقته ٨ ميجاوات، ويستخدم هذا المفاعل اليورانيوم الطبيعي بنسبة ٨٠٪ واليورانيوم ٢٣٥ بنسبة ٢٠٪ كوقود لتشغيله، ويقوم بإنتاج أهم النظائر المشعة مثل الزرنيخ، والبزيوم، والحديد، واليود، والنيكل، والفوسفور، والصوديوم. كما يتولى تدريب العلماء والطلبة الوافدين إليه، على إنتاج النظائر المشعة، وتطبيقاتها في مجالات الطب، والزراعة، والصناعة، وأبحاث المياه، والجيولوجيا.

– مفاعل ناحال سوريك: بدأ بناء هذا المفاعل في قرية «نحال سوريك»، وانتهى بناؤه في ٢٢ / ١٢ / ١٩٥٨، وافتتح رسميا في ١٨ / ١ / ١٩٥٩، وتعاونت أمريكا مع إسرائيل في وضع تصميمات إنشائه، وتبلغ طاقته ٥ ميجاوات، ويستخدم اليورانيوم المخصب كوقود، وتجرى عملية إثراء اليورانيوم باستخدام الليزر، والمعروف عالميا أن إسرائيل هي صاحبة براءة هذا الاختراع في تخصيب اليورانيوم، ومن أهم النظائر المشعة التي ينتجها المفاعل هي النحاس، والبوتاسيوم، والكبريت، والزنك، والفضة، والكالسيوم، والكروم. كما يستخدم النظائر المشعة في مجالات الزراعة والصناعة، والطب، والبحوث الجيولوجية.

– مفاعل النبي روبين: بدأ إنشاء هذا المفاعل في ٢٧ / ١ / ١٩٦٦، وتعاونت أمريكا مع المؤسسات العلمية في إسرائيل لوضع تصميمات إنشائه، وتبلغ طاقته ٢٥٠ كيلو وات حراري، ويستخدم اليورانيوم الطبيعي كوقود، وبلغت تكاليف بنائه وتشغيله حوالي ٢٠٠ مليون دولار. ويستخدم هذا المفاعل في إنتاج الطاقة الكهربائية، وتحلية مياه البحر، وهو ينتج حوالي ٤١٧,٥ مليون لتر يوميا من الماء العذب.

– مفاعل ديمونا: يعتبر مفاعل ديمونا من أهم الخطوات التي خطتها إسرائيل نحو إنتاج الأسلحة النووية، ويقع في منتصف الطريق الصحراوي بين بئر سبع وسدوم على البحر الميت قرب بلدة «ديمونا» في أسفل الجبل المسمى «جبل ديمونا»، وقد وضعت تصميمات هذا المفاعل لجنة الطاقة الذرية الفرنسية، وأشرف على بنائه عدد من أبرز علماء فرنسا بموجب اتفاق ابرم سرا عام ١٩٥٧، في حين بدأ بناؤه عام ١٩٦٠، وافتتح رسميا في أواخر عام ١٩٦٣، وتتفاوت طاقة هذا المفاعل، حيث كانت طاقته، في بادئ الأمر، تقدر بحوالي ٢٤ ميجاوات، بينما أكدت بعض التقديرات أن طاقته تنامت أكثر من ثلاث مرات، فبلغت ما يزيد على ٧٠ ميجاوات، في الوقت الذي تشير تقديرات أخرى إلى أن طاقته تجاوزت ١٥٠ ميجاوات. ومما يجب الالتفات إليه أن إسرائيل حرصت، منذ إنشاء هذا المفاعل، على فرض ستار من السرية على قدراتها النووية منه في إطار سياسة الغموض النووي التي تبنتها بهذا الخصوص، وبلغت تكاليف إنشائه، حوالي ١٣٠ مليون دولار، ويستخدم اليورانيوم الطبيعي كوقود لتشغيله. ومما يجدر ذكره أن إسرائيل تملك معملين لفصل البلوتونيوم، تم شراء

معداتهما من الولايات المتحدة الأمريكية، وفرنسا، وإيطاليا، وألمانيا، الأول هو المعمل النووى الحار بمركز «نحال سوريك» النووى، حيث بدأ تشغيله فى أواسط عام ١٩٦٦، ويقوم بتنقية البلوتونيوم واستخلاصه من وقود المفاعلات المحترقة بعمليات كيمائية، والثانى هو المعمل النووى الحار بمركز ديمونا النووى، ويقوم باستخلاص البلوتونيوم النقى، وتبلغ قدرته على الفصل من ٦-٨كجم بلوتونيوم سنويا لإنتاج الأسلحة النووية. وما يجب التأكيد عليه أنه قد تفاوتت التقديرات حول ما يمكن أن تنتجه المفاعلات النووية الإسرائيلية من رءوس نووية، فتشير بعض التقديرات أن إسرائيل ربما تكون قد أنتجت ٤٠٠ رأس نووى، فى حين تشير تقديرات أخرى حديثة أن حجم الترسانة النووية الإسرائيلية لا يمكن أن تتجاوز ٢٠٠ رأس نووى، وذلك فى ضوء ما كشفت عنه نخبة من العلماء الأمريكيين قبل نحو ٤ سنوات، عقب قيامهم بتحليل عدد من صور الأقمار الصناعية لمركز ديمونا للأبحاث النووية حيث أكدوا ذلك التقدير. ويعتمد تقدير عدد الرؤوس النووية أيضا على أساس كمية «البلوتونيوم-٢٣٩» المستخلص من وقود اليورانيوم المحترق فى مفاعل ديمونا. ويذكر خبراء الذرة أن هناك نوعين من القنابل، الأول من عيار ٢٠ كيلو طن، والثانى من عيار ١٠ كيلو طن، ويترتب على ذلك تقدير معين لعدد الرؤوس النووية لكل نوع من هذه القنابل النووية، فإذا كانت إسرائيل صنعت قنابل من عيار ٢٠ كيلو طن (على غرار قنبلة هيروشيما)، فإنها تكون قد أنتجت ١٠٠ قنبلة نووية، أما إذا كانت قد صنعت قنابل من عيار ١٠ كيلو طن، فإنها تكون قد أنتجت ٢٠٠ قنبلة نووية. ومن جهة أخرى يذكر بعض المحللين السياسيين أن ثمة مسارين رئيسين لتطور عدد الرؤوس النووية فى إسرائيل، المسار الأول يعتمد على المعلومات التى أدلى بها «موردخاى فانونو» - وهو مهندس فنى عمل لمدة عشر سنوات فى مفاعل ديمونا - إلى جريدة «الصنداى تايمز» عام ١٩٦٨ وتشكل هذه المعلومات أساسا لمعظم التقديرات الخاصة بعدد الرؤوس النووية حتى عام ٢٠٠٠، والمسار الثانى يعتمد على ما بثه موقع «اتحاد العلماء الأمريكيين FAS» من صور فضائية التقطتها أقمار صناعية أمريكية لمركز ديمونا للأبحاث النووية فى فترة امتدت من الستينيات إلى عام ٢٠٠٠. ويبين الجدول التالى عدد الرؤوس النووية الإسرائيلية طبقا لهذين المسارين.

المساران الرئيسيان لتطور عدد الرؤوس النووية الإسرائيلية[1]

السنة	كمية البلوتونيوم-٢٣٩		عدد الرؤوس النووية	
	بيانات FAS	بيانات فانونو	بيانات FAS	بيانات فانونو
١٩٦٤	٦-٧كجم	٦-٧كجم	—	—
١٩٦٨	٣٠كجم	٣٠كجم	٦	٧
١٩٧٢	٨٢كجم	٨٢كجم	١٦	٢٠
١٩٧٦	١٦٢كجم	١٦٢كجم	٣٢	٤٠
١٩٨٠	٢٤٢كجم	٣٢٢كجم	٤٨	٨٠
١٩٨٤	٣٢٢كجم	٤٨٢كجم	٦٤	١٢٠
١٩٨٨	٤٠٢كجم	٦٤٢كجم	٨٠	١٦٠
١٩٩٢	٤٨٢كجم	٨٠٢كجم	٩٦	٢٠٠
١٩٩٦	٥٦٢كجم	٩٦٢كجم	١١٢	٢٤٠
٢٠٠٠	٦٤٢كجم	١١٢٢كجم	١٢٨	٢٨٠

ومن ناحية أخرى يذكر أن إسرائيل لديها أسلحة كيمائية، وبيولوجية، مثل السلاح الكيميائى الثنائى، الذى ينشأ من اتحاد عنصرية «خليط» له صفات مهلكة، وهو السلاح الذى حصلت عليه إسرائيل من الولايات المتحدة الأمريكية، وأيضا غاز الكلور (CK) الذى يسبب تهيجا فى الجلد، وتدهورا فى وظيفة الشعب الهوائية يفضى إلى موت محقق، وغاز البروم، وغاز التابون (GA)، وأكسيد الأثيلين، وغاز الفوسجين (CG)، وغاز الخردل (HD)، وغاز السومان، وغاز الفى إكس (VX)، وهو غاز الأعصاب، والحمرة

(١) الأهرام ١/٩/٢٠٠٠ مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية.

الخبيثة (الانثراكس)، وحامض الهيدروسيانيد (AC) وفي هذا السياق تقوم إسرائيل بتخزين أسلحتها الكيمائية، والبيولوجية في مصانع للغازات الحربية والسموم قرب «الناصرة» و«بتاح تكفا»، ومصنع قرب تل أبيب، يدعى «مختيتيم»، في حين تخزن الذخائر الكيمائية في منطقة بئر سبع. ومما يجب التأكيد عليه أن إسرائيل تمتلك أيضا عددا من الصواريخ الحاملة للرؤوس النووية مثل الصاروخ «لانس»، ومداه يبلغ ١٥٠كم، ويحمل رأسا نوويا زنة ٣٥كجم، والصاروخ «جابرئيل» ويبلغ مداه ٢٠٠كم، والصاروخ «أريحا-١»، ومداه ٤٨٠كم، ويحمل رأسا نوويا زنة ٥٠٠كجم، و«أريحا-٢»، ومداه ١٥٠٠كم، ويحمل رأسا نوويا زنة ٥٠٠كجم، و«أريحا-٣»، ومداه ٤٥٠٠كم، ويحمل رأسا نوويا زنة ١٢٠٠كجم. ومن ناحية أخرى أطلقت إسرائيل مؤخرا قمرا صناعيا خامسا في إطار «سلسلة أقمار أفق»، وهو «أفق-٥»، لدعم قدراتها الفضائية، وللتجسس على القدرات النووية العراقية والإيرانية، إلى جانب تفردها بالحصول على أية معلومات نووية من النظام الأمريكي الفضائي. وانطلاقا من سعي إسرائيل إلى دعم قدراتها النووية، فقد عزمت على بناء محطة جديدة للطاقة النووية (مفاعل نووي) في صحراء النقب، تبلغ تكلفتها مليارى دولار، وتبدأ الخطوة الأولى بمرحلة تحسين مواصفات الأمن والسلامة لهذه المحطة النووية، وتستغرق نحو سبع سنوات، وتتلوها خطوات أخرى حتى يتم استكمالها، على أن يبدأ افتتاحها، وتشغيلها في عام ٢٠٢٠.

وحرصا من حكومة إسرائيل على سياسة التعتيم النووي، كعادتها، فقد زعمت أن هذا المفاعل الجديد يدخل في إطار الاستخدامات السلمية للطاقة النووية، غير أن جريدة «يديعوت أحرونوت»، ذكرت أنه يندرج في إطار الاستخدامات العسكرية، وتشرف عليه المؤسسة العسكرية الإسرائيلية. ومما يجب لفت الأنظار إليه، أنه كشف النقاب، في يونيو ٢٠٠٢، عن قيام إسرائيل بإجراء اختبار لعملية إطلاق صاروخ من إحدى ثلاث غواصات تملكها من طراز «دولفين» الألمانية الصنع، في المحيط الهادى، بالقرب من سيرلانكا، وأن نوعية هذه الصواريخ التي جرى اختبارها قابلة لحمل رؤوس نووية، كما تشير التحليلات السياسية أن هذه التجربة ترتبط بتطوير القدرة على توجيه الضربة الثانية، تحسبا لاحتمال قيام العراق أو إيران بتدمير القواعد العسكرية الإسرائيلية الثابتة.

وفي الختام يمكن القول أن احتكار إسرائيل للقدرات النووية، وانفرادها بامتلاك السلاح النووي يشكل تهديدا نوويا متعاظما على الأمن القومي العربي، ناهيك عن فرض الهيمنة الإسرائيلية على دول الجوار، واستغلال ذلك في أية مفاوضات بينها وبين العرب لفرض شروطها في السلام. لذا يتعين على الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد الأوروبي، الضغط على إسرائيل لإيقاف برنامجها النووي تحت إشراف الوكالة الدولية للطاقة الذرية، لإخلاء منطقة الشرق الأوسط من هذه الأسلحة الخطيرة التي إذا ما استخدمت لن ينجو من أضرارها أحد حتى إسرائيل نفسها.

بين الصحف و المجلات

إعداد الأستاذ

محمود الفشني

غزاة أم قوات تحرير؟؟

صلاح منتصر في «مجرد رأي» الأهرام ٢٤/٣/٢٠٠٣

طرحهذا السؤال: القوات الأمريكية - البريطانية غزاة للعراق أم قوات تحرير لها؟ سأله موقع بي.بي.سي على الإنترنت لقرائه في اللحظة التي وجه فيها الرئيس الأمريكي بوش إنذاره لصدام حسين بالرحيل خلال ٤٨ ساعة أو الحرب.. ومن بين الردود التي تلقاها الموقع أنتقي ما يمثل كل الآراء:

● لقد طال عذابنا نحن العراقيين وسوف تسمعون قصصا يندى لها الجبين وسوف تخجل منها الإنسانية جمعاء.. عادل - المغرب.

● أرى أن الشعب العراقي سيستقبل جميع القوات الآتية لتحريره كما يستقبل السجين السجان للإفراج عنه. حسن بشير نور - السودان.

● غزو العراق ما هو إلا مقدمة لفرض الهيمنة الأمريكية على العالم العربي والإسلامي. شريف الأشرم - مصر.

● الشعب العراقي الباسل سيقول للغزاة: بلادي وإن جارت علي عزيزة وأهلي وإن ضنوا علي كرام. مجدي إبراهيم - مصر.

● لا أعتقد أن الشعب العراقي سيرحب بالقوات الغازية بل سيقاتل ويقاوم حتى النهاية. أحمد عبدالمنعم - العراق.

● والله أنا متأكد أن أمريكا لم تدخل العراق لتحريره ولكن لإثبات قوتها وبطشها وتخويف كل بلد يفكر في

مناطحتها مثل الصين وفرنسا. محمد يوسف برهان - سوريا.

● أمريكا لا تتدخل كرامة لعيون العراقيين، لكن لاشك أن هذا الشعب سيستفيد من التدخل كما حدث في أفغانستان حيث تحرر الأفغان من وطاويط التخلف. علاء نصر - مصر.



الوقاحة الأمريكية

جيهان الخازندار في الحياة اللندنية في ٢٤/٣/٢٠٠٣ كتبت تقول:

الوقاحة هنا أن الولايات المتحدة نصبت نفسها قاضياً وجلاداً، فقد رأينا ما حدث في مجلس الأمن الدولي عندما وقفت غالبية الدول الأعضاء ضد الحرب، فكان أن قررت الولايات المتحدة الحرب بنفسها، لأن استراتيجية الأمن القومي تقدم حماية أمنها على أي اعتبار آخر، بما في ذلك الرأي العام العالمي ومواقف الحلفاء.

المعارضة الهائلة للحرب في كل بلد لا تحتاج إلى شرح. أما موضوع الحلفاء القدامى والجدد فهو جزء من موضوع أكبر هو أننا أمام عالم جديد حقاً.

أمريكا مطية إسرائيل

سيد عبدالعاطي في الوفد في ٢٣/٣/٢٠٠٣ كتب يقول:

إذا كان «بوش» حريصاً كل هذا الحرص لتخليص العالم من الأشرار، فعليه أولاً أن يخلص العالم من السفاح شارون الذي يقتل الفلسطينيين ليل نهار، وينتهك أعراضهم، ويدمر منازلهم ومزارعهم، ويغتصب أراضيهم.

وإذا كان «بوش» صادقاً في دعوته لإنقاذ العالم من أسلحة الدمار الشامل، فعليه أولاً أن يبدأ بإسرائيل التي تمتلك كل أنواع

أسلحة الدمار الشامل «النووي والكيماوي، والجرثومي» وتهدد العالم بالفناء وليس المنطقة العربية.

وإذا كان «بوش» حريصاً على أن يمنح الشعب العراقي حريته، وإدارة شئونه، والتمتع بثرواته.. فعليه أولاً أن يمنح الشعب الفلسطيني هذا الحق الذي اغتصبته إسرائيل ومازالت.. فهل يمكن لـ «بوش» أن يفعل ذلك؟!.

بالطبع لا.. لأن أمريكا بكل قوتها ونفوذها وشموخها، أصبحت مطية لإسرائيل، تستغلها وتستخدمها لتحقيق أهدافها ومخططاتها التوسعية، ليس للسيطرة على منطقة الشرق الأوسط فقط، ولكن للسيطرة على العالم كله، وما يحدث الآن في العراق هو في النهاية يصب في خدمة إسرائيل.

هل يجدي

وكتبت منى رجب في الأهرام ٢٤/٣/٢٠٠٣

هل يجدي مشهد طفل عراقي مذعور خوفاً في إيقاف دوي قنبلة؟.. وفيم يفيد نحيب امرأة تختبيء بأبنائها في أحد الملاجيء هرباً من القصف الجوي لقوات التحالف؟.. وهل كل مشاهد الدمار التي تنقلها الشاشات في خططها على مدار ٢٤ ساعة من الممكن أن توقف نزيف الدماء التي تسيل من النساء والأطفال والشيخ من المدنيين الذين ليس لهم ذنب في اندلاع هذه الحرب.

كل هذه تساؤلات نطرحها جميعاً مع كل خطة بينما القلوب مشدودة تجاه شعب عربي شقيق ينتمي إلى حضارة عريقة ونبتهل إلى الله أن ينقذه من محنته.

تأملات

د. مصطفى محمود في أكتوبر ٢٣/٣/٢٠٠٣ كتب يقول:

خصومتهم وعداؤهم هي للإسلام..

الإسلام الذي ينازعهم السلطة في توجيه العالم وبنائه على مثاليات وقيم أخرى..

الإسلام الذي ينازعهم الدنيا ويطلب لنفسه موقع قدم في حركة الحياة.

الإسلام الذي يريد أن يشق شارعاً ثقافياً آخر ويرسي قيماً أخرى في التعامل ونصائح أخرى من الفن والفكر.

الإسلام الذي يريد أن ينهض بالعلم والاختراع والتكنولوجيا ولكن لغايات أخرى غير التسلط والغزو والعدوان والسيطرة.

الإسلام السياسي.. الإسلام الذي



يتجاوز الإصلاح الفردى إلى الإصلاح الاجتماعى والإصلاح الحضارى والتغيير الكونى.. هنا لا مساومة.. ولا هامش سماح.. وإنما حرب ضروس.. هنا سوف يطلق الكل عليك الرصاص.

وقد يأتيك الرصاص من قوى سياسية داخل بلدك الإسلامى نفسه.. النمط الغربى للحياة تحول الآن إلى قلعة مسلحة ترفض أى منافس أو بديل.. قلعة لها جاذبيتها.. ولها مريدوها أحيانا من المسلمين أنفسهم.

والليبرالية الأمريكية والأوروبية بما فيها من انحلال مباح وحرية فى العلاقات الجنسية والشذوذ مسموح وعرى متاح ونوادى قمار وأفلام عهر لا تريد نظاماً يحد من تلك الحريات ولو كان هذا النظام على الجانب الآخر من الأطلنطى.. خاصة إذا كان هذا النظام يشكل حضارة منافسة لها ماضيها وتاريخها.

***

خطبة الجمعة

أمة صاحبة عقيدة ووحدة وجهاد

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى

الحمد كل الحمد لله تبارك وتعالى، أحمده سبحانه وأشهد أن لا إله إلا الله هو ولى النعمة، ومصدر الرحمة:

﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾(١)

وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله، نبى الرحمة وقائد الملحمة:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(٢).

وأصلى وأسلم على جميع أنبياء الله ورسله، وعلى خاتمهم سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه، وأتباعه وأحبابه، ومن دعا بدعوته بإحسان إلى يوم الدين، وأستفتح بالذى هو خير:

﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾(٣)

إن شعار الأمة المؤمنة هو صدق الاعتقاد، ودوام الاتحاد، واتصال الجهاد، حتى النصر أو الاستشهاد، فهذه الأمة الراشدة الماجدة المهتدية بهدى ربها وكتابها، السائرة على طريق نبيها، تعرف منهجها وتوطد دعائم إيمانها وعلمها، وتستجيب لأمر قرآنها:

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(٤).

وهى تحرص على اجتماعها ووحدتها، لأن خالقها جل جلاله جعل أفرادها أبناء أسرة واحدة:

(١) الأعراف (٥٦).
(٢) الأنبياء (١٠٧).
(٣) الممتحنة (٤).
(٤) الأنعام (١٦١).

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾(٥)

وطالبهم بألا يعرفوا طريق التفرق أو التمزق:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾(٦)

ثم فرض عليهم الجهاد الخالص المخلص إلى يوم لقائه، كلما دعا إليه داع أو اقتضاه موجب:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾(٧).

وعلمهم أن صدق الجهاد يؤدى إلى إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾(٨).

ولقد ضرب المسلمون الأوائل أروع الأمثال فى صدق الإيمان وعمق العلم وصفاء الأخوة وسمو الجهاد، والاستمساك بمبادىء الوفاء والفداء، حتى صنعوا ـ بفضل الله أولا، ثم بإخلاصهم وطهارة نفوسهم ـ نموذجا للأمة العاقلة الفاضلة المناضلة:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾(٩).

وهذا واحد من هؤلاء المحققين الصادقين لعزة الإسلام ووحدة المؤمنين، الذين جعلوا شعارهم قول ربهم:

﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾(١٠).

إنه الصحابى الجليل، والمجاهد القائد الشاب، الناشىء فى طاعة الله وطاعة رسوله، والعمل لخدمة الإسلام، ورفعة المسلمين: أسامة بن زيد بن حارثة الذى ولد بمكة، ونشأ على الإسلام لأن أباه كان من أوائل الناس إسلاما، فنشأ أسامة حتى أدرك، ولم يعرف إلا الإسلام لله ـ تعالى ـ ولم يدن بغيره، وعاش فى أسرة مؤمنة مجاهدة مضحية، فأبوه مات شهيدا فى غزوة مؤتة وأخوه لأمه «أيمن بن عبيد» مات شهيدا فى غزوة حنين، وأمه هى أم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ، وهى من السابقات إلى الإسلام، ومن أهل الهجرتين وهى التى اشتركت فى أكثر من غزوة كأحد وخيبر، وهى التى كان الرسول يقول عنها: «أم أيمن أمى بعد أمى». ويقول عنها: «هذه بقية أهل بيتى».

---

(٥) الحجرات (١٠).
(٦) آل عمران (١٠٣).
(٧) الحجرات (١٥).
(٨) العنكبوت (٦٩).
(٩) آل عمران (١١٠).
(١٠) الأحزاب (٢٣).

ولذلك ولغيره كان أسامة حبيبا لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه، قربه الرسول إليه ورعاه ورباه ووجهه، وكان يحبه حبا شديدا، ويعامله كبعض أهله، وينظر إليه كما ينظر إلى سبطيه وريحانتيه من الدنيا الحسن والحسين ـ رضوان الله على الجميع ـ ولقد روى أسامة فقال: كان رسول الله ﷺ يأخذنى والحسن بن على ثم يقول: «اللهم أحبهما فإنى أحبهما». وكان الرسول يقول: «من كان يحب الله ورسوله فليحب أسامة»، وأسامة هذا كان أفطس الأنف أسود اللون كأنه الليل كما ذكر التاريخ، ولكنه كسب هذه المكانة بطهارته وصفائه، وصدقه ووفائه، ونضاله وفدائه، فقد آثر الإسلام واهتدى بهديه، وهاجر مع النبى واحتمل فى سبيل الله ما احتمل، وتفقه فى دينه، وروى ما يزيد على مائة وسبعة وعشرين حديثا، وكان يتطوع بالقربات والنوافل، حتى إنه حرص خلال حياته على صوم الاثنين والخميس من كل أسبوع، حتى بعد أن تقدمت به السن، اقتداء برسول الله ﷺ، وعرف أسامة طريق النضال وهو مازال فتى يافعا، وكان لا يفخر بمال أو نسب أو عمل، بل كان يعتز كل الاعتزاز برضى الرسول عنه وحبه له، لأن حب الرسول عنوان على حب الله، ولذلك جعل أسامة نقش خاتمه هكذا: «أسامة حب رسول الله»، ولم يكن هذا الحب العظيم إلا لله وفى الله وعلى صراط الخضوع الكامل والخشوع الشامل أمام أمر الله ونهيه، ومما يدل على ذلك أن القوم أرادوا من أسامة أن يشفع عند النبى فى أمر المرأة المخزومية التى سرقت حتى لا يقام عليها الحد، واستجاب أسامة لرجائهم، وهنا لم يذكر الرسول شيئا سوى أمر الله وحقه، لأن حق الله فوق كل حق، فقال لأسامة غاضبا أو عاتبا:

«أتشفع فى حد من حدود الله يا أسامة؟ إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها»!

ومن الدروس الموجهة المرشدة أن نرى رسول الله ﷺ قبيل وفاته بقليل يعين أسامة قائدا على جيش المسلمين المتهيىء للذهاب إلى غزو الروم، وكان أسامة دون العشرين من عمره، وكان فى هذا الجيش أمثال أبى بكر وعمر وأبى عبيدة وسعد بن أبى وقاص وقتادة بن النعمان وغيرهم من كبار الصحابة، ولكن الرسول المعلم أراد بذلك أن يدرب الشباب على القيادة أولا، وأن يمجد ذكرى والد أسامة المجاهد الشهيد، وأن يعلم الأمة أن القائد إنما هو رمز، فإذا أصبح فى موطن القيادة وجب على الجميع أن يسمعوا ويطيعوا، وأن يكونوا معه ومن ورائه يدا واحدة ووجهة واحدة وقلبا واحدا، ولذلك نشهد الرسول يلحق بربه بعد قليل، وقبل أن

يتحرك جيش أسامة إلى غايته، وتولى الخلافة أبوبكر - رضى الله عنه - فيكون أول ما يقدم على تنفيذه هو أن يحرك الجيش إلى السير بقيادة المجاهد الشاب، وزاد الخليفة في التكريم فخرج يودع الجيش ماشيا على قدميه، والقائد الشاب فوق صهوة جواده، وحينما كبر على القائد أن يركب والخليفة يمشي، قال لأبي بكر: يا خليفة رسول الله: إما أن تركب وإما أن أنزل فأجاب الخليفة قائلا فى عزم وإصرار: والله لا تنزل ولا أركب، وما عليّ أن أغبر قدمى فى سبيل الله ساعة. ومضى القائد بالجيش إلى غايته، وحقق لهم ما أرادوا من نصر وفوز، بسبب اجتماع الكلمة، وإخلاص الأمة، والاعتزاز بالله خير الناصر.

فلنثبت في القلوب عقيدتنا، ولنعرف في جلاء ووضوح خطتنا وطريقتنا ولنحصن بالإيمان والعلم أركان أمتنا، ولنصن بالنفائس والنفوس وحدتنا، ولنعد لتحقيق الحرية والعزة والكرامة عدتنا، ولنجعل النصر أو الشهادة غايتنا. ولنمض فى طريق النضال باذلين جهدنا وطاقتنا:

﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ
وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾(11).

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾(12)

إن الله جل جلاله قد علم عباده أن طريق الخير والفوز هو طريق الاجتماع والاتحاد، ولذلك ذكرهم بأن الصبغة الأساسية لأمتهم المؤمنة هى صبغة الوحدة والألفة، فقال:

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً
وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾(13).

وحذرهم الفرقة والشتات فقال لهم:

﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ
وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾(14).

وإن المرحلة الحاسمة التى تمر بها أمتنا الآن تستوجب اعتصامنا بحبل ربنا، وتمسكنا بأسباب وحدتنا واجتماعنا، وإلا طمع فينا أعداؤنا، وضاعت من أيدينا أوطاننا ومقدساتنا:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا
وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ
فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ
فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(15)

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم.

---

(11) النحل (9).
(12) النحل (128).
(13) المؤمنون (52).
(14) الأنفال (46).
(15) آل عمران (103).

ما أشبه الليلة بالبارحة

• المسلمون

• من هؤلاء الصامتون

قصيدتان صارختان للشاعرين الأستاذين محمود حسن إسماعيل ومحمد عبدالغنى حسن تصوران المحنة التى يعانيها المسلمون اليوم، وقد قيلتا فى ظروف أليمة مثل التى نعيشها الآن.

المسلمون(*)

للشاعر الكبير الأستاذ/ محمود حسن إسماعيل

من هؤلاء التائهون الخابطون على التخوم(١)

أعشى خطا أبصارهم ... رهج الزوابع والغيوم(٢)
والليل ينفض فوقهم ... من يأسه قلق النجوم
ويسوقهم زمراً إلى ... حفر مولولة الرجوم(٣)
السوط يرقل حولها ... والموت أنسره تحوم(٤)
والقيد يخصف من صدورهم المذلة والهموم(٥)
ويسومهم من عسفه ... ولظاه أبشع ما يسوم(٦)
فإذا غفوا فعلى مواطئ ... كل جلاد غشوم(٧)
وإذا صحوا فعلى خطا ... للذل خاشعة الرسوم(٨)

***

من هؤلاء الضائعون؟ ... أفهؤلاء المسلمون؟!..
أبداً.. تكذبني، وترحمني الحقائق والظنون

***

(*) مجلة المسلمون، العدد الأول، عام ١٩٥١.
(١) التخوم: المعالم والحدود التي تفصل بين الأرضين.
(٢) الرهج - ويحرك -: الغبار والسحاب بلا ماء.
(٣) الرجوم: حجارة تنصب على القبر.
(٤) يرقل: يجر ذيله.
(٥) يخصف من قولهم خصفت الناقة خصفاً - بالكسر - ألقت ولدها، يريد أن القيد يظهر ما يستكن في صدورهم من الذل والهموم.
(٦) سام فلاناً الأمر: كلفه إياه أو أولاه إياه، وأكثر ما يستعمل في العذاب والشر، وهو المراد هنا. العسف: الظلم.
(٧) غشوم: ظلوم.
(٨) الرسوم: جمع رسم، وهو الأثر أو بقيته.

أبداً.. وكيف؟ وفي يمينهم كتاب لا يهون
أبداً.. وكيف؟ ودون سطوته.. وتنتحر القرون
ويبيد طغيان العتاة، ويهلك المتجبرون

ويخر بين يديه من ... وهج الضياء الغاشمون
الفاسدون المفسدون الظالمون المظلمون
الشاربون الدمع ممن في المجازر يصرخون
السائقون الخلق كالقطعان ساجدة العيون
مسبورة، منهورة ... بالسوط تجهل ما يكون(٩)
بلهاء.. روعها الصدى ... واجتاح قنيتها الجنون(١٠)
وأحالها عدماً يكبر للردى.. لو تسمعون(١١)

***

من هؤلاء الخانعون؟ ... أفهؤلاء المسلمون؟(١٢)
أبداً.. تكذبني وترحمني الحقائق والظنون

***

أنا منهم.. لكنني ... نغم بسمعهم شريد
ربضت به الأصفاد.. بل ... طحنته غمغمة العبيد(١٣)
وجؤار شرق مبتدئ ... بأنين أمته معيد(١٤)
أبكي عليهم أم على ... غد يكبلني شديد؟!(١٥)

(٩) مسبورة: مقطعة النفس من الإعياء. منهورة: مزجورة.
(١٠) القنية من الغنم: ما يتخذ منها للولد أو اللبن، يريد خيارها.
(١١) الردى: الهلاك.
(١٢) الخانعون: الخاضعون ذلاً.
(١٣) ربضت به وأربضته: قعدت به.
(١٤) الجؤار: التضرع والاستغاثة.
(١٥) يكبلني: يقيدني.

إنا هجرنا الله .. هجرتنا لشيطان مريد(16)
عات تروضنا حضارته لكل هوى نبيد(17)
ولكل من يحيي لنا الإسلام في كفن جديد؟
نسجته أخيلة العصور السود مذ زمن بعيد
لتحيل دين محمد وهما على نعش مجيد



وإذا الجنازة لوعة حرى مشيعها سعيد

***

من هؤلاء الهالكون؟ أفهؤلاء المسلمون؟

(16) المريد: المتمرد العاتي. (17) عات: متجاوز للحد.

أبدا .. تكذبني، وترجمني الحقائق والظنون

***

من كان للإسلام فليضرب بمعوله الفساد
فليصيح باللص الغني كفاك من شبع وزاد
وليصيح بالفساق إياكم وأعراض العباد
وليصيح بالطاغين أسرفتم .. لكل مدى نفاد
وليصيح بالباغين ويحكم .. لقد ذهب الرقاد(18)
وليصيح بالغادين ويلكم إذا حان الحصاد
وطواكم حد المناجل بين أذرعه الشداد
ونظرتم .. فإذا الظلام عليكم حنق السواد(19)
ريح مصرصرة الزئير .. كأختها في يوم عاد(20)
تستقبكم من ويلها وخرابها حصم الرماد(21)

***

من هؤلاء الصاغرون؟ أفهؤلاء المسلمون؟(22)
القانتون، العابدون، الراكعون، الساجدون

●●●

(18) الرقاد: النوم. (19) حنق: مغتاظ.
(20) ريح مصرصرة: شديدة الصوت أو البرد يقال: ريح صر وصرصر.
(21) الحُصد: كل ما احترق بالنار وما تقذفه البراكين.
(22) الصاغرون: الأذلاء.

من هؤلاء الصامتون(*)

للشاعر الكبير الأستاذ/ محمد عبدالغني حسن

مَنْ هؤلاء الصامتون؟ تكلَّموا ... مَنْ هؤلاء المحجمون؟ تقدَّموا؟(١)

مابالُكم تُقضَى الأمورُ بغيركم ... ويكونُ دونكمُ القضاءُ ويُبرَمُ(٢)

تتكلمُ الأَسَلاتُ فوقَ رءوسكُم ... وتعجُّ حولكمُ الوغى وتُدمْدِمُ(٣)

وتكادُ كفُّ الطامعينَ تُصيبكُمْ ... وتنالُ ماترجو المطامعُ منكمُ(٤)

الغانمونَ الأرضَ بعدَ محمدٍ ... أضحوا، وهُمْ في كلِّ أرضٍ مغنَمُ

***

مَنْ هؤلاء الخائرونَ كأنَّما ... طالَ الطريقُ بهمْ، ولم يتقدَّموا

فعلى غواربهم ضَنًى وتهدُّمٌ ... وعلى ملامحِهِم أسًى وتجهُّمُ(٥)

صبرًا إذا شَنَّتِ الرياحُ بركبكُمْ ... وأناخَ كلكلَهُ الزمانُ عليكمُ(٦)

صبرًا إذا الحادي استبانَ سبيلَهُ ... فإذا الطريقُ على الرواحلِ مُظلِمُ(٧)

صبرًا إذا انبهرَ الحُداةُ فلا ترى ... في الركبِ مَنْ يشدو ومَنْ يترنَّمُ(٨)

هذي سبيلٌ سارَ فيها قبلكُمْ ... متَرسِّمٌ في إثرِهِ مترسِّمُ(٩)

(*) من مجلة الرسالة العدد (٨٠٩) والأستاذ محمد عبدالغني حسن كاتب وبحاثة، وقد اشتهر بأنه شاعر الأهرام وكان عضواً بمجمع اللغة العربية بمصر.

(١) المحجمون: المتأخرون عن التقدم.

(٢) الاستفهام للتقريع. ويُبْرم: يعقد.

(٣) الأسلات: الرماح. تعج: تموج. الوغى: الحرب. تُدمدم: تغضب. قال تعالى: ﴿فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها﴾ أي غضب.

(٤) الطامعون: المستعمرون.

(٥) غواربهم: ظهورهم. ضنى: مرض. تجهُّم: عبوسة وغضب.

(٦) شنت الرياح: عصفت بكم. كلكله: صدره.

(٧) استبان: اتخذ يتطلع ليرى. الرواحل: الركائب.

(٨) انبهر: دهش.

(٩) مترسم: متتبع.

غَلَبَتْ وتغلبُ كلَّ مَنْ سَمَّ السُّرى ... ويكادُ يغلبُها الفتى ...

***

ما هذه البيداءُ إلا أنَّها ... تيهٌ يَضِلُّ بها الدليلُ المُقْدِمُ(١١)

ما هذه الصحراءُ إلا أنَّها ... ساحٌ يخورُ بها الكميُّ المُعْلَمُ(١٢)

ما هذه الموماةُ إلا أنَّها ... ليلٌ تحارُ به النجومُ فتَعْتِمُ(١٣)

ما هذه الفيفاءُ إلا أنَّها ... بحرٌ تحيطُ بشاطئيهِ جهنَّمُ(١٤)

هي قبرُ كلِّ مجاهدٍ لم يطوِهِ ... في خُضْرَةِ الأشجارِ كونٌ أعظمُ(١٥)

أكلَتْ لحومَ الخالدينَ ولم تزلْ ... يعتادُها النَّهِمُ القديمُ فتنهَمُ(١٦)

بالأمسِ كانَ وقودَها في حرِّها ... جيشٌ من الظلمِ الأثيمِ عرمرمُ(١٧)

فإذا دُعاءُ الجاهليةِ خافتٌ ... وإذا ثراءُ الجاهليةِ مُعْدِمُ(١٨)

وإذا الطواغيتُ التي قد أشركوا ... باللهِ فوقَ رءوسِهِم تتحطَّمُ(١٩)

***

(١٠) سَمّ: عل. السرى: المشي ليلاً.

(١١) البيداء: الصحراء. المقدم: الشجاع الذي يندفع إلى الإقدام.

(١٢) ساح: جمع ساحة. الكمي: البطل. المعلم: الذي اتخذ شارة حتى يعرف في الحرب.

(١٣) الموماة: الصحراء. تعتم: تظلم.

(١٤) الفيفاء: الصحراء. جهنم: كناية عن الهول.

(١٥) الصحراء كانت مقبرة الأبطال لأنهم ضحوا بأنفسهم مجاهدين فدفنوا بها.

(١٦) النهم: الشره والجشع.

(١٧) عرمرم: كثير منتشر، ويريد به جيش الشرك الذي حارب الدعوة الإسلامية واندحر منهزماً.

(١٨) خافت: ساكت. مُعدم: فقير لا مال لديه.

(١٩) الطواغيت: مايعبد من دون الله – عز وجل. تتحطم: تتهدّم.

من هؤلاء الصامتون[*]

للشاعر الكبير الأستاذ/ محمد عبدالغني حسن

مَنْ هؤلاءِ الصامتُونَ؟ تكلَّمُوا   مَنْ هؤلاءِ المُحجمونَ؟ تقدَّمُوا![1]
غابَ الكُمْ تقضي الأمورُ بغيرِكُمْ   ويكُونُ دونكُمُ القضاءُ ويُبرمُ[2]
تتكلمُ الأسلاتُ فوقَ رءوسِكُمْ   وتعجُّ حولكُمُ الوغى وتُدمدمُ[3]
وتكادُ كفُّ الطامعينَ تصيبُكُمْ   وتنالُ ما ترجو الطامعُ منكمُ[4]
الغانمونَ الأرضَ بعدَ محمدٍ   أضحوا، وهُمْ في كلِّ أرضٍ مغنمُ

***

مَنْ هؤلاءِ الخائرُونَ كأنما   طالَ الطريقُ بهمْ، ولمْ يتقدَّمُوا
فعلى غواربِهمْ ضنىً وتهدُّمٌ   وعلى ملامحِهمْ أسىً وتجهُّمُ[5]
صبراً إذا مشتِ الرياحُ بركبِكُمْ   وأناخَ كلكلهُ الزمانُ عليكُمْ[6]
صبراً إذا الحادي استبانَ سبيلهُ   فإذا الطريقُ على الرواحلِ مظلمُ[7]
صبراً إذا انبهرَ الحُداةُ فلا ترى   في الركْبِ مَنْ يشدو ومَنْ يترنَّمُ[8]
هذي سبيلٌ سارَ فيها قبلكُمْ   مُترسِّمٌ في إثرهِ مُترسِّمُ[9]

(*) من مجلة الرسالة العدد (٨٠٩) والأستاذ محمد عبدالغني حسن كاتب وبحاثة، وقد اشتهر بأنه شاعر الأهرام وكان عضواً بمجمع اللغة العربية بمصر.

(١) المحجمون: المتأخرون عن التقدم.

(٢) الاستفهام للتقريع. ويُبرم: يعقد.

(٣) الأسلات: الرماح. تعج: تموج. الوغى: الحرب. تُدمدم: تغضب. قال تعالى: ﴿فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها﴾ أي غضب.

(٤) الطامعون: المستعمرون.

(٥) غواربهم: ظهورهم. ضنى: مرض. تجهّم: عبوسة وغضب.

(٦) مشت الرياح: عصفت. كلكله: صدره.

(٧) استبان: أخذ يتطلّع ليرى. الرواحل: الركائب.

(٨) انبهر: دهش.

(٩) مترسم: متتبع.

غلبتْ وتغلبُ كلَّ مَنْ سئمَ السُّرى   ويكادُ يغلبُها الذي لا يسأمُ[10]

***

ما هذهِ البيداءُ إلا أنها   تيهٌ يضلُّ بها الدليلُ المُقدمُ[11]
ما هذهِ الصحراءُ إلا أنها   ساحٌ يخورُ بها الكميُّ المُعلَمُ[12]
ما هذهِ الموماةُ إلا أنها   ليلٌ تحاربُهُ النجومُ فتُعتمُ[13]
ما هذهِ الفيفاءُ إلا أنها   بحرٌ تحيطُ بشاطئيهِ جهنمُ[14]
هيَ قبرُ كلِّ مجاهدٍ لم يطوهِ   في خمسةِ الأشبارِ كونٌ أعظمُ[15]
أكلتْ لحومَ الخالدينَ ولمْ تزلْ   يعتادُها النهمُ القديمُ فتنهمُ[16]
بالأمسِ كانَ وقودَها في حرِّها   جيشٌ من الظلمِ الأثيمِ عرمرمُ[17]
فإذا دعاءُ الجاهليةِ خافتٌ   وإذا ثراءُ الجاهليةِ مُعدمُ[18]
وإذا الطواغيتُ التي قد أشركُوا   باللهِ فوقَ رءوسِهمْ تتحطمُ[19]

***

(١٠) سئم: ملّ. السرى: المشي ليلاً.

(١١) البيداء: الصحراء. المقدم: الشجاع الذي يندفع إلى الإقدام.

(١٢) ساح: جمع ساحة. الكمي: البطل. المعلم: الذي اتخذ شارة حتى يعرف في الحرب.

(١٣) الموماة: الصحراء. تعتم: تظلم.

(١٤) الفيفاء: الصحراء. جهنم: كناية عن الهول.

(١٥) الصحراء كانت مقبرة الأبطال لأنهم ضحوا بأنفسهم مجاهدين فدفنوا بها.

(١٦) النهم: الشره والجشع.

(١٧) عرمرم: كثير منتشر. ويريد به جيش الشرك الذي حارب الدعوة الإسلامية واندحر منهزماً.

(١٨) خافت: ساكت. مُعدم: فقير لا مال لديه.

(١٩) الطواغيت: ما يعبد من دون الله - عز وجل. تتحطم: تتهشم.

من هؤلاء الهائمون كأنما | لم يهدهم نهج الكتاب المحكم (٢٠)
يبدو العياء من الليالي فوقهم | ويرى الغبار من السنين عليهم (٢١)
فكأنهم أنضاء ركب لم يبن | للواحة الخضراء فيهم معلم (٢٢)
تتخبط الأحداث بين صفوفهم | وتموج بالخطب الجسيم وتفعم (٢٣)
أعياهم خبب الطريق فوقفوا | وأخافهم فزع الطريق فأحجموا (٢٤)
ما بالهم لم يجد في أسقامهم | طب ولم ينفع لديهم مرهم (٢٥)
عجبا أتبرأ علة في أمة | ويصح جسم والطبيب المسقم (٢٦)

***

يا أيها الركبان إن سبيلكم | للمجد والعلياء أن تتقدموا
لا ييئسنكم الطريق إذا بدا | وعليه أشواك وفيه تجشم (٢٧)
يكفي الصياح فما الحياة عبارة | جوفاء فارغة يرددها الفم
الحق تحميه الصوارم والقنا | والعدل تحفظه الضحايا والدم (٢٨)

---

(٢٠) الهائمون: الحائرون. الكتاب: هو القرآن الكريم. نهجه: طريقه.
(٢١) العياء: التعب.
(٢٢) أنضاء: جمع نضو، وهو المطية المتعبة. معلم: طريق.
(٢٣) تموج: تضطرب. تفعم: تمتلئ.
(٢٤) الخبب: نوع من السير. أحجموا: امتنعوا عن السير.
(٢٥) يجدي: ينفع. مرهم: بلسم للجرح.
(٢٦) تبرأ: تصح. المسقم: مسبب المرض.
(٢٧) أشواك: مصاعب مانعة. تجشم: تحمل وجهد.
(٢٨) الصوارم: السيوف. القنا: الرماح. تحفظه: تصونه. الضحايا: الشهداء.

تفسير سورة البقرة

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

الآية: ٢٥٤

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

الخلة: الصداقة والمودة مأخوذة من تخلل الأسرار بين الصديقين، وسميت بذلك لأنها تتخلل النفس أى تتوسطها، أو لشدة الحاجة إليها. ومنه سمى الخليل خليلا لاحتياج الإنسان إليه.

والشفاعة مأخوذة من الشفع بمعنى الضم، وتطلق على انضمام شخص إلى آخر لنفعه أو نصرته، وأكثر ما تستعمل فى انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى ما هو دونه.

والمعنى: عليكم أيها المؤمنون أن تنفقوا فى وجوه الخير كإعانة المجاهدين ومساعدة الفقراء والبائسين من أموالكم التى رزقكم الله إياها بفضله وكرمه، ومن قبل أن يأتى يوم القيامة الذى لا يكون فيه تجارة ولا مبايعة حتى تقدموا عن طريقها ما تفتدون به أنفسكم، ولا يكون فيه صديق يدفع عنكم، ولا شفيع يشفع لكم فيحط من سيئاتكم إلا أن يأذن رب العالمين بالشفاعة تفضلا منه وكرما.

فالآية الكريمة تحض المؤمنين على الإنفاق فى سبيل الله، لأنه أهم عناصر القوة فى الأمة، وأفضل وسيلة لإقامة المجتمع الصالح المتكافل.

والمراد بالإنفاق هنا ما يشمل الفرض والنفل، والأمر لمطلق الطلب، إلا أن هذا الطلب قد يصل إلى درجة الوجوب إذا نزلت بالأمة شدة لم تكف الزكاة عن دفعها.

وقوله: ﴿ مِمَّا رَزَقْنَاكُم ﴾ إشعار بأن هذا المال الذى بين أيدى الأغنياء ما هو إلا رزق رزقهم الله إياه، ونعمة أنعم بها عليهم، فمن الواجب عليهم شكرها بألا يبخلوا بجزء منه على الإنفاق فى وجوه الخير، لأن هذا البخل سيعود عليهم بما يضرهم.

وفى قوله: ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ ﴾ .. إلخ حث آخر على التعجيل بالإنفاق، لأنه تذكير للناس بهذا الوقت الذى تنتهى فيه الأعمال، ولا يمكن فيه استدراك ما فاتهم، ولا تعويض ما فقدوه من طاعات. فكأنه - سبحانه - يقول لهم: نجوا أنفسكم بالمسارعة إلى الإنفاق من قبل أن يأتى يوم لا منجاة فيه إلا بالعمل الصالح الذى قدمتموه.

و﴿ مِنْ ﴾ فى قوله: ﴿ مِمَّا رَزَقْنَاكُم ﴾ للتبعيض. وفى قوله: ﴿ مِّن قَبْلِ ﴾ لابتداء الغاية: ومفعول أنفقوا محذوف والتقدير أنفقوا شيئا مما رزقناكم.

والشفاعة المنفية هنا هى التى لا يقبلها الله - تعالى - وهى التى لا يأذن بها، أما شفاعة النبى ﷺ فقد أذن الله له بها وقبلها منه، وقد وردت أحاديث صحيحة بلغت مبلغ التواتر المعنوى فى أن النبى ﷺ ستكون له شفاعة فى دفع العذاب عن أقوام من المؤمنين وتخفيفه عن أهل الكبائر من المسلمين، ومن ذلك ما أخرجه البخارى عن جابر بن عبد الله. أن رسول الله ﷺ قال: «أعطيت خمسا لم يعطهن نبى قبلى: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا، فأيما رجل أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى وأعطيت الشفاعة، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة».

ثم ختم - سبحانه - الآية بقوله: ﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ أى والكافرون الجاحدون لنعمه هم الظالمون لأنفسهم، لأنهم حالوا بينها وبين الهداية بإيثارهم العاجلة على الآجلة، والغى على الرشد، والشر على الخير، والبخل على السخاء.

أما المؤمنون فليسوا كذلك لأنهم سلكوا الطريق المستقيم، وبذلوا الكثير من أموالهم فى سبيل إعلاء كلمة الله، وفى إعانة المحتاجين.

وبذلك نرى أن الآية الكريمة قد حضت المؤمنين على المسارعة فى إنفاق أموالهم فى وجوه الخير من قبل أن يأتى يوم لا ينفع فيه ما كان نافعا فى الدنيا من أقوال وأعمال وأنها قد توعدت من يبخل عن الإنفاق فى سبيل الله بسوء العاقبة، لأنه تشبه بالكافرين فى بخلهم وإمساكهم عن بذل أموالهم فى وجوه الخير.

[يتبع]

***

مصطلح الإنسان في القرآن الكريم



للأستاذ الدكتور / محمد أحمد العزب

١

للقرآن الكريم في حديثه عن الإنسان منازع شتى واتجاهات متباينة، فهو يتحدث عن الإنسان كواحد من (بني آدم).. وعن الإنسان كواحد من (المؤمنين).. وعن الإنسان كواحد من (الكافرين).. وعن الإنسان كواحد من (المتقين).. وعن الإنسان كواحد من (الظالمين).. وعن الإنسان كواحد من (المحسنين).. إلى آخر ما ورد في القرآن الكريم من تنويع الأداء البياني في حديثه عن الإنسان بما يتفق مع كل قضية من قضايا الطاعة أو المعصية، وما يتواءم مع كل موقف من مواقف التمرد أو الذهول.

وقديما وقف المفسرون والعلماء عند كل جانب من هذه الجوانب بما هُيئوا له من اقتدار على استنباط الحكمة، واستلهام المعنى، واسترفاد روح النص القرآني المعجز بكل ما ينطوي عليه من بلاغة المعنى وبلاغة السياق، فتركوا لنا زادا هائلا من التأمل الفكري في كتاب الله يتشامخ على مرّ الزمن، ويتراحب على تعاقب الأجيال.

ولست أريد أن أقف بمحدوديتي عند هذه الجوانب التي طرقها علماؤنا الكبار، وإنما أريد أن ألمس جانب قضية أخرى تتصل بالإعجاز البياني للقرآن الكريم في تناوله لمصطلح (الإنسان) بلفظ (الإنسان) فحسب.. وكيف أن هذا التناول شكل بتتابع وروده في عديد من الآيات قضية متكاملة تحيط بواقع الإنسان المادىّ والنفسىّ والروحي والفكري، بحيث نستطيع إذا نحن تأملنا عناصرها جميعا أن نصل منها إلى يقين رياضيّ بأن الإنسان في شموله وكليته لا يخرج عن إطار هذه الصورة.

ولا يند عن منهج هذا التحديد.. وهنا يكون وجه من وجوه الإعجاز البياني لهذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه!

والأساس الفلسفي الذي تستند إليه نظرية البحث عن الإنسان في القرآن (نصاً لا تضميناً)، يتمثل في كون حديث القرآن عن الإنسان كواحد من المؤمنين أو كواحد من الكافرين أو كواحد من هذه الآحاد الكثيرة المتنوعة التي تحكمها الصفة العقائدية أو السلوكية التي يضفيها عليه القرآن الكريم، هو حديث عن نوعيات معينة من (جنس الإنسان) وليس عن (الجنس الإنساني) بكامله، ونحن نريد أن نرى (الإنسان) في جميع أزمنته وأمكنته بما فيه إنسان القرآن الكريم الذي هو المسلم، لأن الرؤية في هذا الإطار تكون أشمل للواقع الإنساني من مجرد حصرها في زاوية من زوايا هذا الواقع الإنساني المتراحب العميق.. ولأن الفلسفة القرآنية في هذا المجال تُقيم على أن تجسيد خصائص الإنسان في عمومه وإطلاقه يضع الإنسان المسْلم بالضرورة في حالة حضور جدلىّ مع هذه الخصائص المجردة، فما كان منها موائما لطبيعة الهوية الإسلامية اصطفاه وعمّقه، وما كان منها مصادماً لهذه الطبيعة أو هذه الهوية تحاماه وتجاوزه.. وبهذا يكون الإنسان المسْلم إنسانا تاريخيا يعيش الزمن بأضلاعه المثلثة: الماضي والحاضر والمستقبل، ويتحسس في وجهه ملامح البَررة الغابرين والمعاصرين والذين يُجنُّهم الغيب في ضميره ما يزال، فتتحقق بذلك عالميته النوعية وخلوده التاريخي!!.

ونعترف منذ البدء أن هذا الذي نطمح إلى تجليته شيء أكبر من حجم دارس واحد أو دراسة واحدة، ولكنه - على أية حال - محاولة اجتهاد مخلص، إن أخطأ فله أجر، وإن أصاب فله أجران.

والقرآن الكريم يقيم منهجه في حديثه عن (الإنسان) بلفظ (الإنسان) على عديد من الأساسيات المنطقية التي تفضي كل واحدة منها إلى ما يليها، حتى إذا تكاملت أبرزت بناء منهجيا متلاحم الأنساق، متناغم الجوانب، متكامل الإيقاع.. ويمكن أن نلخّص أبرز أساسيات هذا المنهج في ما يلي:

- خلافة الإنسان لله في الأرض، ودعوة القرآن للإنسان أن يتشبه بخالقه ومستخلفه.
- كان الإنسان بمقتضى هذه الخلافة متجلىً لروعة الإعجاز بما وهبه الله من طاقات فكرية وشعورية.
- وكان كذلك بمقتضى هذه الخلافة أيضا مناطاً لرعاية الخالق.
- فسلّحه بالعقل.
- وحرسه بالرسالات.

- وسخّر له الكون ليمارس فيه اقتداره على الفعل والإبداع.

- وتحدث إليه حديثاً حميماً عن عناصر تكوينه الخَلْقىّ والخُلُقىّ.. فلفتـــــه إلى جموحه وتمرده.. ولفته إلى ضعفه الكامن فى طبيعته.. ولفته إلى ضرورة التسامى والالتزام.. وملأ وعيه بوصايا الحب وحكمة التفكير.. مما يؤكد أن المعادلة هنا طرفاها: الله الخالق الرّائم، والإنسان المخلوق المتفلّت، وبينهمـــا هذا الحب الذى لا ينقطع من جانب الخالقية، وهذا الجموح اللامُبرّر من جانب المخلوقية. وهكذا فى جدل لا ينتهى.

هذه هى أبرز أساسيات المنهج القرآنى فى حديثه عن الإنسان بصيغة (الإنسان) نصاً.. لا تضميناً.. وهى أساسيات تتلاحم عناصرها ومفرداتها كما ترى.. ويفضى بعضها إلى بعض فيما يشبه التناغم الحى الذى لا نتوء فيها ولا نشاز.. والذى يحيط بجوانب الظاهرة، ويضىء آفاق رشادها وضلالها..ويلمس دائما فيها مناطق الإحياء وإثارة النوازع العليا. ويتفرد بطاقة التعلية والتعديل والترشيد، غير مكتف بتشخيص الهبوط، أو تحديد التدلّى، أو تجسيد الجنوح.

وإذا كان الإنسان.. (هو الجامع لجميع العوالم الإلهيـــة والكونيـــة، الكليـــة والجزئية)[1]. فهو لم يستو على عرش هذا التمجيد الوجودى عبثا ولا باطلا، وإنما استوى عليه بهذه الخاصية الفريدة التى تميز بها عن غيره من الكائنات، وهى: (العقل) فالجماد لا يحسّ ولا ينمو ولا يفكر.. والنبات ينمو ولكنه لا يفكر ولا يحس.. والحيوان يحس وينمو ولكنه لا يفكر.. والإنسان يفكر ويحس وينمو.. أى انه الكائن الوحيد الذى يمتلك القدرة على التفكير.. أى تعقل الأشياء.. ولكن العقل ليس مجرد تعقل الأشياء، فمن الحيوانات الدنيا ما يسمع ويطيع.. وفى هذا بعض الإيماء إلى انه عقل شيئا فسمع، وعقل شيئا آخر فاطاع.. ولكنّ العقل فى المفهوم الإسلامى هو البصيرة الحاكمة التى تهدى إلى الخير وتقبّح الانحدار:

عن عمر - رضى الله عنه - ان النبى ﷺ قال: «ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدى صاحبه إلى هدى، ويرده عن ردى، وما تم إيمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله».

وروى الحكيم الترمذى عن أنس - رضى الله عنه - قال: أثنى قوم على رجل عند

(1) على بن محمد الشريف الجرجانى، كتاب التعريفات، ص ٣٩.

النبى ﷺ حتى بالغوا، فقال النبى ﷺ: «كيف عقل الرجل؟ فقالوا: نخبرك عن اجتهاده فى العبادة وأصناف الخير، وتسألنا عن عقله؟ فقال ﷺ، إن الأحمق يصيب بجهله أكثر من فجور الفاجر، وإنما يرتفع العباد غدا فى الدرجات الزلفى من ربهم على قدر عقولهم».

وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت: قلت: «يا رسول الله، بم يتفاضل الناس فى الدنيا؟ قال: بالعقل، قلت: وفى الآخرة؟ قال: بالعقل. قلت: أليس إنما يجزون بأعمالهم؟ قال ﷺ: وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم الله - عز وجل - من العقل، فبقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم، وبقدر ما عملوا يجزون».

هذا هو تحديد العقل فى المفهوم الإسلامى بكونه البصيرة الحاكمة التى تهدى إلى الخير وتقبّح الانحدار.. هو بصيرة لأنه وعى الإنسان بحقائق الكون وأسرار الطبيعة وقضايا الوجود.. وهو بصيرة حاكمة لأنه يفضى من مجرد المعرفة إلى جوهر الالتزام.. فحين يلمّ بحقائق الكون يتصعّد من ذلك إلى الإيمان بمكوّن هذا الكون.. وحين يدرك من أسرار الطبيعة يتصعّد من ذلك إلى الإقرار بخالق الطبيعة.. وحين يفقه عن قضايا الوجود يتصعّد من ذلك إلى التسليم بحتمية وجود واهب الوجود.. وهو حين يفعل ذلك كله إنما يفعله من منطلق الصيرورة إلى فعل كل مأمور به، والتأبّى على فعل كل منهى عنه.. وفى هذه الحالة يصبح العقل بالفعل (بصيرة حاكمة) وليس مجرد وعاء لفهم واستيعاب حقائق الأشياء!!

وهذا هو المبرر الموضوعى لمخاطبة القرآن للإنسان وحده - دون كل الموجودات - واعداً مرة، ومتوعداً أخرى، ولافتاً إلى حقيقة ضعفه الكامن فى طبيعته مرة ثالثة... وهو فى وعده ووعيده وترشيده يصدر عن رعاية شاملة لهذا الكائن الإنسانى المليء بغرور السطوة والاقتحام... إن الإنسان وحده هو الذى يستطيع أن يفهم عن القرآن، ومن هنا يتوجه القرآن إليه وحده بالحديث، فإذا أراد أن يتوجه إلى غيره من ظواهر الطبيعة والكون والحياة توجه إليها من خلاله، لأنه يضعها دائما فى إطارها الذى خلقت له، وهو أنها موجودة ليس لذاتها وإنما لهذا الكائن الإلهى المعجز الذى هو الإنسان.. ولذلك كان الإنسان مطالبا - من خلال استخلافه فى الأرض - بأن يفجر الحياة فى الجدب، وأن يستولد الممكن من المستحيل، وأن يترك وجوده أغنى مما تلقاه، فهو حلقة فى سلسلة الوجود المتراحب، عليه أن يقوم بدوره فى مرحلته، حتى يستمر تدفع تيار التطور

على الأرض، وتتواصل حلقات الإبداع فى شتى جوانب الفكر والحياة.

ولأن الإنسان مأمول لهذه الغاية الجليلة، فإن السماء لم تدعه وحده فى مواجهة هذا التحدى الكونى الكبير.. ولكنها أعطته رعيلا من القادة الرسل ورعيلا من المشاعل الرسالات، وملأت وجدانه دائما بهتاف الدعوة إلى تأمل كل ما حوله، وتعمق كل ما حوله، وتطوير كل ما حوله.. لقد أغرته بأن الطبيعة ماتزال على المدى بكْراً، وأن أعماقها تُجِنُّ ملايين الاحتمالات، وأن دوره على الأرض لا يقاس بما عاش من آماد وإنما بما فجّر من قضايا، وما أحدث من تغييرات، وأن الذى وهبه الطاقة العاقلة وهبه المجال الحيوى الذى يستوعب هذه الطاقة ويشبع نهمها الباحث الدؤوب.

ونستطيع فى ضوء هذه الحقائق الرائعة أن نفهم بعض الحكمة فى كون الإنسان كان مجلّى لروعة إعجاز الله فى الخلق.. لقد كان الإنسان (بما هو مستخلف لله).. (وبما هو عقل حاكم).. مجلّى لروعة إعجاز الله فى الخلق، خلقه فى أحسن تقويم، وعلّمه الأسماء كلها، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا، وسلّحه بكثير من الطاقات الفكرية والشعورية ليحقق معنى الإعجاز فى الخلق، ومعنى استمرار وتدفق الحياة فى الحياة.

وهكذا كان الإنسان مناط الحركة والوحى والتبليغ، استخلفته السماء على الأرض، وأودعت فيه من الطاقات ما يحرك به هوامد الأشياء، ودجّجته بالعقل الحاكم والرسالات المضيئة.. وسخّرت له الكون ليمارس فيه اقتداره الخارق على الفعل والإبداع!!.

يبقى أن ننبه إلى بديهية فى مطالع هذه الرحلة.. وهى أننا ركّزنا فى استشهاداتنا القرآنية على القاعدة الأصولية القائلة إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فقد نستشهد بآية أو آيات تكون فى بدء نزولها مُرتبطة بواقع معين أو حادثة بذاتها، ولكننا نضعها حيث يمكن أن تكون شاهداً على كل الواقع الإنسانى وكل الحوادث الكونية، والقرآن الكريم مُمحّض منذ البدء لهذه الغاية الجليلة: أن يكون شاهداً على كل البشر وكل العصور، وليس شاهد فرد أو مرحلة مهما ارتبط منطوقه بهذه أو ذاك أو غيرهما من أسباب النزول.. وبهذا الفهم يتاح لرحلة التلقى عن القرآن أن تكون أرحب رحابة، وأرشد رشادا، وأعمق أثرا فى تاريخ الحضارة المادى والروحى والفكرى جميعا بلا تفريق.. وإذنْ.. فلننطلق على ضوء هذا الفهم.. ولنحاول أن نفهم فى أدب وعمق عن حكمة القرآن العظيم!!.

«يتبع»

السنة

الحدود الشرعية

للأستاذ الكبير عبدالرحمن الجزيرى
عضو جماعة كبار العلماء بالأزهر(*)

٤

إعداد الشيخ / على حامد عبدالرحيم

عن عائشة رضى الله عنها: «أن قريشا أهمهم شأن المخزومية التى سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ ثم قالوا من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ؟ فكلمه أسامة. فقال رسول الله ﷺ: «يا أسامة أتشفع فى حد من حدود الله!». ثم قام فاختطب فقال: «إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد. وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها». رواه البخارى ومسلم وغيرهما.

(*) تحدث الفقيه الكبير الأستاذ / عبدالرحمن الجزيرى عن الحدود الشرعية حديثا جامعا مستوعبا. وقد رأينا تخفيفا على القارئ، أن ننشره فى أربع حلقات لنفعه الجزيل. «المحرر»

من مختارات مجلة الأزهر
المجلد التاسع سنة ١٣٥٧هـ

٣- أما التعزير فهو «التأديب بما يراه الحاكم زاجراً لمن يفعل فعلاً محرماً عن العودة إلى هذا الفعل». فكل من أتى فعلاً محرماً لا حد فيه ولا قصاص ولا كفارة، فإن على الحاكم أن يعزره بما يراه زاجراً له عن العودة: من ضرب، أو سجن، أو توبيخ.

وقد اشترط بعض الأئمة أن لا يزيد التعزير بالضرب على ثلاثين سوطاً. وقال بعضهم وهم المالكية: إن للإمام أن يضربه بما يراه زاجراً ولو زاد على مائة، بشرط أن لا يفضي ضربه إلى الموت. وبعضهم وهم الحنابلة قال: إنه لا يزيد في الضرب على عشرة أسواط.

ولكن ابن القيم الحنبلي لم يوافق على هذا، فقد ذكر في إعلام الموقعين أن التعزير بالضرب قد وصل إلى مائة سوط عند الحنابلة: كما إذا وطىء شخص جارية امرأته بإذنها فإنه يعزر بضرب مائة. وقال إن عمر ابن الخطاب زاد في حد شرب الخمر أربعين فأوصله إلى ثمانين، ولا يعقل أن تكون هذه الزيادة من أصل الحد الذي ورد عن رسول الله وهو أربعون.

على أنك قد عرفت أن بعض العلماء يقول إن عقوبة الشرب كلها من باب التعزير لا من باب الحد.

وظاهر عبارة ابن القيم في إعلام الموقعين تفيد أن للحاكم أن يعزر بما يشاء من سجن أو ضرب كما هو رأي المالكية. فكل عقوبة تناسب حال البيئة وتخيف المجرمين يجب أن تنفذ.

على أن الحنفية الذين قالوا إنه لا يجوز للحاكم أن يزيد في التعزير بالضرب على ثلاثين سوطاً قالوا إن للحاكم أن يعزر بالقتل، فإن عقوبة اللواطة عندهم من باب التعزير، ومع ذلك فإنهم يقولون إذا تكررت هذه الفاحشة من شخص فإنه يعزر بالإعدام، إذ لا يليق أن يوجد بين النوع الإنساني من تنقلب طبيعته إلى هذا الحد. ولا يخفى ما في هذا من سلطة واسعة يتصرف فيها الحاكم بما يرى فيه المصلحة.

فإن قلت: كيف يصل التعزير إلى هذا القدر من العقوبة مع أن النبي ﷺ قال: «لا يضرب فوق عشرة أسواط إلا في حد من حدود الله»[1] فإن ظاهر هذا الحديث يدل على أن عقوبة غير الحد لا يجوز أن يزيد على عشرة أسواط كما يقول الحنابلة.

وقد أجاب ابن القيم نفسه عن هذا بأن الحدود كما تطلق على العقوبات تطلق أيضاً على نفس الجناية والمعصية كما ذكرنا في مقالنا السابق. والمراد بها في الحديث المعصية لا العقوبة. فمعنى الحديث: لا تجوز العقوبة بالضرب زيادة على عشرة أسواط إلا في الجنايات التي حرمها الله تعالى، فإن للحاكم أن يضرب عليها ما يشاء، ومن هذه

(١) متفق عليه.

الجنايات أن يختلي بامرأة محرمة، أو يشهد زوراً، أو يغش شخصاً أو يخدعه، أو يحتال عليه، أو يقامر، أو يبذر ماله فيما يؤذي الناس، أو يسعى بالنمائم بين الناس، أو يطفف الكيل والميزان، أو يصرف وقته في الملاهي، أو غير ذلك مما لا يمكن حصره هنا. فكل جناية لم يضع لها الشارع حداً ولا كفارة فإن للحاكم أن يعاقب عليها بالسجن أو الضرب بحسب ما يراه زاجراً للمجرم. أما غير الجنايات من المخالفات كمخالفة الابن لأبيه ونحو ذلك مما يقع من الصبيان فإنه يصح التأديب عليها بالضرب، بشرط أن لا يزيد على عشرة أسواط، فهذا هو معنى الحديث، وهو حسن.

وبالجملة فإن التعزير باب واسع يمكن للحاكم أن يقضي به على كل الجرائم التي لم يضع الشارع لها حداً أو كفارة، على أن يضع العقوبة المناسبة لكل بيئة ولكل جريمة: من سجن أو ضرب أو نفي أو توبيخ، أو غير ذلك.

وأجاز بعض الحنفية التعزير بالمال على أنه إذا تاب يرد له. فإذا استثنينا من العقوبات حد السرقة، وحد القذف، واستثنينا القصاص وبعض الأشياء التي جعل الشارع لها كفارة كالحلف بأقسامه وإتيان الزوجة وهي حائض - فإن عقوبات الجرائم الخلقية والمالية وسائر المعاصي منوطة بتقدير الحاكم واجتهاده، فعليه أن يضع جميع العقوبات التي تقضي على الرذائل وتزجر المجرمين.

وفي هذا من دقة التشريع الإسلامي وجماله ما يدل على أنه من لدن عليم خبير، فإن مما لا ريب فيه أن أحوال الناس تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة. فالعقوبة التي تناسب جماعة لهم حالة خاصة، لا تناسب جماعة أخرى تخالفها في عاداتها وأطوارها، فلا يمكن وضع عقوبة منضبطة يمكن تطبيقها على سائر الناس. فالله العليم بأحوال عباده الخبير بما تقتضيه طبائعهم ناط أمر تقدير العقوبات بأولي الأمر، ثم كلفهم السهر على مصالح رعاياهم والاستمساك بكل الوسائل المفضية إلى تربيتهم تربية صالحة، والقيام بتأديب المجرمين بالعقوبات المناسبة، كي يعيش الناس في أمن ودعة وراحة واطمئنان.

وها هنا سؤال ظاهر، وهو أن عقوبة التعزير لم ينص عليها في الشريعة الإسلامية بخصوصها فهل عمل الحاكم في هذا الباب يقال له حكم شرعي أو وضعي؟ وهذا هو السؤال الأخير.

فإليك الجواب:

٤- والجواب أنه لا يخرج حكم من الأحكام عن نصوص الشريعة الإسلامية مادامت السموات والأرض، وليس معنى هذا أن كل حادثة منصوص عليها بخصوصها، فإن هذا مما لا معنى له، لأن الحوادث تتجدد بتجدد الزمان والمكان. ولكن الغرض أن كل حادثة من الحوادث المتجددة المتكثرة لابد أن تدخل تحت قاعدة كلية من قواعد الشريعة الإسلامية، فالتعزير قد ثبت عن رسول الله

ﷺ. ويكفى فى ذلك الحديث الذى ذكرناه آنفًا، وهو «لا يضرب فوق عشرة أسواط إلا فى حد من حدود الله» متفق عليه. فإنه نص على أن للحاكم أن يعزر بالضرب فى الأمور التأديبية، وفى الأمور الجنائية حسبما يراه زاجرا، إلا أنه لا يزيد فى غير الجنايات على عشرة أسواط كما بينا.

وقد عزر كبار أصحابه من بعده بالضرب والسجن والقتل.

فقد ثبت أن عمر جمع كبار علماء الصحابة واستشارهم فى عقوبة لائط فأفتوا بإعدامه حرقًا، وهذا من أشد ما يتصور فى باب التعزير.

وثبت أن عليًا وجد رجلاً مع امرأة يستمتع بها بغير جماع فجلده مائة سوط.

ولا خلاف أن للإمام أن يسجن الجانى بما يراه زاجراً له. ولا معنى لهذا كله إلا أن لإمام المسلمين أو من ينوب عنه الحق فى التعزير بحسب ما يراه زاجراً للمجرمين، بل يجب عليه أن يضع العقوبات المناسبة التى يترتب عليها تأديب رعيته وإصلاح حالهم، لأن كل راع مسئول عن رعيته بنص حديث رسول الله. فكل عقوبة من العقوبات التى يراها الحاكم زاجرة، توصف بما توصف به الأحكام الشرعية بلا نزاع.

وبعد: فإن الذى يطلع على الشريعة الإسلامية ويمعن النظر فيها، ويقف على حكمها وأسرارها ويتأمل فى نظمها وقواعدها، لا يسعه إلا أن ينحنى أمام عظمتها، ويجزم بأنها من لدن حكيم عليم، فقد جاءت بكل قانون فيه مصلحة المجتمع وسعادته، وبنت كل أحكامها على ما فيه مصلحة النوع الإنسانى ودفع المفاسد عنه فى كل شأن من شئونه، فلم تترك مصلحة حقيقية من مصالح الأمم والشعوب إلا حثت عليها وأمرت بها، ولم تترك مفسدة من المفاسد الخلقية أو المادية إلا نهت عنها وحذرت الناس من شرها، فوضعت نظام الأسرة التى هى أساس بناء العمران على قواعد ثابتة لا يعتريها وهن مدى الدهور والأعوام، فقد جعلت لكل فرد من أفرادها حقًا يناسبه ويليق به: من تعظيم، ونفقة، وميراث، ووصية، وغير ذلك. فأمرت الأبناء أن يطيعوا آباءهم فى غير معصية أو إثم، وأمرت الآباء أن يربوا أبناءهم تربية حسنة، كما قال ﷺ «الزموا أبناءكم وعلموهم الأدب»، ثم جعلت لكل من الآباء والأبناء حقوقًا فى الميراث تناسب حالهم، وكذلك جعلت للأزواج حقوقًا تناسب كل واحد من الزوجين بحسب العرف والعادة، قال تعالى:

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾(٢).

وجعلت للأخوة والأخوات حقوقًا على بعضهم بعضًا، وحثت بعد ذلك على صلة

(٢) البقرة (٢٢٨)

الأرحام وبرهم، وجعلت لهم حقوقًا تليق بهم، ثم من بعدهم الجيران، ثم أهل البلدة، ثم بينت حقوق الحاكم والمحكوم خير بيان. وقد ذكرنا فى مقالنا السابق أنها قضت الوطر من قوانين المعاملات والأخلاق.

وبالجملة فالشريعة الإسلامية لم تترك شيئًا إلا وضعت له قانونًا أساسه المصلحة المادية والأدبية، وقوامه الفضائل الإنسانية، حتى العادات، فقد علمت الناس كيف يأكلون ويشربون، وكيف يعامل بعضهم بعضًا فى الحديث والمجلس والزيارة والصحبة، وكل ما يتعلق بشئون الفرد وحده أو مع غيره قريبًا كان أو بعيدًا، ولم تقف قضية من قضاياها فى وجه الإصلاح الذى يتجدد بتجدد الزمان والمكان.

ومن هذا تعلم أن كل شيء يحدث لابد أن يرجع إلى أصل عام فى الشريعة الإسلامية. وقد ألهم الله رسوله أن يأتى بقواعد عامة جامعة يمكن إدخال كل جزئية من جزئيات الحوادث تحتها. وقد ذكر ابن القيم فى إعلام الموقعين كثيراً منها يضيق المقام عن ذكره جميعه. ومنه قوله ﷺ: «كل مسكر حرام»، و«كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد»، و«كل قرض جر نفعًا فهو ربا»، و«كل شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل»، و«كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه»، و«كل أحد أحق بماله من ولده ووالده والناس أجمعين»، و«كل معروف صدقة» إلخ. فهذه وأمثالها كليات تدخل تحتها كل جزئية تتجدد من نوعها. فإذا فرض ووجدت جزئية ولم يتيسر لعالم أن يرجعها إلى أصل من أمثال هذه الأصول فإنه يمكنه أن يرجعها إلى قوله ﷺ «لا ضرر ولا ضرار». والضرار هو الضرر. ومعناه أنه ينبغى لكل مسلم أن يرفع ضرره عن غيره. ويجب على كل رئيس قادر سواء كان حاكمًا أو غيره أن يرفع الضرر عن مرءوسيه، فلا يؤذيهم هو، ولا يسمح لأحد أن يؤذيهم. ومما لاشك فيه أن ترك الناس بدون قانون يرفع عنهم الأذى والضرر يخالف هذا الحديث، فكل حكم صالح فيه منفعة ورفع ضرر يقره الشرع ويرتضيه.

***

فى رحاب السيرة النبوية

مَشَاهِدُ فِي حُنَيْنٍ

للأستاذ الدكتور/ عبد الحليم حفنى

لعل من حكمة الله أن تكون موقعة حنين وتوابعها حافلة بالعبر لتكون موضعا لتأمل المسلمين فى مواقفها إلى يوم القيامة، وهى آخر موقعة عسكرية يحضرها رسول الله ﷺ وبعض هذه العبر أبرزها القرآن الكريم إبرازا واضحا ليضعها المسلمون نصب أعينهم فى كل صراع مع أعدائهم مثل الاعتماد على النفس دون الاعتماد على الله والاستعانة به كقوله تعالى:

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾(١).

وبعض هذه العبر بينته السنة، فنتجاوز هذا إلى بعض مواقف لم تنل حظها من التأمل والتدبر، ومنها أن مقتل دريد بن الصمة فارس هوازن المغوار، وقائدها المحنك الذى ملأ صيته جزيرة العرب من أقصاها إلى أدناها كان على يد غلام حدث من المسلمين لا يُحسن القتال، بل ولا يُحسن الضرب بالسيف، لأن دريدا أصر على كفره وشركه بالله فأراد الله له هذه النهاية المخزية بالقياس إلى مثله، بينما القائد الفعلى الذى أدار موقعة حنين ضد المسلمين أراد الله له أن يختم حياته خير ختام وهو مالك بن عوف النصرى فجاء إلى النبى بعد ذلك تائبا منيبا فقبل النبى إسلامه وكان من خير الناس إسلاما، وقصة ذلك فى إيجاز شديد أن قيادة قبائل هوازن وثقيف فى الطائف وما حولها انتهت إلى مالك بن عوف فأصبح كالملك فيهم، وعند الاستعداد لملاقاة المسلمين حشد مالك كل المقاتلين، وحشد من ورائهم كل النساء والأطفال والماشية.

(١) التوبة ٢٥.

وكان دريد فارسهم وقائدهم القديم قد أصبح شيخا ضعيفا لا يقوى حتى على الحركة، فجاءوا به يحملونه فيما يشبه الهودج الذى تحمل فيه النساء، وحين سمع أصوات النساء والأطفال والماشية سأل فقالوا هذا ما أمر به مالك بن عوف، قال: ادعوه، وحين جاءه قال له: ما هذا الذى أسمعه خلف الناس، قال: إنى أردت أن يكون هذا حافزا للرجال على القتال، فإذا لم يقاتلوا حمية وشجاعة، قاتلوا دفاعا عن أعراضهم وأموالهم، قال دريد: بئس الرأى إنها إن تكن لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن تكن عليك فضحت فى أهلك ومالك، وحين رأى مالك بن عوف أن بعض الناس يميلون إلى رأى دريد قال: والله لئن لم تطيعونى فى رأيى لأتكئن على سيفى حتى يخرج من ظهرى، فأطاعوه على خطته، ثم انتهت الموقعة بهزيمة المشركين واغتنام المسلمين كل ما حشده عدوهم من نساء وأطفال وأموال، وعندئذ ذهب غلام من المسلمين من بنى سليم هو ربيعة بن رفيع إلى هودج دريد وهو يظن أن به امرأة فيريد أن يغتنمها ثم نظر فإذا هو شيخ متهالك، فسأله دريد عن اسمه ونسبه ثم قال له: ماذا تريد بى؟ قال: أقتلك، ثم ضربه بسيفه فلم تغن ضربته شيئا، فقال له دريد: بئس ما سلحتك أمك، خذ سيفى من مؤخرة رحلى ثم اضرب به بين الترقوة واللحية فكذلك كنت أضرب الرجال، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة.

ومن مشاهد حنين أن النبى ﷺ حين هزم المسلمون فى بدء الموقعة ففروا وتفرقوا عنه ثبت للمشركين وهو على بغلته البيضاء وهو يقول معتزا بإيمانه ويقينه، ومعتزا بنسبه «أنا النبى لا كذب، أنا ابن عبد المطلب»(٢) وقد يقول بعض الناس كيف يعتز النبى بالنسب فى موقف لا يغنى فيه إلا الاعتزاز بالله؟ بل قد يقول بعض الجاهلين إن الاعتزاز بالنسب من سمات الجاهلية فكيف يجهر به رسول الله؟ والواقع أن الدين لا يعارض من الاعتزاز بالنسب، بل يجعل طيب النسب من عوامل طيب الإيمان، ومن المشهور الحديث الشريف: «الناس معادن، خيارهم فى الجاهلية، خيارهم فى الإسلام...»(٣) فكما أن المعدن الجيد يحتفظ بجودته فى كل الأحوال فكذلك النسب الجيد يحتفظ بصفاته لأبنائه فى كل ظروفهم مهما قست عليهم، وكما أن الذهب تزيده النار صفاء ونقاء، فكذلك النسب الأصيل تزيده قسوة الظروف أصالة وقوة. كما حدث للنبى ﷺ حين تفرق عنه المسلمون فلم يبق حوله يوم حنين إلا بضع عشرات تختلف الروايات فى

(٢) السيرة النبوية لابن كثير وابن اسحاق.

(٣) رواه البخارى وغيره.

تحديد عددهم القليل من بين أربعة عشر ألفا كانوا معه في بدء توجهه إلى الموقعة، ثم انضمت إليهم عشرات كثيرة ممن دخلوا في دين الله أفواجا عقب فتح مكة حتى بلغ جيش المسلمين نحو ثلاثين ألفا، منهم ألف جندته قبيلة بني سليم وحدها، وإذن فقد كانت غالبية الجيش من البدو الأعراب الذين تزاحموا نحو الإسلام في أيام معدودة لا تكاد تبلغ ثلاثة أسابيع، وهذه الحشود الحاشدة حتى تنهزم وتفر تصبح كالسيل المتدفق فتكتسح معها الأقلية المؤمنة فيفر الجميع، كما يروى (البراء بن عازب وقد سأله رجل من قيس: أفررتم عن رسول الله يوم حنين؟ قال: ولكن رسول الله لم يفر، كانت هوازن رماة، وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم فاستقبلتنا بالسهام، ولقد رأيت رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء، وأن أبا سفيان آخذ بلجامها وهو يقول (كما يروى البخاري): (أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب)[٤] وكذلك رواه مسلم والنسائي وغيرهما، وأبوسفيان هو ابن الحارث بن عبدالمطلب ابن عم النبي وليس أبا سفيان بن حرب الذي غلبت شهرته بهذا الاسم.

وهنا موضع التأمل في هذا المشهد، فإن هذا العدد القليل الذي ثبت مع النبي كان أبرزه وأثبته بني عمومة النبي وأهل بيته، حيث كان منهم العباس بن عبدالمطلب، وعلى بن أبي طالب، وقثم بن العباس، والفضل بن العباس، وربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب، وأبوسفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، والفضل بن أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، وكل هؤلاء ينتمي إلى عبدالمطلب، وكلهم مستميت في حماية النبي والدفاع عنه، فلم يكن غريبا أن يعتز النبي في هذا الموقف العصيب بأنه ابن عبدالمطلب، الذي كان معلما من معالم الاعتزاز بالله وبمقدساته في الجاهلية، والذي يجد اليوم سلالته درعا من حوله تتلقى عنه الطعنات، وتتصدى دونه للموت.

فالاعتزاز بالنسب لا يجافي الدين، بل هو وثيق الصلة به في أحد جوانبه، ولذلك كان النبي يعتز بقريش وبانتسابه إليها، ويسعده أن يسمع أحدا يمدحها، كما كان يشير إلى الناس أن يستمعوا حينما كان كعب بن زهير يمدح قريشا في قصيدته المشهورة بالبردة، وحينما سمع بأحد أعداء الله أنه مات قال: (أبعده الله إنه كان يبغض قريشا). ومن آثار الاعتزاز بالنسب أن صفوان بن أمية القرشي وهو مشرك سمع يوم حنين أحد المشركين يشمت في المسلمين وفي رسول الله قائلا: لقد بطل السحر اليوم؛ فغضب صفوان -رغم كفره

(٤) سيرة ابن كثير ٣/٦٢٢.

يومئذ- وقال: والله لئن يأسرني قرشي أحب إليَّ من أن يأسرني ثقفي أو أعرابي.

والنبي ﷺ بشر، كسائر البشر، كما يؤكد القرآن في أكثر من موضع، فلنا أن نتصور مدى المعاناة التي يعانيها، ومدى العوامل النفسية التي تراوده وهو يجد نفسه شبه وحيد بعد أن تفرق عنه عشرات الآلاف من أصحابه وأتباعه، والموت فاغرفاه، مكشر عن أنيابه في كل وجه من حوله، ولنا أن نتصور مدى القوة الهائلة التي يحتاجها والتي كان يملكها ليقاوم كل هذه الظروف.

وما كاد النبي ﷺ يخلص من الموقف أو المشهد السابق حتى برز مشهد آخر أشد صعوبة وأخطر أثرا، هو نتيجة توزيع الغنائم، فحين قسم الغنائم -وكانت بالغة الكثرة- قسمها كعادته وكشأنه كله لمصلحة الدين، وليس لمصلحة الدنيا أو الناس، وكانت مصلحة الدين في بدء أمره تقتضي ترغيب الناس فيه ليقبلوا على الدخول فيه، فكان يعطي ضعاف الإيمان، والذين دخلوا الإسلام حديثا عطاء كثيرا، بينما لا يهتم كثيرا بالذين يثق في عمق إيمانهم، ومع أنهم كانوا يعلمون أن هذه كانت طريقة رسول الله في تقسيم الغنائم وفي كل عطاء إلا أن الخليط الشديد التناقض بين الحشود الحاشدة في موقف حنين وتوابعه، بين المؤمنين الثابتي الإيمان، والأعراب الذين أعلنوا الإسلام بألسنتهم ولم يصل الإيمان بعد إلى قلوبهم وعقولهم، ثم المنافقين الذين كانت قلوبهم وعقولهم وعيونهم مركزة في الغنائم وحدها، ثم الذين كانوا بين أولئك وهؤلاء، كل هذا أثمر فتنة جامحة حين قسم النبي الغنائم، فالنزعة الدينية التي التزمها النبي في الغنائم اصطدمت حينذاك بعقبتين صلبتين إحداهما حب المال الذي يؤكد القرآن أنه حب جم، والأخرى التنافس الشديد الذي كانت ومازالت تقوم عليه الحياة العربية سواء بين الأفراد أو الجماعات والقبائل، والذي لم يكن تنافسا كتنافس سائر البشر وإنما كان صراعا دائما متواصلا، وحب المال كان هو الأداة التي حركت المنافقين وضعاف الإيمان لإثارة فتن جامحة واجهت النبي ﷺ في صور وأمثلة عديدة من أشخاص بل وجماعات عديدة من البدو، فمن أمثلة الجماعات هذه الرواية التي تذكر أن جماعات من الأعراب تزاحموا نحو النبي يطلبون من الغنائم فاضطروه إلى اللجوء إلى شجرة فتعلق بها رداؤه فلم يستطع أن يصل إليه من تزاحمهم نحوه فقال: (ردوا على ردائي أيها الناس، فو الذي نفسي بيده لو كان لكم مثل هذه العضاه (الأشجار) نعما (ماشية) لقسمته فيكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا جبانا ولا كذابا)[٥]

(٥) سيرة ابن كثير عن ابن اسحاق.

ومن الأمثلة أيضا أن جماعة من الأنصار تحدثوا عن النبى قائلين: «أما من قاتل فيعطيه وأما من لم يقاتله فلا يعطيه!» أى أنه يعطى أعداءه ويحرم أنصاره، هذا بالإضافة إلى كثيرين من المنافقين أفرادا وجماعات واجهوا النبى باتهامه بعدم العدل، وأما عقبة التنافس الذى كانت تقوم عليه الحياة العربية سواء فيما بين الأفراد وفيما بين القبائل؛ فقد أبرز تقسيم الغنائم فتناً جامحة لولا فضل الله وشخصية النبى لدمرت هذه الفتن كيان المسلمين بأقوى وأخطر من أعدائهم عليهم.

ولنأخذ مثالين اثنين يظهران مدى خطورة المواقف الاجتماعية الرهيبة التى واجهها النبى ﷺ يومئذ، والتى لولا شخصيته ما كان يعلم إلا الله ما ينتهى إليه حال الإسلام والمسلمين حينذاك.

فأما عن تنافس الأفراد، فإن النبى أعطى عددا من سادة القبائل كلا منهم مائة من الإبل ليتألف قلوبهم، منهم أبوسفيان بن حرب، وصفوان بن أمية القرشيان، والأقرع ابن حابس، وعلقمة بن علاثة التميميان، وعيينة بن حصن الفزارى، ومالك بن عوف الثقفى، وأعطى العباس بن مرداس السلمى أقل من مائة، فغضب العباس ظنا منه أن النبى يعطى الناس على قدر أنسابهم وأحسابهم أو هو يريد من النبى أن يفعل ذلك، فقال شعرا يعاتب فيه النبى منه:

أتجعل نهبى ونهب العبيد بين عيينة والأقرع[٦]

وما كان حصن ولا حابس

يفوقان مرداس فى مجمع

وما كنت دون امرىء منهما

ومن تخفض اليوم لا يُرفعْ

فحين سمع النبى هذا الشعر قال من القائل: أصبح نهبى ونهب العبيد دون الأقرع وعيينة؟ قال العباس: أنا، فقال النبى ﷺ «اقطعوا عنى لسانه» يعنى شعره، فأتموا له المائة[٧].

ولكن الأخطر من ذلك أن بعض هؤلاء السادة الذين تألف النبى قلوبهم بالعطاء الكبير أحدثوا انقساما خطيرا فى كيان المسلمين، وذلك عندما رغّب النبى المسلمين فى أن يردوا إلى بنى سعد من أسر منهم لأن فيهم عمات النبى وأعمامه، وخالاته وأخواله من الرضاعة، فوافق المسلمون على أن يردوا إلى بنى سعد كل من أسروه منهم، فإذا الأقرع بن حابس الذى أعطاه النبى مائة من الإبل يرفض قائلاً: أما أنا وبنو تميم فلا، ووافقت قبيلة بنى تميم على رفض رغبة النبى ﷺ، وكذلك قال عيينة بن حصن: وأما أنا وبنو فزارة فلا، فوافقت قبيلة بنى فزارة على

---

(٦) العبيد: فرس العباس.

(٧) سيرة ابن كثير.

رفض رغبة النبى، وقال العباس بن مرداس أيضا: وأما أنا وبنو سليم فلا، ولكن بنى سليم عارضت العباس، وقال ممثلوها: بل ما كان لنا فهو لرسول الله، فقال العباس لهم: وهنتمونى؟ أى أضعفتم موقفى، ومعنى ذلك أن قبيلتى بنى تميم وبنى فزارة انشقتا عن اجتماع المسلمين فأحدث ذلك صدعا فى الكيان الإسلامى، وإحراجاً شديداً لرسول الله، فضلاً عن أن ذلك يشجع قبائل أخرى على الانشقاق، بل لاشك فى أن مثل هذه المواقف كانت من مقدمات ارتداد القبائل عن الإسلام بعد وفاة النبى ﷺ التى كانت بعد ذلك بأقل من سنتين.

فكم كان ضيق صدر النبى ﷺ حينئذ وهو يرى تصدع الكيان الذى ظل يبنيه منذ أول يوم فى بعثته، وكم كان ضيق صدره وهمه الثقيل حين يتصور تشتت كيان المسلمين وأفول شمس الدين بعد سطوعها، ولولا فضل الله وزئير أبى بكر لحدث هذا عقب وفاة النبى، فقد ارتدت القبائل كلها عن الإسلام فور سماعها بوفاة النبى، ولم يبق على الإسلام إلى مكة والمدينة، وقد استشار الخليفة أبوبكر كل وجوه الصحابة بمن فيهم عمر فكلهم أشار بالعجز عن مقاومة المرتدين الذين احتموا بحجة أن الزكاة جزية كانت تجبى لمصلحة قريش ومحمد، أما وقد مات محمد ﷺ فليست عليهم زكاة، وقد استكان المسلمون حينئذ عجزا عن المقاومة، ولكن أبا بكر بزار بصيحته المشهورة: «والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه، ولو لم يقاتلهم معى أحد لقاتلتهم وحدى ما قام هذا السيف فى يدى»، فاشتعلت حمية القتال فى نفوس المسلمين.

وأما فى مجال تنافس القبائل فقد كانت الفتنة أشد جموحا وأعظم خطورة، وذلك أن النبى كما تألف قلوب بعض الأفراد بمنحهم عطايا كبيرة، فكذلك تألف قلوب بعض القبائل من الذين دخلوا الإسلام حديثا فأفاض عليهم من العطاء، بينما لم يعط القبائل التى يثق فى صدق إيمانهم عطاء يذكر، وحيث كان الأنصار فى مقدمة الذين يثق النبى فى ثبات إيمانهم كل الثقة فلم يعطهم شيئا، وما كان هذا لذاته ذا قيمة أو تأثير فى نفوس الأنصار، فهم الذين عرف عنهم أنهم يكثرون عند الفزع، ويقلون عند الطمع، أى يكثرون عند القتال، ويقلون عند الغنائم، ولكن الإشكال فى أن العطاء الكبير للقبائل المؤلفة قلوبها أثار العصبية الجاهلية، فأخذ شعراؤها وخطباؤها يفيضون فى التفاخر بأن الرسول إنما ميزهم بكثرة العطاء تقديراً لمنزلتهم بين القبائل، ومكافأة على تميزهم ببسالة القتال، ومن ذلك القصائد الكثيرة التى تغنى فيها العباس بن مرداس السلمى بأمجاد بنى سليم، وبأن النصر إنما كان بسيوفهم وشجاعتهم، ولولاهم ما كان

للمسلمين نصر ولا شوكة، وكذلك فعل شعراء قبائل أخرى بطبيعة الحال، وإذا الأنصار الذين تجمع الروايات على أنهم كانوا سبب النصر يوم حنين فضلاً عن أنهم كانوا اللبنة الأولى فى بناء الكيان الإسلامى، وظلوا دائما حماته، إذا هم ينظرون وسط هذا التفاخر القبلى فلا يجدون ما يفخرون به، لأن العطاء حينئذ أصبح هو ميزان التفاضل والتفاخر بين القبائل، كما قال العباس بن مرداس يخاطب النبى يومئذ (... ومن تَخْفض اليوم لا يُرفَعُ) فسرت بين الأنصار شائعة أن النبى يمنعهم من العطاء خفضهم، كما يقول العباس، فلن يرتفع لهم بعد اليوم ذكر، فبدأ التذمر يسرى بين شباب الأنصار أولا ثم انتشر حتى عم كل الأنصار، واستغل المنافقون هذا التذمر فأخذوا ينشرون شائعات كان أخطرها عند الأنصار أن النبى ما دام قد فتح موطنه مكة فسيبقى فيها ولن يعود إلى المدينة، فاشتد التذمر بين الأنصار حتى عمهم جميعا، فمشى سعد بن عبادة وهو من أبرز زعماء الأنصار، إلى النبى وقال: «يا رسول الله، إن هذا الحى من الأنصار قد وجدوا (سخطوا) عليك فى أنفسهم». قال: «فيم؟» قال: «فيما كان من قسمك الغنائم فى قومك وفى سائر العرب ولم يكن فى الأنصار من ذلك شيء». قال: «فأين أنت من ذلك يا سعد؟». قال: «ما أنا إلا امرؤ من قومى». وإذن فقد عمت الفتنة وعم السخط كل الأنصار، ولم تذكر رواية واحدة أن أحدا من الأنصار أنكر هذه الحقيقة أو سلخ نفسه منها، ولم ينج من هذه الفتنة حتى سعد ابن عبادة، على جلال منزلته فى الإسلام، ولا حسان بن ثابت الذى يوصف بأنه شاعر الرسول أو شاعر الإسلام، حتى إنه قال شعرا يعاتب فيه النبى ﷺ منه:

علام تُدعى سليم وهى نازح
قُدام قوم هُم آووا ونصروا؟

ومع هذا كله فإن النبى حين جمع الأنصار وحدهم حينئذ وألقى فيهم خطبته المشهورة التى لا يتجاوز حجمها بضعة أسطر فغير بها وجه التاريخ ومسار الأحداث، وما أن انتهى منها حتى كان البكاء يبلل لحى الأنصار بالدموع وهم يقولون: «رضينا برسول الله قسما ونصيبا»، أى أن رضا رسول الله عنا وعودته معنا إلى المدينة خير وأحب إلينا من أى عطاء.

ولم تكن تلك كل المواقف التى كانت بالغة الخطورة، والتى واجهت النبى فعانى منها ما لا يعلم مدى تأثيره فى نفسه إلا الله، والتى أيضا لولا شخصيته لم يكن يعلم إلا الله مدى ما تنتهى إليه هذه المواقف.

***

مواقف إسلامية

المراء.. نذير الفناء

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يوما. ونحن نتمارى فى شيء من أمر الدين. فغضب غضبا شديدا. لم يغضب مثله. ثم انتهرنا. فقال: «مهلا يا أمة محمد: إنما هلك من كان قبلكم بهذا. ذروا المراء. لقلة خيره. ذروا المراء.. فإن المؤمن لا يمارى. ذروا المراء.. فإن المماري قد تمت خسارته. ذروا المراء.. فكفى إثما أن لا تزال مماريا. ذروا المراء.. فإن المماري لا أشفع له يوم القيامة. ذروا المراء: فأنا زعيم بثلاثة أبيات فى الجنة: فى رياضها ووسطها وأعلاها.. لمن ترك المراء وهو صادق. ذروا المراء.. فإن أول ما نهانى عنه ربى ـ بعد عبادة الأوثان ـ المراء»[1].

وروى أبو أمامة ـ رضى الله عنه ـ قال: (قال رسول الله ﷺ: من ترك المراء وهو مبطل. بنى له بيت فى ربض الجنة. ومن تركه وهو محق. بنى له فى وسطها. ومن حسن خلقه. بنى له فى أعلاها)[2].

وفى رواية ابن عمر: (أنا زعيم ببيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء، وهو محق. وببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وهو مازح. وببيت فى أعلى الجنة. لمن حسنت سريرته)[3].

(١) رواه الطبرانى فى الكبير ـ وفى المجمع إسناده ضعيف جدا، فيه «كثير بن مروان».

(٢) رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن.

(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط.

تمهيد:

الحديث الشريف واحد من منظومة.. تعالى بالحق فى موضوع النزاع.. ثم تتحرى مواطن المتاجرة بالشعارات على حساب هذا الحق. حيث تشن الغارة على سدنتها، داعية إلى مايجب أن يكون، حتى يظل الحق مرفوع اللواء ولتبقى العلائق الاجتماعية بين أفراد المجتمع بمنأى عن كل ما ينقض غزلها من بعد قوة انكاثا.

وإذا كانت المعارك الحربية تفرض على الجندى المسلم أن يكون على أوفى معانى اللياقة العسكرية ردعاً للأعداء.. وحفاظا على الدماء.. فإن الأمر كذلك فى المعارك الفكرية والتى تتقاضى المحاور المسلم.. أن يتسلح بالقيمة التى لا غنى عنها وهى:

قيمة الإنصاف: وهذا هو الدرس الأول.. والذى يطل علينا من خلال هذا الحديث الشريف.

وأهم مراتب الإنصاف.. أن يروض المرء نفسه على أن ينصفها أولا، ومن نفسه هو! وإلا.. فلن ينصف الناس من لا ينصف نفسه.. لأن فاقد الشئ لا يعطيه.

معنى إنصاف النفس

قد تغرنا أنفسنا بإيهامنا أننا لا نريد من الجدال إلا الحق.. مع أن الواقع أن هناك مجموعة من المقاصد تناوشنا من قريب.. والنفس جاهدة فى تداخلها حتى لا تعرف حدودها: ومنها:

١ـ حب الظهور.

٢ـ التشفى والانتقام.

٣ـ الانتصار للنفس.

٤ـ التعصب للطائفة التى تنتمى إليها.

يقول ابن القيم:[٤]

ويدخل فى الإنصاف: إنصاف المرء نفسه: بالا يدعى لها ما ليس لها. ولا يخبثها بتدنيسه لها. وتصغيره إياها. وتحقيرها بمعاصى الله ـ عز وجل.

إنصاف الناس

وإذا نهض المسلم ليدافع عن دين الله ـ تعالى ـ بدحض شبهة فيجب أن يدور ذلك على محورين:

١ـ محور الإخلاص.

٢ـ ثم محور الأدب ونبذ الفاحش من القول.

والأول يلزمه أن يظهر عيب ما يهاجمه.. دون إقحام شخص الطرف الآخر.. وليكن القصد أولا وأخيرا هو بيان ما فى الأمر من فساد.. ليحذره العباد، أما عن حسن الأسلوب: فيقول ابن القيم[٥]. وكل أهل نحلة يكسون نحلتهم أحسن ما يقدرون عليه من الألفاظ. «ومن رزقه الله بصيرة.. فهو يكشف

[٤] نضرة النعيم ج٣ـ ٥٧٨.

[٥] نفس المرجع والموضع.

حقيقة ما تحت الألفاظ لدى الطرف الآخر ـ من الحق أو الباطل».

وفى التدليل على أهمية اللفظ ودوره فى التأثير يقول الشاعر:

تقول هذا جنى النحل.. تمدحه
وإن تشا قلت: ذا قيء الزنابير

مدحا وذما.. وما جاوزت وصفهما
والحق قد يعتريه سوء تعبير

ومن إنصاف الناس ماقيل:

ألا تحملهم فوق وسعهم وأن تعاملهم بما تحب أن يعاملوك به وأن تعفيهم مما تحب أن يعفوك منه. وأن تحكم لهم أو عليهم بما تحكم به لنفسك. أو عليها.

ويدخل فى ذلك الاعتراف بالفضل لأهله، ذلك بأن الاعتراف بالفضل ونسبته إلى أهله.. مما يشجعهم على أن يواصلوا المسير على طريق التضحية، جاء فى نضرة النعيم: لما كان من طبع الإنسان أن يهش إذا نسب إليه الخير.. وتوجه إليه بالشكر.. كان الاعتراف بالفضل باعثا على مرضاته.. بعد مرضاة الله ـ تعالى ـ لأن من يشكر الناس.. فإنما هو فى الحقيقة يشكر المولى.. الذى أجرى الخير على أيديهم.

ومن يشكر المخلوق يشكر لربه
ومن يكفر المخلوق.. فهو كفور

والحديث الشريف.. يوشك أن يكون غارة شعواء على رذيلة المراء التى هى قضاء على كل ما قدمنا من قيم لابد منها للمحاور المسلم.. ذلك أن من أهداف الإسلام الكبرى: زرع المودة فى القلوب.. لتثمر من بعد جنات وحب الحصيد: السلام.. والأمن.. والتعاون.. إن قلبا يخلو من الود لهو كومة اللحم والدم.. يشبه الحجارة، بل ربما كان أشد منها قسوة. وإن أمة تحرم هذا الود لهى أكوام من التراب.. وهذا هو جزاؤها العادل:

أن تسلب حياة لم تصنها.. ونعمة لم تشكرها.

والحديث الشريف دعوة إلى التخلق بهذا الود الحميم.. بالتحذير من كل مايذهب به.. وفى مقدمته المراء.. الذى يعمى صاحبه ويُصمه.. إرادة أن يفتح بصره وبصيرته على شرارة الهدى.. الذى يخرج به من الشرنقة الخانقة.

من حكمته ﷺ أن يربى النفوس.. تربية صادرة عن علم محيط بأسرارها.. ذلك بأن أفكار الإنسان هى: بناته.. وإذن فهى كبناته من صلبه فى نظره: أجمل بنات الدنيا.. وإن كن غير ذلك.. من أجل ذلك فهو ينتصر «لبنات أفكاره».. وينشط فى الدفاع عنها بالحق وبالباطل.. والأخطر من ذلك.. أن الشيطان الرجيم يستغل هذه النزعة البشرية لحسابه حين يقترب من الإنسان بمتية بتسعة وتسعين بابا من الخير يدس فيها خاطراً واحداً من خواطر الشر.. والذى به يحبط كل هذا الخير! والخاطر الشرير هنا هو: المراء:

المراء: الذى يستبد فيه الانفعال بالإنسان..

ويتضخم إحساسه بذاته إلى الحد الذى لايكون دفاعه فيه عن رأيه. وإنما.. عن ذاته.. وعندئذ تبدأ معركة لاتنتهى شأن كل معركة بين باطل.. وباطل.. وحتى إذا كان من الطرفين محق.. فإنه بدخوله ساحة الجدل الذى تحول إلى مراء.. ثم باسترساله مع خصمه.. يُحبط صلاحيته للدفاع عن الحق..

ماذا رأى الرسول وماذا سمع؟

لقد كان موضوع النزاع قضيةً دينية.. لكن التعبير عنها لم يكن دينيا لقد رفع الصحابة أصواتهم وهم مأمورون بخفض أصواتهم.. منهيون عن رفعها.. زائدة على قدر الحاجة.. لماذا؟

لأنه يورث الحدة والضجر.

وهذا مما (يورث البلادة. وإن كان يتوهمه جلادة. ويقطع مادة الفهم والخاطر).

ثم إن الطرفين هنا: سائل، ومجيب: ومهمة المجيب: التأسيس. والبناء. ومرتبة السائل: الدفع والهدم. فليلزم كل واحد غرزه. ولايتعدى حده.

وإذ يبنى المجيب مذهبه على أساس قوى.. فإن من حق السائل أن يكشف وبالبرهان عن الخلل فى هذا البناء..

فإذا كانت هناك إجابة.. فلتكن محددة.. موضوعية.. خالية من الاستعارات والكنايات.. حتى لا يدخل الموقف فى متاهة يصعب الرجوع منها.

وماذا فعل الرسول؟

ويضيف الرسول ﷺ إلى فهمه لطبيعة النفوس ـ شفقته عليها، وأعلى مستويات الشفقة هذا الإنذار بالحُراق.. تجنباً للسقوط: لقد كان غضبه هذه المرة غير مسبوق،

وكثيرا ما كان يُعرفُ الغضب فى وجهه الشريف لما يرى من بعض أصحابه ويسمع.. لكنه اليوم يبلغ بالغضب منتهاه.. فلابد أن تكون العلة خطيرة مبيرة إلى الحد الذى يحذرهم فيه من سنة الله ـ تعالى ـ الماضية فى أهل البشر.. والمؤكدة أن المراء سبب رئيس فى هلاك الأمم.. ولن ينفعهم عند حلوله أنهم ينسبون إلى الإسلام.

وإذ يفْترض معهم أن المراء قد يحقق بعض المنافع العاجلة.. إلا أنها منافع الخمر التى تذوب فى زحام المفاسد الهاجمة.

وإذا كان الهوى الغلاب يناوشهم من قريب.. حتى يواصلوا المراء.. فإن من شأن الإيمان أن يمنع صاحبه من الانقياد لمشاعر الأنانية.. إيثارا للإيمان على هذا الهوان.

ثم يؤكد لهم حقيقة يجب أن يستوعبوها وهى:

أن الممارى.. واصل من الهوان إلى قاعه.. لقد تمت خسارته.. بل إن الممارى.. لو كان فى صحيفة سوابقه خطيئة المراء وحدها لكانت كافية فى إدانته.. والسير به إلى قاع جهنم.

ولكن النذير المدمر هنا كامن فى إبلاغهم بحرمان الممارى يوم القيامة من شفاعته ﷺ..

حتى يوازنوا بين حساب ربحهم وخسارتهم.

ثم يتعهد لمن رجع إلى الحق بثلاثة أبيات فى الجنة.

وإذا كان العرض هنا سخيا.. فإنه يكافىء الإعراض عن المراء.. الذى يلى فى الإجرام.. الشرك بالله ـ تعالى ـ

وإذ يعد ﷺ بالحسنى من يترك المراء وإن كان على الحق.. فذلك: لصعوبة عودته بينما هو على الحق وغيره على الباطل.. وإلا فلو كان على الباطل فربما كانت رغبته فى العودة ميسورة غير مكلفة.. ومن ثم كان أقل ثوابا من سابقه.

وإذ يضعف العلماء ذلك الحديث فإن له من الأحاديث الصحاح ما يؤيد معناه:

(عن معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: أنا زعيم ببيت فى ربض الجنة ـ حولها ـ وببيت فى وسط الجنة. وببيت فى أعلى الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا) رواه البزار والطبرانى.

و (المراء فى القرآن كفر) رواه أبوداود وابن حبان.

و (إن أبغض الرجال إلى الله: الألد الخصيم)(٦) متفق عليه.

لقد بدت مشكلة النفس منذ أن عرفت الحياة.. متمثلة فى طاعة الهوى.. بالأكل من الشجرة.. فكان ما كان.. والمؤمن مطالب بالتحرر من هذه التبعية للنفس.. بترك المراء جانبا.

وهذا ما يركز عليه الحديث الشريف. الذى يقوله من لم تكن الشحناء من طبعه ﷺ بل لو تكلفها.. ما طاوعته نفسه. ﷺ. والتى جُبلت على الود والطبع السماح.

والحديث يتجه أولا إلى الممارى.. المبطل.. فيعده ببيت فى ضواحى الجنة. وحولها. إن هو توقف عن اللجاج والحجاج بالباطل.

وإذا كان الممارى المحق.. يصعب توقفه عن المراء بحكم كونه صاحب الحق فى القضية.. فإن الرسول ﷺ يعده ببيت أعلى وأعلى: فى وسط الجنة.. لعله بهذا العرض السخى أن يعود من رحلته الشاردة.. الواردة به.. وبخصمه.. متاهة.. لا عودة منها ولا اهتداء معها إلى قرار.. ذلك بأن الممارى سوف ينطلق عابثا.. كطائرة ضالة بلا ملاح.. يلعب به انفعال الحقد.. الذى يصبح شجرة لا تروى إلا بالسباب. وافضل من الإثنين معا: من حسن خلقه، لأنه يملك الكنز الذى يُحسن به التعامل مع الآخرين.. معترفا بهم.. مقدرا لهم.. جاعلا من الحق غايته التى يتجاوز بها الأهداف الشخصية الصغيرة! مؤمنا بأن هدف الحوار هو:

الكشف عن الصواب.. وحقه..

والإبانة عن الباطل وبطوله

---

(٦) الألد: شديد الخصومة. والخصيم من يحج من يخاصمه

إنه حوار العقلاء حقا.. وليس هو حوار الديكة أو الكباش:

الذى لا يقصد به إلا المباهاة.. وطلب الجاه.. والتكسب. والممارة والمحك.

أما المجادل المسلم فإنه لا يُدخل فى حسابه أن يظفر بالخصم.. وصولاً إلى متعة السرور بالغلبة والقهر..

وإنما سروره.. ومتعته.. أن ينتصر الحق فى موضوع النزاع.. ومتى اتضح الحق على لسان غيره. سارع إلى التسليم فى معركة شريفة تتحقق فيها الأمل المنشود.

ذلك بأنه فى قوله وفعله قرآنى الدوافع والأهداف:

فالقرآن يقول له:

﴿ فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(7).

ومما يزيد موقفه نصاعة.. منطق المماربين المظلم المعكوس.

وتأمل موقف المماربين الذين يقولون:

﴿ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾(8).

انهم يجعلون الربا هو الأصل.. والبيع الحلال ملحق به.. فعكسوا الآية.. والحق هنا هو:

﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾(9).

وقد انتهى المؤمن الملتزم بعدما جاءته الموعظة.

أجل: لقد كف عن اللجاج والمراء والتسويف.. وبقى المعاندون يتخبطون عائدين إلى نفس معتقدهم الفاسد مع أن الدليل واضح جلى بين أيديهم.. عادوا إلى ذات النقطة ليثبتوا كروية الأرض.

أما المحاور المؤمن فإنه يكون فى عرضه للقضية والدفاع عنها منصفا.. لا متكلفا.

وهو ذلك الذى يقول لصاحبه وهو يحاوره:

(إن كان الله تعالى ربك وخالقك. فلا تعصه.

وإن كان لقاء الله حقا. فتأهب له.

وإن كانت الجنة حقا فتزود لها).. مما يمهد القلوب لاستيعاب الحق.

أعداؤنا أدق مكرا

رغم بطلان المذاهب الأرضية، لكن أهلها جادّون فى نشرها بما يستحدثون من وسائل الكيد،

أما نحن أصحاب الحق.. فقد اعتمدنا على أننا على الحق.. فلم نستخدم كل أسلحتنا..

بل صار أكثرنا يضر با لدعوة من حيث يريد لها نفعا كما قيل بحق:

١ - بالإسراف فى الترغيب أحيانا.. فيكون التسيب.. أو الإسراف فى الترهيب.. فتكون العُقَدُ.

(7) البقرة: ٢٧٥.

(8) البقرة ٢٧٥.

(9) البقرة ٢٧٥.

٢ - عدم تحرى الخطاب المناسب لعقول من نحاورهم.

٣ - نظن أن من معنا.. فهو علينا.. فنحسرُه.. وذلك خطأ فى المنهج.

٤ - يكفى أن تكون عضوا فى تجمع ليغفر لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر.. بينما يحاسَب الغرباء حساب الشحيح!

٥ - قد ننزل ساحة الجدل بالجبين القطب.. والملامح المتجهمة.. فيكون الخوف لدى الطرف الآخر، ثم ينمو الخوف فينا، ثم وبعد حين من الدهر تستقر شجرة الخوف فى أعماق من نحاورهم.. ويصعب علينا اقتلاعها.

وكما يقول الأدباء:

بذور صغيرة.. يغرسها المتجهمون فى التربة الطرية.. فتمتص عصارة الحياة فيها.

ثم يكبر الخوف.. ليصير ديدانا تمتص من القلوب عناصر المقاومة.. بذلك السوط الذى يلاحق الزهور المتفتحة.. فترفض أن تنفث رحيقها حيث يمتهن الرحيق...

وتجىء الرواية الثانية للحديث الذى معنا لتقول: «أنا زعيم ببيت...»

فالرسول ﷺ يدخل طرفا فى القضية... كفيلا ضامنا للسداد.. ويبقى أن نمُدَّ أيدينا لليد الحانية المبسوطة لنا.. أن نكون مسلمين.. مسالمين:

من خَدَعنا بالله - تعالى - انخدعنا له،

أشداءُ على الكفار.. رحماء بيننا. كالجمل السلس القياد..

ثم نتخلق بأخلاقه تعالى.. ومع خلقه.. فهم عياله.. وقيمة العبد من قيمة سيده.

فى مجال التطبيق

ولقد كانت الأمة الإسلامية عند حسن الظن بها.. حين تلقت هذا التوجيه النبوى الكريم.. بالرضا والتسليم.

وكان ذلك على كل المستويات.

أ- على مستوى الأسرة: قال سليمان بن داود عليه السلام - لابنه:

(دع المراء: فإن نفعه قليل وهو يهيج العداوة بين الإخوان).

وعلى ذات الطريق مضى يشعر بن كُدام.. إذ وصى ابنه قائل:

إنى منحتك يا كدام نصيحتى
فاسمع لقول أب عليك شفيق
أما المزاحة والمراء.. فدعهما
خُلُقان: لا أرضاهما لصديق
إنى بلوتهما.. فلم أحمدهما
لمجاور جارا.. ولا لرفيق
والجهل يزرى بالفتى فى قومه
وعروقه فى الناس.. أى عروق(10)

إنه إذا كان فى المراء نفع.. فإنه النفع القليل

(10) جامع بيان العلم وفضله/ ٢/ ٩٩.

إزاء ضرره الكبير.. ويكفى أنه يهيج النار من تحت الرماد.. فإذا هى تنسف الأخوة الجامعة المانعة.. وإذ يضل الجاهلون فى متاهات الأنانية.. فلا يجمل بالمسلم أن يزل وفى يده المصباح.. والذى يكشف بين يديه منحنيات الطريق. عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ﷺ:

أن عيسى ـ عليه السلام ـ قال: إنما الأمور ثلاثة: أمر.. تبين لك رشده.. فاتبعه. وأمر.. تبين لك غيّه.. فاجتنبه. وأمر.. اختلف فيه.. فرده إلى عالم[11].

..وعلى المستوى الاجتماعى

لقد تواصى المجتمع.. بكل طوائفه بنبذ المراء.. الذى ينقض بناء الإسلام حجراً حجراً

نصح عمر ـ رضى الله عنه ـ رجلا فقال: «هل تعرف ما يُهرم الإسلام؟ إنما يهرمه: زلة العالم. وجدال المنافق بالكتاب. وحكم الأئمة المضلين»[12].

ثم حذر ـ رضى الله عنه ـ من أناس يحاولون فرض المراء علينا.. لنكون نحن وهم فى الضلال سواء.. فقال:

«إنه سيأتى ناس يجادلونكم بشبهات القرآن.. فخذوهم بالسنن.. فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله»[13].

على نفس الخط سار ميمون بن مهران ـ رحمه الله ـ حين قال يوصى واحداً من تلاميذه فقال: إياك والخصومة والجدال فى الدين. ولا تجادلن عالما.. ولا جاهلاً. أما العالم: فإنه يخزن عنك علمه. ولا يبالى ما صنعت. وأما الجاهل: فإنه يخشن بصدرك. ولا يطيعك[14].

ولقد كان من أبرز علامة الرجل الملتزم بالسنة أنه: لا يمارى فى الدين.. وإلا.. فهو خارج على الجماعة ينبغى ردعه.. وكذلك فعل عمر ـ رضى الله عنه ـ مع «صبيغ»:

قدم المدينة فى عهد عمر ـ رضى الله عنه ـ فجعل يسأل عن متشابه القرآن.

فأرسل إليه عمر ليعاقبه. فقال له: من أنت؟ قال: عبدالله «صبيغ».. قال:

وأنا عبدالله عمر.

فضربه حتى دمى رأسه. فقال: حسبك يا أمير المؤمنين.

قد ذهب الذى كنت أجده فى رأسى. ثم نفاه إلى البصرة»[15].

أما بعد: فإن بعض الناس من أصحاب الأمزجة الحادة.. لا يرغبون فى انتصار الحق. وإنما كل همهم: أنفسهم.. أولا.. وعاشرا.. أنفسهم التى يلحون فى مرائهم لتكون لهم الغلبة فى حلبة النقاش ولو عاد الحق مثخنا بالجراح.

---

(١١) رواه الطبرانى فى الكبير بإسناد لا بأس به.

(١٢) الدارمى ١/٨٢.

(١٣) الدارمى ١/٦٢.

(١٤) الدارمى ١/٣-٦٠.

(١٥) الإصابة ٣/٢٢٨.

دعوة الإسلام إلى حقوق الإنسان

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

اشتملت الشريعة الإسلامية على كل ما فيه سعادة البشرية فى الدنيا والآخرة، واستوفت بتعاليمها السمحة، وقوانينها الثابتة المحكمة، كل ما يكفل للفرد والجماعة حياة طيبة فى الدنيا، ومثوبة عظيمة فى الآخرة، قال الله ـ تعالى ـ:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1].

وكان للشريعة الإسلامية فضلها الذى لا ينكر حتى من أعداء الإسلام فى ترسيخ دعائم الحق ونشر قوانين العدالة التى أنقذت الإنسانية المعذبة من مخالب الجهالة والضلالة، وأخذت بيد الضعيف ورفعت من قيمة البسطاء العاديين والفقراء والكادحين وكل فئات النوع الإنسانى التى كادت تجرفها تيارات الضياع والهلاك وهى معزولة وضعيفة لا تملك من أمرها شيئا، وكان للشريعة فضلها الذى لا ينكر فى نظرتها الحانية إلى الفقراء والمساكين، وأبناء السبيل واليتامى والأرقاء والخدم وأصحاب المهن البسيطة والحرف العادية، فجعلت الشريعة لهم فى صفوف الحياة الكريمة مكانا واضحا ووضعا لا يغبنون فيه.. كل ذلك قبل أن تعْرف المواثيق الدولية حقوق الإنسان بأربعة عشر قرنا. وكان للشريعة فضلها فى إعطاء المرأة حقها بعد أن كانت لا حق لها، بل كانت محرومة من كل الحقوق حتى من حق الحياة نفسها، إذ كانت توأد وهى طفلة صغيرة، إلى غير ذلك من الحقوق التى لا تُحصى، فى شتى المجالات، ولسائر فئات الناس من رجل أو امرأة ومن حُرّ أو عبد، ومن غنى أو فقير، ومن أفراد أو جماعات، ومن أمم أو شعوب. لقد كفلت الشريعة الإسلامية لبنى الإنسان الكرامة والعزة يتمتع بها المؤمنون السائرون على هديها قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ:

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]

أساس حقوق الإنسان

وأقامت شريعة الحق بناء دعوتها، وجميع ما طبعها من حقوق للإنسان على أساس الإيمان بالله

---

(١) سورة النحل آية (٩٧).

(٢) المنافقون آية (٨).

-تعالى- وحده لا شريك له، وهنا نقف على عظمة الشريعة الإسلامية وحكمتها وعلى قوة تنفيذ هذه الحقوق من الحاكم ومن المحكوم، ومن الرئيس والمرؤوس ومن الغنى والفقير وهكذا.. فإذا كان الإيمان هو القاعدة التى تنطلق منها دعوات المصلحين والنداء بحقوق الإنسان تشريعا وتطبيقا، فإن للإيمان أثره فى الالتزام بتحقيق العدل والخير، وبسرعة الطاعة فى كل أمر وتنفيذ كل حق من الحقوق، ويظهر جانب الالتزام بتنفيذ كل الحقوق على هدى من الكتاب والسنة وطاعة لله ولرسوله..

قال الله - تعالى -:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾(3).

وبين الله تعالى أن فى تنفيذ ما أمر به وفى طاعة رسوله ﷺ الرحمة للإنسان قال - سبحانه -:

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾(4).

وقال - تعالى -:

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾(5).

وهنا نرى الفارق الكبير بين دعوة الشريعة إلى حقوق الإنسان، وبين الدعوات الأخرى التى تنادى بها المواثيق الدولية، فإن الدعوة إلى حقوق الإنسان فى رحاب الشريعة نابعة من الإيمان، صادرة عن العقيدة الإسلامية التى يلتزم أمامها الإنسان المسلم، ويرى ضرورة العمل والتطبيق وتنفيذ الحقوق بأسرع ما يكون، ففى تنفيذها الأمن وفى تطبيقها الرحمة.. وفى البعد عنها والنكوص عما تنادى به بعد عن حقيقة الإيمان ووقوع فى الخسران، فثمرة حقوق الإنسان، فى رحاب الإيمان، أنها مأمونة الجوانب لا خوف عليها من أحد، لأن المسلمين يصدُرون عن عقيدة وراءها حسابٌ - ثوابٌ أو عقابٌ - بخلاف غيرهم، وأما الجانب الثانى: الذى يلتزم فيه بتطبيق وتحقيق حقوق الإنسان، انطلاقا من الإيمان فهو جانب المراقبة، وهذا ليس موجوداً إلا فى الإسلام، ويظهر أثر ذلك فى سرعة إعطاء كل ذى حق حقه، وعدم الجور على حقوق الآخرين، فالإنسان إذا حدثته نفسه أن يسطو على مال الغير أو حياته أو عرضه أو حريته أو أن يسلبه حقاً ما من حقوقه فإن عنصر المراقبة يوقظ فى أعماقه الضمير الدينى، الذى يجعله يدرك خطورة ما يقع فيه ومدى عاقبة الجرم الذى يرتكبه فإنه يؤمن بأن الله مطلع يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ويعلم ما تبدون وما تكتمون..

وكما رأينا بأن الإيمان هو الأساس الأصيل ومنه يكون الالتزام بأداء الحقوق ومراقبة الله السميع البصير فيها، فإن فى الشريعة الإسلامية تطبيقات لحقوق الإنسان واجبة الأداء كالزكاة

(3) سورة النساء آية (59).

(4) سورة النور آية (56).

(5) سورة الحشر آية (7).

وصلة الرحم وإكرام الجار وحسن معاملته وإعطاء كل ذى حق حقه. فى البيع والشراء، وفى العمل وفى الشركة وفى الإجارة، وغير ذلك من المعاملات التى استوفاها الفقه الإسلامى بأبوابه وفصوله.

ثم كان فى الجانب الأخلاقى استثمار لهذه الحقوق وسمُوٌ بها إلى المثالية العالية حيث لا يكتفى الإنسان بالقيام بالواجب فحسب بل إن هناك جوانب نادى بها الإسلام، ارتفاعا بحقوق الإنسان، وشمولاً لكل مناحى الحياة وجوانبها المختلفة وعلاقاتها المتعددة.

وتحقيقاً للأمان لهذه الحقوق نجد فى الحدود الإسلامية ما يحفظ للإنسان حقه فى الحياة وفى المال وفى العرض وفى الحرية والمساواة والعمل والشورى والكرامة وما إلى ذلك من الحقوق التى كفلها الإسلام وحافظ عليها ودعا لها.

ففى الاعتداء على حق «الحياة» تكون العقوبة من جنس الجريمة قال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (178) وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(6).

وبالنسبة لحق الإنسان فى الأمن نجد الشريعة قد جعلت للاعتداء على هذا الحق حدا هو حد الحرابة، قال - تعالى -:

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (33) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(7).

وبالنسبة لحق المال نجد الشريعة قد جعلت عقوبة الاعتداء على هذا الحق ما وضحه القرآن الكريم فى قوله الله - تعالى -:

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(8)

وعن حق النسل أو العرض، نرى عقوبة ذلك فى قوله تعالى:

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾(9)

وبالنسبة للمحصن الرجم وهكذا.. إلى آخر الحدود والعقوبات التى جاءت فى الشريعة الإسلامية ولا نجد لها مثيلاً فى أى قانون من القوانين الوضعية.

إنها حدود وعقوبات عادلة تقوم بحفظ حقوق الإنسان ورعايتها وصيانتها من التعرض

(6) سورة البقرة آية (178، 179).

(7) سورة المائدة آية (33، 34).

(8) سورة المائدة آية (38).

(9) سورة النور آية (2).

لها. إنها تصون حقوق الإنسان فى حياته ونفسه وفى ماله ونسبه وعرضه، وهكذا نرى فى شريعة الله المحافظة على حقوق الإنسان واستتباب الأمن والطمأنينة فى الحياة على شتى مجالاتها، ومما سبق يتضح أن الشريعة الإسلامية، قد استوفت كل الحقوق بعقيدتها الصحيحة التى هى أساس العبادة والعمل والأحكام والأخلاق، وبتشريعاتها ومبادئها المستقيمة التى تصون حقوق الإنسان وتحافظ عليها وتدعو لها على هدى وبصيرة. إنها الشريعة التامة الكاملة التى أكملها الله وأتم بها النعمة قال - سبحانه:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾(١٠).

وقال رسول الله ﷺ: (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتى)(١١).

وبهذا التشريع الربانى المحكم، والوحى الإلهى صان الإسلام حقوق الإنسان، ونادى بتطبيقها وشرع الحدود عقوبة للمعتدين عليها والمقتحمين حماها بغير حق، وبهذا أعطى الإنسان حقه فى الحياة الكريمة بعد حقبة من الزمن عاشها الإنسان يرسف فى أغلال الظلم والاستعباد حتى جاء الإسلام ففك هذه الأغلال وحرره وكرمه وجعل حياة المجتمع الإسلامى تشرق بالتوحيد الخالص الذى لا شرك فيه وبالعدالة الكاملة التى لا ظلم معها، وأحل الإسلام الكرامة محل الاستذلال، والمساواة محل التفرقة، والعلم محل الجهل والحرية بدل الاستعباد، والتعارف، والتآلف، بدل التناكر والاختلاف، والعمل بدل البطالة، والشورى بدل الاستبداد بالرأى، والإيثار بدل الأنانية، والحق بدل الباطل، وأكد الإسلام على حرمات المسلمين.

فلقد جاء فى خطبة رسول الله ﷺ فى حجة الوداع، قوله: (أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا، ألا هل بلغت اللهم فاشهد، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)(١٢). ويدعم القرآن أصول الحق وركائز الإيمان، منادياً بالأصول الأساسية لحقوق الإنسان فى قوله - تعالى -:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾(١٣).

وإن حماية الإسلام لحقوق الإنسان تستوجب على المسلمين فى كل الأرض أن يصونوا هذه الحقوق، ففى صيانة المسلم لحق غيره صيانة لحقه، وفى إهماله لحق غيره إهمال لحقه.. وإنها لتستوجب على كل من ولى أمراً أن يرفق بعباد الله دون تضييع للحق ودون إهمال، وألا يشق على أحد فقد قال ﷺ: «اللهم من ولى من أمر أمتى شيئاً فرفق بهم فارفق به، ومن ولى من أمر أمتى شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه»(١٤).

(١٠) سورة المائدة آية (٣).
(١١) رواه الحاكم.
(١٢) رواه البخارى ومسلم.
(١٣) سورة النساء آية (٥٨).
(١٤) رواه البخارى ومسلم وأحمد.

٧٥ عاماً على إصدار «مجلة الأزهر»



منذ خمسة وسبعين عاماً كانت المجلات الثقافية فى مصر قليلة جداً وكانت «مجلة الأزهر» أداة تثقيف وتوعية وكان لها باع طويل فى التوجيه والإرشاد والتثقيف الدينى والأدبى وكانت تلقى قبولاً عظيماً من القراء ومن الجماهير وظلت طوال ٧٥ عاماً تحتفظ بطابعها الدينى والعلمى والأدبى مما جعلها تستمر طوال هذه الفترة. ونسب التوزيع فيها كما أعلم أهى من أعلى نسب توزيع المجلات المتخصصة.

فنحن نهنئ «مجلة الأزهر الشريف» بهذا الشموخ وبهذا التاريخ الحافل العظيم فى عيدها الماسى الذى يؤكد أن الأصالة والعراقة لازالا لهما المكان الأسمى فى قلوب القراء والمثقفين.

والحمد لله «مجلة الأزهر» جمعت بين العراقة والأصالة والحداثة والمعاصرة فهى ليست بعيدة عما يدور فى المجتمع الآن وليست ببعيدة عنه كما أنها لم تفقد طابعها الذى عرفت به من تاريخها الطويل.

وشكراً للقائمين على «مجلة الأزهر الشريف» مع دعواتى لهم بمزيد من التوفيق والسداد والنجاح.

محمود عبد الغنى عاشور

وكيل الأزهر الشريف

التأصيل الاصطلاحي في التراث الإسلامي

للدكتور/ عبد الحليم عويس

(نموذج علم الأخبار - التاريخ)

بصرف النظر عن التطور الشكلي، وعن التقدم من الجهد الفردي إلى الجهد المؤسسي، ومن المدرسة إلى الجامعة، فقد زخرت حضارتنا دومًا منذ خرجت من جزيرة العرب - بالإسلام وبلغة القرآن- إلى العالم المتعدد الثقافات والمفاهيم واللغات - بتلك الدراسات التقنينية والمصطلحية التي تضبط المفاهيم، وتقنّن الدلالات، وتوفر التأصيل المعجمي والمجمعي للمصطلح؛ حتى لا تتشتت العقول، ولا تتضارب المفاهيم، ولا تقع المفاهيم فريسة لجماعات التأويل والتحريف، الذين قد ينقلون المعنى من الضدّ إلى الضدّ، كما ينقل من الإيمان إلى الكفر، وهو ما أصبح مرضًا عصريًا يحاول الترويج له أصحاب الفكر الغنوصيّ الوثني الأسطوري المعاصر، هؤلاء الذين يرفعون راية الاستنارة والتنوير، ويطالبون بقراءة النصّ قراءة (غنوصية) مزاجية (ميثولوجية) بعيدًا عن إطار عصرها، ودلالتها اللغوية الظاهرية المعجمية والمجمعية، وقد بلغت درجة التزوير ببعضهم أن يزعموا أن قراءة النصّ بدلالته اللغوية المرتبطة بعصرها وصاحبها لا لزوم لها، بل لابدّ أن يقرأها كل عقل بما يروق له، ويسقط عليها ما يحبّ توجيهها لعقائده وأفكاره هو -لا لعقائد صاحبها المظلوم وأفكاره وثقافة عصره.

● وهذا المنهاج -فضلاً عن تزويره وتحريفه- يعني إلغاء التراث كله، والوحي كله، والعقول السابقة كلها..!!

● وقد كان أسلافنا -في مواجهة النحل والملل الوافدة- حذرين فقهين، فعملوا على ضبط مصطلحات العلوم، وعلى وضع قواعد أصولية تردّ الجزئيات والفروع إلى جذرها، في اللغة أو الفقه أو التفسير أو البلاغة.

فكل ذلك لا يسمح فيه بالشطحات التأويلية، ولا بالإسقاطات الذاتيه، ولا بالمبالغات المستهجنة، ولا بإخراج المعنى عن طبيعته، لدرجة أن ابن حزم الأندلسيّ (ت ٤٥٦ هـ) قارن بين الأديان بضوابط ظاهر اللغة إلا ما يفرضه الواقع.. حتى لا تترك الأديان لعبة للعابثين والمؤولين.

● وكان أبو عبدالله بن أحمد بن يوسف الكاتب المعروف بالخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٠ هـ من أقدم من تعرضوا لمشكلة المصطلحات العلمية بطريقة علمية منهجية مباشرة، وذلك في كتابه المعروف (مفاتيح العلوم)، ومع وجود جهود متناثرة في المجال المعرفيّ التأصيليّ الاصطلاحي قبل الخوارزمي مع نهاية القرن الأول الهجري، وعلى امتداد القرنين الثاني والثالث الهجريين - فإن أحداً قبل الخوارزمي- فيما يبدو -لم يفكر في تأليف مثل هذا الكتاب الذي يضم شتات المصطلحات المستخدمة في سائر العلوم والفنون، ولا سيما المستحدث آنذاك- أي في عصره- إذ جمع في كتابه ٢٤٠٠ مصطلح تقريباً، وهذا ما يدعونا إلى أن نعتبره أقدم من تحدث عن المصطلح العلمي في تاريخ الثقافة الإسلامية[1] مع اعترافنا بجهود فردية كثيرة متناثرة سابقة!!

- وقد قسم الخوارزمي كتابه قسمين (مقالتين بتعبيره):

أولاهما: في الفقه والكلام والنحو والكتابة والشعر والعروض والأخبار (أي التاريخ).

وثانيهما: في الفلسفة والمنطق والطب وعلم العدد والهندسة وعلم النجوم والموسيقى والحيل والكيمياء.

- وما يهمنا -في بحثنا- هو القسم الأول المتصل بالعلوم الإنسانية، ومنها التاريخ (الأخبار) الذي ضمنه الخوارزمي هذا القسم.

- ونحن نعدّ هذا القسم (الإنساني) هو الألصق بالتراث الإسلامي، والعربي، وبالثقافة الإسلامية؛ لأنه انطلق من القرآن والفكر الإسلامي، ولم يتأثر -إلا قليلاً- بحركة الترجمة التي تأثرت بها العلوم التطبيقية والفلسفية.

- وقد أحسن الخوارزمي حين وضع علم (الأخبار) ضمن هذا القسم ولم يغفله، وإن جاء به في آخر هذه العلوم، وبعد الشعر والعروض، ونحن لا نعتقد أن الخوارزمي قد قصد من هذا الترتيب أن يكون ترتيب مكانة وأولوية، وإنما هو - كما قال النحاة في معنى الجمع بالواو- إنّ الأمر لا يفيد ترتيباً، وإنما يفيد مطلق الجمع!!

- ولكي نقوم بعملية (التأصيل الاصطلاحي في المجال التاريخي والحضاري)، الذي يضبط العلم بالوقائع والفقه بها معًا، وحتى لا نقع فيما وقعت فيه العلوم والفلسفية والتطبيقية بقيادة جماعة المترجمين الذين تألق دورهم في العصر العباسي الأول[2]، ولا سيما في عصر الخليفة المأمون.

---

(١) د.عبدالصبور شاهين: العربية لغة العلوم والتقنية ص١٦٣ دار الاعتصام ١٩٨٦ ط٢.

(٢) نقلت إلينا جماعة المترجمين مصطلحات وأفكاراً مستقاة من حضارات وثنية -بل وقضايا أيضاً- ولو كان المنطق قرآنيا لفرضنا قضايانا التوحيدية ومنظورنا التوحيدي وصياغتنا وأساليبنا على حركة الترجمة.

– لكى نقوم بهذه المهمة الضرورية، وفق منهج موضوعى أصيل، فإننا يجب أن نعود إلى (القرآن الكريم) –ثم (السنة النبوية الشريفة)– نستخلص منها المصطلحات ذات المضمون العلمى فى مجال التاريخ وتفسير التاريخ بخاصة– وفى المجال الحضارى بصفة عامة.

– ولئن كان الفقهاء والكلاميون والمفسرون والمحدثون والنحاة قد استخلصوا مصطلحات كثيرة من كتاب الله، وقفوا عندها وأعطوها مدلولاتها العلمية التى استقوها وفقهوها من القرآن.

فإن المؤرخين ومفسرى التاريخ سوف يجدون فى القرآن منجماً من المصطلحات التى تفيدهم فى مجال التأصيل الاصطلاحى، ولا سيما والقرآن حافل بقصص الغابرين، وهو يرصد المراحل الأساسية فى المسيرة البشرية منذ لحظة ميلادها.. حين خلق الله آدم من طين، ونفخ فيه من روحه، وقال له كن فكان، وعلمه الأسماء كلها، وفضله الله على الملائكة –بالإرادة وبالعلم بهذه الأسماء– التى عجز الملائكة عن إدراكها (الاصطلاحى) وقالوا لله سبحانه:

﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾(٣).

– لكن آدم نجح فى الاختبار بفضل تعليم الله له:

﴿ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾(٤).

– وكان إدراك آدم لهذه الأسماء هو الردّ الذى أفحم الله به الملائكة حين تساءلوا مندهشين من استخلاف الله لآدم فى الأرض قائلين:

﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾(٥)

منذ هذه اللحظة، ومروراً بنوح –عليه السلام– الذى يُعَدُّ الأب الثانى للبشرية بعد الطوفان، وبإبراهيم أبى الأنبياء (عليه السلام) وذريته التى تفرع منها الأنبياء (عليهم السلام) بدءاً من إسماعيل وإسحاق ويعقوب وحتى محمد خاتمهم الذى علَّم الحقائق الكبرى حول الإنسان والكون وما وراء الكون والوحى وعصمة الأنبياء، وقدر الله حق قدره توحيداً وتنزيهاً.

فى كل هذه الرحلة نجد فى القرآن تحليلاً وعبراً ومصطلحات تحتاج منا إلى رصد وتقنين.

● وبالإضافة إلى القرآن الكريم والسنة

(٣) البقرة: ٣٢.
(٤) البقرة: ٣٣.
(٥) البقرة: ٣٠.
(٦) للمحدثين الكبار نصيب فى التاريخ كبير، بل هم العمدة بعد التفسير والمفسرين وعلى رأسهم البخارى المحدث والمؤرخ (ت ٢٥٦) ومُسْلم (ت٢٦١هـ) والترمذى (ت٢٧٩هـ) وأبو داودُ (ت٢٧٥هـ) والنسائى (ت٣٠٣هـ) وابن ماجة (ت٢٧٥هـ).

النبوية الشريفة(٦) نستطيع أن نجد معجماً مصطلحياً تاريخياً لكبار مؤرخينا من أمثال(٧) (ابن بكار الضبى ت ٢٢٢ هـ الجمحى ت ٢٣١هـ) وابن جرير الطبرى (٣١٠هـ)، والمسعودى (ت٣٤٥هـ)، وابن الأثير (٦٣٠هـ).. وغيرهم جزاهم الله خير الجزاء.

ولنقدم هنا على سبيل المثال –علماً كعلم التاريخ السياسى والحضارىّ فى القديم والحديث، نموذجاً لبقية العلوم الإنسانية التى يمكن أن ينحرف بعضهم بمصطلحاتها، ومن ثم تتوه الأمة فى الضباب الفكرى والعقلى.

ولهذا كان أسلافنا أبصر منا بمناهج العلوم واصطلاحاتها فحددوا مصطلحاتهم، فى كل تخصصاتهم العلمية.

وبالنسبة علم التاريخ والحضارة سموه علم الوقائع أو الأخبار أو التأريخ (بالهمزة) وحدد كل منهم منهاجه، فأشار الطبرى إلى أن دوره ينحصر فى نقله للروايات كما وردت إليه دون نقد وتمحيص، وترك للقارئ ولمن بعده النقد والقبول أو الرفض، ثم جاء ابن خلدون فكانت له مصطلحاته وتحليلاته، وأشار بوضوح كامل إلى منهاجه النقدىّ، مؤسِّساً على فلسفة التاريخ والعمران، موجهاً إلى نبذه المناهج التقليدية التى تعتمد نقد السند (النقل) ولا تعتمد نقد (المتن) (الدراية).

وفى العصر الحديث اهتم بعض المؤرخين بالمصطلح التاريخى، بل ظهرت كتب تحت عنوان: (مصطلح التاريخ)، وكتب تحت عنوان (الحضارة) و(الثقافة) و(النهضة) و(التقدم) و(العصرية)، وما إلى ذلك!!

وقد استثمر هذا الوضع بعض أصحاب النحل المنحرفة فعمدوا إلى الإسقاطات الفكرية على مصطلحات مثل النهضة والتقدم والتحديث، وانحرفوا بها إلى التبعية الفكرية (التغريب الفكرى والحضارى) بينما كان مهندس جزائرى وأستاذ كبير مثل (مالك بن نبى) واعياً كل الوعى فى هذا السبيل، فأصدر سلسلة كاملة تحت عنوان.. (شروط النهضة ومشكلات الحضارة) واضعاً الأمور فى نصابها.

وثمة اتجاه لتحريف مصطلحات (التحديث) و(الحرية) و(الإنسانية) و(العالمية) و(قراءة النص) و(تفسير النص) عن ضوابطها الاصطلاحية، وبالتالى تصبح هذه المصطلحات بالإسقاطات المغلوطة التى يضعها اللادينيون والصهاينة طريقاً إلى هدم الأمة وسقوطها بدلاً من أن تكون طريق نهضتها وتقدمها معاً، وهكذا الشأن فى كل العلوم الإنسانية..!!

***

(٧) هناك مصطلحات عامة توجد لدى جمهرة المؤرخين وثمة مصطلحات خاصة يدركها دارسو منهجية كل مؤرخ على حدة.

الثمرات المرة لتغريب الفكر الإسلامى

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

● ولقد كانت الثمرة المرة لهذا المخطط، مذاهب للفكر الغربي، تترست جميعها - من الشمولية إلى الليبرالية - لصرف الأمة عن مرجعية الإسلام فى مشروع نهضتها المنشودة.. مع تنوع فى سبل ودرجات القسر على قبول المرجعية الغربية بدلا من مرجعية الإسلام.. فمن «حداثة» تقيم قطيعة صريحة مع الإسلام وتاريخه وتراثه.. إلى «مركسة» للإسلام، تجعله مجرد «بناء فوقى» لقوى الإنتاج.. وعلاقات الإنتاج».. إلى «وضعية» تفرغ الإسلام من محتواه كدين.. إلى علمانية تعزله عن كل ميادين الاجتماع الإنسانى والعمران البشرى.. والمحصلة النهائية لجميعها هى إلغاء «التعددية» فى المرجعيات الحضارية، حتى لا تتميز حضارتنا بمرجعيتها الإسلامية المتميزة:-

› فمن سلامة موسى [١٣٠٥ - ١٣٧٧هـ ١٨٨٨ - ١٩٥٨م] الذى عبر «بصراحة.. عارية!» عن مشروع «المعلم» يعقوب.. والذى التقط الخيط من المثقفين الموارنة - فدعا إلى الإنسلاخ من الشرق والعروبة والإسلام، وإلى استبدال التفرغ فى كل شيء بهذه الروابط.. فقال: «إنه إذا كانت الرابطة الشرقية سخافة، فإن الرابطة الدينية وقاحة، والرابطة الحقيقية هى رابطتنا بأوروبا.. فهى الرابطة الطبيعية لنا.. وكلما زادت معرفتى بالشرق، زادت كراهيتى له، وشعورى بأنه غريب عنى، وكلما زادت معرفتى بأوروبا زاد حبى لها، وتعلقى بها، وزاد شعورى بأنها منى وأنا منها.. فأنا كافر بالشرق، مؤمن بالغرب، وهذا هو مذهبى الذى أعمل به طول حياتى سرا وجهرا»؟!(1)

● إلى الدكتور طه حسين [١٣٠٦ - ١٣٩٣هـ ١٨٨٩ - ١٩٧٣م] - الذى سار على درب سلامة موسى - فى هذه القضية بالذات - فادعى أن عقلنا الشرقى، كان ولايزال، يونانى الطابع والمكونات، وأن الإسلام لم يغير من يونانيته، كما لم تغير

(1) [اليوم والغد] ص١٨٧، ١٨٩، ٥، ٧ طبعة القاهرة سنة ١٩٢٨م.

المسيحية من يونانية العقل الأوروبى، لأن الإسلام والقرآن ليس فيهما أكثر مما فى المسيحية والإنجيل.. «إن كل شيء يدل على أنه ليس هناك عقل أوروبى يمتاز عن هذا العقل الشرقى الذى يعيش فى مصر وما جاورها من بلاد الشرق القريب وإنما هو عقل واحد.. مرده إلى عناصر ثلاثة:

١- حضارة اليونان وما فيها من أدب وفلسفة وفن.

٢- وحضارة الرومان وما فيها من سياسة وفقه.

٣- والمسيحية وما فيها من دعوة إلى الخير وحث على الإحسان.

ولو أردنا أن نحلل العقل الإسلامى لما رأيناه ينحل إلى شيء آخر غير هذه العناصر الثلاثة.

وقد خلص الدكتور طه حسين إلى النتيجة التى سعى إليها كل فرقاء هذا التيار، وهى اعتماد النموذج الغربى فى النهضة والحكم والإدارة والتشريع بدلا من نموذج الإسلام، وذلك بدعوى «وحدة النموذج»، لا «التعددية» فيه».. فالسبيل - [عنده] - واحدة فذة ليس لها تعدد، وهى: أن تسير سيرة الأوروبيين وتسلك طريقهم لنكون لهم أندادا ولنكون لهم شركاء فى الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، ما يُحب منها وما يُكره، وما يُحمد منها وما يُعاب...»!(2)

وكأنما «واحدية» النموذج الحضارى، و«احادية» المرجعية الحضارية، ومكونات العقل الحضارى، هى «القدر» الذى لابد وأن نؤمن به ونسلم له، خيرا كان أو شرا، حلوا كان أو مرا، محبوبا كان أو مكروها، محمودا كان أم غير محمود:-

● إلى مذاهب الذين بلغوا على طريق الإلحاق الحضارى حد «مركسة الإسلام».. فلم يرد فيه إلا «مجرد ثورة» «والقرآن هو كتاب هذه الثورة.. ومصدر المعرفة بنظرية الثورة» وإنجاز الرسول لم يكن إلا «إعادة بناء الشخصية العربية، وإعادة تخطيط المجتمع العربى» والإيمان بالإسلام لم يكن إلا «الانضمام إلى الثورة» والصحابة كانوا «رفاق الثورة الذين تخلوا عن طبقاتهم وضحوا فى سبيل الثورة..» أما الفقهاء فكانوا «العلماء بنظرية الثورة.. كما كان القراء طليعة فكرية للثورة، يمثلون فئة المثقفين الثوريين.. الخبراء بنظرية الثورة.. والأوساط اليسارية.. الممثلين لليسار الثورى»؟!؟..(3).

إلى آخر هذه «الفجاجة.. الطفولية» فى التفسير المادى للإسلام!..

● إلى «الوضعية.. المادية» التى أرادت التسلل إلى إلغاء الإسلام، بتفريغه من مضمونه الدينى، ولكن بلغة تراثية، وتحت مظلة الإسلام.. فدعت - باسم «التراث والتجديد»

(2) المرجع السابق جـ1 ص٥، ٤.

(3) د. عبد الله خورشيد البرى [القرآن وعلومه فى مصر] ص١٠٨ - ١٣٦. طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠م.

– إلى «التحرر من سلطة الماضى، وسلطة الموروث، فلا سلطان إلا للعقل» وإلى «الانتقال من "الله" إلى "الإنسان الكامل"».. فكل صفات الله هى صفات الإنسان الكامل.. وأسماؤه الحسنى هى آمال الإنسان.. فالإنسان الكامل أكثر تعبيرا من لفظ «الله».. وإلى «الانتقال من العقل إلى الطبيعة، ومن الروح إلى المادة، ومن الله إلى العالم، ومن النفس إلى البدن، ومن وحدة العقيدة إلى وحدة السلوك».. وإلى «تحويل الوحى إلى أيديولوجية».. «فالوحى علمانى فى جوهره، والدينية طارئة عليه من صنع التاريخ، تظهر فى لحظات تخلف المجتمعات وتوقفها عن التطور.. والإلحاد هو التجديد.. هو التحول من القول إلى العمل، ومن النظر إلى السلوك، ومن الفكر إلى الواقع.. إنه وعى بالحاضر، ودرء للأخطار.. بل هو المعنى الأصلى للإيمان...»؟!(٤)

إلى آخر ما فى هذه الثمرات المرة من «عجائب الأفكار» التى تنافست فى «العجب» «عجائب المخلوقات»، مع الفارق بين عجائب العظمة وعجائب الانحطاط؟!..

●●●

وإذا كان البعض يتوهم أن هذه الثمرات المرة لفكر مذاهب التغريب، إنما هى اختيارات هؤلاء المتغربين، ولا أثر فيها «لجبر» غربى دفع هؤلاء إلى هذا الطريق.. طريق صب إسلامنا فى قوالب مذاهب الغرب، ورفض تميزه، لرفض التعددية فى المرجعيات الحضارية، وفى سبل الأمم فى النهوض والتقدم.. فإن «فلتات أقلام» من هؤلاء الذين دعوا إلى أن نسير سيرة الغرب فى كل شىء، قد فضحت «اختياراتهم» هذه، عندما اعترفوا بأنها «جبر» غربى، ألزمهم به الغرب، حتى بالمعاهدات والمواثيق.. ففى هذه «التبعية» ما يتجاوز «الترغيب.. والترهيب» ليصل إلى «الجبر.. والقسر.. والقهر.. والإكراه» على أن نسير فى هذا الطريق الذى بشر به «المعلم» يعقوب حنا منذ قرنين من الزمان... وها هو الدكتور طه حسين ـ الذى كتب كتابه [مستقبل الثقافة فى مصر] عقب توقيع مصر لمعاهدتى سنة ١٩٣٦م، سنة ١٩٣٨م – يقول فى هذا الكتاب: لقد «التزمنا أمام أوروبا أن نذهب مذهبها فى الحكم، ونسير سيرتها فى الإدراة، ونسلك طريقها فى التشريع. التزمنا هذا كله أمام أوروبا. وهل كان إمضاء معاهدة الاستقلال ومعاهدة إلغاء الامتيازات إلا التزاما صريحا قاطعا أمام العالم المتحضر بأننا سنسير سيرة الأوروبيين فى الحكم والإدارة والتشريع؟ فلو أننا هممنا الآن أن نعود أدراجنا وأن نحيى النظم العتيقة لما وجدنا إلى ذلك سبيلا، ولوجدنا أمامنا عقابا لا تُجاز ولا تُذلل، عقابا نقيمها نحن لأننا حراص على التقدم والرقى،

---

(٤) د. حسن حنفى [التراث والتجديد] ص٥٥، ١٤١، ١٤٢، ١٤٦، ١٥٣، ١٥٤، ٦١، ٢٠٣، ٦٩، ٦٧ طبعة القاهرة سنة ١٩٨٠م.

وعقابا تقيمها أوروبا لأننا عاهدناها على أن نسايرها ونجاريها فى طريق الحضارة الحديثة»؟!(٥)

وأمام هذا الاعتراف من الدكتور طه حسين «بالالتزام الصريح القاطع أمام أوروبا أن نذهب مذهبها فى الحكم، ونسير سيرتها فى الإدارة، ونسلك طريقها فى التشريع».. هل يبقى مكان للريبة والشك أن القوم إنما يسيرون على طريق «المعلم» يعقوب حنا، الذى أعلن «الوفد» الذى صحبه إلى مرسيليا، فى معية جيوش الحملة الفرنسية المنسحبة.. أعلن فى مذكراته إلى بونابرت ذات «الالتزام» عندما قالوا: «إن الوفد المصرى» الذى فوضه المصريون الباقون على ولائهم لك، سَيُشَرِّعُ لمصر ما ترضاه لها من نظم عندما يعود إليها من فرنسا»؟!..

فنحن أمام ثمرات مرة، هى حلقات من «الإلزام.. والالتزام» بالسير سيرة أوروبا «فى الحكم.. والإدارة.. والتشريع».. إلغاء للتعددية، وقسراً لحضارتنا الإسلامية وأمتها على أن تستبدل النموذج الغربى بالنموذج الإسلامى، تأبيدا وتأييدا للتبعية فى السياسة والأمن والاقتصاد!..

●●●

هكذا صنعت الغزوة الاستعمارية الغربية، وماتزال تصنع مع «التعددية» التى جعلها الله، سبحانه وتعالى، سنة من سننه وآية من آياته التى لا تبديل لها ولا تحويل.

وهكذا مثلت هذه الغزوة جناية على الأقليات التى تنعمت بالتعددية فى تاريخنا الحضارى.. فها هى الجراح التى لا سبيل إلى اندمالها مع اليهود، الذين لم ينعموا بالأمن والعهد إلا فى دار الإسلام، حتى لقد غدت فلسفتهم جزءا من الفلسفة الإسلامية، وتأثرت أجرومية عبريتهم بالأجرومية العربية، وحاكى عروض شعرهم عروض الشعر العربى.. وعاملهم «الآخرون» كما عاملوا المسلمين.. حتى جاءت الغزوة الغربية فجعلت من نعمة التعددية، التى نعموا بها، ثغرة للاختراق، وسبيلا للإلحاق، وبابا للجراح المستعصية على الاندمال!..

وها هى الأقليات النصرانية، التى تدين ببقاء عقائدها ولاهوتها وكنائسها، للتعددية الإسلامية، يكاد الاختراق الغربى أن يحولها إلى «فيتو» ضد حاكمية الشريعة، التى ضمنت لها نعمة التعددية على مر تاريخنا الحضارى الطويل؟!..

ومع ذلك.. فإن سبيل الكشف عن حقائق الإسلام فى هذا الميدان – وغيره من الميادين – وإدارة الحوار الموضوعى الجاد والصبور مع مختلف الفرقاء.. هو السبيل لاستعادة وحدة العقل العربى والمسلم حول ثوابت المشروع الحضارى الإسلامى.. وسد ثغرات الاختراق أمام الغرب والتغريب.

---

(٥) [مستقبل الثقافة فى مصر] جـ١ ص٣٦، ٣٧.



القوى الدينية فى إسرائيل

بين تكفير الدولة ولعبة السياسة

تأليف

د. رشاد عبدالله الشامى

عرض وتقديم

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

٢

قلنا: إن القرآن الكريم فى كثير من سوره قدم صورة دقيقة لبنى إسرائيل، تكشف سر ذلك التباين الحاد الذى يلازم عناصر البناء الاجتماعى اليوم فى المجتمع الإسرائيلى.

وقد لاحظنا أن تلك الصورة - على دقتها - قُدمت فى مواطن متناثرة بين سور القرآن الكريم، ولم تقدم فى لوحة واحدة؛ تحاشياً من التكثيف المتراحم الذى قد يوقع المتلقى فريسة الاضطراب إزاء ما تضمنه من تناقضات، وتحاشياً من التكثيف المتراحم الذى قد يصيب الصورة بعدم الوضوح؛ نتيجة لما تشتمله من خلط وتباين، على نحو ما رأينا طرفاً منه فيما قدمه الدكتور رشاد الشامى، معتمداً على رصد الواقع السلوكى فى هذا المجتمع، وعلى ما قدمه بعض المفكرين اليهود فى هذا السبيل.

وقد لاحظنا - كذلك - أن هذا التباين الحاد فى المجتمع الإسرائيلى يرجع - فى مجمله - إلى تركيزهم على كل ما له أهمية مادية، وإلى تواطئهم على رفض المعنويات، وتجنب البحث فى القضايا المطلقة أو المجردة، وتجنب الخضوع - أو الاحتكام - إلى ما يحد من حرية الإنسان - فرداً أو جماعة - فى تحقيق ما يمتعه من الماديات.. على ما تقوم عليه الفلسفة المعروفة بالبراجماتية (Pragmatism).

ويدعم هذه الملاحظات.. تلك العناصر المصوّرة، المنثورة: بين سور القرآن الكريم، والتى تلفتهم إلى سر اختلافهم، وتعرفنا بحقيقتهم ومنشأ تباينهم هذا التباين الحاد.

﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾(١).

أبعاد التباين فى المجتمع الإسرائيلى

وفى الفصل الثانى من الباب الأول (الدولة والدين فى إسرائيل) استعرض الدكتور الشامى طرفاً من مظاهر التباين فى المجتمع الإسرائيلى، فمن خلال استعراضه العلاقة بين الدين والدولة على وجه العموم.. لاحظ أن بعض الدول تعارض الدين، وأن بعضها تتخذ من الدين موقفاً محايداً؛ فهى لا تعارض الدين، ولا تشجعه، ولا تفرضه، وأن بعضها تشجع الدين، لكنها لا تفرضه، ولا تعارضه، وأن بعضاً رابعاً من الدول تفرض الدين.

ولما نظر الدكتور الشامى إلى دولة إسرائيل - على ضوء تلك الملاحظة - بحثاً عن موقفها من الدين، على ما رصده مفكروها ومثقفوها، وجد تبايناً فى أقوالهم، أجمله فى ثلاث وجهات:

الوجهة الأولى منها.. ترى أن دولة إسرائيل محايدة تجاه الدين، وتطبيق الشريعة.

(١) النمل (٧٦).

والوجهة الثانية منها.. ترى أنه يمكن الحكم على علمانية الدولة أو دينيتها وفقًا لوجهة نظر المراقب؛ فالعلماني يراها دينية لتمسكها ببعض التقاليد الدينية. والديني يراها علمانية؛ لإهمالها كثيراً من الطقوس الدينية.

والوجهة الثالثة منها.. ترى أنها دولة لا دينية؛ لأنها لا تستجيب إلا لما فيه المغنم والمتعة للجماعة أو للفرد، على ما تقوم عليه (البراجماتية) وتدعو إليه.

ومن هنا.. تشب الصـــرع بين الدينيين والعلمانيين حول صياغة مسودة قيام الدولة.

فقد طلب مندوبو الأحزاب الدينية أن يتضمن النص الأخير اسم الرب، وأن ينص صراحة على أن (أرض إسرائيل) خاصة بالشعب اليهودي بمقتضى الدين اليهودي، ووعد الرب لإبراهيم أبينا.

وعارض معظم أعضاء الإدارة مطالب الدينيين، فطلبوا أن لا يذكر اسم الرب صراحة؛ لأنهم لا يملكون أن يوقعوا على تصريح يناقض ضميرهم وعقيدتهم.

ولكن... منذ أن سيطرت الصهيونية العمالية على مقاليد الأمور أصبح هناك صراع دائم بين الاتجاه العلماني وبين التقاليد اليهودية الدينية، فلما مر المجتمع اليهودي بمرحلة التفكك قبلت الصهيونية هذا التفكك، وسعت إلى بناء مجتمع جديد، مقدرة أن الدين اليهودي – بمبادئه وعباداته ومؤسساته – من أنماط الوجود التي ميزت مجتمع الطائفة التي تسعى لتحويله إلى شعب ينبغي أن تحل فيه محل الدين مثاليات اجتماعية أخرى، مثل: المشاركة الجماعية، ودين العمل، والتفاني المطلق في سبيل الجماعة؛ إلى غير ذلك.

ومازال هذا الصراع محتدما إلى اليوم، حتى يمكن القول: إنه بقدر ما كان الدين مشكلة لدولة إسرائيل.. كان قيام دولة إسرائيل مشكلة كبرى للدين اليهودي؛ لأن الدين اليهودي – منذ أكثر من ألفي سنة – لم يعتمد إلا على حياة الطائفة اليهودية المستقلة ذاتيا في شئونها الدينية والقضائية والتعليمية، ولم يعد – بأي شكل – لمقتضيات الدولة.

توظيف الدين لصالح الدولة

لذلك... لم تتحدد علاقة الدولة بالدين بشكل واضح – بعد قيام دولة إسرائيل – ولم يكن هناك تصور شامل لآلية عمل الدين وتطبيقاته في هذا الكيان الجديد. حتى إن (دافيد بن جوريون) مؤسس دولة إسرائيل كان ذا وعي علماني واضح؛ وفي الوقت نفسه لم يكن ملحداً، بل كان يؤمن بالله على طريقته الخاصة؛ فلما سئل مرة عما إذا كان يؤمن بالله؟ أجاب: «السؤال هو من الله؟» ثم استطرد قائلا: «إن معظم اليهود يتصورونه رجلًا عجوزاً، ذا لحية طويلة، يجلس على مقعد وثير. ويعتقدون أنه تحدث إلى موسى. لقد سمع موسى صوت إنسان في قلبه، وبذلك

عرف أن عليه أن يفعل ما يفعل. بيد إنني أؤمن بوجود قوى مادية فحسب في العالم».

ويقرر الدكتور الشامي: أن (بن جوريون) – مع هذه النظرة السلبية إلى الدين – كان يدرك أهمية استغلال الدين في تدعيم الفكرة الصهيونية واجتذاب المهاجرين إلى فلسطين؛ فهو يرى: أن للدين وظيفة، عليه القيام بتأديتها، وكفى؛ فهو وسيلة مواصلات فقط، يجب البقاء فيها بعض الوقت، لا كل الوقت، حتى إنه لم يكن يرتاح للمتدينين ولا للحاخامات.

وهذا يعني: أن الغالبية العظمى من دعاة الحركة الصهيونية لم تكن دينية، على الرغم من التوافق بين الدين والقومية في اليهودية.

فالصهيونية الحديثة – التي أدت إلى قيام دولة يهودية في هذا العصر – قد استنقت من الإرث اليهودي، ولكنها حولت التأكيد إلى الإحياء القومي؛ فالدولة الحديثة لم تقبل مبدأ الوحدة بينها وبين الدين اليهودي، حيث تصادمت وجهة النظر العلمانية بشأن ماهية الدولة اليهودية الحديثة مع وجهة النظر الخاصة باليهودية الدينية، حتى لقد أصبح في دولة إسرائيل منذ قيامها توتر آخذ في الازدياد، ويتجلى – من حين إلى آخر – في صورة عواصف سياسية. الأمر الذي أدى إلى إرباك كل من رؤساء الدولة والمتمسكين بالتقاليد.

١– أما الدولة فلا تجد الجرأة على الانفصال التام عن التراث، ولكنها لا تعرف كيف تترجم يهوديتها إلى لغة الواقع، دون أن تمس ماهية العلمانية.

٢– وأما المتشددون دينياً (الحريديم) فهم لا يعرفون كيف يتعاملون مع الدولة التي تعلن أنها علمانية.

ولكن... بعد إقامة الدولة انتهى الوضع الطائفي اليهودي ومعه المؤسسات العلمانية التابعة له، وحلت محلها مؤسسات رسمية تابعة للدولة، لها مهام دينية، وصلاحيات تجاه كافة السكان من اليهودي لتحقق التسوية بين الوجهتين؛ فقد أخذت الدولة على عاتقها تنظيم الشئون الدينية، وأعطت فاعلية لأوامر الدين المختلفة. وقد ظهرت هذه التسوية في:

(أ) وجود تطعيم للمؤسسات الدينية في نطاق الدولة، حيث إن جهاز القضاء الحاخامي يعتبر من مؤسسات الدولة، ويطبق أحكامه عن طريق أجهزة الدولة الرسمية، وتعتبر الحاخامية الرئيسية هيئة عامة.

(ب) وفي عـــدم رؤية الدولة أن هناك موضوعًا دينيًا له حصانة خاصة في مواجهة تدخلها.

وعلى الرغم من تسليم الأحزاب الدينية لتلك التسويات... استمر الصدام بين الدولة والدينيين، هذا الصدام الذي ظهر في عدة مناح فقد ظهر فيما نشأ من غليان بسبب تطبيق الشريعة اليهودية على مجمل السكان، في شئون الزواج والطلاق.

وظهر في المحاولات الدائمة لإفراغ الشريعة الدينية من مضمونها.

كما ظهر فى عدم تحديد صلاحيات الحاخامية الرئيسية بالتفصيل.

مما أدى إلى عدم اعتراف قطاع من الجمهور الدينى نفسه بالصلاحية الشرعية اليهودية لهذه المؤسسة الدينية فى بعض الأمور، وإلى اتسام موقف الدولة من هذه المؤسسة بالازدواجية، وما أدى إلى عدم اعتراف الدولة بالحاخامية الرسمية نوعا من تحويلها إلى تنظيم تابع للدولة، وإلى تجاوز كثير من أحكام المنع التى تفرضها الشرائع اليهودية؛ مثل أحكام يوم السبت، وتربية الخنازير.

وقد اتسعت شقة الخلاف حين حاول الدينيون تجاوز الحدود فى مجالات رئيسية تمس صورة الدولة والمشاركة فى حياتها، وعلى الأخص فى مجال الخدمة العسكرية، حيث أرادوا إعفاء شباب المعاهد التلمودية (اليشيفوت) من الخدمة فى الجيش، بدعوى أن هذه الخدمة تعرقل دراسة التوراة؛ من كل ما أبرز شدة الاتجاه الذى تميل إليه الجماعات الدينية بشأن وضع استقلال متميز لمؤسسات القضاء الدينى.

ولم يكن أمام الدولة إلا أن تعمل على التكيف مع الأوضاع الدينية فى بعض المجالات، حتى تتخلص من حدة هذا الصراع؛ فعممت الاحتفال بالأعياد الدينية، والاحتفال بالمناسبات الدينية العائلية، مثل الاحتفال بمناسبة بلوغ الفتى سن الثالثة عشرة من عمره – وهى سن تحمل مسئولية إقامة الشرائع الدينية – ومثل اتخاذ نجمة داود والشمعدان رمزا لكثير من مؤسسات الدولة الرسمية، ومثل إحياء اللغة العبرية، كما قامت بمد المواطنين فى إسرائيل بالخدمات الدينية فى عدة مجالات مختلفة، مثل مجال قوانين الأحوال الشخصية، ومجال التعليم الدينى، حيث أنشئت وزارة للأديان لتقوم على هذه الخدمات، ومثل مجال التشريع الذى يقوم فى أساسه على الدين، ومجال إدخال أجزاء قانونية من القانون العبرى إلى قوانين الدولة.

الأرثوذكسية والصهيونية ودولة إسرائيل

الأرثوذكسية – وتعنى الاستقامة والالتزام – وصف أطلقه اليهود الإصلاحيون (البرجماتيون) على معارضيهم من اليهود الذين يأبون إلا التمسك بالعقيدة اليهودية وشريعتها، ويرفضون الصهيونية ودولة إسرائيل.

وليقينهم أن هذه وتلك تتعارضان مع معتقداتهم الدينية وتستهينان بها.. لذلك هبوا للدفاع عن ترث (الجيتو اليهودى)، وعن فكرة (الانغلاق والاختيار الإلهى)؛ فحذروا من مخاطر مخالفة القوانين والتقاليد اليهودية، وحثوا اليهود على رفض كافة الإغراءات التى أفرزتها دعوة التحرير والمساواة، والتى اندفع إليها كثير من اليهود فى حماس شديد، هدد خصوصية اليهود.

وقد أحدثت إغراءات (الصهيونية)، و(دولة إسرائيل) انشقاقا فى صفوف هؤلاء، فكانت منهم طوائف مختلفة، أبرزها هؤلاء الذين يعترفون بالصهيونية الدينية ودولة

إسرائيل، وأغلبهم من أنصار الصهيونية الدينية مثل الحزب الدينى القومى (المفدال).

أما غلاة الأرثوذكس – مثل حزب (أجودات يسرائيل)، وحزب (شاس)، وحركة (نطورى كرتا) – فقد ظلوا على رفض الاعتراف بالحركة الصهيونية العلمانية.

فلما أقيمت دولة إسرائيل، واشتد معارضوها من اليهود نشأ داخل الأرثوذكسية اتجاهات مختلفة، أبرزها ثلاثة اتجاهات:

١– أما أصحاب الاتجاه الأول فهم الحريديون الذين يمثلهم (الطائفة الحريدية)، وحركة (نطورى كرتا) اللتان تعيشان داخل دولة إسرائيل، وترفض الاعتراف بها أو المشاركة فى أية نشاطات فيها؛ سياسية كانت أو اجتماعية أو اقتصادية، حرصًا على نقاء الأرثوذكسية، والتزامًا بتعاليم الشريعة اليهودية (الهالاخاه).

٢– وأصحاب الاتجاه الثانى هم أولئك المتأرجحون بين السعى لوحدة الشعب اليهودى، وبين الخشية من توجيه الأمور إلى غير صالح الأرثوذكسية وتعاليمها، ويمثلهم حزب (أجودات يسرائيل) الذى رفض – بعد قيام دولة إسرائيل – المشاركة فى انتخابات الكنيست، ولم يعترف بالحاخامية الرئيسية، ولكنه عدل عن موقفه بعد ذلك، وخاض الانتخابات وشارك فى عدد من الحكومات الائتلافية، وخاصة مع اليمين الصهيونى المتطرف بعد عام ١٩٧٧ بالرغم من استمرار عدم اعترافه بالدولة.

فهذان التوجهان يشتركان فى عدم الاعتراف بالدولة، والتنكر لشرعيتها والعداء للصهيونية، ويعرفون فى إسرائيل باسم (الحريديم)، أى اليهود السلفيون أو المتشددون.

٣– وأما أصحاب الاتجاه الثالث فهم أولئك الذين يتبنون موقفًا متعاطفًا مع التعليم والثقافة العلمانية، ويبدون استعدادهم للاعتراف بشرعية الصهيونية، ولديهم أسانيد دينية على ذلك.

وقد لقى هؤلاء كل الدعم والمساندة من الحركة الصهيونية، وعرفوا باسم (الصهيونيون الدينيون)، ومثلته فى البداية حركة (المزراحى)، ثم بعد ذلك حزب (المفدال)، ويشارك هؤلاء مشاركة فعالة فى الحياة السياسية بعد قيام دولة إسرائيل.

وإلى جانب هذه الاتجاهات الثلاثة يلاحظ أن التيار الأرثوذكسى اليهودى – بسبب تقليديته وتنوع عناصره وتباين ثقافاته – يضم فى داخله العديد من القوى المتصارعة التى لدى كل منها من القوة والتنظيم ما يمكنه من إحباط أية محاولة هيمنة من القوى الأخرى.

ولذلك.. فإن هذا التيار هو التيار الوحيد الذى لا يوجد له تنظيم مركزى واحد، ولا قيادة واحدة.

وإن النزاع بين الحاخامات الكبار المهيمنين على كل قوة من هذه القوى يصل إلى حد الاتهام بالكفر والضلال، والهرطقة، والجنون.

ولذلك – كذلك – فإن الحرب التى

تخوضها القوى الأرثوذكسية أصبحت حربًا داخل أعماق المعاقل الأرثوذكسية ذاتها، أكثر منها حربًا ضد الجبهات الخارجية، سواء كانت من اليهود الذين لا يؤمنون باليهودية الأرثوذكسية، أو من غير اليهود (الجوييم).

صهيونيون... ولكن..!

وفى الفصل الأول من الباب الثانى (الصهيونية الدينية.. النشأة والمفاهيم) عرف الدكتور الشامى بنشأة الصهيونية الدينية، فذكر أنها نشأت لمعارضة الفكرة اليهودية التى تدعو إلى الاعتماد على (المسيح المنتظر) كى يقود اليهود صوب فلسطين، من أجل إقامة (مملكة إسرائيل).

فقد رأى هؤلاء المعارضون أن هذا الاعتقاد قد أبعد اليهود عن اتخاذ أى عمل سياسى يعيدهم إلى (أرض الميعاد)، مع أنه سيطر على قرابة ستين جيلًا من اليهود، فى نحو ثمانية عشر قرنًا.

ويستند هؤلاء المعارضون إلى ما كان من اليهود بين عامى (٥٣٩ ق.م - ١٣٥م) من ثورات متكررة، مستغلين مقولتين أساسيتين، يؤمن بها عامة اليهود، هما (الشعب المختار)، و(أرض الميعاد).

ومن جهة أخرى... يمكن القول: إن جذور الصهيونيين الدينيين ترتكز على أقوال (ربى موسى بن ميمون) الفيلسوف اليهودى فى العصور الوسطى، الذى تحكى التقاليد اليهودية أنه عندما زار القدس سنة ١٣٢٧م وجد بها يهوديين فقط، فقرر آنذاك الدعوة للاستيطان اليهودى فى فلسطين.

وقد أعطى قيام إسرائيل دفعة للصهيونية الدينية ومفاهيمها، وتعززت دعواها فى جعل (أرض إسرائيل) هى النقطة المركزية فى حياة اليهود، خاصة أن قيامها جاء بعد فترة قصيرة من أحداث النازية ضد اليهود من جانب، وأعقبها انتصارات عسكرية بلغت قمتها فى حرب يونيو ١٩٦٧ جعلت جموع اليهود فى داخل إسرائيل وخارجها يشعرون بالنشوة من جانب آخر.

وبالرغم من أن إسرائيل جاءت دولة علمانية، فإن دعاة الصهيونية الدينية اختاروا - على عكس المتدينين (الحريديم) - طريق التكيف مع الوضع القائم.

وهكذا... قدمت الصهيونية الدينية بنية تحتية دينية تدعم الدولة القائمة، وقامت علاقة شبه تكاملية بينها وبين الصهيونية السياسية العلمانية.

ومع اختيار الصهيونيين الدينيين طريق التكيف مع الصهيونيين العلمانيين.. استمروا فى ممارسة التقاليد اليهودية المتسمة بالحرص والاعتدال؛ ولذلك.. نجد أن حزب (أجودات يسرائيل) المتطرف فى العقيدة يميل إلى الاعتدال فى مواقفه المتعلقة بالسياسات الخارجية، حتى إنهم ظلوا مرتبطين سياسيًا بالصهيونية الرئيسية، إلى أن وقعت أحداث حرب ١٩٦٧ حيث غيروا موقعهم من الائتلاف مع حزب العمل الإسرائيلى (ممثل الصهيونية الرئيسية)، وشكلوا ائتلافًا مع ممثلى الصهيونية التنعيمية (اليمين الصهيونى المتطرف) مثل (بيجين)، و(شامير).

ولا يزالــون مختلفيــن

ولم يكن هذا التوجه العام من الصهيونيين الدينيين بالذى يقيهم التوزع والانقسام؛ فقد غلبت عليهم فطرة التباين الحاد، على النحو الذى ضمنه الدكتور الشامى الفصل الثانى من الباب الثانى (الأحزاب الصهيونية الدينية الأرثوذكسية)، فقد ذكر أن الصهيونيين الدينيين تشعبوا أحزابًا يباين كل منها الأحزاب الأخرى تباينًا حادًا، وكان من أبرز هذه الأحزاب خمسة تجمعات هى:

١- تجمع يمثله حزبا (المزراحى)، و(العامل المزراحى)

أما حزب (المزراحى) الذى أسسه (إسحاق يعقوب راينس) الخبير التلمودى، و(جاؤونا) أحد كبار رجال التوراة، فقد كان أعضاؤه على اتفاق تام دائم بأن الهدف الرئيس للمزراحى هو الاستيلاء على المؤسسات الصهيونية، وخلق أغلبية دينية بين يهود فلسطين.

وقد ظلت حركة المزراحى مشغولة بالخلافات بين الذين يرون أنفسهم صهيونيين أولا وقبل كل شىء، والذين يضعون الدين فوق الصهيونية، فهى من ناحية ترفض الصهيونية العلمانية؛ لأنها ترى أن الشعب اليهودى دون دين هو جسد بلا روح؛ فالدين يجب أن يكون دليل الصهيونية. وهى من ناحية أخرى تقول: إن الإيمان الدينى دون روح قومية هو مجرد (شبه يهودية).

وانسجامًا مع قرار المؤتمر العالمى الأول بالدعوة إلى أرض الأجداد، بدأت منظمة (المزراحى) توجه أنظارها إلى فلسطين لافتتاح فرع لها هناك، وكان أول إنجاز لها فى فلسطين تشكيل مؤسسة الحاخامية الرئيسية.

ولما نقل مقر إدارة (المزراحى) إلى القدس سنة ١٩٢٢م تم تأسيس (العامل المزراحى) وهو الجناح العمالى للحزب، الذى بدأ - مع مرور الوقت - يشدد على أهمية الدين والقومية، بينما احتلت الاشتراكية منزلة ثالثة ومتدنية.

وبينما كانت (العامل المزراحى) تعمل فى إطار المنظمة الصهيونية العالمية كجزء من (مزراحى) أخذت تلعب بالتدريج دورًا مستقلًا عنها فى مؤسسات الاستيطان اليهودى الجديد فى فلسطين (اليشوف).

وخلال الاستيطان لم تكن العلاقة بين (المزراحى) و(العامل المزراحى) حسنة؛ لأن (المزراحى) فى أساس تكوينه كان حزبًا للطبقة الوسطى، فكان معارضًا لسيطرة اليسار على المنظمة الصهيونية، بينما توصلت منظمة (العامل المزراحى) إلى اتفاق تعاون مع (الهستدروت) حتى لقد أدت هذه السياسة إلى خلافات بينهما، حيث عارض أعضاء (العامل المزراحى) الذين انضموا بعد ذلك إلى (الهستدروت) هذا التوجه اليمينى، وقاموا بالدفاع عن الاشتراكية اليهودية.

وفى مؤتمر كاركوف ١٩٣٣م قرر (المزراحى) تصعيد نضاله ضد غير المتشددين دينيًا، سواء فى الحركة الصهيونية أو فى المؤسسات المنتخبة ليهود

فلسطين.

وعلى امتداد زمن الانتداب البريطاني، وحتى منتصف الخمسينيات من القرن العشرين حافظت المنظمتان على أطرهما المستقلة في فلسطين، وفي الكيان الصهيوني، ولكن قوة (العامل المزراحي) خلال تلك الفترة تعاظمت حتى أصبحت أبرز الحركات الدينية العاملة في فلسطين، وأعظمها تأثيراً، وقد تجلى ذلك في انتخابات ١٩٥١ حيث حصل (العامل المزراحي) على ثمانية مقاعد في الكنيست، وفاز (المزراحي) بمقعدين فقط.

٢- الحزب الديني القومي (المفدال)

وهو ثمرة توحيد حزبي (المزراحي)، و(العامل المزراحي) الذي تم سنة ١٩٥٥، و(المفدال) اختصار (مفلاجا داتيت لئوميت) التي تعني: الحزب الديني القومي، فهو يجمع بين العنصر الديني – الذي يهتم به المزراحي – والعنصر القومي الذي يهتم به العامل المزراحي.

وهذا الحزب يضم عدة تكتلات هي: الكتلة المركزية، وكتلة الشباب، والكتلة من أجل توحيد الحركة، وكتلة من أجل التحول (لمفنيه) وكتلة التكتل والتغيير (ليكود أو تمورا)، وكتلة المستوطنات التعاونية (الموشافيم)، وكتلة الكيبوتس الديني، وكتلة اليهود الشرقيين (الفارديم)، وكتلة التجدد الديني، وكتلة المرأة المتدينة.

وبعد حرب ١٩٦٧ تكونت من هذا الحزب حركة استيطانية ضمت شباب المتدينين، وأطلق عليها بعد حرب ١٩٧٣ كتلة الإيمان (جوش أيمونيم) وكانت مبادئ هذه الكتلة سبباً في انقسام الحزب على نفسه بين داعين بضرورة الاحتفاظ بالأراضي المحتلة، ومؤيدين لفكرة الأرض مقابل السلام ويستند كل من الفريقين إلى حجج يستمدونها من تأويلهم للشريعة اليهودية.

وعلى الرغم من الصراع بين هذه الكتل في حزب المفدال، فإن الأمر لم يصل إلى حد الانشقاق إلا في ١٩٨٢، وقد فشلت جميع المحاولات لإعادة توحيد الحزب كي يخوض الانتخابات في قائمة واحدة.

وتقوم مبادئ المفدال على أن الخدمة العسكرية واجب على كل فرد في إسرائيل، حتى إن طلبة المدارس الدينية التابعة للمفدال يذهبون إلى الخدمة العسكرية طواعية، مخالفين بذلك سائر الأحزاب الدينية اللاصهيونية التي يتحايل شبابها على التهرب من الخدمة العسكرية، ويصر زعماؤها على تأجيل هذه الخدمة لأبناء المدارس الدينية التابعة لها، وعدم تجنيد الفتيات.

٣- قائمة تقاليد إسرائيل (تامي)

وهي قائمة انتخابية انشقت من (المفدال) من مناصري (أبو حصيرا) عندما انسحب من الحزب. وهي تضم المتدينين من اليهود الشرقيين، ومع ذلك ظلت تعكس مواقف المفدال نفسها من القضايا الاجتماعية والاقتصادية والدينية، حتى إنه شاع عنها أنها (مفدال شمال أفريقيا).

٤- قائمة التراث (موراشا)

وهي قائمة انشقت عن (المفدال)، وتتكون من ثلاثة أحزاب هي: المعسكر الصهيوني الديني (محنيه تسيوني داتي) الذي يعرف اختصارا باسم (متساد)، وحزب أضواء (أوروت) بزعامة (هافان بن بورات) أحد قادة حركة (جوش إيمونيم) الأصولية الاستيطانية المتطرفة، وحزب (عمال أجودات يسرائيل).

وقد جاء هذا التحالف نتيجة تبدد الأمل في توحيد المعسكر الديني القومي (المفدال).

وتعتبر قائمة (موراشا) من أكثر الأحزاب الدينية تطرفاً وتعصباً دينياً وسياسياً، إذ إن مواقفها تلتقي مع مواقف (الليكود)، وحركة (حيروت).

ولأن حزب (عمال أجودات يسرائيل) حزب غير صهيوني أصر على حذف كلمة صهيونية من برنامج قائمة موراشا، وقد وافق (متساد) على ذلك، بالرغم من أنه ينتمي إلى الصهيونية الدينية.

وهذا يوضح أن المبادئ والانتماءات يمكن التغاضي عنها، عندما يدعو إلى هذا التغاضي منفعة شخصية وحزبية (برجماتية)، وقد قرر ذلك الحاخام (إبراهام فيرديجر) زعيم حزب (عمال أجودات يسرائيل) في قوله: «بالنسبة للصهيونية فإن (متساد) ينتمي إلى الصهيونية الدينية، في حين ننتمي نحن إلى المعسكر الأرثوذكسي المتشدد، لكننا سنتعاون مع (متساد) في الكنيست بالتأكيد».

٥- معسكر الوسط الديني (ميماد) أو اليهودية العقلانية

و(ميماد) اختصار (محنيه مركازداتي) أي معسكر الوسط الديني، وقد أنشئ بزعامة الحاخام (يهودا عميطل)، ويعتمد على اليهود من أصل غربي، ويتمسك (عميطل) بمعارضة أي تشريع ديني على أسس اتفاقيات الائتلافية، فهو يرى أن التشريع الديني لا يزيد في عدد الورعين، وأن أية إضافة التشريع الديني ستزيد فقط من التراجع الموجود لدى جزء من الجمهور العلماني في البلاد تجاه الدين، وهو يعتقد أن الموقف السياسي المعقد في المنطقة يجعل من كل خط سياسي خطأً شرعياً، ويخشى من احتمال أن يظهر في المستقبل جيل من السياسيين لا تكون لديه حساسية تجاه الطابع الديني للدولة؛ ولذلك.. فهو يعتقد أنه ينبغي تغيير كل المناخ السائد في العلاقات بين الدينيين والعلمانيين؛ فعلى الحزب الديني الجديد أن يكون حزباً وسطاً، يقيم جسراً بين الكتل.

ويميل (عميطل) إلى عرض أفكاره ومواقفه السياسية على أنها متشابهة مع مواقف إسحاق رابين، وقد ذاعت شهرته بعد أحداث صبرا وشاتيلا حيث علق في (البشينا) منشوراً حظي بالانتشار، حدد فيه أن هذه المذبحة أدت إلى تدنيس اسم الرب، واستنكر الوزراء الدينيين الذين فضلوا شرف رئيس الحكومة على شرف السماء.

وقد حرم الحاخام (عميطل) على تلاميذه المشاركة فى المستوطنات والاشتراك فى مظاهرات (جوش إيمونيم)، وكذلك المشاركة فى أعمال معارضة إخلاء مستعمرة ياميت فى سيناء.

ويرى (عميطل) أن الهدف الفكرى للأحزاب الدينية - وهو إقامة دولة وفقًا للشريعة - لايمكن تحقيقه إلا إذا أصبح نفوذ الأحزاب الدينية مباركًا، وأن تحقيق هذا الهدف لايمكن أن يتم من خلال الأحزاب الحالية؛ مما يستدعى إقامة حزب دينى جديد.

ويرى أن هناك فارقًا بين (الصهيونية الدينية) و(الحزب الدينى)، حيث إن الصهيونية الدينية هى فكرة تنظر إلى بعث دولة إسرائيل على أنه عبارة عن عمليات تطور تاريخية من العناية الإلهية ستكون نهايتها الخلاص.

ويرى أيضًا أن المشكلة الآن تكمن فى أن اصطلاحات مثل (المسيحانية والمسيح) قد تحولت إلى مرادفات لأشياء غير مفهومة، وإلى شىء صوفى يثير المعارضة؛ وذلك لأن (المسيحانية) فى رأى عميطل تعنى: أن الفرصة قد حانت كى يمسك شعب إسرائيل زمام مصيره بيده، وليس معناها أن كل شىء قد أصبح مؤكدًا، ولذلك يرى أن (جوش إيمونيم) مسيحانية كاذبة، لأنها مشكّلة من كافة أنواع العناصر والأشخاص حيث يوجد فيها الدينيون، والعلمانيون، وأصحاب وجهات النظر السياسية، وأصحاب وجهة النظر المسيحانية.

كما يرى: أن الجولان، والضفة الغربية، وغزة جزء من أرض إسرائيل، ولكن فى حالة النجاح فى التوصل إلى سلام حقيقى فإنه يمكن أن يكون هناك مجال للتسوية الإقليمية؛ فإذا كانت المصالح العليا لإسرائيل تستلزم تقديم تنازلات فعلى الحكومة أن تتنازل حتى لو كانت أرضًا مقدسة، والعكس كذلك، ولذلك فإنه يرفض أن يكون للحاخامات دور فى رسم الخرائط السياسية، أو إصدار فتاوى شرعية بشأن عدم الانسحاب؛ لأن مثل هذه الفتاوى مضللة.

***

قصة العدد

وانـدحرت الأحزاب

للأستاذ/ شوقى محمود أبو ناجى

وقف غزال بن سموال ينظر فى ضيق إلى ذلك القادم متلصصاً ثم قطب جبينه ليقول فى مضض واستنكار:

- ما الذى جاء بك يا حيى بن أخطب؟!

- جئتك بما تستريح به من محمد، هذه قريش قد حلت وادى العقيق وغطفان وسليم وبنو أسد وبنو فزارة وبنو مرة بقادتهم وسادتهم وقد حلوا بوادى العقيق والزغابة.

- جئتنا والله بذل الدهر.

- لا تقل هذا.

وتوجه حيى إلى باب كعب بن أسد صاحب عقد بنى قريظة وعهدهم فعرفه كعب وقال: ما أفعل بدخول حيى علىّ؟ رجل مشئوم قد شأم قومه، وهو الآن يدعونى إلى نقض العهد! ودق الباب فقال كعب:

- إنك رجل مشئوم، قد شأمت حتى أهلكتهم فارجع عنَّا فإنك إنما تريد هلاكى وهلاك قومى.

فأبى حيى أن يرجع فقال كعب:

- يا حيى .. إنى قد عاقدت محمداً وعاهدته، فلم نر منه إلا صدقاً، والله ما أخفر لنا ذمة، ولا هتك لنا ستراً، ولقد أحسن جوارنا.

- ويحك إنى قد جئتك ببحر طام وبعز الدهر.. جئتك بقريش على قادتها وسادتها، وجئتك بكنانة حتى أنزلتهم برومة، وجئتك بغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بالزغابة إلى نقمى[1] لقد قادوا الخيل، وامتطوا الإبل، والعدد عشرة الآف، والخيل ألف فرس، وسلاح كثير، ومحمد لا يفلت من فورنا هذا، وقد تعاقدوا وتعاهدوا ألا يرجعوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه.

(١) نقمى - موضع بقرب أحد كان لأبى طالب.

– جئتني بذل الدهر، وبسحاب يبرق ليس فيه شئ، وأنا في بحر لجي لا أقدر أن أريم داري، ومالي معي، والصبيان والنساء، فارجع عني فإنه لا حاجة لي فيما جئتني به.

– ويحك .. أكلمك.

– ما أنا بفاعل.

– والله ما أغلقت دوني إلا لجشيشتك[2] أن آكل منها معك.. فلك ألا أدخل يدي فيها.

فأحفظه ففتح له الباب فدخل عليه، فلم يزل يفتله في الذروة والغارب[3] حتى لان له وقال: ارجع عني يومك حتى أشاور رؤساء اليهود.

– قد جعلوا العهد والعقد إليك، فأنت ترى لهم.

– يا حيي.. قد دخلت فيما ترى كارهاً له، وأنا أخشى ألا يقتل محمد، وتنصرف قريش إلى بلادها، وترجع أنت إلى أهلك وأبقى في عقر الدار أقتل ومن معي.

– لك ما في التوارة التي أنزلت على موسى يوم سيناء، لئن لم يقتل محمد في هذه الفورة، ورجعت قريش وغطفان قبل أن يصيبوا محمداً لأدخلن معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك.

ونقض كعب العهد الذي كان بينه وبين رسول الله ﷺ ودعا حيي بالكتاب الذي كتب رسول الله عليه السلام بينهم فشقه حييٌ.

فلما شقه حييٌ علم أن الأمر قد لحم وفسد، فخرج على بني قريظة وهم حلق حول منزل كعب بن أسد فخبّرهم الخبر، ثم أرسل كعب ابن أسد إلى نفر من رؤساء اليهود: الزبير بن باطا، ونباش بن قيس، وغزال بن سموال، وعقبة بن زيد، وكعب بن زيد فخبرهم خبر حيي، فقال الزبير بن باطا:

– وما حاجتك أن تقتل ويقتل معك حيي، فأسكت كعب وقال القوم: نحن نكره أن نزرى برأيك أو نخالفك، وحيي من قد عرفت شؤمه.

كانت قريش قد استقر في يقينها أنها ـ وحدها ـ لن يكون لها غلبة على المسلمين، ولهذا أخلفت موعدها في بدر الثانية، ولكن الأمر قد اختلف عندما جاءهم وفد يهود على رأسهم حيي بن أخطب ووعدهم بنصرة بني قريظة واستنفروا غطفان والقبائل الأخرى التي تضمر العداوة لمحمد ﷺ.. وجدتها قريش فرصة لا بد أن تنتهز.

تحرك جيش الأحزاب وقوامه عشرة آلاف مقاتل مدججين بالسلاح وانتفخت أوداج أبي سفيان وهو لايشك في أن أمانيه قريبة المنال، سيشفي غليل صدره بالثأر لابنه حنظلة.

أدرك محمد ﷺ أن لقاء هذا الزحف في ساحة قتال سيكون تحقيق النصر فيه أمراً غاية في الصعوبة. ولهذا لجأ المسلمون إلى حيلة حفر الخندق أمام مداخل المدينة وكان ذلك بمشورة سلمان الفارسي.

---

(2) الجشيشة: طعام يصنع من جشيش القمح والعامة تسميه الشيشة يخلط باللبن والسمن.

(3) مثلٌ أصله في البعير يستعصي على الزم فيأخذ القراد من ذروته وغارب سنامه فيفتل هناك ويجد البعير لذة فيستسي عند ذلك.

أما الحال العامة في المدينة فلم تكن بمرضية على الإطلاق، فالمنافقون يعملون على تثبيط الروح المعنوية في صفوف المسلمين، وشُح المؤن وقلة الكساء والأغطية مع البرد الشديد، أما عدد مقاتلة المسلمين فأقل من ثلث عدد المشركين «ثلاثة آلاف مقاتل» ولا يقاس ما لديهم من سلاح وخيول بما لدى معسكر الكفر، وزاد من سوء موقف المسلمين في هذه الحال العصيبة ما ترامى إلى مسامعهم عن خسة بني قريظة ونقضهم العهد، وعدد مقاتليهم ـ كما قال حيي لأبي سفيان «سبعمائة وخمسون مقاتلا» من أهل الحلقة. كان ذلك كفيلاً أن يفت من أعضاد ضعاف الإيمان:

﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۝ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾[4].

ولكن اللقاء الأول بين المعسكرين، والذي بارز فيه علي بن أبي طالب عمرو بن عبدود أشهر فارس في الجزيرة العربية، والذي لم يحدث طيلة حياته وكثرة المواقع التي شارك فيها أن تغلّب عليه خصم، ودرايته بفنون القتال لا يختلف عليها أحد. ولهذا.. فعندما قتله علي بن أبي طالب كبّر المسلمون بكل ما أوتوا من قوة ودوت تكبيراتهم لتصم أسماع الأعداء، وفر مقاتلة المشركين بعد مقتل أشجع شجعانهم. كان هذا له أكبر الأثر في تقوية الروح المعنوية لدى المسلمين، وثقتهم في أن الله منجز وعده بالنصر.

مضى على الحصار قرابة عشرين يوماً، وإذا كان المسلمون قد اعتورهم شئ من همّ أو ضيق، فلم يكن المشركون بأقل همّاً أو ضيقا بعد نفاد الأزواد واستهلاك الأعلاف، وليس على الأرض عشب يسد أفواه المطايا مع نفاد الصبر على البرد القارس والريح الشديدة، ولكن لا يزال لديهم بقية من أمل، فلابد من هجمة على المسلمين يتحقق بها النصر لقريش والغنيمة لغطفان والأحزاب.

في هذه الآونة الحرجة. كان رجل من غطفان على موعد غير مضروب مع إدراك الحقيقة، فتسلل نور الإيمان إلى قلبه، وتجرد من عاطفة الانتماء القبلي، وتوالت الأسئلة على نفسه ليخرج منها بإجابة واحدة هي أن محمداً على الحق، وأن الأحزاب على الباطل. وانسلّ إلى معسكر المسلمين. ونترك هذا الرجل «نعيم ابن مسعود» ليروي لنا ما حدث:

قال نعيم بن مسعود[5]:

---

(4) الأحزاب (١٢، ١٣).

(5) النص من المغازي للواقدي وقد أخذه عنه غالبية كتاب السير والتاريخ.

كانت بنو قريظة أهل شرف وأموال، وكنا قوماً عرباً لا نخل لنا ولا كرم، وإنما نحن أهل شاة وبعير، فكنت أقدم على كعب بن أسد فأقيم عنده الأيام، أشرب من شرابهم، وآكل من طعامهم، ثم يحملونني تمراً على ركابي ما كانت، فأرجع إلى أهلي، فلما سارت الأحزاب إلى رسول الله ﷺ سرت مع قومي، وأنا على ديني، وقد كان رسول الله ﷺ عارفا، فأقامت الأحزاب ما أقامت حتى أجدب الجناب وهلك الخف والكُرَاع، وقذف الله عز وجل فى قلبى الإسلام، وكتمت قومى إسلامى، فأخرج حتى آتى رسول الله ﷺ بين المغرب والعشاء فأجده يصلى، فلما رآنى جلس ثم قال: ما جاء بك يا نعيم؟ قلت: إنى جئت أصدقك وأشهد أن ما جئت به حق، فمرنى بما شئت يا رسول الله. فو الله لا تأمرنى بأمر إلا مضيت له، قومى لا يعلمون بإسلامى ولا غيرهم. قال : ما استطعت أن تخذّل الناس فخذّل ! قال، قلت : أفعل، ولكن يا رسول الله فأذن لى. قال : قل ما بدا لك فأنت فى حل. قال: فذهبت حتى جئت بنى قريظة، فلما رأونى رحبوا بى وأكرموا وحيّوا وعرضوا علىّ الطعام والشراب، فقلت : إنى لم آت لشىء من هذا، إنما جئتكم نصبا بأمركم، وتخوفا عليكم، لأشير عليكم برأى، وقد عرفتم ودى إياكم، وخاصة ما بينى وبينكم. فقالوا: قد عرفنا ذلك وأنت عندنا على ما تُحب من الصدق والبر. قال : فاكتموا عنى.

قالوا : نفعل . قال : إن أمر هذا الرجل بلاء - يعنى النبى ﷺ صنع ما قد رأيتم ببنى قينُقاع وبنى النضير، وأجلاهم عن بلادهم بعد قبض الأموال، وكان ابن أبى الحقيق قد سار فينا، فاجتمَعْنا معه لننصركم، وأرى الأمر قد تطاول كما ترون، وإنكم والله ما أنتم وقريش وغطفان من محمد بمنزلة واحدة، أما قريش وغطفان فهم قوم جاءوا سيارة، حتى نزلوا حيث رأيتم، فإن وجدوا فرصة انتهزوها، وإن كانت الحرب أو أصابهم ما يكرهون، انشمروا إلى بلادهم، وأنتم لا تقدرون على ذلك.. البلد بلدكم، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، وقد غلظ عليهم جانب محمد، أجلبوا عليه أمس إلى الليل، فقتل رأسهم عمرو بن عبدود وهربوا منه مجرحين، وهم لا غناء بهم عنكم لما تعرفون عندكم، فلا تقاتلوا مع قريش ولا غطفان حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم تستوثقون به منهم ألا يناجزوا محمدا، قالوا: أشرت علينا والنصح، ودعوا له وتشكروا، وقالوا: نحن فاعلون . قال : ولكن اكتموا عنى قالوا : نعم، نفعل، ثم خرج إلى أبى سفيان، قد جئتك بنصيحة فاكتم عنى، قال: أفعل ، قال : تعلّم أن قريظة قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وأرادوا إصلاحه ومراجعته أرسلوا إليه وأنا عندهم : إنا سنأخذ من قريش وغطفان من أشرافهم سبعين رجلا نسلّمهم إليك تضرب أعناقهم وترد جناحنا

الذى كسرت إلى ديارهم - يعنون بنى النضير - ونكون معك على قريش حتى نردهم عنك، فإن بعثوا إليكم يسألونكم رهنا فلا تدفعوا إليهم أحدا واحذروهم على أشرافكم، ولكن اكتموا عنى ولا تذكروا من هذا حرفا، قالوا : لا نذكره، ثم خرج حتى أتى غطفان فقال : يا معشر غطفان، إنى رجل منكم فاكتموا عنى، واعلموا أن قريظة بعثوا إلى محمد - وقال لهم مثل ما قال لقريش - فاحذروا أن تدفعوا إليهم أحدا من رجالكم، وكان رجلا منهم فصدقوه، وأرسلت اليهود غزال بن سموال إلى أبى سفيان بن حرب وأشراف قريش : إن ثواءكم قد طال ولم تصنعوا شيئا، وليس الذى تصنعون برأى، إنكم لو وعدتمونا يوما تزحفون فيه إلى محمد، فتأتون من وجه، وتأتى غطفان من وجه ونخرج نحن من وجه آخر، لم يفلت من بعضنا، ولكن لا نخرج معكم حتى ترسلوا إلينا برهان من أشرافكم يكونون عندنا، فإنا نخاف إن مستكم الحرب وأصابكم ما تكرهون شمرتم وتركتمونا فى عقر دارنا وقد نابذنا محمدا بالعداوة، فانصرف الرسول إلى بنى قريظة ولم يرجعوا إليهم شيئا، وقال أبو سفيان : هذا ما قال نعيم. فخرج نعيم إلى بنى قريظة فقال : يا معشر بنى قريظة، أنا عند أبى سفيان حتى جاء رسولكم إليه يطلب منه الرهان، فلم يرد عليه شيئا فلما ولى قال : لو طلبوا منى عناقا ما رهنتها، أنا أرهنهم سراة أصحابى يدفعونهم إلى محمد

يقتلهم ! فارتأوا آراءكم حتى تأخذوا الرهن، فإنكم إن لم تقاتلوا محمدا وانصرف أبوسفيان تكونوا على موادعتكم الأولى، قالوا : نرجو ذلك يا نعيم، قال : نعم، قال كعب بن أسد : فإنا لا نقاتله والله، لقد كنت لهذا كارها ولكن حيى رجل مشئوم، قال الزبير بن باطا : إن انكشفت قريش وغطفان عن محمد لم يقبل منا إلا السيف، قال نعيم : لا تخش ذلك يا أبا عبدالرحمن، قال الزبير : بلى والتوراة، ولو أصابت اليهود رأيها ولحم الأمر لتخرجن إلى محمد ولا يطلبون من قريش رهنا، فإن قريشا لا تعطينا رهنا أبدا، وعلى أى وجهه تعطينا قريش الرهن وعددهم أكثر من عددنا، ومعهم كراع ولا كراع معنا، وهم يقدرون على الهرب ونحن لا نقدر عليه. وهذه غطفان تطلب إلى محمد أن يعطيها بعض تمر الأوس وتنصرف، فأبى محمد إلا السيف، فهم ينصرفون بغير شىء. فلما كانت ليلة السبت كان مما صنع الله تعالى لنبيه أن قال أبوسفيان : يا معشر قريش، إن الجناب قد أجدب، وهلك الكراع والخف، وغدرت اليهود وكذبت وليس هذا بحين مقام فانصرفوا ! قالت قريش : فاعلم علم اليهود واستيقن خبرهم. فبعثوا عكرمة بن أبى جهل حتى جاء بنى قريظة عند غروب الشمس مساء ليلة السبت فقال : يا معشر اليهود، إنه قد طال المكث وجهد الخف والكراع وأجدب الجناب، وإنا لسنا بدار

مقامة، اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تناجزه بالغداة. قالوا : غدا السبت لا نقاتل ولا نعمل فيه عملا، وإنا مع ذلك لا نقاتل معكم إذا انقضى سبتنا حتى تعطونا رهانا من رجالكم يكونون معنا لئلا تبرحوا حتى تناجز محمدا، فإنا نخشى إن أصابتكم الحرب أن تشمروا إلى بلادكم وتدعونا وإياه فى بلادنا ولا طاقة لنا به، معنا الذرارى والنساء والأموال. فرجع عكرمة إلى أبى سفيان فقالوا : ما وراءك ؟ قال : أحلف بالله أن الخبر الذى جاء به نعيم حق، لقد غدر أعداء الله. وأرسلت غطفان إليهم مسعود ابن رخيلة فى رجال منهم بمثل رسالة أبى سفيان، فأجابوهم بمثل جواب أبى سفيان. وقالت اليهود حيث رأوا ما رأوا منهم : نحلف بالله إن الخبر الذى قال نعيم لحق. وعرفوا أن قريشا لا تقيم فاسقط فى أيديهم، فكر أبو سفيان إليهم وقال : إنا والله لا نفعل، إن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا، فقالت اليهود مثل قولهم الأول. وجعلت اليهود تقول : الخبر ما قال نعيم. وجعلت قريش وغطفان تقول : الخبر ما قال نعيم. وبئس هؤلاء من نصر هؤلاء، وبئس هؤلاء من نصر هؤلاء، واختلف أمرهم. فكان نعيم يقول : أنا خذلت بين الأحزاب حتى تفرقوا فى كل وجه. وأنا أمين رسول الله ﷺ على سره».

بعد أن استمع أبوسفيان إلى رد اليهود بنفسه وكان قد سمعه من عكرمة قام إلى حيى يصيح فيه غاضبا :

– أين ما وعدتنا من نصر قومك ؟ قد خلونا وهم يريدون الغدر بنا.

– والتوراة.. ولكن السبت قد حضر، ونحن لا نكسر السبت، فكيف ننتصر على محمد إذا كسرنا السبت ؟ فإذا كان يوم الأحد غدوا على محمد وأصحابه بمثل حرق النار.

وخرج حيى بن أخطب من خيمة أبى سفيان مطأطىء الرأس وقد تمثل لعينيه سوء العاقبة.. وذهب يعيد المحاولة مع قريظة ويكرر الرجاء لعلهم يستجيبون لاستعطافه :

– فداكم أبى وأمى.. إن قريشا اتهمتكم بالغدر واتهمونى معكم، وما السبت لو كسرتموه لما حضر من أمر عدوكم ؟

فاستشاط كعب بن أسد غضبا وهو يقول :

– لو قتلهم محمد حتى لم يبق منهم أحدا ما كسرنا سبتنا.

رجع حيى بن أخطب والخزى ينضح من وجهه ليجابهه أبوسفيان بقوله :

– ألم أخبرك يا يهودى بأن قومك يريدون الغدر ؟

– والله ما يريدون الغدر، ولكنهم يريدون الخروج يوم الأحد.

– وما السبت ؟

– يوم من أيامهم يعظّمون القتال فيه، وذلك إن سبطا منا أكلوا الحيتان يوم السبت فمسخهم الله قردة وخنازير.

– لا أرانى استنصر بإخوة القردة والخنازير.. لقد بعثت عكرمة بن أبى جهل وأصحابه فقالوا : لا نقاتل حتى تبعثوا لنا بالرهائن. من أشرافكم. وقبل ذلك ما جاءنا غزال بن سموال برسالتهم.. أحلف باللات إن هو إلا غدركم. وإنى لأحسب أنك قد دخلت فى غدر القوم. وجعل حيى يقسم بالتوراة أنه جاء من عند أعدى القوم لمحمد، وأحرصهم على قتاله، وما عليه أن ينتظر يوما واحدا، فصاح فيه أبوسفيان : لا والله ولا ساعة، لا أقيم فى انتظار غدركم. فارتعدت فرائص حيى بن أخطب وقد خشى على نفسه من بطش أبى سفيان ولم يدر بماذا يرد على صاحبه وقد أسقط فى يده وهو يحس أن خطته التى ظل شهورا يرسم فيها، وتدبيره الذى ظن أنه أحكمه.. كل ذلك يوشك أن ينهار، وإذا ما دارت الدائرة على قريش والأحزاب، أو حتى إذا ما انسحبوا من ساحة المعركة فسيصدق – هو قبل غيره – ما قاله زعماء يهود عندما طرق باب كعب بن أسد من أنه رجل مشئوم. وانتظمت جسده رعشة، واضطربت دقات قلبه، ومشى متسرقا يرتجف ولا تكاد قدماه تحملانه حتى بلغ الروحاء لأنه قد وعد كعبا – قبل ذلك – ليرجعن إليه.

كانت هذه الليلة – ليلة السبت – ليلة قر شديد، وقد اجتمع البرد والجوع والخوف على الفريقين، وتسلل حذيفة بن اليمان مدرعا بالظلام ليتحسس القوم بعد أن أمره النبى ﷺ على ألا يرمى بسهم ولا بحجر ولا يطعن برمح ولا تضربن بسيف

ودعا له الرسول ﷺ ربه أن يحفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته. فدخل عسكرهم وهم يصطلون على نيرانهم وإذا بريح صرصر عاتية تهب فتكفىء القدور وتذرو النيران وتخلع طنب الخيام وتلقى بالناس بعضهم على بعض.. ووقف أبوسفيان ينادى :

– احذروا الجواسيس والعيون، ولينظر كل رجل إلى جليسه فالتفت حذيفة عن يمينه وقال :

– من أنت ؟

– عمرو بن العاص..

والتفت عن شماله وقال :

– من أنت ؟

– معاوية بن أبى سفيان.

واطمأن حذيفة إلى ما نزل بالقوم.

ثم قال أبوسفيان :

– إنكم والله لستم بدار مقام، لقد هلك الخف والكراع وأجدب الجناب، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذى نكره، وقد لقينا من الريح ما ترون، والله ما يثبت لنا بناء، ولا تطمئن لنا قدر، فارتحلوا فإنى مرتحل.

دخل حيى بن أخطب مع قريظة حصنهم ليلا ليجد رسول الله ﷺ قد خف إليهم ساعة ولت الأحزاب.

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

«الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين».

● **اطلعنا على الطلب المقدم من / علاء محمود هيكل المحامي والمقيد برقم ٥٨٦ لسنة ٢٠٠٣م والمتضمن: وفاة رجل عن:**

١- زوجته.

٢- وبنت عمه.

٣- وأولاد بنت عمه.

٤- وأولاد أولاد عمه ذكورا وإناثا.

ويطلب السائل بيان من يرث ومن لا يرث ونصيب كل وارث.

●● **الجواب:**

بوفاة ذلك الرجل عن المذكورين فقط يكون لزوجته ربع تركته فرضا لعدم وجود الفرع الوارث، وللذكور من أولاد أولاد عمه الباقي بعد الربع بالسوية بينهم تعصيبا لعدم وجود صاحب فرض آخر ولا عاصب أقرب ولا شيء للإناث منهم كما لا شيء لبنت عمه ولا لأولاد بنت عمه لأنهم جميعا من ذوي الأرحام المؤخرين في الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات.

هذا إذا كان الحال كما ورد بالسؤال ولم يكن للرجل المتوفى وارث آخر غير من ذكروا.

والله سبحانه وتعالى أعلم

●●●

«الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين».

● **اطلعنا على الطلب المقدم من / محمد صالح مكي المقيد برقم ٥٨٢ لسنة ٢٠٠٣ والمتضمن السؤال الآتي:**

هل في قصب السكر زكاة وكيف تخرج وهو مزروع في أرض خراجية تأخذ الحكومة عليها خراجاً سنوياً وبعضه يسقى بآلة والبعض الآخر

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

أحمد الطيب

مفتي جمهورية مصر العربية

وعضو مجمع البحوث الإسلامية

يسقى بالراحة وزراعته تكلف الزارع ثمناً للسماد والشحن والنقل والجمع من الأرض وجملة من المصاريف وعند حسابها واستقطاعها يكاد لا يتبقى للفقير شيء، فهل تحسب هذه التكاليف بجملة أنواعها وتخصم من ثمن القصب وتخرج الزكاة من الباقي أم تخرج نصف العشر ونكتفي به دون حذف للتكاليف حتى لا نحرم الفقير؟.

●● **الجواب:**

ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه لا تجب الزكاة في قصب السكر لأنه ليس من الحبوب ولا من الثمار التي تجب فيها الزكاة عندهم. وذهب بعض الفقهاء إلى وجوب الزكاة في كل ماخرج من الأرض ومنه القصب.

وفيما يتعلق بخصم التكاليف والديون فقد ذهب بعض الفقهاء إلى أنها لا تخصم من ناتج الزرع وذهب البعض الآخر ومنهم ابن عباس - رضي الله - عنهما وعطاء - من التابعين - رضي الله عنه - إلى أنها تخصم.

وبناء على ما سبق:

فإن أراد زارع القصب أن يزكي محصوله - على رأي من أجاز ذلك من الفقهاء - فإن عليه أن يخرج عشر عائد المحصول إذا كان الزرع لايسقى بالآلات، ونصف عشر المحصول إذا كان يسقى بالآلات والأجهزة. لقوله ﷺ: «فيما سقت السماء والعيون العشر وفيما سقى بالنضح - الآلة - نصف العشر» رواه البخاري.

ويجوز للزارع أن يخصم مصاريف الاستزراع وكسر القصب والخراج وما يتعلق به من ديون وحقوق على رأي ابن عباس وعطاء ومن تبعهم.

وإن أراد الزارع أن يلتزم برأي جمهور الفقهاء ولا يخرج شيئا كزكاة عن القصب فلا حرج عليه.

ومما ذكر يعلم الجواب عن السؤال.

والله سبحانه وتعالى أعلم

طرائف .. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

حائط الإسلام

خطب سعيد بن شريك بحمص، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إن الإسلام حائط منيع، وباب وثيق، فحائط الإسلام الحق، وبابه العدل، ولايزال الإسلام منيعاً ما اشتد السلطان، وليس شدة السلطان قتلا بالسيف، ولا ضرباً بالسوط، ولكن قضاء بالحق، وأخذ بالعدل.

أدب العبادة

دخل كثير عزة على عبدالعزيز بن مروان وهو مريض فقال له: لو أن سرورك لايتم إلا بأن تسلم وأسقم لدعوت ربى أن يصرف مابك إلىّ، ولكن أسأل الله لك أيها الأمير العافية، ولى فى كنفك النعمة، فضحك عبدالعزيز وأمر له بجائزة.

فقرات بليغة

● قال ابن عباس – رضى الله عنه –: الرخصة من الله صدقة، فلا تردوا صدقته.

● وقال: لكل داخل هيبة، فابدءوا بالتحية، ولكل طاعم حشمة فابدأوا باليمين.

● وقال ابن مسعود: الدنيا كلها هموم، فما كان منها فى سرور فهو ربح.

● وقال عمرو بن العاص: من كثر إخوانه كثر غرماؤه.

● وقال المغيرة بن شعبة: فى كل شئ سرف إلا فى المعروف.

بأى وجه تلقانى

هجا أبوالهول الحميرى الفضل بن يحيى، ثم أتاه راغباً إليه، فقال له الفضل: ويلك بأى وجه تلقانى؟ قال: بالوجه الذى ألقى به ربى وذنوبى إليه أكثر، فضحك ووصله.

إن لم يكن هو فكن أنت

قال الحسن البصرى لرجل حضر جنازة: أتراه لو رجع إلى الدنيا لعمل صالحاً؟ قال: نعم، قال: فإن لم يكن هو فكن أنت.

قال الشاعر:

قدم لنفسك ما استطعت من التقى
إن المنيــــة نازلة بك يافــتى
أصبحت ذا مرح كأنك لاترى
أحبــاب قلبك فى المقابر والبلى.

قالـــوا..

كنا فيما مضى إذا لقى الرجل الرجل، فكأنما يلقى أخاه ابن أمه وأبيه، وأما اليوم إذا لقى الرجل منكم الرجل فكأنما يلقى عدوا.

عبدالله بن عمرو بن العاص

نحن فى زمن

لايزداد الخير فيه إلا إدبارا، والشر إلا إقبالا، والشيطان فى هلاك الناس إلا طمعاً، أضرب بطرفك حيث شئت هل تنظر إلا فقيراً يكابد فقرا، أو غنياً بدل نعمة الله كفراً، أو بخيلاً اتخذ بحق الله وفرا، أو متمرداً كأن بسمعه عن سماع المواعظ وقرا.

حقــا

قال الشاعر:

عسى الهم الذى أمسيت فيه
يكون وراءه فـــرج قـــريب
فيأمن خائف ويفك عان
ويأتى أهله النائى الغريب

وقال آخر:

تصبر أيها العبد اللبيب
لعلك بعد صبرك ماتخيب
وكل الحادثات إذا تناهت
يكون وراءها فـــرج قـــريب

سبعة لايشاورون

سبعة لاينبغى لصاحب لب أن يشاورهم: جاهل، وعدو، وحسود، ومراء، وجبان، وبخيل، وذو هوى، فإن الجاهل يضل، والعدو يريد الهلاك، والحسود يتمنى زوال النعمة، والمرائى واقف مع رضا الناس، والجبان من رأيه الهرب، والبخيل حريص على جمع المال، فلا رأى له فى غيره، وذو الهوى أسير هواه فلا يقدر على مخالفته.

دعـــاء

اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه، اللهم أنت ربى أمرتنى فقصرت، ونهيتنى فعصيت، فإن غفرت فقد مننت، وإن عاقبت فما ظلمت.

شجاعة العلماء في إسداء النصيحة إلى الخلفاء والأمراء

٣

لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف

مازلنا نقلب صفحات التاريخ الإسلامى المشرقة، نقرأ ما دونته كتب التاريخ من سير وتاريخ عظماء علماء المسلمين، ومواقفهم الفذة فى مواجهة الخلفاء والولاة، رافعين راية الحق فى وجوه أعدائه فى عزة وشموخ، يتحدون الظلمة الطغاة من الملوك والأمراء، ويقدمون لهم النصيحة الخالصة والإرشاد السليم، فكانوا قمما شامخة فى دنيا البطولة والإيمان.

من هؤلاء العلماء الأفذاذ الإمام الأعظم أبوحنيفة الذى وهبه الله علما فى الفقه، وقوة فى الحق، وسرعة فى البديهة، ودقة فى القياس.. وقد كان خصومه فى الرأى الفقهى يخافون أن يواجهوه فى معترك النقاش لما حباه الله من براعة فى الاستنباط، وقدرة فى المناظرة والحوار، وحجة فى الاستدلال، يصفه الإمام مالك وقد سئل عما إذا كان رآه فيقول: نعم رأيت رجلا لو كلمته فى هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته.

وكان الإمام أبوحنيفة يعتز بنفسه، ويحافظ على كرامته، عنده حساسية مفرطة بالنسبة لهما، ولأجل أن يحافظ عليهما لم يشأ أن يستظل بوال أو بحاكم يركن إليه فيخصص له مالا يكون مصدر رزقه حين يتفرغ للفقه والدرس - كما فعل كثير من العلماء - ولكنه ربأ بعزته أن يمن عليها مان بصنيعه فامتهن التجارة ليجد من أبواب الرزق ما يساعده على رفاهية عيشه فى تصون وإباء، تكفل له حرية الرأى والتعبير، وقول الحق، ومجابهة الباطل، وقد صدقت نيته مع ربه، فوسع الله عليه كل خير.

وقد شاء حظ الإمام أبى حنيفة أن يحترق بنيران السياسة، وأن يصاب بلهيبها فى عهد الدولتين الأموية والعباسية، فشاهد وعاصر عهدين يختلفان فى الأسماء والأشخاص، ويتحدان فى تهور البغى، واستفحال الشر، وسطوة الإرهاب، وأخذ البرىء بذنب الآثم.. فالخلفاء يظلمون، ويعاهدون فيغدرون، وولاتهم يبالغون فى تكميم الأفواه، وإراقة الدماء، وسجن الأبرياء، إرضاء لأولياء نعمهم من الخلفاء والأمراء.

لقد قامت الثورات الناقمة فى كل مكان على الحكم الأموى الذى طغى شره، واستشرى خطره، وكانت تنتهى بمجازر رهيبة، تُسفك فيها الدماء دون تحرز، بل ربما كان سيف الإرهاب وشدة الانتقام دليل التغلب، وبرهان الانتصار.

وفى أثناء هذا الضيق المستحكم، وفى ظل عنف وبطش الحكام، جاء إلى أبى حنيفة رسول الطاغية - يزيد بن هبيرة - والى العراق يدعوه إلى أن يلىَ القضاء، وكان للإمام أبى حنيفة بصيرة لا تخطئ، فقد أدرك أن هذا الوالى ورؤساءه من الخلفاء يريدون أن يتخذوه مطية للشر ومركبا للخطر، فيولونه القضاء وبذلك يعلمون الناس أن رجال الفقه وعلماء الأمة وحماة الشريعة يؤيدون حكمهم الطاغى، ويباركون عهدهم الظالم، فيضربون أداة تخدير تخذل الحق وتعين الباطل، ولكن هيهات أن يتخدع الإمام أبوحنيفة بمنصب ظاهره الرحمة وباطنه من قبله العذاب، فأعلن الرفض صريحا واضحا، وأبى أن يتولى القضاء.

واستعظم الوالى الطاغية رفض أبى حنيفة، فسجنه أسبوعين عساه أن يرجع، فما استكان وما لان، فأمر بضربه بالسياط فكان يُجلد كل يوم عشرة أسواط حتى تخطى المائة، وأشرف على الهلاك، ولا يزداد إلا ثباتا وصلابة فى موقفه، ثم كانت النهاية.. فسقطت الدولة الأموية بطغيانها وجبروتها، وانفك أسر الإمام أبى حنيفة.

وجاءت الدولة العباسية ففرح المخلصون لقيامها، وتنفس الناس الصعداء بقدومها، غير أنها خيبت آمال الفرحين حين رأوا الدولة الأموية تعود ثانية ببطشها الغاشم وقهرها الظالم، وكانت محنة قاسية نزلت بالمؤمنين.

ولم يسلم الإمام أبوحنيفة من طغيان الخلفاء العباسيين، فتكرر معه ما حدث له من طغيان الخلفاء الأمويين.. غير أن الإمام أبا حنيفة هو هو لم يتغير، صلبا لا يلين، قويا لا يخشى إلا الله، تاجرا ذا ثراء، لا يطمع فى مال السلطان أو منصبه.

اختلف الخليفة أبوجعفر المنصور مع زوجته، وحدث بينهما شقاق، وأراد أن يقترن بزوجة ثانية، فعظم الأمر عليها واشتد غضبها وسخطها عليه، فاحتج المنصور عليها بأنه لا يصدر فى زواجه بالثانية عن غير أمر الله، فرأت أن تحتكم إلى أبى حنيفة، فوافق المنصور فى سهولة، ظنا منه أن الحكم الشرعى من الوضوح بحيث لا يقف أمامه أبوحنيفة صاحب الرأى والقياس.

وعند المواجهة قال الإمام أبوحنيفة: ليتكلم أمير المؤمنين، فقال الخليفة: يا أبا حنيفة كم يحل للرجل أن يتزوج من النساء

فيجمع بينهن؟ فقال: أربع، فسأله الخليفة: وهل يجوز لأحد أن يقول خلاف ذلك؟ فقال: لا، فنظر المنصور إلى زوجته متهللا قائلاً: قد سمعت يا هذه!! فتدارك أبوحنيفة الأمر قائلا: إنما أحل الله هذا لأهل العدل يا أمير المؤمنين، فمن لم يعدل أو خاف ألا يعدل، فينبغي ألا يتجاوز الواحدة، قال الله تعالى:

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾[1].

فينبغي أن نتأدب بأدب الله ونتعظ بمواعظه.

فسكت الخليفة على غيظ - وحملها فى نفسه - وانصرف الإمام إلى منزله، فوجد خادم زوجة الخليفة فى انتظاره يحمل مالا وثيابا ومعه دواب وجارية، فرد الإمام ذلك فى إباء وقال كلمته المشهورة: إنما ناضلت عن دينى، وقمت ذلك المقام لله، ولم أرد شيئا من أمور الدنيا.

وبعد فترة دعا المنصور علماء العراق ليأخذ رأيهم فى أهل البصرة، فقد اشترط المنصور عليهم أن يستحل دماءهم إذا انتقضوا على حكمه، ثم ما لبثوا أن خالفوا الشرط فهبوا ثائرين.

قال الخليفة لمن حضره من العلماء: ألم يقل رسول الله ﷺ: «المؤمنون عند شروطهم»، وأهل الموصل قد اشترطوا ألا يخرجوا علىّ، فإن فعلوا حلّت دماؤهم بإقرارهم الصريح؟.

فرد أحد الحاضرين قائلا: يدك يا أمير المؤمنين مبسوطة عليهم، وقولك مقبول فيهم، فإن عفوت فأنت أهل العفو، وإن عاقبت فبما يستحقون.

فنظر الخليفة إلى أبى حنيفة وسأل: وماذا تقول أنت؟ ألسنا الآن فى خلافة نبوّة وأهل إيمان؟

فرد الإمام أبوحنيفة بكل جرأة وشجاعة قائلا: إنهم اشترطوا لك ما لا يملكونه، وشرطت عليهم ما ليس لك؟ لأن دم المسلم لا يحل، وشرط الله أحق ما توفى به.

فاضطرب أبوجعفر، واستشاط غضبا وغيظا، ثم أذن للعلماء أن ينصرفوا، واستبقى أبا حنيفة وبعد أن خلا المكان بهما صاح أبوجعفر قائلا: لقد أحرجتنا أمام الناس، فانصرف إلى بلادك، ولا تفْتِ بما هو شين على إمامك، وخرج غاضبا، فخرج أبوحنيفة مرفوع الرأس غير هياب.

وعزم الخليفة على تدبير مكيدة للإمام يرتاح بها منه، فتذكر أن يزيد بن هبيرة «الأموى» كان قد سبق أن عرض على أبى حنيفة القضاء فرفض، فكان نصيبه السجن

(1) النساء: ٣.

والضرب بالسياط، فلماذا لا يعرض عليه القضاء كما فعل يزيد، والرجل لا محالة رافض بإباء، فإذا وقف موقفه السابق فقد دنت ساعة القصاص.

وحدثت المواجهة بينهما، وأصر الخليفة على أن يتولى أبوحنيفة القضاء، وأصر أبوحنيفة على الرفض، فحلف أبوجعفر ليفعلن، فحلف أبوحنيفة ألا يفعل قائلا: إنى لا أصلح للقضاء، فقال الربيع بن يونس - وزير أبى جعفر: ألا ترى أمير المؤمنين يحلف!!.

فرد أبوحنيفة فى قوة عنيدة: أمير المؤمنين أقدر على كفارة اليمين منى.

فأمر أبوجعفر بأن يقاد أبوحنيفة إلى السجن.. ثم استدعاه من السجن بعد أيام وسأله: أترغب عما نحن فيه؟

فأجاب: أصلح الله أمير المؤمنين، أنا لا أصلح للقضاء.

فصاح الخليفة منفعلا: كذبت.

وهنا استعجل الإمام أبوحنيفة ذكاءه ومنطقه الصائب فقال: لقد حكم علىّ أمير المؤمنين بنفسه أنى لا أصلح للقضاء لأنه ينسبنى إلى الكذب، فإن كنت كاذبا فلا أصلح، وإن كنت صادقا فقد أخبرت أمير المؤمنين بعدم صلاحيتى للقضاء.

فلم يتمالك الخليفة نفسه من الغضب، فأمر بجلد أبى حنيفة، فضرب مائة وثلاثين سوطا، فصاح عبدالرحمن بن على بن عباس - عم الخليفة - موجها كلامه إلى المنصور قائلا: لقد سللت على نفسك مائة ألف سيف، هذا فقيه أهل المشرق يُضرب بالسياط فى غير حرج، دون أن تخشى انتقام السماء!!، فتراجع أبوجعفر وأمر بإطلاق سراح أبى حنيفة، وأرسل إليه ثلاثين ألف درهم، فلما وضعت بين يديه رفضها، فقيل له: لو تصدقت بها على المحتاجين؟ فرد فى استهانة: ومن يضمن لى أنها جمعت من طريق حلال؟ ثم ما لبث أن توفى الإمام أبوحنيفة متأثرا بجراحه.

رحم الله الإمام أبا حنيفة، شهيد الحق، العالم الفقيه الذى ملأ علمه مشارق الأرض ومغاربها، صاحب مدرسة القياس والرأى، والذى مازالت وستظل الأمة الإسلامية تنهل من نبع علمه وفيض فقهه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وإذا كان المشرق العربى قد أنجب علماء عظاما تحدث التاريخ عن مواقفهم المشهودة، فإن المغرب العربى كان أرضا خصبة أيضا أثمرت طيبا، فأخرجت علماء لا يخشون فى الحق لومة لائم، لا تميل بهم عاطفة، ولا يجنحون إلى هوى.. زهدوا فى الدنيا، وعزفوا عن مظاهرها الخادعة، فارتفعت هاماتهم شامخة علت على هامات الخلفاء والحكام، فنطقوا بالحق غير خائفين، وحكموا بالعدل غير مترددين، ووقفوا فى وجه البطش معارضين.

من هؤلاء العلماء المنذر بن سعيد البلوطى، الذى تألق اسمه فى سجلات التاريخ الإسلامى فى الأندلس، فسجل مواقفه المشهودة بين الخطباء والقضاة والوعاظ.

كان الخليفة الأندلسى عبد الرحمن الناصر مولعا بفن العمارة والزخرفة، فبنى الزهراء، وأفرغ الجهد فى تزيينها وإبداعها، وأقام قصورها الشماء على أحسن طراز، حتى شغله ذلك عن حضور الجمعة فى المسجد الجامع ثلاث مرات متعاقبات، فأراد القاضى المنذر بن سعيد أن يلقى الموعظة الزاجرة.. وانتهز حضور الخليفة للصلاة فى جمعة حافلة، وبدأ خطبته بقول الله تعالى:

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ
آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾
وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾
وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾
وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[٢]

ثم أتبع ذلك بكلام قاس، ينهى عن الإسراف والتبذير.. حتى بكى الخليفة وندم، ثم قال لولى عهده ونجله الحكم: لقد أسرف المنذر فى ترويعى وإزعاجى، والله لا أصلى خلفه الجمعة أبدا، فقال له ولى العهد: وما الذى يمنعك من عزله وإيقافه؟ فرجع الناصر إلى إيمانه ويقينه وقال: ويلك، أمثل ابن سعيد فى ورعه وعلمه وفضله، يعزل فى إرضاء نفس ناكبة عن الرشاد، سالكة غير القصد؟ هذا ما لا يكون، وإنى لأستحى من الله - عز وجل - ألا أجعل بينى وبينه شفيعا يوم القيامة مثل المنذر بن سعيد.

رحم الله المنذر بن سعيد الذى نطق بالحق، فوعظ الخليفة وأرشده إلى الصواب ورحم الله الخليفة عبد الرحمن الناصر، الذى استمع إلى النصيحة وتقبلها بهدوء وإذعان بعد أن سكتت عنه ثورة الغضب، وأرضى الله - عز وجل - فى واعظه ومرشده، فزاد فى عيون المنصفين قدرا ومقاما.

«يتبع»

***

(٢) الشعراء: ١٢٨ - ١٣٥.

من أعلام الدعاة

مُحَمَّد الطَّاهِر الحَامِدى (*)

مشاعل من فكره

بقلم: أحمد مصطفى حافظ

تمهيد:

لأول مرة - بعد حصيلة مشاهدات سبعينيات العمر - أجد قول (حفنى ناصف) - عن حظ أبناء العلماء - لا ينطبق على أبناء الإمام الشيخ محمد أحمد الطاهر الحامدى، وذلك فى بيت حفنى ناصف المأثور، الذى يقول فيه:

إذا ورث الجهلاء أبناءهم غنى
وجاها.. فما أشقى بنى العلماء

فقد ورث الشيخ الحامدى، رحمه الله، أبناءه، ما هو أغلى من المال والغنى.. وأغنى بذلك ميراثهم من ثروة تعليمه وتهذيبه، بعد أن بث فيهم حب الخير والحق والكمال، مما جعلهم، من بعده، فى مصاف العلماء والفقهاء بدورهم، أضف إلى ذلك برهم ووفائهم لوالدهم، بطريقة علمية وعملية، حينما ثابروا على نشر وتقديم ما لم يسبق نشره من آثاره القلمية بعد.. وصدق الله - تعالى - فى قوله عز وجل فى أمثالهم:

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾[١].

وقد قام الشيخان محمد محمد أحمد الطاهر، والطاهر محمد أحمد الطاهر، سويًا، بنشر وتقديم كتاب والدهما: (مرشد الأنام - لما يلزمهم معرفته من الأحكام) كما انفرد ثانيهما: الشيخ الطاهر محمد الطاهر، بتقديم وكتابة

(*) لا أدرى لماذا تحرج الأستاذ الطاهر الحامدى من نشر هذه الكلمة وآثر أن يطويها قائلا: رحم الله امرأ جب الغيبة عن نفسه، وذلك لمكانه فى مجلة الأزهر وقد رأيت أن أخالفه فى ذلك لأن بنوته لوالده الحبيب لا يجب أن تكون سببا فى حجب حق يجب أن يقال، لذلك أنشرها مستريحا مقتنعا بما فيها من معان، وبما يجب لهذه الشخصية من اعتراف بالحق الصريح. (د. محمد رجب البيومى)

(١) الكهف: (٨٢).

حواشي الكتاب الآخر، الذي يحمل عنوان: (حُجِّيةُ السُّنَّة) المسمى بـ (النفحات الشذية، فيما يتعلق بالعصمة والسُّنَّة النبوية)، وأوضح أن هذا الكتاب، سبق أن تقدم به والده، لنيل درجة التخصص في أصول الفقه، من كلية الشريعة، عام ١٣٥٣ هـ/ ١٩٣٤م، وظلت نسخته مخطوطة، إلى أن أذنَ الله أن تُطبع.

***

وبعد هذا التمهيد الذي لابد منه، لإنارة جوانب البحث، وتصوير مَعانِي القُدْوة الحسنة، في برِّ الأبناء للآباء، والوفاء لذكراهم الطَّيِّبة.. نخلص إلى الحديث عن الإمام الشيخ محمد الطاهر الحامدي، وهو في أكرم جوار.. وإنَّ له من مَدلُول اسمه أوْفَى نصيب، فهو في طليعة العارفين الأطهار، الذي قُلْت في أحدهم[٢]، مناجيا له بعد رحيله:

عَبَرْتَ فيمن إلى الفردوس قد عبروا
ولستَ تُحسب فيمن، في الثَّرى، قُبِرُوا
إنْ يُودع الجسمُ في أغوار مقبرة
فكم كنوز.. بجوفِ الأرض تستتر
والنُّبل والطُّهر إذْ حفَّا بجوهره
يظل نفحُ التُّقى.. في الرَّمْس.. ينتشر
.. لكم بذرتَ بذور الخير، مُذكِراً
يومَ الرحيل.. فطاب الغرسُ والثمر

***

والشيخ الحامدي من الرجال الذين صَدَقُوا؛ مصداقا لقوله سبحانه وتعالى:

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾[٣]

ومن ثم، انقدحت الأنوار والإشراقات له، طوال رحلة عمره، منذ نشأته في بيئة صوفية نقيَّة، كان لها أكبر الأثر في تكوينه.. فوالده الشيخ أحمد الطاهر الحامدي (١٢٥٧ هـ - ١٣٣١ هـ) يُعَدُّ أحد المحققين الثقات في علوم الشريعة، وعلوم الحقيقة، في وقت معا؛ وخاصة بعد عُزوفه عن تولِّي المناصب الحكومية، وغير الحكوميَّة، بعد دراسته المستفيضة بالأزهر الشريف، وتعمُّقه في دراسة الفقه، ثم عودته إلى بلده، تلبية لرغبة والده الشيخ عوض الله بن عبدالقادر - وكان من أعلام العلماء العاملين - وجلس الابن الصالح التقيُّ، لنشر العلم بين الناس، حسبة لله - تعالى - ونفعاً للمسلمين، في شتى أنحاء الصعيد[٤].

(٢) الشيخ محمد الصادق عرجون، رحمه الله. انظر عدد مجلة (منبر الإسلام) الصادر في جمادى الآخرة سنة ١٤٢٣ هـ - أغسطس سنة ٢٠٠٢م.

(٣) الأحزاب (٢٣).

(٤) انظر مقال الأستاذ المستشار محمد عزت الطهطاوي عنه تحت عنوان (من أعلام الأزهر) بعدد مجلة الأزهر الصادر في رجب سنة ١٤١٠ هـ فبراير سنة ١٩٩٠م.

انظر (الإنسان.. والإسلام) طبعة القاهرة سنة ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠م ص ٤ وما بعدها.

وهكذا، أُتيح للشيخ محمد الطاهر الحامدي، أن يَعُبَّ من هذا النَّبع الثَّرِّ، والفيض المتدفق، من تراث والده وجده حيث كان جده يلقب بمفتي الحامدية، وكان لهذا كله أثر عميق في تكوين شخصيته، ونُضُوج عقليته، في وقت مبكر من العمر.. أضفْ إلى ذلك حفظه للقرآن الكريم في الصِّغَر، ثم التحاقه، فيما بعد، بالأزهر الشريف عام ١٩١٦م، حتى حصوله على درجة التخصص، برسالة (النفحات الشذيَّة)، التي سبقت الإشارة إليها.

وأصدر، بعد ذلك، المؤلفات القيمة الآتية:

١ - أساس السعادة في الدارين.

٢ - الإنسان في الإسلام.

٣ - أنوار التحقيق في تأمين أوراد الطريق.

٤ - مرشد الأنام لما يلزمهم معرفته من الأحكام.

٥ - ترجمة حياة والده الشيخ أحمد الطاهر الحامدي.

٦ - القصيدة النبوية.

ولم يطبع بعد كتابه الذي يحمل عنوان: (قصة المولد النبوي) ولم يطبع أيضا ديوانٌ شعرٍ له، مازال مخطوطا.. وعسى أن يتمكن أبناؤه الأوفياء، من الدأب على طبع هذا الديوان، وكذلك (قصة المولد النبوي)، إتماما للفائدة، وتعميقا للبحث والدراسة، حول أدبه وعلمه، وبخاصة لطُلَّاب الدراسات العليا والأُطْرُوحات العلمية.

الإنسان.. والإسلام

لعل هذا الكتاب هو خير مدخل، للتعرف على أبعاد شخصية هذا الرجل المؤمن الكبير القلب، الذي لم يكن يُرسِل القول على عواهنه، بل كان يعبر عن معانٍ سامية، يزخر بها وجدانه، بتدفق وحيوية.. فهي لم تكن فكرا مُجرَّدا فحسب، أو سردا لفظيا ليس غير.. ومن ثم فقد حفل هذا الكتاب بالعبارات البليغة، والديباجة القوية، التي تُظهر نُبْلَ أفكاره وسموَّها.

ويحدثنا في مستهل كتابه هذا عن (رسالة الإنسان في الحياة).. فهو - أي الإنسان - مخلوق للعمل والسعي، لا للراحة والسكون.. وأنه خُلق من عنصرين مختلفين، وهما: البدن والروح.. ولكل منهما مطالب ولوازم تخُصه.. وله - أي الإنسان - حياتان:

١ - هذه الحياة الدنيا، التي فيها نشأ، ومنها بدأ.

٢ - والحياة الآخرة، التي إليها مَعَاده، وفيها مُسْتقره[٥].

وبهذا الفهم الواعي المستنير، والعبارة السلسة المنطقية، كان منهج حياة الشيخ الحامدي، وهو يراقب الله - عز وجل - في أقواله وأفعاله، في ضوء الآية القرآنية الشريفة:

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[٦].

ومن ثم، كان، في سيرته العطرة، من الرجال

(٥) انظر الإنسان والإسلام، طبعة القاهرة ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠م ص ٤ وما بعد.

(٦) ق (١٨).

المصابيح، الذين أضاءوا الطريق لأنفسهم، وللسالكين، إلى طريق الحق -عز وجل- وكأنه -رحمه الله، كان ينظر إلى قول (الرافعي): - ليس لمصباح الطريق أن يقول: (إن الطريق مظلم).. وإنما قوله - إذا أراد كلاما -: هاأنذا مضيء.

وهكذا يمضي الشيخ الحامدي، في كتابه، مُتأبطاً ساعدَ قارئه، ليقوده إلى سبيل ربه، بالحكمة والموعظة الحسنة .. مُحذرًا قارئه، أن يكون من الذين:

﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾[7].

وكيف لا؟ وهم قد شُغلوا بالأكوان، عن مُكوّن الأكوان، وآثروا ما يفنى، على ما يبقى..

عرفوا علم الأبدان، وجهلوا علم الأديان.

وبرعوا في تدبير الحيل، لاقتناص الشهوات، وأعيتهم الحيلُ، التي يروّضون بها أنفسهم، حتى تستقيم على الأمر والنهي، بل وصل العجز والإعياء ببعض الناس، إلى حدّ أنهم لم يعرفوا طريق الإيمان بالله -تعالى- خالقهم ورازقهم:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾[8]

ثم يتساءل الداعية الحامدي، قائلا:

ما هذا الانتكاس؟[9] ثم يستتلي موضحا الأمر، بقوله:

- إن البشرية ارتقت في الصناعات، وتفنَّنت في المخترعات، وتقدمت في العلوم والفنون، في البر والبحر، وفي السلم والحرب.. استغلَّت الأرض، وراحت تسبح في الفضاء.. وكل يوم تطلع علينا من فُنُها بالأعاجيب.. دخلت مخترعاتها في كل شئون الحياة، مما يبعث الدهشة ويثير العجب.. بل غزت عالم الإنسان نفسه، وتفوَّق الطب، ونبغ فيه عباقرة وعلماء.

عرفوا الأجهزة التي يحويها الإنسان في جسمه، وفائدتها وخصائصها، وما يُصلحها وما يضُرُّها بحثوا في أعضائه: أذنيه وفي عينيه، بحثوا في أحشائه وباطنه.. بحثوا فيه.. من رأسه إلى قدميه.. عرفوا جهاز التنفس وفائدته، والجهاز الهضمي وخاصيته.. وأوعية الدم والشرايين، عرفوا ذلك، وأتقنوه في حذق وبراعة[10].. إلى أن يستطرد مُعقبًا على كافة ما تقدم، بقوله: «ولكن أكثرهم، على كثرة ما عرفوا.. سَفِهُوا أنفسهم، وجهلوا - وباللأسف - عن بواطنهم: النَّفسَ شيء وأغلاه، جهلوا (الروح)، والأسرار والقُوى التي اختُصَّ بها الإنسان، وامتاز بها عن سائر الكائنات.

نظَّموا جهاز البدن، وعطَّلوا جهاز الروح..» وينتهي بعد ذلك، إلى القول الفصل، والنتيجة التي يتوخَّاها بعد كافة ما ذكره، بقوله: «ولو عرفوا أنفسهم، لعرفوا شيئا كثيرا، لعرفوا حقيقة الحقائق، واهتدوا إلى الله واجب الوجود[11]».

(7) الروم (7).

(9) المصدر السابق ص٥، من مقدمة الكتاب.

(8) البقرة (13).

(10) و(11) المصدر السابق ص ٦.

وهكذا، يتحدث إلينا رحمه الله، بيُسر وشفافية، بما يزخر به فكره من علم ومعرفة، بغزيانه بالإفاضة بما أفاء الله عليه، من طول تأمُّل وتبصُّر لحقائق الأشياء، وأسرار الوجود.. ويُورِدُ لنا قول بعض العارفين: «من صدق في طلب الله -تعالى- آتاه الله في يده مرآة يرى فيها عجائب الدنيا والآخرة» ويُعقِّب شيخنا على ذلك، بقوله: «لا تحسبن أن هذه المرآة بعيدة منك، أجنبية عنك.. إنها نفسك التي بين جنبيْك، هي روحك السارية في بدنك، وعقلك الشاهد للغيوب.. أنت مملكة بديعة، ومخلوق عجيب[12]..»:

دواؤك فيك وما تُبصر

وداؤك منك وما تشعر؟

وتزعم أنك جُرْمٌ صغير

وفيك انطوى العالم الأكبر..

وهكذا يتدفق، رحمه الله، في الكشف والبيان، للدقائق والرقائق، وكأنه أنيس الجليس، الذي يُعطِّر الآفاق بإشراقاته..

وفي خواتيم مقدمته للكتاب، يقول: إن الدافع له على تأليف هذا الكتاب، يرجع إلى أنه يريد أن يُعرِّف الإنسان بنفسه، ويرشده إلى فطرته، وما فيه من عجائب وأسرار، ويبرهن له، عن طريق هذه الفطرة، على صحة الدين وضرورته.. فما كان الإسلام إلا ثوبا مُفصَّلا على الإنسان، غير ضَيِّق مُجْحِف، ولا واسع فَضْفاض.. عرَف خصائصه، واستثمر قُواه لايَمَ فطرته، وانسجم مع طبْعه، وسار معه في طريق واحد، يلتقيان ولا يبغيان.. فهو دين قيِّم، لمخلوق عظيم.. أراد الله أن يرشد الناس بعد غيّ، وأن يهديهم بعد ضلال.. وشاء أن يصلهم به، ويسمو بهم إلى حضرته، فبعث إليهم أعظم رسول، بأكمل دين[13].

***

وينقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام، يتحدث في القسم الأول منه، عن (الإنسان وخصائصه)، وفي القسم الثاني يتحدث عن (الدين القيِّم) وأما القسم الثالث فيتحدث فيه عن (التصوف).

ونظرا لغزارة مادة الكتاب، التي تحتاج إلى دراسة مستفيضة مُتعمِّقة، فإننا نرجو أن يتصدى لها بعض شباب الباحثين بالدراسات الإسلامية العليا، ليوفِّيها حقها من البحث والاستقراء وإمعان النظر في أطروحته عنها.. وحسبنا أن نقتصر اليوم على استصفاء واستخلاص بعض لآلئ، مواضيع القسم الأول من الكتاب، التي يستوقفنا منها قوله تحت عنوان: (معرفة الله تعالى)، إنها هي غاية الغايات، وأهم المقاصد، والعلوم كلها لها خدم، وهي الحرة المصدوقة[14]..»

ونحن.. منذ نعومة أظفارنا، يلقِّننا مُعلمونا مبادئ الدين الحنيف، والخُلق الكريم.. أمَّا معرفة الله -عز وجل- فنجدها فطرية فينا، مركوزة في حنايانا، منذ إدراكنا للوجود من حولنا.. لا نتعلَّمها من أحد، أثناء إخلادنا في وحدتنا،

(12) المصدر السابق ص ٧.

(14) المصدر السابق ص ١٠٤.

(13) المصدر السابق ص ٨.

متفكّرين فى عظمة كُلِّيّ القدرة، باعتباره جل شأنه: الكمال المطلق، الذى لا حدَّ له.. وكأنى بالقلم، بين أناملى، يسجد على الورق، مُسَبّحاً بحمْد مَنْ أقسم به، وصريرُه بمثابة الضراعة.. وأنا أُكلفُه فوق ما يطيق.. فهيهات هيهات أن تفى بالحديث - فى هذه المعانى السَّرِيَّة القدسية - أسلاتُ الأقلام؛ ولو كان البحر مدادا لها.. لنَفِد، ولو كانت الخيطات لها مددا يتلوه المدد، فسبحان الواحد الأحد، من الأزل، وإلى الأبد..

وحسبنا قوله تعالى فى محكم آياته:

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[15].

وقوله عز من قائل:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾[16].

وكم تتملّى قول شيخنا الحامدى، فى الابتهال إلى خالقه: (الكتب التى أنزلتها بحكمتك، والرسل الذين أرْسلتهم لدعوة خَلْقك إليك، قد بلّغوا الرسالة وأدَّوا الأمانة، وأسْمعتْ كلماتهم من به صَمَم.. والآيات التى بثثتها فى الآفاق وفى الأنفس، يراها كل ذى عينين.. وقد وهبْتَ العقول، وسهّلْتَ السبيل، ويسْرت القرآن للذكر[17]..»

ويقول في موضوع آخر، اختار له عنوان: (تعيش العقول): -

«قيل لابن المبارك: لِمَ كثرت الأحاديث الموضوعة؟

فقال: - تعيش لها الجهابذة (أى ليتصدّى لها نُقّاد الحديث وحُذّاقه) ونحن - والكلام لشيخنا الجليل الحامدى - رحمه الله - تستعير هذه الكلمة منه، ونقول: - تعيش العقول التى جعلها الله - تعالى - الوسيلة إلى معرفته، والسبب الذى يُتوصَّل به إلى تصديق رسله - عليهم الصلاة والسلام..»[18] إلى أن يقول:

- بالعقل عرفنا أن القرآن لا يقوله بشر، وليس حديثا مفترى، وإنما هو كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على قلب محمد ﷺ، تذكرة وتبْصرة لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد.

وبعد: فقد طال بنا نَفَس القول، ولانزال على (ساحل) هذا الكتاب القيم.. فما بالنا حينما نتغلغل إلى أغوار لُجَجه وأثباجه؟!، وخاصة فى قسم الكتاب الثانى: (الدين القيم)، وقسمه الثالث: (التصوف)؟ وكل منهما بحاجة إلى اعتصار الفكر وتدبر الأمر والفهم، بتريث ودأب، فى موضوعاتهما؟.

نسأل الله - سبحانه وتعالى - أن ينفعنا جميعا بعلم وعرفان شيخنا وأستاذنا: الداعية الإسلامى الجليل، محمد أحمد الطاهر الحامدى؛ كما نسأله - عز وجل - أن يُسكنه فسيح جناته.. وبالله التوفيق.

---

(15) سورة آل عمران الآية 18.

(16) سورة فصلت الآية 53.

(17) المصدر السابق ص 104.

(18) المصدر السابق ص 55، 56.

علم الإنسان ما لم يعلم

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

تعليم الله للإنسان أمر لا جدال فيه وحقيقة لا ينكرها إلا كل مارق متمرد. فليست للحواس الإنسانية المعروفة كافية بذاتها ما لم يكن صاحبها ذا بصيرة نيرة وعقل متفهم وقلب عَقُول. هذا هو الدرس الذى ينبغى أن يكون الإنسان قد تعلمه وفهمه واستنتجه من قوله تعالى:

﴿ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[1].

إنها النظرية الإيمانية التى يرفع لواءها أهل اليقين فتتهاوى أمام شمسها الساطعة كل ترهات الماديين وسفسطات الملحدين الفارغة وأكاذيبهم التى لا تعدو أن تكون طبلا أجوف. فأنت حينما تسمع أحدهم يقول مثلا: «إن الإنسان استكشف الكون المحيط به مزودا بحواسه الخمس فقط» وسمى هذه المغامرة علما تحس للتو أنه يخبط خبط عشواء وبخاصة حينما تعلم أنه العالم «هابل» صاحب المرصد المعروف فهل فات ذلك العالم أن عين الإنسان ليست إلا جهازا ذا قدرة محدودة وأن مداها فى الرؤيا لا يتجاوز أمتارا معدودة ما لم تكن زرقاء اليمامة التى أوتيت قدرات بصرية خارقة ومع هذا فإن الإنسان بما فتح الله له من أبواب العلم الواسعة ومجالاته المتعددة وما وهبه من البصيرة النافذة استطاع أن يحقق الكثير والكثير، ولولا ما استحدث من آلات تساعد حاسة البصر لما كان لعلم الفلك أن يولد ويتطور.

وحتى يكون الكلام أكثر وقعا والحقيقة أشد وضوحا دعنى أحيلك إلى طائر الوطواط، فذلك المخلوق مهما أوتى من قدرات فإنه غير مستفيد أى شىء البتة لعدم تمتعه بحدة البصيرة والفطنة والذكاء التى اختص الله جل فى علاه الإنسان بالنصيب الأوفر منها فقدرة الإنسان على تجميع الخبرات وتكثيف إمكانية استفادته منها فى إماطة اللثام عما يحيط به من حقائق وألغاز هى التى تميزه عن غيره من الكائنات وتجعل من حواسه المجردة حواسا ذات قدرات مذهلة وإضافات مبهرة وما قيل عن العينين يمكن أن يقال عن الأذنين فالأذن لها من القدرة على

---

(1) العلق 5.

استماع الأصوات القوية الشديدة الإزعاج كصوت إنطلاق مركبات الفضاء وما تحدثه من فرقعات تكاد تصم الآذان وكذلك للأذنين القدرة على تمييز الأصوات الحقيقة كطنين البعوض ولو كان على بعد ما من رأس الإنسان أما حاسة اللمس فحدث عنها ولا حرج يكفى أن نقول إن الله عز وجل مكن فاقدى البصر من القراءة بأطراف أناملهم الأمر الذى يقابله الكثيرون بالعجب والدهشة إذ لا يكاد أحدهم يجد له تفسيرا علميا حتى الآن إلا أن يكون فضل الله ورحمته لهؤلاء المساكين. وكذا حاسة الشم والتذوق التى لا يقدر الإنسان أهميتها الجوهرية إلا حينما يلازم الفراش إثر نوبة برد طالت أو قصرت.

ولن أحدثك فى هذا الصدد فى مهاويس المأكولات الحريفة وأضدادهم من الذين يرفضون مثل تلك الأطعمة ولو احتوت جزءا يسيرا من المواد الحريفة فسبحان الذى خلق فسوى وقدر فهدى وقال ممتنا على بنى الإنسان.

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾(٢).

وهكذا لم تتخل قدرة الله على الإنسان وما قابل سبحانه جحود الجاحدين إلا بزيادة النعم وتوالى الآلاء تفضلا وتكرما وتعليما على خلقه وفضله وآثره على من سواه بالمن الجسام.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾(٣).

وما لم يكن ذلك واضحا معاشا وحقيقة ملموسة فاجبنى بربك ماذا كان بمقدور الإنسان أن يفعل فيما يقع وراء حواسه المجردة لولا فضل الله عليه ورحمته به وتمكينه من إعمال عقله واستثمار جهده فى تسخير الكون لمصلحته؟! وقد يتباها البعض بامتلاكه ما يسمى «الحاسة السادسة» التى تمكنه من التنبؤ أو رؤية ما لا يراه الآخرون لكن أن يزعم كثير من الناس امتلاكها فهذا لعب بالعقول. خذ مثلا الكهنة والعرافين وأصحاب نظريات التخاطر والسحرة والمشعوذين وفوق هؤلاء وأولئك إن كل تلك الطوائف المغرقة فى الكذب والتدليس والمقتحمة لمناطق غير ممكنة ومحظورة تلعب بنار لن تحرق أحدا غيرهم فهم يفتنون الجمهرة الغفيرة من العوام ويستدرون بخداعهم إعجاب البسطاء فى أمور لا علاقة لها بالحقيقة من قريب أو بعيد ويظل هؤلاء سادرين فى غيهم منساقين بما يحصلون عليه من أموال هى سحت وحرام تمكنهم من نشر الأضاليل فى كتب تتداول بين الناس وبرامج مرئية ومسموعة يتابعها الملايين ناسين أو متجاهلين قول رسول الله ﷺ «من أتى كاهنا أو عرافا فسأله فصدقه بما قال فقد كفر بما أنزل على محمد».

---

(٢) البلد ٨: ١٠.

(٣) الإسراء ٧٠.

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم

عادل رفاعى خفاجة

الصمود العراقى العظيم

بينما كنا نتابع أخبار الحرب فى العراق الشقيق ونتمنى أن نسمع مبادرة لوقف الحرب نقل لنا التليفزيون بثاً مباشرا للقصف الجوى الأمريكى على بغداد.

شىء محزن حقا أن يسام الأبرياء هذا العذاب بحجة تخليصهم من حاكم مستبد!!.

ويستمر البث التليفزيونى ينقل صورة ما يحدثه التفوق العسكرى الأمريكى الظالم من دمار واستطعنا أن نميز من بين أصوات الانفجارات وآلات تنبيه سيارات الإسعاف استطعنا أن نميز صوتاً آخر.. هو صوت الأمل القادم من بين ظلمات الجهل الأمريكى..

كان ذلك صوت الأذان.. وظللنا نتابع القصف ونتابع الآيات القرآنية التى تنضح كلما خفَّ صوت القصف الأمريكى الجهول.

ظللنا نتابع ولا نملك إلا الدعاء أن يوقف الله هذا الموت والخراب الذى تصبه أمريكا على رؤوس المؤمنين العراقيين صباً.

ولم يمض من الوقت الكثير حتى سمعنا أذان الصلاة فى القاهرة وعندها اجتاحنى شعور كبير أن المسألة مجرد فروق توقيت وكأنى أسمع بوش وأعوانه يقولون: «حان الآن ضرب العراق وعلى السادة المقيمين خارجها مراعاة فروق التوقيت». وهى فروق تفرضها مصلحة أمريكا والظروف الدولية المحيطة.

نعم.. إن صمود الشعب العراقى صمود عظيم.. والسؤال: هل من الواجب علينا أن نصمد معاً؟! أم نصمد شعباً يتلوه شعب؟!.

إن من الواجب علينا أن نساند إخواننا فى العراق، فالعراق قبل كل شيء قوة إسلامية وبفقدها نفقد الكثير!!.

إن ما يحدث بالعراق شيء بشع لا نملك معه إلا أن نقول: «اللهم لطفك.. فهؤلاء شيوخ ركع وأطفال رضع تلقى عليهم أمريكا القنابل زنة ٢١٥٠٠ رطل أو ما تسميها القوة المعتدية «أم القنابل»، ومع ذلك يؤكد ولفويتز نائب وزير الدفاع الأمريكى أن الحرب ستكون من أجل الشعب العراقى فهل يتفق هذا مع وقف برنامج النفط مقابل الغذاء! وهل يتفق هذا مع استخدام أمريكا للقنابل العنقودية المحرمة دولياً؟!.

نختتم هذا الحديث بكلمة سريعة نوجهها إلى من يدعُون أنهم حماة الحرية ويتشدقون بحقوق الإنسان.

نقول: حينما قرر النبى ﷺ فتح مكة جعل من ينادى فى الناس:

«... من دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق عليه داره فهو آمن..» فأرسى بذلك مبدءاً هاماً حقيق بنا أن نقدمه لدعاة الحضارة.

(فالأمان أثناء الحرب مكفول لكل مدنى ليس له دخل بالمعركة، والأمان أيضا مكفول لكل من ابتعد عن ميدان القتال ولم يتعرض للجنود. فتكون الحرب بين من يريدونها فقط!) أما فى الحروب الشرسة التى نراها هذه الأيام فإنما تبدأ القوات بإلقاء عدة آلاف من القنابل والصواريخ، ليحدث ما يسمى «بالصدمة والرعب» فيموت من الشيوخ والأطفال والنساء من يموت، وتهتز الإرادة لدى المقاتلين فإما أن يتحقق لهم ما يريدون وإما العودة مرة أخرى للصدمة والرعب فهل يليق أن تصدر مثل هذه الأفعال من الدولة الكبرى الوحيدة فى هذا العالم؟! وأين هذا مما سمعناه عن القنابل الذكية..!!

«اللهم مددك.. اللهم رحمتك بأطفال ونساء وشيوخ العراق فلا رب سواك».

عادل خفاجة

وإلى رسائل القراء.. ←

فى هذه الآونة المشحونة بغضب شعبى جارف.. أخرج القراء زفرات ألمهم فى كلمات ملتهبة محاولين التعبير عن مأساة الشعب العراقى والأمة الإسلامية بأسرها ونكتفى هنا بقصيدة للطالب أحمد حمدى والى صاحب الحس الوطنى الصادق داعين له بالتوفيق نتبعها ببعض أبيات من قصيدة للمهندس حسن أبو الغيط ونشكره على حسن ظنه، ونعد بنشر ما تسمح به الظروف فى المستقبل القريب بإذن الله تعالى.

ونختتم بجانب من قصيدة للأستاذ/ محمد السنباطى.

إلى شباب الأمة

(للطالب النابه أحمد حمدى والى بمدرسة الهدى والنور بالمنصورة)

انفر فقد طال الرقود ... حطم هوانك والقيود
وارفع بكفك مدفعاً ... يأبى التقاعس والقعود
واصنع لدينك عزة ... تعلو وتخفق فى الوجود
وتمزق الكفر اللعين ... وتستحث خطا الخلود
مزق سلامك والعقود ... فلقد تصرمت العقود
خمسون عاما والبلاد ... تئن من دنس اليهود
ومساجد الإسلام تبـ ... ـكى حسرة زمن الصمود
ماذا جنينا من عهود الضـ ... ـيم تعبث بالأسود
وتوزع الحسرات بر ... كاناً يثور بلا خمود
وقضيتى أنى أريـ ... ـد الحق معراج الصعود
وأريد جنداً يسحقو ... ن بعزمهم كل السدود
لا يقتدون بمجرم ... من آل عاد أو ثمود
وأريد أوطان العرو ... بة ثورة تأبى الركود
وتجدد الإسلام فى دنيا ... التآمر والجحود
فهناك أعلن صرختى الشـ ... ـماء تهزأ بالرعود
من رام غير شريعتى ... أو رام تعطيل الحدود
فهو السبيل لسطوتى ... ولنار غضبتى الوقود

الدور جاء على العراق

للمهندس / حسن أبو الغيط - المنوفية - شبين الكوم

عار علينا لا يطاق   إن أسقطوا منا العراق
عار يظل على المدى   يشقى ويشقى بالشقاق
بتباعد وتفرق   لا بالتقارب والوفاق
لا تتركوا إخوانكم   كونوا يداً لهم وساق
لا تتركوهم للعدا   كي يأكلوهم في سباق

ما ذنبُ أطفال العراق؟!

للأستاذ / محمد محمد السنباطي - مدير عام بإدارة شبراخيت التعليمية

ما ذنبُ أطفال العراق؟!   حتى نرى دمَهُم يراقْ
حتى نرى أحلامهم   تذوى وقد ضاق الخناق
ما ذنب أزهار الحدائق   تلكَ. فى هذا السياق
يا سائرين إلى الحروب   مصممين على الشقاق
تلوون أعناق الحقيقة   قولكم محضُ اختلاق
وكأنكم إذ تقصدون   الحرب تبغون ارتزاق
قال العراق لكم: تعالوا   لم يمانع فى اختراق
حتى القصور المحكمات   فلم يغب عنكم رواق
يارب إنك أنت مطلعٌ   ومقتدر وباق
فارفق بأطفال العراق   ارفق بأطفال العراق

وفاة الشيخ عبدالعزيز حربى

القارىء عبدالعزيز فرج عزو - الموظف بوزارة التجارة الخارجية بالقاهرة يرسل هذه الكلمة - وفاء للشيخ عبدالعزيز حربى ونحن بدورنا نسأل الله له الرحمة فكم أمتعنا بتلاوته. يقول الأستاذ عبدالعزيز عزو:

لقد رحل عن دنيانا الشيخ الجليل / عبدالعزيز حربى صاحب الصوت الخاشع هذا الشيخ المبارك الذى أحزننا فراقه المفاجىء فلم يكن فراقا عاديا يفترق فيه الحبيب عن حبيبه إنه وداع يودع فيه الدنيا كلها بما فيها من أهل وولد وأصدقاء إنها لحظات أخيرة هى أقسى لحظات الحياة وهى لحظة فراق شيخنا ونحن فى أمس الحاجة إلى تلاوته للقرآن الكريم، فلقد كان رحمه الله واسع الصدر، حريصا على تلاوة القرآن الكريم إلى آخر حياته، وكان حليما مربيا عالما بالأحكام نحسبه كذلك ولا نزكى على الله احداً.

وُلد الشيخ عبدالعزيز حربى بحى عين شمس بالقاهرة يوم ٢ / ١١ / ١٩٢٠م وتعلم القرآن على يد الشيخ محمد عزو معلم القرآن بعين شمس وقت ذاك، وبعد ذلك انتقل إلى الشيخ محمود معروف معلم التجويد والقراءات السبع، ثم بعد ذلك على يد الشيخ محمد قاسمْ موسى بضاحية المطرية، وكان الشيخ حسن شيخ مقرئة الإمام الحسين - رضى الله عنه - يقابله أسبوعيا لمدارسة القرآن الكريم.

وفى عام ١٩٣٩م تقدم بطلب للإذاعة المصرية ونجح فى الاختبار مع الشيخ شعيشع.



وفى سنة ١٩٧٥ سافر إلى السعودية وقرأ بالحرم المكى، وقد نال صوته إعجاب الكثيرين ونال جائزة من عاهل المملكة العربية السعودية.

وكان من أحب القرائين إلى الشيخ عبدالعزيز حربى الشيوخ محمد رفعت ومصطفى إسماعيل، وطه الفشنى وعبدالعظيم زاهر وكامل البهتيمى ومحمود خليل الحصرى ومحمود على البنا والطبلاوى والمنشاوى ومحمد جبريل.

توفى الشيخ عبدالعزيز حربى يوم الخميس ١٩ من ذى الحجة ١٤٢٣ هـ الموافق ٢٠ / ٢ / ٢٠٠٣ وصلى عليه صلاة الجنازة نفرٌ من كبار علماء الأزهر والأوقاف وجمع من المسلمين بمسجد محمد آغا بزهراء عين شمس ودفن بمقابر الأسرة بزهراء عين شمس بالقاهرة نسأل الله أن يتغمده برحمته ويحسن لنا الخاتمة ولجميع أحبائنا ولجميع المسلمين.

وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

شكر وتقدير

أرسل سيادة اللواء عبدالجليل الفخرانى / قائد الجيش الثانى الميدانى برقيات تهنئة لكل من:

أ. د. محمد رجب البيومى رئيس التحرير وفضيلة الشيخ الطاهر الحامدى نائب رئيس التحرير هذا نصها: «أجمل التهانى وخالص الأمنيات بمناسبة العيد الـ ٧٥ لمجلة الأزهر داعين الله أن يعيده عليكم وعلى الأمة الإسلامية بالخير واليمن والبركات.

والمجلة تتقدم بخالص التقدير لسيادته على تهنئة الرقيقة شاكرة له عاطفته الدينية النبيلة وتتمنى لسيادته ولجميع رجال جيشنا الباسل دوام التوفيق.

(أسرة التحرير)

■ مسابقة إسلامية ■

إلى الأستاذ محمد عباس الذى أرسل عتابا حول عدم نشر إخطارات عن المسابقات التى يعلن عنها بالقاهرة، وبالتالى لا تتاح فرصة المشاركة لأبناء الوطن من خارج العاصمة. يسعدنا نشر هذا الإخطار ونتمنى لك ولجميع الإخوة خارج العاصمة التوفيق فنحيطكم علما بأن اللجنة المشكلة بموجب حجة وقف المستشار الدكتور محمد شوقى الفنجرى لصالح جائزة خدمة الدعوة والفقه الإسلامى، قد قررت لمسابقة عام ٢٠٠٤ ما يلى:

أولا: تخصيص مبلغ (ثلاثون ألف جنيه) جوائز أصلية لأحسن البحوث فى أحد الموضوعات التالية:

(١) الخطاب الدينى الإسلامى والتيارات الثقافية المعاصرة.

(٢) صيانة الإسلام للنفس الإنسانية.

وذلك بحد أدنى قدره (ألفى جنيه) لكل فائز.

ثانيا: تخصيص مبلغ (عشرون ألف جنيه) جوائز تشجيعية للبحوث الجيدة غير الفائزة بالجوائز الأصلية فى أحد الموضوعين سالفى الذكر، وذلك فى حدود مبلغ (ألف جنيه) لكل فائز.

ويقدم البحث بموجب إيصال فى ميعاد غايته ٣١ مارس عام ٢٠٠٤، إلى مكتب ناظر الوقف الأستاذ المستشار رئيس هيئة قضايا الدولة بالدور العاشر بمجمع التحرير بالقاهرة، وذلك من عدد ٣ ثلاث نسخ بما لا يقل عن مائة صفحة ولا يتجاوز مائتين، مع ملخص له من عدد ٣ ثلاث نسخ بما لا يقل عن عشرة صفحات ولا يتجاوز عشرين صفحة.

ويشترط فى البحث أن يكون معدا للمسابقة ولم يسبق نشره أو تقديمه لأية جهة أخرى، وأن يكون متميزا ويتضمن إضافات واجتهادات جديدة تنفع الإسلام والمسلمين، وألا يكون صاحبه قد سبق له الحصول على جائزة أصلية فى المسابقة خلال ثلاث سنوات سابقة لإتاحة الفرصة لغيره. وللجنة شئون الوقف طبع أى بحث فائز متى قدرت ذلك دون أى حق قبلها ودون الرجوع إلى صاحب البحث.

ويقام حفل توزيع الجوائز كالمعتاد بالنادى النهرى لهيئة الدولة بشارع أبوالفدا بالزمالك يوم الخميس الأخيرة من شهر يونيو من كل عام.



للأستاذ / محمد الشرقاوى

تحديد موعد امتحان البعوث الإسلامية

أصدر فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف القرار «٦٧١» بتاريخ ٢٠٠٣/٣/٢٤.. بشأن إجراء امتحان القرآن الكريم للمتقدمين للابتعاث للعام الدراسى ٢٠٠٣/ ٢٠٠٤ وتقرر أن يبدأ الامتحان فى ٥/٤/٢٠٠٣ وينتهى فى ٢٠٠٣/٥/١٠.

وأفاد الأستاذ توفيق رواش مدير عام البعوث الإسلامية بأن عدد المتقدمين للابتعاث هذا العام بلغ «٦٣٥٨» من الذكور، و٧٣٤ من الإناث.

وأضاف بأن الامتحان فى القرآن الكريم سيكون لمدرسى العلوم الشرعية والعربية والقراءات والوعاظ وأنه تحدد بذات القرار امتحان مسابقة اللغات بالنسبة للمعارين لأوروبا والأمريكتين وسيكون الامتحان حسب لغة البلد المتقدم إليها المعار.

الإنتهاء من منح الوافدين للأزهر الشريف

وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على مشروع منح الوافدين الذى تقدمت به الإدارة العامة للطلاب الوافدين للاستفادة من هذه المنح لمن تنطبق عليهم شروطها.

وأضاف الأستاذ شوقى السبكى مدير عام الوافدين بالأزهر الشريف أنه تقدم للحصول على هذه المنح عدد «٧٠٠٠» طالب وطالبة.

وتم تخصيص هذه المنح لمن انطبقت عليهم الشروط وعددهم «٤١٤» طالباً وطالبة. وقال: إننا نأمل فى زيادة عدد المقبولين فى الأعوام القادمة نظراً لاحتياج العالم الإسلامى إلى عناصر مزودة بالوعى الدينى الصحيح من أبناء الأزهر.

موقف إنسانى

تفضل السيد صاحب الفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بتخصيص أربع منح من المنح المخصصة لفضيلته لعدد أربع طلاب منهم ثلاثة طلاب من دولة المغرب الشقيق وطالبة من دولة الإكوادور.

وأوضح الأستاذ شوقى السبكى مدير عام الوافدين بالأزهر الشريف أن هذه أول طالبة من الإكوادور تتقدم للدراسة بالأزهر الشريف وتتعلم العلوم الدينية.

كتب لم يوافق عليها المجمع

من الكتب التى عرضت على مجلس مجمع البحوث الإسلامية فى دورته التاسعة والثلاثين فى ٢٤ من المحرم ١٤٢٤ هـ الموافق ٢٧ من مارس ٢٠٠٣م ولم يوافق المجلس على تداولها:

١- كتاب بعنوان «نهاية أمة الإسلام بين النبوة والسياسة» تأليف أحمد حجازى السقا.

٢- كتاب باللغة الإنجليزية بعنوان (تقديم مختصر عن الإسلام) تأليف ماليس روثفن.

٣- كتاب بعنوان (مفهومان للإسلام) باللغة الإنجليزية تأليف استيفن شوارتز.

وسقطت أكذوبة الحرب النظيفة

قرار الحرب الذى اتخذته الإدارة الأمريكية وادعاء دور المنقذ يتعارض مع حجم الدمار الذى خلفته الأسلحة الأمريكية على المدن العراقية حتى الآن فقد نبه تقرير أوروبى أمريكى مسبق وقائع الحرب الأمريكية على العراق إلى حقيقة المأساة التى سوف يتعرض لها المدنيون وأن هذه الآثار الخطيرة لن يكون مرجعها العمليات العسكرية فقط لكنها سوف تنعكس على شكل اضطرابات فى إمدادات الغذاء ونقص الأدوية. وعمليات نزوح السكان، وأكد رئيس الفريق الطبى أن حوالى «١٣» مليون عراقى سوف يتعرضون لخطر داهم جراء الأمراض والمجاعات التى سوف تنجم عن استهلاك المخزون السلعى المحدود وقد وضح ذلك من الأوضاع المأساوية التى شهدتها الأيام الأولى من الحرب حيث دخلت الأوضاع المعيشية للسكان فى النفق المظلم جراء القصف والغارات الوحشية إضافة إلى ما أعلنه وزير الإعلام العراقى من أن حصيلة الشهداء المدنيين وصلت إلى المئات وآلاف المصابين من جراء قصف مدن وأحياء جنوب ووسط العراق بالصواريخ والقنابل العنقودية. وأكد مسئول فى الجماعة الإسلامية الكردية (أنصار الإسلام) استشهاد «٥٧» من عناصرها التى تتهمها واشنطن بالانتماء إلى تنظيم القاعدة.

يضاف إلى ذلك قتل أربعة طلاب أردنيين فى الموصل شمال العراق وهم فى طريق العودة إلى بلادهم عندما أطلقت القوات الأمريكية صاروخاً استهدف سيارتهم..

يذكر أن الغارات المكثفة التى تشنها القوات الأمريكية البريطانية تسببت فى تدمير عدد كبير من المرافق والبنية التحتية خاصة فى بغداد والبصرة.

التعليق: وبعد كل ذلك يدعى رسل العناية الإلهية الأمريكان ومن حالفهم بأن هذه الحرب نظيفة ولا تستهدف المدنيين الأبرياء! يبدو أن أمريكا تعانى أزمة خانقة فى المنطقات.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

وزير التعليم بالفلبين يشيد بدور الأزهر فى نشر الإسلام

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف الدكتور / ماهيد موتيلان نائب منطقة الحكم الذاتى للمسلمين ووزير التعليم بالفلبين يرافقه سفير الفلبين بالقاهرة حيث رحب فضيلته بالضيفين فى الأزهر الشريف، وقد أشاد الضيف بالدور البارز للأزهر الشريف فى نشر الدعوة والثقافة الإسلامية فى الفلبين وذلك عن طريق العلماء والبعثة الأزهرية فى الفلبين، وأيضاً عن طريق الطلاب الذين يدرسون فى الأزهر الشريف وأشار إلى أن منطقة الحكم الذاتى للمسلمين فى الفلبين تشمل خمس محافظات وعدد المسلمين بها عشرة ملايين نسمة، وقال إن منطقة الحكم الذاتى بصدد الإعداد لمشروع تدريس اللغة العربية والتربية الإسلامية ومن أجل ذلك طلب الاستعانة بخبراء من الأزهر الشريف لوضع منهج للغة العربية والتربية الإسلامية مع ما يتناسب مع الطلاب الفلبينيين وفى الوقت نفسه يكون موافقاً للتعليم بالأزهر الشريف، وكذلك طلب إمدادهم بالمراجع العلمية، والفقهية لأبناء الفلبين، كذلك وجه الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لحضور مؤتمر حوار الأديان الذى تقيمه الفلبين فى مايو القادم وذلك بناء على دعوة رسمية من رئيسة جمهورية الفلبين، وقد رحب فضيلته بتلبية طلباته وما يطلبه المسلمون فى أى مكان فى العالم وجدير بالذكر أن الدكتور ماهيد من خريجى الأزهر الشريف.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

والسفير الإيرانى بالقاهرة يشيد بشجاعة الأزهر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سماحة السفير / سيدهادى خوروشاهى سفير الجمهورية الإسلامية الإيرانية بالقاهرة حيث رحب فضيلته بالضيف مشيداً بالتعاون المثمر بين الأزهر الشريف ودولة إيران موضحاً بأن الدراسة فيه تقوم على الاعتدال والتوسط وتدريس جميع المذاهب الفقهية الإسلامية، مؤكداً على أن كل من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فهو مسلم لا فرق فى ذلك بين السنة والشيعة، لأن

الجميع متفقون على الأصول وهى ثابتة لا خلاف عليها وإذا وجد خلاف فهو فى الفروع، ونحن فى مصر نكن لأهل بيت رسول الله ﷺ محبة قوية، ولأننا جميعا نؤدى التكاليف الشرعية من صلاة وصوم وزكاة وحج لبيت الله لمن استطاع إليه سبيلا.

وقد أشاد السيد السفير بدور الأزهر الشريف وما قام به مجمع البحوث الإسلامية من توجيه نداء إلى العالم المتحضر وكل القوى المحبة للسلام التى تدين العدوان على الشعب العراقى وعلى الشعب الفلسطينى.

وقال إن الأزهر الشريف يقف المواقف الشجاعة تجاه الأحداث التى يتعرض لها المسلمون فى كل مكان كما أشاد بدور الأزهر الشريف فى إرسال العلماء لشتى بقاع الأرض لتبصير المسلمين بأمور دينهم وتوضيح صورة الإسلام الصحيحة، وقد طلب سماحته إرسال وفد من الأزهر الشريف لحضور المؤتمر الذى سيعقد فى إيران فى ١٢ من ربيع الأول ١٤٢٤هـ الموافق ١٣ من مايو ٢٠٠٣م تحت عنوان (التقريب بين المذاهب والوحدة الإسلامية) وقد وعد فضيلته بتلبية مطلبه.

دعوة لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة جنوب أفريقيا

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فضيلة الشيخ/ يوسف لوكهات والوفد المرافق بولاية دربن بجنوب إفريقيا، حيث رحب فضيلته بالضيوف فى مصر وأزهرها الشريف مؤكدا على أن الأزهر الشريف فى خدمة أبناء المسلمين فى كل مكان، فهو يرسل علماءه لدول العالم المختلفة ليعلم الناس صحيح الدين ومناهجه التى تتمثل فى القرآن الكريم وعلوم الشريعة وعلوم اللغة العربية هى التى تدرس ومنها المعاهد الأزهرية الموجودة فى جنوب إفريقيا تدرس كتب ومناهج الأزهر الشريف التى تمتاز بالاعتدال والتوسط بعيدا عن الغلو والتفريط، كما يستقبل الأزهر الشريف الأئمة والوعاظ من جنوب إفريقيا لتلقى الدورات التدريبية التى تعقد كل ثلاث شهور مع إخوانهم من بلدان العالم الإسلامى ويقيمون فى مدينة البعوث الإسلامية ويدرس لهم علماء الأزهر وأساتذة الجامعة وعلى رأسهم فضيلة شيخ الأزهر الشريف وفضيلة وكيل الأزهر الشريف، ومن جانبه شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر على ما يقدمه الأزهر الشريف لأبناء المسلمين فى جنوب إفريقيا حيث تنتشر المعاهد الأزهرية، وبها العلماء والأساتذة من الأزهر الشريف وقد وجه الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر ولفضيلة وكيل الأزهر الشريف ووفد من العلماء لزيارة جنوب إفريقيا للاطمئنان على أحوال المسلمين هناك وهى رغبة المسلمين فى جنوب إفريقيا وجدير بالذكر أن نجله أحمد لوكهات قد تعلم فى الأزهر الشريف، حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

الإمام الأكبر يستقبل سفيرة مصر فى مدغشقر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفيرة/ عزة نصار وذلك بمناسبة توليها العمل كسفيرة لجمهورية مصر العربية

بمدغشقر، ودار اللقاء حول طلاب مدغشقر الذين يدرسون فى الأزهر الشريف على منح ويقيمون بمدينة البعوث الإسلامية فى القاهرة والإسكندرية، وعددهم ٦٢ طالبا، وللأزهر الشريف علماء بمدغشقر للدعوة والإرشاد ولتبصير المسلمين بأمور دينهم، وقد أوضحت السفيرة بأن دور الأزهر الشريف معلوم ومعروف لدى القاصى والدانى وقد حضرت لاسترشد برأى فضيلة مولانا الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف قبل السفر إلى مدغشقر وقالت: إن تعداد مدغشقر ١٦ مليون نسمة موزعون على المحافظات الست ونسبة المسلمين هناك ٢٪ وطلبت تمثيل الأئمة والوعاظ فى الدورات التدريبية التى ينظمها الأزهر الشريف الأمر الذى من شأنه توثيق العلاقات الدينية بين مصر وأزهرها الشريف ودولة مدغشقر، وقد وعد فضيلته بتلبية طلباتها موضحا بأن الأزهر الشريف على استعداد تام للتعاون من أجل خدمة المسلمين داعيا للسفيرة بدوام السداد والتوفيق فى عملها الجديد، وقد حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

مساعدات تعليمية أزهرية لنيجيريا

● استقبل فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الحاج/ إبراهيم أحمد الخماسى رئيس الشرطة الأسبق والراعى الأول للجامعة الإسلامية الأهلية بكشنة بنيجيريا، والحاج ثانى أبو بكر لغارت وزير أمير كشنة الحالى والمسئول الإدارى للجامعة الإسلامية والوفد المرافق، وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسادة الضيوف موضحا بأن للأزهر بعثة أزهرية من العلماء بنيجيريا تقوم بتعليم أبناء نيجيريا فى المعاهد الإسلامية المنتشرة هناك حيث يدرسون كتب ومناهج الأزهر الشريف، كما أن بالأزهر الشريف طلابا يدرسون فى معاهد الأزهر وكلياته ويقيمون فى مدن البعوث الإسلامية على منح دراسية من الأزهر، وقد أوفد الأزهر الشريف بعثة الأزهر للإشراف على مشروع الجامعة الإسلامية الأهلية بكشنة بنيجيريا، ومن جانبهم أوضح الوفد أنهم حضروا إلى الأزهر الشريف لتقديم الشكر لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على الخدمات الجليلة التى يقدمها الأزهر للمسلمين فى نيجيريا، وأوضحوا أنهم قاموا بإنشاء الجامعة الإسلامية الأهلية وتم الإنجاز بالنسبة للمبانى الإدارية وتشتمل على قسم للدراسات الإسلامية، وقسم للشريعة وقسم للرياضيات والكمبيوتر وأنها مؤسسة غير حكومية ويساهم فى إنشائها الأمة الإسلامية وطلبوا إمدادهم بالمعلمين والكتب، وقد رحب فضيلته بتحقيق رغبتهم مثنيا على هذا المشروع الكبير وموضحا بأن الأزهر الشريف لا يدخر وسعا فى تقديم كل عون ومساعدة لإنجاح هذه المؤسسة العظيمة التى تفيد وتنفع المسلمين.

الإمام الأكبر يستقبل وزير الثقافة والإعلام الأفغانى

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف معالى الوزير/ سيد مخدوم رهين وزير الثقافة والإعلام بدولة أفغانستان، رحب فضيلته بالضيف فى مصر وأزهرها الشريف مشيدا بدور أفغانستان العظيم فى نشر تعاليم الإسلام فى الدول

المحيطة بهم منذ القدم وما قدمته من شهداء في هذا المضمار، والأزهر على استعداد لتلبية أية مطالب لدولة أفغانستان في المجال التعليمي والديني، ومن جانبه أوضح السيد الوزير بأنه سعيد بهذه الزيارة التي كان يترقبها منذ زمن طويل، ومشيدا بالدور الهام الذي يقوم به الأزهر الشريف والذي ينتهجه في تعليم أبناء المسلمين وخاصة أبناء بلاده الذين يدرسون بالأزهر الشريف ويقيمون في مدن البعوث الإسلامية ويلقون كل تقدير ورعاية من الأزهر الشريف، وللدور الذي يتبناه في تنظيم دورات تدريبية للسادة أئمة ووعاظ وعلماء العالم الإسلامي حيث يربط بين علماء العالم الإسلامي لتلقي العلوم والمعارف الدينية والوقوف على آخر متطلبات العصر، والرد على الشبهات التي تثار من أعداء الإسلام وتوحيد الكلمة والصف، وأن أبناء بلاده يشاركون في هذه الدورات ويعودون يعلمون أبناء بلادهم وأهليهم وتوعيهم مما تعلموه في الأزهر الشريف.

دعوة الإمام الأكبر لزيارة روسيا

● استقبل فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد / عبد الواحد نيازوف عضو مجلس الدوما الروسي وفضيلة الشيخ / نفيع الله عشيروف المفتي العام ورئيس الإدارة الدينية للقسم الآسيوي لروسيا الاتحادية والدكتور / محمد سعيد الرشيد عضو المجلس السياسي لفرع موسكو للحزب الأوروبي الآسيوي، وقد رحب فضيلته بالضيوف في مصر وأزهرها الشريف معربا عن تقدير الأزهر الشريف للجهود التي تقوم بها دولة روسيا الاتحادية، ونحن نؤيدهم في موقفهم الشجاع العادل تجاه القضية العراقية، ومعارضتهم الاعتداء على الشعب العراقي، مؤكدا على وقوفهم رئيسا وحكومة وشعبا مع الشعب العراقي موضحا فضيلته بأنه يقوم بخطبة الجمعة بالجامع الأزهر الشريف كل جمعة ويدعو الله – عز وجل – أن ينصر إخواننا في العراق وفي الشيشان وفي فلسطين وفي كل دولة يحارب فيها الإسلام، ومصر بأزهرها الشريف لا تدخر وسعا في تقديم كل عون وكل مساعدة، وتشارك المسلمين في كل مكان الرأي في اتخاذ الحلول السلمية العادلة لقضية الشيشان وفلسطين والعراق.

ومن جانبه أوضح الوفد عن سعادته بهذا اللقاء الذي كانوا يترقبونه من زمن بعيد لأن الأزهر الشريف منارة عظيمة وفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف يمثل النموذج الصالح لمشايخ الأزهر الشريف الذي يرأسه، وأن المشاورات التي تمت مع فضيلته فيما يخص أحوال المسلمين قد أوضحت الرؤية الصحيحة للإسلام، وهذا يؤكد مكانة الأزهر الشريف العالية، ومواقفه العادلة تجاه قضايا المسلمين في كل مكان، وأن روسيا الاتحادية ومصر بأزهرها الشريف موقفهما واضح تجاه قضية العراق ورفضهما لضرب الشعب العراقي والاعتداءات المستمرة على الشعب الفلسطيني وقدم الوفد الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر لزيارة روسيا على رأس وفد كبير وستقدم الدعوة رسميا بالطرق الدبلوماسية.

Allah rather than man. However, this does not mean that we should be arrogant or insolent. We must be kind and considerate towards our parents even when they command things, which we should not do. If this ever happens, disobedience becomes inevitable.

Luqman then goes on to tell his son to observe prayers and enjoin that which is right and forbid that which is wrong. Prayer is a shield that restrains man from committing shameful evil deeds. It also frees man from anything. When we keep on performing the prayer regularly and on its prescribed times, we realize the presence of Allah and consequently abstain from committing wrong. Luqman further advises his son to be patient and avoid arrogance or having a sense of superiority over others.

﴿And do not turn your cheek away haughtily from mankind, and do not walk in the earth merrily; surely Allah does not love everyone (who is) always conceited, (and) ever-boastful. And be moderate in your walk, and tone down your voice; surely the most repugnant of voices is indeed that of the asses.﴾ **[Luqman (The Sage): 18:19]**

Luqman wanted his son to walk normally and avoid arrogance. So, how young men and women nowadays are in need to follow Luqman's advice to improve their manners and get rid of some bad habits! In fact, the ethical and moral degeneration of some societies and the predominance of drug abuse and crime seem to clearly indicate that spiritual health of an individual and community is as important as physical health.

In conclusion, the principles of ethics stated in the Qur'an guarantee the establishment of a sound society that rests on virtues. The worship of Allah alone, modesty, patience, good manners, and avoidance of nonsense and trivialities are among the principles that should be observed by all Muslim youth.

Reference: An article entitled "Educational Directives from the Ever-Glorious Qur'an" by Mr. Muhammad Moustafa El-Basiouni. The article was published in Rabi'ul-Awal 1423 H., June 2002, Vol. 75, part III.

Guidelines for Young People
(From the Ever-Glorious Qur'an)
By: Hanan Abdou At-Tahtawi

Holding fast to the teachings of Allah stated in the Ever-Glorious Qur'an, is regarded as the shield that protects young people in our present time in which material prosperity and worldly pleasures may tend to attract them. The Qur'an is the unique Book that contains the foundations for an entire system of life that serves as guidance for the youth. It's that matchless Arabic literary masterpiece revealed by Allah to Prophet Muhammad, may the blessing and peace of Allah be upon him.

The Qur'an contains a perfect code that provides for all fields of life and that has no boundaries of time, place, or nation. Young people can learn a lot from the stories narrated about different prophets and people. For example, much can be learnt from Surat (Chapter) Luqman, the wise, who was gifted with knowledge and wisdom.

﴿And indeed We already brought Luqman (the) wisdom saying, "Give thanks to Allah. And whosoever gives thanks (to Allah), then surely he gives thanks only to himself; and whosoever disbelieves, then surely Allah is Ever-Sufficient Ever-Praiseworthy".﴾ **[Luqman (The Sage) :12]**

According to this verse, Allah bestowed wisdom upon Luqman who was truly grateful to His Lord. The verse shows that Allah is above all needs. If man does good or evil, it is for his own benefit and not of any benefit to Allah. When we praise Allah, or obey Him, we are not adding anything to His glory as Allah does not depend on humans in anything. Moreover, if humans are grateful, Allah will add more favor to them. But if they are not, Allah's punishment will be terrible.

Luqman was the type of perfect wisdom. He gave advice to his son with words that remain as guidance for young people of all times. In fact, his advice is especially needed in today's modern world so that the youth can attain nearness to Allah and victory over temporary trials and temptations.

Being a father, Luqman was basically concerned about his son's interest. Therefore, he gave him true and sincere advice, thus, showing gratitude to Allah for being endowed with the blessing of wisdom. he transferred his experience to his son; the closest person to his heart, who in turn could transfer what he had learnt to others. According to the Qur'an Luqman began addressing his son as follows:

﴿And as Luqman said to his son (while) he admonishing him, "O my son, so not associate (others) with Allah. Surely associating (others with Allah) is indeed a monstrous injustice".﴾ **[Luqman (The Sage): 13]**

Luqman used the most lenient words in order to draw his son close to him and attract him in order to listen and follow his advice. He began by stressing the most important point, which is the belief in the oneness and supreme sovereignty of Allah, the All-Mighty, the Ever-Lasting, the Ever-Present, the All-Knowing. This belief is the core of the Islamic religion as Islam is established on the belief that there is one and only deity who has no associates.

In the following verse, focus is made on one of the most important relationships in a person's life, which is between parents and their offspring. Children have to be kind to their parents and never to say words of contempt even "Uff" i.e. a word that shows impatience. In addition, one should not disobey them. Instead, one has to address parents in terms of honor and treat them with kindness and mercy.

﴿And We have enjoined upon man concerning his parents- his mother conceived him in feebleness upon feebleness, and his weaning was in two seasons- Give thanks to Me, and at your parents; and to Me is the Destiny.﴾ **[Luqman (The Sage):14]**

Children are allowed to have their own way only if parents try to drive them away from the right path of religion. In such case, they can just keep company with their parents in this life while obeying Allah's commandments. We all should obey

﴾Allah is He Who has subjected to you the sea, that the ships may run in it at His command, and that you may seek of His Grace, and that possibly you would thank (Him). And He has subjected to you whatsoever is in the heavens and whatsoever is in the earth, altogether from Him. Surely in that are signs for a people who meditate.﴿ **[Al-Jathiyah (Kneeling): 12-13]**

Renouncing a religion is not an easy matter as creed is the most crucial thing in one's life. Man is closely related to it that he may give his life up for it. Ironically, man may be believing in a falsehood, however, he keeps defending it. Polytheists, for instance, had gone through bloody wars in order to defend their false creeds. In contrast, Islam is the only true religion chosen by Allah as He, Glory be to Him, revealed,

﴾Surely the religion in the Providence of Allah is Islam.﴿

[Al-Imran (The Household of Imran):19]

Moreover, Islam is the religion that can restore rightness and purify the world from its materialistic corruption. To illustrate, tremendous number of intellectuals, in all ages, have embraced Islam despite their assumption of distinguished posts and that many of them had to give up their posts for the sake of Islam. The stories of those who were guided to the right path do not give us a good example of faith in its most ideal form but they also guide us to the different aspects of greatness in the Islamic Law. In other words, those people did not embrace Islam except after a justified study, complete conviction, and long journey in which they faced a lot of difficulties.

Among those who have renounced their religions and false creeds and embraced Islam is Hiralal, the son of Mahatma Gandhi. He was born and grew to find himself embracing the religion of his father, namely, Paganism. Their creed is based on polytheism and looking down upon those who do not follow it. As a lawyer, Hiralal came across so many cases of social oppression from which Indian people suffer. Moreover, there are very wide gaps among classes; however, their creed

acknowledges such oppression. Hiralal began to look into Muslims' life in which he could not witness such things. Hence, he found himself attracted to the study of Islam with carefulness and great consideration. Consequently, he came to find that Islam is the true religion that should be followed. After that, he declared his Islam publicly before a huge gathering of Muslims and changed his name to be Abdullah.

There is another example, namely, Lebold Fais, the well known scientist whose name became Muhammad Asad after embracing Islam. He belonged to a Jewish family. Asad was working as a journalist and due to his nature of work, he used to travel a lot to the Middle East and so mingled with Muslims. He admired their system of life, which motivated him to come closer to this religion in an attempt to study it. As a result, he embraced Islam and became greatly convinced concerning the great value of such religion. In 1962, he declared his Islam and named himself Muhammad Asad after the name of the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him. Out of his strong conviction of Islam, he made several studies in addition to writing many compilations, such as ***'Islam at the cross roads'***, ***'The Way to Mecca'***, and ***'Islam's Method in Ruling'***. In fact, there are too many examples but unfortunately, there is no room to state them all and we hope to do so in the coming issues.

In conclusion, all of those who embraced Islam out of true faith and conviction turned to be an ever-active source of enlightenment. In addition, they would willingly sacrifice their souls and wealth in order to disseminate and defend Islam. They did not satisfy by just embracing it but they try, through all possible ways and means, to drive and motivate other to believe in it so that they may enjoy the same sweetness they themselves did..

refute all their false views one by one in order to expose their true hidden aims. In his method of criticism, Wajdi resorted to the fairest way; stating each of their views honestly and then begin to discuss each one clearly and in details so as not to leave any room for doubt.

Due to his great consideration and carefulness, *ustaz* Wajdi felt the need of people to a more appropriate interpretation of the Ever-Glorious Book of Allah, in a way that may drive people to draw near to Allah. In response, he introduced an interpretation of the Qur'an that was met by great appreciation. As a result, his precise interpretation spread widely and was translated into many languages as well as being circulated by most Muslims all over the world.

Muhammad Farid Wajdi designated a considerable part of his studies to spiritual researches as he set a magazine especially for them. He also assigned successive parts of his valuable book entitled ***"On The Ruins Of The Materialistic School"*** and derived from them strong evidences by which he could confront those denying the divine unseen fact concerning the worlds of heavens and earth. Ironically, the European discoveries were of great help to him in his field of study as he kept following them eagerly in order to explain these phenomena and deduct the reasons behind them so as to reach conclusions. Likewise, his abundant, deep knowledge in the fields of psychology, sociology and philosophy provided him with rational arguments and cosmic evidences. This was obvious in his strong, precious articles. Similarly, his versedness concerning the Arabic language enabled him to reach his points with great ease and accuracy.

At his last years, Muhammad Wajdi was appointed as the editor in chief at Al-Azhar Magazine in which he published numerous impressive articles. Therefore, he was of great contribution towards increasing the cultural levels of the readers as well as affecting their understanding strongly.

*The Impossibility of the Islamic Spread by Sword

By: The Honorable Sheikh Abdul-Hafiz Al-Qurani

The purposeful orientalists as well as the other enemies of Islam have spread the idea that Islam was not disseminated except by sword and oppression. They could not understand that anything disseminated by sword and oppression shall not last for long.

As for Islam, it disseminated through its own ideals, principles, and ethics. It also disseminated through the good manners of its earlier followers who symbolize the truthful picture of ideals, values, and morals. There is a question in support of this view: what power in our present days can force prominent intellectuals to renounce their creeds and follow Islam? Man may quit a job and join another and he may move from one country to another in which he joins a new job and begins a new life. Renouncing other creeds in favor of Islam is regarded as the most outstanding change that ever happens to man. There is a question, why did Allah create man? Allah created man for His own Self, Glory be to Him, and created all other objects in the universe for man. Allah, the All-Mighty, revealed in His Ever-Glorious Book,

﴾And in no way did I create the jinn and the humankind except to worship Me﴿ **[Ath-Thariyat (The Winnowers):56]**

and,

﴾And in no way were they commanded anything except worship Allah, making the religion His faithfully, unswervingly upright, and to keep up prayer, and bring the Zakat; and that is the religion ever-upright.﴿ **[Al-Bayyinah (The Clear Evidence) :5].**

According to the above-mentioned, Allah created all the universe and that which is in it only to serve man in order to enable him to worship Allah dutifully as He, Glory be to Him, revealed,

* From an article (published in Arabic) at Al-Azhar Magazine.

The Great Critical Scholar, Muhammad Farid Wajdi

By:Dr. Muhammad Rajab Al-Bayoumi

Self-acquired knowledge represented in Wajdi's character is worthy of consideration. His celebrity made his numerous compilations spread all over the Islamic world and be translated to many languages. However, when he died, no one remembered to write about his great fruitful history.

Ustaz Wajdi was a man of message to deliver and he dedicated all his life to deliver it. He was not viewing literary field as a means in which he could boast over others but he had a sublime goal, which urged him ceaselessly to exert every effort in order to realize it. Wajdi saw that Islam was a mark for every arrow aiming at tearing, distorting and abusing it, so he rose to defend it against all these malicious attacks. In response, he wrote several books and issued successive papers and magazines.

His suspicions, in his early years, concerning belief was behind that magnificent amount of knowledge. To illustrate, he had stormy doubts about his belief, which affected his certitude and confused his intellectual capacities. This led him to sought the help of the scholars around him but unfortunately, he could not find a way out of his suspicions. Consequently, Wajdi rushed towards reading all that his hands could reach and began to perceive and meditate deeply. Through his reading, he was moving among cosmic, social, psychological, historical, and religious fields till he reached an evident fact that records the glory and greatness of Islam and appeals to all the logical premises to which mind can perceive. In other words, there is no virtue that does not have an established source in the rules and principles of Islam.

The honorable *ustaz*, Muhammad Wajdi continued to introduce his arguments and affirm his issues. As a result, he came to find that the source of these purposeful, false accusations is the west. So he wrote a book in French entitled ***"Modernity and Islam"*** in order to inform the people of Europe of the true core of the Islamic Shari'ah. He began his book by stating that Europeans are to be excused in believing these charges and accusations and that they "Have all the right to work according to them as long as they do not see except innovations invented by falsifiers who added numerous forms of falsehoods and illusions that contradict the principles of modernity". Moreover, he translated it into Arabic so that all Muslims began to read a truthful newspaper defending their wronged religion. Although he wrote it in his twenties, his book gained the admiration of whoever read it to the extent that professor Charles Adams viewed it as a match to the book of Muhammad Abdou under the title ***"The Message Of Unity"***.

In less than ten years, Wajdi introduced a rich library that contained books written on all various fields of human knowledge. We wonder how could he achieve such thing with no material aims or craving after literary fame and just satisfying with what he felt of spiritual pleasure as contributing to the building of a modern culture as well as paving the way for people towards reliable knowledge.

In fact, the success of the honorable *ustaz*, Muhammad Wajdi, symbolized in his researches, goes back to his great respect of the message he was delivering. In addition, he did not leave any occasion without conveying some of his views. At his era, there were many of those who dedicated their pens for abusing and degrading the teachings of the Islamic Creed. And how many of those who run after false accusations without any kind of reasoning or meditation. But he would not let them do so without being confronted and criticized. Moreover, he would

AL-AZHAR MAGAZINE
Safar 1424 A. H.

ENGLISH SECTION
April/ May. 2003

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

A year has elapsed

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Dear reader, a year elapsed since we have met for the first time on these ten pages in this English section. A year has passed which was like a whole century as we witnessed a psychological war launched against the Islamic Nation. Some of its countries were attacked by all kinds of sophisticated weapons while others were threatened by using nuclear weapons against them. In addition, the Islamic religion as well as its followers were abused.

Moreover, a cultural heritage was ruined and no one was able to avoid such thing even the old, women, young, infants, etc., even ill people were not able to get medications or see doctors. Houses, mosques, schools, hospitals and universities were demolished. Innocent people were driven away from their homes, dignity was trodden over and abusing was a common thing.

In their aggressive campaign, the oppressors adopted the slogan of '***Right***' aiming at fulfilling what is wrong. In other words, under the pretext of fighting terrorism, rights were encroached upon, countries enslaved, men imprisoned and deprived of their freedom and even their simplest rights. Furthermore, innocent people were accused of committing terrible crimes even without being presented before trials and were charged with suspicious matters that cannot be committed except by forces possessing high technology and occupying great rank that cannot be reached by our Islamic nations.

Up till now, there are no answers or even reasonable evidences that may justify such actions. Back again to the story of the wild wolf and the poor lamb but in another version in which the wolf threatens the lamb saying. "You are killed. I am the strongest and you do not have any right to enjoy blessings while you are the weakest."

الفهـــرس

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي

● ● ●

رئيس التحرير
أ.د. محمد رجب البيومي

نائب رئيس التحرير
الطاهر محمد الطاهر الحامدي

مدير التحرير
عادل رفاعي خفاجة

سكرتير التحرير
أحمد السيد تقي الدين

الاشتراك السنوي

● داخـل مصـر ١٨ جنيها مصرياً
● الـدول العربيـة ٥٠ دولاراً أمريكيا
● أوربـا وأمريـكا ٨٥ دولاراً أمريكيا
● اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولاراً أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم
مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر
ت: ٢٦٣٨٥٩٩

ربيع الأول ١٤٢٤هـ - مايو ٢٠٠٣م - الجزء الثالث - السنة السادسة والسبعون

الفهـرس

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي

● ● ●

رئيس التحرير
أ.د. محمد رجب البيومي

نائب رئيس التحرير
الطاهر محمد الطاهر الحامدي

مدير التحرير
عادل رفاعي خفاجة

سكرتير التحرير
أحمد السيد تقي الدين

الاشتراك السنوي

● داخـل مصـر	١٨ جنيها مصريا
● الـدول العربيـة	٥٠ دولارا أمريكيا
● أوربـا وأمريـكا	٨٥ دولارا أمريكيا
● اليابان وشرق آسيا	١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم
مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - الأزهر
ت: ٢٦٣٨٥٩٩

ربيع الأول ١٤٢٤هـ - مايو ٢٠٠٣م - الجزء الثالث - السنة السادسة والسبعون



في ذكرى المولد النبوي

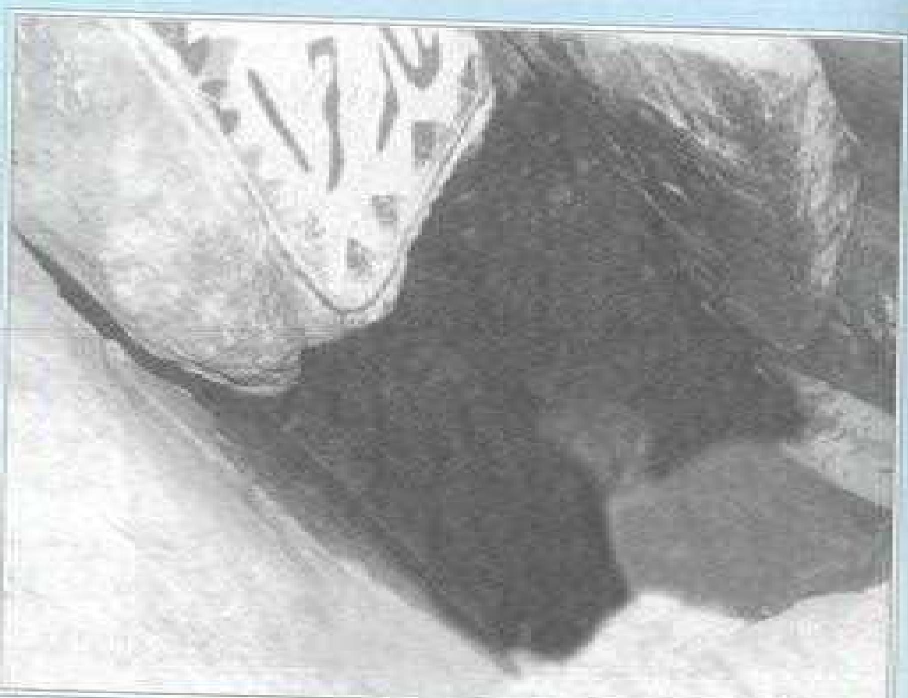
أمام غار حراء

تُعتبر فريضة الحج قراءة ميدانية لسيرة رسول الله ﷺ فأكثر الأمكنة فى مكة تُذكر قارىء مسيرته الشريفة بما كان له من موقف تاريخى مشتهر بها، وغارُ حراءٍ ليس من مناسك الحج، ولكنه يُذكر رائيه بأول حلقة من حلقات الإسلام فى تاريخه المديد، إذ نزل الوحى على النبى، فكان مهبطاً لأول اتصال تم بين السماء والأرض فى مكة، وأذكُر أنى كنت فى الحافلة راجعاً من منى إلى مكة، فوجدتُ صديقاً من الراكبين، يوقف السائق ويقول: سأنزل لأقف أمام جبل حراء، ورأيتنى مدفوعاً إلى مُصاحبته تلقائياً دون أن يكون فى خطتى الوقوف أمام هذا الأثر الخالد، وعجبتُ، كيف ينهض الجبلُ بروقه الممتد إلى أجواز الفضاء، ثم لا يلفتُ الزائرين إلى مشاهدته، والتمتع بذكريات سعيدة تدورُ حوله؟!.. سرت وسار صديقى صامتَين، لا نتحدث، وكأنَّ إيحاء الذكرى قد ملأ الخاطر بما عقد اللسان عن الحديث، وقد توقعتُ أن أرى أفواجاً من الحجاج تقفُ وقفة المتأمل، فوجدتُ المكان خالياً إلا من مقهى صغير ليس به غير كُرسيين، وقد تراخى صاحبه إذ كان لا يتوقع زائراً فى هذا اليوم الذى اتصلت به حلقات السير الراكض من منى إلى مكة، فأيقظناه برفق، ونهض ليُعدَّ الشراب، وليجيب عن أسئلة حاولت أن أستمع إلى جوابها منه، فقلت له: كم من الزمن يكفى للصعود إلى القمة العالية لنرى الغار المُبارك ونرجع؟.

فأدهشنى أن قال لى: لا تُحاول، قلتُ متعجباً: لماذا؟.

قال: الطريقُ وَعر، وليس به مسلكٌ مستقيم يُساعد على الصعود، وقد جاء هنا منذ أسبوع فريق من الكشافة من إحدى البلاد الإسلامية وكُلُّهم شباب يتمتع بالصحة وحاولوا الصعود، فرجع أكثرهم مبهوراً





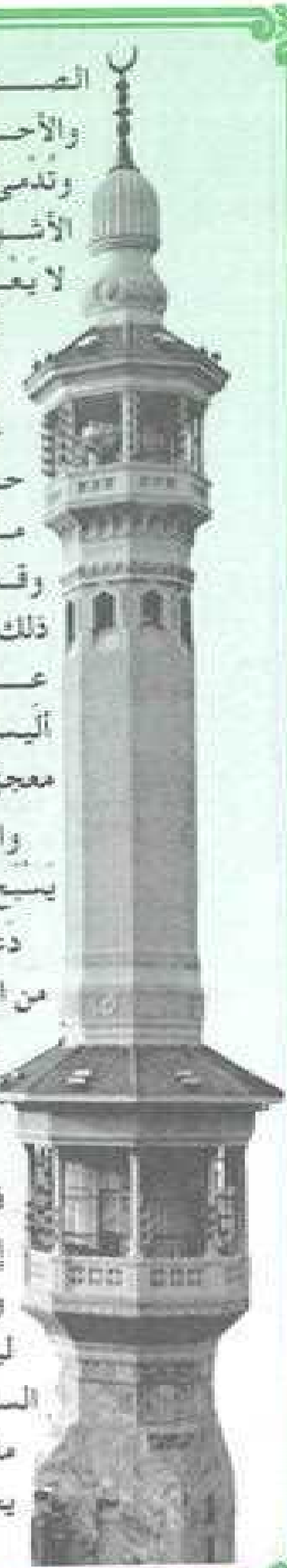
يتصبب عرقه، رجع من منتصف الطريق!!.. أما الذين ثابروا حتى بلغوا القمة فقليلون، وما جهدوا أنفسهم إلا استنكافاً من أثر الخيبة، وأن يُقال عنهم: إنهم غير شُجعان متمرسين!..

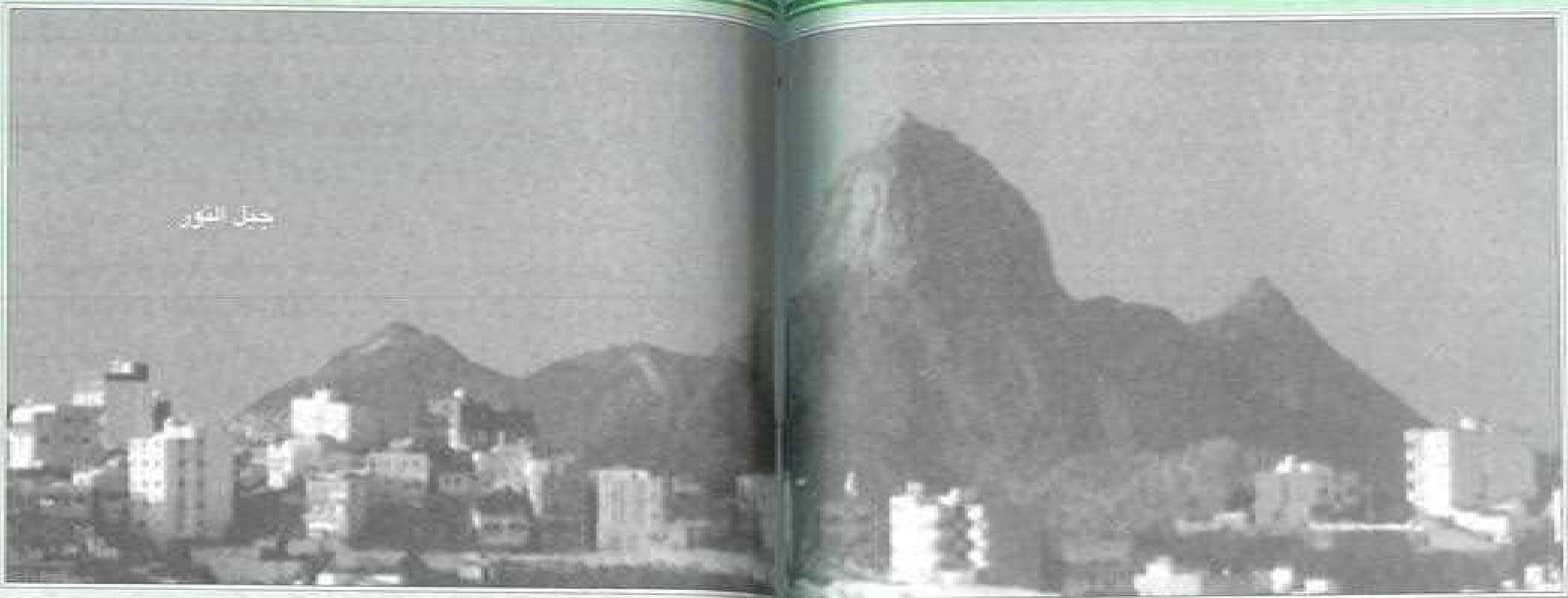
قلت: ولكنى أقرأ فى كُتب الرحلات عن كثير من الشيوخ والشباب قد صعدوا إلى القمة ورأوا الغار فعلاً، وفيهم من دخله واستمتع بذكريات حلوة عنه!.

قال: صحيح.. صحيح، وهؤلاء محظوظون!.

كان حديثُ الرجل دافعاً بى إلى خواطر عجيبة، أخذت تنهال على خاطرى، فقد قُلت فى حديث صامت بينى وبين نفسى:

يا لله! فريق من الكشافة! كُلُّهم شبابٌ أشداء، وقد قدموا إلى الجبل يركبون السيارات المُريحة، فلم يعانوا مشقة الطريق، ثم ينكص أكثرهم دون القمة، فلا يبلغونها ويفضلون الرجوع، ورسولُ الله ﷺ كان يأتى من منزله فى أقصى مكة سائراً على قدمه، يحملُ زاده الخاص به طيلة شهر رمضان المبارك، حتى إذا بلغ الغار - وقد يكون ذلك فى مقدمة الليل - حمل ما معه من الزاد.. وأخذ فى الصعود، يجتاز العقبات، وتعترضه





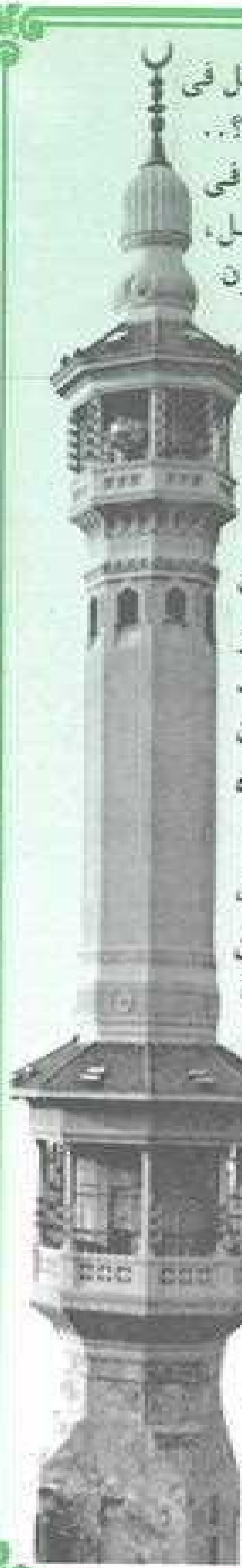
الصخور والأحجار، وتُدمى قدمه الأشواك، ثم لا يعبأ بما يُصادفه من عوائق، حتى يبلغ مأمنه!. وقد كرَّر ذلك مرات عدة!. أليست هذه معجزة؟!!..

والتفتُّ إلى صاحبي أسأله الرأى فيما عَنّ لى من خاطر؟. فوجدته أيضاً يسبح في موج صاخبٍ من الأفكار عبَّر عن بعضه حين قال لى:

دعْك يا صديقى من قصة الصعود إلى الجبل فى حندس الليل، ومما يعترض من الصخور، ومما يخاف منه من سقوط بعضها تحت قدم الصاعد فتهوى به إلى حيث لا يذوق طعم الحياة، دعْك من ذلك كله يا أخى وانظر معى متسائلاً:

أكان الجبلُ مُستقراً آمناً، أهو فندق سياحى يلجأ إليه المُتعب فيستريح؟. أهو روض يزدان بالأزهار والنخيل، وتجرى تحته الجداول؟..

إنه مكان منعزل، قد تأوى إليه اللصوص، فتعترض القادم ناهبةً إياه وقاضية على حياته، وقد يكون به الوحشُ الكاسر المُتربص بكل قادم ليجعله زاده بعد سَغب طويل، وقد تكون به الحيّاتُ المتوحشة والأراقم السامة، تكْمن فى كل مكان، بل تختبىء بالغار نفسه، لتجد من القادم مائدة مُستطابة!. ماذا تظن بجبلٍ موحش مُنعزل فى مكان مخوف، كيف يجرؤ على الصعود إليه إنسان يعلمُ عن حقيقة أمر هذه الأهوال؟..



أفيفكرُ عاقل فى إقتحامه؟.. ومتى؟.. فى حندس الليل، وسكون الظلام، وإذا تم ذلك فعلاً، أليست هذه معجزة؟..

الحقّ أن الخواطر المتشعبة قد ملكت عنان تفكيرى، فما استقر على جواب مريح!. إلا أن يكون الإلهامُ الربانى وحده هو الذى قاد نبى الله إلى معتزله الكريم!.

ولنترك رسول الله ﷺ قليلاً إلى أهل بيته، وفيهم زوجته العاقلة المُدبّرة، خديجة بنت خُويلد ومَن يلوذ بها من الحسيمات الأثيرات، أما كُنّ يعرفن خطر الرحلة؟. وماذا ينتظر الزوج الكريم هُناك؟. لم تكن خديجة بالسيدة الغافلة، فهى من بيت مرموق، ولها تجارة تقوم على إدارتها، وتعلم من أحوال مكة وجبالها ووُحوشها وناسها، ما قد يجهله الغافل الساذج، فكيف بزوجة مُفكرة مُدبرة، كيف وافقت على هذه الرحلات المُتكرّرة؟ وكيف عاونت زوجها على الاعتزال البعيد فى جبل موحش قابض، وهى التى تحبه وتفتديه؟؟

للإجابة عن هذه الأسئلة أقول: إنّ مُعاشرة خديجة لزوجها الكريم، جعلتها تعتقد اعتقاداً جازماً أنه ليس رجلاً ككُل الرجال!. لقد شاهدت من أحواله ما أجلسه فى رأيها مجلساً لا يتشابه مع أحد سواه!. ألم تعرف أنه صاحب الرؤيا الصادقة؟. كان لا يحدثها عن حلم رآه إلا وجدت تحقيقه فى الحياة دون مهل!. تكرر ذلك حتى أصبح شيئاً بدهياً لا مجال للشك

فيه، فليست الرؤيا الصادقة فلتة من الفلتات جاءت مرة على سبيل المصادفة، ولكنها أمر تقرر وعلم، فهل تشك بعد ذلك فى سلامة اتجاهه، مهما بدا للنظر المجرد أنه صعب عسير.

ثم ما رأيها فى سلوكه الشخصى؟. هل كان أنانياً كغيره من الأزواج؟. وقد جربت قبله اثنين!. لم يكن غير إنسان سامى الخلق، رحيم القلب، فسيح الصدر، ألم تقل عنه حين جاءها مرتعشاً مما نزل به عند هبوط الوحى عليه أول مرة: والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق!!..

لقد ذكرت أمثلة من سلوكه الإنسانى فى الحياة، لمستها لمس المشاهد المجرب عن قرب، وأعجبت بها لنزاهة أصيلة فى خلقها، لم تقل له: «إنك تكره عبادة الأصنام، وتجتنب الخمر، وتعزف عن أماكن اللهو» فكل ذلك خاص به، بينه وبين ربه، ولكنها امتدت بسلوكه إلى أثره فى الناس، وإلى مقدار ماينهمر على يديه من بر!. فهو يصل الرحم، ويحمل الكل، الضعيف، ويكسب المعدوم، ويقرى الضيف، ويعين على النوائب!. أيكون هذا المتسامى فى سلوكه، المتدفق بالخير عن يمين وشمال، مجزياً من ربه بغير الثواب والنعيم!. فإذا جاءه الملك، فلن يكون ذلك إلا جزاء وفاقا لهذه المآثر وحبا خالصا من رب أورثه هذه المحاسن!. لقد شاهدت هذه النواحى الممتازة فى سلوكه، فعلمت أنه فوق الناس جميعاً!. وأن الذى يعتزل الناس لابد أن يكون رب الناس قد وفقه إلى هذا الطريق وليس لها أن تعترض بعد هذا اليقين!.

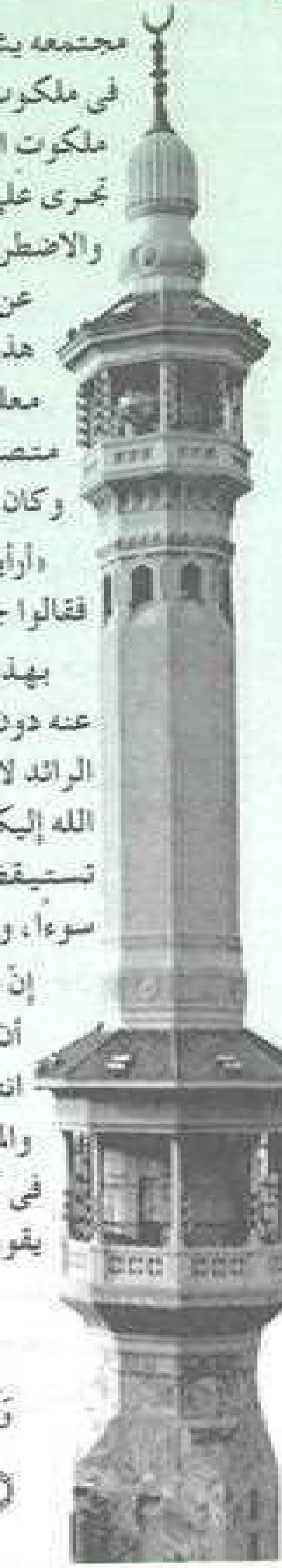
وناحية أخرى بدت من خديجة - رضى الله عنها - تدل على تقديرها الروحى لزوجها، وأن له بالسماء صلة ليست للناس، هذه الناحية تتجلى فى سعيها إلى ابن عمها الراهب النصرانى ورقة بن نوفل لتسأله عن تفسير ما نزل بزوجها فى الغار عند مشاهدة الملك؟ لم تلجأ إلى كاهن من كهنة الجاهلية؟ لم تلجأ إلى عراف يضرب الرمل، ويتنبأ كاذباً بالغيب؟ لم تلجأ إلى ساحر ينفث فى العقد، ويزمزم بغوامض الكلمات! إنها فى وعيها الحريص، وفكرها العميق تكفر بهؤلاء جميعا، ولكنها تعلم أن ابن عمها يقرأ الكتاب، ويلم بأخبار النبيين من قبل، فلابد أن يكون لديه ما يريح فى هذه الموجة الغاشية، وقد زاد قلبها رسوخا فى إيمانه حين سمعت ورقة يبشره بالنبوة ويقرنه بموسى - عليه

السلام - كانت - رضى الله عنها - تتحسس فى أعماقها ما يرتفع بزوجها إلى مرتبة النبوة، تحسساً لم يأت من فراغ، ولكن عن خبرة حية ملموسة، تتراءى للعين، وتتجسد باليد حتى لتلمس لمساً، فجاء ما قاله ورقة مصداقا لظن صار يقينا، وحلم أصبح حقيقة!

هذا إذن سر موافقة خديجة على اعتزال زوجها الأيام ذوات العدد فى الغار؟ ولم نسمع عنها أنها قلقت عليه فى معتزله أو أنها أرسلت إليه من يدعوه، وبناته وأبناؤه من حولها يسألون عن أبيهم فتزيدهم اطمئنانا، ومن يزورونها من أقاربها يتساءلون فتبتسم وتعلمهم أنه يتعبد على دين إبراهيم، وهى واثقة أنه سيعود متى رأى أن يعود وأن أمره بيده، وحاشا أن تكون كالزوجات الساذجات ممن يسألن حين غياب الزوج؟ أين بات، ومع من؟ فقد عرفت أنه من ربه فى حرز حصين!

ولنا ونحن أمام الغار أن نمتد بالأسئلة إلى شتى اتجاهاتها الواسعة، فلا نقف عند سؤال أو سؤالين، بل نحاول أن نجيب عما يرد على الذهن فنتساءل: فيم كان يفكر الرسول ﷺ فى معتزله الأمين بغار حراء؟ أكان معتزلا صامتا ينقطع فيه صاحبه عن التفكير، وقد بعد عن الناس، وخلص من دوامة الأحياء! أم أنه تفرغ فى هذا المعتزل ليبحث فى أمور أخذت عليه منافذ تفكيره؟ يبحث فيما عليه الناس من أباطيل، حين عبدوا الحجارة الصماء؟ وحين شربوا الخمور وارتكبوا الأوزار؟ وحين شنوا الحروب للغارة والنهب وسلب الأموال، وغصب النساء؟! أليست هذه كلها شرورا يضيق بها صدر الحليم؟.

قد لا يجوز لمثلى أن يتصور أحلام الرسول وخواطره الشريفة فى هذا المعتزل، لأن الذى يصدق فى تصوير هذه الخواطر لابد أن يكون لديه من الإحساس الشريف ما يماثل إحساس الرسول، وكيف يتأتى ذلك لغير رسول كريم! إنما أحاول محاولة أن أقرب بعض الشىء من هذه الخواطر فى ضوء ما قرأته من سيرته، وما حفظته من كلماته، فلا جرم كانت هذه الكلمات الشريفة خلاصة لتفكير سام راوح الرسول وغاداه فى مفتتح حياته النبوية، إنه اعتزل بالغار فرارا من الناس ليتأمل فى أعلى مكان ما يصل بينه وبين السماء من وشائج، ليرى انتظام حركة الكون فى النجوم المتلألئة والليل المدلهم، والشمس الساطعة، كل يجرى إلى أجل مسمى، ثم يتحدر إلى



مجتمعه يشاهد هذا الانتظام الكونى فى أمور الناس. فهنا الاتزان والضبط والالتزام فى ملكوت السموات يشهده من قمة الجبل وهناك الفساد والطيش والبغى فى ملكوت الأرض يعلمه، فيفر هارباً من مآسيه، فإذا كانت أمور الكون فى أعلاه تجرى على نسق مرتب لا يتبدل وإذا جرت أمور الناس فى أدناه على هذا الخلل والاضطراب فلابد من إصلاح لهذا الفساد الشامل، والبلاء المحيق، إن غفلة الناس عن اليوم الآخر، واعتقادهم ألا حياة بعد هذه الحياة هى السيئة الأولى فى هذا الفساد! وهذا ما أستنتجه استنتاجاً من أول خطبة ألقاها رسول الله ﷺ معلنا رسالته إلى قومه، فأول خطبة نبوية لابد أن تكون خلاصة لتفكير متصل امتد سنوات وسنوات حتى انتهى إلى نتيجة حازمة لا تقبل الشك، وكان الرسول منطقيًا مع قومه حين جمعهم لإنذارهم فابتدأهم بهذا السؤال:

«أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى؟ فقالوا جميعا نعم: ما جربنا عليكم كذبا؟

بهذا السؤال وبهذا الجواب قد ألزمهم الرسول بما يشق عليهم الانحراف عنه دون جهد جاهد، حتى إذا اطمأن إلى ثقتهم فيه، تابع حديثه فقال: إن الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم، إني لرسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة. والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالإحسان إحسانا، وبالسوء سوءا، وإنها لجنة أبدا، أو لنار أبدا».

إن فساد المجتمع كله يكمن فى عدم الإيمان بالبعث، وإن الرسول ليعلم أن قضية البعث فى رأى المشركين تحتاج إلى دليل يقربها للأذهان، وقد انتهى من تفكيره فى الغار إلى صدق هذه القضية التى توجب المساءلة والمؤاخذة، والثواب والعقاب، وجاءه الوحى معلنا حقيقة هذه القضية فى أول سورة نزلت بعد سورة (اقرأ) التى بشر فيها بالرسالة، حيث يقول الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧) فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ سورة المدثر: (١: ١٠)



أما الدليل المشاهد قد جاء فى قوله ﷺ لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون، فإذا أنكر إنسان أنه يستيقظ بعد أن ينام، فليفكر أنه سيبعث بعد أن يستيقظ!

هذه خواطر جاشت بخاطرى، وأنا أقف أمام جبل حراء، وتلتها خواطر أخرى تدور مدارها وقد تركتها تتعارف فيما بينها، دون أن أفصح عنها، وحين رجعت إلى مثواى نشطت إلى قراءة ما كتبه الدكتور محمد حسين هيكل فى كتابه (فى منزل الوحى) خاصاً بوقفته أمام جبل حراء، اقرأ فيه من المعانى السامية ما أعهده لدى كاتب مقتدر تتدافع هواتفه السامية كما يتدافع الموج من أعالى القمم إلى الوهاد السحيقة، وقد قال متعجبا:

«ما للمسلمين ممن يقصدون مكة للحج أو العمرة لا تميل بهم الأسوة إلى معالجة هذه الرياضة الروحية ولها فى تهذيب النفس أكبر الأثر، وأى تهذيب للنفس كاتصال الإنسان بالكون فى مثل هذا المنقطع الرفيع، اتصالاً يسمو به المرء فوق غايات الحياة، ويرى أثناءه فى شظف العيش والغنى بالنفس ما يزيده إيمانا بالله وحده.. إنما يرغب المسلمون عن مثل هذه الأسوة الحسنة لأنهم انحرفوا عن أمر الروح، وأذعنوا لسلطان المادة، فاستولت عليهم الأثرة وما يتبعها من ابتغاء المال والجاه، والناس إذا هووا إلى هذا المنحدر فاتهم معنى العبادة على وجهها الحق، فالوحدة للتفكير ابتغاء الحقيقة لا يطيقها إلا ذوو الأرواح القوية يتلمسونها هروباً من ضعف الجماعة وضلالها لأن الحق لا يتمثل فى الجماعة الإنسانية قدر ما يتمثل فى أطواء النفس ودخيلة القلب لدى من يتلمسون الحقيقة فى أعماقهم ويتجهون إلى القوة العليا التى برأتهم، فإذا اهتدوا إليها اهتدت الإنسانية بهداهم وسعدت برأيهم».

رباه، ألا عزلة ناقعة مثمرة بإيحائها الهادف لا عزلة جدباء كالأرض الموات!

وقد يتقارب الوصفان جدا وموصوفاهما متباعدان.

د. / محمد رجب البيومى

تفسير سورة البقرة

قال تعالى:

﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ الآية: ٢٥٥

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال بعضهم: هذه آية الكرسي افضل آية فى القرآن. ومعنى الفضل أن الثواب على قراءتها أكثر منه على غيرها من الآيات. هذا هو التحقيق فى تفضيل بعض آيات القرآن على بعض. وإنما كانت افضل لأنها جمعت من أحكام الألوهية وصفات الإله الثبوتية والسلبية ما لم تجمعه آية أخرى. جاء فى الحديث الشريف عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لكل شيء سنام وإن سنام القرآن البقرة، وفيها آية هي سيدة القرآن - أى أفضله - وهى آية الكرسى»[1].

وقد اشتملت هذه الآية الكريمة على عشر جمل فيها ما فيها من صفات الله الجليلة - ونعوته السامية. أما الجملة الأولى والثانية فتتمثل فى قوله - تعالى -:

﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾.

ولفظ الجلالة ﴿ اللَّهُ ﴾ يقول العلماء: إن أصله إله دخلت عليه أداة التعريف «أل» وحذفت الهمزة فصارت الكلمة الله.

قال القرطبى: قوله: ﴿ اللَّهُ ﴾ هذا الاسم أكبر أسمائه - تعالى - وأجمعها، حتى قال بعضهم إنه اسم الله الأعظم ولم يتسم به غيره، ولذلك لم يثن ولم يجمع، فالله اسم الموجود الحق الجامع لصفات الألوهية، المنعوت بنعوت الربوبية المنفرد بالوجود الحقيقى، لا إله إلا هو - سبحانه -»[2].

ولفظ ﴿ إِلَٰهَ ﴾ قالوا إنه من أله فلان يأله أى عبد. فالإله على هذا المعنى هو المعبود، وقيل هو من أله أى تحير.. وذلك العبد إذا تفكر فى صفاته - سبحانه - تحير فيها؛ ولذا قيل: «تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى الله»[3].

و﴿ الْحَيُّ ﴾ أى الباقى الذى له الحياة الدائمة التى لا فناء لها. لم تحدث له الحياة بعد موت، ولا يعتريه الموت بعد الحياة، وسائر الأحياء سواه يعتريهم الموت والفناء.

و﴿ الْقَيُّومُ ﴾ أى: الدائم القيام بتدبير أمر الخلق وحفظهم، والمعطى لهم ما به قوامهم. وهو مبالغة فى القيام، وأصله قيووم - بوزن فيعول - من قام بالأمر إذا حفظه ودبره.

والمعنى: الله - عز وجل - هو الإله الحق المنفرد بالألوهية التى لا يشاركه فيها سواه، وهو المعبود بحق وكل معبود سواه فهو باطل، وهو ذو الحياة الكاملة، وهو الدائم القيام بتدبير شئون الخلق وحياطتهم ورعايتهم وإحيائهم وإماتتهم.

والجملة الثالثة قوله - تعالى -:

﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ وهى جملة سلبية مؤكدة للوصف الإيجابى السابق،

---

(١) حاشية الجمل على الجلالين جـ١ صفحة ٢٠٦.

(٢) تفسير القرطبى جـ١ صفحة ١٠٣.

(٣) مفردات القرآن للراغب الأصفهانى صفحة ٢١.

فإن قيامه على كل نفس بما كسبت، وعلى تدبير شئون خلقه يقتضى ألا تعرض له غفلة، ولأن السِّنة والنوم من صفات الحوادث وهو - سبحانه - مخالف لها.

والسِّنة: الفتور الذى يكون فى أول النوم مع بقاء الشعور والإدراك. ويقال له غفوة.

يقال: وَسَنَ الرجل يوسن وسناً وسنة فهو وسن ووسنان إذا نعس والمراد أنه - سبحانه - لا يغفل عن تدبير أمر خلقه أبداً، ولا يحجب علمه شىء حجباً قصيراً أو طويلاً، ولا يدركه ما يدرك الأجسام من الفتور أو النعاس، أو النوم.

وتقديم السِّنة على النوم يفيد المبالغة من حيث إن نفى السنة يدل على نفى النوم بالأولى، فنفيه ثانياً صريحاً يفيد المبالغة لأن عطف الخاص على العام يفيد المبالغة ولأن عطف الخاص على العام يفيد التوكيد أى لا تأخذه سنة فضلاً عن أن يأخذه نوم.

وفى قوله: ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ ﴾ دلالة على أن للنوم قوة قاهرة تأخذ الحيوان أخذاً وتقهر الكثير من أجناس المخلوقات قهراً، ولكنه - سبحانه - وهو القاهر فوق عباده - منزه عن ذلك، ومبرأ من أن يعتريه ما يعترى الحوادث.

وقوله - سبحانه - فى الجملة الرابعة:

﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾.

تقرير لانفراده بالألوهية إذ جميع الموجودات مخلوقاته، وتعليل لاتصافه بالقيومية، لأن من كانت جميع الموجودات ملكاً له فهو حقيق بأن يكون قائماً بتدبير أمرها.

والمراد بما فيهما ما هو أعم من أجزائهما الداخلة فيهما ومن الأمور الخارجة عنهما المتمكنة فيهما من العقلاء وغيرهم. فالجملة الكريمة تفيد الملكية المطلقة لرب العالمين لكل ما فى هذا الوجود من شمس وقمر وحيوان ونبات وجماد وغير ذلك من المخلوقات. وصدرت الجملة بالجار والمجرور «له» لإفادة القصر أى مُلك السماوات والأرض له وحده ليس لأحد سواه شىء معه.

والاستفهام فى قوله فى الجملة الخامسة:

﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾.

للنفى والإنكار أى: لا أحد يستطيع أن يشفع عنده - سبحانه - إلا بإذنه ورضاه قال - تعالى:

﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾[4]

(4) النجم (26).

والمقصود من هذه الجملة - كما يقول الآلوسى: «بيان كبرياء شأنه - تعالى - وأنه لا أحد يساويه أو يدانيه بحيث يستقل أن يدفع ما يريده دفعاً على وجه الشفاعة والاستكانة والخضوع فضلاً عن أن يستقل بدفعه عناداً أو مناصبة وعداوة. وفى ذلك تيئيس للكفار حيث زعموا أن آلهتهم شُفعاء لهم عند الله»[5].

وقوله - سبحانه - فى الجملة السادسة:

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾.

تأكيد لكمال سلطانه فى هذا الوجود، وبيان لشمول علمه على كل شىء.

والضمير فى (أيديهم) و(خلفهم) يعود إلى (ما) فى قوله قبل ذلك:

﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾.

وعَبَّر بضمير الذكور العقلاء، تغليباً لجانبهم على جانب غير العقلاء.

والعلم بما بين أيديهم وما خلفهم كناية عن إحاطة علمه - سبحانه بماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم، وما يعرفونه من شئونهم الدنيوية وما لا يعرفونه.

وقوله - تعالى - فى الجملة السابعة:

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾

معطوف على قوله:

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾.

لأنه مُكمِّل لمعناه. والمراد بالعلم المعلوم. والإحاطة بالشىء معناها العلم الكامل به.

أى: لا يعلمون شيئاً من معلوماته - سبحانه - إلا بالقدر الذى أراد أن يعلمهم إياه على ألسنة رُسُله. فهو كقوله - تعالى -:

﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾[6].

فالجملة الكريمة بيان لكمال علم الله - تعالى - ولنقصان علم سواه، إذ أن البشر لم يعطوا من العلم إلا القليل، وهذا القليل ناقص لأنه ليس على إحاطة واستغراق لكل ما تشتمل عليه جزئيات الشىء ووجوده وجنسه وكيفيته وغرضه المقصود به وبإيجاده، إذ العلم الكامل بالشىء لا يكون إلا لله رب العالمين.

ثم قال - تعالى - فى الجملة الثامنة:

﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾.

قال الراغب: «الكرسى فى تعارف العامة: اسمٌ للشىء الذى يُقْعَد عليه، وهو فى الأصل منسوب إلى الكرس، أى الشىء المجتمع، ومنه الكراسة لأنها تجمع العلم.. وكل مجتمع من الشىء كرس»[7].

(5) تفسير الآلوسى جـ ٣ صفحة ٩.

(6) الجن (26)، (27).

(7) المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى صفحة ٤٢٨ بتلخيص.

وللعلماء اتجاهان مشهوران فى تفسير معنى الكرسى فى الجملة الكريمة. فالسلف يقولون: إن لله - تعالى - كرسياً علينا أن نؤمن بوجوده وإن كنا لا نعرف حقيقته، لأن ذلك ليس فى مقدور البشر.

والخلف يقولون: الكرسى فى الآية كناية عن عظم السلطان ونفوذ القدرة، وسعة العلم، وكمال الإحاطة.

ولصاحب الكشاف تلخيص حسن لأقوال العلماء فى ذلك، فقد قال - رحمه الله - وفى قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ أربعة أوجه:

أحدها: أن كرسيه لم يضق عن السماوات والأرض لبسطته وسعته وما هو إلا تصوير لعظمته ولا كرسى ثمة ولا قعود ولا قاعد.

والثانى: وسع علمه، وسمى العلم كرسياً تسمية بمكانه الذى هو كرسى العالم.

والثالث: وسع ملكه تسمية بمكانه الذى هو كرسى الملك.

والرابع: ما روى أنه خلق كرسياً هو بين يدى العرش دونه السماوات والأرض وهو إلى العرش كأصغر شىء. وعن الحسن الكرسى هو العرش[8].

هذا وقد روى المفسرون عن ابن عباس أنه قال: «كرسيه، علمه»[9] ولعل تفسير الكرسى بالعلم كما قال حبر الأمة هو أقرب الأقوال إلى الصواب، لأنه هو المناسب لسياق الآية الكريمة.

ثم ختم - سبحانه - الآية الكريمة بالصفتين التاسعة والعاشرة فقال - تعالى -:

﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾

﴿وَلَا يَئُودُهُ﴾ معناه: يثقله ويشق عليه. يقال: آدنى الأمر، بمعنى أثقلنى وتحملت منه المشقة.

و﴿الْعَلِيُّ﴾ هو المتعالى عن الأشباه، والأنداد، والأمثال، والأضداد وعن أمارات النقص ودلالات الحدوث. وقيل: هو من العلو الذى هو بمعنى القدرة وعلو الشأن.

والمعنى: ولا يثقله ولا يتعبه حفظ السماوات والأرض ورعايتهما، وهو المتعالى عن الأشباه والنظائر، والمسيطر على خلقه، العظيم فى ذاته وصفاته، ففى هاتين الجملتين بيان لعظيم قدرته، وعظيم رعايته

(8) تفسير الكشاف جـ 1 صفحة 301.

(9) تفسير القرطبى جـ 3 صفحة 276.

لخلقه، وتنزيهه - سبحانه - عن مشابهة الحوادث.

وبعد، فهذه آية الكرسى التى اشتملت على عشر جمل، كل جملة منها تشتمل على وصف أو أكثر من صفات الله الجليلة، ونعوته المجيدة، وألوهيته الحقة، وقدرته النافذة، وعلمه المحيط بكل شىء، قد أقامت الأدلة الساطعة على وحدانية الله - تعالى - ووجوب إفراده بالعبادة.

وقد تكلم العلماء طويلاً عن تناسق جملها، وبلاغة تراكيبها، ووجوه فضلها، ومن ذلك قول صاحب الكشاف: «فإن قلت: لِمَ فُضِّلَتْ هذه الآية على غيرها حتى ورد فى فضلها ما ورد؟. قلت: لما فُضِّلَتْ له سورة الإخلاص من اشتمالها على توحيد الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى، ولا مذكور أعظم من رب العزة. فما كان ذكراً له كان أفضل من سائر الأذكار»[10].

ومن الأحاديث التى ساقها الإمام ابن كثير فى فضلها ما جاء عن أبى بن كعب أن النبى ﷺ سأله: «أى آية فى كتاب الله أعظم؛ قال الله ورسوله أعلم، فرددها مراراً ثم قال: آية الكرسى. فقال له الرسول ﷺ: «ليهنك العلم أبا المنذر».

وأخرج الإمام مسلم فى صحيحه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن أعظم آية فى القرآن هى آية الكرسى».

وروى أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - خرج ذات يوم على الناس فقال: أيكم يخبرنى بأعظم آية؟. فقال ابن مسعود على الخبير سقطت، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أعظم آية فى القرآن:

﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾»[11].

***

(10) تفسير الكشاف جـ 1 صفحة 303.

(11) راجع تفسير ابن كثير جـ 1 ص 304 وما بعدها.

السنة

اجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم

للأستاذ عبدالرحمن الجزيرى

١

إعداد الشيخ / على حامد عبدالرحيم

عن ابن عمر أنه قال: «لما توفي عبدالله بن أبي بن سلول جاء ابنه عبدالله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه، ثم سأله أن يصلى عليه، فقام رسول الله ليصلى عليه، فقام عمر فأخذ بثوب النبي ﷺ فقال يا رسول الله: تصلى عليه وقد نهاك ربك؟ فقال ﷺ: إنما خيرني الله فقال:

﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾(١)

وسأزيده على السبعين.

قال عمر: إنه منافق! قال: فصلى عليه رسول الله، فأنزل الله:

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ﴾(٢)

رواه الشيخان

(١) سورة التوبة (٨٠). (٢) التوبة (٨٤).

من مختارات مجلة الأزهر
الجزء العاشر من السنة الثامنة
سنة ١٣٥٦هـ

يتعلق بشرح هذا الحديث أمور:

(١) هل يدل الحديث على أنه يجوز للرسول ﷺ أن يجتهد في الأحكام الشرعية قبل نزول الوحى

(٢) وإذا جاز له الاجتهاد فما فائدته مع اتصاله بالوحي: ألم يكن الأولى أن يتلقى الأحكام كلها عن الوحى؟

(٣) يؤخذ من الحديث أن عمر قد خالف الرسول في اجتهاده، فهل لأحد أن يخالف الرسول في حكم شرعي، وكيف يتفق ذلك مع قوله تعالى:

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾(٣)

(٤) قد صرح الحديث بدليل الرسول الذى بنى عليه اجتهاده فقال: إنما خيرني الله.. إلخ، فما دليل عمر الذى بنى عليه نهى النبى عن الصلاة؟

(٥) قد أقر الله اجتهاد عمر في الظاهر حيث قال للرسول:

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾(٤).

فما هو السر في ذلك؟

(١) أما الجواب عن السؤال الأول فهو بالإيجاب، وذلك لأن الحديث صريح في أن النبى ﷺ قد اجتهد فعلا في حكم شرعي. أما كونه حكما شرعيا فظاهر، لأن جواز الصلاة على المنافق المتوفى وعدم جوازه حكم شرعي بلا ريب. وأما كونه صادراً عن الرسول باجتهاد لا بالوحي فذلك لأن عمر قد خالفه فيه، ولو كان صادراً عنه بطريق الوحي لما جاز لعمر أن يخالفه فيه كما ستعرفه بعد، فهذا دليل واضح على أن للنبي ﷺ أن يجتهد، لأنه قد اجتهد فعلا ولم ينهه الله عن الاجتهاد.

على أن بعض علماء الأصول قال: ليس للرسول أن يجتهد. وقد استدل من قال ذلك بدليلين:

(أحدهما) أن رأى المجتهد يحتمل الخطأ والصواب، ولهذا لا يجب على الناس أن يقلدوا المجتهد، وهذا المعنى لا يتحقق في الرسول لأن الله ـ تعالى ـ أوجب علينا اتباعه في كل الأحكام التي يجيء بها بحيث لا يجوز لأحد مخالفته فيما يأمر به أو ينهى عنه.

(ثانيهما) أن الرسول قد بعث ليبلغ الأحكام عن ربه، فيجب أن تكون شريعته كلها بنصوص من عند الله لأن الشأن في المبلغ أن يقتصر على ما يوحى إليه، ومتى اجتهد يخرج عن وظيفة التبليغ إلى وظيفة الاجتهاد التى لم يبعث لها.

وقد أجيب عن الدليلين بأن النبى ﷺ متصل بالوحي، فلو أخطأ في اجتهاده فإن الله لا يقره على الخطأ بل يوحى إليه بالصواب الذي يجب العمل به. ولهذا كان اتباعه في كل ما جاء به من الأحكام واجبا بخلاف غيره من المجتهدين فالرسول وإن كان يوصف

(٣) الحشر (٧).

(٤) التوبة (٨٤).

بالاجتهاد في بعض الأحكام في أول الأمر ولكن بعد أن يقر الوحي اجتهاده يصبح رأيه في الحكم صوابا جزما لا يحتمل الخطأ كالنص الموحى به بدون فرق. وبذلك تعلم أن الرسول لا يخرج باجتهاده عن وظيفة التبليغ لأن اجتهاده بعد إقرار الوحي إياه يكون كالنص الموحى به بلا فرق.

على أن هناك أدلة كثيرة من الكتاب والسنة تدل على أن للرسول أن يجتهد:

منها قوله تعالى:

﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾(٥).

ولا يخفى أن البيان عام يتناول ما كان بطريق الوحي وما كان بطريق الاجتهاد بل لو قصرناه على ما كان بطريق الوحي لم يكن له كبير فائدة، لأن البيان بطريق الوحي مأمور به ضمن الآيات الأخرى.

ومنها قوله تعالى:

﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾(٦).

وليس من المعقول إخراج الرسول من أولى الأبصار المأمورين بالاعتبار أعنى الاجتهاد، لأنه سيد أولى الأبصار وأجدرهم بالنظر والاعتبار.

ومنها قوله تعالى:

﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾(٧) فإنه لو لم يكن له رأى فاصل في الأمور لم يكن لأمره باستشارتهم معنى، فإن الذى لا يملك البت في أمر يكون عابثا إذا شاور غيره فيه. ولا يصح أن يقال إنها شورى ظاهرية يقصد بها تطييب خاطرهم فقط لأن ذلك مما ينزه الله عنه ورسوله وأجلاء الصحابة، فإنهم إذا علموا أن الشورى لا فائدة لها مطلقا تهيج خواطرهم لا تطيب. وأيضا لو صح هذا لما كان لمخالفتهم إياه معنى، مع أنه قد ثبتت مخالفتهم إياه في كثير من الحوادث، وقد أقرهم الله على رأيهم في كثير منها. وهذا الحديث الذى معنا شاهد صدق على أن النبى قد اجتهد فعلا وخالفه عمر وأقر الله اجتهاد عمر في الظاهر، ولم ينه الرسول عن الاجتهاد. ومثله كثير في السنة، بل وفي كتاب الله ـ تعالى.

ومنها قوله تعالى:

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾(٨).

وحاصل ما قيل فيها إن المسلمين قد أسروا في معركة بدر سبعين أسيرا، منهم العباس عم الرسول، وعقيل بن أبى طالب، وسهيل بن عمرو، من فصحاء مكة وخطبائها البلغاء، فاختلف المسلمون في أمر هؤلاء الأسرى،

---

(٥) النحل: (٤٤).
(٦) الحشر: (٢).
(٧) آل عمران: (١٥٩).
(٨) الأنفال: (٦٧).

فكان من رأى الرسول صلوات الله عليه وأبى بكر ومعهما بعض الصحابة إطلاق سراح هؤلاء الأسراء بفدية مالية ينتفع بها المسلمون. وكان من رأى عمر، وسعد بن معاذ ومعهما بعض المسلمين قتلهم. وظاهر هذه الآية يؤيد عمر ومن معه، ولكن الواقع أن الله قد أيد الفريقين.

بيان ذلك: أن وجهة نظر عمر ـ رضى الله عنه ـ قد يقال فيها إن المسلمين كانوا في بدء قوتهم فمن واجبهم أن يستمسكوا بكل مايزيد في هذه القوة التى يتوقف عليها نشر الدعوة إلى الله كي يرهبوا أعداءهم الذين يتربصون بهم الدوائر، ويريدون القضاء عليهم وعلى الدعوة إلى الله في مهدها. فالسياسة الحربية يومئذ تقضى استئصال المحاربين وعدم إطلاق الأسرى في نظير فدية مالية، خصوصاً إذا كان الأسير ذا جاه ونفوذ، فإن إطلاقه في نظير فدية من المال في وقت ضعفهم قد يترتب عليه شر عظيم لا يوازيه مال كثير، فلذا رأى عمر قتلهم لما فيه من إرهاب المشركين، وقطع دابر بعض أئمة الكفر الذين أخرجوهم من ديارهم وأموالهم وآذوهم شر إيذاء.

وأما وجهة نظر الرسول عليه الصلاة والسلام وأبى بكر، فقد يقال فيها: إن قتل هؤلاء لا فائدة فيه، بل قد يثير أحقاد من وراءهم بحالة عنيفة، فيتألبون على المسلمين قبل أن يقوى جانبهم ويشتد ساعدهم فتسوء الحال، وأن الدين الإسلامى يرتكز في الواقع على قوة البرهان لا على البطش والإرهاب، وكثير من هؤلاء الأسرى مستعدون للإدراك الصحيح، فلابد أن تؤثر فيهم قوة البرهان القاطع، فيؤمنوا بالله ورسوله، ويكون للدين بهم قوة، وذلك هو الغرض من الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ فضلا عن أن المال الذى يأخذونه فداء يمكنهم أن يؤسسوا به قوة ترهب الأعداء أكثر مما يرهبهم قتل هؤلاء الأسرى، والمسلمون وقتئذ كانوا في أشد حاجة إلى المال.

وقد تحققت وجهة نظر النبى ﷺ في عاقبة الأمر من جميع جهاتها، فقد دخل معظم هؤلاء الأسرى في الإسلام، وكانوا من أشد أنصاره وأقوى أساطينه. روى أن عمر قال لرسول الله: إن سهيل بن عمرو قد آذى المسلمين بخطبه وفصاحته فيحسن أن تنزع بعض أسنانه التى يتعطل بها لسانه فيستحى من أن يقف موقف الخطيب الفصيح فقال له رسول الله: عسى أن يقوم مقاما تمدحه عليه وأطلقه بالفدية بدون أن يؤذيه، فدخل سهيل الإسلام وكان من أقوى أنصاره، ولما مات رسول الله عزم بعض ضعاف الإيمان على الردة فقام سهيل هذا فيهم خطيبا فحولهم عن عزيمتهم، وذلك هو الموقف الذى مدحه عليه عمر. وبذلك تحققت سياسة الرسول كاملة عليه الصلاة والسلام.

فهذا بعض ما قد يقال في توجيه الرأيين ويؤخذ من فحوى تعليل كل واحد من الفريقين لرأيه أما الله ـ عز وجل ـ العليم بأحوال عباده

ومما يؤثر فيهم، فقد أيد الفريقين فى الواقع، وذلك لأن الله قد أقر سياسة النبى فى إطلاق الأسرى وأخذ الفدية منهم، ولو كان يريد قتلهم وعدم أخذ الفدية لأوحى به إلى الرسول قبل أن يأخذ منهم شيئا وقبل أن يطلقهم، كما وقع ذلك فى بعض الحوادث، فإن النبى لما أراد أن يتفق مع بعض كبار المشركين على أن يقصى من مجلسه بعض ضعاف المؤمنين حرصا على إيمان هؤلاء الكبار، وأراد أن يكتب لهم بذلك صكا، نزل عليه الوحى فى الحال ونهاه عن ذلك فلم يفعل. وما ذاك إلا لأن الله تعالى عليم خبير بما قد يترتب على إطلاق هؤلاء الأسرى فى النهاية من الخير العظيم، إذ لو لم يكن فيه سوى إسلام العباس وعقيل وسهيل وأمثالهم من أساطين المسلمين الذين أبلوا فى سبيل نصرة الإسلام البلاء الحسن لكفى ولكن هذه النهاية لا يعلمها إلا الله - عز وجل - فلذا لم يمنع الرسول من تنفيذ اجتهاده، ولو شاء لأوحى إليه بالمنع. فضلا عن ذلك فقد أباح سبحانه للمسلمين الانتفاع بالفدية، وفى ذلك إقرار لسياسة الرسول ﷺ فى الواقع، ولكن هذه الحالة خاصة بالرسول المتصل بالوحى، فهو الذى يمكنه أن يقدم على تنفيذ اجتهاده هذا وهو آمن مما يترتب عليه من شر، راج لما يترتب عليه من خير أما غيره من المسلمين فليس لهم أن يفعلوا هذا. فمن أجل ذلك خاطب الله رسوله بقوله:

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[9].

ومعنى الآية: ما كان ينبغى للنبى أن يتسامح مع الأسرى فيأخذ منهم الفداء ويطلق سراحهم من قبل أن يغزو المشركين ويثخنهم قتلا حتى يخضعوا للدعوة إلى الله ويعز الإسلام، فإذا عظمت قوة المسلمين وقويت شوكتهم وأصبحوا آمنين على الدعوة إلى الله وعلى أنفسهم من بطش المشركين، كان لهم أن يفعلوا ذلك، بل كان لهم أن يطلقوا الأسرى بدون فدية أصلا. وهذا هو الذى وقع فعلا، فإن الله خيرهم بعد فى أمر الأسرى فقال لهم:

﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾[10] فأباح لهم إطلاق الأسرى بدون مقابل منًّا منا عليهم.

ولا يخفى أن ذلك تأييد لاجتهاد عمر ومن معه فى الظاهر، فكأن الله سبحانه يقول: إن سياسة الرسول وأبى بكر ومن معهما حسنة فى ذاتها ولكنها سابقة لأوانها، ومع ذلك فإذا فعلها الرسول فإنها لا تضر، لأنه قد يترتب عليها فائدة فى المستقبل، ولكن هذه الفائدة غير عادية، فلا يعلمها إلا الله الذى لا يمنع رسوله منها إن كان فيها خير أما سياسة عمر ومن معه فهى المطابقة للسنن الطبيعية، وهى التى ينبغى للمسلمين أن يفعلوها ففى خطاب الرسول

---

(9) الأنفال (67).

(10) سورة محمد: (4).

بهذه الآية إشعار للمسلمين بما يجب أن يكونوا عليه فى مثل هذه الحالة.

والحاصل على أن حال المشركين يومئذ كان يستدعى أن يظهر المسلمون بمظهر البطش والقوة، لأن المشركين كانوا كثيرين أقوياء بالمال والرجال، والمسلمون كانوا أقلية ضعيفة، فإذا لم يشعروا بشدة بأسهم وقوة بطشهم فإنهم لا يبالون بهم، وهذا ما كان يراه عمر ومن معه، وهو ما يجب على كل مجتهد ينظر فى شئون المسلمين الدينية المتعلقة بالمصالح العامة والخاصة. فواجب على المجتهد أن ينظر إلى الظروف المحيطة به، ويبنى اجتهاده على الحقائق الثابتة، لا على ما عساه أن يقع، خصوصا فى الأمور الحربية فإنها تستدعى الشدة والحيطة من جميع الوجوه وأما قوله تعالى:

﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[11].

فمعناه أن الله قد كتب على نفسه أن لا يؤاخذ المجتهدين على خطأ مهما عظم. بل قد ثبت أنه تعالى يثيب المجتهد وإن أخطأ.

وبعد: فإن كل هذا واضح الدلالة على أنه ﷺ قد اجتهد فى أحكام شرعية لم ينزل بها الوحى، وقد خالفه أصحابه فى بعضها، وأقر الله اجتهادهم ولم ينههم عنه، بل قال لهم إنه كتب على نفسه أن لا يؤاخذ المجتهد على خطأ. فهل بعد ذلك من دليل على صحة قول من يرى جواز اجتهاد الرسول صلوات الله وسلامه عليه؟ فهو إمام المجتهدين، ومرشدهم الأعظم بلا نزاع.

(٢) أما الجواب عن السؤال الثانى وهو: ما فائدة اجتهاد الرسول مع اتصاله بالوحى إلخ؟ فهو: أن له فوائد كثيرة: أهمها أن فى اجتهاد الرسول وكبار أصحابه أسوة حسنة لمن بعدهم من المجتهدين، ومثلا كاملا لما يصح أن يختلف فيه المجتهدون، فإن كل المسائل التى اختلفوا فيها سواء كانت متعلقة بالمعاملات كما فى أسرى بدر، أو بالعبادات كما فى الصلاة على المنافق المتوفى، كان مدار اختلافهم فيها على أربعة أمور:

أحدها: توخى المصلحة العامة التى كان يعتقد كل فريق أنها إلى جانبه.

ثانيها: التمسك بالأدلة الواضحة التى لا تعسف فيها ولا خفاء فى مقدماتها بحيث لا يرتاب من سمع الحجة فى أنها صادرة عن قلب مخلص بعيد عن الهوى والشغب.

ثالثها: عدم التعصب للرأى، والبعد عن التشبث بالجدل متى وضح الحق وظهرت النتيجة.

رابعها: أنهم ما كانوا يجتهدون إلا عند عدم النص، أما إذا وجد النص فإنهم كانوا يعمدون إلى المعنى المتبادر منه ويعملون به.

---

(11) الأنفال: (68).

ومما لا ريب فيه أن الاجتهاد المبنى على ذلك لا غنى عنه للمسلمين فى جميع الأجيال، لأن رسول الله مرسل للناس جميعاً، ولابد من تجدد الحوادث وتفاوت المصالح بحسب تفاوت الأزمنة والبيئات، ولابد من تطبيق ما يتجدد من ذلك على نصوص الدين الخاصة إن وجدت، أو النصوص العامة إن لم يوجد نص خاص، ولابد من تفاوت أفهام الناس واختلاف أنظارهم، فكان من اللازم الضرورى أن يجتهد الرسول وأصحابه ليكونوا قدوة حسنة للمجتهدين من بعدهم. ومن أجل ذلك تركهم الله يجتهدون بدون وحى ليعلموا من بعدهم، ثم حكم الله فى اجتهادهم ليبين للمجتهدين وجه الصواب الذى يجب عليهم أن يتحروه بكل ما فى طاقتهم، وليرشد الناس إلى أن الاجتهاد ليس من الأمور الهينة، فإن الرسول وهو أرقى الناس ذكاء وفطنة خفيت عليه بعض العلل، فيجب أن يكون المجتهد قادرا على استنباط الأحكام، وليعلمهم أنه يجب عليهم أن يتبعوا الرأى الصواب مهما كان مصدره، وأنه يجب ألا يجد العظيم فى نفسه غضاضة إذا أخطأ هو وأصاب غيره، وليشجعهم على الاجتهاد وترك التقليد، لأن المجتهد لا يؤاخذ على الخطأ متى بذل الجهد وتمسك بكل الوسائل اللازمة.

فهذا هو اجتهاد الرسول وأصحابه، فهل رأيتهم اختلفوا فى أصل من أصول الدين، أو فى عقيدة من العقائد، أو فى نص من نصوص كتاب الله الواضحة الجلية؟ وهل رأيتهم ينتحلون فى اختلافاتهم دليلا واهنا أو معنى بعيدا كى يصلوا بذلك إلى غرض شخصى أو شهوة كامنة أو اعتقاد باطل؟ وهل رأيت واحداً منهم يتعصب لرأى أو يحاول الظهور بين الناس بالعلم والذكاء والقدرة على إفحام مناظره؟ أو هل رأيت أحدا منهم يضحى فى اجتهاده بالمصلحة العامة طمعا فى الحصول على مصلحة خاصة، أو رأيتهم جميعا فى اجتهادهم على العكس من ذلك: لا يجتهدون إلا للمصلحة العامة التى يترتب عليها إعزاز دينهم ووطنهم، فلا يبغون بها بديلا ولو قطعت رقابهم وزهقت نفوسهم؟

نعم: إنهم كانوا كذلك وأكثر من ذلك لمن يتأمل، فكانوا خير قدوة لمن بعدهم من المجتهدين الذين درجوا على نهجهم، وساروا فى طريقهم واتبعوا آثارهم فلم يخرجوا عنها قيد شعرة. فجزاهم الله عن دينهم ونبيهم أحسن الجزاء.

***

فى ذكرى مولد النبى صلى الله عليه وسلم

لفضيلة الشيخ / محمود عبد الغنى عاشور
وكيل الأزهر الشريف

رسول الله ﷺ أسمى وأكرم من أن يُقيمه بشر مثله.

ولكن الذى يقدر على أن يقيمه التقييم الطبيعى لمكانه، هو ربه الذى اصطفاه وأرسله:

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾(١).

وإذا أردنا أن نعرض لتقييم الحق لرسوله ﷺ وجدناه حين يخاطب جميع الرسل، يخاطبهم بأسمائهم مباشرة.. فيقول:

﴿ يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ ﴾(٢).

ويقول:

﴿ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا ﴾(٣).

ويقول:

﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (11) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾(٤)

ويقول:

﴿ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾(٥).

ولكنه حينما يتوجه بالخطاب إلى حبيبه الأعظم ﷺ «لم يقل له يا محمد، ولا يا أحمد، وإنما قدم بين يدى ندائه قوله:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾(٦) ذلك أمر يضع رسول الله ﷺ فيرفعه إلى أقرب المكانات من ربه.

ونجد الحق ـ سبحانه وتعالى ـ حين يقسم على أشياء ليؤكدها، يقسم بأشياء كثيرة، من أجناس شتى فيقسم بالجماد ويقسم بالنبات ويقسم بالحيوان ويقسم

(١) الملك (١٤).
(٢) طه (١١٧).
(٣) هود (٤٨).
(٤) طه (١١، ١٢).
(٥) المائدة (١١٦).
(٦) الطلاق (١).

بالملائكة، ولكننا لم نره أقسم ببشر مطلقا اللهم إلا برسوله ﷺ، حين يقول:

﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾(٧).

أى: وحياتك يا محمد. فكان عمر رسول الله، وحياة رسول الله، أمر له مقامه عند ربه. وإذا كان الناس حين يمدحون إنسانا بحسن الخلق ونبل الصفات وجمال الخلق، فإنهم يمدحونه. لأنهم عرفوا الصفات وقيموها ببشريتهم وتقييم البشر للأشياء خاضع لعلمهم بهذه الأشياء، فإن الحق حين يقيم الخلق على أرفع مستوى خلقه فى الإنسان، فيقول:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(٨) فحين يقول الحق سبحانه وتعالى لرسوله:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ فليس المقصود هنا الخلق المتواضع عليه عند البشر، ولكنه الخلق المطلوب لله.

ورسول الله اجتاز هذه المنزلة، فكان صاحب الخلق العظيم بتقييم الله العظيم.

والحق ـ سبحانه وتعالى ـ حين يريد هدى خلقه؛ يرسل لهم رسلا

وقد شاء الله أن يختم الرسالات برسالة سيدنا محمد ﷺ، فالرسول ﷺ هو الخاتم، ومعنى الخاتم: أن الله أودع فى أمته خصيصة تقوم مقام تعدد النبوات، وتعدد الرسالات، إذن فرسول الله ﷺ هو الخاتم لرسالات السماء، ومادام الخاتم لرسالات السماء فلابد أن يكون فى رسالته عناصر البقاء وفى أمته أيضا. عناصر الحفاظ على هذه الرسالات، فمحمد ﷺ أهل لأن يتلقى كمالات متعددة، ولكن الأمة لا يستطيع فرد منها أن يأخذ الكمال المحمدى، فالخير فيه ﷺ بأجمعه وكله، ولكنه فى أمته موزع، فواحد يأخذ منه صفة، وآخر يأخذ منه صفة، وثالث يأخذ منه صفة بحيث إذا تجمعت صفات الكمال فى أمته ﷺ، أمكن أن يكون هو النموذج الشائع فى الأمة كلها.

جاء رسول الله ﷺ ليعيد انسجام الإنسان مع الوجود ومعنى انسجام الإنسان مع الوجود بجماده ونباته وحيوانه مسخر لله لا يمكن أن يصدر عنه شىء إلا بمراد الله منه، ولكن الإنسان نفسه هو الذى جاء منه الطائع وجاء منه العاصى. ولذلك يعرض الحق هذه القضية فى عدم انسجام الإنسان مع الوجود الخاضع الساجد الخاشع، يقول الحق:

(٧) الحجر (٧٢).

(٨) القلم (٤).

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ ﴾(٩)

تلك هى أجناس بإجماع ساجدة خاضعة لله، ولكنه حين جاء عند الإنسان لم يأت ذلك الإجماع، فقال..

﴿ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ﴾.

وكان من المفروض أن ينسجم الإنسان مع الوجود كله، فيكون خاضعا لمنهج الله يأتلف معه، وينسجم معه، ولا يختلف شىء من الوجود مع الإنسان الطائع. أما الإنسان العاصى فهو يشكل شقاقا بينه وبين أجناس الوجود وجود مسبح وجود ساجد وجود خاشع، وإنسان متمرد عاص. حين يأذن الله ـ سبحانه وتعالى ـ ليعيد للإنسان ـ بمنهج الله ـ انسجامه مع الوجود فلا بدعة إذن أن يفرح ذلك الوجود بمن يعيد إليه انسجام الإنسان معه وذلك هو الشأن معه ﷺ، جاء ليعيد انسجام الإنسان مع الوجود كله. ليأتى بالمنهج النهائى لهدى الإنسان، ليكون الإنسان خاضعا كبقية أجناس الكون لله ـ سبحانه وتعالى ـ إذن فلا عجب أن يفرح به الوجود، ولا عجب أن يفرح به الجماد ولا عجب أن يفرح به النبات ولا عجب أن يفرح به الحيوان، ولا عجب أن تفرح به الملائكة، ولا عجب أن يفرح به طائع الجن، فإذا حدثنا أن ميلاده ﷺ قد قرن بأشياء حدثت فى الكون من إرهاصات فى الوجود كله لميلاده فيجب علينا ألا نستبعد ذلك لأنه هو الرسول الذى يعيد للإنسان انسجامه مع الوجود كله والوجود كله ـ كما نعرفه ـ ليست فيه الحياة التى نعرفها فى نفوسنا، ولكن له حياة وله تعقل فى التلقى عن الله وله فرح وله حزن، إذا فإذا عرضت لنا السيرة أن أشياء من الكون فرحت برسول الله، وحدثت أشياء منها، فذلك أمر لا نستبعده على كون مسبح لله عارف بحق الله. وأيضا، لسنا نحن المطلوبين بأن نؤمن بهذا ولكن الذين آمنوا هم الذين شاهدوها، هم الذين سمعوها، فالذين سمعوها حجة على أنفسهم، ونحن نتلقى عنهم الخبر فإن كنا موثقين لهم فى الخبر، صدقناه، وإن لم يتسع ظننا لتوثيق الخبر، فنحن أحرار بأن نصدق أو لا نصدق ولكن منطق الأشياء ومنطق الوجود، لا يحيل وجود شىء من ذلك. فإذا حدثنا أن إيوان كسرى قد شق فماذا فى ذلك؟ وما فى ذلك من العجب؟ أنستبعد أن يوقت شق الإيوان بالميلاد؟ أنستبعد على الله أن يخمد نار فارس، وأن يوقتها مع الميلاد؟ أنستبعد على الله أن يوقت أن تغيض بحيرة ساوة مع الميلاد؟ لما هذا إذن فالقرآن حين

(٩) الحج (١٨).

بالملائكة، ولكننا لم نره أقسم ببشر مطلقا اللهم إلا برسوله ﷺ، حين يقول:

﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[7].

أى: وحياتك يا محمد. فكان عمر رسول الله، وحياة رسول الله، أمرا له مقامه عند ربه. وإذا كان الناس حين يمدحون إنسانا بحسن الخلق ونبل الصفات وجمال الخلق، فإنهم يمدحونه. لأنهم عرفوا الصفات وقيموها ببشريتهم وتقييم البشر للأشياء خاضع لعلمهم بهذه الأشياء، فإن الحق حين يقيم الخلق على أرفع مستوى خلقه فى الإنسان، فيقول:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[8] فحين يقول الحق سبحانه وتعالى لرسوله:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ فليس المقصود هنا الخلق المتواضع عليه عند البشر، ولكنه الخلق المطلوب لله.

ورسول الله اجتاز هذه المنزلة، فكان صاحب الخلق العظيم بتقييم الله العظيم.

والحق ـ سبحانه وتعالى ـ حين يريد هدى خلقه، يرسل لهم رسلاً

وقد شاء الله أن يختم الرسالات برسالة سيدنا محمد ﷺ، فالرسول ﷺ هو الخاتم، ومعنى الخاتم: أن الله أودع فى أمته خصيصة تقوم مقام تعدد النبوات، وتعدد الرسالات، إذن فرسول الله ﷺ هو الخاتم لرسالات السماء ومادام الخاتم لرسالات السماء فلابد أن يكون فى رسالته عناصر البقاء وفى أمته أيضا. عناصر الحفاظ على هذه الرسالات، فمحمد ﷺ أهل لأن يتلقى كمالات متعددة، ولكن الأمة لا يستطيع فرد منها أن يأخذ الكمال المحمدى، فالخير فيه ﷺ بأجمعه وكله، ولكنه فى أمته موزع، فواحد يأخذ منه صفة، وآخر يأخذ منه صفة، وثالث يأخذ منه صفة بحيث إذا تجمعت صفات الكمال فى أمته ﷺ، أمكن أن يكون هو النموذج الشائع فى الأمة كلها.

جاء رسول الله ﷺ ليعيد انسجام الإنسان مع الوجود ومعنى انسجام الإنسان مع الوجود بجماده ونباته وحيوانه مسخر لله لا يمكن أن يصدر عنه شىء إلا بمراد الله منه، ولكن الإنسان نفسه هو الذى جاء منه الطائع وجاء منه العاصى. ولذلك يعرض الحق هذه القضية فى عدم انسجام الإنسان مع الوجود الخاضع الساجد الخاشع، يقول الحق:

---

(7) الحجر (72).

(8) القلم (4).

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ ﴾[9]

تلك هى أجناس بإجماع ساجدة خاضعة لله، ولكنه حين جاء عند الإنسان لم يأت ذلك الإجماع، فقال..

﴿ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ
وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ﴾.

وكان من المفروض أن ينسجم الإنسان مع الوجود كله، فيكون خاضعا لمنهج الله يأتلف معه، وينسجم معه، ولا يختلف شىء من الوجود مع الإنسان الطائع. أما الإنسان العاصى فهو يشكل شقاقا بينه وبين أجناس الوجود وجود مسبح وجود ساجد وجود خاشع، وإنسان متمرد عاص. حين يأذن الله ـ سبحانه وتعالى ـ ليعيد للإنسان ـ بمنهج الله ـ انسجامه مع الوجود فلا بدعة إذن أن يفرح ذلك الوجود بمن يعيد إليه انسجام الإنسان معه وذلك هو الشأن معه ﷺ، جاء ليعيد انسجام الإنسان مع الوجود كله. ليأتى بالمنهج النهائى لهدى الإنسان، ليكون الإنسان خاضعا كبقية أجناس الكون لله ـ سبحانه وتعالى ـ إذن فلا عجب أن يفرح به الوجود، ولا عجب أن يفرح به الجماد ولا عجب أن يفرح به النبات ولا عجب أن يفرح به الحيوان، ولا عجب أن تفرح به الملائكة، ولا عجب أن يفرح به طائع الجن، فإذا حدثنا أن ميلاده ﷺ قد قرن بأشياء حدثت فى الكون من إرهاصات فى الوجود كله لميلاده فيجب علينا ألا نستبعد ذلك لأنه هو الرسول الذى يعيد للإنسان انسجامه مع الوجود كله والوجود كله- كما نعرفه- ليست فيه الحياة التى نعرفها فى نفوسنا، ولكن له حياة وله تعقل فى التلقى عن الله وله فرح وله حزن، إذا فإذا عرضت لنا السيرة أن أشياء من الكون فرحت برسول الله، وحدثت أشياء منها، فذلك أمر لا نستبعده على كون مسبح لله عارف بحق الله. وأيضا، لسنا نحن المطلوبين بأن نؤمن بهذا ولكن الذين آمنوا هم الذين شاهدوها، هم الذين سمعوها، فالذين سمعوها حجة على أنفسهم، ونحن نتلقى عنهم الخبر فإن كنا موثقين لهم فى الخبر، صدقناه، وإن لم يتسع ظننا لتوثيق الخبر، فنحن أحرار بأن نصدق أو لا نصدق ولكن منطق الأشياء ومنطق الوجود، لا يحيل وجود شىء من ذلك. فإذا حدثنا أن إيوان كسرى قد شق فماذا فى ذلك؟ وما فى ذلك من العجب؟ أنستبعد أن يوقت شق الإيوان بالميلاد؟ أنستبعد على الله أن يخمد نار فارس، وأن يوقتها مع الميلاد؟ أنستبعد على الله أن يوقت أن تغيض بحيرة ساوة مع الميلاد؟ لما هذا إذن فالقرآن حين

---

(9) الحج (18).

يعرض هذه القضية يعرض لماذا حدث فى الكون فى عام الفيل.

تعلم أن قوما جاءوا ليهدموا بيت الله، وبيت الله هو الذى اختاره الله لنفسه، وحوله ونحوه نلتقى جميعا فى الصلاة، هذا البيت له قالب، هذا القالب أريد به ضر وهدم، فلماذا لا تفهم أن الحق ـ سبحانه وتعالى ـ حافظ على مبنى البيت فى ذلك العام، وأوجد فيه الشخص الذى يحافظ على معناه فى ذلك العام؟ فتكون المحافظة على المبنى؛ بمنع أبرهة من هدمه، هى عينها المحافظة على بقائه لربه، بميلاد محمد ﷺ، وإذا كان الحق قد عرض هذه القضية فإنه قد عرضها عرضا عجيبا، هذا العرض العجيب يتجلى فى قوله ـ تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾(1)

ورسول الله لم ير وقتها ولكنه علم بالقضية من الله هنا نلتفت لفتة هامة، هذه اللفتة، هى لماذا عبر بـ ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ فى مقام «ألم تعلم»؟ لأن، العلم إذا كان بواسطة الإخبار من الله، فيجب أن يستقبله المؤمن بالله استقباله لما يرى، ولما يحدث، فليس خبرا عن غيب، فكأن ما يقوله الحق فى:

﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ أى ألم تعلم. وكأن الحق يقول: إننى أقول لك، وإذا قلت لك، فأنا عينك، وكأنك ترى ذلك، ويقول الحق:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ ﴾ ومعنى الإضافة هنا تدل على أن المسألة متعلقة بمحمد ﷺ:

﴿ فَعَلَ رَبُّكَ ﴾ والرب تفيد التربية والكمال، والبلوغ بالمربى إلى مرتبة الكمال، فمادام فعل ربك فيكون لمحمد ﷺ، علاقة بالمحافظة على ذلك البيت. وبعد ذلك حين عرض القضية، عرضها العرض الذى تعلمه حيث أرسل عليهم طيرا أبابيل:

﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ ويجب أن تنتبه دائما إلى أن الحق ـ سبحانه وتعالى ـ حين يعرض أمرا من الأمور فيقول:

﴿ فَعَلَ رَبُّكَ ﴾ فهذا يعنى أنه يجب أن تطرح قوانينك لأن الذى فعل هو ربك ومادام:

﴿ فَعَلَ رَبُّكَ ﴾ فلا تكون القوانين التى فى عرفك هى الفاعلة. بل يجب أن تطرح قوانينك وتلغى عقلك. انتهت المسألة وإلغاء عقلك هذا ثقة فى من قال ومادام الأمر ثقة فى من قال، فلا يهم ما إذا تحملها عقلى أم لم يتحملها، لأن الإيمان يتحمل كل شىء، ولذلك قال بعض العارفين: «العقل كالمطية

---

(1) (1-5) الفيل.

يوصلك إلى باب السلطان ولكن لا يدخل معك عليه».

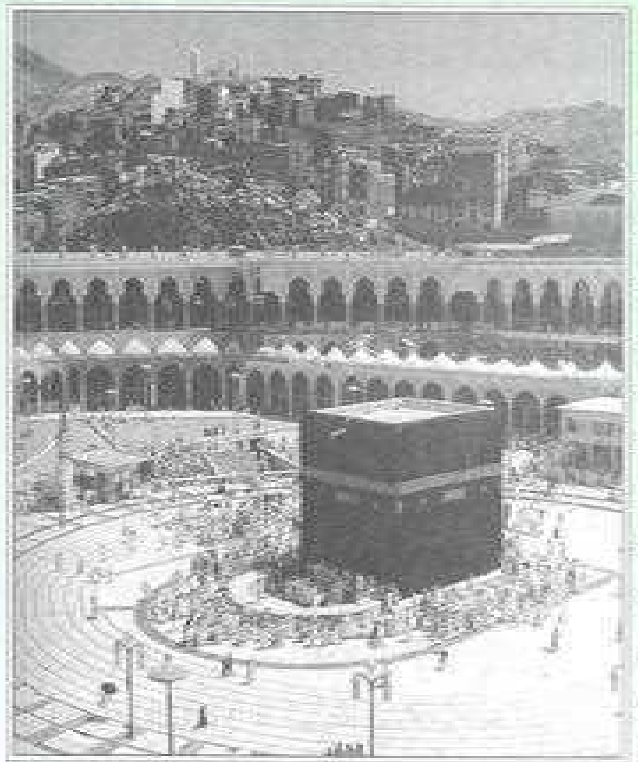
وهناك بعض الخواطر التى تخطر على قلوب وعقول كثير من الناس عندما يقرأون فى كتب السيرة أنه حدث فى عام مولد الرسول عليه الصلاة والسلام أن انشق إيوان كسرى، وفاض ماء بحيرة ساوة وخمدت نار فارس ثم من المعجزات التى رويت فى عصر البعثة بعد أن بعث الرسول عليه الصلاة والسلام. على سبيل المثال لا الحصر أن الماء تفجر من بين أصابعه الشريفة. وأن الرسول عليه الصلاة والسلام عندما ترك مكانه الذى كان يخطب فيه سمع صوت الجذع يئن شوقا وحنينا إلى رسول الله ﷺ فالمعجزات أمور خارقة، ومعنى أمور خارقة أنها غير خاضعة لناموس الكون ولا لقانون الوجود.. ولا يمكن أن يخرق القانون إلا خالق القانون، لأن الفرق بين قانون الإنسان، وقانون الحق ـ سبحانه وتعالى ـ أن الإنسان يملك أن يطلق القانون أو لا يطلقه فإذا أطلق القانون لا يستطيع أن يتحكم فيه، ولكن الحق يطلق القانون ويقول للقانون «قف ولا تفعل» إذا فمجىء المعجزات الكونية على يد رسول الله ﷺ تسوية لها بإخوانه من الرسل ومجىء المعجزة الباقية، هى زيادة مكانته، ومقامه على الرسل فإذا كان التاريخ والسيرة تحدثنا بأن معجزات حدثت كحنين الجذع.. ونبع الماء من بين أصابعه وإشباع جيش أو عدد كبير بحفنات من طعام وغير هذا، نقول للمسلم استقبلها بما يأتى أولاً، لست أنت أيها الغائب عن المعجزة المقصود بهذه المعجزة. وإنما المقصود بها هو من رآها، لأنهم كانوا فى بداية الإسلام، وفى حاجة إلى تثبيت، وهذا التثبيت يحدث فى فترات القوم الذين شاهدوا هذا، أما أنا فالقرآن كافينى حقا.

إذن فرسول الله ﷺ حدثت له معجزات كونية، وهذه المعجزات الكونية كان المقصود منها تثبيت إيمان من رآها وقد أدت مهمتها، ثم بقيت بعد ذلك خاضعة فمن اتسع ظنه بمكان محمد من ربه، ومن اتسع ظنه بصدق الرواة عن الرسول ﷺ فليتسع ذهنه لذلك.. ومن لم يتسع ذهنه لذلك.. ففى القرآن غناء.. أى غناء.

***

واجب أمتنا فى ذكرى المولد النبوى الشريف

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم



أشرقت علينا الذكرى العطرة بميلاد خير البرية ﷺ فلم يكن ميلاده ميلاد فرد عادى ولكن ميلاده كان ميلاد أمة لأنه صانع خير أمة أخرجت للناس بتعاليم الوحى الإلهى وبعثه الله خاتما للأنبياء والمرسلين، حمل أحسن الحديث تبيانا لكل شىء، يهدى للتى هى أقوم متمما لمكارم الأخلاق هاديا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله وسراجا منيرا، وتتجاوب أصداء الذكرى فى مشارق الأرض ومغاربها احتفاء بها وعاطفة دينية لا تستطيع أن توقفها أى قوة فى العالم. ومحبة سيدنا محمد بن عبدالله ﷺ سرت فى دماء الموحدين فكلما أشرقت عليهم تلك الأيام تشرق عليهم بالفرحة والسرور بالغبطة والحبور لأن الفرح بميلاد خير البرية من أعظم النعم.

إن فرحة الموحدين فى الأرض بميلاد خير البرية ﷺ ليس معناها أنهم تناسوه فلم يذكروه إلا فى هذه الأيام، كلا، كلا فنحن لن ننساه أبدا ولم ننسه أبدا ولن ننساه أبدا، وكيف ينساه أحد من الناس وفى كل صلاة فى كل تشهد نذكره ونقول «نشهد أن لا إله إلا الله وأن سيدنا محمداً رسول» كيف ننساه ومآذن الإسلام فى كل صلاة بل فى كل لحظة لأن الله

- سبحانه وتعالى - فاوت المواقيت، فبينما هنا الآن الساعة الواحدة ظهرا فى بقاع أخرى الواحدة وخمس دقائق وعشر دقائق وعشرين وساعة أخرى مقدمة وأخرى مؤخرة، أى أن موعد «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله» لا يتوقف لحظة فى العالمين، ولذلك لما قال رب العزة ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾(1) قال: تدرى كيف رفعت ذكرك؟ لا أذكر إلا ذكرت معى ﷺ، لا يذكر رب العزة فى شهادة التوحيد إلا ذكر معه خير البرية ﷺ، تصدح مآذن الإسلام على مدى الأوقات كلها وعلى مدى الأيام والليالى جميعها فى كل لحظة تعلن أن لا إله إلا الله وأن سيدنا محمدا رسول الله.

من هنا لم ننس هذه الذكرى العطرة ولن ننساها ما حيينا بل إنه حاضر معنا فى كل وقت ويسمعنا وإلا فما كان الله ليشرع لنا فى الصلاة أن يخاطبه ﷺ وأن نسلم عليه ﷺ وأن نقول: «السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته»، السلام عليك بكاف الخطاب لا يكون إلا لمن يتأتى منه وله الخطاب فنحن لا ننساه أبداً لأنه الذى أحيا الله على يده أمة وأخرج على يديه خير أمة أخرجت للناس. فلا ريب كلما أشرق علينا ربيع الأول - شهر المولد - أن يتنافس فيه المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها ليتدارسوا سيرته العطرة وآدابه الفاضلة وأخلاقه الراقية التى أخرج الناس بها من الظلمات إلى النور والتى هداهم بها إلى صراط ربهم المستقيم.

حين أقبلت يا ربيع المكرم
أقبلت ذكرياتنا تتبسم
تتهادى وأفقها يتهادى
والأماني أوشكت تتكلم
وحديث الإيمان رف مع الروح
فأضحى وجودنا يترنم
تلك ذكرى فقف بناهل رأيتم
مثل أيامها أجل وأكرم
تلك ذكرى ميلاد خير البرايا
وعليه صلى الإله وسلم

يفرح المؤمنون بها وحق لهم أن يفرحوا ويتنافسوا فى إحياء لياليها وحق لهم أن يتنافسوا ذلك لأن فى هذه اللقاءات والأحفال والاجتماعات تدارسا لأشرف سيرة فى الوجود لأعظم مخلوق على الإطلاق وأشرف موجود فى الأرض وفى السبع الطباق صلوات الله وسلامه عليه.

لقد أحدث رب العزة - سبحانه - قبل هذا المولد الشريف إرهاصات لا يستطيع إنكارها إلا جحود، ولا يستطيع، إغفالها إلا لمن غفل عن حقيقة القرآن. كانت أولى هذه الإرهاصات أن رد الله - سبحانه

(1) سورة الشرح - آية (4).

وتعالى – جيش أبرهه. هذا الجيش العرمرم، المدجج بالأسلحة الذى أراد أن يهدم الكعبة بيديه وراح فيله كلما وجه إلى الكعبة توقف وكلما وجه إلى مكان آخر توجه، لكن الرجل أصر على أن يهدم. واستصرخ عبدالمطلب ربه وقال: «لا هم إن العبد يمنع رحله فامنع رحالك» ووقفوا على هضاب مكة ينظرون ماذا يفعل، وإذا بالخالق العظيم سبحانه وتعالى يرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف ماكول. وهزم الله هذا الجيش، وماذا كنا نتصور لو أنه انتصر فى هذا العام سيولد خير خلق الله ﷺ فهل يقع وتقع بلده ومجتمعه أسرى لدى هذا الكافر الذى يريد هدم الكعبة ووقوع مكة أسيرة فى يديه؟ لا. كان هذا أول إرهاص للميلاد. كان هذا فى عام مولده ﷺ.

تصدعت شرفات إيوان كسرى أربع عشرة شرفة تشير إلى أربعة عشر ملكا فى أربع ستين تولى منهم عشرة ثم بقى أربعة حتى انتهت وسقطت العروش المتسلطة سقطت العروش الظالمة إلى غير رجعة لتعلن قيام أمة جديدة هى خير أمة أخرجت للناس يعلن ويرفع راية التوحيد فيها أشرف خلق الله سيدنا رسول الله ﷺ. وغاضت بحيرة ساوه وكانت هذه الإرهاصات لميلاده بل كان ميلاده نفسه آية تتحدث عنه أمه آمنة عندما أخذت حليمة السعدية الرضيع فى بادية بنى سعد وكانت حريصة على أن يبقى معها فى كل مرة إلا أنها جاءت به إلى أمه فعجبت الأم. قالت: ما كانت عادتك هكذا كنت حريصة على أن يبقى معك، فما الذى دفعك؟ أصدقينى

قالت: رأيت أخويه يخبرانى بأن رجلين جاءاه فقتحا صدره وأخرجا منه شيئا.

قالت: أكنت تخشين عليه الجن يا حليمة؟ أكنت تخشين عليه الشيطان؟ والله ما للشيطان على ولدى من سبيل لقد رأيت عجبا حين حملته، ما شعرت بما يشعر به النساء من تعب ورأيت عجبا حين ولدته لقد رأيت أنه خرج منى نور أضاءت له قصور الشام، والله ما للشيطان على ولدى من سبيل.

ويأتى هو ليحكى لنا هذا الموقف ويخبرنا «أن رجلين يلبسان ثيابا بيضا جاءاه فشقا صدره الشريف وأخرجا منه علقة ولأماه فالتأم، ثم قال أحدهما للآخر زنه بعشرة من أمته.

قال: فوزنتنى فرجحتهم. ثم عاد فقال: زنه بمائة من أمته.

قال: فوزنتنى فرجحتهم. قال: زنه بألف من أمته.

قال: فوزنتنى فرجحتهم. قال: دعه فو الله لو وزنته بالأمة لرجح ﷺ».

وتقص علينا أنباء السيرة العطرة الموثقة المحققة إلى أى مدى أجرى الله عليه خوارق العادات كما أجرى قبل ميلاده تلك

الإرهاصات، فكانت أخته من الرضاع حين تخرج به فى شدة الظهيرة التى لا يحتملها بشر ولا يتعرض لها رجل قوى إلا أهلكته فتراها أمها، فتقول لها: كيف تخرجين بأخيك القرشى فى هذه الشمس المحرقة؟!

فتجيب الشيماء: والله يا أماه ما كان للشمس عليه من سبيل لقد كانت غمامة تظله إن مشى مشت وإن وقف وقفت.

صلوات الله وسلامه عليك سيدى يارسول الله، يا صاحب الذكرى العطرة يا من تعطر حياتنا بسيرتك وآدابك، يا من نحن فى أمس الحاجة إلى هذا الخلق النبيل العظيم الذى وصفك رب العزة به، فلم يصفك بقوة ولا بمال ولا بجاه وإنما قال:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(٢).

لو وقف البشر كل البشر منذ كان لهم تاريخ وإلى أن تنتهى الدنيا ليحاولوا أن يحصروا أخلاقه ما استطاعوا، لقد كان نبيا وآدم منجدل فى طينته، وكما قال: كنت نبيا وآدم بين الماء والطين. وصدق من قال:

يا مصطفى من قبل نشأة آدم
والكون لم يفتح له إغلاق
أيروم مخلوق ثناءك بعد ما
أثنى على أخلاقك الخلاق

نعم هذه عظمته كما أنبأنا القرآن:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(٣). وتلك المبادىء التى جاء بها أمرنا الله أن نقتدى به فيها:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾(٤)

فوجب علينا أن نجدد العهد والبيعة والتوبة والأوبة والرجوع إلى – الله سبحانه وتعالى – وأن نقتدى بصاحب الذكرى امتثالا لأوامره واتباعا لتعاليمه وسيرا على منهاجه حتى نحقق خيريتنا على ظهر الأرض فلن تتحقق خيريتنا على ظهر الأرض إلا باتباع تعاليمه وإلا بالاقتداء بهديه وإلا بالتعطر بسيرته العطرة التى أمرنا الله – سبحانه وتعالى – أن نقتدى به فيها. واجبنا أن نستجيب لدعوته وهو يدعونا أن نكون أمة واحدة حتى لا نكون لقمة سائغة لعدونا وحتى لا يتربص العدو بنا الدوائر. واجبنا فى ذكراه العطرة وألا نتفرق وألا نتشرذم وألا نتعادى وألا يحمل أحدنا الحقد على أخيه وأن نتحاب وأن نتواد وأن نتآلف ونتعاطف وأن نكون أمة واحدة، فإن التفرق والتشرذم تصدع فى جدار هذه الأمة، هو الذى تسبب فى ضياع الكثير من عظمتها.

إذا زرت بعد البيت قبر محمد
وشاهدت مثوى الأعظم العطرات

(٢، ٣) سورة القلم- آية (٤).

(٤) سورة الأحزاب- آية (٢١)

ولاح ضـــيــاء عند كل ثنيـــة
وفـــاح أريج عند كل حـــصـــات

فـقل لرسـول الله يا خـيـر مـرسل
أبثـك مــا تدرى من الحـــسـرات

شـعوبك فى شـرق البلاد وغـربهـا
كـأصحاب كـهف فى عميق سبات

بأيمانهم نوران ذكـــــر وسنة
فـمـا بالهم فى حـالك الظلمـات

وأمامنا مجدنا وعظمتنا، ما جاء به من منهاج يدعونا أن يكون لنا الريادة والقيادة وأن نكون خير أمة أخرجت للناس. أن ننبذ الخلافات والفرقة بيننا كأفراد وأسر ومجتمعات ودول وشعوب وحكاما ومحكومين فيوم أن نكون كذلك يوم أن يفتح الله علينا بركات من السماء والأرض. عذراء سيدى رسول الله إذ قصرنا فى وصفك أو أهملنا بعض تعاليمك فإننا نتخذ من ذكراك مثابة وأمنا وتوبة إلى الله ورجوعا نصطلح مع الله نراجع صفحاتنا وماضينا لنسير من جديد بما يرضيك ياسيدى يا رسول الله. عذرا إن قصرنا فى وصفك، فلنبدأ مسيرتنا فأنت الذى قلت: توبوا إلى الله واستغفروه إنى أتوب إليه فى اليوم سبعين مرة.

صلوات الله وسلامه عليك سيدى يا رسول الله يا من بعثك الله رحمة للعالمين. ما أحوج أمتنا فى هذه اللحظات الحاسمة التى خدعت فيها ولعبت بها الأهواء وحاول عدو الله من اليهود أن يعبث بواحد من مقدساتها. ما أحوجنا ونحن نسترشد بهديك أن نتداعى إلى وحدة قائمة لنحقق بها خيرية هذه الأمة التى دعوتنا إليها والتى حذرتنا ألا نكون متفرقين فى هذه الدنيا حتى لا تصبح قصعة تترامى عليها أيدى الأعداء «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. قيل: أو من قلة نحن يومئذ يارسول الله؟ قال: لا. بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من قلوب عدوكم المهابة منكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن. قيل وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت». انبذوا حب الدنيا كونوا على يد واحدة وعلى قلب رجل واحد فإذا صلحت الرعية صلح رعاتها وإذا صلح الناس صلحت الأمة وكانت بحق خير أمة أخرجت للناس.

***

فى الميلاد النبوى الشريف

لفضيلة الشيخ / محمد أحمد الطاهر الحامدى

وُلد البـشـيـرُ ولاحَ فـجـرُ ضـيـائه ... أمّ القُـرى قـومى احـتـفـى بلقـائه
واسـتـقـبلى الحظ السعـيد بقـادم ... وفـد الهـنـاءُ إليك حـين وفـائه
لما بدا فى الأفق طالع سـعْـده ... وتوالت الأنبـاءُ من بشـرائه
فى البـيت فى الحرم الأمـين ومن به ... فى الكون طرا أرضـه وسمـائه
كـالكوكب الدرى فى لألائه ... والهاطل الوسمى فى آلائه
النور يلمع من تألق وجـهـه ... والفـيض ينبع من تدفق مـائه
والبشـرُ ينطق بالمحامد فى اسمه ... والسـعد والإقـبال فى سيمائه

***

واديك ياكـرهُ الحيـا بربيـعـه ... وانساب كل الخير فى أحيـائه
فَـسَلِيـه مـا نسج الربيع بأرضـه ... من برده وحـبـاه من أندائه
وسَلِيـه مـا وهب الجمالُ لقـفـره ... وكسـاه للجرداء فى بيدائه
وسليـه مـا أغرى وحرك طيـره ... فـوق الغصـون ومـا دعـا لغنائه
خلت الرياض خمائلا وجداولا ... عن متـعـة الأبصـار بين خلائه
فالحسن بين الحُور فوق قصورها ... كالحسن فوق رمـاله وظبائه
والدر واليـاقـوت أرخص قـيـمـة ... من قيمة الحصبـاء فى بطحائه
والمسك مـا فـاحت نسائمُ عَـرْفـه ... مثل النسيم الرطب فى فـيحـائه
فيض من الغيث العميم أصابه ... وهدى أضاء سناه كل فضائه
وخُلى حـواها جـيـده مِنْ كفِّ مَنْ ... كل الندى والجود بعض حِبائه

***

هذا وليدُ السعد يا أُمَّ القُرى   تفديه روحي وهي دون فدائه
قد كان مولده كموسم بَعْثِه   عيدا كسا الدنيا بفضل كسائه
كل البلاد قبسن عند ظهوره   من نوره وقبسن في سرائه
فتعوذي بالله من حساده   وتحصني بالبيت من أعدائه

***

بشرى تبادلها الزمان وأهله   وأعارها ما شاء من إصغائه
بشرى بميلاد البشير محمد   بالريق السلسال من نعمائه
بشفيعه بربيعه بغياثه   بمجيره من بغيه .. وبغائه
أهلا بسعد الكون مصدر عزه   أهلا بطلعته ونور بهائه
أهلا بمن وهب الحياة وساقها   عفوا لميِّت الجهل في صحرائه
أهلا بمن تحيا القلوب بحبه   وتموت إن طويت على بغضائه
لم أدْرِ كيف يذوق طعم حياته   من لم يذق في العيش طعم ولائه

***

يا بنت وهب والمواهب كلها   قد نلتها في الكون دون نسائه
لما تمخض فجر ليلك عن سَنا   بَهَرَ النهى بجلاله وسنائه
وكشفت عن قمر تناهى حُسْنُه   قمر السماء يغار من أضوائه
رميت بداء العقم كل عقيلةٍ   عن مثل غُرِّيه وحسن روائه
بشر حباه الحسن عرش كماله   وأقامه ملكا على أمرائه
يكفيه أن الله نوه باسمه   وحباه عاطر مدحه وثنائه
أهداه بالخلق العظيم وزانه   بالجوهر المكنون من إطرائه
ما وصْفُه باليتم كان نقيصة   من قدره أو خفضه لعلائه
بل كان إيماء لفقد نظيره   لتحيد بالأنظار عن نظرائه
كالوصف بالأمي تلويحا إلى   أن اكتساب العلم من إيحائه
أرأيت أميا يفيض بعلمه   في حين غاض العلم من علمائه
فاق الزمان قديمه وحديثه   علما وجاوز مستوى حكمائه

***

قد كان كل الكون قبل وجوده   متعثر الخطوات في ظلمائه
يمشي بلا رشد وغير هداية   قد ضل كل الرشد في آرائه
غلبت على أبنائه ونسية   مست مكان العقل من عقلائه
حتى حباه الله جل جلاله   بغياث كل الكون من حوبائه
فأبان وجه الحق بعد خفائه   وأعاد ركن العدل بعد عفائه
وتلا كتابا أحكمت آياته   طويت أصول الخير في أجزائه
جمع الفصاحة في حواشي برده   والحكمة القعساء في أثنائه
لا تنقضي آياته الكبرى على   مر الزمان وفي مدى آنائه
نكصوا على الأعقاب عنه تعاميًا   وتصاممت آذانهم لندائه
أتجاهلوا الملموس من إعجازه   أم أنكروا المصدوق من أنبائه
أم كذبوا المختار وهو صفيهم   ووفيهم في أخذه وعطائه
وأمينهم حيث الأمانة لم تجد   كرحابه مثوى لها وفنائه
عرفوا طهارته وعفة نفسه   وتحدثوا عن صدقه ووفائه

***

لو أنه أملى عليهم رأيه   ما عابه أحد على إملائه
فهو الطبيب وقد تأصل فيهم   داء الهوى وتجهموا لدوائه
لكنه باللين ساس طباعهم   كرما وأولاهم مدى إغضائه
حتى استباحوا النيل من حرماته   وتجاوزوا المعقول في إيذائه
وتنكروا للحق أبلج ساطعا   وتحالفوا حسدا على اطفائه
لا طب كالهندي يكفيك الأذى   من مجرم ويقيك شر عدائه

***

يا معشر الجهلاء والشر الذى   يتنابنا في الدهر من جهلائه
أفتعبدون حجارة منحوتة   من صخركم لم تَغْلُ عن صمائه
لا تسعف الراجي بكشف بلائه   بل إنها في الحق أصل بلائه
جل الإله وذل ما تبغونه   في هذه الأحجار من شركائه

لو كان يعبد غير خلاق الورى ... ويسوغ للعقلاء غير دعائه
وجبت عبادة من تسامى قدره ... فى المجد مرتبة على جوزائه
إنسان عين الكون عين حياته ... والجوهر المقصود من إنشائه
خير الأنام ومقتدى أعلامه ... والمبتدا المرفوع من تجبائه
كل الكمال وكل ما تجدونه ... فى الدهر منسوبا إلى عظمائه
من دُرّ علم أو جواهر حكمة ... أو بسط كف جل فيض عطائه
أو ثوب حلم أو لباس شجاعة ... أو عز ملك صين من خيلائه
أو طُهر نفس أو نقاء سريرة ... أو مجد أصل طال سمك بنائه
فالكل منبعه صفات محمد ... والكل مرجعه إلى أسمائه
من علمه من عقله من عزه ... من حلمه من بأسه وسخائه
من طُهره ونقاء جوهر روحه ... من نبع أصل المجد فى آبائه
فتعجبوا من واحد كيف انتهى ... كل الكمال إلى ذرى عليائه
فكأنما قبس الزمان تراثه ... وغدا يقسمه على أبنائه

***

يا أمة المختار أحيوا شرعه ... تجدوا حياة العز فى إحيائه
خلوا الحياة على أساس نظامه ... لا تقتدوا (بالغرب) فى أخطائه
فهو الذى جعل السعادة للورى ... حصنا ولاذ بهم إلى أفيائه
الخير ينشر ظله من ظله ... والأمن يبقى سائدا ببقائه
كان الشقاء لداء شعب جاهل ... أترى أفاد العلم غير شفائه
لو حاول الدهر التماس وسيلة ... ودعا لها من شاء من خطبائه
وأراد أن يهدى الحياة لميته ... ويعيد بعث الروح فى أعضائه
لم يلق قانونا كشرع محمد ... كلا. ولا عدلا كعدل قضائه
وحيٌ من الرحمن كيف يناله ... عقل وتذكر حكمة بإزائه
لا تنهل الألباب مثل سلافه ... راحا ولا ترضى بغير صفائه
فأقام فى أرض الحجاز حضارة ... عمت جميع الكون فى أنحائه

***

لله ما أهنا الحجاز بأحمد ... وألذ طيب العيش فى أرجائه
واد به سكن الحبيب محبذا ... طيب الهوى فيه وطيب هوائه
آواه حيا واستقل بضمه ... بعد الوفاة فطاب من إيوائه
يا روضة ضمت جمال محمد ... وذكت بريا طيبة وذكائه
تلك السرائر والضمائر والنهى ... سر حويت تجل عن إفشائه
تهفوا القلوب لنهلة من وصله ... والعين قرتها بحسن لقائه
من لى بلثم يمينه أو نظرة ... فى وجهه أوْ بسمة لروائه
إن كان قد حجب الفؤاد لعلة ... نفذت بظلمتها إلى سودائه

***

يا صاحب القدر المنيف تحية ... من مغرم أعياه معضل دائه
يا واحدا أعيا الزمان شبيهه ... والشمس لم تطلع على أكفائه
سبق الملائك والنبيين العلا ... فإمامهم طرا وراء ورائه
فى ليلة الإسراء كان إمامهم ... وجميعهم فى الحشر تحت لوائه
ما زنت قدرك بالمديح وكيف لا ... وأنا المدين إليك فى إملائه
ولو أن مثلى لم يجاوز قدره ... لم يهد بحرك قطرة من مائه
لو كنت راعيت الجلال وحقه ... لوقفت دون الشط من تلقائه
لكن لى فى طىّ مدحك حاجة ... قدمتها لعلاك فى إهدائه
فإذا أردت قبوله وقبولها ... أسعدت شعرى فى قبول رجائه
وإذا رَدَدْت فما أقول هضمتنى ... حقا ولا ماطلت فى إرجائه
شعرى ونثرى بل حياتى كلها ... فضل إليك بؤول فى إسدائه
صلى عليك الله يا علم الهدى ... وحباك واسع فضله وحبائه

***

في عيد المولد النبوي

ذكرى الرسول الأعظم

للشاعر الكبير الأستاذ/ أحمد محرم

الكون أشرق نضرة ونعيما ... هذا مكانك فاتخذه كريما
حن الزمان إليك حتى جئته ... فطوى الحنين وردد التسليما
أنت المؤمل للشعوب، وهذه ... دنياك لا تبغي سواك زعيما
خذها من القوم الألى جمحوا بها ... واشرع لهم نهج الحياة قويما
داو السقام فقد تفاقم وانثني ... طب الألى سبقوك عنه سقيما
هاتيك (مدرسة الحياة) تقدمت ... تلقى أجل شيوخها تعليما
ماذا حملت من المعارف والنهى ... لما حملت كتابها المرقوما؟
(علم الحضارة) كان قبلك خافيا ... فأتيت تظهر سره المكتوما
والحق ما عرف الدعاة سبيله ... حتى أقمت بناءه المهدوما
بلغ رسالة من أقامك هاديا ... وحباك فضلاً من لدنه عظيما
ضل الألى جحدوه واتخذوا له ... شركاء من أربابهم وخصوما
ما هذه الأرباب؟ ما لعبادها ... جهلوه رباً واحداً قيوما؟؟
جاء (الأمين الصادق الهادي) فمن ... يكفر بدين الله كان ظلوما
رجفت قلوب المشركين لدعوة ... طفقت تردد في البطاح هزيما[1]

(١) الهزيم: صوت الرعد.

قالوا: أيطمع أن يضل (محمد) ... منا عقولاً رجحاً وحلوما؟
أنعزه ونذل من أصنامنا ... ما عظم السلف الأعز قديما؟
إنا لنأنف أن يغير ديننا ... رجل قليل المال شب يتيما
إن يتبع النفر الضعاف سبيله ... فلنحن أمنع بيضة وحريما
إن المطاول بالرجال إذا بنى ... جعل الدعائم سادة وقروما

***

هم شاغبوه فكان أعظم قوة ... وأعز منزلة، وأشرف خيما[2]
وجدوه سمحاً لا يضيق بمذنب ... ورأوه موفور الأناة حليما
يدعو لهم: رب اهد قومي إنهم ... لا يعلمون، وكنت أنت عليما
لو شئت ما جهلوا السبيل ولا رضوا ... دينا من النمط الغبي ذميما
إني رسولك، لن أمل جهادهم ... أو يعبدوك، ولن أكون سؤوما
يا قوم ماذا تعبدون؟ تأملوا ... من قبل أن تروا العذاب أليما
دين الحجارة، وهو من آثامكم ... خير لكم، أم دين (إبراهيما)؟
أرسلت بالإسلام ديناً قيما ... وبعثت خيراً للشعوب عميما
الكفر والبغي الذميم كلاهما ... جعلا الحياة على النفوس جحيما
فلأغسلن الأرض من أرجاسها ... ولأصدعن ظلامها المركوما

***

بعثوا إليه من المخافة عمه ... يزجي الرجاء مخيبا محروما
زعموه حران الجوانح يبتغي ... دنيا الغواة وودها المسموما
قال: أتئد يا عم، إن وراءهم ... خطباً يشق على النفوس جسيما
النيران لو أنهم جعلوهما ... بيدي زدت صرامة وعزيما[3]

(٢) الخيم: الطباع.
(٣) العزيم والعزيمة بمعنى.

والله لن يجدوا لدى هوادة ... حتى يفيئوا، أو أكون رميما
عرفوه فاتخذوا السبيل إلى الأذى ... وتعاوروه مذمما مشئوما
وتألبوا يتعللون بقتله ... قتلا يرون قضاءه محتوما
يا بؤس للرأى المضلل إنهم ... طلبوا دما من كيدهم معصوما
لاموه وانقلبوا إلى شيطانهم[٤] ... فقضى القضاء لهم، وكان رجيما
أيكون من كره الضلال لقومه ... وفى لرب العالمين ملوما؟
الله أيده وقام بنصره ... فنجا، وأدبر جمعهم مهزوما
بوركت من واف بصاحبه أخ[٥] ... صاف، وبورك صاحبا وحميما
محيا النفوس وفى الإله حياته ... وسلامها المأمول راح سليما

***

إن الذى أخلى الديار مهاجراً ... ملأ النفوس وساوسا وهموما
بعثوا الأسنة والسيوف وراءه ... فأعادها تجرى دما وكلوما
رجعت مخيبة تذيب ظنونهم ... فتذيب أرواحاً لهم وجسوماً
ماذا يظن المفسدون بمصلح ... يبنى ويهدم ظاعناً ومقيما؟
الكوكب السيار فى آفاقه ... ملأ البلاد أهلة ونجوما
أنصار دين الله حول نبيه ... وصلوا (بيثرب) حبله المصروما
من (خزرجى) المجد أو (أوسيه) ... طابوا فروعاً فى العلا وأروما
أحبب به من قادم ما مثله ... فى النازلين وفادة وقدوما
يا فاتح الدنيا، ومانح أهلها ... ما عز مرتجوا وجل مروما
أنقذت هذى الأرض من آلامها ... وشفيت هذا العالم المحموما
بالساطعات الشافيات من العمى ... يطغى غياهب، أو يموج غيوما

(٤) هو أبو جهل لعنه الله.
(٥) أبو بكر الصديق رضى الله عنه.

الله أنزلها عليك دراريا ... طلعت معالم للهدى ورسوما
أوتيت بالفرقان مشرع حكمة ... مازلت تورده النفوس الهيما[٦]
خرق الزمان، وأخطأت حكماؤه ... سبل السداد وما يزال حكيما
لولا بلاغته وروعة نظمه ... جهل الرجال اللؤلؤ المنظوما
كنز البيان، فمن تطلب للغنى ... كنزاً سواه قضى الحياة عديما
فضت علوم الدهر منه جانباً ... وغداً تفض الجانب المختوما
متجدد فى كل عصر يبتغى ... أمماً تجئ جديدة وفهوما
(دستور حق) فى يمين (محمد) ... يحمى الضعيف، وينصف المظلوما
قسم الحياة على النفوس وإن أبى ... من لا يريد نصيبه المقسوما
لم يخلق الله القوى بملكه ... ليكون وحشى الطباع غشوما
والأرض ما بسطت لتجحد ربها ... وتمد من ظلم العباد أديما

***

يا (مولد المختار) أنت بعثتها ... ذكرى تساجل دمعى المسجوما
أبكى على الإسلام يذهب عزه ... ويبيت مطوى الجناح مضيما!
نهضت شعوب الأرض ترفع مجدها ... وأرى شعوب المسلمين جثوما!
لزموا تخوم بيوتهم، وغزاتهم ... لا يرتضون سوى النجوم تخوما
قوم هم اتخذوا بكل محلة ... كهفاً يضم نيامهم ورقيما
أو كلما جذب القيادة مصعب ... فى الشرق غودر أنفه مخزوما؟!
لا هم جنبنا المجاهل واهدنا ... هذا السبيل المعلم الموسوما
وتولنا فى الحادثات وكن بنا ... فى النائبات إذا تنوب رحيما!

***

(٦) الهيم: العطاش.

وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومى (*)

روى الإمام مسلم فى صحيحه فى هذا الباب عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «ما من الأنبياء من نبى إلا قد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذى أوتيت وحيا أوحى الله إلىّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة».

اللغويات:

الآيات: المعجزات التى تحمل البشر على الإيمان بالرسل.

وحيا: أى: قرآنا، فالقرآن الكريم هو المعجزة الخالدة الباقية التى خص بها الحق - سبحانه وتعالى - رسولنا الكريم ﷺ وبها هدى الله السابقين واللاحقين، وصدق رب العالمين:

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾(١).

أكثرهم تابعا يوم القيامة: أكثر الأنبياء مؤمنين به، مصدقين لرسالته.

الشرح والبيان:

الإسلام هو دين الله العام أوحاه إلى جميع رسله، وأنزل به كل كتبه، وهو الدين الذى ارتضاه لعباده، ولايقبل منهم دينا سواه، وقد أكد الله - عزوجل - ذلك فى كتابه، كما أكده رسول الله ﷺ فى أحاديثه، قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾(٢).

(*) مدير عام الإدارة العامة للدعوة. (١) إبراهيم (١).

(٢) آل عمران (١٩).

فى هذه الآية أخبر الله - سبحانه - أنه لايقبل دينا من أحد من السابقين أو اللاحقين سوى الإسلام، فما الإسلام؟

الإسلام هو إسلام الوجه لله، قال تعالى:

﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾(٣).

والإسلام هو اتباع الرسل - عليهم السلام - فيما بعثهم الله به على مر العصور وتتابع الأجيال من لدن آدم - عليه السلام - إلى خاتمهم رسول الله محمد - عليه الصلاة والسلام - قال تعالى:

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾(٤)

وببعثته ﷺ سد الله - عزوجل - جميع الطرق إليه إلا من جهة رسوله محمد ﷺ، فمن لقى الله - عزوجل - بعد بعثته بدين على غير شريعته فليس بمتقبل منه، وقد أكد الله ذلك فى كتابه، قال تعالى:

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾(٥).

هذا ولقد روى الإمام أحمد بسنده عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «تجىء الأعمال يوم القيامة، فتجىء الصلاة فتقول: يارب أنا الصلاة، فيقول: إنك على خير، وتجئ الصدقة فتقول: أنا الصدقة، فيقول: إنك على خير، ثم يجىء الصيام فيقول: أنا الصيام، فيقول: إنك على خير .... (وهكذا فى كل عمل يقول الله - تعالى - إنك على خير)، ثم يجىء الإسلام فيقول: يارب، أنت السلام، وأنا الإسلام، فيقول تعالى: إنك على خير، بك اليوم آخذ، وبك أعطى. قال تعالى:

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾(٦)

ثم يقول الحق - سبحانه - لنبيه الكريم، ورسوله العظيم:

﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾(٧).

والمعنى فإن جادلوك فى التوحيد الذى تدعو إليه، وهو الذى دعا إليه الأنبياء من قبلك:

(٣) لقمان (٢٢). (٤) الأحزاب (٤٠).

(٥) آل عمران (٨٥). (٦) آل عمران (٨٥).

(٧) آل عمران (٢٠).

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾(8).

فاخبرهم انك أخلصت عبادتك لله وحده، لاشريك له، ولاند ولا ولد، ولاصاحبة:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۝ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾(9).

وقل لهم:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾(10).

وقل لهم: كل من اتبعني فهو على ديني، يقول مقالتي، ويعمل بعملي، وهكذا أمر الله عبده ورسوله محمداً ﷺ أن يدعو أهل الكتاب والأميين من المشركين إلى الدخول في شرعه واتباع طريقته، وما بعثه الله به.

وهذه الآية وأمثالها من أصرح الأدلة على عالمية رسالته ﷺ، وعلى عموم بعثته إلى جميع الخلق، فرسالته ﷺ - كما هو معلوم - رسالة عامة، رسالة تامة، رسالة عالمية، صالحة لكل زمان ومكان، تساير الدهر، وتستقر في صفحة الخلود، ويستمد العالم منها غذاء حياته الروحية والاجتماعية والأخلاقية والسياسية والاقتصادية والعسكرية، وكيف لا؟ ورب العالمين يقول:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾(11).

ويقول:

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾(12)

ويقول:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾(13)

هذا ويقول رسول الله ﷺ في هذا المعنى: (وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة) وفي رواية لمسلم: [وبعثت إلى كل أحمر وأسود]، والمراد بالأحمر: العجم، والأسود: العرب، وفي رواية البخاري ومسلم: [وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة].

وقد ثبت بالتواتر في الصحيحين أن رسول الله ﷺ بعث كتبه يدعو إلى الله ملوك

(8) الشورى (13).

(9) الأنعام (162: 164).

(10) آل عمران (64).

(11) الأنبياء (107).

(12) الفرقان (1، 2).

(13) سبأ (28).

وطوائف بني آدم على اختلاف أجناسهم وأديانهم، عرب وعجم، أميين وكتابيين؛ امتثالا لأمر الله له:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾(14).

فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، فمن بلغته الدعوة، ولم يؤمن بها - فهو من أهل النار.. روى الإمام مسلم عن أبي هريرة - رضي الله - عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: « والذي نفس محمد بيده لايسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي، ولانصراني، ثم يموت، ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار ».

فاطمئن أخا الإسلام؛ فالمستقبل لهذا الدين، مهما كانت العقبات والعراقيل، ومهما بدا من مظاهر ضعف المسلمين، وتقاعسهم عن نصرة هذا الدين.

روى الإمام البخاري عن خباب بن الأرت - رضي الله عنه - قال: « شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسط بردة له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: (قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل، فيحفر له في الأرض، فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار، فيوضع على رأسه، فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، ما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون).

هذا وقد وعد الله - عزوجل - بنصر هذا الدين، والله لايخلف الميعاد، وقد تكرر هذا الوعد في مواضع كثيرة من كتاب الله، منها قوله تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾(15).

وفي هذه الآية وعد من الله - عزوجل - أن يظهر دين الإسلام على كل دين سواه، سواء أكان هذا الدين سماويا حرفه أصحابه، أم أرضي صنعه أربابه.

روى الإمام أحمد - بسنده - عن تميم الداري - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولايترك الله بيت مدر ولا وبر (والمراد بالمدر: سكان البيوت المبنية من أهل الحضر، وبالوبر: سكان الخيام من البدو) إلا أدخله هذا الدين، بعز عزيزاً، وبذل ذليلا، عزا يعز الله به الإسلام، وذلا يذل الله به الكفر »، فكان تميم الداري - رضي الله عنه - راوي الحديث يقول: قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف، ولقد أصاب من كان كافرا منهم الذل والصغار والجزية.

(14) الأحزاب (45: 47).

(15) التوبة (33).

كما أن هذا النصر لدين الله ليس خاصا بزمن معين، وإنما هو عام، والتاريخ يؤكده، والواقع يشهد بذلك، فإنه رغم تفرق المسلمين وتنازعهم وضعفهم وتشتت كلمتهم، وطمع عدوهم فيهم، وجرأته عليهم، ومصادرته حريتهم، واغتصابه بعض ديارهم، وبرغم ذلك كله فإن وعد الله بنصر هذا الدين قائم ومتحقق، ولا تعجب أخا الإسلام؛ ففي كل يوم من الأيام يعتنق الإسلام عدد كبير من الخلائق في أقطار الأرض، ودول الدنيا كلها، فحين كنت العام في كندا في أثناء شهر رمضان المعظم في مدينة (شيربروك) القريبة من مدينة (مونتريال) أشار جمهور المسجد إلى رجلين، وأخبروني أنهما أسلما في هذا العام، فقلت: أهما من المهجَّرين، أم من سكان كندا الأصليين؟ فأفادوا أنهما من الكنديين، فقلت: وهل هنا دعاة يدعون إلى دين الله، ويبلغون دعوة الله؟ فقالوا: لا، ولكن دين الله ينتشر بقوته الذاتية، وإنها هداية الله وصدق رب العالمين إذ يقول:

﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾[16]

وكذلك فالإسلام ينتشر بقوة في دول أوروبا وأمريكا، وهي الدول نفسها التي تكيد للإسلام، وتحارب المسلمين، وتتهمهم بالإرهاب والتطرف، وتطارد الدعاة في كل مكان، وتتربص بأشياعهم، وكذلك فإن الكنائس والمعابد هناك يهجرها روادها، فيبيعها القائمون عليها، فيشتريها المسلمون، ويحولونها إلى مساجد، وهذا يفيد أن النصارى هناك انصرفوا عن الكنائس؛ لأنهم غير مقتنعين بدينهم؛ لما فيه من الألغاز والتعقيدات، ولسوء تصرفات القساوسة والرهبان، وبخاصة الشباب، فلم يعد يتردد على الكنائس سوى الشيوخ والكهول، وقد شاهدت بنفسي كنيسة في مدينة (شيربروك) أجرها القائمون عليها، لتكون قاعة للرقص والغناء ولما وجدوا أن المسلمين هناك يشترون الكنائس؛ لتحويلها إلى مساجد - اشترطوا - قاتلهم الله - على من يشتريها منهم ألا يحولها مسجداً، ومن عجب أن القانون هناك يخوّل لهم هذا الشرط المجحف!

كذلك فإن الإسلام الذي طرد من الأندلس، وقتل أتباعه، واضطهد أشياعه - عاد من جديد إلى الأندلس نفسها عن طريق أبنائها الذي اعتنقوا الإسلام رغبة، وأعلنوا الاعتناق عن حب واقتناع، وصدق رب العالمين إذ يقول في كتابه الكريم:

﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾[17].

ولا يعني هذا الذي يجري سوى أن وعد الله يتحقق، وأن هذا الدين منصور:

(١٦) الأنعام (١٢٥).

(١٧) التوبة (٣٢).

﴿ومن أصدق من الله قيلا﴾[18].

﴿ومن أصدق من الله حديثا﴾[19].

قال تعالى:

﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾[20].

وقال: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ۝ إنهم لهم المنصورون ۝ وإن جندنا لهم الغالبون﴾[21].

ويوضح ذلك ويؤكده وعد الله المؤمنين في سورة النور بالتمكين للدين، والاستخلاف في الأرض، واستبدال خوفهم أمنا وذلهم عزا وهزيمتهم نصرا، قال تعالى:

﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾[22]

ولكننا لن ننتصر على أعدائنا بالأماني والآمال، وإنما ننتصر عليهم بقوة إيماننا، قال تعالى:

﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ۝ فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم﴾[23].

ولن ننتصر على أعدائنا إلا بالإعداد والاستعداد لهم قال تعالى:

﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾[24].

وتنكير (قوة) - في الآية الكريمة - لتشمل كافة أنواع القوى، ولن ننتصر عليهم إلا بامتناعنا عن المعاصي التي ترتكب سرا وعلنا، لأننا إذا استوينا وإياهم في المعصية كانت لهم الغلبة؛ لأنهم الأكثر عددا وعدة؛ لأن أهل الأرض قاطبة اجتمعوا على كره الإسلام، ومحاربته ومطاردة أتباعه، وكما أسلفنا:

﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾[25]

وكذلك لن ننتصر على أعدائنا إلا إذا نصرنا شريعة الله، قال تعالى:

(١٨) النساء (١٢٢).

(١٩) النساء (٨٧).

(٢٠) الروم (٤٧).

(٢١) الصافات (١٧١: ١٧٣).

(٢٢) النور (٥٥).

(٢٣) آل عمران (١٧٣، ١٧٤).

(٢٤) الأنفال (٦٠).

(٢٥) التوبة (٣٢).

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾(٣٦).

وإذا انتصر المسلمون على أعدائهم قامت دولتهم على هذه المبادىء التى تكفل سعادة الدنيا ونعيم الآخرة، وهذه المبادىء هى إقامة الصلاة (وتعنى: نشر السمو الروحى عن طريق العبادة) وإيتاء الزكاة (وتعنى: نشر التكافل الاجتماعى بين أفراد المجتمع والحد من الفوارق بين الطبقات) والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (يعنى: محاربة الفساد، وتحدى الباطل، ومواجهة الظلم والطغيان، ونشر الخير والحب والأمن والأمان والسلام على الأرض).

فقل لى: بربك - أيها المسلم - هل يوجد على الأرض أنبل من هذه الغاية، وهل توجد مبادىء أسمى من هذه المبادىء التى تكفل سعادة الفرد والجماعة، وتضمن عز الدنيا، ونعيم الآخرة؟

لهذا وغيره استحق هذا الدين التمكين؛ لأنه الدين الذى ارتضاه الله لعباده، واستحق أهله العاملون النصر والتمكين فى الأرض، ولقد روى الإمام مسلم عن ثوبان - رضى الله عنه - مولى رسول الله ﷺ قال: قال: رسول الله ﷺ: (إن الله زوى لى الأرض (أى جمع لى الأرض وطواها)، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتى سيبلغ ما زوى لى منها).

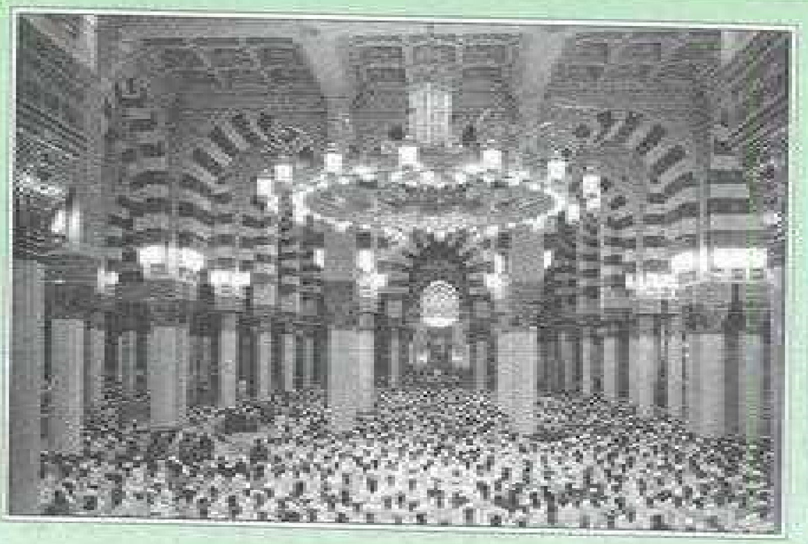
﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾(٢٧).

﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾(٢٨).

***

(٣٦) الحج (٤٠، ٤١). (٢٧) التوبة (١١١).
(٢٨) الأحزاب (٤).

التأسى بإمام الأنبياء من مستلزمات الحفاوة بميلاده الشريف



لفضيلة الشيخ / عبد المنصف محمود عبد الفتاح

قال الله - تعالى -:

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾(١).

إن من نظر فى حياة نبينا محمد ﷺ الذى ملأ الله به الكون رحمة وعدلاً، والدنيا هدى ونوراً، والقلوب راحة وأمناً، لوجد أنها حياة مليئة بعظيم المفاخر، وجليل المآثر، وأنه يجب على الناس كافة أن يتخذوا منها نبراساً ومشكاة، ليصلوا إلى سعادتهم وفلاحهم فى معاشهم ومعادهم، وما أحوجنا وقد أصبحت حالتنا الخلقية من أشد أمراضنا الاجتماعية - أن نرجع إلى سيرة العظماء من الرجال، لنتعرف على أخلاقهم، التى كونت عظمتهم وشمائلهم، والتى يرجع إليها نجاحهم، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾(٢).. ورسولنا ﷺ جدير حقاً، بأن يُتخذ مثلاً أعلى فى كل ناحية من نواحيه، فهو الأسوة الحسنة، بشهادة الله، وسيرته من أعظم السير، ودراستها من أجل العظات، وهى مع ذلك كثيرة النواحى، متشعبة المناحى، وكذلك شأن

(١) الأحزاب: ٢١. (٢) الأنعام: ٩٠.

الأبطال والعظمـــاء، تتـيـــه فى بطولاتهم وعظمتهم العقول والأفكار، أستغفر الله، لم يشبه النبى الأكرم، والرسول الأعظم أحد، فى بطولته وعظمته، بل إنه فاق كل بطل، وكل عظيم، وإننى لن أســـتطيع أن أوفى النبى الكريم حـقـه من إجـلال وتعظيم وإكـبـار وتفخيم وهل يستطيع أحد فى هذا الوجود مهمـا أوتى من فصاحة وبيان أن يوفى هذا المقام الشريف قدره، أو يُعَبِّر عن هذه العظمة الرائعة بكلمات وألفاظ، وأنّى لضعيف البصر أن يُمْعن بصره فى ضوء الشمس الباهر، وشعاعها اللماع، وأنّى لقوة محدودة، وكلمات معدودة أن تصف نفساً كبيرة، لا يُدْرَك مداها، ولكننا ونحن فى ذكرى مولده الشريف، نريد أن ننقب عن الشرف لندرك طرفاً منه، ونعرض الكمال لتتحلّى النفوس بحلية منه، وننشر الدُّرَّ النفيس بين أيدينا، لتملأ العيون من جماله وسحره، ونُقَلِّب الطيب لنظفر بنفحة من شذاه وعطره.

لقد كان رسول الله ﷺ المثل الأعلى، الذى يجب أن يُقْتَدى به فى أقواله وأفعاله وأحواله، لأنه لا ينطق ولا يفعل عن هوى، بل عن وحى وتنزيل، قال ابن كثير: «أمر الله ـ تبارك وتعالى ـ الناس بالتأسى بالنبى ﷺ فى صبره ومصابرته ومجاهدته ومرابطته، كيف لا وهو القدوة المثلى لأمته، فى حياته الخاصة والعامة، وفى علاقته بربه وعلاقته بالناس، واختلف فى هذه الأسوة، هل هى على الإيجاب أو على الاستحباب، على قولين:

أحدهما: أنها على الإيجاب، حتى يقوم دليل على الاستحباب.

والثانى: أنها على الاستحباب حتى يقوم دليل على الإيجاب. ويحتمل أن تحمل على الإيجاب، فى أمور الدين، وعلى الاستحباب فى أمور الدنيا، ولأنه ﷺ المرسل إلى الناس كافة، والمُعَد من ربه ليكون القدوة العملية، التى توجب الاقتداء، وذلك بما أودع فيه من روح العظمة، فعظمة النبى ﷺ هى مجموع من القدوة التى اختصه الله بها مع الاقتداء من أتباعه المؤمنين بدعوته، الواثقين برسالته، فشَعَّ نور الدعوة فى المشارق والمغارب، إصلاحاً وتعميراً، وعدلاً وسلاماً، تلك الموجة العمرانية لم يعرف التاريخ لها مثيلاً، ثم قلبت الأمة قلبة حقيقية، حتى أصبح كل فرد من أفراد الأمة فى حكمة الفيلسوف، عقلاً وفكراً، وفى شجاعة القائد ودربته، وفى بسالة الجندى وتضحيته، وعاد كل فرد منها فى عزة الملوك، وفى طهارة الملائكة، حتى لو ظهر أحدهم فى حياتنا هذه، لكفاها بلسماً وشفاء.

وكان لمكارم أخلاقه ﷺ وعُلُو همته، الأثر البالغ فى نجاح دعوته، ونشر رسالته، فقد استطاع بأخلاقه وحكمته، وحزمه وكياسته، أن يؤسس فى زمن قصير، ومُدَّة وجيزة، دولة قوية، وأمة فَتِيَّة، مرهوبة الجانب، مسموعة الكلمة، واسعة السلطان، نافذة الحكم، موفورة الكرامة، فتوافد الناس عليه، وانقادت إليه قلوبهم، واطمأنت له نفوسهم، لما رأوا من لين جانبه، وكرم أخلاقه.

وإن مَنْ سَرَّحَ طرفه فى تاريخ النبى ﷺ الحافل بالمكرمات، الزاخر بالمعالى، ليجد أن خفض الجناح، ورقة الحاشية، والرحمة الفياضة، كانت من أبرز صفات الرسول ﷺ ومن أطيب شمائله، وكلها طيب وجميل، ولقد اتسعت رحمته، وامتدت رحاب نفسه، وانبسط أفقها، حتى وسعت الناس جميعاً، وتواضعت وهى النفس الشامخة العالية، فخالطت الصبيان والأطفال تداعبهم، وتدخل السرور عليهم، روى أن الحسن بن علىّ ـ رضى الله عنه ـ دخل على جده ﷺ فركب ظهره الشريف وهو ساجد بين يدى ربه، فأبت رحمته أن يشغل الطفل عن لعبته، أو يحول بينه وبين لهوه، فأطال السجود، حتى قضى الصبى أمره، ونزل عن ظهره غير مُعَجل، فسأله بعض أصحابه: نراك قد أطلت سجودك يا رسول الله؟. فقال: إن ابنى قد ارتحلنى، فكرهت أن أعجله..

وليس فى سجل المودة الإنسانية، ولا فى تاريخ البر والوفاء، أجمل ولا أكرم من حنان النبى ﷺ على مرضعته السيدة حليمة السعدية، ومن حفاوته بها، عندما قدمت عليه، وقد جاوز الأربعين من عمره، أنه تلقاها هاشاً باشاً، هاتفاً: أمى.. أمى.. وبسط لها رداءه، وأجزل لها عطاءه، وبذل لها كرمه ووفاءه، فأية عاطفة تنفجر حناناً مثل هذه العاطفة، وأى قلب ينبض بالخير مثل هذا القلب النبوى الطاهر، وأية نفس تفيض رحمة مثل هذه النفس الكبيرة التى لم تقتصر رحمتها على البشر؟. بل تراها تنفسح وتمتد حتى تبسط رواقها على الحيوانات العجماوات، فتغمرها وتفيض عليها.. ألم يكن رسول الله ﷺ يُميل الإناء للهرة لتشرب؟. ويفتح لها بابه حين تطلب عنده مأوى؟. ويبسط كفه للشاة لتأكل ما فيها من النوى، فلا يقبضها، حتى تفرغ الشاة من أكلها.

كان رسول الله ﷺ يصل مَنْ قطعه، ويعطى من حرمه، ويعفو عمن ظلمه، ويحسن إلى جاره، ويناصر الضعيف، ويغيث الملهوف، ويقرى الضيف، ويكرم اليتيم، ويرحم الفقير والمسكين، ويجود حيث يبخل الناس، ويعطى عطاء من لا يخشى الفقر.. كان دائم البشر، حسن الخلق، ليس بعَيَّاب ولا مَدَّاح، يجيب دعوة من دعاه، ولو كان فقيراً، ويقبل الهدية، ويكافىء عليها، ويطعم من حضر، ويدخر منها نصيب من غاب، كان يعود المريض ماشياً ولو كان فى أقصى المدينة، كان يؤثر الوارد بالوسادة التى تحته، وربما بسط له ثوبه، كان يطعم القوم ويسقيهم اللبن والماء، يأكل سؤرهم، ويشرب آخرهم، ويقول: ساقى القوم آخرهم شرباً.

لقد عرف نبينا ﷺ بالربانية المؤمنة، فكان عابداً يقف بين يدى مولاه للصلاة حتى تتورم قدماه، وقد سُئل: لِمَ تصنع هذا، وقد غُفِرَ لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟. فقال: أفلا أكون عبداً شكوراً، ولم تكن عبادته، عبادة الرهبان، وإنما عبادة المؤمن القوى المتجهز للقاء العدو، المراقب لحركاته وسكناته، الباعث عيونه فى كل مكان لاستكناه أمره، كان اجتماعياً، شارك الناس فى سَرَّائهم وضرائهم، وأحبهم وسهر

عليهم إخوة وأتباعاً، أزواجاً وأولاداً، عبيداً وخدماً، في إيثار ووفاء، وعُرف بالتواضع، فكان يركب الحمار، ويردف خلفه، كان يجلس حيث ينتهى به المجلس، كان يأكل مع خادمه، ويزوره ويتلطف معه في القول، واتسم بالبساطة واليسر في لقاء الأمور وتوجيهها، إذا خُيِّر بين أمرين، اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً.. كان يمزح ويتفكه ولا يقول إلا حقاً.. أتت النبيَّ ﷺ عجوز، فقال لها: لن تدخل الجنة عجوز، فبكت، فقال: إنك لست بعجوز يومئذ، قال الله تعالى:

﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾(٣).

كان مثالاً للنظافة والتجمل، لا يُرى إلا في أجمل مظهر، وعُرف بالزعامة، فكان مصلحاً، جمع إلى ضبط النفس قوة التأثير، وكان فعلاً أكثر منه قولاً.. واتسم بالسياسة، فكان مثلاً للكياسة دون تكبر أو طغيان، فعقد المعاهدات، وبعث البعوث، وعُرف عنه الكتمان والتورية، والحيطة في الحرب، كان إذا أراد جهة، ورَّى بأخرى، كان رسول الله ﷺ أشجع الناس، تتَّسم مواقفه كلها بالشجاعة الفذَّة، والبطولة النادرة، وكان دائماً في المقدمة، عن على - كرم الله وجهه - قال: «كنا إذا اشتد بنا البأس

واحمرَّت الحدق، اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب للعدو منه».

لقد كان رسول الله ﷺ رئيس الدولة الإسلامية، كما كان القائد الأعلى لها، وهو كرئيس دولة، كان يكره الحرب، ويجنح للسلم، ويؤثر حل مشاكله بالوسائل السياسية، كما حدث في صلح الحديبية، حقناً للدماء، وتفرغاً لنشر الدعوة الإسلامية، وتركيز قواعدها، وحتى لا يكون لأعدائه سبيل إلى تشويه دعوته، وتنفير الناس منها.. فإذا ما استنفد وسائله السياسية، لجأ إلى الوسائل العسكرية، ولم يسعه إلا أن يركب المركب الصعب، وأن يسلك الطريق الشائك، طريق الجهاد والقتال، فسلك هذا الطريق مكرهاً، قال تعالى:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(٤).

كان رسول الله ﷺ في معاركه كلها، يمتاز بصفات القيادة العليا، فضلاً عما كان يمازجها من الرحمة التى لا تعرفها القيادات العسكرية الأخرى، نلمس ذلك في موقفه من الأسرى بعد المعركة وخاصة أسرى بدر، فلقد كان قلبه ينبض بالعفو والرحمة على من كانوا بالأمس يطاردونه، وينكرون دعوته الإنسانية الكبرى، كان رسول الله ﷺ كقائد: يرسم الخطط دون

(٣) الواقعة: ٣٥ : ٣٧.

(٤) البقرة: ٢١٦.

أن يستبد فيها برأيه، بل كان يناقش أصحابه ويشاورهم، ويبرم الأمور بعد اقتناعهم، ليعلم كل مقاتل أنه يقاتل عن اقتناع، ويدافع عن إيمان، كما كان يقوم بشئون التعبئة، وتدبير موارد الجيش وتموينه، وبث الروح المعنوية في صفوف جنده، واختيار الأوقات المناسبة، والمواقع الملائمة.

كما كان يُعلِّم المقاتلين آداب الحرب، وأنها قتال المقاتلين دون المدنيين، ودون إسراف أو تمثيل، فلا يُقتَلُ شيخ ولا طفل ولا امرأة، ولا عابد في صومعة، ولا تُقْطَعُ شجرة إلا لمصلحة.. وآداب الانتصار، فكان يطلب إليهم ألا ينتهكوا الأعراض، ولا ينهبوا الأموال، ولا يستبيحوا حُرُمات المعابد والمقدسات.. وقد تجلت شجاعته ﷺ في أوضح صورها في حروبه وغزواته، فكان بحق مَضْرِب الأمثال، وهو الذى لم يتعلم الفنون الحربية ولا الهندسة العسكرية، في معهد أو كلية، وإنما علمه ربه الذى أوحى إليه فيما أوحى:

﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾(٥)

لقد كان يعلم من فنون الحرب بالإلهام، ما لا يعلمه غيره بالدرس والمران، فكان يختار الموقع

الذى يمكنه من النصر، ومع ذلك كان يعلم أصحابه المشورة فعمل بمشورة الحباب بن المنذر في غزوة بدر الكبرى، حيث انتقل بجيشه إلى الموقع الاستراتيجى الذى يمكنه من هزيمة أعدائه، ويتفنَّن في وسائل الدفاع، كما عمل بمشورة سَلْمان الفارسى وحفر خندقاً حول القطاع المكشوف من المدينة، وكان يبعث من يتجسس على الأعداء ليعرف قوتهم، ويبعث السرية بالأوامر المغلقة المختومة.. فها هو رسول الله ﷺ لم يترك ناحية من نواحى الحياة إلا أوضحها في صورة، توقظ الضمير، وتنير البصيرة الإنسانية، وتحفز إلى صالح الأعمال، وتبعث في النفوس اليقين والأمل، وتنشر في المجتمع عوامل المحبة والإخاء.

وبعد.. فلعل في هذه الذكرى العطرة، نفع عظيم للنفوس، ولعل المسلمين، يقتدون بصاحبها ﷺ ويتخذون من سيرته الحكيمة المُثُل العُليا، والطرق المُثلى، والمناهج الواضحة، وعساهم يترسمون خُطاه، ويأتسون به، ويسيرون على هديه، ويعملون عمله، فيفوزوا باتباعه، ويفلحوا بفلاحه، وينتصروا ويسعدوا بنصره وإسعاده..

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾(٦).

***

(٥) النساء: ١١٣.

(٦) آل عمران: ٥٣.

فى رحاب الذكرى العطرة

لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف

يستقبل المسلمون فى جميع مشارق الأرض ومغاربها فى هذا الشهر الكريم الذكرى العطرة لمولد الرسول الكريم سيدنا محمد بن عبدالله ﷺ.

غير أن حال المسلمين اليوم وما وصلوا إليه من ضياع ومهانة، وذلة وانكسار، وضعف وخضوع، وأنهم صاروا كالأيتام على مائدة اللئام، لا وزن لهم ولا قيمة، ولا شخصية لهم ولا اعتبار، مسلوبى الإرادة، مشلولى الحركة، تحدد أوضاعهم ومساحة تحركاتهم، وحجم قدرتهم القوى العظمى فى العالم، بعد أن أصبحوا ضعافا بلا قوة، وتتخذ القرارات الخاصة بتحديد مصيرهم فى غيبة من حضورهم بعد أن فقدوا إرادتهم، وأضحوا أمواتا فى صورة أحياء...

لقد هبت على المسلمين عواصف أعاصير الهبوط والسقوط، والتدنى والتأخر، والتخلف والتراجع، نتيجة ما أصاب جمعهم من فرقة وتمزق، وما أصاب أخلاقهم من عقد وعلل، وما أصاب سلوكهم من انحراف وبعد عن أحكام دينهم، وما أصاب أغنياءهم من سفه وفقدان الرشد، وما أعمى أبصارهم عن النظر فى كنوز تراثهم الإسلامى الحافل بالنفائس، المرشد إلى سبل العزة، بعد أن ضلوا الطريق الذى سلكه أجدادهم الأوائل الذين التزموا بتطبيق المنهج الربانى والهدى النبوى، فعزوا وسادوا، وحكموا وعدلوا، ودانت لهم جميع قوى العالم تخطب ودهم، وتطلب رضاهم!!!

لقد ضل المسلمون الطريق، وهرولوا يتلمسون العلم والمعرفة من مصادر غير إسلامية، وأخذوا يحاكون السلوك الساقط فقط فى مجتمعات الدول الأخرى، السلوك الذى يهدم ولا يبنى، ويخرب ولا يعمر، ويدمر ولا يشيد، ولم يحاكوا تلك المجتمعات فى الأخذ بأسباب البناء والتشييد، والرفعة والتقدم، والوصول إلى سطح القمر.

سيدى يا رسول الله، عندما تحل الذكرى العطرة، ذكرى مولدك الكريم، ذكرى مولد الصادق الأمين، ذكرى مولد منقذ البشرية ومخرجها من الظلمات إلى النور، ذكرى مولد الحبيب المصطفى محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام.

عندما تحل هذه الذكرى الخالدة هذا العام يقف المسلم فى حالة تأمل واستفسار ومراجعة مع النفس والتاريخ والأحداث، مستعرضا حال البشرية ووضعها قبل بعثتك التى أنعم الله بها عليها؟

لقد عانت البشرية قبل مجىء الإسلام كثيرا من الظلم والقسوة والعذاب، والضلال والشرك والكفر، والتفرقة العنصرية بين بنى البشر: بين الأبيض والأسود، وبين الغنى والفقير، وبين القوى والضعيف، وبين الرجل والمرأة، وبين الطبقة الحاكمة وسواد المحكومين، وبين أصحاب الحسب والنسب الذى وصفوه لأنفسهم، وبين الخدم والعامة الذين صاروا لا يملكون من أمرهم شيئا سوى الخنوع والخضوع والطاعة والولاء لأسيادهم أصحاب الجاه والنفوذ، والسطوة والسلطان، والأمر والنهى، حتى الأطفال حديثى الولادة لم تسلم عند العرب فى الجاهلية من هذه التفرقة البغيضة، ويسجلها القرآن الكريم فى قوله تعالى:

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾(1).

وأبناء الفرس كانوا ينظرون إلى الأكاسرة كما ينظرون إلى الإله، وانتهكت حرمات المحارم من الأمهات والأخوات والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت فأبيح الزواج والاستمتاع بهن!!

وأبناء الرومان كان يستعلى بعضهم فوق بعض، وانتشرت ظاهرة التسرى واتخاذ العشيقات الكثيرة العدد، وقنن التعصب المذهبى الدينى، وصار سيفا مسلطا من الدولة المركزية على المخالفين لمذهبها فى داخل الدولة وفى الدول التى تدخل فى نطاق حكم الإمبراطورية الرومانية تعمل فيها القتل بلا شفقة أو رحمة!!!

وهكذا عمت البلوى المجتمعات البشرية قبل الإسلام، وساد قانون الغابة بين الناس، وعاش الناس فى رعب وخوف، وفزع وقلق، وجهالة الغد والمصير... إلى أن بزغ فجر الإسلام وأشرقت شمسه على الكون بمولد الحبيب المصطفى محمد ابن عبدالله.

صلاة الله وسلامه عليك ياسيدى يارسول الله، ياخير ما طلعت عليه الشمس، وسيد من أقلته الأرض وأظلته السماء، يا من فضلك الله على العالمين، ياصاحب المقام المحمود، والحوض المورود، ومن آتاه الله الفضيلة والوسيلة والدرجة العالية الرفيعة، يا خاتم الأنبياء والمرسلين، فقد بعثك الله هداية ونورا لإخراج البشرية من ظلمات الشرك والضلال إلى نور التوحيد والإيمان، وتطهير الكعبة بيت الله الحرام من دنس الأوثان والأصنام، وإنقاذ الضعفاء والفقراء، من ظلم وتسلط وطغيان الأقوياء والأغنياء، ووضع الميزان العادل المستقيم للتفاضل بين الناس، وجعله قائما على التقوى:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾(2) بعد أن

---

(1) النحل [٥٨، ٥٩].

(2) الحجرات [١٣].

كانت موازين التفاضل في الجاهلية هي التفاخر بالأنساب والأحساب والمال والجاه، فردت للإنسان حريته وكرامته، ووضعت المرأة في مكانتها الكريمة فحافظت على صلة الأرحام والأنساب.

بَشّرت بقدومك الكتب السماوية، وترقب مولدك الشريف الأحبار من يهود، والرهبان من النصارى، والكهّان من العرب، فتحدث عن أمرك يا سيدى يارسول الله لما تقارب زمن مولدك وبعثتك كثيرٌ من هؤلاء منهم الكاهنان: سطيح، وشق عند تأويلهما رؤيا ربيعة بن نصر ملك اليمن...

واسم سطيح: ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن ابن ذئب بن عدى بن مازن.

وشق هو: ابن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرك ابن قسر بن عبقر بن أنمار بن أراش.

قال ابن إسحاق: وكان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة، فرأى رؤيا هالته وفظع بها، فلم يدع كاهنا ولا ساحراً، ولا عائفا والمتكهن بالطير، ولا منجماً من أهل مملكته إلا جمعه إليه، فقال لهم: إنى قد رأيت رؤيا هالتنى وفظعت بها، فأخبرونى بتأويلها، فقالوا له: اقصصها علينا نخبرك بتأويلها قال: إنى إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها، فإنه لا يعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها، فقال له رجل منهم: فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سطيح وشق فإنه ليس أحد أعلم منهما، فهما يخبرانه بما سأل عنه.

فبعث الملك إليهما، فقدم عليه سطيح قبل شق، فقال الملك له: إنى قد رأيت رؤيا هالتنى وفظعت بها، فأخبرنى بها، فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها.

قال: أفعلُ، رأيت حُمَمَه «فحمة» خرجت من ظُلْمة، فوقعت بأرض تَهمة، فأكلت منها كلَّ ذات جمجمة، فقال له الملك: ما أخطأت منها شيئا يا سطيح، فما عندك فى تأويلها؟ فقال: أحلف بما بين الحرتين من حنش، لتهبطن أرضكم الحبش، فليملكُنّ ما بين أبْيَن إلى جُرَش، فقال له الملك: وأبيك يا سطيح، إن هذا لنا لغائظ موجع، فمتى هو كائن؟ أفى زمانى هذا أم بعده؟ قال: لا، بل بعده بحين، أكثر من ستين أو سبعين يمضين من السنين، قال: أفيدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع؟ قال: لا.. بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين، ثم يُقْتلون ويخْرجون منها هاربين، قال: ومَنْ يلى ذلك منْ قتلهم وإخراجهم؟ قال: يليه إرَم ابن ذى يَزَن «المعروف: بسيف بن ذى يزن»، يخرج عليهم من عدن، فلا يترك أحدا منهم باليمن، قال: أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع؟ قال: لا.. بل ينقطع، قال: ومن يقطعه؟ قال: نبى زكىّ، يأتيه الوحى منْ قبل العلىّ، قال: وممّن هذا النبىّ؟ قال: رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك ابن النضر، يكون الملك فى قومه إلى آخر الدهر، قال: وهل للدهر من آخر؟ قال: نعم.. يوم يُجْمع الأولون والآخرون، يسعد فيه المحسنون، ويشقى فيه المسيئون، قال: أحق ما تخبرنى؟ قال: نعم والشفق والغسق والفلق إذا اتسق، إن ما أنبأتك به لحق.

ثم قدم عليه شقّ، فقال له الملك كقوله لسطيح، وكتمه ما قال سطيح، لينظر أيتفقان أم يختلفان؟ فقال نعم: رأيت حُممة، خرجت من ظُلْمة، فوقعت بين روضة وأكمة، فأكلت منها كلَّ ذات نسمة.

قال: فلما قال له ذلك عرف أنهما قد اتفقا، فإن قولهما واحد، إلا أن سطيحا قال: «وقعت بأرض تهمة، فأكلت منها كل ذات جمجمة». وقال شق: «وقعت بين روضة وأكمة، فأكلت منها كل ذات نسمة».

فقال له الملك: ما أخطأت ياشق منها شيئا، فما عندك فى تأويلها؟

قال: أحلفُ ما بين الحرتين من إنسان، لينزلن أرضكم السودان، فليغلبن على كل طفلة البنان، وليملكن ما بين أبْيَن إلى نجران.

فقال له الملك: وأبيك ياشق، إن هذا لنا لغائظ مُوجع، فمتى هو كائن؟ أفى زمانى أم بعد؟ قال: لا. بل بعده بزمان، ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شان ويذيقهم أشدَّ الهوان قال: ومَنْ هذا العظيم الشان؟ قال: غلام ليس بدنىّ ولا مدَنّ، يخرج عليهم من بيت ذى يزن، فلا يترك أحدا منهم باليمن، قال: أفيدوم سلطانه أم ينقطع؟ قال: بل ينقطع برسول مُرْسَل، يأتى بالحق والعدل، بين أهل الدين والفضل، يكون الملك فى قومه إلى يوم الفصل، قال: وما يوم الفصل، قال: يوم تجزى فيه الولاة، ويدعى فيه من السماء بدعوات، يسمع منها الأحياء والأموات ويجمع فيه بين الناس للميقات، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات، قال: أحق ما تقول؟ قال: إى ورب السماء والأرض وما بينهما من رَفْع وخفض، إن ما نبأتك به لحق ما فيه أمض «شك أو باطل».

عليك الصلاة وأزكى السلام يا سيدى يا رسول الله، فقد ظلت البشرية تترقب فى لهفة وشوق مولدك الشريف لتشرف بقدومك، وينعم الخير الكون كله ببعثتك، وقد تحقق ذلك بعد أن بلغت الرسالة وأديت الأمانة، وتحملت فى سبيل ذلك أذى المشركين، وسفه الكافرين، وعناد المكابرين، وضلال المنافقين، وحقد ومؤامرات أعداء الدين، تحملت كل ذلك بقلب كبير رحيم لم يقبل أن يدعو على هؤلاء بالقتل والخسف والعذاب، وأجبت الأمين جبريل حين عرض عليك أن يطبق عليهم جبال مكة بقولك الرحيم: «عسى الله، أن يخرج من أصلابهم من يؤمن بالتوحيد».

والآن يا سيدى يا رسول الله، ونحن نستقبل الذكرى العطرة لمولدك الشريف هذا العام، وحالة المسلمين قد صارت إلى ما هى عليه من الضعف والهوان والذلة والانكسار، بعد أن تحقق فيهم قولك الحق والصدق فى حديثك الشريف: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله فى قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت»[٣].

ندعو الله ونرجوه، ونتوسل ونتضرع إليه أن يهدينا إلى الصراط المستقيم، وألا يؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، وأن يكشف عنا الغمة، وأن ينجينا من الفتنة وأن يفرج كرب المسلمين، وأن ينصرنا على أعدائنا أعداء الدين.

(٣) أخرجه أبوداود فى سننه ٤/١١ حديث رقم ٤٢٩٧.

الطب النبوى

الطب البديل كحل اقتصادى لأحد تحديات العولمة

للأستاذة الدكتورة / زينب صالح الأشوح

فى ظل ظاهرة العولمة والتطبيق الحتمى والمفروض لاتفاقيات الجات والتجارة العالمية وأخواتهما، تعيش الدول النامية - خاصة الأكثر فقراً منها - حالة من القلق والترقب والتخوف من آثار سلبية خطيرة لابد وأن تلحق باقتصادياتها وبهوياتها الدينية والجغرافية والسياسية. وبعض تلك الآثار تلوح بظلالها القبيحة بشكل لا يخفى على أحد، وكثير منها مازال كامناً فى مخابئ المكان والزمان وعقول أعداء البشرية وخططهم الشيطانية.

ومن الأمثلة على الآثار الواضحة التى بدأت غزو الدول الضعيفة وتعتصر مواطنيها - خاصة الفئات الحساسة والضعيفة منهم -، أن التطبيق الكامل لاتفاقيات الجات والتجارة الخارجية وأخواتهما يفرض على الدول النامية (التى عادة ما تكون تابعة اقتصادياً للدول الكبرى فى خطوطها الإنتاجية والتسويقية والتى تقوم بالغالبية العظمى من عمليات الانتاج المتطور نسبياً بتوكيل من دول أخرى متقدمة) أن تتوقف فوراً عن الاستمرار فى تلك العمليات الإنتاجية ووفقاً لاتفاقيات مطولة تحت بند حقوق الملكية وحق المؤلف. فإن تلك العمليات الإنتاجية بتقنياتها المطبقة تصبح حقاً مطلقاً لدول المنشأ (أى الدول التى نشأت فيها تلك التقنيات والأساليب الإنتاجية المتبعة)، وينتقل زمام الهيمنة الاقتصادية بالكامل إلى دول المنشأ.

ومن ثم، فالدول التى كانت تقوم بإنتاج ما (بتوكيل) من دولة أخرى عليها أن تتوقف عن ذلك الإنتاج وأن تستورد المنتج من بلده الأصلى (بلد المنشأ) بأسعار باهظة فى ظل (احتكار) بلد المنشأ لإنتاج وتسويق ذلك المنتج.

غير أن الدولة المنتجة بتوكيل من دولة أخرى أمامها خيار آخر بديل - لا يقل فى مرارة آثاره عما قبله - وهو الاستمرار بالعمل والإنتاج المحلى بالتوكيل المعتاد ولكن بشرط أن تلتزم الدولة (الناقلة) للتقنية الإنتاجية بضرورة دفع مقابل ضخم للجهة المالكة لحق الإنتاج كل فترة معينة بحيث يتجدد الاتفاق بشروط يتوقع أن تكون أكثر إجحافاً وإضراراً بالاقتصاد النامى حيث تنفرد الدولة المالكة لحق الإنتاج بدور الهيمنة الكاملة وبتقرير حقوقها لدى الدول (الناقلة) من منطلق وضعها الاحتكارى المطلق. ذلك الوضع الذى استهجنه الفكر الاقتصادى منذ القدم مثلما فعل أرسطو والمدرسيون فى العصور الوسطى حيث اعتبروه استغلالاً محرماً من الجانب المحتكر وسلوكاً يتنافى مع مبدأ العدالة فى المعاملات بين البشر. وقد تأكدت بشاعة ذلك السلوك من الحديث النبوى الذى أكد على أن فاعله ملعون وصدق رسول الله ﷺ حين قال: «الجالب مرزوق والمحتكر ملعون» (رواه ابن ماجة والحاكم).

ومن المجالات الاستراتيجية التى تثير قلق العامة والخاصة فى هذا الصدد: مجال الطب والدواء حيث إن غالبية التقنيات العلاجية وأجهزتها وأدويتها - إن لم تكن كلها - عادة ما تستوردها الدول النامية من الدول الكبرى محدودة العدد والأسماء، وفى أحوال أفضل يتم انتاجها محلياً ولكن بتوكيل من جهات المنشأ أو باستيراد المواد اللازمة لتصنيعها ولإعدادها للإنتاج المحلى؛ ومن ثم، فإن تطبيق القوانين العالمية لحقوق الملكية سوف يزيد من الأعباء المالية على الدولة والأفراد بما لا يطيقونه.. فإما الاستيراد من بلاد المنشأ بأسعار باهظة، أو الاحتفاظ بتوكيل يمنح حق الإنتاج (المؤقت واللازم تجديده كل فترة متفق عليها) وذلك فى مقابل دفع مبالغ باهظة أيضاً.. وكلا الأمرين - إذن - مُرّاً!

ومما سبق تتضح أهمية الاستعانة ببديل حيث إنه لن يفيد فقط فى التخفيف من حدة تلك التبعية الاستهلاكية للخارج، ولكنه يمكن أن يساهم أيضاً فى تمتع الاقتصاد القومى بميزة نسبية علاجية يمكن أن تساعده فى التحول من مستورد للوسائل والتقنيات العلاجية إلى مصدر لها، أو على الأقل لبعض منها؛ ذلك البديل هو (الطب البديل) الذى يكتسب مسماه نفس الهدف المرجو اتباعه للخروج من المأزق المتولد فى تربة ما يسمى بالنظام العالمى الجديد.

والطب البديل يمكن الاستعانة به لعلاج المشاكل الصحية أو للوقاية منها إما بشكل مطلق أو كوسيلة مكملة للأساليب العلاجية المعتادة لذا فقد سمى بالطب البديل أو الطب المكمل Alternative or Complementary Medicine. وهو يضم فروعاً كثيرة مثل الطب الهوميوباثى، علم المنعكسات، علم الإبر الصينية، العلاج بالأعشاب، العلاج بالزيوت الطبيعية، العلاج بمستخلصات الزهور، العلاج بالغذاء، العلاج بالحجامة.

والطب البديل أو المكمل لا يستخدم أية وسائل علاجية كيماوية، وإنما يتعامل أساساً

بالوسائل الطبيعية. وفى غالبية الأحوال، يتم التعامل مع المريض من خلال منظور شامل لا يقتصر فقط على ما يعانيه ذلك المريض من أعراض مرضية ظاهرة وإنما يؤخذ فى الاعتبار أيضاً أن تلك الأعراض المرضية يمكن أن تكون قد حدثت نتيجة لمشاكل داخلية تكمن فى جهاز المناعة أو التوازن الداخلى لجسم الإنسان وبالتالى يتم العلاج على أساس محاولة إعادة التوازن الطبيعى للجسم ومساعدته فى التخلص مما يعانيه من (انحرافات) صحية بالمقاومة (الذاتية) لتلك الانحرافات الصحية مع استخدام بعض الوسائل (الطبيعية) فقط للمساعدة فى الشفاء المستهدف.

وكما أشير فى إحدى الدراسات، فقد تأسس الطب البديل فى منطقة الشرق الأقصى وكان ذلك منذ قديم الزمن وكانت من أهم الدول الرائدة فى ذلك المجال الصين واليابان والهند، إلا أن ذلك الأسلوب العلاجى الطبيعى أصبح منتشراً - بعد ثبوت نجاحه - فى أوروبا وأمريكا وكل بلدان العالم.

إلا أن هناك فرعاً بالغ التميز وثابت وشامل النافع فى ذلك المجال العلاجى الطبيعى وهو الطب النبوى الذى يقوم على الاسترشاد بالتوجيهات النبوية لكيفية حفظ جسم الإنسان وتخليصه من الأمراض والعلل والأدواء، كما أن ذلك الفرع من الطب العلاجى يتميز أيضاً بأنه يقى المتعامل به من خطر الوقوع فى مصيدة العلاج المحرَّم شرعاً (مثل التداوى بعقاقير تتضمن الكحوليات)، وعلى العكس فإن المتعامل به - سواء كان مداوياً أو متداوياً - يحظى بالتمتع بميزة مزدوجة النفع - إحداها تتمثل فى النفع الدنيوى المعتاد (الذى يتمثل فى التخلص من العلل الصحية بأقل قدر من الآثار الجانبية الضارة التى تصل إلى الصفر فى غالبية الأحوال العلاجية المتبعة فى ذلك الفرع، وكذلك بأقل تكاليف ممكنة خاصة إذا ما قورن كل هذا بالحال عند اتباع الأساليب العلاجية الكيماوية والجراحية المعتادة). أما الشق الثانى من تلك المنفعة المزدوجة فيتمثل فى الثواب الأخروى نتيجة (نية) المداوى والمتداوى فى اتباع سنة النبى ﷺ لأوامر الله - تعالى - بوجوب طاعته ﷺ والامتثال لأوامر الله - سبحانه وتعالى - من خلال تطبيق ما ورد من نصوص شرعية تتعلق بذلك النموذج العلاجى المثالى الذى يكتسب صفته (المثالية) لأنه علم علاجى ورد مباشرة من مصدر العلم الإلهى الذى لا يعلى عليه، وحيث لا يدرى بأمور الخلق وبكيفية التعامل الصحيح مع أبدانهم وعقولهم وتوجيه سلوكياتهم إلا الله - سبحانه وتعالى - الذى خلقهم ثم يميتهم ثم يحييهم مرة أخرى بقدرته وحده والواقع أن الطب النبوى يتضمن أهم المعايير العلاجية التى يجب الاسترشاد بتطبيقها حتى فى حالة اتباع الوسائل العلاجية المعتادة - ويتجلى ذلك المعيار فى الحديث الشريف: إن الله تعالى خلق الداء والدواء، فتداووا، ولا تتداووا بحرام» (عن أم الدرداء، الصحيحة ١٦٣٣: الدولابى، صحيح الجامع الصغير، المجلد الأول، ١٧٦٢ - ٧٧٩).

وكما أوضح كتاب حول الطب النبوى (محمد محمد تامر ومحمد السعيد محمد، ١٩٩٩)، فإن المرض نوعان: مرض القلوب:

﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾(١).

ومرض الأبدان:

﴿ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾(٢).

كما يمكن أن يصاب الإنسان بكلا النوعين من المرض أو أن يصاب بوعكة نتيجة لإصابة جلد الإنسان أو أجزائه السطحية ببعض لدغات الحشرات مثل إصابة الرأس بالقمل الذى يتسبب فى حكة تتفاوت فى آلامها ومخاطرها:

﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾(٣).

وهناك عشرة أشياء إذا تم انحباسها داخل الجسم وعدم تركها للانطلاق الطبيعى لها فإنها تتسبب فى أذى الجسم والقلب والعقل بدرجات تتفاوت شدتها مع شدة وفترة ذلك الانحباس، بل إنها يمكن أن تؤدى إلى وفاة الإنسان فى حالة انحباسها المزمن داخل الجسم لأنها تتسبب فى انتشار المواد الضارة والسمية (التى كانت تخرج من الجسم عن طريقها) داخل الجسم وتعطيل وظائف أعضائه الداخلية عن أداء عملياتها الطبيعية. تلك الأشياء العشرة هى: الدم إذا هاج، والمنى إذا تبَّيغ، والبول، والغائط، والريح، والقىء، والعطاس، والنوم، والجوع، والعطش.. ومن ثم فعند حدوث علة صحية للإنسان يجب توجيه الاهتمام التشخيصى والعلاجى لتلك الأشياء ومنح العلاج المناسب لكل منها. ويقوم الطب النبوى على قاعدة البدء بعلاج الأدنى ثم الأعلى وباستفراغ أدنى تلك الأشياء (وهو البخار المحتقن فى الرأس) على استفراغ ما هو أصعب منها كما أبيح للإنسان استخدام (التراب) كبديل للماء فى حالة إضرار الأخير بصحة الإنسان (محمد تامر ومحمد السعيد، ١٩٩٩، ص٨).. وسبحان الله الذى جعل التراب (أصل خلق الإنسان) وسيلة علاجية أو استخدامية بديلة لطهارة الإنسان بدلاً من الماء (الذى يكون بدوره نحو ٧٠٪ من تكوين الإنسان). وكلا العنصرين يعتبران من السلع - غير الاقتصادية - التى يفترض توافرها لجميع البشر بدون مقابل كما يقتضى الشرع أن يكونا من السلع العامة الواجب توافرها لكل البشر.

ويمكن اعتبار الطب النبوى كدليل شامل ودقيق لكل الوسائل العلاجية لجميع المشاكل الصحية بدون استثناء وكمرشد لاستنباط وسائل معاصرة بتصرف بدليل قول الرسول ﷺ فى حديث صحيح «ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء» (صحيح: أخرجه البخارى (٧/ ١٥٨)، وابن ماجه (٣٤٣٩).

ومن الأمثلة الهامة للوسائل العلاجية التى تضمنها مجال الطب النبوى والتى أصبحت

---

(١) البقرة (١٠).

(٢) الفتح (١٧) والنور (٦١).

(٣) البقرة (١٩٦).

تستخدم بفعالية وبنجاح فى الدول الكبرى ومع هذا مازالت الدول النامية تتحفظ فى تطبيقها هى «الحجامة». وهى تتمثل – ببساطة شديدة – فى عملية إخراج الدم الفاسد من مواضع الألم والمرض فى الجسم حيث إن ذلك الدم الفاسد يحمل عادة أسباب كثير من الأمراض – خاصة ما يستعصى علاجها بالوسائل الكيماوية المعتادة – ويتم عمل الحجامة بتجميع الدم بواسطة كاسات زجاجية معقمة فى أماكن الألم ثم إحداث خدوش ظاهرية خفيفة فى أماكن التجمع للتمكن من إخراج الدم الفاسد بواسطة شفط ذلك الدم من خلال شفاطات معقمة ملحقة بالكاسات – ويتم تكرار تلك العملية بضوابط وقائية وصحية معينة، كما يستحب لها أن تتم فى خلال أوقات معينة ما لم تكن هناك ضرورة لخلاف ذلك – ويتم تكرار عملية الحجامة عدة مرات حتى يتم الشفاء الكامل بإذن الله (مزيد من التفصيل أرجع إلى: شهاب البدرى، ١٩٩٩).

ومن الأحاديث الصحيحة الدالة على أهمية الحجامة كوسيلة علاجية فعالة: «الشفاء فى ثلاث: شربة عسل، وشرطة محجم، وكية نار، وإنى أنهى أمتى عن الكى» (صحيح البخارى، الطب ج١٠ ح، ٥٦٨٠)؛ «ما مررت ليلة أسرى بى بملأ من الملائكة إلا قالوا يا محمد مُر أمتك بالحجامة» (صحيح الجامع الصغير ٥٦٧١).

وكما أثبت شهاب البدرى فى كتابة الحديث عن الحجامة، فقد كانت تتربع على عرش الطب القديم وظل استخدامها منتشراً فى مصر حتى الستينيات وكانت تستخدم فى الطب الحديث أيضاً لعلاج كثير من الأمراض المستعصية مثل ضغط الدم والتهاب عضلة القلب والتهاب الغشاء المبطن للقلب وأمراض الصدر والقصبة الهوائية وكذلك أمراض العيون والصداع والروماتيزم المزمنين وآلام البطن والرقبة .. إلخ، كما أنها أصبحت تستخدم فى أوروبا وخاصة فى ألمانيا التى اتضح اهتمامها الخاص بتلك الوسيلة العلاجية بشكل فعلى وفعال حيث قامت بعض الشركات الطبية الألمانية بإنتاج آلات وأجهزة خاصة بعملية الحجامة كما تم إنتاج حقائب خاصة بأدوات الحجامة مثلما فعلت شركة أتيينج الألمانية.

وبرغم أن الحجامة لها منافع علاجية شديدة الفعالية لعدد هائل من الأمراض، بدون أن تؤدى – إذا ما تم إجراؤها بالضوابط والتوقيتات الموضوعة لها – إلى أية أضرار جانبية، فإن تلك الوسيلة العلاجية الشرعية الهامة تواجه حرباً شرسة من أصحاب المصالح فى الإبقاء على الوسائل العلاجية الكيماوية المعتادة التى تقوم على هدف أساسى هو تحقيق أكبر ربح ممكن وتتضمن إلقاء أعباء مالية متفاقمة على المرضى خاصة من محدودى الدخل أو فاقديه، تلك الفئة التى كثيراً ما تتحقق على يديها – وبواسطتها للمريض ولأسرته حالة «موت وخراب ديار»! وقد يعزف بعض المعالجين عن استخدام تلك الوسيلة الطبية الطبيعية ويشارك فى محاربتها تخوفاً من انقطاع نشاطه ورزقه من اتباع الوسيلة العلاجية المعتادة أو لتكاسله فى محاولة تعلم كيفية استخدام أسلوب

الحجامة كعلاج مساعد أو مدعم لما يتبعه من أسلوب علاجى تقليدى.

ولكن الواقع الفعلى يؤكد على أن اتباع الحجامة – مثلها مثل كل الوسائل العلاجية الطبيعية الأخرى – ليست خدمة (تنافسية) للعلاج التقليدى، إنما يمكن استخدامها كعلاج (مكمل ومدعم) لذلك العلاج حيث يساعد ذلك فى الإسراع فى شفاء المريض والفعالية الأكبر فى التخفيف من معاناته وآلامه والتقليل من المضار التى قد تصاحب العلاج الكيماوى المعتاد – وذلك سيؤدى – بلا شك – إلى مزيد من الشهرة للطبيب المعالج أو للدواء المدعم بالأسلوب الطبيعى المستهدف، وسوف يؤدى ذلك – بدوره – إلى زيادة تدفق المرضى على عيادة الطبيب أو الدواء فى ظل الإطار المقترح بتضمن أسلوبىّ العلاج التقليدى والطبيعى معاً – وما من شك فى أن ذلك سيزيد من دخل مقدم تلك الخدمة الطبية المتميزة من ناحية، كما سيساعد على تقليل التكلفة العلاجية الملقاة على عاتق المريض من ناحية أخرى – وفى النهاية سيساعد ذلك على زيادة الدخل القومى الإجمالى الصافى (من خلال تحقق زيادة دخول مقدمى الخدمة المتميزين من ناحية وتخفيف الأعباء المطلوبة من الدولة للرعاية الصحية لمواطنيها) – وبمزيد من الخبرة التدريبية والتطبيقية، فإن ذلك سيؤدى إلى تحسين الخدمة العلاجية المحلية التى يمكن أن تستجلب أعداداً متزايدة من المرضى الوافدين من خارج البلاد أو تصدير الوسائل العلاجية المقترحة إليها – وما من شك فى أن ذلك سيفيد البلاد بفوائد متعددة منها تحسين السياحة (العلاجية) المتدفقة إلى البلاد، وتقليل الاعتماد على الواردات من الوسائل العلاجية، والتحول التدريجى من حالة (استيراد للوسائل) العلاجية إلى حالة (تصدير) لتلك الوسائل – وما من شك فى أن كل هذا وغيره من المنافع الكامنة سوف يساعد على تحسين ميزان المدفوعات القومى وعلى وقايتها من الشروط المجحفة المرتبطة بالاتفاقيات الدولية المفروضة على الدول الضعيفة خاصة فيما يتعلق بحقوق الملكية وبراءات الاختراع كما سبق توضيح ذلك فى البداية.

ونود أن نعرض – فى عجالة – لوسيلة علاجية وغذائية بالغة الأهمية تم التعرف عليها من خلال الطب النبوى الشامل النموذجى وهى «التلبينة». وتلك الوسيلة يجهل كنهها الكثيرون حتى المسلمون منهم وبالتالى فهم يحرمون أنفسهم من التمتع بمنافعها الغذائية والصحية والاقتصادية المتميزة.

وتتمثل «التلبينة» فى دقيق الشعير بنخالته واستخدامه (بدلاً من النشا أو الدقيق) فى إعداد المهلبية حيث يخلط مقدار من الشعير المطحون (بنخالته) مع خمسة مقادير ماء ثم يرفع الخليط على النار حتى يبقى من المقدار خمساه ويصير الخليط متماسكاً. كما يمكن أن يستخدم دقيق الشعير (مع النخالة) وحده أو مخلوطاً مع دقيق القمح ودقيق الصويا لتكوين مخبوزات ذات قيمة غذائية بالغة الارتفاع.

ومن الفوائد الصحية للتلبينة بمعناها المذكور أنها مقوية للأعصاب وملينة وملطفة للأمعاء ومنشطة للكبد ومساعدة فى الشفاء من كثير من الأمراض النفسية (حيث إنها توصف لمن يعانى أمراض الحزن والاكتئاب) كما أنها تساهم فى علاج كثير من الأمراض العضوية مثل أمراض الضعف العام والسكر وضعف المعدة والأمعاء وضعف إفراز الصفراء وبطء النمو (عند الأطفال) وكذلك أمراض التيفويد والإمساك المزمن والتهابات المجارى البولية والحميات وارتفاع ضغط الدم ويمكن أيضاً استخدام مغلى حصى الشعير للحصول على منافع علاجية من الأمثلة المذكورة سابقاً أو من غيرها مثل استخدام مغلى الشعير كغرغرة ملطفة للحلق وللزور وغسيل المعدة من أى مواد مرارية أو بلغمية أو صديدية أو غيرها من الأوساخ الضارة بالجسم، وفى صحيح البخارى ومسلم أن النبى ﷺ قال : « التلبينة مجْمة لفؤاد المريض، تذهب ببعض الحزن ».

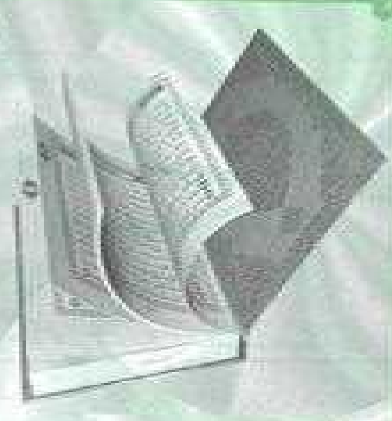
ولقد أثبتت كثير من الأبحاث العلمية الأهمية المتعددة للشعير مثل بحث قام به معهد البحوث الزراعية بجامعة البرتا بكندا بعنوان « أهمية الأغذية المحتوية على منتجات الشعير على صحة مرضى السكر غير الوراثى »، وكان من أهم نتائج تلك الدراسة أن تناول أغذية الشعير تساعد مرضى السكر الذين دائماً ما يشعرون بجوع غير عادى عند منتصف النهار ومنتصف الليل، وكذا من لديهم شهية كبيرة على تناول أطعمة الشعير لسد ذلك الجوع دون التعرض للبدانة أو لحدوث زيادة كبيرة فى الطاقة والسعرات الحرارية التى تتضمنها الأغذية المعتادة الأخرى، كما ثبت أن نخالة الشعير تتضمن الألياف المطلوبة لإتمام كثير من عمليات الهضم والإخراج للجسم.

ولقد ثبت أن الشعير يحتوى على عنصر البوتاسيوم الذى يتسبب نقصه فى الاكتئاب؛ وفيتامين ب المفيد للأعصاب، وفيتامينى أ، هـ المفيدان كمضادات للأكسدة وللاكتئاب وللشيخوخة، والميلاتونين المفيد للقلب والواقى من الشيخوخة.

وبالإضافة إلى كل تلك المنافع الغذائية والصحية السابق توضيحها للشعير بكل أشكاله؛ فهو يتوافر فى مصر بأسعار زهيدة حيث يباع الكيلو من الشعير الحصى بجنيهين فقط ودقيقه مع النخالة باثنين جنيه ونصف.. ذلك الذى يثير التعجب عن الانصراف عن استخدام دقيق الشعير فى إنتاج الخبز المصرى والاستعاضة – ولو جزئياً – عن القمح الذى تضطر البلاد لاستيراده من الخارج بعملات صعبية تزيد من أعباء المديونية على كاهل الاقتصاد المصرى خاصة بعد انخفاض الجنيه المصرى فى مقابل العملات الأجنبية خاصة الدولار واليورو المطلوب التعامل بهما لاستيراد القمح المطلوب لتوفير رغيف الخبز المحلى.

الواقع أن ما سبق عرضه يعتبر غيض من فيض يستحق تركيز الاهتمام عليه لاستنباط بعض الحلول المساعدة للاقتصاد القومى للتخلص من محبسه الاقتصادى القاسى.

مصطلح الإنسان فى القرآن الكريم



٢

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

ويتردد مصطلح (الإنسان) فى القرآن بين معانى منها تمرده على خالقه، وتحاجه فى هذا الصدد على مستويات تتسع هنا وتضيق هناك.. وحين يتحدث القرآن الكريم عن تمرد (الإنسان)، نراه ينوع حديثه على هذه المستويات المتعددة : مستوى ضراعة الإنسان فى الشدة وتمرده فى الرخاء، ومستوى مسرة الإنسان فى العطاء، وكفره فى المنع، ومستوى بطر الإنسان فى النعمة ويأسه فى الحرمان، ومستوى غياب الإنسان عن حكمة الوعى بآلاء السماء مع تعددها وشمولها، ومستوى فقدان الإنسان لذكاء الطبيعة، وانحصاره فى ضيق الواقع المادى الذى يعيشه ولا يتجاوزه إلى ما عداه.

والقرآن الكريم حين يتحدث عن تمرد الإنسان من كل هذه الجوانب المتقابلة والمتضادة، إنما يعطى للظاهرة الإنسانية فى جانب من جوانب انحرافها عن سواء الفطرة كلية الإحاطة وشمول الاستقصاء.. فهو يسلط الضوء الهائل الكاشف على تقلب الإنسان بين الضَرع، والعصيان، والمسرة، والكفر، والبطر، واليأس، والجحود، والغباء، من خلال تعاقب بعض الظواهر المادية العرضية عليه : من شدة، ورخاء، ومنع، وعطاء، ونعمة، وحرمان، وهتاف الواقع الرائع من حوله، وجين ذكائه خوفا من تجاوز أسوار المادة وهى بعض الظاهرة الكونية وليست كل الكون أولاه وأخراه.

والرائع بحق.. فى حديث القرآن الكريم عن تمرد (الإنسان) على تغاير مستويات هذا التمرد.. أنه لا ينفض يديه منه، ولا يرفض عودته، وإنما هو على النقيض من ذلك، يتحدث عن تمرد هذا الإنسان ليفجر فيه مناطق الوعى بضرورة العودة، وحتمية الانتماء إلى مصدره الخالق، مهما أوغل فى التطوح، وبالغ فى الإباق.. إن حديث القرآن مبطّن دائما بالرثاء والعطف على هذا الجموح العاجز المتمرد، مبطّن دائما بمحاولات إحياء ماهمد من مشاعر العرفان الآدمى التى قد يرين عليها من لوازب المادة وضروراتها ما قد يحول بينها وبين انطلاقها فى فضاء الشوق الأبدى إلى مخالطة الإقرار والتعبد بلا نظر إلى عوارض تطرأ أو عوارض تزول.

إن القرآن الكريم يتحدث عن مستوى ضراعة الإنسان فى الشدة وتمرده فى الرخاء حديثا يلمس أعمق أعماق الظاهرة السلوكية للإنسان الذى لم يمارس إيمانه الكامل بعد.. أن هذا الإنسان يتعامل مع القضاء والقدر تعامل المنفعة لا تعامل الالتزام:

﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١).

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾(٢).

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٣).

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا﴾(٤)

وهكذا يضىء القرآن الكريم جوانب هذه الظاهرة السلوكية لإنسان المنفعة الذى لم يتخلل الإيمان الحقيقى قلبه بعد، فهو ضارع فى الشدة متمرد فى الرخاء، وفى هذا مفارقة للمنهج الإسلامى فى تربية أبنائه على نوعية من الإيمان العقيدى الذى تلامس الشدةُ منطقة صبره واعتصامه فيحمد الله ويستعينه، ويلامس الرخاءُ منطقة شكره وعرفانه فيسجد لله ويستزيده، ولكن جوهره فى الحالتين هو هو لا يتغير، فلا تعصف به زعازع الشدة، ولا يميل به حفيف الرخاء!!

ويتحدث القرآن الكريم عن مستوى مسرة الإنسان فى العطاء وكفره فى المنع حديثا يكشف عن جنوح الطبيعة الملتوية وتهليلها للوفرة ثم تقطيبها فى وجه الإقلال، مضمّنا حديثه فى هذا الصدد نوعا من تعرية الاقتدار البشرى عن أن يستطيع لنفسه بنفسه، ليعرف دائما أنه محكوم بتلقى العطاء والمنع بلا قدرة على تحصيلهما، فتصبح مسرته وكفرانه معاً قضية مغلوطة الأساس، لأن الذى لا يستطيع لنفسه ولا بنفسه على أى شىء يكفر؟ وبأى شىء يسرّ؟ إن القرآن يضع العطاء والمنع فى مستوى الابتلاء (والتجربة):

---

(١) الزمر- الآية (٤٩).

(٢) الزمر- الآية (٨).

(٣) يونس- الآية (١٢).

(٤) الإسراء- الآية (٦٧).

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ﴾(٥).

﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾(٦)

ويبدو التعبير القرآنى: ﴿أَذَقْنَا﴾.. و﴿ابْتَلَاهُ﴾ مؤكداً أن مسرة الإنسان وكفره خطل من خطل الطبيعة الجانحة، لأن تحصيل المنفعة وفقدانها معاً يتمان ضمن إطار القضية الكونية بأسرها، وليس ضمن مآرب الذات المفردة فى ضمورها وأنانيتها.. ولأن المنع فى جانب لا يعنى المنع فى كافة الجوانب، فالتنعيم المادى قد يكون مجلبة للتعاسة لا للسعادة، وقد يكون حجْبه عن الذات الإنسانية فى مرحلة من مراحل عمرها الزمنى عاصما من التدلى فى بئر اللذائذ المادية الصارفة للإنسان عن وجهة الجدّ وجدل الحركة الفاعلة فى التاريخ.. ثم إن هذا المنع قد يكون هو نفسه حافزاً على مواصلة الإبداع والتحصيل وبناء الواقع المادى على أساس من الاجتهاد الذاتى.. وكذلك ينبغى أن يلتفت الإنسان إلى أن ما لديه أكثر بكثير مما فقد، ومن هنا تتساقط تباعا حجج الكفر والانفلات!!

ويتحدث القرآن عن مستوى بطر الإنسان فى النعمة ويأسه فى الحرمان حديثا يغطى جانبا آخر من جوانب طبيعة السلوك البشرى فى إعراضه عند الامتلاء وتسخّطه عند الإملاق:

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾(٧).

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾(٨).

إنه معْرض إذا تحقق له الامتلاء والوفرة، متسخّط مرة، ولاهج بالدعاء مرة أخرى، إذا تخيفتْ الحاجةُ وفرتَهُ، أو تعاورَ الإملاقُ امتلاءَه، فهو على الحالين إنسان بلا مضمون عقائدى يضىء بصيرة الوعى فيه.

ويتحدث القرآن الكريم عن مستوى غياب الإنسان عن حكمة الوعى بآلاء السماء مع تعددها وشمولها حديثاً يستقصى بعض أبعاد الرحمة الإلهية المنْعمة التى يعيش فى ظلالها الإنسان، والتى سخرتها له القوة الخالقة لتجعل من رحلة وجوده على الأرض سياحة فكر وعمل، وقضية سيادة والتزام، وظاهرة تلقٍّ وعطاء، وهو فى هذا الحديث الإلهى المعجز يعدد نعم الله على الإنسان لإيقاظ وعيه بها،

---

(٥) هود- الآية (٩).

(٦) الفجر- الآيتان (١٥، ١٦).

(٧) الإسراء- الآية (٨٣).

(٨) فصلت- الآية (٥١).

وتعميق حضورها فى غيابه عسى أن يفيق:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾(٩).

واللافت هنا أن هذه النعم المكفور بها هى الإطار المادى الذى يحيا داخله هذا الإنسان الظالم لنفسه، الكفار بخالقه، وكان قمينا به مادام معتزا بسطوته وامتلاكه أن يفهم عن الإطار المادى الذى يحتويه.. إن مطالبة الإنسان بتأمل حقائق المعانى وأسرار القضايا أبعد من بذل الجهد من مجرد تأمل الإطار المادى الذى يلامسه فى واقعه الحياتى.. فالسموات والأرض، والمطر والثمر، والفلك والبحر، والشمس والقمر، والليل والنهار.. كلها ظواهر طبيعية تقتحم على الإنسان فكره ووعيه، وتخاطب فيه منطق الإيمان بأكثر من لغة، وأعمق من حوار.. فلماذا إذن يتطوح هذا الإنسان بعيدا فى مجاهل كفره ظالما لنفسه، ولقضية وجوده على الأرض؟ أليس لأنه ظلوم كفار؟

ويتحدث القرآن الكريم عن مستوى فقدان الإنسان لذكاء الطبيعة، وانحصاره فى ضيق الواقع المادى الذى يعيشه ولا يتجاوزه إلى ما عداه، حديثا يصادم غرور هذا الكائن المتفلت، ويلوّح له بهشاشة منطقه، وخطل مقدماته التى يبنى عليها نتائجه القبيحة:

﴿وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾(١٠).

﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ﴾(١١).

﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾(١٢).

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾(١٣).

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾(١٤)

---

(٩) إبراهيم- الآيات (٣٢، ٣٣، ٣٤).

(١٠) مريم- الآيتان (٦٦، ٦٧).

(١١) الحج- الآية ٦٦.

(١٢) عبس- الآيات (١٧: ٢٢).

(١٣) العلق- الآيات (٦: ٨).

(١٤) العاديات- الآيات (٦: ١١).

هنا يضع القرآنُ الإنسانَ أمام غبائه الطبيعى الذى يوحى إليه أن رحلته من هنا تبدأ وهنا تنتهى، ويضع تصوره لقضية السلوك مع خالقه على هذا الأساس القاصر المغلوط.. إن القرآن يلفته بقوة آسرة إلى أن حدود الحياة أبعد من هذه الحدود الدنيا، وأن الآخرة لابد أن تدخل فى حساب المعادلة حتى يستقيم الحكم وتعتدل الموازين، لأن اجتزاء فصل من القضية وإسقاط حكم عليه يخطئُ الحكم ويشوِّهُ القضية، والقرآن يريد لإنسانه المسلم أن يكون ثاقب الحكم فى كل قضاياه.

وهكذا يدور حديث القرآن الكريم عن تمرد (الإنسان)- بلفظ الإنسان- على مستويات، متعددة، فلا يفلت خالجة من خوالج النفس، ولا شاردة من شوارد الضمير، ولا يميل فى حديثه عن كل هذه الجوانب إلى تكرار مملّ، أو استطراد غير مطلوب، ولكنه ينتقل من وضعية إلى وضعية مقابلة، ليحيط فى النهاية بكل آفاق الظاهرة.. فهو ينتقل من وضعية ضراعة الإنسان فى الشدة وتمرده فى الرخاء، إلى وضعية مسرة الإنسان فى العطاء وكفره فى المنع.. وهما قضيتان متقابلتان تماما.. ثم ينتقل إلى وضعية بطر الإنسان فى النعمة- وليس مسرته- ويأسه فى الحرمان- وليس كفره.. ثم يواصل رحلة كشف الطبيعة الإنسانية فى تدلّيها وهبوطها بتسليط الضوء على فقدان الإنسان لحكمة الوعى بما تضفيه العناية الخالقة على وجوده من آلاء.. وأخيراً يحدد فى الإنسان غباء محدوديته، وميله إلى الانحصار فى عالم مادى لا يرى أبعد منه.. وهكذا يدور الحديث شاملا لكل الزوايا والانحاء بلا تكرار مملّ أو استطراد غير مطلوب. وتعالى القرآن عن ذلك علوا كبيرا!!

***

مواقف إسلامية

عندما تتنفس الأمة برئتيها

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

يقول «الآجرى» فى كتابه «أخلاق العلماء»:

العلماء: سراج العباد ومنار البلاد. وقوام الأمة وينابيع الحكمة، بهم تحيا قلوب أهل الحق. وتموت قلوب أهل الزيغ. مثلهم فى الأرض كمثل النجوم فى السماء. يهتدى بها فى ظلمات البر والبحر، إذا انطمست النجوم.. تحيروا.. وإذا أسفر عنها الظلام أبصروا.

وإذ يقول تعالى:

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾(١).. فقد وعد الله ـ عز وجل ـ المؤمنين أن يرفعهم.. ثم خص العلماء منهم برفع الدرجات.

لكى تتم النعمة

وحتى تتم النعمة كما لا.. فلا بد من تعاون العلماء والأمراء على البر والتقوى.. وإذا حدث ذلك مضت شئون الأمة على السداد.. وفى طريق الرشاد.

قال.. ابن القيم فى كتابه «إعلام الموقعين» وفى تفسير قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾(٢) قال: «إن أولى الأمر: العلماء والأمراء».

---

(١) المجادلة (١١). (٢) النساء (٥٩).

وإذ يمثل العلماء «القوة النظرية» فإن الأمراء يمثلون «القوة العملية» التنفيذية وإذا كانت القوة النظرية سابقة.. وسابقة بالنسبة إلى القوة العملية.. فإن ذلك يقتضى تقدم العلماء.. ليكونوا طليعة الركب.. وهذا ما ذهب إليه الباحثون الذين قالوا: إنما يطاع الأمراء إذا أمروا.. فذلك بمقتضى العلم.

فطاعتهم إذن تبع لطاعة العلماء.

فإن الطاعة إنما تكون فى المعروف وما أوجبه العلم فكما أن طاعة العلماء تبع لطاعة الرسول.. فطاعة الأمراء تبع لطاعة العلماء

فى مجال التطبيق

وقد كان من يمن الطالع فى تاريخ أمتنا.. أن كان من حكامها من جسد هذه الحقيقة فرفع من قدر العلماء.. فوطد بهذا التقدير أوتاد أمته.

بين هارون.. ويحيى بن أكثم

قال الرشيد لهذا العالم الفقيه: ما أنبل المراتب؟

فقال: ما أنت فيه يا أمير المؤمنين..

فقال هارون الرشيد: أتعرف من هو أجل منى؟

قال: لا..

فقال الرشيد: لكنى أعرفه، رجل فى حلقة يقول: حدثنى فلان، عن فلان.. عن رسول الله ﷺ.

قال العالم: يا أمير المؤمنين، أهذا خير منك.. وأنت ابن عم رسول الله ﷺ.. وولى عهد المؤمنين!!

قال الرشيد: نعم! ويلك! هذا خير منى، لأن اسمه مقترن باسم رسول الله لا يموت أبدا. ونحن نموت ونفنى.. والعلماء باقون ما بقى الدهر.

أهمية الشهادة

ولاحظ أن الشهادة بتقدير العالم آتية من الحاكم نفسه.. الذى لم يكن فقط عادلا فى حكمه.. بل كان منصفا للعالم من نفسه هو! وحين يكون الرجل حاكما.. فإن نشوة السلطان قد تحمله على التسلط وتنحية كل من ينازعه سلطانه.. وخاصة على المستوى الشعبى ولكن هارون أثبت بهذه الشهادة أنه كان جديرا بحكم الأمة.. لأنه قبل ذلك، حكم نفسه!!

والأبناء.. على طريق الآباء

ولقد كان ذلك منهج القصر الملكى فى تقدير العلماء.. فنشأ الفتيان فيه على ما كان عودهم آباؤهم.

كان الخليفة المأمون.. قد انتدب «الفراء» لتعليم ابنيه علم «النحو»، وقد بلغه يوما أن ولديه تسابقا إلى تقديم «نعلى» «الفراء» إليه حين هم بالانصراف.

وذات يوم جدد ذكر حوار والده حين سأل «الفراء»:

من أعز الناس؟

فقال الفراء: لا أعرف أحدا أعز من أمير المؤمنين!

فقال المأمون: بل أعز الناس هو من إذا نهض.. تقاتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين.. حتى يرضى كل منهما أن يقدم إليه «فردا»!!

فقال: يا أمير المؤمنين لقد أردت منعهما من ذلك! ولكنى خشيت أن أدفعهما عن مكرمة سبقا إليها أو أكسر نفسيهما عن شريفة حرصا عليها.

ولئن بدا العالم هنا مجاملا.. فإن مما يشفع له أنه يجامل من كان أهلا لذلك وهو: الخليفة الذى اختار لتربية ولديه ذلك النموذج العالى من العلماء. والذى فرض احترامه على القصر الملكى.. وحتى على ساكنه هذا القصر والتى شهدت له فى شخص زميله «ابن المبارك» بأنه الخليفة غير المتوج.. لو أراد.

فلقد أطلت يوما من شرفة القصر المنيف.. فراعها أن ترى الناس يتجمهرون بل ويتزاحمون على رجل.. لم يكن زوجها الخليفة!! وهذا أمر غير طبيعى!؟ فلما تساءلت.. فعلمت أنه «ابن المبارك» قالتها كلمة باقية: (هذا والله هو الملك: لا ملك هارون الرشيد الذى يجمع له الناس بالعصىّ. والسياط والشرط)!!

وعلى ما فى إعلان صاحبة القصر من إحراج لزوجها الخليفة.. لكن ذلك لم يصادم فى قلبه هوى.. فقد كان جاهزا لتلقى هذا الإعلان بالقبول.. لأنه رأيه هو شخصيا.. ومعه وليا العهد اللذان لم يتسابقا إلى تقديم «القلم» أو «الكتاب» إليه.. مثلا.

وإنما تسابقا لتقديم «الحذاء» وناهيك بهذا اعتزازا بالعلماء وتأصيلا لمركزهم الذى يجب أن يظل مرموقا.

الملك.. غير متوج

قال أحد التلاميذ: كنا فى مجلس العالم الفقيه يزيد بن هارون.. والناس قد اجتمعوا إليه. فمر أمير المؤمنين.. فوقف علينا فى المجلس.. وفى المجلس الوف. فالتفت إلى الحاشية وقال: هذا هو الملك!!

ويعنى ذلك.. تراجع قيمة الحاشية.. فمكانها هناك خلف العلماء وهذا هو حجمها الحقيقى.

ذلك بأنهم أئمتهم فى الصلاة.. وأئمتهم كذلك فى الدنيا

مع عمر بن عبد العزيز

وقد غالى ابن عبدالعزيز بالعلماء فرفعهم إلى أفق ليس وراءه وراء حين جعل عالما واحدا.. أثقل فى الميزان من الدنيا وما فيها..

قال ـ رضى الله عنه: لأن يكون لى مجلس من «عبيد الله».. أحد القراء السبعة.. أحب إلىّ من الدنيا وما فيها.. والله إنى لأشترى ليلة من ليالى «عبيد الله» بألف دينار من بيت المال!!

ولقد فوجئ أمير المؤمنين بمن يقول له

منكرا: يا أمير المؤمنين، تقول هذا.. مع تحرّيك. وشدة تحفظك؟!

قال: أين يذهب بكم.. صحّ النوم أيتها الحاشية!!

الحاشية: الغافلة.. الذاهلة عن ثروة الأمة الغالية: العلماء!! والله إنى لأعود برأيه. وبنصيحته.. على بيت مال المسلمين بالوف. والوف!

ثم قال لهم: إن فى المحادثة تلقيحا للعقل، وترويحا للقلب. وتسريحا للفهم، وتنقيحا للأدب.

فانظر كيف كان العلماء رصيد الأمة من الذهب.. والذى كان يغطى كل احتياجاتها.. وكان علماء الشريعة قبل علماء الطبيعة!!

ملح البلاد

كانوا يقولون:

يا أيها العلماء: يا ملح البلاد

من يصلح الملح إذا الملح فسد؟!

ولكنا نقول:

إن العلماء.. والأمراء.. معا: هم ملح البلاد!

وإذا كان الملح مكونا من عنصرين: لو انفرد أحدهما عن صاحبه فسد!.. فكذلك العلماء والأمراء. من مصلحة البلاد والعباد أن يتحدا.. لينشأ من اتحادهما إكسير الحياة. وإلا فلو انفرد أحدهما لفسد، بل وأفسد!!

أرأيت إلى المجتمع الإسلامى الأول؟ لقد بذل الأنصار ما يملكون من «أريحية». وبذل المهاجرون ما لديهم من «عزة» ومن مجموع.. الخليقتين: كانت خير أمة أخرجت للناس.

وإذا قلنا قبل ذلك بأهمية العلم.. والعلماء، وضرورة أن يثبتوا وجودهم أولا.. ليحترمهم الأمراء، والشعب. ثانيا..

إذا تقرر ذلك.. وكان الأمراء عند حسن الظن بهم:

تقديرا للعلم.. واعتزازا بأهله.. فقد استحق العلماء ذلك الاحترام.. بما كانوا يملكون من عزة وإباء.. كانوا به فى السويداء ولقد سجلوا ذلك فى مواقف خالدة.. مازالت محفورة فى ذاكرة الأمة.. لا تطولها يد النسيان.

ومن هذه المواقف

استدعى أبوجعفر المنصور عبدالله بن طاوس ابن كيسان. ومالك بن أنس. فلما دخلا عليه أطرق ساعة.

ثم التفت إلى ابن طاوس وقال له: حدثنى عن أبيك فقال: حدثنى أبى: أن أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل أشركه الله ـ تعالى فى سلطانه ـ فادخل عليه الجور فى حكمه.

فامسك أبوجعفر ساعة.

قال مالك: فضممت ثيابى خوفا أن يصيبنى دمه.

ثم قال له المنصور: ناولنى تلك الدواة.

قال ذلك ثلاث مرات. فلم يفعل. فقال له: لم لا تناولنى؟

فقال: أخاف أن تكتب بها معصية. فاكون قد شاركتك فيها!!

فلما سمع ذلك قال: قوما عنى!!

قال ابن طاوس: ذلك ما كنا نبغى!!

قال مالك: فمازلت اعرف لابن طاوس فضله من ذلك اليوم.

ومن دروس هذا الموقف

لقد كان «طاوس» عزيزا بعلمه.. مغاليا بوظيفته كداعية ومن أجل ذلك واجه الخليفة بعقيدة صلبة.. غير قابلة للكسر! إن عقيدته هذه علمته أن الرزق من عند الله.. فلا يرجو غيره، وأن الموت بسلطانه.. فكيف يخاف غيره؟!

إنه يرى الحياة حاجزا بينه.. وبين جنة الرضوان..

فباعها ـ لله تعالى ـ بينما غيره من الحواريين المداحين.. تقف بهم أجسادهم وأموالهم.. حائلا بينهم وبينها.. وهم بذلك راضون غافلون.

إنه واحد من خير أمة أخرجت للناس: من أجنادها: أبو عبيدة ومن قادتها: خالد. ومعلمها: الرسول..

ودستورها: القرآن

فهو لذلك.. لا يقبل من الحياة إلا أعزها، ولا من الموت إلا أشرفه وهو: الشهادة..

وإذا كان الفقير هو: من ترده اللقمة.. أو اللقمتان..

فإن العالم الشجاع هو ذلك البطل الذى لا يقنع إلا بموتة.. بل موتتين!!

همة الملوك

لقد كان «طاوس بن كيسان» فى هذا الموقف «ملكا» ولكن غير متوج! بما كان يملك من همة لا ترضى بما دون النجوم!

ونذكر به ما قاله ابن الجوزى: ينبغى للعاقل أن ينتهى إلى غاية ما يمكنه، فلو كان يتصور للآدمى صعود السموات، لرأيت من أقبح النقائص رضاه بالأرض. ولو كانت النبوة تحصل بالاجتهاد.. لرأيت المقصر فى تحصيلها.. فى الحضيض.

ويعلق الشيخ الغزالى على ذلك فيقول:

[إن ابن الجوزى من علماء القرن السادس الهجرى ولو أنه رأى المسلمين الآن.. وفى عصر الفضاء: ينظرون إلى غزاة الجو ببلاهة.. لحمل السوط وجلد به الظهور ولبرأ الإسلام من هذا الانتماء المخزى].

إننا فى حاجة إلى أن نأخذ أبناءنا بهذه السليقة من الطموح.. ليظل المخزون الإيمانى متناميا.. ولا يتآكل وإذا كنا نصون شواطىء «البحر المالح» من التآكل بهذه «المكعبات» الخرسانية التى نلقيها هناك كل عام.. فأجدر بنا أن نصون إيماننا بمثل هذه العزة الشماء. والتى يحمى علماؤنا بها أمتنا من الضمور.. ثم من الفناء.

اختلاف مذاهب الدعاة

كان أبو حنيفة ـ رضى الله عنه ـ يرى الأنسب فى اعتزال الحكام.. وكان مالك يرى مخالطتهم.. حماية للحكام ممن لا يحسن المشورة ولكل وجهة هو موليها..

ولكنهم على اختلافهم.. كانوا ملتزمين بالولاء للإسلام الذى لا يساومون على حسابه.

وإذا بدا «الإمام مالك» فى هذا الموقف خائفا وجلا.. بينما اقتحم المخاضة زميله «طاوس».. فقد كانا مثالا لتنوع طاقة الزهد.. وكل يحاول الوصول إلى المأمول.. بطريقته الخاصة.. شريطة أن يظل ولاؤه أولا وأخيرا لله ورسوله.. وإذا ما كانت عاطفته السائدة هى المرونة.. فإنها المرونة المحكومة بظروفها، أما عندما يتطلب الموقف الصرامة.. فلم يكن هناك تردد فى اختيار الموقف الأصعب، وهذا ما فعله الإمام مالك نفسه.. وفى موقف آخر: دخل الرشيد عليه – رحمه الله – يوما، وفى مجلس من مجالس «مالك» العلمية.. أسند الرشيد ظهره إلى الجدار..

وعلى الفور.. لم يجامل الإمام مالك الخليفة بل بادره قائلا: العلم يؤتى إليه! فنهض الرشيد وجلس بين يديه!!

وعاد الرشيد بالدرس المفيد وهو: انتفاعه بدروس مالك بالذات.. لأنه فرض عليه احترامه.. وهكذا المدرس المحترم، يقدر التلاميذ أفكاره لأنها صورة. تحمل معها خصائصه الذاتية، ولقد كان «تصريح» الرشيد هنا.. رسالة شديدة اللهجة عميقة الدلالة.

رسالة موجهة إلى كل داعية مفادها: أن العالم ينال بعزته.. أضعاف ما ينال بابتذاله!!

ونقرأ من تاريخنا ما يؤكد هذا المعنى..

وكيف ينقذ الله بعزة العالم ناسا يبعثون بها من جديد:

أمر السلطان سليم بقتل مائة وخمسين من حفاظ الخزائن، فبلغ ذلك الشيخ علاء الدين الجمالى فدخل على السلطان وقال له: وظيفة أرباب الفتوى: أن يحافظوا على آخرة السلطان. وهؤلاء، الرجال لا يجوز قتلهم شرعا فعليك بالعفو عنهم.

فغضب السلطان سليم وقال للشيخ:

إنك تتعرض لأمر السلطنة. وليس ذلك من وظيفتك: فقال: لا.. بل أتعرض لأمر آخرتك.. وإنه من وظيفتى. فإن عفوت فلك النجاة. وإلا.. فعليك عقاب عظيم.

فانكسرت سورة الغضب فى قلب السلطان وعفا عنهم.

وعلى المستوى الشعبى

وقد كان من بركة هذه الشجاعة فى الحق أن سرت بين صفوف الأمة.. فكانت من بركاتها: ما يحكى من أن رجلا من أتباع بنى أمية وشى به إلى المنصور الخليفة العباسى بأن لديه من أموال بنى أمية ونفائسها الكثير.

وكان هذا الرجل قوى الإرادة صلبا فى الحق. لا يخشى فيه لومة لائم. وكان يفخر بأنه فى الحق أقوم من السيف ويخشى الباطل أن يدنس به نفسه.

وأرسل إليه المنصور.

فلما جيء به ووقف بين يديه ثابتا شامخا لما أمروه برد ما عنده.

لكنه قال موجها سؤاله إلى الخليفة المنصور: بأى حق أطالب برد ما استمنت عليه من أموال وودائع؟ ولست يا أيها الأمير وارثا لبنى أمية يطالب بنصيبه من التركة. ولا دائنا يقضى دينه مما أبقوه. ولا وصيا على ذريتهم يريد أن يصون لهم تراث الآباء والأجداد. والشأن فيمن يحاسبنى أن يكون واحدا من هؤلاء الثلاثة. ثم.. إنه لا واجب لك علىّ إلا السمع والطاعة فى حدود ما أملكه وأقدر على بذله.

فلما بدأ الخليفة يكيل التهم لبنى أمية قال له الرجل: ولكنك يا أمير المؤمنين لم تقم البينة علىّ ويمنعنى الحياء أن أذكرك بقوله تعالى:

﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾(٣).

ومثلك لا يأخذ بالظنه ولا يعاقب على غير جريرة.

وخجل الأمير الذى أراد أن يستر حمرة خجله بأن طلب من الرجل أن يسأله حاجته.. فكانت حاجته أن قال:

أسألك أن تجمع بينى وبين من سعى بى هذه السعاية.

فلما عُرض عليه تبين أنه غلام الرجل. الذى هرب من خدمته بثلاثة آلاف درهم. وقد فعل فعلته ليشغل سيده عن ملاحقته.

الصيت.. المحدود والصوت.. المنتشر

وهذا رجل من عامة الشعب.. لا نعرف له اسما ولا رسما. يجهر بكلمه الحق التى قد تكلفه حياته.. وفى حضرة من يستطيع ذلك.. تاركا من ورائه موقفا هو أبلغ من كل كلام..

ولئن كنا نقدر لهذا الجندى المجهول دوره فى تدعيم الحق.. فإنا لا نخفى إعجابنا بالمنصور.. الرجل الأول فى الدولة.. والذى انصاع لكلمة الحق تجرى على لسان رجل مغمور.

وعلى مستوى الحكام

وقد نجح الدعاة فى إنشاء ذلك الحارس اليقظ فى قلوب الحكام.. الذين صار لهم من أنفسهم.. ومن مرءوسيهم حارسا يقظا، يذكره إذا نسى. بل ويزجره إذا تمادى.. فنجحوا فى إدارة دفة الحكم.. فلم يسقطوا.. وإذا سقطوا يوما.. وجدوا من رجالهم الأوفياء متكئا.

ومن ذلك ما روى: كتب أحد الحكام فى ورقة ما يلى:

[ويل لسلطان الأرض من سلطان السماء والأرض وويل لحاكم الأرض من حاكم السماء والأرض ومابينهما]. ثم سلم هذه الورقة.. لمديرة مكتبه.. قائلا لها: كلما غضبت.. فأعطينى هذه الورقة. فكانت هذه الورقة متكأه أو خط دفاعه

(٣) الحجرات (٦).

الأخير، والتى بسببها ثبت الله دعائم حكمه.. فلم يظلم أحداً أبداً. لقد كان منصفا، لا يتحامل فى الغضب.. ولا يجامل فى الرضا.

وهذا الموقف حجة على كل مسئول اليوم.. وفى كل موقع، هذا الذى «يتترس» بمنصبه.. حين يحول أتباعه بالظلم أصفارا على الشمال.. لقد كان يملك «المطرقة» والأتباع بين يديه «مسامير» وقد نسى أنه إذا كانوا يأتمرون بأمره اليوم.. فهم فى الغد خصومه بين يدى الله ـ عز وجل.

الندى.. فى موضع الندى

إذا كان وضع السيف فى موضع الندى.. مضرا.. كما وأن العكس أيضا كذلك..

وإذا كان بعض المتحمسين يكادون يقصرون الفضل على الشجاع الهجام بفارس الكلام.. غير تاركين للين موضعا..

إذا كان الأمر كذلك.. فإننا نلفت النظر إلى أنه إذا فرض موقف مّا على العالم أن يشنّ الغارة شعواء على مواطن الانحراف.. فإننا نلفت النظر.. وبنفس القوة.. إلى المنطق الندى.. اللين.. نخاطب به حاكما ملتزما.. له نفس المنزلة. ما دام ذلك مجاملة.. تنبسط بها نفس خيرة.. يأسرها اللين سبيلا إلى الحق المبين.

جاء فى.. عيون الأخبار: (٤)

أصحاب السلطان ثلاثة: رجل يجعل الدنيا نصب عينيه: ينصب فيها للخاصة مكايده ويرفع عن مصلحة العامة همته، يذهله عن التقوى الهوى.. وتنسيه أيام القدرة العثرة. حتى تنصرم مدته.. وتنقضى دولته، لم يرتهن بدنياه شكرا ولا قدّم بها إلى معاده ذخرا.

ورجل لا يحفل مع صلاح الخاصة ما دخل من الخلل فى أمور العامة، ولا مع وفور حظه.. ما أدخل النقص فى حظ رعيته.

ورجل حاول فى ولايته إرضاء من ولى له وعليه وأعانته النية وخذلته الكفاية. وقد جمع الله لك الثقة والرضا ممن فوقك والانقياد والمحبة ممن دونك.

وأعاد إلى الناس بك عهد السلف الماضى وعمّر

بك آثارهم حتى كأنهم بك أحياء، لم تخترمهم منية

وجميع: لم تتصدع بينهم فرقة.

فليهنئك: أن من تقدمك من أهل الفضل فى السيرة. غير متقدم لك

ومن معك: مقصر عنك.

ومن دونك: مقتف لأثرك

فلا زالت الأيام لك ولازالت النعم عنك.

ولا انتقلت عرى الأمور وأزمتها عن يدك]

أما بعد

فاللهم: أصلحنا.. لحكامنا..

وأصلح حكامنا.. لنا.

(٤) كتاب العلم والبيان.

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين).

● **اطلعنا على الطلب المقدم من/ م.أ.م والمقيد برقم ٥٣٨ لسنة ٢٠٠٣م والمتضمن أن السائل يقول: مفتش تموين يأخذ الأشياء من التجار بثمنها الأصلى «سعر التكلفة» وهذا برضاهم ويأخذ الهدايا من متاجرهم وهذا أيضا برضاهم بل هم الذين يعرضون عليه ذلك علما بأنه لا يتهاون فى القانون ويأخذ كل مقصر ليعاقب أمام القانون.**

ويطلب السائل حكم الدين فى ذلك؟

●● **الجواب:**

حرص الإسلام فى أحكامه على نقاء عمال الدولة الذين يباشرون مصالح الوطن والمواطنين من الإثراء على حسابهم فحرم الرشوة فى كل صورها وأشكالها واحتسب كل فائدة أو عائد أيا كان وصفه يعود على العمال بسبب وظائفهم غلولا وسرقات يحملون وزرها فى الدنيا وتشهيرا به على الملأ فى الآخرة مصداق ذلك الحديث الذى رواه البخارى ومسلم عن أبى حميد الساعدى ـ رضى الله عنه ـ قال: «استعمل النبى ﷺ رجلاً يجمع الزكاة ممن وجبت عليهم. فلما قدم قال للنبى ﷺ: هذا لكم وهذا أهدى إلىّ. فقال ﷺ: «أفلا جلس فى بيت أبيه أو أمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقًا.. إلى آخر الحديث». ومن هذا الحديث أخذ الفقهاء أن ما يهدى إلى أى موظف ـ معهود إليه بوظيفة من الوظائف العامة للدولة ـ بسبب وظيفته يعد من باب السحت والرشوة وأكل أموال الناس بالباطل.

وبناء على ذلك وفى واقعة السؤال:

فإن الأشياء التى يأخذها مفتش التموين من التجار بثمنها الأصلى «سعر التكلفة» يعد من باب الرشوة والسحت وأكل أموال الناس بالباطل ولا يقدح فى ذلك القول بأن ذلك برضا التجار فهذا الرضا مشوب بالخوف من كون الشخص مفتش تموين وما يدفعه له التجار ليس

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

أحمد الطيب

مفتى جمهورية مصر العربية

وعضو مجمع البحوث الإسلامية

عن طيب خاطر منهم وإنما هو خوفهم من استغلاله لسلطات وظيفته مما يدفعهم إلى إعطائه الأشياء بسعر التكلفة.

والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم

● **اطلعنا على الطلب المقدم من/ مجلة الأزهر المقيد برقم ٧٢٦ لسنة ٢٠٠٣ المتضمن عدداً من الأسئلة:**

س١: يرزقنى الله مالاً زائداً عن حاجتى كل شهر وأقوم بوضعه فى أحد فروع بنك مصر (فرع المعاملات الإسلامية) وأقوم بسحب وإيداع المال على حسب احتياجاتى ومعاملاتى المالية وهذا المال قد بلغ النصاب ولكن عندما يحول الحول لا أستطيع أن أحدد المبلغ الموضوع فى البنك فهل يجوز إخراج المال شهريا بنية زكاة المال، وهل الأرباح الصادرة عن هذا البنك حلال حيث قال أحد الفقهاء إن هذا الفرع من البنك لا تجوز أرباحه طالما يتبع المركز الرئيسى له بنك مصر؟.

●● **الجواب:**

طريقة الزكاة فى مثل هذه الأحوال هى تقويم المال المتحصل فى نهاية العام وإخراج الزكاة عنه بواقع ٢,٥٪ ثم يزكى فى نفس الشهر من العام التالى وهكذا..

وفيما يتعلق بأرباح البنوك الناتجة عن رأس المال فإن الفتوى المستقرة هى:-

ليس كل التعامل مع البنوك حلالاً وليس كله حراماً. إنما يجب على المسلم أن يحدد بوضوح طريقة تعامله مع البنك أو مع غيره. لأنه إن كان يقصد بتعامله القرض أو الدين أو الوديعة أو المضاربة فإنه لا يصح له أن يأخذ أكثر من المبلغ الذى أعطاه للبنك لأن الزيادة ربا محرم شرعاً فى حالة القرض، ويفسد المضاربة فى حالة المضاربة وإن كان يقصد بتعامله توكيل البنك أو غيره فى استثمار مبلغ معين مع رضاه لما حدده له البنك أو غيره مقدماً من أرباح فالجواب كما يأتى:-

١- يرى بعض الفقهاء أن تحديد البنك

للربح مقدماً زمناً ومقداراً على الأموال المستثمرة وشهادات الاستثمار وما يشبهها مثل صناديق التوفير حرام وغير جائز شرعاً، ويرونه من باب القرض الذى يجر نفعاً وهو من الربا.

٢- ويرى آخرون أن هذا التحديد حلال وجائز، وأن التعامل فى الأموال المستثمرة هو من قبيل المعاملات المستحدثة التى لا تخضع لأى نوع من العقود المسماة، وهى معاملة نافعة للأفراد وللمجتمع وليس فيها استغلال أو غش أو خداع أو ظلم من أحد طرفي التعامل للآخر، وأن تحديد الربح مقدماً زمناً ومقداراً لم يرد نص صريح يمنعه لا فى كتاب الله ولا فى سنة رسول الله ﷺ بل أن هذا التحديد قد يكون مطلوباً لرفع النزاع بين الناس فى معاملاتهم لكى يعرف كل إنسان حقه، ونحن فى زمان ضعفت فيه الذمم، ولو لم يكن لصاحب المال نصيب معين من الربح لظلمه شريكه. وما دام هذا الاتفاق لا يخالف نصاً من كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ فلا مانع منه شرعاً.

وهذا ما أقره مجمع البحوث الإسلامية بجلسته الثالثة فى دورته التاسعة والثلاثين يوم الخميس ٢٣ من رمضان سنة ١٤٢٣هـ الموافق ٢٨ من نوفمبر سنة ٢٠٠٢ وهذا نص الفتوى:

(الذين يتعاملون مع بنك الشركة المصرفية العربية الدولية - أو مع غيره من البنوك - ويقومون بتقديم أموالهم ومدخراتهم إلى البنك ليكون وكيلاً عنهم فى استثمارها فى معاملاته المشروعة، مقابل ربح يصرف لهم ويحدد مقدماً فى مدد مع المتعاملين معه عليها... هذه المعاملة بتلك الصورة حلال ولا شبهة فيها، لأنه لم يرد نص فى كتاب الله أو من السنة النبوية يمنع هذه المعاملة التى يتم فيها تحديد الربح أو العائد مقدماً، ما دام الطرفان يرتضيان هذا النوع من المعاملة).

ودار الإفتاء تفوض الأمر للسائل فى أن يختار أياً من الرأيين السابقين حسب ما يراه مناسباً له فإن اطمأن قلبه وأخذ بما ذهب إليه القول الثانى من أن تحديد المصرف للربح جائز شرعاً فله ذلك.

أما إذا لم يطمئن قلبه لهذا القول فعليه أن يتبع ما ذهب إليه القول الأول وليتذكر قول رسول الله ﷺ: «البر ما انشرح له صدرك والإثم ما حاك فى صدرك وإن أفتاك عنه الناس». (مسند الإمام أحمد)

والله سبحانه وتعالى أعلم

س٢: هل يجوز لى الحصول على قرض بنكى وذلك لكى أدفعه مقدم شقة علماً بأننى أعيش فى منزل ريفى مملوك لأربعة أخوة وأختين أنا أحدهم ويعيش معنا والدنا، علماً بأننى أعمل موظفاً بمدينة المنيا وتبلغ المسافة بين محل إقامتى ومحل عملى أكثر من ٨٠ كيلو متراً، ومع العلم بأن الشقة التى تقدمت للحصول عليها شقة تمليك من مجلس المدينة ولم أستطع تدبير المبلغ المطلوب مقدماً لها (حوالى ٦٠٠٠) إلا عن هذا الطريق وليس لى مورد رزق غير مرتبى وأشارك فى نفقات والدى؟.

●● الجواب:

القرض بفائدة محرم شرعاً إلا إذا كانت هناك ضرورة تدعو لأخذ هذا القرض ولا يوجد من يقرضه قرضاً حسناً ففى هذه الحالة لا مانع من الاقتراض بفائدة وذلك إعمالاً للقاعدة الشرعية «الضرورات تبيح المحظورات».

وبناء على ما سبق وفى واقعة السؤال:-

يجوز للسائل أن يقترض من البنك بفائدة لأن تهيئة المسكن الملائم من الضرورات الأساسية.

س٤: لدى البنك ودائع ادخارية عبارة عن شهادات تعطى عائداً كالآتى:-

فئة الشهادة	مدة الشهادة	سعر الفائدة	قيمة العائد	تاريخ الصرف
٧٥٠	٧ سنوات	٩,٢٥٪	٥,٧٨جم	شهرياً
١٠٠٠جم	٣ سنوات	١٠,٨٥٪	٢٦,٢٥جم	كل ٣ شهور
١٠٠٠جم	سنة	٩,٥٪	٢٣,٧٥جم	كل ٣ شهور
١٠٠٠جم	٣ سنوات (تراكمى)	٩,٧٥٪	١٣٢٥جم	بعد ٣ سنوات
١٠٠٠جم	٥ سنوات (تراكمى)	٦,٧٥٪	١٦٦٥جم	بعد ٥ سنوات

هذا بالإضافة إلى ودائع لمدة ٣ شهور، ٦ شهور وسنة وتعطى عائداً بسعر ٩,٥٪ وكذلك دفتر التوفير بالجنيه المصرى يعطى عائداً سنوياً، مع ملاحظة أن فيه وسعر العائد على الودائع بصفة عامة سواء (توفير - شهادات - ودائع) فى تناقص مستمر خلال تلك المرحلة الحالية. هل الاستثمار فى تلك الأوعية الادخارية حلال أم حرام أم هناك أشياء حلال وأخرى حرام؟.

●● الجواب:

ينطبق على هذا السؤال ما ينطبق على السؤال الأول فى فتوى أرباح البنوك.

والله سبحانه وتعالى أعلم

ترسل الاستفتاءات إلى العنوان التالى: مجلة الأزهر - مدير التحرير - بريد رابعة العدوية - مدينة نصر

قصة العدد

أخوان مؤمنان

للأستاذ الدكتور عبد اللطيف الحسيني

فى الليلة الثانية عشرة من ذى الحجة جعل أفراد من أهل المدينة يتوافدون تباعا إلى العقبة حتى بلغوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين. إذ كان هناك موعد للالتقاء برسول الله ﷺ كى يتفق الجميع على نصرة محمد ﷺ وكى تبرم المعاهدة الشفوية التى تؤكد مؤازرة الأوس والخزرج للدين الحنيف وقد شهد العباس بن عبد المطلب هذا الاجتماع معلنا أن بنى هاشم يمنعون ابن أخيه من كل اعتداء وأن الأنصار لم يكونوا على استعداد لحمايته فبقاؤه فى مكة أجدر. ثم نهض البراء بن معرور ليقول مخاطباً رسول الله ﷺ : «والذى بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه أنفسنا. يارسول الله فنحن والله أهل الحرب وأهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر».

وكان هناك براء آخر. هو البراء بن مالك وهو شاب يقظ الروح جياش المشاعر. لم يشأ أن يتكلم كثيراً لأن ذوى الأسنان من الشيوخ هم الذين يتصدرون هذه المواقف الحاسمة. ولكنه كان بجميع جوارحه يعتنق الإسلام ويرحب بالدين الجديد ترحيباً لاحد له. حتى إذا انتهى الاجتماع توجه القوم إلى المدينة. وحين أتى الليل لم يذهب إلى فراشه. بل أخذ مكانه خارج المنزل رائحا غاديا لايستقر على موضع. وكانت أمه الرميصاء ترقبه متسائلة بينها وبين نفسها عن حاله المتغيرة منذ قدم من مكة. فخرجت إليه ونادته. فلبى النداء ودار بينهما هذا الحوار:

الرميصاء: ولدى لم تنم وقد تقدم الليل فماذا يشغل بالك؟

البراء: لاشىء يا أماه!!!

فقالت الأم: وعلام تغدو وتروح وأنت لاتستقر فى موضع، لابد أن أمراً قوياً قد شغل بالك ومنعك من الرقاد!!!

فتبسم البراء.. وقال: هو ما تقولين يا أماه، فإنى شهدت اجتماع العقبة مع رسول الله واستمعت إلى ما جاء به من الدين الحنيف فرأيت أنا كنا على ضلال!

قالت الأم: وماذا جاء به هذا الدين يابنى، أريد أن أعرف كل شىء؟

فقال البراء: جاء بالعدل والرحمة ونصرة المظلوم، وأن الناس سواسية أمام الله لافرق بين عربى ولا أعجمى، ولا بين فقير وغنى ولا كرامة لأحد إلى بتقوى الله.

قالت الأم: وهل سيتحقق هذا يابنى، نحن نرى الأغنياء يستعبدون الضعفاء ويدوسونهم بالأقدام.

قال البراء: هذا دين الله يا أماه، وقد أرسل نبيه الكريم ليدعو إلى كلمة الله، وقد حاربت قريش الباغية المتكبرة رسول الحق وعذبت المستضعفين من أصحابه، ووفقنا الله إلى الاجتماع به فتقرر الفرار من مكة إلينا لنحميه وندافع عن مبادئه وكنت فى مجلس العقبة فازددت إيمانا ويقينا بالإسلام!

قالت الأم: ومتى سيقدم إلينا رسول الله؟ إنى يا ولدى قد فرحت بما سمعت وساكون من أوائل المسلمات!

فابتهج البراء وصاح: هذا ما يسرنى يا أماه وإذن فسيكون بيتنا مسلماً ولولا أن أنسا أخى صغير السن لأيقظناه من النوم لنبشره بالدين الجديد

قالت الأم: أنس!! أنس!! سيكون خادماً لرسول الله!

وبعد أيام دقت البشائر فى يثرب بأن رسول الله ﷺ فى طريقه إلى المدينة ومعه صديقه أبوبكر الصديق فأخذ أهل المدينة يخرجون إلى الضواحى منتظرين قدومه السعيد، وكان فى مقدمة المستقبلين الرميصاء، وولداها البراء وأنس! مع حشد كبير من الشباب والشيوخ والنساء والأطفال، وتكرر الذهاب والعودة عدة أيام حتى جاء اليوم الباهر فأشرقت طلعة رسول الله!

ولا تسل عن الزحام الحاشد فى استقباله ومحاولة كل مدنى أن يكون رسول الله ضيفه وقد تسابق الشبان على قيادة ناقته! وقد كان أمل البراء وأمه أن يحظى منزلهما بضيافة الرسول الكريم، ولكنه أمر من يقود الناقة أن يتركها وشأنها، وقال قولته الكريمة: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة» ومازالت تسير حتى جاءت منزل أبى أيوب الأنصارى فبركت أمامه، واستقر بها المقام.

رجعت الرميصاء آسفة، ومعها ولداها البراء وأنس، وقد شغلها أن يكون منزل رسول الله بعيداً عن مكانها وهى تريد الاتصال الدائم به وجاءتها الأنباء بأن هدايا كثيرة من المدنيين قد تتابعت إلى منزل أبى أيوب الأنصارى احتفاء

بنزول رسول الله لديه، فقالت للبراء! ماذا تصنع يا بن مالك! لو كان أبوك حيا لحمل إليه أجمل هدية تنبيء عن الوداد والإخلاص.

فقال البراء: خير الله لدينا وافر، فاختاري الثمين مما لديك لنقدمه للزائر الكريم.

قالت الرميصاء: أثمن شيء هو ولدي أنس ابن مالك! فتعجب البراء، وقال: وهل يكون أنس هدية بين الهدايا التي تقدم بها اليثربيون!

قالت الرميصاء: سيكون خادم رسول الله لايتركه في صباح أو مساء وسينال بذلك شرف الدنيا والآخرة!

وفي الصباح اصطحبت ولدها أنس بن مالك إلى رسول الله، وقالت بعد السلام والتحية: هو خادمك من الآن سأتركه في حيازتك فلن يكون أحد من المؤمنين أولى به منك.

فابتسم الرسول، ونادى أنساً واحتضنه وقال: هو ماتشائين يا رميصاء!

مضى أنس إلى منزل رسول الله، وأخذ البراء يغبطه على ما رزقه الله من حظوة بالغة، ثم جعل يفكر في أمره، فرأى أن رسول الله ﷺ يجتمع بأهل الصفة في المسجد، فهم من أقرب الناس إلى قلبه، ولكنه فتى شاب جلد قوي على العمل والكسب، فليس له مكان مع هؤلاء، وكي يوفق بين رغبته في الالتحاق بالمسجد، وعمله المكافح في سبيل العيش، رأى أن تكون إقامته معهم بعد صلاة المغرب حين يفرغ من أمر كسبه، ورسول الله يمر بهؤلاء كثيرا عقب صلاة المغرب فسينال الحظوة، وكان يدعو أخاه أنسا إلى زيارة أمه فيحرص على أن يسمع منه كل ما يقال، وفي بعض زياراته للرميصاء قال له مالك: ما آخر أنبائك مع رسول الله يا أنس؟

فقال أنس: قال لي ﷺ بالأمس: «يابني إن قدرت على أن تصبح وتمسي وليس في قلبك غش لأحد فافعل، يابني إن ذلك من سنتي، ومن أحيا سنتي فقد أحبني. ثم قال لي: يابني إذا دخلت على أهل بيتك فسلم يكن بركة عليك وعلى أهل بيتك».

فقال البراء: أعد يا أنس، فوالله ما رأيت شيئا أحسن من راحة البال والذي يمسي ويصبح وليس في قلبه غش لأحد فهو أسعد الناس في الدنيا والآخرة، سأمضي إلى أهل الصفة وأخبرهم بحديث رسول الله!!

كان البراء ضئيل الجسم مضعوف السحنة يحسب من يراه أنه مريض، بل كان المرض يعتاده في كثير من الأحيان، ولكنه حين يسمع بغزوة من الغزوات ينشط إلى القتال كأنما احتوى على قوة أسد مريد وقد شهدت له معارك بدر وأحد والخندق ببطولات رفعت من قدره وحببت إليه أن يكون بطل الميدان وقد قال عن نفسه: إنه يحرص على الشهادة في ساحة الحرب فيتقدم إلى القتال غير هياب، ولكن الله يؤخر أجله لأمر يريده! وهو يرجو أن يلقى الله بدم الشهيد! وكانت أمه الرميصاء تشجعه على خوض المعارك وتقول: «ادع الله يابني أن يجعل لي من ثواب جهادك ما يكف عني لهيب النار فيقول لها: بل ادع الله لي يا أماه أن أستشهد في سبيل الله»!

وانتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى وارتد المشركون في الجزيرة العربية عن الإسلام خاسرين وأذن مؤذن الجهاد فكانت الرجة العاصفة بالمدينة.

وعرفت الرميصاء أن أبا بكر يعد العدة ويجهز الجيوش فأرسلت إلى ولديها البراء وأنس حتى اجتمعا بها في المنزل المتواضع بضواحي المدينة وبدأت الحديث فقالت:

يا أنس: لقد انتقل رسول الله إلى جوار ربه وكنت آخر من رأى وجهه الكريم من الناس، وقلت لي: إن وجهه الكريم كان أبيض يتلألأ كأنه ورق المصحف الجديد! أليس كذلك يا أنس؟

قال أنس: أعرف ذلك يا أماه فماذا تريدين؟

قالت: إني وهبتك أنت وأخاك البراء لله وقد حانت ساعة الجهاد، وأخوك ليس في حاجة إلى موعظة، ولكنك أنت الذي تحتاج إليها، فانهض معه إلى قتال المشركين فإذا رجعتما فتلك إرادة الله وإذا ظفرتما بالشهادة فهذه إحدى الحسنيين!!

ابتسم أنس.. وقال: هذا ما عاهدت الله عليه وأنا وراء أخي في كل مكان!

ذهب الأخوان إلى حومات القتال معركة بعد معركة! فكان نصر الله عاقبة المتقين ولكن معركة اليمامة تختلف عن كل المعارك.. فمسيلمة الكذاب قد جمع وراءه بني حنيفة في أربعين ألفاً من المقاتلين الأشداء وقد انقادوا وراءه من باب العصبية الكاذبة وبلغ بهم السفه أن يقول قائلهم: إنا نعرف أن مسيلمة كذاب وأن محمداً صادق ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر!

وبهذه العصبية هزم المشركون من بني حنيفة جيش المسلمين في أول معركة وسقط الشهداء صفوفاً خلف الصفوف والبراء يتلدد حسرة وأسفاً.. ثم تولى القيادة خالد بن الوليد والتقى الجمعان في نجد وكان انتصار بني حنيفة مشجعا على الاستبسال فهجموا على المسلمين في قوة واقتحموا خيمة خالد بن الوليد وهو بعيد عنها في قلب المعركة وكادوا يفتكون بزوجته لولا أن أجارها واحد منهم وهنا ظهرت عبقرية خالد حين عمد إلى جيش المسلمين وأمر أن يميز المهاجرون عن الأنصار وأن يجتمع أبناء الأب الواحد تحت راية واحدة ليحافظ كل مجاهد على أقربائه فلا يفر تاركاً أهله وابتدأت الحرب وقد شاعت الحمية الباسلة في نفوس المسلمين وثبت أتباع مسيلمة ثباتاً لم يعهد من قبل وبذل خالد جهده فحمل حملة جبارة على المشركين زلزلت أقدامهم ففروا إلى حديقة أعدوها من قبل لتكون حصنهم المنيع وقد عرفت في التاريخ بعد ذلك بحديقة الموت فاتسعت لأكثر من عشرة آلاف مقاتل و أغلقت أبوابها وجعل المشركون من الداخل يرمون السهام القاتلة على المسلمين فتصيب المئات ونظر البراء بن مالك فوجد السهام تحصد القتلى والأعداء بمنجاة من انتقام المسلمين فصاح بالمسلمين من قومه قائلا: يامعشر الأنصار! لايفكرن أحد منكم في الرجوع إلى المدينة فلا مدينة لكم بعد اليوم وسأقدم نفسي

فداء للمسلمين فما بعد القتل من حياة، فقال خالد: وماذا نصنع يا مالك والأبواب موصدة؟ قال مالك: ضعونى على ترس وارفعوا الترس على الرماح واقذفوا بى قريباً من باب الحديقة ومعى سيفى وساحاول فتح الباب فإذا استشهدت فقد اديت ما علىّ وإذا فتح الباب اندفعتم إلى القتال..

وكان البراء كان يرى بخياله ماسيكون ففى لحظات قذف به إلى داخل الحديقة بين الجنود الحاشدة من اتباع مسليمة وكانوا لايتوقعون هذا العمل الفاجىء فسارع إلى الباب يحاول ان يفتحه حتى انفرجت ناحيتاه وقد تلقى من ضربات السيوف ما لم يعقه عن مهمته القاسية وخرج من المعركة وبجسمه بضعة وثمانون جرحاً من السهام والنصال وأمر خالد بمن يحمله إلى الخيمة ليداوى من جراحه ولكن انتهاء المعركة بالنصر الحاسم قد شفى من نفسه كل الجراح فساعد ذلك على الالتئام.

وعلمت الرميصاء بما كان من أمر ولدها البراء. فبكت: فقيل لها: ما يبكيك؟ قالت هذا بكاء الفرح، والله عز وجل لقد ابتهج قلبى فلم استطع ان امنع عينى.

وسالت عنه إلى اين مضى؟ فقيل لها لقد ارتحل إلى فارس مع اخيه انس.

فهزت راسها وقالت: قلبى يحدثنى انه لن يرجع لقد رايت رؤيا انه سيكون شهيداً، والواقع ان الأخوين قد ذهبا إلى فارس واشتركا ببسالة فى موقعة تستر، وكانت بقيادة ابى موسى الأشعرى، وحين حمى القتال واشتدت وطأة المسلمين تحصن الفرس فى إحدى القلاع وحاول البراء ان يكرر ما كان يوم حديقة اليمامة فيصعد على ترس ترفعه الرماح ولكن الشأن غير الشأن حيث كان سور فارس عالياً اقيم من الحديد والرخام وحصن الحديقة من اللبن ويبلغ المترين فعز على البطل ان يبلغ مناه وقد شاهد الفرس يرسلون كلاليب من الحديد محمية بالنار إذا مست رأس جندى علقت به ورفعته إلى الأعلى فيلقى حتفه محترقاً ونظر مالك فإذا كلوب يرمى على رأس اخيه انس فيحمله مشتعلاً فوثب فوق الأرض حتى بلغ الكلوب فقطعه بيده وسيفه والنار تأكل منه غير آبه ونجا أنس من موت محقق وقد صارت يد البراء عظاماً دون لحم لان النار قد اكلت ما فوق العظام وجعل يجاهد وقد حمل السيف باليد الصحيحة إلى ان لقى الله بضربة سيف وقعت على رقبته دون انتظار.

ونظر انس إلى اخيه الصريع فقال فى اسف: لقد تحققت رؤيا الرميصاء، ورجع إلى المدينة باكياً مصرع اخيه فاحتضنته امه وقالت له: اين عقلك يا انس؟ البراء حى يرزق مع الشهداء انسيت سورة آل عمران؟!..

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾(١).

(١) آل عمران (١٦٩).

محمود الفلكي

من رواد العلم العربي الحديث

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا

ولد محمود أحمد فى بلد الحصة بمحافظة الغربية عام ١٨١٥م، وذهب إلى الإسكندرية وهو فى العاشرة من عمره، ثم درس فى المهندسخانة عندما كانت بالقلعة، ثم عين مدرساً بها عام ١٨٣٤م وكانت قد انتقلت إلى بولاق وأعيد تنظيمها لتضم كلا من مدرسة المهندسين ومدرسة التعدين، بالاضافة إلى مرصد فلكى. وقضى محمود أحمد ستة عشر عاماً فى التدريس قبل أن يختاره على مبارك فى عام ١٨٥٠م ضمن بعثة إلى باريس لدراسة الفلك والرياضيات، ثم عاد إلى مصر عام ١٨٥٩م، وعرف باسم محمود حمدى الفلكى، وكان ظاهرة علمية فريدة بما خلف من إنجازات قيمة فى مجالات الفلك والجغرافيا والأرصاد والرياضيات. وكانت وفاته فى ١٩ يوليو سنة ١٨٨٥م.

عندما سافر الفلكى إلى أوروبا وهو فى الخامسة والثلاثين، وقد خبر من أمور الحياة ماجعل حكمه ناضجاً ورأيه سديداً، فنزل باريس وهى حينئذ مركز العلم فى أوروبا، بل فى العالم أجمع، ودرس على أيدى علماء الرياضيات والفلك، وتنقل بين العواصم والمدن الأوروبية المختلفة



محمود الفلكى

من أدنبره ودبلن شمالاً إلى فيينا وبراج شرقاً، وزار المراصد والجامعات الكبيرة، وأتم عدة بحوث فلكية وجيوفيزيقية، نشير إليها فيما يلى:

١ ـ نشر فى سنة ١٨٥٥م بحثاً عن التقويمين: الإسرائيلى والإسلامى.

٢ ـ نشر فى سنة ١٨٥٦م بحثا عن شدة المجال المغناطيسى للأرض فى بلجيكا والمانيا وفرنسا، وقارن بين قياساته وقياسات كوتيليت Quetelet سنة ١٨٢٩م.

واستنتج من ذلك أن المركبة الأفقية للمجال المغناطيسى قد زادت فى المدة مابين القياسين وخاصة فى منطقة النمسا، ونشر هذا البحث فى مطبوعات الأكاديمية الملكية فى بلجيكا، وجاء فيه أنه من تأليف (محمود الفلكى المصرى مدير مرصد القاهرة، وعضو بالجمعيات العلمية، إرسالية علمية بأمر والى مصر).

٣ـ نشر فى مجلة أعمال المجمع الفرنسى Combtes Rendues بتاريخ ١٣ أكتوبر سنة ١٨٥٦م دراسة مفصلة لزاوية الميل وشدة المجال المغناطيسى فى منطقة باريس وماحولها، ولاحظ مقدار تغير المركبة الأفقية فى اتجاه الشمال والغرب، وكيف أن تغييرها أسرع من تغيير الشدة الكلية للمجال، وهذا يستدعى حتماً تغيراً فى زاوية الميل.

٤ـ وفى صيف سنة ١٨٥٥م سافر محمود إلى انجلترا وأيرلندا واسكتلندا وهولندا وبلجيكا وألمانيا، وقاس العناصر المغناطيسية فى ٤٥ مكاناً مختلفاً، ورسم الخطوط المتساوية الشدة والمتساوية الانحراف فى منطقة تمتد ١٤° طولية من دبلن إلى نهر الراين و٧ درجات عرضية من باريس إلى أدنبرة، وقارن هذه الأرصاد بخريطة «سابين» Sabine التى تمت سنة ١٨٣٧م واقتصرت على الجزائر البريطانية فقط.

ونشر البحث فى مطبوعات الأكاديمية البلجيكية سنة ١٨٥٦ وجاء فى مقدمته: «لما تفضل والينا الأفخم سمو سعيد باشا بإبداء رضائه عن العمل الذى قدمته للأكاديمية الملكية البلجيكية عام ١٨٥٤ عن القوة المغناطيسية الأرضية وتغيرها فى ألمانيا وبلجيكا، أمرنى أن أسافر إلى الجزائر البريطانية لكى أزور المراصد الرئيسية هناك وأتعرف على علماء هذه البلاد وأقيس العناصر المغناطيسية وأقارنها بما يحصل عليه فى القارة تمهيداً لقياسها فيما بعد فى مصر».

وأشار فى آخر البحث إلى توصية مسيو «كوتيليت» Quetelet السكرتير الدائم للأكاديمية الملكية البلجيكية، و«جومار» عضو المعهد الفرنسى، والمراسل العلمى للوالى، ونلاحظ هنا اهتمام محمود الفلكى بالقياسات المغناطيسية وترتيبه عمل مثلها فى مصر تحقيقاً لرغبة محمد على التى أبداها عند إنشاء مرصد بولاق.

ولبيان أهمية هذه الدراسات عن المغناطيسية الأرضية نرجع إلى تاريخ هذا الفرع من العلم فنجد أن «هالى» Halley رسم أول خريطة مغناطيسية سنة ١٧٠٠م، وأن التغيرات فى العناصر المغناطيسية للأرض لم تكن قد حققت بدقة حتى أوائل القرن التاسع عشر، وأن أول معمل خاص بدراسة المغناطيسية الأرضية أسسه الرياضى الفلكى المشهور «جاوس» سنة ١٨٣٤م فى جوتنجن، وأن أول دراسات المغناطيسية الأرضية فى الإمبراطورية البريطانية بدأت عام ١٨٤٠م على يد «إدوارد سابين». وللمغناطيسية الأرضية أهمية فى الملاحة البحرية وأبحاث الفلكى فيها تدل على أنه كان مسايراً لروح العصر.

٥ـ وفى سنة ١٨٥٨م كتب رسالة فى تحقيق تاريخ ميلاد النبى ﷺ وتاريخ الهجرة بالاستناد إلى بعض الظواهر الفلكية، وترجمت هذه الرسالة إلى اللغة العربية ونشرت تحت عنوان «نتائج الإفهام فى تقويم العرب قبل الإسلام». والرسالة جزءان: الأول قدم فيه المؤلف ثلاثة من النصوص الإسلامية المحققة، وهذه الأدلة الثلاثة هى:

(١) كسوف الشمس يوم وفاة إبراهيم ابن النبى ﷺ من «مارية القبطية». عن المغيرة بن شعبة ـ رضى الله عنه ـ قال: كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فقال ﷺ: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته»[1] والمتواتر أن وفاة ابراهيم حدثت فى السنة العاشرة من الهجرة. وقد حسب الفلكى بالرجوع إلى الجداول الخاصة بحركات الشمس والقمر التاريخ الذى حدث فيه هذا الكسوف فى المدينة (ونلاحظ أنه اعتبر موقع المدينة المنورة على خط ٢٩ ٣٧° شرقى باريس، لأن الجداول كانت فرنسية الأصل، ولم يكن خط زوال جرينتش قد اتفق عليه عالمياً كأساس لحساب خطوط الطول)، فوجد بالحساب أن هناك كسوفاً للشمس فى منتصف التاسعة من صباح ٢٧ يناير سنة ٦٣٢ ميلادية، وهذا يقابل ٢٩ من شوال سنة ١٠ هجرية.

(٢) تعيين تاريخ الهجرة استناداً إلى ماجاء فى السيرة الحلبية «وفى كلام الحافظ بن ناصر الدين عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قدم المدينة يوم عاشوراء فإذا اليهود صيام، فقال رسول الله ﷺ: ماهذا؟ قالوا هذا يوم أغرق الله تعالى فيه فرعون ونجى فيه موسى، فقال رسول الله ﷺ أنا أولى بموسى. فأمر رسول الله ﷺ بصومه»[2]، وعاشوراء هو العاشر من محرم بينما الهجرة كانت فى ربيع الأول، فإذا رجعنا القهقرى بالتاريخ متبعين التقويم العربى القمرى والتقويم الإسرائيلى الشمسى حتى يتحدا، وبعد مراجعة علماء الهيئة والحديث انتهى محمود الفلكى إلى أن النبى ﷺ دخل المدينة يوم الإثنين ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢م الموافق ١٠ تشرين وهو عيد كيبور عند اليهود.

(٣) جاء فى الخبر المتواتر أن ميلاد النبى ﷺ كان بعيد اقتران بين زحل والمشترى فى برج العقرب، وأنه كان فى نيسان. وبالحساب وجد أن هذا الاقتران حدث فى ٢٩ أو ٣٠ مارس سنة ٥٧١ ميلادية، وبمراجعة مختلف الأسانيد توصل الفلكى إلى تحديد ميلاد النبى ﷺ يوم الإثنين ٩ من ربيع الأول الموافق ٢٠ إبريل سنة ٥٧١م.

وأما الجزء الثانى من هذه الرسالة القيمة فيبحث فى أمر التقويم عند العرب فى الجاهلية، معتمداً على التواريخ الثلاثة السالفة، ورواية عن خسوف للقمر فى السنة الرابعة الهجرية، وأدلة متفرقة أخرى تتم جميعاً على أن التقويم الجاهلى كان قمرياً بحتاً. وقد حقق أيضاً عمر النبى ﷺ.

هذه هى أبحاث الفلكى فى مدة التحاقه بالبعثة فى أوروبا من سنة ١٨٥٠ إلى ١٨٥٩م. وهى تدل على مقدرة عظيمة وكفاية فى فرعين مختلفين كل الاختلاف من الدراسة:

الأول: علم التقاويم والأزياج واستعمال الجداول الفلكية.

والثانى: دراسة المغناطيسية الأرضية.

المرجع: رسالة العلم، العدد الرابع، ديسمبر ١٩٥٨.

---

(١) موطأ مالك، ١/١٨٦، حديث رقم (٤٤٤).

(٢) مسند الطيالسى ١/٣٤٢.

التوقيت الصيفي والساعة البيولوجية

للأستاذ / مجدى عبدالحميد بشير

منذ أيام قلائل بدأ العمل بالتوقيت الصيفي فى مصر وتم تقديم الساعات ستين دقيقة وهو أمر يستشعر صعوبته الكثيرون من الناس فترتبك المواعيد لبعض الوقت حتى يتم الاعتياد على ذلك النظام ونقدم فى هذه السطور دراسة طريفة حول النوم واضطراباته التى تنتج عن ذلك النظام، إذ أن حوالى ٦٠٪ من أولئك الذين ولدوا فاقدين لحاسة البصر لديهم مشاكل فى النوم بسبب أن الساعات البيولوجية التى زودهم الله بها ليست منضبطة على نظام اليوم المعتاد وعادة ما يعزى ذلك إلى أن ما بالجسم من حركات وسكنات فى الأفراد العاديين تكون منضبطة على نظام اليوم الذى يتكون من أربع وعشرين ساعة وجوهر الانضباط الذى يحدده هو الضوء لكن الأمر فى المكفوفين الذين لم تر أعينهم الضوء منذ الولادة يختلف إذ أن الساعة البيولوجية لديهم لها نظام التوقيت الخاص بها والذى يتأثر تأثرا طفيفا بعدم رؤيتهم للضوء فيختلف اليوم لديهم عن نظام اليوم العادى.

وهذا الاختلاف يمكن أن ينتج عنه اضطرابات دورية فى النوم تتمثل فى فترات من النوم الجيد تعقبها فترات أخرى من النوم السيء ليلاً إضافة إلى غفوات كثيرة أثناء النهار وقد قامت بعض المراكز الطبية باستقصاء هذه الحقيقة فى اضطرابات النوم الناتجة عن التوقيت الصيفى فى أناس ليس لديهم أى إدراك للضوء. وربما كان ذلك البحث ذا فائدة إذ يساعد المكفوفين على تحسين ساعات نومهم وجعلهم يتفهمون سبب مشاكل النوم التى تحدث لهم ولا يجدون لها تفسيرا، وتقوم المعاهد المتخصصة بإجراء الدراسة المشار إليها على أناس لا علم لهم بالضوء سواء كانوا يعانون من اضطرابات النوم أو لا يُعانون منها. وسيطلب من المشاركين فى هذه الدراسة أن يقوموا بتجميع معلومات لمدة شهرين وهم فى بيوتهم، ثم سيطلب منهم أن يقفوا فى المعمل لمدد تتراوح مابين خمسة أسابيع ونصف إلى ستة أسابيع وهى مدد كافية لاستخلاص نتائج تفيد كثيراً فى مراجعة التوقيت الصيفى وما قد يحدثه من أضرار خصوصا وأن الأغراض والأهداف الموضوع ذلك النظام من أجلها لا تؤتى بثمارها، فأبواب المقاهى مفتوحة على مصاريعها يرتادها زبائنها ليل نهار يبددون أوقاتهم فى مالا يجدى ولا يفيدهم شيئاً كما أن أجهزة الإرسال مسموعة ومرئية لا تتوقف إلا قليلا وتملأ الأجواء بمالا يفيد الآخرين فى دينهم ولا فى دنياهم ناهيك عن أضواء المصابيح المضاءة فى عز النهار، وكلها أمور تخالف شرع الله قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾. الفرقان (٦٧)

الشيخ ثابت فرج الجرجاوى
حياته وشعره

للدكتور / أحمد حسين النمكى

هو ثابت بن فرج بن عبدالرؤوف بن على ابن عبدالرؤوف بن عبدالرحمن بن عبدالرؤوف الحنفى ولد سنة (١٣٠٠هـ/١٨٨٢م) فى زمن الثورة العرابية، وهو من أسرة طيبة وبيت علم وأدب، ويعرف فى مدينة جرجا باسم «بيت الشيخ نصر» والشيخ نصر هذا هو «نصر بن عبدالرؤوف بن عبدالرحمن» من كبار العلماء فى جرجا وصعيد مصر، فقد تولى الإفتاء فى ولاية جرجا زمناً.

وترجع أصول تلك الأسرة إلى بلاد اليمن، ويقول الشيخ أحمد الماجدى: إن جد هذه الأسرة قد جاء من اليمن، ونزل مدينة هُوّ، ثم نزح إلى جرجا.

بدأت رحلة العلم عند الشيخ ثابت فرج الجرجاوى بحفظ القرآن الكريم على يد والده الشيخ فرج بن عبدالرؤوف، فقد كان والده يعمل محفظاً للقرآن الكريم، ثم تلقى العلم بجرجا على يد الشيخ العلامة عبدالرحيم السيوطى.

ثم تلقى الشيخ ثابت فرج علم القراءات على يد أستاذه الشيخ على المملوك أستاذ علم القراءات فى جرجا وصعيد مصر، وقد رافقه فى رحلته العلمية كثيرون مثل الشيخ أحمد شحاته الحجاوى الذى ورث مكانة أستاذه الشيخ على المملوك، ومن أصدقائه أيضاً العالم الكبير الشيخ مصطفى رضوان أبوسلطان البندارى الهوارى، والشيخ سعد الدين البسطاوى، وقد جمعت بينهم التلمذة على يد الشيخ العلامة عبدالمتعال ابن عمر البسطاوى، واستمر الشيخ ثابت فرج فى دراسته إلى أن حصل على الثانوية الأزهرية وفى سنة ١٣١٧هـ/١٨٩٩م أرسله والده إلى القاهرة ليدرس فى الجامع الأزهر ويتلقى العلم على أعلامه.

وفى تلك الأثناء انصرفت ميول الشيخ

ثابت إلى دراسة علوم الشرع الإسلامى واللغة والأدب حيث واحة الشعر، كما درس النحو والصرف والعروض، الواقع أن الرحلة العلمية إلى الأزهر الشريف كان الغرض الأول منها هو دراسة علوم الشريعة الإسلامية، ثم الأخذ من كل علم بطرف، وكان الأزهر فى ذلك الوقت يغص بالعلماء الفضلاء الذين ملأوا الدنيا علماً وأدباً، مثل الشيخ محمد أبوالفضل الجيزاوى، والشيخ حسن داود العدوى، والشيخ أحمد الرفاعى الفيومى، والشيخ أحمد أبوخطوة المنوفى، والشيخ العلامة حسن الطويل، والشيخ محمد إمبابى المالكى، وغيرهم.

ويذكر الشيخ ثابت أنه تطلع فى تلك الآونة إلى الخطابة والشعر، وانصرف إلى المحافل الدينية والسياسية، وإلقاء الخطب والأشعار، لاسيما بعد أن استكمل عدة الشاعر والخطيب، وقد أهلته موهبته الخطابية أن يكون أحد خطباء جمعية الهلال الأحمر التى كان يرأسها سمو الأمير عمر باشا طوسون لخدمة الإنسانية، وخاصة أنه كان يتميز بصوت جهورى، فضلاً عن أنه خطيب بارع وشاعر مفوه.

وقد تزامن وجود الشيخ ثابت فرج فى القاهرة مع قيام حركة وطنية عمت جميع أرجاء البلاد بهدف مقاومة الاحتلال الانجليزى وطرد المحتلين الذين كانوا يعتدون على كرامة أبناء الشعب المصرى، ويتعاملون بغطرسة تدل على احتقارهم لأبناء مصر، بيد أن أبناء مصر كانوا صامدين ولايخافون نيران العدو ولا مدافعه، على الرغم من الإمكانيات المحدودة التى كانت لدى أبناء الشعب المصرى، وقد عبر الشيخ ثابت فرج عن هذا فقال.

فـمـا أرض الكنانة أرض جبن
ولا ملهى لمغتصب لئيم
نفوس المخلصين لمصر ملّت
بقاء الرجس فى أرض الكليم
أسود الغاب عند الخطب تبدو
كسيل جاء من وادى الجحيم

كان الشيخ ثابت قد التقى أثناء فترة دراسته بالأزهر الشريف بالكثير من أبطال الحركة الوطنية وعلى رأسهم الزعيم مصطفى كامل، وقد ذكر الشيخ ثابت فى أحد كتبه أن مصطفى كامل كان أستاذه فى الوطنية وأنه التقى به كثيراً فى المحافل الوطنية، والمؤتمرات السياسية، وتعلم منه الكثير، وقد حفزه ذلك على كتابة الشعر الذى عبر فيه عن سخطه وغضبه على الاستعمار، بل وكان ينادى بضرورة التصدى للمستعمرين وإجلائهم عن مصر، وكانت ثورته هذه قد كلفته الكثير من الشدائد والعناء والاعتقالات المتكررة، ولاقت أسرته- فى جرجا- الكثير من العذاب من السلطات، والتعرض لحملات

التفتيش على منزله، وإحراق كتبه ودواوينه وأوراقه، ولكن الشيخ ثابت لم يخنع ولم يضعف مما كان يحدث له ولأسرته، وكان له من اسمه أو فى نصيب، فهو ثابت اسماً ومعنى.

وكانت ثقة الشيخ ثابت فرج فى إمكانيات الشعب المصرى وقدرته على طرد المحتلين من مصر غير محدودة، فهو يراهم أسوداً وبناة يسهرون من أجل رفعة الوطن وإعلاء شأن بلادهم، فانظر إليه وهو يتحدث بلسان الشعب المصرى فيقول:

نحن الأسود حماة الحدود
ونبنى الحصون ونحيى الفنون
وتنسى الجفون لذيذ الرقاد
حياتنا قتال صغارنا رجال
رجالنا جبال خيولنا جياد

نفى الشيخ ثابت فرج إلى مالطة

كان الشيخ ثابت فرج رجلاً عصبى المزاج، ثائراً، وزاد من حدة هذه الثورة لديه سخطه على المحتلين ومحاولاتهم إحباط أعمال رجال الحركة الوطنية فى مصر، وكان أيضاً لايخشى أن يعلن عن غضبه على المحتلين جهاراً نهاراً، وكان يترجم هذا الغضب ويدونه فى أشعاره الحماسية، التى تندد بسياسة المحتلين وأعمالهم الوحشية، وأمام هذا تعرض الشيخ ثابت للحملات التفتيشية التى كان الغرض منها البحث عن هذه الأشعار والقصائد التى كانت تلهب حماس الكثير من أبناء مصر، والتى أخذت شكل المنشورات السياسية، وبالفعل تم العثور على بعض الدواوين والكتب التى سجل فيها الشيخ ثابت فرج تاريخ مصر الأدبى والثورى، وما أثمرته تلك الفترة من خطب سياسية وأشعار حماسية، وتم إعدام هذه الدواوين وهذه المخطوطات حرقاً، كنوع من العقاب الذى تعرض له الشيخ، ورغم هذا فهو لم يكف عن ثورته لاسيما وأن من طبعه العناد، فضلاً عن أنه كان رجلاً حازماً لايلين عند الشدائد، بل يزداد صلابة وشدة بأس، ولذا فقد كان المستعمرون يعتبرونه من الرجال الخطيرين على الأمن العام، ومن ثم اعتقلوه وسجنوه فى مصر أكثر من مرة، ولما حدثت الاعتقالات والنفى بصورة موسعة كان من نصيب الشيخ ثابت النفى إلى مالطة.

ويذكر الشيخ ثابت فرج أن سبب اعتقاله ونفيه إلى مالطة أنه كان أحد خطباء جمعية الهلال الأحمر التى كان يرأسها سمو الأمير عمر باشا طوسون لخدمة الإنسانية على اختلاف جرحاها.

وفى سنة (١٣٣٢هـ/١٩١٤م) طبع الشيخ ثابت فرج كتاباً سماه «مختارات الجرجاوى» وكان فى هذا الكتاب قصيدة كان يلقيها فى الحفلات، ومن أجل هذا رأت السلطات مصادرة هذا الكتاب، ثم أعقب ذلك الاعتقال والنفى ووجهت إليه

تهمة التحيز للدولة العثمانية ومناصرتها وبعد التحقيقات التى أجريت معه فى قسم الجمالية، ثم فى مقر محافظة القاهرة، ثم فى مقر الداخلية، ثبت أنه كان حسن النية وانه لم يقصد شيئاً سوى الانتفاع بهذا الكتاب، ولاسيما أن القصائد الواردة فى الكتاب إنما قيلت عن حروب البلقان، وهذا لاعلاقة له بالحرب الحاضرة (يقصد الحرب العالمية الأولى) وانتهى الأمر بان حرقت السلطات الحاكمة الكتاب، فطلب الشيخ ثابت فرج تعويضاً عما لحقه من اضرار بسبب حرق هذا الكتاب ولكن دون جدوى، فقد أصرت سلطات الاحتلال على ضرورة اعتقال الشيخ ثابت وعدم تقديم أية تعويضات له، وتم النفى إلى مالطه.

وهناك سبب آخر ذكره لى ابنه الشيخ محمد ثابت، وهو أن الشيخ ثابت حضر- كعادته- إحدى الحفلات التى اقامها رجال الحركة الوطنية فى إحدى ضواحي القاهرة، وكان حاضراً فى هذه الحفلة الزعيم مصطفى كامل فقام الشيخ ثابت والقى خطبة شديدة اللهجة، وكان رئيس وزراء مصر ولفيف من رجال السلطة حاضرين، فلم ينته الحفل حتى تم القبض على الشيخ ثابت ونفيه إلى مالطة.

والواقع أن النية كانت مبيتة، ولعله – أى الشيخ ثابت – يكون قد القى فى هذه الحفلة القصيدة التى من اجلها تمت مصادرة كتابه، ثم إحراقه وهى بعنوان: «صعب على الإسلام» فضلاً عن بقية القصائد التى كان يهاجم فيها الاحتلال ومنها ما قاله:

زعم الوشاة باننا أشرار
كذب الوشاة فإننا أحرار
يبغى الحقوق وليس ثمة قائل
طلب الحقوق منيّة أو عار
مهلاً حماة فالأسود روابض
والشبل منا سيد مغوار

وقال فى تلك الحفلة أيضاً:

وطنى عزيز لا أروم سواه
مهما تسورت العدا مبناه
أمسى وأصبح من عناء على لظى
يبدى نشيدى للملا معناه

ولقد أشار الشيخ ثابت فرج فى أحد دواوينه إلى نفيه إلى مالطة وما لاقاه من عناء وشدة، ولكن كل هذا فى سبيل وطنه مصر ليس شيئاً، وإذا حدث المزيد لكى يلين قلن يلين، وقد عبر عن هذا فقال:

ألا حى الهداة الراشدينا
وحى الشعب والعلم المبينا
وكن أسداً إذا ما اشتد خطب
لتحفظ مصر والعهد المتينا
بذلنا فى محبتها الغوالى
وقدمنا النفائس والثمينا

شربنا السقم فى نفى وسجن
وما كنا نلين ولن نلينا

وفى الفترة التى اعتقل فيها الشيخ ثابت ونفى إلى مالطة لاقت أسرته وأولاده كل شدة وعناء، لاسيما أنه كان العائل الوحيد لأسرته، ومن ثم فقد تركها بغير عائل وبغير راع، وليس لديهم ما يعينهم على مقاومة أعباء الحياة وتكاليفها، ولكن صديقه الحميم ورئيس جمعية الهلال الأحمر الأمير عمر طوسون علم بالضائقة المالية التى تمر بها أسرة الشيخ ثابت فقام بإرسال مشاهرة «مرتباً شهرياً» للشيخ ثابت فى منفاه، ومرتباً شهرياً لأبنائه فى جرجا.

وقد التقى الشيخ ثابت فى منفاه فى مالطة بالكثير من الأمراء والبكوات والأعيان والضباط والصحفيين وأساتذة الجامعات، وعلى رأسهم سعد باشا زغلول ومحمد محمود باشا وإسماعيل صدقى باشا، وحمد الباسل وغيرهم، وكان نفى سعد زغلول، وزملائه إلى مالطة قد خفف من شدة المرارة التى كان يشعر بها الشيخ ثابت وغيره من المعتقلين، ولكن سرعان ما تم الإفراج عن سعد زغلول وزملائه ووعدهم سعد زغلول بضرورة عرض أمرهم على المسئولين لكى يتم الإفراج عنهم.

كانت فترة الاعتقال قد ألهبت حماس الشيخ ثابت، ومن ثم كتب فيها الكثير من أشعاره فى المواقف والمناسبات المختلفة، وقد سجل فيها شعوره وأحاسيسه، فهو يشعر أن نفيه إلى مالطة ونفى سعد زغلول، بل ونفى الآلاف من أمثاله من الوطنيين لن يقضى على الحركة الوطنية التى تسرى كالدم فى عروق المصريين، وأن كثرة الاعتقالات ما هى إلا بشائر لقرب النصر وانبلاج نور الحرية، وقد كتب هذا فى قصيدة له على لسان سعد زغلول فقال:

حتى نطقت وقلت جهراً إننى
لا أبتغى ضيفاً يسوس بلادى
ولذا نفيت عن الأحبة كلهم
وبعدت عن وطنى وأهل ودادى
لكن صوت الشعب ظل مطالباً
حتى رجعت على أعز جواد

على أية حال، فإن سعد زغلول قد توسط فى أمر الإفراج عن الشيخ ثابت فرج، ورجع الشيخ ثابت إلى مصر، فوجد الكثير من أصدقائه قد تخلوا عنه وعن صداقته والجلوس معه، فهو متهم سياسى، ولهذا كان أصدقاؤه يخشون اللقاء معه أو التحدث إليه خوفاً من أن تلحظهم أعين البوليس السياسى فيبتلون ببلائه ويكتوون بناره، وكان لهذا أثر سىء فى نفسية الشيخ ثابت، فقد أصبح خالياً من الأصدقاء، وأظلمت عليه وفى وجهه الدنيا، وانصرف إلى العمل فى التدريس.

على أن عودة الشيخ ثابت إلى الصعيد لم تعن أنه انصرف عن كتابة الشعر وإلقاء الخطب الملتهبة، أو مواصلة اللقاء بزعماء الحركة الوطنية، فقد ترك لنا عدة دواوين صورت لنا الكثير من مناحي الحياة السياسية والاجتماعية وغيرها.

ومن يقرأ دواوين الشيخ ثابت فرج الجرجاوى يجد أنه أمام شاعر فريد من نوعه له طابعه الأدبي المميز في الشعر والنثر، وإذا كان النسيان قد أسدل ستائره على هذا الرجل فهذا شأن كثير من الأدباء والشعراء الذين اشتغلوا بالسياسة، فقد حاولت أيدى الجناة أن تقضى على تاريخ هذا الرجل بحرق كتبه ومؤلفاته ودواوينه، ولكن ما أفلت من أيديهم يعطينا فكرة جيدة عن مكانة هذا الشاعر، وتضعه فى مصاف الشعراء النبغاء الذين تحملوا الكثير من الظلم الذى وقع عليهم إبان حياتهم وبعد وفاتهم، فأنت تقرأ فى شعره ما يوقفك على صور عديدة من جوانب الحياة، ففيه المدائح والأناشيد، والغزل، والمواعظ، والمراثي والتربيع والتخميس، والتشطير، وغير ذلك الكثير.

وهو - بحق - من الأدباء والشعراء الذين يحتاجون إلى نظرة فاحصة، متأنية، عادلة من الدارسين والباحثين، تعطيه حقه أو بعض حقه، وهو جدير أن يتزلوه منزلة غيره من النابهين، وإذا كان الشعراء هم المرآة العاكسة لأحداث مجتمعاتهم، فإن الشيخ ثابت فرج كان أكثر من هذا.

آثاره

لقد خلف الشيخ ثابت فرج الجرجاوى العديد من الكتب والدواوين، البعض منها امتدت إليه أيدى سلطات الاحتلال الإنجليزى وأحرقته، ورغم هذا فقد بقى الكثير وهى كالتالى:

١ - فى سبيل الوطن والوطنيين.

٢ - ديوان الشعر.

٣ - مختارات الجرجاوى.

٤ - النبراس فى تاريخ بنى العباس.

٥ - ديوان ثابت - جزء أول.

٦ - ديوان ثابت - جزء ثان.

٧ - الفن الشرقى.

٨ - الأشعار الوطنية.

٩ - حادثة الأزهر «رواية».

١٠ - الذئب والأسد «رواية».

١١ - حفلات ثابت.

١٢ - ديوان اللآلىء.

وقد توفى الشيخ ثابت فرج الجرجاوى إلى رحمة الله تعالى سنة ١٣٦٤ هـ/ ١٩٤٥م، بعد أن أصيب بمرض الفالج (الشلل) ومرض أياماً، ثم انتقل إلى الدار الآخرة ليلقى ربه راضياً مرضياً جزاء ما قدمت يداه للوطن والإنسانية:

﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴾[1].

(١) آل عمران: ١٩٨.

أين ذهب التفوق العلمى والحضارى للأمة الإسلامية

للشيخ
عبد الخالق نصير

لقد أثبت التاريخ أن التقدم العلمى والحضارى فى أوروبا إنما نشأ وظهر عن التقدم والتفوق العلمى والحضارى للعرب والمسلمين وعن التراث العقلى والخلقى الذى نشروه فى كل مكان وجدوا فيه أو حلوا به، وقد اتفق المحققون من رجال التاريخ على أن المسلمين هم أصحاب الفضل على الحضارة العالمية الموجودة الآن فى المخترعات والاكتشافات العلمية المذهلة بسبب التفوق العلمى والحضارى فى العصر الذهبى للأمة الإسلامية التى كانت أقوى الأمم فى ذلك الوقت، وقد تخلف المسلمون الآن لأنهم أخذوا من أوروبا أسوأ ما عندها من رفاهية مفرطة وخلاعة ومجون فى الوقت الذى أخذ فيه الأوروبيون أفضل ما عند الأمة الإسلامية من الحقائق العلمية والحضارية والتى تفوقت فيها على سائر الأمم، ولكن للأسف فقد تأخرنا الآن ورجعنا إلى الوراء بسبب إهمالنا للتفوق العلمى والحضارى وتقدموا هم للأمام حتى أصبحوا يقودون العالم بالعلم، وأصبح المسلمون ضعفاء بسبب هذا الإهمال وأصبحوا يسامون سوء العذاب ويشردون ويبادون فى كل مكان، ونسى المسلمون التوجه القرآنى نحو العلم والاختراع، قال تعالى:

﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[1].

وقال تعالى:

﴿ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[3].

(١) الحديد (٢٥). (٢) الكهف (٩٦). (٣) سبأ (١٠، ١١).

وفى فضل تعلم العلم وتعليمه: قال ﷺ: «يا أبا ذر لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله ـ تعالى ـ خير لك من أن تصلى مائة ركعة، ولأن تغدو فتعلم باباً من العلم عُمل به أو لم يُعمل خير لك من أن تصلى ألف ركعة»[٤].

وجاء الأمر من مركز الوحى الإلهى إلى النبى محمد ﷺ فى أول ما نزل من القرآن الكريم بالقراءة والتربية والتعليم فى قول الله تعالى:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[٥].

والأمر يشمل النبى ﷺ ويشمل أمته، ثم أمره الله تبارك وتعالى بعد ذلك أن يزداد علماً فقال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[٦].

ولكى يستمر البحث العلمى إلى يوم القيامة قال له: ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[٧].

ثم تفضل عليه بنعمة التعليم فقال:

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ
وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[٨].

والتقدم العلمى فى جميع المجالات لأى أمة من الأمم، هو سر قوتها وعظمتها وحضارتها، والعصر الذهبى للأمة الإسلامية كان فى تقدمها فى الأبحاث العلمية والاختراع والاكتشاف العلمى فى كل مجال، وبخاصة فى مجال الطب والفلك والجغرافيا والجيولوجيا، وتذكرنا الآيات القرآنية التى أمرت بالعلم والتعليم بهذه الذكرى لعلمائنا الأوائل وإنجازاتهم العلمية، لتكون نبراساً يضىء للأمة الإسلامية لتنهض من جديد.

فأول مدرسة أنشئت للطب فى أوروبا هى التى أنشأها العرب والمسلمون فى «جنوب إيطاليا» وأول مرصد للفلك هو الذى أقامه المسلمون فى مدينة «إشبيلية بأسبانيا».

وأول من فكر فى موضوع الدورة الدموية هو «ابن النفيس»، وأول من اكتشف مكروب مرض الجرب، هو «ابن زهر» وأول رسالة من نوعها صورت مرض «الجدرى والحصبة» تصويراً علمياً صحيحاً، هى التى وضعها «الرازى»، والطبيب العربى المسلم الذى شخص مرض البرص، هو «ابن مسكويه»، «والبيرونى، وابن سينا» توصلا إلى حقائق جغرافية هامة فيما يتعلق بنشأة الجبال وطبقات الصخور.

ولنا فى ابن سينا أعظم الذكرى، فهو «أبو على، الحسين بن عبدالله بن على بن سينا»، وفى عصره كانت مدينة (بخارى) عاصمة

(٤) أخرجه ابن ماجه فى سنن المصطفى ﷺ جـ ١ ص ٩٤.
(٥) العلق (١ : ٥).
(٦) طه (١١٤).
(٧) الإسراء (٨٥).
(٨) النساء (١١٣).

الدولة السامانية، وقد ألف فى الطب كتاب «القانون» وتقرب كلماته من مليون كلمة، وكان الكتاب الرئيسى بالجامعات الأوروبية حتى القرن الميلادى السابع عشر[٩].

وابن سينا هو:

- أول من استخدم التخدير لإجراء العمليات الجراحية.
- وأول من حقن بالإبر تحت الجلد.
- وأول من درس أمراض المعدة والأمعاء دراسة متعمقة.
- وأول من فطن إلى تأثير أحوال النفس فى الجهاز الهضمى.
- وأول من استخدم التشخيص مُفرقاً بين أنواع الالتهابات المختلفة.
- وأول من وصف الديدان المعوية.
- وأول من فرق بين أسباب شلل الوجه.
- وأول من وصف الجهاز التنفسى والأمراض العصبية.
- وأول من وضع الثلج على الرأس لتخفيض درجة حرارة المريض.
- وأول من اكتشف فى قسم الطبيعيات من كتاب الشفاء «القانون الأول للحركة فى علم الديناميكا قبل أن يتحدث «إسحق نيوتن» عن قوانين الحركة بخمسمائة عام. فالجسم عند بن سينا يبقى فى حالة سكون أو فى حالة حركة منتظمة فى خط مستقيم ما لم تجبره قوى خارجية على تغيير حالته. ومن عظمة ابن سينا أنه كان يعالج الفقراء المرضى فى «مدينة بخارى» ويزورهم فى بيوتهم وفى أعمالهم، ولا يأخذ أجراً من أحدهم، ويجرى التجارب فى بيته على ما عرفه من الكيمياء والعقاقير النباتية والحيوانية والمعدنية فانفتحت له بعلاجاته آفاقٌ جديدة فى الطب والكيمياء لا عهد لأحد بها من الأطباء والكيميائيين فى زمانه، وكان يقول:

الطب مثل الكيمياء لا تكفى فيه الدراسة النظرية وحدها ويجب أن يقترن الطب بالدراسة العلمية مثل اقتران الكيمياء بالتجارب العملية. وقد استمدت عواصم الغرب فى أوروبا من التفوق الحضارى والعلمى للأمة الإسلامية ـ الكثير والكثير، ولم تصل إلى ما وصلت إليه من التقدم العلمى إلا بفضل أسلافنا العظماء من العلماء الأتقياء الذين ملأوا الدنيا نوراً وعلماً وفضلاً وعمروها وتوجوها حقاً وصدقاً وإخلاصاً وعدلاً.

فأين نحن الآن؟! أما آن الأوان أن نصحوا من غفلتنا وأن ننهض من كبوتنا حتى يعود لنا التفوق العلمى والحضارى كما كنا من قبل. هذا ما نرجوه، ونسأل الله أن يحقق لنا ذلك.

(وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم).

(٩) الدين والحياة، وزارة الأوقاف.

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

في ذكرى المولد

قال الشاعر أحمد شوقي:

تجلى مولد الهادى وعمت
بشائره البوادى والقصابا
وأسدت للبرية بنت وهب
يدا بيضاء تطوقت الرقابا
لقد وضعته وهاجًا منيرًا
كما تلد السموات الشهابا
فقام على سماء البيت نورا
يضيء جبال مكة والنقابا

حقيقة

نحن ندعو الإله في كل كرب
ثم ننساه عند كشف الكروب
كيف نرجو إجابة الدعاء
قد سددنا طريقها بالذنوب

خير الرجال

قيل لحكيم: أى الرجال أفضل؟

قال: الذى إذا حاورته وجدته حكيمًا، وإذا غضب كان حليمًا، وإذا ظفر كان كريمًا، وإذا استمنح منح جسيمًا، وإذا وعد وفى، وإن كان الوعد عظيمًا، وإذا شكى إليه وجد رحيمًا.

عقوبة متكبر

قال بعض الصالحين: رأيت فتى مترفًا يطوف بالكعبة المشرفة، وحوله خدم يمنعون الناس من الطواف حتى لا يزاحمه أحد: ثم مرت سنون، فرأيته بجسر الرصافة يسأل الناس، فسألته: ماذا جرى عليك؟ فقال: تكبرت في موضع يتواضع الناس فيه فأذلني في موضع يتكبر الناس فيه.

قالوا...

- إذا سمعت الرجل يقول فيك من الخير ما ليس فيك فلا تأمن أن يقول فيك من الشر ما ليس فيك.
- إذا جاء القضاء ضاق الفضاء.
- رحم الله من أهدى إليّ عيوبي.
- رب كلمة سلبت نعمة.
- صاحب المعروف لا يقع، فإن وقع وجد متكأً.
- اتقوا زلة اللسان، فإن الرجل تزل رجله فينتعش، ويزل لسانه فيهلك.

النمام

قيل لرجل: إن فلانًا عابك بكذا وكذا: فقال: لقد واجهتني أنت بما استحى أن يُواجهني به.

نصيحة

قال أبو الأسود الدؤلي لابنه: يا بنى، إن كنت في قوم فلا تتكلم بكلام من هو فوقك فيمقتوك، ولا بكلام من هو دونك فيزدروك.

الجيب السرى

ذهب رجل إلى الخياط ليفصل له ثوبًا جديدًا، فسأله الخياط: هل أنت متزوج؟

فأجاب: الرجل نعم، فقال الخياط: فأين تفضل أن أضع لك الجيب السرى إذن؟!

سرعة الإجابة

قدم رجل على آخر ذى جاه ومنصب

فقال له ذو الجاه: سل حاجتك؟

قال الرجل: يدك بالعطية أطلق من لساني بالمسألة.

دعاء

اللهمّ افتح مسامع قلبي لذكرك، وارزقني طاعتك وطاعة رسولك، وعملا بكتابك.



القوى الدينية فى إسرائيل

بين تكفير الدولة ولعبة السياسة

تأليف

د. رشاد عبدالله الشامى

٣

عرض وتقديم

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

كان اندفاع الكثيرين من بنى إسرائيل وراء نزواتهم المادية من أسرار وقوعهم فريسة التباين الحاد الذى لازم كل بناء اجتماعى ينشئونه، فأصبحوا فى حاجة دائمة إلى الأنبياء والرسل، والمصلحين والزعماء ليردوهم إلى الفطرة الإنسانية، ويعيدوهم – من هذا الشتات الذى دفعتهم إليه رغباتهم الجامحة – إلى الالتئام والتجمع الموحَّد، على ما صوره القرآن الكريم فيما قدمنا من قبل.

ولقد نبه الدكتور الشامى إلى أن من بين هؤلاء الزعماء الذين عملوا على تجميع بنى إسرائيل قادةُ الصهيونية ومفكروها الذين حاولوا أن يقيموا مجتمعا يهوديا معاصرا، متخلصا من كل أسباب الشتات، ودواعى الاختلاف والتباين، مستلهمين – فى ذلك – فكرهم المنبثق عن ثقافتهم المادية البحتة؛ فقصروا العلاج على تخليص اليهود من كل قيود إرث مجتمع (الطائفة اليهودية) فى الشتات اليهودى على امتداد قرون طويلة، متوهمين أن ذلك لا يتم إلا بتحكيم فكر جديد منبت الصلة بكل ما يربطهم بالماضى من عقائد وتقاليد موروثة؛ فذلك وحده هو الذى يستطيع أن يجدد الحياة اليهودية وفق الروح العصرية.

لذلك... كان التحديث والعلمانية يمثلان الأمل الطامح لهؤلاء الزعماء الصهيونيين، فهما – فى تقديرهم – اللذان يحققان علاج ذلك الداء الملازم، وهما – بالتالى – الواحة التى يسوقون إليها قطائع اليهود من أبعاد الشتات وأعماقه.

ولكن... على الرغم مما بذله زعماء الصهيونية من إغراءات، وما وفروه من أسباب لنجاح محاولتهم، لم يحققوا إلا مزيدا من التوتر، وتفاقما فى الصراع، وتعميقا لشقة الخلاف فى مجالات الحياة المختلفة.

ولقد رصد الدكتور الشامى – فيما تقدم – أسباب هذا التباين، ومظاهره الحادة بين معتنقى الفكر الصهيونى، وأوضح كيف انقسمت الصهيونية، وصار منها الدينى – على اختلاف فى درجات التدين – ومنها غير الدينى، على اختلاف – كذلك – فى درجات التحلل من الدين.

والدينيون شتى.. كذلك

وعلى هذا النهج... واصل الدكتور الشامى مسيرته، ففى الباب الثالث (الأحزاب الدينية المسيحانية المعارضة للصهيونية) (أحزاب تكفير الدولة) نقدم تمهيدا يوضح الأسباب التى تدعو هذه الأحزاب إلى معارضة الصهيونية؛ فذكر أن (المسيحانية) يرون أن الصهيونيين يخفون الملابس الصهيونية القذرة تحت ثياب طاهرة ومقدسة، وأن دعاة الصهيونية بشر لم يقبلوا السيادة السماوية، ويتفاخرون بأنهم قادرون على تحقيق السلام لليهود، وإنقاذهم من محنتهم الحالية.

وهى مزاعم تنكرها نصوص التوراة والتلمود والمدارس؛ لأن الخلاص المسيحانى لا يمكن أن

يتم بوسائل بشرية أيا كانت، ولأن بناء مملكة إسرائيل لابد أن يتم على يد المسيح المنتظر.

ولذلك.. يرى المتدينون: أن اليهودية والصهيونية غير قابلتين للتوافق والانسجام؛ لأن الصهيونية تمرد على الله، وخيانة للشعب اليهودى، ولأن اليهودى الصالح لا يمكن أن يكون صهيونيا، والصهيونى لا يمكن أن يكون يهوديا صالحا.

وذكر أن موقف المسيحانيين من الصهيونيين بدأ فى التغير مع دخولهم فى عصر التنوير اليهودى (الهسكالاه)، حيث عارض المثقفون اليهود تحجر الدين، ووصاية الحاخامات، فاشتد الخلاف بين الاتجاهين، فلما قضت أحداث النازية - خلال الحرب العالمية الثانية - على المراكز التقليدية لليهود الأرثوذكسية حمَّل الصهيونيون مسئولية ذلك على الحاخامات الأرثوذكس المعادين للصهيونية، ولكن اليهود الأرثوذكس اتهموا الصهيونيين بأنهم المسئولون عن استفزاز النازيين ضد اليهود، حين ابتعدوا عن الموقف الشتاتى التقليدى لليهود، وقرروا أن أحداث النازية جاءت بمثابة عقاب من الرب؛ لانتهاك وصايا التوراة.

ولكن بعد احتلال الضفة الغربية وغزة سنة ١٩٦٧ طرأ تحول على مواقف معظم الأحزاب الدينية، حيث رأت فى هذه الحرب معجزة وإشارة ربانية لبداية الخلاص المسيحانى، سالكين فى هذا مختلف التأويلات.

١- فجاء تصريح أحد الزعماء الحسيديين - وهو الحاخام شبتورسون - مؤكداً أن دولة إسرائيل - ككيان صهيونى - هى تعبير عن الكفر والتمرد على إرادة الله؛ فهى - من هنا - ليست تعبيرا عن الخلاص، ولكنها - من ناحية أخرى - تنطوى على مغاز دينية ذات أهمية؛ ولذلك تدعو حركة هذا الحاخام - وهى حَبَد - إلى عدم التنازل عن أى من الأراضى التى احتلت سنة ١٩٦٧.

٢- وفى مقابل هذا الحاخام وجماعته نجد جماعة (ساطمار) تعارض هذا التفسير الحبدى، ويتساءل حاخامها: كيف يقف الرب بجوار دولة كافرة وملحدة لتنتصر فى الحرب؟ ولذلك.. نزع الحاخام (شاخ) عن إسرائيل أى قيمة مقدسة، فلا هى بداية الخلاص - كما تعتقد جوش إيمونيم - ولا هى مقدمة لبداية الخلاص كما تدعى أوساط (أجودات يسرائيل)؛ وليست أرض إسرائيل مقدسة فى حد ذاتها.

فالاتجاهات الدينية التقليدية - التى يجمعها العداء للطبيعة العلمانية للدولة، واعتبار إسرائيل نوعا من أنواع المنفى - تنقسم ثلاثة تيارات تختلف فيما بينها فى مواقف تتدرج من التعايش مع إسرائيل كدولة غريبة، إلى إضفاء صبغة دينية مجددة على دولة إسرائيل، ثم إلى إضفاء صبغة القدسية على الوجود اليهودى فى أرض إسرائيل.

وهذه التيارات اليهودية الأرثوذكسية (الحريدية) لا تتحرك وفقا لهدف تحويل إسرائيل إلى دولة شريعة؛ لأن دولة الشريعة لن تقوم إلا بمجىء المسيح المخلص، ولكنهم يطالبون باحترام الدولة للشريعة اليهودية، ويحاولون استغلال الدولة لدعم مشاريعهم الاجتماعية والاقتصادية والدينية والتعليمية.

ثم إنهم - بعد استجلاء اتجاهات اللعبة السياسية - ادركوا مقدار قوتهم، فبدأوا فى ممارسة نفوذ حاسم فى دولة إسرائيل اعتبارا من ١٩٩٠، وذلك بتحكمهم فى الائتلافات الحكومية، وإجبارها على الاستجابة لمطالبهم المتعلقة بتطبيق الشريعة اليهودية فى المجتمع، وتمويل أنشطتها الدينية والثقافية والتعليمية.

توجهات الأحزاب الدينية الغربية

ومن هذا التمهيد الكاشف دلف الدكتور الشامى إلى الفصل الأول (الأحزاب الدينية المسيحانية الأشكنازية) - أى الغربية - وهى أربعة أحزاب:

أولاً: الحزب الأول منها حزب (أجودات يسرائيل)، وهو منظمة عالمية دينية وسياسية لليهود المتشددين، تقوم على مبدأ (حل كل القضايا اليهودية وفقا لروح التوراة)، ويتشكل هذا الحزب من ثلاث جماعات رئيسية، هى:

أ) الأرثوذكسيون الألمان، ويتخذون لأنفسهم عادات الغرب، والزى واللغة الألمانيتين.

ب) الأرثوذكسيون الهنغاريون.

جـ) الأرثوذكسيون البولنديون والليتوانيون، ولم يأخذ هؤلاء بعادات الغرب ولا بوجهة نظر الأرثوذكسية الألمانية.

وفى سنة ١٩٤٨ تحولت تلك المنظمة إلى حزب يعمل فى إطار مؤسسات الدولة، والسلطةُ العليا، المرجعُ الدينى الأعلى فيه تتركزان فى أيدى ما يسمى (مجلس كبار علماء إسرائيل).

وخلافا للمفدال.. يلاحظ أن كافة زعماء ومؤسسى (أجودات يسرائيل) من الحاخامات اليهود. وقد شارك هذا الحزب فى جميع الانتخابات العامة التى جرت فى إسرائيل منذ تأسيسها.

ويتركز موقف هذا الحزب من القضايا الرئيسية فى إسرائيل فى المحاور التالية:

١- تأييد حل سياسى للمشكلة الفلسطينية، حتى لو كان بثمن (المناطق مقابل السلام).

٢- النضال ضد التدخل العلمانى فى الأحوال الشخصية، وضد تجنيد النساء فى الجيش، والعمل الدؤوب على استمرار إعفاء شباب المعاهد الدينية (اليشيفوت) من الخدمة العسكرية.

٣- الحرب من أجل الطهارة وصلاحية المأكولات وفقا للشريعة، والسعى للحصول على دعم من أجل استمرار التعليم المستقل.

٤- تأييد قانون (من هو اليهودى؟)

وهذا الحزب الذى يمثل القطاع الأكبر من معسكر اليهود الأرثوذكس (الحريديم) فى إسرائيل لا يتعاطف مع الكثير من مظاهر دولة إسرائيل كدولة علمانية، ولكنه سياسيا يسير مع من يعطى أكثر، سواء فى ذلك (المعراخ) أو (الليكود).

ثانيا: الحزب الثانى منها (عمال أجودات يسرائيل) وهو منظمة عمالية دينية فى إطار الحركة العمالية لأجودات يسرائيل، تهدف إلى إرساء الحكم الاجتماعى والاقتصادى على أسس التوراة وقوانينها وشرائعها، وتحولت هذه المنظمة إلى حزب سياسى مع إعلان قيام دولة إسرائيل.

ومواقف هذا الحزب السياسية ليست ثابتة؛ فهو يخضع فيها جميعها لمدى استجابة الحكم لمطالبه فى الشئون الدينية، والمعونات المالية.

وعلى الرغم من أنه حزب غير صهيونى... يلاحظ أنه كان متفتحا فى نظرته إلى الصهيونية، حتى إن علاقاته مع الصهيونية والمؤسسات الإسرائيلية كانت سببا فى حدوث أزمات عديدة بينه وبين حزب (الأجودات)؛ فهو يرفض فكرة (انتظار المسيح) التى ينادى بها (الأجودات)، ولكنه كيفها لتتفق مع مبادئه، فأعلن أن المسيح سوف يأتى إذا استحق اليهودى الخلاص فى الأماكن المقدسة.

ولذلك... يتضمن برنامجه: اعتبار (أرض إسرائيل) مركزا للشعب اليهود، ومعارضة إعادة الأرض المحتلة - أو إزالة المستوطنات اليهودية - ومعارضة قيام دولة فلسطينية.

ثالثا: الحزب الثالث حزب (أجودات يسرائيل الأورشليمية) وهو عبارة عن طبعة جديدة للصيغة السائدة للأرثوذكسية الدينية فى إسرائيل، وبتعبير أدق: طراز متطرف شمولى للصهيونية... وبصفة خاصة للصهيونية الدينية.

وقد مر هذا الحزب بأطوار عدة، تغير اسمه مع كل طور منها؛ ففى البداية أطلق عليه (أجودات يسرائيل الأورشليمية) ثم شباب أجودات إسرائيل (تسعيرى أجودات يسرائيل)، وأخيرا عرف باسم الطائفة المتشددة دينيا (هعيداه هحريديت)، حيث خضع لضغوط لمبادىء الاستيطان اليهودى (اليشوف) الجديد، فقبل الحكم باتخاذ العبرية لغة لإسرائيل، والدراسات العلمانية واللغات الأجنبية التى كان يحرمها (اليشوف) القديم، كما قبل رفع أشياء كثيرة من قائمة التحريم، مثل تحريم طلب الحيوانات، واستخدام المياه المتدفقة، والكهرباء يوم السبت.

رابعا: الحزب الرابع: حزب علم التوراة (ديجل هتوراه)، وهو الوريث الروحى للمعادين للحسيدية (المتنجديم)، وقد ظهر سنة ١٩٨٨ بزعامة الحاخام (إفراهام رافيتس).

ويمكن القول: إن حزب (ديجل هتوراه) يمثل الشق الأشكنازى لحركة (شاس) السفاردية فى القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وهو من أقل الأحزاب الدينية تطرفا، وقد ذهب رئيسه إلى حد الموافقة على قيام دولة فلسطينية منزوعة السلاح، واستعداده لتأدية التحية لعلم هذه الدولة، وليس الموافقة على الانسحاب من المناطق المحتلة فحسب.

توجهات الأحزاب الدينية الشرقية

وفى الفصل الثانى (الأحزاب الدينية المسيحية السفارية) استعرض الدكتور الشامى التوجهات الدينية والسياسية التى سيطرت على اليهود الشرقيين (السفارديم)، وقد أجمل ذلك فى مبحثين:

تناول فى المبحث الأول منهما أثر الاستقطاب الطائفى فى تنامى المد الدينى القومى فى إسرائيل؛ فذكر أن الصراع الناشب فى المجتمع الإسرائيلى يختلف عن الصراع الذى ينشب عادة فى المجتمعات الأخرى، فإذا كان المعتاد فى أى مجتمع أن يدور الصراع فى واحد من المحاور الثلاثة (صراع الأجيال - صراع الطبقات - صراع العقائد) فإن الصراع فى داخل إسرائيل نشأ من عوامل غير تلك العوامل المعهودة، وذلك لاختلاف تكون المجتمع الإسرائيلى عن تكون المجتمعات البشرية جمعاء.

فالمجتمع الإسرائيلى كيان مصطنع، يستمد مقوماته البشرية والمادية من الهجرة الوافدة من مختلف الأقاليم، ذات التنوعات الحضارية والثقافية واللغوية المتباينة، والتى لا تجانس بينها، بما تحمله من بذور الصراعات الدائمة، والخلافات الحادة، التى حددها الباحث الإسرائيلى (سمحا لنداو) فى أربعة أطر هى:

أ) العوامل السياسية (اليمين فى مواجهة اليسار).

ب) العوامل الطائفية (ذوو الأصل الشرقى (السفارديم) فى مواجهة ذوى الأصل الغربى (الأشكناز).

جـ) العوامل الدينية (المتدينون فى مواجهة العلمانيين).

د) العوامل الطبقية (الأثرياء فى مواجهة الجوعى).

ويستطرد هذا الباحث، مقررا: أن الخطر لا يكمن فى كل عامل من هذه العوامل على حدته، ولكنه يكمن فى حقيقة وجود ترابط بين هذه العوامل المختلفة حيث يوجد ترابط بين اليمينيين وذوى الأصل الشرقى، والمظلومين، حتى إنهم ليشكلون شريحة متميزة داخل المجتمع الإسرائيلى اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا، مما خصهم باسم (إسرائيل الثانية) تمييزا لهم عن الشريحة الأشكنازية التى يطلق عليها (إسرائيل الأولى).

الأمر الذى حدا بالسفارديم أن يطلقوا على أنفسهم (ساميخ طيت) المكونة من

الحروف الأولى للكلمة العبرية (سافردى ظاهور) أى نقى، كما يطلقون على الأشكنازيم (هازوزيم) أى الدللين.

وهؤلاء (السفارديم) لم يقوموا بدور يذكر فى الحركة الصهيونية، ولم يسهموا فى جهود إقامة الدولة اليهودية إلا بقدر ضئيل لا يكاد يذكر؛ فالدافعان الرئيسيان لهجرتهم هما: الاضطهاد الاقتصادى والسياسى، والتطلعات المسيحانية الغامضة التى بعثها تصريح (بلفور)، والإعلان عن قيام الدولة.

فعلى الرغم من تميزهم بهوية يهودية قوية... نجدهم يفتقدون الهوية القومية العلمانية، بخلاف الصهيونيين الغربيين.

وخلال المرحلة الأولى لم يكن الصراع الطائفى قد اتخذ بعدا سياسيا واجتماعيا واسعا، ولكن بعد حرب سنة ١٩٧٣ بدأت الهوة تزداد اتساعا بين (السفارديم) و (الأشكنازيم)، مما ترتب عليه انصراف (السفاريم) عن حزب العمل، ودعمهم أحزاب اليمين المتطرفة، المتمثلة فى حزب (الليكود).

وكان من أبرز مظاهر هذا التوجه من اليهود الشرقيين بتأثير الاستقطاب الطائفى ما يلى:

١- ظهور أحزاب دينية على أساس طائفى بعد ما نجحت الأحزاب الكبيرة فى إقشالها والتهامها، مثل حزب حركة تقاليد إسرائيل (تامى) برئاسة (أهارون أبو حصيرا)، وتضم صفوفه غالبية من يهود المغرب، وحزب حراس التوراة السفارديم (شاس)، وهو حزب دينى متشدد سفاردى.

ويرجع هذا البعث للأحزاب الطائفية إلى الانسحاب من الأحزاب (الأشكنازية) التى ظلمت (السفارديم)؛ حيث انسحبت (تامى) من (المفدال)، وانسحب (شاس) من (أجودات يسرائيل)، كما يرجع إلى إحساس (السفارديم) بأنهم قوة تصويتية هائلة، يمكن توجيهها للدفاع عن مصالح الجمهور (السفاردى).

٢- استغلال نزوع الشباب السفاردى للتطرف، حيث صورت الأحزاب الصهيونية نتائج حرب سنة ١٩٦٧ على أنها انتصار للمشروع الصهيونى الذى يقوم على الاحتلال، فرأى الشباب السفاردى فى هذا الاحتلال فتحا جديدا للفكر الصهيونى الذى تقفوا به.

حزب شاس بين البراجماتية والمثالية

وفى المبحث الثانى استعرض الدكتور الشامى نشأة حزب اتحاد حراس التوراة السفارديم (شاس) وتطوره، فذكر أنه شكل سنة ١٩٨٣ بزعامة الحاخام (عوفاديا يوسف). ويؤكد بحماس شديد قانون (من هو اليهودى؟) مع الحذر من المساس بالوضع الراهن، وخطه السياسى مغلف بالغموض؛ فعلى الرغم من اقترابه من (الليكود) نجده يلتزم بالإذعان لمجلس كبار علماء التوراة، الذى ينادى بالحل السياسى.

وهو - فى مناداته بالحل السياسى - لا يتعاطف مع الفلسطينيين، بل لأنه يدرك أن عقارب الزمن تدور فى غير صالح إسرائيل.

وقد تمكن (شاس) من ضرب جذوره فى المجتمع الإسرائيلى عن طريق تأسيس شبكة المنبع (همعيان) سنة ١٩٨٥ ذات الأربعمائة فرع فى مختلف البلاد، والتى يعمل بها مئات الحاخامات لتقديم خدمات اجتماعية وتربوية ودينية لنحو مائة ألف نسمة يوميا.

وهو يطالب بتشريعات دينية متعددة، مثل: تشديد الرقابة على الطعام المحلل، والقضاء على مظاهر الانحلال، وإقامة فرع خاص فى وزارة التربية والتعليم للحزب، وتخصيص موجة بث إذاعى خاصة بالمتدينين، وإلغاء تجنيد الفتيات فى الجيش، وإقرار قانون (التفويض) الذى يمنح الصلاحية لاتخاذ الإجراءات والقوانين التى تضمن حرمة السبت، وتحرير قانون (اعتناق اليهودية وفقا للشريعة)، وقانون (المحاكم الحاخامية) اللذان يلزمان كل معتنق لليهودية أن يمثل أمام لجنة من الحاخامات لتصادق على تهويده، وإلا فعليه إعادة طقوس التهويد.

ولما اشترك الحزب فى الائتلاف الحكومى بزعامة (رابين) اشتدت المواجهة بينه وبين العلمانيين، خصوصا حين هاجم (شاس) (شولاميت الونى) وزيرة التعليم، الممثلة لتكتل (ميرتس) فى حكومة (إسحاق رابين)، وطالب بإصرار على إقالتها، ولم تهدأ الأزمة إلا بعد اعتذار (شولاميت) عما بدر منها من أقوال اعتبرها المتدينون إهانة للتراث الدينى، ثم بعد إجراء تعديل وزارى أسندت وزارة التعليم فيه لعضو آخر من أعضاء (ميرتس).

ومع ذلك... أصيب حزب (شاس) بانقسام حاد بسبب ميله إلى تهدئة الأزمة، مما ترتب عليه ضعف الحاخام (شاخ) الزعيم السياسى للحزب بسبب تخبطه بين الاتجاه (البراجماتى) الذى يمثله حزب (أجودات يسرائيل) والاتجاه المثالى الذى يمثله (الحريديون) المتدينون، مما تسبب فى إبعاد (شاس) عن زعامة الحريديين.

البراجماتية تدفع جميع الأحزاب الدينية إلى الابتزاز

ومن التأمل فى توجهات الصهيونيين العلمانيين، وتوجهات الدينيين الغربيين، وتوجهات الدينيين الشرقيين ربط الدكتور الشامى - فى الفصل الثالث (الأحزاب الدينية فى إسرائيل من المساومة إلى الابتزاز) - بين السلوك السياسى للأحزاب الدينية فى إسرائيل، وبين السلوك اليهودى فى مجتمعات غرب أوروبا قبل إسرائيل، حيث سيطر على السلوكية مفهوم التوفيق والائتلاف؛ فقد طبعت الشخصية اليهودية - عند توقع الخطر - على ترك الخلافات الجوهرية جانبا، دون التخلى عنها، ثم تكتيل القوى للدفاع عن البقاء؛ فهم -

عندما كانوا يشعرون باشتداد العداء لهم فى أوروبا - يكتلون كل قواهم لدفع الخطر، فيبدون فى هيئة موحدة، يختفى وراءها تباينهم الفكرى والسلوكى والغائى، مهما اشتدت حدته. وهم كذلك فى ظل دولة إسرائيل، حيث أتاحت طبيعة الأحزاب الدينية لها القدرة على أن تلعب دورا فى سياسة التوفيق ليحقق كل حزب - بل كل فرد فى الحزب - بالمساومة أهدافه، متسللا تارة، وواضحا مباشرا تارة أخرى، دون حذر أو خجل من التناقض مع معتقده.

ومن تتبع الدكتور الشامى للمسلك السياسى فى إسرائيل.. تبين: أن السمة التى ميَّزت طبيعة النظام السياسى فى إسرائيل منذ سنة ١٩٤٨ إلى سنة ١٩٧٧ هى أن فن المساومة كان واضحا بين حزب (الماباى) والأحزاب الدينية، فقد ازدادت تبعية حزب (الماباى) الصهيونى للأحزاب الدينية فى أعقاب حرب سنة ١٩٧٣ التى هزت قوة (الصهيونية الاشتراكية) الحاكمة، المتمثلة فى (الماباى)، حيث أنشئت وزارة خاصة للأديان، وتم الاعتراف رسميا بالتيار الأرثوذكسى فى اليهودية، حتى سيطرت الأرثوذكسية اليهودية - بأجنحتها المختلفة - على جميع الشئون الدينية فى إسرائيل.

وبعد انتخابات سنة ١٩٧٧ أصبح الدينيون لسان الميزان فى تشكيل الحكومة الإسرائيلية، فانتقلت بذلك من مرحلة (المساواة) إلى مرحلة (الابتزاز) الصريح والعلنى للحزب الحاكم من أجل تحقيق مطالبها، كما يتضح من نتائج الانتخابات خلال سنة ١٩٧٧، وسنة ١٩٩٠، حيث برز الدور الابتزازى واضحا فى لعبة الحكم السياسى مع أزمة فبراير سنة ١٩٩٠ إثر طرح الثقة فى حكومة (شامير) وإسقاطها، فقد لعب الحاخام (اليعيزر شاخ) الزعيم الروحى لليهود المتشددين دورا حاسما فى هذه المناورة الابتزازية مستغلا المقاعد الثمانية التى كان يتحكم فيها، فنجح فى جعل (الليكود) يوافق على المطالب الدينية فى مقابل تمكين (الليكود) من تشكيل الحكومة، كما نجحت الأحزاب الدينية الأخرى (المفدال)، و(شاس)، و(ديجل هتوراه) فى توقيع اتفاقيات مشابهة، تضمنت تنازلات قدمها (الليكود) لها مقابل اشتراكها معه فى الائتلاف.

توجهات القوى الدينية غير الحزبية

ويقصد الدكتور الشامى بتلك القوى الدينية غير الحزبية، أولئك الذين يدورون فى محور الدين اليهودى من المتشددين منهم، مثل طوائف (اليشيفوت) ذوى الأصل الليتوانى والهنغارى، وطوائف (الحسيديم)، وما انبثق عنهم من (الحريديم)، وأولئك الذين يدورون فى محور الدين اليهودى ممن يقبلون طواعية بعض عادات الدين اليهودى بنسب متفاوتة.

أما طوائف المتشددين فتختلف فى موقفها من دولة إسرائيل ومؤسساتها، وتقف موقفا متحفظا تجاه أنماط الحياة فى المجتمع الإسرائيلى.

وأما (الحسيديم) وما يدور فى محورها ممن يحاربون تأثير الدين بأى صورة، ففيها توجد كل درجات التمسك الجزئية، والتساهلات فى مسائل التحريم والتحليل.

وهذه الطوائف - على تباينها الدينى - جماعات تعادى الصهيونية، وتكفر دولة إسرائيل، وتعيش فى عزلة (جيتوية) داخل المجتمع الإسرائيلى، وتضم الطائفة الحسيدية، والطائفة الحريدية، وطائفة (ساطمر) الحسيدية، وجماعة (نطورى كارتا)، ولكل طائفة منها توجهاتها الخاصة.

١- فالطائفة الحسيدية أبقت على ما أكده (بعل شيم طوف) بالنسبة لقيمة الصلاة والعبادة الشخصية، واحتقاره لمجرد دراسة التلمود والاطلاع عليه؛ ففى عالم الروح وحده يجد كل إنسان مراده، وكل عمل من أعمال الحياة الإنسانية يمكن اعتباره عملا مقدسا لو أمكن أداؤه فى مرح ونشوة.

وتحوى الحسيدية قدرا كبيرا من الخرافات، وكثيرا مما يتسم بالبدائية والسخف.

والشريعة الحسيدية ترى أن انتشار الحسيدية هو الذى سيعجل بمجىء المسيح، ويرى أحد زعمائها أن فلسطين هى الروح القدس، وقد أدى ذلك إلى هجرة الحسيديم لفلسطين لنشر الشريعة، ولإقامة مركز حسيدى فى فلسطين، وللرغبة فى التعجيل بالخلاص عن طريق الهجرة إليها.

وقد أسهمت فى إعداد بعض القطاعات اليهودية فى شرق أوروبا لتقبل أفكار الصهيونية.

والحسيدية واجهت معارضة عنيفة من اليهودية الأرثوذكسية التقليدية.

هذا إلى أنها لم تفرز تنظيما موحدا، فقد شكل أتباعها تجمعات محلية متعددة، من أشهرها: حسيدية (حَبَد)، وحسيدية (برسلاف)، وحسيدية (فشيحنا)، ولكل منها نهجها وشعارها ونشاطها التى تباين غيرها.

ويمكن القول: إن التطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى أصابت أوروبا والتجمعات اليهودية قد أدت إلى تعثر مسيرة الحركة الحسيدية فى عمومها؛ فانغلقت على نفسها، وزاد من تقوقعها صعود النازية، وقيام دولة إسرائيل، على الرغم من محاولات مفكريها صياغة مفاهيم معاصرة تسهم فى تجديد شبابها.

والتجمع المركزى الأول لحبد فى الولايات المتحدة، حيث يتبعها نحو ثلاثمائة فرع، تنتشر فى مائة وعشر مدن أمريكية، وتدير دارا للطباعة والنشر، وهى أكبر دار نشر يهودية فى العالم، وتمتلك صحيفة خاصة بها.

أما التجمع المركزى الثانى لها فهو فى إسرائيل، حيث يتبعها نحو مائة وأربعة وأربعين مركزا، وتضم آلاف الدعاة الحسيديين الذين يعملون فى أكثر من ثلاثين دولة، ويتمتع نشاط (حبد) فى إسرائيل بخصوصية بسبب ممارسته فى وسط يهودى.

ومع أنها حركة حريدية لم تقاطع دولة إسرائيل بعكس (الحريديم)، وتقف على رأس المنادين بتعديل قانون (من هو اليهودى؟)، وتؤيد فكرة (أرض إسرائيل كاملة)، وتدعو إلى سياسة حازمة تجاه العرب، وتمارس نفوذها فى إسرائيل من خلال ثلاث شخصيات رئيسية هم: الحاخام (شلومو مايديتستيك) رئيس لجنة كفر حبد، والذى يملك شبكة اتصالات واسعة، والحاخام (إفرايم وولف) وزير المالية فى البلاط الحبدى، والحاخام (شموئيل هيفر) الذى يعتبر بمثابة وزير للخارجية. وبالإضافة إلى هؤلاء يبرز الحاخام (ليفشيتس) قائد منظمة (النشيطون يد للأخوة).

ويدور نشاطها فى ثلاثة محاور، هى: محاربة الطوائف الغارقة فى التصوف والتطرف، ومحاربة ظاهرة تسرب الحريديين إلى المجتمع العلمانى، ومحاربة التبشير المسيحى.

ولما عاد الحاخام (شاخ) سنة ١٩٦٧ إلى الإنسحاب من المناطق المحتلة، هاجمه (شنيورسون) بعنف؛ تطبيقا لمفهوم (أرض إسرائيل كاملة)، فدأب (شاخ) على مهاجمة (حَبَد) بزعامة الحاخام (مناحم شنيورسون ميلوفافيتش) الذى يعارض بشدة منح الفلسطينيين حكما ذاتيا، قائلا: إن مجرد التحدث عما يتصل بالحكم الذاتى فيه تدنيس للرب وتدنيس للمقدسات على الرغم من أنه يقيم فى نيويورك، ولم يزر إسرائيل، حتى قال (يوسى ساريد) العضو اليسارى فى الكنيست سنة ١٩٨٨: إن من الجنون أن يتحكم هذا الحاخام – القابع فى كوكب آخر ولم يزر إسرائيل مرة واحدة فى حياته – فى مصير الحكومات الإسرائيلية من خلال سيطرته على طائفته؛ وذلك لأن المتابعين لحركة (حبد) يسودهم الاعتقاد بأن (مناحم) هو المسيح، ذلك الاعتقاد الذى لاقى معارضة شديدة فى جميع الأوساط العلمانية والدينية، والحسيدية، والحريدية.

ويوجد اليوم فى إسرائيل عشرات الجماعات الحسيدية أهمها: (حسيديو حبد)، و(وحسيديو بولندا)، و(وحسيديو هنغاريا)، وتقيم كل جماعة حسيدية منطقة سكنية خاصة بها، وتعتبر كل مجموعة حسيدية عالما مستقلا بذاته داخل المجتمع الحسيدى نفسه، وكون المرء حسيديا لا يعنى أن يكون متدينا فقط، إنما يعنى قبل كل شيء أن يكون عضوا فى جماعة حسيدية، تنظم له جميع شئونه الحياتية وتؤمنها له، منذ ميلاده حتى موته.

٢– والطائفة الحريدية هم اليهود المتدينون المغالون فى التشدد، الذين يعادون الصهيونية، ويكفرون الدولة، ويعيشون فى عزلة جيتوية، فهم ليسوا كالمتدينين العاديين الذين يرتدون الطاقية اليهودية (هاكيبا)، أو كالمتدينون التابعين للحزب الدينى القومى؛ فالحريديم – خلافا لهؤلاء جميعا – يرتدون ملابس ذات لون أسود، ويرتدون غطاء للرأس أسود أسفل قبعة سوداء، ويرسلون ذقونهم، ويعيشون فى جو القرون الوسطى، ويتحدثون (اليديش) لغة اليهود الذين كانوا يعيشون فى منطقة الاستيطان فى شرق أوروبا، وهم واثقون أنهم يملكون الحقيقة، وأن طريقهم هو الطريق الصائب، ويستخدمون وسائل الإكراه الدينى والتدخل فى حياة الآخرين؛ فكل الوسائل بالنسبة لهم مشروعة، يشنون حربا على الثقافة العلمانية، ويهاجمون دور السينما، وحمامات السباحة المشتركة، مما يثير عنفا مضادا من العلمانيين، ولكنهم يعتبرون ذلك حربا مقدسة فلا يرتدعون.

وهذه الطائفة ليست هيئة أوجهة، بقدر ما هى أسلوب وطريقة قائمة على مبدأ مقاطعة الدولة الصهيونية بعدم الاشتراك فى الانتخابات، وعدم تلقى الأموال من الصهيونيين وهى تقرن بين الشيوعية – كعقيدة ملحدة – وبين الصهيونية كعقيدة علمانية كافرة، نادى بها ملحد هو (هرتزل).

٣– وطائفة (ساطمر) الحسيدية من أكبر الجماعات الحسيدية فى العالم، ومقرها الرئيسى (فيلسبورج)، ويتزعمها الحاخام (من ساطمر).

ولأنه يرفض الصهيونية العلمانية، ودولة إسرائيل ذات الطابع العلمانى... تراه يرفض القول بأن حرب سنة ١٩٦٧ وما ترتب عليها إنما هو تعبير عن مساعدة الرب لشعب إسرائيل؛ لأن هذا الشعب مادام مارقا عن الدين فهو لا يستحق معجزة من الرب لمساعدتهم.

وهم يتهمون حركة (حبد) بأنها زمرة (مسيحانية) مغسولة الدماغ، تنقاد للبارديز، وقد شكلت أخيرا تنظيما محاربة (حبد) بقيادة الحاخام (يعقوب كوهين) أطلق عليه (حركة الائتلاف من أجل إزالة القناع عن تكتيكات ليوفافيتش). وطائفة (ساطمر) قليلون فى إسرائيل بسبب معاداتها للفكرة الصهيونية.

٤– وجماعة حراس المدينة (نطورى كارتا) انشقت عن حزب (أجودات يسرائيل) عندما قام ممثلون عن الحزب بالتفاوض مع المجلس الملى اليهودى الخاضع لنفوذ الحركة الصهيونية بغية التوصل إلى اتفاق بشأن إقامة حاخامية رئيسية موحدة فى فلسطين، والتفاوض كذلك مع حزب (المزراحى) الصهيونى للغرض نفسه.

وقد انبثق عنها أكثر من خمس جماعات تحمل الاسم نفسه، ولا تفترق واحدة منها عن الأخريات إلا فى رقم صندوق البريد، وهم جميعا يتفقون على معاداة الحركة الصهيونية، وعلى الانعزال عن دولة إسرائيل؛ لأنها ثمرة الغطرسة الآثمة، قامت على يد نفر من الكفرة الذين تحدوا مشيئة الرب، وانتهكوا العهود

الثلاثة التى قطعها اليهود للرب، وهى:

١- أن لا يسببوا الألم للأغيار الذين يقيمون بينهم.

٢- وأن لا يحاولوا احتلال أرض إسرائيل بالقوة.

٣- وأن لا يستعجلوا الأرض.

وهى تلزم من ينضم إليها بمقاطعة الدولة، فيهمل الاحتفال بيوم الاستقلال، ويصوم فى ذلك اليوم حدادا «حزناً»، وتلزمه بعدم الاشتراك فى الانتخابات، وعدم الانضمام إلى أى حزب أو مؤسسة تتلقى الدعم من الدولة، وعدم الإخلال بالمحرمات الدينية، وعدم مساعدة الدولة عن طريق الجمارك والضرائب، وعدم قراءة الصحف وعدم الاستماع إلى المذياع، وكذا عدم مشاهدة التليفزيون إلى غير ذلك من المحظورات.

وهذه الجماعة تعترف بحقوق الشعب الفلسطينى على كامل أرض فلسطين، وتبدى الاستعداد للعيش فى ظل سلطة فلسطينية، وتعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية، وقد احتجت على اعتراف المنظمة بدولة إسرائيل، واستاءت لذلك لشعورها أن ياسر عرفات قد خانهم بذلك.

وقد صرح الحاخام (موشيه هيرش) سكرتير الطائفة فى صحيفة (الواشنطن بوست) أكتوبر سنة ١٩٧٨ «بأن الصهيونية تتعارض تعارضا كاملا مع اليهودية»، وفى تصريحات أخرى قال: «إنه لا يجوز اتباع الضلالة والثقة بالحركة الصهيونية»؛ «فالصهيونية تدنيس للقدسية، ومناقضة للديانة اليهودية؛ لأنها تسيطر بالقوة وتضطهد الآخرين»، و«إن التوراة أمرتنا بالعيش بسلام مع جيراننا غير اليهود.»، وأنه «إذا كان هنالك اهتمام وحرص من جانب الصهيونية تجاه اليهود فعليها إصلاح الظلم الذى سببته للشعوب الأخرى.»

ولما سئل (بن جوريون) عن سبب عدم معاقبة الحكومة لأتباع هذه الطائفة؟ أجاب بقوله: «إن هناك صعوبة متزايدة باستمرار تكتنف عملية اتخاذ إجراءات بحق أناس تنبع أفعالهم من إيمان دينى عميق، وليسوا من مخالفى القوانين بالمعنى الاعتيادى المألوف... هذا إلى أن الأحزاب الدينية فى الائتلاف تتفق مع بعض مطالب (نطورى كارتا)، وستجد صعوبة فى البقاء فى حكومة يمكن أن تتخذ إجراءات مشددة ضد مجموعة تحارب من أجل الحفاظ على شريعة السبت».

تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى

وبعد: فتلكم هى أبعاد التباين الحاد فى بناء المجتمع الإسرائيلى، تقدم صورة الدولة الإسرائيلية فى واقعها، كما قدمها الدكتور رشاد الشامى مستقرئا تاريخ الفكر الصهيونى واليهودى، ومحللا السلوك العام، والسلوك السياسى فى داخل الدولة فى مواجهة المعتقد اليهودى على اختلاف المذاهب، وتعدد التفاسير والاتجاهات.

وقد وفق الدكتور الشامى فى إبراز أهم خصائص المجتمع الإسرائيلى التى نبه إليها القرآن الكريم فى المواطن العديدة من سوره، من حيث التباين الحاد فى العلاقات الفردية والاجتماعية، وما انبثق عن هذا التباين من استسلام تام للبراجماتية التى سادت الحياة فى الدولة الإسرائيلية، حتى لكأن الدكتور يقدم تفسيرا كاشفا لقوله تعالى فى وصف منافقى اليهود وكافريهم:

﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾(١).

فهم - وإن انضووا فى كيان الدولة - موزعون ممزقون فى فكرهم، وتطلعاتهم، ومنطلقاتهم.

ويبدو أن هذا النسيج العنكبوتى لمجتمعاتهم ولدولتهم فرض تبايناته واضطراباته الضبابية الكثيفة على الدكتور الشامى، فلم يستطع أن يخلص دراسته من هذا الاضطراب الضبابى فى استعراضاته، ولا أن يقيمه على جادة النهج البحثى، فاختلطت الفرق والمذاهب، وتشعبت به الاتجاهات، بما وقع فيه من تكرار صارف، واضطراب فى العناوين الرئيسية والفرعية، وقد وضح ذلك وضوحا بينا فى الباب الرابع [القوى الدينية (الحريدية) المعارضة للصهيونية]؛ فقد ذكر فى ص٢٤٤ أن هذه القوى تضم أربع طوائف، هى: الحسيدية، والحريدية، وطائفة ساطمر، وجماعة نطورى كارتا، وخص الفصل الأول للطائفة الحسيدية، وقدم فيه أربعة مباحث، قدم فى المبحث الأول نشأة الحسيدية واتجاهها، وفى المبحث الثانى قدم حركة (حبد)، وفى المبحث الثالث تحدث عن الحاخام (مناحم شنيورسون ميلوفافيتش) أحد زعماء (حبد)، وفى ص٢٩١ قدم المبحث الرابع بعنوان (الحسيدية فى إسرائيل)، وجعل الفصل الثانى بعنوان (الحريديم)، وفى المبحث الأول منه تناول الطائفة الثانية (الحريديم) وعرف بها، وفى المبحث الثانى منه ص٣١٣ قدم الطائفة الثالثة (طائفة ساطمر)، وفى المبحث الثالث ص٣١٥ قدم الطائفة الرابعة (جماعة نطورى كارتا)، وكان عليه أن يقدم هاتين الطائفتين فى فصلين ليحفظ للكتاب دقة التقسيم والتنسيق.

وإلى هذا وذاك... نلاحظ أن حرص الدكتور على دقة الصورة دفعه إلى سوق كثير من النصوص الدالة؛ فزاد من كثافة الضباب الذى أصاب الكتاب وأجهد المتلقى أيما إجهاد.

بيد أن أمانة الدكتور، ودقة الصورة التى قدمها، وما يغلب على عباراته وصياغاته من الصحة والسلامة... هى خير شفيع له، فالكتاب فى مجمله بحث طريف، جدير ببذل الجهد فى قراءته، والوقوف على مضمونه.

---

(١) الحشر (١٤).

المخابرات السرية الإسرائيلية
الموساد

للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

تُولى إسرائيل أجهزة مخابراتها، أهمية فريدة، باعتبارها أحد عناصر القوة، التى تكفل تأمين وجودها، وحماية أمنها ،وتوفير مختلف المعلومات التى تهم متخذى القرارات، وصانعى السياسات، وواضعى الاستراتيجيات على الأصعدة السياسية، والاقتصادية، والعسكرية، والأمنية، والعلمية، والتقنية. وتتكون المخابرات الإسرائيلية بصفة عامة، من ثلاثة أجهزة.

الأول: «جهاز الشين بيت»، وهو جهاز المخابرات والأمن الداخلى، ويتبع رئيس الوزراء، ويتولى مسئولية الأمن الداخلى، ومكافحة الجاسوسية، وكفالة الأمن الشخصى لرئيس الوزراء الإسرائيلى، وكبار رجال الدولة، وأمن أجهزة المؤسسة العسكرية الإسرائيلية، وأمن الأفراد، وتمتد مسئوليته أيضاً إلى أمن الموانىء والمطارات، والمؤسسات العلمية والتقنية والصناعية، ومقاومة أعمال الشغب والتخريب، والعمليات الإرهابية.

والثانى: جهاز المخابرات العسكرية ويتبع رئيس أركان الجيش الإسرائيلى، وهو مسئول عن أمن القوات المسلحة، ومنشآتها، والحصول على المعلومات العسكرية، والاقتصادية، والجغرافية، خاصة المتعلقة بالدول العربية، وتقدير المواقف العسكرية فى السلم والحرب، وتقييم معلومات المخابرات الداخلية، وتطوير، وحماية شفرات الاتصالات للخدمة السرية العسكرية، ويعتبر هذا الجهاز عنصراً هاماً من عناصر «وزارة الدفاع الإسرائيلية»، وجزءاً رئيسياً من هيئة الأركان العامة «لقوات الدفاع الإسرائيلية».

والثالث: جهاز المخابرات السرية الإسرائيلية، المعروف باسم «الموساد»، ويتبع رئيس الوزراء الإسرائيلى، وهو مسئول عن عمليات المخابرات السرية الخارجية، وهو يماثل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (C.I.A) فيما تقوم به من مخابرات خارجية، كما يقوم هذا الجهاز بالأعمال الرديئة مثل الاغتيال، والقتل، والاختطاف، وتمتد مسئوليته إلى إنشاء شبكات التجسس فى معظم البلاد الأجنبية، وفى هذا الإطار يأتى على رأس أجهزة المخابرات الإسرائيلية الثلاثة «لجنة مديرى أجهزة المخابرات»، أو ما تسمى «فاعادات»، وهى الهيئة المركزية لأجهزة المخابرات الإسرائيلية، وتتولى تنسيق مختلف أنشطة المخابرات، داخل وخارج إسرائيل. وتتكون «فاعادات» من مدير الموساد ـ الذى يترأسها ـ ومدير المخابرات العسكرية، ومدير الشين بيت، والمفتش العام للشرطة، والمدير العام لوزارة الخارجية، ومدير مركز البحوث والتخطيط السياسى بوزارة الخارجية، ومستشارى رئيس الوزراء للشئون السياسية، والعسكرية، والمخابرات والإرهاب، وتعقد «فاعادات» اجتماعها، كل أسبوعين، حيث يقدم كل مدير من أجهزة المخابرات تقريراً حول نشاط جهازه الذى يشرف عليه، خلال هذه الفترة.

ويعتبر رئيس الموساد بحكم رئاسته «فاعادات»، مسئولاً أمام رئيس الوزراء الإسرائيلى مسئولية مباشرة. ومن ناحية أخرى يتولى قسم البحوث الخارجية بوزارة الخارجية الإسرائيلية، إجراء تحليل وتقييم سياسى لكافة المعلومات التى يتلقاها من جميع أجهزة المخابرات، سواء من خلال تقارير سفارات الدول الأجنبية فى إسرائيل، أو من خلال تقارير السفارات والقنصليات، والمكاتب الفنية الإسرائيلية فى الخارج، ويقدم لأجهزة المخابرات والأمن الإسرائيلية، ما يتوصل

إليه من تحليل وتقييم للمعلومات التى تساعدها فى مجال التخطيط السياسى والعسكرى، والأمنى.. وجدير بالذكر فى هذا السياق أن المخابرات السرية الإسرائيلية «الموساد» كانت تمارس عملياتها السرية قبل قيام الكيان الصهيونى فى فلسطين، فى شكل وحدة مخابرات باسم «الشاى» أو ما يسمى بالعبرية «شيروت يدعون» التى كانت تمثل آلية التجسس للقوات السرية الصهيونية «الهاجاناه» خلال سنوات الانتداب البريطانى على فلسطين، وحتى إعلان قيام الكيان الإسرائيلى عام ١٩٤٨، ومما يجب لفت النظر إليه أن جهاز «الشاى» قد أسهم بدرجة كبيرة فى التمهيد لقيام الكيان الصهيونى، إذ كانت أهدافه هى العمل على تطوير قيام دولة لليهود فى فلسطين، والتسلل إلى مؤسسات الانتداب البريطانى لتقييم الموقف البريطانى من الحركة الصهيونية، واختراق المؤسسات العربية المناهضة للصهيونية فى فلسطين، والدول العربية الأخرى لمعرفة مواطن القوة والضعف فيها، والعمل على إضفاء طابع أمنى على الهجرة اليهودية غير القانونية إلى فلسطين، والسيطرة على العناصر المتطرفة من الطوائف اليهودية فى فلسطين، والخارج لتأمين تيار متدفق من الهجرة إلى فلسطين.

ومع ترسخ أقدام إسرائيل فى فلسطين التاريخية، وتدفق تيار الهجرة اليهودية إليها، وإقامة المؤسسات السياسية والاقتصادية والعسكرية، تطور التنظيم الإدارى للموساد واتخذ شكله الحالى.

وفى إطار هذا التنظيم الحالى للموساد، يقوم رئيس الوزراء الإسرائيلى بتعيين المدير العام لجهاز المخابرات السرية الإسرائيلية، ويُذْكَرُ أنه قبل التحاق الضباط الجدد بالموساد يتم تدريبهم على العمليات السرية الخارجية، من خلال منهج دراسى وميدانى لمدة ٤ شهور فى إطار دورة تدريبية، تستغرق عامين، وتضم كل دورة من ٤٠ إلى ٥٠ ضابطا. ويُرسَلُ المتفوقون من الضباط إلى الجامعات فى الخارج لدراسة بعض التخصصات التى تعينهم على أداء الخدمات السرية الخارجية بكفاءة، ليَتَعَلَّمْ بعض اللغات الأجنبية، ومن جهة أخرى قد يستغل الموساد هؤلاء المبعوثين من الضباط للقيام ببعض العمليات السرية تحت غطاء الدراسة فى هذه الجامعات الأجنبية، كما يقوم الموساد أيضاً بعقد

دورة تدريبية لمدة ٩ شهور كل عام، لتعليم الضباط اللغة العربية، لأن إجادة كل ضابط فى جهاز الموساد للغة العربية بات أمراً ضرورياً فى ظل محيط عربى معادٍ. وتعتبر عملية جمع المعلومات الخارجية، سواء عن الدول المعادية لإسرائيل أو حتى الصديقة، من صميم عمل جهاز المخابرات السرية الإسرائيلية، ويحرص هذا الجهاز على جمع المعلومات عن حالة الجيوش العربية، من ناحية تنظيمها، ومستوى تسليحها، وأنواع أسلحتها التقليدية، وفوق التقليدية، ومعداتها، ومنشآتها العسكرية، حتى يمكن لإسرائيل مواجهة كل جيش عربى بالسلاح الذى يفوق سلاحه، لتحقيق النصر فى أى صدام مسلح، كما يرصد الموساد النشاط الاقتصادى العربى مع مختلف بلاد العالم، خاصة ما يتعلق بصفقات شراء الأسلحة المتطورة من البلاد المتقدمة تكنولوجياً، ومحاولة بذل الجهود لإثناء هذه الدول عن إتمام هذه الصفقات، أو حتى محاولة إقناعها بمنع إمداد العرب بأى سلاح متطور، قد يكون مصدر تهديد لأمنها. ويحرص الموساد على إقامة قنوات اتصال مع الجاليات اليهودية فى الخارج، إذ يرى فيهم منبعاً لا ينفد من المعلومات التى يمكن أن يحصل عليها لتساعده فى عملياته السرية، مع إمكانية تجنيد عدد كبير منهم للعمل لصالح إسرائيل كعملاء، وجواسيس. كما يستغل الموساد المهاجرين من يهود البلاد العربية فى تجنيد بعضهم كعملاء سريين، وجواسيس، بعد تغيير مظهرهم، وتزويدهم بوثائق وجوازات سفر بأسماء ووظائف جديدة، للعمل تحت أى غطاء تجارى أو سياحى، أو دبلوماسى فى البلاد العربية. وجدير بالذكر أن عملية تجنيد العميل السرى تمر بأربعة مراحل:

الأولى: مرحلة اختيار وفرز العميل.

والثانية: مرحلة تدعيم العلاقات مع العميل، والوقوف على نقاط الضعف فيه، كميله للنساء، وحبه للميسر، وحرصه على جمع المال، لاستغلالها كعوامل مساعدة فى تسهيل تجنيد العميل.

والثالثة: مرحلة تدريب العميل على كيفية الاتصال بالآخرين، والكتابة بالحبر السرى، واستخدام الشفرة واللاسلكى.

والرابعة: مرحلة تشغيل العميل، وقيامه بجمع المعلومات التى يريدها

الموساد. والعمل في الموساد في الخارج من خلال ما يسمى «الواجهات» التي تتمثل في السفارات، والقنصليات، والشركات، ومكاتب السياحة، والمراكز الثقافية، والطيران والملاحة، وبعثات المشتروات، وهي تعتبر ستاراً يستتر خلفه أفراد الموساد، وعملاؤه السريُّون لتغطية ما يقومون به من نشاط سري معادٍ في البلاد الأجنبية، وتذكر من هذه «الواجهات» على سبيل المثال: شركة «ديزنجوف للتصدير والاستيراد»، وشركة «أنكودا للمواد الزراعية والحيوانية» وشركة «سوليل بونيه للمقاولات» وشركة «زيفيت للاستثمارات الهندسية» وشركة «لو هافيت لصيد الأسماك».. واللافت للنظر أن ضباط المخابرات في الموساد الذين يعملون تحت غطاء دبلوماسي يقومون بتنظيم تبادل المعلومات مع وكالات المخابرات في البلاد التي يمثلون فيها إسرائيل، ويديرون الاتصالات، ويوجهون العملاء السريين نحو الأهداف التي يريدونها. ومن جهة أخرى يقوم الموساد بمحاولات التجسس التقني والعلمي والصناعي في العديد من دول العالم، حتى داخل الولايات المتحدة الأمريكية ذاتها، فيذكر «ستيفن جرين» في كتابه «الانحياز».. «أن الإسرائيليين يهتمون بصفة خاصة في عملياتهم السرية والعلنية بالحصول على المعلومات التقنية والعلمية، بما في ذلك محاولات التجسس على بعض المشروعات الدفاعية، والعسكرية التي يمكن تصنيفها في إطار منظومة أسرار الدولة في الولايات المتحدة الأمريكية».. كما يذكر أحد العملاء السابقين لجهاز الموساد، ويُدْعَى «فكتور أوستروفسكي» في كتابه: «عن طريق الخداع» المنشور عام ١٩٩٠.. «إن إسرائيل تحتفظ بعدد من العملاء السريين في الولايات المتحدة الأمريكية، ينتمون إلى وحدة مخابرات سرية تُعْرَف باسم «عال» تتخذ من واشنطن ونيويورك ساحة لعمليات التجسس».. ويُذْكَر أيضاً في هذا الصدد قيام مواطنَيْن أمريكيَّيْن يهوديَّيْن بالتجسس لصالح إسرائيل، هما: «جوناثان بولارد» وزوجته «آن هندرسون»، واعترف «بولارد» بسرقته ما يزيد على ١٠٠٠ وثيقة سرية، وأكثر من ٨٠٠ تقرير سري أمريكي، تتضمن الكثير من أسرار أمريكا النووية، بالإضافة إلى حصوله على العديد من الدراسات الخطيرة، والصور الفوتوغرافية

المهمة التي تم التقاطها عبر الأقمار الصناعية.. وفي هذا الشأن قال وزير الدفاع الأمريكي حينئذٍ «كسبار واينبرجر»: «إنه من الصعب تصور مبلغ الضرر الفادح الذي سببه المتهم «بولارد» للأمن القومي الأمريكي، نظراً لسعة المعلومات، وأهميتها الخطيرة للولايات المتحدة، ومدى الحساسية البالغة للمعلومات التي باعها لإسرائيل».. ولا شك أن هذا يكشف المبدأ الذي تتمسك به إسرائيل لتحقيق ما تريد، وهو.. «أن الغاية تبرر الوسيلة».. مهما كانت العلاقات الوثيقة التي تربطها بالولايات المتحدة أو غيرها من الدول الأخرى، بل يشير أحد التقارير التي أعلنتها وكالة الرقابة في الكونجرس الأمريكي، والذي نشر في ٢٢/٢/١٩٩٦ في واشنطن إلى أن إسرائيل تستخدم عمليات التجسس للحصول على معلومات اقتصادية وتكنولوجية أمريكية سرية، كما أكد هذا التقرير قيام عدد من الإسرائيليين بمحاولة سرقة التكنولوجيا الحساسة في الولايات المتحدة. وفي ظل أجواء التوتر التي تُخَيِّم على الشرق الأوسط الآن، تسعى الموساد إلى توثيق عرى التعاون مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، بسبب المخاوف التي تسيطر على إسرائيل، في الوقت الراهن، من احتمال قيام العراق بهجوم بالأسلحة الكيماوية، والبيولوجية ضدها، خاصة بعد حدوث الحرب الأمريكية البريطانية ضد العراق، لذلك فإن إسرائيل تعتمد على هذين الجهازين السريَّيْن في مدها بأية معلومات تساعدها على درء أية أخطار يمكن أن تنجم من تعرضها لأي هجوم صاروخي عراقي، كما ترددت مؤخراً أنباء في الصحافة الإسرائيلية حول تسلل أفراد من الموساد، بالتنسيق مع وحدات من الكوماندوز الأمريكية إلى داخل العاصمة العراقية بغداد لاستكشاف قواعد إطلاق صواريخ «سكود» وإعلام هذه الوحدات الأمريكية بأماكن تواجدها لضربها، وهذا ما يؤكده رئيس الوزراء الإسرائيلي «آرئيل شارون» حول التعاون والتنسيق الأمريكي الإسرائيلي في مجال التجسس بقوله: «إن التنسيق الاستراتيجي الأمريكي - الإسرائيلي وصل إلى مستوى غير مسبوق على الإطلاق في الفترة الحالية».

***

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم
عادل رفاعي خفاجة

ماذا بعد سقوط العراق؟

تابعنا بكل الحزن والأسى سقوط العراق الشقيق، ومازالت السرعة والطريقة التي استسلمت بها بغداد لغزاً يحير العقول، وكان الله في عون شعب العراق.

بعدها مباشرة بدأت أمريكا تشن التهديدات ضد سوريا الشقيقة، وتكيل لها العديد من الاتهامات، فهي الجار المباشر للعراق، وعليها أن تكون قد تعلمت الدرس مما حدث لجارتها، والله - سبحانه وتعالى - وحده يعلم ما في الجعبة الأمريكية من نوايا ومخططات لهذه المنطقة من العالم!

والآن: ما واجب الدول العربية تجاه هذه المأساة وما الدروس المستفادة مما حدث؟!

هل اتخذت أمريكا قرارها بالعدوان على العراق وأقدمت علي شن تلك الحرب إلا لكونها أغنى وأقوى دولة في العالم؟

وهل أصبحت أمريكا أقوى وأغنى دولة في العالم إلا بالعلم والعمل الجاد؟!

علينا أن نعي أنه:

إذا كان العرب يريدون خيار الحياة الحرة الكريمة فعليهم اليوم وليس غداً أن يتناسوا مشكلاتهم البينية - التي ضخموها أكثر من اللازم - لأنها معول هدم قوتهم وأساس فرقتهم

وعليهم أن يبدأوا بالعمل الجاد والاعتماد على الله القائل:

﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾.

[الكهف / ٣٠]

وعليهم أن يبدأوا جادين في تحقيق السوق العربية المشتركة والبدء الفوري في إزالة كل العقبات التي تقف حائلاً دون تحقيق النشاط التجاري فيما بينهم.

وعلينا أن نفضل المنتجات العربية دون غيرها حتى مع تواضع مستواها، ولتكن تلك أولى الخطوات، تعقبها خطوات أخرى لتحقيق الوحدة الاقتصادية المنشودة.

كما أن الاهتمام بالثقافة والعلوم، وإصلاح نظام التعليم هو الطريق السليم لتكوين مواطن قادر على التفكير العلمي لحل المشاكل التي تجابهه، فإن الشعوب الأقوى علمياً واقتصادياً هي فقط التي سيكتب لها الحياة الحرة الكريمة، أما من يتخلف عن ركب العلم والعمل فلا يلومن إلا نفسه.

ورحم الله شعراءنا فمن قائل:

إذا العلم لم يعضده جاه وثروة
فصاحبه في القهر يمسي ويصبح

ومن قائل:

أخو العلم حي خالد بعد موته
وأوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميْتٌ وهو ماشٍ على الثرى
يُظنُّ من الأحياء وهو عديم

وصدق الله القائل:

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

[الزمر / ٩]

إن علينا أن نوجه وسائل الاعلام لخدمة قضايا الشعوب العربية، والابتعاد عن الشعارات الجوفاء الرنانة فقد دخلنا المرحلة الحرجة التي لا يفيد معها إلا الوضوح وعرض الايجابيات والسلبيات في شتى المجالات حتى نستطيع أن نعالج نقاط الضعف ونعرف قدراتنا الحقيقية.

ولضمان تنفيذ ماسبق يجب ألا ننتظر إجماعاً عربياً ولنبدأ بأي عدد من الدول وسوف ترى باقي الدول الشقيقة النتيجة الإيجابية - بإذن الله - فتحذو حذو شقيقاتها.

المهم ألا تظل القرارات مجرد حبر على ورق والأهم أن نبدأ في التنفيذ، أما الوصول إلى غاية التعاون والتنسيق فهذا سيأتي بالتدريج.

اللهم إنا نعوذ بك من علم لاينفع ومن العجز والبخل والكسل، ونسألك التوفيق والرشاد ... آمين.

عادل خفاجة

وإلى رسائل القراء: ←

احتفاءً بذكرى مولد الرسول ﷺ تلقى بريد المجلة الكثير من الرسائل حول هذه المناسبة العطرة، نقدم بعضاً منها شاكرين لكل من أسهم بالكتابة في هذا الموضوع.

مولد النور

الرسالة الأولى وردت من فضيلة الشيخ/ محمد محمود حمودة، وكيل معهد كرداسة، يقول فيها:

الحمد لله الذى ملأ الوجود نورا بمولد رسول الله ﷺ وعطر الكون بذكراه وشرفه بالخطاب فى قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾

[الأحزاب/ ٤٥: ٤٨]

فإن أسعد لحظة فى تاريخ الكون هى تلك اللحظة المباركة الميمونة التى ابتهجت فيها الأرض والسماء بما ملأهما من نور وضياء حين أشرقت على الوجود كله طلعة خاتم النبيين.

فما أسعد الذين شهدوا النور عندما أشرق النور، لقد سعدوا حقا بما رأت أعينهم وبما أدركت أحاسيسهم ومشاعرهم فتلك آمنة بنت وهب أكمل سيدات بنى هاشم...، وكم بدا لها من حقائق وكم ظهر لها من أسرار تجلى أمام عينيها من مشاهد فى الكون قريبة وبعيدة أبصرتها على ضياء وليدها الأعظم. فيالها من إشراقة خالدة لم يزل يفوح شذاها.

وُلد ﷺ فى مطلع الصبح يوم الاثنين الثانى عشر من شهر ربيع الأول فليس عجيبا أن يبتهج المسلمون بشهر الإنعام الإلهى وإسعاد النفوس المؤمنة بذكرى الميلاد المحمدى لأنه لم يكن ميلاد فرد واحد ولا شعب واحد وإنما كان ميلاد أمة.

سيدى يا رسول إننى حينما أردت الكتابة فى ذكرى ميلادك شعرت أننى اقتربت من الشمس الساطعة وليس على المحب لوم إذا ما حاول الاقتراب من حبيبه.

سيدى يا رسول الله إنك بشر مثلنا ولكنك المثل الأعلى رجولة وقوة وشبابا لقد عاشت الإنسانية قبل البعثة المحمدية حينا من الدهر فى ظلمة الشرك والوثنية وكانت حياة الجميع فى تفرق وعصبية وكفر وهمجية وظلم واستعباد فأنعم الله على العالم بأنوار محمد ﷺ صاحب الأصل العريق الطيب الطاهر.

مولد الرحمة والنور

وكتب القارئ الفاضل/ عبدالهادى سليم - منشأة الجمال - الفيوم:

كلما أتى شهر ربيع الأول تذكرنا معه ذكرى مولد الرحمة المهداة والنعمة المسداة سيدنا محمد ﷺ الذى أرسله ربه رحمة لكل المخلوقات فقال تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾.

[الأنبياء/ ١٠٧]

يقول القاضى عياض فى كتابه الشفا حول معنى هذه الرحمة: يقول أبوبكر محمد بن طاهر: زين الله - تعالى - محمداً ﷺ بزينة الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق، فمن أصابه شىء من رحمته فهو الناجى فى الدارين من كل مكروه والواصل فيهما إلى كل محبوب.. فكانت حياته رحمة ومماته رحمة كما قال ﷺ: «حياتى خير لكم ومماتى خير لكم تعرض على أعمالكم فإن وجدت خيرا حمدت الله وإن وجدت غير ذلك استغفرت لكم» وكما قال ﷺ: «إذا أراد الله رحمة بأمة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا» رواه القاضى فى الشفا.

[والفرط بفتح الفاء والراء هو الذى يتقدم الواردين فيهيىء لهم ما يحتاجون إليه] وقال السمرقندى: «رحمة للعالمين» يعنى للجن والإنس. وقيل لجميع الخلق: رحمة للمؤمنين بالهداية، ورحمة للمنافق بالأمان من القتل، ورحمة للكافر بتأخير العذاب. وقال ابن عباس - رضى الله عنهما -: هو رحمة للمؤمنين والكافرين إذ عوفوا مما أصاب غيرهم من الأمم المكذبة. وإذا كان ﷺ رحمة لهؤلاء جميعا فإنه أيضا رحمة للملائكة فقد أورد القاضى فى الشفا أن النبى ﷺ قال لجبريل عليه السلام: «هل أصابك من هذه الرحمة شىء؟» قال: نعم، كنت أخشى العاقبة فأمنت لثناء الله عز وجل علىَّ بقوله:

﴿ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾

[التكوير/ ٢٠: ٢١]

وفى معنى قوله - تعالى -:

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ ﴾

[النور/ ٣٥]

قال القاضى عياض: عن كعب الأحبار وابن جبير: المراد بالنور الثانى هنا: محمد ﷺ وقوله - تعالى -: ﴿ مَثَلُ نُورِهِ ﴾ أى نور محمد ﷺ وقال سهل بن عبدالله: المعنى الله هادى أهل السموات والأرض. ثم قال: مثل نور محمد إذ كان مستودعا فى الأصلاب كمشكاة صفتها كذا. وأراد بالمصباح قلبه، والزجاجة صدره: أى كأنه كوكب درى لما فيه من الإيمان والحكمة، يوقد من شجرة مباركة: أى من نور إبراهيم عليه الصلاة والسلام. وضرب المثل بالشجرة المباركة، وقوله: يكاد زيتها يضىء.

أى تكاد نبوة محمد ﷺ تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت. فهنيئا لنا بمولد الرحمة والنور ﷺ.

الأزهر عبر العصور

أما القارئة أمل أحمد عمر خالد - ليسانس آداب تاريخ ـ جامعة المنيا - ديروط ـ أسيوط ـ التي تشارك لأول مرة.. فنقول لها أحسنت وننتظر المزيد.. ونقدم جانباً مما كتبته حيث تقول:

كان الأزهر ولم يزل نبض وروح الشارع المصرى منذ قديم الزمان، فمنذ أن تم بناؤه فى العصر الفاطمى وحتى عصرنا الحاضر وهو منارة للعلم بجانب كونه دارا للعبادة.. وقد حظى علماء ومشايخ الأزهر بمكانة عظيمة فى المجتمع المصرى، فقد كانوا حلقة الوصل بين الحكام والمحكومين، ومن خلاله كان العامة يحصلون على حقوقهم المسلوبة من الحكام الظالمين ومن هنا صار الأزهر مقرا للثورة على الحكام الظالمين ولاسيما فى أواخر القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر، ولعل ذلك مما رفع من مكانة الأزهر وجعل له الكلمة النافذة فى تلك الفترة، ولذا فما من غاز حاول غزو مصر إلا وحاول احتواء الأزهر بقدر الإمكان كى يضفى بذلك على غزوه لمصر واستيلائه عليها طابع الشرعية.

لقد تولى الأزهر مهمة الإعداد والتخطيط لثورة القاهرة الأولى (١٧٩٨م) والتى كانت من أقوى الثورات التى حدثت آنذاك، كما كانت بمثابة البداية لسلسلة الثورات التى توالت فيما بعد، فقد قامت من الأزهر أيضا ثورة القاهرة الثانية (١٨٠٠م).

هكذا كان الأزهر رافضا لأى تدخل أجنبى فى شئون مصر مهما كانت العواقب، هذا ولم ينته دوره عند خروج الحملة من مصر، بل أخذ دوره يتطور ويزداد أهمية ليظهر مرة أخرى فى ثورة من نوع جديد كانت رمزا للمؤاخاة فى عام (١٩١٩م) وقد ضربت تلك الثورة أروع مثال للمؤاخاة والمساواة بين المسلم والمسيحى على أرض مصر تحت لواء الأزهر.

وللأزهر دور بارز فى وقت الأزمات التى مرت بها مصر والعالم العربى أجمع، وأخيرا كان دوره المعاصر تجاه العراق وما حلت به من كارثة، فقد تزعم المظاهرات لمساندة شعب العراق والدفاع عن حقوقه بالإضافة لعقده للمؤتمرات والندوات لمناقشة المشكلة ومعرفة النوايا الحقيقية للحرب الأنجلو ـ أمريكية على العراق مجاهدا فى الوقوف بجوارها، ولعل البيان الأخير الذى أصدره. مجمع البحوث الإسلامية بضرورة وقوف كافة الدول والبلدان العربية بجانب العراق وشعبه، مستنكرا الحرب الأنجلو ـ أمريكية على العراق، مما زاد من مكانة الأزهر.

.. وسيظل الأزهر رمزا لرفعة الإسلام والمسلمين والحصن المنيع المدافع عن قيمنا وفضائلنا وشخصيتنا الإسلامية. بمشيئة الله تعالى.

من سلفنا الصالح

الإمام الكسائى.. إمام الكوفة

وكتب إلينا الأديب الفاضل / فرج مجاهد عبدالوهاب. هذه الكلمة الموجزة عميقة المعنى يقول فيها:

من تعلم كتاب الله ـ تعالى ـ ثم اتبع ما فيه هداه الله من الضلالة ووقاه يوم القيامة سوء الحساب، فحملة القرآن العاملون به ولم يتخذوه بضاعة يسقى الله بهم الغيث، ويتنزل النصر ويدفع البلاء، وعن النبى ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه». البخارى (٤/١٩١٩).

قال الإمام أبوعبدالرحمن السلمى: هذا الذى أقعدنى مقعدى هذا، يشير إلى كونه جالسا فى المسجد الجامع بالكوفة يعلم القرآن ويقرئه مع جلالة قدره وكثرة علمه.

وظل يقرئه الناس القرآن بمسجد الكوفة أكثر من أربعين سنة وعليه قرأ الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.

ومن الرجال الذين خدموا القرآن الإمام أبوالحسن على بن حمزة بن عبدالله الكسائى الكوفى، إمام الناس فى القراءة فى زمانه وأعلمهم بالقراءات والنحو ولغة العرب، كان يجلس ويقرأ على الناس وهم يسمعون ويضبطون عنه حتى المقاطع والمبادىء، وكان ذا كرم وجاه، أدب الخليفتين: الأمين والمأمون.

وقد اشتهر فى أخذ القراءة عنه راويان كريمان: أحدهما: أبوالحارث الليث بن خالد البغدادى وكان ثقة فيما بالقراءة ضابطا لها محققا وكان من جلة أصحاب الإمام الكسائى. وثانيهما الدورى وهو أبوعمر حفص بن عمر الدورى وكان إمام القراءة فى عصره ثقة ثبتا ضابطا كبيرا وهو أول من جمع القراءات. وهذان الراويان رويا عن إمامهم مباشرة بلا واسطة، فضلا عن أن هناك الكثير من الرواة الذين يضيق المقام لحصرهم.

وقد انتقل إمام الكوفة ـ رحمه الله ـ الإمام الكسائى إلى جوار ربه سنة ١٨٩هـ بقرية دنبوية من قرى الرى أثناء توجهه مع الخليفة الرشيد إلى خراسان عن عمر يناهز السبعين عاما قضاها مع الله ـ تعالى ـ ومع كتابه الكريم يقرأ القرآن ويعلمه الناس ويأكل من عمل يده شأنه فى ذلك شأن جميع من خدموا القرآن والعلم من سلفنا الصالح.

نعتذر للسادة القراء لعدم نشر رسائلهم كاملة، وذلك حرصاً من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من القراء. ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق فى اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها. كما نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم ونواصل نشرها تباعا بمشيئة الله

من إبداعات القراء :

أما عن الانتاج الشعرى فقد انقسمت مشاعر القراء فجاء بعضها عن ذكرى مولده ﷺ وجاء البعض الآخر عن مجابهة الظلم والاحتلال الذى يعانى منه شعبى فلسطين والعراق، نقدم منها هذه الأبيات :

يا خير من قد سرى

أ/ نجاح عبدالقادر سرور - كفر بولين - البحيرة

عفوا حبيبى سال الدمعُ رقراقا	يا مَنْ رفعتَ لواءَ الحمد خفاقا
الروحُ هامت بكم والقلبُ منفطر	والشوق للمصطفى كلَّ المدى فاقا
من لم يذق حبا للمصطفى أبدا	لو قال ذاق الهوى.. والله ما ذاقا
نهر الهوى داخلى قد فاض من شجنى	وقد صفا داخلى حبا وقد راقا
يا خيْر مَنْ قد سرى فوق الثرى خُلقا	هذا قصيد الهوى قد غاص أعماقا
يا حب قلبى الذى تُرجى شفاعتهُ	اقبل رسول الهدى حبا وأشواقا
قرآننا - سيدنى - آياته وضعت	فى شخصكم - سيدى - طبعا وأخلاقا
ربيت جيلا غدا.. أنموذجا عجبا	فى كل خير بدا فذا وعملاقا
أشرقت فجرا لنا.. داويت أفئدة	رويتها من شراب النور ترياقا
إن أتلف الأكثرون اليوم روضته	والله لما نزل للهادى عشاقا
فلتدخلى - أمتى - فى النور تائبة	حتى ترى مجدنا قد عاد خفاقا

احمل سلاحك

أ/ عبدالغنى عيد سكره - قرية سدافى العرب - شربين

أشهر سلاحك واستعد	وادفع حياتك للخلود
احمل سلاحك واستعد	لإعادة المجد التليد
وأعلن جهادك دائما	ضد التهاون فى الحدود
فالأرض كانت حرة	ما كان فيها من عبيد
أعلن جهادك صامدا	جاهد لدينك.. كن شهيد

من واقع الأحداث

أمريكا هى أمريكا!



كتب بعض المحللين للمواقف السياسية، يقول إن أمريكا قد انحرفت أخيراً عن مبادئها فى الحرية والعدالة والمساواة، تلك المبادىء التى كان يرعاها «إيزنهاور» ويدعو إليها، والتى جعلته يقف أمام العدوان الثلاثى على مصر وقفة حاسمة، كانت السبب الأول فى دحر العدوان. هذا ما قاله الكاتب.

والحق ان وقفة إيزنهاور الحاسمة لم تكن من أجلِ العدالة والحرية، وتمتع الأمم باستقلالها الشرعى ولكنها - كما سيتضح بعد - كانت خوفاً من سيطرة روسيا على الشرق، وقد بان ذلك فى مشروعه الذى اقترن باسمه، والذى يقول فيه :



«ليست رغبة روسيا فى الشرق الأوسط ناجمة عن مصلحتها الاقتصادية الخاصة بالمنطقة فروسيا لا تستخدم قناة السويس أو تعتمد عليها، ولكنها تريد السيطرة الغاشمة وحدها وصبغ العالم بالصبغة الشيوعية».

ثم قال بعد ذلك «إن الشرق الأوسط يحتوى ثلثى مصادر البترول فى العالم الآن، وهو يسد حاجات الدول الغربية فى أمريكا وأوروبا وفى بعض بلاد آسيا وأفريقيا، ودول الغرب بخاصة تعتمد على هذا المورد، اعتمادا يتصل بالإنتاج وسير أمور الحياة، وبالمواصلات القريبة والبعيدة، وهذه أمور تؤكد أهمية الشرق الأوسط القصوى فإذا فقدت هذه المنطقة استقلالها (يريد وقوعها تحت السيطرة الروسية) فإن ذلك لا يكون محنة لدول الشرق الأوسط وحدها بل محنة لدول الغرب، وهى محنة تقربها من الاختناق، وسيكون لها ضررها الفاجع على حياة أمتنا - يريد أمريكا - الاقتصادية، وعلى مستقبلها السياسى».

هذا ما ذكره إيزنهاور فى مشروعه، وهو صريح فى وجوب الهيمنة على الشرق الأوسط لأنه يضم ثلثى بترول العالم ويسد حاجات أمريكا وأوروبا بدولها المتعددة!

وإذن فقد كانت أمنية أمريكا من قديم هى السيطرة على البترول باحتلال منابعه المختلفة فى الشرق الأوسط، وكان وجود الاتحاد السوفيتى يقف حجر عثرة فى طريقها، فلما زال هذا الاتحاد رأت أمريكا أن الفرصة أصبحت مناسبة للسيطرة، وقد بدأت باختراع ما يسمى بالعولمة التى تلبس رداء حضاريا زائفا لتخفى تحته الأطماع المادية، وهى واضحة كل الوضوح فى دعوتها إلى انفتاح اقتصادى يشمل العالم جميعه، بحيث تزول الحوائل المادية والجغرافية والسياسية، وهذا هو المهم فى الدعوة إلى العولمة. أما ما يتبعه من أمور الإسكان وتحديد النسل وحرية الاتصال الجنسى والزواج الشاذ، فأمور تأتى فى الدرجة الثانية لتخفى الطمع الحقيقى: الاستيلاء على منابع البترول.

وقد ثار العقلاء على هذه العولمة، وعرفوا الغرض الأصلى منها، والغرض الإضافى أيضاً وبدا لأمريكا أنها ستنتظر طويلا حتى تقنع العالم بسيادتها المرتقبة، وجعلت تفكر فى الحل القريب، وهى بجنودها الرابضة فى الخليج تعتزم استخدام القوة للسيطرة المنشودة، ورأت بدءاً أن تستميل هيئة الأمم ومجلس الأمن بادعاء سيطرة العراق على الأسلحة الكيمائية والبيولوجية



ليكون ذلك دافعا لاحتلاله! وأراد المجلس أن يطمئن إلى هذا الادعاء الكاذب، فأرسل فريق المفتشين ليبحث الأمر فى موضعه، ولم تسفر جهود التفتيش عما يرضى أمريكا، إذ لا دليل لديهم على وجود هذه الأسلحة، وخابت مكيدتها أمام الرأى العام، ولكنها إزاء أطماعها المادية رأت أن تجازف برأى الأمم المتحدة، وأن تخرج عن الرأى العام العالمى، فأعلنت الحرب على العراق دون مبرر، أعلنتها لأجل الأسلحة المزعومة. وهى تسمع تصريح كوريا الشمالية بوجودها لديها فلا تستطيع أن تفعل شيئاً، بل هى التى زودت إسرائيل بأطنان هائلة من هذه الأسلحة التى تخشى وجودها فى العراق، ولو كان لديها بعض الإنصاف لسألت نفسها لماذا تملك هى هذه الأسلحة؟ ولماذا تمنحها إسرائيل دون ضمير يؤنب؟ ولماذا تتغاضى عن تحدى كوريا لها ثم تهجم على العراق لظن موهوم؟!

وإذن فقد برح الخفاء، وكشفت أمريكا عن وجهها السافر دون نقاب، وفهم العالم جميعه أنها لا تبحث عن الأسلحة بل تريد نهب البترول، وخضوع المنطقة لسلطانها، وامتداد إسرائيل فى بغيها الفظيع! فهم العالم ذلك، فقامت المظاهرات فى كل مكان. حتى فى أمريكا نفسها وعرف القاصى والدانى أن الاستعمار قد تجدد على يد دولة كانت تدعى أنها ترعى ميثاق الأمم المتحدة، وأنها تقف أمام من ينقضه ويزدريه.

وليس هذا الإجماع الكاسح على محاربة العدوان الأمريكى إلا شهادة ثابتة بإنتهاء دورها القيادى، وضياع الثقة الموهومة التى كانت لها فى كثير من النفوس. وستجد الذين يودعون أموالهم فى بنوكها لا يأمنون عليها، والذين يهاجرون إليها ليكونوا لبنات فى بنائها سينحسرون كارهين، وهذا بدء الانحلال المرتقب. لأن السيطرة لا تدوم، ولكل دولة مشرق ومغيب، وتلك الأيام نداولها بين الناس، أما المغيب المرتقب فقد بدأت مظاهره فيما نرى من الظلم القاهر، والعدوان الفاجر، ولكل أجل كتاب.

(المحرر)

رُبَّ ضارة نافعة

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى



توافينا ذكرى ميلاد الرسول ﷺ والوطن الإسلامى مثخن بالجراح، لم يكد يندمل جرح أو يكاد حتى تسيل الدماء من موضع آخر منه. وكأنى بحديثه ﷺ يتحقق، «حيث تداعت على الأمة الذئاب من كل جانب، كما تداعى الأكلة على قصعتها، ودب فى الأمة المرض العضال أو سرطان أمة الإسلام، وهو حب الدنيا وكراهية الموت.

وفى المثل يقولون رب ضارة نافعة، وهذا المثل العربى - معناه فيما أفهمه - أن شيئاً ما ربما يكون ضاراً فى بدايته للإنسان لكنه فى جملته أو فى نهايته يكون نافعاً له، ولذلك يقولون العبرة بالخواتيم. ويقول علماء اللغة إن «رُبَّ» حرف جر يفيد التقليل، بمعنى أنه إذا جاءت رُبَّ فى جملة، فإن الفعل بعدها قليل الحدوث.

والمعنى على هذا أن الشىء الضار والذى يأتى منه الضرر غالباً شأنه أنه لا نفع فيه، أو لا رجاء منه، لكن نادراً أو قليلاً ما يحدث العكس، وذلك استثناء من هذه القاعدة وهى أن يكون الشىء الضار فيه نفع.

ولما كان ذلك قليلاً أو نادراً وغريباً فى نفس الوقت، صار ذلك مثلاً. وهذا المعنى المستفاد من المثل العربى تمثله شاعر قديم وصاغه فى بيت من الشعر، فجعل النقمة أو البلوى التى قد تصيب الإنسان إذا استفاد منها الإنسان درساً صوب به حاله وأصلح به مساره، تصبح النقمة فى حقيقة الأمر نعمة، لأنها رغم ما فيها من نصب، وما اكتنفها من مشقة وعناء إلا أن فيها من النفع وتصحيح المسار وتصويب الرؤى ما جعلها نعمة فى حقيقة الأمر، فقال الشاعر بيته أو صاغ الحكيم فلسفته شعراً وقال:

قد يُنعم الله بالبلوى وإن عظمت
و يبتلى الله بعض الناس بالنعم

فإذا ألمت بالإنسان محنة فى دنياه واستطاع أن يلملم نفسه، ويجمع شتاته فيقوى على المحنة، فيصحح بها مساره ويستفيد من أخطائه، فيكبح جماح غروره أو شططه، تنقلب المحنة إلى درس عظيم مستفاد، ما كان له أن يصل إليه لولا ما بدا أنه محنة وصدمة عظيمة جعلته يراجع نفسه، فلولا عنف الارتطام ما كان للغرور الإنسانى أن يتئد، ولا للمغرور السكران أن يفيق. نقول ذلك بمناسبة ما حدث ويحدث للعالم الإسلامى فى جزء عزيز غال عليه، فإن هذا الذى أصابنا، مهما عظم شره، واشتدت على النفس وطأته، فأنا أحس أنه من نعم الله العظيمة لا لأنه وحّد المشاعر فحسب، أو أنه أيقظ عاطفة التلاحم والتراحم، واستنهض نخوة الاستنفار فى نفوس الشعوب، لا لشىء من ذلك، وإن كان كل ذلك حسن إنما لشىء فوق ذلك وأكبر منه.

قال صاحبى ثائراً غاضباً، كأنى نكأت جراحه: أى نعمة تراها فى هذا البلاء المدمر الذى حل بالبلاد والعباد.

قلت لصاحبى: أنا لا أقيس المصائب بما يلحق الأشياء المادية، أو ما يحسب فى ميزان الخسائر الاقتصادية، إنما الخسائر الحقيقية فيما يصيب روح الأمة، وأنا رغم الظلام الدامس أحس أن روح الأمة يقظة متوهجة.

دع عنك الحكومات وكلام الساسة اللزج المراوغ.

لكن ما يعنينى هو إحساس الشعوب الناهض المتوثب، ويكفى أن تقف الأمة لحظة تأمل تراجع نفسها وتستلهم الدروس والعبر مما حدث.

قال صاحبى: مالى أحس كأنك تُلغز فى حديثك، وتسرح فى تهويمات عامة.

قلتُ: أرجوك انتبه وتأمل، فقيمة الإنسان ومعدن الأمم فى أن يستفيد من تجربته وأن يعى أحداث التاريخ، والعاقل من اتعظ بغيره.

يروى أن أعرابياً قال يعظ رجلاً لاهياً: غفلنا فلم يغفل الدهر عنا فلم نتعظ بغيرنا حتى اتعظ غيرنا بنا.

وإن مما يؤلمنى فى أحداث العراق أن شرذمة منا «لم تتعظ» دب الوهن فى قلوبها وغفلت عن مقوماتها الحقيقية وغدت تروج لفكر الغازى الطامع المجهول..

قال صاحبى: زدنى توضيحاً.

قلت لصاحبى: ليس فيما أصابنا فى العراق نهاية لنا، فقد أصاب العراق من قبل على يد برابرة شذاذ مادمرها تدميراً حتى صارت دجلة والفرات بحر دم، لكن

نفس الأمة وروحها لم تزل شامخة قوية، حتى استردت الأمة عزمها من جديد، وانتصرت وكانت لها السيادة، وأسلم الغزاة، وحسن إسلامهم وكانوا قوة عظيمة للإسلام، وتحولوا بفضل الدين بشراً، في قلوبهم رحمة وخير للإنسانية.

ثم واصلت: إننا لم ننهزم في العراق بفعل الغزاة الجدد، لكننا انهزمنا بتفرقنا وتركنا للدين وراءنا ظهريا.. اسأل نفسك: من أين كانت تنطلق المدافع وتقلع الطائرات الغازية؟.. إنها كانت تنطلق وتقلع من أراض عربية مسلمة. أليس ذلك هو الكارثة الحقيقية، إنه الانهزام النفسي والحرص على دنيا زائلة. إن الله ناصر دينه كما وعد، فلنحاول أن تصلح من أنفسنا حتى تنال هذا الشرف، فنثق تماماً أننا بإلفنا للمعاصي وتجرؤنا على الله لا نستحق هذه المنزلة، ولا فضل لنا على أعدائنا، فنحن وهم في المعصية سواء، بل نحن أكثر لأننا نعرف ونؤمن بالله ونصدق رسوله ونزل علينا القرآن، ومع كل هذا فنحن سادرون في المعصية.

ثم قلت: إن الخطر الحقيقي هو في أنه مازال بيننا من يعتبر الأعداء هم المثل الأعلى في السلوك، وأنهم أصحاب حضارة.. بعضنا يقلدهم كفعل القردة!!! بل قل إن الصفوة في المجتمع أصبحت هي أكثر الفئات تقليداً للغازي المعتدي، ومن خلال هذه الحرب القذرة تبخرت كل المبادىء والمثل التي كان يزعم المعتدي أنه يتمثل بها، ورغم كل هذا فإن القردة، أو الذيول مازالت تعجب بالمعتدي، ولا سبيل لنا لكي نخرج من هذا المأزق الرهيب إلا بالرجوع راشدين إلى منهج الحبيب ﷺ وأن نعتصم بكتاب الله الذي قال فيه لنبيه:

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(١).

وأن نجاة الأمة في ذكر الله ـ تعالى ـ حيث قال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(٢).

فهل من مستمع مجيب حتى تكون الضارة نافعة.

---

(١) الأنفال (٢٦).

(٢) الأنفال (٤٥، ٤٦).



نشأة الصراع بين الشرق والغرب وتطوره

للأستاذ الدكتور / عبد العظيم المطعني

١

الكوارث التي ارتكبها الغرب الصليبي في العقد الأخير من القرن العشرين، ثم في الأعوام الثلاثة الأولى من القرن الواحد والعشرين، ليست وليدة اليوم، ولكن لها جذوراً عميقة ضاربة في التاريخ وحين نقول «الشرق» فإننا نعني الإسلام والعروبة ولا نعني المعنى «الجغرافي الضيق» وحين نقول «الغرب» فإننا نعني العالم الصليبي الحاقد على الإسلام منذ عصر بعيد.

أما الكوارث التي ارتكبها «الغرب» ضد العالم الإسلامي فهي كثيرة وفظيعة.

ماصنعه الصرب ضد البوسنة والهرسك، وضد مسلمي ألبانيا، ماصنعه الغرب ضد أندونيسيا في مشكلة تيمور الشرقية وتيمور الغربية.

وماصنعته أمريكا ضد مسلمي أفغانستان وماصنعته أمريكا وبريطانيا ـ ولا تزالان تفعلان ـ ضد الشعب العراقي البرئ المسالم.

هذه المواقف القطيعة تطبيق لمكر قديم بدت دلائله سافرة للعالم العربي والإسلامي على مدى التاريخ، وبخاصة الوسيط والحديث، لكن العالم الإسلامي والعربي، وبخاصة رجال الحكم والسياسة لم يقيموا وزناً لا من بعيد ولا من قريب للخطر الذي يمكن أن يتولد عن ذلك المكر، حتى فوجئوا به أخيراً، وهم على أسنة الرماح.

نشأ الصراع بين الشرق والغرب باعتداء أوروبا المسلح على القدس في القرن العاشر الميلادي، حيث تكررت الحملات العسكرية يقودها ملوك الفرنجة ورؤساؤهم، واستباحوا حرمة الأماكن المقدسة وقتلوا النساء والأطفال والشيوخ والشباب في وحشية لم يسبق لها نظير، ويذكر الأوروبيون أنفسهم أن الفرنجة، أجروا الدماء في مدينة القدس الشريفة، أنهاراً، وأنهم كانوا يفصلون رؤوس القتلى من المسلمين، ويلقونها في أنهار الدماء لتسبح الرؤوس فوق سطح الدماء، وكانوا يستمتعون بتلك المناظر الوحشية، وهم يغزون القدس تحت رايات الصليبيين.





والحروب الصليبية نفسها باعتراف المؤرخين الغربيين قامت على أساس مكذوب، حيث اتخذوا من الصليب شعاراً لها، بحجة حماية الحجاج المسيحيين من الاعتداءات الإسلامية، هذا الادعاء كاد يجمع المنصفون من رجال الفكر والرأى فى أوروبا، ومنهم رجال دين كبار، كادوا يجمعون على تكذيبه، وأن السبب الصحيح فى نشوب تلك الحروب هو البحث عن مناطق جديدة للرزق، هروباً من المجاعة التى كانت تجتاح بلاد الغرب وأحراشه وأنها لم يكن لها فى الواقع أية صلة بشأن الدين المسيحى أو الصليب.

أقام ملوك الغرب ورؤساؤه مملكة لهم فى القدس، ودامت لأكثر من سبعين عاماً، بينما كان العالم الإسلامى مفككاً مفرقاً أشبه مايكون بالنظام القبلى المتناحر وظل الأمر على هذا الحال حتى أذن الله للفجر أن يشرق من جديد.

ربط الله الفتح بمقدم الناصر صلاح الدين فقد رأى هذا البطل الإسلامى العظيم ماآل إليه شأن القدس والعالم الإسلامى من ضعف وتدهور وانحطاط، وماصار إليه شأن المستعمر الدخيل المحتل من تمركز فى قلب العالم الإسلامى، فاستعان بالله على إحداث نهضة إسلامية تكون سبباً فى تغيير تلك الأوضاع، ووضع خطة، حكيمة استمر إعدادها عشرين عاماً.

كان من عناصر تلك الخطة، توحيد الأمة الإسلامية بكل طوائفها وأجناسها وبيئاتها وثقافاتها، والقضاء على التفرق والتشرذم الذى كان يرزح تحت وطأته المسلمون عرباً وغير عرب.

أما العنصر الثانى فهو إعداد جيل على أساس العقيدة الإسلامية وأخلاقها وقيمها السامية وكان العنصر الثالث من عناصر تلك الخطة هو إحياء الروح الإسلامية، والتربية الإسلامية الوثيقة الصلة بكتاب الله وسنة رسوله الكريم ومقاصد الإسلام الحنيف فى الحياتين الأولى والآخرة.

أما العنصر الرابع فهو التدريب المستمر على فنون القتال كراً وفراً، وكيفية التعامل مع العدو فى ساحات القتال.

وسادس تلك العناصر أن الناصر صلاح الدين حوّل المدارس والمساجد وخلوات العبادة والساحات العامة إلى مراكز تعليم وتدريب. وهذا مكنه خلال العشرين سنة التى قضاها فى الإعداد للمعركة أن يصوغ الأمة صياغة واحدة لها هدف واحد هو تطهير القدس ومسجده الشريف من أيدى محتليه، وبعد أن اطمأن القائد الملهم إلى أنه وظف كل طاقات الأمة خدمة الهدف المنشود، عملاً بقوله تعالى:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾(1).

بعد هذا كله قرر أن يخوض المعركة متوكلاً على الله:

(1) الأنفال (٦٠).



﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾(2).

حاصر الناصر صلاح الدين حصون الفرنجة ولم يلق منهم كبير عناء، إلا مناوشات قضى عليها فى حينها، وتم الاتفاق بينه وبينهم على أن يخرجوا راجعين إلى بلادهم، حاملين معهم مايستطيعون حمله من متاع، وفرض على القادرين منهم فدية يبذلونها للمسلمين، على ألا يتعرض لهم أحد بأذى. وعوملوا وهم يخرجون معاملة حسنة، وبقيت جماعات من فقرائهم عاجزين عن دفع الفدية، أكثرهم من النساء، فحبسوا أنفسهم فى المسجد الأقصى ولما علم الناصر صلاح الدين بشأنهم يسر الأمر لهم، فدفع هو من ماله الخاص فدية بعضهم، ودفع القادرون من المسلمين فدية الباقين من أموالهم الخاصة، ووضعوها فى بيت مال المسلمين.

وكان من صلاحيات الناصر صلاح الدين أن يصدر قراراً بالعفو عنهم، دون أن يغرم هو أو غيره من أثرياء المسلمين شيئاً لكنها الأمانة العظمى التى يستشعر خطرها هذا القائد الفذ، ومن تابعه من أثرياء المسلمين.

عامل الناصر صلاح الدين الصليبيين العائدين إلى بلادهم معاملة كريمة، وبخاصة ملوكهم وزعماءهم فأطعمهم أطيب الطعام، وسقاهم الماء المثلج وأنامهم على الحرير، وأجلسهم على الطنافس الفاخرة وهم فى الأسر، ثم أفرج عنهم جميعاً إلا واحداً منهم، كان قد أعلن أنه سيقتحم أرض الحجاز وأنه سيدخل المدينة المنورة فإذا دخلها أخرج جثمان النبى الطاهر من مثواه ومزقه إرباً إرباً.

جاء الناس ليشفعوا لهذا الرجل عند صلاح الدين، لكنه رفض شفاعتهم قائلا:

«برئت من دين محمد إن قبلت فى هذا الوغد شفاعة الشافعين» ثم أزال رأسه عن جسده حزاً بالسيف.

وسقطت مملكة «الصليب» بعد أكثر من سبعين عاماً من قيامها، وأصيبت أوروبا بخيبة أمل ليس لها نظير فى تاريخها، وصار اسم الناصر صلاح الدين مرادفاً للموت فى مسامع أوروبا واعتبروا هزيمته إياهم صدمة قاتلة فى وعى التاريخ، يدل على ذلك ماقاله كولونيل جورو أحد قواد حروب الحلفاء فى الحرب العالمية الأولى عقب انتصارهم على دولة الخلافة، فقد وقف أمام قبر صلاح الدين، ثم قال يخاطبه وهو فى مثواه الأخير «هاقد عدنا ياصلاح الدين»؟.

اشتعل الحقد فى قلوب الأوروبيين على الإسلام وعلى المسلمين، بسبب الانتصارات الظافرة التى حققها الناصر صلاح الدين، وتمكن العداء فى قلوبهم للإسلام، وجرى فى شرايينهم كما تجرى فيها الدماء.

هذه وقائع ذات شأن عن نشأة الصراع بين الغرب والشرق لا يمكن التهوين من شأنها

(2) آل عمران (١٥٩).









فى احتدام الصراع وتطوره فى فترات التاريخ اللاحقة، حتى فى العصر الحديث أو الأيام الحاضرة.

وأكبر دليل على ذلك ما أعلنه الرئيس الأمريكى بوش عقب كوارث سبتمبر عام ٢٠٠١م من عزمه على إشعال حملات صليبية جديدة، ثم اعتذر عما قاله بلسانه، أما قلبه وأعماله فماضية بكل قوة نحو إشعال الحملات الصليبية الجديدة، التى اجتاحت أفغانستان، ثم العراق، والبقية ستأتى.

ومن أسباب نشأة الصراع بين الغرب والشرق وتطوره قيام دولة الخلافة، تلك الدولة التى أفلحت فى جمع كلمة الشعوب والفصائل الإسلامية تحت قيادة واحدة: سياسيًا، وعسكريًا، واجتماعيًا، وحققت قفزات رائعة نحو الهدف المنشود.

عند ذلك أدركت قوى الغرب الصليبى، وفى مقدمتها إنجلترا وفرنسا خطر هذه الدولة، فراحت تتآمر عليها، وتضع الخطط السرية والعلنية لكى تقضى عليها، واستعانوا باليهود ومكرهم للإجهاز عليها، كما استعانوا بـ «مصطفى كمال أتاتورك» الذى يسميه بعض الأتراك بالرجل الصنم، أو الطاغية للقضاء على الإسلام وعزله عن الحياة فى تركيا، فكان أداة طيعة فى أيديهم، وعمل على «ترحيل الإسلام» من تركيا، وريثة دولة «الخلافة» التى سقطت فى الحرب العالمية الأولى. وبسقوطها أخذ الوهن يدب فى أوصال العالم الإسلامى.

وبانتهاء الحرب العالمية الأولى انتهت فترة من الصدام المسلح بين الغرب والشرق، ولم يعد أمام الغرب قوة تستدعى مقاومتها بالسلاح، وبخاصة أن ظاهرة الاستعمار الغربى للوطن العربى والإسلامى، جعلت الغرب يصفى حساباته أولاً بأول مع هذه الكيانات الهزيلة، التى أحكم الاستعمار قبضته عليها، وتدخل المستعمرون فى كل صغيرة وكبيرة من شئون الأوطان المحتلة، وعملوا على محو الشخصية العربية الإسلامية، وقد عبر عن هذا المعنى أمير الشعراء أحمد شوقى، ضاربًا المثل بمصر فى عهد الاحتلال الإنجليزى، حيث قال:

وأصبحت مصر شاة دون راعى

السوء تؤذى فى نسلها وكساء..

كما عبر عنه شاعر النيل حافظ إبراهيم حين قال:

إذا شئت أن تلقى السعادة بينهم

فلا تك مصريًا ولا تكن مسلمًا

المرحلتان السابقتان كانتا تمهيدًا لمرحلة جديدة من نشاط الصراع بين الغرب والشرق أو بين الصليبية العالمية وبين الإسلام، وتصاعد العداء كان دائمًا هو من جانب الغرب لا من جانب الشرق.

سقوط دولة الخلافة، ووقوع البلاد العربية، وبعض الدول الإسلامية، أحدث عند أوروبا نوعًا من الاطمئنان، لأن الخطر العسكرى من الشرق على الغرب لم يعد له وجود، لكن هل توقف عداء الغرب



للشرق؟ كلا بل تحول إلى نوع آخر يناسب هذه الأوضاع عندهم ذلك النوع هو ما يسمى بـ «الحرب الباردة»، وكان جنود هذه الحرب ليسوا عسكريين مدججين بالسلاح. بل مدنيون مثقفون من حملة الأقلام ومحترفى النشر والكتابة والتأليف.

إنهم جيش عرمرم من المبشرين والمستشرقين ظهروا بكثرة عقب الحرب العالمية الأولى، والمبشرون هم أساتذة المستشرقين، وهدف الطائفتين واحد هو تشويه حقائق الإسلام ومنع انتشاره، أو القضاء عليه إن أمكن، أما مهمة كل منهما فتختلف على الوجه الآتى:

- المبشرون يعملون بين صفوف العامة من المجتمعات الإسلامية، ويضللون غير المثقفين من عامة المسلمين، ويتخذون من الأعمال الخيرية فى الظاهر حقول عملهم، كالمدارس والمستشفيات والملاجئ الخيرية للأيتام.
- أما مهمة المستشرقين فهى محاولة تضليل الخاصة من المثقفين، والبحث عن الوسائل الفكرية والثقافية، التى من شأنها أن تحدث عندهم شكوكًا فى أصول الإسلام، كالقرآن وصدق الرسالة، والطعن فى تاريخ الإسلام وقيمه ومبادئه.

هذا التطور الذى أعقب النشأة لم يكن مقصورًا على مرحلة مابعد الحرب العالمية الأولى، بل بدأ منذ عام ١٨٠٠م لكن الجديد فيه بعد الحرب العالمية الأولى هو الكثرة وتعدد النشاطات.

وقد أحصى كاتب معاصر، هو الأستاذ إدوار سعيد- مسيحى فلسطينى- أحصى ماكتبه هؤلاء المبشرون والمستشرقون ضد الإسلام والعروبة بدأ من عام ١٨٠٠م إلى عام ١٩٥٠م، فوجده اثنين وستين ألف مجلد؟ كل ماكتب فيها قائم على الادعاءات والافتراءات الكاذبة ولم يتركوا ميدانًا واحدًا من ميادين الفكر والتراث والمعارف الإسلامية والعربية إلا وكتبوا حولها العشرات بل والمئات من المجلدات، ومن أكثر الحقائق الإسلامية التى تناولوها بالطعن والغمز واللمز القرآن الكريم، وسيرة النبى الكريم ﷺ.

ونحن جميعًا نعلم أن هذه الحرب الباردة قد تضاعف نشاطها مرات ومرات فى هذا العصر الذى يسمونه «عصر الفضائيات»، أو «السموات المفتوحة».

هذه الحرب، الباردة ـ الساخنة «لم يعرها رجال السياسة فى العالم العربى والإسلامى أى اهتمام ولم تدخل فى حساباتهم فى يوم ما من الأيام وربما أن كثيرًا منهم لم يعرف عنها شيئًا قل أو كثر. وكأنها لم تمثل خطرًا ما على مستقبل الإسلام والمسلمين.

أما رجال الفكر والعلماء، فقد تصدى كثير منهم لهذا الوباء، وتناوله بالدرس الجاد وبينوا مافيه من زيف وباطل، حماية للشعوب الإسلامية من التأثر بما ورد فيه من أكاذيب.

وكان ممن أسهم بنصيب وافر من التصدى لسموم المبشرين والمستشرقين جمال الدين الأفغاني، والشيخ الإمام محمد عبده قبل المرحلة الأخيرة من حياته، وبالتحديد قبل أن يعود من المنفى على يد الإنجليز وكذلك الشيخ محمد رشيد رضا، وعباس العقاد، ومصطفى صادق الرافعي، والشيخ العلامة محمود شاكر، والدكتور محمد البهى والشيخ محمد الغزالى وغيرهم وغيرهم.

كما تصدى له علماء الهند والباكستان كل هؤلاء أبلوا بلاء حسناً في هذا المجال وحذروا الأمة من سوء المصير الذى تنبئ عنه جهود المبشرين والمستشرقين وبخاصة أن بعضهم حث الغرب صراحة على التصدى للإسلام، الذى أطلقوا عليه وصف «العملاق» الذى كان نائماً، ثم بدأ ينفض النوم عن عينيه.

هكذا قال: باول متز، في كتابه «الإسلام قوة الغد العالمية».

وقبل أن نتوقف عن الحديث في هذه الحلقة نشير إلى خلل كبير وقع في المواجهة العربية الإسلامية لهذه الحرب «الباردة» ذلك الخلل هو اختلاف مواقف رجال الحكم والسياسة في العالم العربي الإسلامي، عن مواقف الدعاة والعلماء والمفكرين الذين واجهوا بوعي وإخلاص افتراءات الغرب على الشرق.

فالدعاة والمفكرون وحملة الأقلام ماقصروا في المواجهة، ولا في تقديم النصح لأمتهم، ولا في التحذير من الخطر المرتقب، لكن أحداً من رجال الحكم والسياسة لم يسمع لقولهم بل ربما الحقوا الأذى بالدعاة والمفكرين وهم لا يحملون في أيديهم سلاحاً غير أقلامهم وإذا كان مادعا إليه مفكرو الأمة حقاً، وهو فعلا حق، فإن الحق لابد له من قوة مادة تناصره وتحميه، هذه القوة المادية كانت في أيدى رجال الحكم والسياسة، ولم تكن بأيدى الدعاة والمفكرين، ولو أن قوة الحكام والقادة السياسيين كانت قد منحت «حق الدعاة» قدرا من النصرة والتأييد، لما وصلنا إلى ما نحن فيه الآن من تكالب الأمم علينا، وإراقة دمائنا وسلب حقوقنا، وانتهاك حرماتنا، وتدنى مقدساتنا، والتدخل في شئوننا كأننا رقيق يباع ويشترى في أسواق النخاسة.

وعزاؤنا أن الله جعل الأيام دول بين الناس، وأن الإسلام يسمو فوق كل الشدائد وأن هذه الأمة كتبت لها شهادة ميلاد ولن تكتب لها شهادة وفاة، فهى باقية إلى يوم الدين مهما اعتراها من جذر ومد وهبوط وصعود.

***

نظرات واقعية :

أين نحن من الإسلام؟

للدكتور / حمدى فتوح والى

كما يعانى الطبيب كثيرا من أذى المريض، وكما يعانى السجين البرئ المظلوم من وحشية السجان، وكما يعانى الداعية المخلص من سفه المدعويين المنحرفين، كذلك تعانى أمة الإسلام من أمم الكفر ما تعانى، ولو علمت أمم الكفر أن نجاتها في كتابنا، وسعادتها في ديننا، وعزتها في اتباعنا، لانقلب حال البشرية اليوم إلى إصلاح وإعمار وأمان واستقرار، بدلا من سعى الغرب المسعور إلى الفناء والدمار.

وهذا ما عبر عنه كتابنا العظيم في أسلوب ملؤه العجب والدهشة في قول ربنا سبحانه:

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴾(١)

تلك هى جريمة المؤمنين، في نظر هؤلاء الكافرين الجاحدين، وإذا ذهبت تبحث عن علة تنهض سببا، فلن تجد إلا قول الحق سبحانه:

﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾(٢).

إن الله - سبحانه وتعالى - يكشف للمسلمين عما تكنه لهم صدور الكافرين من اليهود والنصارى والمشركين من الشر والعداء، وعما تنغل به قلوبهم من الحقد والحسد، بسبب ما اختصهم به الله من الفضل ليحذروا أعداءهم، ولكى يحسنوا الاستمساك بما يحسدهم هؤلاء الأعداء عليه من الإيمان، ويشكروا فضل الله عليهم ويحفظوه ثم

(١) المائدة آية (٥٩).

(٢) البقرة آية (١٠٥).

يزيد الله سبحانه، الأمر وضوحا، والعلة تشخيصا وتصريحا فيبين أن هذه الكراهية العميقة، إنما مردها إلى الحسد الذى يأكل قلوبهم، ويفرى أحشاءهم بقوله تعالى:

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾[٣].

إنه شأن كل يائس من الهداية، عاجز عن قبول الحق محجوب عن نور الله، مطرود من رحمته:

﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾[٤]

إنه الحسد، هذا الانفعال الأسود الخسيس الذى فاضت به نفوسهم تجاه الإسلام والمسلمين، ومازالت تفيض، وهو الذى انبعثت منه دسائسهم وتدبيراتهم ومـاتزال، وهو الذى يكشفه القرآن للمسلمين ليعرفوه،، ويعرفوا أنه السبب الكامن وراء كل جهود الغرب لزعزعة العقيدة فى نفوسهم، وردهم إلى الكفر ليكونوا فى الكفر والانحراف سواء، ذلك لأنهم يعلمون أن وقود العقيدة لا يخبو وأن لذعها فى القلوب لا ينطفىء وأن صاحب العقيدة لا يهزم، ورجالها لا يستسلمون.

ذلك هو شأن القلوب الجاحدة، والأفئدة الجامدة، والفطر المنكوسة.

أما العقلاء من أهل الغرب الذين نجوا من صرعة الحقد ولوثة الجهل، ومس الشيطان فإنهم يدركون أن نجاتهم وعزتهم ومجدهم فى كتاب ربنا، وهو ما يفسر إقبالهم على الإسلام، يعتنقونه دينا، ويعتصمون بمنهجه سلوكا وأخلاقا، وشرعة ونظاما.

إن أهل الأرض جميعا بحاجة إلينا، ولكن حالنا مع كتاب ربنا هو أخطر موانعهم للاقتداء بنا. ذلك لأننا لم نعد نمثل القرآن فى سلوكنا، ونلتزم الإسلام فى أخلاقنا ونأخذ القرآن منهاجا لحياتنا ومصدرا لنظامنا وتشريعنا كما يريد منا ربنا.

إننا نعتب على أهل الأرض من الأمم الأخرى تقصيرها فى البحث عن الإسلام، وتنقيبها عن أسراره، والاسترشاد بأحكامه بينما لا نعتب على أمتنا نسيانها لرسالتها، وجهلها بعقيدتها، وهل هناك نسيان أكثر من هجر كتابها، وتعطيل أحكامها ونبذ شريعتها، وتشويه معالمها، ومعاداة دعاتها.

إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد حدد لهذه الأمة مهمتها التى لها خلقت ورسالتها التى من أجلها وجدت. وذلك

---

(٣) البقرة آية (١٠٩).

(٤) النساء آية (٨٩).

فى قوله تعالى:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[٥]

فهل وعت الأمة تلك الرسالة، وأدت تلك الأمانة على الوجه الذى يريده ربنا ويرضاه.

وهل كان أداء أصحاب رسول الله ﷺ لتلك الرسالة بالتصاول فى ميادين الأقوال وملء الساحات والمجالس بالمراء والجدال !؟ وهل يكون أداؤنا لتلك الرسالة بأن نحشد من الشواهد والحجج ما يدل علي أننا كنا خير أمة أخرجت للناس، ثم يرى واقعنا خير شاهد على تخلفنا وعجزنا، وتبعيتنا وقهرنا، بما يجعلنا فتنة تحول بين أهل الأرض وبين ديننا، ونحن الذين حذرنا ربنا من ذلك بقوله:

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٦].

إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ عندما اختارنا للخيرية، وانتدبنا للقيادة بين لنا طبيعة المهمة التى لها خلقنا، ومن أجلها وجدنا، وأعلمنا أنها تقوم على عمل دائم من جهاد دائب فى قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾[٧].

وهذا يقتضى أن تقدم الأمة من نفسها نموذجا حيا وأسوة حسنة، وترجمة عملية لما تدعو إليه.

يقول الشيخ محمد الغزالى «إن الوظيفة الأولى لدولة الإسلام أن ترى الأمم الأخرى آفاق الخير الذى تدعو إليه.. مشرقة فى حياتها هى، فى أخلاقها وتقاليدها وعباداتها وتعاملاتها وآدابها وفنونها، وملاهيها وأسواقها، وقراها ومدنها. أى فى جميع أنشطتها التى تكشف عن أعمالها وآمالها»[٨].

إن الأمة التى تملك منهجا ربانيا كمنهجنا، ورسالة إلهية كرسالتنا، ورصيدا من التجربة الناجحة كرصيدنا، أمة غير معذورة إذا هى غابت عن ساحة الارض، وعجزت عن الخروج لقيادة الناس.

ان خروج امتنا للناس أول مرة، كان خروجا بطوق النجاة لفريق أشفى على الغرق. ومريض أوشك على الهلاك، بعد أن استبد بأمر الأرض شياطينها، وامتلك زمامها أشرارها، من الرومان عبدة الشهوات، ومن المجوس عبدة النار. بعد

---

(٥) آل عمران (١٠٤).

(٦) الممتحنة آية (٥).

(٧) الحج آية (٧٧، ٧٨).

(٨) الطريق من هنا ص٨٢.

أن عم الفساد جوانب الأرض كلها، وأصاب حياة الفرس والروم بالشلل التام. يصور ذلك الشيخ أبو الحسن الندوى فيقول: «استحوذت على الناس فى الدولتين، الفارسية والرومية. حياة الترف والبذخ وطغى عليهم بحر المدنية المصطنعة، والحياة المزورة، وغرقوا فيه إلى أذقانهم. فكان ملوك فارس والروم وأمراء الدولتين سادرين فى غفلتهم، لاهم لهم إلا اللذة والتهام الحياة، وبذخوا بذخا عظيما، تخطى القياس. ودققوا فى مرافق المعيشة، وفضول المدينة، وحواش الحياة تدقيقا عظيما جداً. فكان لكسرى أبرويز اثنتا عشرة ألف امرأة وخمسون ألف جواد، وشىء لايحصى من أدوات الترف والقصور. ثم يقدم صورة لحياة الرعية فى هاتين الدولتين فيقول: «كانت طبقة الفلاحين والصناع والتجار الصغار. وأهل الحرف والأشغال فى جهد من العيش يرزحون تحت أثقال الحياة والضرائب والإتاوات. ويرسفون فى القيود والأغلال، ويعيشون عيش البهائم، لا حظ لهم فى الحياة إلا العمل لغيرهم. والشقاء لتنعيمهم، ولا هم لهم إلا الأكل والعلف فإذا سئموا هذا العيش المر تعللوا بالملهيات والمسكرات وإذا تنفسوا من هذا العناء رتعوا فى المحرمات»[٩].

وبينما كان هذا حال الفرس والروم، كان حال العرب أشد مهانة وإسفافا، وأظهر جهالة وضلالاً. يقول الندوى: «انغمست الأمة فى الوثنية وعبادة الأصنام بأبشع أشكالها، فكان لكل قبيلة أو ناحية أو مدينة صنم خاص، بل كان لكل بيت صنم خصوصى، واستهترت العرب فى عبادة الأصنام، فمنهم من اتخذ بيتا، ومنهم من اتخذ صنما، ومن لم يقدر عليه ولا على بناء بيت نصب حجراً أمام الحرم وأمام غيره مما استحسن، ثم طاف به كطوافه بالبيت وسموها الأنصاب»[١٠].

وما أشبه الليلة بالبارحة، وما أدق الشبه بين حال أمم الأرض فى جاهليتها الأولى وحال أمم الأرض اليوم، بما فى ذلك أمة الإسلام. التى ما تزال تدعى إلى كتاب ربها وسنة نبيها. وتصك مسامعها آيات القرآن ليلاً ونهاراً قائلاً لهم:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[١١]

(٩) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوى ط١٩٩٠ ص٦٩.
(١٠) المرجع السابق ص٧٩.
(١١) البقرة (١٤٣).

وما يزال القرآن يناديها لتخرج من جديد على الناس. آمرة بالمعروف، ناهية عن المنكر مؤمنة بالله.

فبماذا تخرج أمتنا اليوم؟ وما الذى تملكه؟ ولا يملكه الغرب، ويحتاج إليه الناس؟ إن الشىء الذى يحتاج إليه الغرب ولايملكه، ويحترق شوقا إليه ولا يجده، هو الإحساس بالأمان والاطمئنان والهدوء. أمان النفس واطمئنان القلب. وهدوء الأعصاب وراحة الضمير. إنه يريد أن ينعم بالهدوء النفسى واليقين الإيمانى. والتوازن الروحى فلا يجد شيئا من ذلك ميسرا أمامه، فلا يملك إلا أن يسلم نفسه لدوامة الحياة المادية تصرعه بعنفها صرعا، وتطحنه بأنيابها طحنا، بين غول الإدمان وجحيم الإيدز، وهول الاكتئاب والانتحار.

إن الأرض كلها أحوج ما تكون إلى ما عندنا من منهج ربانى، وتشريع إلهى، ووحى سماوى، تولى الله - سبحانه وتعالى - حفظه، وضمن سلامته وفضله. فهل تعى أمة الإسلام رسالتها، وهل تدرك مهمتها؟ وهل آن الأوان لكى تتقدم لهذه البشرية المتعبة التائهة لتأسوا جراحها، وتروى ظمأها، وتفك قيودها، وتضع عنها إصرها والأغلال التى كانت عليها.

إن البداية الحقيقية التى تمنحنا القدرة على الانطلاق، تتمثل أولاً فى شعورنا بأننا نملك ما لا يملكه الغرب، وأن لدينا مفاتيح هدايته وأسباب سعادته أو شقاوته - وأن نملك الثقة فى أنفسنا ونستمد العون من خالقنا، والقدرة من نبينا، والعزة من إسلامنا.

«لقد جاء الإسلام لينقذ البشرية كلها من الركام الذى كان ينوء بأفكارها وحياتها، ومن التيه الذى كانت أفكارها وحياتها شاردة فيه. ولينشىء لها تصورا خاصا متميزاً متفرداً، وحياة أخرى تسير وفق منهج الله القويم، فإذا بالبشرية كلها اليوم ترتكس إلى التيه وإلى الركام الكريه!

لقد جاء الإسلام لينشىء أمة يسلمها قيادة البشرية، لتنأى بها عن التيه وعن الركام.. فإذا هذه الأمة اليوم تترك مكان القيادة، ومنهج القيادة، وتلهث وراء الأمم الضاربة فى التيه وفى الركام الكريه»[١٢].

وإذا ظل المسلمون على حالهم تلك، مصرين على النظر إلى المدنية الغربية على أنها القوة الوحيدة، لإحياء الحضارة الإسلامية الراكدة. فإنهم يدخلون الضعف على ثقتهم بأنفسهم، ويدعمون بطريقة غير مباشرة ذلك الزعم الغربى القائل بأن الإسلام «جهد ضائع»[١٣].

فهل نملك القدرة النفسية والطاقة الإيمانية التى تجعلنا نصرخ فى أهل الأرض جميعا، نلفتهم إلى قارورة الدواء التى فى أيدينا ونرشدهم إلى طوق النجاة الذى ألقيناه إليهم، ليعتصموا به قبل فوات الأوان.

(١٢) خصائص التصور الإسلامى: سيد قطب الطبعة الثامنة. دار الشروق ص٢٣.
(١٣) الإسلام على مفترق الطرق محمد أسد ص٦٧.
(١٤) سورة آل عمران آية ٦٤.

من واقع الأحداث

ماذا يحدث الآن؟

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عطية

يسأل السائلون: ألسنا على الحق؟! أليس الدين الإسلامي، الذى نتشرف بالانتساب إليه والحمد لله، ونؤمن به ونعتنق مبادئه، ونسير على هديه القويم، أليس هذا الدين هو الدين الحق، الذى ارتضاه الله ـ عز وجل ـ لعباده؟! فلماذا إذن ما نحن -المسلمين- فيه اليوم من مهانة وذلة وضعف؟! فلماذا تكالبت علينا قوى البغى والشر والعدوان؟ لماذا أصبحت قوى الشرك والضلال تفعل بنا ما تشاء، وتجاهر بما تريد لنا دون أن تسمح لنا أن نبدى رأينا حتى فى حياتنا الخاصة وذلك دون رادع من ضمير، أو وازع من قانون، أو حتى خجل مما يسمى فى عصرنا بحقوق الإنسان فى وطنه وفى بيته؟!

ألسنا على الحق؟ ألسنا مسلمين؟ فلماذا لاينتصر أصحاب هذا الدين، كما انتصر آباؤهم وأجدادهم، ورفعوا رايات الإسلام خفاقة عالية فى شرق الأرض وفى غربها، ولقد قال الحق تبارك وتعالى:

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[1].

وللإجابة عن هذا السؤال الضخم، الذى يجتاح فكر كل مسلم وعقله وقلبه اليوم فى شتى أرجاء الأرض.. للإجابة عن هذا السؤال نقول: بلى، نحن على الحق، بلى، نحن على الدين الحق، الذى لن تخبو أضواؤه يوما ما ـ إن شاء الله تعالى ـ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ولكن ما نود أن نقوله فى تعليل هذه الحالة المؤلمة أشد الألم، والمرة الشديدة

(١) غافر (٥١).

المرارة، التى تمر بها أمة الإسلام والعروبة اليوم، هو أننا نحن الذين فعلنا بأنفسنا كل تلك الأفاعيل، قبل أن يفعل بنا أعداؤنا شيئا من ذلك، بل أقول: إن أعداءنا ما كان لهم أن يجرؤوا على الاقتراب من ساحتنا، ومد يد السوء إلى ديارنا ومقدساتنا إلا بعد أن مهدنا لهم الطريق، ودعوناهم بلسان الحال ولسان المقال إلى أن يفعلوا بنا كل ذلك.

وقد صدق فينا قول الحبيب ﷺ الذى لاينطق عن الهوى:

«توشك أن تداعى عليكم الأمم، كما تداعى الأكلة على قصعتها، فقال قائل: أمن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل، أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل»[2]..!! نعم. نعم. نحن اليوم كثيرون عددا، ولكن.. غثاء كغثاء السيل، لاوزن لنا، ولا قيمة لعددنا فى تقدير أعدائنا، حيث يخططون لمستقبلنا، ويرسمون لنا حياتنا كما يريدون، ويعيدون رسم بلادنا وحدودنا كما يحلو لهم، ويتفق مع مصالحهم، بل ويعلنون صراحة قرارهم بتغيير حكامنا، بما يحقق لهم آمالهم، ويساير سياستهم دون أن يسمحوا لنا -ولو على سبيل المشورة- بإبداء الرأى فيما يخططون، وما يقولون.

إن مايحدث الآن على أرض العراق، وما يجرى الآن على أرض فلسطين، لاينفصل فى أهدافه القريبة والبعيدة عما جرى على أرض أفغانستان المسلمة: سواء ما جرى على يد الاتحاد السوفيتى، وما جرى على يد الأمريكيين وأحلافهم، إن هذا وذاك ما هو إلا حلقات فى سلسلة متصلة المراحل فى حربهم ضد الإسلام والمسلمين. وها هو ذا «جورج بوش» الثانى يكمل ما بدأه أبوه، وهو يعلنها صريحة مدوية، دون خجل أو مواربة: «نحن الآن فى حرب صليبية ثانية ضد الإسلام»..!! قالها عقب الضربة الصهيونية الماكرة التى صُفعها على قفاه، دون أدنى تريث أو دراسة. صحيح، لقد خانته ذاكرته حينما تذكر شيئا واحدا ونسى أشياء: تذكر أن الغرب سابقا قد رمى الشرق المسلم بجحافله ودواهيه، فى حرب صليبية غادرة حينما طمع فى كنوز الشرق المسلم! مما أسال الدماء غزيرة، وأصاب العالم الإسلامى بجراح لا تندمل على مر التاريخ كله.. تذكر «جورج بوش» الثانى ذلك ولكنه نسى أن هؤلاء الغزاة من أسلافه، عادوا مدحورين،

(٢) سنن أبى داود.

يجرون أذيال الخيبة والعار، بعد أن خلفوا قتلاهم مدرجين بدمائهم، فى مشاهد لن ينساها التاريخ - تاريخ الحروب الصليبية - مهما تطاول هو أو تطاول غيره على الإسلام والمسلمين. باللسان أو بالسلاح.

إن ما حدث فى أمريكا فى الحادى عشر من سبتمبر الشهير، لم يقع بأيد مسلمة، ولم تخطط له عقول مسلمة، وإنما وقع بتدبير صهيونى غادر للإيقاع بالمسلمين فى شراك العداء السافر، والكراهية المقيتة، ولقد نشرت -آنذاك- الدراسات والمقالات التى أثبتت وبكل صراحة ووضوح أن هذه الضربة الموجعة إنما كانت من مؤامرات اليهود وأحلافهم، وقد قرأها العالم كله، وأثبتتها الصحف والمجلات، وكل وسائل الإعلام، ولكن الأمريكان وأحلافهم من قوى الشر والطغيان، لم يسمعوا ماقيل، ولم يفهموا مغزى هذه الصفعة. أو قل: هم لم يريدوا أن يسمعوا، ولم يريدوا أن يفهموا. بدليل أن هذا الرجل أطلق هذا الحكم الظالم على الإسلام والمسلمين دون أدنى تريث، ودون أدنى تفكير متهما الإسلام - دين السلام- بالإرهاب. مما أثار أحلافه وأنصاره ضد الشرق المسلم..!! وكان ما كان: حيث صب جام غضبه وغضب أحلافه على أفغانستان تلك البلد التى أخرجت لمصر وللعالم الإسلامى، ذلك المجاهد العظيم الذى قاد حركة التنوير والتحرير ضد الاحتلال الانجليزى البغيض ألا وهو الشيخ «جمال الدين الأفغانى»...!!

قاد «جورج بوش» الثانى هذا الغزو الظالم ضد أفغانستان بحجة محاربة الإرهاب الذى تركز -حسب زعمه الباطل- فى «تنظيم القاعدة» كما أسموه..!! ولم يكن الهدف من وراء ذلك إلا أن يضع أقدامه على بعد خطوات من باكستان المسلمة، التى أصبحت قوة نووية لايستهان بها، يراقبها، ويحتويها، ويعمل على إضعافها، حتى يحين وقت الخلاص منها..!!

والدليل على ذلك، أنه حينما فجرت «الهند» العدو التقليدى لباكستان قنبلتها النووية، لم يثر الغرب وفى مقدمته أمريكا عشر معشار ما أثاره من الغضب عندما فجرت «باكستان» قنبلتها النووية، والعجيب أن العالم الإسلامى يشهد ذلك كله، وحكامه يدركون أهدافه القريبة والبعيدة، ونسمع الكثير والكثير من التحليلات والدراسات، التى تبثها وسائل الإعلام المقروءة.. والمسموعة.. والمرئية فى الدول العربية والإسلامية قاطبة. إلا أننا لم نشهد بادرة واحدة تؤكد على أن عالمنا الإسلامى آخذ

فى طريق الدفاع عن نفسه، أو الرد المناسب الذى يمليه عليه دينه، الذى فرض عليه الجهاد وجعله فرض عين فى مثل هذه الحالة. بل الأعجب من هذا كله أن أموال الأمة العربية - وهى المسئول الأول عن المحافظة على هذا الدين- تتكدس فى بنوك الدول الغربية لتتحول هى وأرباحها إلى أسلحة دمار تذهب إلى إسرائيل، التى أقيمت «هنا» خصيصا لتكون شوكة موجعة فى قلب الأمة الإسلامية العربية.

نعود إلى الوراء قليلا: عقدين من السنين فقط: نعود إلى ما حدث فى العراق فى الثمانينيات من القرن العشرين.. ألا نذكر أن الولايات المتحدة الأمريكية هى التى كانت تبارك العراق فى حربه ضد «إيران» حيث كانت ترى فى الأخيرة العدو الذى يتهددها، لأنها كانت تمثل المد الإسلامى المرتقب؟؟ ودمرت الحروب التى استمرت ثمانى سنوات هذين البلدين الشقيقين المسلمين وبأموال عربية مسلمة..!! ويالها من كارثة.. ويالها من مصيبة تدعو للأسف والألم، حينما نحقق للعدو أغلى ما يصبو إليه فى أنفسنا وبأيدينا وأموالنا وبدمائنا، وفى الأمة الإسلامية والعربية من هو فى أمس الحاجة إلى هذه الأموال الطائلة، تسد بها خلته، وترد بها جوعته..!! وكان ما كان..!! وخرجت العراق من هذه الحروب التى طالت أكثر مما طالت الحرب العالمية الثانية ذاتها. خرجت العراق منتصرة وقد زودتها الدول العربية بما مكنها من أن تبنى نفسها وتصبح قوة نووية إسلامية. وهنا جاء دورها للقضاء عليها، حتى لاتقوم فى الشرق الإسلامى قوة مادية تضاف إلى قوته الدينية العقدية. وكانت الوقيعة بين الجارتين العربيتين المسلمتين «العراق والكويت».. وكان ما كان.. مما امتلأت به صفحة مؤسفة من صفحات التاريخ الإسلامى والعربى: مما لم يتجاوز آثاره العرب والمسلمون إلى اليوم، ولا أظنهم يتجاوزونه فى المستقبل القريب، طالما بقينا على هذه الحال، من الفرقة والانقسام وشتات الرأى، وتدابر الوجوه..

إن مايحدث الآن من ادعاء القوى الكافرة، من وجود أسلحة للدمار الشامل فى دولة العراق إنما هو لتبرير الحرب ضد هذا البلد الإسلامى الشقيق، الذى طالما رفع راية الإسلام خفاقة فوق هامة التاريخ، وفى وجه الشرك والطغيان، أيام أن كان المسلمون ذوى بأس ومنعة يُعمل لهم ألف حساب، حيث كانت البداية الأولى للعالم الإسلامى تتمثل فى بغداد.. بغداد الرشيد.

رحم الله الرشيد ورحم أمتنا الإسلامية.!

خطبة الجمعة

الإسلام دين المقاومة (*)

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصي

الحمد لله عز وجل، جعل الباقيات الصالحات شعار المؤمنين، وجعل الدوام على المجاهدة دستور أهل اليقين. أشهد أن لا إله إلا الله جعل الثقة به نوراً رائداً دائماً على طريق المتقين: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾(١). وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، لازم طريقته وصان عقيدته، فكان خير الموفين، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه، وأتباعه وأحبابه، ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾(٢).

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام:

في حاضرنا المليء بالهموم والغيوم، انعقد منذ زمن مؤتمر أدباء العرب، وكان الموضوع الرئيسي للبحث في هذا المؤتمر هو «أدب المقاومة»، وهذا يذكرنا بقيمة الكلمة وأثرها، فإن الكلمة الصادقة الصادعة بالحق سلاح قوي زكي، ولذلك مجد الإسلام منزلة الكلمة حين قال:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً
كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾(٣).

(*) ألقيت في يوم الجمعة ٢٣ من ذي الحجة سنة ١٣٨٧ هـ - الموافق ٢٣ من مارس سنة ١٩٦٨م.

(١) المؤمنون (٨). (٢) البقرة (١٧٧). (٣) إبراهيم (٢٤).

وحين قال:

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ
وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾(٤).

وحين قال:

﴿ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟
إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴾(٥).

كما قال سيدنا رسول الله: «المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه»(٦).

ومع التقدير المنصف لبعض ما قيل في هذا المؤتمر عجبت حين وجدت أحد الأعضاء فيه يزعم أن فرنسا هي أول من اتجهت إلى «أدب المقاومة»، ووضعت قواعده وأصوله، وهذا افتراء على التاريخ وتشويه للحقائق، لأن الأمة العربية المؤمنة كانت بفضل الإسلام أسبق من فرنسا وغير فرنسا في هذا المضمار، فقد اهتدت بتوفيق ربها إلى روح المقاومة منذ أكرمها بقائدها ورائدها وهاديها إلى خير طريق وهو رسول الله عليه الصلاة والسلام، ومرت العصور والقرون والإسلام العظيم يلقن أبناءه يوماً بعد يوم دروس المقاومة ومبادئه الغالية، فكان جهاد المؤمنين في عهد النبوة الناضر مقاومة للشرك والكفران، وتطهيراً للإنسان والمكان والزمان من جهالات الوثنية وسفاهات الطغيان، وكان عهد الخلفاء الراشدين امتداداً لهذه المقاومة الصادقة حيث انساحت الجيوش المؤمنة تطهر الأرض العربية من النتن والعفن، وتطهر ما جاورها من استبداد وتطاول المعتدين، ثم كان عصر الأمويين وعصر العباسيين امتداداً لروح المقاومة عند هؤلاء المؤمنين الذين باعوا الله أرواحهم، وصدقوا معه وعودهم، وآثروا ما عنده على ما عند الناس، فحملوا كلمة الله إلى المشارق والمغارب، مرحبين في سبيلها بكل تعب، محتملين من أجلها كل نصب، ليُنيروا بها المسالك أمام الحيارى، ويؤيدوا بها المستضعفين حتى يتحرروا، ويقاوموا بها الجبارين حتى يرتدعوا أو يندحروا، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وحينما أقبلت على أمتنا فترات الابتلاء، وتعرضت لعوامل التمزق والتفرق لم تمت فيها روح المقاومة المستنيرة بهدى الله، بل استطاعت أن تقاوم وباء التتار حتى قضت عليه، وصهرت بعض أهليه فجعلتهم بفضل الله يتحولون من الكفر إلى الإيمان، ثم استطاعت بعد ذلك أن تسحق طواغيت الحروب الصليبية وتردهم على أعقابهم، وتحرر أرض العروبة والإسلام ومن بينها

---

(٤) فاطر (١٠). (٥) الحج (٢٤).

(٦) أخرجه أحمد ٦/٣٨٧.

فلسطين، بعد أن ظل كابوس الاحتلال الصليبي الاستعماري الغشوم يجثم على صدرها ما يقرب من مئة عام، ولقد حورب الإسلام بشتى أنواع المحاربة، وابتلى المسلمون بكل ألوان الابتلاء، ومع ذلك بقى الإسلام ولم يفن المسلمون، وهذا سر من أسرار الله العجيبة التى غرسها فى شخصية هذه الأمة المؤمنة المناضلة التى علمها قرآنها المجيد أن تظل دائماً مستمسكة بشرعة الجهاد وروح المقاومة، فملأ أسماعها وقلوبها وعقولها بمثل قوله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٧].

وقوله:

﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴾[٨].

وقوله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٩]

وقوله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ۝ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[١٠].

وقوله:

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ۝ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾[١١].

وهذا هو الصبر الذى احتفل به القرآن الكريم كل هذا الاحتفال، وذكره منوهاً به حاثاً عليه فى أكثر من ثمانين موضعاً، وطالب الأمة المؤمنة كشعار لها ودثار، هل كان هذا الصبر إلا أكرم أنواع المقاومة؟ وهل الصبر كما يريده القرآن المجيد إلا حسن الاستقبال للمتاعب والشدائد، وحسن الاحتمال لها، وحسن التصرف معها والتحكم فيها حتى التغلب عليها والتخلص منها، وحسن حملها بقوة واقتدار لقذفها بعيداً بعيداً عن طريق المسير، وحسن العودة إلى مواصلة الخطوات الرشيدة السديدة على الصراط المستقيم، وبذلك يستحق المؤمنون

(٧) آل عمران (٢٠٠).
(٨) التوبة (٥٢).
(٩) الأنفال (٤٥).
(١٠) الأنفال (١٥، ١٦).
(١١) آل عمران (١٧٣، ١٧٤).



الصابرون المثابرون خير الجزاء، كما قرر الحق جل جلاله ـ فى قوله:

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[١٢]

وما كان ذلك الأجر المفتوح بلا مدى، والموكول إلى فضل الله الذى لا يحد ونعمته التى لا تعد، إلا لأن هؤلاء الصابرين جعلوا شعارهم الوفاء لله مهما كان الثمن، والوفاء للمبدأ مهما كانت التضحية، والوفاء لروح المقاومة مهما امتد النفس، فكان جزاء الوفاء توفية العطاء بلا حساب:

﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ۝ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾[١٣].

وحق بارىء السماوات والأرض لقد آن ثم آن ثم آن أن نعرف شخصيتنا المؤمنة، وذاتيتنا المتحررة، وأن نطعم من مائدتنا الكبرى التى هيأها لنا ربنا ورسولنا وقرآننا وإسلامنا، ولم يعد هناك أى مجال أبداً لنبقى عالة على موائد غيرنا من الشعوب والأمم، حتى نستشهد بأقوالهم ونظن أنهم سبقونا إلى مبادىء الحق والخير والقوة ونحن الذين تلقينا من الملأ الأعلى نداء العزة ودعاء القوة، وطالبنا رب العزة والقوة بأن نستمسك بالذى أوحى إلينا:

﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ۝ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ۝ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[١٤].

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام: بالأمس هتف شاعر مؤمن فقال:

أقسمت بالله الذى ... فوق البرايا قد قهر
بالبيت بيت الله ... حج له الموحد واعتمر
سيقال حزب الله من ... حزب الضلالة قد ثأر

ومن تعاليم الإسلام أن يبر المؤمن قسم أخيه، فلنستلهم الله جل جلاله أن يدفعنا إلى تزكية القسم، حتى لا نضيع بين الأمم، والله ولى المجاهدين الصابرين، واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون.

***

(١٢) الزمر (١٠).
(١٣) الأحزاب (٢٢، ٢٣).
(١٤) هود (١٢١، ١٢٢).

ذهب ولم يعد

للأستاذ / أحمد السيد تقي الدين

أعلنت الشرطة البريطانية عن رصد مكافأة تصل إلى خمسة آلاف جنيه استرليني لمن يدلي بمعلومات تفيد في معرفة مرتكبي جريمة تدنيس جثة امرأة مسلمة في مشرحة أحد المستشفيات في غرب العاصمة لندن.

كانت المواطنة البريطانية المسلمة (حبيبة محمد) البالغة من العمر ٦٥ عاماً قد توفيت نتيجة لاصابتها منذ فترة طويلة بمرض السرطان، ولفظت أنفاسها الأخيرة في مستشفى (هيلنجتون) يوم (١٧) يناير الماضي، وعندما جاءت أسرتها لاستلام الجثة من المشرحة في اليوم التالي وجدوها مشوهة بأسلوب وصفته الشرطة بأنه (بشع وغير مسبوق) في بريطانيا.

وقال متحدث باسم شرطة اسكوتلانديارد: إن المحققين وجدوا الجثة قد تم تشويهها بصورة مرعبة، وقام الجناة بوضع شرائح من لحم الخنزير على وجه المرأة وأجزاء من جسدها.

قامت الشرطة باستجواب (٤٠) من موظفي المستشفى، كما قامت بمراجعة كاميرات الممرات المؤدية للمشرحة، ولم يتم التوصل إلى أية خيوط تقود للتعرف على مرتكبي هذا الحادث البشع.

السؤال الذي يفرض نفسه هو: إذا كان هذا هو حال المسلمين الأموات في المملكة المتحدة، فما هو يا ترى حال الأحياء؟!

وهل من حقنا نحن المسلمين أن نتحدث عن حقوق الأقليات الإسلامية المهدرة في الغرب، وأن نطالب بفرض عقوبات من أي نوع على تلك الدول، أم أننا لا نملك حتى مجرد التفكير في هذا الحق لأنه فقط حكر على الأقوياء؟!

وفي أفغانستان عندما أقدمت حكومة (طالبان) على تدمير تماثيل لـ (بوذا) أقام الغرب الدنيا ولم يقعدها معتبراً هذا العمل تدميراً للتاريخ واعتداء على قيمة ثقافية ورمز ديني له أتباع، واتهموا المسلمين بوجه عام بالتخلف والبربرية والإرهاب.

وعندما قام جيش الغزو الأنجلو أمريكي باقتحام المدن العراقية أباح أعمال السلب والنهب لعدد من المجرمين والقتلة أخرجهم من السجون العراقية لإشعال فوضى عارمة بالشارع العراقي تمكنت خلالها مافيا الآثار الدولية من السطو على كنوز العراق وتراثه التاريخي الضارب بجذوره في أعماق التاريخ، قبل أن يكون هناك ما يسمى بـ (الولايات المتحدة الأمريكية) أو أوروبا. ماذا حدث؟ صمت العالم كله! لماذا؟ لأن اللص هو السيد المطاع الذي يملك القوة والقدرة على ضرب كل من تسول له نفسه الاعتراض. ولأن المسروق بلد إسلامي ليس له الحق في الاعتراض بل ليس له الحق في امتلاك ما يفخر به ويؤكد عن طريقه عمق أصالته وجذوره الضاربة في أعماق التاريخ بل ليس له الحق في المطالبة بحياة كريمة آمنة!

هل يملك العالم الإسلامي محاسبة اللصوص والقتلة عما اقترفوه من جرائم؟ هل يملك إصدار عقوبات بحقهم؟

المؤكد أن الإجابة ستكون: لا، لا يملك العالم الإسلامي محاسبة أي مجرم يرتكب جريمة على أراضيه - أراضي العالم الإسلامي - مادام هذا المجرم قد ارتكب جريمته تحت حماية ومباركة وتأييد الشرعية الدولية، والنظام العالمي الجديد الذي أنشأته الولايات المتحدة الأمريكية.

أجل لا نستطيع ولن نستطيع.. وإلا فخبروني كيف نستطيع وقد هللت إحدى الحكومات العربية لنجاح القوات الأمريكية



أطفال العراق سعداء بحريتهم!!

والبريطانية المعتدية، في احتلال العراق وما ترتب على هذا الاحتلال من تدمير لمقدرات العراق الاقتصادية، وبنيته الأساسية، وتجويع شعبه، وحرمانه من كل مقدرات الحياة، وقررت هذه الحكومة العربية فرض عقوبات اقتصادية من قبلها ضد الدولة العربية التي اعترضت بشكل رسمي أو شعبي على الاحتلال الأمريكي للعراق.

مع أن شعوب العالم كله خرجت في مظاهرات مناهضة للغزو الأمريكي للعراق.. وحكومات: ألمانيا، وفرنسا،





العراق الحر – رؤية امريكية!!

وروسيا، وبلجيكا، والصين، رفضت بشكل علني وقوي هذه الحرب، واعتبرتها خرقاً لكل القيم والمواثيق والأعراف الدولية والإنسانية.

ورغم ذلك فإن تلك الحكومة العربية خصت بعقوباتها المزمعة الدول العربية فقط.. وبعد هذا يتحدث المتحدثون عن التضامن العربي. الذي يبدو أنه ذهب ولم يعد.

أجل ذهب ولم يعد.. أتدرون لماذا؟ لأننا عجزنا عن تدبر معاني آيات كتاب الله التي حفظناها ولم نع معناها.

فلو وعينا وتدبرنا قوله تعالى:

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[1]

وقوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2].

لو تدبرنا معنى هذه الآيات ما صار هذا هو حالنا، ولكننا فضلنا أن نكون كمثل الذين حُملوا التوراة ثم لم يحملوها.

***

(١) آل عمران (١٠٣) (٢) المائدة (٥١)

بين الصحف و المجلات

إعداد الأستاذ

محمود الفشني

جماعات تبشيرية تنتظر على حدود بغداد

نشر هذا الموضوع في النيويورك تايمز ونقلته جريدة الأخبار في عددها الصادر في ٦ / ٤ / ٢٠٠٣ وجاء فيه:

تقف اثنتان من المنظمات المسيحية البروتستانتية والتي هاجم زعماؤها الدين الإسلامي صراحة من قبل بين الجماعات التي يطلق عليها «جماعات الإغاثة» والتي تنتظر على حدود العراق لتقديم مساعدات ووسائل تبشير إلى دولة العراق التي يدين معظم سكانها بالإسلام.

موقف هذه الجماعات يمثل مشكلة لحكومة الرئيس بوش التي لا تريد أن تبعد عن العراق الجماعات المسيحية البروتستانتية ولكنها في نفس الوقت لا تريد أن يفهم العالم أن الحرب على العراق عبارة عن حملة صليبية الهدف منها تنصير شعب مسلم. وقد أعلن آرى فلايشر المتحدث باسم البيت الأبيض.. أنه ليس من مسئولية الحكومة تحديد الجماعات التي ستقدم المساعدة في العراق.. ولكنه في الوقت نفسه أبعد الرئيس بوش عن تعليقات زعماء هذه الجماعات عندما قال إن الرئيس يعرف أن الإسلام دين سلام وأنه لا يهتم بمن يقول إن الإسلام غير ذلك. معروف أن تلك الجماعتين والتي يطلق على إحداهما «مؤتمر المعمداني الجنوبي».

والثانية يطلق عليها «كنيسة السامري» تعتبر هذه الجماعات من أكثر مؤيدي سياسات الرئيس بوش. وقد أعلن مؤتمر المعمداني الجنوبي وهو أكبر تجمع بروتستانتي أنه منذ بداية الحرب الأمريكية على العراق تطوع حوالي ٨٠٠ مبشر من خلال بعثتها لتقديم مساعدة روحية

ونفسية للجماعات العراقية . كان أحد زعماء تلك الجماعة قد أغضب مشاعر المسلمين في العالم عندما وصف النبي محمد ﷺ بأوصاف غير لائقة منها أنه «إرهابي» وشاذ مع الأطفال .

أما الجماعة الأخرى والتي يطلق عليها كنيسة السامري .. فهي إحدى جماعات الإغاثة التي يديرها فرانكلين جرهام ابن المبشر البروتستانتي بيلي جراهام والذي تلا التعويذات الدينية للرئيس بوش في حفلة تنصيبه :

وتقول صحيفة النيويورك تايمز الأمريكية إن أعضاء هذه الجماعات موجودة حالياً في الكويت والأردن .. وأنهم حالياً يساعدون في إعداد التجهيزات الطبية والماء التي ستقدم بعد ذلك إلى العراق .

كان جراهام قد أثار ضجة في العام الماضي عندما نشر كتاباً وأدلى بأحاديث اتهم فيها الدين الإسلامي بأنه دين عنف وشر . وعندما سئل هذا الأسبوع عن هذه التصريحات قال إنه لم ير ما يدفعه لتغيير آرائه وقال إنه يحب المسلمين ويحب العالم العربي ولديه العديد من الأصدقاء فيه إلا أنه يختلف مع دينهم الإسلامي ويختلف معهم كمسلمين .

ويقول قادة المسلمين في أمريكا : إنه رغم أن العراقيين يحتاجون المساعدة إلا أن الحكومة الأمريكية يجب أن تحد من عمل الجماعات التي تكره دين الشعب «الإسلامي» الذين يقولون إنهم يريدون مساعدته .

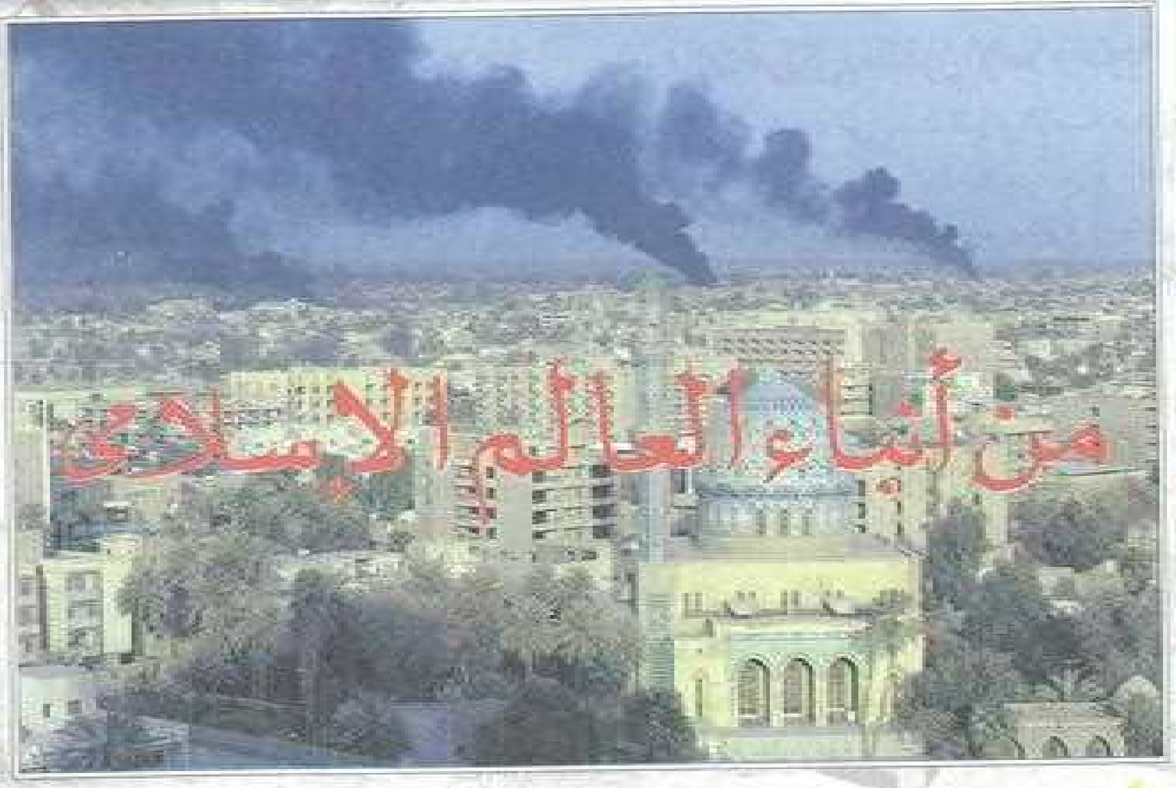
ويقول إبراهيم هوبر المتحدث باسم مجلس العلاقات الإسلامية في واشنطن : إنه من غير المناسب أن تحظى هذه الجماعات بهذا الدور في وقت يشك المسلمون في العالم في نواياهم .. ويعتقد العديد من المسلمين أنها حرب ضد الإسلام وأن هذا النوع من الأنشطة التي تقوم به هذه الجماعات يؤكد هذه الشكوك .

لم ينته الدرس يا عرب

نشرت جريدة الجمهورية هذا الكلمة في ٢٠ / ٤ / ٢٠٠٣ للأستاذ أحمد حرك قال فيه :

انتهت المأساة .. وأفاق الشعب العربي على فضيحة تسليم بغداد دون أي مقاومة .. بعد أن عاش في ظل إعلام كاذب ـ أوهم الجميع أن المعركة لن تكون سهلة و ستدفع أمريكا وحلفاؤها الثمن باهظاً من أرواح جنودها .. ولكن سرعان ما تبخر كل هذا فجأة .. وسقطت بغداد بسهولة لم تكن متوقعة برغم من أن بعض المدن العراقية قاومت وكبدت الغزاة خسائر بشرية .. وكانت القيادة العراقية تؤكد أن المعركة الفاصلة ستكون في بغداد .. وفي تلك الفترة كان الصحاف وزير إعلام صدام يتحدى بعنتريات جذبت أسماع الناس في كل الدول العربية خاصة عندما أعلن عن مفاجأة ظل الجميع يترقبها .. فكانت المفاجأة هي استسلام بغداد بدون مقاومة وسقوط صدام وعصابته .

وفي تصوري أنه لابد من دراسة أسباب سقوط النظام العراقي بهذه السهولة .. لأن في الدراسة فائدة كبيرة لبناء مستقبل على أسس سليمة .



من أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ / محمد الشرقاوي

مستشار بوش المستقيل - نهب الآثار العراقية يفوق ما فعله المغول

اتهم «مارتين سوليفان» رئيس اللجنة الاستشارية الرئاسية المختصة بالشئون الثقافية - الذي استقال من منصبه مع عضوين آخرين احتجاجاً على نهب الآثار العراقية - القوات الأمريكية بغض الطرف عن عمليات النهب المنظمة لكنوز المتاحف العراقية واقتصار اهتمامها على حماية حقول البترول ! ووصف «جاري فيكان» - العضو الآخر المستقيل - ما حدث في بغداد بأنه يفوق ما فعله المغول قبل ٧٠٠ عام وأعلنت الشرطة الدولية «الإنتربول» عن حملة لتتبع الآثار العراقية .

وفي باريس أكد خبراء آثار شاركوا في اجتماع لليونسكو إن عصابات منظمة نفذت عمليات النهب وأن بعض القطع الأثرية ربما وصلت فرنسا وإيران .

إعمار العراق على الطريقة الأمريكية

طبقا للتقديرات الأمريكية فإن تكلفة إعادة إعمار العراق قد تزيد على مائة مليار دولار فيما يعد أضخم مشروع إعادة إعمار بعد الحروب وأعربت الشركات الأوروبية الكبرى عن عدم تفاؤلها خاصة بعد أن قررت وكالة التنمية الدولية الأمريكية المانحة لعقود

الإعمار قصر تقديم عروض أول ثمانية عقود في العراق على الشركات الأمريكية.

وقد كشفت العديد من المصادر أن الوكالة تمنح معامل تفضيلية للشركات التي لها علاقة بإدارة بوش أو التي قدمت تبرعات لحملة الرئيس الانتخابية وكان آخرها شركة الأمن الخاصة «داين كورب» التي تم التعاقد معها للحفاظ على الأمن في العراق على الرغم من سجلها الحافل بانتهاك حقوق الإنسان عندما قامت بنفس المهمة في البوسنة.

كانت «داين كورب» التي قدمت تبرعات تصل إلى مائة ألف دولار للحزب الجمهوري الأمريكي في الانتخابات الأخيرة قد بدأت في التعاقد مع عدد من المتطوعين الذين سيعملون على حفظ الأمن في العراق وإبرام عقود معهم لمدة تتراوح ما بين ثلاثة أشهر وعام ومن المنتظر أن يحصل هذا المتطوع على أجر يصل إلى «٨٠» ألف دولار سنويا بالإضافة إلى بدل مخاطر.

وفي ظل الخطة الأمريكية لبناء عراق على الطريقة الأمريكية كشفت الصحف الأمريكية عن خطط لتغيير نظام التعليم في العراق يتولاها علماء عراقيون في المنفى وخبراء تعليم أمريكيون وقد بدأوا في العمل منذ يناير الماضي من خلال مكتب «مستقبل العراق» التابع لوزارة الخارجية الأمريكية والنظام التعليمي الجديد يهدف إلى تطبيق مناهج جديدة تقوم على تعدد اللغات والابتعاد عن النظام الحالي الذي تستخدم فيه اللغة العربية.

٨٠ ألف أمريكي يعتنقون الإسلام سنويا

يتراوح عدد من يعتنقون الإسلام في الولايات المتحدة سنويا ما بين «٥٠» و«٨٠» ألف أمريكي بينهم سود وبيض وآسيويين ومن ذوي أصول أمريكية لاتينية حيث تشير مجلة «الاكسبريس» الفرنسية إلي أن هذا الإقبال لأناس يبحثون عن الروحانية وأنهم وجدوا ضالتهم في القرآن الكريم في رد فعل على المادية والنزعة الفردية المسيطرة على المجتمع الأمريكي وفي المقابل فإن هناك أكثر من «١٢٠٠» مسجد في أمريكا أقيم منها «٨٧٪» خلال الأعوام الثلاثين الأخيرة وأن المسلمين بهذا المعدل في الزيادة سيصبحون أكبر أقلية دينية في المجتمع الأمريكي.

وذكرت الإحصائيات أن عدد المسلمين في أمريكا بلغ نحو سبعة ملايين نسمة اعتنق «٤٠٪» منهم الإسلام من غير الوالدين.

والمسلمون الأمريكيون يدينون الإرهاب ومع ذلك فإنه أصبح من غير السهل على المسلم أن يظهر إسلامه في المرحلة الأخيرة وأن زعماء المسلمين هناك لا يجرؤون على نقد الحكومة علنا خوفا من التعرض لهم بتهمة عدم الوطنية ولا يستطيع احد أن يقدم تبرعا إلى أي جمعية خيرية إسلامية دون أن يتعرض لاحتمال اتهامه بأنه على علاقة بالإرهاب -على حد زعم السلطات الأمريكية- مما يؤدي لحرمانه من الجنسية الأمريكية.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسي

دعوة الإمام الأكبر لرئاسة أعمال المؤتمر الدولي لحوار الأديان بكازاخستان

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف معالي السفير / بغدادي أمربيف سفير كازاخستان بالقاهرة حيث رحب فضيلته بسيادته في الأزهر الشريف مشيدا بما يتخذه شعب جمهورية كازاخستان نحو إعمار بلادهم والنهوض بها داعيا لهم بدوام التقدم والتوفيق، ومن جانبه قدم السيد السفير شكره على حسن الاستقبال والحفاوة، وعلى استقبال الطلاب لتعليمهم بالأزهر الشريف، وعلى ما تقدمه مصر من خدمات ثقافية وعلمية وتعليمية، وأوضح أن تعداد سكان كازاخستان ١٦ مليون نسمة ونسبة المسلمين فيها ٦٥٪ من تعداد السكان، وقدم سيادته الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر وهي دعوة رسمية من رئيس الجمهورية لزيارة كازاخستان في منتصف شهر مايو ٢٠٠٣ وذلك للإعداد لعقد مؤتمر دولي كبير لحوار الأديان والحضارات، ثم حضور المؤتمر في شهر سبتمبر ٢٠٠٣. وأوضح السيد السفير أن رئيس جمهورية كازاخستان تقديرا منه للأزهر الشريف وأنه أعلى هيئة علمية في العالم ولمكانة شيخ الأزهر الشريف رغب في أن يكون المؤتمر برئاسة فضيلة شيخ الأزهر الشريف وبرفقته وفد من الأزهر الشريف ومن جانبه قبل فضيلته الدعوة وشكر السيد السفير عليها ووعد بدراستها تمهيدا لتلبيتها.

الإمام الأكبر يستقبل وزير خارجية الجزائر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف معالي الوزير عبدالعزيز بلخادم وزير خارجية الجزائر يرافقه الدكتور / سليمان الشيخ سفير الجزائر بالقاهرة، وقد رحب فضيلته بالضيفين الكريمين في مصر وأزهرها الشريف،

وتطرق الحديث إلى الاعتداء على الشعب الفلسطيني وما يعانيه من أمور يندى لها الجبين وأوضح فضيلته أننا مع الشعب الفلسطيني نعاونه وننأصره ونؤيده بكل ما نستطيع حتى تزول عنه الغمة، وقال فضيلته إننا أوضحنا أن الحروب الصليبية مضى عليها مئات السنين وما يحدث من عدوان على الدول العربية والإسلامية نحن نرفضه وترفضه كثير من الدول في العالم ويطالب الجميع بأن تحل المسائل بطريقة سلمية وليس بالغزو والتدمير وندعو الله عز وجل أن يصلح الأمور، والأمم والشعوب، أوجدها الله عز وجل لكي تتعايش مع بعضها وتتعاون، وتتبادل المصالح فيما بينها، وأكد على أن الإسلام وضع الميزان الدقيق الذي يحدد التعامل مع المسلم ومع غير المسلم، وقد شكر السيد الوزير فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على ما يقدمه لأبناء المسلمين في العالم للتعليم في الأزهر، وعلى الدورات التدريبية التي يقوم بها الأزهر الشريف ويتعلم فيها أبناء الجزائر، وينقلون ما تعلموه لأبناء الجزائر، كما أثنى على نداء الأزهر على العالم المتحضر وإلى كل القوى المحبة للسلام بشأن الدفاع عن القدس الشريف وعن إخواننا في فلسطين.

ويستقبل القائم بأعمال سفارة أفغانستان

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد/ عبدالغفار قرضاي القائم بأعمال سفارة أفغانستان بالقاهرة يرافقه الدكتور/ فايز جبريل ممثل منظمة الصحة العالمية السابق وتأتي هذه الزيارة بمناسبة تولي القائم بالأعمال أعمال السفارة بالقاهرة، وقد رحب فضيلته بهما في مصر وفي الأزهر الشريف، ومن جانبه أشاد الضيف بدور الأزهر الشريف وبمكانته العالمية، وقدم لفضيلة الإمام الأكبر تحيات الرئيس/ حامد قرضاي رئيس أفغانستان، وأكد على دعم سبل التعاون بين الأزهر الشريف وأفغانستان كذا تدعيم الروابط الإسلامية، وطلب زيادة المنح الدراسية لطلاب دولة أفغانستان للتعليم بالأزهر الشريف حتى ينهلوا من منابع العلم والمعرفة من أصولها المتمثلة في الأزهر الشريف وشيخه الجليل، وقد أوضح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف أنه قد تخرج في الأزهر الشريف أعداد كثيرة حصلوا على الشهادات العليا من الأزهر والسفير السابق كان من خريجي الأزهر الشريف، حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

سفير تايلاند بالقاهرة :

الأزهر منارة العلم في العالم

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الدكتور/ واراويت كانيثاسان سفير مملكة تايلاند بالقاهرة رئيس سفراء الدول الآسيوية، حيث رحب فضيلته بالضيف مؤكدا على أن عدد الطلاب الذين يدرسون بالأزهر الشريف من مملكة تايلاند ٤٩٦ طالبا وطالبة، والأزهر الشريف يقدم لهم كل العون والمساعدة حتى ينتهوا من دراستهم ويكونوا سفراء في بلادهم للأزهر الشريف، وقد شكر الضيف فضيلة شيخ الأزهر على حسن الاستقبال والحفاوة البالغة، وقدم شكر بلاده ملكا وحكومة وشعبا للأزهر الشريف منارة العلم وموئل العلماء في العالم، على الدور التعليمي لتعليم أبناء المسلمين أمور الدين بيسر وسهولة واعتدال، وقدم الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لزيارة تايلاند وذلك لما لهذه الدعوة من أثر كبير لدى المسلمين في مملكة تايلاند، ورغبتهم في لقاء شيخ الإسلام كما قدم الشكر لافتتاح فرع لجامعة الأزهر الشريف بمملكة تايلاند.

الإمام الأكبر :

الظلم يؤدي إلى تدمير الأمم والشعوب

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد ضباط القضاء العسكري في إطار الدورة التي ينظمها المركز القومي للدراسات القضائية لضباط القضاء العسكري من المصريين والعرب. وأوضح فضيلته أن القضاء في الإسلام هو الذي يحق الحق ويبطل الباطل، والقرآن الكريم يأمر الناس جميعا بالالتزام بالعدل في القول والفعل والشهادة، بل إن شريعة الإسلام تأمر بالعدل مع الأعداء.

وهكذا نجد شريعة الإسلام تأمر بالعدل في كل ألوان السلوك والأحكام، كما يبين أن الظلم حرمه الله عز وجل على نفسه، والظلم يؤدي إلى تدمير الأمم والشعوب، وقد بين النبي ﷺ أن الظلم ظلمات يوم القيامة، فالقضاء مهمة سامية تستلزم ممن يقوم بها أن يلتزم الحق والصدق والعدل في أحكامه حتى تسعد الأمم التي يسود فيها روح العدل، أما الأمم التي يسودها الظلم فلابد أن يكون أمرها فرطا وما الله بغافل عما يعمل الظالمون.

افتتاح مجمع الشيخ زايد النموذجي

افتتح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف مجمع الشيخ زايد النموذجي للبنين حضانة وابتدائي وإعدادي بمدينة الشيخ زايد ويعد هذا المبنى صرحا علميا يضاف إلى صروح الأزهر الشريف، وقد

أنشىء على مساحة ٢٦٢٠٠ متر ربع يشتمل على ١٣٤ حجرة مجهزة تجهيزا حديثا به معملين للصوتيات، ومعملين كمبيوتر مجهز بأحدث الأجهزة وستة معامل خاصة بالكيمياء والفيزياء والأحياء، وستة معامل للأنشطة والهوايات الفنية المختلفة من سباكة ونجارة وكهرباء وحدادة وفنون أخرى، كما يضم مكتبة قيمة على مساحة ٨٠٠م٢، تشتمل على أكثر من ألفى كتاب فى مختلف التخصصات والمراجع العلمية والدينية لكل مستوى تعليمى ويحيط بالمبنى مساحات خضراء، وثلاث ملاعب للأنشطة الرياضية المتنوعة، وقاعة كبرى للاجتماعات تسع ٥٠٠ فرد، ومسرح، وبه مسجد على مساحة ٣٢٠ مترا ويتكون المجمع من ثلاثة أدوار قابلة للزيادة وتقدر القيمة الحالية للمبنى والتجهيزات بحوالى ستة ملايين من الجنيهات، وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف كلمة شكر فيها السادة القائمين على إنجاز هذا العمل الضخم وهذا الصرح العظيم موضحا بأن الأزهر يقوم بتدريس القرآن وعلومه واللغة العربية وعلوم الشريعة الإسلامية، وأن الدراسة فى الأزهر تقوم على التوسط والاعتدال والبعد عن المغالاة والتطرف والتعصب.

وقام فضيلته بتوزيع الجوائز وشهادات التقدير على الطلبة المتفوقين وعلى الأساتذة والمعلمين.

الإمام الأكبر:

لا يوجد خلاف بين السنة والشيعة فى الأصول والأركان

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف آية الله سيد محمد خامينىء من علماء إيران هو شقيق آية الله سيد على خامينىء المرشد العام بالجمهورية الإيرانية يرافقه سعادة سيد هادى خسرو شاهى سفير الجمهورية الإسلامية الإيرانية بالقاهرة، حيث رحب فضيلته بالضيفين الكريمين فى الأزهر الشريف شارحا لهما أسلوب الدراسة فى الأزهر الشريف فى المراحل المختلفة، والتأكيد على حفظ القرآن الكريم فى جميع المراحل، والمعاهد الأزهرية تزيد على ستة آلاف معهد منتشرة فى أنحاء الجمهورية، وأضاف أن جامعة الأزهر الشريف بها حوالى ثمانين كلية ومنها الكليات الأصيلة كالشريعة وأصول الدين واللغة العربية وكلية الدعوة وكلية الدراسات الإسلامية والعربية، والكليات العملية كالطب والهندسة والزراعة والعلوم

والصيدلة وطب الأسنان، واللغات والترجمة والتربية الرياضية ومنها للبنين ومنها كليات للبنات وهذه الكليات منتشرة فى محافظات الجمهورية، كما تطرق الحديث عن الشعب العراقى، وأكد فضيلته على حرص مصر الشديد على أن تكون للشعب العراقى حكومته التى تؤلف من أبنائه والتى تقوم على العدل وعلى الحرية وعلى روح الإسلام، وقال فضيلته إن كل من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويؤدى أركان الإسلام فهو مسلم لا فرق فى ذلك بين السنة والشيعة لأنه لا يوجد خلاف فى الأصول والأركان وإذا وجد خلاف فهو المسائل الفرعية، وشكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على حسن اللقاء ونقل إليه تحيات بلاده رئيسا وحكومة وشعبا مؤكدا على أن حكومة جمهورية إيران بها السنى والشيعى، وأكد على دعوة خمسة من علماء الأزهر الشريف لحضور المؤتمر الذى سيعقد فى إيران فى ١٢ من ربيع الأول سنة ١٤٢٤هـ الموافق ١٣ من مايو سنة ٢٠٠٣ تحت عنوان «التقريب بين المذاهب والوحدة الإسلامية» وقد وعد فضيلة الإمام بتلبية هذا المطلب فى أقرب وقت وإبلاغ السفارة بذلك.

الإمام الأكبر يفتتح مشروعات دينية جديدة بصعيد مصر

● توجه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر إلى محافظة أسيوط وذلك لافتتاح مسجد الشيخ عثمان عبدالحق بمدينة المعلمين، كما تفقد مبنى استراحة الأزهر الشريف ومعهد الفتيات الثانوى وشاهد معرض رعاية الشباب بالأزهر الشريف المقام بالمعهد، كما توجه بعد ذلك إلى محافظة سوهاج حيث افتتح فضيلته معهد الفتيات الدينى الأزهرى بقرية نيدة بمركز إخميم والمقام على مساحة ١٢٠٠م مربع بتكاليف حوالى مليون جنيه كما افتتح المعهد الابتدائى الأزهرى بسفلاق مركز ساقلتة والمقام على مساحة ١٠٠٠م مربع بتكلفة ثلاثة أرباع مليون جنيه إضافة إلى مكتب بريد بحى الكوثر مقام على مساحة ١٥٠م مربعا بتكلفة ١٥٠ ألف جنيه، واجتمع فضيلته بشباب سوهاج بالمعهد العالى لعلوم الكمبيوتر وتكنولوجيا الإدارة وتحدث معهم فى عدد من القضايا الدينية والقومية وأجاب على أسئلتهم واستفساراتهم ثم زار مراغة ووضع حجر الأساس لمعهد دينى بقرية فزارة، كما زار مركز طما حيث تفقد مجمع طما الدينى الأزهرى المقام على مساحة ٢٠٥٨م. مربعا، وافتتح المجمع

الأزهرى الابتدائى الإعدادى الثانوى بقرية سليم الشرقية مسقط رأس فضيلته والمقام على مساحة ٢٠٥٨م.مربعا بتكلفة حوالى مليونى جنيه ثم توجه إلى نجع أولاد غريب بالكوامل حيث افتتح معهد الفتيات الدينى الأزهرى المقام على مساحة ١٠٢٩ مترا مربعا بتكلفة قدرها مليون ونصف المليون جنيه وأكد فضيلته فى هذه اللقاءات على أننا فى مصر نعيش جميعا مسلمين ومسيحيين إخوة متحابين تربطنا الأخوة الصادقة فى عصر السيد الرئيس محمد حسنى مبارك والذى يتميز بالحكمة بما يعود بالأمن والأمان والخير على بلادنا والأجيال المقبلة، وخطب فضيلته الجمعة بمسجد العارف بالله بمدينة سوهاج وقال فضيلته نحن فى عصر يحتاج منا إلى التعاون فيما بيننا وتكاتف الجهود وصفاء النفوس لتحقيق الرخاء والطمأنينة.

وعلينا أن نأخذ بوسائل التطور والتقدم والجد والاجتهاد مشيرا إلى أن الدول العاقلة الرشيدة لابد أن تساير التطور العلمى وتجارى العصر الحديث الذى أصبح عصر ذئاب.

شهد هذه الاحتفالات محافظا سوهاج وأسيوط ورجال الدين الإسلامى والمسيحى والقيادات التنفيذية والشعبية.

الإمام الأكبر يفتتح الدورة (٦١) لأئمة ووعاظ العالم الإسلامى

● شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف حفل تخريج الدورة التدريبية العالمية رقم ٦٠ لأئمة ووعاظ العالم الإسلامى التى استمرت ثلاثة أشهر اعتبارا من ١/٢/٢٠٠٣ حتى ٣٠/٤/٢٠٠٣ من دول الجزائر، الكاميرون، تنزانيا، ماليزيا، المالديف، حيث تلقوا خلالها العلوم والمعارف فى شتى العلوم وتدربوا على الفتوى على أيدى متخصصين من علماء الأزهر الشريف وأساتذة جامعة الأزهر الشريف، وقد ألقى فضيلته كلمة هنأ فيها العلماء على حصولهم على العلم النافع المفيد وحثهم على نقل ما تعلموه إلى أهليهم وأبنائهم فى بلادهم بطريقة ميسرة بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يظهروا وجه الإسلام السمح وحقيقته الناصعة وعليهم أن يكونوا قدوة طيبة لغيرهم، وأن يتحلوا بمكارم الأخلاق وحسن السيرة، وأوصاهم أن يكونوا على صلة بالأزهر الشريف وإخوانهم من العلماء، وأن يبتعدوا عن التعصب، وعن التشدد وأن تكون دعوتهم لخدمة دينهم وخدمة أمتهم، ودعا لهم بدوام التوفيق والسداد، ووزع عليهم شهادات التخرج

وسلم كل عالم مكتبة إسلامية قيمة تحتوى على أمهات الكتب لتكون مرجعا لهم.

كما افتتح فضيلته الدورة ٦١ لأئمة ووعاظ العالم الإسلامى وعددهم ٢٤ عالما من دول: الصين، ونيجريا، والهند والسودان، والجزائر، وجزر القمر، وتبدأ هذه الدورة اعتبارا من ١/٥/٢٠٠٣ ولمدة ثلاثة أشهر.

يوم الوفاء

● شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف حفل يوم الوفاء الذى تقيمه اللجنة النقابية بمنطقة القاهرة الأزهرية للعام الثالث على التوالى تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وإشراف السيد/ هاشم مصطفى رئيس اللجنة النقابية، وقد ألقى فضيلته كلمة حيا فيها المكرمين البالغ عددهم ٧٥ مكرما وحثهم على مزيد من الجهد والعطاء مشيدا بأن يوم الوفاء هو نموذج طيب للعاملين بالأزهر وهم أحق بالوفاء من غيرهم لأنهم حفظة القرآن الكريم والذين يصححون المفاهيم الإسلامية لمن يسيئون للإسلام ولمن يشوهون صورته الحقيقية مؤكدا على أن التكريم إنما هو نموذج يحتذى به جميع العاملين الذين سيكرمون فى الأعوام القادمة حين يبذلون كل ما فى وسعهم من جهد وعطاء، مشيدا بالجهد الذى يبذله القائمون على اللجنة النقابية.

وقام فضيلته بتوزيع الدروع وشهادات التقدير على المكرمين من القيادات والعاملين الذين أثبتوا كفاءتهم فى العمل، وتم إهداء درع اللجنة النقابية لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف تعبيرا عن دوره فى قيادته الرشيدة وتوفير الإمكانات للعاملين بالأزهر الشريف ليظل على رأس المؤسسات التعليمية ذات المكانة العالمية للمسلمين فى شتى أنحاء العالم، كما تم تكريم فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ محمود إمبابى رئيس قطاع المعاهد الأزهرية وفضيلة الشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأسبق وفضيلة الشيخ محمد شحاتة رئيس منطقة القاهرة الأزهرية وغيرهم من السادة المكرمين.

شهد الحفل لفيف من أصحاب الفضيلة قيادات الأزهر الشريف والقيادات النقابية.

﴾O Seeds of Isrâ'îl, surely I am the Messenger of Allah to you sincerely (verifying) that which is before me of the Tawrâh, and of a constant bearer of good tidings of a Messenger who shall come up even after me, whose name is Ah̲mad."﴿ [As-Saff (The Ranks): 6].

Before the coming up of the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, many people were impressed by the features and characteristics of the Prophet mentioned by Christian and Jewish scholars and monks, so some of them prepared themselves or even their sons to be that expected Prophet.

Al-Mutahanifah in the Arab lands:

Al-Mutahanifah were a group among Arabs and who were looking and searching for truthfulness in the Pre-Islamic Age. They were expecting the coming up of a Prophet that would fill the land with equity and eliminate injustice, and guide people to a better life, rather than that of polytheism, delusion, aberrance and corruption.

It came to their knowledge, through Christian and Jewish scholars and monks, that a Prophet be sent at the end of time and that his appearance became near.

Al-Mutamanun (The Wishers)

They were a group of individuals that each of them wished to be that coming Prophet himself. Among them was the poet Umaiyah Ibn Abus-Salat. He had a wish to be that Prophet, and so he prepared himself and began to practice asceticism and renounce wine. He was a great eloquent poet. His poetry was revolving about the Creation, Resurrection, Paradise, Hellfire, and the Call to worship one deity. Consequently, when the true Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, came up,

Umaiyah envied him and denied all that the Prophet was calling to. Some scholars say that Allah, Glory be to Him, mentioned that poet in the following Verse,

﴾And recite to them the tiding of him to whom We brought Our signs, yet he stripped himself out of them; then Satan followed up after him, (and) so he became of the misguided (ones).﴿ [Al-A'raf (The Battlements):175].

The coming up of the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, was a manifest response from Allah, The Most High, to the invocation of Ibrahim, the father of the prophets, in which he said,

﴾Our Lord, and send forth among them a Messenger, (one) of them, who (shall) recite to them Your âyât and teach them the Book, and (the) Wisdom, and cleanse them; surely You, (only) You, are The Ever-Mighty, The Ever-Wise.﴿ [Al-Baqarah (The Cow): 129].

In brief, all these reports and glad tidings are considered proofs of the greatness of the last Messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him. These glad tidings had to be given concerning his coming up, so as to indicate his grandness. According to those glad tidings, Muhammad was the Prophet sent by Allah to destroy idols and stones, eliminate delusions and errors, and call to the religion of peace and righteousness. Allah, Exalted be He, revealed,

﴾He is (The One) Who has sent His Messenger with the guidance and the religion of the Truth, that He makes it topmost above all religion; and Allah suffices as an Ever-Present Witness.﴿ [Al-Fath̲ (Conquest): 28].

guilt." Undoubtedly, the Prophet recalled back the tragic, painful death of his most beloved daughter. Now, he can put his heart at ease and kill Habbar. However, the Prophet would not do so. He turned to Habbar and said, "Go Habbar I forgive you."

Concerning the Prophet's forgiveness, Abu Hurairah narrated that the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, said, "A man said, 'Tonight, I shall give a charity.' He gave it to a prostitute. People were surprised and said, 'A charity was given to a prostitute!' When he heard them, he said, 'O Allah, all praise be to You. I have given a charity to a prostitute.' At another night, that man said, 'Tonight, I shall give a charity.' He gave it to a rich man. People were surprised and said, 'A charity was given to a rich man!' When he heard them, he said, 'O Allah, all praise be to You. I have given a charity to a rich man.' At a third night, he said, 'Tonight, I shall give a charity.' He gave it to a thief. People were surprised and said, 'A charity was given to a thief!' When he heard them, he said, 'O Allah, all praise be to You. I have given a charity to a prostitute, a rich man and a thief.' One night, he had a vision, in which he heard, 'Your charity was accepted. As for the prostitute, she may take it and renounce prostitution. As for the rich man, he may follow your example and spend from what Allah has given him. As for the thief, he may take it and renounce theft.'"

In this impressive story, the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, refers to the forgiveness that should be shown toward such astray people so that they may return to the right path of Allah.

In conclusion, the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, was sent as a constant bearer of glad tidings before he was sent as a warner. Hence, Muslims should follow his magnificent example. They should do so in order to please Allah and be ready for the Last Day.

*In The Procession Of The Glad Tidings Of The Prophet's Coming Up

By: Abdul-Hafiz Al-Qurani

The coming up of the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, to this world was nothing ordinary or common that minds may skip or bypass. Rather, it was unordinary and unique matter that has no parallel in the history of humanity, and that suits the sublimity and elevation of the Message the Prophet was chosen to deliver. Hence, there had been glad tidings to predicate his coming up. All Heavenly Books stated and gave glad tidings of his coming up, so as to take people out of darkness to light.

Allah, Glory be to Him, predestined that the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, be the Seal of prophets and messengers. Allah, the All-Mighty, also predestined that the Prophet's Message be the religion for all mankind and that his nation be the best of nations. The Ever-Glorious Book stated, in different positions, that the Prophet was mentioned in the previous Books. For instance, Allah, Exalted be He, revealed,

﴾The ones who closely follow the Messenger, the Prophet, the illiterate one, whom they find written down in their presence in the Tawrâh and the Injîl, commanding them to beneficence, and forbidding them from maleficence, making lawful for them the good things, and prohibiting for them the wicked things, and ridding them of their obligation and the shackles that were upon them.﴿ [Al-A`raf (The Battlements):156].

It also came in the Chapter of As-Saff (The Ranks) that Îsâ, may the blessing and peace of Allah be upon him, said,

* An Article Published (In Arabic) At Al-Azhar Magazine.

Reflections on the Prophet's Birthday

"The Good Example"

By: Dr. Muhammad Rajab Al-Baiomi

Verily, Allah's Messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, represents a good example, as he was chosen by His Lord to be the means of guiding people. Concerning the Prophet's character, Allah, Glory be to Him, said,

﴾And surely you are indeed of a magnificent character.﴿

[Al-Qalam (The Pen): 4]

Forgiveness is the topmost human virtue, as the one characterized by it manages to overcome the instinct of revenge. Zaynab, may Allah be pleased with her, was the Prophet's first daughter. She took after her mother, Khadijah Bint Khuwaylid, Mother of the Faithful. Zaynab was most endeared and beloved by the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him. She embraced Islam as soon as her parents declared the Call. When it was the time for migration, her father, Muhammad, may the blessing and peace of Allah be upon him, migrated, but she could not leave her house and children at Mecca. Both the Prophet and his daughter felt great longing for each other.

When the polytheists of Mecca declared war against the Messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, she felt distressed for both her father and her husband, Abul-`As, who took the side of the disbelievers. She kept asking herself, "Will Muslims win and kill my husband, or will the disbelievers win and put out the light of Islam and kill my father?" She invoked Allah saying, "O Allah, let my father win and keep my husband safe." Then the war took place and her husband was captured by Muslims. Families of the captives hurried to Mecca in order to send ransoms to the Prophet to let captives free. When Zaynab knew that her husband was captured, she did not send gold or silver as a

ransom, despite the wealth of her husband, but she sent the necklace that her mother had given her on her wedding. The Messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, was surprised to see the necklace being put in his hands, as he immediately recognized it. As a result, he felt great sympathy and turned to Muslims and said, "May you send back this necklace to her and let go of her captive?" Then, he called Abul-`As and said to him, "Carry this necklace to Zaynab and tell her that I want to see her."

When Abul-`As delivered the Prophet's message, Zaynab hurried to see him. Therefore, Abul-`As asked his brother, Kinanah Ibnur-Rabie', to accompany Zaynab on her journey. Kinanah was a brave arrows-shooter. In their way toward Medina, some of the disbelievers under the leadership of Habbar Ibnul Aswad, who wanted to kill Zaynab and cause the Prophet to suffer, attacked them and wounded the camel she was riding on and she fell on a hard rock. Zaynab was pregnant and due to such fall she was aborted and her blood began to flow. When Kinanah saw such thing, he was astonished and became angry and directed his arrows to them and killed some of them, but Habbar and the rest turned their backs and fled.

Zaynab came to Medina with her blood still flowing. When the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, saw her, he felt great pain and ordered that Habbar be killed. As for Zaynab, she could not bear such pain and died. Her death caused a lot of suffering to her father. Later, the Messenger conquested Mecca, so Habbar realized that the time of retaliation has come. He also realized that there is no place for him to run. Consequently, he came to the Prophet saying, in humiliation, "O Allah's Prophet, I have tried to flee, but I remembered your kind, merciful, forgiving nature, forgive me for my ignorance, as I admit and regret my odious

AL-AZHAR MAGAZINE
Rabee' Awwal 1424 A. H.

ENGLISH SECTION
May/ June 2003

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾
الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor, Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

The Prophet's Birthday And The Universality Of His Message

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

At-Tabari narrated that Al-Akhnas Ibn Shurayq met with Abu Jahl and held with him a secret conversation, in which he said, "O Abul-Hakam, answer my question directly, 'Is Muhammad truthful on what he claims of prophethood, or not? There is no one here but us, so level with me!' Abu Jahl replied, 'Woe unto you! By Allah, Muhammad is a truthful and he never told a lie. But what will happen if Banu Qussai (the Prophet's kinsfolk) took hold of the banner (leadership), the guardianship (of the Ka`bah), the duty of giving water to the pilgrims and the prophethood, as there will be nothing left for the rest of Quraysh?'" Although he was among the polytheists, Abu Sufiyan admitted the Prophet's truthfulness, when he was asked by Hercules.

Allah, Glory be to Him, described the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, as,

﴾And in no way does he pronounce (any word) out of prejudice. Decidedly, it is nothing except a revelation revealed.﴿ **[An-Najm (The Star): 3-4]**

Hence, the Prophet's truthfulness, admitted by his enemies, was the reason behind the acceptance of what he was delivering.

The Islamic religion is the last religion that draws to it the non-Muslims and so realizing and disseminating its universal message based on complete equity among all people. In addition, Islam does not coerce anyone to embrace it, as Allah revealed,

﴾There is no compulsion in the religion.﴿

[Al-Baqarah (The Cow):256].

Moreover, Islam calls to peaceful coexistence among Jews and Christians, as Allah, Glory be to Him, revealed,

﴾The food of the ones to whom the Book was brought is lawful to you, and your food is lawful to them.﴿

[Al-Ma`idah (The Table): 5]

الفهرس

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربى

● ● ●

رئيس التحرير
أ.د. محمد رجب البيومى

نائب رئيس التحرير
الطاهر محمد الطاهر الحامدى

مدير التحرير
عادل رفاعى خفاجة

سكرتير التحرير
أحمد السيد تقى الدين

الاشتراك السنوى

- داخل مصر ١٨ جنيها مصريا
- الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا
- أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا
- اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم
مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر
ت: ٢٦٣٨٥٩٩

ربيع الآخر ١٤٢٤هـ - يونيه ٢٠٠٣م - الجزء الرابع - السنة السادسة والسبعون

الفهرس

مجمع البحوث الإسلامية

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي

• • •

رئيس التحرير
أ.د. محمد رجب البيومي

نائب رئيس التحرير
الطاهر محمد الطاهر الحامدي

مدير التحرير
عادل رفاعي خفاجة

سكرتير التحرير
أحمد السيد تقي الدين

الاشتراك السنوي

داخل مصر	١٨ جنيها مصريا
الدول العربية	٥٠ دولارا أمريكيا
أوربا وأمريكا	٨٥ دولارا أمريكيا
اليابان وشرق آسيا	١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم
مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر
ت: ٢٦٣٨٥٩٩

ربيع الآخر ١٤٢٤هـ - يونيه ٢٠٠٣م - الجزء الرابع - السنة السادسة والسبعون

افتتاحية العدد

رجل الدين والفن المسرحى

قرأت قديماً قصة «البؤساء» التى كتبها الأديب الفرنسى فيكتور هوجو، ثم شاهدتها تمثل معربة على الشاشة البيضاء بمصر، فرأيت رجل الدين المسيحى يأخذ بين أبطال الرواية أرفع مكان إذ تجلى فى أنبل المواقف الإنسانية وأقربها إلى معانى الإيثار والكرامة والتضحية والإحسان حين صوره المؤلف الكبير فى صورة الإنسان المثالى الذى يلقى كلمة الله فيواسى المنكوب ويعمل على إسعاد الفقير ويمسح دموع الأيامى والثواكل، وهو بهذا يقدم رحمة الله للبائسين والتعساء وقد رسمه الكاتب فى عدة مشاهد تنطق بهذه المعانى لا فى مشهد واحد!! وأذكر منها موقفه الرائع حين ولج الكنيسة لص مجرم أخذ يجمع التحف ويسرق السجاد والبسط، وقد عثر عليه الخدم فى لحظاته الأخيرة فاقتادوه إلى الشرطة مكبلاً، وعلم رئيس الكنيسة بالأمر فبادر إلى المجرم وفهم من قصته أنه فقير لا يجد القوت لأطفاله، فسعى إلى العفو عنه وقدم له من العطاء الجزل ما يفى بحاجته ثم أخذ يقدم له نصائح الحياة، فى وعظ عملى مؤثر حتى رده إلى دنيا العفة والكرامة، وهكذا شاء الأديب الفرنسى أن يقدم لقرائه ومشاهديه رجل الكنيسة فى أعظر أفق وأوسم مرأى وكأنه عندهم ملك لا إنسان.

أثار هذا المشهد الرائع فى نفسى خواطر أليمة، حين تذكرت موضع عالم الدين الإسلامى لدى نفر كبير من كتاب المسرحية العربية اليوم، إذ دأب الكثيرون على انتقاصه زوراً وإلصاق المثالب به بهتانا وقد يفجر أحدهم فجورا يكذب به على الله وعلى الناس حين يعمد إلى مشعوذ أمى فيلبسه العمامة ويطلق له لحية ثم يجعله واعظاً داعية فى الظاهر ليطلع الناس منه على باطن دنىء كله احتيال وعهر وتسفل، وهو بعد صاحب عمامة يتلو آية ويقرأ حديثاً ويتمتم على مسبحة! حتى قدم علينا وقت لا نرى فيه غير أشباه من يسمون (بالشيخ متلوف) فى مذهب هؤلاء، وهو آدمى هزأة ضحكة

يلبس العمامة والقفطان ليرفه عن الحاضرين بحركات صبيانية وإشارات بهلوانية ثم ينطق بلغة بين الفصيحة والعامية يتقعر فى حروفها، ويتماجن فى نبرها ليثير الضحك من لغة الضاد أيضا وكأن الفصحى هدف آخر للمناوءة والمعاداة، ثم تنتهى الرواية وقد أوحت ظلالها الكئيبة فى نفوس المشاهدين فزعزعت مكانة عالم الدين، إذ لا يخلو أمامهم من أحد أمرين، إما أن يكون عاقلاً داهية فهو مراب ولص فاجر، وإما أن يكون مجنونا مستهترا فهو مهرج بهلوان!.

ذلك مزلق وبىء تسقط فيه الأقدام المغرضة سقوطاً بعيد المدى سىء المنقلب لأنه فى أبسط نتائجه يوحى بأن الدين الإسلامى قد عجز عن تكوين علمائه تكوينا إنسانيا يقدم المثل ويعطى الشاهد، وهو تبعاً لذلك أعجز من أن ينشىء أجيالاً تفهم معنى الخير والرحمة وتسعى للتسامح والهداية بين الناس، وأنا لا أدعى العصمة لعالم الدين، إذ إنى أعرف أن كل طائفة من الطوائف تضم الخبيث والطيب وتجمع الصالح والطالح، ومع ما أعرفه من ذلك فإنى أقرر أن نسبة الشاذ بين رجال الدين فى الإسلام لا تقاس إطلاقا بنسبة المنحرف من غير رجال الدين بمعنى أن المنحرف من علماء الشريعة يمثل الاستثناء النادر لا القاعدة المطردة، أما الطوائف الأخرى فنسبة المنحرفين فيها لا تسمح بالموازنة بحال فماذا يريد هؤلاء المفترون حين يصممون على تشويه عالم الدين وكأنه وحده هدف لكل تجريح.

نحن نعرف أن الإسقاط من الحيل العدوانية لدى الإنسان ومعناه أن يرمى الإنسان غيره بدائه لينجو من التثريب وإذا كان عالم الدين هو الهادى إلى البر والداعى إلى المعروف والمندد بالشر فإن هؤلاء النفر من الكتاب يجدون راحة نفسية فى أن يظهروه فى غير مظهره، وكأنهم من ناحية أولى يريدون أن ينتقموا لأنفسهم من هذا الذى يحذرهم عقوبة الله إذ ينقد مسالكهم المشوهة على رؤوس الأشهاد، ومن ناحية ثانية يقولون للناس لا تصدقوا أن مبادىء الإسلام وأخلاقه الرفيعة شىء عملى يتاح فى الحياة، ولكنها مسائل نظرية فقط! ولو وجدت تطبيقها عند أحد لوجدته عند علماء الدين، وها هم هؤلاء أمامكم كما يعرضهم الفنانون!

هذا التواطؤ المنكر على تشويه عالم الدين! لا يقف عند اصطياد الهفوات العابرة لتضخيمها وتجسيمها كى تذاع على النظارة بألف مذياع ولكنه يعمد إلى مواقف الكرامة المثالية لدى الأفذاذ من العلماء ليشوه وسامتها الرائعة بعد أن بهرت العيون وملكت الألباب وتلك وقاحة سافرة تتطلب التأديب دون مراء.



علي أحمد باكثير



توفيق الحكيم

وواضح أننا لا ندعو إلى الإطراء الباطل، ولكننا ننكر أن يكون عالم الدين وسيلة للإسقاط الدنيء لدى أناس يسرهم أن تكون الرذيلة قاسماً مشتركاً بين الجميع! ولكي أوضح ما أعنيه من الإطراء المنصف، أستشهد هنا بشخصية العز بن عبدالسلام لنرى كيف نظر إليها روائيان مختلفان!.

كان العز بن عبدالسلام سلطان العلماء في عصره، وكان من المهابة والعزة والكرامة والتجلة بحيث أصبح بعض من عناهم شوقي حين قال:

كـــانوا أجل من الملوك جــلالة	وأعــز سلطانا وأبهى مظهـــرا!
من كل بحـر في الشـريعـة زاخـر	ويريكه الخلق العظيم غـضـنفـرا!

وقد كان بطلاً روائيا في قصة «وا إسلاماه» للأستاذ علي أحمد باكثير - رحمه الله - وفي قصة السلطان الحائر للأستاذ توفيق الحكيم فلننظر إلى ما صنع الكاتبان:

لقد كان الأستاذ باكثير - رحمه الله - رجل صدق وإخلاص وفن! فقد قرأ تاريخ العز ورأى من شجاعته الرائعة في مواجهة الطغاة ثم في مقاومة الصليبيين والتتار معا، ما كاد يعز نظيره في عشرات الأجيال فعرف أن مواقف الرجل العظيم بحقائقها المذهلة تغني عن كل خيال، فالكاتب عادة لا يلجأ للخيال إلا ليزين الواقع ويجمله ويقربه من الخواطر والأذهان، فإذا كان الواقع نفسه أبهر من الخيال، فإن الكاتب المؤمن - رحمه الله - قد جعل من واقع العز بن عبدالسلام مجال امتاع خصيب يرضي العقل ويغذي الشعور ويحيي الوجدان، ولذلك جاءت قصته البارعة «وا إسلاماه» آية للسائلين!.

أما الأستاذ توفيق الحكيم فلم يكن رجل صدق وإخلاص ولكنه رجل فن فقط إذ جعل العز بن عبدالسلام رجل كفاح ونضال وعزة في بعض مواقفه وإلى هنا فالكاتب صادق لم يتخيل مايشين، ولو دار في هذا المدار وحده لمضى بحظ باكثير من الإتقان ولكنه افترى على الحق حين جعل العز عاشق غانية يلين لها ويتوسل!! وما هكذا كان العز ولن يكون، وقد كان هذا الانحدار الشائن مدعاة غضب عنيف من الفاقهين، وأذكر أن المغفور له الأستاذ أمين الخولي قد نقد هذا الإسفاف بجريدة الأهرام نقداً ساطع الدليل، واضطر



مصطفى صادق الرافعي

الأستاذ توفيق أن يلتمس من يدافع عنه فقال من يبرر مسلكه: إن الروائي لا يتقيد بالتاريخ وإنما يريد أن يصور النفس البشرية، ولكل نفس مهما ارتقت مثال ومحرجات والعز وإن لم يكن في تاريخه ما يوحي بهذا المسلك، فهو بشر ينتظر أن يحدث فيه هذا وإن لم يحدث!! وهذا كلام سفيه لأن العز وأمثاله قد تغلبوا على النوازع المنحدرة وعاشوا في أفق الطهارة فمحاولة إلصاق التهم بهم بدعوى أنهم معرضون لها كبشر محاولة هابطة ولها دلالة خبيثة لا تشرف كاتباً كالحكيم! ونحن نسأل الكاتب بربه أيرضى لنفسه أنيجعل منه كاتب آخر بطلاً روائيا يصور السرقة والزنا بدعوى أنه بشر يتعرض للانحدار!! وإذا كان لا يرضى لنفسه هذا وهو باريسي متفرغ أفيرضاه لسلطان العلماء العز بن عبدالسلام؟! أنا لا أتردد لحظة في أن أقول: إن هذا الذي يتجه هذا الاتجاه ممن يتسترون بالفن ليلصقوا التهم بالشرفاء أحد الذين عناهم الله - عز وجل - حين قال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[النور (١٩)]

إن تاريخ علماء الإسلام على مدى عصوره يفيض بسير أعلام أئمة يصلح الواحد منهم أن يكون تاريخ عصره جميعه، فأنت إذا تحدثت عن تاريخ سعيد بن المسيب، أو الحسن البصري، أو مالك بن أنس، أو أحمد بن حنبل في قصص تاريخية تقوم كل قصة على تصوير مواقف العزة والمروءة فستجد من هؤلاء وأمثالهم ما وجده الأستاذ علي باكثير في العز بن عبدالسلام، وكتابة تاريخ هؤلاء الأفذاذ في ثوب قصصي واجب مفروض على المخلصين من رجال القصة لأن تراجم هؤلاء في كتب الطبقات لا تتيسر للشبيبة المتطلعة في عصر المسرح والسينما والتليفزيون، وأن قراءة قصة غرامية أو حكاية بوليسية لأفضل لديهم من صحف قديمة تتحدث عن قدماء! فإذا ما نهض فضلاء من أمثال باكثير - رحمه الله - لتسجيل حيوات أئمة رفعوا كرامة وأعزوا كلمة الإسلام فسيعلم جمهرة القارئين كيف كان عالم الدين في الإسلام، وكيف يتحدث عنه المتحدثون.

أذكر أن فقيد البيان العربي الأستاذ مصطفى صادق الرافعي - رضي الله عنه - قد

كتب في أوائل الثلاثينيات بقلمه الساحر سير نفر من الأئمة على صفحات الرسالة وقد جمعت فيما بعد في وحي القلم فجذبت الأنظار إلى نوع من الأدب الإسلامي الحي ونفر من حملة الإصلاح الديني أدوا رسالتهم الحية في محاربة الشهوات وكانوا بسيرهم الطاهرة موضع الأسوة لمن يتشدون عزة النفس وشرف الحياة، ولكن أسلوب الرافعي من القوة والعمق والدقة والإيغال بالمكان الذي يرضى الخاصة ويعلو على العامة ولابد لإكمال رسالته في هذا المضمار من أن تعاد سيرة هؤلاء الأفذاذ مرة أخرى في قالب روائي أخاذ وأن يقوم بكتابتها جماعة فهموا روح الإسلام في تنشئة علمائه وإبداع حكمائه وحين تنتشر هذه السير الرفيعة بين المجتمع المعاصر يستطيع عالم الدين اليوم أن يمثل دور سالفه الغابر وقد عرف مكانه الطبيعي من القيادة البصيرة والهدى المستنير، كما تحتم على المجتمع أن يعلم أن عالم الدين شمس تضيء لا رجل يحتال ويختل ويسف ليعيش!.

لقد صدر عن مارتن لوثر وحده في أوروبا أكثر من عشرين رواية أدبية تتحدث عن إصلاحه الديني، كما صدرت روايات هادفة عن أوغسطين وكلفن وتوماس الإكويني ثم رسم هوجو وأضرابه صورا زاهية لأناس متخيلين لا حقيقيين، يمثلون الشخصية المحترمة لعالم الدين، فإذا كان كُتاب الرواية عندنا اليوم يقلدون أساتذتهم الأوروبيين فيما يعالجون من فنون، فلماذا لا يقلدون صنيعهم المثالي في تقدير الرسالة الحية لعالم الدين!! إن كان لابد من التقليد المترسم لدى أناس يرون طريق الغرب أقوم سبيل!.

د./ محمد رجب البيومي

تفسير سورة البقرة

قال تعالى:

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الآية: ٢٥٦

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

الإكراه معناه: حمل الغير على قول أو فعل لا يريده عن طريق التخويف أو التعذيب أو ما يشبه ذلك. والمراد بالدين دين الإسلام، والألف واللام فيه للعهد.

والرُّشْد: الاستقامة على طريق الحق مع تصلُّب فيه، مصدر رشَد يرشُد ويَرْشَد أي اهتدى.

والمراد هنا: الحق والهدى.

والغيّ ضد الرشد. مصدر من غوى يغوى إذا ضل في معتقد أو رأى، ويرى بعض العلماء أن نفي الإكراه هنا خبر في معنى النهي، أي: لا تُكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام، فإنه بيّن واضح في دلائله وبراهينه، فمَنْ هداه الله له ونوّر بصيرته، دخل فيه على بصيرة، ومَنْ أضله وأعمى قلبه لا يفيده الإكراه على الدخول فيه.

وقال بعض العلماء: إن الجملة هنا على حالها من الخبرية والمعنى: ليس في الدين - الذي هو تصديق بالقلب، وإذعان بالنفس - إكراه وإجبار من الله - تعالى - لأحد، لأن مبنى هذا الدين على التمكين والاختيار، وهو مناط الثواب والعقاب، لولا ذلك لما حصل الابتلاء والاختبار، ولبطل الامتحان.

أو المعنى: كما يرى بعضهم - إن من الواجب على العاقل بعد ظهور الآيات البينات على أن الإيمان بدين الإسلام، حق ورشد. وعلى أن الكفر به غي وضلال، أن يدخل عن طواعية واختيار في دين الإسلام الذي ارتضاه الله وألا يُكْره على ذلك، بل يختاره بدون قسر أو تردد.

فالجملة الأولى وهي قوله - تعالى -: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾: تنفي الإجبار على الدخول في الدين، لأن هذا الإجبار لا فائدة من ورائه، إذ التدين إذعان قلبي، واتجاه بالنفس والجوارح إلى الله رب العالمين بإرادة حرة مختارة، فإذا أكره عليه الإنسان ازداد كرهاً له ونفوراً منه. فالإكراه والتدين نقيضان لا يجتمعان، ولا يمكن أن يكون أحدهما ثمرة للآخر.

والجملة الثانية وهي قوله - تعالى -: ﴿ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ بمثابة العلة لنفي هذا الإكراه على الدخول في الدين، أي قد ظهر الصبح لذي عينين، وانكشف الحق من الباطل، والهدى من الضلال وقامت الأدلة الساطعة على أن دين الإسلام هو الدين الحق وغيره من الأديان ضلال وكفران، ومادام الأمر كذلك فقد توافرت الأسباب التي تدعو إلى الدخول في دين الإسلام، ومن كفر به بعد ذلك فليحتمل نتيجة كُفْره، وسوء عاقبة أمره.

ثم قال - تعالى -:

﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ﴾

الطاغوت: اسم لكل ما يطغى الإنسان، كالأصنام والأوثان والشيطان وكل رأس في الضلال، وكل ما عُبِد من دون الله. وهو مأخوذ من طغا يطغى - كسعى يسعى - طغياً وطُغياناً، أو من يطغو طغواً طغواناً، إذا جاوز الحد وغلا في الكُفْر وأسرف في المعاصي والفجور.

والعروة: في أصل معناها تطلق على ما يتعلق بالشيء من عُراه، أي من الجهة التي يجب تعليقه منها، وتجمع على عرى. والعروة من الدلو والكوز مقبضه، ومن الثوب مدخل زره.

والوثقى: مؤنث الأوثق، وهو الشيء المحكم الموثق. يقال: وثق - بالضم - وثاقة، أي: قوى وثبت، فهو وثيق أى ثابت محكم.

والانفصام: الانكسار، والفصم كسر الشيء وقطعه.

والمعنى: فمن خلع الأنداد والأوثان وما يدعو إليه الشيطان من عبادة غير الله، وآمن بالله - تعالى - إيماناً خالصاً صادقاً فقد ثبت أمره واستقام على الطريقة المُثلى التي لا انقطاع لها وأمسك من الدين بأقوى سبب وأحكم رباط.

والفاء في قوله: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ ﴾ للتفريع. والسين والتاء في استمسك للتأكيد والطلب، وقوله:

﴿ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾

فيه - كما يقول الزمخشري - تمثيل للمعلوم بالمنظور والاستدلال بالمُشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كأنما ينظر إليه بعينه فيحكم اعتقاده والتيقن به، وجملة «لا انفصام لها» استئناف مقرر لما قبله أو حال من «العروة» والعامل «استمسك».

ثم ختم - سبحانه - الآية بقوله: ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ أي سميع للأقوال، وهمسات القلوب، وخلجات النفوس، عليم بما يسره الناس وما يعلنونه، وسيجازيهم بما يستحقون من ثواب أو عقاب.

قال القرطبي ما ملخصه: قيل إن هذه الآية منسوخة بقوله - تعالى -: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾(١)

(١) التوبة (٧٣).

لأن النبى ﷺ قد أكره العرب على دين الإسلام وقاتلهم، ولم يرض منهم إلا الإسلام. وقيل إنها ليست بمنسوخة، وإنما نزلت فى أهل الكتاب خاصة، وأنهم لا يكرهون على الإسلام إذا أدوا الجزية.. والحجة لهذا القول ما رواه زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يقول لعجوز نصرانية: أسلمى أيتها العجوز تسلمى، إن الله بعث محمداً بالحق. قالت: أنا عجوز كبيرة، والموت إلىّ قريب. فقال عمر: اللهم اشهد وتلا:

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾[2].

والذى تسكن إليه النفس أن هذه الآية محكمة غير منسوخة، لأن التدين لا يكون مع الإكراه ـ كما أشرنا من قبل ـ ولأن الجهاد ما شُرع فى الإسلام لإجبار الناس على الدخول فى الإسلام إذ لا إسلام مع إجبار، وإنما شُرع الجهاد لدفع الظلم ورد العدوان وإعلاء كلمة الله، والرسول ﷺ ما قاتل العرب ليكرههم على الدخول فى الإسلام وإنما قاتلهم لأنهم بدأوه بالعداوة.

ولأن الروايات فى سبب نزول هذه الآية تؤيد أنه لا إكراه فى الدين، ومن هذه الروايات ما جاء عن ابن عباس أنه قال: نزلت فى رجل من الأنصار من بنى سالم بن عوف يقال له الحصين كان له ابنان نصرانيان وكان هو مسلماً، فقال للنبى ﷺ:

ألا استكرههما فإنهما أبيا إلا النصرانية. فأنزل الله هذه الآية[3]. وفى رواية أخرى أنه حاول إكراههما على الدخول فى الإسلام، فاختصموا إلى النبى ﷺ فقال الأنصارى: يا رسول الله: أيدخل بعضى النار وأنا أنظر إليه؟. فنزلت الآية.

ولأن النسخ لا يُصار إليه إلا إذا لم يمكن التوفيق بين الآيتين، وهنا يمكن التوفيق بأن نقول: إن الآية التى معنا تنفى إكراه الناس على اعتقاد ما لا يريدون وآية:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَـٰفِقِينَ ﴾[4]

جاءت لحض النبى ﷺ وحض أصحابه على قتال الكفار الذين وقفوا فى طريق دعوته، حتى يكفوا عن عدوانهم وتكون كلمة الله هى العليا.

---

(٢) تفسير القُرطُبى جـ ٣ صفحة ٢٨٠.

(٣) تفسير ابن كثير جـ ١ صفحة ٣١١.

(٤) التوبة (٧٣).



من أسرار التعبير القرآنى

للأستاذ الدكتور / مصطفى رجب

تمتاز لغة القرآن الكريم بالدقة المتناهية فى بنائها الذى يترتب عليه دقة فهم الدلالات المقصودة بهذا البناء اللغوى أو ذاك. ومن هنا اختلف اللغويون قديماً وحديثاً فى إثبات الترادف حيناً ونفيه حيناً آخر. ومقارنة الآيات المتشابهة والجدل فيما هو محكم أو متشابه من الآيات. كما اختلفوا فيما يتحقق به الإعجاز: أهو آية أو كلمة أو حرف أو بضع آيات أو سورة؟ وقد أثمرت تلك الخلافات تراثاً لغوياً وبلاغياً ثرياً مازال الباحثون ينهلون منه فى كل عصر.

ومع التسليم بأن الكلمة الأخيرة فى مثل تلك القضايا الخلافية لم تقل. ولا يمكن أن تقال بحكم استمرارية إعجاز القرآن. لاسيما فى جانبه اللغوى والبلاغى. فسوف تحاول السطور القادمة تحليل نماذج من دقة الأسلوب القرآنى وبراعة دلالاته المعنوية.

الاستفهام بـ(ما) وبـ(ماذا) ليس واحداً

إذا قلت لشخص مستفهما: «ما بك يا فلان؟» أو قلت: «ماذا بك يا فلان؟» فهل الاستفهام فى الحالين واحد؟ ظاهر قواعد اللغة يوحى بذلك. إذ إن الاستفهام بـ(ما) إنما يكون عن حقيقة الشيء. وقد ورد فى القرآن الكريم على لسان سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ قوله ـ تعالى:

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴾

[الشعراء/ ٦٩ ـ ٧١]

وقال عنه أيضاً:

﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٤) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (٨٥) أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾

[الصافات/ ٨٣ ـ ٨٦]

ففى الآية الأولى: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ تقديرها: أى شيء تعبدون؟ أى أنها لسؤال عادى غايته طلب معرفة الجواب، بدليل أن قومه أجابوه فقالوا: ﴿ نَعْبُدُ أَصْنَامًا ﴾.

أما ﴿ مَا ﴾ فى قوله: ﴿ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴾ فإنها جاءت مركبة مع «ذا» فكانتا معا اسما واحدا ﴿ مَاذَا ﴾ والهدف من استعماله ليس لطلب معرفة الجواب، وإنما تقريعهم وتوبيخهم. والدليل على ذلك أنه لم ينتظر منهم جوابا. بل أجاب نفسه بسؤال استنكارى آخر:

﴿ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾

فكان ﴿ مَا ﴾ فى ﴿ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ اسم استفهام، وهى وما بعدها مبتدأ وخبر أما ﴿ مَا ﴾ التى أضيفت لها «ذا» فصارتا معا ﴿ مَاذَا ﴾ اسما واحدا فكانها فى محل نصب «حال» تقدم على الفعل والتقدير: تعبدون أى شيء؟.

قال الإسكافى: (لما بالغ وقرّع استعمل اللفظ الأبلغ، وهو ﴿ مَاذَا ﴾ التى إن جعلت «ذا» منها بمعنى الذى فهو أبلغ من ﴿ مَا ﴾ وحدها وإن جُعلا اسما كان أيضا أبلغ وأوكد مما إذا خلت من «ذا»).(١)

والخلاصة أن ﴿ مَا ﴾ و﴿ مَاذَا ﴾ اسما استفهام. وكذلك إذا أردت الاستفهام على حقيقته استخدمت ﴿ مَا ﴾ وإن خرجت بالاستفهام إلى غرض بلاغى آخر كالتوبيخ أو الاستنكار استخدمت ﴿ مَاذَا ﴾.

(١) الخطيب الإسكافى، درة التنزيل وغرة التأويل، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط٣، ١٩٧٩.

وزنـا: فعَّـل وأفعَـل

القاعدة اللغوية المشهورة هنا أن الفعل الرباعى المزيد بالتضعيف أو بالهمز يدل على معنى التكثير والمبالغة. فإذا زدنا فعلا ثلاثيا مثل «كَرُم» لنجعله رباعيا قلنا: كرَّمته وأكرمته بالتضعيف وبالهمز على التوالى.

ولكن قارىء القرآن الكريم يلاحظ أن الأسلوب القرآنى يستعمل المضعف والمهموز تبعا لمقتضى السياق، فيستعمل الفعل «وصَّى» غالبا مع الأمور الدينية المعنوية مثل:

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ ﴾

[العنكبوت/ ٨]

﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾

[البقرة/ ١٣٢]

فى حين يستخدم وزن أفعل «أوصى» مع الأمور المادية كقوله ـ تعالى ـ:

﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ﴾ [النساء/ ١١]

فإذا كانت هذه قاعدة مطردة فكيف قال تعالى:

﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾

[مريم/ ٣١]

على لسان نبى الله عيسى؟ مع أن هذه أمور دين وعبادات؟

قال بعض الباحثين «لاقتران الصلاة بالزكاة» أى لأن الزكاة من المعاملات المادية فقد تغلب وجودها على السياق. ومنه استعمال «نجى» و«أنجى» فإن الملاحظ أن القرآن الكريم كثيرا ما يستعمل «نجى» للتلبث والتمهل فى التنجية. ويستعمل «أنجى» فى الإسراع بها. قال تعالى:

﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (٤٩) وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾

[البقرة/ ٤٩ ـ ٥٠]

«فإنه لما كانت النجاة من البحر لم تستغرق وقتا طويلا ولا مكثا استعمل «أنجى» بخلاف البقاء مع فرعون فإنه استغرق وقتا طويلا ومكثا فاستعمل «نجى».(٢)

العطف ليس حتميا

قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

[المائدة/ ٦٩]

وردت كلمة «الصابئون» فى هذه الآية مرفوعة، وظاهر السياق يدل على أنها معطوفة على المنصوبات اللواتى سبقتها لأن:

(٢) د. فاضل السامرائى، بلاغة الكلمة، عمان: دار عمار، ١٩٩٩.

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا ﴾ فى محل نصب اسم ﴿ إِنَّ ﴾ التى فى صدر الآية. وجميع القرابات السبع تجعل كلمة:

﴿ الصَّابِئُونَ ﴾ مرفوعة كما هى عليه فى رسم المصحف. لذلك اجتهد النحاة والمفسرون فى إيجاد تفسير لهذه المغايرة الإعرابية التى تستوقف القارئ والسامع للكتاب الكريم.

وقد وردت كلمة ﴿ الصَّابِئُونَ ﴾ منصوبة فى سياقين آخرين فى كتاب الله الكريم، ففى سورة البقرة:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

[البقرة/ ٦٢]

وفى سورة الحج:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾

[الحج/ ١٧]

فإذا أردنا أن ندرك سر رفع ﴿ الصَّابِئُونَ ﴾ وهى فى موضع العطف على اسم إن فى الآية التى بين أيدينا، فلننظر فى السياقين الآخرين اللذين وردت فيهما تلك الكلمة منصوبة.

لنلاحظ أنها فى آية المائدة ـ التى نحن بصددها ـ ارتفعت بالواو وهى متقدمة على كلمة:

﴿ النَّصَارَىٰ ﴾ بعدها. لأن الصابئين أقدم وجودا من النصارى. وقد شملت الآية أربع طوائف «الذين آمنوا – اليهود – النصارى – الصابئة» ثلاث طوائف منها أهل كتب سماوية. والصابئة ليسوا بأهل الكتاب بل كانوا يعبدون الكواكب والنجوم. فجاء رفع الكلمة ليظهر اختلاف هذه الطائفة عن الطوائف الثلاث. وجاء تقديمها على النصارى مراعاة لكون الصابئة أقدم عهداً من النصارى.

ويرى بعض الباحثين بأن من الممكن تفسير هذه المغايرة الإعرابية بأن الصابئين يتوب الله ـ تعالى ـ على من آمن منهم، وهو دفع موضع التوهم [أى نفى فكرة عدم التوبة] بأن الله ـ تعالى ـ لا يتوب على أحد منهم لأنهم عبدوا النجوم ولم يُعهد من أمرهم أنهم كانوا يتأولون...». [3]

وذهب بعض القدامى مثل الخطيب الإسكافى (ت ٤٢٠ هـ) مذهباً فريداً فى تأويل هذه الآية خلاصته أنه ليس من المستساغ أن يقال: «إن الذين آمنوا........ من آمن بالله» فإذا كانوا قد وصفوا بأنهم آمنوا فى صدر الآية فلا وجه لإعادة الصفة، بل المعنى: إن الذين آمنوا بكتب الله المقدسة المتقدمة مثل: صحف إبراهيم، والذين آمنوا بما نطقت به التوراة وهم

(٣) د. فاخر هاشم الياسرى، «المغايرة الإعرابية وأثرها فى المخالفة الأسلوبية»، مقال منشور فى مجلة دراسات إسلامية العدد العاشر، السنة الثانية، ٢٠٠٢م، بغداد: دار الحكمة، ص١٠.

اليهود، والذين آمنوا بما أتى به الإنجيل وهم النصارى، قال: «ثم أتى بذكر ﴿ الصَّابِئِينَ ﴾ وهم الذين لا يثبتون على دين وينتقلون من ملة إلى ملة، ولا كتاب لهم». [4]

فخلاصة رأيه أن آية البقرة جاءت على ترتيب الكتب السماوية، والمقصود فيها – عنده – بالذين آمنوا: الذين آمنوا بصحف إبراهيم ـ عليه السلام ـ وأما آية المائدة ـ التى نحن بصددها ـ فجاءت على ترتيب الأزمنة قال: «فرفع ﴿ الصَّابِئُونَ ﴾ ونوى به التأخير عن مكانه، كأنه قال بعدما أتى بخبر الذين آمنوا والذين هادوا وهو ﴿ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ ﴾ إلخ والصابئون هذا حالهم أيضا. وهذا مذهب سيبويه».

التشابه له حكمة

يقول الله تعالى فى شأن موسى عليه السلام:

﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾

[الأعراف/ ١٠٧]

وقال فى موضع آخر:

﴿ تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ ﴾ [النمل/ ١٠]

قد يتوهم بعض طلاب العلم أن بين الآيتين تناقضا، وحاشا لله ـ تعالى ـ فكتاب الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. لكن سياق الآيتين مختلف. فالآية الأولى جاءت فى سياق حوار برزت فيه قمة التحدى بين رسول الله موسى ـ عليه السلام ـ من جهة، وفرعون وسحرته وجنوده من جهة أخرى. وكان سحرة فرعون يسترهبون الناس بتحويل عصيهم إلى ثعابين وحيات تسعى. فأوحى الله ـ تعالى ـ إلى موسى أن يلقى عصاه وهى ـ بقدرة الله تعالى ـ ستتحول إلى ثعبان عظيم يلقف فى جوفه كل ثعابينهم المزعومة. لتكون آيته التى سأله عنها فرعون ـ فى السياق ـ من جنس آيات سحرة فرعون.

أما الآية الثانية فقد وردت فى سياق أول حوار وقع بين رب العزة ـ جل شأنه ـ وبين موسى ـ عليه السلام ـ حين ناداه ربه بالوادى المقدس – للمرة الأولى – فكان اهتزاز العصا شديد الوقع على نفس موسى ـ عليه السلام ـ حتى بدت له كما لو كانت جنًّا يهتز. وحين نقرأ الآيات كاملة ندرك مدى الرعب الذى حاق بهذا النبى ـ عليه السلام ـ حين توالت عليه المفاجآت قال ـ تعالى ـ:

(٤) الخطيب الإسكافى، مرجع سابق.

﴿فلما
جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب
العالمين (٨) يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم (٩) وألق عصاك
فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف
إني لا يخاف لدي المرسلون﴾

[النمل/ ٨ - ١٠]

ويقول الله - تعالى - عن نبينا محمد ﷺ :

﴿ماضل صاحبكم وما غوى﴾ [النجم/ ٢]

وقال الله فى موضع آخر مخاطبًا رسوله الكريم:

﴿ووجدك ضالا فهدى﴾ [الضحى/ ٧]

فكيف توفق بينهما؟؟

والجواب أن الضلال المراد فى سورة النجم هو الضلال فى الدين وفى أمور العبادة والنبوة والإخبار عما فى الغيب. والغواية بمعنى اتباع الهوى. فالنفى هنا لتأكيد أمانة النبى ﷺ فى التبليغ عن ربه، وصدقه المطلق فى كل ما يأتى به قومه من أمور الدين الموحاة إليه من ربه.

أما الضلال الوارد فى سورة الضحى فالمراد به الضلال فى شئون الدنيا المضطربة آنذاك - قبل المبعث - فقد كان محمد عليه السلام يرى قومه - على غوايتهم يعبدون الأوثان ويعظمون شأنها. فيحار بين ولائه لقومه، وبين ما تأباه فطرته السليمة من أمور عبادتهم. فتصيبه من ذلك حيرة طال عهدها به حتى كان يلجأ إلى الغار يتأمل السماء والنجوم ويدرك أن لهذا الكون خالقا أعظم. فعبَّر عن فترة القلق والحيرة تلك بالضلال تشبيها لحاله ﷺ أثناءها بحال السائر فى الصحراء على غير هدى لا يعلم طريقه. فالضلال هنا غير الضلال هناك.

***

قصة أصحاب الجنة

من الإعجاز البيانى فى القرآن الكريم

لفضيلة الشيخ/ صديق بكر عيطة

قال الله تعالى فى سورة «القلم»:

﴿إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا
ليصرمنها مصبحين (١٧) ولا يستثنون (١٨) فطاف عليها طائف من ربك
وهم نائمون (١٩) فأصبحت كالصريم (٢٠) فتنادوا مصبحين (٢١) أن
اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين (٢٢) فانطلقوا وهم يتخافتون (٢٣)
أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين (٢٤) وغدوا على حرد قادرين (٢٥) فلما
رأوها قالوا إنا لضالون (٢٦) بل نحن محرومون (٢٧) قال أوسطهم ألم أقل
لكم لولا تسبحون (٢٨) قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين (٢٩) فأقبل
بعضهم على بعض يتلاومون (٣٠) قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين (٣١) عسى
ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون (٣٢) كذلك العذاب ولعذاب
الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾

[سورة القلم ١٧-٣٣]

آيات من سورة «القلم» جاءت لتصور عاقبة هؤلاء الرجال، الذين بخلوا بما آتاهم الله من فضله، وتعاهدوا على حرمان الفقراء والمساكين حقهم الذى افترضه الله لهم.

وقد وردت هذه الآيات البينات عقب الحديث الساخر عن الوليد بن المغيرة المخزومى - وهذا هو الرأى الغالب لدى المفسرين - الذى آتاه الله المال والولد والجاه،

فسخر ذلك كله فى الصد عن دين الله، بدلا من أن يؤدى حق الله فيه، عطفا على الفقراء والمساكين، ودفعا للظلم الذى حاق بالمسلمين وترغيبا فى اعتناق هذا الدين، الذى جاء به محمد ﷺ مبلغا عن ربه تبارك وتعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (١١) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ (١٣) أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (١٤) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٥) سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴾[1].

والسورة كلها ـ شأن السور المكية ـ جاءت لتعالج قضية العقيدة الصحيحة، بآفاقها وأطرافها، وما يقوم على أساسها من سلوك اجتماعى، ترعى فيه الحقوق والواجبات، وينظر فيه إلى المال من منظور إسلامى قويم، يوفق بين الملكية الخاصة، والمنفعة العامة الشائعة بين أفراد المجتمع وفئاته.

وهو الجامع الذى يجمع بين قصة الوليد بن المغيرة المخزومى، والذى وردت فيه الآيات السابقة:

﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾.

وآيات قصة أصحاب الجنة:

﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾

ومن خلال قراءة السورة بشكل عام، نرى فيها تسلية للرسول ﷺ، وتخفيفا لبعض هموم الدعوة عن قلبه الشريف:

﴿ ن ۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2]

ويبدو هذا واضحا أيضا من خلال هذا التهديد والوعيد للمكذبين، الذين هم على شاكلة الوليد وأضرابه..

﴿ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴾ وهو المسلك العام الذى تسلكه مشيئة الحق الأعلى فى كل زمان ومكان:

﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾.

﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾[3].

﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾[4]

ولذلك كانت هذه الوصية الغالية، المبطنة بتوثيق عرى الإيمان فى قلبه ﷺ وطمأنته بأن النصر حليف العقيدة الصحيحة مهما طال أمد الباطل، ومهما اشتدت نيران المعارك:

﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾[5]

إن من يقرأ قوله تعالى:

﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾.

ليشعر من «تعريف الجنة وإضافة الأصحاب إليها

(١) القلم (١٠ : ١٦).
(٢) القلم (١ : ٤).
(٣) القلم (٣٥).
(٤) القلم (٤٤).
(٥) الإنسان (٢٤).

بأنها وأصحابها معهودة للمخاطبين، وأن حكايتها وحكايتهم مستفيضة فيهم».

وأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ «لما أراد أن يذكر أهل مكة بما كان من إسباغه النعم عليهم، وما كان منهم من التكذيب فى مقابل هذه النعم ثم زوالها عنهم ـ ضرب لهم مثلا قصة أصحاب البستان المتداولة بينهم فى ذلك العصر؛ ليكون ذكرها أتم فى التصوير، وأبلغ فى التذكير والتأثير»[6].

والقصة معروفة، وهى تتلخص فى أنه كان هناك رجل صالح طيب له بستان، اعتاد على أن يطعم منه الفقراء والمساكين كل عام، عندما يجنى ثماره، وكان أبناؤه يعارضونه فى ذلك، ويتهمونه بالحمق زاعمين أن فى ذلك تبديداً لأرزاقهم، وانتقاصا من حقوق أبنائهم الكثيرين.. فلما مات الرجل الصالح الطيب، وآل أمر البستان إليهم، نفذوا ما عزموا عليه، وآلوا على حرمان الفقراء والمساكين.. فكان عاقبتهم:

﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾[7].

كالمحترقة التى قطعت ثمارها ـ فلما تبين لهم جرمهم، وقبح ما كانوا ينوون أن يرتكبوه من خطأ فى حق الفقراء والمساكين:

﴿ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾[8].

وقالوا:

﴿ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴾[9] ثم تمنوا على الله أن يقبل توبتهم، ويبدلهم خيرا مما فقدوا من الزروع والثمار:

﴿ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴾[10].

ونحن هنا لا نتكلم عن فلسفة القصة فى القرآن بشكل عام؛ فذلك متروك لموضع آخر يأتى بعد ـ إن شاء الله تعالى ـ وإنما سنتكلم فى الجانب التصويرى ودقة التعبير الفنى فى القرآن الكريم «الذى ينقل القارئ مباشرة إلى مقعد المتفرج المشاهد للأحداث ذاتها، لا حكاية الأحداث. وذلك من خلال ما أبدعته الآيات القرآنية الكريمة، وهى تتسلل إلى داخل النفوس لتكشف ما حرص أبطال القصة أنفسهم على إخفائه.

وهذه «القصة من ناحية الأداء تمثل إحدى طرق الأداء الفنى للقصة فى القرآن؛ وفيه مفاجآت مشوقة، كما أن فيه سخرية بالكيد البشرى العاجز أمام تدبير الله وكيده وفيه حيوية فى العرض؛ حتى لكأن السامع ـ أو القارئ ـ يشهد القصة حية تقع أحداثها أمامه وتتوالى»[11].

(٦) الشيخ عبدالقادر المغربى، تفسير جزء تبارك ـ بتصريف يسير جدا اقتضاه بناء العبارة.
(٧) القلم (١٩ ، ٢٠).
(٨) القلم (٢٩).
(٩) القلم (٣١).
(١٠) القلم (٣٢).
(١١) سيد قطب، فى ظلال القرآن.

فالقارئ، حينما يستبطن العبارة القرآنية هنا، ويستوحي مدلولها النفسي الباطن من جانب، ومدلولها التصويري المشاهد من جانب آخر، إنما يرى هؤلاء النفر، وقد شغلهم الهم والكرب؛ لما يصيب الفقراء والمساكين من جنتهم، وما ينالهم من الخير الذي اعتادوه على يد أبيهم: الرجل الصالح الطيب؛ حتى أصبح حقا لهم، كل عام ينتظرون أوانه.. وحينما يحين أوان الحصاد، ينطلقون إلى هذا البستان حامدين شاكرين، داعين الله لهذا الرجل أن يزيده من أسباب الخير.. شغل هذا كله هؤلاء الأشقياء؛ ففكروا وأطالوا التفكير، كيف يتخلصون من هؤلاء «المتطفلين» الذين يشاركونهم أرزاقهم دون حق».. فتآمروا بليل؛ وقلوبهم تغلي حقدا.. ونفوسهم تضطرم بنيران الغضب؛ حتى بدا ذلك في سلوكهم وعلى ألسنتهم.

فها نحن أولا: تراهم يجتمعون، ويتعاهدون على جز ثمار جنتهم في الصباح الباكر، قبل أن يستيقظ هؤلاء المساكين.

ومما يلفت النظر هنا كل هذه المؤكدات، التي تصور ما تحويه نفوسهم من غل وحقد: فهناك القسم.. وهناك الصرامة والشدة المستوحاة من ﴿ لَيَصْرِمُنَّهَا ﴾.. وهناك الإمعان في الشح والبخل، الذي لايترك وراءه فضلة من خير، أو لمسة من بر في ﴿ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴾.. وهناك النية المبيتة التي تفهم من ﴿ مُصْبِحِينَ ﴾

ولقد كانوا حريصين كل الحرص على ألا ينكشف أمرهم، أو يفتضح سرهم؛ حتى لاينال أحد من الفقراء والمساكين شيئا من هذه الثمار!!!.. فهل غفلت السماء عما عقدوا عليه العزم..؟؟ وهل مروا بما بيتوا من احتباس حق الفقراء والمساكين؟؟

إن عين الله ساهرة، وهي تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. فمن ياترى سيكون الخاسر؟ فمن يا ترى سيذوق كأس الحرمان؟ هل الفقراء والمساكين؟ أم أولئك النفر الذين عقدوا العزم الأثيم على حرمانهم حقهم الذي افترضه الله لهم؟.. هنا يكون الجواب:

﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾.

طائف من ربك.. طائف فقط!! لاندري ما هو على وجه الحقيقة ولكنا نحن فقط الذين نقرأ الآيات، نراه في ظلام الليل، ولانتبين ماهو.. كل ما نعلمه، أنه طائف من ربك.. «أجل فقد شهدنا تلك اليد الخفية اللطيفة تمتد إليها في الظلام فتذهب بثمرها كله. ورأيناها كأنما هي مقطوعة الثمار بعد ذلك الطائف الخفي الرهيب»[١٢].

هذا كل ما نعرف عن هذا الطائف. وماذا يجدي أن نعرف؟ إن عدم معرفتنا شيئا عن حقيقة هذا الطائف، لهو قمة معرفتنا به!! شيء خفي.. لطيف.. سريع.. مجهول الحقيقة.. يرى في

---

(١٢) سيد قطب. في ظلال القرآن.

الظلام على هيئة شبح، مر في سرعة خاطفة بين أشجار هذه الجنة؛ فإذا الأخضر يابس»!.. وإذا المزهر أسود داكن!!.. وإذا المثمر مقطوع الثمار!!.. وإذا الماء الجاري جفاف قاحل.. وإذا الأرض المرعة المعشبة خراب بلقع!!

كل ذلك قد حدث ﴿ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ لايعلمون.. لأنهم مطمئنون تماما إلى نجاح خطتهم التي رسموها وأحكموها بليل.. نحن النظارة فقط الذين نعرف؛ فلنكتم أنفاسنا، ولنؤجل ضحكتنا، وسخرياتنا بهم؛ لنراهم يكملون ترتيباتهم، وينفذون ما عقدوا عليه العزم.

﴿ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴾. لقد أخذ بعضهم ينادي بعضا في خفية وهم في عماية الصباح الباكر. وها هم أولاء يحث بعضهم بعضا على الغدو إلى الحديقة إن كان يريد الحصاد؛ وجمع الثمار، دون أن يدركه الفقراء والمساكين.

﴿ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴾ في جنح الظلام، وقد أخذ بعضهم يوصي بعضا:

﴿ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴾.

ها قد اكتملت كل فصول المؤامرة، واستحكمت كل أسباب النجاح في هذه «اللعبة»، وأدى كل دوره: مشاورات وتآمرات بليل.. تنفيذ دقيق قوامه، السرية التامة والتبكير في عماية الصبح.. والتواصي بعدم السماح للفقراء والمساكين بدخول الحديقة.

تجمعت كل خيوط المؤامرة الدقيقة:

﴿ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴾ فهم قادرون - حسب تخطيطهم ودقة التنفيذ - على حرمان الفقراء والمساكين، فضل ما ولاهم الله عليه من مال ونعمة.

فلنمض معهم إلى جنتهم، ولنتتبع خطواتهم؛ لنرقبهم وآيات القرآن الكريم تسجل عليهم كل لمحة وكل خطفة، وتتسلل إلى أعماقهم، لتعطي اللقطات ما يعبر عن انفعالاتهم.

ها قد وصلوا إلى نهاية الطريق.. إلى جنتهم!! فجأة نراهم..!! تراهم يتوقفون، وتتسمر أقدامهم في أماكنها!! نسمع بعضهم يقول للبعض الآخر:

﴿ إِنَّا لَضَالُّونَ ﴾ طريقنا، فليست هذه جنتنا إن جنتنا باسقة الأشجار.. مورقة الأغصان.. محملة بالثمار.. تفوح منها رائحة الزهور!!.. يدورون من حولها، ويتعرفون على ملامحها وطرقاتها..!! ياللهول!! إنها هي هي، ولم نضل الطريق إليها فماذا دهانا، حتى أنكرناها؟! أو ماذا دهاها حتى إنها لم تبد لنا محاسنها هذه المرة؟!

نعم. نعم: لم نضل طريقنا إليها هذه هي جنتنا، ولكننا الذين حرمنا خيراتها:

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾

إن آيات القرآن الكريم لتسجل هنا لحظة الوصول، وقد كانوا يتعجلونه قبل بزوغ النهار، وافتضاح أمرهم ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا ﴾ بعد لأى واجتهاد في الطريق، لم يخطر ببالهم أنه قد حدث لجنتهم ما علمناه نحن النظارة منذ الليل. ولذا قالوا مؤكدين، مشددين في التأكيد: ﴿ إِنَّا لَضَالُّونَ ﴾ ومن هنا كانت المفاجأة تامة، والضربة قاضية؛ ولذا قالوا ـ حينما أدركوا الحقيقة ـ:

﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ فلندع هذه الأوهام التي تعلقنا بها، ولنواجه الحقيقة؛ وهي ليست في حاجة إلى مؤكد واحد:

﴿ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ حقيقة رهيبة تقصم الظهر، تتلخص في كلمتين:

﴿ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ ويلاحظ هنا تقدم الضمير ﴿ نَحْنُ ﴾ الذي يعبر عن عاقبة الأنانية، التي لايساويها إلا أن تنحصر «خيبة الأمل» فيهم أيضا، فقد كانوا مصرين على أن تنحصر الثمار في خزائنهم فقط. وها هم أولاء يرون الحرمان وقد انحصر في نفوسهم: ذلا.. وندامة.. وإحساسا بالخسارة الفادحة!!

وهنا يحق لنا ـ نحن المشاهدين ـ أن نرفع أصواتنا بالضحكات الساخرة، فقد تمت المفاجأة.. وظهرت آثارها جلية في سلوكهم.. وعلى ألسنتهم وها نحن أولاء نراهم يتذاكرون ما كان بينهم من إصرار على حرمان المساكين.. ويتلاحون لما كان بينهم من تواطؤ على المعصية.. ويذكرهم أوسطهم بما كان من نصحه إياهم بعدم الاسترسال في ذلك وإن لم تؤت هذه النصيحة ثمارها.. واعتراف إجماعي بالخطأ العظيم الذي ارتكبوه، وأخيرا ندم لايفيد.. وتوبة، لايعلم مصيرها إلا الله ـ تعالى ـ ورجاء في وجه الله الكريم أن يبدلهم خيرا منها

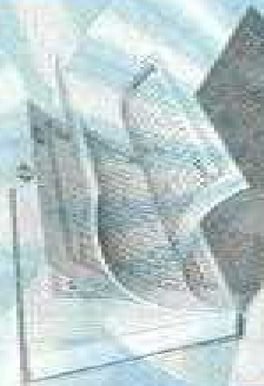
﴿ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴾ يصور هذا المشهد الأخير من القصة قوله تعالى:

﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴾

وكان هذا التعليق الموجز، المعجز، الذي يضع فكرة القصة ناصعة.. لامعة ناطقة وبأعلى صوت:

﴿ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ﴾ في الدنيا بضياع المال، الذي يحتجبه أصحابه عما خلق من أجله وهو المنفعة العامة، التي تتعايش مع الملكية الخاصة، وبقاء الحسرة والندامة، تأكل الأكباد، وتحرق النفوس وتشوى القلوب:

﴿ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ﴾ فلايعلم مداه إلا الله تعالى لو كانوا يعلمون!! ويا ليتهم يعلمون!!



مصطلح الإنسان في القرآن الكريم

٣

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

وحين يتمرد (الإنسان) على خالقه، وهو ذرة من ذرات كون معجز يموج بملايين الذرات والجزيئات، يسجل القرآن الكريم عليه هذا التمرد الطائش بكل ألوانه وزواياه:

فمن تمرد نفعي يتمثل في ضراعة الإنسان في الشدة وتمرده في الرخاء، ومسرته في العطاء وكفره في المنع..

إلى تمرد نزق يلوح في بطر الإنسان في النعمة ويأسه في الحرمان..

إلى تمرد مغلق يتجسد في طمس الإنسان لبصيرة الوعي فيه بكل ما حوله من مفاتن الطبيعة وآلاء الوجود..

إلى تمرد جاهل يتبدى في عجز الإنسان عن الإحاطة بكلية الظاهرة الحيوية، وانحصاره في واقع التفكير المادي الذي يعيشه دون الاقتدار على التحليق المطلوب إلى ما وراء هذا الواقع المادي.

ولكن القرآن الكريم لا يكتفي ـ في حديثه عن الإنسان ـ متمردا بلفظ (الإنسان) ـ بمجرد تسجيل ظواهر التمرد الإنساني، وإنما يحاول أن يقتلع جذور هذه الظواهر، حتى يعود بالإنسان إلى أرج إنسانيته الصافية المرادة لخالقها، فيلفته في مواطن كثيرة إلى سذاجة عناصره، طينية كانت أو نطفية. فهو في إطار العنصر الطيني قبضة من الأرض التي تدوسها قدماه، منها خلق، وفيها يعاد، ومنها يخلق تارة أخرى.. وهو في إطار العنصر النطفي، كائن متخلق من مني يمنى.. فعلام التمرد؟ ولماذا الانفلات؟!!

إن حديث القرآن عن الإنسان من هذه الوجهة لا يعني تحقيره أو تشويه صورته، وإن بدا حديثا قارصا بعض الشيء، ولا فجا بعض الشيء.. لأن لفت الإنسان إلى طبيعة عناصره الأولية الساذجة، طينية ونطفية، يتم في القرآن الكريم من خلال الحديث عن (الخالقية) و(المخلوقية)،

وما يجب أن يربط بينهما من علاقات إقرار المخلوق للخالق، وإذعان (الإنسان) (لله).. لا أن يتمرد هذا الإنسان على قضية القضاء والقدر باليأس والكفر والبطر والتجديف، أو على قضية (المخلوقية لله) بالمواجهة والنفى والمصادرة والتكذيب.. فإن هو فعل فى لوثة نسيانه أو اغتراره.. كان من حق كلمات الله الخالق أن تقفه على حجمه الحقيقى، وأن تذكره بأنه لن يستطيع أن يكون سوى طين من الطين، أو علق متخثر يمكن أن يجهض على قارعة الطريق:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾(1).

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴾(2)

﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴾(3).

﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾(4)

﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾(5).

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾(6).

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾(7).

﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (5) خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (6) يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (7) إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (8) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (9) فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾(8).

﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾(9).

والمتأمل لآيات الخلق من طين يلاحظ أنها وردت فى سياق التدليل على قدرة الخالق وروعته. فهى محوطة بحس الإعجاز والإبداع.. ولكن سياق الآيات الأخرى الدالة على الخلق من نطفة يوحى بحس التهوين من كبرياء هذا المخلوق النزق.. إن فى الأولى انتصافاً لكرامة الإنسان السوى، وفى الثانية كبحا لجماح هذا

---

(1) الحجر - الآية ٢٦.
(2) المؤمنون - الآية ١٢.
(3) السجدة - الآية ٧.
(4) الرحمن - الآية ١٤.
(5) النحل - الآية ٤.
(6) يس - الآية ٧٧.
(7) الإنسان - الآية ٢.
(8) الطارق - الآيات ٥ و٦ و٧ و٨ و٩ و١٠.
(9) العلق - الآية ٢.

الإنسان حين يفقد سواءه، والسياق القرآنى العظيم يضع كلا من هاتين القضيتين موضعه الوحى المنير، فهو فى آيات الخلق من طين يقارن بين طبيعة الإنسان وطبيعة الشيطان، ويدلل بأن هذا الخلق وإن كان من عنصر أرضى متواضع إلا أنه آية إعجازه وروعة إتقانه، ويؤكد بأن الذى استطاع أن يخلق هذا الكائن العظيم من هذا العنصر المتواضع قادر على أن يحييه بعد الموت، ويبعثه من جديد، وينشئه النشأة الأخرى.. ولكنه فى آيات الخلق من نطفة يتوجه إلى الإنسان نفسه أساسا بالخطاب والتقريع، لافتاً له إلى طبيعة خلقه الساذج، وإلى غرور جماحه إذا حاول أن ينصب من نفسه إلهاً على الأرض، وإلى فقدانه - بالموت - كل حول إذا استطاع من خلال الحياة أن يحتاز بعض حول من هنا أو بعض جاه من هناك

وهكذا يلوح حدب النص القرآنى المعجز على قضية الضعف فى إنسان هذه الأرض، وتجسيده لزوايا هذا الضعف ليس لمجرد تسجيل الظاهرة وإنما لمحاولة اقتلاع النوازع الهابطة، وإضاءة الوجدان الإنسانى المسلم بفضيلة التواضع، وحكمة الوعى، وبصيرة الالتزام.

إن إنسانية الإنسان رفعته إلى أرج أعلى من الجماد الذى لا يحس والملاك الذى لا يعانى، فليس يعقل أن تكون فضيلته هى وسيلة الإزراء به.. أى أن القرآن الكريم لا يطعن الإنسان بقضية طينيته أو نطفيته، فهو من هذه الزاوية نفسها قد كرمه، وأعطاه حس الامتلاء بهذه الطبيعة والاعتزاز بانتمائه إليها.. ومن هنا كان إصرار الرسل دائماً على بشريتهم فى وجه من حاولوا تنزيههم عنها، لأن هؤلاء الرسل الكرام كانوا على يقين جازم بأن بشريتهم الحاكمة والمحكومة كذلك، ترتفع بهم صعدا إلى معان العظمة والجلال.

أما إذا فقد - الإنسان - رشاده فى مواجهة خالقه، فليس يشفع له عنصر طينى أو سماوى.. نطفى أو أثيرى.. فالكل حينذاك فى حضرة البطش الإلهى العادل سواء.

إن القرآن الكريم يلمس فى الإنسان مناطق إثارة غنية، بكلمات موجزة تضىء لآلاف المسافات:

﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾(10).

إن التعبير القرآنى:

﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ ﴾ يفيض إيحاء وتعاطفا وحبا بلا حدود، إنه يلوح كأنما هو

---

(10) مريم - الآية ٦٧.

يستعطفه، ويترضاه، ويستعتبه.. وكم في القرآن الكريم من كنوز.

والذين يحاولون مصادرة المنطق القرآني - تحت زعم أن الخالق يستطيع تدمير ما خلق إذا ند بغير حاجة إلى ترشيد أو تذكير - لا يفهمون طبيعة المنطق ولا طبيعة الخلق.. لأن الذى خلق لم يخلق الحياة والإنسان والكون هكذا عبثا، وإنما لحكمة عالية وغاية راشدة، فكيف يقضى بالتدمير على ما خلق ومن خلق لأن عصيانا هنا قد حدث، أو لأن افتياتا هناك قد أثير؟

هذا شيء.. والشيء الآخر أن الإنسان بعض الظاهرة المخلوقة وليس كل الظاهرة، فكيف يرتضى العدل الخالق إهدار الكل بجريرة البعض؟ إن الإنسان ليس هو الطبيعة وليس الكون وليس الحياة، ولكنه مخلوق من هذه المخلوقات العظيمة التى تحمل فى ملامحها عظمة الخالق وروعة الإبداع، فإذا انحرف عن الجادة لرغب أو لرهب، وإذا شوه فطرة الخلق فجار فى موطن العدل، أو خبط فى موطن التقدير، فإن السماء والأرض لن يزولا لهذا الخبط والتشويه.. كل ما هنالك أنه مطالب بتأمل قضيته مع خالقه، وبتأمل المسافة الفاصلة بين كائن طينى العناصر نطفى التخليق، وبين خالق متعال عن شبهة العناصر أو مرحلية التخليق.. فإن هو فعل كان محكوما بالضرورة بعودته المذعنة إلى رحائب الطاعة والإقرار وتواضع الحركة.

شيء ثالث يتعلق بهذه القضية الخطيرة.. هو أنه مع التسليم بكون الكون مخلوقاً من أجل الإنسان.. ينبغى أن ننزه الخالق عن تدمير الجانب العاقل فى هذه الوحدة المتلاحمة.. بمعنى أن الإنسان هو الجانب المفكر بالعقل فى الكون، وليس الكون سوى إطار مادى يحتوى هذا المفكر العاقل.. فإذا جنح الإنسان ولاحقه الخالق بالمحو والتدمير.. كان بقاء الكون بعد ذلك بقاء مجوفا بلا مضمون.. أما إذا جنح الإنسان ولاحقه الخالق بالتذكير والترشيد.. كان فى (عقل) هذا الكائن إمكان الترقى إلى أوج هذا الفعل الإلهى.. وضرورة الركوع على أعتابه فى ندم لائذ.. واستغفار عميق عميق!!

وهكذا يلوح أن طينية الإنسان هى مجده، وأن تطفيته لا تغض من امتلائه، وأن حتمية بقاء النوع الإنسانى صادرة عن منطق إلهى يراعى حكمة الخالق فى الخلق.. وعدالة الحاكم فى الحكم.. وجدوى البقاء فى البقاء.. وتمضى بعد ذلك الحياة وفق مشيئة عليا تضع عن الإنسان وزر مواجهة الوجود الشامل، بكل ما ينطوى عليه هذا الوجود الشامل من تراحب وتراكب واشتباك!!

السنة

كيف كان يجتهد الرسول صلى الله عليه وسلم

للأستاذ الكبير عبد الرحمن الجزيرى

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

٢

قال في أعلام الموقعين:

«إن النصوص الشرعية تشمل جميع الأحكام فى جميع الأزمنة والأمكنة، فلم يحدث جديد إلا ويمكن أخذ حكمه من نص شرعى، ولكن للنص معنيين: معنى أصلى وهو الذى يقصده الشارع من اللفظ، ومعنى إضافى وهو الذى يفهمه السامع. وبديهى أن الناس متفاوتون فى الإدراك والفهم، وللكلام نواح وجهات متعددة يختلف بسببها ذلك الإدراك، ولهذا قد اختلف الناس فى فهم النصوص فى عهد النبى ﷺ، وكانوا يرجعون إليه فيقرر لهم المعنى الذى يريده الله - تعالى - ولم ينههم عن الفهم الذى يخالف مراد الشارع من اللفظ. وهذا التفاوت فى الإدراك يظهر جليا عند الفتاوى فى الحوادث واستنباط الحكم، فمن الناس من يهديه ذكاؤه إلى استنباط حكم صريح خفى على غيره خفاء تاما، كما وقع لعلى مع عثمان - رضى الله عنهما - فإن عثمان قرر أن المرأة التى ولدت لستة أشهر زانية وأراد رجمها، فراجعه على، وقال له: كلا إن المرأة قد تلد لستة أشهر، واستدل على ذلك بقوله تعالى:

من مختارات «مجلة الأزهر»
الجزء العاشر من السنة الثانية ١٣٥٦هـ

﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾[1].

ووجه الدلالة أن الله ـ تعالى ـ قال:

﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾[2].

فإذا طرحنا الحولين ـ أربعة وعشرين شهراً ـ من ثلاثين كان الباقي ستة وهي مدة الحمل، فاقتنع عثمان بهذا النص، اهـ ملخصاً.

ومما يلفت النظر اقتناع عثمان بمجرد أن ظهر له معنى الدليل واضحا. فلم يحاول أن يرد عليه أو يجادل فيه بأي جدل، فذلك هو المثال الكامل في الاجتهاد.

إن هذا المعنى الذي كتبته هو ما فهمته من درس الأستاذ الأكبر الإمام المراغي بمسجد أبي العلاء في شهر رمضان، فإنه حفظه الله قال ما معناه: إن الله قد أوحى إلى رسوله بأصول الشرائع التي أوحى بها إلى من قبله من النبيين، وهذه الأصول لا ينبغي لأحد أن يختلف فيها لأنها غير قابلة للاختلاف، ومن يختلف فيها فهو في شك مريب من دينه. ثم نعى على الذين يختلفون ويتفرقون في دينهم على هذا الوجه الذي ذكرناه، أما ما وراء هذا من المصالح التي تتطور بتطور الأمم وتختلف باختلاف الأحوال فإنها تتبع الدليل، فإن وجد نص فإنه يجب الرجوع إليه بدون تعسف أو تكلف. وإلى هذا أشار الله بقوله:

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[3]

(٣) أما الجواب عن السؤال الثالث وهو مخالفة عمر للنبي ﷺ في الاجتهاد، فإنه لا منافاة بين هذه المخالفة وبين قوله تعالى:

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ ﴾[4] إلخ، وذلك لأن هذه المخالفة كانت بأمر النبي ﷺ نفسه، فقد ثبت أنه ﷺ كان يقول لأبي بكر وعمر: «قولا فإني لم يوح إليّ في هذه مثلكما»، وعلى هذا يكون المراد من الآية النصوص الموحى بها أو المجتهد فيها بعد إقرار الوحي. أما قبل إقرار الوحي فالاجتهاد فيها مطلوب، فإن النبي كان يحث أبا بكر وعمر على الاجتهاد.

(٤) وأما الجواب عن السؤال الرابع، وهو دليل عمر على منع النبي من الصلاة على رأس المنافقين، فالظاهر أنه قول الله تعالى:

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾[5]

فقد فهم عمر أن النهي عن الاستغفار نهي عن الصلاة عليهم من باب أولى.

(١) الأحقاف ـ الآية ١٥.

(٢) البقرة ـ الآية ٢٣٣.

(٣) المائدة (٤٨).

(٤) الحشر (٧).

(٥) التوبة (١١٣).

وقد يقال في بيان وجهة نظر الرسول أنه عليه الصلاة والسلام فهم من آية التوبة أنه لا يجوز له أن يستغفر لمن ثبت موته مشركاً. ولا يثبت الشرك إلا بأحد أمرين: إما بالوحي كما هو الحال في أبي لهب، فإن الله تعالى قد أخبر نبيه بأنه لا يؤمن؛ وإما بطريق إعلان الكفر كما هو الحال في المشركين الذين أعلنوا شركهم. أما المنافقون الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإيمان فإن النبي ﷺ قد عاملهم بمقتضى الظاهر كما هي القاعدة الإسلامية. وهم وإن كانوا قد جاهروا في بعض الأحيان بمحاربة الله ورسوله إلا أنهم قد أظهروا الإيمان وتبرءوا من الأعمال التي نسبت إليهم. فكان الرسول يعاملهم معاملة المؤمنين الفاسقين، فيستغفر لهم رجاء أن يغفر الله لهم ذنوبهم ويصلح حالهم.

والله لم ينه الرسول عن الاستغفار لشخص إلا إذا تأكد أنه من أصحاب الجحيم كما هو نص الآية، فإنها صريحة في النهي عن الاستغفار بعد التحقق من أن الميت من أصحاب الجحيم، وهذا لا يتأتى إلا إذا مات وهو معلن للكفر، أو يوحى إلى الرسول بأن فلاناً لا يؤمن. أما المنافقون فقد خيره الله في شأنهم بقوله:

﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾[6].

وحيث إن عبدالله بن أبي قد أظهر الإيمان، وقد ورد أنه استشفع بابنه ليأتيه بقميص الرسول ويكفنه فيه، وطلب من الرسول أن يصلي عليه، فإن كل ذلك يجعله مؤمناً في الظاهر. أما كونه كافراً في الباطن فذلك لا يمكن الجزم به إلا بالوحي. فاجتهاد النبي من هذه الجهة هو الظاهر المعقول، بل لا يمكن أن يفهم سواه، والله سبحانه لم يعب عليه هذا الفهم أو هذا الاجتهاد مطلقا، لأنه قال له بعد ذلك:

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾[7]

ومعنى هذا أن الله قد أوحى إليه بأنهم ماتوا وهم على كفرهم، وقد عبر عنه بالفسق لأنهم كانوا في الظاهر يظهرون الإسلام، وبديهي أن الذي يموت كافراً لا تصح الصلاة عليه، أما موتهم على الكفر فهو موقوف على الوحي حتى ولو علم الرسول الحقيقة، لأنه في هذه الحالة بمنزلة القاضي الذي يحكم بما يظهر له، فكل من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، يكون مسلماً ولو كان يبطن خلاف هذا.

أما اجتهاد عمر ـ رضي الله عنه ـ فقد كان مبنيا على علمه بالقرائن القاطعة أنه مات وهو منافق، فعمر كان يعتقد أنه قد مات على الكفر، ويعتقد أن الرسول لا يخفى عليه حال الرجل، فالصلاة عليه في

(٦) التوبة (٨٠).

(٧) التوبة (٨٤).

هذه الحالة فيها مخالفة للنص، وهو قوله تعالى:

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾[٨].

ولكن النبي ﷺ رد على عمر فقال له: «إن هذه الآية في المشركين الذين أعلنوا الشرك وماتوا عليه، أما الذين أظهروا الإيمان وهم المنافقون فلم ينه الله عن الاستغفار لهم بل خيرني فيهم فقال:

﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾[٩].

الخ، وحيث إن لي الخيار فسأستغفر له وأزيده على السبعين الذي قال الله إنه لا يغفر لهم بها. ولا يخفى ما في هذا من إيضاح جميل. فاقتنع عمر بهذا وسكت، ولكن الله ـ تعالى ـ قال لنبيه بعد ذلك: إنه لا أمل في إيمان من بقي من المنافقين، فهم سيموتون كفارا، فلا تصل عليهم بعد ذلك. وليس في هذا رد لاجتهاد الرسول أو لدليله كما ذكرنا، وإنما فيه إعلام له بأنهم سيموتون كفارا، فمن مات منهم فلا تصل عليه بعد ذلك. وبذلك تبين له أنهم من أصحاب الجحيم.

ومن هذا البيان يتضح لك أن لكل من اجتهاد النبي ﷺ واجتهاد عمر وجهة لا تعارض الأخرى، وأنه عندما اطلع عمر على وجهة نظر النبي اقتنع بها. وليس في قوله تعالى:

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم ﴾[١٠].

رد لاجتهاد الرسول وإقرار لاجتهاد عمر كما فهم الناظرون، بل غايته أن الله ـ تعالى ـ أسرع بتنفيذ سياسة عمر بإخبار النبي بأنهم كافرون وماتوا وهم كافرون.

والحاصل أن ها هنا أموراً ثلاثة:

أحدها: نهي النبي ﷺ عن الاستغفار لمن تبين له أنه من أصحاب الجحيم بموته كافرا.

ثانيها: الاستغفار للمنافقين الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، ولكن يبدو في أقوالهم وأعمالهم ما يدل على نفاقهم، وهؤلاء لم ينه الله رسوله عن الاستغفار لهم بل خيره فيهم. على أنه قال إن الاستغفار لا ينفع من مات منهم كافراً.

ثالثها: الصلاة على من مات منهم على حاله، وهذا إن جاء الوحي بأنه مات على الكفر فإنه يعامل معاملة الكافرين، وإلا عومل معاملة المسلمين فيصلى عليه.

(٥) أما الجواب عن السؤال الخامس، وهو: لماذا أقر الله سياسة عمر في الظاهر؟ فذلك يتوقف على بيان وجهة نظر اجتهاد الرسول ﷺ، ويفهم من سيرته أنه كان على

(٨) التوبة (١١٣).

(٩) التوبة (٨٠).

(١٠) التوبة (٨٤).

أكبر جانب ممكن في النوع الإنساني من العطف والرحمة. فقد كان ﷺ المثل الأعلى للنوع الإنساني في التخلق بالأخلاق الكاملة، ولذا مدحه الله ـ عزوجل ـ بقوله:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[١١] وقال له:

﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾[١٢]

وقال: ﴿ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ ﴾[١٣]

فاجتهاده ﷺ في هذه القصة وأمثالها كان مبنيا على رحمته وعطفه، ورغبته في هداية النوع الإنساني إلى سواء السبيل، وحرصه الشديد على إخلاص الناس لربهم ليظفروا بمرضاته فتتم لهم السعادة الخالدة. ولا ريب في أن هذه القصة تصور لنا شيئاً من رحمته، فإن عبدالله بن أبي المنافق قد آذى النبي بكل ما يستطيع من ضروب الإيذاء، فكان دائما يعمل في الخفاء على كل ما يقضي عليه وعلى الدعوة إلى الله، وكان يسعى دائما لإثارة الفتن والحط من كرامة المؤمنين كلما سنحت له فرصة، وكان يجاهر برأيه في بعض الأحيان فيصل علم ذلك إلى الرسول، فإذا وقف أمامه وحلف له أنه لم يقل ولم يفعل فإنه يتركه، ومع ذلك كله فقد غلبت عليه الرحمة والعطف فأخذ يجاهد من أجله ويحاول ما نزل عليه من ربه رجاء أن يغفر الله له ذنبه (على ظن أنه مات مؤمنا) ويرفع عنه العقاب الأخروي، ويجعله من المنعمين بجناته.

فمعاملة عبدالله بن أبي بهذه المعاملة تدل على ما تكنه نفسه الكريمة من الرحمة بعباد الله والشفقة عليهم وحب الخير لهم، حتى ولو أساءوا إلى شخصه الكريم وآذوه في سبيل الدعوة إلى ربه؛ وتنادي كل عاقل منصف بأن من كان هذا شأنه فإنه لا ينبغي لعاقل أن يتخذه عدوا أو يشك في نصيحته أو يرتاب في صدقه، لأن الذي يتصف بهذه الصفات العالية يجب أن يكون منزها عن الكذب والخديعة وتضليل عقول الناس وإرادة الشر لهم. وبديهي أن ذلك كان له أحسن الأثر في نشر الدعوة إلى الله. على أنه قد ورد في هذه الحادثة أن عبدالله بن أبي لما طلب أن يكفن في قميص النبي ﷺ ورأى ذلك أتباعه من الخزرج أسلم منهم ألف، وكفى بذلك مدحا لسياسة الرسول واجتهاده.

أما اجتهاد عمر وسياسته فهي مبنية على الظروف الوقتية المحيطة بالمسلمين يومئذ، فإن ضررهم كان عظيماً، إذ هم يتمكنون بإظهار الإسلام من الاطلاع على مواطن

(١١) القلم (٤).

(١٢) آل عمران (١٥٩).

(١٣) التوبة (٦١).

الضعف من أنفس الضعفاء، فيحاولون التأثير عليهم وتشكيكهم فى إيمانهم وإفساد أخلاقهم. وأيضاً فإنهم يمكنهم أن يرشدوا الأعداء المحاربين إلى خطط المسلمين فيعرضونهم لأشد الأخطار والمحن، فكان من رأى عمر استعمال القسوة معهم إلى أبعد مدى. أما معاملتهم بالرحمة، وتفهيم الناس أن الله قد يغفر لهم فإن فيه تشجيعا للمنافقين، وحملا للناس على الاستهانة بالنفاق.

ومن يتأمل فى هاتين السياستين يجد أن كلا منهما لازم، وذلك لأن سياسة عمر وإن كانت وجيهة فى بعض الظروف فإنه قد يقال فيها أيضاً إن الشدة المتناهية قد يترتب عليها استمساك المنافقين بما هم عليه، فيزداد حقدهم على الرسول، ويتضاعف بغضهم لدينه، فلا يفارق النفاق قلوبهم، ويمعنون فى الكيد للمسلمين بالطرق الخفية الضارة بهم وهم غافلون.

أما معاملتهم بالرفق واللين، واستعمال الرأفة بهم وإسداء المعروف إليهم المرة بعد المرة، فإنه قد ينزع الحقد من أنفسهم، ويقلل من بغضائهم لله ورسوله، فيتوبون عن النفاق، لأن النفوس الإنسانية مهما كانت جامحة فإنها لابد أن تلين وتخضع بموالاة الإحسان وتكرار العطف والعفو.

والواقع الذى لا ريب فيه أن طبائع الناس فى ذلك تختلف كل الاختلاف، فمنهم من يصلحه العفو، ومنهم من يطغيه ويغريه على التمادى فى الشر. فالواجب أن ينظر المجتهد فى الأمرين كى لا يفوته شىء منهما. ولذا قلنا إن كلتا السياستين ها هنا لازمة بحيث ينبغى استعمال كل منهما فى الظرف المناسب لها، فسياسة الرسول صلوات الله عليه قبل أن ينزل عليه قوله تعالى:

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم ﴾[14].

كانت هى المناسبة، لأنها دفعت المستعدين للإدراك الصحيح إلى نبذ النفاق والتمسك بالإيمان الصحيح.

أما من بقى من المنافقين بعد ذلك فقد ران على قلوبهم، وأصبحوا غير مستعدين لسماع الحق ولا للإيمان، فلا فائدة حينئذ من معاملتهم بالرفق والرحمة، فلهذا أوحى الله إلى نبيه بأنهم سيموتون كفارا، فلا تصل على أحد منهم.

هذا التفصيل الذى ذكرناه إنما هو بالنسبة للنبى ﷺ المتصل بالوحى، لأنه يمكنه أن يتقى شر المنافقين بالوحى، فإنهم إذا حاولوا عملا يضر المسلمين فإن الله يطلع عليه نبيه فيحبطه، كما وقع ذلك فعلا، فإن الله ـ تعالى ـ كان يوحى إلى الرسول بما يعملون، قال تعالى:

(14) التوبة (84).

﴿ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ﴾[15].

وقال مهددا لهم:

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ ﴾[16].

فسياسة الرسول مع المنافقين حسنة من جميع الوجوه. أما إذا لم يكن وحى ولا رسول فإن الواجب على المجتهد أن لا يأمن للمنافق الذى ثبت نفاقه مطلقا، بل يعامله بمنتهى الشدة والقسوة، لأنه أضر على الدعوة إلى الله من المشرك الذى يعلن الشرك، اللهم إلا إذا ترتب على معاملته بالرفق إيمانه وإيمان غيره، فإنه يعامل فى هذه الحالة بالرفق مع الاحتياط التام. وهذا هو السر فى إقرار سياسة عمر فى الظاهر، لأن الأصل فى معاملة المنافق هى الشدة، ولا فائدة فى معاملتهم بالرحمة بعد ذلك، فنزل قول الله:

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾[17].

والذى يتأمل فى كتاب الله ـ تعالى ـ فإنه يتضح له هذا المعنى الذى ذكرناه. فإن الله ـ سبحانه ـ لم ينه نبيه عن استعمال الرحمة بالمنافقين، بل امتن على المنافقين بما للنبى من الرحمة بهم، فقال:

﴿ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ﴾[18].

أى وهو رحمة للذين أظهروا الإيمان منكم أيها المنافقون. وفى هذا مديح له ﷺ بالرحمة بهم. ثم إنه لم ينهه عن الاستغفار لهم بطريقة جازمة، بل أبان له أن الاستغفار لن يقبله الله لمن مات منهم كافرا. أما الاستغفار لمن يظهر الإيمان فى الدنيا فإنه لم ينهه عنه، قال تعالى:

﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[19]

ومعنى الآية أن الله لا يمنعكم من قبولهم والرضا عنهم لأنكم إنما تنظرون إلى ظاهر أمرهم، أما العليم بقلوبهم فإنه لا يرضى عنهم، وهم كاذبون فى إيمانهم منافقون بقلوبهم. وفى هذا تهديد لغير المخلصين مع عدم إغلاق الباب فى وجوههم لأنه قد أباح لهم الاختلاط بالمسلمين ومشاركتهم فى المباحث الدينية، والنظر فى البراهين القاطعة التى أتى بها الله ورسوله. وفى كل ذلك فرصة لهم فى النظر الباعث إلى الهداية الحقة والإيمان الصحيح. وفى هذا من دقائق التشريع الإسلامى والحث على الاجتهاد فى المصالح العامة مالا يخفى. والله يهدى من يشاء إلى سواء السبيل.

(15) التوبة (94).

(16) التوبة (78).

(17) التوبة (84).

(18) التوبة (61).

(19) التوبة (96).

الدعوة إلى التضامن الإسلامي كأساس لقوة المسلمين

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾

آل عمران (١٠٣)

إن الأمم والشعوب تختلف في لغاتها وأشكالها، وفي عاداتها وتقاليدها، وهذا الاختلاف له صداه على علاقتها الإنسانية، وله أثره على مسار الروابط بينها، إن لم تكن بينها قاعدة أساسية ذات أصول ثابتة، تتغلب على الفوارق ووجوه الاختلاف.

وليس في الوجود بأسره قاعدة تربط بين الأمم والشعوب وتوحد الصف الإنساني كالعقيدة الإسلامية.

وإذا استبأنا التاريخ البشرى عبر أشواطه البعيدة عن هذه الحقيقة لما وجدنا سوى الإسلام الذى ارتضاه الله ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً.

ولكم طالعنا التاريخ بأمم بلغت ووصلت في تقدمها الحضارى ما وصلت، ولكنها كانت بعيدة عن روح الإسلام. فما دارت عليها دورة الحياة إلا واندكت عروشها وتصدعت حضارتها، لأنها لم تقم على أساس ولم يكن لها من القوة الروحية نصيب.

والأمم التي لا تأخذ بشريعة الإسلام ومبادئه يدب بينها الخلاف ويستشرى بين صفوفها التشاحن وتشتعل فيها الفتن والحروب. وأمة الإسلام المترامية الأطراف لها من عقيدتها أقوى رابطة لو أنها حرصت عليها وجاهدت في سبيلها، فإنها تغدو قوة كبرى لا تنازعها أمة في الوجود قاطبة. ومن هنا دعت الحاجة الملحة إلى التضامن الإسلامي لإيقاظ مشاعر الإخاء والتواصل في سائر أرجاء الوطن الإسلامي، ليهب الجميع عن بكرة أبيهم متعاطفين متساندين متعاونين على البر والتقوى. وفي التضامن الإسلامي قوة في شتى المجالات.

أولاً: في الجانب الاقتصادى مجال واسع يؤدى التضامن فيه أدواراً بالغة الأثر بين الأفراد والجماعات، والأمم والشعوب، فتخف الأمة الإسلامية لإغاثة المسلمين، وسدّ حاجتهم ومعاونتهم وتفريج كربتهم، سواء كانوا من بلدهم أو من غير بلدهم، قربوا منهم أو بعُدوا، فالوطن الإسلامي لا حدود له تحدّه، ولا فوارق جنس أو لغة تقف في سبيل تضامنه.

وفي سبيل تكامله الاقتصادى تتلاقى تعاليم الإسلام لاستثمار خيرات الأرض للصالح العام بين المسلمين، يعاون كل فرد أخاه وكل مجتمع غيره بما لديه من خير أياً كان نوعه. وقد أوجب الإسلام حقوقاً في كل الجوانب الاقتصادية دعماً لتكافل المسلمين وتساندهم.

ففي المال حق، وفي الزراعة حق، وفي الماشية حق، وفي عروض التجارة.. وهكذا.

وفي هذا الجانب لم تدع شريعةُ الإسلام الطبقة الفقيرة دون أن تشعر بمذاق العزة ولذة اليد العليا المنفقة. فكما شرع الإسلام حقا للفقير على الغني، فإنه شرع كذلك حقا للفقير على الفقير، كما هي الحال في زكاة الفطر، وذلك ليسعى الفقير في تحصيل المال، ولينهض إلى المعاونة متى استطاع إليها سبيلا. وحض الإسلام على العمل والإنتاج وعلى استثمار خيرات الأرض لصالح الأمة الإسلامية.

ثانياً: في الجانب الثقافي، ويظهر التضامن بصورة واعية تدرك أبعاد الحركات الثقافية التي تدور حول آفاق العلم والمعرفة، وتدرك أهمية التخصصات العلمية في كل مجال، ليسهم كل تخصص في بناء الحياة - في الجانب الذى يحتاج إليه - ويفسح المجال أمام نهضة علمية إسلامية، تتجاوب معها كل أرجاء العالم الإسلامي، داعية إلى الإسلام، مقاومة كل حركات المناوئين للدعوة المتربصين بها، وتنشر الوعي الديني الصافي في كل قطاعات الأمة الإسلامية وفي كل ميادين الحياة صناعية كانت أو تجارية أو زراعية، وفي كل ميادين العمل المختلفة، حتى لا ينحصر الوعي الديني لدى الطبقات من المثقفين فحسب.

ويسهم في هذا كل بلد إسلامي بما لديه من إمكانات علمية وتخصصات دقيقة في سائر فنون العلم والمعرفة وبحيث تكون هناك دوائر عامة تربط بين البلاد، وتنظم شئون الفكر والثقافة، شريطة ألا تحيد عن منهج الإسلام وقيمه.

ثالثاً: في مواجهة أعداء الإسلام، وللتضامن الإسلامي رسالته الجليلة في مواجهة الفكر المادى ومقاومة الغزو الفكرى والإلحاد في كل صوره وأشكاله.

والجهاد في سبيل الله، ذلك أقوى دلالات الإيمان الصادق والعقيدة الصحيحة.

كما أن النكوص عن مواجهة التيارات الوافدة والقعود عن الجهاد في سبيل الله وإيثار أعراض الدنيا دلالة على الخروج عن روح الإسلام ومبادئه.

قال تعالى:

﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[١].

---

(١) التوبة (٢٤).

أثـر التضـامن الإسـلامى

لقد وحّد الإسلام بعقيدته وشريعته، وبأحكامه وأخلاقه بين جميع المسلمين، أفراداً وجماعات، وأمماً وشعوباً، وجعل الله الغاية من وراء خلقهم من ذكر وأنثى، ومن جعلهم شعوباً وقبائل، أن يتعارفوا، فيعرف كل منهم غيره ويميزه، ويتبادلون المعرفة والعون والتضامن.

وحتى لا يستعلى بعضهم على بعض، أو ينخدع ببريق الحياة وظواهرها الخلابة عيّن الإسلام درجة التفضيل، وحدد ميزان التكريم والتقدير، وذلك بتقوى الله وحده، فقال سبحانه وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٢].

فإذا كان أصل الإنسانية يرجع إلى أب واحد وأم واحدة، وجاء إلى الناس الدين، وجاءهم الرسول ﷺ بدستور سماوى حكيم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فدعاهم إلى رب واحد لا شريك له، هو الخالق القادر وهو المدبر والمهيمن وهو على كل شئ قدير، فاجتمعوا تحت راية الإسلام وانضووا تحت لواء القرآن، وانتظموا فى صفوف المؤمنين الذين آمنوا بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبسيدنا محمد ﷺ نبياً ورسولاً. إذا كان الأمر كذلك فإن المسار الطبيعى لحياتهم أن يكونوا صفاً واحداً كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً. روى الإمام البخارى بسنده عن أبى موسى، عن النبى ﷺ أنه قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً. ثم شبك بين أصابعه».

هذا هو الوجه الحقيقى للتضامن الإسلامى، لقد ربط بين الجماعات والأفراد، وبين الأمم والشعوب، فجعلهم - على مختلف أشكالهم وألوانهم، وأجناسهم وأقطارهم - أمة واحدة متعاونة متضامنة، متعاطفة متساندة، يشد بعضها بعضاً فى كل مجالات الحياة، وفى كل ميادين العمل المختلفة.

ومعلوم أن البنيان الذى يشد بعضه بعضاً متماسك قوى، يثبت أمام العواصف ولا تؤثر فيه الهزات ولا التيارات، لأنه يقوى على ردهل ويصون جماعته منها. كذلك الحال بالنسبة للأمة الإسلامية، فهى بوحدتها وتضامنها قوة لا تقف فى مواجهتها قوة، لأنها بتأييد الله -تعالى- لها، وبفضل اعتصامها بحبل ربها وتكاتفها فى سبيل الحق - تحقق النصر على أعدائها، وتحقق خيريتها على ظهر الأرض. وتنشر الأمن والاستقرار، والخير والرخاء، وتقيم مبادئ الحق والعدل، وتصد تيارات الفساد والإلحاد، وترد موجات التحلل السافرة.

(٢) الحجرات (١٣).

ومبادئ التضامن فى الإسلام عامة، تستوعب نواحى الحياة المتعددة، وتشمل كل مظاهر الإنسانية فى السراء والضراء، فالمسلم مع أخيه المسلم، يحس بإحساسه ويشعر بشعوره، إن أصابه فرح هنّأه وشاركه فرحه، وإن أصابه مكروه واساه وخفف عنه.

إن نظرة الإسلام إلى تضامن المسلمين نظرة واسعة وعميقة، فهى تجعل منهم شخصية واحدة، وتجمع بين أحاسيسهم بحيث تصبح كأحاسيس الجسد الواحد للشخص الواحد، فكما أن الإنسان إذا ما أصيب بتعب، أو اشتكى من ألم فى عضو من الأعضاء - أصاب التعب والسهر بقية أعضائه، فكذلك الحال بالنسبة للمسلمين، إنهم جميعاً كالجسد الواحد، وكل فرد منهم يمثل عضواً من تلك الأعضاء «مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[٣].

إن أخوة الإسلام تقتضى من المسلمين العدل بين الناس، وإنصاف المظلوم، والتفريج عن المكروب، وتقتضى ذلك من الإنسان لأخيه الإنسان، ومن المجتمع الإسلامى والأمة بأسرها، وبين المجتمعات والأمم.

فمن الهدى النبوى الشريف: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه. من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»[٤].

إن على المجتمعات الإسلامية أن تتضامن على البر والتقوى، وتتعاون وتتساند لتقضى على الجوع والضياع والحرمان والجهل، وتتحد معتصمة بحبل الله لإنقاذ كل فرد محتاج، وكل مجتمع ضعيف، وكل بلد إسلامى فى حاجة إلى مد يد العون والنصرة إليه، حتى لا تجد تيارات الفساد والشر مساراً لها أو منفذاً لسمومها.

ويوم أن تتضامن بلاد العالم الإسلامى على نصرة دينها وتحقيق خيريتها، يوم أن ينصرها الله نصراً مؤزراً، ويمكّن لها فى الأرض، لتقيم شريعة الله مؤكدة صلتها به، مقوية روابطها بالمجتمع، مدافعة عن دين ربها، آمرة بالمعروف وناهية عن المنكر.

﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[٥].

(٣) رواه أحمد ومسلم عن النعمان بن بشير.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

(٥) الحج (٤٠ - ٤١).

الإنسان بين حضارة الرحمة وحضارة الإبادة الجماعية

للدكتور/ عبد الحليم عويس

فى أسلوب حصر بلاغى يحدد الإسلام - فى كتابه الكريم - وظيفة الرسول ﷺ على أنه رحمة لكل العالمين.

لقد خاطب الله نبيه محمداً ﷺ بقوله:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[1] ويقوله:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[2] وفى ضوء هذه الرسالة، فإن على المسلمين - مهما كانت أجناسهم أو أوطانهم - أن يتنبهوا إلى أنهم حملة راية العدل والرحمة بعد أستاذهم ومعلمهم محمد ﷺ، وعليهم أن يتنبهوا إلى أن الأمانة التى ائتمنهم الله عليها، وهى (البلاغ للناس بالقرآن) إنما هى نور للناس جميعاً إذا آمنوا بها، لا فرق بين أسود وأبيض.. يقول الله -تعالى:

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[3]

ويستنتج من هذا أن المسلمين مسئولون عن إنقاذ البشرية جميعها، فحتى لو تأججت الأحقاد والعنصريات فى صدور أعدائنا، فالمسلمون لم يبعثهم الله ليواجهوا حقداً بحقد، ولا

(1) الأنبياء (107).

(2) سبأ (28).

(3) المائدة (15، 16).



عنصرية بعنصرية، بل عليهم أن يحافظوا على راية العدل والتسامح والرحمة مع الإنسانية وألا يخضعوا لاستفزازات أعدائهم التى يرومون من خلالها زحزحتهم عن مبادئهم، وهى المبادىء التى تلخصها الآية الكريمة:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[4]

وتطبيقاً لهذه الآية وغيرها، وانطلاقاً من المسئولية العامة نحو الإنسانية خرجت طليعة الإسلام الأولى من أصحاب محمد ﷺ إلى الدنيا بأرقى مستوى عرفته البشرية.. ينشرون العدل والحب والرحمة والإيثار والإيمان، فلقد كان حظ الشيطان قد خرج من نفوسهم - بل خرج حظ نفوسهم من نفوسهم - وأنصفوا من أنفسهم إنصافهم من غيرهم، وأصبحوا فى الدنيا رجال الآخرة، وفى اليوم رجال الغد، لا تجزعهم مصيبة، ولا تبطرهم نعمة، ولا يشغلهم فقر، ولا يطغيهم غنى، ولا تلهيهم تجارة، ولا تستخفهم قوة، ولا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً، وأصبحوا للناس القسطاس المستقيم، قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسهم، أو الوالدين والأقربين، وطأ لهم أكتاف الأرض، وأصبحوا عصمة للبشرية، ووقاية للعالم ودعاة إلى دين الله، واستخلفهم رسول الله ﷺ فى عمله، ولحق بالرفيق الأعلى قرير العين من أمته ورسالته[5].

ولعله من أكبر آيات التسامح الإسلامى والشعور بالمسئولية الإنسانية أن العلماء والدعاة المسلمين عندما يعرضون لقضايا الخلل الإنسانى لا يصدرون عن شعور عنصرى يحصر علاجهم فى المحيط الإسلامى أو القومى، بل يعملون على حل مشكلات

(4) الحجرات (13).

(5) أبو الحسن الندوى: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين صـ12 الهند 1422هـ.

حضارات العصر الحديث كلها، دون أن يحصروا حل المشكلات فى الدائرة الإسلامية أو العربية أو التركية أو الهندية وحدها، إنما يعرضونها ليحلوا بها مشكلات الحضارة المادية الحديثة كلها.. تلك الحضارة التى حبسها (العقل) فى إطار (المادة) و(المنفعة) و(النسبى)، وأصبحت عاجزة عن إدراك الكمال والجمال فى الروح والمطلق والغيب وضرورة الإيمان بالكينونة الإنسانية، والعمل المشترك على استمرار التحضر الإنسانى العام.. الذى يضم المسلمين وغير المسلمين.

ـ ولقد أدرك المسلمون أن هناك خللاً وقع فى المسيرة الإنسانية نتيجة التحيز للمادة على حساب الروح أو العكس، ونتيجة التحيز للعنصر أو الجنس على حساب الإنسانية العامة.

ـ ولقد أصاب هذا العجز الحضارة الإنسانية بالشلل النصفى؛ لأن الروح أو الغيب أو المطلق لا تنفصل عن العقل والمادة والنسبى.

ـ إن الإنسان جسم وروح، وهو ذو عقل وقلب وعواطف وجوارح، لا يسعد ولا يفلح ولا يرقى رقياً متزناً عادلاً حتى تنمو هذه القوى كلها نمواً متناسباً لائقاً بها، ولا يمكن أن توجد الحضارة الصالحة إلا إذا ساد وسط دينى خلقى عقلى جسدى يمكن للإنسان فيه بسهولة أن يبلغ كماله الإنسانى[6].

ولأن (المطلق) هو (المعيار) الأساسى للحق، ورفض التعامل معه يعنى رفض السير فى طريق الحق، تحت ضغط الإيمان المشلول بالمادة والنسبى. وهو المعبر المؤدى إلى عبادة الإنسان لنفسه بديلاً عن عبادة الله الذى يؤمن المسلمون بأنه وضع للكون والإنسان نظاماً من خلال الوحى والأنبياء، وهو نظام متطابق مع فطرة الإنسان.

كما أن الحضارة الإنسانية ـ من جانب آخر ـ لا يمكن أن تقوم بواسطة جنس واحد، فالتعدد ضرورى لها، وتفاعل أكثر من جنس هو المحقق لعالميتها وإنسانيتها.

ـ لقد كان الإسلام ـ لأنه دين الفطرة والحق ـ حافزاً على تشكيل كيان متميز لم تستطع تقلبات الزمن والاحتكاك بالحضارات المختلفة أن تفت فى عضده على مر العصور.. فإن كل شىء فى الإسلام يُشكل وحدة، ويعبر فى الوقت نفسه عن وحدة، ففروض العبادة تعبر بطريقة ظاهرة بل بطريقة مادية عن التماسك والالتحام، فالمسلمون يسجدون فى صلواتهم خمس مرات يومياً فى ساعات متماثلة تقريباً، وفى اتجاه واحد نحو مكة.

وتعبِّر النية الدينية المصاحبة للعبادات لكل شعيرة عن وحدة الإنسان روحياً ومادياً.

ويسهم الإيمان ـ أيضاً ـ كما تسهم الشعائر ـ فى تضامن الجماعة الإسلامية وتجانسها، وتدفعها جميعاً نحو تحقيق عالميتها.

(٦) المرجع السابق صـ٦٢.

إن جماعة المؤمنين، وقد قامت على الدين، فإنها نجحت فى الصمود أمام التفكك السياسى كما أن الروابط الدينية التى تسمو فوق التخوم والحدود بين الدول، لم تتأثر كثيراً بذلك التفكك السياسى.

ويقول الكاتب والصحافى السويسرى الكبير الذى هداه الله إلى الإسلام (روجيه دى باسكيه) "لقد جاء الإسلام إلى الناس لمساعدتهم على عبور هذه المرحلة الأخيرة من التاريخ العالمى دون أن يتعرضوا للضياع وباعتباره الوحى الأخير فى سلسلة النبوات، فإنه يقدم وسائل لمقاومة الفوضى التى تسود العالم حالياً، وإقرار النظام والنقاء فى داخل الإنسان، وإيجاد التآلف والانسجام فى العلاقات الإنسانية وتحقيق الهدف الأسمى الذى من أجله دعانا الخالق إلى هذه الحياة. إن الإسلام يخاطب الإنسان الذى يعرفه معرفة عميقة ودقيقة محدداً بالضبط وضعه بين المخلوقات وموقفه أمام الله[7]".

ـ إن الفكر الحديث (كما يتابع باسكيه حديثه) على العكس من ذلك، إذ ليس لديه معلومات دقيقة متفق عليها تتعلق بعلم الإنسان. ولم يحدث فى حضارة أخرى غير هذه الحضارة الأوروبية والمادية ما حدث من تجاهل بطريقة منظمة وشاملة للتساؤل عن الأسباب التى من أجلها نولد ونعيش ونموت. ذلك هو التناقض الذى وقعت فيه هذه الحضارة التى ارتأت منذ نشأتها أن تكون إنسانية، بمعنى أنها جعلت من الإنسان مصدر كل شىء ونهايته، إن هذه الحضارة التى أريد لها أن تكون إنسانية، إنما تفرد فى الوقت نفسه إلى نظام يحتقر الإنسان، ويخدعه ثم يدمره فى نهاية المطاف.

إن الإسلام بأبعاده الأفقية والرأسية قادر على عمل توافق قوى بين الإنسان والكون المحيط به، وكذلك بين الإنسان والله خالق كل شىء ومبدعه، إن الإسلام عالمى بكل معنى الكلمة[8].

وأخيراً.. هذا هو الإسلام، وهذه وظيفته المحددة، وها هو تاريخ المسلمين يؤكد سماحتهم وإنسانيتهم.. فماذا على الشاطىء الحضارى الآخر؟.. ماذا هناك إلا الحروب العالمية، وأسلحة الدمار الشامل، وأنواع من القنابل كأنما أعدوها للقضاء على إضعاف الكرة الأرضية.. وقد كانت إحدى القوى تزعم أنها تملك مخزوناً يكفى لتدمير الأرض أربع مرات!!.. وما الفائدة من كل هذا؟ وهل بعثوا لتخريب العالم..؟ وأين هم من الإسلام وحضارته؟!!

(٧) أحمد عبدالوهاب. الحضارة الإسلامية وجهتها الله والحضارة الغربية مركزها الإنسان صـ ٦٢، ط دار الصحيفة – القاهرة ١٩٩٩م.

(٨) المرجع السابق صـ ٦٤، ٦٥.

حوار مع جارودي

أخطاء الأصولية.. أم أخطاء جارودي


جارودي

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

في كتاب جارودي - عن «الأصوليات المعاصرة» - عقد باباً لرأيه في «الجامع المشترك بين الأصوليات الإسلامية».. أي جامع أخطاء هذه الأصوليات - من وجهة نظر جارودي - .. وفي هذا الباب نقاط خلاف رئيسية بين فهم جارودي للإسلام - وللشريعة الإسلامية على وجه الخصوص - وبين فهم جمهور علماء الإسلام، القدماء

(*) تسمية الجماعات المتشددة بأنها أصولية خطأ محض سبق أن تعرضت له مجلة الأزهر بالتصويب وكان مما جاء بالمقال (راجع سلسلة مقالات الدعوة كما ينبغي أن تبلغها ذو الحجة ١٤٢١هـ) أن هذه التسمية خطأ ربما كان مقصوداً من المنظرين في الغرب، تلقفته أقلام في شرقنا مولعة بكل ما هو غربي خصوصاً إذا كان ينطوي على مفسدة في الأخلاق أو العقيدة تحت مسميات براقة.

نحسب أن المفكر الفرنسي الكبير وقع ضحية للخداع والتضليل الغربي وكما يقولون لكل جواد كبوة.

على أن عذره ربما يكون في أن أحدنا لم يقدم له التصويب اللازم ومهما يكن، فإن حاجز اللغة بالإضافة إلى حاجز المصطلحات العلمية في علوم اللغة والفرق الإسلامية والأصول هو الذي أطاح بكلمة أصول وأصولية وشتت معنى كلمة سنة وطريقة حتى التحت ما جنح بفكر (جارودي) مما أغضب مفكرنا الكبير الدكتور محمد عمارة وربما كان الارتباط بالأصول بالنسبة لبعض الكتب المقدسة التي تمتلئ بما يخالف العقل والتاريخ قد جعل التأويل والانفكاك عن النص ضرورة أما بالنسبة للقرآن والإسلام فهذا بعيد، فالأصول محفوظة والارتباط بها في ضوء اللغة والعقل هو الطريق الصحيح.

وعلى كل فإن المجلة ترجو أن تجد من بين كتابها من يجد فيما عرضناه دافعاً لتوضيح ما جنح بفكر جارودي وأن يرده إلى جادة الطريق وهو قيمة فكرية كبرى وذلك يدفعنا إلى التصحيح والاحتواء.

أسرة التحرير

منهم والمحدثين، للإسلام والشريعة الإسلامية.

فهو يرى أن هناك ثلاثة أخطاء جامعة «بين الأشكال الراهنة للأصولية» الإسلامية.. هي:

١- احترام السنة النبوية، والالتزام بها.

٢- والخلط بين الشريعة، التي جاء بها القرآن الكريم، والتي يراها مجرد «أخلاق»، وبين الفقه والقانون، الذي هو اجتهاد بشري.

٣- وتجاهل «تاريخية - وتاريخانية» الأحكام التشريعية القرآنية، والتي ارتبطت بملابسات وخصوصيات واقعية وتاريخية، جعلت وتجعل الباقي منها والدائم هو «القدوة» وليس «الأحكام».

تلك هي القضايا التي رآها جارودي جامعة لأخطاء الأصولية الإسلامية المعاصرة، وأسباباً لاختلافه معها.. والتي نراها أبرز أخطاء جارودي، وأسباباً لاختلافه مع ثوابت الفكر الإسلامي وجمهور علماء الإسلام.. ولذلك فلابد وأن تكون موضوعاً لحوار موضوعي مع هذا العقل الفلسفي الكبير.

يعرض جارودي القضية الأولى، فيقول: إن «الجامع المشترك بين الأشكال الراهنة للأصولية»:

احترام السنة: التراث، وهذه الكلمة غالباً ما تستعمل في القرآن بمعنى إزدرائي: فهي تدل على العادات الجاهلية التي يدعو القرآن للقطع معها.

إن سنة النبي لم توضع لأجل المستقبل.. إذ أن الله يذكر رسوله أن من الواجب عليه، خارج الوحي الذي يبلغه في القرآن، أن يقول:

﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾(١).

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾(٢).

وفي القرآن أمر بطاعة النبي:

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾(٣).

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾(٤)

لا بتقليده، اللهم إلا في إيمانه وعقيدته:

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾(٥)

ولم يشأ النبي أن تدون أقواله الشخصية.. ولكن عمر بن عبدالعزيز. أرسل في أواخر القرن الهجري الأول، رسلا يعلمون سنة النبي والشريعة، وكان ذلك

---

(١) الكهف: ١١٠.
(٢) الغاشية: ٢١، ٢٢.
(٣) آل عمران: ٥٠.
(٤) النور: ٥٤.
(٥) الأحزاب: ٢١.

التعليم قائما على تصور «للجبرية» التي كانت تبرز الطاعة غير المشروطة للملك، ولو كان فاسدا أو ضالا. فإذا كان ملكا، فإن الله هو الذي أراد له ذلك، ومقاومته يمكنها أن تكون معاكسة لمشيئة الله - «عليكم أن تصلوا، ولو وراء المخالف»[٦].

تلك هي عبارات جارودي.. المليئة بالأخطاء الفكرية، والتي تستوجب الحوار.

فمصطلح «السنة» في القرآن الكريم، ليس هو «التراث» حتى يكون معناها تراث الجاهلية غالبا، وحتى يكون احترامها والتزامها أول الأخطاء.. وإنما «السنة» في القرآن الكريم، غالبا ما تعني القانون الحاكم في مختلف ميادين الوجود:

﴿وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾[٧]

﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾[٨].

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[٩].

﴿سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾[١٠].

فالسنة هي «القانون»، وليست «التراث».

و «التراث»، في القرآن الكريم، ليس عادات الجاهلية التي يدعو الإسلام إلى القطيعة معها.. وإنما هو مطلق الموروث، وكما يكون عادات وأفكارا، يكون مالا وأرضا وديارا:

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾[١١]

ويكون الوحي الإلهي والكتاب المنزل:

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[١٢].

وسنة النبي ﷺ ليست - كما يقول جارودي - هي «أقواله الشخصية»، وإنما هي بيانه للبلاغ القرآني.. فالرسول «مُبلِّغ للقرآن»:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[١٣].

وهو أيضا «مُبيِّن» لهذا البلاغ القرآني:

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١٤]

فالسنة النبوية، عندما تكون «بيانا» للبلاغ

(٦) جارودي [الأصوليات المعاصرة] ص٨٣-٨٤. طبعة باريس - العربية - سنة ١٩٩٢.

(٧) الأنفال: ٣٨.

(٨) الإسراء: ٧٧.

(٩) الأحزاب: ٦٢.

(١٠) غافر: ٨٥.

(١١) الأحزاب: ٢٧.

(١٢) فاطر: ٣٢.

(١٣) المائدة: ٦٧.

(١٤) النحل: ٤٤.

القرآني، تصبح «دينا»، ولا يقال عنها إنها «آراء شخصية» للرسول، عليه الصلاة والسلام.

ولو أن جارودي اطلع على هذا البحث من مباحث «الأصول» الإسلامية، لعلم أن «للأصوليين» - طبعا بالمعنى الإسلامي لا الغربي!! - علما إسلاميا يزيل اللبس بين السنة التشريعية، التي هي دين، وبين سنة العادة، التي لا تدخل في إطار الدين.. فالعلم النبوي منه ما هو «تبليغ» ومنه ما هو «إفتاء»، أي بيان للبلاغ الإلهي.. وهذا «الإفتاء» النبوي هو السنة النبوية المعدودة جزءا لا يتجزأ من «الدين».. أما تصرفاته الشخصية، بحكم البشرية المحضة، والعادات والتقاليد والأعراف، فهي ليست دينا ملزما، وإن كان فيها الكثير والكثير مما هو الأطيب والأجمل والأولى بالتأسي به، عليه الصلاة والسلام.. بل إن علماء الأصول لا يعدون تصرفات الرسول «القاضي» في المنازعات بين الناس، و«الإمام» أي رئيس الدولة وسائس المجتمع، من السنة التشريعية التي هي دين، وإنما يصنفونها في باب «الاجتهاد»، المتميز عن «البلاغ القرآني» و«البيان النبوي لهذا البلاغ»[١٥].

فتعميم جارودي الحكم على السنة النبوية بأنها «آراء الرسول الشخصية» خطأ..

وانطلاقه من هذا الخطأ إلى الحكم بخطأ الذين يحترمون السنة النبوية - واعتباره سمة من سمات الأصولية الجمودية المرذولة - خطأ مركب، أدى إليه غيبة هذا البحث من مباحث الأصول الإسلامية عن فيلسوف كبير، كان عليه أن يسأل أهل الذكر والاختصاص في هذه العلوم..

وليس صحيحا كذلك ما قاله جارودي عن دور عمر بن عبدالعزيز [٦١-١٠١هـ ٦٨١-٧٢٠م] - رضي الله عنه - في قضية السنة النبوية.. فعمر اهتم بتدوين السنة وجمعها، ولم يكن البادئ بذلك - وتلك قضية أشهر من أن نفصل القول فيها.. يعلمها الجمهور، فضلا عن العلماء - .. وأغرب من خطأ جارودي في هذا الأمر، قوله إن عمر بن عبدالعزيز، هو الذي بدأ فأرسل رسلا «يعلمون الشريعة»!!.. ويبدو أن ما ساقه جارودي، في هذا الموضوع، هو سلسلة من الأخطاء الفكرية، فهو، علاوة على ذلك، يتهم عمر ابن عبدالعزيز «بالجبرية»!.. ولو علم أن «المعتزلة» - فرسان الحرية والاختيار - يعدون هذا الخليفة العادل من أعلامهم، ويذكرونه في الطبقة العاشرة من طبقات رجالهم[١٦] لما قال هذا الذي قال!..

(١٥) انظر: شهاب الدين القرافي [الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام] ص ٨٦-٩٦. طبعة حلب سنة ١٩٦٧م. وكذلك: ولي الله الدهلوي [حجة الله البالغة] جـ١ ص١٢٨، ١٢٩ طبعة القاهرة سنة ١٣٥٢هـ.

(١٦) انظر: أبو القاسم البلخي، والقاضي عبدالجبار بن أحمد، والحاكم الجشمي [فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة] ص ٣٣٥. طبعة تونس سنة ١٩٧٤م.

ثم، إن عمر بن عبدالعزيز لم يكن - كما ادعى جارودى - مع الطاعة غير المشروطة «للملك»، فهو الذى رد إلى الأمة حقها فى اختيار الخليفة، وأدان تحوّل الخلافة إلى نظام وراثى، وقال عن الذين تولوها من بنى أمية - وهم أهله - : «هؤلاء جبابرة، وأنا لا أحب مثلهم»[١٧] وأحدث، فى الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، ثورة رد بها المظالم إلى أهلها.. حتى لقد دفع حياته ثمناً للحرية والعدل اللذين رفع لهما أعلا المنارات[١٨]!..

ولم يكن عمر بن عبدالعزيز - كما قال جارودى، أيضاً - يعتبر مقاومة الحاكم معاكسة لمشيئة الله.. فهو الذى حاور الخوارج، الذين كانوا يحملون السلاح ضد الدولة، واستدعاهم إلى العاصمة وهم بسلاحهم! وأقام معهم سلاماً، وقال عن هؤلاء الثوار: «إن الذين خرجوا - [ثاروا] - غضباً لله ولنبيه ﷺ ليسوا أولى بذلك منى. فلنتناظر، فإن كان الحق بأيدينا، دخلوا فيما دخل فيه الناس، وإلا نظرنا فى أمرنا.. فإنى لن أكون ظهيرا للمجرمين..»[١٩]!!

ويبدو أن جارودى قد فهم خطأ معنى العبارة التى أوردها: «عليكم أن تصلوا، ولو وراء المخالف»، فلا علاقة لمعناها بالطاعة الجبرية للملك.. وإنما هى التعبير عن رفض الإسلام تكفير المخالفين، ودعوته للصلاة خلف من نختلف معهم فى السياسة أو المذهب، حتى ولو وصل الخلاف بيننا وبينهم إلى حدة القتال!.. وعلى بن أبى طالب، وهو الذى أجاب من سأله عن جواز الصلاة خلف الخوارج - وكانوا يكفرونه ويقاتلونه - فقال: نعم، صلوا خلفهم «فليس من طلب الحق فأخطاه كمن طلب الباطل فأدركه»[٢٠]!.. وهو القائل عن معاوية بن أبى سفيان ومن معه - وكانوا قد بغوا عليه وقاتلوه ـ عندما سئل عن رأيه فيهم: «لقد التقينا - [فى القتال.. بصفين] - وربنا واحد، ونبينا واحد، ودعوتنا فى الإسلام واحدة، ولا نستزيدهم فى الإيمان بالله والتصديق برسوله ولا يستزيدوننا، وإنهم لإخواننا فى الدين، قبلتنا واحدة.. وإنما الخلاف بيننا وبينهم فى دم عثمان..»[٢١].

فهو تسامح الإسلام، ورفضه أن يكون لبشر سلطان الحكم على عقائد الناس وضمائرهم.. وليس هذا الكم الهائل من

---

(١٧) ابن سعد [الطبقات الكبرى] جـ٦ ص ٥٥٦، ٥٥٧. طبعة دار التحرير - القاهرة.

(١٨) د. محمد عمارة [عمر بن عبدالعزيز: ضمير الأمة] طبعة القاهرة سنة ١٩٨٨م.

(١٩) الطبرى [التاريخ] جـ٦ ص ٥٥٥، ٥٥٦. طبعة دار المعارف. القاهرة.

(٢٠) [نهج البلاغة] ص٧٤. طبعة دار الشعب. القاهرة.

(٢١) ابن أبى الحديد [شرح نهج البلاغة] جـ ١٧ ص ١٤١. طبعة القاهرة سنة ١٩٥٩م. والباقلانى [التمهيد] ص٢٣٧، ٢٣٨ طبعة القاهرة سنة ١٩٤٧م.

الأخطاء التى وقع فيها جارودى، عندما جعل إحترام سنة رسول الله ﷺ أول الأخطاء الجامعة «للأصوليات» الإسلامية!..

أما الخطأ الثانى، الذى رأى جارودى، إجتماع «الأصوليات» الإسلامية عليه، فهو:

الخلط بين الشريعة وبين الفقه والقانون: فالشريعة الإلهية، التى جاء بها القرآن الكريم، هى - برأى جارودى - محض أخلاق، ولا علاقة لها بالفقه والقانون، اللذين هما «وضع بشرى».. وهو يعرض رأيه هذا فيقول: «إن الأصولية ترتكز دائماً على الخلط.. بين الشريعة، قانون الله الأخلاقى، وبين الفقه، تشريع الأحكام، والخلط الدائم بين الكلام الإلهى والكلام البشرى.

يقول القرآن عن النبى:

﴿ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[٣٢].

فالنبى يمارس الأمر بالمعروف، ولا يتصرف كفقيه.. إنه يعلّم أخلاقية أساسية، «القانون الإلهى» الحق، الشريعة الحق..

والله حين يذكّر بالرسالات السابقة، رسالة موسى والتوراة، ورسالة عيسى والإنجيل، التى تحتوى كلها: ﴿ هُدًى وَنُورٌ ﴾[٣٣] يقول أيضاً:

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾[٣٤]

يعبر هذا النص عن كون الشريعة (الطريق) هى تلك التى تقود الانسان إلى الله، وهذه لا يمكنها أن تكون حكماً قانونيا، لأن التشريعات تتباين فى التوراة والأناجيل والقرآن، بينما يشدد الله على تواصل رسالته: ينصح الله بالرجوع إلى أولئك الذين تلقوا الرسالة قبل القرآن، وبالتالى يوصى بالعودة إلى التوراة والأناجيل:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٣٥].

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[٣٦]

والشرعة والمنهاج متمايزان تماماً فـ«الشرعة»، أخلاقية شاملة، و«المنهاج» تاريخى: إن «الغاية» أبدية، و«الوسائل»

---

(٣٢) الأعراف: ١٥٧.

(٣٣) المائدة: ٤٤-٤٦.

(٣٤) الشورى: ١٣.

(٣٥) النحل: ٤٣، الأنبياء: ٧.

(٣٦) المائدة: ٤٨.

لبلوغها تاريخية فإن الشريعة أو الطريق الشرعة، تدل، إذن، على توجه أخلاقى شامل وليس على عدد معين من الوصايا الفقهية المرتبطة بأوضاع تاريخية لا تنى تتبدل.. إن فعل شرع هو جذر مصطلحى شريعة وشِرْعة فى كل صيغهما وألوانهما: التوجه نحو مورد ماء. فالطريق هو الذى يوصل إلى مورد ماء، إلى مصدر، وهو مجاز الطريق الموصل إلى الله، إلى الفضائل والخصال التى ترضى الله. وهذا مختلف تماماً عن وصايا وتعاليم فقهية يضعها البشر، انطلاقا من هذه المبادئ.

إن التوجه الخلقى والدينى، «الطريق» إلى الله، الشريعة الحق، هو الهدف الأساسي للقرآن: فمن أصل ما يزيد على ٦٠٠٠ آية قرآنية هناك ٨٠ آية فقط حول الأحكام الحقوقية.. إن القرآن دعوة دينية وأخلاقية وليس قانوناً فقهياً ولئن كان كتاباً حقوقياً، فلأنه يُشرّع لمجمل الحياة الاجتماعية، بدءاً من البنية التكوينية للجماعة وصولاً إلى تنظيمها الاقتصادى. إنه يقدم الأسس الأخلاقية لوضع تشريع، فى كل عصر، يلبى حاجات المجتمع، لكنه لا يقترح قانوناً.. إن الآيات المعتبرة «تشريعية» لا تتناول إلا قطاعات محددة تماماً: كالزواج والميراث، ولا تدور إلا حول العقوبات المتعلقة بالذنوب الخمسة - [الحدود] - وبالتالى لا يتعلق الأمر بمدونة فى القانون المدنى أو فى القانون الجزائى..»[٣٧].

تلك هى نصوص جارودى، التى تبنى فيها آراء الذين أرادوا «علمنة الإسلام» والتسوية بينه وبين النصرانية فى هذا الجانب، وذلك بقصر شريعته القرآنية على الأخلاق، كما اقتصرت شريعة الإنجيل على المحبة، تاركة ما لقيصر لقيصر!!.

ليتحرر القانون البشرى من الشريعة الإلهية، اللهم إلا عندما يطلب منه مراعاة الأخلاق!.. وهى الدعوى التى انطلقت - بعد «الفصل» بين ما هو أخلاقى وما هو قانونى - إلى محاولة اختزال الجانب القانونى - تشريع الأحكام - فى القرآن الكريم - مع إهدار ما جاء فى السنة النبوية من فقه وأحكام قانونية، بدعوى أن هذه السنة: تراث، وأنها هى «الأقوال الشخصية للرسول» ﷺ كما سبق وقال جارودى.

***

[٣٧] [الأصوليات المعاصرة] ص ٨٤ - ٨٨.

خطبة الجمعة

مؤامرات ضد الإسلام

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى

الحمد لله عز وجل، هو يمهل ولا يهمل، ويحلم ولا يغفل:

﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[١]، ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾[٢]

نشهد أن لا إله إلا أنت، كتبت العاقبة للمتقين، وجعلت الخسار للفاسقين:

﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾[٣].

نشهد أن سيدنا محمد عبدك ورسولك، بعثته بنور الإيمان وشرعة الإحسان:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[٤].

فصلواتك اللهم وسلامك عليه وعلى آله مصابيح الخير والرحمة، وأصحابه الأعلام الأئمة، وأتباعه الهداة للأمة:

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٥].

(١) آل عمران (٥٤).
(٢) النساء (٨٤).
(٣) الأنعام (١٢٤).
(٤) الصف (٩).
(٥) المجادلة (٢٢).

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام . .

لقد رضينا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ورسولاً ، وبالقرآن هادياً وإماماً ، لم يحملنا على ذلك إرغام ولا إكراه ، ولم يخامرنا فى ذلك ريب ولا اشتباه ، بل آمنا بأن هذا هو الدين القيم الذى يجب أن نحيا به ، وأن نلقى الله عليه ، ولذلك كان من حقنا - بل من واجبنا - أن نغار على هذا الدين ، وأن نذود عنه سهام المفترين ، وأن نحذر فيه تضليل المخادعين .

ولكن يظهر أن كثيراً من المنتسبين إلى الإسلام يفرطون فى حقوقهم كما ينسون واجباتهم ، فهم يرون المكائد السافرة المنظمة المتلاحقة المنصبة على هذا الدين ، وهم فى غمرة ساهون ! . .

إن أعداء الدين الكبار والصغار يعملون بجد ومكر على تحوير هذا الدين ، وتسخيره للأهواء والرغبات ، وإخضاعه وهو هدى الله العلى الأعلى للحياة الدنيا ، بدل إخضاع هذه الحياة لتعاليم هذا الدين السمح الكريم ، وكلما راجت عندهم بدعة أو بلوى ، وراقت لشهواتهم ولذاتهم ذهبوا يغتصبون لها الفتوى من الدين فى شطط وتكلف ، ويتأولون فى الرخص ويتوسعون فيها ، ويأخذون بالآراء الشاذة والأقوال الباطلة والفتاوى الكاذبة أو المتهالكة ضعفاً لا لضرورة ملحة ولا لمصلحة عامة لازمة ، بل لأن الهوى يريد ، ولأن الشهوة تتحكم ، ولأن الإجلال لحق الله - تبارك وتعالى - ينكمش فيهم ويتضاءل ، وهم يضحكون أهل الأرض حينما يستغلون نصوص الدين بعد تحريفها عن موضعها استغلالاً وقحا دنيئاً فى تبرير وتسويغ منكراتهم ، وحينما يسخرون باقتدارهم المختلف الألوان بعض المنتسبين إلى الدين لكى يأتوهم - بالفتوى المصطنعة أو التسويغ الدينى المراد ، ومعنى هذا أنهم يريدون أن يجعلوا الدين تابعاً للهوى ، لا أن يجعلوا الهوى خاضعاً للدين ، مع أن الرسول صلوات الله عليه يقول : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » .

واتباع الهوى بهذه الصورة باب للكفران بالله :

﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾(٦) .

﴿ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾(٧) .

---

(٦) الفرقان (٤٣).

(٧) الأنعام (٥٦).

وترون أعداء يقولون : « ليس فى الإسلام رجال دين » ، وهى كلمة حق فى ظاهرها يراد بها باطل خطير فى باطنها ، فهم يريدون من وراء ذلك أن يقولوا : « ليس هناك دين » ! . .

نعم إن الإسلام لا يعرف طائفة خاصة لها سلطة روحية خاصة ، أو سيطرة دينية خاصة تعرف باسم « رجال الدين » على النحو المعروف فى بعض الديانات ، ولكن الدين بحاجة إلى رجال يدرسون مسائلة ، ويفقهون تعاليمه ، ويبلغون للناس أحكامه ، وللإسلام علوم تحتاج إلى جهد وتفرغ ، فالتفسير والحديث والفقه والسيرة وآراء الدين فى مشكلات الحياة ، كل هذه أمور عميقة واسعة تحتاج إلى صبر وعكوف ، والله - سبحانه - يوصينا بأن نسأل فى الدين من له خبرة به .

﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٨)

﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾(٩) .

﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾(١٠)

ونحن نعيش فى عصر التخصص ، والناس ينادون بالتخصص فى كل نواحى الحياة ، ويحاربون اعتداء أى طائفة على اختصاص طائفة أخرى ، فالأطباء مثلا جماعة لا يزاول عملها من لم يتخصص فى الطب ، ولو باشر أحد من الناس عملا من أعمال الطبيب لتعرض للمحاكمة وناله العقاب ، وكذلك لا يجوز لغير المحامين أن يترافع فى القضايا ، ولا لغير الصيدلانيين أن يجهز دواء ، ولا لغير الضباط أن يلبس ملابس الضباط فضلا عن أن يباشر اختصاصهم ، فلماذا إذن يكون هناك متخصصون فى الفتيا والدراسات الدينية ؟ ! وإذا لم يكن فى الإسلام « رجال دين » بالمعنى الذى ذكرنا ، فلماذا لا يكون هناك فى الإسلام « علماء دين » ؟ ! . . هنا يقول لك الماكرون المخادعون من أعداء الله وأعداء ملته : لا لا . . إن الدين ليس احتكاراً لأحد ، ويبيحون لكل من هب ودب - من هب هبوب الذباب أو دب دبيب الخنفساء - أن يقول فى الدين بما يشاء ، وأن يكتب وينشر ويذيع أفكاراً وفتاوى دينية ما أنزل الله بها من سلطان ، وكلما حاول غيور أن يقف فى وجه هذا البلاء ثاروا ثورة الحمر الوحشية ، وتباكوا على حرية الرأى والفكر ، وهم فى الواقع يريدون ألا يكون هناك من يغار على حرمات الدين أو يدافع عنها ، حتى إذا لم توجد هذه الطائفة الناهضة لباطلهم المذكرة بحقوق ربهم ضاع الدين بين الجميع كما يحلمون ، ويقدرون فتضحك الأقدار :

---

(٨) النحل (٤٣). (٩) الفرقان (٥٩). (١٠) التوبة (١٢٢).

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾(11).

ومن أجل هذا الغرض الخطير الخبيث ترونهم يهاجمون الأزهر الشريف في كل مناسبة، ويحملون على علمائه وأهله حملة شعواء بلا رفق أو استثناء، ويهضمون حقوقهم، ويفترون عليهم بالباطل، ويعوقونهم عن أداء رسالتهم بشتى الوسائل، ويسترون ذلك باسم الإصلاح والتجديد والتطوير، وهم في الواقع يريدون أن يهدموا الحصن الأخير للإسلام، وهو الأزهر الذى طاول القرون، وعاش أكثر من ألف عام باسم الإسلام، وانكمش في فترات الظلمات والانحطاط على التراث الإسلامى والثقافة العربية فحفظ لنا هذا الميراث الروحى العلمى الضخم الجليل.. الأزهر صاحب الفضل علينا وعلى الناس جميعاً، والذى نعبئ من ساحته مشاعر المسلمين وعواطفهم كلما ألت بساحتنا ملمة، والذى نعيش على حسابه وبفضل سمعته في سائر بلاد الإسلام، ومع ذلك يحاربه فينا محاربون، ويحمل عليه حاملون، ويزيد في بلاياه وأسباب عجزه وتأخره عن أداء رسالته كثيرون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم!!..

وكأن هؤلاء لم يكفهم أن الطوفان المدنى الاجتماعى قد اكتسح في طريقه كتاتيب تحفيظ القرآن الكريم، فتضاءلت وانكمشت وقاربت أن تودع، وقد كان الطفل في البيت المسلم يفتح أذنيه أول ما يفتحهما على القرآن، ويحرك شفتيه أول ما يحركها بحفظ سوره، فالبيت المسلم حينئذ تتردد فيه الآيات كل صباح، وكتاب الحى يتلقف الصبيان من أول الطريق، فجاء أعداء الدين فلفتونا عن قرآن ربنا بقصصهم الداعرة وكتبهم الماجنة وصحفهم المتحللة ودعواتهم الإلحادية السافرة وثقافتهم الرقيعة المرقعة:

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾(12)

واستغل هؤلاء موضوع المرأة، لعلمهم أن المرأة هى ذات الأثر والخطر، وأن المثل يقال عند كل حدث: فتش عن المرأة، وتعللوا أولا بأنها مهضومة الحقوق مظلومة، فقلنا: الإسلام يطالب بإنصافها، وتعللوا بأن الرجل يهينها ويحتقرها، فقلنا: نبى الإسلام يكرمها، ويقول: «النساء شقائق الرجال»، وتعللوا بأنها جاهلة فقلنا: الإسلام يوجب عليها العلم بما يجب العلم به.

(11) الصف [8].

(12) آل عمران [83].

ثم استغل الشياطين الماكرون موضوعها بعد ذلك في خبث عميق واسع، فغرروا بالمرأة المسكينة، ودفعوا بها إلى المعاطب والمهالك، فلم تتعلم المرأة حقاً ولم تتهذب صدقاً عن طريقهم إلا في القليل النادر، ولكنها في الأعم الأغلب أطلقت ساقيها للريح - إلا من عصم الله وهن قليل - فتعرت المرأة باسم دعوة الحرية وتجردت، ورقصت ودخنت، وسكرت وعربدت، وتناولت المخدرات وخادنت، وتاجرت بجسمها وخانت، وأسرفت في تحررها وتبجحت، فلم يثق بها الرجل، ولم يسعد بها البيت، ولم يصلح بها المجتمع، ولم تسعد المرأة نفسها بذلك الانطلاق الجارف، بل شقيت جزاء ما أسرفت، ولم يكن هذا الاستغلال للمرأة من أعداء الدين إلا نوعا خبيثاً من الهدم لتعاليم ذلك الدين ونظمه، لأن المرأة المتهدمة الأخلاق والفضيلة هى ألعوبة الشيطان الخطيرة.

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام، يا أبناء الإسلام، يا رواد المساجد وآلاف المعابد، يا بقايا الخير في حنايا المجتمع الصاخب..

ماذا يراد بالإسلام من وراء هذه الفتن المتلاحقة التى تصب عليه صباً كأنها قطع الليل المظلم؟.. وكيف تتفق هذه المحاربة السافرة الفاجرة للإسلام مع أن المجتمع مسلم يؤمن أبناؤه بدينهم، ويقررون أن عقيدتهم أغلى شئ عندهم، وأن من يحاربها يكون خارجاً على هذا المجتمع، ومتمرداً في وجه نظمه الأساسية؟.. اللهم إنه لم يبق إلا أن نتواصى بالصبر، وأن نقف بجانب الخير ولو قل، وأن نأخذ الطريق على الشر ولو كثر:

﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(13).

أقول قولي هذا واستغفر الله لى ولكم، سلو ربكم التوفيق يستجب لكم.

(*) ألقيت في يوم الجمعة ٢٣ من ذى القعدة ١٣٧٦هـ الموافق ٢١ من يونيه ١٩٥٧م.

***

(13) المائدة [100].

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

● هل التعامل فى البورصة بشراء الأسهم وبيعها بغرض الربح حلال أم لا؟

●● الجواب:

يقول الله تعالى:

﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾

(البقرة ٢٧٥)

البيع حلال شرعًا والبورصة إن كانت مكانا لبيع وشراء الأسهم فهى حلال ولا شىء فيها إذا كان البيع والشراء فيما أحله الله ـ تعالى ـ.

وبناء على ذلك وفى واقعة السؤال:

يجوز التعامل فى البورصة بشراء الأسهم وبيعها إذا كان الغرض من ذلك هو المشاركة الفعلية الحقيقية فى نشاط الشركة صاحبة الأسهم ـ أما إذا كان مجرد تداول الأسهم لزيادة أو نقصان أسعارها بصورة لا تمثل النشاط الحقيقى للشركة، وكانت مجرد تحقيق أرباح لجانب وخسارة لجانب آخر فهذا من قبيل المقامرة المحرمة شرعا.

ومما ذكر يعرف الجواب عما ورد بالسؤال.

والله سبحانه وتعالى أعلم

●●●

● اطلعنا على الطلب الوارد بالإنترنت ـ المقيد برقم ٦٣٦ لسنة ٢٠٠٣م المتضمن السؤال الآتى:

هل يجوز للبائع شرعا فى حالة البيع بالتقسيط البيع بفائدة مقدارها ٢٪ شهريا وفى حالة عدم قيام المشترى بالسداد فى الموعد المحدد شهريا احتساب فائدة ٥٪ شهريا ومركبة، حتى لو كان هناك اتفاق مسبق مكتوب بين البائع والمشترى وألا يعتبر هذا البيع ربا أو على الأقل به شبهة ربا للبائع أم أن ذلك حلال طالما وافق الطرفين بعقد مكتوب، والمشترى فى هذا الاتفاق يكون مجبرا لحاجته للسلعة التى اشتراها بالتقسيط؟

جزاكم الله عنا خيرا أرجو التكرم بالرد فى أقرب فرصة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
أحمد الطيب
مفتى جمهورية مصر العربية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

●● الجواب:

البيع بالتقسيط جائز شرعا ولكنه لا يجوز شرعا احتساب فوائد تأخير على القسط المتأخر لأن ذلك من الربا المحرم شرعا ولا عبرة بالاتفاق على ذلك لعدم جواز الاتفاق على ما حرم الله ـ تعالى ـ. ويجب عليك أن تنتظر يسر المدين إذا كان معسرا لقوله تعالى:

﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾

(البقرة ٢٨٠)

وفى حالة وقوع ضرر عليك نتيجة تأخير الأقساط فعليك بالقضاء إذا أردت ومما ذكر يعلم الجواب عن السؤال.

والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم

●●●

● اطلعنا على الطلب الوارد بالإنترنت ـ المقيد برقم ٥٥٤ لسنة ٢٠٠٣م:- للسؤال عن حق الزوج فى منح الزوجة مبلغا من المال أو أى شىء آخر له قيمة مالية قبل وفاته دون علم ورثته.

●● الجواب:

لا مانع شرعا من أن يمنح الزوج زوجته مبلغا من المال أو أى شىء آخر له قيمة مالية من ماله الخاص فى حياته وصحته، ولا يشترط أن يعلم أحدا من ورثته بهذا الشىء. والممنوع شرعا هو التصرف فى مرض الموت لأنه يضر بالوارث.

ومما ذكر يعلم الجواب عما جاء بالسؤال إذا كان الحال كما ورد به.

والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم

●●●

متى يكون دعاء الاستخارة أثناء صلاة الاستخارة فى السجود أم بعد الانتهاء من التشهد وقبل السلام أم بعد إلقاء السلام؟

ماذا يقال فى سجود السهو؟

●● الجواب:

دعاء الاستخارة يكون بعد صلاة ركعتين من غير الفريضة، ويشترط أن تكون الركعتان في الأوقات التي تحل فيها صلاة النافلة ولا تحرم، ويكون الدعاء بعد السلام من الركعتين وذلك لقوله ﷺ: «إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم إني أستخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال عاجل أمري وآجله ـ فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ـ أو قال عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان وأرضني به. قال: ويسمي حاجته» أخرجه البخاري

والذي يقال في سجود السهو «سبحان ربي الأعلى» ثلاثا في كل سجدة.

ومما ذكر يعلم الجواب عما جاء بالسؤال.

والله سبحانه وتعالى أعلم

●●●

● اطلعنا على الطلب الوارد بالإنترنت ـ المقيد برقم ٥٦٣ لسنة ٢٠٠٣م المتضمن:

أخوكم في الله تاجر وأريد أن أبيع بالتقسيط لاستثمار بعض المال المتوافر لديّ، نرجو من سماحتكم أن ترشدونا إلى الطريق الصحيح في هذا الشأن ونرجو إبداء رأيكم في أخذ مبلغ من المال نتيجة تأخر العميل في السداد حيث إن بعضهم قد تأخر لمدة أكثر من سنة ومع ذلك فإن بعضهم يتكاسل في السداد بقصد التأخر في السداد وعند اللجوء إلى القضاء يلجأ إلى زيادة المدة عن طريق الاستئناف.

فهل بعد ذلك يجوز لي أخذ مبلغ من المال مقابل تأخره في السداد.

●● الجواب:

يجوز شرعا بيع السلعة بالتقسيط بأكثر من سعرها الذي تباع به في مقابل الزيادة في أجل الدفع.. فإذا كان ثمن السلعة في البيع المعجل ـ مثلا ـ مائة. فإنه يجوز بيعها بمائة وعشرين مقسطة على ستة أشهر أو سنة. أو غير ذلك.. والبيع بهذا النظام جائز شرعا.. لكن لا يجوز أخذ مال زائد من المشتري على القسط المتفق عليه في حالة تأخره في السداد.. وإن تأكدت أن المشتري معسر بالفعل فعليك النظرة إلى ميسرة.

ومما ذكر يعلم الجواب

والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم

●●●

● اطلعنا على الطلب الوارد بالإنترنت ـ المقيد برقم ٤٠٦ لسنة ٢٠٠٣م المتضمن:

عرض عليّ تاجر أن أعطيه مبلغا من المال يستخدمه في تجارته على أن يعطيني مبلغ ٣٠ جنيها لكل ألف في الشهر فهل هذا

حلال أم حرام؟ أرجو الإجابة مع التوضيح ولكم جزيل الشكر.

●● الجواب:

إذا أعطيت المال لهذا التاجر قرضا فالزيادة عليه ربا محرم شرعا لأن كل قرض جر نفعا فهو ربا، أما إذا أعطيته المال ليتاجر لك فيه ويستثمره وتشاركه في الربح والخسارة فلا مانع شرعا وحينئذ عليكما أن تحددا نسبة معينة لا مبلغا معينا.

والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم

●●●

● اطلعنا على الطلب الوارد إلينا بالإنترنت ـ المقيد برقم ٥٩٤ لسنة ٢٠٠٣م المتضمن:

أريد التعرف على حادثة انشقاق القمر وهل صحيح أنها حدثت في عصر الرسول ﷺ وانشق القمر نصفين نصف على جبل الصفا ونصفه الآخر على المروة؟.

●● الجواب:

حادثة انشقاق القمر هي من المعجزات الحسية وخوارق العادات التي ظهرت على يد النبي ﷺ تصديقا له وتأييدا لكونه رسولا من عند الله ـ تعالى ـ وتعريف المعجزة هو: «أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مدعي النبوة.. والفرق بين المعجزة والكرامة أن المعجزة تأتي بعد التحدي بخلاف الكرامة فإنها تظهر على يد الأولياء من غير تحد.

وقد ثبت في صحيح الإمام البخاري عن أنس بن مالك «أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر» (البخاري، كتاب المناقب باب ٢٧) وهذا يفيد التحدي بدليل الرواية الواردة في تفسير القرطبي وفيها أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: «إن كنت صادقا فاشقق لنا القمر فرقتين فقال لهم إن فعلت تؤمنوا» قالوا نعم (...) فانشق القمر فرقتين ويدل أيضا على ثبوت هذه الحادثة رواية الإمام البخاري في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «انشق القمر على عهد النبي ﷺ شقتين، فقال النبي ﷺ: إشهدوا:» وأيضا حديث ابن عباس في الباب نفسه: «إن القمر انشق في زمان النبي ﷺ».. وكثير من المفسرين يميلون إلى أن في قوله ـ تعالى ـ في أول سورة القمر:

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾

(القمر ١)

إشارة إلى هذه المعجزة.. وجمهور علماء المسلمين على أن هذه الحادثة ثابتة ويقينية وأنها إحدى معجزاته ﷺ الحسية.

ومما ذكر يعلم الجواب عما جاء بالسؤال إذا كان الحال كما ورد به.

والله سبحانه وتعالى أعلم

ترسل الاستفتاءات إلى العنوان التالي: مجلة الأزهر - مدير التحرير - بريد رابعة العدوية - مدينة نصر



التهديد الإسلامى خرافة أم حقيقة؟

تأليف

جون ل. إسبوزيتو

ترجمة

الدكتور قاسم عبده قاسم

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوضين

١

من يتتبع سير الرسالات السماوية يلاحظ أنها استقبلت بمن حاول طمس معالمها، أو تحريف توجيهاتها، أو تشويه آدابها، وقيمها، أو النيل من المرسلين بها، والقائمين على الدعوة إليها، والمستجيبين لها. أو تهديد هؤلاء وأولئك بعظائم الأمور، أو إغرائهم بكل ما يسيل له لعاب البشر؛ بقصد القضاء عليها، والتخلص من آثارها... لا تستثنى من تلك المواجهات رسالة.

ويلاحظ أن كل تلك الرسالات لم تتأثر بشيء من ذلك، حيث قام الرسل بالدعوة إليها استجابة لأمر الله -سبحانه وتعالى-، دون توقف أو تردد، ودون كلل أو ملل.

ويلاحظ أن كل رسالة قد أدت دورها المنوط بها فى بيئتها، فلم يعد لضالٍّ عن الرسالة حجة يعتذر بها فى موقف الحساب الأخروى.

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾(١)

ويلاحظ أن كل الرسالات قصد بها تحرير الإنسان من استعباد الإنسان، وتخليصه من سطوته وظلمه، وإيقافه على حقيقة علاقته بغيره من المخلوقات البشرية والكونية؛ إذ الجميع عبد لله، مسخر لما أعد له من دور؛ فمضمون الرسالات جميعها واحد.. هو إخلاص العبادة لله الواحد الأحد، فنوح عليه السلام قال لقومه:

﴿ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ﴾(٢)

وهود عليه السلام:

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾(٣).

وصالح -عليه السلام- كذلك:

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾(٤).

وشعيب - عليه السلام - أيضاً:

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾(٥).

ويلاحظ أن إقرار هذا المضمون الشامل قصد به رفع ظلم الطغاة عن إخوانهم، وكشف زيفهم وأباطيلهم، ودعم المظلومين واستلال بذور الخوف والضعف من نفوسهم، ونصرتهم على مواجهة الظالمين.. كما يمثله موقف إبراهيم- عليه السلام - فى حجاجه الهادئ المتوازن، على ما صوره القرآن الكريم فى قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾(٦).

(١) [الإسراء: ١٥].
(٢) [هود: ٢٥-٢٦].
(٣) [هود: ٥٠].
(٤) [هود: ٦١].
(٥) [هود: ٨٤].
(٦) [البقرة: ٢٥٨].

وبلاحظ أن جميع الرسل أعدوا إعدادا خاصا لتبليغ ما أرسلوا به في سلاسة ويسر، متحاشين الصراع والعنف، معتمدين على الحكمة والأسلوب البين اللين، والروية البصيرة، مقتدين بصنع أبي الأنبياء إبراهيم -عليه السلام- في توجيهه أباه آزر وقومه إلى النظر العقلي في ملكوت السماء والأرض، كما صوره البيان القرآني في قوله تعالى:

﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين (74) وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين (75) فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين (76) فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين (77) فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون (78) إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين﴾(7).

ولم يتخل عن حكمته، ولا تخلى عنه هدوؤه في محاورة قومه، على الرغم من وضوح الأمر، وقوة الحجة، ولكنه واصل على النهج البصير حين ناقشه قومه:

﴿وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون (80) وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون﴾(8)

وإبراهيم - عليه السلام - لا يقف في خطابه عند هذا التسلسل الرقيق في تحريك عقول مخاطبيه، ولكنه ينتقل من ذلك إلى تحريك قلوبهم للنظر إلى الواقع.

﴿إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون (70) قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين (71) قال هل يسمعونكم إذ تدعون (72) أو ينفعونكم أو يضرون (73) قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون (74) قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون (75) أنتم وآباؤكم الأقدمون (76) فإنهم عدو لي إلا رب العالمين (77) الذي خلقني فهو يهدين (78) والذي هو يطعمني ويسقين (79) وإذا مرضت فهو يشفين (80) والذي يميتني ثم يحيين (81) والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾(9)

وحين يجد - عليه السلام - من القوم توجها إلى مصادمته، ورغبة في جره إلى حرب كلامية، يلجأ إلى العاطفة يتسرب من خلالها إلى وجدانهم، فقلوبهم وعقولهم، عن طريق خطابه الشفيق الرقيق لأبيه، على ما أجمله القرآن في قوله تعالى:

(7) [الأنعام: ٧٤ - ٧٩].
(8) [الأنعام: ٨٠ - ٨١].
(9) [الشعراء: ٧٠ - ٨٢].

الأزهر

﴿واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا (41) إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا (42) يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا (43) يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا (44) يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا (45) قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا (46) قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا (47) وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا﴾(10).

وعلى هذا النهج الإبراهيمي سار جميع الأنبياء والمرسلين، باسطين دعوتهم، محاورين قومهم وقادتهم في موازنات صريحة بينة سلسة متجاهلين ما حاوله بعض أقوامهم من دفعهم إلى العنف، واستدراجهم إلى التصادم، على ما أشار إليه البيان القرآني في قوله تعالى:

﴿ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب﴾(11).

وعلى طريق هذا الإعداد الخاص أمر الله -سبحانه وتعالى- رسوله محمد ﷺ، وذكره بأن يلتزم في الدعوة هذا النهج القويم، فقال:

﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾(12).

وقال:

﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين (33) ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾(13).

وحذره ﷺ من أن يتفاعل مع نزواتهم وأهوائهم، فيبادلهم التصادم أو العنف، ويخرج عن هذا الطريق المرسوم، فقال:

﴿فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير﴾(14)

ومن قبل محمد ﷺ، وجه المولى -سبحانه وتعالى- موسى وهارون -عليهما السلام- إلى فرعون على هذا الطريق، فقال:

(10) [مريم: ٤١ - ٤٨].
(11) [إبراهيم: ٩].
(12) [النحل: ١٢٥].
(13) [فصلت: ٣٣ - ٣٤].
(14) [الشورى: ١٥].

﴿ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (٤٢) اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾(١٥).

فالأمر في الدعوة قائم على الحوار الهادئ، والمحاجة المستنيرة، لا على الصدام والتحدى، ولا على التعالى والتعاظم مع احتقار الآخر، والتهوين من شأنه؛ فليس الحق حكرا على طرف دون الآخر وليس الله رب طرف دون الآخر، وليس أعمال طرف صالحة لمجرد صدورها عن هذا الطرف بذاته، ولا أعمال الآخر خاطئة أو فاسدة لمجرد صدورها عنه، وإنما الطرفان جميعا سواء أمام عدالة السماء، وهى وحدها المعيار الذى يفصل فى ذلك، وما على الجميع إلا أن يخلصوا النية، ويجردوا النفوس والعقول من الأهواء الجارفة الضالة المضلة، ويبسطوا قضاياهم الخلافية أمام العقل البصير، والحكمة المتأنية، وعلى نحو ما أرشد القرآن الكريم رسوله ﷺ فى قوله تعالى: ﴿ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ (٦٠) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (٦١) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٢) فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ (٦٣) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾(١٦).

فلا مجال للقهر على رأى، ولا سبيل للصدام بين طرف وآخر، ولا منطلق لفرض الوصاية على تفكير الآخر ولا لاحتقاره، ولا للتحكم فى سلوكه، ولا لتجاهل حقيقته، ولا للاستبداد بالأمر من دون الآخر.

وعلى هذا الأساس جاء خطاب محمد ﷺ لمخالفيه فاتحا باب هذا الحوار الجاد البصير الهادف، المبنى على أسس الاحترام والمساواة والتقدير:

﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٤) قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٢٥) قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ (٢٦) قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾(١٧).

فما دام رازق الجميع واحدا هو الله -سبحانه وتعالى-، فلا يحق لأحد أن يحول بين أحد ورزقه بأية وسيلة من وسائل المنع والقهر، ولا يحق لأحد أن يتعدى على رزق أحد بالنهب أو المصادرة أو المقاطعة ليفرض عليه رأيه أو معتقده؛ لأن الرأى والمعتقد يجب أن يكونا فى مناط البحث المتأنى، فليس واحد من دون الآخرين هو صاحب الحق والصواب، ولا هو وحده القائم على الحق والصواب، وليس واحد -كذلك- من دون الآخرين هو الضال، ولا هو وحده القائم على الضلال.

(١٥) [طه: ٤٢-٤٤]. (١٦) [آل عمران: ٦٠-٦٤]. (١٧) [سبأ: ٢٤-٢٧].

ولم يكن أمر القرآن محمدا ﷺ بتفويض الحكم على العمل إلى الله تعالى إلا ليقطع على الإنسان طريق الغرور والاستبداد الطاغى الذى يجعل من نفسه هو مصدر التقويم والحكم.

فما كان سبيل الرسل جميعا قائما على القهر والإرهاب، وما كان سبيل محمد ﷺ -وهو أحد رسل الله وخاتمهم- قائما على التهديد والإرهاب، كما قرره كتاب الله -تعالى-، وكما يؤكده سلوكه ﷺ من التزم بحكم الإسلام من بعده.

ولكن.. أنى يطعن الإسلام

وهذا يعنى: أن وصم الإسلام -دين الله الذى جعله الله دينا لجميع رسله وكلفوا بتبليغه للناس وإقامتهم عليه- بالإرهاب، أو الإكراه، أو الاستبداد، أو تهديد الآمنين وترويعهم، أو نحو ذلك من النعوت... إن هو إلا افتراء وبهتان، لا أساس له إلا عند من يقصدون التضليل، أو من ضلوا السبيل، ويريدون تشويه الدين -على وجه العموم- ممن خرجوا عن الجادة، وتحللوا من رابطة التدين، لائذين بما أطلقوا عليه حديثا: العلمانية، وكانوا فى الماضى يعرفون بالملحدين. وقد يكون وراء هذا الافتراء والبهتان سلوك بعض المتدينين الذين أفقدهم التطرف والمغالاة طريق الاستقامة، وحادوا عن طريق الله المتوازن، فاستبدلوا التعصب والعنت، والمغالاة المقيتة بسلام الإسلام وحكمته، واستوائه فأساءوا إلى أنفسهم وإلى دينهم، وألجأوا الآخرين إلى العنف معهم واحتقارهم، والوقوف منهم موقف السيد المتعالى من المسود الضعيف، وما كان ذلك منهم إلا لأنهم تحت وطأة مغالاتهم غاب عنهم التوجيه القرآنى فى قوله تعالى:

﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (١٠٦) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ۗ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ (١٠٧) وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(١٨).

ولقد كان اختلاط الأمر على من يرصدون النشاط الإنسانى فى هذه الآونة من القرن العشرين وبدايات القرن الحادى والعشرين دافعا لبعض الدارسين الجادين إلى استعراض الموقف فى شتى ميادينه -على ما فى ذلك من مشقة وعناء- سعيا للتعرف على حقيقة هذا الصراع الناشب بين العلمانيين والإسلاميين، رجاء أن تتقارب وجهات النظر، وتتلاقى أطراف الصراع على كلمة سواء.

وكان أبرز من قام بهذا الدور الباحث الأمريكى (جون ل. اسبيزيتو) فى كتابه (التهديد الإسلامى خرافة أم حقيقة)، وذلك الكتاب هو الذى نبدأ هذا الشهر فى تحليله وعرضه ونقده.

(١٨) [الأنعام: ١٠٦-١٠٨].

أما الكتاب فقدم فى لغته قبل الترجمة إلى العربية سنة ٢٠٠١ فى ثلاث طبعات، آخرها طبعة واشنطن دى ماسى سنة ١٩٩٨، وترجمه إلى العربية سنة ٢٠٠١ الدكتور قاسم عبده قاسم، ونشرته فى القاهرة دار الشروق سنة ٢٠٠١م، والكتاب يقع فى واحد وعشرين وأربعمائة صفحة من القطع المتوسط، ويضم مقدمة للمترجم، ومقدمة المؤلف للطبعة الثالثة، ومقدمة الطبعة الأولى، وستة فصول، ثم تذييل بالمصادر والمراجع المختارة.

والمؤلف – كما جاء فى تعريف المترجم به– باحث شهير، من العارفين بتاريخ الإسلام والمسلمين، ومن أصحاب الخبرة العميقة بحركات الإسلام السياسى المعاصر فى العالم، ويبدو من إهدائه الكتاب إلى والديه أنهما من المهتمين بالإسلام كذلك.

والمؤلف ينطلق فى كتابه طارحا أسئلة تثيرها النظرة الغربية التى ترى أن كل من يخالف الغرب فى رؤياه وأساليبه ونظامه القيمى والأخلاقى متخلف.. وخطير بالضرورة.

وكأنى به يقول: إن ما يقدمه هذا الكتاب هو إجابات عن تلك الأسئلة وقف عليها بالاستعراض الجاد والاستقراء المحايد. وتلك الأسئلة هى:

هل الإسلام والغرب على طريق تصادم حتمى؟

هل الأصوليين الإسلاميون متعصبون من النوع الذى عرفته العصور الوسطى؟

هل الإسلام والديمقراطية لا يتوافقان؟

هل تشكل الأصولية الإسلامية تهديدا للاستقرار فى العالم الإسلامى وللمصالح الأمريكية فى المنطقة؟

التحديث والأصولية بين الفهم الإسلامى والفهــــم الغربـــى

وفى الفصل الأول (الإسلام المعاصر إصلاح أم ثورة؟) ينطلق المؤلف ساعيا وراء الإجابة عن تلك التساؤلات، مقررا أن الأصولية فى المفهوم الإسلامى تشمل جميع المسلمين العابدين، الذين يقبلون القرآن وسنة النبى محمد ﷺ نموذجا للحياة المستقيمة؛ بما يعنى: أن الأصولية فى التعبير الإسلامى ذات مفهوم بسيط لا تعقيد فيه.

وأن الأصولية فى المفهوم الغربى –على خلاف ذلك– تنطلق من التأثر بالبروتستانتية الأمريكية، تلك التى تؤكد على حرفية الكتاب المقدس، وجعله أصلا للحياة وللتعليم المسيحى؛ فهى تشير إلى أولئك الحرفيين الذين يريدون أن يعيدوا الماضى.

ومن هذا الفهم للأصولية وصم الغربيون جميع الأصوليين الإسلاميين بالجمود والحرفية، والتمسك بالعودة إلى الماضى. على الرغم من أن هذا لا ينطبق إلا على أفراد قلائل من المسلمين. أما الكثيرون من الزعماء الأصوليين الإسلاميين فإن الأصولية لا تعنى عندهم تلك الحرفية، ولا هذا الجمود، لأنهم قد تلقوا أفضل تعليم عصرى، ويتمتعون بمواقع مسئولة فى المجتمع، ويعملون على استيعاب أحدث تكنولوجيا لكى ينشروا آراءهم، وينشئون مؤسسات حديثة مثل المدارس والمستشفيات، ووكالات الخدمة الاجتماعية.

ويرى المؤلف أن الذى ساعد الأوروبيين على وصم الأصوليين الإسلاميين بوصمة الجمود ومعاداة الآخرين هو بعض الحكومات فى الدول الإسلامية؛ حيث لجأ الحكام فيها إلى الانتساب للإسلام بقصد إضفاء الشرعية على حكمهم وسياستهم.

كما ساعد على وصم الأصوليين الإسلاميين بوصمة الجمود اعتماد هذه الحكومات المتظاهرة بالانتماء للإسلام على النخب الوطنية الذين يوجهون برامج التطور الحكومى، واعتمادهم على المستشارين الأجانب ذوى الاتجاه الغربى.

وهؤلاء وأولئك ينطلقون من فرض يساوى التحديث بالتغريب، ويؤمن بأن الغرض من التطور هو الاعتماد فى كل شىء على الوسائل الغربية العلمانية، ابتداء من المدن والمبانى، والشركات، والمدارس.. إلى السياسات والثقافة.

أما الأصوليون الإسلاميون فالتحديث عندهم يقوم على أن ينتقى من الغرب ما لايتعارض مع الأسس الإسلامية، حتى بدا أن الإحياء الإسلامى تهديد مباشر للأفكار والمعتقدات، والممارسات، والمصالح الخاصة بالنخب العلمانية المسلمة، والحكومات الغربية، والشركات متعددة الجنسيات.

ومن هنا... توجه الغربيون لرؤية النشاط الإسلامى –فى عمومه– حركة خطرة، غير عقلانية، ومعادية للثقافة، بدلاً من أن يروا فيه مشروعا لرؤية بديلة للمجتمع.

وفاتهم أن هذه المنظمات الإسلامية قد اجتذبت المتعلمين والمهنيين، حتى إن كثيرا من زعماء هذه التنظيمات من خريجى الجامعات الكبرى، وأن التكنولوجيا الحديثة أصبحت وسيلة رجال الدين المحافظين، والنشطاء السياسيين؛ حيث سهلت الوسائل الحديثة الاتصالات الفعالة للإسلام، على المستوى الوطنى والعالمى، فلم تقصر الوسائل الحديثة على الثقافة العلمانية الحديثة فقط، بل كانت أيضا من عوامل مساندة الإسلام المتجدد.

وكان من ثمار ذلك أن عاود الإسلام الظهور بتقديره قوة عالمية محتملة خلال السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين؛ مما اضطر معه رؤساء الحكومات إلى اللجوء للإسلام باطراد؛ طلبا للشرعية، ولحشد التأييد الشعبى، وهيأ السبيل لحيازة بعض النشطاء الإسلاميين مناصب وزارية، كما وضح فى تمكن بعض التنظيمات الإسلامية من تشكيل الأحزاب المعارضة لاضطرار السلطات الحاكمة إلى السماح لهم بذلك.

وبرى المؤلف: أن هذا لا يعنى أن الإسلام كان قد اختفى -على نحو ما- من العالم الإسلامى؛ ولذا يكون من الأصوب أن نرى أن هذا الإحياء الإسلامى قد أدى إلى دخول الإسلام بقدر أكبر فى السياسات، حيث بدا التجديد فى إعادة غرس الإسلام فى الحياة العامة، بالإضافة إلى المظاهر الإسلامية المادية.

السطوة الصليبية والانحياز الصهيونى

ويرى المؤلف: أن الكوارث التى نزلت بالعالم الإسلامى والعربى -بهزيمة مصر سنة ١٩٦٧، والشغب بين الصينيين والماليزيين سنة ١٩٦٩، والحرب الأهلية بين باكستان وبنجلاديش سنة ١٩٧١- يرى أن هذه الكوارث وأمثالها وَلَّدت عوامل التغيير، وأبرزت تيارات عامة تنتقد الفشل العسكرى والسياسى والثقافى والاجتماعى الذى جلبه الاعتماد على النموذج الغربى.

ويرى: أن هذه الكوارث أظهرت أزمة هوية أدت إلى بحث الكثيرين عن القوة والهداية، وقادت إلى رفض كل من الرأسمالية الغربية، والاشتراكية الماركسية الشرقية.

ويرى: أن الكثيرين ممن جرفهم تيار التغريب والتهميش وجدوا فى الإسلام مرساة أمان، لأنه يقدم لهم إحساسا بالهوية والأخوة، والقيم الثقافية.

ويرى: أن الجهل الأمريكى بالإسلام والشرق الأوسط، وما نشأ عن ذلك من عداوة أمريكية لهما... جعلت الإسلاميين يرون أن أمريكا واقعة تحت تأثير التوجه الصليبى المسيحى، والتضليل الاستشراقى التبشيرى والصهيونى.

ويرى: أن السلوك الأمريكى الناشىء عن تلك المؤثرات، وما تُخلف عن الوطأة الاستعمارية الأوروبية.. غرس فى نفوس الإسلاميين شعورا بالدونية، وأن هذا الشعور قد نما مع فشل التجارب الحديثة فى تناقض صارخ مع بروز نموذج إسلامى يربط بين إيمان الجماعة المسلمة والنجاح الدنيوى.

وقد وضح هذا التناقض مع ارتفاع معنويات الإسلاميين المتولد عن انتصار القوات المصرية على إسرائيل التى تساندها الولايات المتحدة الأمريكية، حين دعمت القوات المصرية بروح الجهاد الإسلامى. والمتولد عن اعتراف الغرب الاستعمارى بحاجته الماسة إلى ثروات العالم الإسلامى البترولية... على الرغم مما وسم به هذا الاعتراف بطابع الحسد.

كما وضح هذا التناقض مع ارتفاع المعنويات الإسلامية المتولد عن نجاح الثورة الإيرانية باسم الإسلام، وانهيار نظام الشاه القوى الحديث، ذى الاتجاه الغربى والمعتمد تماما على الدعم الأمريكى؛ حيث ارتبط نجاح تلك الثورة- فى رؤية الإسلاميين- بنجاح محمد ﷺ فى توحيد القبائل العربية المتناقرة تحت راية الإسلام... وفى المقابل أصيب الغرب بدهشة بالغة لهذا، مع اعتقاد الغربيين أن الشاه قد أنجز لوطنه من التطور والتحديث ما يكفى لحمايته وصموده، وأن ما وقعت فيه الثورة الإيرانية من أخطاء ليس خطأ فى التطبيق، ولكنه عيب فى الطبيعة الإسلامية.

وكانت ثمرة هذا الاعتقاد الخاطىء من الغربيين أن سيطر على أذهانهم فكرة الطبيعة اللاعقلانية للحركة الإسلامية بأسرها.

ومن هنا.. يرى المؤلف: أن الأصوليين الإسلاميين قد تخطو المرحلة التى يدينون فيها كل اتصال بالغرب -حيث قبلوا التحديث بكل مستجدات الغرب -ولكنهم فى الوقت نفسه يدينون استغلال هذا التحديث فى تغريب المجتمع الإسلامى وعلمنته؛ إذ لم يغب عن الأذهان ما خلفته الحروب الصليبية، والاستعمار الأوروبى من تناقض حاد بين المسلمين والغربيين، وزاد من تعميق هذا التناقض تلك النزعة الاستعمارية الجديدة المتمثلة فى مواقف القوى العظمى والصهيونية، وسلوكها المؤيد دائما للنظم التى لا تطبق الشريعة الإسلامية، والتى تقاوم حركات الإحياء الإسلامى، وسلوك هذه الدول المنحاز -فى الوقت ذاته- لإسرائيل فى عدوانها على فلسطين والفلسطينيين.

كما لا يغيب عن هؤلاء الأصوليين الإسلاميين أن الإسلام تكليف وضرورة دينية وسياسية، وليس بديلا فكريا فحسب.. حتى إن منهم من يستندون إلى هذا، ويرون وجوب فورية التطبيق الإسلامى، دون تدرج أو تريث. ويرون تكفير كل من يتردد فى ذلك أو يقاومه.

وقد استغل هذا الجنوح فى الرؤية من بعض الأصوليين الإسلاميين فى إثارة مخاوف حكام المسلمين من الأصوليين جميعا، ودفعهم إلى تعزيز التوجهات العلمانية، وإلى مزيد من الاعتماد على التأييد الأوروبى والأمريكى لمواجهة خطر الأصوليين الإسلاميين دون تفرقة ولا تمييز؛ مما زاد من عزلة هؤلاء الحكام ومؤيديهم، وساعد على نمو التوجه الإسلامى، والترحيب به، وشموله شتى ميادين الحياة، واقتحامه جميع أرجاء العالم الإسلامى، حتى سيطر على هؤلاء الحكام ومؤيديهم أن فى قوة الإسلاميين يكمن الخطر الذى يهدد سلطانهم ووجودهم، فأصبحت الأصولية الإسلامية -فى عمومها- مصدر خطر وتهديد لكياناتهم.

[يتبع]

***

بين إسرائيل وأمريكا فى الحرب على العراق

للأستاذ/ صلاح عبدالرحيم محمد

حرصت الولايات المتحدة الأمريكية ـ بحكم العلاقة الخاصة التى تربطها بإسرائيل، والقائمة على المصالح المشتركة، والأمن المتبادل ـ على عدم مشاركة إسرائيل العسكرية فى الحرب على العراق، حتى لا يعتقد العرب أن هذه الحرب موجهة، بالدرجة الأولى، لحماية الأمن الإسرائيلى من جهة، وخشية من أية قطيعة يمكن أن تحدث بين العرب والولايات المتحدة الأمريكية، بسبب ذلك، من جهة أخرى. وفى إطار المحافظة على الأمن الإسرائيلى التزمت الإدارة الأمريكية،، بوعد قاطع، بإطلاع إسرائيل على ساعة الصفر للحملة العسكرية على العراق، يضاف إلى ذلك تعهد أمريكى بنشر بطاريات صواريخ «باتريوت» داخل إسرائيل للدفاع عنها ضد أى هجوم صاروخى مباغت من جانب العراق، وفى نفس الوقت طمأنت الإدارة الأمريكية إسرائيل، أنها ستقوم بتركيز جهودها العسكرية فى غرب العراق لتدمير قواعد إطلاق الصواريخ العراقية قبل أن تنطلق لضرب إسرائيل، كما أكدت الإدارة الأمريكية، أنها قد تضطر إلى استخدام السلاح النووى، فى حالة تعرض إسرائيل لأى هجوم بالأسلحة الكيماوية أو البيولوجية من قبل العراق.

وعلى الرغم من التعهدات الأمريكية لإسرائيل، فقد أعلن رئيس الوزراء الإسرائيلى «شارون»، أن إسرائيل لن تتخلى عن حقها فى الدفاع عن نفسها ضد أى هجوم عراقى عليها. وفى الواقع قامت أمريكا بنشر بطاريتى صواريخ «باتريوت» فى إسرائيل، وأدمجت صواريخ باتريوت الأمريكية مع صواريخ «حيتس» الإسرائيلى فى منظومة واحدة لمواجهة احتمال أى هجوم صاروخى من

غرب العراق. وفى هذا السياق، قدمت إسرائيل من جانبها تسهيلات عديدة للقوات البرية على أرضها، منها قيامها بتدريب هذه القوات الأمريكية على حرب المدن، نظرا للخبرة المتراكمة التى اكتسبتها فى حرب المدن الفلسطينية، فبنت من أجل ذلك مدينتين صوريتين، تماثلان المدن العراقية لتدريب القوات البرية، وقوات المارينز الأمريكية على حرب المدن، كما قامت إسرائيل بتوفير المخازن اللازمة لتخزين مختلف الأسلحة والمعدات الأمريكية، حتى تكون جاهزة عند الحاجة.

ومن ناحية أخرى لاحظ الكثير من المراقبين، منذ نهاية عام ٢٠٠٠، أن إسرائيل كانت، من وقت لآخر، تعلن أن نظام صدام حسين، سيكون خلال عدة أشهر فى ذمة التاريخ، وأن عراقا جديدا، سيظهر فى الوجود، ويتصالح مع الغرب، ويكون نموذجا ديمقراطيا تحتذى بها الأنظمة العربية، وربما يصبح العراق الجديد صديقا لإسرائيل.

وفى ضوء هذه الرؤية الإسرائيلية تجاه «عراق ما بعد الحرب» يبدو أن إسرائيل واللوبى الصهيونى الأمريكى، كانا وراء دفع الإدارة الأمريكية بالتعجيل بالحرب على العراق، فقد سعت إسرائيل منذ الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ إلى تكثيف ضغوطها على الإدارة الأمريكية من أجل وضع العراق فى مقدمة الأهداف التى يتعين على الولايات المتحدة الأمريكية ضربها عسكريا فى إطار حربها ضد الإرهاب، وفى هذا السياق ظل «شارون» يردد مرارا على مسامع الأمريكيين أن العراق يمثل أكبر خطر على إسرائيل، واللافت للنظر مدى الانسجام والتعاون الذى يجمع بين المحافظين الجدد فى البيت الأبيض وحكومة شارون فيما يتصل بتغيير النظام فى العراق وفلسطين فى الضفة الغربية والقطاع، ومحاولة شارون الدفع باتجاه الحرب على العراق على أمل أن يؤدى تدمير العراق إلى كسر الإرادة السياسية، وإرادة المقاومة للشعب الفلسطينى لإجباره على قبول الاحتلال الإسرائيلى لترابه الوطنى.

وجدير بالذكر أنه فى إطار التعاون الأمريكى ـ الإسرائيلى قام «جون بولتون» وكيل وزارة الدفاع الأمريكية بزيارة إسرائيل قبيل الغزو الأمريكى للعراق ـ وصرح للقيادة السياسية الإسرائيلية قائلا «إنه بعد العراق، سنتعامل مع سوريا وإيران، وقد لا يكون هذا التعامل بضربات عسكرية، ولكن بالطريقة التى تتخلى بها الدولتان عن تنظيمات حزب الله، وحماس، والجهاد الإسلامى، وأسلحة الدمار الشامل».

وهذا كما هو واضح يعنى أن التوصل إلى تسوية للصراع العربى - الإسرائيلى سيمر عبر عراق ما بعد الإطاحة بصدام حسين الذى يشكل الخطر الأكبر على إسرائيل، ويشير البعض إلى أن ثمة تشابها فى سلوكيات الغازى الأمريكى للعراق، وقوات الاحتلال الإسرائيلى فى الضفة الغربية وغزة، بدرجة كبيرة، خاصة فيما يتعلق بحجم الدمار الهائل وهدم البنية الأساسية، وقتل المدنيين، وحصار المدن، وإقامة الحواجز، وأعمال التفتيش والتمشيط، وما شيد من معسكرات فى «نورث كارولينا» الأمريكية لنقل الخبرة الإسرائيلية المتمرسة إلى القوات الأمريكية المبتدئة فى عمليات سحق المقاومة، وقد كشف أحد المتخصصين الأمريكيين وهو يدعى «ستافر» النقاب، عن مشاركة إسرائيل الفعلية فى الحرب على العراق من خلال استخدامها للمناظير الليلية، والقمر الصناعى «افق - ٥» للتجسس على العراق لرصد الأهداف الحيوية المراد ضربها، والصواريخ الإسرائيلية فى ضرب العراق، وإن كانت الإدارة الأمريكية تحرص على إخفاء ذلك حتى لا تثير امتعاض الدول العربية، ولا شك أن إسرائيل هى المستفيد الأول من الحرب على العراق، سواء ما يتعلق ببترول العراق والمياه، أو ما يرتبط بإنهاء التهديد العراقى لها، والتفرغ لالتهام باقى فلسطين التاريخية فى الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس الشرقية، ومواصلة التخطيط لاقناع الإدارة الأمريكية بضرب قدرات إيران العسكرية التقليدية، وفوق التقليدية، بحجة حيازتها لأسلحة دمار شامل، فضلا عن دعمها لحزب الله الذى يشكل تهديدا خطيرا على شمال ووسط إسرائيل..

ومن ناحية أخرى فإنه فى ظل الاحتلال الأمريكى للعراق تسعى الشركات الإسرائيلية فى عمليات إعادة إعمار العراق، خاصة شركات مواد البناء، والمعدات التكنولوجية المتقدمة، وأجهزة الاتصالات، وإذا لم تستطع هذه الشركات الفوز فى المناقصات، فيمكن لها أن تمارس نشاطها فى إعادة الإعمار من خلال الشركات الأمريكية كمقاول ثان، أو العمل من الباطن. لذلك فإن هناك بعض المحاولات الجادة من قبل إسرائيل للاتصال بالشركات الدولية الكبرى المتوقع حصولها على مناقصات إعادة الإعمار للاتفاق معها على أن تنال من خلالها جزءا من هذه المناقصات. وما يجب لفت الانتباه إليه أنه عقب تلقى إسرائيل ردا من الإدارة الأمريكية بموافقة الكونجرس على منحها ضمانات قروض

بقيمة ١٠ مليارات دولار بسبب الحرب على العراق، أخذت تتكشف أطماع إسرائيل الخفية فى بترول العراق عبر خط كركوك / حيفا.

فقد ذكرت صحيفة «ها آرتس» الإسرائيلية أن وزير البنية التحتية «يوسف بارتسكى» أوعز إلى شركة الخدمات البترولية بجمع معلومات عن خط أنابيب البترول بين كركوك وحيفا، وبحث إمكانية تجديد تشغيل هذا الخط فور الانتهاء من الحرب على العراق ونقلت نفس الصحيفة عن الوزير نفسه قوله: «إن من شأن إعادة تشغيل هذا الخط تلافى التكلفة الباهظة لنقل البترول من روسيا بالصهاريج إلى إسرائيل وأنه على يقين من قبول الإدارة الأمريكية لهذه الفكرة لأن الخط من كركوك إلى حيفا سيمثل المنفذ الوحيد للبترول العراقى إلى البحر المتوسط» ومن الملاحظ أن هذا الخط كان قد توقف العمل به عام ١٩٤٨ بعد نكبة فلسطين كما كشفت صحيفة «يديعوت أحرنوت» الإسرائيلية فى ٩ / ٤ / ٢٠٠٣ عن عزم وزير البنية التحتية الإسرائيلية «يوسف بارتسكى» القيام بزيارة الأردن عقب عيد الفصح اليهودى لبحث إمكانية إعادة تشغيل خط النفط العراقى - القائم من عهد الانتداب - الممتد من كركوك فى العراق إلى حيفا عبر الأردن، وبذلك يتدفق البترول إلى إسرائيل عبر هذا الخط، بأسعار رخيصة.



جاى جارنر

وما يجب التأكيد عليه أنه بسقوط بغداد فى التاسع من أبريل ٢٠٠٣ فى يد الغازى الأمريكى فى ظروف مريبة، يجرى الحديث الآن حول إقامة حكم عسكرى مؤقت، واختيار الإدارة الأمريكية «جاى جارنر» صاحب الميول الصهيونية، ليكون أول مندوب سام، وحاكم عسكرى على العراق لإدارة شئونها، فى حين ينظر العرب إلى هذا الحكم العسكرى بعين الشك والارتياب بسبب تأييده الأعمى لإسرائيل، ومواقفه المنحازة للصهيونية، والمعادية لحق الشعب الفلسطينى فى استقلاله وإقامة دولته. فقد كان «جاى جارنر» واحدا من بين ٤٣ ضابطاً من كبار الضباط الأمريكيين الذين وقعوا «بيانا» فى

أكتوبر ٢٠٠٠ عقب انتفاضة الأقصى، أصدره المعهد اليهودى بشئون الأمن القومى، بحيث أشاد هذا البيان بقوة الجيش الإسرائيلى وضبطه للنفس فى مواجهة الانتفاضة وألقى باللوم على السلطة الفلسطينية، والمقاومة، ووصفها بالإرهاب، ومن الواضح أن اختيار «جاى جارنر» ليكون رئيسا للحكومة العسكرية فى العراق يستهدف فى المقام الأول خدمة إسرائيل وحماية أمنها خاصة بعد أن رشحته صقور الإدارة الأمريكية، وزكاه رئيس الوزراء الإسرائيلى «شارون».

واللافت للنظر أن الأهداف الحقيقية للغزو الأمريكى للعراق تتجاوز بكثير ما تعلنه الإدارة الأمريكية من مجرد الإطاحة بالنظام الحاكم فى العراق، ونزع أسلحة الدمار الشامل التى أثبتت لجان التفتيش خلو العراق منها، وقد أكد «كولين باول» هذه الأهداف الحقيقية للاحتلال الأمريكى للعراق فى فبراير ٢٠٠٣ بقوله: «إن الإطاحة بصدام حسين يفتح الطريق نحو إعادة تشكيل الشرق الأوسط بما يعزز المصالح الأمريكية، ويساعد على إنهاء الصراع العربى الإسرائيلى»، ومن ثم يمكن القول إن التغييرات التى تريد الولايات المتحدة الأمريكية إجراءها فى منطقة الشرق الأوسط تهدف إلى عدة أمور، منها حماية الأمن الإسرائيلى، وتأمين آبار النفط العراقى بالسيطرة عليه، والهيمنة على الرافدين «دجلة والفرات» لتأمين إمدادات الماء إلى إسرائيل وإعادة تشكيل نظام إقليمى جديد فى المنطقة يشمل إسرائيل وتركيا والعراق الجديد» لحماية المصالح الأمريكية والإسرائيلية فى المنطقة العربية وفى إطار هذه التغييرات سيتحول العراق من حالة العداء والعصيان إلى حالة الولاء والطاعة، وسيكون نموذجا تتأسى به كل دول المنطقة، تحت المظلة الأمريكية ويذهب البعض إلى أنه بعد انهيار نظام صدام حسين، بدأت أمريكا ترى نفسها عارية من كل غطاء سياسى لغزوها للعراق بسبب خروجها على الشرعية الدولية، والقانون الدولى، وعدم احترامها للرأى العام العالمى المناهض لحربها على العراق.

وفى ضوء البحث عن ضالتها المفقودة لإنتاج هذا الغطاء السياسى، وجدت الإدارة الأمريكية غطاءها المفقود من خلال إيجاد حل للصراع العربى بالضغط على إسرائيل لقبول «خريطة الطريق» بدون أى تعديلات، مقابل صمت عربى للاحتلال الأمريكى للعراق ويبدو أنه مخطط قد رسم مسبقًا بين إسرائيل وأمريكا للهيمنة المشتركة على المنطقة

العربية، فقد ذكرت صحيفة «نيويورك تايمز» أن الطلب الأمريكى لإسرائيل بقبول «خريطة الطريق» تم إبلاغه رسميا خلال اجتماع بالبيت الأبيض، شارك فيه «كولين باول» وزير الخارجية الأمريكية، و«كوندوليزا رايس» مستشارة الأمن القومى الأمريكى، مع مبعوثين من الحكومة الإسرائيلية. كما أكد «تونى بلير» رئيس الوزراء البريطانى فى حديث لصحيفة «يديعوت أحرونوت» بتاريخ ١٧/٤/٢٠٠٣ «أن إسرائيل يجب ألا تخشى من «خريطة الطريق» لأنها تهدف إلى تحقيق الأمن لإسرائيل، والتوصل إلى حل على أساس دولتين لشعبين، كما أنها تقوم على أساس «أنه لا سلام فى المكان الذى لا يتوافر فيه الأمن»، وفى هذا السياق يشير بعض المحللين السياسيين إلى أن الاحتلال الأمريكى للعراق قد يدفع الرئيس الأمريكى «بوش» إلى إجبار إسرائيل لقبول «خريطة الطريق» للتوصل إلى تسوية للصراع العربى الإسرائيلى كما فعل والده من قبل عقب حرب تحرير الكويت عام ١٩٩١ بعقد مؤتمر مدريد للسلام والذى جمع لأول مرة وفود الدول العربية وإسرائيل على مائدة واحدة للمفاوضات فى حين يشكك البعض الآخر فى جدية الرئيس الأمريكى فى التحرك نحو حل أزمة الشرق الأوسط مشيرين إلى أنه يستعد من الآن لخوض معركة الرئاسة المقبلة فى أمريكا خلال عام ٢٠٠٤، وهو ما يجعله أكثر رغبة فى الحصول على أصوات الجماعات المؤيدة لإسرائيل فى الولايات المتحدة.

وفى الختام يمكن القول: إن الولايات المتحدة الأمريكية بسعيها إلى إحياء «خريطة الطريق» ومطالبة إسرائيل بقبولها تريد أن تحقق هدفين، الأول إسدال الستار على مشهد نكبة الاحتلال الأمريكى للعراق، لصرف الأبصار عن هذه المأساة العربية الفاجعة، ولتتفرغ لإعادة تشكيل منطقة الشرق الأوسط بالشكل الذى يحافظ على مصالحها الذاتية، ومصالح إسرائيل فى النهاية، والهدف الثانى هو محاولة إلهاء العرب بلعبة «خريطة الطريق» لاستهلاك الوقت، بينما تواصل قوات الاحتلال الإسرائيلى على الجبهة الفلسطينية مسلسل القتل، والاعتقال، والهدم، والتدمير، وحصار المدن، وإغلاق الطرق، وتمزيق جغرافية الضفة الغربية والقطاع، والهدف واضح، وهو كسر إرادة المقاومة الفلسطينية لتصفية القضية الفلسطينية، وإنى أتساءل، متى يفيق العقل العربى ويصحو من غفوته الطويلة ليدرك أبعاد المؤامرة التى تحاك للنيل منه؟

إطلالة على الأدب العبرى الحديث

حديقة من الصخور

لـ: أهارون ميجيد

للدكتور / محمد حسن عبد الخالق

فى هذه الإطلالة، سنحاول سبر غور أحد أعمدة الأدب العبرى الحديث وهو «أهارون ميجيد»[1] من خلال قصة «حديقة من الصخور».

وقبل إلقاء الضوء على القصة، سوف نتعرف عليه عن كثب من خلال ما قاله هو عن نفسه من حديث أجراه معه الشاعر: «شن شيفرا» نقتبس منه بعض الفقرات.

س: لقد أشرت فى كلامك أنك استعملت أسلوباً مشتقاً من تعبيرات مألوفة فى الأدب العبرى الحديث ومن مصادر قديمة قبل التلمود؟

ج: إنها ذكريات الطفولة. لقد درجت على اللغة العبرية وكان والدى ووالدتى يعملان فى حقل التدريس، لقد تعلمت من أسرتى أكثر من مدرستى، تعلمت الكثير عن الأدب كما درست التلمود على يد والدى... وأنا لا أوافق على التمييز بين الواقع والخيال فى أعمالى الأدبية، فكل ما أكتبه يعتبر «واقعاً» حتى الخيال والأحلام اعتبرها واقعاً أيضاً... واقعاً روحانياً.

س: أنت متهم بأن العديد من شخصياتك تبتعد عن نقد الحياة اليهودية فى دولة إسرائيل فما رأيك فى هذه الاتهامات؟

ج: إنى ألتمس العذر لمن يقول ذلك، ولكنى لا أستطيع أن ألتزم تماماً بمتطلبات نقد

(١) ولد أهارون ميجيد عام ١٩٢٠م فى بولندا وهاجر إلى فلسطين ١٩٢٦م مع والديه، وقد كتب الكثير من القصص والروايات والمسرحيات والمقالات النقدية، وحصل على جوائز أدبية كثيرة وترجمت أعماله إلى معظم لغات العالم، وعمل مستشاراً ثقافياً لإسرائيل فى لندن، ومحرراً لبعض المجلات الدورية والكتب، ومن أشهر أعماله: روح الأيام، كل إسرائيل أصدقاء، أنا والسرور، حادثة الأبله. وألف عدة مسرحيات مثل الطريق إلى إيلات [راجع موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص٣٦١].

الحياة اليهودية فى دولة إسرائيل، عن وجهة نظر تقوم على تكافؤ الضدين، وهذا الموقف يمتد حتى إلى حياة الشعب اليهودى، وأحياناً كثيرة عندما أكون فى أمريكا أو انجلترا أو أية دولة أخرى أكره اليهود ومع هذا فإننى مرتبط بهذا الشعب بكل جوارحى، وليس لى وطن غير وطن الشعب اليهودى وتاريخه.

س: عندما اندلعت الحرب قال بطل قصة: حادثة الأبله!

«يا إلهى، يا لها من معجزة، فقد نشبت الحرب وأنقذتنى من الموت» فهل تعتبر الحرب إحدى الحلول لمعالجة مشاكلنا؟![2]

ج: لقد أنقذت الحرب الشخصية الرئيسية فى القصة من الانتحار، وتخلى عن فرديته، وبالتالى بدأ يحس بأنه أصبح قادراً على أن يشاركهم إنجازاتهم بإحساس الصديق، فقد كان فى عزلة عن أسرته وعن المجتمع اليهودى وقد وضعت الحرب نهاية لشعوره بالوحدة، وهذا ما حدث للأمة اليهودية حين قامت الحرب، ففجأة وجدنا أنفسنا فى غاية الغبطة والسرور، وهذا هو التناقض المزعج لوجودنا فى الحياة، وهو على ما أعتقد الذى جعلنى أتسلل إلى تاريخنا الحديث فقد جلبت الحرب إلى هذه الأمة اليهودية كل ما هو عظيم، فقد نقلتنا الحرب إلى دولة فى حالة انجذاب، ولكن عندما تنتهى تسقط فى حالة انهيار، ولسوء الحظ فإن الذى يجعل هذه الدولة أشد التصاقاً هى اللحظات التى تتقارب فيها من أجل هدف واضح هو الدفاع عن وجودها.

وبعض الأمم الأخرى ليست فى حاجة إلى هذا الالتصاق لأن ثقافتهم معروفة تمام المعرفة لدى الأمم الأخرى، وكثير من الأجيال، لأنهم يعيشون على أرضهم أما نحن فعبارة عن مجموعات بشرية متفاوتة، وربما تمر مئات الأعوام قبل أن نصل إلى هذا التقارب مثل كثير من الأمم الأخرى[3].

أيها اليهود، أليس هذا واقعاً؟! والدليل إعادة انتخاب «شارون»، بطل المذابح الفلسطينية ومغوار المجازر الدموية ضد شعب أعزل.

قصة، حديقة من الصخور

وصل مستر «نيوهاف» القسيس الألمانى، إلى إسرائيل منذ ثلاثة أسابيع مضت، كان مبعوثاً من إحدى الجمعيات التى تطلق شعار: الأخوة بين المسيحيين واليهود، يقول القاص على لسان بطل الرواية المكلف بمراقبة القسيس:

استدعانى رئيسى فى العمل (بايدرمان) وقال لى: أنت مسئول عنه. إن لديه حوالى ٢٠ ألف مارك ألمانى تنوى الجمعية أن تساهم بها للإبقاء على مظاهر الطبيعة هنا والحفاظ عليها.

فسألته: لماذا الحفاظ على الطبيعة؟ لماذا لا تصرف على اليتامى مثلاً؟

(٢) أهارون ميجيد: حادثة الأبله ص٣٦.

(٣) فن القصة عند أهارون ميجيد - أمنون فسبير غيشل ميجيد ملف (٧) عام ١٩٦٧

لماذا لا تكون لضحايا الحرب؟ فأجابني بأن الإدارة لا تهتم كثيراً بالمعايير الشخصية.. رجل ما يأتي إلى إسرائيل ويريد أن يعطينا نقوداً فليباركه الله وخاصة إذا كان ألمانيا فليس هناك أروع من ذلك..

وتأثرت جداً عندما قابلته.. وجهه واضح معبر، كما لو كان صفحة في كتاب قديم، هادئ جداً ويتكلم بصدق وإقناع...

اصطحبته في سيارتي في اليوم الأول إلى الجليل وطبريا وغيرها... ومر أسبوع دون أن نمر على مكان يجد فيه ما يريد، فقررت ألا أهتم بذلك، لماذا؟ لأنه قسيس ألماني يكفر عن ذنوبه.

وكنت أتحدث كثيراً، ولكنه لم يكن مهتماً بما أقول، ولكن اهتمامه كان منصباً على سبرغوري.. ومع هذا القسيس أحسست بأنه ليس على وفاق معي.. أو أن لديه شكوكًا نحوي.. ولكنه عملي، فكنت أتكلم واستلهم كل قراءاتي في التاريخ، وتاريخ الأديان، وعلم اللاهوت، حتى ارتفع إلى مستوى الظرف الذي وجدت فيه. وطوال الوقت كنت أحس أنه لا يحبني لسبب ما. حاولت أن ألقي بعض النكات، ولكنه كان يبتسم تأدبا، ولم يضحك أبداً.. لم يحن رأسه أبداً، كان يُحملق بعيداً للتلال، كما لو كانت الأفكار قد استغرقته. وفي المساء عدنا إلى تل أبيب واصطحبته إلى الفندق، ودعني بأدب ولكن بلا حرارة، لم يقل حتى كلمة شكراً.. يا للجحيم، لقد وضعت نفسي تحت أمره، ومع هذا لم يكلف نفسه عناء شكري بكلمة طيبة وفي صباح اليوم التالي وقبل أن أذهب إلى الفندق واصطحبه ذهبت إلى مكتبي فسألني (بايدرمان): أي نوع من الرجال هو؟

فقلت: زفت.

قال: كيف؟

أجبته: كيف تعرف ما إذا كان هذا نازياً عمل مع هتلر فصاح قائلاً: هل تمزح؟ إنه إنسان طيب، رقيق، ليس له ماض معروف.

فقلت: كيف تعرف؟ احترس.. أي ألماني ستجد النازية تحت جلده، والواقع أنني قصدت أن أقول ذلك، أن أحقره. أن أسخر منه. ثم ذهبت إلى الفندق واصطحبت القسيس معي.

وسألني: ما الذي سوف نراه اليوم؟

فقلت: القدس. بيت لحم. الخليل

فقاطعني قائلاً: هذه الأماكن سوف أذهب إليها وحدي.

وسألني عما إذا كان ممكناً أن نذهب إلى البحر الميت، فأجبته بنعم أما أنا فكنت أتكلم عن الأرض بالطبع وعن حقوقنا القديمة في كل هذه الأرض وعن الرخاء الاقتصادي الذي جلبناه للضفة الغربية،... فقط عندما اقتربنا من البحر الميت.. بدأ يسأل أسئلة كثيرة، وكان الخجل واضحاً على وجهه.

وفي الوقت الذي وصلنا فيه إلى سدوم(٤)

اكتشفت أنه كان يفكر فيها باستمرار منذ مدة طويلة حتى قبل أن يحضر إلى إسرائيل.

إنها ليست حديقة من شجر النخيل، وليست حديقة من الورود... ولكنها حديقة من الصخور وقلت له على قمة جبل سدوم العاري.

إن الطبيعة تحفظ الأشياء، وقفت هناك معه على ذلك الجبل العاري، وكنت مندهشاً وعندما عدنا وجدت نفسي أسأله: هل تعتقد أن فترة حكم النازي قد تركت علامة على الشعب الألماني للدرجة التي جعلت جيلنا غير قادر على نسيانها؟

فأجاب: لقد لُعنا حتى نقف إلى الأبد بوجوهنا تجاه سدوم فأيقنت أنه يريد أن يقول: ذلك هو عقابنا.

وتقول التوراة عن سدوم:

«مدينة تقع جنوب البحر الميت، ويقال أن هناك ملكا يسمى (كدر لعومر) كان قوياً جداً، وكانت هناك خمس مدن قوية تدفع له الجزية لمدة ١٢ سنة من بينها سدوم، ثم كونت هذه المدن الخمسة حلفاً وتمردت عليه في دفع الجزية، فعاد إلى غزوها مرة أخرى، وعندما هزم سدوم سبى لوطا ـ عليه السلام ـ وعائلته وممتلكاته، وقام سيدنا إبراهيم ومعه ٣١٨ رجلاً وطارد جيش (كدر لعومر) وهجم عليهم بالقرب من دمشق وأنقذ لوطا وعائلته وممتلكاتهم».

وبعد فساد أهل سدوم ورد في التوراة سفر التكوين ١٩ ، ٢٥: «فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتا وناراً من عنده من السماء وقلب تلك المدن والساكنين فيها والسهل المحيط بها وكل مزروعات الأرض».

وتمضي القصة، والألماني لا يكلف نفسه كلمة شكر للرجل الذي صحبه.

ويقول اليهودي: في يوم الجمعة، آخر يوم له في بلدنا، أحسست بأنني أتحطم كيف يمكن لرجل مثله.. متحضر. قسيس ألماني لا يشكر رجلاً صحبه وتجول معه وقدم له هدية. إنني أتحطم. أتضاءل.. تحولت إلى حشرة، إنني أحس بالاحتقار. لقد أدركت أن هذه اللطمة لم أتلقاها طوال حياتي وعلى يد ألماني! أين هؤلاء الذين قتلوا كل أسرة أمي؟ أين هؤلاء الذين لا يمكن أن يكفروا عن الدماء التي أسالوها ولو بألف إحسان؟ لقد تلقيت هذه الطعنة على يد فرد واحد أراد أن يتحدى أصالتي».

وأهدى هذه القصة العبرية إلى شارون كي يعيد قراءتها.

فلن ينسى الشعب الفلسطيني دماء ضحاياه، كما لم ينس الشعب اليهودي مجازر النازية، حتى لو وقف اليهود جميعاً ميممين وجوههم إلى سدوم، وسوف تجد كثيراً من أصحاب الضمير اليهود، يكتبون نفس العبارة «ذلك هو عقابنا».

(٤) راجع: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ص٣٩ ـ ٤٥.

فلسطين المجاهدة الصامدة

قصيدتان قيلتا في كفاح فلسطين الخالدة إحداهما للشاعر العربي الكبير الأستاذ فؤاد الخطيب، الوزير المفوض للمملكة العربية السعودية بأفغانستان سابقًا؛ والثانية للشاعر الكبير الدكتور أمجد الطرابلسي وزير التعليم العالي بسوريا سابقًا.

المعارك الأولى(*)

للأستاذ / فؤاد الخطيب

ماذا الجمود وجرعاء الديار دم ** الحرب والموت، أين السيف والعلم؟[1]
فالصوت يهتف تلو الصوت من ألم ** أين الأحبة والإخوان؟ أين هم؟

***

أودت «فلسطين» إلا همة شمخت ** فكيف تقعد عن تأييدها الهمم[2]
هي الوحيدة إلا من عزيمتها ** وبالعزيمة بعد الله تعتصم[3]

***

يافارس الجيش والآجال راصدة ** أين التطوع؟ لاحلت بك النقم[4]
ياناعم العيش والأموال بائدة ** أين التبرع؟ لاضاقت بك النعم[5]

(*) من ديوان الخطيب ص ٣٥٩

(١) الجرعاء: الأرض الرملة اللينة، والدم كناية عن كثرة القتلى.

(٢) أودت: هلكت، شمخت: ارتفعت.

(٣) تعتصم: تتمسك.

(٤) الآجال: الأعمار.

(٥) بائدة: فانية.

لله در فلسطين التي انجردت ** إلى الجهاد فثار اليأس يحتدم[6]
تنمرت عند باب الليث مقدمة ** عليه لا الغاب يثنيها ولا الأجم[7]
وفتية همهم طول النزال على ** شم الجبال لهم أمثالها شمم[8]
لم يطعموا النوم أيقاظاً على وطن ** يكاد في شدق شر الخلق يلتهم[9]
من السحاب، ومن فوق الهضاب، ومن ** خلف العباب، سيول النار تضطرم[10]
تنصب سحا عليهم ماتزعزعهم ** ولاتزل لهم عن موقف قدم[11]

***

ما كبروا الله حتى كل ناحية ** ردت، ورجع في تكبيرها النغم[12]
تجاوبت بالصدى الأرجاء صائحة ** فالريح تصرخ، والقيعان، والأكم[13]

***

فيا خطوب اعصفي ماشئت طاغية ** إني «فلسطين» إني لست أنهزم[14]
ويا ممالك صبت كل زعنفة ** عليّ مهلا، وأين العهد والذمم؟[15]

***

أنا التي رأت «الرومان» خافقة ** أعلامهم، خُشَّعاً من حولها الأمم[16]
كم قيل فيهم وعنهم يوم سؤددهم ** ما قال عنك وفيك العرب والعجم[17]
هيا اسألي الفلك الدوار أين مضوا ** هم الحطام، وإني عشت بعدهم[18]
ولا أزيدك علماً غير بث جوى ** وهمسة لك: أن الله منتقم[19]
وما يضرك لو أنصفت عن كرم ** وكان منك لمثلي ذلك الكرم

(٦) انجردت: انبرت وجدت، اليأس: الحرب، يحتدم: يشتد.

(٧) يقصد بالليث: الشعار البريطاني حينئذ، يثنيها: يدفعها.

(٨) شم الجبال: مرتفعاتها، شمم: كبرياء وأنفة.

(٩) الشدق: الفم.

(١٠) العباب: موج البحر.

(١١) سحا: متدفقة.

(١٢) رجع: ردد.

(١٣) الأرجاء: الأنحاء، القيعان: السهول، الأكم: التلال.

(١٤) الخطوب: النوازل الكارثة.

(١٥) كل زعنفة: كل حقير تافه.

(١٦) خُشَّعاً: خضعاً أذلاء.

(١٧) السؤدد: السيادة.

(١٨) الحطام: مابلى وتهدم.

(١٩) البث: الشكوى، الجوى: الحزن.

لقــد رزئت ســلاحــاً لايفل، ولا ** يدال منه، ذليقٌ حــدُّه خــذمُ[٢٠]

هو الذى كـان يدعى «العـدل» عن ثقـة ** تحف منه بك الأعــوان والحــشم[٢١]

وســوف ننظر هل يغنيك عنه غــداً ** خــتل الدهاة أو الأبطال تقــتحم[٢٢]

***

وكـان يخشـاك من عـاداك لو بقيت ** نعومـة لك فـيـهـا الحتف ينكتم[٢٣]

فـجـدد العنف مـا للعـرب من أمل ** دهاه لينك حـتى كـاد ينصـرم[٢٤]

وقـد فـتكت فـمـا أدركت من أرب ** وكل سـيف بطول الضـرب ينثلم[٢٥]

***

لنا الحـواضـر نبنيـهـا ونعـمـرها ** من خلفـهـا الحـرز فى البـيداء والأطم[٢٦]

وفوقهـا البيت، نعم البيت، من شعـر ** باق على الدهر لم يعبث به القـدم[٢٧]

تمر من حـوله الأجـبـال صـاغـرة ** وتنسف الأرض دكـا وهو يبتـسم[٢٨]

وأين يا آل إسـرائيل مـوئلكم ** من وثبـة بشـواظ الغـيظ تضطرم[٢٩]

ويل لكم هل سـوى الأكـفـان حـجتكم ** وهل يكون سـوى الأكـفـان حظكم[٣٠]

هيـا اسلبـوها من الأجـداث باليـة ** ثم البـسـوها وقـولوا الإرث إرثكم[٣١]

***

(٢٠) رزئت: فقدت. يفل: يثلم. ذليق: ماض. خذم: قاطع.

(٢١) تحف: تحيط. الحشم: الأتباع.

(٢٢) الختل: المكر. تقتحم: تهجم.

(٢٣) الحتف: الهلاك.

(٢٤) دهاه: أصابه. ينصرم: ينقطع.

(٢٥) أرب: غاية. ينثلم: لايقطع.

(٢٦) الحرز: الموضع المنيع. الأطم: الحصن.

(٢٧) لم يعبث به: لم يصبه.

(٢٨) صاغرة: ذليلة. دكا: هدماً.

(٢٩) موئلكم: ملجؤكم. الشواظ: اللهب.

(٣٠) الأكفان: أهل الأكفان وهم جنودهم الآثمون.

(٣١) الأجداث: القبور.

ليـست فلسطين بالمأوى المبـاح لكم ** ولا التى هي فى الأسـلاب تقتـسم[٣٢]

ليـست تدر لكم شـهـدا ولا لبنا ** هنا الحـمـاة، هنا البـركـان والحمم[٣٣]

***

إن المفــر للأحـلام يخـدعكم ** ومـا يصح لكم فى نفـســه حلم

هل ينكص الدهر مـرتدا على عـقب ** وتنـفـض الأمم المطويَّـة الرجـم[٣٤]

***

ومـا سـمـعت بخـان سـارق وطنا ** من قـبل «بلفـور» لم تعلق به التـهم[٣٥]

ينبث من خلفـه الخـائون تحت حـمى ** من الجناية لاشـرع ولا حكم[٣٦]

وأكـبـر الخـزى وعـد منه فى يدهم ** يذاد عنه وفـيـه الناس تختـصم[٣٧]

***

وكم جـيـوب تعـد اليـوم وارثة ** لجـيب بلفـور ترضـيكم وتـستلم[٣٨]

فـلا رعى الله مـا فى الغـرب من جـشع ** فـالمال فـيـه هو المعـبـود والصنم[٣٩]

ياشرق فـاشـهـد لدى التـاريخ إن كـذبت ** أهل «السـيـاسـة» واصـدق أيهـا القلم

***

(٣٢) الأسلاب: الغنائم. تقتسم: توزع.

(٣٣) الحمم: مايقذفه البركان.

(٣٤) ينكص: يرجع. الرجم: القبور.

(٣٥) بلفور: الوزير البريطاني صاحب الوعد المشهور.

(٣٦) ينبث: ينتشر.

(٣٧) يذاد عنه: يدافع عنه المبطلون.

(٣٨) المراد بالجيوب: خزائن المال.

(٣٩) جشع: طمع.

جهاد باسل (*)

للدكتور/ أمجد الطرابلسي

ثار فهل تستطيع إخماده   عزم أراد الله إيقاده

لا يأتلي مضطرما لاهبا   أو يلقف الظلم وأجناده[1]

ويصرع البغي وأنصاره   ويحطم الذل وأصفاده[2]

قد وثب الشعب يرد الأذى   وينزع الغل الذي آده[3]

يرخص للأوطان آماله   طوعا ودنياه وأولاده

والدم فوارا يروي الحمى   أغواره العطشى وأنجاده[4]

يسكبه كل فتى سيد   لا يرهب البغي وإيعاده[5]

الدم في أعراقه صارخ   يدعوه أن يبعث أمجاده

والثأر في خفاقه ثائر   يدعوه أن يطفيء أحقاده

والسيف قبل النصر في كفه   أقسم لا يسكن أغماده[6]

أما سمعتم أمس تزآره   يطبق الأرض وإرعاده

ذاكم وعيد الليث ويل لمن   ينتهك الغاب ليصطاده

(*) القصيدة من مجلة الرسالة العدد (١٦٠).

(١) يأتلي: يقصر.

(٢) أصفاد: قيود.

(٣) الغل: القيد، آده: أرهقه.

(٤) أنجاد: مرتفعات.

(٥) إيعاد: وعيد.

(٦) الغمد: القراب.

تمزق العادي أنيابه   وقد يصيد الليث صياده[7]

***

قومي فلسطين على المعتدي   وقومي بالحق منآده[8]

قومي على الذل على واغلـ   ـسيم هوان الذل فاعتاده

قد تخذ الختل إلها له   والمال والباطل أعضاده[9]

قومي فإن النصر ما غله   مثل دم الأحرار أو جاده[10]

غير دم الأحرار لا يزهق البغي ولا يحطم أقياده

غير دم الأحرار لا ينقع الثأر ولا يطفي وقاده[11]

غير دم الأحرار لا يبعث المجد ولا ينشر أعياده

قومي فهل أمجد من أمة   لا ترهب الجور وإزباده[12]

قومي فهل أخلد ممن قضى   فشاد للتاريخ ما شاده[13]

مات ليحيا وطن مرهق   عان يريد الله إسعاده

قومي وغنينا نشيد الردى   لا تسأمي في النقع ترداده[14]

فالموت للمغلول حرية   والموت لا يمنع وراده

يا أيها العادي ربيب الأذى   يا عترة الشر وأنداده[15]

القبلة الأولى على جودها   لا تكرم الذل وأحفاده

(٧) العادي: المعتدي.

(٨) المنآد: المعوج.

(٩) الختل: المكر، أعضاده: أعوانه.

(١٠) جاده: سقاه.

(١١) وقادة: مشتعلة.

(١٢) الجور: الظلم، إزباده: صياحه.

(١٣) قضى: مات.

(١٤) النقع: غبار المعارك.

(١٥) عترة: أصل.

لاتنزل الشذاذ في قدسها ... طرائد الغرب وأوغاده[١٦]

من ذا الذي ارتاد لكم منزلا ... في الشام، إن القبر ما ارتاده

فاز الذي يجمع أطماره ... للبين، أو ينتزع أوتاده[١٧]

الغيل من يجعله داره ... والسم من يجعله زاده؟[١٨]

غرتكم استجمامة للحمي ... فخلتم للهون إخلاده[١٩]

والغاب لاتستطيع إخضاعه ... حتى تخطى قبل آساده

ياعرب هيا فانصروا موطنا ... للعرب هاج القد أفراده[٢٠]

هناك شعب عربي الهوى ... يحاول الغاصب إنفاده

يسومه الخسف وأغلاله ... ويدعي بالنار إرشاده[٢١]

ثار على ظلامه مكرما ... تراثه الأسمى وأجداده

مجاهدا أقسم لاينثني ... أو تعتق الأطواق أجياده

شعب فلسطين يناديكم ... مستبسلا يصرع جلاده[٢٢]

تدمر النيران أبياته ... وتحصد الأسياف أجساده

أخاكم ياقوم لاتهملوا ... إرفاده اليوم وإمداده[٢٣]

رقوا لبلواه وثوروا له ... حتى يبيد الحق أضداده[٢٤]

فذله تكسون أبراده ... ونصره تجنون أوراده[٢٥]

---

(١٦) أوغاده: أوباشه.

(١٧) أطماره: ثيابه البالية.

(١٨) الغيل: غابة الأسد.

(١٩) إخلاده: سكونه.

(٢٠) القد: القيد.

(٢١) الخسف: الذل والهوان.

(٢٢) جلاده: قاتله المعتدي.

(٢٣) إرفاده: مده بالمساعدة.

(٢٤) يبيد: يفنى.

(٢٥) أبراده: ثيابه. تجنون: تحصدون.

شجاعة العلماء في إسداء النصيحة إلى الخلفاء والأمراء

٤

لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف

عندما كتبت فى الأعداد السابقة عن المواقف الجريئة التى وقفها علماء الإسلام مع الخلفاء والملوك والأمراء، يتحدون الظلمة الطغاة منهم، ويرفضون الإذعان والاستجابة لتأييدهم فى آرائهم وتصرفاتهم التى تجانب الحق والصواب، ويقدمون لهم النصيحة الخالصة فى قوة وعزة.. مهما كان ثمنها حتى ولو كان حياتهم.

عندما كتبت ذلك اتصل بى كثير من الإخوة القراء طالبين المزيد من الكتابة فى هذا الموضوع. ليعرف الأحفاد جهاد أجدادهم، وعظمة شموخهم، فيهتدوا بهديهم، ويسيروا على دربهم، ويتمسكوا بمنهجهم.

من هؤلاء العلماء العظماء الشيخ / العز بن عبدالسلام، الذى أطلق عليه لقب.. سلطان العلماء.. لبلوغه فى العلوم ـ على اختلاف فروعها واتساع جوانبها ـ إحاطة وفهما وتدريسا وتأليفا، منزلة رفيعة، وقدرا عاليا، والحق أن العز لم يكن سلطان العلماء وحدهم، بل كان سلطان الدولة بمن فيها من ملوك وأمراء!!

ولم يصب الغرور العز بن عبدالسلام بما وصل إليه من علم.. بل زاده ذلك تواضعا وزهدا فى حياته.. ما لم يقع اعتداء على حرمات الله، فإذا حدث ووقع هذا تحول العز إلى ثائر جرىء لا يعرف فى الحق لومة لائم.. فأطلق عليه لقب آخر فى زمانه بأنه.. القائم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.. وكانت جرأته فى الحق مثار الدهشة والعجب، حتى خيف جانبه، وعظمت رهبته، فقد صمد لكثير من الطغاة معتزا بحقه، ولم يمنعه من ذلك إرهاب وتهديد، وقد ألقى فى غياهب السجن فما ازداد إلا ثقة ومهابة، بل إن ما كابده من المحن قد أورثه صلابة وجرأة، فاستعذب مرارة الألم فى سبيل الله، وظل على مبدئه يكافح الظلمة والطغاة حتى خشع الجميع لإرادته، وأصبح سيد الدولة فى الشام أولا ثم فى مصر ثانيا.

كان الملك الأشرف «موسى بن العادل» سلطان دمشق، وله بها من النفوذ والسيطرة، ما للملوك والرؤساء، وكان للعز عنده منزلة سامية، ومكانة عالية، غير أن جماعة من أصحاب البدع والخرافات قد أثاروا بدمشق بدعة أحدثت فتنة، فذهبوا يقولون: إن كلام الله بحروف وأصوات.. واندفعوا في جدل عقيم لا فائدة منه لإثبات بدعتهم، وأحدثوا فرقة بين العامة، وقد أفلحوا في إقناع السلطان الأشرف بآرائهم، فاكتسبوا بمؤازرته قوة أثارت الشغب والتهريج في الدولة، في وقت كانت تتجمع فيه جيوش التتار لمحاربة المسلمين في دمشق، فثار العز ابن عبدالسلام على هؤلاء المبتدعين ثورة عارمة، وندد بهم فوق منبره تنديدا قويا، كما أصدر فتوى يقرر فيها مذهب السلف والجماعة فيما آثاروه، ويبطل رأيهم الذى ابتدعوه.. وقد أفلح هؤلاء في إغضاب السلطان عليه، فقامت بينه وبين العز مناقشات ومساجلات حادة قوية لم يلن العز فيها جانبا، فصدر الأمر بعزله من الخطابة وحرمانه من الفتوى، واعتقاله في بيته.. فلم يأبه الشيخ لذلك، ولم يتأثر بما أصابه، غير أن الحق قد ظهر أخيرا على يد الشيخ، فاعتذر له السلطان - وكان في مرضه الأخير - فانتهز العز هذه الفرصة لصالح الإسلام والمسلمين، واتخذ من اجتماعه بالملك الأشرف مجالا للنصيحة والأمر بالمعروف، وقال للسلطان: كيف تعد السلاح وتجمع الجيوش لمحاربة الملك الكامل سلطان مصر وهو أخوك، وجنوده مسلمون كجنودك!! فتضيع الدماء الطاهرة في خلاف عائلي لا يعود على الإسلام بغير النكبة والخسران!! إن جيوش الصليبيين تخوض بلاد المسلمين، وأولى بكما أن تتعاونا على درء الخطر الزاحف، فتنالا مثوبة الله ورضاه وإعجاب الجميع.. ومازال الشيخ العظيم المخلص لدينه بالسلطان حتى أقنعه، فثنى العزم عن محاربة أخيه.

وبذلك حقن العز بن عبدالسلام بنصيحته دماء المسلمين، وأبقى على قوة دمشق ومصر لتكون درعا قويا للدفاع عن بلاد المسلمين، وكان موقف العز رائعا حين أمر له السلطان بألف دينار فردها قائلا: هذا اجتماع لله، فلا أكدره بشيء من عرض الحياة.

موقف بطولي من مواقف الشيخ العز بن عبدالسلام في وجه الحكام الذين يخونون الأمانة، ولا يحافظون على حرية واستقلال بلادهم، فقد نزلت بدمشق نكبة فادحة حين تولى ملكها الصالح إسماعيل، فقد دب بينه وبين سلطان مصر نجم الدين أيوب خلاف شديد، فخاف الصالح على ملكه، فصالح

الفرنجة من الصليبيين على أن ينقذوه من ملك مصر، وفي المقابل يسلم إليهم صيدا والشقيف وغيرهما من بلاد الشام.. ولم يلبث الصليبيون أن دخلوا دمشق بمقتضى المعاهدة، وأخذوا يبحثون عن السلاح يشترونه ويجمعونه ويعدون أنفسهم به لمحاربة المسلمين، فأنكر ذلك العز بن عبدالسلام، وأفتى بتحريم بيع السلاح، وهاجم السلطان الخائن الغادر، وندد به في مجالسه ودروسه، ثم اعتلى المنبر ليعلن تبرمه وسخطه على الصالح إسماعيل دون أن يعبأ بإرهاب يتهدده..

وانتشرت ثورة العز بن عبدالسلام في المدينة، فانزعج لها الصالح انزعاجا شديدا، وأصدر أمرا بعزل العز وحبسه، فزاد ذلك من اشتعال الثورة واستفحالها.. فبدا للملك الصالح أن يطلق سراح العز على أن يغادر دمشق، فخرج العز إلى مصر، وقلوب أهل الشام تتبعه وقد سار خلفه كثيرون.

وخاف الصالح أن ينتشر حديث خيانته في مصر إذا دخلها العز، فأرسل إليه من يصالحه على العودة إلى منصبه، على أن يستكين للسلطان ويقبل يده! وما كاد العز يسمع كلام الرسول حتى صاح به: والله لا أقبل أن يقبل الصالح يدى، فضلا عن تقبيلي يده! يا بنى ارجع إلى صاحبك فهو في واد وأنا في واد..

ورحل العالم الشجاع إلى مصر، وفي مصر كانت له مواقف.

سعيد بن المسيب

سعيد بن المسيب - رضى الله عنه - عالم جليل وفقيه عظيم، ارتفع بغرائزه عن الرغبات البشرية المتهافتة! وسما بروحه إلى أجواز العزة والكرامة.. فعاش كريم النفس، حميد الأثر، كان يعظم أهل المسكنة ويسعى في قضاء حوائجهم.. أما الطغاة والفجرة من الولاة فقد جابههم مجابهات سافرة، وامتنع عن لقاءاتهم ومجالستهم، وزاد فندد بفضائحهم المنكرة ومظالمهم الآثمة.

كان النزاع بين الأمويين والزبيريين على أشده بالمدينة، وكل حزب يجتذب من الأشياع من يشد عضده ويقوى شوكته، وقد اتجهت أنظار الفريقين إلى سعيد بن المسيب كل فريق يحاول استمالته وكسب تأييده، والرجل في قرارة نفسه لا يؤمن بهما معا، ويرى الخلافة الإسلامية قد انحرفت عن نهجها الذى عرفه أيام عمر وعليّ! ولكن الرسل من الجانبين يتوافدون عليه وكلمة الحق تصرخ في فمه في وجوههم فتدفع الباطل فينحدر، وقد أصاب أولو الأمر من الفريقين الأرق والخوف من مخالفة سعيد، وامتحن بسبب ذلك امتحانا رهيبا من الفريقين، فما تراجع عن رأى أو نكص عن حق.. بل ظل

كالطود الشامخ ناهضا يندد بالطغاة.. وبرى الملأ كيف يقف الحق الأعزل فى وجه الباطل المدجج، وكيف يحرص المسلم الأبىّ على كلمة الحق، وإن حال دونه الباطل بسياطه وحرابه، فلن يُصيب إلا جلدا وعظما!! أما النفس المؤمنة فمطمئنة بإيمانها، ملتذة بعذابها، منتظرة مثوبة الله لأصفيائه، ونكال الآخرة والأولى لذوى البهتان الآثم والطغيان الرهيب!

هذا جابر بن الأسود - عامل عبدالله بن الزبير على المدينة - يأمره بالبيعة فيمتنع، فيضربه ستين سوطا، فما تراجع عن موقفه، ويرى ذلك هينا فى سبيل الله!!

وهذا عامل عبدالملك على المدينة يأمره بالبيعة للوليد بن عبدالملك فيمتنع، فيهدده بضرب عنقه، فما يتراجع لحظة واحدة عن موقفه، ثم يطول الحوار والجدل، فيعرض عليه واحدة من خصال ثلاث: أن يقرأ الوالى كتاب البيعة على الجمهور فيسكت سعيد دون أن يقول: لا أو نعم، أو أن يجلس فى بيته فلا ينهض إلى المسجد أياما حتى تنتهى البيعة، أو أن ينتقل من مكانه بالمسجد فلا يجده الرسول إذ يأتيه.

وقد رفض سعيد هذه العروض، مع أن العرض الأخير كان له فيه مندوحة تقية دون أن تخدش رأيه، ولكنه وضع نفسه موضع الزعامة الكريمة للمسلم الصادق ليسد كل ثنية يلج بها الباطل مأربه؟ فهو أولاً يخشى أن يخرج بالصمت عن لا أو نعم فيعلم الناس أنه بايع ولم يعارض، وهو ثانيا يتعاظمه أن يمكث بالبيت أياما فلا يخرج إلى الصلاة وصوت المؤذن يلهبه ويستدعيه وقد واظب على حضور الجماعة أربعين سنة لا يشذ عنها وقتا واحدا وهو ثالثا يربأ بنفسه أن ينتقل من مكانه حذرا من مخلوق لا يملك لنفسه ضرا أو نفعا!

وكان سعيد يعلم حقيقة ما ينتظره من عذاب أليم، فما أن أعلن مخالفته حتى جرد من ثيابه، وضرب خمسين سوطا، وطاف به الرعاع فى أسواق المدينة وهو يقولون: هذا موقف الخزى! فيرد عليهم فى يقين حازم: بل فررنا من الخزى يوم القيامة بما فعلتموه وفعلناه!!

هذه المحن السود تمر بالمؤمن فتزيده يقينا وإيمانا، ثم تنجلى غمرتها الغاشية عن روعة واستبشار.. فالظالم يتخاذل ويتقهقر حين يجد عقوبته الظالمة قد عادت على غريمه بالعزة وارتفاع الذكر وبعد الصيت!! وهذا ما استشعره بنو مروان بعد ذلك، فقد أسفوا لما صنعوا، وهموا باسترضاء الرجل عدة مرات، فما أبه بخليفة أو أمير.

قدم عبدالملك يوما إلى المدينة ووقف على باب المسجد، وأرسل إلى سعيد رجلا

يدعوه، فأتاه الرسول وقال: أمير المؤمنين بالباب يريد أن يكلمك، فقال: مالى إليه من حاجة، وما به حاجة إلىّ، فرجع الرسول فأخبره برد سعيد، فقال له: قل له: أجب أمير المؤمنين، فكرر سعيد ما قال، فاستعظم الرسول ما صنع!! فقال له سعيد: اذهب يا بنى، فإن كان يريد بى خيرا فهو لك، وإن كان شرا فليقض ما هو قاض؟ فرجع الرسول بالإجابة إلى سيده، فطوى الضلوع على غيظ كظيم.

وقال عمرو بن عاصم: لما استخلف الوليد بن عبدالملك قدم المدينة، فدخل المسجد، فرأى شيخا قد اجتمع عليه الناس، فقال: من هذا؟ فقالوا: سعيد بن المسيب، فلما جلس أرسل إليه، فأتاه الرسول فقال: أجب أمير المؤمنين، فقال سعيد: لعله أرسلك إلى غيرى، فأتاه الرسول فأخبره، فغضب الوليد غضبا شديداً وهمّ به، فقال له جلساؤه: يا أمير المؤمنين، فقيه المدينة، وشيخ قريش لم يطع أباك من قبلك وأغضى عنه.. ثم مازالوا به حتى تراجع.

وقد صلى الحجاج ذات يوم صلاة عاجلة، لم يتم ركوعها وسجودها كما يجب، فأخذ سعيد كفا من الحصى ورماه به، فاعتدل فى صلاته وأخذ يطمئن، ولم يسكت طاغية العرب عن سعيد خشية منه وإجلالا له، ولكنه خاف غضب بنى مروان إذ همّ به، فهم بعد موقفهم الأول منه يتحاشون أن يشعلوا الصدور بمؤاخذته مرة أخرى فينكئون جراحًا قد اندملت على صديد فهى تلتمس السبيل إلى الثورة والانفجار.

وأيا ما كان فقد حاول هؤلاء أن يسترضوه، فما رجعوا بطائل منه، وقد كان له فى بيت المال عطاء كبير يتجاوز ثلاثين ألفا، فبعث به إليه، فرفض أن يأخذ منه درهما. وقال: لا حاجة لى فيما عند الظلمة من حقوق، فقيل له: ألا تخاف على نفسك؟ فقال محدثه: مهلا يا أحمق فلن يضيعنى الله!!

هذا الإيمان القوى، وهذا الاعتزاز بالحق، وهذا الورع الرفيع الأخاذ، كل أولئك قد أضفى على الرجل حلة زاهية من الهيبة والكمال، فكان فى حياته قوة مرهوبة عنيدة، وبعد مماته فكرة سامية نبيلة، ومثلا تشرئب إليه النفوس الطامحة، بل حلما نادرا تتمناه القلوب، وتترقبه الأجيال.

رحم الله العالم الفقيه، الورع الزاهد، القوى الشجاع سعيد بن المسيب على مواقفه الخالدة التى سجلها التاريخ فى وجه الظلمة الطغاة، ويا ليت المسلمين فى حاضرهم الضعيف الخزى يأخذون من مواقف سعيد العبر والعظات فيقتدون بها.. لعل وعسى.

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

تكلم إن شئت

مر سيدنا على بن أبى طالب - رضى الله عنه - بالحسن البصرى وهو يتكلم فى الناس، فقال له ما عماد الدين؟ فقال: الورع، قال: فما آفته؟ قال: الطمع، قال: تكلم إن شئت.

على أن أقرر حقا.. وأزيل ظلما

شكا أحد الرعية إلى المهدى العباسى ظلما وقع عليه من عهد الأمويين، واستمر طول خلافة السفاح ثم المنصور. فقال المهدى: معاذ الله أن ألزم الناس ظلما تقدم العمل به أو تأخر! أسقطوه عن الناس.

فقال الحسن بن مخلد: إن أسقطه أمير المؤمنين ذهب من أموال السلطان اثنا عشر ألف درهم فقال المهدى: على أن أقرر حقا، وأزيل ظلما، وإن أجحف بيت المال.

توجيهكم فراشى

اشتد وجع «سعيد بن المسيب» فدخل عليه «نافع بن جبير» يعوده فأغمى عليه، فقال نافع: وجهوه ففعلوا، فأفاق، فقال: من أمركم أن تحولوا فراشى إلى القبلة «أنافع»؟ قالوا: نعم، قال سعيد: «لئن لم أكن على القبلة والملة، والله لاينفعنى توجيهكم فراشى».

سرعة الكظة.. وسرف البطنة

قال بعض الحكماء: إذا كنت بطينا فعُدَّ نفسك من الزمنى، وقال الأعشى:

والبطنة مما تسفه الأحلاما

واعلم أن الشبع داعية البشم، وأن البشم داعية السقم، وأن السقم داعية الموت، فمن مات بهذه الميتة فقد مات ميتة لئيمة، وهو مع هذا قاتل نفسه، وقاتل نفسه ألأم من قاتل غيره.

إن الجند شغبوا ونهبوا

كتب بعض ولاة الأجناد إلى المأمون: إن الجند شغبوا ونهبوا، فكتب إليه: لو عدلت لم يشغبوا، ولو وفيت لم ينهبوا، وعزله عنهم وأدرَّ عليهم أرزاقهم.

يطلقون الكلاب ويربطون الحجارة

دخل أعرابى قرية لأول مرة، فهاجمته كلابها وكادت أن تنال منه، فانحنى ليأخذ حجرا من الأرض، يدافع به عن نفسه، فاستعصى عليه الحجر من شدة البرد، فقال: لعن الله أهل هذه القرية، يطلقون كلابهم، ويربطون الحجارة.

حقا

إذا استخار العبد ربه، واستشار صديقه واجتهد رأيه فقد قضى ما عليه، ويقضى الله فى أمره ما أحب.

لايبالى

قيل لبشار بن برد: فلان يزعم أنه لايبالى ألقى واحدا أو ألفا.

قال: صدق، لأنه يفر من الواحد كما يفر من الألف.

إذا كان مشويا

سأل رجل آخر: هل الظبى معرفة أم نكرة؟

فأجاب: إذا كان مشويا على المائدة فهو معرفة، وإذا كان فى الصحراء يعدو فهو نكرة.

أعور.. وأعمش

قال إبراهيم النخعى لسليمان الأعمش وأراد أن يماشيه: إن الناس إذا رأونا معا قالوا: أعور وأعمش، قال: ما عليك أن يأثموا ونؤجر، قال: ما عليك أن يسلموا ونسلم.

دعاء

اللهم ارزقنا طاعتك، وجنبنا معصيتك ولاتجعلنا من المنافقين، واجعلنا من المحافظين على الصلوات القانتين فيها.

مواقف إسلامية

إمرأة تعيش خارج الزمان

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

«عن سهل بن سعد ـ رضى الله عنه :

أن امرأة جاءت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله: جئت لأهب لك نفسى. فنظر إليها رسول الله ﷺ. فصعَّد النظر إليها وصوَّبه. ثم طأطأ رأسه. فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئاً: جلست. فقام رجل من أصحابه فقال: يا رسول الله: إن لم يكن لك بها حاجة.. فزوجنيها. فقال له: هل عندك من شىء؟ فقال: لا والله يا رسول الله. قال: اذهب إلى أهلك. فانظر هل تجد شيئاً. فذهب. ثم رجع. فقال: لا والله يا رسول الله. ما وجدت شيئاً. قال: أنظر ولو خاتماً من حديد.

فذهب. ثم رجع. فقال: لا والله يا رسول الله.. ولا خاتماً من حديد. ولكن: هذا إزارى! قال سهل: ماله رداء فلها نصفه. فقال رسول الله ﷺ:

ما تصنع بإزارك؟ إن لبسته.. لم يكن عليها منه شىء. وإن لبسته.. لم يكن عليك شىء. فجلس الرجل. حتى طال مجلسه. ثم قام. فرآه رسول الله ﷺ مولياً. فأمر به فدُعى. فلما جاء. قال: ماذا معك من القرآن؟ معى سورة كذا وسورة كذا.. عدَّها.

قال: أتقرأهن عن ظهر قلبك؟ قال: نعم. قال: اذهب. فقد زوجتكها بما معك من القرآن» فتح البارى/ ٨/ ٥٠٣٠ ـ ومسلم ١٤٢٥.

تمهيد

بعض الناس.. يؤثر أن يعيش «الحاضر» مستغرقاً فيه. مفتوناً به.. رافضاً أن يعود إلى الماضى.. أو أن يستشرف آفاق المستقبل.. زاعماً بأن الحاضر لن يلغى وجوده يوماً لحساب ماض تولى.. أو مستقبل مازال جنيناً فى رحم الغيب.. ولكننا ـ باسم الإسلام ـ مدعوون إلى أن نعيش الحاضر فعلاً.. على أن يظل ماضينا المجيد فى وعينا لا يغيب.. تهب علينا منه نسمات رطاب تنعش من حولنا جفاف الحياة.. نفتح لها الأبواب.. لتبعث فينا الحياة من جديد.. متجاوزين هذا التصور المادى للماضى..

هذا التصور الذى يغلق الباب على أصحابه أمام عبر التاريخ. حين تمر أمام أبوابهم التى أغلقوها.. فتجاوزتهم فرص السعادة التى رفضوها.

وبهذا الموقف الفريد.. نطل على مشهد من مشاهد تاريخنا.. نجدد به ما أبلت الأيام من وجودنا ـ وفى زمان زرع الماكرون فيه مكان كل زهرة.. أفعى ـ حتى نعقد العزم على أن نترك ما نهوى.. لما نخشى.. وأن نتزود للرحلة الطويلة بزاد التقوى.

صانعة التاريخ

وهذه امرأة مؤمنة.. وإن كنا لا نعرف اسمها.. فإن ربها يعرفها.. ويكفى أن يذكرها الحديث الشريف بوصفها.. فالأوصاف أدل على الناس من أسمائهم..

وإذا كنا نقول اليوم إن «فلاناً» من الناس.. قد دخل التاريخ من أوسع أبوابه.. بما قدم من أعمال كبار.. فإن هذه المرأة هى التى صنعت هذا التاريخ صنعاً بهذا الموقف العظيم.. وإذا كنا نقول: كلما كانت الشجرة قوية.. كلما نبتت على أغصانها أوراق خضراء.. فنحن بحاجة اليوم إلى «تقليم» شجرة الحضارة الحديثة: بقطع فروعها القديمة.. لتنبت فروع جديدة.. من نفس النوع. ولكنها أقوى.. وأنفع.

مغزى محاولة المرأة

لقد كان لها اهتمامات فى حياتها.. لكنها تستبعد كل احتمال.. لتبقى أهمها جميعاً وهو: أن يتفضل الرسول الكريم فيتقبلها زوجة له.. وها هى ذى تحملها قدماها.. ودقات قلبها تتلاحق.. خوفاً من انحسار أملها هذا العظيم.

ثم تسعفها شجاعتها الأدبية لتعرض نفسها.. هكذا علانية.. وعلى مرأى ومسمع من الحاضرين.. مستعلية على التقاليد القبلية من قبل.. والتى كان منها: تموت المرأة «عانساً» ولا تعرض نفسها على رجل؟!

ولكنه الإخلاص.. والود.. يدفع إكسير الحياة دفعاً فى مواقف المخلصين المحبين.. ومنهم تلك المرأة التى تروعك منها مواهب متعددة.. كلما أردت أن تستصفى منها جوهرة.. وجدت نفسك تفصلها عن أختها.. فكلها جواهر.. بل فرائد! هذه الجواهر.. أو هذه المواهب التى وصلت بها إلى القمة.. القمة.. التى تنهى كل خلاف حول عظمة الإسلام الذى صاغ النفوس

فكانت أمام «الحرام» جبلا يصعب صعوده.. وبين يدى الحلال: عصفوراً أليفاً.. انيساً.

إرادة الإيمان

لم تكن البيئة العربية عندئذ مستعدة لتقبل مثل هذه المبادرة المباشرة.. وكانت «العنوسة» أفضل ألف مرة من أن تعرض الحرة نفسها على رجل.. مهما كان موقع هذا الرجل.

وإذا كان من تقاليد البيئة عندئذ (تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها) فقد كان من مقرراتها أيضاً: (تعنُس الحرة.. ولا تعرض نفسها على رجل)!

شواهد من السنة

وشاهد ذلك من السنة المطهرة ما روى من تعليق بنت أنس ـ رضى الله عنها ـ وقد رأت هذا المشهد أو مثله:

وذلك قولها: (.... ما أقل حياءها واسوأتاه..).

ولئن ردعها أبوها بقوله: (.. هى خير منك: رغبت فى النبى ﷺ: تعرض عليه نفسها)[1].

نقول: إذا كان أبوها قد لقنها درساً قاسياً.. إلا أن ذلك لا يخفى أثر البيئة فى منطقها.. حين لم تكتف باتهامها بقلة الحياء.. لكنها اعتبرت ذلك عورة كشفت!! وكان ينبغى سترها!!

حتى فى بيت النبوة

ولم يكن بيت النبوة ـ على جلالة قدره ـ بنجوة من هذه النزعة الرافضة لهذا التجاوز لخط الحياء!

كانت خولة بنت حكيم من اللائى وهبن أنفسهن للنبى ﷺ.

فقالت عائشة: «أما تستحى المرأة أن تهب نفسها للرجل؟

فلما نزلت:

﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾[2]. قالت: يا رسول الله: ما أرى ربك إلا يسارع فى هواك!!»[3].

---

(1) فتح البارى فى كتاب النكاح ص ٥١٢٠.

(2) الأحزاب (٥١).

(3) البخارى: كتاب النكاح/ ٥١١٣:

تكلم العلماء فى قول عائشة ـ رضى الله عنها: [ما أرى ربك إلا يسارع فى هواك].

وقد قرر «القرطبى»: أن عائشة ـ رضى الله عنها ـ كانت تعلم أن الله –تعالى– قد أباح لنبيه ذلك، وأن جميع النساء ـ لو ملكن له ـ لكان قليلاً. ثم يعلق القرطبى قائلاً:

إنما حمل عائشة على هذا التقبيح: الغيرة التى طبعت عليها النساء.

وفسر قولها فى هواك بـ [فى رضاك] ثم قال:

هذا قول أبرزه الدلال والغيرة وهو من نوع قولها:

ما أحمدكما، ولكنى لا أحمد إلا الله.. وإلا فإضافة الهوى إلى النبى ﷺ لاتحمل على ظاهره، لأنه لاينطق عن الهوى، ولا يفعل بالهوى، ولو قالت: إلى مرضاتك لكان أليق، ولكن الغيرة يغتفر لأجلها إطلاق ذلك) اهـ.

ونتساءل هنا: ألم يكن لهذه المرأة والد.. أو عم.. أو خال.. ينوب عنها فى هذا العرض الحرج.. المحرج للأنثى عن طبيعتها؟

والجواب: إنه الإصرار المعبر عن عمق الرغبة.. هو الذى فرض عليها ذلك، ولعل الرسول ﷺ يرى منها ما يدعوه إلى نكاحها.. وما رأى كمن سمع! ثم هو الحب العميق: الحب العقلى.. والقلبى معا يكلف صاحبه ركوب الصعب.. ليتوج فى النهاية برفقة الرسول.. إنها إذن تكاليف الود المشتق من الإيمان.. هذا الإيمان الذى إذا غاض.. فقدت الحياة جمالها.. وصار الجبل كتلا من الصلد مكدسة.. وكانت الشمس فى غيابه.. جسما ملفعا بالطاقة والحرارة!

وإذا كانوا يقولون اليوم: إنك بالحب.. لا بالحقد.. تستطيع أن تفعل كل شىء.. فإننا نقول: إنك بالإيمان تستطيع أن تفعل أفضل شىء.. وأكمل شىء.. بما منحك الإيمان من رؤية تقدمية ترى بها آفاق المستقبل.

ثم نتساءل ثانيا:

لقد كان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يهابون الرسول.. فلا تمكنهم الهيبة من النظر فى عينيه.. ولكن هذه المرأة.. تحملت مسئولية الموقف.. فنظرت إليه.. ثم عرضت عليه قضية حساسة محرجة، ومع ذلك ظلت محتفظة بشجاعتها.

إن موقفها كان أصعب ألف مرة من موقف «وافدة النساء» التى انحصر دورها فى مجرد إبلاغه ﷺ بمطالب النساء.. وأين هى من هذه المرأة التى تكلمت.. فما تلعثمت ولا تعقيد ولا تخليط وكان كلامها أو عرضها كان كالحبات الندى على أوراق الزهر.. فى صباح شرق جميل إلى الحد الذى يحملك على حسن «تكييف» موقفها.. الذى لم يكن موقف «أنثى» تبحث عن نصفها الضائع.. ولكنها مؤمنة تبحث عن الرفيق.. فى وحشة الطريق.

ولابد هنا أن نعود بالفضل لأهله. وأهله هنا: هو الرسول ﷺ والذى كان بشرا.. يوحى إليه.. فلم يكن ملكا يطل بشخصيته الساحقة على الإنسان فيشل قوى الإدراك فيه، ولكنه كان النبى الإنسان.. الذى وسع قلبه آمال أمته وآلامها.. ولقد استقبل المرأة بهذا القلب الوسيع.. فساعدها على أن تعلن عن رغبتها.. وما هو إلا أن رآته ﷺ.. فإذا بالقشرة الرقيقة.. تنشق.. وإذا بالرغبة من تحتها تتدفق.. إنها الزعامة الإلهية التى لا تحتمى بالأبواب والحجاب.. وإنما هى مفتحة القلوب والأبواب مختزلة المسافة بينها وبين الناس.. والذين يهرعون إليها.. يشكون إليها بثهم وأحزانهم.

موقف الرسول

لقد نظر إليها.. بل كرر النظر.. وركزه عليها.. تشريعا وتعليما لأمته.. لتعلم أن النظر إلى المخطوبة حق مكتسب وهذا ما صرح به ﷺ فى حواره مع المغيرة بن شعبة رضى الله عنه.

لقد خطب امرأة.. فقال له ﷺ: «أنظرت إليها؟ قال: لا.. قال: انظر إليها فإنه أحرى أن

يؤدم بينكما »(٤).

بل جعل من النظر قضية عامة .. لفت أنظار الأمة إليها .. فى قوله ﷺ :

روى جابر (إذا خطب أحدكم امرأة .. فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها .. فليفعل)(٥).

ويشير الحديث إلى :

١- أن النظر فى حالة الاستطاعة .. وليس بالقوة ومجافاة الذوق ..

٢- ألا يعطى لنفسه الحق فى النظرة النهمة .. المتشهية وإنما هى النظرة العاقلة التى تقتصر فقط على ما يشجع على الزواج.

٣- على أن يكون ذلك بلا سابق موعد .. وقبل أن تختفى بالزينة المصطنعة شكلها الطبيعى.

وقد كان جابر رضى الله عنه ـ وهو راوى هذا الحديث ـ كان مصداق ما رواه .. قال :

(خطبت امرأة فكنت أتخبأ لها .. حتى رأيت ما دعانى إلى نكاحها . فتزوجتها)(٦).

من أدب النبوة العالى

كان من الممكن أن يجاهرها ﷺ بعدم رغبته فيها .. وبالكلام الصريح .. ولكنه ﷺ لم يشأ أن يكسر خاطرها .. فاختار الأسلوب اللين .. فسكت . ثم طأطأ رأسه .. مؤكداً فى نفس الوقت أنه لا زواج بلا رغبة قلبية .. وعلى الذين يدعون بناتهم دعًا إلى من لا يرغبن فيه .. عليهم أن ينتظروا جزاء ما يعملون .. فشلا ذريعا!

الإمام ولى من لا ولى له

وقد كان من تدبير الله ـ تعالى ـ أن يكون فى المجلس رجل رأى وسمع ما حدث .. فتحركت رغبته فى زواج وشيك ..

وفى نفس الوقت كان ﷺ مع المرأة ..

أدب الخاطب

فبدأ فعلاً فى « دراسة جدوى » هذا الاقتراح من قبل الرجل.

الذى عرض اقتراحه على غاية ما يكون الأدب فمع أن الرسول ﷺ .. أعلن .. وبصراحة أنه لا حاجة لها بها . « ولسان الحال أحيانا يكون أبلغ من لسان المقال ».

إلا أن الرجل يقول : « إن لم يكن لك بها حاجة .. ».

المهر مجرد رمز

ليست المرأة سلعة تباع فى الأسواق .. حتى تكون من نصيب من يدفع أكثر!!

وإنما مهرها مجرد رمز .. يشير إلى أنها ليست لقطة عبر الطريق .. وإنما هى قيمة

---

(٤) الترمذى وحسنه.

(٥) رواه أحمد والنسائى.

(٦) سنن أبى داود ١/٤٨٠.

إنسانية والمهم أن يكون المهر .. شيئا ذا بال .. لأنه « أقطع للنزاع .. وأنفع للمرأة » وأهم من ذلك كله هو : تراضى الطرفين عليه .. ثم تعجيله .. ولا تهمنا بعد ذلك الأحجام ولا الأرقام ولا بهرجة الإعلام!

الكفاءة

ويحدد الحديث الشريف مجالات الكفاءة بين الزوجين .. والتى لا يكون المال واحدا منها .. وإنما الكفاءة المشروطة فى : الدين .. والحرية .. والنسب!!

فإذا كان .. هناك تجانس فى هذه .. فقد ولد عقد الزواج يبقى على الزمان ميثاقا غليظا.

من حكمة الرسول ﷺ

سأل ﷺ الرجل : هل عندك من شىء ..

وحرف الجر « من » هنا .. يراد به : أى شىء .. مهما كان هزيلاً ضئيلاً .. وقد أقسم الرجل أن ليس فى يده هذا الشىء الهزيل الضئيل . وكان المتوقع أن يعقبه صلى الله عليه وسلم من الكدح عبر الصحراء بحثاً عن شىء لا يقوّم بمال .. وأن يذهب به ابتداء إلى ما يملكه فعلاً وهو : القرآن الكريم.

لكنه ﷺ .. بهذه المراجعة .. وهذه التكاليف المحرجة المضنية .. يؤكد للناس أن « المرأة » عند الله غالية .. وأنها لا تحتاز الطريق بالعبارة الخادعة .. أو الاغراء .. وإنما هى مطلوبة .. وعلى الراغب فيها أن يسعى لها سعيها.

أنها « الكنز الثمين » الذى عبر عنه معترفا بالجميل حين خاطب المرأة قائلا :

أنت فى صباى .. أمى . وفى شبابى .. زوجتى . ثم تصبحين من بعد لى « بنتا » تسهرين على شعرى الأبيض . وسوف تبقين من بعدى .. حين أغيب فى قبرى!

الداعية ودوره الاجتماعى

ولا ننسى هنا – فى شخصه ﷺ بعض مسئوليات الداعية التى لا يكفى فيها مجرد الخطب والمواعظ.

وأهم من ذلك أن يكون له دور إيجابى فى حل مشكلات المجتمع .. يجعل منه شخصية مرموقة « لها وجود مكثف » يفرض نفسه على مسير الحياة.

من خلائقه ﷺ

وصفه ابن أبى هالة فقال :

كان متواصل الأحزان، دائم الفكرة، لا يتكلم فى غير حاجة، طويل السكوت،

إذا أشار .. أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا غضب .. أعرض وأشاح، وإذا فرح .. غض طرفه.

وهذا الموقف دليل رحمته ورأفته بأمته .. التى كانت خدمتها غرماً .. لا غنماً.

وما كان يختار للمرأة إلا على مقياس ما يختار لابنته .. ابنته فاطمة ـ رضى الله عنها ـ والتى قال لها :

« أما ترضين أن أزوجك، أقدم أمتى إسلاماً،

وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً، وهو أول من يصافحني يوم القيامة».

إن العروس هنا تتزين للعرس الأكبر.. هناك في الآخرة.

ولئن لم يكن مهراً تتغنى به الركبان، فإن اللؤلؤ.. لا يعيبه أن ينظم بخيط الكتان ولا يعيب الذهب أن يدفن تحت التراب.

قياس.. مع الفارق

ربما وجدت فينا اليوم من تقول: هكذا كانت المرأة حرة في اختيار شريك حياتها.. بلا ولي «مسيطر»!؟

ولكننا نقول لها ما قال «أنس» ـ رضي الله عنه ـ لابنته:

«هي خير منك.. عرضت نفسها على رسول الله ﷺ».

ثم.. إنه القياس.. مع الفوارق!! فالولي هنا هو: رسول الله.. وهو الشاهد أيضاً.. والمجلس حافل بالشهود العدول.. وإذا تم الزواج هنا «بلازفة» ولا طبل.. ولا مزمار.. فقد تم الإشهار في وضح النهار. وقد رآهما كل من في المجلس: زوجها يمشي أمامها.. وهي من ورائه.. سعيد بها.. وهي به سعيدة.

وأين منها من تزوجت في الشوارع الخلفية.. زواجاً يتواصى المهرولون بأن يظل سراً!!

ومن قال بأن الولي قيد يشكل تدخله عدواناً على حق البنت في التفرد بالاختيار؟

وهل في الزواج العرفي اختيار؟ أم هو زواج الاضطرار المحكوم بالشهوة المندفعة.. والتي تتصور فيه الفتاة أنها مارست حريتها.. بينما هي كالصخرة يدفعها السيل من فوق قمة الجبل تظن أنها تقوده.. بينما هو الذي يدفعها راغمة!! ألا إن تدخل الولي من مصلحتها: فإذا نجح الزواج.. فقد تحققت أمانينا. وإن فشلت العلاقة.. كان شريكها في المسئولية.. لأنه كان شريكها في القرار!!

إن البقرة ـ وهي حيوان ـ تكون أكثر إدرارا للبن.. في جو تشيع فيه أنغام «الموسيقى» كما أثبتت التجارب أخيرا.

فكيف بعواطف الإنسان.. كيف لا تستقر في جو من الأمان.. يعيش المرء فيه على غاية ما يكون الوئام.. والانسجام؟!

ولكن بعض الناس اليوم.. قد يملكون الحياة.. لكنهم لا يملكون الحياء!

ومن ثم.. يقولون ما شاءوا.. لا بل ويفعلون ما شاءوا.. وهم كتلك الناقة الهيماء ـ يمضون وراء شهوة لا يبغون عنها حولا.. يعبر عن هذه النزعة البهيمية أحدهم فيقول:

من بين كل الفواكه التي اقتطفتها محاولا إسكات جوع أحشائي.. تظل التفاحة التي لم اقتطفها بعد.. أشهاها جميعا!

ويعني ذلك أنه لم يشبع أبداً..

وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾[7].

وليتهم رضوا بأن يكونوا مع الخوالف.. ولا شأن لهم بغيرهم.. لكنهم يريدون تصدير عللهم إلى الأطهار الأخيار.. ليكونوا جميعاً في الميوعة سواء..

إنهم يغذون السير.. وراء هذه الغاية بوتيرة أسرع وإيقاع ملحّ.. إرادة التسلل إلى أعماقنا.. تسللاً أشد خفاء من دبيب النمل!

من بركات القرآن

بعض الآباء يرفض الفتى القادم يطرق بابه.. لأن فيه رائحة الإسلام.. وفيه من بركة القرآن.

أي أنهم يجعلون «المقتضى» «مانعاً».. فاتحين أبوابهم على مصارعها لكل طلاب الدنيا زاعمين أن ذلك الفتى الغني أو الحسيب.. سوف يكون في حياتهم ذلك الثعبان الذي سيبتلع كل الأرانب!!

ولكن الرسول العظيم يضع الحق في نصابه.. حين يجعل الآية الكريمة تاجا يزين الله به جباه المؤمنين.. الذين هم وإن كانوا فقراء.. فسوف يغنيهم الله من فضله إن شاء.

أما هؤلاء الذين استدبروا الخير الوافد.. فإنهم سوف يندمون.. ولات ساعة مندم..

وسيئول أمرهم إلى ما قاله الشاعر:

غضبت على عمرو.. فمات فسرني
وحين أتى زيد.. بكيت على عمرو!

لكن البكاء لا يجدي.. إذا كان في الوقت الضائع

وصدق القائل:

رب يوم بكيت منه فلما
صرت في غيره.. بكيت عليه!

المرأة.. عند حسن الظن بها

ونظلم المرأة التي غادرت مجلس الرسول من وراء زوجها.. حين نتصورها كائناً مغلوباً على أمره. فلقد مارست حريتها.. وتحملت بجدارة مسئوليتها في القبول والرفض. فهذه أم كلثوم بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ ترد خطبة عمر.

وعندما قالت لها أختها عائشة ـ رضي الله عنها ـ أتردين أمير المؤمنين؟ قالت لها:

«إنه خشن العيش شديد على النساء».

ويعلق أحد الكاتبين على هذا الموقف قائلاً:

يتقدم أمير المؤمنين خاطباً. غير آمر ولا مكره. وفي تمام الحرية والجرأة والتصميم ترفض أم كلثوم أمير المؤمنين رفضاً مسبباً. ويبلغ أمير المؤمنين الرفض: فيعدل ويقلع غير حانق ولا ضائق ولا متهدد ولا متوعد. لأنه يعلم أن الإسلام لا يرغم الفتاة على الزواج بمن لا تريده.

---

(٧) هود (١١٦).

من سنابل الحكمة فى تراث عمر

للأستاذ الدكتور
على أحمد الخطيب

عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ نموذج لا يُنسَى، فهو من بعد رسول الله ﷺ وكبار صحابته ـ رضوان الله عليهم ـ أحد نماذج «القياس».. القياس الذى علق بقلب المسلم.. هكذا شاء الله ـ عز وجل ـ فكان يُرى ـ فى ضوء هذا القياس، قيمة أى مسئول، من بعده ـ أعنى من بعد عمر فَيحكُم المسلم بهذا القياس له أو عليه.

حقيقة نفسية ليس إلى زوالها سبيل..!!

كان ـ رضى الله عنه ـ من أندر الرجال، صدقَتْ فيه كلمةُ على بن أبى طالب ـ وقد دخل عليه ـ وهو مُسَجّى على فراش موته ـ فقال:

«رحمة الله على أبى حفص ورضوانه، تالله لقد أكدَّ من بعده، وأتعب من تلاه، والله، ماأحدٌ من خلق الله ـ سبحانه وتعالى ـ أحبَ إلىّ من أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسجى.. ثم خرج ودموعه تتحادر»[1].

وماهو إلا قليل حتى تحققت كلمة على: «أكدَّ من بعده وأتعب من تلاه» فإذا بالخليفة عبدالملك بن مروان يصدر مرسوما بمنع ذكر عمر...» ... فإنه إزراء على الولاة مَفسدةٌ للرعية»[2].

●●●

كان عمر أديباً ناقداً، ذا نتاج شامل فى الأدب غير أنه لم يكن شاعراً، ولا يصدق فى نسبته إليه بيتٌ واحد، لكن له فى «الحِكْمة» روائع:

والحكمةُ ـ كما هو معلوم ـ مصدرُها ـ من بين ألوان الأدب كله ـ تجاربُ البشر... واقع الأمور من حيث تبدأ إلى حيث تنتهى:

وتجارب الناس على مدى السنين ـ وفى أى موقع كانوا ـ أعطتهم أحكاماً مسلمة، تناولت شتى شؤون حياتهم، وهى أحكام حصدها لهم ذوو الفطنة والألمعية من بينهم، فكانت سنابل خير للناس أجمعين.

وعمر ـ رضى الله عنه ـ واحد ممن حصد عن خبرة، وطرح عن تجربة، فأعطى للناس الحكمة فى خطبة أو وصية أو رسالة أو غيرها من ألوان أدبه، ففى الحق أن كثيراً من حكمته نقع عليه فى واحد من ألوان أدبه هذه، وبعضها نجده منفرداً عن أصله، فلا تستطيع أن ترده إلى خطبة أو وصية أو رسالة.

●●●

١ ـ وحكمته ـ رضى الله عنه ـ تسوقها لنا عبارةٌ موجزة، قلّ أن تطول فيها الجملة، فقد تتكون من كلمتين كقوله: «الراحةُ عُقْلَةٌ»[3].

وقد تطول فى عبارة محكمة يصحبها الوضوح، ويتخللها التقسيم ـ وهذا اللون من حكمته قليل فى تراثه الأدبى ـ كما قلت ـ ومنه قوله:

«الرجال ثلاثة:

رجل ينظر فى الأمور قبل أن تقع، فيصدرها مصدرها، ورجل متوكل لا ينظر، فإذا نزلت به نازلة شاور أهل الرأى وقبلَ قولَهُم، ورجل حائر بائر لا يأتمر رُشْداً ولا يطيع مُرشداً»[4].

أى فهو من الهالكين.

ومنه أيضاً:

«النساء ثلاث:

امرأة هينة، لينة، عفيفة، ودود، ولود. تعين بعلَها على الدهر، ولا تعين الدهرَ على بعلها، وقلما تجدها.

وأخرى وعاء للولد، لا تزيد على ذلك شيئاً.

والثالثة غُلٌّ قَملٌ يجعله اللهُ فى عنق من يشاء وينزعه إذا شاء»[5].

●●●

٢ ـ وقد تأخذ حكمةُ عمر حظَّها من زينة اللفظ دون كلفة، كما قد يستعين فى تصويرها بلون من أساليب البيان فالخيال. من ذلك قوله:

من كثر ضحكه قلت هيبته[6].

من كتم سرَّهُ كان الخيار فى يده[7].

---

(١) الخوارزمى ـ جامع مسانيد الإمام الأعظم ١/٢٥٠ ط مجلس دائرة المعارف بالهند ١٣٣٢هـ.

(٢) أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ـ مجالس ثعلب ٢/٢٩٣، ٢٩٤. ط دار المعارف ـ مصر ط٢ ـ ١٩٦٠م.

(٣) الجاحظ ـ البيان والتبيين ٣/٢٣ ـ ط الخانجى ـ القاهرة ١٣٨٨ هـ.

(٤) نفس المرجع ٣/٢٩٩.

(٥) ابن أبى الحديد ـ شرح نهج البلاغة ٣/١١٢ ط مصطفى البابى الحلبى ـ القاهرة ١٣٢٩هـ.

(٦) الجاحظ ـ البيان والتبيين ٢/١٨٨.

(٧) نفس المرجع ٥/١٨٣.

(٨) النويرى ـ نهاية الأرب ٣/٥ ط كوستا تسوماس وشركاه القاهرة ـ بلا تاريخ.

لا يكن حُبُّكَ كَلَفاً، ولا بُغضُكَ تلفاً[8].

لَوْ أن الصبر والشكر بعيران ماباليت أيهما أركب[9].

●●●

٣ ـ وحِكْمَةُ عُمرَ التى تعرف موطنها من كلامه ليس لها مكان بعينه فى بساط هذا الكلام، فقد تحل فى صدره، أو فى خاتمته، أو فيما بين ذلك.

أما حِكْمَةُ المفردات ـ أعنى التى نقلها كبار الرواة ـ أئمة الأدب العربى ـ من أمثال الجاحظ ـ رحمه الله تعالى ـ فمن العسير أن نحكم عليها: أين كانت هى، صَدْرًا أو عجزًا، أو سياقًا بين هذا وذاك لافتقادنا نَصَّها الشامل:

فممَا صَدَّرَ به عُمَرُ ـ رضى الله عنه ـ قوله: من خطبة له ـ بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، وصلى على محمد ـ عليه الصلاة والسلام:

«أيها الناس: إن بعض الطمع فقر، وإن بعض اليأس غنى، وإنكم تجمعون مالا تأكلون، وتأملون مالا تدركون...»[10].

وختم بالحكمة فى رسالة منه لأبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنهما، فقال:

«إذا زاغ العامل زاغت رعيته، وإن أشقى الناس من شقيت به رعيته»[11].

ومما جاء منها فى ثنايا كلامه:

«أصلحوا سرائركم تصلح علانيتكم»[12].

●●●

٤ ـ وتنفرد حكمةُ عمر ـ فى نصها الأدبى ـ فتكون واحدة، وقد تكون اثنتين، وقد تتعانق فى الأثر الأدبى الواحد، فيأخذ بعضها بحجز بعض، وترتبط الحكمة فيها بالحكمة فى وحدة عضوية مثيرة، يزيدها إشراقًا وجمالاً وتأثيراً ماأوعيت من صدق التجربة وبلاغة اللغة، وعمق الخبرة وشمولها. قال ـ يوماً ـ للأحنف بن قيس ـ رضى الله عنهما:

«ياأحنف: من كثر ضَحِكُهُ قَلَّتْ هَيْبَتُهُ، ومن مَزَحَ استُخِفَّ به، ومن أكثر من شىء عُرِفَ به، ومن كَثُرَ كلامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ، ومن كثر سقطُهُ قَلَّ حياؤُهُ، ومن قَلَّ حياؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، ومن قَلَّ ورعه مات قلبه»[13].

وقد تتوالى على غير هذا النسق ليؤدى كل منها أثرهُ المنشود.

من ذلك قوله ـ فى رسالة منه لأبى عبيدة بن الجراح ـ رضى الله عنهما:

«... إنه لا يقيم أَمْرَ اللهِ فى الناس إلا

(٩) الجاحظ ـ البيان والتبيين ٢/١٢٦.

(١٠) الطبرى ـ تاريخ الرسل والملوك ـ ٤/٢٥١ ط دار المعارف مصر، وانظر ابن أبى الحديد ـ نهج البلاغة ٣/١٢٥.

(١١) الجاحظ ـ البيان والتبيين ٢/٢٩٣. ولها روايات فى «الأموال» لأبى عُبيد، و«العقد الفريد» لابن عبد ربه وغيرهما.

(١٢) اسماعيل بن كثير القرشى ـ البداية والنهاية ٧/٤٦ مكتبة المعارف بيروت ١٩٦٦م

(١٣) أسامة بن منقذ ـ لباب الآداب ص١٧ ـ الرحمانية بمصر ١٣٥٤هـ.

حَصيفُ العقدة، بعيد الغرَّة، لا يطلع الناسُ منه على عورة، ولا يَحْنَقُ فى الحق على جِرَّة، ولا يخاف فى الله لومة لائم...»[14].

●●●

٥ ـ وحكمة عمر جزء منها مطروق يجرى على ألسنة الناس، وجزء منها من إبداعه، فما كان منها للناس فإن لعمر فيه صياغته البليغة باعتباره عربيًا فى الذروة من أدباء العرب وفصحائهم، وما كان من إبداعه نلمح فيه عمق الفكر وبُعْدَ النظر مع استلهام النتائج القاطعة وتقديمها للناس فى يُسْرٍ وسهولة.

فمما هو معروف للناس، مطروق على ألسنتهم، مع تفاوتهم فى مدارج الثقافة والفكر، قول عمر ـ رضى الله عنه ـ فى السعى للمعاش:

«حرفةٌ يُعاشُ بها خير من مسألة الناس»[15].

إياكم والدَّيْنَ، فإن أوَّلَهُ هَمٌّ وآخِرَهُ حرب»[16].

ومن روائع إبداعاته هو قوله:

«احْذَرْ من فلتات الشباب كُلَّ ماأورثك النبز، وأعلقك اللقب، فإنه ـ إنْ يَعْظُمْ بعدها ـ شأنك، يشتد على ذلك ندمك»[17].

وقوله: «لو كان الحذرُ لا ينفع لكان الأمر به لغواً»[18].

وهذا الجزء أو ذاك هما مصدراً حكمته ـ رضى الله عنه، وكثيراً جداً مايمزج فى حكمته ماوعاه من صحبته الكريمة لسيدنا رسول الله ﷺ من ذلك:

«إنَّ كَرَمَ الرجل دينُهُ، وحَسَبُهُ خلقه، وإن كان فارسيًا أو نبطيا»[19] ففيها من رسول الله ـ ﷺ: كرم الرجل دينه، ومروءته عقله، وحسبه خلقه» رواه أحمد بمسنده ٣/٣٦٥.

وقوله:

«تَرْكُ الخطيئة خيرٌ من معالجة التوبة، ورب نظرة زرعت شهوة، وشهوة ساعة أورثت حزنًا طويلاً»[20].

ومما فيه أيضًا من رسول الله ﷺ ما روى ابن الأثير ـ فى ترجمته لابن البُجَيْر[*] ـ رضى الله عنه ـ أنه قال:

«أصاب النبيَّ ﷺ جوعٌ، فوضع حجراً على بطنه ـ فقال:

الا رُبَّ نفس طاعمة ناعمة فى الدنيا جائعة عارية يوم القيامة! ألا رب نفس جائعة

(١٤) المحب الطبرى ـ الرياض النضرة فى مناقب العشرة ٢/٨٠ وللنص روايات لابن الجوزى ولأبى يوسف فى الخراج وغيرهما حصيف العقدة: محكم الرأى، بعيد الغرة: قليل الغفلة نادرها، ولا يحنق فى الحق على جرة: يقبل الحق فإن كان عليه لا يحمل فى نفسه ضغنا بسببه

(١٥) الجاحظ ـ البيان والتبيين ٢/٨١.

(١٦) موطأ مالك ٢/٢٣٦.

(١٧) الجاحظ ـ البيان والتبيين ٢/٢٨٦.

(١٨) الجاحظ ـ البخلاء ـ ٢/١٤٩ دار الكتب المصرية ١٣٥٨هـ.

(١٩) تفسير ابن كثير ١/٣١١.

(٢٠) الجاحظ ـ البيان والتبيين ٢/١٣٨.

(*) وكان من أصحاب النبىّ ﷺ.

عارية فى الدنيا طاعمة كاسية يوم القيامة! الا رُبَّ مُكْرِم لنفسه وهو لها مهين، الا رُبَّ مهين لنفسه وهو لها مكرم، الا رُبَّ مُتَخَوِّض ومُتَنَعِّم مما افاء اللهُ على رسوله (أى المختلس من الغنيمة قبل تقسيمها) ماله عند الله من خلاق، الا وإنَّ عَمَلَ الجنة حَزْنَةٌ بِرَبْوَة، الا وإن عَمَلَ النار سَهْلَةٌ بِسَهْوَة، الا رُبَّ شهوة ساعة أورثت صاحبها حزنا طويلاً»[21].

أخرجه ابن مَنْدَهْ وأبو نُعَيْم - والعُهْدَةُ عليهما.

●●●

٦ - وردت حكمة عمر فى ميادين شتى، شملت الدِّين والسياسة والاقتصاد والاجتماع وهذا التصنيف - منى فى الواقع - ليس إلا تقريباً لطابع يغلب على طابع آخر لا أكثر، وإلا فقد تجمع الحكمة أكثر من طابع، وهذه قطوف منها، فمما طابعه دينى قوله:

«اقتصاد فى سُنَّة خيرٌ من اجتهاد فى بدعة»[22].

ومما طابعه الحكم وسياسة الرعية قوله:

«إن هذا الأمر لا يُصلحه إلا لين فى غير ضعف، وشدة فى غير عُنف»[23].

«إنك - والله - ماعاقبت مَنْ عصى الله فيك بمثل أن تطيع اللهَ فيه»[24].

«ادرءوا الحدود عن المسلمين مااستطعتم، فإن الإمام إن يُخْطِئ فى العفو خير من أن يخطئ فى العقوبة»[25].

ومن الوجه الاقتصادى قوله:

«بِع الحيوانَ أحسنَ مايكون فى عينك»[26].

«مَنْ أكل بيضة فقد أكل دجاجة»[27].

ومن الوجه الاجتماعى - وهو كثير - قوله:

«الناس بزمانهم أشبه منه بآبائهم»[28].

«ماوَجَدَ أحدٌ فى نفسه كِبْرًا إلا من مَهَانَة يجدها فى نفسه»[29].

«مَنْ لم ينفعه ظَنُّهُ لم تنفعه عينُهُ»[30].

«أعقلُ الناس أعذرهم للناس»[31].

وبعد: فتلك قبسات من أدب عمر فى الحكمة، نراها أدبًا يعالج الواقع لينتفع به الناس، قد صدر عن إخلاص فأشرق بالخير، وحَسْبُ عمر من الخير ماانطبعت نفسه عليه.

---

(٢١) ابن الأثير - أسد الغابة ٦/٢٣٥.
(٢٢) الجاحظ - البيان والتبيين ٢/٢٥٥.
(٢٣) النويرى - نهاية الأرب ٣/٥.
(٢٤) الجاحظ - البيان والتبيين ٢/٢٦٠، ٢٦١.
(٢٥) الإمام محمد الشيبانى - الآثار ص١٠٨.
(٢٦) الجاحظ - البيان والتبيين ٢/٢٨٦.
(٢٧) الجاحظ - البخلاء ١/٣٨.
(٢٨) أسامة بن منقذ - لباب الآداب ص ٣٣٤.
(٢٩) الجاحظ - البيان والتبيين ٤/٧٥.
(٣٠) ابن عبد ربه - العقد الفريد ٢/١٠٢، ٢٩١.
(٣١) النويرى - نهاية الأرب ص٥.

من رواد العلم العربى الحديث:

محمد خليل عبدالخالق

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا(*)

نبذة مختصرة عن حياته

ولد محمد خليل عبدالخالق فى القاهرة يوم ٢٣ مايو سنة ١٨٩٥م ودرس الطب من سنة ١٩١٣ - فى مدرسة طب قصر العينى - إلى سنة ١٩١٧، وأدى الامتحان النهائى بتفوق عظيم، فكان الأول بين زملائه طوال سنى الدراسة، وقد أشير إلى هذا النجاح الباهر فى أول عدد ظهر من المجلة الطبية المصرية، وفى عام ١٩١٨م اختارته الحكومة المصرية لإرساله فى بعثة إلى لندن لدراسة طب المناطق الحارة والطفيليات، وظل هناك إلى سنة ١٩٢٠م وانتخب أثناء بعثته عضوا فى اللجنة التى كلفت بدراسة مرض الانكلستوما فى مناجم «كورنويل» corn-wale ولما عرفت وزارة المستعمرات البريطانية كفاءته الممتازة عينته عضوا فى اللجنة التى أرسلتها لدراسة داء الفيل فى الهند الغربية.

وكان من حظ العالم المصرى محمد خليل عبدالخالق أن تلقى العلم على الأستاذ العالمى «باتريك مانسون» الذى يعود إلى الفضل فى الكشف عن كثير من أمراض المناطق الحارة عندما كان يعمل فى «أموى» Amoy بالصين، كما تلقى العلم على الأستاذ «ليبر» Leiper الذى كشف عن دورة البلهارسيا فى المبنى القديم لكلية الطب، وهو نفس المكان الذى كشف فيه العالم الألمانى «لوس» عن دورة الانكلستوما.

وعُيِّن محمد خليل عبدالخالق بعد عودته إلى مصر وكيلاً لقسم الأمراض المتوطنة

(*) نائب رئيس جامعة القاهرة.

بمعامل وزارة الصحة، وانتدب لتدريس علم الطفيليات بمدرسة الطب فى أكتوبر سنة ١٩٢٤ إلى أكتوبر ١٩٢٥م بالإضافة إلى منصبه كأستاذ منتدب للطفيليات بكلية الطب البيطرى وفى عام ١٩٢٥م فضلته مدرسة الطب على المتقدمين من الأجانب، فعينته أستاذا لعلم الطفيليات.

وقد كرس الدكتور محمد خليل عبدالخالق حياته العلمية لإنماء المعارف والأبحاث المبتكرة فى الطفيليات وطب المناطق الحارة والصحة فحظى بتقدير أقرانه ومعاصريه، وجذب انتباه كبار العلماء فى أنحاء العالم بمؤلفاته العلمية وكان ـ رحمه الله ـ زاهدا فى الحياة، على الرغم من أنه جمع ثروة طائلة أثناء حياته، مستعينا بخبرته وعلمه فى الاقتصاد والزراعة والإدارة وهو أول مصرى نشر قائمة ثروته تحت عنوان «من أين لنا هذا» ومن يطلع على هذه القائمة لابد أن يقف ليتأمل ويفكر فى هذه العقلية العلمية الراجحة التى اتخذت من البحث العلمى ومنهجه دليلاً إلى تنظيم الأعمال وترتيب الحسابات وتعزيزها بالمراجع والمستندات الدامغة.

وقد اشترك الدكتور خليل مع الدكتور على إبراهيم فى تنظيم كلية الطب وتمصيرها بإحلال الأساتذة المصريين محل المدرسين الإنجليز والأجانب، وكان لا يعرف الكلل أو الملل فى أداء رسالته هذه حتى قال له «السير كوبر برى» الذى أحضرته الحكومة المصرية لتنظيم كلية الطب: «نحن علمناك لتكون حربا علينا بكفاءتك الممتازة».

واشترك أيضا مع الدكتور على إبراهيم، حين كان وزيراً للصحة فى تنظيم وزارة الصحة، وظل هذا التنظيم قائما فى جوهره، ونُشر عدد من أعداد المجلة الطبية المصرية فى هذا التنسيق الفنى والإدارى.

وحينما تولى الدكتور خليل الحجر الصحى سنة ١٩٤٤ أدخل عليه الكثير من الإصلاح، وأنهى خدمات الخبراء الأجانب، وظل يكافح لاستعادة السلطة الصحية لمصر على المطارات الإنجليزية فى منطقة القنال، ولكن المنية عاجلته فى سنة ١٩٥٠م، وكان رحمه الله يخشى أن تغزو الأوبئة البلاد عن طريق تلك المطارات، فلما نحته وزارة الصحة عن وكالة الحجر الصحى تحقق ما كان يخشاه، وغزت الكوليرا مصر من منطقة القنال، ولطالما كتب كثيرا من المقالات، وألقى عديداً من المحاضرات عن مواضيع الكوليرا والدفاع عن مصر ضد غزوها بالكوليرا من الهند عن طريق القناة والذى يطلع على المذكرات المبوبة والمراجع المنسقة المرتبة ترتيبا عالميا دقيقا، والتى وضعها ليدافع بها عن حقوق مصر الصحية يوقن بعبقريته ويؤمن به كعالم رائد يحق لكل عربى أن يفخر به وبآثاره وإنجازاته العلمية.

أهم مآثره وإنجازاته العلمية

يمكن إيجاز أهم المآثر والخدمات العلمية التى أنجزها الدكتور محمد خليل عبدالخالق فيما يلى:

١- اهتم بالتراث الطبى، ولفت الأنظار إلى اكتشاف طفيلية الانكلستوما على يد الشيخ الرئيس ابن سينا الذى وصفها بالتفصيل لأول مرة فى الفصل الخامس الخاص بالديدان المعوية من كتابه «القانون فى الطب» وسمّاها «الدودة المستديرة» وتحدث عن أعراض المرض الذى تسببه، فكتب عن هذا الفتح الكبير فى عالم الطب مقالاً فى مجلة الرسالة جاء فيه: «.. قد كان لى الشرف فى عام ١٩٢١م أن قمت بفحص ما جاء فى كتاب «القانون فى الطب» وتبين لى أن الدودة المستديرة التى ذكرها ابن سينا هى ما نسميه الآن «بالانكلستوما»، وقد أعاد «دو بينى» اكتشافها بإيطاليا عام ١٨٣٨م.

أى بعد اكتشاف ابن سينا لها بتسعمائة سنة تقريبا، ولقد أخذ جميع المؤلفين فى علم الطفيليات بهذا الرأى فى المؤلفات الحديثة، كما أخذت به مؤسسة «روكفلر» الأمريكية التى تعنى بجمع كل ما يكتب عن هذا المرض.. ولذلك كتبت هذا ليطلع عليه الناس ويضيفوا إلى اكتشافات ابن سينا العديدة، هذا الاكتشاف العظيم الذى هو أكثر الأمراض انتشاراً فى العالم الآن.....».

٢- أسس معهد الأبحاث ومستشفى الأمراض المتوطنة عام ١٩٣١ ونقل إليه قسم البلهارسيا والانكلستوما بمعامل وزارة الصحة، وأصبح المعهد مدرسة أبحاث معروفة فى جميع بلاد العالم، يؤمه كثير من العلماء لمناقشة موضوعات علمية مختلفة أو للتدريب، وقام هذا المعهد أيضا بحل الكثير من مشاكل مصر الصحية.

٣- أتم فى سنة ١٩٣٣ بحثه الشهير عن دورة حياة الطفيلى المعروف باسم «الهتروفس» حينما كشف سنة ١٩٢٣ أن سمك البورى يؤدى وظيفة الضيف الوسيط الثانى، وظل الضيف الأول غير معروف إلى أن كشف عنه فى سنة ١٩٣٣ وبيّن أنه هو القوقعة المسماة «بالبيرنيللا كوينكا»، ولقد عالج بالبحث الدءوب ذلك الموضوع المعقد، ألا وهو ظهور «الميكرو فيلاريا بنكروفتى» فى الدم أثناء الليل واختفاؤها منه أثناء النهار. وأرجع هذا إلى أن وجود أغلب دودة الفيلاريا فى الجهاز الليمفاوى للحبل المنوى والأطراف السفلى للجسم، ومرور الميكروفيلاريا من القناة الصدرية أثناء نوم المصاب بهذا المرض وازدياد سرعة اللمف بعد هضم الطعام وامتصاصه، وأن اجتماع هذه العوامل يصل بالحد الأقصى لعدد «الميكروفيلاريا» فى الدم الدائرى حول منتصف الليل. ولقد حظيت نظريته هذه بتأييد كثير من العلماء الأفذاذ، أمثال «ليبر»، Leiper فى مؤتمر طب المناطق الحارة بهولندا عام ١٩٣٨».

٤- فى سنة ١٩٣٩ اختير بالإضافة إلى مناصبه الأخرى - مراقبا عاما لمصلحة الأمراض المتوطنة بوزارة الصحة، وأتيح له وهو فى هذا المنصب أن يقوم بحملته المشهورة

لمكافحة بعوضة «الجامبيا» التى كانت قد غزت البلاد من الجنوب وسببت وباء «الملاريا» الهائل الذى ظلت البلاد تخشى غائلته أكثر من عامين.

٥- من أعماله البارزة نجاح مؤتمر تأثير الرى والصرف على الزراعة والصحة الذى قامت به الأكاديمية المصرية للعلوم بمجهوداته، فشرح فيه الأضرار الجسيمة التى تسببها مشروعات الرى الدائم فى نشر عدوى البلهارسيا، وكان الدكتور خليل من أوائل العلماء الذين أثبتوا فائدة كبريتات النحاس فى مكافحة وإبادة قواقع البلهارسيا، ونفذ ذلك بالفعل بنجاح منقطع النظير فى الواحات وكوم امبو، حيث انخفضت نسبة البلهارسيا فى الواحات من ٦٣٪ إلى ٣٪.

ويضاف إلى ذلك ما امتاز به الدكتور خليل ومدرسته العلمية لتوزيع الأمراض الطفيلية ومقدار انتشارها بين سكان مصر، وما جمع من المعلومات بواسطة الأبحاث العملية والميدانية عن القواقع الناقلة لعدوى البلهارسيا ما يكفى لكتابة مجلد ضخم.

٦- فى عام ١٩٤٧ شارك مع الدكتور السنهورى فى تنظيم الجامعة السورية، ولما قدمت له الحكومة السورية شيكا بمبلغ كبير لقاء خدماته، رفض قبوله قائلا: «إنه يسعده أن يعمل كعربى فى خدمة دولة عربية ويكفيه هذا فخرا، ولم يقبل شيئا، ولذلك منحه رئيس الجمهورية السورية وسام الاستحقاق السورى.

٧- نشر الدكتور خليل أكثر من مائتى رسالة علمية فى الفروع المختلفة لطب المناطق الحارة والطفيليات، ويكفى أن يلقى المرء نظرة على مراجعها ليعلم مدى النجاح العظيم الذى ناله كعالم فى الطفيليات وطبيب من أطباء المناطق الحارة الأفذاذ، ومما لا شك فيه أن مؤلفاته عن البلهارسيا والملاريا وداء الفيل والللشمانيا ذات قيمة عظيمة لجميع المشتغلين بعلاج ومكافحة تلك الأمراض، فقد أصبح مركب «الفؤادين» بعد أبحاثه التى أجراها عنه معترفا به من جميع أطباء المناطق الحارة فى علاج البلهارسيا، واعترافا بفضله نسبت عدة طفيليات إلى اسمه.

هذا، وقد حصل الدكتور محمد خليل عبدالخالق على كثير من الأوسمة المصرية والأجنبية تقديرا لكفاءته الممتازة وأبحاثه المبتكرة، كما مثل بلاده فى مؤتمرات عدة فكان مفخرة لها بين الدول ويذكر له زملاؤه المصريون الجهد الكبير الذى بذله فى تأسيس الجمعية الطبية، كما يذكر له الأطباء العرب دوره المهم فى تنسيق المؤتمرات الطبية العربية التى قوت أواصر الاتحاد والصداقة على مستوى العالم العربى.

المراجع:

١- د. أحمد فؤاد باشا، التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة، مطبعة دار المعارف ١٩٨٣م.

٢- د. أحمد الحلوانى، مجلة رسالة العلم، العدد الرابع، ديسمبر ١٩٥٨.

صورة الحياة الدنيا ومعيشتها فى جهنم

للأستاذ الدكتور/ عبدالحليم حفنى

من زيادة الحجة على البشر أننا نلحظ أن الدين كله يتضمن صورة حياة الناس ومعيشتهم، سواء فى العقيدة وفى السلوك والعبادات، بحيث نجد كل شىء فى التشريع الدينى له مثيل واضح الشبه فى حياة الناس، يعرفون هذا المثيل ويألفونه ولا ينكرونه فى حياتهم، ولكنه حينما يأتى به الدين ينكرونه ويجحده الكثيرون، منهم وهذا مجال واسع للحديث فيه، ولكن من أمثلته البعث بعد الموت، فقد كان هو العقبة الكبرى أمام رسل الله، فما من رسول إلا كان الحائل الأكبر بينه وبين تصديق الناس إياه قوله بالبعث بعد الموت والقرآن الكريم يفيض كثيرا فى الأساليب التى كذب الناس بها أن يبعثوا بعد موتهم أحياء ولكنه يجمل ذلك فى قوله تعالى:

﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾[1].

ويعنون بالسحر جودة أسلوب الرسل فى توصيل معانيهم إلى عقول الناس فيجعلوا بعض الناس يصدقونهم بعد أن كانوا شديدى الإنكار كما يفعل بعض السحر فى عقول بعض الناس وعواطفهم، ويعنون بجنون الرسل قولهم: إن الميت يعود إلى الحياة بعد أن يصبح ترابا وعظاما، وهذا فى زعمهم لا يصدر من عاقل، ولذلك يحكى القرآن عن أحدهم قوله بأسلوب ساخر:

﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ ۝ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ ۝ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾[2].

ومع ذلك فإن هذا البعث الذى ينكرونه هذا الإنكار له مثيل واضح الشبه به فى حياة كل الناس وكل الأحياء، وهو اليقظة بعد

(١) الذاريات (٥٢).

(٢) الصافات (٥١-٥٣).

النوم، فالنوم شديد الشبه بالموت علميا وواقعيا، وبالتالي فكما أن الناس جميعا يعرفون النوم ويعرفون الموت فقد كان ينبغي أن يؤمنوا بالبعث بعد الموت كما يعرفون اليقظة بعد النوم، ولن تشق على عقول العقلاء منهم إعادة الجسد إلى الحياة والوجود بعد أن يبلى وينعدم كيانه، فإن له أمثلة كثيرة مشابهة كخلق الإنسان مما يشبه العدم.

وفي موضوعنا الذي يقتضيه العنوان فإن الآخرة أيضا وكل ما فيها له صورة مشابهة أو قريبة المشابهة في الحياة الدنيا، وإن اختلفت الآثار والنتائج في كليهما اختلافا شديدا.

ففي جهنم مثلا وهي التي أعدها الله لعقاب أعدائه نجد كل ما فيها صورة من واقع الحياة وإن اختلفت الآثار بينهما اختلافا عظيما، وذلك أن الناس يغلب عليهم أن يكونوا أحد أنواع ثلاثة:

النوع الأول العامة، وهم الذين يسيطر عليهم في العادة الانشغال بهموم أجسادهم من الطعام والشراب والملبس والمسكن ونحو ذلك فهؤلاء يجدون جهنم قد هيأت لهم كل ما شغلهم عن الله وطاعته، ولكن ذلك كله من نار، فالطعام كثير متوافر، وكما أن الناس عادة يملون التكرار الكثير من طعام فيبحثون تنويع الطعام فكذلك الطعام في جهنم أنواع فهو أحيانا من شجرة الزقوم التي يصف القرآن طعامها بأنه:

﴿ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴾(٣).

وأحيانًا يكون هذا الطعام من نوع آخر هو الغسلين، أي الغسالة التي تسيل من أجساد أهل النار كما يسيل العرق من الجسد، وهذا الغسلين من الصديد والدم في قوله تعالى:

﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴾(٤).

ولكننا نلحظ هنا شيئا مما سنتحدث عنه من أن عذاب أعداء الله من الخاصة أصحاب المنزلة والجاه والسلطان في الدنيا يتميز بأنه لا يتركز في الإيلام والتعذيب الجسدي، وإنما في الإهانة والإذلال النفسي، فإن تجرع الغسلين مهما يكن من صديد أو دم لا يبدو فيه الألم الجسدي، وإنما يتضح فيه الإذلال بإرغامهم على تجرع ما تعافه كل النفوس، وذلك أن هذا الطعام كما تشير الآيات الكريمة مخصص لنوعية السادة الذين لم يغن عنهم يومئذ جاه ولا مال ولا سلطان، فيقول قائلهم:

(٣) الدخان (٤٥، ٤٦) والمهل بضم الميم دردى الزيت وهو الثمالة التي تتبقى من الزيت بعد نفاده من شدة الغلي، والحميم هو الماء الحار الذي سكن من شدة الغليان.

(٤) الحاقة (٣٥، ٣٦).

﴿ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾(٥)

ودون أن تكون لديه أية قوة أو مقاومة يؤمر بوضعه في الأغلال والسلاسل الرهيبة، وبتجريعه هذا الغسلين البغيض، وأحيانا يقدم لأعداء الله نوع آخر من الطعام في جهنم، وهو (الضريع) والضريع نوع من الشوك في الصحراء لا تأكله إلا الإبل فتشبع منه وتسمن عليه، ولكنه في جهنم لا يسمن ولا يغني من جوع، في قوله تعالى:

﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴾(٦).

والهدف الواضح من هذا التصوير هو النزول بهم إلى مستوى البهائم، حيث يتصور كل منهم أنه سيصبح في جهنم نوعا من الماشية التي ترعى، ولكن نارا وعذابا شديدا، وهو من قبيل قوله تعالى:

﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾(٧)

والجامع بينهم وبين الأنعام هو فقدان العقل والتفكير: فهم قد ألغوا عقولهم وعطلوا تفكيرهم فيما يتعلق بالدين والآخرة، فأصبحوا كالأنعام، بل كانت الأنعام خيرا منهم لأنها تطيع من سخرها الله له، بينما هم يتمردون على طاعة الله التي خلقوا من أجلها.

ومن ضرورات الحياة الدنيا ومعيشتها الماء، وهذا أيضا صورته في جهنم، فأهل جهنم لهم فيها شراب كما كان لهم في الدنيا مع الاختلاف الشديد بينهما، فهم أحيانا يضطرون إلى أن يأكلوا من شجر الزقوم حتى تمتلىء بطونهم، وامتلاء البطن يستتبع عادة الحاجة إلى شراب كثير، فيحتاجون إلى شراب كثير، وهو في حقيقته ليس ماء، وإلا لتبخر بالغليان، ولكنه سائل نارى ترتفع درجة حرارته إلى ما لا يعلمه إلا الله، فيشربون ولكنهم لا يرتوون أبدا مهما شربوا، وكأنهم أصيبوا بداء الهيام الذي تصاب به الإبل، وكأنه خلل في مسالكها البولية، فلا يستقر الماء في جوفها ولا ترتوي منه، بل ينزل فتحتاج إلى ماء جديد، وهكذا في قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴾(٨).

والجمل المصاب بالهيام وصفه أهيم، والناقة هيماء، والجمع هيم، والحميم هو الماء أو السائل الذي تناهى في حرارته، وقد تكرر في القرآن وصف شراب أعداء الله في جهنم به، ولكن القرآن يزيد في وصفه بأنه يقطع أمعاء من يشربه في قوله تعالى:

(٥) الحاقة (٢٨، ٢٩).

(٦) الغاشية (٦، ٧).

(٧) الفرقان (٤٤).

(٨) الواقعة (٥١ – ٥٥).

﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾(٩)

ولكن أعداء الله فى صورة أخرى كأنهم اشتد بهم العطش فأخذوا يستغيثون طالبين الماء، فيغاثون بماء يشبه المهل وهو دردى الزيت، ويبلغ من حرارته أن الشارب ما أن يقربه من وجهه قبل أن يشرب حتى يجد حرارة هذا الشراب قد شوت وجهه شيا، فى قوله تعالى:

﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ﴾(١٠).

وفى مشهد آخر يكون شراب أعداء الله فى جهنم ظاهره أنه ماء، وحقيقته أنه صديد تعافه كل نفس، وتنفر منه كل طبيعة وهو من عقاب الخاصة ذوى الجاه والجبروت، عقاب لا يقصد به التعذيب البدنى، وإنما يقصد به الإذلال والإهانة:

﴿ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝ مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ۝ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴾(١١)

والحديث عن أن جهنم تحوى صورة كاملة من الحياة الدنيا وما فيها من أساليب العيش مع الاختلاف الشديد بينهما هو حديث واسع مستفيض تجتزئ منه الأمثلة التالية فى إيجاز شديد، فمن ضرورات حياة الناس وهمومهم فى الدنيا الملبس، وجهنم فيها الثياب، وكما أن الناس يحرصون على التماس الحياكة لضبط الثياب على أجسادهم فكذلك فى جهنم من يقطع الثياب لأعداء الله لتكون مضبوطة على أجسادهم ولكنها من نار:

﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ ﴾(١٢)

وكذلك من هموم الحياة المعيشية السكن، وجهنم فيها لأعداء الله مساكن، ولكن القرآن من باب السخرية بهم لا يجعلها مساكن عادية، بل يصف المسكن بما يشبه الفخامة، حيث يسميه نزلا، والنزل فى عرف العرب ما يعد لنزول القادم الغريب أو المسافر، وهو ما يعرف اليوم بالفندق، وأصحاب الفنادق يتنافسون فى جودة إعداد فنادقهم وما يقدمونه فيها للقادمين، وقد تكرر فى القرآن وصف جهنم بالنزل، كقوله تعالى:

﴿ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ۝ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴾(١٣).

ومن ضرورات الحياة المعيشية الفراش والغطاء، وجهنم فيها فراش وغطاء، فأما الفراش فيصوغه القرآن بأسلوب السخرية من

(٩) محمد (١٥).

(١٠) الكهف (٢٩).

(١١) إبراهيم (١٦، ١٧).

(١٢) الحج (١٩).

(١٣) الواقعة (٩٢، ٩٣).

أعداء الله، فيشبهه بفراش الطفل، وهو المهاد، بمعنى أنه لين ناعم، لأن الأم تختار لفراش رضيعها ألين وأنعم ما لديها، ففى القرآن:

﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ ﴾(١٤) وقد تكرر فى القرآن كثيراً وصف جهنم بالمهاد، ويرتبط بالفراش عادة الغطاء، وكذلك كما أن لأعداء الله فى جهنم فراشا، فكذلك لهم فيها غطاء يضعونه فوقهم عند النوم، ولكنه من نار:

﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾(١٥).

وحتى الاغتسال، بوصفه من حاجات المعيشة يجده أعداء الله فى جهنم، وأهم مظاهر الاغتسال هو صب الماء فوق الرأس لينساب فوق بقية الجسد، فكذلك يفعل بأعداء الله هناك، حيث يصب فوق رءوسهم سائل نارى، وإن كان فى ظاهره يشبه الماء المتناهى فى الحرارة والذى يعرف بالحميم:

﴿ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾(١٦)

والنوع الثانى: هو عقاب الخاصة من الناس ذوى الجاه والمنزلة والسلطان من أعداء الله، فمن الملحوظ بوضوح فى أسلوب القرآن التفريق بين عقاب العامة من الناس وعقاب الخاصة فعقاب العامة يتضح فيه التركيز على الإيلام الجسدى، أما عقاب الخاصة فيتميز بالتركيز فى الإيلام النفسى بالإهانة والإذلال ولو بدون ألم جسدى، ومن هذا القبيل:

العبد يقرع بالعصا
والحر تكفيه المقالة

وأبرز مثال للعذاب البدنى قوله تعالى:

﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾(١٧).

ومن المعروف أن هذا المعنى من إعجاز القرآن، فإن الإحساس بالألم إنما يكون فى طبقة الجلد فقط، بدليل أننا إنما نشعر بالألم من إبرة الحقن عند اختراقها الجلد، ثم لا نشعر بألم مهما توغلت بعد ذلك فى الجسم، ومن هنا نفهم لماذا كان تعبير القرآن بتغيير الجلود دون تغيير ما تحتها من لحم أو عظم، لأن الإحساس بالألم فى الجلود فحسب، وكان الغرض واضحاً:

﴿ لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ ولم يكن هذا معروفا عند نزول القرآن ولا بعده بقرون كثيرة.

وإذن فالقرآن ينذر أعداء الله من عامة الناس ويلوح لهم بالعقاب البدنى لأنهم يخافونه أكثر من خوفهم من الهوان والإذلال.

(١٤) الأعراف (٤١).

(١٥) الأعراف (٤١).

(١٦) الحج (١٩).

(١٧) النساء (٥٦).

أما الخاصة فإنهم يحرصون على كرامتهم ومنزلتهم أكثر من حرصهم على تجنب أى ضرر أو ألم، بل يشيع بينهم أن الموت أهون من الذل، ومن ذلك أمثال وحكم عديدة، نحو (المنية ولا الدنية) وكقول شوقى: (حياة الذل تدفع بالمنايا..) ولذلك نلحظ أن القرآن الكريم يجعل عقاب هذه النوعية عذابا نفسيا فوق العذاب البدنى ونكتفى فى هذا المجال بمثالين لعلهما يوضحان مضمون هذا الحديث، فأما أحدهما فمن شخص معين لم يحدد القرآن اسمه، ولكن من الواضح أنه ذو منزلة كبيرة بين الناس، ويشار إلى هذا بلفظ (عُتُل) وبأنه ذو مال وبنين، وهذا أقصى ما كان يتاح لشخص فى البيئة العربية، فرغم ما يحمله من خلق بالغ السوء، ورغم حربه للدين، وشنه حملات التسفيه والتكذيب لكل ما يقوله الرسول أو يبلغه فإن القرآن يجعل كل عقابه:

﴿ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴾[18].

﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[19]

﴿ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴾ وتعبير:

﴿ سَنَسِمُهُۥ ﴾ من السمة وهى العلامة، والوسم وضع العلامة على الشىء، والخرطوم الأنف، فكل الوعيد لهذا الكافر البالغ السوء فى خلقه، والبالغ الشدة فى كفره وصده عن سبيل الله هو وضع علامة على أنفه، ولو أن شخصا من عامة الناس كان عقابه على جرم أو كفر هو أن يكوى على أنفه لاستخف بهذا العقاب، لأنهم يكتوون أحيانا للعلاج بل ولمجرد تمييز أبناء القبيلة عن غيرهم: ولكن القرآن يجعل الكى لهذا الزعيم على الأنف الذى هو رمز العزة أو الذل، فيقال فى العزة شامخ بأنفه، ويقال فى الذل رغم أنفه، ولو كانت لهذا الزعيم العزيز عند العقاب أية قوة أو مقاومة لآثر الموت على وضع علامة على أنفه رغم أنفه، ولكنه حينذاك خاضع ذليل مستسلم لا حول له، ولا قوة، وهذا مكمن العبرة من الوعيد.

وأما المثال الثانى فمن شخص يصفه القرآن بأنه ﴿ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾[20] وهذا الوصف لا يكون إلا لزعيم بالغ القوة والجاه فى المجتمع، وهذا الكافر الجبار العنيد يلوح له القرآن بجهنم، وفى جهنم ما لا يحصى من أنواع العذاب البالغ الشدة والبشاعة، ولكن لأنه من الخاصة فإن القرآن لا يتوعده بشىء من هذه الأنواع، وإنما يتوعده بالإذلال فى صورة أن يسقى من صديد لا تطيقه نفس آدمية أو غير آدمية، ويرغم على أن يشرب من هذا الصديد، فيشرب لأنه لم يعد

(١٨) القلم (١٦). (١٩) القلم (١٠-١٥). (٢٠) إبراهيم (١٥).

له شىء من جبروته الدنيوى، ولم يعد لديه حول أو قوة أو مقاومة:

﴿ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ۝ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾[21]

والنوع الثالث من الناس نوع لا يعنيه أن يكون أحد النوعين السابقين، عامة الناس أو خاصتهم، وإنما يعنيه البحث عن المنفعة، والتطلع إلى الكسب المادى أو المعنوى أينما كان، ولا يعنيه أن يسلك أى مسلك حسن أو قبيح، كريم أو مهين، طالما يحقق له هذا المسلك كسبا ماديا كالمال، أو معنويا كالجاه أو المنصب، وهذا النوع واضح معروف فى كل مجال وكل فئة، ومن كثرة هذا النوع وتعدد أساليبه ومسالكه التى تنتهى كلها إلى المصلحة الشخصية والمنفعة الذاتية فإن القرآن أفاض فى حديثها وفى وعيدها، ولكنه يركز الوعيد فى عكس ما يهدفون إليه، فحيث كان هدفهم جميعا هو الكسب فإن وعيدهم ينصب فى الخسران، ليتأملوا فى أنهم وإن بدا لهم أنهم ربحوا وكسبوا فإنهم فى الحقيقة خاسرون، لأنهم إن فرطوا فى رضا الله طلبا للنفع، فإن أى كسب دنيوى لا يعوضهم عن رضا الله فيكونون خاسرين فى الآخرة، وإن فرطوا فى أخلاقهم وكرامتهم طلبا للنفع أى نفع يخسرون احترام الناس وتقديرهم فيكونوا خاسرين فى الدنيا خسارة لا يعوضها أى كسب دنيوى، وأحيانا تجتمع الخسارتان فى شخص فيكون قد خسر الدارين معا كما فى القرآن الكريم:

﴿ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾[22].

والقرآن الكريم يبلغ من انذاره وتحذيره لهذه النوعية من طلاب النفع والكسب على حساب دينهم أو خلقهم أن يحذر حتى عباده المؤمنين من الانسياق فى هذا التيار محذرا إياهم أن من يلهه طلب النفع والكسب عن طاعة الله وذكره فهو من الخاسرين ولو كان معدودا بين المؤمنين، لأن الكسب والربح الحقيقى هو فى الحرص على طاعة الله ورضاه، فإذا غلبه حب الدنيا وطلب الكسب على طاعة الله فهو حينئذ من الخاسرين:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[23].

وإذا كان بعض المؤمنين تكون نهايتهم الخسران فمن باب أولى أعداء الله فهم فى بدايتهم ونهايتهم خاسرون، وحتى حينما يكونون فى عذاب جهنم يضاف إلى عذابهم بالنار عذاب نفسى أليم، هو شعورهم بأنهم كانوا خاسرين فى مسلك كانوا يحسبونه كسبا ونفعا.

(٢١) إبراهيم (١٥، ١٧). (٢٢) الحج (١١). (٢٣) المنافقون (٩).

حلقات الذكر مناقشات وحوارات

لفضيلة الشيخ
الطاهر الحامدى

كثر الجدل وطال حول حلق الذكر ؛ كثر كماً وطال زمناً وكثير من القضايا التى تطرح على مائدة الحوار تأخذ مساحات تطول أو تقصر إلا أن هذه المسألة من بين المسائل التى كثر حولها الجدل تتسم بأنها لم ينته الحوار حولها إلا أنها قد تخبو أحياناً لكنه لا ينتهى.

وأنا أردد هذه الأفكار كأنى أحدث شخصاً إلى جوارى لكنى كنت أفكر بصوت عال.

أقبل علىَّ صاحبى قائلا: كأنه يتوسل: أرجوك أرحنى من مشكلة طالما أرقتنى كثيراً وأعطنى فيها القول الفصل حتى أستقر وينتهى الحوار حولها.

قلت مبادراً: هات ما عندك.

قال: لقد طال الجدل وكثرت الآراء بين القبول والرفض حول حلق الذكر وهل يكون من قيام أو من قعود وما يكون فيه من تمايل واضطراب.

قلت على الفور: مهلاً خل من غلوائك وشططك وما هكذا يكون الحكم على اختلاف الفهوم، وطالما أن هناك بشراً يعقلون فلابد أن تختلف العقول حدة وبلادة ولابد أن تتباين الأذواق رقة وخشونة. وتلك طبيعة البشر. وطبيعة الحياة حتى الأزهار الجميلة فى الحديقة الرائعة التى تبدو متناسقة تقدم صورة رائعة تعجبك هى فى الواقع جد مختلفة متباينة ولولا اختلافها ما كانت هذه الصورة الرائعة التى تروق لك ومع كل ذلك قد لا تعجبُ الآخرين.

ولذلك يقولون بحق فى عبارة صادقة ـ لولا اختلاف الأذواق لبارت السلع ـ فلكلٍ مذاق ولكل مذاقٍ عشاقه ومريدوه.

فاسمح لى أن أستطرد معك فأقول: إنه كلما اتسعت مدارك العقول كان احتمال الاختلاف قائماً. وكلما اتسع نطاق العلم مهد الطريق لتباينه.

قال تعالى:

﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾(١).

فالاختلاف والتباين ظاهرة صحية مادام فى نطاق الأخلاق وفى منأى عن الهوى لكننا نكرهه لأننا جد متخلفون ورثنا طبائع الاستبداد سادة وعبيداً، حكاماً ومحكومين، حتى غدونا نماذج مكررة ممسوخة.

قال صاحبى قلقاً ضجراً مما أقول: كأنك تحرض على الخلاف.

قلت مبادراً: أنت تخلط بين خلاف الرأى الذى يثرى العقول والعلوم ويهذب الأذواق والفنون وبين الاختلاف الذى هو طريق العراك والخصام. كأنك ترى أن كل من يخالفك فى الرأى عدوك وكل من اتفق معك صديقك، لكنى أرى فى مودة المخالفة ما يريح عقلى وقلبى خيراً من متابعة قطعان موافقة لن تغير من مسار الأمة شيئاً!! فى رأيى أن خلافاً فى الرأى قد يصلح اعوجاج المسيرة خير من موافقة تزيدنا فى النهاية ضلالاً وحيرة.

لقد قال الشاعر الحكيم:

رأى الجماعة لا تشقى البلاد به
رغم الخلاف ورأى الفرد يشقيها

قال صاحبى: أسألك عن مجالس الذكر وما يحدث فيها وما يثار حولها فتطوح بى فى مجالات شتى ما خطرت لى ببال.

قلت: نعم أنت تسألنى عن مجالس الذكر. وأنا أعلم أنك لست وحدك الذى تسأل عنها لكن غيرك كثيرين ولعلك تسأل تريد أن تعرف لكن غيرك يسأل وهو ضيق الصدر متبرم وكأنه يريد أن يستدرجك إلى حلبة صراع يتصور أن له الغلبة فيها ورغم أنى لا أحب هذا اللون من الناس ولا أتخيل أن العلم والدين حلبة للصراع لكنى برغم ذلك لست أضيق من السائلين أو المنكرين ففى ساحة العلماء والمتدينين متسع للجميع. على أننى أرى أنه كلما ساد العلم فى مجتمع وقع بينه الخلاف وليس الاختلاف. وفى ضوء هذا أفهم قوله تعالى - الذى سبق أن ذكرته لك:

﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾

وكأن هذا حقيقة كونية أو كأنه قدر من عند الله. وفى ضوء هذا أفهم قوله تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾(٢).

وفى ضوء ما سبق أستطيع أن أؤكد لك أننى لا أبغى من ذلك أن يكون الناس جميعاً

---

(١) آل عمران: ١٩.

(٢) هود: ١١٨.

يوافقونني في الرأى يحبون الذكر كما أحبه ويغشون حلقات الذكر بل ويتهتكون فيه ويتواجدون من الوجد صادقين كم أحب أن يمن الله تعالى عليّ بذلك.

قال صاحبي: كيف ذلك؟

قلت: على الإنسان أن يتبرأ من الهوى ومن الرغبة في الاستبداد وأنه يريد أن يشكل الناس كما يحب.

إذا تخلصنا من هذه الأمراض المزمنة. فأنا أحس في أكثر الخلافات أن الناس يتمذهبون ويعادون المخالفين أولاً إن رغباً أو رهباً، ثم يبحثون عن المبررات، وإلا قل لي بربك: نحن لا نستطيع أن ننكر الذكر فقد حثت الآيات الواضحة الصريحة عليه فكم من آية تحث وتمدح الذاكرين كثيراً والذاكرات.

أعتقد أنه في ضوء سماحة الإسلام ويسره ووضوح اللغة والتشريع لايمكن أن نقيد الذكر بأسلوب أو طريقة وتخلط بين الذكر والتفكر فإني رأيت في كتابات كثيرة من يصر في عناد غريب على أن ذكر الله جهراً أو سراً باللسان وترديد أي من أسمائه ليس هو المقصود بكلمة ذكر وكأنه سوءة يريد التهرب منها فهو يصر على ليّ كلمة ذكر إلى فكر ويغير من معنى الكلمات ويقول: إن مجالس الذكر هي مجالس العلم أو قراءة القرآن.

قال صاحبي: وكأنه وقع على ضالته: نعم جزاك الله خيراً.. كم أضيق بهذا اللون من الناس الذين يهاجمون مجالس الذكر وحلقات الذكر فأنا أحبها.

قلت على الفور: لا تجعل حبك لشيء وبغضك له مقياس حكمك على الناس إن وافقوك فيما تحب فهم أحبابك وخلانك. وإن أبغضوا ما تبغض فهم حلفاؤك وأنصارك ذلك مقياس يصلح في أمور الدنيا.

أما في أمر الدين فلا، إن المنطق السليم يقتضي منا أن نقول: إن ذكر الله ـ تعالى ـ عام يشمل القلبي واللساني وأن ذكر الله ـ تعالى ـ يكون بقراءة القرآن كما يكون بمدارسة العلم لكن لا نستطيع أن نرفض من يذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ مرددا اسماً من أسمائه فرداً أو جماعة قياماً أو قعوداً متمايلين أو غير متمايلين فغير ذلك يصبح تحكماً في النص لا تؤيده اللغة ولا الدين ولا السنة المطهرة، وأذكر قول رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح: «إن لله ـ تعالى ـ ملائكة سيارة يبغون مجالس الذكر في الأرض فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر قعدوا وحف بعضهم بعضاً حتى بلغوا عنان السماء فإذا انصرفوا صعد الملائكة فيسألهم ربهم كيف وجدتم عبادي؟ فيقولون: يارب وجدناهم يسبحونك ويحمدونك ويسألونك ويستعيذونك ويهللونك. يقول الله تعالى: وما يسألونني؟ قالوا: يسألونك جنتك. قال: وهل رأوها؟ قالوا: لا فيقول: فما بالهم لو رأوها؟ قالوا: يقولون كانوا أشد لها طلبا، قال: ومما يستعيذونني؟ قالوا: يستعيذونك من النار. قال: وهل رأوها؟ قالوا: لا يارب.. قال: فما بالهم لو رأوها؟ قالوا: كانوا أشد

منها هرباً.. ثم يقول الله ـ تعالى ـ: اشهدوا يا ملائكتي أني قد غفرت لهم.. فيقول ملك من الملائكة: يا ربي إن فيهم فلان ليس منهم. فيقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ وله غفرت.. فيقول يا رب إنما جاء لحاجة.. فيقول: وله غفرت.. فيقول: إنما كان ماراً فجلس.. فيقول: وله غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم».

والذي أحب أن أركز عليه أن أنبه المنكرين لمجالس الذكر المعهودة المعروفة عند جماعات الصوفية بذكر اسم من أسمائه تعالى يؤدونه بصوت وهم وقوف يتمايلون.

أحب أن أقول بلا تشنج أو تحيز أو هوى للمنكرين:

إن مجالس القرآن أو مجالس العلم. لا أرفض أن تكون من الذكر لكني أرفض أن ينحصر الذكر فيها ودليلنا هذا الحديث الذي ذكرت وكلمة واحدة فيه أرجو أن يشرح لي أحدهم معناها هذه الكلمة ومعنى اللغة ومعنى التراث ومعنى الشريعة وهو معنى كلمة «يهللونك» إن معناها يقولون «لا إله إلا الله» فذلك أسلوب يُعرف في اللغة بالنحت كما تقول «بسمل»، «حوقل» تعني أنه قال: «بسم الله الرحمن الرحيم» «ولا حول ولا قوة إلا بالله» وكلمة لا إله إلا الله لايطلق عليها قرآن أو علم.

فهل يعقد المجلس للذكر ويسمى مجلسا عرفاً وشرعاً فيمن يقول «لا إله إلا الله» مرة واحدة أم أنه قد يطول المجلس وقد يتهتك الذاكرون.

وقد روى عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «اكثروا من ذكر الله حتى يقولوا مجنون»(٣).

وعن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له – جُمدان – فقال سبق المفرِّدون فقالوا: وما المفردون يا رسول الله قال: «الذاكرين الله كثيراً والذاكرات»(٤). واللفظ لمسلم وفي الترمذي ولفظه: «يا رسول الله وما المفردون قال: المستهترون بذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم يأتون يوم القيامة كذلك».

ولا تزعجك كلمة المستهترين فالذي أفهمه منها في ضوء الحديث قبله حتى يقولوا مجنون أنها تعني الذي لا يبالي بهيئته رضي الناس عنها أم سخطوا.. قال صاحبي: جزاك الله خيراً ما كنت أحسب أن الأمر كذلك.

قلت: لا عليك لكن الذي يفزعني أن أناساً يلوون عنق النصوص لتوافق هواهم أو هوى من يتبعونهم.

كما أن هناك من الذاكرين من ليس على مستوى الذكر وسوف نفرد لهم حلقات أخرى إن شاء الله.

---

(٣) أحمد ٣/٦٨ – ابن حبان ٣/٩٩ – الحاكم ١/٦٧٧.

(٤) مسلم واللفظ له جـ ٤ ص٢٠٦٢.

نشأة الصراع بين الشرق والغرب وتطوره

٢

للأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعني

تبين لنا من الحديث السابق أن الغرب يريد القضاء على الشرق، لا بمعنى إبادة كل من فيه، ولكن بمعنى إبقائه هزيلا لا تأثير له في الحياة، حتى يمكن السيطرة عليه، ويكون تابعا ذليلا للغرب، ولا حرج عند الغرب أن يستعين على بلوغ هذه الغاية بأشكال مختلفة من الصدام المسلح.

في هذه المرحلة نهض الدعاة كما تقدم بواجبهم نحو تبصير الأمة حكاما ومحكومين بفداحة الخطر المرتقب، لكن رجال السياسة لم يعيروا الأمة أي اهتمام، وارتموا في أحضان قوى الغرب حتى وصلنا إلى ما نحن عليه- من حالة الضياع والهوان التي تعيش فيها الأمة العريقة، التي خانها بنوها.

حقا إن الدعاة لم يتركوا كلمة، فيها نصح للأمة ورعاية لحرماتها إلا كتبوها أو أذاعوها، أو بثوها بأي الوسائل الممكنة، ولكن أصواتهم ذهبت بددا.

●●●

ومن أبرز ملامح التطور في الصراع بين الشرق والغرب، أو الإسلام والصليبية، مرحلة مهمة للغاية امتدت عقودا من الزمان المبكر في بدء العلاقات بين أوروبا والإسلام، وبخاصة في مصر والهند إبان احتلال الانجليز لهما.

هذه المرحلة كانت تحمل عدة مسميات منها:

تحضير الإسلام، ثم تطوير الإسلام، ثم تحديث الإسلام، والمقصود من العبارات الثلاث واحد، هو إحداث تغيير في مبادىء الإسلام وقيمه، حتى يتلاءم تماما مع مبادىء الحضارة الغربية المادية الحديثة أو بعبارة أجمع وأوضح كانوا يريدون إحلال الحضارة الغربية محل الحضارة الإسلامية وبذل الاستعمار جهودا مضنية في هذا الشأن طوال وجوده على أرض مصر ولكن الأزهر الشريف

وقف عقبة كئودا في وجه الاستعمار الإنجليزي، وحطم كل ما استهدفه في تغيير نظام التعليم الإسلامي في الأزهر الشريف. رغم وجود عملاء كانوا يساعدون الإنجليز على بلوغ هذا الهدف.

كما أن سيطرة الاستعمار الإنجليزي على شئون البلاد كبيرها وصغيرها ساعدتهم بعد اليأس من الأزهر، على أن يخترقوا النظام المصري العام من خارج الأزهر.

كان الإنجليز يريدون من التعليم في مصر أن يكون غربيا أجنبيا.

وكانوا يريدون من القضاء المصري أن يكون خاضعا لمبادىء القانون والفقه الوضعي في الغرب.

وكانوا يريدون من قادة مصر وحكامها أن يكونوا موالين، أو عبيداً للحضارة الغربية.

وكانوا يريدون من التفكير اليومي في مصر أن يكون أنموذجا من الحياة الأوروبية.

ثم كانوا يريدون إقصاء الأزهر تماما عن الحياة المصرية، وتكريه أولياء أمور التلاميذ من التعليم الأزهر ويعلق اللورد كرومر قطب الاستعمار الإنجليزي في مصر في ذلك الحين على هذه الخطوة بقوله:

«فعلى الأزهر ـ إذن ـ أن يطور نفسه أو يموت»؟!!

هذه هي خطوط السياسة الانجليزية في مصر في عهد الاحتلال.. فتعال معي لنعرف ماذا فعل الانجليز لتحقيق كل خطوة منها:

● فبالنسبة لإحداث تغيير جوهري في شكل التعليم أنشأوا فعلا نوعا عاما من التعليم جعلوا لغته هي اللغة الإنجليزية والمواد العلمية التي تدرس فيه تخلو من المعارف الإسلامية والدينية إلا نادرا وأولوه عناية فائقة في الشكل والموضوع، والاهتمام الصحي والاجتماعي للتلاميذ وللمدرسين وللموظفين، وللعاملين فيه، وكان القصد من ذلك الترغيب الشديد في الإقبال على هذا التعليم الحديث ثم الإعراض عن التعليم الأزهري الذي كانوا يرون فيه عائقا لتحقيق مطامعهم في مصر.

هذا قبل التخرج، أما بعد التخرج فقد ألحقوا خريجي هذا التعليم بالوظائف الراقية، ذات الرواتب والجوائز العالية.

فكان أول مربوط خريجي المدارس الحديثة أربعة جنيهات مصرية، وهو راتب كان يؤهل صاحبه لأن يعيش في أرقى أحياء القاهرة ويحيا حياة كريمة.

أما خريجو معاهد الأزهر فكان الواحد منهم يتقاضى مائتين وأربعين قرشا، لا تكاد تفي بمطالبه الضرورية والوظائف التي كانوا يلحقون بها من أدنى الوظائف وأحقرها، كالحراسات الليلية، والأعمال الكتابية المضنية.

وهذا أسلوب خبيث كما ترى، كان المراد منه تكريه الناس في التعليم الأزهري والوظائف التي يؤهل إليها ولعلك تلاحظ فداحة الظلم بين خريجين يقضون في التعليم

وقتا واحداً، ثم يفرق بينهما في الفرص المتكافئة إلى هذا الحد الشديد الغبن.

ولاشك أن هذه الدراسة أحدثت ضرراً كبيراً بالأزهر في ذلك الوقت وتراجع ولاة الأمور عن إلحاق أبنائهم به إلا من عصمه الله.

●●●

وبالنسبة لما كانوا يريدونه من القضاء، وهو الحكم بالقوانين الوضعية المناوئة لأحكام الشريعة الإسلامية، فقد أنشأوا ما يسمى بمدرسة القضاء الشرعي، وهي مؤسسة على مناهج منافية للإسلام، وكان الشيخ محمد عبده ممن اشترك في وضع نظام هذه المدرسة وكان القصد منها إمداد وزارة «الحقانية» بالقضاة «الموظفين» الذين يصدرون أحكاما مخالفة للشريعة الإسلامية، ووجدت هذه المدرسة معارضة شديدة من الشعب المصري بقيادة علماء الأزهر وظلت حبيسة الأدراج إلى أن ولى الانجليز سعد زغلول وزارة المعارف، فقام بافتتاح المدرسة وبدء الدراسة بها على المنوال الذي أراده الإنجليز، وبدأ ازدواج القضاء في مصر من ذلك الوقت.
محاكم يقوم بالفصل بين الخصومات فيها علماء أزهريون وفق كتاب الله وسنة رسوله.

ومحاكم يقوم بالقضاء فيها خريجوا مدرسة القضاء الشرعي، وفق قواعد القوانين الغربية الوضعية.

● أما القادة والحكام الذين كان الإنجليز يريدونهم لمصر، فهؤلاء كان من المستحيل أن يكونوا من الأزهر، فاتجه الإنجليز إلى إنشاء «كلية فيكتوريا» في الإسكندرية.

وبهذه الخطوات الثلاث، أمكن للاستعمار الانجليزي أن يخوض صراعا مريرا مع الأزهر للنيل من الإسلام ومبادئه ومن اللغة العربية، وآدابها وفنونها وأصبحت عملية الغزو جاهزة :

● تعليم عام أوروبي.

● مدرسة تخرج القضاة حسب الطلب.

● كلية يصنع فيها قادة مصر وحكامها من منظور حضاري غربي.

وفعلا احتلت الحضارة الغربية الحديثة مواقع كان يشغلها الإسلام فكرا وعلما وعقيدة وثقافة.

وهذا الغزو تم في عقر ديار الإسلام للخيانات والعمالات الدنيئة، ويكفي أن يعلم الشباب أن وسط هذا العدوان السافر من الإنجليز على مصر، كان أحمد لطفي السيد «أستاذ الجيل» يقول : إن الانجليز هم ولاة أمورنا.

● أما الأزهر فظل صامدا أمام مطامع الإنجليز، ولما رأوه بهذه الدرجة من الصلابة يئسوا منه لكنهم أكثروا من الأعمال التي تصيب رسالة الأزهر في الصميم.

ومن أبرز هذه الأعمال إصدار الرسائل والكتيبات التي تصدر بأسماء شخصيات مصرية مسلمة، وأحيانا غير مسلمة بل مصرية فقط، ومن ذلك كتاب : «الإسلام، وأصول الحكم» للشيخ علي عبدالرازق، أحد

القضاة الشرعيين ويحمل هذا الكتاب أفكارا مدمرة من شأنها القضاء على رسالة الإسلام وتشويه حقائقه، ومن تلك الأفكار المدمرة :

● أن الإسلام دين لا دولة وأنه علاقة خاصة بين العبد وربه، مكانه المسجد والخلوة، والمحاريب، ولا شأن له بإدارة الحياة لاسلما ولا حربا، بل هذا متروك للحكومة المدنية تفعل ما تريد دون الخضوع لآية من كتاب الله، أو حديث من سنة رسول الله ؟

● الجهاد ليس فريضة من فرائض الإسلام ولكنه بدعة لجأ إليها المسلمون لجمع المال والاستيلاء على خيرات الشعوب بسبب حالات الفقر التي كانوا يمرون بها، ولولا الفقر ما حاربوا.

وأشياء أخرى كثيرة مثل أفكار الخلافة أو الوحدة الإسلامية.

أثار هذا الكتاب ضجة في مصر وفي غير مصر من العالم الإسلامي لصدوره في أعقاب الحرب العالمية الأولى وسقوط دولة الخلافة أمام الحلفاء ووقوع البلاد العربية والإسلاميةفي قبضة دول الاستعمار وبخاصة إنجلترا وفرنسا.

ثم اتضح أن هذا الكتاب ليس من تأليف الشيخ علي عبدالرازق العالم الأزهري بل هومذكرة إعلامية كانت المخابرات الإنجليزية قد وضعتها قبل شن الحرب على دولة الخلافة، وكان الهدف منها الترويج بين الشعوب الاسلامية بأن الجهاد ليس واجبا، وبذلك يسهل على إنجلترا وفرنسا كسب الحرب بأقل جهد يبذل.

وأن صلة الشيخ علي عبدالرازق بهذا الكتاب هو وضع اسمه كعالم أزهري مسلم على غلافه ليروج بين أيدي المسلمين.

وهذا الكتاب ـ كما ترى ـ داخل في إطار إحلال الحضارة المادية الحديثة موضع حضارة الإسلام، لأن فصل الدين عن الدولة، جعل الدين مسألة شخصية بين الخالق والمخلوق وأن الدين مجاله القلب والخلاوي والمحاريب.

هذه المفاهيم كانت من مبادىء الثورة الفرنسية، التي تتصدر معالم الحضارة في أوروبا.

وقد هول الغرب من شأن هذا الكتاب كثيرا واعتبروه هو المفهوم الصحيح عن الإسلام كما عزف على أوتاره العلمانيون العرب وما يزالون، لأنه يحول مفهوم الإسلام إلى كومة من «الرماد».

●●●

ومن المحاولات الخطيرة في شأن الكتابين اللذين صدرا لقاسم أمين، (محرر) المرأة كما يقولون، وهما : المرأة الجديدة ثم تحرير المرأة.

وفي هذين الكتابين حاول الكاتب أن يطمس آداب الإسلام وأخلاقه التي تنظم الأسرة المسلمة، ودعا المرأة الشرقية المسلمة أن تكون في سلوكها ومظهرها ومخبرها صورة طبق الأصل من المرأة الأوروبية وعلاقاتها الحرة في المجتمع.

وقد أحدث كتابا قاسم أمين رد فعل عنيفا فى ذلك الوقت وأثرهما مايزال يتكرر فى واقع المرأة المثقفة، ويكفى أن نشير إلى أن مؤتمرا عقد فى مصر عام ٢٠٠٠م يبحث فى حقوق المرأة فى ظل أفكار قاسم أمين يكفى أن نشير إلى حجم التخريب الفكرى الذى وصلنا إليه. فقد طالبت المؤتمرات بإلغاء الفرق بين الأخت وأخيها في الميراث كما طالبت بإلغاء نظام العدة التى شرعها الإسلام للمطلقات، أو المتوفى عنهن أزواجهن، واستندن فى هذا الهراء إلى أن الكشف الطبى على رحم المرأة يوم تطليقها أو وفاة زوجها يكفى فى بيان إن كانت المرأة حاملا من الزوج السابق أو غير حامل، فإذا كانت غير حامل جاز لها أن تتزوج رجلا غيره فى نفس يوم الوفاة أو الطلاق؟

هذا هو تحرير المرأة عند أتباع قاسم أمين تطالب به مثقفات كبريات ممن يحملن درجات علمية عالية في العرف الأكاديمي الحديث.

● وكتاب ثالث صدر لعميد الأدب العربى د. طه حسين، هو كتاب فى الشعر الجاهلى وخلاصة ما ورد فى هذا الكتاب أن الشعر الجاهلى غير صحيح النسبة إلى عرب الجاهلية بل هو شعر منحول «مكذوب» والذى افتراه ونسبه إلى عرب الجاهلية هم المسلمون من الصحابة، والتابعين وتابعيهم وكان الغرض من افترائه أن يثبت المسلمون فى صدر الإسلام وماتلاه عروبة القرآن فيذكرون الكلمة من القرآن، ويذكرون لها نظيراً ورد فى شعر العرب، وبذلك - وحده - يكون القرآن عربيا.

هذا هو المحور الأساسى الذى قام عليه هذا الكتاب. وهو ليس من بنات أفكار د. طه حسين، بل سبقه اليه المستشرق الإنجليزى مارجليوث وكان من أساتذة الجامعة المصرية القديمة، فجاء تلميذه الوفى د. طه حسين وأخذ هذه الفكرة وطورها والحق بها كثيراً من الافتراضات والأوهام هذه الكتب الثلاثة أو الأربعة:

● المرأة الجديدة، تحرير المرأة، الإسلام وأصول الحكم، فى الشعر الجاهلى، هذه الكتب صدرت فى فترة زمنية واحدة فى الربع الأولى من القرن العشرين مع تفاوت يسير وهذا يدل على أن تخطيطا ما كان وراء صدورها. لإنها جميعا تمهد لإحلال الحضارة الغربية المادية «الكافرة» محل الحضارة الإسلامية.

وكل كتاب منها يحمل سما زُعافا، وبخاصة كتاب د. طه حسين، وماذكرنا من مساوئه إلا نادراً.

ومن تلك المساوئ التشكيك فى عدالة الصحابة والتابعين، وسريان ذلك على القرآن والحديث؛ لأن الذين يزورون الشعر الجاهلى.، ليس ببعيد عليهم أن يزوروا القرآن نفسه والحديث الشريف وهذا كان يقصده المستشرق مارجليوث قطعا، ثم جاراه فيه عميد الأدب العربى، بل زاد عليه مالم يقله مرجليوث نفسه.

أبداً لن يضيع العراق

للأستاذ / أحمد السيد تقي الدين

وتمر الأيام تباعاً ويعجز الأمريكيون بما يملكون من تكنولوجيا متطورة عن إثبات امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل.

وقد أكدت صحيفة «نيويورك تايمز» الأمريكية أن الفشل حتى الآن فى العثور على أسلحة دمار شامل فى العراق والتى كانت المبرر الرئيسى لغزوه.. أو العثور على أى أدلة حاسمة لتأكيد العلاقة بين صدام حسين وتنظيم القاعدة.. يثير تساؤلات جادة تجاه نوعية وصحة المعلومات الاستخباراتية الأمريكية.. كما يثير تلميحات مريبة بأن هذه البيانات قد تم التلاعب فيها لتأييد شن حرب على العراق.

وشيئاً فشيئاً تتضح أكذوبة الولايات المتحدة الأمريكية الكبرى.. أكذوبة تحرير العراق من حكامه. فالولايات المتحدة تسعى إلى تكريس احتلالها للعراق رغبة فى نهب ثرواته لمعالجة مشاكلها الاقتصادية.

صحيح أنها حققت كسباً سياسياً هائلاً بنجاحها فى رفع العقوبات الاقتصادية عن العراق، وذلك بصدور قرار مجلس الأمن رقم ١٤٨٣ والذى مثل اعترافاً دولياً وعالمياً بانفرادها ومعها التابع المخلص «بريطانيا» بحكم العراق وإدارة مقدراته الاقتصادية الهائلة.



تومى فرانكس

ولكن هيهات أن تهنأ الولايات المتحدة بانتصارها المزعوم.. ذلك الانتصار الذى أثبتت الأيام أنه لم يتحقق إلا بالرشوة والخديعة، فها هو تومى فرانكس قائد قوات الغزو الأمريكية يقر ويعترف بأن قواته قد فشلت فشلاً ذريعاً فى حسم أى مواجهة عسكرية خاضتها داخل العراق برغم الفارق الرهيب فى التسليح، ولولا ما تم من رشوة كبار ضباط الجيش العراقى ما تم لأمريكا حسم المعركة.

ولكن الواقع يؤكد أن العراق أبداً لن يضيع.. الشعب العراقى الحر أعلن الحرب والمقاومة الشعبية ضد الغزاة الطامعين فى ثروات بلادهم.

وعجز (جاى جارنر) عن قمع مقاومة الشعب العراقى، فاستبدلته الولايات المتحدة بـ (بول بريمر) وبدأت الولايات المتحدة تعترف صراحة بأنها تواجه مأزقاً حقيقياً فى العراق.

مؤخراً اعترف (بول وولفوتيز) مساعد وزير الدفاع الأمريكى وأحد صناع قرار الحرب ضد العراق، اعترف أمام لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكى بأن القوات الأمريكية تواجه مأزقاً حقيقياً فى العراق، حيث لازالت فى حالة قتال ضد عشرات الآلاف ممن أسماهم بـ(المقاتلين المسلمين) حيث رفض استخدام عبارة المقاتلين العراقيين حتى يوحى بأن الشعب العراقى قد استسلم وأن الخطر الذى تواجهة القوات الأمريكية فى العراق هو خطر المتطوعين المسلمين القادمين من شتى بقاع العالم الإسلامى.. والذين اصطلح على تسميتهم ظلماً وعدواناً بـ(الإرهابيين).

وعقب السيناتور (ريتشارد لوجار) رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكى على اعتراف (بول وولفوتيز) بقوله: «الانتصار الأمريكى فى العراق يواجه خطراً كبيراً» وهكذا فإن الانتصار العسكرى السريع الذى حققته الولايات المتحدة فى العراق أصبح اليوم بمثل كارثة للأمريكيين، فالحكومة الأمريكية لا تستطيع أن تجد مبرراً تعلنه للرأى العام عن أسباب فشلها فى السيطرة على العراق بعد أن أعلنت رسمياً سقوطه فى قبضتها.. ماذا ستقول الولايات المتحدة؟ هل ستجرؤ على القول بأنها لم تضع احتمال المقاومة الشعبية ضمن حساباتها؟

ومؤخراً أكدت صحيفة الواشنطن بوست الأمريكية أن جندياً أمريكياً على الأقل يقتل يومياً فى العراق.

أجل الولايات المتحدة بدأت بالفعل فى تنفيذ خطوات انسحابها من العراق، أو فلنسمه نحن (الاندحار الكبير) فاعتراف (تومى فرانكس) قائد القوات الأمريكية فى العراق بأن الانتصار الأمريكى جاء نتيجة مباشرة لخيانة قادة الجيش العراقى مقابل أجر وصفه بأنه زهيد جداً يمثل بداية الإعداد لتهيئة الرأى العام الأمريكى للانسحاب من العراق.

وكالات الأنباء والصحف الدولية أكدت أن الجيش العراقى بدأ فى تجميع صفوفه وشن حرب عصابات حقيقية ضد قوات الاحتلال.. وقد قدرت القوات العراقية بـ(مئات الآلاف) من الضباط والجنود الذين اكتشفوا خيانة نظامهم الحاكم الذى باع العراق لقاء حفنة من الدولارات فقرروا الاعتماد على أنفسهم وتجميع صفوفهم لتحرير بلادهم، وجاءت عملية (الفالوجة) التى سقط فيها عدد من القتلى الأمريكيين ترفض الولايات المتحدة الإفصاح عنه بما يؤكد فداحة خسائرها فى هذه العملية.

حرب العراق لم تنته وأبداً لن تسقط العراق، فالشعب العراقى شعب مسلم عربى أبى يأبى الضيم وسيواصل المقاومة، وحتى عملاء الولايات المتحدة مثل (أحمد جلبى) اعترفوا صراحة بأن الولايات المتحدة خدعت (المعارضة العراقية) لحساب أطماعها ومصالحها الخاصة.

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ الحج (٤٠)

قصة العدد

مقتل طاغية

للأستاذ / شوقى محمود أبو ناجى

مشى الرمق بن زيد بن امرئ القيس فى دروب حوران وهو مبهور بما يرى من مظاهر الجمال والحضارة التى لا عهد له بمثلها فى البادية العربية. وهذه الحدائق الغناء التى تجود بما لذ وطاب من فواكه، إن كان قد سمع بأسمائها فهو لا يستطيع التمييز بينها. وها هى ذى معروضة فى الأسواق. يستمتع الإنسان بجمال منظرها قبل أن يتذوق حلاوتها. أين نخل البلح الذى لا يكادون يعرفون سواه فى يثرب من هذه الصنوف التى لا يعرف عددها. وهذه الدور الأنيقة المتراصة وقد افتن البناءون فى هندستها. أين منها دورهم المتواضعة، أو حتى دور اليهود وآطامهم وحصونهم ومشى مأخوذا بما أنعم الله على الشام من جمال، وعلى أهلها من الدعة والرفاهية.. حتى وصل إلى قصر الملك الغسانى، واستجمع أطراف شجاعته، وجعل يستعيد - فى نفسه - ما أعد من عذب الحديث، وما نسج من الشعر الرقيق كى يستميل به عاطفة الملك فلابد لهذه السفارة أن تؤتى ما يؤمل منها، وما ينتظر قومه من الأوس والخزرج. وعندما أذن الملك للرمق أن يرفع رأسه من السجود. استولى العجب على الملك من سحنة هذا الرجل التى تفتقر إلى الحد الأدنى من الوسامة. ونظر بفضول إلى هذا الوجه شديد الدمامة. ولكن سرعان ما نظر إليه باهتمام وهو يستمع إلى الألفاظ. الساحرة تخرج من بين شفتيه. وإلى الشعر الجميل الذى يمس أوتار القلوب وهو يبسط على مسامع الملك ما جاء من أجله. والسبب الذى حدا بقومه من الأوس والخزرج أن يجعلوه رسولهم إلى الملك وكيف أنهم يعقدون الآمال على نجدته لهم قبل أن ينقض عليهم اليهود.

شرح الرمق للملك كيف استبد ملك اليهود على يثرب «الفيطون»، وكيف أغراه أتباعه بالبطش بكل من يخالفه فأذعنت له يهود، وكيف سولت له نفسه أن يستذل من فى المدينة من العرب، وكيف تمادى فى التسلط والجبروت حتى أمر أن تساق إليه كل عروس قبل أن تهدى إلى زوجها، وزين له أعوانه أن يفعل ذلك مع الأوس والخزرج وأتته الفرصة التى لا تتكرر، فها هى «فضلاء» أخت زعيمهم الشاب «مالك بن العجلان» ستزف غدا، وإذا مثلت فى قصره، وفعل بها ما يشتهى، فقد أذل أعناق العرب، ولن يجرؤ واحد منهم أن يرفع صوته أمام يهودى وهو يعلم علم اليقين حرص العربى الشديد على العرض، فإذا سيقت إليه أخت زعيمهم أصبح ذلك سنة فيهم لا يجرؤ على مخالفتها أحد منهم.

لو كان هذا الأمر فكرة أو خاطرا عرض على عربى ما احتمله. أما والأمر حقيقة لا مراء فيها فليس أمام العربى خيار، فإما أن يبطش بعدوه، وأما أن يموت دونه وهذا ما فعله مالك بن العجلان، إذ ذهب مع أخته - وهو فى زى النساء - مع زبانية الطاغية، وما إن رأى الطاغية العروس حتى أطلت الشهوة من عينيه وسال لعابه على الفريسة، حتى إذا هم أن يقبض عليها بيديه علاه مالك بالسيف فخر يتخبط فى دمه وهو يهدر كالبعير.

كان لابد من تصرف سريع يحول بين اليهود وبين البطش بالأوس والخزرج الذين وفدوا عليهم من اليمن وساكنوهم مدينتهم بعد انهيار سد مأرب، وتفرق الكهلانيين «قبائل الأزد» فى البلاد، ولا يزال اليهود أصحاب العدد والعدة والمال، ولديهم الأطم والحصون ما ليس لدى العرب، ولو ثاب اليهود إلى رشدهم وجمعوا كلمتهم لقضوا على العرب فى يثرب.

استقر رأى الأوس والخزرج - بعد تشاور - أن يفزعوا إلى ملك الغساسنة وأن يبعثوا الرمق بن زيد بن امرئ القيس أحد بنى سالم بن عوف بن الخزرج، والغساسنة بنو عمومة الأوس والخزرج سكنوا بصرى وسدير من أرض الشام بعد انهيار سد مأرب واستقر المقام بالأوس والخزرج فى يثرب.

وتعهد مالك بن العجلان بإنامة الفتنة حتى يعود الرمق من وفادته، ومع أن الرمق كان بالغ الدمامة إلى أن شعره وروعة أسلوبه يفعلان فعل السحر فى القلوب.

استمع جبيلة بن الحارث إلى براعة المنطق ورقة الشعر، والبلاغة التى تسرى إلى الوجدان فور تسللها إلى الآذان، فقال فى إعجاب لا يخلو من دهشة: «عسل طيب فى وعاء خبيث».

فابتسم الرمق وقد أحس بارتياح لنجاح وفادته وقال:

- أيها الملك.. إنما يحتاج من الرجل إلى أصغريه.. لسانه وقلبه.

- صدقت

ثم أردف قائلا:

- والله ما نزل قوم منا ببلد إلا وقد غلبوا أهله وأصبحوا ذوى سيادة وعزة بينهم... فمالكم؟

ووجدها جبيلة بن الحارث فرصته لإرضاء يوسطنيانوس إمبراطور الروم الذى يمقت اليهود، ولم يعلن عن تحرك جيشه إلى يثرب، بل أشاع أنه متوجه إلى اليمن ليقتص من ملكها الذى تهود «ذى نواس» وتأثر بالتوراة التى كتبت فى بابل أيام السبى ولم تقتصر معاملته للنصارى على الإذلال والتشريد، بل خد لهم أخدودا فى نجران وأجج فيه نارا عظيمة ارتفعت ألسنتها إلى عنان السماء، وانقض أعوانه من اليهود والمتهودين والوثنيين يعملون فيهم قتلا وذبحا ويلقون بهم فى أتون هذا الجحيم المتأجج: لا يرحمون شيخا ولا طفلا ولا امرأة.

وصل جيش جبيلة إلى يثرب، ونزل فى ذى حرض وأرسل إلى مالك بن العجلان يتشاور معه فقال له مالك: إن علم القوم أنك تقصدهم تحصنوا فى آطامهم فلا تقدر عليهم ولكن ادعهم إليك، وتلطف معهم، حتى إذا اطمأنوا إليك تباغتهم وتتمكن من رقابهم.

لبى الأوس والخزرج الدعوة إلى وليمة الملك، وعادوا ليفيضوا فى وصف كرم الغساسنة وملكهم ويستعرضوا الهدايا التى قدمت لهم والتى تأخذ بمجامع القلوب، فتحرك الطمع فى نفوس اليهود، وسارعوا إلى تلبية الدعوة، فإذا بذى حرض كأنها فى ليلة عرس، وإذا الموائد الحافلة تتلألأ فى الصحراء على ضوء المشاعل، فأقبل اليهود فى نهم على الطعام والشراب وامتد السمر حتى أوغل الليل، فإذا بالجلبة تحيط بالمكان، ويترقب اليهود ما سيحملون من الهدايا، ولكن الذى حدث لم يكن فى حسبانهم إذ عاجلتهم السيوف وأخذت تهوى عليهم فتطيح الرقاب وتجندل الرجال.

عمت الأفراح دور الأوس والخزرج فراح شعراؤهم ينشرون مدائحهم فى مالك بن العجلان الذى قتل جبار اليهود ويشيدون بجبيلة الذى نصر بنى عمومته وأقعدهم مقعد العز فى يثرب.

فليشهدنّ بما أقول عصابة
بلوية وعصابة بن سالم
هل كان للفيطون عقر نسائكم
حكم النصيب وليس حكم الحاكم
حتى حباه مالك عن عرسه
حمراء تضحك عن نجيع قنائم

وقام الرمق - العسل الطيب فى الوعاء الخبيث - يمدح جبيلة:

وأبو جبيلة خير من يمشى وأوفاه يمينا
وأبرهم برا وأعلمهم بهدى الصالحينا
القائد الخيل المصولع بالكماة المعلمينا
أبقت لنا الأيام والحرب الملمة تعترينا
كبشا له درء يعل متونها الذكر السمينا
ومعاقلا شما وأسيافا يقمن وينحنينا
ومحلة زوراء تجحف بالرجال الظالمينا

وبينما كانت الأفراح متصلة فى دور الأوس والخزرج كانت المناحات تملأ دور اليهود وآطامهم، يبكون سادتهم ورجالهم الذين قتلهم مالك بن العجلان وراحوا يرددون أشعار سارة القرظية:

بأهل رمة لم تغن شيئا
بذى حرض تعفيها الرياح
كهول من قريظة أتلفتهم
سيوف الخزرجية والرماح
ولو أذنوا بأمرهم لحالت
هنالك دونهم حرب رداح

وعاد جبيلة بن الحارث إلى حوران مشيعا بالثناء المستفيض من الأوس والخزرج بعد أن مكن لهم من يثرب وأصبحوا سادتها وأولو الأمر فيها، وباء اليهود بالذلة والهوان، ولم يعدلهم من سبيل غير أن يلعنوا مالك بن العجلان فى دور عبادتهم فقال مالك:

تحامى اليهود بتلعانها
تحامى الحمير بأبوالها
وماذا علىّ بأن يلعنوا
وتأتى المنايا بإذلالها

***

نظراتٌ فى قيامِ الليلِ

للأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير

فى مفتتح سورة «المُزَّمل» اختص الله - عز وجل - رسوله الكريم ﷺ بأعظم المنح وأجزل العطايا، ألا وهى صلاة قيام الليل.. وترغيباً له فى الاستمتاع بهذه الهبة الغالية ناداه بأجمل الأساليب تلطفاً وأعذبها مؤانسة، لصاحب الرسالة العصماء والشريعة الغراء، فقد ناجاه أن يا أيها المتلفف فى ثيابه، الراقد فى فراشه، المتطلع للذيذ المنام، هُبَّ وانهض وجد وشد المئزر، وانفض عنك غبار النومِ واطرح وراء ظهرك سراب الدنيا الخادع وزُخْرفها الزائل، لتقف بين يدى مولاك صافاً قدميك، تالياً كتاب ربك، معطراً نسمات الليل الغافى بجميل المعانى، ورِيق الترانيم والدعوات.. واقرأ كتاب ربك مترسلاً، متمهلاً، متفهماً، متفكراً، متدبراً، ترجو عظيم ثوابه، وتخاف أليم عقابه، فالقرآن كلام الله احتوى أسمى المعانى، واشتملت آياته على أعظم المسئوليات، وأبلغ التكاليف الشرعية التى فيها حل كل مشاكل البشرية، وانتظمت كلماته من الأحكام والتشريعات ما أضفى على الدين الإسلامى بحق صفة العالمية التى جعلته صالحاً عند الفهم الأريب لكل زمان ومكان، فقد زخر بكامل النور، وفاق فى بهائه ساطع البدور، فصار بصدق مأثرة الأيام ونفحة الدهور. واقرأ أخى المسلم مفتتح السورة الكريمة، يبهرك زكى عرضها ويشيع فى نفسك سنى بهاها، وعاطر شذاها، فتهيم روحك وعقلك فى أنوار بحار معناها، وعميق أغوار مغزاها.

ولست هنا بصدد شرح الآيات الكريمة، فلأفاضل العلماء قصب السبق فى هذا المجال، لكن قصدى وغايتى أن أجلى للقارىء العزيز أموراً وارتها عن الكثيرين مشاغل الحياة اليومية وما ينتاب البشر من سُعار مادى، ولهاث وراء بهرج الدنيا وزينتها، حتى أصبحت الروح المتلهفة إلى حمى باريها تحس لوعة الغربة وتئن من شدة الوحشة التى تعتريها، وما لها من منقذ إلا الله.

ومن هنا أقول: إن قيام الليل علاج الروح، فهو من أفضل الطاعات، وأعظم القربات، يربى النفس ويزكيها، ويهذب العقل ويدنيه من خالقه، فيه طمأنينة الروح، وسكينة النفس، وهناءة القلب المشغوف.. فالحرص عليها والدأب فى أدائها نعمة عظمى، تستوجب الحفاظ عليها، وشكر المنعم الذى

وهيها. ولهذه العبادة العظيمة حلاوة خاصة لا يصفها الكلام، كما أن لها فوائد جمة منها سعة الرزق، وانشراح الصدر، ونشاط البدن، ولتحصيل شيء من تلك الفوائد أقدم لك أخي المريد أموراً تعينك على ذلك، وتيسر لك المطلوب.

أولها: تجنب المعاصي، فَمُقْترف الذنوب لا يوفق لقيام الليل، وقد قيل لابن مسعود: «مالنا لا نستطيع قيام الليل»؟. فقال: «أبعدتكم ذنوبكم».

ثانيها: لا تكثر من الطعام قبل النوم، لأن المعدة إذا امتلأت، نامت الفكرة، وقعدت الأعضاء عن العبادة، ولا تنس أنك من قوم لا يأكلون إلا إذا جاعوا، وإذا أكلوا اجتنبوا البطنة التي تُذْهِب الفطنة، وتحاشوا الإفراط في الشبع، وقاموا عن الطعام وهم يشتهونه.

ثالثها: القيلولة، فقد جاء في الصحيح «قيلوا فإن الشياطين لا تقيل»[1]. فالراحة قليلاً في أثناء النهار تيسر قيام الليل وتشجع عليه.

رابعها: تحاشى النظر إلى المحرمات، فالمحرمات هي الأشواك التي لبست ثوب الورود، واتشحت بوشاح اللذة التي يعقبها قسوة القلب التي تفضي إلى جفائه وجفافه من ماء الذِكْر الذي يجعل المؤمن كالزهرة الندية والعود الغض الطري، فلا تحرم نفسك هبات الرحمن وآلاء الحنَّان المنَّان.

خامسها: أكْثر من الذكر، فقد جاء في الصحيح «مثل الذي يذكر الله والذي لا يذكره مثل الحيّ والميت»[2]. وظني بك أنك تؤثر الحياة الهنية التي تشيع في روحك البهجة والرضا.

سادسها: تحر أكل الحلال واحرص على طلبه، وابتعد عن الحرام، وأحب الدعاء وأحلاه ما كان في جوف الليل مسبوقاً بقيامه، واقرأ بقلبك وروحك هذا القانون واعمل به ما استطعت.. قال سهل بن عبدالله التستري: «من أكل الحلال أطاع الله شاء أم أبى».

سابعها: حاول جاهداً أن تخلد إلى فراشك وأنت سليم الصدر نقي القلب، تحب الخير لإخوانك، غير حاسد ولا حاقد، ولا تنس قصة الصحابي الذي كانت سلامة صدره وحبه لإخوانه هي مؤهله الأول لأن يكون من أصحاب الجنة، شهد له الرسول ﷺ بذلك ثلاثة أيام أمام جمع من الصحابة حين قال: «يدخل عليكم الآن رجل من أهل الجنة»[3].

ثامنها: تفكر وتدَبر وتفَهم فوائد قيام الليل، واشحذ همتك على التهجد بقراءة الآيات والأحاديث والآثار المُرَغِّبة في هذه الفضيلة، فإن هذا يسهل عليك المشقة ويطرد عنك وساوس الصدر.

---

(١) أورده ابن حجر في فتح الباري، وقال في سنده كثير بن مروان وهو متروك.

(٢) البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل الذكر. (٣) مسند أحمد ٢٢، ١٤٠.

تاسعها: تذكر دائماً حلاوة مناجاة ربك والوقوف بين يديه فقد قامﷺ من الليل حتى تفطَرت قدماه، فلما سُئل عن سر ذلك قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»[4].

والعاشرة: لا شك أنك استنتجتها واستبطأت الإرشاد إليها والتنويه بأهميتها الفائقة، وهي باختصار النوم مبكراً، ففيه راحة الجسم والعقل التي تهيىء صاحبها لأعظم عبادات الإسلام، ألا وهي التفكر والتأمل المؤدي بالضرورة إلى تقوية الصلة بالله والتعامل الذكي مع خلق الله، وهي الوسيلة العظمى لنشر مبادىء الدين الحسنة، وأخلاقياته الجميلة وسلوكياته الحميدة.

وبعد.. فقيام الليل، أمر مرهون بفراغ مؤديه من مصالح العباد، بحيث لا يكون ذلك سبباً في تعطيل مصالح الناس، فقيام الليل في حق رسول الله ﷺ فرض واجب، وهو سُنة محمودة لمن سنحت له ظروفه. والمسلمون موصوفون بأنهم رُهْبان الليل، فرسان النهار. يمتثلون قول الله - عز وجل -:

﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾[5]

.. ولا يفوتنا هنا أن نتتبع الرصد الدقيق لكل ما اتصل بقيام الليل من أمور في آية جامعة كانت مُختتم سورة «المُزمل» ويبهر المتأمل فيها ويهزه من الأعماق، التأكيد على أن ذلك الدين دين الفطرة السوية، الذي جاء لتعمير الدنيا والآخرة معاً، فهو مع تحضيضه على قيام الليل، يستثني أصحاب الأعذار ويقدم في ملخص رائع، بارع، بديع، الضاربين في الأرض المبتغين من فضل الله على من يحملون الأرواح على الأكُف جهاداً في سبيل الله لنشر الإسلام وإشاعة نوره في الأرض.. قال - تعالى -:

﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾[6]

وما تقديم - الحكيم الخبير - للمكافحين في سبيل لقمة العيش الحلال على المجاهدين في سبيل الله بأنفسهم إلا رسالة واضحة جلية ترد كيد الأعداء إلى نحورهم وتقتلع وصمهم للإسلام زوراً وبهتاناً بالإرهاب، تقتلع تلك التهمة من جذورها، فهو دين السلام والمؤاخاة بين الناس جميعاً في إطار من المحبة والمودة الخالصة التي أرسى دعائمها قولاً وعملاً، وتطبيقاً فعلياً رسول الله ﷺ القائل: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[7]. فأين للدنيا معلم كرسول الله ﷺ أقام الحق وشاد بناءه شامخ الذرى.

---

(٤) البخاري، كتاب الجمعة، باب قيام النبي. (٥) القصص (٧٧).

(٦) المزمل (٢٠). (٧) البخاري، كتاب الإيمان.

بين الصحف و المجلات

إعداد الأستاذ

محمود الفشني

وزير التعليم فى أمريكا

كان هذا العنوان فى جريدة (الحياة) اللندنية فى عددها الصادر فى ١٨ / ٥ / ٢٠٠٣.

نفى الدكتور حسين كامل بهاء الدين وزير التربية والتعليم المصرى أن تكون الإدارة الأمريكية قد طلبت من مصر إجراء أى تغييرات أو تعديلات فى مناهجها، مشيرا إلى أن مصر بدأت عملية التطوير دون طلب من أحد منذ سنوات.

وقال الوزير فيما يتعلق بالمسائل التى تشغل البال الأمريكى، «لايستطيع أحد أن يزايد على مصر بشأنها (المناهج التعليمية). مصر هى أول دولة تصدت للإرهاب ودفعت فاتورة ضخمة فى تصديها للإرهاب». وأضاف فى تصريحاته التى أعقبت شرحا لخبراء التعليم الأمريكى بمقر السفارة المصرية بواشنطن حول ما تطبقه مصر من تجارب تعليمية. وأضاف فى معرض نفيه شائعات ضغوط خارجية لتغيير مناهج التعليم: «كل المفاهيم التى يتحدث العالم الديمقراطى عنها اليوم أدخلناها فى التعليم المصرى منذ سبع سنوات».

***

القائد الضرورة

فى معرض حديثه عن مفهوم القيادة فى الوطن العربى استعرض الدكتور مصطفى الفقى فى مقال له بجريدة (الأخبار) فى عددها الصادر بتاريخ ٣ / ٥ / ٢٠٠٣ بعض الشخصيات، ذكر منها خالد ابن الوليد، ونستون تشرشل، وسعد زغلول والنحاس وجمال عبدالناصر والسادات وشارل ديجول، يقول الدكتور الفقى:

وصفت الجماهير العربية الطيبة بعض قادتها بألقاب مثل «الزعيم الأوحد» أو «القائد الملهم» أو «الملك المفدى» ولكن الذى لفت نظرى أخيرا هو استخدام لقب القائد «الضرورة» الذى جاء فى موعده ليغير مجرى التاريخ ويقلب الدنيا رأسا على عقب، فالحياة قبله كانت ظلاما دامسا كما أن المضى وراءه يحيل الدنيا إلى نور وضياء بينما رحيله هو الضياع والفناء!!

واستعرضت ذاكرتى غياب الشخصيات العظمى على مر العصور وكيف أن اختفاءهم لم يكن نهاية المطاف أو خاتمة التاريخ فما بالنا بمن لا علاقة لهم بالعظمة إلا من خلال القفز على مقعد السلطة والوصول إلى سدة الحكم بالانقلابات العسكرية أو المغامرات الحزبية أو الوراثة العائلية، وتساءلت متى كان وجود شخص مهما كانت أهميته ضرورة بشرية أو حتمية تاريخية أو لازمة حياتية؟ فكيف إذن نسمى مسئولا بأنه القائد «الضرورة»؟ ولا عجب أنها صفة تنتمى إلى قاموس طويل من العبارات الفخمة والألقاب الضخمة والنعوت الساذجة.. لقد رحل الأنبياء والمرسلون، ومات الدعاة والمفكرون، وتعاقب الملوك والرؤساء فما تغيرت الدنيا ولا سقطت الشعوب ولا اختفت الأمم بل مضت رحلة الحياة فى طريقها، وظهرت البدائل فى حينها، وتقدم الصفوف قادة جدد وزعماء من طراز مختلف، ولعلى أسوق هنا نماذج تؤكد ما أقول.

إننا نذكر فى التاريخ الإسلامى أن الخليفة الراشد الثانى «عمر بن الخطاب» -رضى الله عنه- قد أقصى سيف الله المسلول «خالد بن الوليد» عن قيادة جيش المسلمين وهو فى أوج انتصاراته على الروم وولى بديلاً عنه «أبا عبيدة بن الجراح»، وعندما تساءل الناس لِمَ أقدم «عمر» على ما فعل؟ كان جوابه أنه خشى أن يفتتن الناس «بابن الوليد» وكأن «عمر» -رضى الله عنه- قد ضرب «الكاريزما» مبكرا وقضى على هوس الناس بالبطل لأن المؤسسة هى الأصل الباقى بينما الفرد يأتى ويذهب، يتألق ويغيب، ولقد فعل الشعب البريطانى هو الآخر شيئا قريبا من ذلك مع نهايات الحرب العالمية الثانية عندما أسقط فى الانتخابات البرلمانية «ونستون تشرشل» رئيس الوزراء الذى قاد بلاده فى سنوات الحرب ضمن الحلفاء المنتصرين لكى يأتى بديلا عنه زعيم عمالى لا علاقة له بالانتصارات أو الأمجاد! وكأن لسان حال البريطانيين كان يقول «لقد كسب لنا تشرشل الحرب ونحن نبحث عمن يكسب لنا السلام»، وأيامها لم يخرج الإنجليز فى شوارع لندن مطالبين ببقاء القائد «الضرورة» أو استمرار «كاريزما» السياسى الداهية الذى انتصر فى حرب كونية.

وليتذكر الجميع معى أن نبى الإسلام العظيم ﷺ قد استهجن بقوة أولئك الذين تحدثوا عن كسوف الشمس وخسوف القمر عندما رحل ابنه الأثير لديه «إبراهيم» وهو فى طفولته فلم يتحدث ﷺ عن طفل «الضرورة» بل اكتفى بقولته الشهيرة «إنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون»، فالأبدية لله سبحانه، والخلود حكر عليه وحده، وصفة لاينازعه فيها سواه، وحقيقة لاينالها غيره جل فى علاه.

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم
عادل رفاعي خفاجة

المسلمون الأوائل
و مسلمو اليوم

حينما كتب عمر بن الخطاب إلى قائد جنده سعد بن أبي وقاص، يوصيه وجنوده لم يكن يعطي للقائد ولا للجنود تعليمات جديدة، إنما كانت وصيته من باب التذكير:

﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾. الذاريات (٥٥).

فماذا قال عمر؟

قال: «إني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليكم من عدوكم».

هذا جانب من وصية عمر لقائد الجيش، وهي وصية لا يمكن أن ينفذها غير مؤمنين، يؤمنون أنهم مهما بلغت عدتهم وعتادهم ومهما بلغت قوتهم فإن فوقهم إله عادل لا يقبل الظلم، وأنهم إليه راجعون يحاسبهم على الفتيل والقطمير.

هكذا كان حال المسلمين الأوائل الذين علموا أن الإسلام جاء لتحقيق حلم البشرية في حياة أساسها العدالة. وكانوا يدركون تماماً أن ما جاء به الرسول الكريم إنما هو دستور يدعو إلى مكارم الأخلاق وكريم العادات جاء ليقدم للبشرية العلاج الناجع لكل أمراضها، آخذاً بيدها بعيداً عن القلق ومنقذاً لها من زيف الباطل وسلطانه.

لقد علم أفراد المجتمع الإسلامي الأول أنهم على حق لما شاهدوا قائدهم (رسول الله ﷺ) لا يفرق في حكمه بين غني أو فقير ولا بين شريف أو ضعيف، ويعلنها صريحة مازال يتردد صداها في قلوب المؤمنين حتى اليوم «إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها». أخرجه البخاري.

هذه هي الروح التي سادت المجتمع الإسلامي الأول ولأن الدستور الحاكم لهذا المجتمع من عند الله الذي خلق البشر أبيضهم وأسودهم وأحمرهم وأصفرهم! فجاءت أخلاقهم مبنية على المساواة وعلى مكارم الأخلاق في الدرجة الأولى.

ولو نظرنا لحالنا اليوم لوجدنا أننا فرطنا كثيراً وبعدنا عن تعاليم ربنا التي تدعونا إلى التسامح وتدعونا إلى الاتحاد حتى لا يكون التسامح عن ضعف إنما نتسامح عن قوة فيزداد احترام الآخرين لنا ويكون ذلك مدعاة لأن يعتنقوا ذلك الدين القيم لكننا فرطنا وبعدنا عن أمر ربنا، فأصبحنا ذلك الغثاء وأصبحنا مطمعاً لكل من يريد أن ينهب، ولكن «قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت» نعم.. لقد أظهر الاجتياح الأمريكي - البريطاني للعراق أن الدولة العظمى الوحيدة في العالم ما هي إلا قوة لا يحكمها ضمير، قوة غاشمة ليس لها من هدف سوى السيطرة على ثروات الآخرين وليست هناك أهداف سامية كما كانوا يدعون إنما اعتداء على الأعراض والثروات وكل ما يسمى حقوق الإنسان!!

إن هذه الاعتداءات السافرة والبلوى العظمى استدعت إلى الذاكرة نبل أخلاق المسلمين الأوائل ونزاهة قادتهم.

فعلى إعلامنا أن لا يكل ولا يمل في عرض الصور المشرقة للمسلمين الأوائل يقدمها للعالم أجمع حتى يستطيع العالم إعادة قراءة التاريخ بعيون منصفة، أو بعبارة أخرى حتى تستطيع أن تُسمع ونُري العالم تاريخنا المشرق بعيداً عن زيف المبطلين.

إن ما طالب به مؤتمر مستقبل الأمة الإسلامية الذي نظمه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بضرورة إقامة اتحاد بين الدول العربية والإسلامية على نموذج تكاملي تمارس فيه سلطة عليا - ترتضيها هذه الدول - الاختصاصات: سياسة واقتصاد وعسكرية، ويتمتع مواطنو كل دولة من دول الاتحاد بذات الحقوق والواجبات، إنما هو خطوة إيجابية حتى يسمع العالم ما تقول.. لأن العالم لا يسمع ولا يحترم إلا القوى وهو ما أكد عليه الرئيس مبارك حيث أشار إلى أن الأمة الإسلامية ستعي الدرس مما يجري في العراق وفلسطين وستعمل على إقرار استراتيجية لمواجهة هذه التحديات.

كما أكد سيادته على أنه لا ينبغي أن يتصور البعض أن رغبة الأمة الإسلامية في أن تتحد إرادتها وتتضافر جهودها وتتكامل وتتفاعل سياساتها هو تهيؤ لصراع حضاري أو منافسة لتكتلات عالمية أخرى، فهو تسابق مشروع ينبع أول ما ينبع من إرادة الأمة، لأن تستعيد مجدها وتحافظ على وضعيتها المتميزة.

أعود فأقول: هذا هو وضع أمتنا!! وهذه نوايا الخير تطرح في كل مؤتمر ومن فوق كل منبر ويبقى التنفيذ. يبقى أن ندعو الله بما دعا به الرسول الكريم: «اللهم لا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا» وهبنا ياربنا حسن التوكل عليك. اللهم آمين.

ع. خ

وإلى رسائل القراء

رسالة إلى الشعوب الإسلامية والعربية

● **وردت هذه الرسالة من الدكتور محمد محمود العطار ـ كفر الشيخ، حيث يقول:**

تشهد دول العالم الآن مجموعة من التغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية التى أثرت على مختلف مجالات الحياة، وأفرزت نظاماً عالمياً جديداً بسمات وتحديات وأحداث لم نعهدها من قبل تتمثل فى فرض الهيمنة الأمريكية على بعض دول العالم الإسلامى والعربى تحت زعم محاربة الإرهاب وبخاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر، وزيادة حدة الصراع والتصادم بين الحضارات، ولقد وجدت الولايات المتحدة الأمريكية نفسها مهزومة سياسياً، فبدأت فى غزو أفغانستان، ثم غزو العراق، ثم أصبحت تشن تهديدات ضد سوريا وإيران.. ولعل ذلك يكون دافعاً لنا فى عالمنا الإسلامى والعربى إلى وقفة جادة مع أنفسنا بالرجوع إلى منهج الله، وإلى تعاليم ديننا الحنيف، والرجوع إلى الله يكون بالتوبة والاستغفار، وأن يبدأ كل فرد منا بنفسه.. حيث يقول سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

سورة الرعد ـ الآية ١١

وكذلك يكون بالتقوى.. حيث يقول سبحانه وتعالى:

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾

سورة المائدة ـ الآية ٢

فنحن جميعاً مدعوون إلى أن نزود أنفسنا بالتقوى، وبفعل الخير، وبالعلم، وبالعمل وذلك لتحقيق العدالة والتعاون، والمحبة بين أفراد المجتمعات الإسلامية والعربية. ويقول سبحانه وتعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

سورة آل عمران ـ الآية ٢٠٠

إن الشعوب الإسلامية والعربية فى مسيس الحاجة إلى أن تعتمد فى إعداد أبنائها على مكارم الأخلاق والقيم الروحية الدينية، فديننا الحنيف هو المصدر السخى للمكارم والفضائل ومحال أن ينشأ الشباب على أصالة وجدية إلا إذا كان مزوداً بأخلاقيات الدين وتوجيهاته الكريمة التى تنقى الروح وتصفى الوجدان.

المحرر:

لعلنا جميعاً أصبحنا على بينة بالداء والدواء.. ولم يبق إلا تناول الدواء نسأل الله أن يلهمنا الثقة بالنفس والإيمان الصادق، حتى نتناول دواءنا الذى أصبح واضحاً ألا حل فيما عداه.

وأخيراً.. نشكر للدكتور العطار حسن ظنه بنا ونسأل الله لنا وله التوفيق وحسن الخاتمة.

من الأعلام المنسية

الشيخ محمد شاكر

● **يواصل الأديب الفاضل / فرج مجاهد عبدالوهاب عضو اتحاد الكتاب لمسات الوفاء التى يقدمها عن أعلامنا السابقين يرحمهم الله.. يقول:** ولد الشيخ محمد شاكر فى مارس ١٨٦٦ م فى مدينة جرجا بالصعيد، وبعد أن أتم تعليمه فى الأزهر على يد كبار العلماء تم تعيينه أمينا للفتوى مع الشيخ العباسى المهدى مفتى الديار المصرية وقتها فى مارس ١٨٩٠ م ثم نقل إلى المحاكم الشرعية التى ظل بها خمس سنوات، وضع خلالها تقريرا أبان فيه أوجه النقص والقصور فى لائحتها ونظمها وعمالها واقترح طرق إصلاحها تفصيلا ومنها عدم التقيد بمذهب معين واقتباس بعض الأحكام من مذهب الإمام مالك للإعسار والضرر وللغيبة الطويلة.. وغيرها، الأمر الذى جعل الشيخ محمد عبده بعد تعيينه مفتياً للديار المصرية يقوم بالطواف على المحاكم للاطلاع على سير العمل ثم وضع تقريرا اتفق فيه مع كثير مما جاء فى تقرير تلميذه الشيخ محمد شاكر وقام بعد ذلك بتعيين الشيخ شاكر فى منصب قاضى قضاة السودان.

وعندما انتقل للعمل فى السودان لم ينس أنه قبل كل شىء داعية من دعاة الإسلام تخرج فى الأزهر معهد الدعوة الإسلامية فكان يقوم بتعليم الناس شئون دينهم بإلقاء الدروس الثقافية والخطب المنبرية والمواعظ فى مختلف المساجد والمحافل، مما جعل الإنجليز يضجرون منه وينقلونه شيخاً لعلماء الاسكندرية فى أبريل ١٩٠٤ فاختار لعونه فى مهمته أربعة علماء نوابغ هم: الشيخ عبدالله دراز، والشيخ عبدالمجيد الشاذلى، والشيخ عبدالهادى مخلوف، والشيخ إبراهيم الجبالى، وسن سنة حسنة وهى الاحتفال بالطلبة الناجحين سنوياً ومنحهم المكافآت والهدايا، وفى أحد هذه الاحتفالات قام بالرد على اللورد كرومر الذى قال أن الإسلام يبيح الرق فرد عليه رداً مفحماً وقال له ضمن ما قال: (إن الإسلام سوى بين الأرقاء وبين الآباء والأمهات فى الوصية بالإحسان. إن الإسلام بحمد الله لم يبح استرقاق الشعوب ولامصادرة الأمم فى مقومات حياتها القومية والاجتماعية).

وفى عام ١٣٢٤ تم تكليف الشيخ محمد شاكر بالقيام بأعمال شيخ الأزهر نيابة عن المرحوم الشيخ عبدالرحمن الشربينى لمدة أربعة أشهر وفى أبريل ١٩٠٩ م عين وكيلا للأزهر فسار فيه سيرته فى الإصلاح. وكان عند وضع الميزانية السنوية يقرر ما يستحقه العلماء والموظفون من علاوات ثم يكتب أمام اسمه (لا يستحق شيئا).

وعندما أنشئت الجمعية التشريعية سنة ١٩١٣ عين عضواً بها وفى ١٩١٩ عندما قامت الثورة الشعبية ضد الإنجليز اشترك فيها وكان معروفا بنداءاته الشديدة لجماهير الشعب.

وفى عام ١٩٣١ اعتزل الدنيا بسبب مرض ألم به وألزمه الفراش إلى أن فاضت روحه صباح الخميس ١١ من جمادى الأولى ١٣٥٨ هـ الموافق ٢٩ من يونية ١٩٣٩ م.

رسالة قارئ

فضيلة الشيخ مدير تحرير «مجلة الأزهر»

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مقدمة لفضيلتكم الطالب / نبيل حامد أحمد فودة. بكالوريوس طب الأزهر بالقاهرة:

انه لمن دواعى سرورى أنى أتابع مجلة الأزهر منذ فترة وجيزة وقد وجدت فيها ما كنت أبحث عنه من أمور دينية ومعلومات ثقافية، وسياسية، واجتماعية وكلها معلومات واقعية صادقة، جرت بها أقلام تنطق بالحق والحقيقة دون رياء لذلك أصبحت من المتابعين شهرياً لهذه المجلة القيمة.

ولكن فى بداية كل شهر عربى أجد مشقة كبيرة فى الحصول على المجلة كما انها تكون موجودة عند قلة من مراكز التوزيع مما يزيد من صعوبة الحصول عليها..

لذلك اقترح على فضيلتكم زيادة عدد مطبوعات المجلة حتى يتسنى الحصول عليها بسهولة

– كما ان معظم القراء من طلبة الجامعة والمثقفين لا يعلمون شيئاً عن مجلة يتم نشرها شهرياً تحت اسم «مجلة الأزهر» مع ان الأزهر هو منارة العلم الإسلامى والثقافى فى الأمة الإسلامية.. وكلما أخبرت أحداً من قراء الجامعات الأخرى (بمصر) عن هذه المجلة القيمة.. أخبرنى انه لا يسمع عن هذه المجلة.. وأعتقد أن هذا يرجع إلى قلة الدعاية عن المجلة فى الجرائد الرسمية اليومية.

لذلك اقترح على فضيلتكم المزيد من الدعاية عن المجلة فى الصحف الرسمية التى تصدر يومياً حتى يعلم الجميع قيمة هذه المجلة وما يدور بها.. ولو نظرنا إلى المجلات الأخرى التى تهتم بنشر أخبار الرياضة والفن وغيرها من المجلات التى تنشر الفساد وكل ما هو مُخل ويبعد عن الدين وتعاليمه لوجدنا ان هذه المجلات لها دعاية يومية بالصفحات الأولى من الصحف الرسمية كما ان أعدادها المتزايدة إذا ما قورنت بأعداد «مجلة الأزهر» أو أى مجلة تعلم المسلمين أمور دينهم وتزيد الوعى الثقافى والسّياسى والاجتماعى لوجدنا الفارق كبيراً. جزاكم الله خيراً.

وتفضلوا بقبول وافر الاحترام

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المحرر:

فى خضم الأحداث ومعترك الحياة التى تملؤها الصعاب.. تأتى مثل هذه الرسالة لتمنح العاملين بالمجلةمزايداً من القوة تدفعهم نحو المزيد من العطاء فشكر الله لك ونسأل الله لنا لك التوفيق والرشاد..

أما بخصوص زيادة المطبوع من المجلة، فإن إدارة التحرير تقوم بزيادة المطبوع فعلاً ولكن بشكل تدريجى حتى يستوعبه الطلب.

من إبداعات القراء:

ته يا عراق

شعر / السيد صادق همام

الآن أنت النجمة الزهراء … ودم العلا.. فليخرس الجبناء
الآن وشْم المجد يبرق فى يد … هى أنت. أهو دم أم الحناء
وجد المثنى سيفه بك وامتطى … أفراسهم من حوله البلاء
العالم اختُصرت قواه؛ تزيّلت … ألوانه وتمايز الفرقاء
بغداد آخر كلمة ووراءها … لا عيد، لا أضحى، ولا إسراء
درع تذود عن الهدى، ولو انها … كسرت فما للمسلمين لواء
هى حائط القدس الشريف وجُنة … بحديدها يتحصن الحنفاء
الكرخ مجد والرصافة عزة … والكوفتان جسارة وفداء
والثابتون على البلاء ثباتهم … حسم على أعدائهم وبلاء
قدم العلوج[1] فسلهمو لم جاوزوا؟ … تحدوهم الطغوى والاستعلاء
وعلى مقاصر «مر من را» فيلق … من جند عمورية شهباء
ومقاتلون الموتُ من أقدامهم … والمجد والحرية الحمراء
يتحصن التاريخ خلف صدورهم … ومعارك الإسلام والخلفاء
صُبُر الأكابر يا عراق فوحدك الـ … درع الحصينة واليد البيضاء
صبر الحسين وقد أحيط بكربلاء … والتف حول جلاله السفهاء
والجوع يمتحن الكرام فمُلتو … متضور أو شامخ أبّاء
«وإلى متى صمتُ العروبة» موضع … للبحث إن جمع الرفاق لقاء
قلق على الدرع الأخيرة مُشهر … حُنفاء لا يدرون ما الإغفاء؟
ته يا عراق وإن تحدرت الدما … فى رافديك وكُلُومُ الأشلاء
المجد متصل، وفيك كتابه … إذ أنت همزته وأنت الباء
لا ذلّ أهلك يا فرات ولا مشى … فى مائك اللؤماء يا زوراء[2]

(١) جمع علج وهو الجافى او الكافر من الاعاجم.

(٢) الزوراء: من اسماء نهر دجلة، ومن اسماء بغداد ايضاً.

وكم بكتك مدامع



بمناسبة الذكرى السنوية الخامسة

على رحيل فضيلة الشيخ

الشعراوى

١٧ / ٦ / ١٩٩٨ م

أغدوت من أمر الحقيقة تجزع؟ ... ومن القضاء وأمره تتوجع؟

هل كنت تمنع للمنية أمرها؟ ... أو كنت للخطب المقدر.. تمنع؟

كلا.. ولكن القضاء منفذ ... فينا.. وحكم الله حتماً.. واقع

إنى ليثنينى عن الصبر البكا ... ويذيب نفسى ما تُكِنُّ الأضلع

أخفيت يا زمن المقادر درة ... كانت تبث الأرض نوراً يسطع

أرحلت يا شيخ المكارم ليتنا ... كنا لأنياب المنية ندفع

لكنه أمر الإله يخطه ... فى اللوح حتى لا شفيعاً.. يشفع

ولكم نعتك الكائنات تأسياً ... ورثتك فى أفق الحياة مدامع

والكون بعدك بالظلام ملثم ... أنى يضيىء وقد طوته الأدمع

والنفس تجلب من أساها دمعها ... وعليك كم يبكى البيان ويفزع

فسرت «آى» الله فى أصدافه ... يغرى الخلائق بالرشاد ويردع

قد كنت شمساً فى الحياة بنورها ... تطغى على كيد الطغاة وتدفع

شعر / محمد وائل محمود حسن - قسم الصحافة والإعلام - جامعة الأزهر

قنا - أبو تشت - كوم جابر

نحيط السادة القراء علماً أننا لا ننشر الرسائل كاملة، وذلك حرصاً من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من القراء. ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق فى اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها.
كما نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم ونواصل نشرها تباعاً بمشيئة الله تعالى.

أنباء العالم الإسلامى



للأستاذ / محمد الشرقاوى

أزمة سياسية فى تركيا بسبب الحجاب

تفجرت أزمة سياسية فى تركيا ما بين الرئيس «أحمد نجدت سيزر» والجيش وحزب الشعب الجمهورى المعارض من جهة وحزب العدالة والتنمية الحاكم من جهة ثانية، وذلك بسبب الحجاب ودعم الحكومة لجماعتين إسلاميتين فى الخارج، وظهرت بوادر هذه الأزمة عند رفض الرئيس «سيزر» حضور حفل أقامه رئيس البرلمان «بولنت أرنج» فى ذكرى تأسيس البرلمان دون إبداء الأسباب، غير أن وسائل الإعلام التركية أشارت إلى أن حضور زوجة «أرنج» المحجبة، وكذلك زوجات رئيس الوزراء «رجب طيب أردوغان» ونائبه «عبدالله جول» وعدد من زوجات الوزراء المحجبات الحفل وراء هذا الرفض.

وقد أعلن زعيم حزب الشعب الجمهورى «دينير بايكال» هذا السبب صراحة وراء اعتذاره عن عدم الحضور أيضاً محذراً من ظهور ما وصفه بالتوجهات الإسلامية لحزب العدالة والتنمية، فى الوقت نفسه نقلت شبكات التليفزيون التركية عن رئيس الأركان «حلمى أوزكوك» قوله: إننا نراقب التطورات جيداً ونعرب عن عدم ارتياحنا لهذه التطورات دون أن يذكر طبيعة هذه التطورات.

لكن شبكات التليفزيون التركية قالت: إن مسألة ظهور الحجاب المتوقع فى البروتوكول الرسمى للدولة وراء هذا التصريح.

وأشارت مصادر تركية مطلعة إلى أن الجيش غاضب أيضاً بسبب رسالة سرية بعث بها «جول» للسفراء فى الخارج ودعاهم فيها لدعم جماعة «فتح الله جولن» زعيم الطريقة «النورسية»، وكذلك الفكرة القومية الإسلامية التى أسسها رئيس الوزراء الأسبق «نجم الدين أربكان».

وبدأ الغزو الفكرى للعراق

(٢٥) ألف مبشر مسيحى أمريكى استعدوا للسفر إلى العراق للتبشير وتحويل المسلمين عن دينهم ولو بالإغراءات المادية.

وتستعد جماعات أصولية مسيحية أخرى فى أمريكا لإرسال مبشريها وكانت هذه الجماعات من أقوى المؤيدين للعدوان على العراق.

استقالة ثالث وزيرة بريطانية احتجاجاً على غزو العراق

استقالت وزيرة التنمية الدولية البريطانية «كلير شورت» من منصبها احتجاجاً على غزو العراق!!..

كانت «شورت» قد هددت بالاستقالة فى حالة دخول بريطانيا الحرب دون موافقة الأمم المتحدة، وتعد هذه الوزيرة من أكثر أعضاء الحكومة البريطانية تشدداً فى مواقفها اليسارية.

وكان وزيران قد استقالا من منصبيهما لنفس السبب من قبل.

وقاحة عجوز

انتقدت الممثلة الفرنسية «بريجيت باردو» التى أصبحت من النشطاء المدافعين عن حقوق الحيوان ما وصفته «بإضفاء الصبغة الإسلامية على فرنسا»، وقالت صحيفة «فرانس سوار» الشعبية: إن باردو ٦٨ عاماً التى غُرِمَتْ مرتين من قبل لتحريضها على الكراهية العنصرية أدلت بتعليقاتها فى أحدث كتبها «صرخة الصمت».

ونقلت الصحيفة عن باردو قولها فى الكتاب حيث قالت: «أنا ضد إضفاء الصبغة الإسلامية على فرنسا!.. على مدى قرون بذل أسلافنا والأقدمون وأجدادنا وآباؤنا أرواحهم لطرد جميع الغزاة المتعاقبين من فرنسا».

وليست إثارة الجدل غريبة عن «باردو» ففى يناير عام ١٩٩٨م غُرِمَتْ (٣٢٥٠) دولاراً لتحريضها على الكراهية العنصرية فى تعليقات على مذابح المدنيين فى الجزائر وقبلها بأربعة أشهر غرمتها المحكمة لقولها: «إن فرنسا يكتسحها مسلمون يذبحون الخراف».

- ويبدو أن وقاحة هذه العجوز الشمطاء نتجت عن انحسار الأضواء عنها، فلم تجد طريقة لتظل تحت أى ضوء حتى ولو كان خافتاً غير مهاجمة الإسلام والمسلمين.

فهل يا ترى وصل الحال بالمسلمين إلى حد أن يكونوا مطية لمثل هذه العجوز المتصابية للبقاء تحت الأضواء.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

وزير العدل والشئون الإسلامية بدولة الإمارات:

نرتقى فى التعليم الدينى لنكون على مستوى توجهات الأزهر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف معالى الوزير/ محمد بن نخيرة الظاهرة وزير العدل والشئون الإسلامية ووزير الأوقاف بدولة الإمارات العربية المتحدة، يرافقه الدكتور/ محمد جمعه سالم وكيل وزارة العدل والشئون الإسلامية والأوقاف لقطاع الشئون الإسلامية، والسيد/ أحمد مبارك الكندى الوكيل المساعد للمساجد والمستشار/ أحمد الجابرى مدير مكتب الوزير والدكتور/ على محمد العجلة رئيس تحرير مجلة منار الإسلام رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى الأزهر الشريف مشيداً بجهود سمو الشيخ زايد الذى وصفه بأنه صاحب فطرة نقية، وحكيم وواضح فى تصريفه للأمور، وأننا كمصريين نحبه ونحب أبناء الإمارات، ونكن لهم كل مودة وتقدير، وأن لدولة الإمارات مواقف إيجابية، وبناءة فى خدمة الإسلام والمسلمين، وأن شعبها يبنى ولايهدم، يعمِّر ولايخرِّب، وأن التعاون بين الأزهر ودولة الإمارات قائم على المودة والرحمة وتبادل المنافع والخيرات، وجميع لقاءاتنا خالصة لوجه الله ولخدمة الدين والوطن، ومن جانبه أبلغ معالى الوزير تحيات صاحب السمو الشيخ زايد لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ولعلماء الأزهر الشريف موضحاً بأن للأزهر الشريف فضلاً عظيماً علينا وعلى شعب الإمارات ونحن جميعاً نكن للشعب المصرى كل حب وتقدير، ومصر دائماً تفتح ذراعيها لنا ونحن نلجأ للأزهر دائماً فى كل استفساراتنا الدينية، وقال إننا فى الإمارات نتولى نهضة علمية ودينية بعيداً عن التشدد والتعصب، واهتمام الإمارات بتعليم المرأة له مكانة كبرى، وبخاصة فى الوعظ، وفى التدريب على الخطاب الدينى، ونرتقى فى التعليم الدينى ليكون على مستوى توجهات الأزهر الشريف فى وسطيته واعتداله، وفى مستوى تطورات العصر، وطموحاته.

الإمام الأكبر:

الأزهر الشريف فى خدمة أبناء المسلمين فى كل مكان

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور/ عبد الحميد عثمان وزير الشئون الدينية والأوقاف بدولة ماليزيا يرافقه داتو/ دسوقى بن أحمد المستشار السياسى لرئيس وزراء ماليزيا، والسيد/ دان بكر المستشار التعليمى بسفارة ماليزيا بالقاهرة، وجاءت تلك الزيارة فى إطار انعقاد مؤتمر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذى نظمته وزارة الأوقاف المصرية والذى اختتم أعماله بالقاهرة مؤخرا حيث رحب فضيلته بالسادة الحضور فى الأزهر الشريف مشيداً بالتعاون المثمر البناء بين الأزهر الشريف ودولة ماليزيا، وأوضح معالى الوزير أن ماليزيا بدأت فى تطوير التعليم الدينى على مستوى موسع، موضحاً فضل الأزهر الشريف فى تعليم أبناء ماليزيا أمور الدين الإسلامى بكل يسر وسهولة، وقدم الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة ماليزيا فى يوليو القادم ٢٠٠٣م ونقل تحيات رئيس حكومة ماليزيا وشعبها للأزهر الشريف وشيخه وعلمائه.

وأوضح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أن الأزهر الشريف دائماً فى خدمة أبناء المسلمين فى كل مكان وخاصة أبناء ماليزيا وعددهم كثير فى الأزهر وجامعته، ووعد بتلبية الدعوة.

شيخ الأزهر:

نعمل من أجل خدمة ديننا وأمتنا وبلادنا

● كما التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمعالى الدكتور/ عصام أحمد البشير وزير الإرشاد والأوقاف بجمهورية السودان الشقيق، والسيد وزير الأوقاف والشئون الإسلامية بسلطنة عُمان، وقد رحب فضيلته بالضيفين الكريمين فى مصر وأزهرها الشريف موضحاً بأننا جميعاً وحدة واحدة وتعمل من أجل خدمة ديننا وأمتنا وبلادنا، وتجمعنا إخوة صادقة، ونتعاون من أجل توضيح صورة الإسلام الحقيقية، ولنصحح المفاهيم المغلوطة، والأزهر الشريف على استعداد تام لتقديم العون فى المجال العلمى والتعليمى، وتسهيل المنح الدراسية للتعليم بالأزهر الشريف ولحضور الدورات التدريبية للأئمة والعلماء والوعاظ من العالم الإسلامى وهى تعقد كل ثلاثة أشهر، وأيضاً على استعداد لإرسال المدرسين والعلماء إلى من يطلب من الدول ونحن والحمدلله نستقبل طلاباً من ٩٦ دولة وهم يعيشون فى مصر فى مدن البعوث الإسلامية بالقاهرة والإسكندرية ويتعلمون مع إخوانهم المصريين جنباً إلى جنب.

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بتشاد:

الأزهر يتحمل العبء الأكبر فى تلبية مطالب المسلمين

● كما التقى فضيلته بفضيلة الشيخ/ حسين حسن الأبكر رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بدولة تشاد ومعالى السفير التشادى بالقاهرة، حيث رحب فضيلته بالضيفين الكريمين فى مصر وأزهرها الشريف موضحاً بأن الأزهر الشريف على استعداد تام لتلبية طلبات دولة تشاد، وطلاب تشاد يلقون الرعاية والعناية الكاملة فى الأزهر الشريف.

ومن جانبه أوضح الضيف بأن الأزهر الشريف منارة للمسلمين فى كل أرجاء الدنيا وأكد على أن اللغة العربية هى اللغة الرسمية للبلاد، ونظراً لأن الأزهر الشريف هو القبلة والمنارة فهو يتحمل العبء الأكبر فى تلبية مطالب المسلمين، وهو يتحمل العبء العلمى والتعليمى لدولة تشاد ومن أجل ذلك نطلب المزيد من المنح الدراسية للطلاب التشاديين للدراسة بالأزهر الشريف، وقد وعد فضيلته بتلبية كل ما تحتاج إليه دولة تشاد وتذليل كافة المعوقات من أجل المزيد من التعاون الذى أصبح لازماً وحتمياً لدولة تشاد.

سفير غينيا بالقاهرة:

بسبب مصر وأزهرها أصبحت لدينا ثقافة إسلامية قوية

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير/ عثمان كمارا سفير غينيا بالقاهرة ترافقه السيدة/ أمنية كوتيا المستشار الثقافى للسفارة، وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر بهما فى الأزهر الشريف موضحاً بأن ١١٤ طالباً من غينيا يدرسون بالأزهر الشريف على منح، والأزهر على استعداد لطلبات دولة غينيا الشقيقة، من جانبه شكر سعادة السفير فضيلة شيخ الأزهر الشريف على إتاحة فرصة عقد هذا اللقاء المثمر البناء مشيداً بالأزهر ودوره المعروف فى تعليم المسلمين وتعليم أبناء غينيا، والكثير من أبناء غينيا تخرجوا فى الأزهر الشريف ويحتلون المناصب العليا فى البلاد، وعدد السكان ٧,٥ مليون نسمة ونسبة المسلمين ٩٥٪ منهم، ونسبة ٥٪ ديانات أخرى، وقال إن الجامعة الإسلامية بدولة غينيا تحتل مكانة طيبة ومرموقة وعالية، وأنه بسبب مصر وأزهرها الشريف أصبحت لدينا ثقافة إسلامية قوية، الأمر الذى يجعلنا نؤكد على عمق التعاون والترابط بيننا، ولأن للأزهر مكانة عالية فنحن نرغب فى مزيد من المنح الدراسية لأبناء غينيا لينهلوا من علوم الأزهر الشريف، وقد أكد فضيلة شيخ الأزهر الشريف على أن الأزهر الشريف فى خدمة أبناء المسلمين فى كل مكان وعلى السفارة أن تتقدم بطلباتها ونحن بدورنا ندرس هذه الطلبات وتلبيها، خدمة للإسلام والمسلمين وهذا هو دورنا، ومسئوليتنا.

الإمام الأكبر يستقبل سفير أيرلندا بالقاهرة

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير/ ريتشارد أوبراين سفير أيرلندا بالقاهرة، رحب فضيلته بالضيف متمنياً له إقامة طيبة فى مصر والتوفيق والسداد فى عمله وأعرب السفير عن سعادته البالغة بتواجده فى مشيخة الأزهر الشريف مشيداً بحفاوة اللقاء وفخره الشديد بلقاء شيخ الأزهر الشريف موضحاً بأن لأيرلندا دورا فعّالا فيما يحدث فى المنطقة، وأنها فى طريقها لأن تكون عضوا فى الاتحاد الأوروبى والأمم المتحدة، وأشاد بدور المسلمين فى أيرلندا مؤكدا على استمرار تواجد العلماء والمدرسين المسلمين لأن لهم دورا عظيما فيما يدرسونه بالمركز الإسلامى (بدبلن) عاصمة أيرلندا، وأنهم متعاونون ومتفاعلون فى مجتمعنا، ويقومون بتوضيح صورة الإسلام الصحيحة والحقيقية، ويصححون المفاهيم المغلوطة ويبينون سماحة الإسلام، وأيرلندا ضد مواقف العنف والتشدد، وذلك لأننا عانينا ذلك فى بلادنا، ورغم صغر حجم أيرلندا الدولى إلا أنها أكملت عضويتها فى الاتحاد الأوروبى، وستكون مشكلة الشرق الأوسط على قائمة الموضوعات التى ستبحثها فى المؤتمر، وأكد على أن أيرلندا تؤيد موقف الشعب الفلسطينى فى طلب حصوله على حقوقه المشروعة، كما أننا نؤيد الحوار للوصول إلى حلول إيجابية، وهذا ما حدث بين أيرلندا وبريطانيا، لتحقيق المزيد من الاتفاقات، كما أشاد السفير باحترامه للشعب المصرى لما يمتاز به من عادات وتقاليد وابتسامة دائمة، ومن جانبه شكر فضيلة الإمام الأكبر سعادة السفير على لباقته فى الحديث ووصفه برجاحة العقل والأدب الجم وأنه صادق فى قوله.

وقال شيخ الأزهر إنه رغم صغر حجم أيرلندا ولكنها كبيرة بالنسبة لثقافتها وسعيها لنشر السلام والعمل على مساعدة الغير والوقوف إلى جانب الحق، وقال: إننا على استعداد للتعاون البناء حتى يعم الخير والسلام على المجتمع الإنسانى، ولأن الحوار والمناقشة والاتصالات هى التى تقرب الآراء والمفاهيم، وهذا هو ما تدعو إليه الأديان السماوية والعقول الإنسانية السليمة لأن الحوار بين العقلاء يؤدى إلى نتائج طيبة.

الإمام الأكبر:

الأديان كلها تدعو إلى الصفاء والنقاء والمحبة

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير/ كريستيان ولدنبرج سفير الدانمارك بالقاهرة يرافقه وفد من كنيسة الدانمارك برئاسة/ أريك نورمان سفندسن أسقف كوبنهاجن ورئيس أساقفة الدانمارك وزوجته، حيث رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى الأزهر الشريف مشيداً بدولة الدانمارك فى رقيها وتقدمها وأنها تقف إلى جانب الحق والعدل وهذا أمر مطلوب أن تقف إلى جانب المظلوم حتى يأخذ

حقه، وقدم فضيلته شرحاً لدور الأزهر العلمى والتعليمى من الحضانة وحتى الجامعة، وأوضح بأن الله - عز وجل - أوجدنا جميعاً من أب واحد وأم واحدة وهو ما اتفقت عليه جميع الأديان السماوية، والعقول الإنسانية السليمة، وعلينا جميعاً أن نتعاون على نشر الفضائل، ومحاربة الرذائل، ومساعدة المحتاج والمظلوم، وعلينا أن نعمّر ولا نخرّب، ونصلح ولا نفسد، كما أوضح أن بالأزهر الشريف لجنة للحوار تقوم بتبادل الزيارات واللقاءات مع الفاتيكان، وكنيسة كانتبرى، والحوار لايتعرض للعقائد لأن العقائد لاتباع ولاتشترى، وأن لكل إنسان عقيدته، وإنما يتم الحوار فى الأمور الإنسانية والبشرية من تقديم العون للمحتاج، والإصلاح، ومنع العدوان بكل الطرق الممكنة، كما أكد فضيلته على أن الدراسة بالأزهر الشريف تقوم على السماحة والتوسط والاعتدال، ونبذ الظلم والإرهاب، ومع ذلك فهناك من يتاجر بالدين سواء أكان مسلماً أم مسيحياً أم يهودياً، وأقول إن الأديان كلها تدعو إلى الصفاء والنقاء والمحبة، وتبادل المنافع بين الناس، وقال إننا ضد من يقول بصراع الحضارات وإنما نقول بتعاون الحضارات وذلك لخدمة الإنسانية جمعاء، وهو ماتعلمه وماندرسه وهو من تعاليم الإسلام السمحة، وأوضح فضيلته أننا ضد التخريب والتفجير الذى حدث فى الرياض بالمملكة السعودية وفى الدار البيضاء بالمغرب وغيرهما، وهذا ضد الإسلام، والذين يفعلون هذا ليسوا بمسلمين، ونحن ضد قتل الأبرياء، والله أوجد الناس فى هذه الحياة وفيهم العقلاء، وغير العقلاء، وكل ما نرجوه أن يكون عدد العقلاء أكثر من عدد السفهاء، والأديان تدعو إلى نشر العدل والفضائل واحترام الحريات الإنسانية وذلك من أجل إسعاد البشرية.

الإمام الأكبر:

الإسلام يمد يده بالسلام لمن يمد يده إليه بالسلام

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفداً يمثل ثلاث جامعات من السويد من جامعة أوكسولا، ومن مؤسسة الديانات الإبراهيمية الناشطة فى التعليم الدينى للحوار بين الديانات، ومن مؤسسة اسكتونا للتفاهم والحوار برئاسة السيدة/ بروثيا رئيسة المؤسسة السويدية الإبراهيمة، وقد رحب فضيلته بالسادة الضيوف من دولة السويد الصديقة وقد أجاب فضيلته عن أسئلة الوفد والتى دارت حول دور الإسلام للنهوض بالفقراء، موضحاً بأن شريعة الإسلام فرضت الزكاة على الأغنياء لتعطى للفقراء، والدولة لها مسئولية متمثلة فى تقديم المساعدات المالية للمحتاجين، وأيضاً فى توفير المسكن المناسب لهم، وإيجاد العمل أيضاً.

وحول سؤال عن مفهوم الطلاق فى الإسلام أوضح أن شريعة الإسلام تجعل عقد الزواج عقداً دائماً بين الزوجين وفى حالة حدوث خلاف فإن شريعة الإسلام تأمر الزوجين بالصبر موضحاً أن أبغض الحلال عند الله الطلاق وفى حالة الإصرار على الانفصال فإن كان الإصرار من الزوج فعليه تبعات يعطيها للزوجة،

وإن كان الإضرار من جانب الزوجة فعليها أن تعطى له ما سبق أن دفعه لها، وأكد فضيلته أن شريعة الإسلام لاتشجع على الطلاق ولكن إذا وصل الحال إلى طريق مسدود فهنا يبيح الإسلام الانفصال.

وحول سؤال عن حضانة الأطفال فى الإسلام أوضح فضيلته أنه فى حالة الانفصال من حق الزوجة أن تحتضن أطفالها إلى أن يبلغ الواحد منهم سن الخامسة عشرة بعدها يخير الصبى بين والديه، وحول سؤال عن التعايش بين المسلمين والمسيحيين فى مصر، أوضح فضيلته أننا فى مصر نقول إن كل من يحمل الجنسية المصرية يتساوى فى الحقوق والواجبات مع غيره لا فرق فى ذلك بين مسلم أو مسيحى فيما يتعلق بالقانون، وأما العقائد فالمسلم له عقيدته والمسيحى له عقيدته والذى يحاسب على العقائد هو الله ـ عز وجل ـ لأنه لا إكراه على العقائد، وحول سؤال عن نظرة الإسلام لمفهوم الديمقراطية، قال فضيلته إنها هى العدالة فكل فرد فى المجتمع له حقوق وعليه واجبات فكما تعطى له حقوق عليه أن يؤدى ما عليه من واجبات، والديمقراطية هى الشورى فى الإسلام والله تعالى يقول: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ الشورى (٣٨). وحول دور الأزهر ورسالته، أوضح فضيلته أن للأزهر دوراً دينياً وتعليمياً يوضح للناس الوجه السمح للإسلام، ويبين يسره وسهولته، وأنه مع مصلحة الناس، والإسلام دين يمد يده بالسلام لكل من يمد له يده بالسلام.

الإمام الأكبر:

من يفهم اللغة العربية فهما سليما يفهم الإسلام

● شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف حفل تخريج دورة الدارسين للغة العربية من مدرسى إقليم آتشية بدولة أندونيسيا وعددهم ٣١ مدرساً ومدرسة، وقد أقام الأزهر لهم دورة استمرت خمسة أشهر بدأت من ١/١/٢٠٠٣ تلقوا خلالها الدروس فى اللغة العربية ومفرداتها وقواعدها، وبلاغتها إلى جانب تدريس العلوم الدينية والفقهية، والتدريبات العملية على طرق التدريس باستخدام قواعد الصرف والبلاغة والأدب وقام بالتدريس لهم نخبة من علماء الأزهر الشريف المتخصصين فى هذه المواد، وألقى فضيلته كلمة رحب بهم فيها وهنأهم على هذه الدورة المتقدمة، وقال: إن علاقة الأزهر الشريف بدولة أندونيسيا ممتدة منذ زمن بعيد وقد تخرج فى الأزهر الآلاف من أبناء أندونيسيا، واحتلوا مراكز قيادية فى بلادهم، وقاموا بنشر ماتعلموه من علم فى ربوع بلادهم وأكد على أن من يفهم اللغة العربية فهماً سليماً يعرف أحكام الإسلام ويفهم دينه فهماً سليماً، ويفهم معانى القرآن الكريم لأنها هى لغة القرآن، وقام فضيلته بتوزيع شهادات التخرج عليهم، وسلم كل منهم مكتبة إسلامية قيمة، وألقى أحد الدارسين كلمة وجه فيها الشكر لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على رعايته واهتمامه بتعليم أبناء المسلمين من شتى أرجاء العالم

الأمور الدينية والشرعية واللغوية، والحفاظ على صحة وسلامة اللغة العربية بكل سهولة ويسر، وقال: إن الدارسين استفادوا كثيراً واغتنموا هذه الفرصة الذهبية فى رحاب الأزهر وتعلموا العلم النافع على يد أساتذة أجلاء من الأزهر الشريف، الذى يستقبل طلاب العلم من مشارق الأرض ومغاربها ليعلمهم صحيح الإسلام، وهذا هو دور الأزهر الشريف فى نشر الدعوة الإسلامية، وكانت فرصة نفيسة لهذا الوفد أن حصل على العلم النافع فى هذه الدورة المنظمة تنظيماً دقيقاً.

اجتماع المجلس الإسلامى العالمى للدعوة الإغاثة

● برئاسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف عقد بالقاهرة اجتماع هيئة الرئاسة الثانى والأربعين للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة الثلاثاء ١٣ مايو ٢٠٠٣ وتحدث فضيلته عن أهمية هذا الاجتماع من أجل ديننا وأمتنا وخاصة فى هذه الظروف التى تتوالى فيها الأحداث التى هزت الدنيا بأكملها، وهذا يحتاج إلى عمل جاد وإلى بحث الأوضاع الراهنة والوصول إلى حلول لها.

وعلى مدى يومين عُقدت جلسات صباحية ومسائية تم فيها بحث قضايا إسلامية متعددة مثل فلسطين، القدس، العراق، أفغانستان، الصومال، السودان، الشيشان وتم استعراض المؤتمرات الدولية والبيانات والمشروعات التنسيقية المشتركة المختلفة، وتم وضع تصور عام إزاء المشكلات القائمة ومن خلال تعاون المنظمات الإسلامية داخل هذا المجلس بشكل يجعل منه تكتلاً موحداً قوياً يؤثر فى الشعوب الإسلامية.

وأهم ماورد فى البيان الختامى للمجلس:ـ

١ـ إرسال برقية شكر وتقدير للسيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية على رعايته للمجلس وما تتحمله مصر من أجل قضايا الأمة الإسلامية والعربية ومايقوم به الأزهر الشريف من دور فعال فى نشر القيمة الإسلامية والحفاظ عليها.

٢ـ دعوة جميع رؤساء دول العالم ومجلس الأمن إلى أن يصدر قرارا بتسليم حكم العراق لأبنائه وعودة قوات الغزو إلى بلادها.

٣ـ دعوة المجتمع الدولى إلى التمسك بالقرارات الدولية المؤكدة على حق الشعب الفلسطينى فى إقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف.

٤ـ استنكار ما حدث من عدوان من فئة ضالةباغية على الأمن بالمملكة العربية السعودية لأن هذا العمل لايقره دين ولا عقل سليم.

٥ـ التأكيد على أن العالم الإسلامى عضو مشارك وإيجابى ونشط فى صنع الحضارة الإسلامية والسلام العالمى والتعايش السلمى.

٦ـ التأكيد على وضع خطة لتنسيق العمل الإسلامى رسمياً وشعبياً لمواجهة الحملة الشرسة ضد الإسلام والمسلمين.

﴾Indeed We have already sent Nuh (Noah) to his people…﴿

[Al-A'raf (The Battlements): 59]

﴾And Lut, as he said to his people, "Do you come up to (the obscenity, (while) you behold its impurity?")﴿

[An-Naml (The Ant): 54] and

﴾And surely Ilyas is indeed one of the Emissaries; as he said to his people, "Will you not be pious (towards Allah)?")﴿

[As-Saffat (The Rangers): 123-124].

<u>The Universality of Islam was decided from the beginning of the Meccan Revelation:</u>

It is worth mentioning that the universality of the Ever-Glorious Book of Allah (i.e., the Qur'an) was stated with the beginning of the Revelation at Mecca. This is supported by the fact that all the Qur'anic Verses indicating this universality were revealed at Mecca, except for one verse, in which Allah, Exalted be He, said,

﴾In no way is Muhammad the father of any of your men, but the Messenger of Allah, and the Seal of the Prophets.﴿

[Al-Ahzab (The Allied Parties): 40].

Stating that Muhammad is the last Prophet is considered a proof on the universality of his Message. That is no other Messenger or Prophet will come up after him until the Day of Resurrection. This means that the Qur'an will remain be considered as the Message revealed to him. This is considered an answer and proof refuting the claims of those saying that the Message of the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, addressed to only Arabs.

<u>The Prophetic Method in spreading the Universality of the Islamic Call before the Migration:</u>

When the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, was commissioned to disseminate the Islamic Message, it was naturally that he would call to it in secrecy. He began with his family: namely, his wife Khadijah, his servant Zayd Ibn Harithah and his cousin Aly Ibn Abi Talib. Then, he informed his closest companions, including Abu Bakr, Uthman Ibn 'Affan

and others. After three years, he began to declare his call publicly. The Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, called the people of Mecca, including the tribes of Quraysh, to enter Islam and renounce idols' worship. However, their arrogance and stubbornness made them turn away from Islam and driven them to conspire against it. In this regard, Allah, the Almighty, says,

﴾And they repudiated them, and their selves had (inner) certitude of them, out of injustice and exaltation.﴿

[An-Naml (The Ant): 14].

After that, the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, began to call to Islam outside the geographical and tribal borders of Mecca. He carried his Message to the tribe of Thaqif at At-Ta'if. But, they did not accept his call and turned their backs to him. However, the Prophet did not loose hope, as he continued in his way persistently.

<u>The Prophet's call exceed the borders of Peninsula while being at Mecca:</u>

The call to Islam reached Abyssinia in the fifth year of Prophethood. This is when some of the early Muslims from Mecca migrated to Abyssinia and stayed there for several years consisting the Islamic community in Africa. The aim of their migration was seeking security and stability, after the persecution they suffered at the hands of the people of Quraysh, rather than spreading the call. When An-Najashy heard about the Islamic call, he received Muslims and looked into its teachings. Therefore, he refused to hand Muslims over to the people of Quraysh.

In conclusion, nations as well as people admired the new religion (i.e. Islam) and responded to it. Moreover, they felt that it was a gift from heavens to them. This is because, the principles of Islam penetrated into their hearts so smoothly, as Islam was and still considered the religion of natural disposition. Allah, Exalted be He, revealed,

﴾So set your face upright to the religion, unswervingly upright, the original (innateness) of Allah upon which He originated mankind.﴿ [Ar-Rum (The Romans): 30].

Then, the great scholar Muhibud-Din moves to shed light on another issue: namely, the principles on which the true desired renovation is based. He stated an outstanding methodology that involved searching for the points of superiority and strength, in order to analyze them, while keeping and preserving our national and religious identity. Thus, as long as what we take from the other nations be limited and does not exceed its assured benefit, it will be more preferable. That is, we should not put on the garment of others and take off ours. This is because, what we seek from renovation is just what can organize our life and suffice us from the other nations' products.

Furthermore, if there is no other way before us in order to attain independence, except through scientific progress, then science is not to be restricted to only the Western countries so that we would humbly seek their knowledge. Rather, science is a common element that is related to all nations, as they all contribute to its formation and advance. Thus, if we should ask for it now, we would be asking for our right in our predecessors' heritage. In this respect, *Ustaz* Muhibud-Din said, "Science and knowledge are universal: namely, they do not belong to one nation or monopolized by one continent, excluding the others." He added, "Science is the means of gaining power, in both war and peace, so it must be sought." He kept stressing on this fact in successive articles. Moreover, *Ustaz* Muhibud-Din would keep repeating the same ideas urged to by him. This is because he was seeking reformation. That is, the reformer is required to keep repeating his ideas so that they may be anchored at the mind of the reader.

*Islam: The Universal Religion

By: The Honourable Counsel, Muhammad Ezzat At-Tahtawy

The Message delivered by the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, came to change the world entirely, as it is considered a message and call directed to all mankind at all ages. That is all successive generations are addressed and commanded to follow its teachings and instructions. Allah, Glory be to Him, says,

﴿Blessed be He who has sent down the Criterion upon His bondman, that he may be a warner to the worlds﴾

[Al-Furqan (The Criterion): 1].

As for the Qur'an that the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, came with, it is unquestionably divine: namely, the heavenly revelation did not mingle with the human thought. Moreover, the Ever-Glorious Qur'an combines all the messages delivered by the former prophets as well as the guidance of the previous messengers, especially those of great determination, such as Ibrahim, Musa, Nuh and Isa, may the peace of Allah be upon them all. Then, the Seal of the prophets came, Muhammad, may the blessing and peace of Allah be upon him, who delivered the Message of His Lord along with commandments that control man's life and guide him toward the upright path until the Day of Resurrection. Allah, the Almighty, reveals:

﴿And that this is My path, a straight (one); so follow it closely and do not follow the (other) ways, or then they would make you part away from His way. That is what He has enjoined you with, that possibly you would be pious.﴾

[Al-An'am (Cattle): 153]

<u>The Messages of the Previous prophets were national:</u>

At old ages, the Divine Revelation was directed to certain spots of the land and certain people. For example, Allah, The Ever-High, says,

* An Article Published (In Arabic) At Al-Azhar Magazine.

[*]Muhibud-Din Al-Khatib
The Great Islamic Thinker

By: Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumi

There were so many thinkers who did not gain any fame, even after their death. Among those thinkers was the great scholar Muhibud-Din Al-Khatib, as he was one of those filled with great energy and enthusiasm. Moreover, he used to shed light on the current events. Furthermore, he would not stay at his office just for writing articles. Besides, he thought about establishing an Islamic association that could face the abusive trend patronized by the West against Islam, and resist the coming polytheism spreading in the minds of those who traveled to Europe and came back possessed with the ideas and thoughts of Islam's enemies. So, he called for establishing an association for the Muslim youth be located at Cairo, and be extended allover the Islamic world. After exerting great efforts, his dream became true, as the association was established and began to practice its activities.

Moreover, Al-Fath Magazine that was established by *Ustaz* Muhibud-Din, in order to be a mouthpiece for the contemporary Islamic Renaissance, used to publish all that was tackled in the forums of Muslim Youth's Association. It was considered a school rather than a published newspaper. This is because, Al-Fath Magazine formed the character of a generation of writers who were able to throw light on the points of sadness witnessed at their time. They were also able to tackle the problems of the Islamic World in objectivity. In addition, it opened its arms for all the Arab writers to write on its pages. At that time, all religious magazines and newspapers were restricted to the discussion

[*] The Former Editor-in-Chief Of Al-Azhar Magazine.

of the issues relating to the interpretation of the Qur'an, science of Hadith, Companions' and famous scholars' biographies as well as answering the religious questions on the Islamic jurisprudence. But Al-Fath Magazine succeeded in overcoming those restrictions and began to explore other fields, such as analyzing the dilemmas of the Islamic world that was and still overpowered by the Western Imperialism. Hence, it turned politics into a living literary art that would touch feelings and express wishes.

More and above, *Ustaz* Muhibud-Din had his own clear ideas concerning the issue of "Art for Art." In this regard, he raised a question, in which he asked, "Is the artist, who employs his skills for the benefit and best interest of the community be regarded as an equal to the artist, who does not consider the consequences resulting from the influence of his work; whether they are good or bad? In other words, those working in literary works used to ask, "Is Art just for Art (i.e. for pleasure), or is it for virtue and good?" In his answer to this question, *Ustaz* Muhibu-Din said, "There are two matters that one dealing with such issue has to consider. As for the first, the artists, who live in a human community are of two kinds: those who are like cocaine, which pleases and harms at the same time and those who are like a rose, which pleases and does not cause harm. Concerning the second, literary considerations are not the same in every nation: namely, that which is forgivable in a nation may be harmful in another. Hence, the East has to wake up and be attentive, as regards what is surrounding it of threats and dangers. Moreover, as long as Art be viewed a power of great influence on sprits and mentalities, it has to be directed to assiduity not jesting, and hardworking not laziness."

AL-AZHAR MAGAZINE

Rabi ul-Akher 1424 A. H.

ENGLISH SECTION

June/ July 2003

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor, Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

The Messenger's Magnificent Manners

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

At the engagement celebration of Khadijah, Mother of the Believers, to Muhammad, Allah's Messenger's, may the blessing and peace of Allah be upon him, Abu Talib, the Messenger's Uncle said, "All praise be due to Allah Who has made us descend from the progeny of the Prophet Ibrahim and from the offspring of his son Ismail, may the peace of Allah be upon them both. Glory be to Allah Who has made us the servants of the House (The Ka`bah) and made for us a House to which people set out for pilgrimage and made us rulers (of power) among people. My nephew, Muhammad Ibn `Abdullah is a man that has no match, as regards his honor, dignity and favor. Even if he has little wealth, wealth goes away and great manners stay. By Allah! He will be of a great matter."

Moreover, at the first time Muhammad began to receive the revelation, he was very frightened and he came to his wife, Khadijah, Mother of the Believers, saying, "Enwrap me, enwrap me." After becoming relaxed, the Messenger said to her, "I was horrified." She said to him, "No. By Allah! He will never let you down, as you keep your blood relations, carry the burden, help the needy, show generosity towards the guest, stand by those having right."

Furthermore, Hind Ibn Abu Halah described the Messenger saying, "He used to meditate a lot, keep silent for long periods, talk eloquently. He was also of good nature, neither rude nor vulgar. Moreover, he would not slander anybody. Thus, if he got enraged, he would do nothing but turning away his honorable face..."

All in all, the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, was a man of perfect manners, as he was disciplined by His Lord Who has disciplined him perfectly. Allah, Exalted be He says,

﴿And surely indeed you are of a magnificent character.﴾

[Al-Qalam (The Pen): 4]

الفهرس

مجمع البحوث الإسلامية

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي

● ● ●

رئيس التحرير
أ.د. محمد رجب البيومي

نائب رئيس التحرير
الطاهر محمد الطاهر الحامدي

مدير التحرير
عادل رفاعي خفاجة

سكرتير التحرير
أحمد السيد تقي الدين

الاشتراك السنوى

● داخل مصر	١٨ جنيها مصريا
● الدول العربية	٥٠ دولارا أمريكيا
● أوروبا وأمريكا	٨٥ دولارا أمريكيا
● اليابان وشرق آسيا	١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم
مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر
ت: ٢٦٣٨٥٩٩

جمادى الأولى ١٤٢٤هـ - يوليو ٢٠٠٣م - الجزء الخامس - السنة السادسة والسبعون

الفهرس

مجمع البحوث الإسلامية

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
فى مطلع كل شهر عربى

• • •

رئيس التحرير
أ.د. محمد رجب البيومى

نائب رئيس التحرير
الطاهر محمد الطاهر الحامدى

مدير التحرير
عادل رفاعى خفاجة

سكرتير التحرير
أحمد السيد تقى الدين

الاشتراك السنوى

- داخل مصر ١٨ جنيها مصريا
- الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا
- أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا
- اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم
مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / الأزهر / مصر
ت: ٢٦٣٨٥٩٩

افتتاحية العدد

أحاديث المجالس بين الجدّ والثرثرة

يلاحظ الذى يتسمّع أحاديث العامة فى مجالسهم تفاهة ما يتعرضون إليه من نواحٍ مختلفة، فهم يقطعون الوقت الطويل فى ثرثرة جوفاء لا تملأ فراغاً أو تشبع عاطفة، وقد يعذرون فى ذلك حيث لم تتح لهم التربية الناضجة التى تتجاوز السطح البارز إلى الأعماق الدفينة، ولكن المؤسف حقا أن تكون أحاديث الخاصة من المثقفين فى أكثر أوقاتها على غرار أحاديث العامة، تفاهة موضوع ولجاجة حوار دون أن تجد فروقا واضحة بين الفريقين، فتظل تسمع وتسمع متضايقا متضجرا، وقد يُلجئك السأم الممل إلى الفرار السريع دون تريث وإبطاء.

ومعلوم أن الناس يتزاورون فى مناسبات كثيرة ترويحا للنفس فى لقاء مؤنس وسمر مريح، وفى مطارحة الأحاديث تتكشف نواحٍ هامة يجدر التنبيه إليها والاستفادة من نتائجها، إذ أن الجدب الموحش ظاهرة بارزة تسم هذه الاجتماعات بطابعها العقيم، ولابد لنا من نظرة فاحصة نزن بها ما ننفق من أوقات وما نندفع إليه من لجاجات.

وأنا أعلم جيدا أن الترويح عن النفس هدف مقصود من التزاور والتجمع، فليس المجال متاحا للمناقشة العلمية، ولن يعقل أن تكون أحاديث الأصدقاء دروسا هامة فى بعض العلوم والفنون، ولو أنها كانت كذلك - فى نطاقها المنهجى الرتيب- لأصبحت مدعاة السأم والنفور، فنواجه منها على دسامتها النافعة ما نواجهه الآن من الثرثرة التافهة على هزالها المريض، ونكون بذلك قد استشفينا من داء بداء، فالسأم والملال نتيجة واحدة فى الحالتين وأظنك بعد ذلك تسأل كيف يدور الحديث؟ وعلى أى وضع يكون؟

إن مشارب الناس متعددة غير متحدة، فلديهم على اختلاف طبقاتهم - تباين عجيب يدفع إلى الدهشة والتساؤل، فهذا مغتاب جرئ لا يكف عن انتقاص معارفه وتتبع عوراتهم ثم هو يفرض عليك حديثه الآسن الكريه دون خجل، أو حياء، وذلك ناقد يتصدى للمعارضة والجدل فى أبسط ما ينبغى أن يتفق عليه من الأمور دون أن تكون له وجهة نظر غير اللجاجة والمراء، وذاك متحدث لا يفارق طفولته فى رجولته فتظل أحاديثه الطويلة تدور حول نفسه وأهله، فإذا شاهد تبرما من سامعه

عده إهانة تؤول فى اعتقاده إلى حقد وضغينة وتترك فى سويدائه شجونا سوداء تكدر عليه صفاءه وهؤلاء وأمثالهم يجدون فى سمر المحادثة ترويحا عن خوالجهم المتوثبة فكيف تنظم أحاديث الناس مع هذه الأنماط المتنافرة حتى تعود على السامع والقائل معا بالفائدة والاستمتاع؟

أعتقد أن تنازل الإنسان عن أنانيته الملحة نجاح كبير لمجلسه، إذ أن هناك حبا كامنا للسيطرة على النفوس يتطلب المنافذ الواسعة للوثوب فى كل مناسبة تحين، والحديث منفذ متسع يظفر منه المتحدث فيفسح المجال لرغباته ونزعاته فما يكاد يسمع كلمة عابرة عن شئ ما حتى يندفع فى الحديث عنه دون أن تتحدد فى رأسه أفكاره وعناصره، وقد يتطرق منه إلى موضوع آخر يلم بنواحيه دون أن تكون هناك علاقة واضحة أو صلة مناسبة، فيظل يبدئ ويعيد فى حديث بعيد عن المشاعر منبت الصلة عن السامعين، وفيهم بلا ريب من تتملكه شهوة الثرثرة كصاحبه فيضيق به ذرعاً إذا سيطر على أصحابه بهرائه الغث دون أن يترك له مجالا يُرضى منازعه، وقد يتلمس السبيل إلى معارضته فيفتح باب المهاترة والادعاء، وإذا جنح إلى السلامة تلمس البادرة العاجلة فاندفع هو الآخر يذكر ما يتواثب فى نفسه من أوهام، وهكذا يتصل الحديث فى غير طائل، وكأن كابوسا ثقيلا قد ران على السامعين، فهم يجثمون تحته فى ضيق مقلق، وما يكادون يفترقون حتى يتنسموا بعض الراحة مما يكابدون، وكأنهم كانوا يواصلون كفاحا مقيتا يتطلب بعد انقضائه كثيرا من التسلية والترويح، ولو تغافل كل إنسان عن أنانيته قليلا لرحم سامعيه من هم ناصب ولغو مرير.

لابد إذن من علاج ناجع لهذه الثرثرة البغضية ولن تسحق الأنانية من الناس فى يوم وليلة حتى نظفر بالشفاء السريع ومكافحة الداء فى هذا المرض الكريه تقع على السامع الحصيف فهو الذى يستطيع أن يوجه الحديث وجهة صالحة دون تصادم سافر، فقد يسأل سؤالا لطيفا يرمز إلى الإيجاز المقتضب فى غير مواجهة، وقد يخرج بالحديث حينا آخر من نطاقه الشخصى إلى مدى فسيح عام يتعلق بمشكلة قومية أو حادثة مشتركة تشغل الجمهور، وسيشعر الثرثار لا محالة ببعض الضيق من انقطاع تياره الخاص ولكن الابتسامة المصطنعة والرفق الشامل، والبشاشة المتصلة، كل أولئك قد يهون من شجونه بينما يتلقى درسا عمليا يكشف عن شذوذه الأنانى، فلا يعود إلى اللغو السقيم، كيلا يلدغ من جحر مرتين وبذلك يتعلم الناس شيئا فشيئا آداب الحديث.

وقد يكون فى بعض المجالس شخصية مرموقة تسيطر بمكانتها على المجتمعين وتتجه لها الأنظار والأسماع، وإذ ذاك يجب أن يلقى عليها العبء إن عد ذلك عبئا فى توجيه السمر وتلوين الحديث، ومتى سلم صاحب هذه الشخصية من الأنانية الأليمة فقد ظفر المجلس بكسب مفيد، إنه يستطيع أن ينتقل بالحديث إلى غير وجهته، إذا أحس بعض اللجاجة والفضول، كما يمكنه أن يرتفع بمستواه إلى حد تسيغه الأفهام ولا ترفضه، وقد يكون من اللائق أن يفسح بعض الشئ لغيره، مكتفيا بالتعليق المقنع، فإذا تم ذلك شعر الحاضرون براحة المستفيد الذى تشبعت

روحه وامتلأت نفسه من شراب لذيذ لم يتطلب عنتا فى الإعداد والتهيئة، ويرجع إلى السمر لذاذته وأثره الحميد.

وقد يظن بعض الناس أن السمر بالمجالس لهو خالص لا سبيل إلى تقييده بأوضاع أو اتسامه بتقاليد، وربما كانت الفكاهة المضحكة حينئذ إحدى مميزاته وهذا صحيح إن استقام على نهجه القويم، ولكننا نجد الفضوليين يجنحون به إلى الثرثرة والتشدق حتى يعود سخيفا مقيتا وهراء مشينا بل كثيرا ما يخطئ المتسامر معنى الفكاهة فيظنونها فى التسفل اللفظى والولوع بنوادر الرعاع ومضحكات الطغام مما لا يجب أن يتكشف الحديث عنه فى مجتمع ما، ونحن لا نريد أن تضيق على الناس منافذ الترويح، ولكننا نحذر من الانكشاف الفاضح الذى يبعث على الاشمئزاز لدى الضمائر الحية فلا تتحمل الإغضاء عنه بحال، والواقع أن الإنسان اللبق يستطيع أن يعبر عن أدق الأمور الحرجة بأسلوب مقنع لا يحرج سمعا أو ينحط بقائل، وفى اللغة العربية من الكنايات الطريفة ما تتضائل أمامه الحقيقة السافرة، فالتبذل فى أكثر وجوهه يرجع إلى انحطاط اللفظ، وضيق التعبير أكثر مما يرجع إلى الفكرة الهابطة والمعنى الجارح، ومتى لاحظ المتسامر ذلك فلهم أن يتحدثوا كما يشاءون دون مؤاخذة وانتقاص، على ألا يكون تندرهم على حساب فرد آخر فيخرج بهم الحديث من الفكاهة العذبة إلى النميمة والاغتياب.

ويدهش من يطالع حيوات كثيرة من عظماء التاريخ وقادة الفكر فى الأمم، إذ يجد أن ندوات المجالس قد حملت فى طياتها بذور تكوينهم وعناصر شخصيتهم، فقد أتاحت لهم تفهم النفسيات المعقدة وملاقاة الاحتدام الجدلى، كما لقنهم الاحتكاك الخطابى أساليب المرونة والمداراة، فتكاملت ذواتهم الإنسانية تكاملا ناضجا يقوم على سبر الأغوار وإظهار الدوافع، بل إن الفائدة العلمية وحدها ببعض المجالس النافعة قد تغنى غناء مدرسة ذات أساتذة ومرشدين، ونحن نعلم أن مجالس الأستاذ الإمام محمد عبده قد خرجت وحدها شاعر النيل حافظ إبراهيم، فكان يسمع باسم الكتاب لأول مرة من متحدث فاضل فى ندوة الإمام، فيبادر إلى تصفحه واستيعابه، ويرى فى مصاولة العقول غناء دسما يغنى غناء الدراسة الشخصية، بل ربما فاقها فى بعض أحواله، إذ أن المتحدث من أفاضل النابهين يذكر دائما الرائع المنتخب من أفكاره، ومعارفه فلا يتحف رفقاءه بغير الدسم المفيد، فى حين أنك تدرس الكتاب من الكتب فتجده شهيا نافعا، وتارة أخرى يخلف ظنك به فيطالعك بالتافه المجوج،، وتتحسر حينئذ على الوقت المبذول فى استيعابه والمال المعطى فى شرائه.

وإذا كانت الندوات تضم أشتاتا مختلفة من الناس فإنها تتيح بذلك معارف متنوعة فإذا اجتمع المهندس والطبيب والقاضى والمدرس فى مجلس واحد وامتد بساط الحديث فيتحدث كل بما يكشف عن ثقافته ويبرز عن مناحيه، ولن نزعم أن كلا من هؤلاء سيتحدث حديثا علميا عن مهنته الخاصة، فذلك مالا يكون بحال، ولكن وجهات النظر دائما تتكون من ثقافة الإنسان، وقد يتلاقى الجميع لدى فكرة معينة، ولكن فلسفتها الخاصة، وتعليلها المنطقى يختلف لدى كل متحدث وفق منازعه

العلمية واطلاعاته الشخصية وفى ذلك كله تلقيح للذهن، وارتشاف من منابع الحكمة، لو قدرت المجالس قدرها فربأ جلساؤها بأنفسهم عن السفاسف الوقتية وذكروا نعم الله على العقول والأذهان وفى الدعابة التى تتخلل الحديث، وفى سمات المتحدث المهذب وفى التندر بالظواهر القلقة فى غير تجن ولا إسراف، فى ذلك كله ما يحيل الندوة إلى أمسية حافلة فاتنة، وهناك شعور نفسى بالرضا والاغتباط يغمر الإنسان حين يرتفع بحديثه إلى مستوى ثقافى حميد فيلمس تفوقه الذهنى ويشهد إعجاب سامعه وتقديره، وفى ذلك إرضاء لبعض المنازع الكامنة فى أطوائه مهما حاول التنصل منها، ومهما استترت عنه فخدعته إلى حد ما، ولكنها لم تنعدم انعداما يحتم علينا أن نتجاهلها أو نتضايق من إعلانها، إذ أن الانسان هو الانسان.

وإذا كان ارتقاء الحديث يتيح خيرا كثيرا للسامعين، فإنه من ناحية أخرى يدفع شرا مستطيرا تنجم بوارقه بين الحين والحين، فتفاهة الموضوع تجعل من اللجوج الملحاح ثرثارا كثير التخبط والسقطات، وهو لضيق نظره يتعرض للناس مصرحا بالأسماء مستدلا بالوقائع، ولابد من نقد يزيد ويتسع حتى يصبح سبابا، فإن لم يبلغ ذلك فهو تعريض مفضح لا يعدم من يحمله إلى صاحبه المنقود فيؤجج الضغائن ويثير المواجد، ورب كلمة عاثرة قذف بها قائلها فى غير تدبر عاقل ففتحت أبواب التطاحن والشجار، بل إن كثيرا من الحروب المدمرة فى تاريخ البشرية كانت نتيجة لحديث تبودل وثرثرة هذى بها صاحبها دون اكتراث فعادت على الأمم والأفراد بالويل والثبور.

ومن هنا دعا الإسلام إلى النجوى الصالحة والكلمة الطيبة، فقال الله عز وجل:

﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

سورة النساء الآية ١١٤

وروى البيهقى أن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد ليقول الكلمة لا يقولها إلا ليضحك بها المجلس يهوى بها أبعد ما بين السماء والأرض وإن الانسان ليزل عن لسانه أشد مما يزل عن قدميه».. ولكبار المفكرين من ذلك نفثات رائعة لا يسعها هذا المجال.

إن من احتقار المواهب الإنسانية أن يفيض عقلاء القوم فى حديث ممرور لا يجلب غير الحنق والضيق وقد تكون التفاهة معرة للجهلاء، ولكنها للمثقفين كارثة يعز فيها الصبر ويند عنها العزاء، فليت الذين أوتوا نصيبا من المعرفة يتركون هراء هم السقيم إلى سمر ينعش الأرواح ويسمو بالأخلاق!!

د./ محمد رجب البيومى

تفسير سورة البقرة

قال تعالى:

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ
النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ (٢٥٧) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ
أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي
بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي
كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ الآيتان: ٢٥٧ : ٢٥٨

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

(الولى): الناصر والمعين والحليف. مأخوذ من الولاية بمعنى النصرة.

والمعنى: الله الذى بيده ملكوت كل شئ ﴿ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى معينهم وناصرهم ومتولى أمورهم، فهو -سبحانه- الذى يخرجهم من ظلمات الكفر، ومن ضلالات الشرك والفسوق والعصيان إلى نور الحق والهداية والتحرر من الأوهام. أما الذين كفروا فأولياؤهم ونصراؤهم الطاغوت الذى يتمثل فى الشياطين والأصنام والأوهام الموروثة والكبرياء والمضلين، وهؤلاء يخرجونهم بسبب انطماس بصيرتهم وانتكاسهم فى المعاصى من نور الإيمان والهداية إلى ظلمات الكفر والضلالة. أولئك الموصوفون بتلك الصفات القبيحة أصحاب النار هم فيها خالدون خلودا مؤبدا.

وأفرد -سبحانه- النور وجمع الظلمات، لأن الحق واحد أما الظلمات فقد تعددت فنونها وألوانها وأسبابها. وفى تقديم:

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ فى قوله:

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ ﴾

إشارة إلى أنهم هم الذين ارتضوا أن يكون الطغيان مسيطرا على قلوبهم لأن كفرهم بالله -تعالى- هو الذى جعل الشيطان ينفذ إلى أقطار نفوسهم بسهولة ويسر.

وقوله:

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ مبتدأ و﴿ أَوْلِيَاؤُهُمُ ﴾ مبتدأ ثان، و﴿ الطَّاغُوتُ ﴾ خبره والجملة خبر المبتدأ الأول.

ولم يقل -سبحانه- والطاغوت ولى الذين كفروا للاحتراز عن وضع اسم الطاغوت فى مقابل لفظ الجلالة.

فإن قيل: وهل كان الكافرون فى نور ثم أخرجوا منه؟ فالجواب أن المراد يخرجونهم من النور الفطرى الذى جعل عليه الناس كافة أو من نور الحجج الواضحات التى من شأنها أن تحمل كل عاقل على الدخول فى الإسلام. وقيل المراد بهؤلاء المخرجين من النور إلى الظلمات أولئك الذين آمنوا بالنبى ﷺ قبل بعثته ثم كفروا به بعدها والإشارة فى قوله:

﴿ أُولَٰئِكَ ﴾ تعود إلى ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾

وفى التعبير بـ﴿ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ إشعار بأنهم ملازمون لها كما يلازم المالك ما يملكه والرفيق رفيقه. وقوله:

﴿ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ تأكيد لبقائهم فيها واختصاصهم بها.

وبذلك تكون الآية الكريمة قد ساقت أحسن البشارات للمؤمنين، وأشد العقوبات للكافرين الذين استحبوا العمى على الهدى.

﴿ حَاجَّ ﴾ أى جادل وخاصم والمحاجة: المخاصمة والمغالبة بالقول يقال حاججته فحججته أى خاصمته بالقول فتغلبت عليه

وتستعمل المحاجة كثيرا فى المخاصمة بالباطل ومن ذلك قوله -تعالى-:

﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾(١).

وقوله -تعالى-:

﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ﴾(٢).

والمعنى: لقد علمت أيها العاقل صفة ذلك الكافر المغرور الذى جادل إبراهيم -عليه السلام- فى شأن خالقه -عز وجل- ومن لم يعلم قصته فها نحن أولاء نخبره بها عن طريق هذا الكتاب العزيز الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

والاستفهام للتعجب من شأن هذا الكافر وما صار إليه أمر غروره وبطره والمراد به -كما قال ابن كثير- نمرود بن كنعان بن كوش ابن سام بن نوح ملك بابل، وكان معاصرا لسيدنا إبراهيم -عليه السلام-.

وأطلق القرآن على ما دار بين هذا الملك المغرور وبين سيدنا إبراهيم أنها محاجة مع أنها مجادلة بالباطل من هذا الملك، أطلق ذلك من باب المماثلة اللفظية أو هى محاجة فى نظره السقيم ورأيه الباطل.

والضمير فى قوله: ﴿ فِي رَبِّهِ ﴾ يعود إلى إبراهيم -عليه السلام- وقيل يعود إلى نمرود لأنه هو المتحدث عنه فالضمير يعود إليه والإضافة -على الرأى الأول- للتشريف، وللإيذان من أول الأمر بأن الله -تعالى- مؤيد وناصر لعبده إبراهيم. وقوله: ﴿ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ﴾ بيان لسبب إقدام هذا الملك على ما أقدم عليه من ضلال وطغيان. أى سبب هذه المحاجة لأنه أعطاه الله -تعالى- الملك فبطر وتكبر ولم يشكره -سبحانه- على هذه النعمة، بل استعملها فى غير ماخلقت له فقوله: ﴿ أَنْ آتَاهُ ﴾ مفعول لأجله، والكلام على تقدير حذف لام الجر، وهو مطرد الحذف مع أن وأن.

وقوله:

﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾

حكاية لما قاله إبراهيم -عليه السلام- لذلك الملك فى مقام التدليل على وحدانية الله وأنه -سبحانه- هو المستحق للعبادة أى قال له: ربى وحده هو الذى ينشئ الحياة ويوجدها، ويميت الأرواح ويفقدها حياتها، ولايوجد أحد سواه يستطيع أن يفعل ذلك.

وقول إبراهيم -كما حكاه القرآن-:

﴿ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ مفيد

(١) آل عمران (٢٠).
(٢) الأنعام (٨٠).

للقصر عن طريق تعريف المبتدأ وهو: ﴿ رَبِّيَ ﴾ والخبر هو الموصول وصلته.

وعبر بالمضارع فى قوله: ﴿ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ لإفادة معنى التجدد والحدوث الذى يرى ويحس بين وقت وآخر.

أى ربى هو الذى يحيى الناس ويميتهم كما ترى ذلك مشاهدا فى كثير من الأوقات، فمن الواجب عليك أن تخصه بالعبادة والخضوع وأن تقلع عما أنت فيه من كفر وطغيان وضلال.

وقوله:

﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ ﴾ ظرف لقوله: ﴿ حَاجَّ ﴾ أو بدل اشتمال منه، وفى هذا القول الذى حكاه القرآن عن إبراهيم -عليه السلام- أوضح حجة وأقواها على وحدانية الله واستحقاقه للعبادة، لأن كل عاقل يدرك أن الحق هو الذى يملك الإحياء والإماتة ويملك بعث الناس يوم القيامة ليحاسبهم على أعمالهم وهوأمر ينكره ذلك الملك الكافر.

قال الإمام الرازى ما ملخصه: والظاهر أن قول إبراهيم: ﴿ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ جواب لسؤال سابق غير مذكور. وذلك لأنه من المعلوم أن الأنبياء بعثوا للدعوة إلى الله، ومتى ادعى الرسول الرسالة فإن المنكر يطالبه بإثبات أن للعالم إلها. فالظاهر هنا أن إبراهيم ادعى الرسالة فقال له نمرود: من ربك؟ فقال إبراهيم: ربى الذى يحيى ويميت، إلا أن تلك المقدمة حذفت لأن الواقعة تدل عليها، ودليل إبراهيم فى غاية الصحة لأن الخلق عاجزون عن الإحياء والإماتة وقدم ذكر الحياة على الموت هنا. لأن من شأن الدليل أن يكون فى غاية الوضوح والقوة، ولا شك أن عجائب الخلقة حال الحياة أكثر، واطلاع الإنسان عليها أتم فلا جرم وجب تقديم الحياة ها هنا فى الذكر(٣).

ثم حكى القرآن جواب نمرود على إبراهيم فقال:

﴿ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴾ أى قال ذلك الطاغية: إذ كنت يا إبراهيم تدعى أن ربك وحده الذى يحيى ويميت فأنا أعارضك فى ذلك لأنى أنا - أيضا أحيى وأميت ومادام الأمر كذلك فأنا مستحق للربوبية. قالوا: ويقصد بقوله هذا أنه يستطيع أن يعفو عمن حكم بقتله، ويقتل من شاء أن يقتله.

ولقد كان فى استطاعة إبراهيم -عليه السلام- أن يبطل قوله، بأن يبين له بأن ما

(٣) تفسير الفخر الرازى جـ ٧ ص ٢٥ طبعة عبدالرحمن محمد بتصرف وتلخيص.

يدعيه ليس من الإحياء والإماتة المقصودين بالاحتجاج، لأن ما قصده إبراهيم هو إنشاء الحياة وإنشاء الموت، كان فى استطاعة الخليل -عليه السلام- أن يفعل ذلك، ولكنه آثر ترك فتح باب الجدال والمحاورة، وأتاه بحجة هى غاية فى الإفحام فقال له - كما حكى القرآن:

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾

أى قال إبراهيم لخصمه المغرور: لقد زعمت أنك تملك الإحياء والإماتة كما يملك الله -تعالى- ذلك، ومن شأن هذا الزعم أن يجعلك مشاركا لله -تعالى- فى قدرته فإن كان ذلك صحيحا فأنت ترى وغيرك يرى أن الله -تعالى- يأتى بالشمس من جهة المشرق عند شروقها فأت بها أنت من جهة المغرب فى هذا الوقت فماذا كانت نتيجة هذه الحجة الدامغة التى قذفها إبراهيم -عليه السلام- فى وجه خصمه؟ كانت نتيجتها -كما حكى القرآن- ﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾ أى: غلب وقهر، وتحير وانقطع عن حجاجه، واضطرب ولم يستطع أن يتكلم، لأن فوجئ بما لا يملك دفعه. و ﴿ فَبُهِتَ ﴾ فعل ماض جاء على صورة الفعل المبنى للمجهول -كزهى وزكم- والمعنى فيه على البناء للفاعل. وقوله:

﴿ الَّذِي كَفَرَ ﴾ هو فاعله. والبهت: الانقطاع والحيرة، وقرئ بوزن -علم ونصر وكرم.

والفاء فى قوله:

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ ﴾.. إلخ فصيحة لأنها أفصحت عن جواب لشرط مقدر أى إن كنت كما تزعم أنك تحيى وتميت وأن قدرتك كقدرة الله فإن الله -تعالى- يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب.

وعبر عن هذا المبهوت بقوله:

﴿ الَّذِي كَفَرَ ﴾ للإشعار بأن سبب حيرته واضطرابه هو كفره وعناده.

ثم ختم -سبحانه- الآية بقوله:

﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ أى لايهديهم إلى طريق الحق. ولايلهمهم حجة ولابرهانا. بسبب ظلمهم وطغيانهم وإيثارهم طريق الشيطان على طريق الرحمن.

وبذلك نرى أن الآية الكريمة قد حكت للناس لونا من ألوان رعاية الله لأوليائه وخذلانه لأعدائه لكى يكون فى ذلك عبرة وعظة لقوم يعقلون.

السنة

تعدد قراءات القرآن وما يتعلق بها

لفضيلة الأستاذ الكبير/ عبدالرحمن الجزيري
عضو جماعة كبار العلماء

إعداد الشيخ/ على حامد عبدالرحيم

عن ابن عباس -رضى الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: «أقرأنى جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدنى حتى انتهى إلى سبعة أحرف». رواه البخارى.

يتعلق بشرح هذا الحديث أمور:

(١) معنى الأحرف السبعة التى تلقى بها النبى ﷺ القرآن الكريم، وهل هى غير القراءات السبع المشهورة، أو عينها؟

(٢) هل الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن الكريم كتبت فى زمن النبى أو كانت محفوظة فقط؟ وهل وجد شىء من هذه الأحرف فى مصحف عثمان، أولا؟

(٣) ما السبب فى اختلاف القراءات السبع وغيرها بعد أن جمع عثمان الناس على قراءة واحدة؟

(٤) ما حكم قراءة القرآن أو كتابته على عكس الترتيب الموجود فى المصحف؟

من مختارات «مجلة الأزهر»
جمادى الآخرة ١٣٥٧هـ

(١) أما الجواب عن الأول: فهو أن المراد بالأحرف السبعة المذكورة فى هذا الحديث غير القراءات السبع قطعا، حتى قال بعض أئمة القراء: من ظن أن الأحرف السبعة المذكورة فى الحديث هى القراءات السبع فهو غبى جاهل، ولهذا أنكر ابن عمار على من وقف بالقراءات عند هذا العدد، وقال: إنه فعل ما لا ينبغى، لأنه بذلك قد أشكل الأمر على الناس، وأوهم غير العلماء أن هذه القراءات هى المرادة بهذا الحديث، ولو نقص عن السبع أو زاد لكان صوابا.

ومن هنا يتضح أن القراءات السبع غير الأحرف السبعة الواردة فى الحديث المذكور بلا نزاع. أما المعنى المراد من الأحرف السبعة الواردة فى هذا الحديث فقد اختلف فى بيانه العلماء على أقوال كثيرة، أصوبها وأدقها ما نقله العلامة الفنارى فى حواشيه على المواقف عن الإمام ابن قتيبة الهمذانى، ونقله أيضا الحافظ ابن حجر فى شرح البخارى. وحاصل ذلك أن من تتبع اختلاف لهجات العرب فى القراءة سواء كانت مشهورة أو شاذة موافقة للقراءات السبع أولا، فإنه يجده منحصرا فى هذه الأوجه السبعة.

وبيانه أن اختلاف عبارتهم فى القراءة إما أن يكون بزيادة كلمة أو بنقص كلمة، وعلى كل إما أن يتغير المعنى بهذه الزيادة أو النقص أو لا يتغير، فهذان وجهان يرجعان إلى الزيادة والنقص.

مثال ما يتغير فيه المعنى بسبب الزيادة:

(وأنذر عشيرتك الأقربين، ورهطك منهم المخلصين).

فهذه الجملة الأخيرة لم توجد فى القراءات المذكورة، ولكنها نقلت فى حديث ابن عباس. ولا يخفى أن لها معنى زائدا على قوله تعالى:

﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾[1].

ومثال ما لا يتغير فيه المعنى قوله تعالى:

﴿ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡ ﴾[2] وفى قراءة:

(وما عملت أيديهم) والمعنى واحد فيهما، لأن حذف الضمير العائد إلى الموصوف جائز، فهو كأنه مذكور. فهذان وجهان من الأوجه السبعة: ما لا يتغير فيه المعنى، وما يتغير بسبب زيادة أو نقص.

وقد يكون تغير المعنى بسبب تغير نفس الكلمة بدون زيادة عليها أو نقص، وتحت هذا ثلاث صور:

إحداها: أن تتغير الكلمتان لتغير الشكل مع بقاء مادة الكلمة على حالتها، مثل:

﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ ﴾[3]

و«البَخَل» بفتح الباء والخاء فى الكلمة الثانية، فإن أحرف البُخل والبَخَل واحدة، ومعناهما واحد، ولم يتغير سوى الشكل.

(١) الشعراء (٢١٤). (٢) يس (٣٥). (٣) النساء (٣٧).

ثانيتها: أن تتغير الكلمتان بتغير مادتهما مع اتحاد معناهما، كالصوف المنفوش «فى موضع» ﴿ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ﴾[4] فإن لفظهما مختلف ومعناهما واحد. وقد قرأ: كالصوف المنفوش ابن مسعود وسعيد بن جبير. ومن ذلك ما إذا تغيرت الكلمتان بتغير حرف واحد منهما، كقوله تعالى:

﴿ ثم ننشرها لحما ﴾ فى قراءة، وفى أخرى ﴿ ثم ننشزها ﴾ بالزاى. وكذلك قوله: ﴿ حَتَّىٰ حِينٖ ﴾[5] وفى قراءة «عتى حين» فى لغة هذيل.

ثالثها: أن تتغير الكلمتان فى الشكل والمعنى مع اتحاد مادتهما، كقوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا ﴾[6]

بضم الهمزة، بمعنى اكتمها، وأخفيها بفتح الهمزة بمعنى أظهرها. ومن ذلك تغير الفعل من أمر إلى ماض مع اختلاف المعنى، كقوله تعالى:

﴿ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا ﴾[7].

و(بَعَّدَ بين أسفارنا) فى قراءة، فالأول فعل أمر، والثانى فعل ماض، ومعناه على الأول ظاهر، فقد كان بينهم وبين الشام قرى ظاهرة متقاربة فطلبوا بعدها لتكون تجارتهم عزيزة غالية الثمن. أما قراءة بَعَّدَ ففيها إخبار منهم بغير الواقع جحودا لنعمة الله. فهذه ثلاثة أوجه تضم إلى الوجهين السابقين، فيكون المجموع خمسة، وبقى وجهان آخران، وذلك بأن يكون التغيير راجعا إلى أمر عارض للفظ، وتحت هذا صورتان:

الصورة الأولى: أن يكون بسبب التقديم والتأخير، كقوله تعالى:

(وجاءت سكرة الحق بالموت).

بدل ﴿ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّ ﴾[8]

ثانيتهما: أن يكون بسبب الإعراب، كقوله تعالى:

﴿ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ ﴾[9]، وفى رواية «أنا أقلُّ» بالضم، وقوله تعالى:

﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞ ﴾[10]،

وفى قراءة:

﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ بفتح الراء وضمها.

فتحصل أن التغيير إما أن يكون راجعا إلى زيادة كلمة أو نقص كلمة، وإما أن يكون راجعا إلى نفس الكلمة فى الشكل، أو فى

(٤) القارعة (٥). (٥) الذاريات (٤٣). (٦) طه (١٥).
(٧) سبأ (١٩). (٨) ق (١٩). (٩) الكهف (٣٩).
(١٠) البقرة (٢٨٢).

إبدالها بمرادفها، أو إبدال فعل ماض بمضارع، وإما أن يكون راجعا إلى وصف الكلمة من تقديم وتأخير وإعراب.

وسبب نزول القرآن على هذه الأوجه السبعة: أن العربى مجبول على لغته، فلو كلف بالقراءة على وجه واحد فإنه يعسر عليه التحول، وقد جاء النبى ﷺ للناس بشريعة سمحة ليس فيها على الناس من حرج، قال تعالى:

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾(١١)

فلو نزل القرآن على حرف واحد لعسر على باقى القبائل التحول عن لغتهم إلى القراءة به. وليس المراد أن كل كلمة من القرآن تقرأ على هذه الأوجه، بل المراد أن بعض القرآن نزل بلغة قريش وهو معظمه، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة هوازن، وبعضه بلغة اليمن إلخ. فمن سماحة الدين أن يسر الله حفظ القرآن وتلاوته على العرب فى أول أمرهم، فأنزله على الأوجه التى ينطقون بها، ولم يكلفهم التحول عن لغتهم لما يعلمه فى طبائعهم من الحمية والتعصب للغاتهم. فلو كلفهم من أول الأمر النطق بلغة غير لغتهم لنفروا من تلاوة القرآن وشق عليهم حفظه، وذلك كان شأن التشريع الإسلامى فى جميع أطواره، فإنه مبنى على مصالح الناس الصحيحة التى يترتب عليها سعادتهم فى الدنيا والآخرة، ودفع المضار التى تؤذيهم أدبيا وماديا.

ومما ينبغى الالتفات إليه فى هذا المقام أن القرآن الكريم قد أنزله الله - تعالى - على هذه الأوجه التى ينطق بها العرب يومئذ بدون أن يتغير شيء من معناه الحكيم، أو ينقص شيء من بلاغته وفصاحته التى تحدى بها جميع معارضيه من فحول البلاغة وأساطين البيان، بل كان اختلافه فى التعبير آية أخرى من آيات إعجازه، إذ لو نزل على وجه واحد ولغة واحدة لسهل على الآخرين أن يحتجوا على عجزهم عن معارضته بنزوله على غير لغتهم، فقطع الله على جميع العرب هذه الحجة المحتملة من أول الأمر. وأما ما روى عن عمر من أنه أنكر على ابن مسعود قراءته «حتى»: «عتى» بلغة هذيل وقال له: إن القرآن نزل بلغة قريش، فقد أجابوا عنه بأن عمر قد راعى فى ذلك نزوله فى أول الأمر قبل أن يطلب النبى ﷺ من ربه التخفيف عن الناس.

أما أنا فإننى أفهم فى ذلك أن عمر طلب من ابن مسعود أن يقرأ بلغة قريش، لأن معظم القرآن قد نزل بلغة قريش، وقد طال عهد الناس يومئذ بالإسلام، فمن الحسن أن يمهد عمر لحملهم على قراءة القرآن بلغة واحدة، ويمرنهم على ذلك، دفعا لما عساه أن يحدث من الاختلاف فى كتاب الله ـ تعالى.

(١١) الحج (٧٨).

وأما قوله: فإنه نزل بلغة قريش، فإنه يريد أن معظمه نزل بلغتهم. والحديث الذى معنا يدل على ذلك دلالة واضحة، فإن القرآن نزل أولا على وجه واحد، فطلب النبى ﷺ من ربه أن يزاد على ذلك الوجه، ولم يزل يزاد له حتى انتهى إلى هذه السبعة.

وفى رواية مسلم أنه عليه الصلاة والسلام قال: «إن أمتى لا تطيق ذلك». ومعنى هذا أنه لو نزل بلغة قريش خاصة لانصرف الآخرون عن تلاوته والنظر فيه، وهم حديثو عهد بالإسلام، لم تذهب من صدورهم نزعة الجاهلية الأولى، ولم يفارقهم التعصب الشديد للغتهم، فعفا الله عنهم واستجاب لنبيه دعاءه فى شأنهم، وأنزل عليه القرآن على حسب لغاتهم ولغات قبائلهم المشهورة.

وليس الغرض أن كل كلمة قد اجتمعت فيها اللغات السبع، بل اللغات السبع مفرقة فيه كما ستعرفه. على أن معظمه نزل بلغة قريش كما ذكرنا آنفا. ولا يرد أن لغات العرب أكثر من سبعة، لأن المراد أشهرها وأفصحها.

أما علاقة هذه الأحرف السبعة بالقراءات السبع المعروفة، فهى أن القراءات السبع وغيرها بعض هذه الأحرف المذكورة فى الحديث، بمعنى أن ما نقله أئمة القراء متواترا عن رسول الله ﷺ هو بعض الأحرف التى نزل بها القرآن، لما بيناه من أن الأحرف السبعة المذكورة فى الحديث تشمل لغة معظم القبائل العربية، فالقراءات السبع المتواترة وغيرها لا تخرج عن لغات العرب الفصيحة حتما، ولذا كان من المتعذر نقل مفردات الأحرف السبعة المذكورة فى الحديث كلها بطريق التواتر.

على أن عناية المسلمين الشديدة بكتاب الله تعالى ـ وحرصهم على تدوين كل ما يتعلق به، حمل بعض جهابذة العلماء على جمع الروايات المختلفة، سواء كانت متواترة أو غير متواترة، فى كتاب ضخم.

ومما لا خفاء فيه أن التواتر لم يقف عند القراءات السبع المعروفة، بل قد تواتر غيرها أيضا. وقد وضع بعض المحققين ضابطا للقراءات المقبولة، سواء كانت من السبع أو من غيرها وهو: «كل ما صح سنده واستقام وجهه فى العربية ووافق لفظه خط المصحف الإمام، فهو من القراءات المقبولة، سواء كانت سبعة أو سبعين أو أكثر من ذلك».

والحاصل: أن القرآن الكريم قد نزل بلغة العرب، وهى مختلفة فى كثير من نواحى التكلم، فاقتضت حكمة العليم الخبير أن ينزل القرآن على نبيه مشتملا على كل لغات العرب المشهورة، كى لا تقوم لهم حجة على عجزهم عن محاكاته والإتيان بمثله، وكان المسلمون يومئذ قد غلبت عليهم الأمية، فكانوا يحرصون على حفظ كل ما ينقلونه عن رسول الله ﷺ فنقل إلينا ما حفظوه عن رسول الله ﷺ متواترا على الضبط المتواتر من القراءات.



القرآن الكريم والفكر التربوى

للأستاذ الدكتور / مصطفى رجب

لا خلاف بين المشتغلين بالعلوم الإسلامية والعربية على كون القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة المصدرين الأولين لتلك العلوم مهما تختلف مناهج البحث فيها. ولا خلاف بينهم كذلك على كون القرآن الكريم هو المصدر الأول من هذين المصدرين. وفيما يتعلق بدراسة الفكر التربوى فى ضوء القرآن الكريم، هناك أكثر من مدخل يمكن فى رأينا إجمالها فيما يلى:

١ ـ دراسة الفكر التربوى من زاوية فلسفية:

وفى هذا الإطار يمكن للدارس أن يعقد موازنات بين عطاء القرآن الكريم فى مجال فلسفة التربية وماقالت به الفلسفات التربوية البشرية. ويدرس الباحث هنا الجوانب المعروفة لأية فلسفة تربوية مثل: رؤيتها للطبيعة البشرية، والقيم، والوجود، والحرية.. إلخ.

٢ ـ دراسة الفكر التربوى من زاوية اجتماعية:

وفى هذا الإطار يمكن للدارس أن يركز على مشكلات المجتمع وكيف تناولها القرآن الكريم. ويتعمق الباحث فى تحليل الأبعاد المختلفة لتلك المشكلات وأثرها فى الفرد. كما يتناول البحث فى هذا الميدان قضايا العمل والإنتاج والاقتصاد والعلاقات الإنسانية بوصفها من «القوى والعوامل» المؤثرة فى أى نظام تربوى.

٣ ـ دراسة الفكر التربوى من زاوية فردية:

وفى هذا الإطار يمكن للدارس أن يبحث وضعية «الإنسان الفرد» فى القرآن الكريم بوصفه المحور الذى تدور حوله عملية التربية، فيرى كيف عرض الإنسان فى القرآن: خلقاً وتكوينا وتنشئة. وكيف بيّن القرآن أحوال نموه المختلفة وطباعه المختلفة.

٤ ـ دراسة الفكر التربوى من زاوية القصة القرآنية:

وفى هذا الإطار يدرس الباحث قصص القرآن الحافلة بالعطاء التربوى المكثف بحيث يكشف عن مسالك التربية بالقصة فى القرآن، ويحلل كيف استخدم القرآن عناصر القصة المختلفة: الشخصيات ـ الحوار ـ الزمان ـ المكان ـ الأحداث فى إبراز الفكرة الأساسية للقصة.

مما سبق يتضح أن هناك مداخل متعددة لدراسة الفكر التربوى فى ضوء القرآن الكريم، أشرنا إلى نماذج منها، وهناك غيرها الكثير. ومع ذلك فإن الدراسة الحالية هذه لن تتطرق إلى دراسة مفصلة للفكر التربوى من خلال أحد المداخل السابقة. ولكنها تطمح إلى إثارة «نقاط» بحثية يمكن لمن يرغب فى دراسة العطاء التربوى القرآنى أن يتخذ إحداها نقطة انطلاق يبنى عليها خطة بحثية متكاملة. ونعتقد أن ذلك أجدى من تركيز البحث فى نقطة واحدة قد لا يجد فيها القارئ مايبحث عنه من «إثارة» لمشكلات بحثية تهمه.

وفيما يلى نقدم عدة تصورات أكثر تحديداً لدراسات يمكن أن تتعرض للفكر التربوى فى ضوء القرآن الكريم:

التصور الأول: الأهداف التربوية فى ضوء القرآن الكريم[1]:

يقول أحد المربين المعاصرين: «إذا لم تكن متأكداً من المكان الذى تسير إليه، فإنك ستقل إلى مكان آخر».

وهذه الجملة البسيطة، توضح بشكل عملى أهمية تحديد الأهداف فى حياة الإنسان العادى، فالذى يمشى مكباً على وجهه، محكوم عليه حتماً بأن يضلّ طريقه. ولما كانت نظم التعليم الحالية وأشكالها المؤسسية أصبحت مسئولة اجتماعيا عن تنشئة الأجيال وتهيئتها لحمل راية التقدم بالمجتمعات وقيادتها، فقد أصبح لزاماً على تلك المؤسسات التعليمية أن تبذل جهداً واضحاً من أجل تحديد ماهية رسالتها أو بتعبير آخر: أهدافها التى تسعى إلى تحقيقها.

ومنذ ظهور تصنيف «بلوم» الشهير للأهداف التربوية فى أوائل الخمسينيات من هذا القرن، ظهرت مئات من الكتب والدراسات التربوية حول موضوع الأهداف[2]، صياغتها واستخدامها، وبشكل عام تحتدم الخلافات بين الكتاب حول:

---

(١) فى حدود علمنا ليس هناك دراسة حتى الآن لموضوع الأهداف التربوية مستقاة من القرآن الكريم، إلا أن تكون إشارات عامة داخل دراسات أوسع فى مجال التربية الإسلامية.

(٢) فى كتاب جودت أحمد سعادة «استخدام الأهداف التعليمية فى جميع المواد الدراسية». القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٩١م. عرض جيد لعشرات من هذه الدراسات بين مؤيد ومعارض، وقد عرضها المؤلف بأمانة وحيدة.

● مستويات الأهداف التربوية: ويقصد بها الغايات التربوية، والأغراض، والأهداف العامة، والأهداف الخاصة، ويختلف ترتيبها تصاعدياً أو تنازلياً من مؤلف إلى آخر.

● مصادر اشتقاق ولكنها (عند الجميع) لا تخرج عن ثلاثة مصادر تشتق منها أهداف التعليم وهي: المتعلم «من حيث نموه وحاجاته وميوله»، والمجتمع «من حيث طبيعته، ونظمه، ومشكلاته»، والمادة الدراسية «من حيث مجالاتها ومكوناتها وطرق تدريسها».

● سلطة وضع الأهداف التربوية: ويقصد بها الجهة المنوط بها تنفيذياً تحديد الأهداف التربوية المرجوة: أهي السلطات السياسية، أم السلطات التعليمية؟.

والحقيقة التى نؤمن بها: أن كثيراً من التخبط الذى تعانى منه نظم التعليم في البلدان العربية والإسلامية، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتخبط تلك النظم فى صياغة أهدافها التربوية. وتبنى المشروع الغربى فى تناول تلك الأهداف تحت تأثير عوامل عديدة، منها: التبعية الثقافية «وبخاصة التبعية التربوية» للغرب، ويمكن حل هذه الإشكالية ببساطة إذا ما اتجهت دراسات تربوية تتناول صياغة أهداف تربوية فى ضوء القرآن الكريم للمجتمعات الإسلامية. وتأتى هذه الخطوة من عدة منطلقات أهمها:

● ثبات الأهداف إذا ما اشتقت من مصدر لا يتغير كالقرآن الكريم بحكم كونه نصاً إلهياً لا يأتيه الباطل. وثبات الأهداف يحقق للنظم التعليمية القدرة على إنجاز مهامها فى ظل وضوح رؤية نابعة من وضوح الأهداف واستقرارها. أما الأهداف الموضوعة باجتهادات بشرية فهى تخضع للأهواء السياسية المتقلبة، وحسابات المصالح قصيرة الأمد، مما يسبب قلقاً دائماً للنظم التعليمية.

● إبراز الهوية الإسلامية فى ارتكازها على كتابها السماوى فى تشريعها التربوى، الذى هو جزء من النظام الاجتماعى العام الذى ينبغى له أن يخضع - فى شتى منظوماته الداخلية للتشريع الإلهى.

● التصدى للاتهام الشائع للتربية الإسلامية بأنها مجرد «مواعظ» وتوجيهات خطابية جوفاء لا تناسب العصر الحاضر.

والذى نتصوره فى هذا الصدد: أن تأخذ عدة دراسات حديثة على عاتقها مهمة اشتقاق أهداف تربوية من القرآن الكريم مصنفة فى مستويات تلائم المستويات المعروفة حالياً فى الأوساط التربوية. ولكن أسس تلك الأهداف مأخوذة من عطاء القرآن الكريم. وحتى لا نتهم بالخطابية فإننا نضرب مثالاً على ذلك: فإذا اعتبرنا «التقوى» مثلاً غرضاً تربوياً عريضاً، أو هدفاً أو غاية استناداً إلى قوله تعالى:

﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[٣] أو

﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[٤]، فمن الممكن فى

(٣) البقرة (٥٣).

(٤) البقرة (٢).

الخطوة التالية أن نضع تعريفاً جامعاً مانعاً للتقوى مستخلصاً من صفات المتقين بعد تحليلها موضوعياً من جميع أماكن ورودها فى القرآن. وفى خطوة تالية نحول ذلك التعريف إلى خطوات إجرائية ملموسة يمكن قياسها. وفى الخطوة الأخيرة نوزع تلك الخطوات الإجرائية على مناهج المواد الدراسية المختلفة أو على المراحل التعليمية المختلفة.. وهكذا.

التصور الثانى: الطبيعة البشرية فى ضوء القرآن الكريم:

الإنسان هو محور العملية التربوية الذى تدور حوله، فالطفل المتعلم «إنسان» بالدرجة الأولى يفرح، ويألم، ويحب، ويكره، وله طموحاته، وميوله، ويختلف كل فرد عن الآخر بدرجات متفاوتة من الاختلاف فى كل ناحية من نواحى شخصيته. ومن هنا تأتى أهمية دراسة الطبيعة البشرية كجزء أساسى من أى دراسة تخوض فى فلسفة التربية باعتبار الإنسان هو «الخامة» الأساسية للعمل التربوى.

وتتناول دراسة الطبيعة البشرية عناصر عديدة أهمها:

١ - أثر كل من الوراثة والبيئة فى تكوين الإنسان.

٢ - الاختلاف بين الذكور والإناث: أنواعه - اتجاهاته - آثاره.

٣ - هل الإنسان مسير أو مخير؟.

٤ - أيهما أكثر تأثيرا فى السلوك: الجسم أم العقل؟.

وقد قدمت الفلسفات التربوية المعاصرة آراء كثيرة لها فى كل ناحية من هذه النواحى، وتناول تلك الآراء كثير ممن كتبوا فى فلسفة التربية. ولكن الدراسات التى تعرضت لدراسة الطبيعة البشرية فى القرآن الكريم ماتزال محدودة جداً[٥]. وفى تصورنا أن من الضرورى قبل الشروع فى وضع أسس للفكر التربوى الإسلامى تخصيص دراسة مستقلة لتجلية هذا الجانب الهام الذى هو - كما فى البداية - محور العملية التربوية، فقد عرض الإنسان فى القرآن منظوراً إليه من زاوية طبيعته البشرية من خلال:

أ - حديث القرآن عن الحواس: وظيفتها الأصلية، وإساءة استخدامها.

ب - حديث القرآن عن النفس: أنواعها - ودورها فى السلوك.

ج - حديث القرآن عن دوافع السلوك: الوراثية، والبيئية.

د - حديث القرآن عن الحرية والاختيار فى حياة الإنسان: وهى قضية نالت حظها من الدراسة على أيدى علماء الكلام ورجال الفرق والمفسرين.

(٥) نذكر منها:

أ - فلسفة المعرفة فى القرآن الكريم - تأليف على عبدالعظيم، نشر مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة، وفيه فصل جيد عن الغرائز يختم البحث فى الطبيعة البشرة.

ب - محروس سيد مرسى، الطبيعة البشرية فى الفكر الإسلامى وبعض الفلسفات الغربية، رسالة دكتوراه نشرت (١٩٩٠) فى دار المعارف بمصر.

التصور الثالث: الجوانب المعرفية فى القرآن الكريم:

تتناول مباحث نظرية المعرفة الجوانب التالية بوجه عام:

١ ـ طبيعة المعرفة (ماهيتها).

٢ ـ مصادر المعرفة: (العقل ـ الحواس ـ الوحى ـ الحدس ـ العقل والحواس معاً).

٣ ـ أنواع المعرفة.

وتأتى أهمية دراسة نظرية المعرفة كجزء أساسى من أى فلسفة تربوية، من كون التربية بطبيعتها عملية «نقل معارف» إلى جانب كونها عملية اكتساب مهارات وعملية خلقية. والملاحظ حالياً أن الاتجاه المسيطر على النظم التربوية المعاصرة هو تغليب الجانب المعرفى على الجانبين الآخرين: المهارى والخلقى على الرغم من النداءات المتكررة لرجال التربية الحديثة بضرورة إيجاد «توازن ما» بين الجوانب الثلاثة.

ومع الانفجار المعرفى السائد حالياً تصبح عملية «اختيار» مايقدم فى المناهج المدرسية عملية فى غاية الصعوبة. ففى العصر الحاضر «يتضاعف العلم فى أوربا كل خمسة عشرة سنة، وفى الولايات المتحدة الأمريكية كل عشر سنوات، وفى روسيا كل سبع سنوات، وفى الصين كل خمس سنوات، مما يدل على أن التنافس العلمى العالمى حالياً أصبح يجرى بصورة تشبه السباق إن لم نقل الصراع»[٦].

والحقيقة أن البحث عن «نظرية» للمعرفة فى القرآن الكريم أمرٌ لازمٌ لإبراز الهوية الحضارية للمجتمعات الإسلامية، وأمرٌ حتمى لإبراز «الذات» الخاصة للتربية فى الشعوب الإسلامية.

وفى تصورنا أن مثل هذا البحث يمكن أن يتناول الجوانب التالية:

أ ـ طرق اكتساب المعرفة فى القرآن (الدعوة إلى إعمال العقل ـ عدم إنكار دور الحواس فى اكتساب المعرفة ـ التركيز على دور الوحى والإلهام.. إلخ).

ب ـ ماهية المعرفة فى ضوء القرآن (فتح المجال أمام جميع العلوم مع مراعاة المعيار الشرعى فى النفع والضرر على نحو ما توضحه كتابات التربويين القدامى كالغزالى وغيره)[٧].

---

(٦) راجع: مصطفى رجب «العرب والتحدى العلمى المعاصر» دراسة منشورة بصحيفة البيان (الإماراتية) العدد ٢٩٨١ الصادر فى ١٢ مايو ١٩٩١م نقلاً عن مصدر أمريكى.

(٧) تعرضنا تفصيلاً لظاهرة تقسيم العلوم عند العرب فى عدة بحوث تناولت الفكر التربوى عند أعلام من القدماء، كالجاحظ (مجلة الكويت، أغسطس ١٨٩٨)، والجيطالى (مجلة كلية التربية بسوهاج ١٩٩٠م)، وابن الأكفانى الذى حققنا مخطوطة: إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد، وفيها عرض تفصيلى لتصنيف العلوم، صدرت طبعتها الأولى عن جامعة سوهاج عام ١٩٨٩م.

ج ـ تصنيفات المعرفة القرآنية:

١ ـ القرآن وعلوم الحياة (البيولوجيا: الحيوان والنبات والحشرات).

٢ ـ القرآن وعلم الإنسان (الأنثروبولوجيا).

٣ ـ القرآن وعلوم اللغة.

٤ ـ القرآن والبحث التاريخى.

٥ ـ القرآن وعلم الطبيعة (الفيزياء: الجوامد، الحرارة، الطاقة، الكتلة، الزمن.. إلخ).

٦ ـ القرآن والعلوم الرياضية (الحساب ـ الفلك ـ النجوم.. إلخ).

التصور الرابع: التربية فى القصص القرآنى[٨]:

على الرغم من أن هذا الجانب نال قسطاً أوفر من الدراسات التربوية الحديثة إذا قورن بالجوانب السابقة، فإنه مازال يفتقر إلى دراسات أكثر عمقاً تتناوله من عدة زوايا جديدة لم تُطرق حتى الآن مثل:

١ ـ دراسات تربط بين عطاء علم اللغة الحديث الذى يدرس «الأسلوب» وفقاً للمناهج الحديثة «التركيب النحوى والصرفى والصوتى والدلالى» وعطاء علوم النفس والتربية من أجل استنباط محتوى تربوى أكثر عمقاً.

٢ ـ دراسات تتناول القصص القصيرة جداً فى القرآن والتى لم تتوقف عندها الدراسات السابقة كثيراً مثل قصص (سبأ وسيل العرم ـ الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ـ الصافنات الجياد ـ بناء الكعبة ـ القوم الجبارين ـ أصحاب الجنة (سورة ن) ـ صاحبى الجنتين (سورة الكهف) ـ وغيرها).

٣ ـ دراسات تتناول القصص النبوى الذى جاء لتوضيح قصص قرآنى مجمل، أو القصص النبوى الذى جاء تفسيراً لآيات قرآنية غير قصصية أو بها إشارات سريعة.

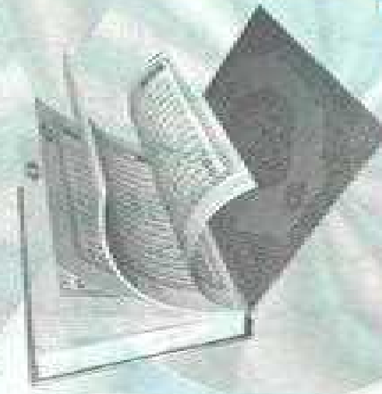
٤ ـ دراسات تتناول القصص القرآنى موضوعياً مقارناً من خلال عدة تفسيرات ذات اتجاهات (تفسير بالمأثور ـ تفسير بالرأى ـ تفسير إشارى ـ تفسير إجمالى).

أما بعد:

فلعل فى السطور السابقة إشارة كافية للإمكانات البحثية التى ماتزال بكراً فى مجال القرآن الكريم والفكر التربوى. أردنا بها فتح الباب أمام طلاب البحث العلمى الصابرين الصادقين، الذين سيجدون صعوبات جمّة فى هذا الطريق، ولكن إيمانهم بقيمة ماسيصلون إليه من نتائج قيّمة مفيدة يعصمهم من الملل والزلل. ولعلّ اللّه أن ييسر لنا قريباً نشرَ نماذج لبعض دراسات قمنا بها فى هذا المجال بعون اللّه تعالى.

---

(٨) من أشهرها وأفضلها فى رأينا دراسة التهامى نقرة: سيكولوجية القصة فى القرآن، تونس، ١٩٧٠م.



مصطلح الإنسان في القرآن الكريم

٤

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

ويصور القرآن الكريم دعوته إلى (التزام الإنسان) تصويراً معجزاً وشاملاً معاً.. ويضع أساس هذا الالتزام فى صيغة رفيعة تتواءم مع طبيعة الموقف الإنسانى ولا تند عن طاقة الاحتمال فى هذا الكائن البشرى المحدود.

فيضع القرآن الكريم الإنسان أمام مسئوليته.

ويضعه أمام حرية اختياره.

ويضعه أمام نفسه.

ويضعه أمام ضعفه واقتدار خالقه.

وبهذا تتكامل عناصر الالتزام الإنسانى، ويلوح الإنسان كائناً يملك أن يكون مسئولاً وحراً وكابحاً لزمام نفسه وموصول الصلة بمصدره الأعلى فى السماء.

فأمام مسئوليته يحس الإنسان بأنه صاحب رسالة وليس موجوداً بالضرورة.. وأمام حرية الاختيار يحس الإنسان بأنه قادر على التعالى والهبوط.. وأمام نفسه يحس الإنسان بأنه صائر بملء إرادته إلى الكون أو إلى الفساد.. وأمام ضعفه واقتدار القوة الخالقة يحس الإنسان بأنه ليس وحده فى غابة الوجود الموحشة وأن السماء ترعى خطواته على الأرض.

ومسئولية الإنسان تعنى تكريم الإنسان وليس قهر إرادته.. لأن الإنسان المسئول هو بالضرورة الإنسان الحر، ومن هنا ارتبط مفهوم المسئولية فى الإسلام بمفهوم الحرية بلا فكاك، فحيث تكون الحرية تكون المسئولية، وحيث تنعدم الأولى تنعدم الثانية.. ولذلك كانت الحرية التى اشترعها الإسلام للإنسان أروع ألوان الحريات فى الأرض، فقد توجد الحرية اللامسئولة فيشيع فى الأرض الخراب، وفى الناس الفوضى.. وقد توجد المسئولية اللامتحررة فتنطمس

معها معالم الحركة، وقوانين الابتكار.

أما المسئولية فى المفهوم الإسلامى، فهى مسئولية (ملتزمة)... والالتزام هنا يعنى الحرية المنضبطة بقوانينها الذاتية النابعة من قوى الذات المسلمة وليس من قوى القهر الخارجى الوافدة على الذات من هنا أو من هناك، والإنسان هو الذى اختار منذ البدء أن يكون مسئولاً بكل هذا الحجم من المسئولية، وقد يكون قد ظلم نفسه، وقد يكون قد كان جاهلاً بنوعية ما يتصدى له، ولكنه هكذا كان:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾(١).

ومن هنا ينبغى أن لا يتحلل من تبعة هذا التصدى، ولا يهرب من قدر هذا الشموخ، ولا يتأذى حتى للحظة واحدة من إناطة مسئوليته به، فإن كل موجود يحمل دوراً فى الوجود ليؤديه كما يطيق:

﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾(٢)

إن الإنسان هنا مسئول عن رحلة حلوله فى التاريخ، وهو مطالب بمقتضى هذه المسئولية أن يكون يقظ الحس والنفس، شريف الوسيلة والغاية، إيمانى المنطلق والقرار.. لأنه وحيداً سيبعث، ووحيداً كذلك سيواجه بكل ما قدمت يداه، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، يقول القرآن:

﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ﴾(٣).

فيضع بذلك للوجود الإنسانى من جهة، وللكدح الإنسانى من جهة أخرى، مبادئ المسئولية والالتزام. لأن سعى الإنسان على الأرض هو مبرر وجوده على الأرض، كما أن هذا السعى مقدور ومنظور إليه من زوايا متعددة، فهو سعى ذاتى وجماعى معاً، وهو سعى مادى ومعنوى جميعاً.. ثم هو فى كفة العدالة مواجه بجزائه الأوفى، الذى يجعل من قضية السعى مجرد تدليل إنسانى على أهلية الخلافة فى الأرض والحلول فى التاريخ، فإذا دلل الإنسان على احتوائه هذا المعنى، ومارس دوره الفاعل بلا قصور، كانت ثمرة ذلك ليس مجرد الجزاء الموازى لقيمة العمل، وإنما الجزاء الأوفى، الذى يجعل من قضية الكدح الحياتى ذرة ضائعة فى خضم الفيض الإلهى العظيم.. وبهذا تكون المسئولية فى المفهوم الإسلامى تدليلاً على أهلية الإنسان من جهة، ومدخلاً إلى رحاب الفيض الإلهى

(١) الأحزاب الآية ٧٢.

(٣) النجم-الآيات ٣٩:٤١.

(٢) الإسراء الآية ١٣.

الشامل من جهة أخرى، وما أروع أن تكون مسئولية على هذا النحو من الفعل والاسترفاد.

ويأتي تصوير القرآن الكريم لحرية الاختيار الإنساني تأكيداً على أصل الحرية الذى ارتبط بقيمة المسئولية.. والاختيار يعنى بالضرورة قدرة الإنسان الفاعل له على أن يجنح هنا أو يجنح هناك، وإذن فهو ممتلىء بحريته الفاعلة وليس بعبوديته المنفعلة.. إلا أنه مطالب بأن يؤسس قضية اختياره على بصيرة الوعى بمصدر هذه الحرية المختارة.. فهو ذاهب فى نهاية الطريق الجانح أو المستعصم إلى ربه وليس إلى يباب الفراغ:

﴿ يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه (٦) فأما من أوتي كتابه بيمينه (٧) فسوف يحاسب حسابا يسيرا (٨) وينقلب إلى أهله مسرورا (٩) وأما من أوتي كتابه وراء ظهره (١٠) فسوف يدعو ثبورا (١١) ويصلى سعيرا ﴾(٤).

هنا يضع القرآن الكريم القضية أمام إنسانها، ويترك له حرية اختيار طريقه، ملوحا له بأن تعاسته كامنة فى انحيازه إلى الجانب المظلم، وأن سعادته كامنة فى انحيازه إلى الجانب المضىء.. وهو بعد ذلك حر فى أن يختار لنفسه، وأن يضع مصيره بين شقى رحى أو على ضفاف الخلود.. وبهذا يعطى القرآن للحرية مضمونها الإنسانى النبيل، فهى لا يمكن أن تكون حرية إنسان على حساب استعباد إنسان آخر، ثم هى حرية نظيفة تنطلق بالقضية الإنسانية كلها فى آفاق المعانى الشريفة العالية، التى لا تصادم على الأرض حقاً، ولا تقاتل فى الناس ارتفاعاً، ولا تعطى نفسها لكل فهم وبيل يجعل منها انطلاقاً غير مسئول فى منادح الشبع الجنسى، أو الامتلاء المادى، أو الاقتيات الاجتماعى، أو النزق الحاكم، أو التعصب الممرور.. إن الحرية فى المفهوم الإسلامى هى أن تتعبد للقيم الفاضلة لا أن تتحلل منها، وهى أن تلتزم بالشرف الإنسانى لا أن تطأه وتواصل الركض إلى خرائب اللذاذات.. وهنا تأخذ الحرية وضعيتها الحقيقية فى التاريخ، فكل القيم النبيلة فى تاريخ البشر محكومة بعناصر الالتزام حتى لا تجور، تماماً كما يحكم المحيط بالشاطىء، والكواكب بالمجرات.

وحين يضع القرآن الكريم الإنسان أمام نفسه، يهيب به أن يتأمل قضيتها بموضوعية فاهمة، وأن يرتفع بها عن أن تصير إلى هشيم، وأن يكون العين البصيرة، النافذة لسلوكها. انطلاقاً من تأمل القضية الإنسانية بأسرها، من أين؟ وإلى أين؟ وكيف؟ ولماذا؟:

---

(٤) الانشقاق الآيات ٦-١٢.

﴿ أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه (٣) بلى قادرين على أن نسوي بنانه (٤) بل يريد الإنسان ليفجر أمامه (٥) يسأل أيان يوم القيامة (٦) فإذا برق البصر (٧) وخسف القمر (٨) وجمع الشمس والقمر (٩) يقول الإنسان يومئذ أين المفر (١٠) كلا لا وزر (١١) إلى ربك يومئذ المستقر (١٢) ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر (١٣) بل الإنسان على نفسه بصيرة ﴾(٥).

إن قيام الإنسان على نفسه، وبصره بمواطن الجموح والإسراف فيها، وكبحه لهذه المواطن، هو المدخل الطبيعى إلى تعلية هذه النفس وتكريمها فلا تهان.. إن مداها التى تحسن التحليق فى فضائه ينبغى أن لا يتجاوز اقتدارها الحقيقى، لأن فى التطوح بها فى مجاهل الغرور دمارها الحتمى.. ومتى كان فى استطاعة الذات المخلوقة أن تقيم من نفسها ديانا على خالقها؟ إن قصارى الذات أن تتأمل قضيتها:

﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾(٦). وأن ترتفع من هذا التأمل عن مراغة الجهل والإنكار، وأن لا تغلق حسها دون وافد الإعجاز الإلهى المتواتر فى النفس والآفاق.. فإن هى فعلت كانت من اليقين على يقين جازم يكل المقاييس.

وأمام ضعفه واقتدار خالقه يقف القرآن الكريم الإنسان فى محاولة لتجسيد حجمه الحقيقى، ولكن فى مودة ظاهرة، وتعاطف وثير:

﴿ لقد خلقنا الإنسان في كبد (٤) أيحسب أن لن يقدر عليه أحد (٥) يقول أهلكت مالا لبدا (٦) أيحسب أن لم يره أحد (٧) ألم نجعل له عينين (٨) ولسانا وشفتين (٩) وهديناه النجدين ﴾(٧).

إن الإنسان هنا صُنع من صُنع القوة الخالقة، وهو محكوم فى هذا الإطار بحتمية كونه مربياً ومحصوراً ومقدوراً عليه، فليضع إذن كل أسلحته، وليهاجر بكل ذراته إلى شوق الارتماء فى أحضان السماء، لأنه بهذه الأسلحة الموهوبة ينبغى أن يتوجه بالإقرار والاعتراف إلى واهبها، لا أن يتمرد فى وجه الخالق بما خلق، أو يناوىء الواهب بهباته.. فالقضية تصبح عجزاً كاملاً وتلاشياً شاملاً إذا سلب الخالق خلقه، أو استرد الواهب هباته.. إن العين التى تحدق شزراً، واللسان الذى ينطق هجراً، والشفة التي تتحرك سخراً، والعقل الذى يفكر كفراً، تصبح بلا مضمون إذا هى سلبت قوة الفعل التى هى فيض القدرة الخالقة.. ويصبح إنسانها هو الآخر بلا مضمون إذا هو سلبها وسائط للنظر والتعبير والفكر!!

وليس ينبغى أن تفهم القضية هنا على مستوى أن الله يريد للإنسان أن يكون

---

(٥) القيامة الآيات ٣-١٤.

(٦) الذاريات (٢١).

(٧) البلد الآيات ٤ : ١٠.

ضعيفاً أو مقهوراً أو مشلول الإرادة، فالمؤمن القوى - فى المفهوم الإسلامى - خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.. ولكن القوة هنا مقيسة بالنظر إلى حجم القوى البشرية الأخرى وليس بحجم القوة الخالقة، فدون هذا الطموح يتحطم فى الإنسان رشاده واعتداده.. ثم إن هذه القوة البشرية إذا جاوزت قصدها المعقول كانت فى النهاية محكومة بحتمية الارتطام بما لا طاقة لها به، وفى هذا نهاية فاجعة لخلق أراده الله سوياً بلا حماقة، نبيلاً بلا نذالة، ذكياً بلا تجديف!!

كذلك ينبغى أن لا نخلط فى هذه القضية بين الالتزام والإلزام، فإن الله الخالق كان يستطيع بلا حدود أن يلزم الإنسان المخلوق بكل ما يريده منه، ولكنه أعطاه حرية أن يقبل ويرفض، وإمكان أن يؤمن ويكفر، لأنه خلقه مسئولاً، والمسئولية نتيجة لمقدمة هى الحرية.. كما أن مجرد التوجه إلى الإنسان بالترهيب والتخويف والكبح يعنى أن الإنسان قادر على أن يندفع فى طريقه بلا رهب، وأن يلج فى عصيانه بلا خوف، وأن يتخم لذاذاته بلا كبوح.. وهذا هو جوهر الحرية.. إن الترهيب لا يتوجه أساساً إلا إلى قادر على ممارسة الاعتراض والرفض.. أى إلى قادر على ممارسة الحرية والاختيار..

فإذا أعطى الخالق مخلوقه اقتدار أن يعترض ويرفض، فإن معنى ذلك أنه أعطاه حريته كاملة، وعلى المخلوق أن يتحسس قضية كيف أنه أساء وضع هذه الحرية فى غير موضعها الصوابى، كلما ند به منطق الفتون، أو جمح به جواد الاغترار!!

وإذن فالالتزام الإنسانى فى القرآن من خلال دورانه حول مصطلح (الإنسان) ينبع من تحديد مسئولية هذا الإنسان.. ومن حرية اختياره.. ومن وقوفه أمام نفسه.. ومن ضرورة إحساسه بضعف البشرى فى مواجهة الإلهى.. وهو من هذه الوجهة التزام عقائدى، يبدأ من منطلق الإحساس بالذات وبالآخرين، وينتهى إلى يقين الإحساس بالكون والله!!

***

عناد المنكرين وإنكار المعاندين

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

جلست أراجع أفكارى بصوت مسموع. كأنى أحدث أحداً إلى جوارى حيث إننى كنت أفكر بصوت عال. كانت تلك عادتى فى بعض أوقاتى أو قل إنها حالات تنتابنى قبيل ميلاد الأفكار عريانة حتى تكسوها الكلمات.

بادرنى صاحبى كأنه يعترض - قائلاً: عدت تلغز مرة أخرى. مشيراً إلى عنوان المقال - كأنك تخاطب شخصاً معك فإنى جئت أسألك توضيح بعض النقاط فى مقالك السابق.

قلت: لا عليك فإن السؤال نصف العلم. هات ما عندك.

قال: لا أخفيك. لم استوعب ماقلته حول معنى الذكر ولم أفهم معنى مابدا من بعض كلماتك؟

قلت لصاحبى: اعتقد أننى لست فى حاجة لأن أقول لك إن عناد المنكرين معناه المكابرة. فرغم وضوح الحق فإنهم يعاندون ويرفضون الاقتناع ولاتملك لهم إلا الدعاء سائلين الله - تعالى - أن يهدينا ويهديهم إلى الصواب. وأحب أن تعلم أنه ليس من قبيل التلاعب بالألفاظ والتراكيب أن أقول بعدها: وإنكار المعاندين. فإنكار المعاندين يعنى طائفة أشد ضلالاً لأنهم يعاندون الحق ويرفضونه ويشغبون على أهله ثم يبحثون عن المبررات أو قل يتصيدون الأخطاء. وأقرب مثال نعيشه هو موقف أمريكا، فهى قررت حرب العراق وضربه. ثم راحت تبحث عن المبررات وتتصيد الأخطاء. وتبخرت بعد الحرب والاحتلال أكذوبة أسلحة الدمار الشامل. لا عليك فالله المستعان عليهم جميعاً. ثم أردفت أقول ربما الذى أشكل عليك أو ضاق به صدرك لجاج القوم فى تحديد معنى كلمة «ذكر» وليّها وتوجيهها بل وحصارها حتى لاتعنى أكثر من مجالس العلم أو مجالس قراءة القرآن.

قال صاحبى: وهل ترفض أنت أن تكون مجالس العلم وقراءة القرآن ذكراً؟

قلت: لا بل هى من الذكر. لكنى أرفض أن ينحصر معنى الذكر فى مجالس العلم أو مجالس قراءة القرآن.

قال: لماذا؟ هل لأن معناها غير محدد أم أنها فى رأيك غير قابلة للحصر فى مجالس العلم ومجالس قراءة القرآن؟

قلت : نعم . بلا جدال هي لاتنحصر في هذين المعنيين فقط وإنما تتعداهما إلى معان أخرى كثيرة . ومن الممكن أن تقتنع بذلك بل لابد أن تقتنع به . شريطة أن تتحرر أولاً من الهوى المقيت والتعصب المذموم وتتسلح بالعلوم المؤازرة للفتيا التي تعينك على تعيين المقصود وفهم المراد . وأن تعلم أن أول هذه العلوم هي علوم العربية كالنحو والصرف والبلاغة . ثم يأتي تاليا لها الأدب والمنطق فضلاً عن التفسير والحديث ثم علم أصول الفقه وهو السيد الآمر في هذا المجال .

ثم أردفت : أعجبتني كلمة لابن حزم الظاهري الأندلسي ـ وأنا اطلع في بعض ما كتب عنه ـ قال : وهو يتكلم عن أهمية اللغة لمن يتصدى للفتيا : في كتابه : «الإحكام في أصول الأحكام» قال : «ولهذا لزم لمن طلب الفقه أن يتعلم النحو واللغة وإلا فهو ناقص منحط لاتجوز له الفتيا في دين الله ـ عز وجل»[1] ولاتروعك كلمة منحط فليست هي بالمعنى الدارج الذي تأنفه . وإنما هي تعني أنه في درجة أقل أو أدنى لاتؤهله للفتيا .

ثانياً : حصر كلمة ذكر في مجالس العلم ومجالس قراءة القرآن يسميه العلماء تخصيصا بلا مخصص وتحكماً بلا دليل . ودليلنا على الإطلاق وعدم التخصيص من القرآن الكريم حيث إنها وردت في معان كثيرة لاتمت إلى هذين المعنيين بصلة . مثلاً قوله ـ تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾[2] .

وذكر الله هنا لايمكن أن يكون مجلس علم أو مجلس قراءة القرآن ، يؤيدنا فيما نقول عموم اللفظ والآية بعدها :

﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ﴾[3] .

يؤازرنا في ذلك أسباب النزول[4] . برغم أننا نؤمن بأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . وأيضاً جاءت كلمة «ذكر» في كتاب الله بمعنى القرآن المنزل على رسول الله ﷺ قال تعالى :

﴿ إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز ﴾[5] .

وأيضاً قوله ـ تعالى ـ :

﴿ أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم ﴾[6] .

---

(١) دكتور عبدالحليم عويس، ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضارة ص ٩٧.
(٢) الجمعة (٩). (٣) الجمعة (١٠).
(٤) راجع كتب التفسير في سورة الجمعة وأسباب النزول. (٥) فصلت (٤١).
(٦) الأعراف (٦٩).

وغير ذلك من الآيات كثير ووجه الدلالة منها جميعاً عدم قصر كلمة ذكر على مجالس العلم ومجالس قراءة القرآن .

ثم أردفت قائلاً لصاحبي : بالله عليك خبرني كيف يكون مجلس العلم ومجلس قراءة القرآن أمام العدو وكيف يتم تنفيذ أمر الله تعالى حيث قال :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا ﴾[7] .

لايتأتى تنفيذ الأمر على هذا الحال . كيف والله تعالى يقول :

﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾[8]

ويقول : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾[9] .

وتأسيساً على هذا يصبح الأمر بلا فائدة يعني غير ممكن التنفيذ . وذلك محال على الله ـ تعالى .

قال صاحبي مقاطعاً بلهجة لاتخلو من تهكم وسخرية : مادمت تقول إن الموقف لايحتمل مجلس علم أو مجلس قراءة القرآن فهل بربك يمكن أن نقيم «حضرة» على طريقة دراويشك ؟ قالها وهو يكتم ضحكة ساخرة فضحتها أنفاسه المتقطعة وكلماته المتبعثرة يحاول جمعها ؟

قلت على الفور ـ قول الواثق الذي ملك زمام الأمر كله : بالطبع لا . الموقف لايحتمل ذلك ولا أقل منه والله ـ سبحانه وتعالى ـ قد شرع لنا طريقة مختصرة ميسرة لأداء أهم فرض من فرائضه تعالى وهو الصلاة وقد شرعت صلاة الخوف المذكورة في قوله تعالى :

﴿ وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ﴾[10] .

لكن الذي أريد أن أصل بك إليه ولابد أن يقتنعوا به هو أن حصر لفظ «الذكر» في قراءة القرآن ومجلس العلم تحكم خاطيء وعناد غير مقبول ولا مبرر . إنما المعقول والمقبول والذي ترشد إليه الآية والآيات السابقة أن كلمة «ذكر» لاتنحصر في مجالس العلم ولا مجالس قراءة القرآن وهذا هو المطلوب . الذي نقول به . إذ الإصرار على أن كلمة «ذكر» لاتخرج عن المعنيين السابقين تحكم مرفوض كما قلت ، وهوى يأباه الدين والعلم . ثم واصلت حديثي قائلاً : يبقى معنا في الحوار أن كلمة «ذكر» عامة تشمل من بين ماتشمل ترديد اسم من أسمائه ـ تعالى ـ جهراً أو سراً فردا ، أو جماعة قياماً أو قعوداً .

---

(٧) الأنفال (٤٥). (٨) الحج (٧٨).
(٩) البقرة (١٨٥). (١٠) النساء (١٠٢).

قاطعني صاحبي قائلاً والاهتزاز والتمايل والاضطراب.

قلت: مهلاً أتلو عليك هذه الآية وهي تالية للآية التي قبلها (التي تنظم صلاة الخوف) يقول الله تعالى:

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾(١١).

وأرجو أن تضع الآيتين في تصورك قبل أن تجزم بمعنى الذكر قبل أن تقصره قسراً في معنى مجلس العلم أو قراءة القرآن فهل بعد صلاة الخوف يكون مجلس العلم أو مجلس قراءة القرآن؟ وكيف والناس قيام أو على جنوبهم؟ أم كيف تفسر وتفهم كلمة «ذكر» في ضوء هذه الاستفهامات؟

وتأمل معي أن الآية تتكرر مرة أخرى في سورة آل عمران:

﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾(١٢).

وأعود مرة أخرى لأقول: إن مجالس العلم ومجالس القرآن لايمكن أن تكون هي المراد والمقصود بهذه الآية.

قال صاحبي مقاطعاً: معنى هذا أنك ترفض أي فهم آخر للذكر غير الصورة التي يذكر بها المتصوفة؟

قلت لصاحبي: كلا لم أقل هذا ولن أقوله. بل قلت إنها تشمل هذا وغيره، وقد أوردت لك أمثلة من كتاب الله على تنوع دلالتها. والذي أرفضه هو قصرها على معنيين فقط دون مبرر أو مسوغ معقول.

قال صاحبي: أذكر أنك في مقالك السابق رفضت أن يكون من بين معاني الذكر التفكر.

قلت منبهاً: هذه هي مشكلة المعاندين والمنكرين يتصورون أن المخالفين يرفضون أولاً يحبون مايحبون. ليست المسألة هكذا لأن توجيه اللفظ ليس بالهوى إنما بدلالة اللغة والخطاب قال وقد تسرب إلى نفسه الملل ـ وكأنه يريد أن ينهي مجلسنا ـ معذرة فأنا أحس أنك أنت الذي ترفض دلالة اللغة وفحوى الخطاب.

قلت مقاطعاً: كيف؟

قال: لأنك ترفض أن يكون الذكر بمعنى التفكر والتأمل الرشيد في الكون والملك مع أن الآية صريحة فقد أشادت بالذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم وأنهم يتفكرون فهذا هو التفكر قد ورد فكيف ترفضه؟.

قلت مقاطعاً في نبرة حادة حاسمة: دعني أكرر لك أنني لا أرفض هذه المعاني لكلمة الذكر لكنني أرفض قصرها على ما ذكرت. ثانياً أرجو أن تتذكر مارويته لك من رواية ابن حزم عن أهمية اللغة لمن يتكلم في الفقه. ولا أحب أن أزيد في هذا المجال حيث إنه كثير مستفيض مستقر ثابت مجمع عليه، فأنا

(١١) النساء (١٠٣).

(١٢) آل عمران (١٩١).

أيقنت الآن أنك فهمت أن الذكر معناه التفكر وذلك ـ في زعمك ـ من النص على الذين يذكرون ويتفكرون.

قال متسرعاً في لهفة كأنه عثر على ضالته: قل لي بربك ألا ترى معي أن الذين يذكرون يتفكرون؟

قلت في حزم مقاطعاً رافضاً هذا الغثاء العقيم: لقد كنت أولاً تقول إن مجالس الذكر هي مجالس العلم ومجالس القرآن فقط وعدت تزعم أن الذكر هو التفكر وتستدل بأن:

﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَٰمًا ﴾(١٣).

يتفكرون أقول لك: إن هواك حجب عنك الحقيقة لأنك أضفت إلى مجالس العلم ومجالس القرآن التفكر من غير دليل يؤيدك ثم إنك لاتعلم عن اللغة العربية شيئاً وذلك أنك فسرت الذكر بأنه التفكر مع أن أبجدية اللغة العربية تقول إن الذكر ليس هو التفكر، إنما الذكر مغاير للتفكر وذلك لأن منطوق الآية ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ ﴾(١٤). ويسميه علماء اللغة العطف ويؤسسون على هذا قاعدة مهمة وهي أن العطف يقتضي المغايرة بمعنى أن ما قبل الواو يغاير مابعدها أي يخالفه بمعنى ألا يكون هو نفسه ولا يكون تفسيراً له ولا شرحه حتى لو تكرر نفس اللفظ مثل أن تقول: أقبل رجل ورجل فهذا يقتضي ـ بمحض اللغة ـ أن الرجل الأول غير الثاني.

معذرة لقد أطلت فيما لايستوجب التطويل في كلام نحوي من البديهيات في علم النحو قد يلومني عليه طلاب العلم المبتدئون وعذري أن الجهل قد فشى والتطاول على الفتيا بغير علم تجاوز كل محظور. والخلاصة أنك إن أردت أن تفسر الذكر بأنه التفكر تقول لك: لا. لأنه معطوف على الذكر والعطف يقتضي المغايرة.

قال صاحبي كأنه يستميلني إليه رغبة في الالتفاف حولي: اسمح لي أخص لك مافهمته منك لأتأكد من صواب مافهمت. قد بينت أن مجالس الذكر ليست هي مجالس العلم ولايمكن حصر ماورد من الأحاديث عن مجالس الذكر والإشادة بها.

ولايمكن أن نقول إنها مجالس العلم أو مجالس القرآن وإن كانت تدخل في الذكر. أن ذلك اللفظ (الذكر) ورد مطلقاً غير مقيد عاماً غير مخصص فلا يجوز تقييده ولاتخصيصه كما لايجوز أن يكون المراد بالذكر التفكر في عظمة الله وكونه لأنه معطوف على الذكر في الآية والعطف يقتضي المغايرة أليس كذلك؟ ثم نظر إليّ يتأمل وقع كلماته عليّ فبادرته قائلاً: بالله عليك، نعم لقد وردت الإشادة بالعلم والعلماء وطلبة العلم في

(١٣) آل عمران (١٩١).

(١٤) آل عمران (١٩١).

أحاديث كثيرة من أحاديث الرسول ﷺ وأفرد المؤلفون أبواباً وكتباً لبيان العلم وفضله. فهل خفى عن الشارع أو ألبس عليه أو أنه أراد أن يزيد الأمر وضوحاً أو تأكيداً أو غموضاً وقال مجالس الذكر وهو يريد مجالس العلم.

قال صاحبى: نعم.. نعم تريد أن تقول إن الشارع الحكيم أشاد بمجالس العلم والعلماء وطلبة العلم فليس من المستساغ عقلاً أو لغة أو تشريعاً عندما تأتى الإشادة منه ﷺ بمجالس الذكر أن نقول إنه يريد مجالس العلم. وذلك لأن الإشادة بمجالس العلم وردت فى أحاديث واضحة صريحة.

وأن كلمة ذكر عامة ومادامت عامة فهى تشمل هذا وغيره من المجالس التى يردد فيها اسمٌ من أسمائه تعالى قياماً أو قعوداً أو على الجنوب فرادى أو جماعة ثم أردف وهو ينظر إلىّ بطرف عينيه كأنه يريد أن يحاصرنى بغتة قائلاً: على قدر علمى لم ترد فى كتب السنة هذه الصفة من الذكر الذى عليه جماعتك وأصحابك من الدراويش فهل قرأت عنها حديثا.

قلت على الفور: لم أسمع عنها شيئاً إلا ماورد عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ إنه رأى قوماً يهللون برفع الصوت فى المسجد فقال: ما أراكم إلا مبتدعين حتى أخرجهم من المسجد(١٥).

لم يمهلنى صاحبى حتى أكمل وقاطعنى فى زهو بادٍ غير خاف. هذه عليك وليست لك وإن كان يعجبنى فيك صدقك وأمانتك.

قلت على الفور فى صرامة وجد: ليس مابينى وبين أحد يخالفنى فى الرأى صراع أطلب النصر فيه بكل وسيلة مشروعة أو غير مشروعة إن الذى بينى وبين مخالفى فى الرأى أنى أعتقد أنى على حق يحتمل الخطأ وأنه على خطأ يحتمل الصواب وأن ما بيننا دين وأمانة نبلغه للناس بوضوح وندافع عنه بأمانة وصدق وهذا دفعنى أن أذكر لك ماعرفت أنه ورد ولا أكتمه لأنى أحرص على الدين ولا أحرص على الغلبة. وأرجوك أن تتأمل معى كلمة «يهللون» التى تتمسك بها فى هذا النص وتعرف معناها. أليست هى التى وردت فى الحديث الصحيح الذى ذكرته لك فى اللقاء السابق فيما رواه البخارى ومسلم «إن لله تعالى ملائكة سيارة يبغون مجالس الذكر فى الأرض» لقد وردت نفس الكلمة «يهللونك» فى هذا الحديث كما وردت هى هى فى كلام ابن مسعود فلماذا بالله عليك تزعم هنا أن الجماعة التى أخرجها ابن مسعود أخرجهم لأنهم كانوا يهللون أى يذكرون الله مبتدعين لماذا؟ وتغمض العين عن مجلس الذكر فى حديث الملائكة السيارة؟ كما أنك تلوى عنق «الذكر» فيما جاء فى أحاديث أخر بأنها مجالس العلم؟

(١٥) الحاوى فى الفتاوى، رسالة نتيجة الفكر فى الجهر بالذكر، حـ٢/ ص ١٢٨.

دعنى أقول لك لقد شقى المسلمون من اختلافهم فى أحاديث صحيحة أكثر من شقائهم من أحاديث موضوعة وماذاك إلا أنهم اتحدوا على رفض الموضوع وتفرقوا فى فهم الصحيح..!!

ولو أنصفت وأضفت أنه لايمكن أن يخرجهم من المسجد لأنهم يقولون لا إله إلا الله وإلا فبالله عليك قل لى من أولى بالبقاء فى المسجد من ناس يقولون لا إله إلا الله؟

إذاً لابد أن نقول إنصافاً لابن مسعود وانصافاً للحقيقة لابد أن نقول ربما وجدهم متفرقين فأراد أن يجمعهم فأبوا وتمسكوا بالتشرذم فأخرجهم لأنهم على الضلال فى تفرقهم واحتمال آخر ربما أنهم كانوا يجهرون وآخرون يصلون فيشوشون عليهم فطلب منهم السكينة والهدوء حتى لايشوشوا على المصلين فأبوا فلابد من إخراجهم؟ وأخيراً لماذا يعميك التعصب فلاترى الحق؟ كيف ترفض حديثاً ذكرته فى المقال السابق:

أكثروا من ذكر الله حتى يقول مجنون(١٦) وحديث قوله ﷺ: «سبق المفردون» ولما سئل عنهم قال: الذاكرين الله كثيراً والذاكرات واللفظ لمسلم والترمذى ولفظه وما المفردون قال: المستهترون بالذكر يضع الذكر عنهم أثقالهم. ذلك ذكرته لك سابقاً فكيف بالله عليك ترفض أحاديث للنبى ﷺ صحيحة مذكورة بسندها؟ وتتمسك بحكاية عن ابن مسعود ليس لها سند ـ أما قولك إن هذه الصفة لم ترد؟ فلا يعنى ذلك عدم الثبوت فهى ثابتة وصحيحة لكن لم تصل روايتها إلينا حسب علمنا حتى الآن والنصوص لاترفضها ـ ثانياً نقول إن الأصل صحيح والذكر ثابت كما رأيت وترك الشارع تحديد صفة معينة له لرفع الحرج عن الناس إذ يكفى قوله تعالى:

﴿ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾(١٧).

أما إذا تحددت الصفة وأصبح هناك شكل معين فيكون الخروج عليه مخالفة وذلك من قبيل قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾(١٨).

قال ابن عباس لو أنهم ذبحوا أى بقرة لأجزأتهم ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم.

وأخيراً أقول لك: إن عدم ورود الفعل فى شيء مباح فذلك يفيد الجواز ولايفيد الحظر بناء على الأصل فعدم ورود الذكر جماعة أيامه ﷺ لايعنى تحريم الذكر جماعة، وقصارى مايفيده عند التجرد من الهوى ـ هو الإباحة ليس إلا ـ لأن الأصل فى الأشياء الإباحة.

ثم قلت لصاحبى وأنا أهم بالانصراف: هل رأيت عناد المنكرين وإنكار المعاندين.

قال: نعم ـ نسأل الله السلامة والعافية.

(١٦) أخرجه أحمد حـ٣/٦٨، وابن حبان ٣/٩٩، الحاكم ١/٧٧.

(١٧) النساء (١٠٣).

(١٨) البقرة (٦٧).

إلى منهج الإصلاح

ثقافة أمتنا في مواجهة التحديات

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

إن ثقافة أمتنا الإسلامية، قائمة على ثوابت محكمة، وعلى أصول ربانية، لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها.

فعلى هدى كتاب الله - تعالى - وهدى سنة رسول الله ﷺ قامت اعرق ثقافة فى الوجود، وحين نتمسك بهذه الاصول وتلك الثوابت لن نضل ولن نخزى، كما قال رسول الله ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً كتاب الله وسنتى».

ومن ينابيع هذه الثقافة، تدفقت روافد حضارية، وانطلقت إلى دنيا الناس، فبعثت فيها الحياة والنماء والازدهار.

وفى فترة من فترات الزمن، استطاع أعداء أمتنا أن يتعرفوا على سر قوتنا، منتهزين فترة الضعف والخمول، والفرقة والخلاف فنهضوا فى محاولة شغل الأمة عن ثوابتها وعقيدتها ودينها؛ لأنهم أيقنوا أنه لا قرار لهم ولا قوة فى ظل هذه الثقافة التى لا تستمد قوتها من البشر أو الأرض بل تستمدها من الهدى السماوى، والكتاب الإلهى الذى يهدى للتى هى أقوم، والذى يدعو إلى الاعتصام بحبل الله.

وأدرك أعداء أمتنا أن ثقافة هذه الأمة، يسندها إيمان راسخ وعقيدة لا تؤثر فيها عواصف الحياة، حين يكون الإيمان قوياً بالله - سبحانه وتعالى - وحين يترجم بعمل تطبيقى صالح فلا خوف على الأمة من ظلم أو عدوان، أو بغى أو بهتان.. قال الله تعالى:

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾(١).

والإيمان يمنح المؤمنين قوة لا تعادلها قوة فى الوجود، لا يخاف مع إيمانه بخساً ولا نقصاناً، ولا يرهقه ظلم ولا يحمل إثم غيره.

(١) طه (١١٢).

قال الله - تعالى:

﴿فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾(٢)

وإن تغيير أحوال الأمة، من حال إلى حال، رهن بتغيير ما بأنفسنا، لأن التغيير إنما هو بيد الله - سبحانه وتعالى - فهو الحكيم الخبير العادل فى حكمه.

فبمقتضى العدل الإلهى لا يسلب الله - سبحانه وتعالى - نعمته من قوم، ولا يغير أحوالهم من السراء إلى الضراء أو من الرخاء إلى الشدة، إلا بسبب تغييرهم ما بأنفسهم:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾(٣)

روى ابن أبى حاتم - بسنده - عن جهم عن إبراهيم قال: أوحى الله إلى نبى من أنبياء بنى إسرائيل أن قُل لقومك: إنه ليس من أهل قرية ولا أهل بيت يكونون على طاعة الله - تعالى - ويتحولون منها إلى معصية الله، إلا حول عنهم ما يحبون إلى ما يكرهون، ثم قال: إن تصديق ذلك فى كتاب الله:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾(٤)

إنه قانون سماوى لا يتخلف، فمن حاد عن منهج الله، وغير ما هو عليه من سلوك الطريق المستقيم فإن الله يغير ما به من نعمة وخير، فالأمر بيد الله وحده المانح والمانع، وبيده مقاليد السموات والأرض، يعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شئ قدير.

وما من أمة تركت دعوة ربها، وكفرت به، وجحدت نعمه إلا أذاقها الله لباس الجوع والخوف، وضلت فى متاهات الحياة، وأصبحت أثراً بعد عين، وما من أمة أخرى تنصر دين ربها، وتتبع منهج الحق والعدل، وتقيم شريعة الله إلا مكن الله لها فى الأرض ونصرها على أعدائها فإن النصر والتمكين فى الأرض لا يأتى إلا بنصر دين الله:

﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾(٥).

فسمات الذين ينصرهم الله ويمكن لهم، أنهم ينصرون دين ربهم، ويطبقون تعاليمه ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، ويؤدون واجبهم أمام الله، ويوجهون أمتهم إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة، قال سبحانه:

﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾(٦).

فمن غيّر ما هو عليه من معصية وشر، وتاب إلى ربه وأناب وأخلص فى اتجاهه إلى الله فإن الله يغير ما هو فيه من خوف إلى أمن

(٢) الجن (١٣).

(٥) محمد (٧).

(٣، ٤) الرعد (١١).

(٦) الحج (٤٠، ٤١).

ومن فقر إلى رخاء وسعة، قال الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[٧].

لقد وضح لنا القرآن الكريم دروساً وعبراً لأمم سلفت، وحضارات بادت، امتحن أصحابها، وابتلاهم الله ـ تعالى ـ بالبأساء والضراء، أى بالضيق فى العيش والأسقام والعلل، لعلهم يتضرعون، فيخلصون لله ـ تعالى ـ فى توبتهم وإنابتهم، وفى أعمالهم وعباداتهم، وكان عليهم حين ابتلوا بالبأساء أن يتضرعوا، ويخضعوا لربهم، ليصرف عنهم العذاب والبلاء، ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون، فلما تركوا ما أمرهم الله به، ونسوا الله فنسيهم فتح الله عليهم أبواب كل الشئ من المال والرخاء والصحة وسائر وسائل القوة ليملى لهم.

حتى إذا فرحوا بما أملى لهم به أخذهم فجأة، فإذا بهم مخذولون محزونون منقطعون لا تقوم لهم قائمة بعد، هكذا يحدثنا القرآن الكريم فى قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٤٣) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[٨]

فإذا رأينا أمة من الأمم أو دولة من الدول تتمادى فى الظلم والعدوان، والبغى والطغيان، ومع هذا نرى أنه فتح عليها أبواب كل شئ من حضارة بلغت الذروة فيها، ومن مال وثراء وقوة ورخاء، وقد ازدادوا مع هذا فى عتوهم واستكبارهم فرحين بما أوتوا فإن الله ـ تعالى ـ يملى لهم، وهو سبحانه يُمهل ولا يهمل، فإذا جاء وعده وإرادته أخذهم بغتة وقطع دابرهم.

وكما شاهدنا فى تاريخ الأمم نظائر هذا لأمم محيت وحضارات ولت مدبرة ولم يعد لها وجود، وذلك بسبب طغيانهم وظلمهم:

﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ﴾[٩]

إن سمات الذين ينصرهم الله ويمكن لهم فى الأرض أنهم ينصرون دين ربهم ويطبقون شريعته، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويؤدون واجبهم ويوثقون صلتهم بربهم ـ

(٧) الأعراف (٩٦).
(٨) الأنعام (٤٢: ٤٥).
(٩) النمل (٥٢).

سبحانه وتعالى ـ وصلتهم بالمجتمع الذى يعيشون فيه فيتضامنون ويتعاونون، ويوجهون أمتهم أفراداً وجماعات إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة، فلا يحيدون عن هذا المنهج الواضح القويم، قال الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾[١٠].

ولدينا أمثلة واضحة صادقة، لما حدث بالأمم السابقة، حين كذبوا وغيروا، فحاق بهم العذاب على مختلف أنواعه، فقوم نوح لما تمادوا فى التكذيب والضلال والمخالفة وما آمن معه إلا قليل، أغرقهم الله، قال ـ تعالى ـ:

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴾[١١]

وها هم ثمود وعاد لما تمردوا وعتوا عن أمر ربهم أهلكهم الله:

﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ (٨) ﴾[١٢]

وإذا كان تغيير الإنسان لما هو فيه من طاعة وعبودية، ونكوصه عن طريق الخير، وسلوكه غير سبيل المؤمنين، يورده موارد الهلاك، ويسلب منه ما هو فيه من نعمة وخير ورزق وأمان، فإن العكس بالعكس فمن غير ما هو عليه من معصية وشر، وتاب إلى ربه وأناب، وأخلص فى اتجاهه إلى الله، فإن الله يغير ما هو فيه من خوف إلى أمن، ومن فقر وشدة إلى رزق واسع ورخاء، قال الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[١٣].

ومن النماذج التى وضحها القرآن الكريم لمن كفر بنعمة الله فغير الله تعالى ما به قول الله ـ سبحانه وتعالى ـ:

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾[١٤].

وإن الإنسان المؤمن قوى بالله، معتز بدينه، وهو فى عزة إيمانه يأبى الهوان والضيم، ويأبى المذلة والخضوع، ولا يخشع ولا يخضع إلا لله الخالق العظيم.

(١٠) الحج (٤٠، ٤١).
(١١) الأعراف (٦٤).
(١٢) الحاقة (٥: ٨).
(١٣) الأعراف (٩٦).
(١٤) النحل (١١٢).

وقد صان الحق ـ تبارك وتعالى ـ شخصية الأمة الإسلامية من التردى فى مهاوى الذلة والضعة، وأوضح سبحانه أنه لا يكشف الضر غيره، ولا يستطيع أحد أن يرد خيراً أراده الله للإنسان، قال سبحانه:

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾(١٥)

وقال تعالى:

﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(١٦)

ومن هنا تشرق شخصية الأمة الإسلامية، محوطة بالكرامة، وبالعزة التى ألبسها الإسلام إياها، فهى لا تستكين لأحد من أجل ضر نزل بها فلا كاشف له إلا الله، ولا تخشى رد الخير من أحد فلا راد لفضل الله.

ومن كلام بعض السلف: يارب عجبت لمن يعرفك كيف يرجو غيرك؟ وعجبت لمن يعرفك كيف يستعين بغيرك؟ وكان الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ يقول: «اللهم كما صنت وجهى عن السجود لغيرك فصنه عن المسألة لغيرك».

ومن سمات المؤمن الصادق الإيمان أنه شاكر فى السراء، وصابر فى الضراء، كما قال رسول الله ﷺ «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له» رواه مسلم.

والمجتمع المؤمن لا يسأل إلا الله، ولا يستعين إلا بالله، ولا يخشى أن تجمع أعداؤه مهما كان عددهم وعدتهم فلن يصيبه إلا ما كتبه الله له، ولن يصل له إلا ما قدره الله عليه، وبهذا الإيمان يغدو فى حياته قوياً كريم النفس، عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: كنت خلف النبى ﷺ يوماً فقال لى: «يا غلام إنى أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف» رواه الترمذى.

وفى رواية أخرى: «احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً».

فعلى أمتنا أن تعى منهج الإصلاح وهى تواجه التحديات، حتى تستطيع مواجهتها، وتحقق النصر على أعدائها بفضل الله العزيز الحكيم.

---

(١٥) يونس (١٠٧).

(١٦) فاطر (٢).

ملاحظات حول:

منهاج الحوار... بين الأخيار

للدكتور/ عبد الحليم عويس

فى العدد الماضى - ربيع الآخر سنة ١٤٢٤ هـ نشرت مجلة الأزهر مقالاً للدكتور محمد عمارة تحت عنوان «حوار مع جارودى.. أخطاء الأصولية أم أخطاء جارودى».

ورأت المجلة من وجهة نظرها أن المقال عتاب شديد لجارودى وطلبت من كتابها الكرام من يسارع بتخفيف حدة اللوم فربما كان الخطأ منا.

واليوم تنشر مقالاً للدكتور/ عبدالحليم عويس يوضح غموضاً بدى أو لبساً اكتنف الحوار وأن جارودى أولى منا بلقاء ودود.

فشكراً للأستاذ الدكتور عبدالحليم عويس على استجابته وشكراً لبيانه.

المجلة



رجاء جارودى

● عندما يكون المتحاوران فى خندق واحد، ويهدفان إلى غايات واحدة أو متقاربة؛ فإن أموراً كثيرة يجب أن تكون فى موضع الاعتبار.

ولعل قضية المصطلحات على رأس هذه الأمور، التى يجب أن ينظر إليها بشىء من تقدير الخلفية الثقافية والعقيدية، دون أن يعنى ذلك الاستسلام لبعض المفاهيم المغلوطة حول هذه المصطلحات، أو الاستسلام لاستخدام هذه المصطلحات نفسها من قبل خصومنا العقيديين استخداماً خاطئاً، ولا سيما إذا كانت هذه المصطلحات أصيلة فى عقيدتنا، نابعة من تراثنا قبل تراث الآخرين، بينما يحاول الآخرون أن يسرقوها منا، أو يشوهوا معالمها حتى تسقط فى المنحدر الذى يريدون أن نصل إليه.

● إن مفكر مثل رجاء جارودى، بخلفيته الفكرية المعروفة، التى انتقل خلال مراحلها الطويلة من مسيحى كاثوليكى بكل المعانى المعروفة عن الكاثوليكية، إلى ماركسى وصل إلى درجة كبيرة بالحزب الفرنسى

الشيوعى، ثم إلى مجدّد فى الماركسية؛ تجديدا أدى إلى طرده من الحزب الشيوعى الفرنسى لأنه كان فى الحقيقة أكبر «بريستوريكا» فى العقدين الأخيرين من حياة الشيوعية، قبل أن يظهر (جورباتشوف) على المسرح الفكرى أو السياسى.

– وأخيراً انتهى جارودى إلى الإسلام!!

ولكن، أى إسلام هذا الذى انتهى إليه جارودى؟

– إنه إسلام المفكر الكبير، الذى مر بهذه المراحل الفكرية، مرور مجتهد، باحث عن الحقيقة، وليس مرور مقلد كبير أو صغير، تستطيع أن تجلس معه ساعتين أو ثلاثا، فتغير أفكاره، وتقوده إلى المنابع الفكرية الصحيحة، وإلى التحديد الدقيق للمصطلحات!!

● أقول: إن «رحالة فكرياً» عالميا، على هذا المستوى (الجارودىّ) من الثقافة، يحتاج إلى جهود كبيرة، ذكية مخلصة، لا تعمد إلى تجريحه؛ بل تعمد إلى تفقيهه، وبيان الفروق العميقة بين المصطلحات، فى دائرتنا الإسلامية، والمصطلحات فى دوائرها الأخرى: الكاثوليكية، والماركسية (والتجديدات الأركونية) (نسبة إلى محمد أركون) (الذى يقبع إلى جوار جارودى فى باريس، وتتحلق حوله مدرسة أركونية تسعى إلى تلويث منابع الفكر الإسلامى، وإلى المزج بين المصطلحات فى الدوائر المتعارضة، ولاسيما فى الحقلين المسيحى والإسلامى).

ويبدو للأسف أنه ليس سهلا التخلص من كل هذه المؤثرات، وبالتالى فإننا نتوقع أن يعمل هذا الفكر عمله فى عقل جارودى، وفى فكره، ومن الصعب عليه القيام بالغربلة الاصطلاحية كما ينبغى، ووضع الحواجز الفاصلة، بين كل مصطلح فى دائرته العقيدية والحضارية؛ على النحو الذى يمكن أن يمارسه مفكر نشأ مسلماً ومنتمياً.

●●●

إن اشتراك الإسلام مع غيره من العقائد والأيدلوجيات فى بعض المصطلحات، لا يعنى أبدا أن تكون المضامين الاصطلاحية هى نفسها سواء فى الإسلام أم فى غيره؛ فمصطلحات مثل (السلفية) أو (الأصولية) أو (السنّة) فى الإطار الإسلامى مصطلحات كريمة، محددة تحديدا علميا، ولا علاقة لها بالتعصب أو الطائفية، أو النصّية البعيدة عن العقلانية، أو الماضوية (البعيدة عن المعاصرة) كما هو الشأن فى تاريخ الفكر الأوروبى، الذى كانت له ظروفه مع الكتابات المقدسة التى نسجت نسيجا خاصا، وانقطعت صلتها بمصدرها الأصلى، وهو الوحى الإلهى بناء على قواعد علم السند والمتن، أو ما يسمى بقواعد الجرح والتعديل، أو المنهج العلمى النقدى بالتعبير المعاصر.

● لكن مدرسة السوربون الثالثة فى باريس التى يقود الدراسات الإسلامية فيها محمد أركون الذى يبذل مع مجموعة من المستغربين والمستشرقين جهودا ضخمة فى سبيل تحقيق نوع من التماهى لإدخال المضامين المسيحية

لهذه المصطلحات فى النطاق الإسلامى، وبالتالى وضع المسلمين فى موضع الحذر من هذه المصطلحات خوفا من أن يتهموا بما اتهم به أصحاب الفكر اللاهوتى!!

– وليس بدعا أن يقع رجاء جارودى، وهو الذى يتفاعل مع هذا الزخم الفكرى المتناقض، فى شىء من الاستخدام غير المنضبط لهذه المصطلحات وهو يتحدث فى النطاق الإسلامى، دون أن يبصر بوضوح كامل الفروق الجوهرية بين المضامين، فى نطاقين مختلفين تاريخيا، وعقيديا.

– وأذكر أن أستاذنا العلامة – الشيخ محمد الغزالى – عندما كنا بصحبته فى ملتقيات الفكر الإسلامى بالجزائر – أعادها الله – كان ينصحنا دائما بأن نتعامل بشىء من الأناة واللطف – بل والرفق – مع رجاء جارودى – بخاصة، ومع أمثاله من الذين عاشوا فكر القرن العشرين الأوروبى، ثم اتجهوا إلى الإسلام – بصفة عامة!!

– إنك يجب أن تعلم، وأنت تتعامل مع أفكار هؤلاء أنك تريد إخراج قوم من بئر عميقة مليئة بالأوحال والأوشاب، وأنه ليس من السهل الخروج هكذا، دون وجود آثار على العقل أو الجسد.!!

– لننظر إلى نموذج من هذا الفكر الذى يقدمه جارودى فى مشروعه الذى أحدث ردود فعل متباينة، والذى أطلق عليه اسم [من أجل إسلام القرن العشرين ميثاق إشبيلية]، فلربما اعترض بعضهم للوهلة الأولى على جملة «إسلام القرن العشرين».



الشيخ/ محمد الغزالى

– لكننا لو تمهلنا وقرأنا السطور الأولى فى مشروعه لوجدنا رؤية صحيحة، بتعبيرات صحيحة، لا نستطيع أن نعترض عليها، فهو يقول:

«لا يمكن أن يكون إسلام القرن العشرين إلا الإسلام الأزلىّ...

«ذلك لأن الإسلام ليس دينا ضمن سائر الأديان، ولكنه الدين الأصيل والأول منذ أن نفخ الله فى الإنسان من روحه كما فى التنزيل الكريم»:

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾(1).

ليس هناك إسلام للغرب ولا إسلام لإفريقيا السوداء، ولا إسلام للعرب، وإسلام للهند أو لأندونيسيا، ليس هناك سوى إسلام واحد. (هكذا تكلم جارودى)... ويقول أيضا: «ذلك هو الإسلام الذى سماه القرآن: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ﴾(2) وهو استمرار للوحى الذى نزل على الرسل والأنبياء – عليهم

(1) الحجر (29).
(2) الأحزاب (38).

السلام - كما هو آخر رسالة ربانية، وتلك هي رسالة محمد ﷺ».

[ميثاق إشبيلية - جارودى - ص٥]....

وهو يرى أن رسالة الإسلام اللازمة بالضرورة، هي رسالته المشتركة بين سائر الأديان والحكمة العالمية وهي: الصمدية ووحدانية الله، والجماعية البشرية، ومسئولية البشر (أنظر ص٦، ميثاق إشبيلية)، لكننا عندما نتعجل في الحكم قد نعترض على هذا التوحيد بين سائر الأديان والحكمة العالمية (حسب تعبير جارودى)، فللإسلام خصوصيته، وله - أيضا - رسالته - كخاتم الأديان - تجاه السفينة الإنسانية كلها؛ لكننا - في المقابل - عندما نتمهل ونقرأ - ميثاق إشبيلية كله؛ نجد أن حجم الاختلاف بيننا وبينه شكلي، أو قليل جدا على الأقل؛ فجارودى الذى هجر مسيحيته وماركسيته يعلم بالضبط ما يتميز به الإسلام من مصداقية في نسبة الوحي إلى السماء، وفي القدرة على تنظيم الحياة بكل جوانبها، وبالقدرة أيضا على إحداث التناغم بين الوحي والعقل، والدين والعلم، وفك الألغاز الدنيوية الأخرى التي عولجت على أنها متناقضات؛ كالعلاقة بين الرجل والمرأة، والفرد والمجتمع، والمادة والروح.

- ومن الطريف أن جارودى أطلق كلمة (السنّة) في (ميثاق إشبيلية) على القرآن، وسماه سنّة الله، ونحن نعرف الفروق بين القرآن وبين سنة الله، ولكنه قصد أن القرآن هو منهاج الله... وهو يقول في موضع آخر من ميثاق إشبيلية متسائلا ثم مجيبا:

- كيف نعمل لإحياء الإسلام؟

... يجيب جارودى-: علينا أولاً أن نتعلّم كيف نقرأ القرآن - (سُنة الله) والسنة المحمدية، وبالطريقة التي أمرنا الله - سبحانه - أن نقرأهما بها:

- يجب ألا نقرأ القرآن والسنّة بعيون الأموات.

- لقد أنزل الله القرآن وأنزل الوحي على رسول الله ﷺ.

- أما الذين سمعوه وفسّروه فهُم بشر، رجال ذوو عقيدة وإيمان، وفقهاء ينتمون إلى عصر محدد في التاريخ، وخليق بنا أن ندرس فقههم بما هو أهل له من احترام، دراسة خالصة صادرة من أعماقنا، ممزوجة بما يشغل بالنا من ضرورة حل مشاكلنا كما حلوا مشاكلهم من قبل، ولا يتأتي ذلك بتكرار ما قرروه من أحكام، ولكنّه يتأتى باستلهام الوسائل التي طبقوها حتى يعيشوا إسلامهم في نطاق إمبراطوريتهم العربية الجديدة، وبلفظ آخر في ظروفهم التاريخية التي اختلفت من جذورها عن ظروف مجتمع المدينة.

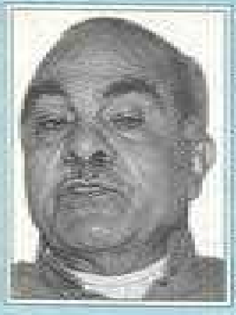
[ميثاق إشبيلية ١٦، ١٧]...

●●●

إن جارودى يجب أن يحاور، وأن تقدم له الحقائق المنضبطة حول مصطلحاتنا الإسلامية، كما يجب كذلك أن نحذره، وهو قريب منا جميعاً، وباحث عن الحقيقة، وليس مستعلياً عليها.. ولئن كان قد اختلف مع أستاذنا الدكتور عبد الصبور مرزوق في بعض القضايا المتصلة بتاريخ (فلسطين) فهو اختلاف رأى.. يقبل الخطأ والصواب. وليس شرطاً أن يكون (روجيه - رجاء - جارودى) نسخة مكرورة من الأزهرى الدكتور محمد رجب البيومي - أو زميله الشيخ الطاهر الحامدى.. وأولهما (منصورى دقهلى)، وثانيهما (من أعماق الصعيد).. أو الأزهرى (الدرعمى) محمد عمارة.. فحتى بين هؤلاء يمكن أن تؤثر الخلفيات الثقافية (بالمعنى الكامل للثقافة كما يحددها مالك بن نبى وغيره!!).

فكيف - (بجارودى) ذى الخلفية الثقافية البعيدة كل البعد عن ثوابتنا الإسلامية ومناخنا الحضارى ومياهنا الشرقية.. بل المسحقة - لفترة طويلة - تحت الضغوط الليبرالية ثم الماركسية وكلها يكون مزيجاً بعيداً عن ثوابت الإسلام ورؤيته!!

ولا أظنني مبالغاً عندما أقول: إن البون شاسع، والمنطلقات والأهداف جدّ مختلفة بل متباينة كل التباين مع مدرسة السوربون الثالثة الأركونية التي تتعامل مع الإسلام بمصطلحات مغرقة في اللاهوتية واللادينية (اللائكية وليس العالمانية!!).. ويُحمد للمفكر العالمي (جارودى) الذى يعيش على بعد بضع كيلو مترات منها في مراحل كثيرة من حياته أنه لم يتأثر بهذه المدرسة التي تزعم أنها ذات رؤية تجديدية إسلامية، وهي رؤية هدم وتحريف كاملين.. ولاسيما في جملة المصطلحات التي تريد إذاعتها في التعامل مع الإسلام - قرآناً وسنة وشيعة وتاريخاً - بدعوى أنها تريد تشريحاً جديداً وقراءة (أبستموجية) جديدة..!!



د/ محمد عمارة

- وحسبنا أن نشير إلى بعض المصطلحات التي تستعملها هذه المدرسة (اللاهوتية - اللائكية) نموذجا لهذا التضليل الاصطلاحي أو هذه الغارة (المصطلحية) التحريفية الظلامية.

- إن مصطلحات هذه المدرسة تحتاج إلى رصد كامل، ودحض لغوى علمي... فالمصطلحات هنا - في هذه المدرسة - طليعة اختراق لصياغة (إسلام).. ترضى عنه القوى اللائكية والصهيونية واللاهوتية...!!

- وكما يقول المفكر والصديق الجزائرى الكبير الدكتور عبدالرزاق قسوم عميد أصول الدين الأسبق بالعاصمة الجزائرية في دراسة حول المدرسة التحديثية.. يقول:

- إنه لا مندوحة من وضع إحصاء لهذه الأدوات لأنها مفاتيح ضرورية لفك ألغاز هذا اللون الخاص من الفكر الإسلامي.

وإن أهم ما يميز هذه اللغة أنها ذات صياغة توفيقية أو تلفيقية، يغرف ناحتها من

أكثر من ينبوع حضارى أو لغوى قبل وضع مفاعيلها.. كما أن كل أداة منها تتطلب شرحاً وتوضيحاً.

– ومن نماذج هذه المصطلحات أو هذه الأدوات المضللة المصطلحات التالية: (الأرثوذوكسية – العقلية الدوغمائية – اللا إيمان – اللاعقائد – اليوطوبيا – الإبستمية – منهجية الحفر والتعرية – منهج التفكيك – التراث المفتت – السيكولاستيكية – التكرارية – القراءة السميائية – التحليل السيميائى – القطيعة التاريخية – المعارف القروسطية – المنهج الفيلولوجي – منهج التاريخانية – الممارسة التبشيرية للنبى محمد (عليه الصلاة والسلام) الدراسة التفكيكية للفكر الدينى – عامل التقديس – التيولوجيا – المثالية – علم لاهوت مثالى – التاريخ التفكيكى للفكر العربى الإسلامى – الانتقاءات الاعتباطية – العلمنة والعلمانية – الخطاب الاستشراقى – الثوريون المناضلون (الجماعات الإسلامية).

– إلى آخر هذا السيل من المصطلحات التى استطاع جارودى أن يقاومها، ويحول دون أن تؤثر فيه، لأنه يعرف ما وراءها، وهو شاهد حى عليها وعلى عصرها، وناحيتها.. وأهدافها.. ولهذا نجح جارودى فى الانسلاخ منها.

ومع ذلك فالحق.. لا مجاملة فيه، لكن الفروق يجب أن تكون واضحة بين من يخطىء على الطريق الطويل – فى خطوات تشبه العثرات، ومن يبنى بيته كله على (الضرار) والهدم، مثل التحديثيين الأركونيين!!

ومع ذلك – كذلك – فنحن نشكر – كل الشكر – للمفكر المجاهد وصديقنا الكبير (الشيخ الدكتور) محمد عمارة جهوده فى ضبط المفاهيم.. من خلال مقالته التى نشرت فى الأزهر الغراء عدد ربيع الآخر ١٤٢٤هـ والتى وضع لها عنوان (حوار مع جارودى)

.. وفى الوقت نفسه نشيد بالجهود العالمية الرائدة والرائعة للمفكر المسلم العالمى الكبير (رجاء جارودى) ولاسيما جهوده فى مقاومة الفكر الصهيونى.. والدفاع عن الإسلام.. وفى صموده ضد القوى الاستغرابية والاستشراقية والصهيونية التى أعلنت عليه – لإسلامه وفضحه لها – حرباً ضارية مستمرة!!

فهل ننضم نحن إلى القافلة المتربصة بجارودى، أو نحاوره (بالتى هى أليق بمثله).. مصححين له المفاهيم، محتفظين له بدائرة:

﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[٢] ودائرة: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يسلمه ولا يخذله) وهذا هو ما أنصح به نفسى، وإخوانى الكبار، جزاهم الله خيراً.

(٢) الفتح (٢٩).

نشأة الصراع بين الشرق والغرب وتطوره

٣

للأستاذ الدكتور
عبدالعظيم المطعنى

تبتهل أسرة تحرير «مجلة الأزهر» إلى الله – تعالى – داعية بالشفاء للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى وأن يلبسه ثوب الصحة والعافية مقدرة له اهتمامه حيث لم يمنعه مرضه من أن يواصل الكتابة للمجلة وهو على فراش المرض.

نختزل الحديث عن مراحل تطور هذا الصراع إلى مرحلة أراها جديرة بالاعتبار؛ لأنها منذ نشأت يعلق عليها القوم هناك آمالاً كباراً، وكلفتهم – حتى الآن – مالاً وجهوداً بدنية وفكرية باهظة وشاقة رغم خيبة الرجاء الملموسة لهم ولغيرهم هذه المرحلة وهى مرحلة «التنصير» أعنى تحويل الأمة الإسلامية – كلها – وليس بعضاً منها إلى النصرانية، بحيث يأتى يوم موهوم من أذهانهم، وقد خلا ظهر الأرض من أى مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً ﷺ رسول الله.

ويطلقون على الأمة الإسلامية أنها أمة وثنية، يجب على كنيسة المسيح أن تعيدهم إلى كنيسة الرب ليخلصهم من الذنوب والآثام إذ لا مخلص سواه؟!

هذه المرحلة بدأت منذ زمن، وبخاصة فى مطلع القرن العشرين المتصرم منذ سنوات وازداد خروج وانتشار رؤساء جنود التنصير ورؤساء القوافل. فى كل مكان توجد فيه كثافة سكانية مسلمة، وهم يركزون على الأماكن التى يفشو فيها الفقر والجهل، لعل صيدهم يكثر وسط هذه العوامل المشجعة.

وواكب انتشار رؤساء قوافل التنصير وجنوده ظاهرة عقد مؤتمرات التنصير المحلية والعالمية، وهى بمثابة غرفات عمل عسكرى تدبر الأمور، وتنفذ العمليات والمسلمون فى غفلة ساهون.

ولبيان خطورة هذه المرحلة، وهى مرحلة تنصير المسلمين نقدم حديثنا سريعاً نشير فيه إلى أن عملية تنصير جميع العالم الإسلامى المعاصر تحظى عند مجلس الكنائس العالمى باهتمام كبير، ظهر فى الربع الرابع من القرن العشرين الميلادى، ومايزال. فقد عقد فى مدينة جلين آيرى

فى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٨م مؤتمر تنصيرى موسع، هو الوحيد من نوعه، ثم طبعت وقائعه بعنوان: التنصير خطة لغزو العالم الإسلامى[١] وقد ترجم إلى اللغة العربية من اللغة الانجليزية ويغلب على الظن أن الذى قام بترجمته عربى مسلم، أو مسلم؛ لأن القصد من المؤتمر عند عاقديه، هو وضع خطة سرية لتنصير المسلمين، فيجب إبقاؤها فى لغتها الأصلية «الإنجليزية» حتى لا يكون لها رواج فى العالم العربى المسلم ويقع الكتاب فى طبعته العربية فى ٨٧٨ صفحة من القطع الكبير المعتاد.

وفى بعض مقدماته أفصحوا عن الهدف من المؤتمر بكل وضوح. حيث جاء فى وصف المؤتمر قول بعضهم:

«انتهى هذا المؤتمر، بعد أن امتلأت قلوب الملايين بروح من الأمل، وشجعهم على السير قدما نحو هدفهم الأكبر وهو العمل على تنصير الـ ٧٤٠ مليون مسلم».. هذا هو الهدف: تنصير المسلمين فرداً فرداً؟ ومتى قيل هذا الكلام؟ عام ١٩٧٨م.

يقولون هذا الكلام، بعد تجارب مريرة خاضها رؤساء قوافل التنصير وجنوده تلك التجارب التى أسفرت لهم عن امتناع أى مسلم عن خروجه من دينه «الإسلام» وعن عدم اقتناع أى مسلم بدين آخر غير الإسلام.

حتى لقد حوّل النصرون عملية التبشير بين الطوائف النصرانية بعضهم بعضاً فالكاثوليكى يدعو إلى البروتستانتية والبروتستانتى يدعو إلى الكاثوليكية وهكذا[٢].

ولما ثبت أن هذا هو موقف المسلمين أمام كل من يحاول تنصيرهم، أو فتنتهم عن دينهم صدرت الأوامر إلى جنود التنصير:

استمروا فى عملكم ضد المسلمين، وليس بلازم عليكم أن تحولوا المسلم إلى النصرانية، بل يكفى أن تخرجوه من دينه، وليصبح بلادين إن شاء، ثم إن هذا القول لايصدر إلا عن حاقد مغلول.

أما أسباب عقد المؤتمر، فقد ذكروها فى مواطن متفرقة من «خطة لغزو العالم الإسلامى» وهى فى إيجاز:

- إن الإسلام يكوّن أكبر كتلة بشرية على وجه الأرض، تعادل نسبة عددهم ٢٤٪ من اجمالى سكان العالم. وهذا أمر مفزع يهدد بالخطر.
- إن العالم الإسلامى يملك من الثروات الطبيعية، وفى مقدمتها النفط بما يهيىء المسلمين لأن يكونوا أسياد العالم وتزداد أهميتهم على الصعيد الدولى.
- إن كثيراً من الأقطار الإسلامية ظهرت فيها أصوات قوية تنتشر كل حين تنادى بالعودة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية كمصر والباكستان وإيران وغيرها، وهذا يسبب لنا قلقاً يؤدى إلى عدم الاستقرار. ويقف عقبة كؤودا أمام كنيسة

(١) خطة لغزو العالم الإسلامى. الترجمة العربية ص٢.

(٢) المسلمون فى القرن العشرين - عباس العقاد.

«الرب» المخلص «اليسوع» ويعرقل نشر الإنجيل بين الجموع الإسلامية التى نريد تنصيرها.

- إن العالم الإسلامى يحظى بما فيه من أحداث يجذب الأنظار إليه، وكثرة الأنباء الذاعة عنه فى كل الأزمان والأماكن والعالم الإسلامى يستفيد من كل هذه الظواهر، ويزداد انتشارا وثباتا.

هذه هى أسباب عقد هذا المؤتمر المسمى «خطة لغزو العالم الإسلامى» ووضعوا خططا لإجهاض هذه الإيجابيات التى يحظى بها الإسلام، ويمهدون لحصاد المسلمين الذى حان وقته، وقد كرروا هذا مرات عدة فى هذا المؤتمر العدائى، وأطلقوا على تنصير كل المسلمين عبارة «الحصاد».

ومما تجب الإشارة إليه أن هذه الخطة وضعت منذ ثلاثين عاما، فهى ليست سياسة قديمة، تم العدول عنها ولكنها عمل حديث ولد فى ظلها من البشر من لايزال فى عنفوان الشباب. فهى خطر حاضر فى خطط المواجهة بين الشرق الإسلامى والغرب النصرانى الذى مايزال مغيظا من حروب الناصر صلاح الدين، وطرده أياهم من القدس الشريف وإسقاط دولتهم فيه بعد سبعين عاما من الاحتلال الغاشم الظالم.

ومن المعروف أن أعمال التنصير هذه لايقوم بها أفراد ولا منظمات دينية فقط بل تسهم فى تمويلها الحكومات الغربية ضمن الميزانيات الرسمية لها كل عام مالى، كل دولة حسب الحجم العام لميزانيتها.

●●●

هذه الخطة هى فى الواقع موسوعة فى الشئون التنصيرية، يهول كل مطلع عليها حجم البحوث والموضوعات (البحوث) التى قدمت إلى المؤتمر، من مؤلفين، كل مؤلف كتب فى موضوع خاص يتعلق بشئون المسلمين فى كل مرفق من مرافق الحياة، وبعد أن يقوم المؤلف بقراءة بحثه على أعضاء المؤتمر (مائة وخمسون عضواً) دارت المناقشة العامة للبحث بحيث يوافقون أو يعارضون أو يعدلون ما ورد فيه، ومن حق المؤلف، أن يدافع عما ورد فى بحثه ثم لا يبقى فى البحث إلا ما حاز موافقة جميع الأعضاء، عمل متقن كما ترى، لأن القوم جادون فى خدمة هدفهم الذى قد انعقد المؤتمر من أجله.

ولكى يتضح للقراء الكرام خطورة هذا المؤتمر فى وقائع الصراع بين الشرق الإسلامى والغرب الصليبى، نذكر فى إيجاز عناوين الأبحاث التى قدمت فيه، وهى على الوجوه الآتية:

قُدم فى المؤتمر أربعون بحثا، منها عشرة أطلقوا عليها أنها بحوث تصورية، وهى:

- الكتاب المقدس والثقافة.
- إبلاغ الكتاب المقدس إلى المسلمين.
- استمالة المسلم - إلى النصرانية - عن طريق سيرة المسيح.
- كنائس مقدسة لمن يتم تنصيره من المسلمين.
- صراع القوى فى عملية تنصير المسلمين.

● الطرقية والتحول من الإسلام إلى النصرانية .

● منطلقات لاهوتية جديدة فى عملية تنصير المسلمين.

● تطبيق مقياس أنكل فى عملية تنصير المسلمين.

● تحليل المقاومة والاستجابة لدى الشعوب الإسلامية.

● ثقافة السلم المُنصر.

تناول كل بحث من هذه البحوث العشرة موضوعا خاصا، وحلله تحليلا دقيقا مرتبطاً بعملية تنصير المسلمين أفراداً وجماعات حسب تصوراتهم.

●●●

ومنها ستة عشر بحثا أطلقوا عليها أنها مفاتيح فى عملية التنصير، وفى المواجهة أو الصراع بين الإسلام والنصرانية وهى:

● اللاهوت الإسلامى: الحدود والجسور.

● إسلام العامة أو الإسلام الشعبى.

● مقارنة بين وضع النصرانية والإسلام فى الغرب.

● مقارنة بين وضع النصرانية والإسلام فى جنوب أفريقيا.

● مقارنة بين الإسلام والنصرانية فى شمال القارة الأفريقية.

● مقارنة بين النصرانية والإسلام فى إيران.

● مقارنة بين وضع النصرانية والإسلام فى شبه القارة الهندية.

● مقارنة بين وضع الإسلام والنصرانية فى تركيا.

● مقارنة بين وضع النصرانية والإسلام فى جنوب شرق آسيا.

● مقارنة بين وضع النصرانية والإسلام فى روسيا والصين.

● الوضع الحالى للمطبوعات ووسائل الإعلام الأخرى الموجهة للمسلمين.

● الوضع الراهن لترجمات الإنجيل إلى لغات المسلمين.

● الإرسال الإذاعى الحالى الموجه للمسلمين.

● نظرة عامة على إرساليات التنصير العاملة بين المسلمين.

● مراجع مختارة للمنصرين.

هذه هى الأبحاث التى أسموها مفاتيح فى عملية التنصير، وعنصراً مهماً فى ميدان المواجهة بين الإسلام والنصرانية. وقد وظفوا هذه الأبحاث فى إدارة الصراع فعلا، والمسلمون كذلك فى غفلة ساهون.

أما الأبحاث الأخرى فهى:

● الدعوة إلى التجدد الروحى.

● تطوير أدوات جديدة تساعد على تنصير المسلمين.

● مستويات وأشكال ومواقع برامج التدريب.

● بناء شبكة من مراكز الأبحاث.

● استراتيجية وأهمية التخطيط.

● مهام تنصيرية يقوم بها منصرون غير متفرغين وأصحاب الخيام إلى جانب عملهم الرسمى فى البلاد الإسلامية.

● الحاجة إلى مراكز (تنصيرية) فى أمريكا الشمالية.

● الحوار بين النصارى والمسلمين وصلته الوثيقة بالتنصير.

● روابط أمريكا الشمالية مع إرساليات العالم الثالث العاملة بين صفوف المسلمين.

● الحاجة إلى مجلة جديدة خاصة بإرساليات تنصير المسلمين.

● الغذاء والصحة وسائل لتنصير المسلمين.

● دور الكنائس المحلية فى تنصير المسلمين.

● المداخل النصرانية إلى المرأة المسلمة.

● كيفية الوصول إلى الذين لم تصل إليهم من الشعوب الإسلامية.

● تقرير المؤتمر.

هذه وقائع هذا المؤتمر التنصيرى الواسع الذى عقد عام ١٩٧٨م وضعنا أمام قراء مجلة الأزهر صورة مصغرة له، ولمجالاته المتشعبة وإذا لم يكن أمامنا هنا إلا ذكر أسماء البحوث فإن القارىء إذا أطلع على نصوصها لرأى أن هذه البحوث لم تترك صغيرة ولا كبيرة تخدم هدفهم الأكبر وهو تنصير المسلمين قاطبة إلا ذكروها وناقشوها وأضافوا إليها ما رأوه مفيدا وحذفوا منها ما رأوه ضارا أو غير مفيد.

لقد أداروا أظهرهم لكل العقائد والأيديولوجيات، وتفرغوا لمحاربة الإسلام وكان الأحرى بهم أن يحاربوا الشيوعية الملحدة، ويعيدوا روسيا القيصرية التى انتزعها منهم ماركس شيطان الإلحاد الأول فى الوجود المعاصر، والذى يكفر بجميع رسالات السماء، ولكن الحقد والحسد سيطرا عليهم قبل المسلمين، وهذا ما نبه عليه القرآن فى أكثر من موضع فى كتابه الكريم، منها قوله تعالى:

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾(٢).

وألفت نظر القراء إلى حقيقة مهمة هى الاعتراف الذى ذكروه على أنفسهم فى البحث الذى عنوانه: «الحوار بين النصارى والمسلمين وصلته الوثيقة بالتنصير» هذا ما يريدونه من الحوار فى طوايا أنفسهم، ونحن - المسلمين - ننظر إليه على أنه خطوة للتقارب بين الأديان، ووسيلة من وسائل التعاون والتعايش السلمى العالمى، وكفى بذلك غفلة.

ومن المفيد أن نشير إلى قيمة البحوث التى قاموا بها حول أوضاع النصارى والمسلمين فى بعض دول

(٢) البقرة: ١٠٩.

العالم، وقد ذكرناها من قبل فى البحوث الستة عشر التى أسموها «مفاتيح فى عملية التنصير وسلاح فى المواجهة بين النصرانية والإسلام».

هذه البحوث قدموا فيها معلومات قيمة مدعومة بالإحصائيات كعدد السكان للنظر موضوع الدراسة، وتوزيع نسبتهم بين النصرانية والإسلام والتحول من دين إلى آخر إن وجد، وتوقع كثرة أو قلة المسلمين فى قبول دعوات المنصرين والأسباب وراء كل التطورات التى تحدث، ومحاولة الاستفادة بناء على المعلومات التى يتوصلون إليها، ثم تعديل الخطط حسب تلك التطورات.

هذا النوع من الأبحاث نظن أن القوم صادقون فيه، وأرى أن مجموعة البحوث هذه، التى عنت بالمقارنة بين أوضاع النصرانية والإسلام فى بعض دول العالم المسلمة وغير المسلمة، هى – أعنى البحوث – سلاح ذو حدين، فقد وضعها المؤتمر لخدمة أغراض التنصير. هذا هو حد السلاح الأول.

ويمكن لنا – نحن المسلمين – أن نفيد فى مجال الدعوة الخارجى – لأنها تسهل لنا كثيرا من الأمور أوضحوها هم لأنفسهم من قبل، واستخدامها فى مجال الإسلامية مفيد للغاية، لأنها على الأقل تكشف لنا عن خطة «الخصم» سلبا وإيجابا، فتختصر لنا نصف أو ثلاثة أرباع الطريق وثلاثة أرباع الوقت لذلك نقترح إعادة هذا الكتاب «خطة لغزو العالم الإسلامى» فى ترجمته العربية، وتوزيعه على أوسع نطاق هذا إذا كان لنا عزم صادق على مواجهة هذه الأخطار من خلال منظمات لها استراتيجيات قوية تقف فى وجه هذه المؤامرات التى لايتوقف الإعداد والتنفيذ لها ساعة من ليل أو نهار.

ونحن ليس لدينا شيء نخاف من إظهاره أو يمكن أن نعتذر عنه لخصم يواجهنا به، بينما عور القوم لايستره شيء قط.. إلا العور نفسه، ان العور يستر عوراً.

وبعد.. هذه إضاءات ضيقة المساحة على هذا العمل التخريبى، الذى أعد له الغرب هذه الخطة لغزو أو لحصاد المسلمين كلهم كمرحلة مهمة من تطور الصراع بين الغرب والشرق الإسلامى، قدمنا هذا الحديث الموجز عنها ليعرف أبناء الإسلام أن الغرب الصليبى مايزال يحفر لنا قبورنا، كى يدفننا فيها ونحن أحياء، وإذا التمسنا لنا عذراً فى الإحجام عن الدفع بالقوة، فكافأنا الله بهزائم عسكرية منكرة، فإننا لا عذر لنا فى أن نقف أمواتاً أمام هجمات التنصير، لأن الحق الذى نؤمن به مستحيل أن يقف أمامه عقيدة أو مبدأ فيكتب لها غلب أو انتصار، فما عذرنا اذن فى هذا السكوت والتراخى ونحن كما قال الله عز وجل: ﴿ ٱلْأَعْلَوْنَ ﴾(٤).

ولأنه عز وجل هو القائل:

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۞ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾(٥).

(٤) آل عمران: ١٣٩.

(٥) الصف: ٨، ٩.

إلى أمة الإسلام:

الثقة القوية أولى خطوات النجاح

للدكتور/ حمدى فتوح والى

لقد بات من الواضح الصريح، أن حاجة أمتنا الإسلامية ـ فى مشروعها الحضارى المأمول ـ ليست إلى منهج حكيم، أو تصور سليم. فذلك أمر كفيناه بمنهج الله القويم، فى كتابه الكريم وإنه:

﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ۞ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾(١)

فهو المنهج الذى تنزه عن النقص، وسلم من العيب، واستعلى عن الأهواء، وتبرأ من العجز، واكتملت له جوانب الكمال والتمام. وهو المنهج الربانى الفريد على وجه الأرض اليوم، فلا دخل فيه لأهواء البشر.

وهو المنهج الواقعى، الذى سلم من التهويمات الخيالية، والنظريات المثالية ـ فهو يتعامل مع النفس الإنسانية من حيث هى: معترفاً بضعفها، مقراً بقصورها، ملبياً لحاجاتها كلها ـ روحية وعقلية وجسدية، دون تغليب شيء على شيء.

وهو إلى جانب ذلك كله، منهج يلتقى مع الفطرة السليمة النقية، لأنه منهج صدر عن الله، ليعالج فطرة هى من صنع الله، فلم يكن غريباً أن نرى هذا العناق الحميم بين المنهج الربانى والفطرة الربانية:

﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾(٢)

وهذا الالتقاء الحميم بين الفطرة والمنهج هو مايفسر لنا هذا الإقبال العظيم على اعتناق الإسلام عقيدة وشريعة، من كثير من أتباع الملل الأخرى، على اختلافها وتباينها، بالرغم من أن حال الإسلام بأهله اليوم لايغرى أحداً بالإقبال عليه، أو الدخول فيه. نظراً لما يعانيه أهله من غياب الهوية وضعف السلطان.

(١) فصلت: ٤٢.

(٢) الروم: ٣٠.

وهذا الإقبال يفسر من جانب آخر سر الخوف الرعيب الذى يجتاح نفوس المغرضين الحاقدين، من سدنة الكفر ورءوس الضلال، عندما يرون الإسلام ينتشر فى بلادهم، وبين ذويهم، وخاصة بين فئة المثقفين والمفكرين الذى تنشرح صدورهم للحق فيدخلون فى دين الله أفواجاً.

فإذا أضيف إلى المنهج الإسلامى سمة أخرى، هو أنه نهج مجرب، تم تطبيقه والعمل به قروناً طويلة فى حياة الناس، فأثبت نجاحاً أذهل الدنيا، وأسعد العالمين أدركنا أننا لسنا بحاجة إلى هذا اللهاث المجنون وراء مناهج من عبدة الأهواء والشهوات، وسدنة الإلحاد والفجور.

وفى عالم الاقتصاد، لايلجأ الفرد إلى الاستدانة وله رصيد مذخور، قبل أن يراجع رصيده، فيرى إن كان فيه غناء، ولاتلجأ الدولة إلى الاستيراد، قبل أن تراجع خزائنها، وتنظر فى خاماتها ومقدراتها كذلك. أفلا يقوم رصيد الروح، وزاد الفكر، ووراثات القلب والضمير، كما تقوم السلع والأموال فى حياة الناس. بلى، ولكن الناس فى هذا العالم الذى يطلق عليه اسم العالم الإسلامى، لاتراجع رصيدها الروحى، وتراثها الفكرى قبل أن تفكر فى استيراد المبادىء والخطط، واستعارة النظم والشرائع، من خلف السهوب، ومن وراء البحار»(٣).

إن كل ماينقص أمتنا اليوم ـ لكى تتقدم بالإنقاذ إلى أهل الأرض هو أن تثق بنفسها، وتستعلى بدينها وتستقيم على منهج ربها، وسُنة نبيها. وأن تعلن فى جسارة وقوة إنهاء حالة الفصام الفاضح بين عقيدتها التى تؤمن بها، وتعتز بالانتماء إليها، وبين ممارسة تلك العقيدة فى حياة الناس، سلوكاً وشريعة، وأخلاقاً، ونظام حياة.

إننى لا أدرى، ولا أحد من جميع المخلصين فى الأرض يدرى، ما الذى يحول بيننا وبين الأخذ بمنهجنا، وهو أعظم منهج شهدته الأرض. وأحكم شريعة عرفتها الحياة.

إنه لايعرف تفسير واضح لذلك التخبط الفاضح الذى تعيشه أمتنا اليوم إلا فى الفساد الذى أصاب العقيدة فأخمد جذوتها، وأطفأ شعلتها، فتحولت إلى سطور فى الأوراق، بعد أن كانت روحاً دافقة توجه السلوك وتحكم الأخلاق.

«فالعقيدة الصالحة والأدب القوى، والعرف الصالح كقوة البارود فى دفع القذيفة، تدفع الأمم بقدر ما فى عقائدها من قوة واستقامة، وهذه القوة الدافعة تسوق الأمم إلى الأمام حتى إذا ما تبددت بقيت الأمم حيث أوصلتها الدفعة الأولى، ثم هوت إلى الأرض كتلة لاتعى،

---

(١) الإسلام هو المنقذ ـ محمد عبدالله الخطيب ـ دار المنار الحديثة ص٧.

وكأنما سلبت حياتها. والتاريخ يشهد على أن انحطاط كل قوم من الأقوام يبتدىء حيث تبلغ السيطرة المادية حد التسلط على حياتها، تسيرها وتحل محل السيطرة الروحية والمعنوية أو بعبارة أخرى، حين تغلب شهوات الأبدان، شهوات الأرواح، تلك هى ساعة الفصل بين التقدم والتأخر»(٤).

وإذا كانت أمتنا قد فقدت تلك القوة الروحية والمعنوية أو بعبارة أخرى، غلبت شهوات الأبدان على شهوات الأرواح فوصلت إلى ما وصلت إليه الآن، فإن من رحمة الله بها وإحسانه إليها. أن حفظ لها منهجها الذى سعدت به ردحاً طويلاً من الزمن، حتى إذا تركته وأهملته كلفها جزاء ذلك ـ سقوطاً لهيبتها، وانتقاصاً لسيادتها، وامتهاناً لكرامتها، وهواناً على الناس. فإذا أرادت العود بعد الجنوح الطويل، وجدت رحمة الله فى انتظارها ومنهج الله بين يديها. لتستأنف به نهضتها، وتعود من جديد لقيادة البشرية وهداية الناس.

إن الإسلام لايستمد بقاءه من أحد مهما كان شأنه وإنما الناس جميعاً يستمدون وجودهم وسعادتهم من الإسلام.

﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴾(٥).

إن الإسلام قائم بنا أو بغيرنا، أما نحن فلا وجود لنا إلا بالإسلام. وما أصدق قولة الخليفة الراشد، عمر بن الخطاب: «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فإذا ابتغينا العزة فى غيره أذلنا الله».

ولقد رد الحق ـ سبحانه وتعالى ـ على أقوام سوء فهمهم، وفساد تصورهم عندما منوا على رسول الله ﷺ باعتناقهم الإسلام فقال سبحانه، مصححاً فهمهم، مقوماً تصورهم:

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(٦).

وهاهى أمتنا مدعوة اليوم للعودة إلى كتاب ربها، وسُنة نبيها عودة تائب أثقله الذنب، وآلمه الندم، وأحرقه لذع الضمير.

وهى مطالبة فى عودتها تلك أن تتسلح بثقتها فى نفسها، ويقينها فى ربها. يقول الأمير شكيب أرسلان:

«إن من أعظم أسباب انحطاط المسلمين فى العصر الأخير فقدهم كل ثقة بأنفسهم، وهو من أشد الأمراض الاجتماعية وأخبث الآفات الروحية، لايتسلط هذا الداء على إنسان إلا

---

(٤) الرسالة الخالدة ـ عبدالرحمن عزام ـ دار الشروق سنة ١٩٧٩ ص٢٤.

(٥) محمد (٣٨). (٦) سورة الحجرات آية ١٧.

أودى به، ولا على أمة إلا ساقها إلى الفناء، وكيف يرجو الشفاء عليل يعتقد - بحق أو بباطل - أن علته قاتلته؟ وقد أجمع الأطباء فى الأمراض البدنية، أن القوة المعنوية هى أساس الأدوية، وأن من أعظم عوامل الشفاء إرادة الشفاء. فكيف يصلح المجتمع الإسلامى، ومعظم أهله يعتقدون أنهم لايصلحون لشىء، ولايمكن أن يصلح على أيديهم شىء وأنهم إن اجتهدوا أو قعدوا فهم لايقدرون أن يضارعوا الأوروبيين فى شىء»[٧].

وهذا الشعور بالدونية الذى عاشته أمتنا فى العصر الأخير جدير وحده أن يصيبها بالخور، وأن يسلمها إلى الدمار المحقق والفناء الرهيب.

ومما يروى من سيرة سيدنا على «كرم الله وجهه» أنه سمعت له فى إحدى المعارك أربعمائة تكبيرة، وكان من عادته أنه يكبر كلما صرع قرنا. فقيل له فى ذلك فأجاب: «كنت إذا حملت على الفارس ظننت أنى قاتله، فكنت أنا ونفسه عليه».

والتاريخ يسجل لسيف الدين قطز قاهر التتار أن أول بشائر انتصاره على التتار كانت فى رده الحاسم القاطع على غرور «هولاكو» وتجبره، إذ قام بقتل رسله الأربعة وعلق رءوسهم على أبواب القاهرة، ليعلم أهل مصر الذين ملأهم الرعب من أخبار التتار أن التتار يقتلون، وحتى يحرر الناس من عقدة الانهزام النفسى، والسقوط المعنوى، الذى بلغ بهم حد الخور والاستخذاء والهوان.

لقد اختصر هذا الموقف الرائع نصف طريق الانتصار وأشعر الأمة الثقة فى نفسها والاطمئنان إلى قيادتها. فكأنما نشطت من قيد، أو فكت من عقال، وانطلقت خلف قائدها تتحرق شوقاً إلى لقاء العدو، وتستعجل اللحظة التى تلقى فيها هذه الحشود الكافرة الفاجرة لتروى من دمائها لهيب الثأر وشهوة الانتقام.

إن إحياء الأمة من مواتها دور لاينهض به إلا العلماء المخلصون والقادة المؤمنون، الذين يدفقون فى شرايين الأمة فورة الإيمان، ويشعلون فى كيانها جذوة الجهاد، وروعة القرآن. ويدفعون بشباب الأمة إلى معالى الأمور ويحببون إليهم الجنة. ولسان حالهم يقول:

تهون علينا فى المعالى نفوسنا..
ومن يخطب الحسناء لم يغلها المهر

***

[٧] لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم - شكيب أرسلان - دار البشير ص١٤٩



التهديد الإسلامى خرافة أم حقيقة؟

تأليف
جون ل. إسبوزيتو

ترجمة
الدكتور قاسم عبده قاسم

عرض وتحليل ونقد
الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوضين

٢

إذا استكن الخوف فى نفس إنسان وتمكن منه أفقده الاتزان فى فكره، والصدق فى رؤيته، ودفعه إلى الجور فى أحكامه، وقاده إلى القسوة فى تصرفاته، والعبث فى تقديراته.. حتى لقد اتخذ الخوف سلاحا فتاكا فى هدم أرسخ الأبنية الاجتماعية، وفى تمزيق أمتن الأواصر والعلاقات الإنسانية.!

ولذلك.. آثرته كثير من الأجهزة الأمنية والاستخباراتية فى العصر الحديث لتحقيق مآربها فى التمكين للسلطات أو فى القضاء عليها لصالح غيرها أو لإفساح الطريق أمام قوى خارجية غازية مستعمرة.

وقد رأينا المؤلف يخلص -من جولته فى الفصل الأول- إلى أن الوهم فى التصور، والخوف من ضياع مراكز السلطة، ووقوع بعض الأصوليين الإسلاميين فريسة الغلاة.. كل هذه الأمور وظفت ببراعة فى إثارة المخاوف فى نفوس حكام المسلمين من جميع الأصوليين الإسلاميين! فوسعت -عن قصد- شقة الخلاف بين هؤلاء الحكام وبين كل صوت يعلو بالتحديث الإسلامى، فلم يعد أحد يأمن الآخر.

الإسلام تطوير وتنمية

وفى الفصل الثانى (الإسلام والغرب.. جذور الصراع والتعاون والمواجهة) سعى المؤلف باحثا عن منشأ هذه المطامع، ومكمن هذا الصراع بين الغربيين والإسلاميين: أهو فى علاقة الإسلام ذاته بالديانات السماوية الأخرى، أم هو فى علاقة المسلمين بمعتنقى تلك الديانات، والتنافس بين هؤلاء وأولئك؟

ومن هذا التساؤل انطلق -مع استعراض سريع- ليتعرف على الإسلام وموقفه من الديانات السماوية التى تقدمته، وليعرف بالجذور المشتركة بين هذه الديانات، ممهدا بذلك لدراسة العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامى، إيمانا منه بأن الموضوعية تقتضى التعرف على القرآن، والنبى محمد، والمرحلة الإسلامية المبكرة، وتنحية ماران على العالم الأوروبى المسيحى من ركام زائف جعلهم يسبون الإسلام ونبى الإسلام، ويصورونه فى هيئة مشوهة منفرة، ويضعونه على قدم المساواة مع الإرهاب والتطرف.

وفى ثنايا هذه الانطلاقة رأى أن للديانات الثلاثة -اليهودية والمسيحية والإسلام- جذورا مشتركة تربط بينها، فهى جميعها تشترك فى ديانة إبراهيم بإيمانها العام بالله وبالأنبياء، والوحى، وبالالتزام بالتعاليم الإلهية، والمسئولية الأخلاقية، ومثلما يمتلك اليهود الكتاب المقدس ويمتلك المسيحيون الكتاب المقدس، فإن المسلمين أيضا لديهم كتاب مقدس.. ولكن المسلمين يعتقدون أن كتابى اليهودية والمسيحية قد حرفا بالتدخل الإنسانى، مما أنتج لديهما عقائد شوهت نقاء الوحى الإلهى.. ومع هذا الاعتقاد يؤمن

المسلمون بأن القرآن كلمة الله التامة الكاملة الحرفية ينسخ الكتب اليهودية والمسيحية.

وبعد استعراض سريع لنشأة محمد ﷺ ومبعثه ونهوضه بأمر الدعوة، ومدى ما أحرزه من نجاح فى مكة والمدينة.. بعد هذا الاستعراض، خلص إلى أن الهجرة إلى المدينة شكلت بداية الأمة الإسلامية، وكانت لها أهمية دينية وتاريخية، جعلت منها أساس حساب التاريخ الإسلامى، وخلص إلى أن المدينة المنورة عكست العلاقة التامة بين الدين والدولة فى الإسلام.. تلك العلاقة التى أثرت فى تطور الأمة الإسلامية آنذاك، وفى الوقت الحاضر، إذ الأمة الإسلامية ملزمة بأن تتبع كلمة الله وحكمه، بالاضافة إلى التزامها بنشرها، فقد جمع النبى ﷺ بين العمل الدبلوماسى والعمل العسكرى.

كما خلص المؤلف إلى أن محمداً ﷺ جاء بما هو أكثر من مجرد تجميع أو تفسير للعادات والأفكار الدينية الموجودة -عربية ويهودية ومسيحية- إذ أنه صاغ طرازا جديدا للنظام والأمة، فقد تم قبول الأفكار والمؤسسات القديمة، وتحويلها -فى ضوء المعايير الإسلامية- عندما تمت صياغة طراز جديد لمعنى الهوية والتضامن، والأمة والسلطة.

ومن هنا.. اتسم الإسلام بمضمون خاص، ورؤية توحيدية متميزة، وأسلوب للحياة جديد.. ترك تأثيره على الحياة العامة والخاصة، حيث أوجب على كل مسلم أن يحقق حكم الله وينشره، مؤمنا بأن رسالة محمد ﷺ هى آخر الرسالات وخاتمتها.. من كل ما أعان على إحداث تحول تاريخى وثقافى عالمى كبير، وليس تحولا محصورا فى دائرة القبائل العربية وحدها.

وكان صبغ الفطرة العالمية بالصبغة الدينية من أبرز ما أحدثه حكم الإسلام فى ظل حكم الخلفاء الراشدين.. فبينما كان الحكام يعتمدون على جيوشهم لضمان أمنهم، والقيام بالغزو.. قدم الإسلام الإطار الفكرى للدولة والمجتمع، وقدم مصدرا للشرعية والسلطة، وتم تقسيم العالم إلى دار الإسلام التى تضم كل الأراضى الإسلامية، ودار الحرب التى تضم العالم غير الإسلامى، وكانت أمور المواطنة والضرائب، وقضايا الحرب والسلام محسومة بالإيمان الدينى؛ فالمسلمون يتمتعون بالمواطنة الكاملة ويدفعون ضرائب بعينها (الزكاة والخراج) على حين يعد اليهود والنصارى (أهل الكتاب) أهل ذمة، ويدفعون ضريبة معينة (الجزية) فى مقابل قيام الجيش الإسلامى بالدفاع عنهم وحمايتهم.

وفى غضون مائة سنة أسست دولة أعظم من إمبراطورية روما فى عزها، حيث قدم الإسلام الأسس الفكرية لهذه الطفرة الملحوظة، لأن الإسلام -بعقيدته وشريعته- هو الذى أشعل شرارة عملية الدمج فى

النهاية، فكان هو السبب النهائي في نجاح حركة الفتوح.

وقد ظل إدراك أن الإسلام مصدر للإلهام والقدوة سائدا حتى اليوم لدى العديد من المسلمين.

ومن جهة أخرى.. أدرك العالم المسيحي أن الإسلام خطر مزدوج يهدد بانتشاره السريع وجودهم، سواء على المستوى الديني أو السياسي، حيث كان الإسلام وسيلة لترابط القبائل، وإلهامها، وتعبئتها، انطلاقا من المفهوم القرآني للجهاد في سبيل الله الذي يعني بذل الجهد للعيش عيشة طيبة، ولجعل المجتمع أكثر أخلاقية وعدالة، والذي يعني -كذلك- جهاد الشر والشيطان، والنفس -على ما تقرره الديانات الإبراهيمية الثلاثة- كما يعني النضال لنشر الإسلام والدفاع عنه.

ومن هذا المفهوم الشامل للجهاد.. انطلق المسلمون يفيدون من كل شيء؛ يحدوهم إحساس بالثقة، وشعور بأنهم سادة أحرار لاضير عليهم في أن يستعيروا من غيرهم ما هم في حاجة إليه، فأحسنوا التعلم، كما أحسنوا الفعل، ولم يأنف السادة المسلمون من أن يتعلموا من رعاياهم الأكثر تقدما بكل وسائل التعلم، مع الحرص على أسلمة تلك الموروثات التي تيسرت لهم مع هذا الانفتاح الهائل في شتى أرجاء البلاد الإسلامية، مدركين أنهم -كما يستعيرون من الآخرين في الغرب- يقدمون لهم الجديد الذي أيقظ فيهم روح النهضة، فانطلق الغرب لينهض من غياهب العصور الوسطى.

وبهذا.. أصبحت الحياة السياسية والثقافية للمسلمين وغير المسلمين في الدولة الإسلامية تدور داخل إطار الدين الإسلامي واللغة العربية، على الرغم من الاختلافات القبلية والدينية، وتنهض على دعائم الشريعة الإسلامية ذات المجال الشامل، والتي تتضمن مجموعة من المبادئ الإلهية العامة التي نزل بها الوحي (ويمثلها حديثا الدستور) ومجموعة من التوجيهات والقيم التي يمكن للبشر أن يطوروا منها قواعد مفصلة، وترتيبات يمكن تطبيقها على أيدي القضاة في ساحات القضاء وهي (الفقه الإسلامي).

فالشريعة الإسلامية لم تكن جامدة أو مغلقة، بل إنها -على العكس- أظهرت حيوية ومرونة- وتنوعا، وظلت قادرة على الاستجابة للظروف الجديدة، حتى إذا كان القرن العاشر توهم كثير من الفقهاء أن شريعة الله قد تم تحديدها في النصوص الشرعية بشكل كاف، فبرز اتجاه لتقييد الاجتهاد والوقوف به عند ما وصل إليه، حيث أدينت المذاهب الاجتهادية الجديدة وعدت بدعا تخرج عن الشرع الموصى به، مما أعاق الاستجابة لتأثيرات التحديث والتطوير في إطار الشريعة الإسلامية.

الإسلام بين الشعوب غير المسلمة والكنيسة الغربية

ويذكر المؤلف أن الصعود السريع للإمبراطورية الإسلامية، وازدهار حضارتها قد فرضا خطرا مباشرا على مكانة العالم المسيحي في العالم من الناحية اللاهوتية والسياسية على سواء، فكل من الإسلام والمسيحية يزعم أنه رسالة عالمية وكلاهما يشكل أمة عالمية تقوم على أساس الإيمان المشترك وعلى أساس شمول الدعوة لأمم الدنيا.

لكن الاسلام لم يقف عند مستوى الخطاب والجدل اللاهوتي. وكان نجاح الجيوش والدعاة الإسلاميين تجربة لقوة تبدو كأنها جاءت من المجهول لكي تتحدى وجود المسيحية.

وعلى الرغم من أن المسلمين كانوا في البداية أقلية في البلاد المفتوحة.. فإنهم صاروا أغلبية بمرور الوقت؛ بسبب تحول المسيحيين إلى الإسلام وتعرب من بقي على مسيحيته لغة وثقافة.

وكانت استجابة العالم المسيحي الغربي دفاعية، ذات صبغة حربية، حيث وجد الغرب ـ الكنيسة والدولة ـ أن الأسهل لهم إدانة هذا العدو الزاحف، واستبعاده، ووصمه بالهمجية والكفر، بدلا من محاولة التعرف عليه وفهمه.. خشية على الشعوب الغربية من أن يؤول أمرهم إلى ما آل إليه أمر غير المسلمين من الشعوب الأصلية في المناطق البيزنطية والفارسية الذين كانوا خاضعين لحكم أجنبي مستبد فاسد، والذين رأوا في الحكام المسلمين مرونة وتسامحا مما أشعرهم بشخصيتهم وحريتهم، حيث بات كثير من هذه الشعوب يتمتعون بقدر أكبر من الحكم الذاتي.

هذا إلى ما قدمه الاسلام لتلك الشعوب من حرية دينية، مما دفع بعض الجماعات اليهودية والمسيحية إلى مساعدة الجيوش الإسلامية، إذ كان كل المطلوب من غير المسلمين أن يدفعوا ضريبة الجزية في مقابل تمتعهم بالسلام والأمن، ولذلك عرفوا باسم «أهل الذمة»، لقد كان المثال الإسلامي هو صياغة عالم تحت حكم الإسلام، تستأصل فيه عبادة الأصنام، يعيش فيه كل أهل الكتاب في مجتمع تهديه وتحميه السلطة الإسلامية التي تلتزم بقصر دعوة الآخرين إلى الإسلام على الإقناع، فكانت تطرح أمام من يواجهونها ثلاثة خيارات هي:

١ ـ اعتناق الإسلام والانخراط الكامل في الأمة.

٢ ـ احتفاظ المرء بدينه مع التعهد بالمسالمة ودفع الجزية.

٣ ـ في حالة رفض هذين الخيارين يصبح عدوا لا يؤمن جانبه، ويجب محاربته.

الأحقاد والخرافات تدفع الغرب إلى الحـــروب الصـــليبية

ويذكر المؤلف أن هناك خرافتين تحكمان المفاهيم الغربية عن الحروب الصليبية. أولهما: أن العالم المسيحى قد انتصر، وثانيهما: أن الحروب الصليبية قد نشبت لتحرير بيت المقدس، فالحقائق الخاصة بالحروب الصليبية تبدو غامضة بالنسبة للكثير فى الغرب، حيث لا يعرفون من البادئ بها، ولا لماذا نشبت، ولا كيف تم إحراز نصر الغربيين فيها.

أما المسلمون.. فإن ذكرى هذه الحروب تقدم لهم المثال الأوضح على المسيحية العسكرية، وتجسم لهم عداوة المسيحيين الغربيين للإسلام، لقد كان الغرب حتى سنة ١٠٠٠ م إقليما فقيرا متخلفا، وأميا، بينما كان العالم الإسلامى على امتداد قرون أربعة سابقة يتمتع بسلام داخلى وأمن، وبعد عن الحروب المحلية، تمكن معها من بناء ثقافة حضرية باهرة مؤثرة.

ولما بدأ الغرب خطوات التحول الحضارى، والخروج من الظلام نهض الامبراطور البيزنطى «ألبكسيوس كومنينوس الأول» يدعو الحكام المسيحيين الغربيين، والبابا «إربان» لمعاونته على صد المد الإسلامى بالقيام برحلة حج لتحرير القدس وما يجاورها من الحكم الإسلامى، فأطلق البابا صيحة المعركة «الرب يريدها» مجتذبا بها العقلية الشعبية، والمصالح الذاتية للكثيرين.

وهكذا.. استلهمت الحروب الصليبية مؤسستين مسيحيتين هما: الحج، والحرب المقدسة لإقناع المحاربين بأنهم منتصرون سواء كسبوا معاركهم الأرضية أم لا.

وهكذا.. أعمت الحروب الصليبية أعين الناس، فلم يعودوا يرون نقاط التوافق بين الديانات الإبراهيمية الثلاثة وبرز فقط أمام عيون كلٍّ أن الآخرين غزاة عسكريون برابرة، ومتعصبون.. وعلى ذلك فهم عقبة فى سبيل تحقيق مشيئة الله، وخطر ماثل خطير.

فبينما كان العثمانيون المسلمون يسطون سياستهم القائمة على أساس «عش ودع الآخرين يعيشون» حتى اعتاد الفلاحون البلقانيون أن يقولوا: إن عمامة التركى أفضل من إكليل البابا.. بينما كان العثمانيون كذلك كان الأوروبيون المسيحيون يواجهونهم بالتطرف المتعصب، وبنشر الهجاء المقذع للمسلمين، وبذل مختلف صور الإساءة، كما صنع «بارثليمو جريفيتش» الكرواتى فى كتابه «بؤس ومحنة المسيحيين الواقعين تحت نير العبودية للأتراك» مما أثار عواطف الجماهير الأوروبية بعيدا عن العقل حتى تحقق لهم الغلبة على أصوات الأقلية المتعقلة من الدبلوماسيين والباحثين الذين رأوا الأتراك فعلا، ودرسوهم

بشكل عقلانى، واستمروا على هذا النهج المعادى منذ القرون الأولى، فقدم «فولتير» كتابه «التعصب أو محمد النبى» صور فيه النبى ﷺ طاغية دينيا، وقدم «أرنست رينان» محاضرة ملأها بالشتائم والسباب.

وظل هذا الفهم مسيطراً بآثاره خلال المرحلة العثمانية وخلال موجة الاستعمار الأوروبى التالية.. وأخيرا فى المنافسة بين القوى العظمى فى القرن العشرين.

وهكذا.. نرى أن المصالح الدينية والسياسية المتنافسة أنتجت تاريخا من الصدام والحرب فى مجرى وجدت أوروبا نفسها فيه على مدى عدة قرون فى موقف دفاعى ضد الجيوش الإسلامية وفى بعض الأحيان بدا أن أوروبا تقاتل فى سبيل وجودها ذاته.

استمرار على طريق الصدام

وفى الفصل الثالث «الغرب الظافر: الاستجابة الإسلامية» يواصل المؤلف مسيرته الاستعراضية فبعد أن استقرأ التاريخ والواقع ليكشف علاقة المسلمين بالآخر منذ مبعث محمد ﷺ وعلاقة الآخر بالمسلمين فى مختلف المواقع، مشيرا إلى أن السياسيين والكهنوتيين دائما هم الذين كانوا يسعون إلى تشويه تلك العلاقة بما يشيعونه من أكاذيب يصمون بها الإسلام والمسلمين.. بعد أن كشف المؤلف ذلك من استقرائه التاريخى والواقعى فى حيادية خالصة ـ فى الغالب ـ من الغرض.. بدأ فى استعراض المسيرة نفسها بعد أن تغيرت الظروف ودالت دولة المسلمين، وتمكن الأوروبيون من الزمام.

فذكر أن العالم الإسلامى فى النصف الأول من القرن العشرين كان فريسة الاستعمار الأوروبى وما فرضه ذلك على المسلمين من النضال فى سبيل التحرر من الاستعمار بأعبائه وتبعاته، فقد عمل المستعمرون الأوروبيون على تغيير الخريطة الجغرافية والمؤسسية فى البلاد، حتى لقد تدخل فى رسم الحدود وتعيين الحكام، وإلغاء أو تغيير المؤسسات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والقانونية والتعليمية التى استقرت على مدى تلك القرون على الدعائم الإسلامية فكان ذلك تحديا صريحا وضمنيا للدين الإسلامى، وللثقافة الإسلامية مكن روح النفور من المستعمرين الأوروبيين وصنيعهم، خصوصا أن هؤلاء المستعمرين الأوروبيين وفى مقدمتهم السياسيين وأعوانهم المبشرين برروا همجيتهم السلوكية بوصفهم الإسلام بأنه قوة رجعية متخلفة تهدد الغرب المسيحى وتربص بحضارته، فالحالة المتدهورة للعالم الإسلامى جعلت منه هدفا واضحا للبعثات التبشيرية المسيحية التى شنتها حملة

صليبية بحماسة زائدة، فرأى المسلمون - في ذلك - تهديدا خارجيا للهوية الإسلامية والاستقلال الذاتي.

ولم يكن تحرك المسلمين للإصلاح استجابة للتحدي الاستعماري الأوروبي فحسب، بل كان استمراراً لما لديهم من تراث حضاري شامل كذلك، حيث تواصل هذا الاستمرار التجديدي على مر العصور المتطاولة.

وعلى هذا.. فإن العودة للإسلام فرضت العودة إلى الأصول المتمثلة في القرآن، والسنة النبوية، وسيرة الأمة الباكرة لتقدم نموذج الإصلاح الإسلامي.. وكما فرضت ذلك، أبرزت زعماء إسلاميين تجديديين في شتى أرجاء العالم الإسلامي من خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، فبعد تأملهم فيما آل إليه أمر المسلمين استطاعوا إدراك أن سبب ذلك هو البعد عن القيم الإسلامية الحقيقية بسبب قرب المعتقدات والممارسات غير الإسلامية، وأن يجدوا أن الدواء هو في التطهر من ذلك بالعودة إلى الإسلام الصحيح.

وكان الأساس الفكري لهذه العودة: أن الإسلام هو الحل، وضرورة العودة إلى القرآن والسنة النبوية، والعمل على تحكيم الشريعة الإسلامية، ومعاداة كل من يقاوم ذلك من المسلمين وغير المسلمين.

النضال من أجل الاستقلال

ومع حلول القرن التاسع عشر الميلادي وجد المسلمون أنفسهم في موقف دفاعي إزاء التوسع الأوروبي الاستعماري المطرد، الذي لم تلبث صورته أن اتضحت في أواخر القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين، حيث أصبح الغرب الأوروبي يمثل تهديداً حقيقياً للهوية الإسلامية؛ إذ شكل تحدياً للإسلام على المستوى السياسي، والاقتصادي، والأخلاقي، والثقافي، فلم تأت أوروبا بجيوشها فقط، وإنما ببعثاتها التبشيرية كذلك، حتى اهتزت مكانة الإسلام، فلم يعد تلك القوة العالمية التوسعية، وتأكد أن الحركة الاستعمارية لم تكن سوى مرحلة أخرى من حرب المسيحية ضد الإسلام؛ إذ كانت أوروبا العدو الذي هدد الدين الإسلامي، والحياة السياسية للأمة الإسلامية.

ونتيجة لهذا.. صار النضال ضد الاستعمار الأوروبي حرباً بين العالم المسيحي والإسلام، توسلت فيها أوروبا ببعثاتها التبشيرية لتدعم جيوشها العسكرية، بحيث تأكد كثير من الزعماء الدينيين أن محاربة هذه القوة العسكرية الأوروبية الهائلة غير مجدية، فلجأوا إلى البديل وهو المقاطعة برفض التعامل مع السادة الاستعماريين، وتحاشي صحبتهم ومدارسهم، وسائر مؤسساتهم. وفي الوقت نفسه وجد هؤلاء المستعمرون من بين المسلمين من افتتن بهم،

وشغف بالتعلم منهم، وتقليدهم في كل شيء، سعياً وراء التمدن، على نحو ما صنعه كثير من الحكام المسلمين الذين حاولوا فرضه، بدعوى السعي إلى التحديث، وإن كانوا في الواقع مدفوعين بالرغبة في دعم سلطتهم ومركزيتها، حتى إن اهتمامهم اتجه إلى الإصلاح العسكري والإداري والتكنولوجي، ولم يلتفتوا إلى الإصلاح السياسي.

وكان ثمرة ذلك... ظهور نخب جديدة، وتشعب مطرد في المجتمع المسلم.. وضح في النظم التعليمية والقانونية المترددة بين المدارس التقليدية الدينية، والمدارس العلمانية الحديثة.

ولم تقتصر الاستجابة الإسلامية للاستعمار الغربي على هذه الاتجاهات الثلاثة - الرفض، والافتتان، والاستيراد - بل كانت هناك استجابة رابعة واجهت تحدي الطرح الغربي الاستعماري؛ تمثلت في التحديث الإسلامي، الذي سعى إلى سد الفجوة بين التراث الإسلامي، والإصلاح العلماني، وذلك بالاعتماد على الإسلام، وجعله مصدر قوتهم ووحدتهم، مع تعلم أسرار القوة الغربية والإفادة منها، دون الخروج عن الإطار الإسلامي.

وكان من أبرز مظاهر الخلاف بين المسلمين اتسام النزعة الوطنية بسمتين متناقضتين؛ فبينما تقوم الوطنية عند بعضهم على مواجهة الاستعمار الغربي، تقوم عند الآخرين على التأثر بالاتجاه الغربي، والسعي إلى تقليد الأوروبيين؛ من كل ما أوضح أن الإسلام - مع أهمية دوره الوطني - لم يكن العامل الوحيد في تطور حركات الاستقلال، المناهضة للاستعمار؛ إذ كان إلى جواره عامل التحديث والعلمنة.

ومع وضوح أثر الإسلام.. يلاحظ أن دوره كان أقل بروزا في بداية الحركات الوطنية في المشرق العربي، ولم يبرز إلا متأخراً بعض الشيء، حيث بشر بظهور «الإخوان المسلمون» في مصر، و«الجماعة الإسلامية» في باكستان. أما في المغرب العربي فقد كان بروز الدور الإسلامي واضحا منذ بداية التحركات الوطنية، حيث استخدم الإسلام رمزاً للوحدة والهوية الوطنية، وبرهن - بالفعل - على كونه وسيلة فعالة لتعبئة الدعم الشعبي، وردم الهوة بين العرب في المغرب والجزائر.

وبمثل هذه النظرة الشمولية الموضوعية... استعرض المؤلف أبعاد التحرك الإيراني للاستقلال، والتحرك في جنوب آسيا كذلك، لافتا النظر إلى دور الإسلام والنزوع الوطني في مجابهة الاستعمار الغربي، وما تمخض عن ذلك من نزاعات وتنظيمات، وبزوغ دول جديدة، مثل باكستان، وبنجلاديش، والهند.

النضال من أجل الاستقرار

ويرى المؤلف أن الشعوب المسلمة ـ بعد تحقق استقلالهم ـ اضطرت إلى مواصلة النضال؛ طلباً للاستقرار الذى عملت على حرمانهم إياه الدول الاستعمارية، باستقطابهم الحكام المسلمين، واتخاذهم قوى معاونة تقاوم التنظيمات الشعبية الإسلامية، حيث اهتم معظم الحكام بمواءمة التراث المؤسسى والروابط الاستعمارية، متوسلين بفرض التحديث من أعلى بواسطة الحكومات والنخب المتغربة، حتى كانت اللغات الأوروبية فى بعض البلاد هى اللغات الرسمية للحكومة، والقضاء، والتعليم الجامعى، وحتى حدد نطاق الشريعة الإسلامية بالأحوال الشخصية والأسرة، وحتى أصبح التعليم الغربى بطاقة المرور الأكيدة إلى المواقع المسئولة فى الحكومة ومجال الأعمال والأوساط العلمية؛ مما جعل الطلاب فى كثير من البلاد المسلمة يعتزون بالتعليم الغربى الحديث.

ومن هنا... برز اتجاهان فكريان، يتمتع كلاهما بالشعبية ـ وذلك فى النصف الثانى من القرن العشرين ـ هما: الحركة الإسلامية النشيطة للإخوان المسلمين فى مصر، والجماعة الإسلامية فى شبه القارة الهندية من جهة، وحركة القومية الاشتراكية العربية لجمال عبدالناصر من جهة أخرى، تاركتين أثرهما فى العالم العربى وما وراءه.

وقد أكدت الحركات الإسلامية على الاكتفاء الذاتى الفكرى للإسلام، فكانت أقل توفيقية، وأشد حدة فى انتقاد الغرب، وفى رفض النموذج الغربى ـ الرأسمالى والماركسى ـ فى تحقيق التطور؛ للتأكد من فشلهما فى أن يكونا نماذج يهتدى بها.

وكان هذا سبباً فى تورط تلك الحركات فى السياسات، مما أوقعها فى مواجهات مع الحكومات، أدت إلى الاغتيالات، والاعتقالات، والإعدام، وحظر النشاط فى كثير من الأحيان.

أما حركة القومية الاشتراكية العربية ـ الناصرية والبعثية ـ فقد تحدت القوى الغربية، وأوصلت إلى سدة الحكم كثيراً ممن استلهمهما من الذين اتهموا السياسة الاستعمارية الأوروبية بحرصها على إضعاف العالم العربى والإسلامى، مشاركين فى ذلك الحكومات الجديدة فى العالم الثالث.

وقد اعتمدت تلك الحركات القومية على برامج ذات شعارات وآمال طموحة، تضرب بجذورها فى الهوية العربية العالمية؛ فكانت الاشتراكية العربية تعد بنظام اجتماعى جديد، يتمتع بقدر أكبر من العدالة الاجتماعية، ويكون بديلاً للرأسمالية والشيوعية، يتحاشى شرور الفردية، ذات النزعة الاستهلاكية، وشرور الماركسية ذات الأساس الإلحادى.

وحين فشلت الناصرية والبعثية فى حل مشكلات الدولة الجديدة، حاول أنصارهما تبرير هذا الفشل بإلقاء اللوم على إسرائيل، فى سياق الخطاب السياسى البلاغى لهؤلاء الزعماء.

وكان الخصم البارز الخصومة لهاتين الحركتين هو الاستعمار الأوروبى، الذى أسهم فى خلق إسرائيل سنة ١٩٤٨م، مؤكداً رغبته فى أن يبقى العرب فى حال انقسام وضعف، حيث تعد إسرائيل مستعمرة أوروبية أمريكية فى وسط الأمة العربية؛ ولذلك صار النضال ضد إسرائيل يرمز إلى المعركة ضد الاستعمار، حتى استغلته الأنظمة العربية الحاكمة فى إلهاء الشعوب عن فشلها، وفشل القومية العربية الاشتراكية، حتى اضطرت القومية العربية ـ مع توجهها العلمانى ـ إلى الاعتراف بالمكون الإسلامى فى الهوية العربية والتاريخ العربى؛ على ما رأينا من عبدالناصر حين اضطر إلى استغلال الدين فى إضفاء الشرعية على اشتراكيته، وتوسيع دائرة التأييد الشعبى له، فقابل السعوديون تهديد اشتراكيته لهم بإنشاء منظمات إسلامية عالمية، ذات ميزانيات تسهم فى بناء المساجد، والمدارس، والمستشفيات، وطباعة الكتب الدينية، وتيسير الحصول عليها.

ومع السعى الحثيث فى الربط بين الإسلام والاشتراكية.. بقيت تلك الاشتراكية ذات اتجاه علمانى أساسى، مثل اشتراكية البعث، على ما وضح جلياً فى حرب سنة ١٩٦٧م التى تم خوضها تحت راية القومية الاشتراكية العربية، فكانت هزيمة القوات العربية تهمة علقت بالقومية العربية، وألهبت العواطف العربية والإسلامية ضد إسرائيل والاستعمار الأمريكى الجديد.

وهكذا.. برهنت القومية الاشتراكية العربية على كونها صنماً كبيراً، وأسطورة مهمشة، فمن الناحية الفكرية فشلت فى إقامة وحدة وتضامن عربى شامل، ومن الناحية الاجتماعية والاقتصادية فشلت فى الوصول إلى نظام قائم على المساواة، ومن الناحية السياسية أكدت عجزها عن السيطرة على النخب الحاكمة والعسكريين، حتى بدا واضحاً أن مشروعات التطوير المستوردة جميعها كأنها قد فشلت، واستمرت المسائل القديمة عن الهوية، والفكر الوطنى، والشرعية السياسية، والإصلاح الاقتصادى والاجتماعى، كما استمرت السيطرة الغربية فى ظل ما لخصته مهانة ١٩٦٧م من شعور عميق بزوال الغشاوة، وإيمان بالحاجة إلى الإحياء السياسى والاجتماعى الإسلامى.

(يتبع)

أذان الفجر في بلاط الشهداء

للأستاذ الدكتور / محمد رجب بيومي

روت كتب التاريخ أن أذان الفجر ظل يتردد ثلاثمائة عام وتعقبه حمائم بيض ترفرف ثم تختفي.

يروعُ الحِجَا هذا الأذانُ المُحيِّرُ ** من الأرضِ يُتلَى أم لدى الخُلدِ يُذكَرُ؟[1]
تخيَّلتُهُ من جنَّةِ الخلدِ صادحاً ** وإلا فما هذا الأريجُ المعطَّرُ؟[2]
يُضيءُ به الفجرُ ائتلاقاً على الرُّبى ** كأنَّ شعاعَ الفجرِ صُبحٌ منوَّرُ[3]
تُردِّدُهُ الأرواحُ نشوى كأنَّما ** لها قبلَ يومِ الحشرِ في الفجرِ مَحشَرُ[4]
تنزَّلُ من عَليا السماءِ وضيئةً ** كأوسمةٍ من سُدَّةِ العرشِ تُنثَرُ[5]
حمائمُ ليستْ كالحمامِ، وإنما ** يرفُّ مع الورقاءِ روحٌ مطهَّرُ[6]
تُراقبُها في الفجرِ تهبطُ من علٍ ** فتخشعُ إجلالاً لها حين تَنظُرُ
ترى الأفقَ مزهوّاً بها متخايلاً ** فصفحتُهُ الحمراءُ وردٌ منضَّرُ[7]
وكانت دماً يومَ الوغى فتفتَّحتْ ** وروداً بها عطرُ الشهادةِ يَبهَرُ[8]
كأنَّ نسيمَ الفجرِ يحملُ عطرَها ** شذاً كاد منهُ الميْتُ في القبرِ يُنشَرُ[9]

(1) الحجا: العقل. الخلد: الجنة.
(2) الأريج: العبير.
(3) ائتلاقاً: سطوعاً.
(4) نشوى: سكرى من الفرح.
(5) تنزل: تتنزل. أوسمة: نياشين.
(6) الورقاء: الحمامة.
(7) مزهواً: فرحاً. متخايلاً: يختال في زهو.
(8) الوغى: الحرب. يبهر: يروع ويأخذ.
(9) شذا: عطر. ينشر: يبعث.

حمائمُ جنَّاتِ النعيمِ هديلُها ** هُتافٌ يَترَدَّادُ الأذانِ مُكرَّرُ[10]
أبتْ أن تمسَّ الأرضَ مسّاً وإنما ** لها فَنَنٌ في الخلدِ ريَّانُ أنضرُ[11]
دنتْ ذاتُ طوقٍ في احتفاءٍ لأختها ** تُذكِّرُها الأمسَ القريبَ فتذكُرُ[12]
تُسائلُها: ماذا أصابَ عداتَنا ** فضلُّوا سبيلَ الحقِّ والنهجُ مُسفِرُ[13]
أتيناهُمُ بالنورِ يَهدي شُعاعُهُ ** ملايينَ في ظلمائِها تتعثَّرُ
شعوباً بأوربَّا تكاثفَ جهلُها ** وكادَ دُجاها فوقَها يتحجَّرُ[14]
لقد ألِفُوا الليلَ البهيمَ فإن يروا ** مشاعلَ ضوءٍ تطمسُ الليلَ يُذعَروا[15]
أتيناهُمُ كالأصدقاءِ وعندنا ** من الدينِ والأخلاقِ سِفرٌ مُسطَّرُ[16]
لهم ما لنا، لا نبتغي أن نُذلَّهم ** فما في بني الإسلامِ من يتجبَّرُ
عليهم جميعاً ما علينا وإنها ** مساواةُ دستورٍ يُطاعُ فيأمُرُ[17]
إذا نزلَ الغيثُ الرويُّ فكلُّنا ** سننهلُ منه إذ يفيضُ فيَذخَرُ[18]
ألم يشربِ الطغيانُ بغياً دماءَهم ** فهُم في سطاهُ كالسوائمِ تُنحَرُ؟[19]
شرائعُهُمْ أمسَيْنَ إلا قساوساً ** إذا استظهروا الإنجيلَ لم يتدبَّروا[20]
يرون قذاراتِ الجسومِ فضيلةً ** مقدَّسةً، يا ويلَ من يتطهَّرُ[21]

(10) هديلها: صوتها.
(11) الفنن: الغصن الملتف، يريد أن لها عشاً في الخلد. ريان: مزدهر.
(12) ذات طوق: حمامة.
(13) النهج: الطريق. مسفر: واضح.
(14) تكاثف: تكدس متجمعاً. الدجى: الظلام. يتحجر: يصير كالحجر لتماسكه.
(15) البهيم: الأسود. يذعروا: يفزعوا.
(16) سفر: كتاب. مسطر: مكتوب.
(17) دستور: المراد القرآن الآمر بالمساواة.
(18) الروي: الكثير الري. ننهل: نشرب.
(19) سطاه: جبروته. السوائم: الأنعام. تنحر: تذبح.
(20) استظهر: حفظ دون فهم.
(21) الإشارة إلى رأي الكنيسة حينئذ في مجافاة التطهر والنظافة تقشفاً وحرماناً.

معاذَ الهُدى أن تسلُبَ القومَ دينَهم ** مُراغمةً، بل راشدٌ يتخيَّرُ(٢٢)

لديه طريقُ الحقِّ، إنْ يستجبْ له ** مضى قُدُماً فيه، وما ثَمَّ مُجبَرُ(٢٣)

فيا ليتَهم فاءُوا لرُشدٍ يقودُهم ** إلى حيثُ ينجو بالرَّشادِ مُفكِّرُ(٢٤)

تعابينُ في الأحراشِ يرشحُ سُمُّها ** تحكَّمَ فيها أُفعُوانٌ مُسيطِرُ(٢٥)

دعاها إلينا (شارلُ مارتلُ) فارتمتْ ** كطوفانِ موجٍ خلفَه يتحدَّرُ(٢٦)

أتينا نُميطُ الشرَّ عنها فصدَّها ** عن الخيرِ شرٌّ في النفوسِ مُقرَّرُ(٢٧)

لهم صرخاتٌ بالعراءِ كأنَّها ** نُمورٌ بأدغالٍ تصيحُ وتزأرُ

تردَّوا جلودَ الوحشِ في الكونِ فاغتدى ** لهم نسبٌ عند الوحوشِ مُوَضَّرُ(٢٨)

شُعورٌ تعمُّ الجسمَ والوجهَ أُرسِلتْ ** عليهم ففيها للقذارةِ مظهرُ

إذا غمرَ الشَّعرُ الكثيفُ صدورَهم ** تجلَّى من الإنسانِ ذئبٌ مُصوَّرُ

ولمَّا تلاقينا ودوَّى هُتافُنا ** يشقُّ عنانَ الأفقِ: اللهُ أكبرُ

ولمَّا تراءينا ولاحتْ سيوفُنا ** تضيءُ مُثارَ النقعِ والجوُّ أكدرُ(٢٩)

تجلَّتْ لجيشِ الغافقيِّ مهابةٌ ** وتمَّ له مرأى بديعٌ ومخبَرُ(٣٠)

وخاضتْ خيولُ اللهِ.. في ساحةِ الوغى ** تُجندِلُ ما شاءَ الكفاحُ وتأسرُ(٣١)

ولاحَ بريقُ النصرِ يومضُ فجرُه ** وبعدَ هنيهاتٍ يفيضُ فيبهرُ(٣٢)

---

(٢٢) مراغمة: كرهاً. راشد: عاقل. (٢٣) ثَمّ: هناك. مجبر: مرغم.

(٢٤) فاءوا: رجعوا.

(٢٥) الأحراش: الأدغال. يرشح: يتساقط. أفعوان: حية كبيرة.

(٢٦) شارل مارتل: قائد جيوش الصليبيين في معركة بلاط الشهداء، وكان همجياً متوحشاً.

(٢٧) نميط: نزيل. مقرر: أصيل ثابت. (٢٨) تردوا: لبسوا. موضر: مؤكد مقرر.

(٢٩) النقع: الغبار. أكدر: غير رائق.

(٣٠) الغافقي هو البطل الإسلامي الشهيد عبدالرحمن الغافقي قائد المسلمين في معركة البلاط رحمه الله.

(٣١) الوغى: الحرب. تجندل: تصرع. (٣٢) يومض: يشرق. هنيهات: أوقات قصيرة.

رأوا حتفَهم يدنو فراموا مكيدةً ** تقومُ مقامَ الحربِ والكيدُ أقذرُ(٣٣)

سرتْ صيحةٌ أنَّ الغنائمَ هُوجمتْ ** ففرَّ من الميدانِ قُوطٌ وبربرُ(٣٤)

لئن حسِبُوا فقدَ النُّضارِ خطورةً ** لقد جلبُوا العارَ الذي هو أخطرُ(٣٥)

لقد كشفُوا الإسلامَ لولا عصابةٌ ** رأتْ أنَّ وعدَ الموتِ حتمٌ مُقدَّرُ

وأنَّ لقاءَ اللهِ أنفسُ مأربٍ ** لمستشهدٍ يلقى الجنانَ فيُؤجَرُ(٣٦)

ولم أرَ مثلَ الغافقيِّ قد انبرى ** ومقلتُه من جاحمِ الغيظِ تسعرُ(٣٧)

تعاظمَه استشهادُنا فتأجَّجتْ ** مواجدُه، وانقضَّ غضبانَ يثأرُ(٣٨)

بيومٍ هوتْ فيه الشوامخُ رهبةً ** فلا صرحَ إلا مائلٌ يتبعثرُ(٣٩)

تزيَّنَ به الصرعى أكاليلَ عزَّةٍ ** فيما مصرعاً فيه الأكاليلُ تُضفَرُ(٤٠)

مشُوقاً تصبَّتْه الشهادةُ فارتقى ** لها ومُحيَّاه من البِشرِ يزهرُ(٤١)

وكان مردُّ الموتِ سهلاً فلم يشأ ** فراراً، وأنَّى، وهْو في الرَّوعِ قسورُ(٤٢)

لئن كان في الدنيا أميراً فإنَّه ** كذاك أميرٌ في الجنانِ مُؤمَّرُ(٤٣)

ورفَّتْ عليها من قريبٍ حمامةٌ ** تُسامرُها، والطيرُ في الخلدِ يسمرُ(٤٤)

تُهيبُ بها كُفِّي ملامَكِ عنهمُ ** فنحنُ عن الجانينَ نعفو ونغفرُ(٤٥)

---

(٣٣) حتفهم: هلاكهم. الكيد: المكر والخداع.

(٣٤) أعادت معركة البلاط ما سبق أن مثلته غزوة أحد حين ذهب المحاربون لكسب الغنائم وتركوا المعركة. والقوط والبربر كانوا في جيش المسلمين إذ ذاك.

(٣٥) النضار: الذهب.

(٣٦) مأرب: مطلب. لمستشهد: لطالب الشهادة. يؤجر: يثاب. (٣٧) جاحم الغيظ: ملتهب الغضب. تسعر: تتوقد.

(٣٨) مواجده: أحزانه. انقض: اندفع إلى الميدان. (٣٩) الشوامخ: الجبال.

(٤٠) الصرعى: شهداء المسلمين. أكاليل: تيجان. تضفر: تنظم. (٤١) تصبته: شاقته ودعته. محياه: وجهه. يزهر: يشرق.

(٤٢) الروع: الحرب. قسور: أسد. (٤٣) الجنان: دور الخلد.

(٤٤) تسامرها: تحادثها. (٤٥) إحدى الحمامتين تتكلم.

لقد جهلوا ما تقتديه من الهدى ** وكل جهول لا محالة يعذر(٤٦)
ولو درسوا أخلاقنا لتقدموا ** إلينا على شوق، ولم يتأخروا
فصاحت بها أخشاه لو يخف ديننا ** عن الناس، وهو المستفيض المشهر(٤٧)
ألم يسألوا الأسبان عما نرومه؟ ** وهم إخوة إن يسألوا الرأى أخبروا
ألم تك أسبانيا مباءة فسق ** يعيث بها الإقطاع عهرا فيفجر؟(٤٨)
أليس رقيق الأرض فيها شراذما ** مع الطين تشويها السياط فتصهر؟(٤٩)
طغى النبلاء المتخمون على الورى ** فكل نبيل فى التجبر قيصر(٥٠)
يسير وأحراس الرقيق تحوطه ** وما منهم إلا الذليل المسخر(٥١)
وأخرى من الكهان عز دواؤها ** تسيل جراحا بالمكيدة تنغر(٥٢)
لقد شرهت سود العمائم واللحى ** لدن أيقنت أن الكنائس متجر(٥٣)
إذا فاض بالشكوى أجير معذب ** تلوا نص إنجيل به يتخدر(٥٤)
شرور تلظت نارها فلوى بها ** من الفاتحين الأريحيين عسكر(٥٥)
أحالوا ديار القوط فردوس جنة ** ترعرع فيها العالم المتحضر(٥٦)
مدارس للتثقيف فاضت حياضها ** وطوفانها الجياش بالعلم يزخر(٥٧)
محاكم للحق النزيه تسودها ** مساواة شرع بالعدالة تجهر(٥٨)

---

(٤٦) الهدى: الدين الإسلامى.
(٤٧) المشهر: الذائع.
(٤٨) مباءة: موطن. عهراً: فجوراً.
(٤٩) شراذم: عصب. تشويها: تحرقها السياط التى تهوى عليهم ظلماً.
(٥٠) قيصر: حاكم أعلى.
(٥١) المسخر: المأمور بالعبودية.
(٥٢) تنغر: تكوى وتؤلم.
(٥٣) شرهت: طمعت سود العمائم: المراد القُسُس.
(٥٤) يتخدر: يسكت ويستكين.
(٥٥) لوى بها: ذهب بها ولم يعد.
(٥٦) ديار القوط: إسبانيا.
(٥٧) يزخر: يفيض ويجيش.
(٥٨) تسودها: تعمها.

مصحات طب يحميها أخو الضنى ** فينشط لا يثنى خطاه مكدر(٥٩)
حدائق تكسوها الرياحين بهجة ** وأدواحها اللفاء تزهو وتثمر(٦٠)
ولو لم تتح للناس أندلس لما ** غدا لسمو الفكر فى الناس مظهر(٦١)
تحرر شعب من براثن قيده ** وأعجب بوثب الشعب إذ يتحرر(٦٢)
وعاد رقيق الأرض للأرض سيدا ** له من نداها كوثر يتفجر
ألم يسألوا الإسبان عنا فيعرفوا ** رسالتنا إن صاح بالشك منكر(٦٣)
أردنا ارتقاء بالمناكيد للذرا ** فأمكن منهم نحسهم فتدهوروا(٦٤)
ومرت هنيهات فطارت لأوجها ** حمائم كانت نشوة تتخطر(٦٥)
قضت ساعة الذكرى وخفت لأيكها ** وقد تسعد اللذات من يتذكر(٦٦)
دعاها إلى الفردوس رضوان فاغتدت ** لمقعد صدق فى ربى الخلد يؤثر(٦٧)
ومازال فى سمعى وقد غاب طيفها ** يرن هتاف الفجر: الله أكبر

●●●

---

(٥٩) مصحات: مستشفيات. يحميها: يقصدها. الضنى: المرض.
(٦٠) أدواحها اللفاء: أشجارها العظام الوارفة الظليلة.
(٦١) لم تتح: لم تهيأ.
(٦٢) براثن: أغلال.
(٦٣) الحديث عن هؤلاء الذين قاوموا الفتح الإسلامى.
(٦٤) المناكيد: اللئام. نحسهم: شؤمهم.
(٦٥) لأوجها: لقمتها الأعلى.
(٦٦) أيكها: شجرها الكثير الملتف، والمراد: وكرها.
(٦٧) رضوان: حاجب الجنة. يؤثر: يختار.

مواقف إسلامية

همة متعلقة بالثواب لا بالجديد من الثياب

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

عن أنس بن مالك رضى الله عنه:

«أن امرأة أتت النبى ﷺ - فقالت: يارسول الله: ابنة لى كذا وكذا فذكرت من حسنها وجمالها. فآثرتك بها. قال: قد قبلتها فلم تزل تمدحها. حتى ذكرت أنها تُصدّع ولم تشتك شيئا قط. قال: لا حاجة لى فى ابنتك»[1]

تمهيد: أنزل الله - تعالى - القرآن شفاء لما فى الصدور من آفات.. ولما مرد الناس عليه من سيء العادات.

ولقد كان المنهج القرآنى من الشمول والحكمة بحيث لا يقتصر على اقتلاع العادة.. وإنما هو الإحلال والتجديد.. بمعنى زرع العادة الجديدة فى النفوس بعد التخلص من العادة القديمة لا بمجرد إلقائها إلقاء.. أى أن المنهج القرآنى الرشيد لا يكتفى «بالإزالة» وإنما هو التغيير.. والتغيير إلى الأكمل دائمًا.

(١) أخرجه أحمد ٣/١٥٥، وإسناده حسن. والصداع وجع الرأس.

وفى سبيل ذلك.. لا يسوق الموعظة المجردة إرادة إقناع النفوس بشرعية مايقول.. ولكنه يقدم الموعظة من خلال المشهد الحى.. المؤثر.. والذى يؤكد أن ما يدعو الناس إليه قد طُبِّق فعلا وانتهى أمره.. عن طريق الرواد الأوائل.. والذين كانوا عنوان ما يقولون.. شاهدين بأنه الدين الحق الذى كان من شواهد حقيته.. أنه قابل للتطبيق. بل قد صار من خلال هؤلاء الرواد واقعا ملموسا، تراه العين ويسجله التاريخ.

ومن أمثلة ذلك قصة الرجل الصالح من مدين.. والذى تجاوز الخط الأحمر.. وكان لديه من الشجاعة ما حمله على أن يعرض إحدى ابنتيه على موسى - عليه السلام - الأمر الذى شجع مثل هذه المرأة أن تذهب إليه ﷺ. تعرض عليه زواج ابنتها.

ولنا أمام هذا المشهد وقفات.

عندما مات مصمم الأزياء العالمى.. غطى نبأ وفاته كل أحداث العالم الساخنة.. والتى تراجعت كلها.. ليبقى نبأ وفاته حديث العالم بلا منازع.. وخاصة فى المجال النسائى.. لأنه كان المصمم الأفضل لأزيائها العملية.. والتى كانت من قبل قيدا على حركاتها.. فلما جاء «النقد».. ساعدها على أن تزاحم الرجل فى كل ميدان.. دون أن تفقد جمالها.. ولا أنوثتها!! بما استحدث فى عالم الأزياء من فنون زاد بها الفتون.

وهكذا استطاع هذا الدجال.. أن يشكل وجدان بعض النساء إلى حد الفتون.. أو الجنون.

ولكن المرأة المؤمنة.. كانت أعز من أن تربط وجودها بمثل هذه النماذج الرديئة.. ولكن همها.. كان على مستوى همتها.

همتها: التى تعلقت بالثريا.. فكان حبها لرسول الله ﷺ هو أملها - وهو عملها: لقد كانت همتها معلقة بالمفيد من الثواب.. لا بالجديد من الثياب! وإذا كان عشرون فى المائة من سكان العالم هم دول الشمال.. يحاولون السيطرة على ثمانين فى المائة هم بقية سكان العالم.. فإن محاولاتهم ستبوء بالفشل.. أمام إرادة المرأة المؤمنة.. التى يريدون لها أن تعيش.. خارج الزمن.. والتى تحاول اليوم أن تعيش فى رحابها.. نستمد منها العبرة والطاقة. ونحن نستعد للإقلاع نحو المستقبل الواعد.. فى معركة حضارية نكسبها.. فنكون.. أو نخسرها.. فلا نكون!

رحلة إلى الماضى المجيد

وهذا الموقف الفريد.. عودة إلى الماضى المجيد.. عودة ليست كما يزعمون «رجعية». وإنما هى العودة حيث التزود بالوقود للرحلة الطويلة..

وحتى لو كان الماضى عاصفة تقتلع الأشجار.. فهو على أى حال أفضل من ركود

التبعية.. وإسلام القرود إلى أعداء الإنسان.. الذين يضعون أنفسهم «خلف المنصة» لا يعطون «شهادة حسن السير والسلوك» إلا لمن دار في فلكهم؟!! ثم يقول مثلهم كلاما عقيما.. جدالا.. سجالا.. تلاعب بالألفاظ. تقول نفس الشيء.. عن كل شيء!

وقبل أن نقف بين يدى المشهد معجبين.. نتريث لدى الباب.. عند راوى الحديث أنس ابن مالك ـ رضى الله عنه.

أنس.. والذكرى العزيزة

يذكرنا ـ أنس رضى الله ـ عنه بهذا اليوم الأغر في حياته. عندما جاءت به أمه.. إلى بيت النبوة. كما حكى هو بقوله:

«انطلقت بى أمى إلى رسول الله ﷺ فقالت: يارسول الله:

خويدمك.. فادع الله له...»[٢]

ويعنى ذلك أن المرأة المسلمة كانت عند حسن الظن بها: حين تختار لولدها.. حين تقدم فلذة كبدها هدية متواضعة للنبى الكريم.

ثم كيف تضائل من هذه الهدية إلى جانب عظمة الرسول. عندما لم تقدم ابنها باسمه.. «أنس».. بل يوصف كونه خادما.. بل خويدما!! لعله ﷺ أن يرضى فيتقبله هدية متواضعة.

ولقد جاءت صيغة «التصغير» مؤكدة كيف يكون التصغير أحيانا للتعظيم!

ولقد كان من عظمة هذا الخادم أنه يروى هذه المأثرة لأم البنت.. مع أنها تزاحم أمه في هذا الشرف المنيف.. وقد يغلب المرء هواه حين يصر على أن يبقى متربعا فوق القمة وحده.

ولكن أنس ـ رضى الله عنه ـ يروى ذلك.. جذلان راضيا أن يكون على القمة غيره كثير.. رغبوا.. ورغبن في مثل ما رغبت أمه.. وأن القمة واسعة تضم الجميع!

الخادم.. يسمع ولا يتسمع

في هذا الزمان الذى نعيشه.. نحس بأزمة الثقة المتحكمة بين الخادم والمخدوم! وما يترتب على ذلك من معارك يومية.. تخرج بها أسرار البيوت إلى الشارع.. حين يحاول الخادم الدفاع عن نفسه ضد مخدومه.. بما يذيعه خارج عتبة البيت من أسرار ولكن الخادم «أنس» ـ رضى الله عنه ـ لا يتسمع من خلف الأبواب وإنما «يسمع».. حتى صار قناة من قنوات العلم.. يروى الله بها غلة الظماء إلى الإحاطة بما كان يحدث في بيت النبوة من أسرار وأخبار.. تضيء لنا الطريق.

من المواساة.. إلى المساواة

وموقف أم أنس.. وموقف هذه المرأة التى قدمت ابنتها.. كلتا هما يؤكد دور المرأة

(٢) إسناده حسن. مسند أبى يعلى، رقم (٣٢٠٠).

العظيم في التمكين للمثل العليا في قلوب الناس.

لقد كانت المرأة بالأمس القريب.. كائنا ضعيفا.. ترى المواساة والإشفاق.. يطلان من عيون الآخرين.. فيحزنها ذلك الإشفاق.. لأنه دليل ضعفها وحاجتها إلى المعين.. ولكنها اليوم تفرض احترامها على الوجود.. حين لا تهتم بالبحث عن نصفها الضائع فقط بعد رحيل العائل.. ولكنها تقدم مصلحة ولدها على مصلحتها.. حتى إذا ضمنت مستقبله.. قرت بلابل أفكارها.. فانتقلت بهذا الوفاء من المواساة إلى مربع المساواة!!

إنها لم تدلل ولدها.. ولكنها ربّت.. فأحسنت.

ونذكر هنا أن أول من نزل على سطح القمر كان فتى وحيد أبويه.. ولما سئلا عن سر تفوقه قالا معا: لأننا لم ندلله..

وتلك بضاعتنا ردت إلينا!!

غريزة الأمومة

والأم هنا تقول له: يارسول الله.. ثم تعدد صفات ابنتها المعنوية. مع المبالغة في التنويه بصفاتها الخلقية.. حين ذكرت من حسنها ومن جمالها ما يغرى.. بالتنافس فيها.

ويبدو أن هذه الفتاة من أجل تلك الأسباب كانت مطمح كثير من الشباب.. ولكنها تؤثر بها رسول الله ﷺ.. فهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

ولقد كانت نفسها مسكونة بالتفاؤل.. فلما تحقق أملها بموافقته ﷺ ابتداء.. واصلت مدح ابنتها.. تمكينا لرغبة الرسول الكريم.. فماذا حدث؟

إننا نواجه أحيانا.. بأمانى أعزائنا فينا..

وبعضنا يحاول أن يغسل همومهم بالأمل.. كما يغسل جسمه بالماء والصابون.

وفينا من كان ذلك الطبيب الصارم.. والذى أيأس مريضه من الشفاء يوما.. ولما سأل المريض عما يشتهيه الآن قال: أريد رؤية طبيب آخر!!

ولكن الرسول ﷺ.. يوافق حين يوافق ويعتذر حين يعتذر.. منطلقا من ثوابت لا يحيد عنها.. مؤكدا للناس أن الزواج شركة العمر.. ولابد فيها من الدقة في الاختيار.. حذر العثار.

سبب الاعتذار بين «المقتضى» و«المانع»

بعد أن بالغت الأم في وصف جمال ابنتها مغالية بحسنها.. أرادت أن «ترشح الاستعارة» بتأكيد أنها مع جمالها تتمتع بصحة وعافية.. لم يشبها طائف من المرض يوما.. يعنى بلغة العصر أنها لم تذهب إلى الطبيب أبدا!

وبمقياس اليوم.. فلاشك أنها ميزة يثقل بها الميزان.. ولكن الرسول ﷺ يعلم أن أم

المؤمنين لها خصائصها التي تكافىء موقعها القيادي، فهي ليست كأحد من النساء، إنها صابرة على لأواء الحياة.. وقد يمر عليها ستون يوما في بيت لا توقد فيه نار! إنه بيت النبوة.. والعيش فيه مكلف.. ومثل هذه الفتاة الجميلة.. السليمة.. كيف تصبر على شظف العيش؟! إن من احترام المرء لنفسه.. وللطرف الآخر.. أن يكون صريحا.. صراحة تنكشف بها الحقائق.. ليتفرق الأصدقاء من الآن.. كل في طريق.. وقبل أن نلتقي حياء.. ومجاملة.. ثم تكون لنا ذرية.. هي التي سوف تدفع فاتورة الحساب!!

إنها صور من الماضي المجيد.. لا يكفي أن نعلق عليها بكلمات.. وإنما.. علينا أن نحشدها في وعينا.. لتلقي على العقل والوجدان من إيحاءاتها.. فإذا نحن ماضون على طريق لا حب.. آمنين من العثار.. بعدما أضيئت الأنوار.

شجاعة الأم

ولقد تحملت الأم هذا الموقف بشجاعة.. لقد كان قبول الرسول ابنتها زوجا شرفا دونه كل شرف.. إنها لم تكن فقط راغبة في أن تصهر إلى الرسول ﷺ.. ولكنها كانت آملة في علاقة تربطها بالمثل الأعلى، بمتنزل الوحي.. لترى الرسول أكثر.. ولقد كان بعض الصحابة - رضوان الله عليهم - يقول:

والله.. لو غاب عني رسول الله ﷺ طرفة عين.. ما عددت نفسي من الأحياء!

وها هي ذي أم الفتاة تفجع في أملها.. ولكنه الرسول لا ينطق عن الهوى.. والذي يعلم الناس من خلال هذا المشهد أمرين:

أولاً: أن الحسن والجمال.. أمر وارد في عملية الاختيار.. وأن من سباه الحسن.. أو أسره الجمال.. فلا تثريب عليه. إذا لم يشل حركته.

وثانياً: أن من وراء هذا الجمال أسرارا أخرى.. إذا اصطدمت مع الجمال.. فلا ينبغي تجاهلها. لأنها المحور الثابت.. والذي لا يغني عنها الجمال.. مهما كانت براعة هذا الجمال.

هذه هي السنة، فأين المستنون؟!

وقد تأخذنا العزة بالإثم.. فنغضب.. بل نثور إذا لم يتحقق أملنا في الزواج بمن نحب.. وربما تخلق في القلوب ثأر يتأجج مع الأيام.. تعبيرا عن شرفنا الجريح!

ولكن السنة هنا شيء مختلف.. فوق هذا الهوى الغالب.. والتي تعلمنا أن نتقبل وجهة النظر بعقولنا.. وفي ضوء تجاربنا.. ذاكرين قوله تعالى:

﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ﴾[3]

---

(3) النساء: (130).

إنه التفرق.. وليس هو الفراق طبق القاعدة الذهبية:

نتعاون فيما اتفقنا عليه.

ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه

قيمة الجمال

ركزت الأم هنا على حسن ابنتها وجمالها..

تفعل ذلك.. وهي تعلم أن للرسول ﷺ حسابات أخرى في هذا المجال..

هذه الحسابات التي تعطي الجمال حجمه الحقيقي بين مرغبات الزواج مع: المال.. والحسب ويبقى عنصر التدين مسك الختام.. والمقياس الصحيح في اختيار شريكة العمر (فاظفر بذات الدين)[4].

ولم يكن ذلك ضربة لازب من الأم الذكية.. بدليل أن الرسول ﷺ وافق ابتداء على الزواج منها.. وكان الجمال بطبيعة الحال واحدا من عوامل أخرى لم يذكرها الحديث الشريف.

قيمة الجمال

وذلك يفرض علينا الحديث عن قيمة الجمال في المنهج الإسلامي..

وإذا قال شوقي:

خلقت الجمال لنا آية
وقلت ألا يا عباد اتقون
وأنت جميل تحب الجمال
فكيف عبادك لا يعشقون

وإذ يقول ذلك محرضا على الهيام والغرام.. متكئا على أن الجمال قيمة إنسانية.. فإننا نتحدث عن الجمال.. لا سبيلا إلى العشق.. وإنما.. كقيمة تجعل للحياة قيمة.. ربما أنكرها على الإسلام منكرون.. واستغلها للعبث مستغلون..

بينما هي مظهر لصفات الجمال الإلهية.. والتي تأوي إلى ظلها المأنوس.. فإذا هي واحة للنفوس.

ونبادر فنقول:

إن فكرة «التعمير».. تعمير الحياة.. وتجميلها.. فكرة أصيلة في المنهج الإسلامي..

وتبلغ فكرة «التعمير» ذروتها حين يوجهنا الحديث الشريف إلى أن من كانت في يده «فسيلة»[5].. وقامت القيامة فليغرسها.. ليغرسها بينما الحياة تطوى.. وتنسحب..

ومع أن الهول كارب: ذاهب بعقل الإنسان عندئذ.. إلا أنه مأمور بأن يعمر الحياة!

---

(4) أخرجه مسلم جـ ٢ / ١٠٨٦.

(5) الفسيلة: الصغيرة من النخل تقتلع من أساسها ثم تغرس.

والآية الكريمة تقول:

﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾(٦)

ولم تقل الآية الكريمة: فاستعمركم.. أو: ثم استعمركم.. ولكنها جاء «بواو» الجمع.. كأنما ولد الإنسان عامرا.. فهو والعمران.. صنوان!

ألا وإن العمران جمال.. إذا تصورت نقيضه.. وهو: الخراب والضد يظهر حسنه الضد!

الجمال.. في القرآن

يقول الله ـ عز وجل:

﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾(٧)

لقد خلق الله ـ تعالى ـ الأرض.. وقدر فيها أقواتها.. فلا تفسدوا فيها.. بعدما عمرها لكم.. والنهي عن الإفساد.. نهي عن أمرين:

أولاً: لا تعطلوا وظائف الأشياء فيها.

وثانياً: ولا تشوهوها.

ويقول عز وجل:

﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ ﴾(٨)

١ – فجرى الماء:

أولاً: جمال

وثانياً: مانع من فساد الماء.

وفي سورة الأنعام يقول ـ تعالى ـ:

﴿ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ﴾(٩)

ويقول سبحانه:

﴿ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴾(١٠).

وتأمل كيف كان الجمال بذاته قيمة. تدل على حكمة الإله.. وكيف كان الأكل نعمة.. هي من رحمة الله.. ثم كيف قدمت قيمة الجمال في الذكر على الغذاء.

إننا نحاول أمام هذا المشهد الفريد.. أن «نتسمع» لعلنا نسمع للبنت هنا صوتا..

ولكننا.. لا نسمع إلا صوت الأم.. تحاور الرسول ﷺ.. وبالحسنى.

ورحم الله أيام زمان: يوم أن كانت البنت لا تخرج من طاعة أمها.. ولا تتمرد عليها.. كما تتمرد اليوم لا على أمها.. وإنما على أبيها.. وعمها.. وخالها.. بل والعائلة كلها.

ثم تنتبذ هناك مكانا قصيا.. لتنفرد بعدو في ثياب صديق، يقطر كلامه عسلا.. ليكون من بعد جيلا!!

---

(٦) هود (٦١).
(٧) الأعراف (٥٦).
(٨) التوبة (١٠٠).
(٩) الأنعام (٩٩).
(١٠) الأنعام (١٤١).

سلبياتنا في ضوء إيجابية الموقف

في هذا الموقف العجيب يبدو كل شيء في نقطة الضوء..

العروس.. وأمها.. وكل الأطراف المعنية.. في رائعة النهار.. فلا خداع.. ولا تحايل إرادة الظفر بالأمل.. ولا تحامل فيه أيضا بعدما عز اللقاء..

فأين نحن اليوم من هذه الصراحة.. وهذا الصفاء؟

إن روح الإسلام تلزم الخاطب أن يظفر بذات الدين..

وبنفس القوة: يحمل الوليّ: أمًّا.. أو أبا.. نفس المسئولية: ليبحث لابنته عن: الأصل الثابت الدائم.. وليس الهشّ.. الزائل.. المؤقت!

فالإنسان إذا وصل إلى رغائبه بما لا يليق.. فلن يكون أبدا فائزا.. وما ينفقه من كرامته.. من مروءته أعز.. مما حصله من حطام الدنيا..

أسرآيلة للسقوط

مرة أخرى نؤذن في الناس: أين واقعنا الأليم.. من هذا المشهد العظيم؟!

قد يفاجأ الفتى.. وفي ليلة زفافه بأن العروس أخت من خطبها؟!! لقد عايش بخياله.. فاطمة.. وإذا بها أختها.. عائشة!! وتبدأ المتاعب تنسج خيوطها.. إلا أن تدارك الجميع رحمة من الله ـ تعالى ـ تلتئم بها الجراح!

وقد يذكرنا ذلك بما نسجته الأساطير ذات الدلالة العميقة على هذه الانتهازية.. وهذا الخداع:

قالوا: إن الثعلب قال للدجاجة يوما لما سألته: لمن هذا المتجر الحافل بمختلف السلع؟

فقال لها: إنه لي، أخيط فيه الملابس، وعندي ذيل مستقيم!!

فلما سألته: كم ثمنه؟

قال لها:

لابد من أن تعرفي الصنف المطلوب.. وبعد ذلك نتفاوض

فلما دخلت.. هجم عليها.. فأكلها!

لقد كانت خدعة الثعلب أكبر من «ثقوب الغربال» فلا ينبغي أن تنطلي على أحد لأنها لا تسقط من هذه الثقوب..

ولكنها انطلت على الدجاجة.. فوقعت في فخ من يحرف الكلم عن مواضعه.. ومازال في الناس اليوم خادعون.. ومخدوعون!!

ولكن.. بقيت منهم بقية من العقلاء في طليعتهم أحمد بن حنبل ـ رحمه الله تعالى:

لقد عرض عليه أصحابه شقيقتين، وكانت إحداهما بعين واحدة! ولكنه قال لزملائه:

أيهما أرجح عقلا؟!

فقيل له: إنها صاحبه العين الواحدة.. فتزوجها على بركة الله!

من واقع الأحداث

.. وماذا بعد العراق ؟!

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عيطة

.. وسقطت العراق.. !! سقطت، وسقط معها ركن آخر من أركان هيبة المسلمين.. أقول: هيبة المسلمين وأعنى ما أقول، وليس هيبة الإسلام.. فتلك قضية أخرى، سوف نعالجها إن شاء الله فى قابل الأيام، غير أنى أبادر القول الآن وأقول: لولا هيبة الإسلام فى نفوس هؤلاء الأعداء، التى ملأت قلوبهم رعباً وفزعاً، ما كانت هذه الحملات الطاغية التى حملوها عليه كدين سماوى، وعلى أهله الذين يحيا فى نفوسهم وفى أفئدتهم.. !! ولنترك الكلام فى هذه المسألة الآن.

سقطت العراق، وهى الآن ترزح تحت نير الاحتلال الأمريكى الإنجليزى.. سقطت، تحت أسماعنا وأبصارنا، ونحن بين مصفق ومهلل، وبين واجف وخائف، وبين باكٍ وحزين.. !! سقطت العراق بعد أن ضاعت فلسطين، وفيها قدس الأقداس، ومسرى خير الناس ﷺ ومعراجه، ولا يزال الاحتلال الصهيونى يمزق أوصالها، ويفصل أعضاءها، حسبما يحلو له، حتى لا تقوم لها قائمة بعد ذلك.. حدث كل هذا وذاك فى نصف قرن من الزمان، والمسلمون فى شتى بقاع الأرض - على كثرتهم الكاثرة - لا يملكون إلا صيحات الاستنكار والاحتجاج والشجب، والشكاية إلى مجلس الأمن «مجلس الأمن»، الذى لا يملك من أمر نفسه إلا ما تقره له الصهيونية العالمية، والولايات المتحدة الأمريكية.

نعم، سقطت العراق، وسوف يكون مصيرها، هو نفس مصير أفغانستان المسلمة، التى أصبحت اليوم تابعاً ضئيلاً.. هزيلاً، للولايات المتحدة الأمريكية، يأتمر بأمرها، وينتهى بنهيها، ولا تملك أن تجار بكلمة الإسلام، التى طالما جار بها المجاهد العظيم، جمال الدين الأفغانى فى وجه الدنيا كلها..

سقطت العراق، وبدأت طبول الحرب تخفت فى أجوائها وبين دروبها، بعد أن سقطت بغداد - بلد الرشيد والمنصور - ليتحول دوّيها الكئيب صوب بلد إسلامى وعربى آخر، صوب «سوريا» أول البلاد التى تحيط بالكيان الصهيونى، وتشترك معه فى خط حدودى كبير، وتشكل مع بعض شقيقاتها العربيات وفى مقدمتهم مصر، تهديدا قويا له.. ولا غرابة فى ذلك، وليس هناك أدنى مفاجأة، فهى حرب معلنة منذ زمن طويل، وليس للرئيس الأمريكى الحالى «جورج بوش» الصغير، إلا أنه صرح بها حينما قال: «نحن فى حرب صليبية جديدة» قالها وهى ليست بالجديدة، فالحرب آخذة فى التصاعد عاما بعد عام، وحلقة بعد أخرى منذ تم زرع هذا الكيان الغريب فى قلب الأمة العربية الإسلامية بمقتضى وعد بلفور المشئوم.

إن «صليبية» الأمس، جاءت بدعوى إنقاذ قدس الرب من أيدى العرب البرابرة.. ودارت رحى الحرب أحقابا طويلة، سالت فيها الدماء أنهاراً غزيرة، ودمرت فيها حضارات قامت على أكتاف العرب والمسلمين، وكان الشىء الذى لا يزال التاريخ يذكره.. ولن ينساه ما بقيت فى الحياة حياة. وفى العصر الحديث جاءت الصليبية متسترة فى أولى خطواتها وراء الصهيونية القذرة، بدعوى إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين، وظلت متخفية وراء هذا القناع الزائف إلى أن تم ابتلاع هذا البلد الآمن بمقدساته ومقدراته، وأصبحت إسرائيل دولة تعتمد عليها «الصليبية الجديدة» فى تهديد بقية البلاد الإسلامية والعربية، ولتكون بمثابة العصا الغليظة المرفوعة فوق رؤوسها، بما فيها من قوة نووية كبيرة لا يستهان بها، ويعمل لها العالم ألف حساب؛ لتسفر عن وجهها الحقيقى بعد ذلك صبيحة الحادى عشر من سبتمبر فى عبارة الرئيس الأمريكى: «نحن فى حرب صليبية جديدة»..

إن الحروب الصليبية الجديد، التى تشنها الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها ضد الإسلام والمسلمين، لم تعد خافية على أحد. وهى نتيجة تدبير محكم، وتخطيط سابق يستهدفان القضاء على الإسلام، وإذلال المسلمين، والسيطرة على مصادر الثروة الطبيعية، التى منحهم الله إياها. أما ما تدعيه الإدارة الأمريكية من أسباب أخرى تتمثل فى: إزالة أسلحة الدمار الشامل تارة، وتحرير الشعوب المقهورة وإزالة الحكومات التى تستبد بشعوبها تارة أخرى، والقضاء على ما يهدد أمنها ومستقبلها تارة ثالثة، أو القضاء على مصادر الإرهاب الدولى ومحاور الشر تارة رابعة.. فما هى إلا دعاوى زائفة، وحجج باطلة، لا تقوم على ساق واحدة من الحقيقة.

وإلا ، فـمـاذا يهم الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها من امتلاك العراق لما يسمى بأسلحة الدمار الشامل ، على افتراض أن بها هذا النوع من الأسلحة ، أليست الولايات المتحدة تملك من هذا السلاح ، ما يدمر الكرة الأرضية بكاملها عدة مرات؟ بل ما يمكن أن يدمر بعض الكواكب الأخرى من خارج نطاق الأرض أيضـا؟ ألم تمتلك الصين وهي العدو التقليدى لها من هذا النوع من السلاح ما لو أطلق بعضه لقلب الأرض رأسـاً على عـقـب من تحت أقدام الولايات المتحدة الأمريكية ذاتها؟ ألم تمتلك روسيا وفرنسا وانجلترا من هذا النوع ما لايخفى على أحد؟ ألم تفجر الهند مؤخرا قنبلتها النووية ، لتلحق بركب هذه الدول ذات الردع النووى؟ .. ثم ـ وتلك قضية القضايا كلها ـ ألم تمتلك إسرائيل من أسلحة الدمار الشامل ، والأسلحة المحرمة دولياً ، ما لا تستطيع إخفاءه؟!!

يقولون : إن العراق خارج على القانون الدولى ، ولا ينفذ مقررات مجلس الأمن ؛ ولذا يُعدّ فى حاجة ماسة إلى إعادته للحظيرة الدولية .. والسؤال الآن : كم نفذت إسرائيل منذ قيامها عام ١٩٤٨ من مقررات الشرعية الدولية : سواء ما كان منها على مستوى الجمعية العمومية للأمم المتحدة ، وما كان على مستوى مجلس الأمن الدولى؟ بل لقد كان العالم كله فى جانب والولايات المتحدة ، وحقها فى الاعتراض على قرارات مجلس الأمن مع إسرائيل فى جانب آخر ، مع ما ترتكبه إسرائيل من قتل ومن تدمير وهدم للبيوت على رؤوس أصحابها من الشيوخ والنساء والأطفال ، إذن فقضية أسلحة الدمار الشامل ، قضية ساذجة لا تنطلى حتى على أطفال السياسة الدولية ومن يولون أمن العالم واستقراره الأولوية فى علاقات الشعوب بعضها ببعض .. ومما يؤكد ذلك ، أن العراق ظلت فى حصار مستمر أكثر من اثنى عشر عاما متصلة : اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً ، مما تسبب فى وفاة ملايين الأطفال والشيوخ الذين لا يجدون الطعام والدواء . وأخيرا تلك اللجنة الشهيرة ، التى لم يشهد لها التاريخ مثيلاً ، والتى جابت العراق كله شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً عدة مرات بحثاً عما يسمى بأسلحة الدمار الشامل ، برياسة كبير المفتشين الدوليين ومدير الوكالة الدولية للطاقة الذرية ، اللذين أقرا أمام العالم كله ، خلو العراق من أسلحة الدمار الشامل عدة مرات ، حتى إن هانز بليكس أعلن بعد أن تم احتلال العراق أن ضرب العراق أمر مقرر منذ فترة ، ولم يكن الأمر متعلقاً بأسلحة الدمار الشامل كما تزعم الولايات المتحدة الأمريكية.

أما مسألة القضاء على الحكومات التى تستبد بشعوبها ، فتلك قضية تدعو إلى السخرية والتهكم ، وهى أضحوكة عصرية ،

وفكوهة من أفاكيه القرن الأخير فلو أن أمريكا جادة فى هذا الأمر لحاسبت نفسها على ذلك حساباً شديداً ، بسبب سياساتها الداخلية والخارجية ، حتى فى وقائع حربها على العراق وهى أحدث فصول صراعاتها فى هذا المجال : ماذا فعلت شعوب الهنود الحمر ؛ حتى تمت إبادتها بصورة واضحة لن ينساها التاريخ إلى يوم القيامة؟ ماذا فعل السود الأمريكيون حتى إنه كان هناك قانون فى أمريكا ذاتها يفصل بين حقوق الملونين وحقوق البيض فى كل شئون الحياة .. ولا داعى للتفصيل فى هذا الشأن ؛ فالقضية معروفة ، بل ماذا فعل شعب فيتنام الذى ظل يعانى القتل والتمثيل بالضحايا عدة سنوات دون ذنب أو جريمة ، ولاتزال الذاكرة تحتفظ بالكثير والكثير من صور البشاعة الأمريكية ، التى لا تضارع . ثم أليست أمريكا هى حامية إسرائيل بحق «الفيتو» الظالم لتعطيها غطاء من الشرعية الدولية ، التى لا تعرف الشرعية الحقيقية فى قتل الأطفال والنساء والشيوخ واغتيال الشرفاء المناضلين من أجل حرية الوطن من الفلسطينيين .. وأخيراً ماذا فعل شعب العراق الذى تدعى أنها جاءت لتحريره من حكامه المستبدين ، عندما دمرت البيوت على رؤوس أصحابها وهدمت المساجد على رؤوس مرتاديها ، وقصفت المستشفيات والمصانع وقضت على البنية التحتية لهذا الشعب العريق وفعلت به ما تتضاءل أمامه آثار الغزو التترى ، الذى لا تزال تذكره وتتحدث عنه كتب التاريخ؟ يالها من ديمقراطية عجيبة تكيل بمكيالين دون حياء ، ودون وازع من ضمير ، أو رادع من رحمة ..!!

لقد دأبت الدعاية الأمريكية ، على تسويق جرائم حكومتها لتمريرها بين الشعوب والحكومات بالمغالطات المكشوفة والأكاذيب ، التى لا تنطلى إلا على السذج والبُله ، حينما عرضت على شاشات التليفزيون العالمية صور بعض العراقيين ، وهم يقومون بمصافحة الجنود الأمريكان ، أو يهللون ويكبرون لإزاحة السلطة العراقية المستبدة أو يتسلمون وسائل المعيشة من طعام أو ماء من الجنود الأمريكيين ؛ حتى تنطلى على شعوب العالم هذه المهزلة الكبرى ، التى دُبر لها بليل ، ونُسجت خيوطها بدقة أمريكية تعُورِف عليها منذُ زمن طويل طويل ، ولكن العقل والمنطق السديد يرفضها تماماً ، ويضرب بها عرض الحائط :

شعب طال حرمانه ، وهو تحت الحصار المذلّ مدة تزيد على اثنى عشر عاماً : لا غذاء ، ولا كساء ، ولا دواء .. ثم ولمدة عشرين يوماً متتالية يضرب ما تبقى له من أسباب الحياة من حوله ومن تحته ومن فوقه ، وبيد الأمريكيين أنفسهم : لا ماء ، ولا أكل ، ولا أمن ، ولا نوم .. أليس من المنطق المستساغ أن يتلهف أفراده : نساء وشيوخاً وأطفالاً على قطرة ماء ، وإن قدُمت بيد الأعداء الذين

حطموا أسباب الحياة من حولهم؟! ألم يكن من المنطق أن يهلل ويكبر أفراد هذا الشعب في هذه اللحظات السوداء الحالكة، حينما يقدم أفراد العدو لهم بعض وسائل العيش فقط للدعاية والتصوير؛ لتسويق هذه الحرب الظالمة، التي لم يقصد بها إطلاقا تحرير شعب العراق من ظلم حكامه المستبدين وإنما كان الهدف هو إخلاء الطريق من كل ما يهدد أمن إسرائيل لتموت القضية الفلسطينية، ولا يبقى للعرب والمسلمين منها إلا الفتات، الذي تلقيه لهم السياسة الإسرائيلية والأمريكية من فوق مائدة التفاوض، حتى إن شارون كان أول من أرسل برقية تهنئة للرئيس الأمريكي «جورج بوش» الصغير فهل يا ترى، أرسل شارون هذه البرقية لحرصه على حرية الشعب العراقي؛ أم لأنه قد تنفس الصعداء للقضاء على بطولة شعب العراق، ووأد روح النضال بين ضلوعه؟ لقد كانت الشماتة بادية على شارون وهو يحذر شعوب المنطقة العربية والإسلامية من مثل هذا المصير الذي لقيه شعب العراق.

نحن هنا لا نقصد الدفاع عن نظام العراق المنهار، فهذا ما لا يمكن أن نرمي إليه أو نمهد له، فإن هذا النظام له أخطاؤه الكبيرة، بل القاتلة، وتلك قضية أخرى ليس هذا مجالها، ولكن، من قال إن أمريكا أو غيرها هي الشرطي الحامي للحريات والقوانين والأعراف الدولية والإنسانية؟ إن أمريكا فقط تنتظر أخطاء هذه الأنظمة، لتجسدها وتعمق من آثارها لتستغلها وتحسن استغلالها إلى حد بعيد، كما فعلت بالنظام العراقي المنهار، وهو ما سنوضحه في فقرة تالية في هذا المقال.

إن قضية تحرير الشعوب من حكامها الظالمين المستبدين من القضايا التي تختص بها الشعوب أنفسها، فهي قضية داخلية، وعلى الشعوب إعادة تصحيح مسار حكوماتها بطريقتها الخاصة، وتلك بديهية من بدهيات العرف الدولي. فالشعوب هي التي تتحمل مسئولية اختيار حكامها، وتختار نظام الحكم داخلها وبحساباتها الخاصة، وبما يتلاءم مع قوانينها ودياناتها ونظام الحياة فيها.

أما ادعاؤها بأنها بضرب العراق إنما تدافع عن أمنها ومستقبلها فتلك مسألة عجيبة ولا تستحق المناقشة، ولكن نسمح لأنفسنا وللقارئ أن نقف أمامها لحظات يسيرة، لنرى ونتأمل عجائب السياسة الأمريكية، التي تشبه وإلى حد بعيد حكاية الذئب مع الحمل حينما ادعى الأول على الثاني أنه يعكر عليه صفو الماء في ذات الوقت الذي كان الماء يجري فيه من جهة الذئب إلى جهة الحمل والقصة مشهورة

إن أمريكا تفترض في شعوب العالم البلاهة والسذاجة لهذا الحد المضحك..!! من الذي يهدد أمن من؟ العراق تهدد أمن أمريكا؟!!

العراق، الدولة التي لم تبلغ عشر معشار أمريكا تهدد أمن أمريكا؟!!! أمريكا التي غزت النجوم، وأقامت نظاما دفاعيا صاروخيا عجيبا في الفضاء، مهددة من العراق، البلد الذي ظل تحت الحصار مدة تزيد على اثنتي عشر عاما، حتى مات ملايين الأطفال وعصفت بهم الأوبئة من الجوع والمرض؟!! والذي تفعله أمريكا الآن إنما هو الحرب الاستباقية التي تشنها دفاعا عن النفس.. والله إنها لإحدى الكبر. إذن ماذا فعلت أمريكا بالاتحاد السوفيتي السابق الذي ظل طيلة قرن أو ما يقاربه يهدد أمن أمريكا فعلا وواقعا خلال ما كان يسمى بالحرب الباردة؟ ولا يقولن أحد إن أمريكا هي التي قضت عليه فتلك دعاية كاذبة أطلقها «جورج بوش» الأب لتسويق انتخابه لفترة رئاسية ثانية لكنه فشل في ذلك، الاتحاد السوفيتي هو الذي انفجر على نفسه ومن داخله لأن بناءه كان فاسدا، وتلك مسألة بعيدة عن مجالنا الذي نتحدث فيه فلا داعي للخوض فيها.

إن أمريكا هي التي تهدد العالم كله الآن، بأذرعها الطويلة، وحاملات الطائرات التي تجوب بحار العالم في كل وقت حسبما تشاء، وبأقمارها التجسسية التي تحلق في أجواء الكرة الأرضية ليل نهار، حتى إنها لتتعرف على ما هو في باطن الأرض وعلى بعد أميال من سطحها، وهي المورد الأساسي وربما الوحيد للسلاح في العالم.

إن أمريكا بضرب العراق، إنما تبحث عن مصالحها، ومصالح إسرائيل حليفها المدلل، حيث تهدف إلى الاستيلاء على آبار النفط العراقية لأنها تحتوي على ثلث مخزون العالم من هذا المصدر الهام من مصادر الطاقة، وإن لعابها ليسيل عليه منذ زمن طويل، وبضرب العراق إنما تمهد الأرض لشركاتها التي ستقوم بإعمار ما خربته الحرب، وبضرب العراق يتم اختبار أسلحتها الحديثة التي أنتجها تجار الحروب الأمريكيون، ولم يتم استخدامها بعد، هذا هو أمن أمريكا الحقيقي، الذي تبحث عنه وتسعى من أجله.

بقيت أمامنا مسألة أخيرة في هذه القضية، وهي قضية الإرهاب الذي تحاربه أمريكا، وتحاول أن تقضي عليه في أوكاره كما تزعم.

فلو أن أمريكا جادة في هذا الادعاء لانتفضت منذ أكثر من عقد ونصف حينما أعلنت مصر على لسان رئيسها ضرورة محاربة الإرهاب دوليا ودراسة الأمر دراسة متأنية يتعرف العالم كله من خلالها أسبابه القريبة والبعيدة، دون تحيز لأي عقيدة، أو ضد أي عقيدة، لأن الأحداث التي وقعت في هذا الإطار، والتحقيقات التي جرت بشأنها أثبتت أن الإرهاب ليس له وطن وليس له دين، لأن الأديان السماوية، وعلى رأسها «الإسلام» تنبذ الإرهاب وترفض ترويع الآمنين، حتى في زمن الحرب حيث ينهى

الإسلام عن الغدر والخيانة قال الحق ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾(١).

هذا هو مبدأ الإسلام ينطق به القرآن الكريم فى كل تعاليمه ، وليس ما يدعيه «بوش» الصغير للتغطية على أطماعه فى الشرق العربى المسلم، ولإعطاء المبرر المكذوب لشارون وجحافله لاجتياح الفلسطينيين بدعوى أنهم إرهابيون، مع أنهم لا يطلبون سوى حقهم المشروع فى تحرير أرضهم وقد كفلته لهم جميع الشرائع السماوية والقوانين الأرضية والأعراف الدولية.

دعت مصر وفى كل مناسبة إلى دراسة هذه الظاهرة دراسة موضوعية متأنية وتنظيم حملات تحت غطاء الأمم المتحدة للقضاء عليها.. لكن أمريكا وحلفاءها لم تعر هذه الدعوة التفاتا، ولم تبد أى اهتمام بما تحذر منه، لسبب واحد، هو أنها هى راعية الإرهاب فى العالم. ماذا فعلت أمريكا أو قالت حينما كان شعب مصر الآمن يصطلى بنار الارهاب، ويصرخ تحت ضرباته الموجعة؟ لم تحرك ساكنا، ولم تطلب من حلفائها وأتباعها تجفيف منابع الإرهاب التى تنبثق من أراضيها، بل لم تقم هى بالقبض على إرهابى واحد يعيش فيها لتقدمه للعدالة، ولم تصدر قانونا واحداً يمنع منظماتها السرية والعلنية من تمويل هذا الإرهاب. أما حينما عانت من الإرهاب فى الحادى عشر من سبتمبر المشهور، فإنها اعترفت وعلى الفور بأن هناك إرهابا يجب ضربه، وكان من المنتظر أن تنظر إلى القضية بعين فاحصة ومتأنية، ولكنها ـ للأسف الشديد ـ نظرت إليها نظرة صليبية حاقدة حيث ألصقتها بالإسلام العف السمح الكريم ليعلن رئيسها «بوش» الصغير، أن الإرهاب إسلامى وأنهم فى حرب صليبية ضد الإسلام.. وكان المسلسل الرهيب الذى يعتمد على «البلطجة» ويقوم على أسلوب «قطاع الطرق» ولا يعترف بقانون ولا بالمنظمات الدولية.. «وعلى المتضرر الرجوع للقضاء».. القضاء الذى هو أيضا فى يدها، ويا لها من مأساة كبرى يعيشها العالم، الذى يزعم أنه «متحضر» والحقيقة أنه يحتضر.. تحت وطأة سيطرة القوة، أو قل: تحت قوة السيطرة الأمريكية.. ولا ندرى، ولا تدرى حتى الدول الغربية ذاتها متى ستنتهى حلقات هذا «المسلسل الأمريكى» الرهيب، الذى بدأ بأفغانستان وثنى بالعراق بعد أن ضاعت فلسطين.. إنها حرب عقيدة كبرى.. حرب عالمية من نوع جديد، أعلنتها أمريكا على الدول الإسلامية والعربية فقط، مهما انتحلت من معاذير، ومهما أعلنت من أسباب.

(١) الأنفال (٥٨).

دولة بالزى العسكرى

للأستاذ/ صلاح عبد الرحيم محمد

تمثل المؤسسة العسكرية الإسرائيلية الإطار الذى يضم كافة الأجهزة العسكرية، والمراكز الأمنية والسياسية والإنتاجية الخاضعة لإشراف الجيش الإسرائيلى، وهذه المؤسسة العسكرية تقوم بالدور الرئيسى فى عسكرة المجتمع الإسرائيلى، بتحويله إلى مجتمع مجند، وتحت السلاح، من خلال محاوره السياسية، والعسكرية، والاقتصادية، والحزبية، والتعليمية، وفى هذا السياق برزت مسميات عديدة للجيش الإسرائيلى مثل «جيش يبنى أمة»، و«بوتقة الانصهار»، و«جيش الشعب»، وأخيرا يوصف المجتمع الإسرائيلى بأنه «مجتمع بالزى العسكرى»، وفى إطار عملية العسكرة، يذكر أحد الباحثين، أن القرار الإسرائيلى يمر بأربعة دوائر قبل اتخاذه:

الأولى هى «دائرة فكرة القرار»: وتقوم بها هيئة الأركان الإسرائيلية بوزارة الدفاع، التى يوجد بها قيادة المؤسسة العسكرية، وتتلقى التوجيهات من رئيس الوزراء، ووزير الدفاع، ورئيس هيئة الأركان.

والدائرة الثانية هى «دائرة صنع القرار»: وتتمثل فى مجموعة العناصر التى تشكل جميع أجهزة المؤسسة العسكرية.

والدائرة الثالثة هى «دائرة مناقشة القرار»: وتتمثل فى مجلس الوزراء، والكنيست «البرلمان»، والأحزاب، والهستدروت «اتحاد العمال الإسرائيلى»، والوكالة اليهودية، والصحافة.

والدائرة الرابعة هى «دائرة اتخاذ القرار»: وتتمثل فى مجلس الوزراء المصغر، وفى إطار الخلفية التاريخية للمؤسسة العسكرية الإسرائيلية، نجد أن تاريخها يبدأ مع تاريخ ميلاد المنظمات العسكرية الصهيونية فى فلسطين العربية، إذ تُعتبر «منظمة الحارس» «هاشومير» أول منظمة عسكرية يهودية تزامن تأسيسها مع الهجرة اليهودية الثانية عام ١٩٠٩، إلى فلسطين، وأعقبها ظهور «منظمة الحارس الفتى» «هاشومير هاتسعير»، وكان أعضاؤها من مهاجرى الهجرة اليهودية الثالثة إلى فلسطين (١٩١٩ - ١٩٢٣)، وقد أسهمت هذه المنظمة، عقب إعلان قيام إسرائيل، فى تأسيس حزب المابام «اتحاد العمل»، وفى عام ١٩١٤ جرى تشكيل الفيلق اليهودى من

المتطوعين اليهود، الذى انضم إلى الجيش البريطانى فى الحرب العالمية الأولى، وتلاها بعد ذلك، تشكيل «فرقة البغالة» عام ١٩١٥، وألحقت أيضا وفى صفوف الجيش البريطانى، واتخذت «نجمة داود» شعارا لها، وفى عام ١٩١٨ أُسست «كتائب حملة البنادق الملكية»، منها الكتيبة (٣٨) التى جاءت إلى مصر، وانضمت إليها الكتيبة (٣٩)، وبعدها تشكلت الكتيبة (٤٠) من المستوطنين اليهود، وكانت تتلقى تدريبها العسكرى بالتل الكبير، وعُرفت باسم «الكتيبة العبرية» وفى عام ١٩٢١، بعد عودة «بن جوريون» من لندن، إلى فلسطين، وتوليه رئاسة الهستدروت، بادر بإنشاء منظمة «الهاجاناه» وهى تعنى «الدفاع»، وهى منظمة عسكرية يهودية إرهابية، صارت بعد ذلك، نواة فى تأسيس الجيش الإسرائيلى، وأسهمت بدور كبير فى الهجرة اليهودية الشرعية، وغير الشرعية «السرية»، وتعاونت أيضا مع بريطانيا فى إخماد الثورة العربية الكبرى عام ١٩٣٦ فى فلسطين.

ولم يكد يأتى عام ١٩٣١ حتى تم تشكيل «المنظمة العسكرية القومية» «إيتسل» المعروفة باسم «منظمة الأرجون» التى تزعمها «مناحم بيجين»، ولعبت دورا بارزا فى الهجرة اليهودية إلى فلسطين، بالإضافة إلى قيامها بالتجسس على عرب فلسطين، وقد أدمجت هذه المنظمة ضمن تشكيلات الجيش الإسرائيلى، عند قيام إسرائيل، وجرى تكريم قادتها عام ١٩٦٨ لإسهامهم الكبير فى بناء دولة إسرائيل.

وفى عام ١٩٣٩ شُكّل لواء يهودى، وضُم فى صفوف الجيش الثامن البريطانى فى إيطاليا، وأسهم فى عملية تنظيم الهجرة اليهودية من ألمانيا، والنمسا، وهولندا، وبلجيكا إلى فلسطين.

ومن جانب آخر، قام «إبراهام شتيرن» الذى كان عضوا فى منظمتى «الهاجاناه» و«الأرجون» - بتأسيس «منظمة المحاربين من أجل إسرائيل» «ليحيى»، وهى منظمة عسكرية إرهابية، عُرفت باسم «منظمة شتيرن»، شاركت فى مذبحة «دير ياسين» فى إبريل عام ١٩٤٨، التى راح ضحيتها المئات من عرب فلسطين، وفى عام ١٩٤١ شُكلت «منظمة البالماخ» «كتائب الرواد»، وتُعرف باسم «سرايا الصاعقة»، وكانت هى الذراع الضاربة لمنظمة الهاجاناه، التى شاركت فى حرب ١٩٤٨، ضد الجيوش العربية، والجدير بالذكر أن هذه المنظمة أدمجت مع سائر المنظمات العسكرية اليهودية، سالفة البيان لتُشكل ما يُعرف الآن بجيش الدفاع الإسرائيلى.

ويتكون نظام الخدمة العسكرية فى الجيش الإسرائيلى من ثلاثة عناصر رئيسية..

الأول: خدمة عسكرية إجبارية عامة قصيرة للفتيان والفتيات فى سن الثامنة عشرة على أن تكون مدة الخدمة الإلزامية للذكور ثلاث سنوات، وللإناث عامين.

والثانى: جيش دائم عامل، يعتمد على التطوع، وهو صغير نسبيا.

والثالث: جيش احتياط كبير، تكون مدة الاحتياط فيه للرجال حتى سن الواحد والخمسين، وللنساء حتى سن الرابعة والثلاثين، وقد حدد قانون الخدمة العسكرية وظائف المؤسسة العسكرية الإسرائيلية، المتمثلة فى الجيش، فذكر «أنه لابد أن يكون الجيش الإسرائيلى صغير الحجم، عظيم الاحتراف، يدعمه نظام قوى للاحتياط، ويتبع أحدث الأساليب العلمية، والوسائل التكنولوجية، ويغرس روح «الهاجاناه» و«البالماخ» فى المجندين الجدد، وعلى الجيش أن يعمل كصانع للمواطنين، وأن يساعد فى اندماج المهاجرين الجدد، وعلى الجيش أن يهتم بالزراعة والمستوطنات»، ومما يجب التأكيد عليه أن المؤسسة العسكرية فى إسرائيل تكاد أن تكون أهم عناصر المجتمع التى تشارك فى العملية التعليمية، فهى تتخلل كافة المدارس العامة فى مرحلة ما قبل التعليم الجامعى، من خلال الإشراف على منظمات «الجدناع» وهى ما تعرف باسم «الفتوة» التى تلقن الشباب الإسرائيلى المبادىء العسكرية، والقيم الصهيونية، وتصل ساعات التدريب والتربية العسكرية فى المدارس الإسرائيلية إلى ٢١٢ ساعة فى العام، واللافت للنظر أن الجيش الإسرائيلى نجح إلى حد كبير فى التوفيق بين المتطلبات الدفاعية والهجومية عبر بعدين أساسيين:

الأول هو البعد الجغرافى: ويستند على المسافات القصيرة نسبيا التى يجب على قوات الاحتياط أن تقطعها بسرعة عند استدعائها إلى مسرح العمليات، كما يستند هذا البعد أيضا على «نظام جيد للمعلومات» يكون قادرا، فى الوقت المناسب، على التحذير من أى هجوم عربى مضاد، ويرى بعض العسكريين ضرورة الاحتفاظ بقوة صغيرة تعمل «كجدار عائق» على طول الحدود لصد أى عمل عسكرى عربى مفاجىء.

والبعد الثانى هو البعد التكنولوجى: ويستند على التفوق النوعى للجندى الإسرائيلى فى إطار التكامل مع البعد الجغرافى، ومن ناحية أخرى يكاد أن يكون الجيش الإسرائيلى هو الجيش الوحيد بين جيوش العالم، الذى يقوم بتجنيد النساء فى الخدمة العسكرية الإلزامية جنبا إلى جنب مع الرجال، غير أن المساواة بينهما هى مساواة شكلية فى الواقع، فيحظر على المجندات تولى المهام القتالية التى تعتبر حكرا على الرجال فقط، كما أن فترة تجنيد النساء عامان، بينما للرجال ثلاثة أعوام، يُضاف إلى ذلك أن خدمة الاحتياط للمرأة هى حتى سن الرابعة والثلاثين، فى حين أنها للرجل حتى سن الواحد والخمسين، لذلك بدأت القيادة السياسية الإسرائيلية - منذ أواخر الثمانينات من القرن العشرين - فتح الوظائف الفنية فى وحدات دعم القتال أمام المجندات مثل القائمات على تشغيل الرادار، ومراقبات الطيران، ومشغلات أنظمة الاتصال الآلية، ومعلمات دبابات، وضابطات

أركان، كما تزايد الاتجاه نحو إلحاق المجندات بوظائف على خطوط الجبهة في وحدات قتالية مثل حرس الحدود، بل نجد محكمة العدل العليا الإسرائيلية تدعم اتجاه مساواة المرأة بالرجل في وظائف الجيش حيث أصدرت حكمًا غير مسبوق بالموافقة على طلب إحدى المجندات للسماح لها بالانضمام إلى فرقة طيران في سلاح الطيران، وفي هذا السياق أخذ الكنيست الإسرائيلي «البرلمان» زمام المبادرة بالتصديق، في يناير ٢٠٠٠، على قانون المساواة بين الرجل والمرأة في الجيش الإسرائيلي الذي يقضي بحق المرأة المجندة في تولي أي وظيفة في الجيش، حتى لو كانت وظيفة قتالية، ومن جهة أخرى نجد أن الجيش الإسرائيلي يعتمد على العلمانيين، الذين يشكلون ٨٠٪ من عدد سكان إسرائيل في إطار الخدمة العسكرية الإلزامية، بينما نجد التيار الديني، الذي يشكل نحو ٢٠٪ من عدد سكان إسرائيل يتمتع أبناؤه بالإعفاء من الخدمة الإلزامية العسكرية بشرطين:

الشرط الأول: هو تفرغ أبناء التيار الديني للدراسة الدينية في المدارس والمعاهد الدينية، وفي المعاهد الدينية العسكرية المعروفة باسم «يشيفوت هاسدير».

والشرط الثاني: هو امتهان العمل الديني، وبمعنى آخر فإنه لا يُجنَّد أبناء المتدينين سوى من يرغب منهم في ذلك، أو من يتوقف عن الدراسة الدينية، أو يترك الاشتغال بالعمل الديني، ولكن رغبة من قطاع كبير في التيار الديني أن يكون له دور إيجابي في الخدمة العسكرية، فقد توصل التيار الديني القومي «المفدال» إلى صيغة حل وسط مع الحكومات المختلفة، بإنشاء معاهد عسكرية دينية تجمع ما بين الدراسات الدينية، والدراسات العسكرية، بحيث يلتحق خريجو هذه المعاهد بالجيش لقضاء فترة قصيرة، يعود بعدها، المجند إلى مواصلة دراسته الدينية، أو الاشتغال بإحدى الوظائف في الحياة المدنية، وبذلك تنامى التيار الديني وأخذ في التصاعد داخل الجيش الإسرائيلي، وفي هذا المقام يذكر «يؤاب ليمور» المراسل العسكري لصحيفة «معاريف» الإسرائيلية في إحدى مقالاته: «إن العناصر المتدينة بدأت تقتحم مجالات أخرى، بدءًا من مدرسة تخريج ضباط الصف، ومرورًا بكلية تخريج الضباط، وانتهاء بدورات تخريج قادة السرايا والكتائب»، ويُحذِّر «أحنوك كابيليوك» الصحفي الإسرائيلي من زيادة إمكانية اختراق اليمين اليهودي المتطرف وحدات الجيش الإسرائيلي فيقول: «إن نصف ضباط الجيش سيرتدون القلنسوة الدينية، ربما بعد عشر سنوات، وأن جنود الجيش سيجدون أنفسهم أمام خيارين، إما طاعة قائدهم العسكري أو طاعة الحاخام العسكري، وأنه من الممكن أن يرفض ضباط وجنود الجيش من المتدينين الانصياع لأوامر الحكومة، خاصة فيما يتعلق بالانسحاب من الأراضي العربية المحتلة»، والجدير بالذكر أن كثيرًا

من الجدل يدور حول تحسين نظام الخدمة العسكرية في إسرائيل بسبب العديد من السلبيات التي يعاني منها هذا النظام مثل عدم تجنيد الأقلية العربية الحاملة للجنسية الإسرائيلية والتي تشكل حوالي ١٩٪ من عدد سكان إسرائيل إذ تعتبرهم إسرائيل طابورًا خامسًا، يحوم حوله الشبهات من ناحية ولائه للدولة، يُضاف إلى ذلك أن وزارة الدفاع الإسرائيلية تعفي كل عام عددًا كبيرًا من الملزمين بواجب الخدمة العسكرية، ناهيك عن إعفاء قطاع كبير من أبناء التيار الديني، لذلك يرى البعض أنه إذا لم يتغير الاتجاه الحالي في نظام الخدمة العسكرية الإلزامية ستكون نسبة من يخدمون في الجيش الإسرائيلي أقل من ٥٠٪ من عدد المواطنين في سن الثمانية عشرة الملزمين بالخدمة الإلزامية، ومن ثم يطالب البعض بتطبيق خدمة عسكرية بأعداد كبيرة تعتمد على التطوع، يكون أفرادها في الخدمة الدائمة، وهو ما يعني تشكيل «جيش من المحترفين»، كما يوصي أحد الباحثين باتخاذ إجراءين متوازيين:

الأول: فرض خدمة مدنية عامة لجميع من لم يخدموا في الجيش الإسرائيلي.

والثاني: دفع تعويض مناسب لمن يخدمون في الجيش الإسرائيلي، سواء في الخدمة الإلزامية، أو في خدمة الاحتياط، ويطالب بعض الباحثين أن يقوم الجيش بمنح المجند في الخدمة الإلزامية مكافأة شهرية تعادل الحد الأدنى للأجور في إسرائيل، مع تمتعه بظروف خدمة عسكرية جيدة.

ومن اللافت في هذا السياق أن معظم القادة العسكريين في الجيش الإسرائيلي يُحالون إلى التقاعد في سن مبكرة تقع بين سن الخامسة والثلاثين والخمسين، كما تشير الدراسات أن الشريحة العمرية لكبار الضباط في الجيش الإسرائيلي تقع بين الثلاثين والخامسة والأربعين، ومن جهة أخرى لاحظ المراقبون - أنه منذ أوائل الثمانينات من القرن العشرين - أن الإنتاج العسكري صار هو القطاع القائد في الاقتصاد الإسرائيلي، وأن ٢٥٪ من قوة العمل بإسرائيل تتصل بطريق مباشر أو غير مباشر بالمؤسسة الصناعية العسكرية، وأن نصف عمال الصناعة يعملون في الإنتاج المتعلق بالصناعات العسكرية، وتشير الإحصاءات إلى تقدم إسرائيل في الصناعات العسكرية، فهي تحتل المرتبة السابعة بين الدول المصدرة للسلاح، كما تصاعد الإنفاق العسكري ليصل إلى ٢٠٪ من الناتج القومي، وتعتبر الميزانية العسكرية مصدر قوة مضافة إلى المؤسسة العسكرية داخل النظام السياسي الإسرائيلي، كما أن مناقشة الميزانية العسكرية تتم بسرعة وسرية في لجنة الشئون الخارجية والمالية بالكنيست، ويذكر المراقبون أن هناك احتمالًا بعدم خضوع الميزانية العسكرية للرقابة التشريعة

أو المدنية لاعتبارات الأمن والسرية، ولا شك أن هذه ميزة يتمتع بها العسكريون، وتجدر الإشارة إلى أن المؤسسة العسكرية فى إسرائيل تمثل قوة ضاغطة فى النظام السياسى الإسرائيلى، دون أطماع فى سلطة الحكم، فتشير إحدى الدراسات إلى أنه أمكن تحديد ٣٠ شخصية أسهمت، بدرجة كبيرة، فى التطور السياسى فى إسرائيل منهم ٣٠٪ من ذوى الخلفية العسكرية البحتة، كما يوجد من بين العشرة الأوائل فى هذه النخبة ست شخصيات قيادية من أصحاب الخلفية العسكرية التى أثرت وبعمق فى الحياة السياسية الإسرائيلية، ومن ثم فإن هيبة ونفوذ المؤسسة العسكرية فى النظام السياسى الإسرائيلى تنبع من جوانب ثلاثة:

الأول: الدور غير العادى الذى تقوم به وزارة الدفاع فى الحياة الاقتصادية فى إسرائيل.

والثانى: وجود قنوات ثلاث تتمثل فى هيئة الأركان، ووزارة الدفاع، والمخابرات الإسرائيلية تمارس تأثيرها البارز فى تشكيل القرارات السياسية فى إسرائيل.

والثالث: دور الجيش الإسرائيلى كأداة للتربية والتنشئة الاجتماعية بما يغرسه من أفكار وقيم صهيونية فى عقول المجندين من الشباب الإسرائيلى.

وفى الختام يمكن رصد ثلاثة اتجاهات حول مستقبل المؤسسة العسكرية فى إسرائيل:

الاتجاه الأول: أنه ليس هناك ما يوحى بتنازل الكيان الصهيونى عن «الحلم الصهيونى» فى إقامة «إسرائيل الكبرى» التى تهيمن على المنطقة العربية، ويكون لها الدور القائد فيها.

والاتجاه الثانى: يتمثل فى بروز ما يمكن أن نسميه «بالمجموعة الصناعية العسكرية» التى ترتبط بالمجموعة الاقتصادية برابطة المنفعة المتبادلة، بكل ما يعنى ذلك من تأثير على الحياة السياسية والاقتصادية فى إسرائيل، وأنه بحكم هذه المنفعة بين النخبة العسكرية والنخبة الاقتصادية، قد تقود إلى مزيد من التبريرات للسياسة الحربية التى من شأنها أن تؤدى إلى قيام إسرائيل بأى عمل عسكرى طائش ضد أية دولة من دول الجوار العربى مما يمثل تهديدا للأمن القومى العربى.

والاتجاه الثالث: يتمثل فى حرص الولايات المتحدة الأمريكية على تعزيز قوة المؤسسة العسكرية الإسرائيلية لتقوم بدور الحارس لمصالحها فى المنطقة العربية خاصة بعد حربها على العراق، واحتلالها إياه فى التاسع من إبريل ٢٠٠٣، وفى ضوء ذلك ينبغى على الأمة العربية تفعيل التعاون العربى المشترك فى كافة المجالات وبصفة خاصة الاقتصادية والسياسية فى إطار الجامعة العربية، والأخذ بأسباب القوة للدفاع عن الكرامة العربية والإسلامية، والوقوف أمام أطماع خصوم الإسلام الذين يتربصون به، ويتحينون الفرص للقضاء على أهله.

أبداً لن يضيع العراق

٢

للأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

يبذل المحامى الإسرائيلى المعروف (جلعاد شير) والذى كان عضواً بفريق المفاوضات الإسرائيلية مع الفلسطينيين فترة حكومة (إيهود باراك) جهودا حثيثة من أجل اشتراك شركات إسرائيلية فى مشاريع إعادة إعمار العراق عن طريق مجموعة شركات: (أمت) وشركة (واتيربول) الإسرائيليتين اللتين يمثلهما المحامى (جلعاد شير) وشركاه. وقد أكدت صحيفة (يديعوت أحرونوت) الإسرائيلية فى موقعها على الإنترنت أن هذه الشركات تعمل فى مجالات الخدمات الطبية والأدوية، وإدارة المشاريع، والتخطيط، والهندسة، والبنية التحتية، إضافة إلى مواد استهلاكية أساسية.

وذكرت الصحيفة أن الشركات الإسرائيلية ستعمل فى العراق، وستنظم علاقاتها التجارية بالتنسيق مع الولايات المتحدة، والاتحاد الأوروبى، والبنك الدولى.

فى حين ذكرت صحيفة الأخبار المصرية فى عددها الصادر يوم الجمعة ٢٠/٦/٢٠٠٣ نقلا عن صحيفة العدالة العراقية أن المخابرات الإسرائيلية (الموساد) تسعى لشراء أو استئجار فندق فخم ليكون مقرا لها فى بغداد مع تواتر أنباء عن افتتاح مقرات أخرى للموساد فى عدة مدن عراقية على الحدود السورية والإيرانية.

وقد حذر (عدنان الباجهجى) رئيس تجمع الديمقراطيين العراقيين المستقل، ووزير خارجية العراق الأسبق من خطورة مشاركة شركات إسرائيلية فى إعادة إعمار العراق، وقال: إن الشعب العراقى لن يقبل بذلك، وأنه لو صحت الأنباء التى ترددت عن ذلك، فإن ذلك سيكون غباء، وعدم مسئولية، وعملاً استفزازيًا من جانب القوات البريطانية والأمريكية.

وكان طبيعيا فى ظل هذه الأوضاع أن تزداد جذوة المقاومة العراقية توهجا واشتعالاً، وتكاد مدينتا (الفالوجة) و(تكريت) أن تخرجا عن سيطرة الاحتلال ويتوالى سقوط القتلى من جانب قوات الاحتلال الأمريكية.



المجاهدون العراقيون يستعدون لجولة جديدة ضد قوات الاحتلال

أما فى الجنوب العراقى فلم يجد البريطانيون وسيلة لمواجهة المقاومة الشعبية العراقية سوى التنكيل بالشعب العراقى المناضل ضد الاحتلال، فمؤخراً أعلنت وزارة الدفاع البريطانية يوم الأربعاء ٤ يونيو - أنها سحبت اثنين من العسكريين البريطانيين فى العراق للتحقيق معهما فى وفاة اثنين من أسرى الحرب العراقيين كانا قيد الاعتقال لدى القوات البريطانية فى جنوب العراق، وقد توفى العراقيان فى يومين متتاليين، ولم تكشف الوزارة عن تفاصيل ظروف الوفاة، وموقع حدوثها، ولكنها قالت: إن الجنديين سيحقق معهما فى تهم عن تورطهما فى إساءة معاملة أسرى الحرب.

وقد جاء هذا الإعلان بعد بدء تحقيق جديد منفصل نهاية الاسبوع الأخير من شهر مايو المنصرم مع جندى بريطانى قام بتعذيب أسرى حرب عراقيين التقطت صور تليفزيونية لأحدهما وهو مقيد وموضوع فى قفص داخل شبكة، معلقة فى الجو بواسطة رافعة يقودها جندى بريطانى.

وعندما اندلعت المقاومة وتأججت جذوتها جن جنون جنود الاحتلال فمضوا يقتلون العشرات بدون تمييز وفى يومين متتاليين هما الجمعة والسبت ١٣، ١٤/٦/٢٠٠٣ قتلت قوات الاحتلال مايزيد على مائتى عراقى، وأقول بدون تمييز لأنه فى يوم ١٤/٦/٢٠٠٣ اضطر الأمريكيون إلى الاعتذار عن قيامهم بقتل عائلة عراقية بكامل أفرادها البالغ عددهم

خمسة أفراد بينهم عجوز فى السبعين من عمره، حيث اتضح أنهم كانوا يطفئون النيران التى اندلعت فى حقل القمح الذى يمتلكونه بفعل القنابل الأمريكية الذكية جدا التى رأت فى حبات القمح العراقية خطورة على الأمن القومى الأمريكى.

والأكثر من هذا جاء فى خبر نشرته جريدة الحياة اللندنية فى ١٠ يونيو الماضى، وجاء فيه أن جدلاً عنيفًا قد ثار بين صحيفة عراقية وبين قوات التحالف الأنجلو أمريكية بعد أن اتهمت الصحيفة جنوداً أمريكيين باغتصاب طفلتين عراقيتين.

حيث نشرت صحيفة (الساعة) العراقية أن طفلتين عراقيتين ١٤ سنة و١٥ سنة كانتا تتحدثان مع جنود أمريكيين عندما عرضوا عليهما الانتقال إلى معسكرهم لأخذ صور لهما ثم اغتصبوهما.

الصحيفة أكدت أن إحدى الفتاتين توفيت بعد اغتصابها من قبل ثمانية عشر جندياً، أما الثانية فقد قتلها أهلها.

مدير تحرير الصحيفة (عبدالرازق نعامة) أكد أن اثنين من مراسلى الصحيفة قد شاهدا جثتى الفتاتين.

قادة قوات التحالف هاجموا الصحيفة واتهموها باستغلال مساحة الديمقراطية التى تحظى بها العراق حاليا لنشر الاكاذيب وقالوا «ستتخذ الإجراءات المناسبة لتصحيح هذه المعلومة ولتصبح وسائل الإعلام العراقية مصدر معلومات موثوق للناس».

المضحك أن مسئولى التحالف اتهموا الصحيفة بأنها دعمت حزب البعث وصدام حسين عندما كان فى الحكم فى حين أنها (أى صحيفة الساعة) لم تكن موجودة فى عهد صدام حسين ولم تظهر إلا بعد سقوط نظامه وبعد ذلك يتحدثون عن حقوق الإنسان والدفاع عن الحريات، وتحرير العراق من ظلم حكامه.

من الذى يملك أن يحكم على مصداقية الصحف العراقية.. العراقى الذى يقرؤها ويعايش ما تنشره من أحداث أم الغازى المحتل؟!

من الذى سيحاسب الغزاة المحتلين على ما اعترفوا به من جرائم بشعة ارتكبت فى حق الشعب العراقى.. العراقى المعتدى عليه أم الغازى المحتل؟!

من الذى سيحقق فى الجرائم التى نفوا عن أنفسهم ارتكابها بل ولم يعترفوا بوقوعها أصلا.. الضحايا الذين استبيحت أرضهم وأموالهم وأعراضهم ودماؤهم أم الغازى المحتل؟!

للأسف الغازى المحتل سيقرر منفردا إذا ما كانت جرائمه بشعة أم أنها جرائم عادية لا تستحق أكثر من اعتذار بسيط.. هذا إن اعترف بها أصلا؟!

برنامج الغذاء العالمى التابع للأمم المتحدة حذر من تفاقم مشكلة الفقر بين العراقيين وأشار مسئولوه إلى أن نحو ٥٠٪ من العراقيين أصبحوا تحت خط الفقر بسبب العقوبات المفروضة على العراق منذ عام ١٩٩١، وأن الوضع يزداد سوءا وأصبح العراقيون لا يحصلون على الغذاء مطلقا على العكس مما كان موجودا فى عهد صدام حسين.

العراقيون على مختلف فئاتهم شيعة، سنة، أكراد، تركمان، آشوريين أعلنوا أنهم جميعا عراقيون، وأنهم ابدا لن يرفعوا السلاح فى وجه بعضهم البعض، وأكدت قياداتهم أنهم يرفضون الاحتلال الأمريكى البريطانى تحت أى مسمى، وأنهم قادرون على إدارة أمورهم بأنفسهم وطالبوهم بالكشف عن أماكن أسلحة الدمار الشامل التى زعموا أن النظام العراقى كان يمتلكها!

(هانز بليكس) رئيس لجنة الأمم المتحدة للمراقبة والتحقيق والتفتيش على الأسلحة العراقية (أنموفيك) شكك فى مصداقية المفتشين الأمريكيين والبريطانيين الذين يتولون مسئولية البحث عن أسلحة الدمار الشامل فى العراق، وقال فى كلمة أمام مجلس الأمن إن لديه شكوكًا فى أى مفتش أو خبير يؤدى عمله فى ظل الاحتلال، مؤكدًا أن مثل هذا المفتش لا تكون لديه المصداقية التى يمتلكها المفتش المستقل، ملمحا بإمكانية قيام هؤلاء المفتشين باصطناع أدلة على وجود أسلحة دمار شامل فى العراق أو حتى نقل أسلحة، والادعاء بالعثور عليها مما يضفى شرعية على احتلال العراق.

وكانت آخر مضحكات بوش فى هذا الصدد أن اللصوص سرقوا أسلحة الدمار الشامل؟! تخيلوا معى: أن لصًا يجرى يحمل صاروخًا بالستيا عابرًا للقارات فوق ظهره على مرأى ومسمع من القوات الأمريكية والأقمار الصناعية.

الغريب، وبرغم الحرج البالغ الذى تواجهه الحكومتان الامريكية والبريطانية فى مواجهة الرأى العام المحلى والدولى حيث شن أعضاء الحزب الديمقراطى الأمريكى هجومًا عنيفًا على جورج بوش بسبب ما وصفوه بالأكاذيب والمعلومات الملفقة التى ساقوها لتبرير الهجوم على العراق، بل ووصفوا المسألة بأنها تشبه فضيحة (ووترجيت) الغريب بعد كل ذلك أن الولايات المتحدة بدأت فى الترويج لحملة ضد إيران بزعم امتلاكها لأسلحة دمار شامل!!

أما فى لندن فقد أكد وزير الداخلية البريطانى (ديفيد بلانكيت) أن الحكومة البريطانية أخطأت عندما نشرت تقرير أسلحة الدمار الشامل العراقية، ووصف التقرير بأنه تناول معلومات قديمة، ولم يتطرق إلى أدلة دامغة.

وبرغم كل هذا وبرغم أن العالم كله يتعاطف مع الشعب العراقى ضد الاحتلال الغاشم السائر على النهج الهتلرى النازى ذى الصلة الوثيقة بالعدو الصهيونى، برغم هذا كله، اعترضت دولة عربية مسلمة بشدة وبعنف على فقرة تضمنها البيان الختامى للاتحاد البرلمانى العربى الذى عقد جلسته الختامية فى بيروت مساء الأربعاء ٤ يونيو، وهى الفقرة التى أكد فيها البيان على الإدانة الشديدة للاحتلال الأمريكى للعراق، والمطالبة بإنهاء الاحتلال وانسحاب القوات الأجنبية من العراق.. وبعد هذا يتحدثون عن التضامن العربى المزعوم عن أى تضامن يتحدثون بعد أن اختاروا بأنفسهم الطرف الذى يتضامنون معه؟!

ولكن برغم هذا الركام الأسود يبقى الأمل دائما فى ظل ازدياد وتصاعد المقاومة الشعبية العراقية التى وصفها دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكى بأنها محدودة وأن الذين يقودونها أنصار صدام حسين وحزب البعث ذلك النظام الذى ثبتت كراهية الشعب العراقى له بالفعل، ولكن أسلوب فرق تسد الذى يتبعه رامسفيلد له دلالته، إنه يريد أن يدفع الشعب العراقى الحر الأبى إلى عدم التعاون أو على الأقل عدم تأييد أعمال المقاومة ملقيا فى روعه أن نجاحها نجاح لنظام البعث العراقى الذى يكرهونه.. ولكن هيهات، ويبقى الأمل فى أن ينال شعبنا العربى العراقى حريته واستقلاله وأن يتخلص من هذا الاحتلال الغاشم الذى لم ينل من العراق ما نال إلا بالخسة والخديعة ورشوة الخونة.. ولكن رب ضارة نافعة، فالأيام أثبتت أن الجيش الأمريكى نمر من ورق وأن قدراته القتالية وجها لوجه محدودة للغاية خصوصا على أرض تتجاوز درجة الحرارة فيها ٥٠ْ مئوية، قوتهم فقط تكمن فى طيرانهم وصواريخهم بعيدة المدى ذات التأثير التدميرى الشامل، ولكن كل هذا صار بلا تأثير فقد تداخلت الصفوف وبإذن الله ستحتفل جميعا بعيد الجلاء.. جلاء الاحتلال الغشوم.

وليتجرعن لص بغداد الذى دنس أرض العراق الطيبة من ذات الكأس التى تجرعها قبله (نابليون بونابرت) يوم غزا مصر فى أواخر القرن الـ ١٨ متذرعا بحماية مصالح فرنسا من تهديدات المماليك، وتحرير شعب مصر من ظلم حكامه، بل ووصل الحال ببونابرت أن خاطب الشعب المصرى بمصطلحات إسلامية وادعى أنه يحب الإسلام والمسلمين تماما كما ادعى لص بغداد فى القرن الـ ٢١، ولم يدم به الحال أكثر من عامين نال فيهما الفرنسيون ما نالوه على يد الشعب المصرى ليخرج منها نهاية المطاف طريدًا ذليلاً.

العراق تحت الانتداب الأمريكي

للدكتور / محمد حسن عبد الخالق

وانتهت الحرب وتأكد أن الهدف هو العراق وليس صدام وأن الأمر أعقد من التحليلات السطحية، وأنه مشروع يميني عدواني استعماري متطرف سابق التجهيز بفكر صهيوني وتنفيذ إمبريالي، حرب قذرة بكل المقاييس وعلينا أن نعي الدرس جيداً، قوة غاشمة ضربت بالأعراف والقوانين الدولية عرض الحائط، ونحن نتساءل: أين هي الأسلحة الذكية؟ التي أبادت أطفالاً ونساء وشيوخاً وأبرياء، والتي أعادت إلى الأذهان صورة الكاوبوي الأمريكي.

واتضحت الصلة الوثيقة بين الصهيونية العالمية والبيت الأبيض، تعويضات هائلة لمنع دخولها الحرب، ووعود ستفصح عنها الأيام، عشنا حربين، حرب حقيقية وحرب إعلامية ومن الصعب التصديق بالنوايا الأمريكية المعلنة، أما الانفلات الأمني الذي رأيناه فقد كان مخططاً له قبل حدوثه من قبل قوات التحالف، وكانوا يعتقدون أنه سيصل إلى حرب أهلية لا تبقي ولا تذر، ولكن الشعب العراقي بكل طوائفه فوت الفرصة عليهم.

أما السؤال الذي يطرح نفسه: هل ستفلح كل أشكال الطيف السياسي بالمرور بالأزمة؟ وإذا لم تفلح فإن القوى الأجنبية ستجد الذريعة للبقاء مدة أطول لا يعلم مداها إلا الله سبحانه وتعالى، وستحاول قوات التحالف تأجيج الصراع بين الفئات السياسية والدينية طمعاً في بث الخلاف بينهم.

لابد أن يجتمع العرب لتكوين إرادة عربية واضحة لتحقيق الأهداف وأن يكون لجامعة الدول العربية القدرة على إدارة الأزمات العربية فعندما قبل العراق قرار ١٤٤١ الذي يحمل العسل والسم معاً، حين دمر صواريخه دون أن تكون هناك أية ضمانات دولية، ولو كان العرب على قلب راجل واحد ما حدث هذا، فالإرادة تسبق الغطرسة، وإرادة الشعوب لا تقهر.

وشئنا أم أبينا، فنحن أمام ميلاد فكر عربي جديد، ومن يدري فقد تكون القنابل التي أسقطت على بغداد بداية وحدة الأمة العربية، كما أن توجه القيادات العربية بإدانة الغزو يعتبر فاتحة خير.

خطبة الجمعة

على طريق النضال

لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصي

الحمد لله تبارك وتعالى، وأشهد أن لا إله إلا الله، هو ولي النعمة.. ومصدر الرحمة:

﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1] وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله، هو نبي الرحمة وقائد الملحمة، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[2]، وأصلي وأسلم على أنبياء الله ورسله، وعلى خاتمهم سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه، وأتباعه وأحبابه، ومن دعا بدعوته بإحسان إلى يوم الدين، وأستفتح بالذي هو خير:

﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[3].

لا ينبغي أن ينسينا كر الغداة ومر العشي، أن علينا في الحياة واجبات، وأن علينا نحو أنفسنا ووطننا ومجتمعنا تبعات، وأن هذه الواجبات والتبعات متجددة موصولة، متنوعة متفرعة، تتواءم مع ظروف الحياة وتتابع الأحداث، وملاك الأمر في ذلك وعماده، هو استشعار روح الإيمان والعمل والنضال، وأن يقوم كل منا على جانب من جوانب البناء والتعمير والإعداد يقويه ويعليه، ويد الله مع الجماعة، ثم الاعتصام بحبل الله خالق الأرض والسماء، وواهب التوفيق والتأييد:

---

(١) الأعراف ٥٦.
(٢) الأنبياء ١٠٧.
(٣) الممتحنة ٤.

﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾(٤)

ولو رجعنا إلى سير الذين خرجتهم مدرسة سيد الإنسانية محمد عليه الصلاة والسلام، لعرفنا كيف صبروا وصابروا، وكيف جدوا واجتهدوا، وكيف أعدوا لكل أمر عدته، من سلام أو حرب، ومن دين أو دنيا، ومن إنتاج أو بذل، وكيف عاشوا بأرواح المجاهدين المناضلين المرابطين على اختلاف الأحوال وتنوع الأعمال.

وهذا نموذج منهم: إنه المقداد بن عمرو الصحابي المناضل السباق إلى المكرمات، أسلم مبكرا في مطلع الدعوة، وكان أحد سبعة أظهروا إسلامهم في أول البعثة، فأخذهم الكافرون وألبسوهم دروع الحديد على أجسادهم، وعذبوهم في لهب الشمس، فاحتملوا راضين صابرين، ضاربين المثل في إيثار ما عند الله على ما عند الناس، ثم زاد الاضطهاد وضاقت البلاد، فأرغم المقداد على ترك وطنه، وهاجر مع من هاجر إلى الحبشة، ثم عاد فهاجر إلى المدينة، وهناك آخى الرسول بينه وبين المجاهد الشهيد طالب الشهادة عبدالله بن رواحة رضي الله عنه، أحد الأبطال القادة الثلاثة الشهداء في غزوة مؤتة، وإن نسينا فلا يليق بنا أن ننسى أن المقداد هو الذي نهض واقفا بين الصحابة من المهاجرين والأنصار قبيل غزوة بدر، وقال: «يا رسول الله، امض لما أراك الله، فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، بل نقول لك: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، والذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد - وهو مكان بعيد - لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، ولنقاتلن عن يمينك وعن يسارك، وبين يديك ومن خلفك، حتى يفتح الله عليك».

وهكذا كانت أخوة الإيمان ميثاق شرف بين هؤلاء المؤمنين، ليظلوا على يقينهم ثابتين، وليواصلوا خطواتهم في طريق العمل الصالح للصالح مجتمعين.

وكان المقداد أول فارس ركب جواده في سبيل الله، ولذلك روت السيرة أنه لم يشهد غزوة بدر فارس غير المقداد، وكانت هذه الفروسية المبكرة المستمرة معوانا على سرعة استجابته لنداء الاستغاثة وصوت النجدة، فكان لا يسمع نداء إلى واجب أو معاونة إلا لباه مسرعا، لا يسبقه في ذلك إلا رسول الله عليه الصلاة والسلام؛ ولقد أغار الأعداء ذات ليلة على طرف من بلاد الإسلام، وارتفع النداء يستدعي المجاهدين الأوفياء، فكان المقداد في طليعة من استجاب، وهناك وجد أن الرسول قد سبقه، وجعل الرسول يثني عليه، ويحمد له حسن استعداده وسرعة استجابته؛ ولا عجب فالله جل جلاله يقول للأخيار من عباده:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾(٥).

وكان المقداد إلى جوار بطولته وشجاعته ونضاله المستمر المتنوع - موضع ثقة الرسول صلوات الله عليه وسلامه فيما يؤتمن عليه من أسرار وواجبات،

(٤) آل عمران ١٢٦.

(٥) الأنفال ٢٤.

وهذه منزلة لا يبلغها الصحابي من نفس النبي العظيم إلا بجدارة واستحقاق، ومن شواهد هذه الثقة أن المقداد كان ثالث اثنين هما علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، أرسلهم النبي سرا وراء المرأة التي أرسلها حاطب بن أبي بلتعة إلى مكة، لتحمل خطابا إلى المشركين ينبئهم بأن الرسول وأصحابه يستعدون لفتح مكة. ولكن المقداد لم يكن يفتتن ببلوغه هذه المكانة، بل كان إنسانا متواضعا، يفضل أن يكون جنديا مجهولا، يؤدي واجبه حيثما كان بأمانة وشرف وإخلاص، على أن يكون مشهورا تتطلع إليه الأنظار، وكان يضايقه، ما يجده في مفاخر الحياة من أسباب لتضليل النفس أو تعويقها عن جهدها الموصول، ولذلك كان يكره التطلع إلى أماكن الإمارة أو التزعم، ولقد جعله الرسول أميرا لجماعة في عمل من الأعمال، وكأنه يختبر بذلك معدنه الأصيل، فأطاع المقداد، وبعد أن أدى واجبه قدر طاقته، سأله الرسول: كيف وجدت الإمارة يا مقداد؟. فأجابه بصراحة ووضوح وصدق تعبير عن ذات نفسه قائلا: «يا رسول الله، لقد جعلتني الإمارة أنظر إلى نفسي كما لو كنت فوق الناس وهم جميعا دوني، والذي بعثك بالحق لا أتأمر على اثنين بعد اليوم أبدا».

ومضى المقداد على طريق العمل الدائب والجهد الموصول، يتقلب بين ميادين الواجبات مناضلا فيها، ويتنقل بين مختلف التبعات حاملا لها، واشترك في فتح الإسلام لمصر كنانة الله في أرضه، وطالت حياته، وحسن عمله، وكثرت مناقبه، وهو على الحق والعمل ثابت لا يتحول ولا يتبدل، وكان يفخر بنعمة الإيمان، ويعدها كبرى النعم من ربه:

﴿ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾(٦).

ولقد قيل له يوما في أخريات حياته الطويلة الجليلة: طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله ﷺ والله لوددنا أنا رأينا ما رأيت، وشهدنا ما شهدت. فقال لهم موجها وناصحا: ما يحمل أحدكم على أن يتمنى مشهدا غيبه الله عنه، لا يدري لو شهده كيف كان يصير فيه؟ والله لقد عاصر رسول الله أقوام كبهم الله على مناخرهم في جهنم، أولا تحمدون الله الذي جنبكم مثل بلائهم، وأخرجكم مؤمنين بربكم ونبيكم ﷺ.

إن فم النبي الطهور قد قال: «خيركم من طال عمره وحسن عمله، وشركم من طال عمره وساء عمله»(٧)، وشأن المجتمع العاقل الفاضل أن يحرص أبناؤه على استغلال أيامهم وأعوامهم في خير ما تنفق فيه الأعمار، حتى يكسبوا خير الدنيا ونعيم العقبى، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا:

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾(٨).

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾(٩).

(٦) الحجرات ١٧.

(٧) كشف الخفاء ١/٤٦٦.

(٨) المائدة ٨٨.

(٩) النحل ١٢٨.

شجاعة العلماء في إسداء النصيحة إلى الخلفاء والأمراء

لفضيلة الشيخ/ فوزي الزفزاف

ما أعظم المجاهدين الذين نطقوا بكلمة الحق عند السلاطين والملوك والحكام والأمراء والولاة فنالوا شرف الجهاد الذي بشرهم به رسول الله ﷺ في حديثه الشريف: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»[1].

لقد سجل التاريخ مواقف كثيرة لهؤلاء العظماء الذين لم ترهبهم سطوة الحكام ولم تخفهم قوة الملوك والأمراء فنطقوا بكل شمم وإباء كلمة الحق، رافضين الجور، معلنين النصيحة بكل صراحة ووضوح، فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وبذلك استحقوا رضا الله ورسوله، وتقدير المسلمين واحترامهم، وتخليد ذكراهم على مر الأزمنة والعصور..

من هؤلاء الحسن البصري ـ رحمه الله ـ فقد عرف بأنه كان عالما يقول الحق ولا يخش فيه لومة لائم، لا يجامل وزيرا ولا ينافق أميرا، فكان قدوة حسنة ومثالا يحتذى لمن يسدى النصيحة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

روى أن عمر بن هبيرة دعا بفقهاء أهل البصرة وأهل الكوفة وأهل المدينة وأهل الشام وقرائها، فجعل يسألهم، وجعل يكلم عامر الشعبي فلا يسأله عن شيء إلا ووجد عنده منه علما.. ثم أقبل على الحسن البصري فسأله، ثم قال: هما هذان: هذا رجل أهل الكوفة ـ يعني الشعبي ـ وهذا رجل أهل البصرة ـ يعني الحسن ـ فأمر الحاجب فأخرج الناس، وخلا بالشعبي والحسن.

فأقبل على الشعبي فقال له: يا أبا عمرو، إني أمين أمير المؤمنين على العراق، وعامله عليها، ورجل مأمور على الطاعة، ابتليت بالرعية ولزمني حقهم، فأنا أحب حفظهم وتعهد مايصلحهم، مع

(1) الطبراني الكبير ٨/٢٢٨، فتح الباري ١٣/٥٣.

النصيحة لهم، وقد يبلغني عن العصابة من أهل الديار الأمر أجد عليهم فيه، فأقبض طائفة من عطائهم فأضعه في بيت المال، ومن نيتي أن أرده عليهم، فيبلغ أمير المؤمنين أني قد قبضته على ذلك النحو، فيكتب إليَّ أن لا ترده، فلا أستطيع رد أمره ولا إنفاذ كتابه، وإنما أنا رجل مأمور على الطاعة.. فهل عليَّ في هذا تبعة وفي أشباهه من الأمور والنية فيها على ماذكرت؟

قال الشعبي: فقلت: أصلح الله الأمير، إنما السلطان والد يخطيء ويصيب، قال: فسر بقولي وأعجب به، ورأيت البشر في وجهه، وقال: فلله الحمد، ثم أقبل على الحسن فقال: ماتقول يا أبا سعيد؟ قال الحسن: قد سمعت قول الأمير يقول: إنه أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها، ورجل مأمور على الطاعة، ابتليت بالرعية ولزمني حقهم والنصيحة لهم والتعهد لما يصلحهم، وحق الرعية لازم لك، وحق عليك أن تحوطهم بالنصيحة، وإني سمعت عبدالرحمن بن سمرة القرشي صاحب رسول الله ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: «من استرعي رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة»[2] ويقول: إني ربما قبضت من عطائهم إرادة صلاحهم واستصلاحهم وأن يرجعوا إلى طاعتهم، فيبلغ أمير المؤمنين أني قبضتها على ذلك النحو، فيكتب إليَّ أن لا ترده فلا أستطيع رد أمره ولا أستطيع إنفاذ كتابه... وحق الله ألزم من حق أمير المؤمنين، والله أحق أن يطاع، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فأعرض كتاب أمير المؤمنين على كتاب الله عز وجل فإن وجدته موافقا لكتاب الله فخذ به، وإن وجدته مخالفاً لكتاب الله فانبذه.. يابن هبيرة اتق الله، فإنه يوشك أن يأتيك رسول من رب العالمين يزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك، فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك، وتقدم على ربك وتنزل على عملك.. يابن هبيرة إن الله ليمنعك من يزيد وليمنعك يزيد من الله، وإن أمر الله فوق كل أمر، وإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله، وإني أحذرك بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين.

فقال ابن هبيرة: أربع على ظلعك أيها الشيخ «أي ارفق على نفسك فيما تحاوله» وأعرض عن ذكر أمير المؤمنين، فإن أمير المؤمنين صاحب العلم وصاحب الحكم وصاحب الفضل، وإنما ولاه الله ـ تعالى ـ ماولاه من أمر هذه الأمة لعلمه به ومايعلمه من فضله ونيته.

(2) مسند الإمام أحمد ٥/٢٧، اتحاف السادة المتقين ٧/٧٦.

فقال الحسن: يا ابن هبيرة، الحساب من ورائك سوط بسوط، وغضب بغضب، والله بالمرصاد، يا ابن هبيرة: إنك إن تلق من ينصح لك فى دينك ويحملك على أمر آخرتك خير من أن تلقى رجلا يغرك ويمنيك.

فقام ابن هبيرة وقد بسر وجهه وتغير لونه:

قال الشعبى: فقلت: يا أبا سعيد، أغضبت الأمير وأوغرت صدره، وحرمتنا معروفه وصلته... فقال الحسن: إليك عنى ياعامر.

قال: فخرجت إلى الحسن التُحف والطُرف، وكانت له المنزلة، واستخف بنا وجفيناه، فكان أهلا لما أدى إليه، وكنا أهلا أن يفعل ذلك بنا... فما رأيت مثل الحسن فيمن رأيت من العلماء إلا مثل الفرس العربى بين المقارف، وما شهدنا مشهدا إلا برز علينا، وقال لله عز وجل، وقلنا مقاربة لهم.

قال عامر الشعبى: وأنا أعاهد الله أن لا أشهد سلطانا بعد هذا المجلس فأحابيه.

إن تاريخ الحسن البصرى حافل بمواقفه العظيمة فى قول الحق، والجرأة على مجابهة الحكام بالصراحة فى الرأى مهما كلفه ذلك من غضبهم عليه، يروى عن ابن عائشة أن الحجاج دعا بفقهاء البصرة وفقهاء الكوفة فدخلنا عليه، وكان الحسن البصرى - رحمه الله - آخر من دخل، فقال الحجاج: «مرحبا بأبى سعيد إلىّ إلىّ»، ثم دعا بكرسى فوضع إلى جنب سريره فقعد عليه، فجعل الحجاج يذاكرنا ويسألنا.. إذ ذكر على بن ابى طالب - كرم الله وجهه - فنال منه ونلنا منه مقاربة له وفرقا من شره، والحسن ساكت عاض على إبهامه.

فقال الحجاج: يا أبا سعيد مالى أراك ساكتا؟

قال الحسن: ما عسيت أن أقول؟

قال الحجاج: أخبرنى برأيك فى ابى تراب، قال الحسن: سمعت قول الله - جل ذكره:

﴿ وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم ﴾[2].

فعلى ممن هدى الله من أهل الإيمان، فأقول: ابن عم النبى - عليه الصلاة والسلام - وختنه على ابنته، وأحب الناس إليه، وصاحب سوابق مباركات سبقت له مع الله لن تستطيع أنت ولا أحد من الناس أن يحظرها عليه، ولا يحول بينه وبينها، وأقول: إن كانت لعلى

(٢) البقرة (١٤٣).

هنات فالله حسبه، والله ما أجد فيه قولا أعدل من هذا.. فبسر وجه الحجاج وتغير وقام عن السرير مغضبا، فدخل بيتا خلفه وخرجنا.

قال عامر الشعبى: فأخذت بيد الحسن فقلت: يا أبا سعيد، أغضبت الأمير وأوغرت صدره.

فقال: إليك عنى ياعامر، يقول الناس: عامر الشعبى عالم أهل الكوفة!! أتيت شيطاناً من شياطين الأنس تكلمه بهواه، وتقاربه فى رأيه، ويحك ياعامر هلا اتقيت أن سئلت فصدقت، أوسكت فسلمت؟

قال عامر: يا أبا سعيد، قد قلتها وأنا أعلم مافيها، قال الحسن: فذاك أعظم فى الحجة عليك وأشد فى التبعة.

قال: وبعث الحجاج إلى الحسن، فلما دخل عليه، قال الحجاج: أنت الذى تقول: قاتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم؟

قال الحسن: نعم.

قال الحجاج: ما حملك على هذا؟

قال الحسن: ما أخذ الله على العلماء من المواثيق:

﴿ لتبيننه للناس ولا تكتمونه ﴾[1].

قال الحجاج: ياحسن أمسك عليك لسانك، وإياك أن يبلغنى عنك ما أكره فافرق بين رأسك وجسدك.

رحم الله الحسن البصرى، فقد كان عدلا فى شهادته، قويا فى إيمانه، يخشى الله فى أقواله وأفعاله.

وسجل العظماء من العلماء الذين أسدوا النصيحة إلى الخلفاء والأمراء، والحكام والولاة، غير خائفين ولا مترددين، حافل بأسماء الكثير منهم فى كل زمان ومكان.

دخل عطاء بن أبى رباح «على عبدالملك ابن مروان - وهو جالس على سريره حوله الإشراف من كل بطن وذلك بمكة فى وقت حجه فى خلافته - فلما بصر به قام إليه وأجلسه معه على السرير، وقعد بين يديه وقال له: يا أبا محمد، ما حاجتك؟

فقال عطاء: يا أمير المؤمنين، اتق الله فى حرم الله وحرم رسوله فتعاهده بالعمارة، واتق الله فى أولاد المهاجرين والأنصار، فإنك بهم جلست المجلس، واتق الله فى أهل الثغور فإنهم حصن المسلمين، وتفقد أمور المسلمين، فإنك وحدك المسئول عنهم، واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولاتغلق بابك دونهم.. فقال له: أجل أفعل، ثم نهض عطاء وقام. فقبض عليه عبدالملك فقال: ياأبامحمد إنما سألتنا حاجة. لغيرك، وقد قضيناها، فما حاجتك أنت؟

(١) آل عمران (١٨٧).

فقال عطاء: مالي إلى مخلوق حاجة ثم خرج، فقال عبدالملك: هذا وأبيك الشرف!!

وروى أن الوليد بن عبدالملك قال لحاجبه يوماً: قف على الباب فإذا مر بك رجل فأدخله علىّ ليحدثني.

فوقف الحاجب على الباب مدة فمر به عطاء بن أبي رباح- وهو لايعرفه- فقال له: ياشيخ ادخل إلى أمير المؤمنين فإنه أمر بذلك، فدخل عطاء على الوليد وعنده عمر بن عبدالعزيز، فلما دنا عطاء من الوليد قال: السلام عليك ياوليد!.

فغضب الوليد على حاجبه وقال له: ويلك، أمرتك أن تدخل إلىّ رجلا يحدثني ويسامرني فأدخلت إلى رجلا لم يرض أن يسميني بالاسم الذي اختاره الله لي.

فقال له حاجبه: ما مرّ بي أحد غيره.

ثم قال الوليد لعطاء: اجلس، ثم أقبل عليه يحدثه، فكان فيما حدثه به عطاء أن قال له: بلغنا أن في جهنم وادياً يقال له هبهب أعده الله لكل إمام جائر في حكمه.

فصعق الوليد من قوله، وكان جالساً بين يدى عتبة باب المجلس فوقع على قفاه إلى جوف المجلس مغشياً عليه.

فقال عمر بن عبدالعزيز لعطاء: قتلت أمير المؤمنين.

فقبض عطاء على ذراع عمر بن عبدالعزيز فغمزه غمزة شديدة وقال له: ياعمر إن الأمر جد فجد.

ثم قام عطاء وانصرف. فحكى عن عمر بن عبدالعزيز- رحمه الله- أنه قال: مكثت سنة أجد ألم غمزة عطاء في ذراعي.

وروى عن ضبة بن محصن العنزى قال: كان علينا أبوموسى الأشعرى أميراً بالبصرة، فكان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ، وأنشأ يدعو لعمر- رضي الله عنه-.

قال: فغاظني ذلك منه، فقمت إليه فقلت له: أين أنت من صاحبه تفضله عليه؟

فصنع- أبوموسى- جمعا، ثم كتب إلى عمر يشكوني يقول: إن ضبة بن محصن العنزى يتعرض لي في خطبتي.

فكتب إليه عمر: أن اشخصه إلىّ.

قال: فأشخصني إليه، فقدمت فضربت عليه الباب، فخرج إلىّ فقال: من أنت؟

فقلت: أنا ضبة.

فقال لي: لا مرحباً ولا أهلاً.

قلت: أما المرحب فمن الله، وأما الأهل فلا أهل لي ولامال، فبماذا استحللت ياعمر إشخاصي من مصرى بلا ذنب أذنبه ولاشئ أتيته؟

فقال: ماالذى شجر بينك وبين عاملي؟

قال: قلت: الآن أخبرك به، إنه كان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم أنشأ يدعو لك، فغاظني ذلك

منه، فقمتُ إليه فقلت له: أين أنت من صاحبه تُفضله عليه، فصنع ذلك جمعاً، ثم كتب إليك يشكوني..

قال: فاندفع عمر -رضي الله عنه- باكياً وهو يقول: أنت والله أوفق منه وأرشد، فهل أنت غافر لي ذنبي يغفر الله لك؟.

قال: قلتُ: غفر الله لك يا أمير المؤمنين.

قال: ثم اندفع باكياً وهو يقول: والله لليلةٌ من أبي بكر ويومٌ خير من عمر وآل عمر، فهل لك أن أحدثك بليلته ويومه؟.

قلت: نعم.

قال: أما الليلة فإن رسول الله ﷺ لما أراد الخروج من مكة هارباً من المشركين خرج ليلاً فتبعه أبوبكر، فجعل يمشي مرة أمامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره، فقال رسول الله ﷺ: «ما هذا يا أبا بكر؟. ما أعرف هذا من أفعالك؟».

فقال: يا رسول الله، أذكر الرصد فأكون أمامك، وأذكر الطلب فأكون خلفك، ومرة عن يمينك، ومرة عن يسارك.. لا آمن عليك.

قال: فمشى رسول الله ﷺ ليلته على أطراف أصابعه حتى حفيت، فلما رأى أبو بكر أنها حفيت حمله على عاتقه وجعل يشتد به حتى أتى فم الغار فأنزله، ثم قال: والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله، فإن كان فيه شيء نزل بي قبلك، قال: فدخل فلم ير فيه شيئاً فحمله فأدخله، وكان في الغار خرق فيه حيّات وأفاعٍ، فألقمه أبو بكر قدمه مخافة أن يخرج منه شيء إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فيؤذيه، وجعلن يضربن أبا بكر في قدمه، وجعلت دموعه تنحدر على خدّيه من ألم ما يجد، ورسول الله ﷺ يقول له: «أبا بكر لا تحزن إن الله معنا، فأنزل الله سكينته عليه والطمأنينة لأبي بكر. فهذه ليلته».

وأما يومُه: «فلما توفي رسول الله ﷺ ارتدت العرب، فقال بعضهم: نصلي ولا نزكي، فأتيته لا آلوه نصحاً فقلت: يا خليفة رسول الله ﷺ تألف الناس وارفق بهم.

قال لي: أجبار في الجاهلية خوّار في الإسلام؟. فبماذا أتألفهم؟. قُبض رسول الله ﷺ وارتفع الوحي، فو الله لو منعوني عقالاً كانوا يعطونه رسول الله ـ ﷺ ـ لقاتلتهم عليه، قال: فقاتلنا عليه، فكان والله رشيد الأمر. فهذا يومه».. ثم كتب إلى أبي موسى يلومه.

***

﴿ فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين).

● **اطلعنا على الطلب - المقيد برقم ٨٩٩ لسنة ٢٠٠٣م.**

المتضمن: هل يجوز للمرأة المسلمة لبس التنانير والقمصان الواسعة أم يجب عليها أن تلبس الجلباب أو العباءة؟

●● **الجواب :**

الزى الشرعى المطلوب من المرأة المسلمة هو أى زى لا يصف مفاتن الجسد ولا يشف ولا يكون ضيقاً، وبحيث يستر الجسم كله ما عدا الوجه والكفين، فإذا انطبقت هذه الشروط على أى زى جاز للمرأة المسلمة أن ترتديه وتخرج به.

ومما ذكر تعلم الجواب عما جاء بالسؤال إذا كان الحال كما ورد به.

.. والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم

● **كنت أعمل فى المملكة العربية السعودية لمدة ٦ سنوات وبالتحديد فى مكة المكرمة وعندما: كنت أنزل أجازة سنوية أقوم بعمل طواف الوداع، إلا أنه عندما قررت إنهاء عقدى هناك وفى زحمة إنهاء أوراقى نسيت القيام بعمل طواف الوداع عن غير قصد بالرغم من قيامى قبلها بيومين بعمل عُمرة .. فهل علىَّ ذنب فى هذا النسيان؟**

●● **الجواب :**

اتفق فقهاء الشريعة الإسلامية على أن طواف الوداع مشروع لما رواه مسلم وأبوداود عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان الناس ينصرفون فى كل وجه، فقال النبى ﷺ: «لا ينفر أحدكم حتى يكون آخر عهده بالبيت» إلا أن الفقهاء قد اختلفوا فى حكمه:

فقال الإمام مالك وداود وابن المنذر إنه سنة لا يجب بتركه شئ وهو قول للإمام الشافعى.

وقال الإمام أبى حنيفة والإمام أحمد إنه واجب ويلزم بتركه دم وفى رواية عن الإمام الشافعى.

وبناء عليه وفى واقعة السؤال:

وحيث أن السائل ترك طواف الوداع عن غير قصد أو عمد فليس عليه شيء وعُمرته صحيحة. لقول الرسول ﷺ: «رُفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه».

ومما سبق يُعلم الجواب .. والله سبحانه وتعالى أعلم

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
أحمد الطيب
مفتى جمهورية مصر العربية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

● **اطلعنا على الطلب الوارد إلينا والمقيد برقم ٨٤٧ لسنة ٢٠٠٣م المتضمن: هل يجوز للجد أن يعطى زكاة الفطر لحفيده؟**

●● **الجواب :**

الجمهور من الفقهاء على أنه لا يجوز دفع الزكاة من الأصول لفروعهم ولا من الفروع لأصولهم.

وعلى ذلك وفى واقعة السؤال:

فلا يجوز للسائل أن يعطى زكاة الفطر لحفيده على ما ذهب إليه جمهور من الفقهاء وإنما يجوز له أن يتصدق أو يتبرع لحفيده بما شاء من أمواله.

.. والله سبحانه وتعالى أعلم

● **هل توجد شروط لعدم صلاة الجماعة خلف إمام معين وموقف الفرد إزاء حضوره لجماعة يتقدم شخص يعرف عنه بعض الصفات غير الحميده مثل كونه مشهوراً بالكذب.**

●● **الجواب :**

من المقرر شرعاً أن صلاة الجماعة تكون صحيحة خلف من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ وأقر بأركان الإسلام ولكنه يقدم فى الإمامة على غيره الأقرأ لكتاب الله ثم الأعلم بالسنة ثم الأكبر سناً لقوله ﷺ: «يؤم القوم أقرأهم لكتاب الله فإن كانوا سواء فأعلمهم بالسنة فإن كانوا فى السنة سواء فأقدمهم هجرة فإن كانوا فى الهجرة سواء فأقدمهم سناً» رواه أحمد ومسلم.

وفى واقعة السؤال وبناء على ما سبق فإن الصلاة خلف إمام أشتهر بالكذب صحيحة لقوله ﷺ: «الصلاة المكتوبة واجبة خلف كل مسلم باراً كان أو فاجراً وإن عمل الكبائر» رواه أبوداود والدراقطنى. ويفضل فى الإمام أن يكون من أهل التقوى والصلاح وأن يكون قدوة حسنة لغيره وأن يراعى مقام وجلال ما يؤديه من عبادة.

ومما ذكر يُعلم الجواب عن السؤال .. والله سبحانه وتعالى أعلم

ترسل الاستفتاءات إلى العنوان التالى: مجلة الأزهر - مدير التحرير - بريد رابعة العدوية - مدينة نصر

من رواد العلم العربى الحديث

محمود مختار عبدالرحيم

للأستاذ الدكتور
أحمد فؤاد باشا

ولد محمود مختار عبدالرحيم بالقاهرة فى ١٩ / ١٢ / ١٩٠٧م ، وبدأ حياته التعليمية فى مدرسة أولية بحى العباسية ، ثم التحق بمدرسة خليل أغا الابتدائية بحى الأزهر ، ويقول بكلماته : «فى هذه المدرسة شاهدت مظاهرات ثورة ١٩١٩ واشتركت فيها ، ثم التحقت بعد ذلك بمدرسة الزقازيق الثانوية بالقسم الداخلى ، وفى هذه المدرسة كانت أمنيتى عند تخرجى أن أصبح مدرسا لعلم "الفيزياء" مثل أستاذى الذى غرس فىّ حب هذا العلم ، وهو الأستاذ غباشى ، وفى عام ١٩٢٥م حصلت على "البكالوريا" - الثانوية العامة حاليا - وكنت أول خريجى المدرسة ، كما حصلت على الدرجة النهائية فى علم "الفيزياء"» .

ويواصل العالم الجليل محمود مختار حديثه عن مشوار حياته التعليمية قائلا : «وفى سبتمبر عام ١٩٢٥م أعلنت الجامعة المصرية - جامعة القاهرة حاليا - عن إنشاء كلية للعلوم لتساير النهضة العلمية العالمية فى التعليم الجامعى ، وأعدت لذلك كل ما تطلبه هذا الأمر من الاحتياجات ومن أهمها تعيين أساتذة ممتازين من جامعات أوروبية عريقة وكانوا من السويد وانجلترا والنمسا ، بالإضافة إلى عدد من الأساتذة المصريين ومنهم : أحمد زكى وعلى مصطفى مشرفة ومحمد ولى وحفناوى ، كما تم تأسيس المعامل والمدرجات فى المبانى الملحقة بسراى الزعفران بالعباسية ، وعند بدء الدراسة بالكلية كانت هناك مفاجأة أمام مدير الجامعة أحمد لطفى السيد حينما علم أن الذى تقدم للدراسة بالكلية طالب واحد فقط يدعى أنطون شاكر ، ورأى مدير الجامعة أن يتدارك الأمر بعمل جاد ، فكتب للكليات الأخرى وهى الطب والزراعة والهندسة والمعلمين بتحويل خمسة من أوائل الطلبة المتقدمين لكل كلية ليدرسوا بكلية العلوم وليصبحوا نواة لها ، واستجاب عمداء الكليات لنداء مدير الجامعة وتم تحويل ٢٥ طالبا إلى كلية العلوم وقد كنت من بينهم ، وفى عام ١٩٢٩ ، حصلت على بكالوريوس العلوم فى الفيزياء والرياضيات بمرتبة الشرف ضمن أول دفعة تخرجت وكان عددهم ٢٢ طالبا ، وقد فضلت العمل معيدا بقسم الفيزياء ، ثم تدرجت فى وظائف التدريس الجامعى إلى مدرس مساعد بعد أن حصلت على درجة الماجستير عام ١٩٣٥ ، ثم أوفدت فى بعثة إلى انجلترا فى أواخر عام ١٩٣٧م وحصلت على درجة الدكتوراة فى يونيو عام ١٩٣٩ بعد عشرين شهرا فقط ، ثم عدت إلى مصر مع بداية الحرب العالمية الثانية وتدرجت فى سلم الترقى بكلية العلوم جامعة القاهرة وكنت أول رئيس مصرى لقسم الفيزياء بها لمدة ١٨ عاما بداية من عام ١٩٤٩م ، وعينت بعد ذلك وكيلا للكلية ثم عميدا حتى بلغت السن القانونية فى عام ١٩٦٧ فاختارتنى الجامعة الأمريكية بالقاهرة أستاذا لكرسى الفيزياء بها مع احتفاظى بعملى بجامعة القاهرة كأستاذ غير متفرغ» ، وظل الدكتور محمود مختار أستاذا متفرغا بكلية العلوم جامعة القاهرة حتى وفاته فى أوائل يناير عام ٢٠٠٣م .

أهم إنجازاته ومآثره العلمية

١ - قام الدكتور محمود مختار أثناء عمله بكلية العلوم منذ تخرجه عام ١٩٢٩ وحتى عام ١٩٣٧ بإجراء بحوث فى مجال الصوتيات ، ولما كانت الموسيقى هى النواة الأولى للدراسات الصوتية بصفة عامة ، وكان محبا للموسيقى ، فقد شارك الدكتور على مصطفى مشرفة فى إجراء بحوث لتحديد ترددات السلم الموسيقى الشرقى من الواقع السماعى بهدف تقنينه وتخليصه من الصفة السماعية التى لازمته وملأته بالشوائب ، ثم أجريت مواءمة بين هذه الترددات وترددات السلم الموسيقى الغربى خلصت إلى صلاحية السلم الموسيقى المعدّل لعزف جميع مقامات الموسيقى الشرقية بعد إضافة ربُع نغمة فى موضعين محدودين من السلم ، وبهذه البحوث أصبح وجود هذا الربع نغمة إحدى مميزات السلم الموسيقى الشرقى . كذلك أجريت بحوث فى الآلات الموسيقية الفرعونية ، وقد نشرت نتائج هذه الدراسات فى مجالات علمية محلية وعالمية ، منها مجلة Nature بلندن عام ١٩٣٩م .

وفى انجلترا أثناء البعثة أجرى محمود مختار بحوثا فى مجال فوق الصوتيات بجامعة درهام وتناولت هذه البحوث فتح الطريق لعمل الاتصالات بفوق الصوتيات فى جوّ رطب ، ومن هنا اعتبرت هذه البحوث ذات أهمية حربية فمنع نشرها

أثناء فترة الحرب العالمية ونشرت بعد ذلك، في نهاية عام ١٩٤٥م، في أكبر المجلات العلمية، وبعد عودته إلى مصر أنشأ أول مدرسة بحثية في علم فوق الصوتيات على مستوى المدارس المماثلة في الدول المتقدمة، وتناولت بحوث هذه المدرسة دراسة امتصاص الصوت وممانعته وانتشاره وطرق قياسه في الأجواء المختلفة كالصحارى والأجواء العاصفة والجافة.

وأنشأ الدكتور محمود مختار مدرسة بحثية أخرى بالمركز القومي للبحوث تعتني بالنواحي التطبيقية في مجال استخدام فوق الصوتيات في الطب والبيولوجيا، وتخرج في المدرستين عدد كبير من الباحثين قاموا بدورهم بإنشاء مدارس بحثية في عدد كبير من الجامعات والهيئات العلمية في مصر والعالم العربي.

٢- بمولد عصر الطاقة الذرية أسهم الدكتور محمود مختار عبدالرحيم في أعمال أول لجنة عُهد إليها بإنشاء مؤسسة الطاقة الذرية في مصر للاستخدامات السلمية، وكان اهتمامه موجها نحو وقاية العاملين من أخطار الأشعة النووية، فأسهم في وضع قانون رقم ٥٩ لسنة ١٩٦٠م لشئون الوقاية من الإشعاع، واستلزم تنفيذ القانون إنشاء دبلوم تخصصي بكلية العلوم جامعة القاهرة لتأهيل العاملين بالأشعة وإقامة مدرسة بحثية بالمركز القومي للبحوث والمركز الإقليمي للنظائر المشعة للدول العربية، وقد أسفرت هذه الجهود عن نتائج مهمة في مجال الإشعاعات المؤينة وامتصاصها وقياس ومعايرة أجهزتها، وأثمرت إنشاء المعهد القومي للقياس والمعايرة بأكاديمية البحث العلمي.

٣- اهتم الدكتور محمود مختار اهتماما كبيرا بتعريب العلوم والتدريس في الكليات العلمية باللغة العربية، فقام بتأليف وترجمة حوالي ٣٢ كتابا علميا أو دراسيا أو مرجعيا أو ثقافيا «منفردا أو بالاشتراك»، وأسهم بالعديد من المقالات والأحاديث الإذاعية لتبسيط العلوم ونشر الثقافة العلمية، وفي مجال تحقيق التراث العلمي الإسلامي قام بمراجعة تحقيق كتاب «تنقيح المناظر» لكمال الدين الفارسي موضحا تجلي شخصية الفارسي العلمية في ناحيتين مهمتين:

الأولى: الشرح والتنقيح والتصحيح لبعض مباحث ابن الهيثم في «المناظر» أو التعليق عليها.

والثانية: ما أضافه الفارسي نفسه إلى علم الضوء ونظرياته وتطبيقاته من إضافات جديدة جديرة بأن تعد خطوات كبيرة في تقدم هذا العلم. وأوضح الدكتور محمود مختار أن آراء ابن الهيثم والفارسي في الضوء كان لها آثار واضحة على علماء الغرب الذين اتخذوا منها أساسا لدراساتهم ومباحثهم في علم الضوء، من أمثال: بيكون الأيرلندي (١٢١٤ - ١٢٩٤م)

الذي اهتم اهتماما خاصا بدراسة العدسات ومهد لفكرة تركيب التلسكوب، و«فيكو» البولندي الراهب الذي اشتهر بكتابه في علم الضوء «وقد نشر بعد وفاته في عام ١٢٧٠م»، وقد سجل فيه أنه نهج منهج كتابين: أحدهما لبطليموس، والآخر لمؤلف عربي ذكره باسم لاتيني محرّف هو «الهازن» Alhazen وقد ظهر فيما بعد أنه يقصد الحسن بن الهيثم.

وتم اختيار الدكتور محمود مختار خبيرا بمجمع اللغة العربية عام ١٩٦٢م، ثم عضوا عاملا عام ١٩٧٤م، وأسهم في إخراج عدد من المعاجم العلمية المتخصصة في الرياضيات والفيزياء والحاسبات الإلكترونية.

وكان الدكتور محمود مختار عضوا في عدة هيئات دولية منها الاتحاد الدولي للفيزياء البحتة والتطبيقية واللجنة الدولية للصوتيات واللجنة الدولية لتعليم الفيزياء، كما أسهم في إنشاء، وشارك في أنشطة العديد من الجمعيات واللجان والهيئات العلمية على المستويين المحلي والقومي.

وإزاء هذا التاريخ العلمي الحافل بالإنجازات نال الدكتور محمود مختار جائزة الاستحقاق عام ١٩٥٦م، وجائزة العلوم والفنون من الطبقة الأولى عام ١٩٨١م، وجائزة الدولة التقديرية في العلوم لعام ١٩٨٧م، وقد رصد ريعها لثلاث جوائز مالية تحمل اسمه وتمنح سنويا للطلاب المتفوقين في علم الفيزياء، كما كرمته جامعة القاهرة بإطلاق اسمه على أحد المدرجات بقسم الفيزياء بكلية العلوم، وكرمته في احتفالها بعيد العلم في ٢١ ديسمبر ٢٠٠٢ - قبل وفاته بأسبوعين - باعتباره أحد أبنائها الرواد الذين أسدوا خدمات جليلة للعلم والوطن.

رحم الله أستاذنا الجليل.. بقدر ما أعطى وعلم.. في صمت وصبر. فقدر العلماء دائما أن يعملوا بدافع الإيثار ونكران الذات، بعيدا عن الجلبة والضوضاء، إيمانا منهم بأن العلم النافع فريضة واجبة الأداء، موجّهة إلى الإنتاج والعمل لما فيه خير البلاد والعباد.. فاللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنا بعدهم، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

المراجع:

١- العلميون. مجلة دورية تصدرها نقابة المهن العلمية. العدد ١٧، نوفمبر ١٩٩٧م.

٢- تاريخ الحركة العلمية في مصر الحديثة، الجزء الخامس: الفيزيقا، أكاديمية البحث العلمي، ١٩٩٠م.

٣- كتاب تنقيح المناظر لذوي الأبصار والبصائر، كمال الدين أبي الحسن الفارسي، تحقيق وتقديم/ مصطفى حجازي، مراجعة/ دكتور محمود مختار، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

القيم التربوية فى الإسلام

للأستاذ / محمد مصطفى البسيونى

كان من تكريم المولى - عز وجل - لبنى آدم أن جعل الإسلام الحنيف يعنى بتربية الإنسان الذى خلقه وعدله وفق علمه سبحانه بما يتفق مع عناصر تكوين هذا الإنسان ومقومات شخصيته وكيف يقوم إذا اعوج ويعالج إذا انحرف.

فبدهى دون استدلال أن صانع الصنعة أدرى بصنعته، وأولى بتعهدها ورعايتها، وأعلم بمواطن صلاحها وفسادها:

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾(١)

وعناية المولى - سبحانه - بتربية الإنسان أمر شأنه شأن كل ما يتعلق بالأمور الإلهية بدهى تدركه العقول البصيرة، والبصائر النيرة إذ خلقه الله خليفة فى الأرض يعمرها بما وهبه الله الوهاب من خصائص وقدرات تتفق مع رسالة العمران التى برأه الله من أجلها.

ومن ثمة فقد اقتضت حكمته سبحانه أن يهيئ للإنسان الأساليب التربوية التى تعينه على أداء ما خلقه الله من أجله إذ لم يخلق الإنسان عبثاً أو يلقى به فى الأرض - كما تدعى بعض الفلسفات التى لا تبحث عن الحقيقة بقدر ما تطمسها طمساً فى عتو وضلال - إنما خلق الإنسان لرسالة. تتسق والنفخة الآلهية التى نفخها الله فيه منذ خلقه وأمر الملائكة بعد هذه النفخة المقدسة - وليس قبلها - أن يسجدوا لهذا المخلوق الذى كرمه الخالق - عز وجل - وحمله فى البر والبحر وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً.

ولما كان الإنسان قد حدد له الدور الذى ينبغى أن يؤديه فى هذه الحياة فقد شاءت حكمة الخالق العليم أن يبدع له منهاجاً تربوياً إذا أخذ به وسار عليه واتبعه نجح فى أداء دوره العمرانى الخطير حتى لا يكون للإنسان حجة بعد ذلك حين يسأل يوم الحساب عن مدى قيامه بهذا الدور:

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) ﴾(٢)

(١) الملك (١٤).

(٢) الزلزلة (٧، ٨).

فيالها من حكمة إلهية معجزة، إذ خلق الله الإنسان وكرمه بنفخة من روحه، ومن قبل حدد له رسالته العمرانية فى الأرض، ومهد له سبل الحياة فيها قبل أن يوجد، ثم لم يتركه يتخبط فى هذه الحياة بل أوحى إليه رسالته التى خلق من أجلها، واقتضت رحمته به أن يهديه إلى المنهاج التربوى الذى يحقق الاتساق والتفاعل بين قدراته البشرية وبين ما يحيط به من ظواهر وأشياء.

ولكى يتفهم الإنسان قيمة نفسه أمام الحق والخلق جميعا، أراد الله - سبحانه - أن يتق الإنسان أن حياته فى الأرض وجهده فى العمران لن يضيع سدى إنما مرجعه إلى حساب وجزاء:

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾(٣).

والفطرة السليمة تدرك تماماً أن حساب القيامة تكريم للإنسان، وليس إهانة له، وهو تمجيد للمرء وليس تهديداً له.

ذلك هو حكم الفطرة الصادقة، أما الذين حرموا نعمة هذه الفطرة النقية فإنهم لا يدركون أهمية يوم الدين فى تقدير الإنسان وعناية الله به، ومن ثمة كرهوا ذلك اليوم بل تجاهلوه فجهلوه، ومنهم - والعياذ بالله - من أنكره نكرانا، وكفر به كفرانا، ومن هنا استحق غضبه على نفسه وغضب الله عليه.. لكل هذا عنى الإسلام بتربية الإنسان الذى أراد الله به خيرا فشرح صدره للإسلام.

ولعل من المفيد بادئ بدء أن تحدد فى هذا السياق مفهومه كلمة «تربية»، فهى فى اللغة العربية مأخوذة من «ربا» يربو، بمعنى ينمو أو يزيد.

وقد ورد لفظ التربية فى القرآن الكريم فى موضعين: أحدهما فى سورة الإسراء حيث يقول - تعالى - وهو يحث الإنسان على البر بوالديه:

﴿ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾(٤)

والثانى فى سورة الشعراء حيث يقول - تعالى - على لسان فرعون وهو يخاطب موسى عليه السلام:

﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾(٥).

والإسلام يعنى بتربية الفرد وتربية المجتمع جميعا، إذ العلاقة بينهما هى علاقة تأثير وتأثر، فإذا قلنا «تربية إسلامية» كان معنى ذلك تربية ملكات الفرد وقدراته على اختلافها من أجل بلوغ كماله النفسى والعقلى، وكذلك تنمية قدرات المجتمع من أجل تحقيق تطور أفضل وتقدم اجتماعى أكمل، وفق قيم الإسلام.. ويالها من قيم.

(٣) المؤمنون (١١٥).

(٤) الإسراء (٢٤).

(٥) الشعراء (١٨).

ولا يصح فى الإسلام أن تقتصر التربية على تلقين الإنسان المعلومات واكتسابه المهارات التكنولوجية، وإنما هى تهدف إلى أبعد من ذلك، فهى سعى إلى تهذيب الأخلاق، وتدريب الفرد على محاولة الحصول على المعلومات بجهده حتى تتأكد إيجابيته فى الحياة.

ولما كان لكل فلسفة تربوية قيم، فإننا نجد فلسفة التربية فى الإسلام تستند إلى عدة قيم منها:

● «قيم التوحيد»، وما تستتبعه هذه القيمة من العقائد الإيمانية الأخرى، وقد واجه الإسلام بالتوحيد القيم المنحرفة التى كانت سائدة فى المجتمع الجاهلى آنذاك كالشرك والوثنية وعبادة الكواكب والإيمان بالتنجيم والطيرة وما إليها.

وللإيمان بوحدانية الله رسالة أخلاقية فردية واجتماعية معا، ولك - بل عليك - أن تتأمل هنا توجيهات الرسول ﷺ «لا إيمان لمن لا أمانة له»(٦)، «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»(٧)، «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا»(٨)، والشواهد النقلية على ارتباط الإيمان بالأخلاق الفردية والاجتماعية أكثر من أن تحصى.

● وهناك أيضا «قيمة العلم» التى هى عماد كل تقدم حضارى، وفى هذه المناسبة لا ينبغى أن تقصر العلم فى الإسلام على العلم بأحكام الدين وآدابه، زاعمين أنه لا شأن للإسلام بالعلم الكونى أو المادى، ذلك أن الإسلام جاء شاملا لكافة ضروب النشاط الإنسانى.

ولا نستطيع أن نقف أمام الأمر:

﴿ اقْرَأْ ﴾(٩) الذى بدأ به القرآن الكريم هذه الوقفة المحدودة التى تأخذ ببعض العلم دون البعض الآخر.

● ومنها البحث الكونى، وقد أمر الإنسان كما قلنا بتعمير هذا الكون المسخر له، وذلك يعنى فى نفس الوقت أن الكون المشاهد خاضع لإدراكه وبحثه، وأن ظواهره ليست بالشىء المبهم الغامض الذى لا يفسر، وأن بمقدور الإنسان الاستفادة من الكون واستغلال خيراته على أوسع نطاق لتأمين حياته ومعيشته فى الدنيا مهاداً للآخرة، وتأمل المعنى فى قوله تعالى:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾(١٠).

وتوجيه القرآن الكريم فى هذا الصدد هو فى نفس الوقت تأكيد على روح المنهج العلمى الصحيح الذى يرفع الإنسان إلى محاولة استكشاف المجهول، واستكناه المعلوم من هذا الكون وظواهر على أساس من الثقة

(٦) مسند الإمام أحمد ٣/١٣٥، ١٥٤، ٢١٠.
(٧) البخارى ١/١٠، سنن النسائى ٨/١١٥، ١٢٥.
(٨) مسند الإمام أحمد ٢/٢٥٠، ٤٧٢، ٥٢٧.
(٩) العلق (١).
(١٠) الجاثية (١٣).

بقدرة الإنسان المستمدة من قدرة الله ـ عز وجل ـ وكذلك بقوة العلم المستمدة من توفيق الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى مواجهة الطبيعة:

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾(١١)

ولهذا ذهب فقهاء الإسلام إلى أن الصناعات المادية فروض كفاية، وهى تقوم على أساس العلم المادى، فعلوم الطبيعة والكيمياء والحياة والطب والهندسة والزراعة وغيرها لازمة للمجتمع، ودراستها عبادة لله ـ تعالى ـ وهى أيضا فروض كفاية، وقد قال بعض الفقهاء فى ذلك: إن هذا يدل على عمق النظرة، وأنه يتعين على ولى الأمر أن يدبر الصناعات اللازمة للمسلمين، والتى يؤدى فقدان أى منها إلى حرج للمسلمين، وما أعمق المعنى فيما يقوله حجة الإسلام الإمام الغزالى فى «إحياء علوم الدين»: «أما فرض الكفاية - من العلوم المحمودة - فهو كل علم لا يستغنى عنه فى قوام أمور الدنيا كالطب إذ هو ضرورى فى حاجة بقاء الأبدان، وكالحساب فإنه ضرورى فى المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرها. وهذه هى العلوم التى لو خلا البلد ممن يقوم بها حرج أهل البلد، فلا يتعجب من قولنا إن الطب والحساب فروض الكفايات، فإن أصول الصناعات أيضا من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة... إلخ».

وإذا كانت بعض المذاهب الفلسفية المعاصرة تمجد العلم، وترى أنه من خدمة المجتمع فقد سبقها الإسلام، حيث كتب الخليفة عمر بن عبدالعزيز ـ رضى الله عنه ـ إلى أبى بكر بن حزم يقول «أنظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه فإنى خفت على دروس العلم (أى ذهاب أثره) وذهاب العلماء، وليفشوا (أى العلماء) العلم، وليجلسوا له حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرا».

ومن هنا تقضى التربية الإسلامية بأن العلم ليس حظ أفراد فقط، وإنما هو لنفع المجتمع أيضا، وعلى العلماء أن ينشروا العلم، حتى يستفيد منه الناس جميعاً، فإن لم يفعلوا ذلك هلك العلم، وهذا يناقض رسالة العمران التى خلق الله الإنسان من أجلها.

وتأمل المعنى فى قوله تعالى::

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١٢).

وفى قوله تعالى:

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾(١٣) حيث عمق الدلالة ووضوح الإشارة إلى أن العلم لا يقف عند حد معين وعلى الإنسان أن يستزيد منه يوما بعد يوم.

(١١) البقرة (٢٨٢).
(١٢) الزمر (٩).
(١٣) طه (١١٤).

● ومن قيم التربية الإسلامية : حرية الفكر ، التى تنفى مجرد التقليد والجمود الفكرى ، وقد نهى القرآن الكريم المسلمين عن التقليد لمجرد التقليد فى آيات كثيرة نذكر منها قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾(١٤) .

ويقرر القرآن أن أولئك الذين عطلوا حواسهم وعقولهم ، وركنوا إلى المحاكاة العمياء كالأنعام بل هم أضل سبيلا ، يقول تعالى :

﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾(١٥) .

وكثيراً ما تحدى القرآن الكريم أولئك المقلدين للعقائد الباطلة الموروثة بمثل قوله سبحانه :

﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾(١٦) .

ولقد كان تحرر الفكر من قيوده فى الإسلام وراء تقدم المسلمين ، فمن هذا المنطلق اعتد علماء الإسلام بالعقل ودوره حتى فى مجال استنباط الأحكام الشرعية ، ألا تذكر قول معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ لرسول الله ﷺ حين بعثه إلى اليمن قاضيا : «أجتهد رأيى لا آلو» .

أما فلاسفة الإسلام وعلماؤه الذين بنى الإسلام حضارته على أيديهم - تلك الحضارة التى كان لها أكبر الأثر فى تاريخ الحضارة الإنسانية - فقد كانوا جميعا على وعى تام بضرورة إطلاق العقل فى كل اتجاه ، ولم يضعوا قيدا على نشاطه ، كما رسموا له منهجا فى البحث يصل به إلى الحقائق العلمية . . وحسبنا أن نشير هنا إلى منهج الحسن بن الهيثم الذى كان له السبق على منهج فرنسيس بيكون التجريبى ، وعلى ما صرح به روجر بيكون قبله من أنه استفاد من المنهج التجريبى عند العرب ، وكان من مفكرى القرن الثالث عشر الميلادى ، كما كان مترجما فى بلاط فردريك الثانى لعلوم العرب وفلسفتهم .

ولقد أدت حرية الفكر عند المسلمين إلى استفادتهم من تجارب الأمم الأخرى ، ولو استقرأنا مسيرة الحضارة الإسلامية لوجدناها كانت تقوى وتزدهر حين كان المسلمون مؤمنين بالاستفادة فى مجال العلوم من تجارب الأمم الأخرى كما حدث

(١٤) البقرة (١٧٠).
(١٥) الأعراف (١٧٩).
(١٦) الأنعام (١٤٨).

مثلا فى العصر العباسى حين شجع الخلفاء الترجمة ، وجعلوها سياسة مرسومة للدولة فنقلوا إلى اللغة العربية خلاصة تجارب الحضارة اليونانية وغيرها ، فلما ركن المسلمون فى عصورهم المتأخرة إلى التقليد ، وأهملوا دراسة العلوم الكونية ، اضمحلت أحوالهم السياسية والاقتصادية والعمرانية بل والاجتماعية بوجه عام ، وتفوق عليهم غيرهم بما اكتشفوه من أسرار الطبيعة ، واستحدثوه من مكتشفات علمية غيرت مجرى التاريخ ، وعند ذلك وجد الاستعمار مرتعا خصبا فى كثير من البلاد الإسلامية ، بما صاحب هذا الاستعمار أو بمعنى أصح الاستخراب - من الاستغلال لشعوب هذه البلاد . . وما ذلك إلا لانغلاق المسلمين زمنا طويلا عما كان يجرى فى الغرب من نهضة وتقدم علمى وفكرى وكلها أمور متوارثة عن الحضارة الإسلامية .

● ومن أسس التربية الإسلامية قيمة العمل : والعمل فى الحقيقة مبدأ فطرت عليه النفس الإنسانية ، قال تعالى :

﴿ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾(١٧) كما قال سبحانه :

﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾(١٨)

ويقضى الإسلام بأن العمل عبادة ، وهى معيار لتفاضل الناس قال تعالى :

﴿ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(١٩) .

وفرض الإسلام للعمل فروضا منها : أن يكون طيبا نافعا للفرد والجماعة . . وغنى عن البيان أن العمل هو من أسمى الفضائل لأنه يؤكد للإنسان ثقته بنفسه وشعوره بكيانه وإحساسه بنعمة الله عليه ، كما أنه يحرر الإنسان من رق الاعتماد على الغير ، فتتحقق له عزته وكرامته ، ولابد أن يأتى العمل متقنا لقوله ﷺ : «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه»(٢٠) .

والارتباط بين العلم والعمل من الأمور التى يربى عليها الإسلام أتباعه وقد نبه الإمام الغزالى إلى ذلك فى رسالته «أيها الولد» - وهى رسالة فى التربية - قائلا : «أيها الولد ، لا تكن من الأعمال مفلسا ، ولا من الأحوال خاليا ، وتيقن أن العلم المجرد لا يأخذ باليد ، ولو قرأ رجل مائة ألف مسألة علمية ، وتعلمها ، ولم يعمل بها لا تفيده إلا بالعمل» .

(١٧) النبأ (١١).
(١٨) المزمل (٢٠).
(١٩) الصافات (٣٩).
(٢٠) مجمع الزوائد ٩٨/٤ ، كشف الخفاء ٢٨٥/١ ، ٥١٣.

ومن طبائع الأشياء أن يسبق الإسلام - وهو دين الله الأول والآخـــر - بعض الفلسفات المعاصرة التي تمجد العمل، وتجعله مصدراً للرزق الحلال بحيث لا يتقاضى الفرد إلا مقابل عمله، وذلك حين قرر الإسلام هذا المبدأ فالجزاء في الدنيا أو في الآخرة بحسب العمل، وقد صدق الله ـ عز وجل ـ:

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ﴾[٢١].

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[٢٢].

● ومن أهم القيم التي ترسمها التربية الإسلامية في نفوس الناشئة «قيمة المساواة بين الناس، فلا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[٢٣].

وإذا كان عالمنا المعاصر لايزال يئن تحت وطأة التفرقة العنصرية في مجتمعات يظن أنها أرقى مجتمعاته، فإننا نحتاج إلى هذه القيمة العليا الإنسانية في التربية.

● كما أن هناك قيمة «التعاون» بين أفراد المجتمع.. والإسلام لا يعرف الفردية المطلقة ولا الطبقية، وإنما هو ينمي في الفرد دائما شعوره بالغيرية أي الانتماء إلى الجماعة، ويحارب كل صور استغلال الإنسان لأخيه الإنسان. قال ـ ﷺ ـ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[٢٤].

ومن هنا لا ينبغي أن يتسرب الحقد إلى المجتمع الإسلامي، وقد ورد في الحديث أن رجلا وصفه الرسول ﷺ بأنه من أهل الجنة، ولم يعرف عنه زيادة علم أو كثرة عبادة فاستضاف عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ نفسه عند ذلك الرجل ليعرف عن قرب أحواله التي أهلته لدخول الجنة، وفوجيء ابن عمرو حين وجد حياة الرجل عادية في عباداته من صلاة وصوم وغيرها.. وهنا كان لابد له من أن يستفسر منه عما يؤهله لدخول الجنة كما ذكر رسول الله ﷺ، فأجاب الرجل: إنني لم أبت يوما وفي قلبي حقد على أحد من الناس.

---

(٢١) الأنعام (١٣٢).

(٢٢) التوبة (١٠٥).

(٢٣) الحجرات (١٣).

(٢٤) مسند الإمام أحمد ٤/ ٢٧٠.

● وهناك قيمة العدل التي جعلها الله من أسس بناء المجتمع الإسلامي، ومن معاني العدل ألا يميل الإنسان إلى هوى في نفسه يوقعه في ظلم الآخرين، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى:

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا ٱعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[٢٥].

كما أن من معاني العدل ما يعرف بالعدل الاجتماعي الذي يتمثل في أن يجد كل فرد في المجتمع حقه المشروع في كل مناحي الحياة.. ومن العدل كذلك أن يبذل كل فرد من ذات نفسه لمجتمعه، فكما أن له لدى المجتمع حقوقاً فعليه لمجتمعه واجبات.

وهكذا ندرك أن التربية ينبغي أن تغرس في نفوس أبناء المجتمع الإسلامي قيم التوحيد والعلم والعمل وحرية الفكر والمساواة بين الناس والتعاون والعدل وغيرها من الأطر التي شرعها الإسلام حتى يتحقق التفاعل البناء بين مقومات الشخصية الإسلامية ومقدرات الحياة. ومن مجموع هذه الأطر يتألف ما يمكن أن نطلق عليه «التربية الإسلامية».

وبعد، فتلكم هي بعض القيم العظمى التي تضمنتها الرسالة الإلهية للإنسان في كل زمان ومكان، والتي كانت أساسا متينا للحضارة الإسلامية التي حملها المسلمون لخير البشرية جمعاء والتي مازالت بحق خير خطاب عملي يوجه إلى كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فهل يعي المنصفون؟

***

---

(٢٥) المائدة (٨).

قصة العدد

التَابعي المجَاهِد

للأستاذ الدكتور عبد اللطيف الحديدي

جلس عامر الشعبي في مسجد البصرة يعظ الناس فجاء تلميذه أحمد ابن صنوان عابساً، وجلس في الحلقة وفي وجهه أمارات التألم فلمح ذلك عامر فقطع الدرس فجأة واتجه إلى أحمد يسأله في إشفاق.

مالك يا أحمد: تأخرت عن الدرس على غير عادتك، ثم جئت متجهماً، وأرى أن الذي حبسك عنا شاغل هام صرفك عن العلم والعلماء؟

قال أحمد: لقد جئت من جنازة محمد بن واسع الأزدي زاهد البصرة، وكنا خمسة أشخاص فحسب، ثم وقف أحمد وارتفع صوته عالياً وهو يقول زاهد البصرة وعابدها وشيخها يلقى الله فلا يشيعه غير خمسة أفراد من الناس.

فابتسم عامر، وقال: رعاك الله يا أحمد اجلس لتسمع مني ما يهدئ روعك!

واتجه إلى السامعين في الحلقة، وقال: هل شهدتم جنازة الحجاج بن يوسف؟

فقالوا: نعم

قال عامر: وما عدد من حضر تشييع جنازته؟

قالوا: آلاف الآلاف!

قال: وهل شهدتم جنازة من سبقه من عمال بني مروان، وكلهم ظالمون؟

قالوا: إن الناس جميعاً يتسارعون لتشييعهم وهم لهم يبغضون!

قال عامر: وهل كثرة المشيعين تمحو ما قدموه من السيئات، أو تضاعف ما عسى أن يكونوا أسلفوه من بعض الحسنات.

قالوا: لا.

ثم اتجه إلى أحمد فقال له: ولِمَ لمْ يعرف الناس في البصرة موعد جنازة محمد فيكونوا أسرع الناس إلى تشييعه عن محبة وإجلال؟

فقال: أحمد: لقد كنت سائراً في الطريق فوجدت نعشاً يحمله رجلان، وخلفه رجلان فسألتُ عن الميت الراحل فقيل: إنه محمد بن واسع الأزدي، فصرخت وقلت: لا حول ولا قوة إلا بالله.. أيُودع الرجل هذا التوديع وهو من أكبر المجاهدين في سبيل الله؟ فقال أحد الرجلين السائرين خلفه: لقد أوصى محمد ابن واسع ألا يعلم الناس بوفاته إلا بعد دفنه لأنه يحب أن يلقى الله دون ضجيج! فقمنا بتنفيذ ما أوصى به وهكذا تم الوداع!

نظر عامر الشعبي إلى أحمد، وقال: ولِمَ تحزن إذن، والرجل قد أوصى بالكتمان؟! والله لو عرفنا موعد التشييع لانتقل المسجد بمن فيه!

ثم قال عامر: إن السماء قد أمطرت مطراً غزيراً اليوم لم تعهده البصرة من قبل وإذن فقد بكت عليه السماء! ثم إن الرجل ـ رحمه الله ـ كان يرى بنور الله فعرف أن يوم الرحيل يوم المطر وسيكابد الناس رهقاً في الطريق بما يعترضهم من أوحال، وما يبلل الثياب من ماء فأوصى وصيته.. فكانت كرامة من الكرامات!

ثم سكت عامر، وظن المستمعون أن الخواطر الحزينة التي سببها موت محمد بن واسع الأزدي ستحول دون اكتمال الدرس الديني، فأطرقوا في هيبة، ولكن عامرا قال في هدوء: اسمعوا يا قوم إن القلوب في يد الله يصرفها كما يشاء، وكذلك دروس الوعظ في يده يصرفها حيث يريد وقد كنت عزمت على أن أكمل شرح الحديث الذي بدأته بالأمس «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى»[1] ولكني رأيت أن يكون حديث اليوم عن محمد بن واسع الأزدي لنأخذ منه العبرة والموعظة الحسنة، وقد يكون فيكم من لا يعلم من أخباره الكثير فيقنع مني بالقليل!

لقد كان محمد بن واسع طيلة عمره حريصا على أن يبعث في الجيوش الإسلامية التي تتوجه في مسار الفتح الإسلامي إلى خراسان وبلاد ما وراء النهر، وكان المجاهدون يرجعون بالنصر إلى بلادهم فيتحدث كل بطل عما قام به من بلاء في جهاد الكفار، غير محمد بن واسع الأزدي، فقد كان إذا قدم البصرة، جلس في بيته، لا يبرحه إلا إلى الصلاة في المسجد، ثم يعود حيث كان! فإذا سئل عما قام به من الجهاد، قال: أنا رجل بين عشرين ألفاً أو أربعين أو خمسين من الآلاف! فماذا يكون جهادي مع هؤلاء الأبطال! إنني

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، حديث رقم (١).

أطلب الستر من الله! وقد سمعته يقول ذلك فعلمت أن وراء قوله اعتماداً على الله وحده، فهو الذى يعرف سره ونجواه ولم أشأ أن أجيره على المزيد! ثم جاء إلى البصرة رسول القائد الباسل يزيد بن المهلب فكان أول من سأل عنه من العائدين إلى البصرة هو محمد ابن واسع الأزدى فتعجب الوالى، وقال لماذا تهتم به وأنا لم أره منذ أتى، وما أظنه غير عابد زاهد لا صلة له بالقتال ولكنه يذهب لقراءة القرآن وتشجيع الأبطال؟! فقال رسول يزيد: هو عالم عابد زاهد ولكنه فى ساعة الهول يشير بالرأى فيأتى بالنصر ثم يعف عند المغنم، وقد عرض عليه بسخاء فانكره، وقال ليزيد الجزاء عند الله!

قال عامر، وكنت جالساً مع الوالى، وأنا أعلم معدن محمد بن واسع فقلت لرسول يزيد: هذا إجمال، ونريد منك التفصيل إذا أذن الأمير!

فقال الأمير: وأنا أريد أن أسمع حديث ابن واسع فقد يكون فيه عبرة للمعتبرين.

فقال رسول يزيد:

لقد قامت معركة حامية بين المسلمين، وجنود الشرك، كان النصر يتراوح بين الفريقين مرة ينهزم المشركون ومرة ينتصر المسلمون، وتكرر ذلك حتى دب اليأس للنفوس، إذ كان القوم بعد انتهاء المعركة يتحصنون فى القلاع ويصعدون إلى أعلى الجدران.. يرمون فوقنا بالسهام والقائد صابر يبذل جهده فى رفع البلاء، ثم فوجئنا بجيوش من الصغد والترك والصين تنضم إلى جيوش الأعداء، فأحاطوا بنا من كل جانب، وأصابنا من الخوف والفزع ما لم نشعر به من قبل، وأخذ يزيد بن المهلب يشاور جنوده فى هذا الخطب الملم فيوصون بالانتظار حيث يدافعون ولا يهجمون، ثم برز مقاتل صنديد من القوم عليه الدرع وفى يده السيف وهو يقول هل من مبارز هل من مبارز؟ ونحن ننظر دون أن يتقدم منا أحد، وسرعان ما وجدنا محمد بن واسع الأزدى، وهو شيخ كبير السن يصيح أنا المبارز، مرحباً مرحباً بالاستشهاد فى سبيل الله، فقام يزيد وأخذ بفرسه، وألح عليه ألا يفعل، فهو شيخ كبير وإذا أصيب فى الجولة الأولى فسيفت فى عضد المسلمين وقال له: رسالتك أن تتوضأ وتصلي وتدعو لنا بالنصر وهنا أخذت الحمية فارساً من فرساننا فاندفع إلى الميدان، وكان العدو (وهو من أبطال الأتراك) يلبس من الحديد على رأسه وصدره ما يمنع كل سيف أن يصل إليه، فتصاول الرجلان قرابة ساعة وقلوب المسلمين تعلو وتهبط، ثم انتهز الفارس المسلم حركة من حركات الفارس التركى وضرب بسيفه رقبته ضربة جعلته يهوى من فوق فرسه، فابتهج المسلمون، وتلاحم الجيشان وقد دبت الحمية فى النفوس، وهنا صاح محمد بن واسع يا خيل

الله اركبى، يا خيل الله اركبى، تقدموا يا أشبال بدر والخندق وخيبر، تقدموا يا أشبال القادسية والجسر ونهاوند! عين رسول الله تنظر إليكم! عيون خالد وسعد وأبى عبيدة والمثنى والقعقاع والنعمان تنظر إليكم، أرواح الشهداء ترفرف عليكم فى السماء تعدكم بنصر الله! فكانت صيحات محمد ابن واسع كأنها قذائف تخرق الأعداء، وكأنها خيول تسابق المجاهدين إلى الميدان، ولم تمض ساعات، حتى طلب قائد المشركين الهدنة، وعرض الصلح، فكتب يزيد بن المهلب شروطاً للأعداء وأخذ من الغنائم ما فاق كل وهم، وكان من الغنائم تاج من خالص الذهب محلى بالدر والجوهر، فتطاولت نحوه الرقاب، وود كل بطل ممن خاضوا جحيم المعركة أن يكون التاج من نصيبه، ولكن يزيد بن المهلب، قال إنه لمحمد ابن واسع الأزدى، فهو الذى ألهب الحمية فى الصدور وهو الذى استعان برسول الله وصحابته وذكرنا بمواقع الإسلام الخالدة فكان هتافه قوة دافعة لا تقهر! فأين محمد ابن واسع؟

لم يكن محمد حريصاً على نصيبه من الغنائم إذ لم يحضر مجلس القسمة فبحثوا عنه حتى وجدوه فى خيمته يصلى صلاة الشكر لله. فقالوا له: أنت مطلوب الآن فهيا. واستمع الرجل مطيعاً. وحين لقى يزيد ابن المهلب قدم إليه التاج فأعرض وأبى فحلف عليه يزيد أن يأخذه، فأخذه مكرهاً، ثم سار فى طريقه فبعث يزيد وراءه من ينظر إليه ماذا سيصنع بالتاج! فسار محمد حتى وجد جماعة من المسلمين فجعل ينزع الجوهر والدر واللؤلؤ ويعطى كل جندى نصيبه. حتى خلص إلى الذهب الذى يحمل الجوهر، فجعل يكسره، ويفرقه قطعاً قطعاً، وهنا رجع رسول يزيد فأخبره بما كان! فنظر إلى أصحابه وقال: ألم أقل لكم إن فى أمة محمد ﷺ من يزهد فى التيجان! ها هو ذا محمد ابن واسع! فعل ما فعل! فهل تعتبرون!

فقال الشعبى ذلك وسكت: فقال قائل من تلاميذه: والله لو كنت مكان محمد بن واسع لقبلت التاج فهو مباح لمن جاهد فى سبيل الله، ولو ملكته لبنيت بيتاً لى على شاطىء الفرات.

فابتسم عامر وقال: وأين بيتك هذا الذى تريد أن تبنيه على شاطىء الفرات من بيت محمد بن واسع الأزدى الذى سيحتله على شاطىء الكوثر فى جنة الرضوان!

فهلل القوم بالتكبير وانتظر عامر الشعبى حتى هدأت الضجة فقال:

ولم يكن موقف ابن واسع مع البطل يزيد ابن المهلب بأقل من موقفه مع البطل قتيبة بن مسلم من أعاظم قواد التاريخ على الإطلاق!

فرفع القوم رءوسهم وكأنهم يسألون عامر الشعبى عن هذا الموقف الذى لم يعرفوه بعد،

فقال عامر: لقد كان محمد بن واسع فى سن الشيخوخة حين حاصر قتيبة بن مسلم سجستان ولكنه جعل يشير بالرأى الحازم على الأمير قتيبة، وهو له مطيع إذ يعرف من صفاء روحه وقوة يقينه ما يجعل رأيه موضع القبول والتنفيذ!

لقد وقفت الجيوش الإسلامية بقيادة قتيبة على أبواب سجستان وأذن الله ففتحها قتيبة، ثم جاءه أن ملك خوارزم قد جمع الجموع من بلاد الصغد وكش ونسف والطالقان والبروقان، وأمّر عليهم أقوى أبطال الصغد ومعه الأصبهند ملك بلخ وبازان ملك مرو وجمع غفير جاوز تسعمائة ألف مقاتل وكلهم متحفز للانتقام والبلاد بلادهم يعرفون خفاياها وجبالها وأنهارها ومغاراتها ويتفننون فى تحصينها بما لا يدرك المسلمون فأشار قتيبة على المسلمين أن يتريثوا ولا يحاربوا القوم بالهجوم بل يكونوا فى موقف الدفاع كيلا يغرقوا فى الطوفان القادم وتطلع إلى القوم يسألهم الرأى فيما يقترحه فكلهم وافق الأمير، ولكن محمد بن واسع وقف يريد الكلام ورآه قتيبة فأذن له. فقال محمد بن واسع: أيها الأمير، لقد كنت استمع بالأمس إلى حديث بعض الأسرى من سجستان فعلمت أن ملك خوارزم قد اغتصب أخاه حقه فى الملك وأن أخاه قد نفر من طاعته مع جند كثيف فلم يتقدم معه للقتال وأرى أن تنتهز هذه الفرصة فترسل إلى أخيه تعده بالنصر على من اغتصب حقه إذا ساعد المسلمين ودلهم على مواقع أعدائهم وكيف يبلغون النصر فى هذه الدروب الملتوية والجبال الحصينة فإذا تم ذلك انحاز لك جيش أخيه وبلغ المسلمون ما يريدون.

فكر قتيبة فيما سمع، ثم قال، ولن يصل إلى هذا الرجل غيرك مع فريق حازم من رجالنا يقيك عثرات الطريق! وهنا كبر محمد بن واسع وخف للقاء الأخ الغاضب مع من اختارهم قتيبة لمصاحبته وقد لبسوا لباس أهل الصغد لئلا يُعرفوا، فيأسرهم الأعداء وكأن القدر كان قد ألهم محمد بن واسع بما قال إذا ما اتصل القوم بالرجل حتى قال لهم إنى كنت أفكر فى الذهب إليكم مع جنودى لأننى لن أسكت عن ظلم حاق بى، وسأكون معكم فى صف واحد، ثم أرسل مع القوم من رسم الخطة للزحف فى الطريق المأمون ومن دل على عورات الجيش، وأماكن ضعفه، وفرح قتيبة بما كان، وقوى عزم المسلمين، فساروا إلى القتال مستبشرين، وقد عرفوا كيف يقتحمون الحصون فتم النصر فى أسرع مما كانوا يقدرون.

وفى أثناء المعركة الدائرة، قدم إلى قتيبة جاسوس من رجال العجم يزعم أنه خالف قومه، وأنه مُسلم يدين بما يدين به المسلمون! وقد جاءته أنباء يريد أن يقولها للأمير على انفراد فقال قتيبة للقوم: تفرقوا غير محمد ابن واسع فسيكون معنا!

قال الجاسوس: إنه علم من رسول جاء إلى الأصبهند الملك يقول له إن الحجاج والى العراقيين قد مات وأن كل قواده فى بلاد العجم ومنهم قتيبة سيعزلون ويقدمون للمحاكمة وأنا أوصى الأمير أن يأخذ حذره كيلا يشيع الأمر فى الجنود فيتفرقوا عنه وهم يعلمون أنه يرهقهم فى ميادين القتال بما لا يطيقون!

فسكت قتيبة ثم اتجه إلى محمد بن واسع وقال له: أنت ترى بنور الله يا محمد فما رأيك فيما سمعت!

فقال ابن واسع: سواء مات الحجاج أو لم يمت فنحن نقاتل فى سبيل الله لا فى سبيل الحجاج وأرى أن تحبس هذا الجاسوس لديك فإنه عين على المسلمين كيلا يذيع هذا الكذب بين الناس فيفتن المجاهدين. قال قتيبة: بل نأخذه بالتعذيب حتى يعترف بالحقيقة ودفع به إلى من يستخلص منه السر بما شاء من النكال. فلما رأى الجاسوس شدة ما يلقى من العذاب اعترف أنها مكيدة بعث بها نيزك قائد جيوش الترك ليفت فى عضد المجاهدين، وصدقت فراسة ابن واسع.

قال عامر: وتم النصر وبحث قتيبة عن ابن واسع ليأخذ حقه فى الغنائم، فعلم أنه سار فيمن ساروا إلى العراق دون انتظار لمغنم يتاح!

لقد كان الرجل يحس دنو أجله فرأى أن يودع أهله قبل الرحيل وما قدم البصرة منذ أسبوعين حتى جاءه اليقين!

ثم نظر عامر إلى القوم وسأل: هل فيكم من يتبعنى إلى زيارة قبر ابن واسع لنقرأ فاتحة الكتاب ونستدرك ما فاتنا من تشييع جنازته فصاحوا جميعاً نحن وراءك يا إمام ورأت البصرة، جنازة تمضى من المسجد إلى المقبرة دون فقيد فتساءل القوم فعلموا أنه محمد بن واسع قد دفن منذ الصباح، وأن القوم قد ساروا وراء عامر الشعبى يؤدون ما عجزوا عن أدائه حين لم يشهدوا ساعة الدفن، إذ حيل بينهم وبين ما يشتهون!

***

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

علو الهمة

كان أبو موسى الأشعرى يتوخى اليوم الحار الشديد الحر الذى يكاد الإنسان ينسلخ منه فيصومه.

ولما سار عامر بن عبد قيس من البصرة إلى الشام كان معاوية يسأله أن يرفع إليه حوائجه فيأبى، فلما أكثر عليه قال: حاجتى أن ترد علىّ من حر البصرة، لعل الصوم يشتد علىّ شيئا، فإنه يخف علىّ فى بلادكم.

وكانت بعض الصالحات تتوخى أشد الأيام حراً فتصومه، فيقال لها فى ذلك، فتقول: إن سعر الشىء إذا رخص اشتراه كل أحد.

تشير إلى أنها تحب العمل الذى لا يقدر عليه إلا القليل لشدته.. وذلك من علو الهمة!!.

حقا

قيل: إن الحق لن ينقلب باطلا مهما قل متبعوه، وأن الباطل لن ينقلب حقاً مهما كثر مشايعوه.

العمل المقبول

قال الفضيل بن عياض:

العمل الحسن هو أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا على، ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل؛ وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون خالصا صوابا، والخالص ما كان لله.

سوء الملل

شوهد عمرو بن العاص وهو على بغلة عجوز، وهو إذ ذاك أمير مصر، فقيل له: أتركب هذه وأنت أمير مصر! فقال: لا ملل عندى لدابتى ما حملتنى، ولا لامرأتى ما أحسنت عشرتى، ولا لصديقى ما حفظ سرى، إن الملل من كواذب الأخلاق.

منازل الجوع

قال يحيى بن معاذ: جوع الراغبين منبهة، وجوع التائبين تجربة، وجوع المجتهدين كرامة، وجوع الصابرين سياسة، وجوع الزاهدين حكمة!.

وكان فتح الموصلى إذا اشتد مرضه وجوعه يقول: إلهى، ابتليتنى بالمرض والجوع، وكذلك تفعل بأوليائك، فبأى عمل أؤدى شكر ما أنعمت به علىّ؟!.

وكان الفضيل بن عياض يقول: إلهى، أجعتنى وأجعت عيالى، وتركتنى فى ظلم الليالى بلا مصباح، وإنما تفعل ذلك بأوليائك، فبأى منزلة نلت هذا منك؟.

وقال أبو سليمان الدارانى: الجوع عند الله فى خزائنه لا يعطيه إلا من أحبه.

القول والعمل

قلت: ما أقدر العقول على التفكير، وما أقدر الألسنة على التعبير، ثم تبوء الجوارح بعد ذلك بعبء التقصير.

تزاور الأقارب

فى «الإحياء» للغزالى: روى أن عمر - رضى الله عنه - كتب إلى عماله: مروا الأقارب أن يتزاوروا ولا يتجاوروا، وإنما قال ذلك لأن التجاور يورث التزاحم على الحقوق، وربما يورث الوحشة وتقاطع الرحم.

عند دخول المسجد

فى تفسير (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبى:

روى الضحاك عن ابن عباس عن النبى ﷺ: كان إذا دخل المسجد قدم رجله اليمنى، وقال:

﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾

سورة الجن ١٨

اللهم أنا عبدك وزائرك، وعلى كل مزور حق، وأنت خير مزور، فأسألك برحمتك أن تفك رقبتى من النار، فإذا خرج من المسجد قدم رجله اليسرى وقال: واللهم صُبَّ علىَّ الخير صباً، ولا تنزع منى صالح ما أعطيتنى أبداً، ولا تجعل معيشتى كداً، واجعل لى فى الأرض جداً، أى غنى.

دعاء

اللهم ليس يرد غضبك إلا حلمك، ولا يرد سخطك إلا عفوك، ولا يجير من عقابك إلا رحمتك، ولا ينجينى منك إلا التضرع إليك وبين يديك.

التصوف الإسلامي

مدخل إلى المفاهيم

للدكتور/ محمود أبو العينين

التصوف عبارة عن حركة دينية ظهرت بواكيرها فى العالم الإسلامى منذ وقت مبكر، كنزعات فردية تعكس ميل بعض أفراد المجتمع المسلم نحو الاستغراق فى العبادة، والانشغال بالتأمل فى تجليات الربوبية، وتدعو إلى الزهد فى ملذات الحياة الدنيا، سواء كانت هذه الملذات حلالا أو حراما، كما تدعو إلى شدة العبادة كرد فعل مضاد للانغماس فى الترف الحضارى الذى شهدته طوائف المجتمع بعد حركة الفتوحات الكبرى فى صدر الإسلام وما استتبعها من تدفق الأموال والخيرات على خزائن الدولة وجيوب الأفراد، وانفاق هذه الأموال فى وجوه الترف المبالغ فيه لحد الإسراف والتبذير.

ولايعرف على وجه التحديد من الذى بدأ التصوف فى الحضارة الإسلامية، ولا أين بدأ، ولا متى بدأ، وإن كان يقال بأن التصوف أول ماظهر كان فى منطقة الكوفة وماحولها بسبب قرب هذه الأماكن من بلاد فارس القديمة، ويزداد الأمر صعوبة مع تعذر تحديد خط فاصل بين الزهد والتصوف، ولاسيما أن كثيرا من أقوال المتصوفة وأرائهم كانت مبثوثة فى أقوال الزهاد الذين سبقوا أبا هاشم الكوفى هذا إلى الوجود.

ثم تطورت تلك النزعات الفردية بفعل التطور الذاتى للحركة، والتوسع الثقافى الذى قام به أعلامها، ثم التزاوج الفكرى بين الثقافة العربية وغيرها من الثقافات اليونانية، والهندية والفارسية، وبفعل موقف المجتمع الإسلامى بين دوله المتعددة، وبأجهزتها المختلفة من حركة التصوف، مابين مؤيد ومعارض، إلى حركة عامة، وصار الزهد والتصوف تيارا له ممثليه والمدافعين عنه، أمام التيارات الفكرية والاجتماعية الأخرى التى زخر بها المجتمع العباسى، مما أدى إلى تطور فى العقيدة الصوفية وفلسفتها، وسلوكياتها، لتتحول بعد ذلك وبفعل كل هذا إلى طرق مميزة معروفة باسم الصوفية.

ولم يتفق كتاب المتصوفة وغيرهم من الدارسين والباحثين على تحديد الأصل الذى يمكن إرجاع اشتقاق لفظ التصوف إليه، ولعل من أبرز ماذكر عن مسمى التصوف مايلى:

نسبة إلى الصُّفَّة: حيث سموا بذلك نسبة إلى أهل الصفة، وكان لقبا أعطى لبعض فقراء المسلمين فى عهد الرسول ﷺ، ممن لم تكن لهم بيوت يؤون إليها، فأمر الرسول ﷺ ببناء فناء ملحق بالمسجد من أجلهم، وهذا هو الدليل الذى يستند إليه المتصوفة فى مد جذور التصوف إلى عصر النبى ﷺ، ويرون فى أمره ببناء مكان لأهل الصفة إقرار من الرسول ﷺ لمسلك الصوفية، ويرون فى ذلك أيضا النواة الأولى لبداية عصر التكايا والخانقاوات التى انتشرت فى المجتمع الإسلامى بعد ذلك، وإن كان النسب إلى أهل الصفة - لغويا - يكون صُفِّىّ لا صوفى.

كما ينسبونها إلى الصفاء: ومعناها أن الصوفية صافية من الشرور وشهوات الدنيا، وإن كان هذا الاشتقاق غير صحيح لغويا فالنسبة إلى الصفاء: صفوى أو صفاوى أو صفائى وليس صوفيا.

كما ينسبون الصوفية إلى الصف الأول: للدلالة على التزام المتصوفة بالعبادات والحرص عليها، والإسراع إليها قبل غيرهم من بقية أفراد الشعب وجماعاته.، وإن كان هذا التعبير بعيد عن سلامة الاشتقاق اللغوى، فصواب النسبة إلى الصف: صفى لا صوفى.

كما ينسبهم بعض الدارسين إلى بنى صوفة: وهى قبيلة بدوية كانت تخدم الكعبة فى الجاهلية.

وإن كان أغلب الدارسين ينسبون الصوفية إلى الصوف المعروف والمأخوذ من الأغنام: حيث يذهب غالب المتصوفة المتقدمين والمتأخرين إلى أن الصوفى منسوب إلى لبس الصوف، مما يدل على المبالغة فى التقشف والرهبنة وتعذيب النفس والبدن باعتبار ذلك كله لونا من ألوان التقرب إلى الله، هذا إذا تذكرنا شكل الصوف الخام وكيفية ارتدائه فى هذا الزمن المتقدم الذى لم يكن يعرف الأشكال الفاخرة من الصوف التى توجد فى مجتمعنا اليوم. كما يرى أصحاب هذا الرأى أن لبس الصوف دأب الأنبياء - عليهم السلام - والصديقين وشعار المساكين المتنسكين.

وللتصوف فى الإسلام تعريفات كثيرة، منها:

عرفه الإمام الجنيد بأن: «التصوف استعمال كل خلق سنى، وترك كل خلق دنى».

وعرفه بعض العارفين: «الجد فى السلوك إلى ملك الملوك».

وعرفه بعضهم: «هو الموافقة للحق، والمفارقة للخلق».

- وقال آخر: «هو ابتغاء الوسيلة إلى منتهى الفضيلة».

- وقال آخر: «هو حفظ الوفاء وترك الجفاء».

ـ وقال آخر: «هو الرغبة إلى المحبوب فى درك المطلوب».

ـ وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصارى رحمه الله: «التصوف علم تعرف به أحوال تزكية النفوس، وتصفية الأخلاق، وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية».

ـ وقال بعض الشيوخ: «التصوف كله أخلاق، فمن زاد عليك بالأخلاق، زاد عليك فى التصوف».

ـ وقال أبو الحسن الشاذلى: «التصوف تدريب النفس على العبودية، وردها لأحكام الربوبية»

وقد ذكر الحافظ أبو نعيم الأصفهانى فى «حلية الأولياء» تعريفا للتصوف فى كل ترجمة من تراجم كتابه تقريبا، حيث كان لأغلب الأعلام الذين ترجم لهم أبو نعيم آراء محددة فى التصوف ومفهوم خاص به، وعلى الرغم من تقارب دلالات بعض هذه المفاهيم والآراء بين رجال المتصوفة، إلا أن هذه التعريفات تحمل من الطاقة اللغوية والدلالية الكثير مما يجعلها كنوزا بلاغية نادرة، فإذا تذكرنا أن فى كتاب «حلية الأولياء» نحو ألفى ترجمة، فلنا أن نتخيل كم التعريفات التى يمكن أن تخرج بها للتصوف من هذا الكتاب وحده.

وكما تتعدد تعريفات التصوف تتعدد تعريفات الصوفى. فمما قالوه فى ذلك:

ـ قال الإمام أبو على الروذبارى: هو من لبس الصوف على الصفاء، وأطعم الهوى ذوق الجفاء، وكانت الدنيا منه على القفا، وسلك منهاج المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

ـ وقال الإمام سهل بن عبدالله التسترى: الصوفى من صفا من الكدر، وامتلأ من الفكر، وانقطع إلى الله من البشر، واستوى عنده الذهب والمدر.

ـ أنشد الإمام تقى الدين السبكى لأبى الفتح البستى:

تنازع الناس فى الصوفى واختلفوا
قدما وظنوه مشتقا من الصوف
ولست أنحل هذا الاسم غير فتى
صافى فصوفى حتى لقب الصوفى

ـ وقال بعضهم:

علم التصوف علم ليس يعرفه
إلا أخو فطنة بالحق معروف
وليس يعرفه من ليس يشهده
وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف

وقد استخدمت العديد من المفردات للدلالة على أفراد الجماعة الصوفية، مثل: الزهاد، والفقراء، والعباد، والملهمين، والمحدثين، والسياحين، والملامتية، وأهل العزلة، وأهل الصمت، وأهل الخلوة، وأهل الذكر، وأهل الإرشاد، وأهل الخطوة، وأهل الحظوة، وأهل الحضرة، وأصحاب السجادة، والسالكين، والمريدين وغيرها من الألفاظ.

إذا صح الحديث فهو مذهبى

لفضيلة الشيخ/ محمد سلطان جاد

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعبده، وعلى آله وصحبه وكل من سبّح بحمده.

وبعد: ففى هذه الآونة يدرك المتتبع والمتأمل للظواهر التى تطفو على السطح، فيحس بهبوب رياح العلم المغشوش على حد قول الداعية الكبير الشيخ محمد الغزالى ـ رحمه الله ـ يغزو فكر الشباب المتدين، فتصمه بسوء الفهم، والتعصب الغبى حيث يلتقط بعض الأغرار، بعض الأقوال للعلماء فيحرفها عن مسارها ومضمونها، فيوحيها فى آذان الشباب مشوهة بتراء، على أنها مسلمات عقدية، وواجبات دينية، فيقاتل ويناضل عن ذلك الفهم السقيم، والعقل العليل، بتعصب ممقوت، فيخرج عن طور العلماء، وآدابهم، إلى فعل السفهاء، وأحلامهم، من تلك الأقوال ما نسب إلى الإمام الشافعى قوله – إذا صح الحديث فهو مذهبى ـ فأحببت أن ألقى وميضا من الضوء ليكشف لنا حقيقة المقولة ومسارها، ومضمونها عند العلماء المحققين.

توثيق المقولة

نسبت هذه المقولة إلى إمامين جليلين **الأول:** هو الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان ـ رحمه الله تعالى ـ ذكر ذلك الإمام المحقق ابن عابدين فى حاشيته (١ / ٦٣) وكذلك فى رسم المفتى (١ / ٤) والإمام العارف الشعرانى فى الميزان (١ / ٥٥) والشيخ صالح الفلانى فى إيقاظ الهمم (٦٢) وكذلك ابن عبدالبر فى الانتقاد فى فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، وكذلك الصنعانى فى إرشاد النقاد لتيسير الاجتهاد (٧٢). أ.هـ.

والثانى: هو ناصر السنة الإمام الشافعى ـ رحمه الله ـ وعنه اشتهرت، ذكر ذلك الإمام النووى فى المجموع (١ / ٦٣) وابن حجر فى توالى التأسيس (١٤٧) والشيخ الفلانى فى إيقاظ الهمم (١٠٤) وابن عبدالبر فى الانتقاء، والشعرانى فى الميزان، الصنعانى فى إرشاد النقاد (٧٣)، وابن القيم فى إعلام الموقعين (٤ / ٢٣٣).

ثانيا: المعنى الصحيح لهذه المقولة

وهنا أدع الأئمة العلماء، والمحققين العظماء ليظهروا المراد، ويبينوا المعنى الصحيح.

أ- كلام الأحناف عنها.

قال الإمام ابن عابدين ـ وهو من محققي الأحناف ـ في حاشيته (١/ ٦٨) ورسم المفتي (٢٤) نقل عن العلامة ابن الشحنة في أوائل شرحه على الهداية ما نصه [إذا صح الحديث، وكان على خلاف المذهب، عمل بالحديث ويكون ذلك مذهبه، ولا يخرج مقلده عن كونه حنفيا بالعمل به، فقد صح عنه - أي أبي حنيفة - أنه قال: إذا صح الحديث فهو مذهبي وقد حكى ذلك ابن عبدالبر عن أبي حنيفة وغيره من الأئمة] انتهى كلام ابن الشحنة.

ثم علق ابن عابدين قائلا: ونقله أيضا الإمام الشعراني عن الأئمة. ولا يخفى أن ذلك لمن كان أهلا للنظر في النصوص ومعرفة محكمها من منسوخها، فإذا نظر أهل المذهب في الدليل وعملوا به، صح نسبته إلى المذهب لكونه صادرا بإذن صاحب المذهب إذ لاشك لو علم بضعف دليله رجع عنه، واتبع الدليل الأقوى، أ.هـ

قلت: لا يخفى عليك أيها البصير أن قول ابن عابدين (لمن كان أهلا للنظر....) يفيد إفادة يقينيه أن المعنى (إذا صح الحديث عند أهل النظر والعلم والمعرفة بالأحكام والأدلة ومعرفة الناسخ من المنسوخ، والعام من الخاص.. إلخ) فهو مذهبي فلا يجوز للجهلاء المغرورين أن يتجرأوا على هذا المقام.

ب- كلام السادة الشافعية:

قال الإمام النووي في المجموع (١/ ١٠٤)، (هذا الذي قاله الشافعي ليس معناه أن كل أحد رأى حديثا صحيحا، قال هذا مذهب الشافعي وعمل بظاهره، وإنما فيمن له رتبة الاجتهاد في المذهب، وشرطه أن يغلب على ظنه أن الشافعي لم يقف على هذا الحديث، أو لم يعلم صحته، وهذا إنما يكون بعد مطالعة كتب الشافعي كلها ونحوه من كتب أصحابه الآخذين عنه، وما أشبهها، وهذا شرط صعب قل من يتصف به) أ.هـ، وكذا قال الإمام ابن الصلاح في أدب الفتوى (٨١).

قال الإمام السبكي في رسالة جردها لهذا المعنى سماها (معنى قول الإمام المطلبي.. إذا صح الحديث فهو مذهبي). بعد أن ذكر كلام النووي السابق قال (ص١٠٢) (هذا تبين لصعوبة هذا المقام حتى لا يغتر به كل أحد).

وقال الإمام السبكي (ص ١٠٦) (قال أبو شامة: ولا يتأتى النهوض بهذا إلا من عالم معلوم الاجتهاد).

جـ- كلام المالكية:

نقل الإمام السبكي (ص١٠٨) عن الإمام القرافي المالكي قوله في كتابه (التنقيح) (وكثير من فقهاء الشافعية يعتمدون على هذا ويقولون مذهب الشافعي

كذا، لأن الحديث صح فيه، وهو غلط. لأنه لابد من انتفاء المعارض، والعلم بعدم المعارض يتوقف على من له أهلية استقراء الشريعة، حتى يحسن أن يقال ـ بعدم ـ المعارض لهذا الحديث أما استقراء غير المجتهد المطلق فلا عبرة به) أ.هـ

كلام الحنابلة: قال ابن القيم في إعلام الموقعين (٤/ ٢٣٤ - ٢٣٦) تحت مسألة (الإفتاء من كتب الحديث) بعد أن ذكر رأى المانعين، ورأى المجوزين ثم فصل الكلام إلى أن قال (وهذا كله إذا كان ثم نوع أهلية، ولكنه قاصر في معرفة الفروع وقواعد الأصوليين، والعربية، وإذا لم تكن ثمة أهلية قط ففرضه ما قاله الله تعالى:

﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]

وقول النبي ﷺ (ألا سألوا إذ لم يعلموا إنما شفاء العي السؤال)[2].

أيها القارىء هل عرفت الآن من الذي يتكلم بهذه المقولة؟ فإذا عرفته وتبصرت به فاشدد على هذا يدك، فإن لم تكن عرفت وجب الاتباع والتقليد لمن كملت فيه آلات الاجتهاد، قال الإمام ابن تيمية في تلخيص الفتاوى (٦٠٠):

«قد قال بعض أهل الكلام: يجب على كل أحد أن يجتهد في كل مسألة تنزل به، ولا يقلد أحدا من الأئمة، وهذا قول ضعيف بل خطأ، والأئمة على خلافه فإن أكثر آحاد العامة يعجز عن معرفة الاستدلال في كل مسألة يحتاج إلى معرفتها، بل أكثر المشتغلين بالتفقه يعجز عن ذلك وهؤلاء المجتهدين المشهورين كان لهم من الاجتهاد في معرفة الأحكام، وإظهار الدين للأمة، ما فضلهم الله ـ تعالى ـ به على غيرهم، ومن ظن أنه يعرف الأحكام من الكتاب والسنة بدون معرفته بما قال هؤلاء الأئمة وأمثالهم فهو غالط مخطىء، فإن كان لابد من معرفة الاجتماع والاختلاف فلابد من معرفة ما يستدل به المخالف، وما استخرجوه من أدلة الكتاب والسنة، وهذا ونحوه لا يعرف إلا بمعرفة أقوال أهل الاجتهاد) أ. هـ نقلا من أ.د/ رفعت فوزى تحقيق كتاب (أدب الفتوى لابن الصلاح)

أيها المتأمل إذا وصل الإنسان إلى هذا الحد لابد أن يراجع المذاهب الأربعة المشهورة المحققة الممحصة عبر التاريخ قبل أن يأخذ من الحديث ما شاء وفي الختام أقول قول الإمام الدهلوي الذي قاله في حجة الله البالغة (١٥٤) وكذلك الانصاف (٩٧): «إن هذه المذاهب الأربعة المدونة المحررة قد اجتمعت الأمة أو من يعتد به منها على جواز تقليدها إلى يومنا هذا، وفي ذلك من المصالح ما لا يخفى، ولاسيما في هذه الأيام التي قصرت فيها الهمم جدا، وأشربت النفوس الهوى، وأعجب كل ذي رأي برأيه».

---

(١) الأنبياء (٧).

(٢) سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب المجروح يتيمم، حديث ٢٨٤.

الإسلام خير من ربى الطفولة

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

اهتم الإسلام اهتماماً بالغاً بالإنسان صغيراً وكبيراً ذكراً وأنثى فحفظ حقوقه ورعى شئونه بهدف : سعادة دنياه وأخره.

ولمزيد من الإيضاح نقدم إرشادات عما جاء به ديننا الحنيف بخصوص مرحلة من أهم مراحل الإنسان وفترة من أخطر فتراته ألا وهى مرحلة الطفولة وحقوقها.

فالأولاد ثمار القلوب وعماد الظهور. طفل يملأ العين بهجة والقلب مسرة محروس من العيون أن تصيبه ومصون من الألسن أن تعيبه.

وحديث القرآن عن الأطفال يفيض مودة ورقة وبشارة وأملاً. فهذا قسم قرآني بالأبوة والبنوة جميعاً قال سبحانه :

﴿ووَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾[1]. والأطفال قرة عيون الأمهات والآباء الذين يدعون ربهم مرددين قول الله تعالى :

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾[2].

وهم في القرآن بشرى قال جل شأنه :

﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾[3].

وهم هبة من الله ونعمة، قال تعالى :

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[4].

وهم زينة الحياة الدنيا ،قال تعالى :

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[5]

والطفولة جذور منابت التفتح الإنساني، فيها تنشأ المواهب، وتنمو المدارك، وتتشكل المشاعر والأحاسيس، وتتحدد الميول والنوازع فى الخير والشر، وتأخذ الشخصية فى البناء والتكوين ومن هنا فقلب الطفل صفحة بيضاء وسجل نقى يستقبل ما يأتيه من حوادث وانطباعات وخلجات ترتسم فى الذاكرة وتستقر فى المخيلة،

(١) البلد (٣). (٢) الفرقان (٧٤). (٣) مريم (٧).
(٤) آل عمران (٣٨). (٥) الكهف (٤٦).

ونفسه أرض صالحة لغرس صحيح العقائد وفاسدها ومكارم الأخلاق وسيئها ومحاسن الصفات ومساوئها والطفل هو الوسيلة الناقلة لتراث الأمة وثقافتها، وهو الحصن المنيع للدفاع عنها، وهو الصائغ الماهر لمستقبلها العامل على ازدهارها. فما أشد حاجة الأمة إلى هؤلاء الصغار أصفياء العقيدة أذكياء العقول أنقياء القلوب أقوياء الأبدان أصحاء النفوس، ذوو وعى ناضج .وفهم ثاقب، ونظر بعيد، وذوق رفيع ووازع دينى قوى.

من أجل ذلك كله كفل الإسلام حقوق الطفولة كاملة منذ كان الطفل فى بطن أمه إلى أن يصبح راشداً سوياً بل منذ أن نصح الشرع وأكد على حسن اختيار الأبوين، فقد رعى الإسلام هذا الطفل وحرم إسقاطه وإجهاضه وألزم بالإنفاق على الحامل والمرضع والإحسان إليها قال تعالى :

﴿وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾[6].

وقال سبحانه :

﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[7]

فالحامل تراعى ظروفها ويحفظ جنينها ولو ارتكبت حداً يوجب الرجم فيؤجل ذلك الحد حتى يتم الرضاع والفطام، أين هذا من قوانين تبيح الإجهاض لمن شاء كيف شاء ومتى شاء بزعم أن ذلك من حقوق الإنسان بينما فى الإسلام الحنيف إذا قدم الطفل إلى الدنيا فهو محل التهنئة والتبريكات.

كما لا ننسى حق الطفل فى الإسم الحسن قال ﷺ : «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم»[8] وكذلك الكنية المحببة قال ﷺ : «يا أبا عمير ما فعل النغير»[9].

أما حقه فى النسب فمحفوظ. قال تعالى :

﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ﴾[10]

فالنسب يترتب عليه حقوق وواجبات وإرث ووصية، أما التبنى فمحرم ومن هنا انتشر عند الذين أباحوه مجهولو النسب. وأما كفالة الطفل وحضانته بين أبيه وأمه ومفهوم الحضانة فى الإسلام فهو يقوم على حسن الرعاية لشئونه والمحافظة عليه فى يقظته ونومه ودخوله وخروجه وصحته ومرضه، وينبغى أن تتوفر فى الحاضنة صفات الدين والعقل والأمانة والقدرة وحسن الرعاية والنهج الصادق والخدمة الخالصة.

﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾[11].

وقائمة الحقوق تشمل كل شئون اليتيم. قال ﷺ : «كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين فى الجنة»[12] والقائمة طويلة لا تنتهى.

(٦) الطلاق (٦). (٧) البقرة (٢٣٣). (٨) سنن الدارمى ٢/٣٨٠. (٩) سنن الترمذى ٢/١٥٤.
(١٠) الأحزاب (٥). (١١) القصص (١٢). (١٢) صحيح مسلم ٤/٢٢٨٧.

بين الصحف و المجلات

إعداد الأستاذ

محمود الفشني

أدركوا اللغة العربية

هاى ورحمة الله وبركاته .. وروشنة اللغة العربية تحت هذين العنوانين كان لنا وقفة مع د. أيمن عماد في جريدة الأخبار في ١٠ / ٦ حيث يقول:

أعوج لسان المصريين وصار ينطق لغة جديدة كلها مفردات تصلح لأن يصدر عنها معجم اسمه المعجم الروش.

والواقع أن تلك الحملة على اللغة العربية لها جذور وأبعاد سياسية قديمة وكما تقول إحدى المصريات الحاصلة على لقب علمي رفيع المستوى وتعيش في جنيف وتعمل بهيئة كبيرة جداً ولاداعي لذكر اسمها .. تقول في بحث لها ان المخابرات العربية بعد ماحدث للإمبراطورية البريطانية عقب العدوان الثلاثي وغروب الشمس عنها درست الموضوع من كل جوانبه وعادت في دراستها إلى أبعد من ذلك بكثير لتبحث عن سر قوة العرب خلال عصور الخلفاء الأقوياء فوجدت أن العرب كانوا قبل الإسلام من أضعف مايكون ومفككين ويغير عليهم كل حالم بالنصر ولكن بعد ظهور نور الإسلام تبدل الحال برغم أن العرب بقوا كما هم نفس السلالة ونفس الجنس.

وبمزيد من البحث استقروا على أنه لكي يتخلى العرب عن قرآنهم يجب أن يتخلوا عن لغتهم فبدأت مدارس الإرساليات تزيد وبدأت الحرب على الكتاتيب في مصر بالذات رغم أن كل عظماء مصر قد خرجوا من الكتاتيب وتطور الأمر جداً مع عصر الانفتاح وبلغ الذروة مع العولمة وأصبح من دواعي فخر أي أم «روشة» أن تفاخر بأن ابنها يدرس انترناشيونال لاناشيونال!! وأنها قد كتبت إقراراً على نفسها بألا يدرس الولد اللغة العربية أو الدين أو التاريخ والجغرافيا وكذلك التربية وبعض هذه المدارس يتقاضى مصاريفه بالدولار تصل لمبالغ فلكية يحول أغلبها

للخارج، وخير وصف لتلك المدارس ماقاله أحد الأصدقاء من أساتذة الجامعات من أن في مصر مدارس حكومية وخاصة وأجنبية وأخرى تحرص على تدمير الهوية والشخصية أسماها بالمدارس الموسادية!!

ورأى أن الحل هنا هو أن تتضاعف درجات اللغة العربية حتى لو ارتفع المجموع الكلي ولابد أن يمتحن الدارس في اللغة قبل دخول الجامعة والموظف قبل الالتحاق بالوظيفة والاهتمام بالمدرسين وتحسين رواتبهم وظروفهم.

صهينة الكلام في لغة الخطاب العربي

في معايشة طويلة مع الكاتب الكبير فهمي هويدي في الأهرام في ١٧ / ٦ كان لنا وقفة مع مقاله الطويل.

قال فيه: استشعرت وخزا حين سمعت قبل حين مصطلح «عسكرة الانتفاضة» وأدهشني أن مسئولين فلسطينيين بارزين استخدموه بقدر ما أحزنني أن بعض الكتاب والمثقفين العرب أدرجوه ضمن المصطلحات المعتمدة في حديثهم عن أنشطة المقاومة ووجدت أن المصطلح بدأ يكتسب بمضي الوقت شرعية في الخطاب الإعلامي موحياً بأن ثمة انتفاضة مذمومة هي تلك التي تستخدم السلاح في مقاومة الاحتلال وأخرى محمودة هي التي تتنزه عن ذلك وتفضل الوسائل الأخرى المتبعة في الدولة الديمقراطية «والمتحضرة».

مصطلح «عسكرة الانتفاضة» هو إحدى طلقات ذلك المسدس التي صوبت إلى صدر الانتفاضة لإجهاضها بزعم أن مواجهة المحتل بالسلاح هي عمل مستنكر يتأبى عليه المتحضرون ومن ثم فإنه يعد مسلكاً مداناً يتعين الإقلاع عنه للحفاظ على نظافة الانتفاضة والارتقاء بمستوى المواجهة.

ولأن العمل الفدائي الفلسطيني الذي تجسدت فيه «العسكرة» هو الذي أوصل رسالة الوجع إلى إسرائيل، فقد صار هم قادتها، وشاغل الدول الكبرى المساندة لها، هو إبطال مفعول ذلك السلاح وتجريد الفلسطينيين منه لكي تهدأ إسرائيل بالاً وتهنأ باستمرار الاحتلال، وبوسع المرء أن يقدر دوافع الإسرائيليين ومن لف لفهم في سعيهم إلى ذلك، من ثم فلو أن مصطلح «عسكرة الانتفاضة» ورد على لسان أي مسئول ينتسب إلى تلك الجبهة لعذرناه وفهمنا موقفه، لكن مايصدم المرء ويحيره هو لماذا يتبنى أي طرف عربي المصطلح الذي يقف بالكامل على الأرضية الإسرائيلية، ولايخدم إلا الأهداف والمخططات الصهيونية.

من أسف أنه ليس المصطلح الوحيد، وإنما بين أيدينا قائمة طويلة من المفردات التي تسللت إلى لغة الخطاب العربي، في حين أنها تقف كلها على الأرض الإسرائيلية، ولا أعرف أن كان ذلك قد حدث على سبيل المصادفة، أم لا، لكن ما أفهمه أن المصطلحات والمفردات ذات الدلالة التي تتخلل خطابات السياسيين على الأقل، لاتلقى اعتباطاً وإنما يتم اختيارها في العادة بدقة شديدة، بحيث يكون المصطلح محملاً برسالة كاملة، وفي أحيان كثيرة خصوصاً في اللقاءات التي تتم على مستوى القمة- تتشاور العواصم المعنية حول ذلك النوع من المصطلحات، ويعمل المستشارون لأيام وأسابيع للاتفاق حول ماهو مستخدم منها.

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم
عادل رفاعي خفاجة

الحاسوب وسيلة هامة للنهوض بالدعوة

لاشك أن الحاسوب (الكمبيوتر) ذلك الاختراع العجيب فضل كبير أنعم الله به على البشرية.

وقد مر الحاسوب بعدة مراحل من التطور، فلم تفتح البشرية عينيها لتجد الحاسوب على هذا الشكل المبهر الآن، بل مر بعدة أطوار من الترقي سواء في الحجم أو في سرعة الأداء، أو وفرة البيانات.

وما كان ذلك إلا نتيجة كفاح وعمل دءوب متواصل.. والحاسوب كأى أداة يمكن أن يستعمل في الخير أو في الشر سواء، إنما مرده إلى نية المستخدم. فكما نسمع عن سرقات تتم بواسطة الحاسوب مثل السطو على أرصدة العملاء في البنوك، وعن استخدام الحاسوب في تزييف العملة بشكل دقيق قد لا يتعرف عليه إلا الخبراء في هذا المجال نسمع أيضاً عن الجانب المشرق لذلك الجهاز. ومن هذا الجانب نرى بوضوح العديد من الفوائد في مجالات شتى.

والذى يهمنا من ذلك ما يمكن أن نستفيده من ذلك الجهاز في مجال الدعوة.

فمثلاً إذا قمنا بتحميل الجهاز ببرنامج عن الأحاديث الشريفة، أو القرآن الكريم.. ثم بدأنا البحث عن حديث شريف فإننا نجده أمام أعيننا بمجرد كتابة كلمة نعلم أنها وردت في الحديث الشريف ثم إعطاء أمر «بحث» ليعطينا البرنامج النتائج المطلوبة، وهي في هذه الحالة الأحاديث التي تشتمل على هذه الكلمة التي وضعت قيد البحث. هذا أخرجه البخارى وذاك أخرجه مسلم، وبسهولة ويسر نستطيع أن نرى الفرق في اختلاف الروايات، كل ذلك في بضع ثوان.



رجال الدعوة .. وأمل متجدد في استيعاب متغيرات العصر

وكذلك الأمر نفسه إذا جعلنا كلمة البحث كلمة من القرآن الكريم، فإن نتائج البحث ستدلنا على عدد مرات ورود هذه الكلمة في القرآن وأسماء السور وأرقام الآيات التي وردت بها. فإذا كنا نبحث في موسوعة أدبية أو تاريخية مثلاً أو موسوعة تتحدث عن الأعلام.

فإن الأمر لايخرج عن كتابة (العَلَم) المراد البحث عنه وإعطاء أمر «بحث» ليعطينا البرنامج بيانات عن الشخصية المراد البحث عنها، بالإضافة إلى الأعلام الذين يشتركون في نفس الاسم.

هذا عن البرامج التي يمكن أن يقتنيها الإنسان فيضع في حقيبته ما تضيق عن احتوائه مكتبة بيته!

ويكفي أن نضرب مثلاً لذلك فنقول: إن الاسطوانة التي لا يتعدى قطرها خمس بوصات وربع البوصة ولايزيد سمكها عن بضع ملليمترات يمكن أن تحمل القرآن الكريم كاملاً بالإضافة إلى عدة تفاسير كاملة.

أو تحمل موسوعة ضخمة لأحاديث الرسول الكريم. وقد يضاف إلى تلك الموسوعة بعض كتب الشروح: كفتح البارى مثلاً بالإضافة إلى أن هذه البرامج تتيح فرصة التصفح المعتاد للكتب.

إن هذه التقنية العالية لبرمجيات الحاسوب تغرى أى عالم أن يتعلم تلك اللغة -وما أحسبها صعبة- وتدفعه دفعاً إلى هذا العالم الذى يموج بالمعلومات فإذا نظرنا إلى شبكة المعلومات الدولية «الانترنت» حيث التواصل

مع العالم أجمع مع توفير الوقت والكلفة الاقتصادية، وعلمنا أن الكمبيوتر هو السبيل الوحيد للدخول على هذه الشبكة وزيارة العديد من المواقع الإسلامية فى مختلف أنحاء العالم وغيرها من المواقع غير الإسلامية التى تستحق الزيارة لننفتح على أفكار الآخرين، بالإضافة إلى ما تتيحه هذه الشبكة من خدمة البريد الالكترونى، الذى يتيح التواصل بين الأفراد والجماعات بشكل فائق السرعة وبكلفة تكاد لا تذكر وبالاضافة إلى أننا نستطيع متابعة كل ماهو حولنا من إذاعة وتليفزيون وصحف فى أنحاء العالم وكذلك الدخول إلى المكتبات العامة القومية والعالمية..

أقول: إذا علمنا هذا.. أصبح تعلم لغة الكمبيوتر أمر واجب من أجل إثراء البحث العلمى والفقهى، ولاشك أيضاً أن الفقهاء فى حاجة ماسة لهذه المشاركة واللحاق بهذا الركب حتى لا نتخلف كثيراً عمن حولنا، بل لابد أن يكون أهل الفقه (حملة مشاعل التنوير الحقيقى) فى صدارة هذا الركب الحضارى، ولتكون كلمة الله هى العليا..

وبالله التوفيق.

ع. خ

وإلى رسائل القراء

نبدأ برسالة القارىء: هشام خضير، لما لها من صلة حول مقدمة هذا الباب حيث يقول: بسم الله الرحمن الرحيم

سعادة الدكتور/ محمد رجب البيومى

أرسل إليك هذه الرسالة وقد ألم بى شوق لا يدانيه شوق لسيدى وأستاذى، أعرف أنك سوف تتحير فى مَن هذا الهشام الذى يراسلك..

أنا يا سيدى مَن يطليك.. فى كل مكان وفى كل آن.. وعندما تلم بى الشكوى وتلح على النجوى لا أجد إلا مجلة الأزهر الغراء.. وفيها أتحسس كلماتك استشهد بها هنا وهناك، حجة وبرهاناً..

أقرأ وأنا أتذكر صوتك، صوت الأب الرحيم. أتعرف يا سيدى كم هى سعادتى وأنا أسعى بمجلة الأزهر؟.. أنا معها أشعر إننى مع الصفوة وهم حقا الصفوة.. أنا يا سيدى مدين لك، وأبدا أبدا ما لدينى وفاء.. وبعيدا عن الثناء والإطراء أشيد لك بالدور الفاعل الذى تقوم به مجلة الأزهر الغراء فى هذا العالم المضطرب فنحن ولاشك نجد فيها الصدق فى زمن جلله الغش والخداع كما أن ثوبها القشيب يصوّر التطور والتحضر.

ولى إشارة بسيطة إن كان يجوز لى أو يحق لى هذا وهو أن كثيراً من المجلات التى لاتقارن بمجلتنا أصبحت تصدر أعداد العام الواحد على (اسطوانة كمبيوتر) وأنا أرى يا سيدى أن مجلة الأزهر أولى بذلك، كما أن هناك من المجلات من يصدر صفحاته عبر شبكة الانترنت وأرى أيضا أننا أولى بكل هذا..

أرجو يا سيدى أن تسامحنى على هذا التطاول والتطويل. ولكن عزائى أن غيرتى هى الدافع لهذا... وتقبل منى تحية صادقة تحية حب وعرفان للمعلم والأستاذ.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تلميذك/ هشام خضير

بورسعيد مدرسة ٦ أكتوبر

المحرر:

● رسالتك يا أستاذ خضير اشتملت على:

(١) حب مستحق للاستاذ الدكتور محمد رجب البيومى، تشاركك فيه ويشاركنا فيه كل تلاميذه وهم كثر. وهو أهل لهذا الحب والتقدير وزيادة، فهو عالم عامل بالإضافة إلى أنه قدوة قلما يجود الزمان بمثله.

(٢) أما اقتراحك بوضع المجلة على الانترنت.. فهو ما يجرى الإعداد له، ونأمل أن يرى النور قريباً عبر موقع الأزهر:

www. Al Azhar on line. org وهو ما كتبنا عنه عدة مرات فى هذا الباب آخرها عدد شهر المحرم من هذا العام.

(٣) أما وضع أعداد المجلة على C.D سى. دى مع نهاية العام، فهو أمر تشاركك التفكير فيه، بل هو قيد دراسة نأمل أن ننتهى منها قريباً حتى نتمكن من عرضها على جهات الاختصاص. غير أننا نأمل أن يشاركنا القراء فى الإجابة عن التساؤلات التالية وإرسال إجاباتهم إلى إدارة المجلة:

ما الثمن المقترح للمجلة مع هذه الهدية التى قد تزيد عن عشرة جنيهات؟

هل سيقبل القراء على الشراء برغم ارتفاع الثمن فى هذا الشهر بنفس النسبة؟!

هل هناك قراء يشتركون مع الأستاذ خضير فى نفس الرغبة وكم يبلغ عددهم.

إن استجابة القراء للرد على هذه الأسئلة بالإضافة لما سيرسلونه من تصورات واقتراحات حول هذا الموضوع. سيكون فيها -بإذن الله- ما يرشد إدارة المجلة إلى تكوين الرأى الصائب حول هذا المقترح.. مع تحياتى للقارىء العزيز.

مع العالم أجمع مع توفير الوقت والكلفة الاقتصادية، وعلمنا أن الكمبيوتر هو السبيل الوحيد للدخول على هذه الشبكة وزيارة العديد من المواقع الإسلامية فى مختلف أنحاء العالم وغيرها من المواقع غير الإسلامية التى تستحق الزيارة لننفتح على أفكار الآخرين، بالإضافة إلى ما تتيحه هذه الشبكة من خدمة البريد الالكترونى، الذى يتيح التواصل بين الأفراد والجماعات بشكل فائق السرعة وبكلفة تكاد لا تذكر وبالاضافة إلى أننا نستطيع متابعة كل ماهو حولنا من إذاعة وتليفزيون وصحف فى أنحاء العالم وكذلك الدخول إلى المكتبات العامة القومية والعالمية.. أقول: إذا علمنا هذا.. أصبح تعلم لغة الكمبيوتر أمر واجب من أجل إثراء البحث العلمى والفقهى، ولاشك أيضاً أن الفقهاء فى حاجة ماسة لهذه المشاركة واللحاق بهذا الركب حتى لا نتخلف كثيراً عمن حولنا، بل لابد أن يكون أهل الفقه (حملة مشاعل التنوير الحقيقى) فى صدارة هذا الركب الحضارى، ولتكون كلمة الله هى العليا.. وبالله التوفيق.

ع. خ

وإلى رسائل القراء

نبدأ برسالة القارىء: هشام خضير، لما لها من صلة حول مقدمة هذا الباب حيث يقول: بسم الله الرحمن الرحيم

سعادة الدكتور/ محمد رجب البيومى

أرسل إليك هذه الرسالة وقد ألم بى شوق لا يدانيه شوق لسيدى وأستاذى، أعرف أنك سوف تتحير فى مَن هذا الهشام الذى يراسلك..

أنا يا سيدى مَن يطلبك.. فى كل مكان وفى كل آن.. وعندما تلم بى الشكوى وتلح على النجوى لا أجد إلا مجلة الأزهر الغراء.. وفيها ألمس كلماتك استشهد بها هنا وهناك، حجة وبرهاناً..

أقرأ وأنا أتذكر صوتك، صوت الأب الرحيم. أتعرف يا سيدى كم هى سعادتى وأنا أسعى بمجلة الأزهر؟.. أنا معها أشعر إننى مع الصفوة وهم حقا الصفوة.. أنا يا سيدى مدين لك، وأبداً أبدا ما لدينى وفاء.. وبعيدا عن الثناء والإطراء أشيد لك بالدور الفاعل الذى تقوم به مجلة الأزهر الغراء فى هذا العالم المضطرب فنحن ولاشك نجد فيها الصدق فى زمن جلله الغش والخداع كما أن ثوبها القشيب يصوّر التطور والتحضر.

ولى إشارة بسيطة إن كان يجوز لى أو يحق لى هذا وهو أن كثيراً من المجلات التى لاتقارن بمجلتنا أصبحت تصدر أعداد العام الواحد على (اسطوانة كمبيوتر) وأنا أرى يا سيدى أن مجلة الأزهر أولى بذلك، كما أن هناك من المجلات من يصدر صفحاته عبر شبكة الانترنت وأرى أيضا أننا أولى بكل هذا..

أرجو يا سيدى أن تسامحنى على هذا التطاول والتطويل. ولكن عزائى أن غيرتى هى الدافع لهذا... وتقبل منى تحية صادقة تحية حب وعرفان للمعلم والأستاذ.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تلميذك/ هشام خضير

بورسعيد مدرسة ٦ أكتوبر

المحرر:

● رسالتك يا أستاذ خضير اشتملت على:

(١) حب مستحق للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى، نشاركك فيه ويشاركنا فيه كل تلاميذه وهم كثر. وهو أهل لهذا الحب والتقدير وزيادة، فهو عالم عامل بالإضافة إلى أنه قدوة قلما يجود الزمان بمثله.

(٢) أما اقتراحك بوضع المجلة على الانترنت.. فهو ما يجرى الإعداد له، ونأمل أن يرى النور قريباً عبر موقع الأزهر:

www. Al Azhar on line. org وهو ما كتبنا عنه عدة مرات فى هذا الباب آخرها عدد شهر المحرم من هذا العام.

(٣) أما وضع أعداد المجلة على C.D سى. دى مع نهاية العام، فهو أمر نشاركك التفكير فيه، بل هو قيد دراسة نأمل أن ننتهى منها قريباً حتى نتمكن من عرضها على جهات الاختصاص. غير أننا نأمل أن يشاركنا القراء فى الإجابة عن التساؤلات التالية وإرسال إجاباتهم إلى إدارة المجلة:

ما الثمن المقترح للمجلة مع هذه الهدية التى قد تزيد عن عشرة جنيهات؟

هل سيقبل القراء على الشراء برغم ارتفاع الثمن فى هذا الشهر بنفس النسبة؟!

هل هناك قراء يشتركون مع الأستاذ خضير فى نفس الرغبة وكم يبلغ عددهم.

إن استجابة القراء للرد على هذه الأسئلة بالإضافة لما سيرسلونه من تصورات واقتراحات حول هذا الموضوع. سيكون فيها -بإذن الله- ما يرشد إدارة المجلة إلى تكوين الرأى الصائب حول هذا المقترح.. مع تحياتى للقارىء العزيز.

تربية النشء

وأما القارئ محمد أحمد عمر خالد - ليسانس لغة عربية وعلوم إسلامية - ديروط - أسيوط: فكتب يقول:

إن البداية الحقيقية لمواجهة التحديات التى تواجهها أمتنا تبدأ من اللبنة الأولى للمجتمع الإسلامى -النشء- (الأطفال)، فهم الذين سيحملون على عاتقهم التصدى لهذا المخطط الأمريكى الصهيونى لأمركة المنطقة العربية برمتها، وسواء واجهت المنطقة مخططات أم لم تواجه فإن الشريعة الغراء أمرت الآباء أن يؤدبوا أبناءهم ويتعهدوهم بالرعاية والتعليم، ويعلموهم آداب العيش والسلوك القويم وحسن معاملة الناس، فالطفل الصغير كالصفحة البيضاء القابلة لكل نقش، فإن عوّده أبواه على الخير نشأ ونما عليه، أما إن عوّداه على الشر وأهملاه صار شقيًا وتحمّلا الوزر كله يقول الله - تعالى -:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾

[التحريم آية ٦]

فيا معشر الآباء اشغلوا وقت فراغ الأبناء فى هذه المرحلة المبكرة بحفظ القرآن الكريم، والأحاديث النبوية وعلموهم التاريخ وأخبار الصالحين ليتشربوا المعانى السامية والقيم والفضائل

فمن الحقوق التى ألزم الإسلام بها الآباء حق الأبناء فى التعليم، بداية من تعليمهم الصلاة وانتهاء بتعليمهم الصدق فى القول والعمل.

ومن المتفق عليه لدى خبراء التربية بوجه عام أن الخبرات التى يكتسبها الطفل خلال السنوات الخمس الأولى فى حياته أشد تأثيرًا فى تنشئة شخصيته وصبغها بالصبغة الإسلامية من غيرها من مراحل حياته.

وينبهنا الإمام الغزالى إلى نقطة تربوية لها أثر السّحر فى نفوس الأطفال، ألا وهى أهمية الثناء والإشادة بالأعمال الطيبة والأخلاق الحسنة بما يدفعهم دفعًا إلى التمسك بذلك والمحافظة عليه، ويرى أيضًا ضرورة نسيان الخطأ الأول للطفل، لاسيما إذا شعر به وحاول إخفاءه، لأن معنى ذلك أنه ندم على خطئه، فإذا أعاد الكرّة مرة أخرى، فهنا فقط يجب أن يُعاقب سرًا، لأن عقابه أمام الناس يهوّن عليه سماع الملامة، كما يجب ألا يكثر الآباء أو المربين فى عقابه وتوجيه اللوم اللاذع له، لذا يجب على الأم أن تخوّفه بالأب و تزجره حتى لا يعود لأفعاله تلك مرة أخرى وينصح الإمام الغزالى المربى بعدم التدليل الزائد للأطفال فى ملبسهم ومأكلهم ومشربهم ورفاهيتهم حتى لا ينشأوا على ذلك ويتعودوا عليه، فيكون كل هدفهم فى الحياة هو المحافظة على هذا النعيم، وهذه

الرفاهية، فيخرج طريًا غير قادر على مواجهة أعباء الحياة ومتاعبها.. فالتنشئة الإسلامية الصحيحة تريده رجلاً بمعنى الكلمة متمسكًا بدينه وقيمه وفضائله واضعًا نصب عينيه قدوتنا الحسنة وسراجنا المنير سيدنا محمد ﷺ فمن ثمّ يخرج شابًا جلدًا قادرًا على الوفاء بأعباء الحياة، مدافعًا عن دينه وعن وطنه ضد أى غزو خارجى.

وصفوة القول إذا عرف الآباء ما عليهم من حقوق تجاه الأبناء وكذلك الأبناء إذا عرفوا ما عليهم من حقوق تجاه الآباء، تنشأ مجتمعنا إسلاميًا متماسكًا واستطعنا أن نقضى على كل الظواهر الفردية الغريبة التى دُست على أخلاقيات وقيم ديننا الحنيف، ولاسيما ظاهرة الفساد الأخلاقى لدى بعض الشباب والانحلال فيما يسمى بظاهرة «عبادة الشيطان»، وظواهر الزواج العرفى والإرهاب.

فكل هذه الظواهر نشأت فى غياب القدوة الحسنة من الآباء وفى غياب المتابعة الدقيقة من الآباء لأبنائهم.. فيا معشر الآباء اتقوا الله فى أبنائكم وقوموا بدوركم التربوي على أكمل وجه محتذين بمبادىء شريعتنا الإسلامية الغرّاء، ويا معشر الأبناء اتقوا الله فى آبائكم واسمعوا لهم وأطيعوا، فإن معصيتهم من معصية الله ورضاهم من رضاه.. هذا وبالله التوفيق.

التحذير من التبرج

وكتب الشيخ / محمد محمود حمودة وكيل معهد كرداسة يقول: أخى المسلم.. نحن نرى فى هذا الزمان أن المرأة بدأت تخرج من بيتها متبرجة، مقلدة لنساء الغرب، تقليدًا أعمى. وقد حذر الإسلام من هذا التبرج ونهى عنه لأنه رذيلة من الرذائل فالله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾

ففى هذه الآية الكريمة أمر الله سبحانه نساء النبى ﷺ بالاستقرار فى البيوت، ونهاهن عن التبرج، وإظهار الزينة للرجال الأجانب، كتبرج النساء فى الجاهلية الأولى، حيث كان الكفر قبل الإسلام، وقد أراد الله تعالى بهذا الأمر وذلك النهى لأمهات المؤمنين، وهن العفيفات المصونات التقيات دوام صون الشرف وطهارة العرض وسلامته مما يدنسه من قذر الخزى والعار، ولكى يكون الشعب كاملاً فاضلاً ولتكون الأمة أمة كريمة صالحة دعا الإسلام إلى كمال المرأة وتحليها بالفضيلة وتخليها عن الرذيلة. وقد جعل ملازمتها البيت هو الأصل

والخروج منه يكون للضرورة كخروجها للنفقة في دينها: بحضور درس السيدات بالمسجد بشرط ألا تكون متبرجة.

وللأسف.. هناك من النساء من يخرجن متبرجات وهناك من الرجال من يقع في حبائل الشيطان.

فيجب علينا ألا نسير في هذا الطريق المعوج ونلتزم بالطريق القويم، والله يقول:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

فلا يليق بالمرأة المسلمة أن تخرج متبرجة كأنها عروس تزف إلى زوجها وقد زادت إظهار زينتها، ومفاتنها، فزادت ثوبها تضييقا وتقصيرا وكشفت عن وصف ما يكون مستوراً من عورتها وبدنها كله عورة إلا وجهها وكفيها.

في النهاية أقول: علينا أن نتواصى بالصبر ولا نيأس من علاج التبرج مهما استفحل الأمر.. ونثق في فرج الله وأنه آت بإذنه تعالى.

من جُوده صلى الله عليه وسلم

اقتباساً من كتاب «السيرة النبوية» للدكتور عبدالمقصود نصار والدكتور محمد الطيب النجار

كتب القارئ محمد عبدالغني اسماعيل من قنا – الشيخية – يقول:

● كان ﷺ حليما جواداً كريماً كان يعطي ما في يده لغيره. وروي عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع الرجل إلى قومه وقال: أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، وحمل إليه تسعون ألف درهم فوضعت على حصير ثم قام إليها يقسمها ﷺ فما رد سائلا حتى فرغ منها فجاءه رجل وسأله فقال ﷺ: ما عندي شيء، ولكن ابتع عليَّ – أي اشتر على حسابي – فإذا جاءنا شيء قضيناه، فقال عمر – رضي الله عنه –: ما كلفك الله ما لا تقدر عليه، فكره النبي ﷺ ذلك فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالاً؛ فتبسم ﷺ وعرف البشر في وجهه وقال: «بهذا أمرت». وكان ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة، فصلوات الله وسلامه عليك يا سيدي يا رسول الله بقدر ما جاهدت وغزوت لإنقاذ هذا الدين الحنيف وحمداً لله تعالى كثيراً الذي جعلنا الوارثين لهذا الدين الحنيف وجعلنا به خير أمة أخرجت للناس.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فاطمة بنت أسد

أما القارئة – أميرة مكين فتكتيت تقول: هناك العديد من الصحابيات لايعلمهن كثير من الناس ولهن فضل عظيم في رفعة الاسلام والنهوض به ومعاونة الحبيب ﷺ ومنهم السيدة فاطمة بنت أسد بن هاشم زوج أبي طالب عم رسول الله – عليه الصلاة والسلام –.

وهي أم علي بن أبي طالب – كرّم الله وجهه – وأم طالب وعقيل وجعفر.

أسلمت في مكة قبل الهجرة ونالت شرف الهجرة مع نبي الله وأصحابه رضوان الله عليهم إلى المدينة.. وكان دورها بالغ الأهمية قبل البعثة في حياة محمد ﷺ فكانت سنداً له بعد عمه.. فلولا ما في قلبها من خير لتلقفت بكلمات ضد محمد وهو لم يزل طفلاً واستطاعت إقناع أبي طالب بترك كفالة ابن أخيه.. ولكنها أحبته عليه الصلاة والسلام وألقى الله في قلبها رحمة من عنده وحناناً ليعوضه عن آلام يتمه. فالجميع يعلم أن جد النبي – صلوات ربي وسلامه عليه – توفي و عمر محمد بن عبدالله (٨ سنوات) فاحتضنه عمه أبوطالب وجعله واحداً من أبنائه.. ولم يفارقه حتى في ترحاله.

ولقد آثرت فاطمة بنت أسد – رضي الله عنها – حب النبي – عليه الصلاة والسلام – على أولادها وخصته بمزيد من رعايتها.

وإذا كان المولى – سبحانه – لم يكتب لأبي طالب نعمة الإسلام، فقد كتبها لفاطمة زوجته.. وأكرمها بشرف الهجرة إلى المدينة وتوفيت هناك.

رد الجميل

وفي المقابل لم ينس الحبيب ما فعلته معه فاطمة التي يعتبرها أماً له حتى في وفاتها.. وكيف ينسى وهو الوفي؟!

حزن النبي ﷺ حزناً شديداً حينما توفيت وقال: «اليوم ماتت أمي». وكفنها بقميصه وحين سُئل.. لماذا هذا الحزن؟

قال: «ألبستها قميصي لتكسى بحلى الجنة.. وكانت أحسن خلق الله صنيعا بعد أبي طالب». إنه الوفاء ورد الجميل. [راجع المعجم الأوسط ٧/٨٧].

نعتذر للسادة القراء لعدم نشر رسائلهم كاملة، وذلك حرصًا من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من القراء. ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق في اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها. كما نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم ونواصل نشرها تباعا بمشيئة الله

من إبداعات القراء :

من أين تنهمر الدموع

من أين تنهمر الدموع؟!!
من أرض أقصانا على الخراب تحترق الشموع
من أرض بغداد الحبيبة تستقى ذل الخنوع
من أرض حيفا .. من بلاطة والخليل
من أرض كشمير المضامة بين أنياب الدخيل
من كل شبر من بلاد الحق ثكلى دمعها مرٌ يسيل
لكن دمعى لن يشارك دمعهم
ضعفى وعجزى لن يخالط عجزهم
فبرغم ضعفى لن ألين ولن أحيد
عن درب آبائي عن الحق التليد
لن أنحنى.. لن أنثنى.. لن أرتضى ذل العبيد
لن أرتضى إلا صلاح الدين.. يبعث من جديد
وسيعلم الباغون أن النور لاح
وبأن هذا الليل يعقبه الصباح
وبأننى قد سرت ألتمس الكفاح
وصرخت أوقظ أمتى بين الروابى والبطاح
قومى وحى على الفلاح.. قومى وحى على الفلاح

للطالب النجيب/ أحمد حمدى والى -
مدرسة الهدى والنور بالمنصورة - ٢/ث.

سَقَطَتْ عُرُوبَتنَـا

مـاذا يُسطِّرُ يا عـراقُ بنانى
والخطبُ أكبـرُ من جميع بيانى؟
بغـداد يا رمـزَ العـروبة كلهـا
قـاومت -وحدك- أمة الشيطان
أبكيك يا أرض الخليل كـأنما
لم تبكِ مثلى حـالكم عـينان

***

قد صرت يا بغداد ذكرى بعد عين
أين الفتى العربى مثل «صلاح» أين؟
بعناك يا مَهـد النبـوة -مثلما
بعنا -وبالعـار- أولى القبلتين
بعناك يا أرض الخـلافـة والندى
فغدوت ملكَ المُجرمين الأعجمين
سَقطتْ عُروبتنا المَجيدةُ مُزِّقَتْ
أوصـالهـا وهَوَتْ بأرض الرافدين
قفْ يا أخى المطعون فى أعمـاقه
نَسكُبْ على قبر العُروبة دمعتين

شعر مصطفى ابو الغيط



أنباء العالم الإسلامى

للأستاذ/ محمد الشرقاوى

حملة إدانة للتعصب والعنف ضد مسلمى وعرب أمريكا

دعا مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية «كير» المسلمين والعرب فى الولايات المتحدة الأمريكية وخارجها إلى المشاركة فى حملة اتصالات وضغط جماهيرى لمطالبة أعضاء مجلس النواب الأمريكى برعاية مشروع قرار مقدم حالياً فى الكونجرس يدين التعصب والعنف ضد مسلمى وعرب أمريكا ويقر بدورهم فى خدمة المجتمع الأمريكى على جميع الأصعدة، ويشير إلى طبيعتهم المسالمة والتزامهم بالقوانين وإسهامهم فى بناء المجتمع الأمريكى ويطالب مشروع القرار بضرورة دعوة سلطات تنفيذ القانون على جميع المستويات للعمل بقوة على التحقيق فى الجرائم التى تقع فى حق الأمريكيين من ذوى الأصول المسلمة والعربية، إضافة إلى عدة بنود أخرى تحمى حقوق الأمريكيين العرب والمسلمين.

٩١ ألف جريمة كراهية ضد المسلمين فى أمريكا

أكد رئيس المعهد العربى الأمريكى فى الولايات المتحدة «د. جيمس زغبى» أن الجالية الإسلامية العربية تواجه مشكلات جمة من اعتقالات وإهانات شخصية يصل عددها إلى (٩١) ألف جريمة كراهية ضد المسلمين، كما لحقت ببعضهم محاولات أذى لمجرد تمسكهم بدينهم. وأكد «زغبى»

في محاضرة ألقاها بالندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض على ضرورة إيجاد فهم أفضل بين العرب وأمريكا حيث لا يعرف المجتمع الأمريكي عن العرب والمجتمع الإسلامي والعربي إلا القليل.

اعتقالات ضد المسلمين في كمبوديا

اعتقلت الشرطة الكمبودية مسلماً رابعاً يشتبه بأنه عضو في تنظيم إسلامي وذلك قبل أسبوع من زيارة وزير الخارجية الأمريكي وكان مصري وتايلانديان اعتقلوا الشهر الماضي في إطار حملة أوسع على النفوذ الإسلامي مازالوا في السجن وهم متهمون بأعمال إرهاب دولي وبأن لهم صلات بالجماعات الإسلامية في جنوب شرق آسيا.

روسيا تسمح للمسلمات بالحجاب في صورة الهوية

أصدر وزير الداخلية الروسي «بوريس غريزلوف» مرسوماً سمح فيه للنساء بوضع الحجاب في الصور على الوثائق الثبوتية مما يضع حداً لجدل رفعته مسلمات من تتارستان أمام القضاء.

وأعلن وزير الداخلية أنه يسمح للمواطنين الذين يحرم عليهم دينهم الظهور مكشوفي الرأس بتغطية الرأس في الصور التي توضع على بطاقة الهوية شرط ألا يغطي الوجه.

نائبة برلمانية هولندية تتهم الدين الإسلامي بالتخلف

أثارت النائبة البرلمانية الهولندية «هيرش علي» عضو حزب الشعب الديمقراطي (VVD) حالة من الغضب الجديدة بين الجاليات الإسلامية بهولندا وذلك لأنها تطالب بتطهير الإسلام من سلوكيات تزعم بأنها متخلفة.

كما أنها تطالب المسلمين بالتخلي عن النصوص القرآنية والإسلامية القديمة، والتي مر على وجودها قرون طويلة وأصبحت لا تتلاءم مع العصر الحديث والتحضر. وادعت أن هذه النصوص القرآنية تضع المرأة تحت ضغوط وتقهرها إنسانياً وأنه على المسلمين الاعتراف بوجود سلوكيات وتعاليم سيئة ورجعية في الدين والثقافة الإسلامية القديمة.

جاءت تصريحات نائبة البرلمان الهولندي إبان قيادتها حملة نسائية يشاركها فيها نظراؤها في الارتداد والمعاداة للدين الإسلامي، وذلك للدفاع عن السيدة النيجيرية «أمينة لوال» والتي تواجه الآن محاكمة في بلادها بتهمة الزنا لإقامتها علاقة غير شرعية مع رجل

غير زوجها حيث أعلنت البرلمانية الهولندية أن مثل هذه المحاكمة يجب ألا تتم ويجب على المسلمين أن يتركوا للمرأة حرية إقامة العلاقات الجنسية الخاصة بها!

ويذكر أن النائبة البرلمانية الهولندية والصومالية الأصل قد ارتدت عن الدين الإسلامي نهاية العام الماضي وكالت الاتهامات والتطاول على الإسلام، وتقود حملة شعواء تطالب من خلالها مؤيديها بالثورة ضد الإسلام حيث اتهمته بالتخلف وتطاولت على الرسول صلى الله عليه وسلم. ثم عادت وهاجمت الحجاب والسلوكيات الدينية التي تحمي المرأة خلقياً ووصفتها بالتخلف وقهر المرأة. وقد أثارت تصريحات «هيرش علي» مجدداً غضب المؤسسات الإسلامية. حيث طالب رؤساء المؤسسات بوضع حد نهائي لتصرفاتها وتجاوزاتها كما طالبوا بوقف تدخلها في شئون الدين الإسلامي وتبنيها مواقف متعلقة بأفراد لتتخذ منها ذريعة لمحاربة الإسلام.

أمريكا تخطط لبناء غرفة إعدام في «جوانتانامو»

كشفت مصادر أمريكية عن عزم الولايات المتحدة انشاء محكمة وغرفة إعدام داخل معسكر الاعتقال الأمريكي في جوانتانامو بكوبا. أكدت المصادر أن قوانين وزارة الدفاع الأمريكية بشأن المعتقلين في جوانتانامو تسمح بإصدار أحكام إعدام ضد المعتقلين -مع ملاحظة أن عقوبة الإعدام ممنوعة في القانون الأمريكي.

من جهة أخرى طالبت بريطانيا الولايات المتحدة الأمريكية بتسوية أوضاع معتقلي جوانتانامو.

ووصف «مايك أوبراين» سكرتير الدولة البريطاني للشئون الخارجية احتجاز المعتقلين بجوانتانامو بأنه وضع شاذ.

وطالب «أوبراين» الولايات المتحدة بتطبيق القواعد الدولية في طرق اعتقال هؤلاء السجناء.

يذكر أن الولايات المتحدة تعتقل أكثر من (٦٥٠) شخصاً بجوانتانامو منذ أكثر من (١٦) شهراً دون تقديمهم إلى المحاكمة أو اللقاء بمحام.

***

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

الإمام الأكبر يستقبل سفير أفغانستان بالقاهرة

– استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر السيد / عبد الغفار كرزى مستشار ووزير مفوض وقائم بأعمال السفارة الأفغانية بالقاهرة، رحب فضيلته بالضيف فى مصر وأزهرها الشريف موضحا بأن الأزهر على استعداد لتلبية طلبات أفغانستان عن طريق التمثيل الدبلوماسى، ومن جانبه أعرب الضيف عن سعادته بتلك الزيارة مشيدا بالدور الإيجابى الذى يقوم به الأزهر الشريف فى تعليم أبناء المسلمين عامة وتعليم أبناء أفغانستان خاصة، وقال إننا نحترم الأزهر الشريف ونتخذه قدوة لنا ونتمنى أن يزداد تعاون الأزهر وأفغانستان، ولنا رغبة قوية فى أن يأتى أبناؤنا إلى الأزهر الشريف ليتعلموا أمور الدين الإسلامى والوسطية التى يمتاز بها التعليم الأزهرى، وأبناؤنا من الطلاب يحترمون الأزهر الشريف ليس فقط فيما يتعلمون من أمور الدين والثقافة ولكن فى كل أمور حياتهم، ولذلك فنحن نطلب زيادة فى المنح الدراسية.

وقد وافق فضيلة الإمام الأكبر على طلب السفير.

ويستقبل المدير التنفيذى لبرنامج الغذاء العالمى

– استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد / جيمس موريس المدير التنفيذى لبرنامج الغذاء العالمى والوفد المرافق لسيادته، وقد رحب فضيلته بالوفد فى الأزهر الشريف موضحا دور الأزهر التعليمى، ووظيفته فى إظهار الوجه السمح للإسلام عن طريق تشريعاته وآدابه وتوجيهاته وأن الإسلام يعتبر الناس جميعا من أب واحد وأم واحدة وعليهم أن يتعاونوا؛ لأن التعاون يولد المودة والمحبة، وتبادل المنافع بين الناس، وأيضا فإن الأزهر الشريف يحافظ على اللغة العربية حتى تبقى لغة يستطيع الناس أن يتفاهموا عن طريقها إلى جانب تفهمهم للغة الإنجليزية والفرنسية وغيرهما، موضحا أن الأزهر الشريف يدرس المناهج التى تدرس فى مدارس التربية والتعليم ثم يتوسع الأزهر

الشريف بعد ذلك فى حفظ القرآن الكريم ودراسة العلوم الشرعية والعلوم اللغوية، وفى المرحلة الجامعية تدرس بجامعة الأزهر الشريف والتى يتبعها ٨٠ كلية تنقسم إلى كليات دينية ولغوية مثل كليات أصول الدين واللغة العربية والشريعة والدراسات الإسلامية والدعوة، وكليات عملية مثل الهندسة والطب والزراعة والصيدلة، واللغات والترجمة، والتجارة، والتربية الرياضية، والعلوم، وقد أوضح فضيلته بأن مهمة المدير التنفيذى لبرنامج الأغذية العالمى هى مهمة إنسانية ونحن نؤيدها وكل العقلاء يؤيدونها، لأن مساعدة الفقراء والمحتاجين أمر تفرضه جميع الشرائع السماوية والعقول الإنسانية السليمة، ونتمنى لكم مزيدا من العطاء وأن يوفقكم الله فى أداء رسالتكم السامية لخدمة الإنسانية، ومن جانبه شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على ما قدمه من شرح واف موضحا بأن برنامج الأغذية العالمى هو من أكبر البرامج فى منظمة الأمم المتحدة والبرنامج يؤدى خدمة للفقراء والمحتاجين دون النظر إلى دياناتهم أو جنسياتهم، وتركز على الأطفال والنساء والشيوخ، وتقدم المساعدة لما يزيد على ٢٧ مليون عراقى، وعشرة ملايين من أفغانستان، كما تقدم لفلسطين والسودان وأندونيسيا والسنغال والدول التى تحتاج إلى المساعدة.

الإمام الأكبر:

يجب أن يتولى العراقيون شئون بلادهم

– استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير / جون ساورز سفير المملكة المتحدة بالقاهرة بمناسبة انتهاء عمله بالقاهرة وتسلمه العمل الجديد فى العراق، وقد رحب فضيلته بالسفير متمنيا له التوفيق فى عمله الجديد بالعراق، وأوضح فضيلته بأن ما نسمعه ونقرأه عن العراق يحتاج إلى حكمة ونظرة بعيدة وخير وسيلة أن تقوم المملكة المتحدة بالتنسيق مع الولايات المتحدة الأمريكية بتسليم حكم العراق لأبناء العراق فى أسرع وقت ممكن، وأن يبقى إشراف الدولتين لفترة معينة محددة، وأن يكون تشكيل الوزارة فى العراق مشتملا على جميع الطوائف والمذاهب المختلفة، وبذلك يتحملون المسئولية كاملة لخدمة بلادهم، وأن وضع الأمور بدون تخطيط سيؤدى إلى مزيد من الفوضى لكل الأطراف، وأوضح بأن العراق شعب يملك من الإمكانيات الكثير سواء بشرية أو طبيعية، ومن أجل ذلك يجب أن يتولى العراقيون شئون بلادهم حكما بالحق والعدل والبعد عن التعصب وعلى الأمريكان والإنجليز أن يوضحوا للشعب العراقى أن وجودهم إنما هو بصفة طارئة وعليهم أن يحكموا أنفسهم بحزم حتى ينشأ بالعراق جيل جديد يترك العصبية والمذهبية وأن ينبذوا الفرقة، وأنه لا فرق بين سنى وشيعى وكردى، وإنما من حق كل مواطن عراقى أن يتساوى فى الحقوق والواجبات، وأن يتعاونوا من أجل حكم بلادهم.

وأكد على أن على الأمريكان والإنجليز أن يوضحوا للشعب العراقي أنهم لم يأتوا إلى بلادهم للاحتلال والاستغلال، وإنما جاءوا لمهمة معينة وهي إسقاط نظام صدام حسين وتسليم العراق لأبناء العراق في أقرب وقت، ومن جانبه أوضح سعادة السفير بأن حديث فضيلة الإمام الأكبر هو عين العقل وأن بلاده تعمل من أجل أن يكون الوضع في العراق معتدلا وأنه في أقرب فرصة سيشكل مجلس قيادي للعراقيين يشتمل على القادة المتحدثين والسياسيين ويمثلون البلاد من شمالها وجنوبها، وهذا المجلس سيقوم بتعيين وزراء للتعامل مع المشكلات في الفترة الانتقالية من أجل وضع دستور جديد للعراق حتى لا يعود العراق لكابوس صدام حسين، وأن الوجود الإنجليزي سينتهي فور نجاح العراقيين في تولي أمورهم، وخاصة بأن الشعب العراقي قد عانى القهر في عهد صدام، وأن ما حدث منذ فترة من مقابر جماعية تكتشف كل أسبوع وهم من قتلهم صدام بوحشية، هي صورة تحث العراقيين على تنظيم أمورهم بتعقل وترو، وأن يعملوا على إعادة التوازن في العراق، وأوضح السفير بأنه سينقل وجهة نظر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر لبلاده ويعمل بنصيحته بإيجاد وزارة تشمل كافة الطوائف العراقية مما يجعل الآمال تتحقق والأمن يعود للعراق، كما أوضح السفير بأن الموقف حيال خارطة الطريق بين الفلسطينيين واليهود يمثل أهمية لدى الإنجليز، ونعمل على الضغط من أجل تحقيق التقدم والحل العادل في فلسطين.

الإمام الأكبر يؤكد:

نؤمن بالحوار لأنه يزيد من المعرفة والألفة

- استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير / كريستيان أولدنبرج سفير الدانمرك بالقاهرة حيث رحب فضيلته بالسيد السفير في الأزهر الشريف مشيدا بعمق العلاقة بين مصر وأزهرها الشريف ومملكة الدانمرك مثنيا على دولة الدانمرك الصديقة وعلى حكومتها وشعبها فهي دولة محبة للسلام وأنها مملكة ذات سمات طيبة ونحن نحبها ونحترمها وعلى استعداد للتعاون معها فيما يطلبه السيد السفير.

ومن جانبه شكر السيد السفير فضيلته على اللقاء الطيب البناء وحسن الاستقبال، ودار الحديث حول الوفد الذي سيزور الأزهر الشريف وهو وفد رفيع المستوى من الكنيسة الدانمركية بهدف إجراء حوار حول العلاقة بين الأديان في مصر وتوضيحها لأعضاء الوفد من منطلق تعميق الحوار، حيث إن المعلومات التي يعلمها رجال الكنيسة عن تلك العلاقة غير واضحة لديهم، وأن زيارته لمشيخة الأزهر الشريف تهدف إلى التنسيق لهذا اللقاء، وقد رحب فضيلة شيخ الأزهر بالوفد حين يزور الأزهر الشريف موضحا بأن في الأزهر الشريف لجنة للحوار هدفها توضيح العلاقة بين الأديان وإبراز الجوانب المتفق عليها بين الأديان من تبادل للمنافع ونشر للفضائل والعمل على نشر السلام ونبذ الحروب ذات الأهوال المدمرة ونبذ العدوان، ونحن نؤمن

يفتح باب الحوار لأنه يزيد من المعرفة ومن الألفة ومن المحبة، موضحا بأن الله - عز وجل - أوجدنا في هذه الحياة للتعاون والتعارف لأننا خلقنا من أب واحد وأم واحدة من أجل تبادل المنافع والمعرفة وتقديم العون للمحتاج، ولنصرة المظلوم، ونحن نقول دائما إنه لا تحاور بين الأديان في العقائد لأن التحاور في العقائد لا يؤدي إلى نتيجة، ولأن الذي يحاسب على العقائد هو الله - عز وجل - ولكل إنسان عقيدته ولا إكراه عليها، وإنما الحوار من أجل نشر الفضائل ومكارم الأخلاق وكل ما يتعلق بالسلوك الحميد الذي يعود على البشرية بالنفع والخير، مؤكدا فضيلته على أن الأزهر الشريف بابه مفتوح دائما لكل من يأتي إليه ويريد المعرفة من أصحابها.

الإمام الأكبر يجتمع برؤساء المناطق الأزهرية

- برئاسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف عقد الاجتماع الموسع لرؤساء المناطق الأزهرية على مستوى الجمهورية وبحضور السادة المسئولين عن العملية التعليمية بالمناطق الأزهرية للوقوف على آخر الترتيبات النهائية لامتحانات الشهادات الأزهرية حيث أكد فضيلة الإمام الأكبر على أن كافة المناطق قد اتخذت تدابيرها النهائية المتعلقة بتجهيز اللجان، وتوفير احتياجاتها ومتطلباتها الضرورية وتهيئتها لإجراء الامتحانات دون معوقات والتأكيد على رؤساء المناطق للاطمئنان على صلاحية الموقع قبل بدء الامتحانات، وأكد على ضرورة تحقيق الانضباط والالتزام داخل اللجان من أجل الارتقاء بالمستوى التعليمي الأزهري، وأمر فضيلته بتوزيع مبلغ مائة ألف جنيه تعزيزا للمناطق لمواجهة أعمال ومتطلبات الامتحانات كما أكد فضيلته على أهمية مراكز تقدير الدرجات والعناصر التي يجب توافرها في العاملين من حيث الدقة ووضعهم أمام مسئولياتهم حتى يأخذ كل طالب حقه كاملا.

وتم توزيع نماذج الاستمارات الخاصة برصد المعاهد سواء الابتدائية والإعدادية والثانوية من حيث عدد الفصول وعدد الطلاب وعدد العمال وحالة المعهد ومساحته وذلك ضمن خطة توصيف حالات المعاهد التي تحتاج إلى ترميم، كذا تصفية المعاهد التي فوق المساجد، وكذلك المعاهد ذات المساحات الصغيرة وتحويل طلابها إلى معاهد مجاورة.

الإمام الأكبر يجتمع بالمجلس الأعلى للآباء والمعلمين

- برئاسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف عقدت جلسة المجلس الأعلى للآباء والمعلمين على مستوى الجمهورية وتمت الموافقة على الاقتراح الخاص باستمرار عضو المجلس في عمله لأكثر من دورتين متتاليتين طالما له أبناء في التعليم قبل الجامعي، وتمت الموافقة على المقترحات الخاصة بالتبرع لتسديد المصروفات لكفالة الطفل اليتيم غير القادر بناء على البحث الاجتماعي، كما وافق المجلس على تقرير أعمال لجنة متابعة تنفيذ قرارات المجلس، وعرض خطة الأنشطة

والخدمات الطلابية للعام المالى ٢٠٠٣/ ٢٠٠٤م والتى تم إعدادها بالتنسيق مع السادة المسئولين بالإدارة المركزية لرعاية الشباب، واسترشادا بقرار لجنة الشباب والرياضة ويتم الصرف على الأنشطة والبرامج التنفيذية فى مجال المسابقات والاحتفالات والمؤتمرات وحفظ وتجويد وتفسير القرآن الكريم للبنين والبنات، وأيضا للمسابقات الاجتماعية من مسابقات الملصقات السلوكية المصورة للمرحلة الابتدائية، ومسابقة البحوث الاجتماعية للمرحلة الإعدادية والثانوية، ومسابقة فرق الهلال الأحمر، والتبرع بالدم، ومسابقة المقاصف التعاونية، ومسابقة أوائل الطلاب المرحلة الابتدائية ومسابقة المعارض الثقافية والفنية، والمسابقات الرياضية، وتكريم أوائل الشهادات العامة الأزهرية والجائزة الكبرى، كذا معسكرات الأنشطة النوعية والرحلات، كما تمت الموافقة على المتنوعات من تدعيم النشاط الرياضى والاجتماعى، كذا تدعيم الأنشطة المركزية، وتدعيم البرامج والأنشطة التى تنفذ للمناطق، والجلسات والمطبوعات، كما أكد المجلس على البدء ببناء بيت الشباب بجمصة على مساحة ٨٤٠٠م٢ ودراسة بناء باقى بيوت الشباب فى أماكن أخرى، وفى نهاية اللقاء أثنى فضيلة شيخ الأزهر الشريف على الجهد المبذول من الآباء ورعاية الشباب فى متابعة وتنفيذ تلك البرامج.

الإمام الأكبر يعتمد نتيجة الابتدائية الأزهرية

- اعتمد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف نتيجة امتحان الشهادة الابتدائية الأزهرية على مستوى الجمهورية للدور الأول وقد بلغت النسبة المئوية للنجاح ٧٠,٣٥٪ حيث تقدم لأداء الامتحان ١٢٣٣٨٨ طالبا وطالبة نجح منهم ٨٦٣١١ طالبا وطالبة، والطلاب الراسبون يؤدون الامتحان بالدور الثانى فى المواد التى رسبوا فيها والعشرة الأوائل من المبصرين على مستوى الجمهورية: إيمان رشدى طلبة طه - مها عمر عاطف قطب عمر الطيب - عبيدة الرحمن عماد عوض عبد الجليل - دعاء عسكر سليمان على عسكر - روضاء محمد مصطفى العرابى - خديجة المتولى أبو العينين شرف الدين - سارة عبد الله إبراهيم على زغلول - هند سعيد إبراهيم محمود الديب - وفاء مصطفى عبد الحميد رضوان - مريم إبراهيم أحمد الطنطاوى.

والعشرة الأوائل من المكفوفين على مستوى الجمهورية: إسلام خالد شعبان - مصطفى محمود أحمد أحمد - أحمد محمد حسين صالح - محمد عزت محمد الشربينى - محمد جمال الدين أحمد محمد - أحمد محمد سليمان محمد - سارة محمود عبد الرحمن - أمل سعيد حامد أحمد - فاطمة محمد حسن رجب - سحر محمد طلعت عباس.

that was held by the Pakistani Government for the Egyptian delegation. Al-Baqouri was curious to record the speech made by the Pakistani Ruler, Ghulam Muhammad to the Egyptian President, Abdul-Naser, especially all that was said about Al-Azhar. The Pakistani Ruler said, "The Egyptian people had a great history. Besides, Egypt represents one of the most ancient civilizations on earth. Moreover, Egypt is always looked at as the fountainhead from which the Islamic culture and civilization are derived. That fountainhead is called the great Al-zhar University.

Then, the reply came from Abdul-Nasr fraught with thanks for the generous reception. He said, "I do thank Your Highnesses for your fair speech about Al-Azhar. I would like to express my great pleasure as I have here besides me one of the symbols of Al-Azhar, namely, Sheikh Al Baqouri, the Minister of Endowments."

Al Baqouri gave a marvelous comment on the two speeches highlighting the Islamic University as well as the eternal brotherhood and unity that gather all Muslims, regardless of their approaches, towards establishing the Islamic Conference in order to unify our word. Al-Baqouri went on to say, "Al-Azhar is the only entity that can eliminate doubt and perplexity in the human community. Furthermore, Al-Azhar managed to gather around it various forces all over the world carrying the flag of true freedom: namely, worshipping other than Allah brings nothing but humiliation."

Ahmad Hassan Al-Baqouri
One of Al-Azhar Great Scholars

By: Al-Sayed Hasan Qoroun

Sheikh Ahmad Hasan Al-Baqouri represents a mind attracting phenomenon that appeared at Al-Azhar. So, whoever wants to know him better has to look into both his words and deeds; however, his deeds may be more effective and apparent than his words.

For more illustration, Sheikh Al-Baqouri was a scholar of a practical methodology. Thus, all his literary works were meaningful and constructive: namely, he adopted the school of ***"Art is for the communiy's welfare."***

For his extraordinary efforts as well as self-denied character, Sheikh Al-Baqouri assumed many positions such as the Minister of Endowments, Head of Al-Azhar University, and General Secretary of the Muslim Youth Association. As for his date and place of birth, Sheikh Al-Baqouri was born in May 1909 in a country called Baqour, to which his name is ascribed. Upon reading his diary, we can find that he descended from the lineage of Al-Hasan Ibn Ali, may Allah be pleased with him, and his mother descended from the same honorable blood, so he is honorable from both sides. Sheikh Al-Baqouri's family came from Sosa, a city in Tunisia, and settled in Dowinah and finally moved to Baqour in Assuit.

Al-Baqouri's father was a *Sufi* (Muslim devout) of great Islamic knowledge, so he thought that the best thing for his son would be letting him join Al-Azhar. In 1919, the father

brought his son to Assuit to join the Religious Institute. Fortunately, the Religious Institute was at its prime as it contained well-known scholars such as Abdur-Riheem Al-Adawy, Muhammad Abdul-Latirf Diraz and Abdul-Gileel Isa. All of those scholars were pioneers in literature, country's affairs and love of freedom. Hence, they practiced great influence on forming Al-Baqouri's character.

At the Religious Institute, Al-Baqour's signs of intelligence and ambition began to appear. That is, Allah endowed him with eloquent tongue and magnificent manners, so he was beloved by all his mates and admired by his masters.

After finishing education in the religious institute, Al-Baqouri joined Al-Azhar in Cairo. His fame and brilliance helped him to get high marks as well as the highest certificate at Al-Azhar. Moreover, he was the head of students' union. Therfore, Al-Baqouri used to take part in all the demonstrations coming from Al-Azhar.

In September 1952, Al-Baqouri became the Minister of Endowments. He took an oath on himself to support the Revolution of June. In this regard, Al-Baqouri said, "I could not hesitate to support the revolution and stand by its leader, Jamal-Abdul-Naser, who used to repeat, 'O brothers, raise up your heads for the era of imperialism has come to an end.'" In addition, Al-Baqouri traveled with Abdul-Naser to Pandong to attend the Afro-Asian Conference in Indonesia, there, he attended the celebration

In support of the above-mentioned view, Allah, Exalted be He, says:

﴿Surely the believers are only brothers; so make a reconciliation between your two brothers, and be pious to Allah, that possibly you would be granted mercy.﴾ [Al-Hujurat (The Apartments): 10]

Unquestionably, the meaning of brotherhood among individuals is not fulfilled, except through mutual cooperation and solidarity along with the feeling (planted in every individual) of being one member who has to help the other members. That is, every individual has a duty to fulfill and a task to perform for the community's best interest.

In this relation, Allah's Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, brought up our Arab nation on unity and helped to make it the best nation that ever came up for people. This is due to the statement of Allah, the Ever-High, in which He says:

﴿Surely this nation of yours is one nation, and I am your Lord; so worship Me.﴾ [Al-Anbiya' (The Prophets): 92]

and

﴿And surely this nation of yours is one nation, and I am your Lord; so have piety towards Me.﴾ [Al-Mu'minun (The Believers): 52]

Hereby, the nation whose members meet together according to such a comprehensive unity has to be of great determination and sublime morals. In this regard, Imam Muhammad Abdou was reported to have said, *"If any nation shows any sign of tendency towards unity, so give its people glad tidings that they will be of great supremacy."*

Not to mention that all the Prophets and Messengers of Allah used to invite all their nations towards unity, so as to keep their entity, nationalism, and independence. For example, the magnificent authority and power Dhul-Qarnayn (i.e. the two-horned king) reached were not only out of his successive military victories and resourcefulness, but they were also

reached and established through his determination to achieve unity among his people; east and west. Dhul-Qarnayn was from an Asian family who appeared in the middle of the sixth century B. C. At that time his country was divided into two, however, he managed, through his talent and authority, to unite them together. In addition, many other victories were achieved under the rule Dhul-Qarnayn as mentioned by Allah in His book (Qur'an):

﴿Surely We established him in the earth, and We brought him means to (accomplish) everything.﴾ [Al-Kahf (The Cave): 85]

Hence, we can conclude that unity is a moral power that excels all material ones (when considering reasons). That moral power requisites that all individuals cooperate for achieving the public interest, as Allah, Exalted be He, says:

﴿And help one another to benignancy and piety, and do not help one another to vice and hostility and be pious to Allah; surely Allah is strict in punishment.﴾ [Al-Ma'idah (The Table) :2]

Accordingly, Islam commands all the people on earth to unite together; even those of different religious and races. Moreover, Islam commands them to cooperate towards good and righteousness. This is because there is no difference between Muslims and Christians as long as their goal is one.

All in all, the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, said, ***"Allah [is] with the Community (i.e. helps them) and Satan [is] with those who deviate from it (i.e. insinuates and disunites them)."*** This is due to the fact that disunity leads to dispute and then utter destruction. The Prophet also said, ***"Do not dispute among yourselves, for when those who were before you disputed, they ruined (themselves)."*** That is, dispute and disunity paves the way for the enemies to set disputants apart and increase the gap among them. Another reason behind the Prophet's exhortation towards unity is that disunity weakens people and suppresses their power.

In addition, Al-Bahy wrote more than seventy compilations encompassing various fields of the Islamic culture. Those compilations made Al-Bahy assume a high position among the other scholars of the contemporary Islamic culture. Al-Bahy's distinction was due to his creative methodology in both thought and expression, that is, he would never use except clear words with precise meaning, even when talking about specific philosophical issues. Not to mention that his educational practice had its great influence on him, as it gave him a wide knowledge about how to address different minds with different philosophical conceptions.

Although the compilations of Al-Bahy exceeded seventy books, however, no one of them acquired widespread fame similar to that book entitled ***"Modern Islamic Thought and the Western Imperialism."*** That book represented an essential source for students as well as researchers due to its comprehensive, meaningful connotation. Therefore, it spread all over the Islamic countries through the several interpretations. In the introduction of the third edition of the book, Al-Bahy said, "Though I have so many compilations other than ***'Modern Islamic Thought and the Western Imperialism,'*** but it is the only book by which people recognized me in all my several journeys; east and west. In 1960, I traveled to many countries, including Pakistan, Malaysia, Indonesia, Philippines, North Africa (Libya and Morocco) and West Africa (Nigeria), where I was received with great ovation due to the celebrity of my book ***'Modern Islamic Thought and the Western Imperialism.'"***

The Unity Of The Nation Symbolizes Its Power

By: The Honorable Sheik,
Abdul-Munsif Mahmoud Abdul-Fattah

Allah, Exalted be He, says:

﴿And adhere firmly to the Rope of Allah, altogether, and do not be disunited; and remember the favor of Allah upon you as you were enemies, then He brought your hearts together, so you have become brethren by His favor.﴾

[Al-Imran (The Household of Imran): 103]

Hence, the most effective factor leading to the nation's progress and renaissance as well as helping it to reach the highest rank amongst other nations is that involving the unity of hearts and joining of efforts. This is due to the fact that unity is the basis of reaching supremacy and glory.

Undoubtedly, none of the nations has achieved progress or assumed a great rank, except through cooperation, solidarity and mutual support. Through unity, nations get stronger and prosperous, dreams become true, and goals be achieved. That is why Islam exhorts people to get united in order to achieve all their interests and desires. Moreover, Allah, Glory be to Him, commands us to unity under the flag of the Ever-Noble Qur'an, so that Muslims should join their forces and be of one accord. Besides, all Muslims should take the Qur'an for a guiding light that guides them towards the right way away from all that which may disunite them.

Thereby, Muslims are to be among those who invite to peace and reformation not among those who invite to disunity and dispute. Aren't Muslims like one body? That is, if any part of it complains, the whole body feels for it through fever and sleeplessness. Accordingly, every individual should not be selfish as to seek his own interest; rather, individuals are to go for the help of each other so as to attain the society's common interests.

Dr. Muhammad Al-Bahy
Thinker and Reformer

By: Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy

Muhammad Al-Bahy joined Al-Azhar when he was nine. He was always perceived as the talented, intelligent student who preceded his schoolmates in all the academic years. Moreover, his teachers were exerting a lot of efforts collecting the materials so as to be able to answer his witty questions. Amazingly, Muhammad Al-Bahy managed to cut short the four-year high education in only one year. All that goes back to the his talent and intelligence.

After finishing his academic study at the age of twenty-five, Muhammad Al-Bahy became a member of the group of exchange students sent by Al-Azhar to Germany for studying philosophy. There, he got his Ph.D. with distinction in both philosophy and psychology. So, when he returned, Al-Azhar colleges received him with great ovation.

In Germany, Muhammad Al-Bahy could not assume a passive or indifferent attitude towards the false accusations and void claims launched against Islam from all directions. Unfortunately, those false accusations were launched by his masters. Hence, Muhammad Al-Bahy listened carefully to the opinions of his master, Louk, in his lectures about the "Philosophy of History" by Heigel. In listening to such lectures, Muhammad Al-Bahy came across many wrong ideas and opinions attributed to Islam. Moreover, he listened to the opinions of his master, Shtrotmann, and came to realize that they depicted Islam as a primitive religion. Upon realizing this, Muhammad Al-Bahy insisted

on writing a book in German entitled ***"Islam's Message between the Ideologies of Muhammad Abdou & Heigel."*** The reason behind choosing Imam Muhammad Abdou in particular is that his compilations on both Islam and Christianity would symbolize justified answers to such fake, aggressive accusations raised by the German philosopher.

With regard to the above-mentioned issue, Al-Bahy refuted all the claims of Heigel stating that Islam was not disseminated except by sword not word. In order to achieve this, Dr.Al-Bahy based his defense on the statements of the fair European scholars. Besides, *Ustaz* Muhammad Al-Bahy stood against the aggressive accusation of the German philosopher, Shtrotmann, claiming that Islam is the religion of fanaticism. For more illustration, he threw light on one of the most prosperous eras in the Islamic history, which symbolized hard evidence refuting such an accusation. As for the issue of Muslims' retardation in the last decades, *Ustaz* Muhammad Al-Bahy said, "It goes back to Muslims' aversion from the teachings of Islam and not due to a shortcoming in Islam itself, as claimed by Heigel."

After that, Dr. Muhammad Al-Bahy moved to tackle another issue in a book entitled ***"Islam and Christianity"*** wrote by Imam Muhammad Abdou. His aim was to derive a comparison between the ideas of Imam Muhammad Abdou and those of Heigel. That is Al-Bahy wanted to correct the ideas of Heigel alleging that Islam, as a world power, disappeared totally from the world scene. Thus, Al-Bahy's solely aim was to correct the wrong, abusive conceptions attributed to Islam.

AL-AZHAR MAGAZINE

Jumada Al-Ola 1434 A. H.

ENGLISH SECTION

July. 2003

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

Yearning For The Empires' Eras

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

In fact, the USA was the country, which knew more than the other countries about the reality of the fake excuse behind launching the war against Iraq, claimed to possess mass destruction weapons.

In 1991, a war was launched against Iraq. That war was launched under the leadership of the American President, Bush, the father; however, he had strong excuses to do so. Unfortunately, those excuses were presented by Iraq itself; this is when Iraq committed an unacceptable action, namely, invading another Arab country, Kuwait. So, that act represented a justified excuse behind launching that war.

On the contrary, the second war launched in March 2003, was not justified; rather, all the declared statements had been established on groundless accusations. Thus, the matter was totally different as Iraq was the one that responded to the UN decrees as regards the inspection of mass destruction weapons, including nuclear, chemical and biological weapons. Besides, Iraq was the one that took the initiative for dismantling Somoud missiles claimed to exceed the international stated distances with few kilometers.

As a result, the idea of waging a war against Iraq by the USA and its ally, the UK, was faced by severe oppositions, protests and widespread demonstrations all over the world including the USA itself. In this regard, political analyzers fall at confusion when asked to analyze the motives of the USA behind launching that unjustified war against Iraq. Some said that the Iraqi oil as well as natural resources are the main hidden target behind that war. Others said that the true aim of that war was eliminating the Iraqi increasing military threat against Israel. A third group said that the beliefs and convictions of Bush and his administration were the true reasons.

Few analyzers who did refer to the American ambition of establishing a worldwide empire be under the leadership of the USA. This dream also motivated the UK to join the USA hoping to fulfill that dream and have a piece of the Iraqi cake.

الفهرس

مجمع البحوث الإسلامية

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
فى مطلع كل شهر عربى

● ● ●

رئيس التحرير
أ.د. محمد رجب البيومى

نائب رئيس التحرير
الطاهر محمد الطاهر الحامدى

مدير التحرير
عادل رفاعى خفاجة

سكرتير التحرير
أحمد السيد تقى الدين

الاشتراك السنوى

● داخل مصر	١٨ جنيها مصريا
● الدول العربية	٥٠ دولارا أمريكيا
● أوربا وأمريكا	٨٥ دولارا أمريكيا
● اليابان وشرق آسيا	١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم
مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر
ت: ٢٦٣٨٥٩٩

جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ - أغسطس ٢٠٠٣م - الجزء السادس - السنة السادسة والسبعون

الفهـــرس

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
فى مطلع كل شهر عربى

• • •

رئيس التحرير
أ.د. محمد رجب البيومى

نائب رئيس التحرير
الطاهر محمد الطاهر الحامدى

مدير التحرير
عادل رفاعى خفاجة

سكرتير التحرير
أحمد السيد تقى الدين

الاشتراك السنوى

- داخـل مصـر ١٨ جنيها مصريا
- الـدول العربيـة ٥٠ دولارا أمريكيا
- أوربـا وأمريـكا ٨٥ دولارا أمريكيا
- اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم
مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر
ت: ٢٦٣٨٥٩٩

جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ - اغسطس ٢٠٠٣م - الجزء السادس - السنة السادسة والسبعون

افتتاحية العدد

رَجُلُ الدِّينِ وقَضَايَا المرأةُ

قرأنا كثيراً عن «عالم المرأة» وعلمنا أنباء مؤتمراتها العالمية إذ دعيت الوفود المختلفة إلى مناقشة القضايا، وأوفدت أكثر الدول من يمثلها فى هذه المهرجانات ونشرت الصحف أشياء عن المقترحات والقرارات، وعقدت الندوات النسائية للنظر فى المكاسب الجديدة وكل ذلك لا شأن له بما نتحدث عنه الآن فليس بدعًا أن تعقد المؤتمرات وأن تتخذ القرارات، وأن تتسع الصحف للصور ووصف الحفلات، فكل ذلك دائم متصل لا يكاد تفرغ أسبابه حتى تختلق من جديد.

إنما البدع كل البدع، أن ينتهز المغرضون هذا الموسم ليكتبوا فى بعض الصحف السيارة فى المجتمعات الإسلامية أن المرأة قد انتصرت على أعدائها، وأن يكون العدو المهزوم فى رأيهم هو رجل الدين، أصحيح أن رجل الدين كان عدو المرأة يحاول أن يسجنها فى الظلام، وأن يفسر النصوص الدينية على نحو يجعلها أسيرة تباع وتشترى دون حرية وأمان. كما حاول هؤلاء السفهاء أن يلبسوا الحق بالباطل ليفتروا على الله الكذب وهم متعمدون؟

وهل صحيح أن صديق المرأة هو صاحب الجريدة التى تنشر الصور الإباحية، ومؤلف القصة التى تمتهن حواء فتجعلها آثمة خائنة ومبدع الفيلم السينمائى الذى يعرض أساليب السقوط والانحدار دون حياء!

لقد انقلبت الأوضاع حتى لنردد فى أسف شديد قول شاعر مصر الأستاذ الأسمر رحمه الله فى مثل هذه المفارقات:

بتنا لما جـــد من عكس الأمـــور هنا
تمشى على الرأس لا تمشى على القـــدم

ولن نلجأ إلى أقيسة منطقية تشغل الفكر أو تستعين بصور خيالية تزيف الحق، ولكننا سنعرض الواقع الصريح شاخصًا يلمس باليد، ويرى بالعين ليعرف من أراد أن يعرف من عدو المرأة الخصيم؟ ومن صديقها الحميم وليرى كيف عكست الأمور عكسًا يدعو إلى الحسرة والغيظ حين ارتدى الآثم ثوب البرىء وحين سيقت التهم إلى الشرفاء الذين صدقوا الله وعده فصانوا المرأة ودافعوا عن شرفها ثم اتهمهم المغرضون بالعداوة والبغضاء!

لقد نشأنا وشاهدنا البغاء الرسمى معترفًا به فى بعض الدول الإسلامية ومرت عليه سنون عدة حتى كاد يصبح أمراً طبيعيًا لا غرابة فيه لدى من يتظاهرون بصداقة المرأة ويصدرون عنها القصص والروايات ويعرضون مفاتنها المغرية فى الصحف والمجلات ويتشدقون كاذبين بأن حضارة العصر ومدنيته مما يجعل البغاء أمراً مقبولًا لا اعتراض عليه، وأن أرقى الدول الأوروبية فى الغرب لا تقف فى سبيله لتوافر أسبابه الداعية له، أما امتهان المرأة وسقوطها وانحدارها فشىء لا يلفت النظر، وهو لا ينافى فى مذهبهم تحرر المرأة وارتفاعها، وهم بعد أصدقاؤها الأوفياء وحراسها الأمناء من بطش الرجعية والرجعيين!

ولكن عدو المرأة هو رجل الدين قد قام وحده يكافح البغاء ويشرح مخازيه الوبيئة يقيم الندوات ويعقد المحاضرات ويكتب المقالات ويقود المظاهرات ليعلن كلمة الله فى الزنا الإباحى والفسق القانونى ثم بعد ذلك ينظر ليسمع ويرى ما يندى له الجبين!

فهذا كاتب من الأنصار المزعومين له دوى وبريق، يكتب متهكما برجل الدين صائحا به: أنت محدود الشعور والإدراك والتصوُّر أنت تعيش فى عهود الظلمات؛ فالدول المتحضرة لاترى ما تراه لأن خطواتها الواسعة فى دنيا التمدن قد جعلت من البغاء أمراً ضروريا لا خزية فيه وهذا كاتب آخر من الأصدقاء يصيح بالشيخ أبى العيون -رحمه الله- يا شيخ أنت صغير لم تقرأ علم الاجتماع ولم تدرس علم النفس ولم تستبطن أسباب الرذائل، ولو عرفت ذلك لوجدت البغاء أمراً طبعيًا! القضية أكبر منك يا شيخ! أنت صغير صغير!!

وهذا ثالث من الأنصار يحرض «الداخلية» على هذا الذى يعقد الندوات ويقود المظاهرات باعتباره خطراً على الأمن إذ لا أمن فى رأيه بدون بغاء، وأن الغاءه سيزيد الجريمة ويدفع بالأمة إلى السقوط، كل ذلك والهيئات النسائية ترحب بأنصارها وتتهكم بأمثال أبى العيون!

ثم انتصر رجل الدين فى مصر وألغيت الدعارة إلى غير رجعة! ولم تكن هناك مشكلات يفطن إليها دارسو علوم النفس والجريمة ويغفل عنها رجل الدين! من كان الصغير ومن كان الكبير يا قوم؟ ومن عدو المرأة ومن صديقها الحميم؟

وتكثر حوادث الاختلاط ويفوح نتن التبذل فيقف رجل الدين داعيًا إلى التصوّن والعفاف منددا بما يزكم أنفه من نتن كريه، وكان على الهيئات النسائية التى تعددت

جمعياتها لتأخذ الصور فحسب، ولتملأ أعمدة الصحف دون جهد ولتردد أسماء المجاهدات فى غير ميدان، كان على هذه الهيئات أن تؤيد رجل الدين، ولكنها اتخذته عدوها الحاقد، وخصيمها الماكر فهى لا تطيق أن تسمع اسمه فضلًا عن أن تقرأ مقالاته، أما الذى يحظى بحب هذه الهيئات ويعتبر صديق الكفاح ورفيق الدرب فهو واحد من هؤلاء:

١- قصاص يكتب رواية اجتماعية وتكون بطلتها زوجة خائنة تخدع رجلها البرىء، وتقدم المثل السيىء لبناتها الصغيرات ولئن صح أن هناك من تسقط فلن يصح أن تنتشر روايات الخيانة هذا الانتشار المزعج وأن تجد الرواج كل الرواج، ثم لاتجد أكثر قراءها إلا من السيدات وأعضاء الهيئات النسائية على الخصوص، ولم نسمع مرة واحدة أن إحداهن قد اعترضت على رواية تصوّر الإفك، أو مشهد يمثل السقوط!

٢- إذاعى يحتضن مسلسلة وقحة تكون بطلتها أداة من أدوات التأثير على الرجل بما تبذل من شرفها وطهارتها فهى مرة ذات إغراء لمكسب مادى تجارى وهى مرة ثانية أداة عصابة مجرمة ذات لون سياسى، وأعجب ما سمعته فى ذلك تمثيلية ساقطة تدعى أنها تكشف أساليب الصهيونية وأداة الكشف الوحيدة امرأة عربية جامعية تتصل بضابط إسرائيلى يمتهن شرفها وطهارتها لتحصل على سر زائف مما يراه المؤلف الغبى أداة كسب! والقيادات النسائية تقرأ وتسمع وتشاهد دون أن تظن إحداهن أن تمثيل هذه الفضائح ما يهوى بكل كرامة لحواء، والأعجب الأغرب أن يصير مؤلف القصة ومذيعها وممثلها من أصدقاء المرأة الخلصاء! أما العدو الحاقد فرجل الدين الذى يأمر بالمعروف وينهى عن الفحشاء.

٣- كاتب صحفى يتحدث عن الأزياء والعطور والندوات، ويعترض على فلانة أنها احتجبت عن المجتمع شهراً، ويفسر علاقة فلانة بفلان ويتكهن بطلاق فلانة من فلان، وكل ذلك يكتب تحت عنوان خادع مثل «أسرار المجتمع»، «حديث السهرة»، «من محيط حواء».. والأغرب الأعجب أن تسعى جاهدة لتنشر خبراً عنها أو تقدم صور حفلتها، أو تكيد غيرها بما تنشر من الشخصيات اللامعة فى هذا المجال عنها من تخرصات! ورجل الدين يرى ذلك مدعاة سقوط مسف فينهض لمحاربته غير واق فيتضايق منه هؤلاء ويرونه داعيا إلى التخلف والجمود.

على أنى أواجه القيادات النسائية ومن يقوم على تحريكها من الرجال بأسئلة حاسمة توضح الفراغ الجديب الذى يشمل أصدقاء المرأة حين تمضى السنوات وراء السنوات دون أن تحل مشكلات المرأة على وجه يثبت فاعلية هذه القيادات، ويوضح لأصحابها رسالة غير

الندوات والصور والحفلات! لقد أصبحت المرأة الآن ذات وظيفة وكسب وأخذت تدير مع الرجل شئون المنزل وتعالج مشكلاته؛ فنشأت أزمات كثيرة تدور حول المتطلبات المالية، أيتكفل الرجل بأكثرها أم تساعده الزوجة؟ واتفق الطرفان على إسهام الزوجة بالمال فهل تدخر لها شيئًا خاصًا بها؟ وهل لها الحق فى إمداد أبيها أو أخيها الأصغر ببعض ما يستلزمه الموقف إن احتاجا إلى إمداد؟ أسئلة كانت مدار نزاع كبير أدى إلى الطلاق فى كثير من الأحيان، فهل عملت القيادات النسائية ومن يحركها من الرجال على مناقشة هذا الموضوع ودعت إلى قواعد تلتزم كيلا يحدث الشقاق؟ أو أن هذا الأمر لا يعنيها فى شىء إذ لا يخطر لها على بال؟!

لقد اضطرت المرأة العاملة إلى مغادرة المنزل فى بعض المجتمعات الإسلامية فهل بحثت القيادات النسائية عن حل عملى لرعاية الصغار من الأطفال وهل أسهمت جديًا فى إدارة منازل الحضانة وتهيئتها لحفظ راحة الأطفال؟ وهل تبنت أحد المشروعات النافعة فى هذا الصدد ليكون نموذجًا يحتذى فى سائر الجهات؟!

أثبتت التجربة أن المرأة العاملة تتطلب أجازات كثيرة لأمور تتعلق بكيانها الجسمى والنفسى فهل درست القيادات هذه الناحية، واقترحت من الأمور مايساير رغبة العاملة ولايعوق العمل فى ذاته فتساعد المسئولين على التغلب على الصعاب.

تلك أمور جوهرية تعترض المرأة فى الصميم، وتتطلب من القيادات المتصدرة أن تكون ذات جد واهتمام! ولكن ذلك وأمثاله لايجد مجالًا للدراسة فتعد له اللجان وتبحث المقترحات، إنما الشأن كل الشأن فى تصدر الأندية وإقامة الحفلات ودعوة المصورين والمصورات! ثم فى التحرش برجل الدين وعدّه مصدر خطر لايطاق!

منذ أخذت أقرأ الصحف وأطالع الأخبار والقيادات النسائية التى اتبعت نهج الغرب وإن تبدلت أسماؤها وتغيرت ذواتها لاتنى تتصايح بالدعوة إلى منع تعدد الزوجات، وإلى وجوب أن يكون الطلاق أمام القاضى دون أن ينفرد به الزوج! وطبيعى أن يكثر الأخذ والرد حول هذين المطلبين حتى يستبين الرأى وقد استبان، ولكن من غير الطبيعى أن يقوم عالم الدين بإيضاح كلمة الدين بالتى هى أحسن فيكون عدو المرأة، وخصيمها اللدود مهما ناقش بالحجة وجادل بالدليل.

والأمر فى المطلبين أوضح من أن يكون مجال النزاع فى مدى متطاول يصل إلى نصف قرن، فمنع التعدد إذا تم سيحرم الزوجة الثانية ليبيح الخليلة والخليلات، كما هو مشاهد

فى المجتمع الاوروبى ! فليت شعرى أى الوضعين أشرف للمرأة ؟ أن تكون زوجة ليعترف بها الناس أو خليلة تزدرى وتمتهن وتمضغ فى الأفواه ! لقد ترتب على اصطناع الخليلات أن توجد فى أوروبا مشكلة الأبناء غير الشرعيين، وأن ينهض الرحماء من المصلحين هناك ليقولوا أن الإبن غير الشرعى برىء لا ذنب له، فيجب أن يتساوى مع الإبن المعترف به شرعاً، وأن يضربوا الأمثلة برجال كهتلر وبيرون وليونارد دفينشى جاءوا من غير طريق مشروع فلم يمنعهم ذلك من التفوق والظهور ! أفيريد أصحاب المنع -فوق ارتكاب جريمة الزنا- أن تفرق بين أبناء الرجل الواحد لتهبط بفريق وترتفع بفريق ثم لتورث البغضاء بين الأقرباء ! وإذا فرضنا أن الخليلة قد فقدت كرامتها فما ذنب الأطفال ؟ وإن للتعدد أسبابا منطقية كثيرة يعرفها الدارسون وقد تناولها رجل الدين فيما كتب عن الأسرة من مؤلفات ! وهو لذلك عدو مبين.

أما وقوع الطلاق أمام القاضى فيغنى عنه أن نلتزم بأمر الله ـ عز وجل ـ قال فى كتابه الكريم:

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ

إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾(١).

فالآية تدعو إلى تحكيم عاقلين من ذوى الإنصاف يمثل أحدهما الزوج فيستعرضان بواعث النزاع ويعملان على رأب الصدع، فإذا استطاعا أن يجمعا الشمل فذلك فضل الله، وإن تعذر الوفاق فقد أبيح الطلاق، وما يقوم به الحكمان هو ما يرجوه الداعون والداعيات إلى جعل الطلاق أمام القاضى لو تفهموا المسألة فى وضعها الصحيح إذ إن النزاع سيناقش لدى الحكمين مصحوباً بالتوجيه وفى ظل من الستر والتصون ولو كان كل نزاع بين الزوجين يتحتم عرضه للقضاء لامتلأت أوراق المحاكم بالمخازى وسجلت الأسرار فى أقوال مختومة محفوظة تؤلم ولا تسر وتغضب ولا ترضى ! وهذا ما يتحاشاه رجل الدين، وهو بحرصه البالغ ووعظه البصير ودعوته إلى تنفيذ الشريعة عدو -أى عدو- أما الآخرون فنعم الأصدقاء !!

د. / محمد رجب البيومى

(١) النساء: (٣٥).

تفسير سورة البقرة

قال تعالى: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾

الآيات: ٢٥٩ : ٢٦٠

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال الآلوسي ما ملخصه: قوله:

﴿ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ ﴾ معطوف على سابقه- وهو قوله:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَآجَّ ﴾ والكاف اسمية بمعنى مثل معمولة لأ رأيت محذوفاً. أى أو أرأيت مثل الذى مر على قرية.. وحذف لدلالة ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ عليه. وقيل: إن الكاف زائدة والتقدير: ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم أو الذى مر على قرية.. وقيل: إن العطف هنا محمول على المعنى كأنه قيل: أرأيت شيئا عجيبا- كالذى حاج إبراهيم فى ربه، أو كالذى مر على قرية»[1].

والذى ﴿ مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ ﴾ قيل هو عزيز ابن شرخيا، وقيل حزقيال بن بوزى وقيل غير ذلك، والقرية قيل المراد بها بيت المقدس وكان قد خربها «بختنصر» البابلى.. والقرآن الكريم لم يهتم بتحديد الأشخاص والأماكن لأنه يقصد العبرة وبيان الحال والشأن.

وجملة ﴿ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ فى موضع الحال من الضمير المستتر فى: ﴿ مَرَّ ﴾ والواو رابطة بين الجملة الحالية وبين صاحبها والإتيان بها واجب لخلو الجملة من ضمير يعود على صاحبها وقيل هى حال من قرية، وسوغ إتيان الحال منها مع كونها نكرة وقوعها بعد الاستفهام المقدر وهو أرأيت ومعنى:

﴿ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ أن جدرانها ساقطة على سقوفها، أى أن الخراب قد عمها والدمار قد نزل بها، فأصبحت خالية من أهلها وفارغة ممن كان يعمرها وأصل الخواء الخلو. يقال خوت الدار وخربت تخوى خواء إذا سقطت وخلت.

والعروش جمع عرش وهو سقف البيت ويسمى العريش، وكل شىء يهيأ ليظل أو يكنّ فهو عريش وعرش.

وقوله -تعالى-:

﴿ قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾

حكاية لما قاله ذلك الذى مر على تلك القرية ورأى فيها ما رأى من مظاهر الخراب والدمار والمعنى: أو أرأيت مثل الذى مر على قرية وهى ساقطة حيطانها على سقوفها، وفارغة ممن كان يسكنها، فهاله أمرها، وراعه شأنها، وقال على سبيل التعجب كيف يحيى الله هذه القرية بعد موتها، بأن يعيد إليها العمران بعد الخراب، ويجعلها عامرة بسكانها الذين خلت منهم. فقوله:

﴿ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ﴾ بمعنى كيف؛ فتكون منصوبة على الحالية من اسم الإشارة ويجوز

(١) تفسير الآلوسي جـ٣ ص١٩.

أن تكون ﴿ أَنَّىٰ ﴾ هنا بمعنى متى أى: متى يحيى الله هذه القرية بعد موتها فتكون منصوبة على الظرفية.

وقال القرطبى: قوله:

﴿ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾.

معناه من أى طريق وبأى سبب، وظاهر اللفظ السؤال عن إحياء القرية بعمارة وسكان، كما يقال الآن فى المدن الخربة يبعد أن تعمر وتسكن أى: أنى تعمر هذه بعد خرابها. فكأن هذا تلهف من الواقف المعتبر على مدينته التى عهد فيها أهله وأحبته»[2].

وقوله هذا إنما هو تساؤل عن كيفية الإعادة لا عن أصل الإعادة لأنه كان مؤمنا بالبعث والنشور، إلا أنه لما رأى حال القرية على تلك الصورة من الخراب تعجب من قدرة الله على إحيائها، وتشوق إلى عمارتها واعترف بالعجز عن معرفة طريق الإحياء. فماذا كانت نتيجة هذا التساؤل؟ كانت نتيجته كما حكاها القرآن:

﴿ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾

أى: بعد أن قال هذا الذى مر على تلك القرية الخاوية على عروشها ما قال، ألبثه الله -تعالى- فى الموت مائة عام ﴿ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ﴾ أى أحياه ببعث روحه إلى بدنه:

﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ﴾ أى كم مدة من الزمان لبثتها على هذه الحال؟

﴿ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾.

وقال -سبحانه-:

﴿ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ﴾ ولم يقل ثم أحياه، للدلالة على أنه عاد كهيئته يوم مات عاقلا فاهما مستعدا للنظر والاستدلال وكان ذلك بعد عمارة القرية وللإشهار بسرعته وسهولة تأتيه على البارى -سبحانه-.

قال ابن كثير: كان أول شىء أحيا الله فيه عينيه لينظر بهما إلى صنع الله فيه كيف يحيى بدنه فلما استقل سويا قال الله له بواسطة الملك ﴿ كَمْ لَبِثْتَ ﴾؟

﴿ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ وذلك أنه مات أول النهار ثم بعثه الله فى آخر النهار فلما رأى الشمس باقية ظن أنها شمس ذلك اليوم فقال: ﴿ أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾[3].

وقوله: ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ﴾ استئناف مبنى على سؤال كأنه قيل: فماذا قال له بعد بعثه؟ فقيل: قال كم لبثت ليظهر له العجز

(٢) تفسير القرطبى جـ٣ ص٢٩٩.

(٣) تفسير ابن كثير جـ١ ص٣١٤.

عن الإحاطة بشئون الله -تعالى- على أتم وجه وتنحسم مادة استبعاده بالمرة.

وكم منصوبة على الظرفية ومميزها محذوف والتقدير كم يوما أو وقتا والناصب لها قوله: ﴿ لَبِثْتَ ﴾.

وفى هذه الجملة الكريمة بيان للناس بأن الموت يشبه النوم، وأن البعث يشبه اليقظة بعده وأنه لاشىء محال على الله -تعالى- فهو القائل:

﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾

وفى الحديث الشريف: والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون، ولتجزون بالإحسان إحسانا وبالسوء سوءا، وإنها لجنة أبدا، أو لنار أبدا»[٤].

وقوله - تعالى - :

﴿ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ ﴾ معطوف على مقدر، أى: ليس الأمر كما قلت إنك لبثت يوما أو بعض يوم بل إنك لبثت مائة عام ثم أرشده -سبحانه- إلى التأمل فى أمور فيها أبلغ دلالة على قدرة الله تعالى وعلى صحة البعث فقال - سبحانه - :

﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾

قوله: ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ أى لم يتغير بمرور السنين الطويلة ولم تذهب طراوته فكأنه لم تمر عليه السنون. ولفظ يتسنه: مشتق من السنة، والهاء فيه أصلية إذا قدر لام سنة هاء، وأصلها سنهة لتصغيرها على سنيهة وجمعها على سنهات كسجدة وسجدات، ولقولهم: سانهته إذا عاملته سنة فسنة، وتسنه عند القوم إذا أقام فيهم سنة. أو الهاء للوقف نحو كتابيه وجزمه بحذف حرف العلة إذا قدر لام سنه واوا، وأصلها سنوة لتصغيرها على سنية وجمعها على سنوات.

وقوله: ﴿ نُنشِزُهَا ﴾ أى نرفعها. يقال: أنشز الشىء إذا رفعه من مكانه. وأصله من النشز -بفتحتين وبالسكون- وهو المكان المرتفع. وقرىء «ننشرها» -بضم النون والراء- أى نحييها من أنشر الله الموتى أى أحياهم. والمعنى: قال الله -تعالى- لهذا الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها إنك لم تلبث يوما أو بعض يوم فى الموت كما تظن بل لبثت مائة عام فإن كنت فى شك من ذلك فانظر إلى طعامك وشرابك لتشاهد أمرا آخر من دلائل قدرتنا فإن هذا الطعام والشراب كما ترى لم يتغير بمرور السنين وكر الأعوام بل بقى على حالته. وانظر إلى حمارك كيف نخرت عظامه، وتفرقت أوصاله مما يشهد بأنه

---

(٤) تاريخ تهذيب دمشق لابن عساكر، جـ٦، صـ ٢٩٦.

قد مرت عليه السنوات الطويلة. وقوله:

﴿ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ﴾

معطوف على محذوف متعلق بفعل مقدر قبله بطريق الاستئناف مقرر لمضمون ماسبق، والتقدير: فعلنا ما فعلنا لترى وتشاهد بنفسك مظاهر قدرة الله، ولنجعلك آية معجزة ودليلا على صحة البعث وقوله:

﴿ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾

أى انظر وتأمل فى هذه العظام كيف نركب بعضها فى بعض بعد أن نوجدها.

وقيل المعنى: وانظر إلى العظام أى عظام حمارك التى تفرقت وتناثرت لتشاهد كيف نرفعها من الأرض فنردها إلى أماكنها فى جسده.

قال ابن كثير: قال السدى وغيره: «تفرقت عظام حماره يمينا وشمالا حوله فنظر إليها وهى تلوح من بياضها، فبعث الله ريحا فجمعتها من كل موضع، ثم ركب كل عظم فى موضعه، وذلك كله بمرأى من العزير»[٥].

وجاء الضمير فى قوله: ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ بالإفراد مع أن المتقدم طعام وشراب، لأنهما متلازمان بمعنى أن أحدهما لا يكتفى به عن الآخر فصارا بمنزلة شىء واحد، فكأنه قال: انظر إلى غذائك.

ثم ختم -سبحانه- الآية بقوله:

﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

أى: فلما تبين له بالأدلة الناصعة، وبالمشاهدة الحسية قدرة الله -تعالى- على الإحياء والإماتة، وعلى البعث والنشور قال أعلم أى أستيقن وأومن وأعتقد أن الله -تعالى- على كل شىء قدير، وأنه -سبحانه- لا يعجزه شىء. والفاء فى قوله:

﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ ﴾ عاطفة على مقدر يستدعيه المقام فكأنه قيل: رفع الله العظام من أماكنها وأكساها لحما فلما تبين له ذلك، وتيقنه قال أعلم أن الله على كل شىء قدير.

وفاعل ﴿ تَبَيَّنَ ﴾ مضمر يفسره سياق الكلام والتقدير: فلما تبين له كيفية الإحياء أو فلما تبين له ما أشكل عليه من أمر إحياء الموتى قال أعلم أن الله على كل شىء قدير.

تلك هى القصة الأولى التى ساقها الله -تعالى- كدليل على قدرته وعلى صحة البعث والنشور. أما القصة الثانية التى تؤكد هذا المعنى فقد حكاها القرآن فى قوله:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ﴾

أى: واذكر أيها العاقل لتعتبر وتتعظ وقت أن قال إبراهيم -عليه السلام- مخاطبا خالقه -سبحانه-: رب أرنى بعينى كيف تعيد الحياة إلى الموتى.

---

(٥) تفسير ابن كثير جـ١ ص٣١٤.

وفي قوله: ﴿ رَبِّ ﴾ تصريح بكمال أدبه مع خالقه -عز وجل- فهو قبل أن يدعوه يستعطفه ويعترف له بالربوبية الحقة، والألوهية التامة، ويلتمس منه معرفة كيفية إحياء الموتى، فهو لا يشك في قدرة الله ولا في صحة البعث -وحاشاه أن يفعل ذلك- فهو رسول من أولى العزم من الرسل، وإنما هو يريد أن ينتقل من مرتبة علم اليقين إلى عين اليقين، ومن مرتبة البرهان إلى مرتبة العيان، فإن العيان يغرس في القلب أسمى وأقوى ألوان المعرفة والاطمئنان.

وقد ذكر المفسرون لسؤال إبراهيم -عليه السلام- أسبابا منها: أنه لما قال للنمرود:

﴿ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ ﴾ أحب أن يترقى بأن يرى ذلك مشاهدة. وقد أجاب الخالق -عز وجل- على طلب إبراهيم بقوله:

﴿ أَوَلَمۡ تُؤۡمِن ﴾ أى: أتقول ذلك وتطلبه ولم تؤمن بأنى قادر على الإحياء وعلى كل شيء؟

فالجملة الكريمة استئناف مبنى على السؤال، وهى معطوفة على مقدر، والاستفهام للتقرير. وهنا يحكى القرآن جواب إبراهيم على خالقه -عز وجل- فيقول:

﴿ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي ﴾. أى قال إبراهيم في الرد على سؤال ربه له:

﴿ أَوَلَمۡ تُؤۡمِن ﴾؟ بل يا رب آمنت بك وبقدرتك وبوحدانيتك إيمانا صادقًا كاملاً، ولكني سألت هذا السؤال ليزداد قلبي سكونا واطمئنانا وإيمانا لأن من شأن المشاهدة أن تغرس في القلب سكونا واطمئنانا أشد، وإيمانا أقوى، وأنا في جميع أحوالي مؤمن كل الإيمان بقدرتك ووحدانيتك يا رب العالمين.

قال القرطبي ما ملخصه: «لم يكن إبراهيم شاكا في إحياء الله الموتى قط وإنما طلب المعاينة، وذلك أن النفوس مستشرفة إلى رؤية ما أخبرت به، ولهذا جاء في الحديث «ليس الخبر كالمعاينة»[6]. قال الأخفش: لم يرد إبراهيم رؤية القلب وإنما أراد رؤية العين. وقال الحسين: سأل ليزداد يقينا إلى يقينه.

وأما قول الرسول ﷺ: «نحن أحق بالشك من إبراهيم»[7] فمعناه أنه لو كان شاكا لكنا نحن أحق بالشك منه، ونحن لا نشك فإبراهيم -عليه السلام- أحرى ألا يشك. فالحديث مبنى على نفي الشك عن إبراهيم.. وإذا تأملت سؤاله -عليه السلام- وسائر ألفاظه الآتية لم تعط شكاً، وذلك أن الاستفهام بكيف إنما هو سؤال عن حالة شيء موجود متقرر الوجود عند السائل والمسئول، وكيف هنا إنما هى استفهام عن هيئة الإحياء، والإحياء متقرر، -فسؤال إبراهيم إنما هو عن الكيفية لا عن أصل القضية.»[8].

(6) المستدرك على الصحيحين جـ ٢ ص ٣٥١. وابن حبان جـ ١٤ ص ٩٦.

(7) صحيح مسلم جـ ١ ص ١٣٣.

(8) تفسير القرطبي جـ٣ ص ٢٩٧.

وقال صاحب الكشاف: فإن قلت: كيف قال له: ﴿ أَوَلَمۡ تُؤۡمِن ﴾ وقد علم أنه أثبت الناس إيمانا؟ قلت: ليجيب بما أجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين. و﴿ بَلَىٰ ﴾ إيجاب لما بعد النفي معناه: بلى آمنت. وقوله: ﴿ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي ﴾ أى ليزداد سكونا وطمأنينة بمضامة علم الضرورة -أى علم المشاهدة- إلى علم الاستدلال الذى يجوز معه التشكيك بخلاف العلم الضرورى، فأراد بطمأنينة القلب العلم الذى لا مجال فيه للتشكيك. فإن قلت: بم تعلقت اللام في قوله: ﴿ لِّيَطۡمَئِنَّ ﴾ قلت بمحذوف تقديره: ولكن سألت ذلك إرادة طمأنينة القلب»[9].

ثم حكى القرآن بعد ذلك ما كان من جواب الخالق -عز وجل- على نبيه إبراهيم فقال:

﴿ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗا ﴾

قوله: ﴿ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ﴾ أى فاضممهن إليك -قرئ بضم الصاد وكسرها وتخفيف الراء- يقال: صاره يصوره ويصيره، أى أماله وضمه إليه. ويقال -أيضا- صار الشيء بمعنى قطعه وفصله والمعنى: قال الله -تعالى- لإبراهيم: إذا أردت معرفة ما سألت عنه فخذ أربعة من الطير فاضممهن إليك لتتأملهن وتعرف أشكالهن وهيئاتهن كيلا تلتبس عليك بعد الإحياء، ثم اذبحهن وجزئهن أجزاء:

﴿ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ﴾.

أى ثم اجعل على كل مكان مرتفع من الأرض جزءاً من كل طائر من تلك الطيور ثم نادهن يأتينك مسرعات إليك. والفاء في قوله: ﴿ فَخُذۡ ﴾ هى التي تسمى بالفاء الفصيحة لأنها تفصح عن شرط مقدر أى: إذا أردت ذلك فخذ.

وقوله: ﴿ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ ﴾ متعلق بمحذوف صفة لأربعة أى فخذ أربعة كائنة من الطير، أو متعلق بقوله ﴿ فَخُذۡ ﴾ أى خذ من الطير. والطير اسم جمع -كركْب وسفر- وقيل هو جمع طائر مثل تاجر وتجر. قالوا: وهذه الطيور الأربعة هى الطاووس والنسر والغراب والديك.

ومما قالوه في اختيار الطير لهذه الحالة: أن الطير من صفاته الطيران، وأنه لا يستأنس بالإنسان بل يطير بمجرد رؤيته، ولسهولة تأتي ما يفعل به من التجزئة والتفرقة.

وقوله:

(9) تفسير الكشاف جـ١ ص٣٠٨.

﴿ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ﴾.

معطوف على محذوف دل عليه قوله:

﴿ جُزْءًا ﴾ لأن تجزئتهن إنما تقع بعد الذبح والتقدير: فاذبحهن ثم اجعل.. إلخ. وقوله:

﴿ ثُمَّ ادْعُهُنَّ ﴾ أى قل لهن تعالين بإذن الله.

وقوله: ﴿ يَأْتِينَكَ ﴾ جواب الأمر فهو فى محل جزم. ﴿ سَعْيًا ﴾ منصوب على المصدر النوعى، لأن السعى نوع من الإتيان فكأنه قيل: يأتينك إتيانا سريعا:

قال الفخر الرازى: أجمع أهل التفسير على أن المراد بالآية: قطعهن، وأن إبراهيم قطع أعضاءها ولحومها وريشها ودماءها وخلط بعضها ببعض -وفعل كما أمره الله، ثم قال لهن تعالين بإذن الله فأقبلن مسرعات إليه بعد أن انضم كل جزء إلى أصله- ثم قال: ولكن أبا مسلم أنكر ذلك وقال: إن إبراهيم لما طلب إحياء الميت من الله -تعالى- أراه الله مثالا قرب به الأمر عليه، والمراد بـ:

﴿ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾: الإمالة والتمرين على الإجابة. أى: فعوِّد الطيور الأربعة أن تصير بحيث إذا دعوتها أجابتك وأتتك، فإذا صارت كذلك فاجعل على كل جبل واحدا حال حياته، ثم ادعهن يأتينك سعيا، والغرض منه ذكر مثال محسوس فى عود الأرواح إلى الأجساد على سبيل السهولة..»[10].

والذى يطمئن إليه القلب هو رأى الجمهور لأن الآية مسوقة لتحقيق معجزة تجرى على يد إبراهيم وهى إحياء الموتى بالمشاهدة كما جرى إحياء الرجل الذى أماته الله مائة عام والذى جاء ذكره فى الآية السابقة، ولأن ظاهر الآية صريح فى أنه حصل تقطيع لأجزاء الطير ثم وضع كل جزء منها على مرتفع من الأرض، وما دام الأمر كذلك فلا يجوز حمل المعنى على غير هذا الظاهر، كما لا يجوز تحميل الألفاظ ما لا تحتمله. وما ذهب إليه أبو مسلم هو قول بلا دليل فضلا عن مخالفته لما عليه إجماع المفسرين.

ثم ختم -سبحانه- الآية بقوله:

﴿ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ أى واعلم أن الله -تعالى- غالب على أمره، قاهر فوق عباده، حكيم فى كل شئونه وأفعاله وبذلك نرى أن الآيتين الكريمتين قد ساقتا أبلغ الأدلة والشواهد على قدرة الله -تعالى- وعلى أنه هو المستحق للعبادة والخضوع، وعلى أن ما أخبر به من صحة البعث والنشور حق لا ريب فيه.

(10) تفسير الفخر الرازى جـ7 ص44.

السنة

تعدد قراءات القرآن وما يتعلق بها

لفضيلة الأستاذ الكبير/ عبدالرحمن الجزيرى
عضو جماعة كبار العلماء

إعداد الشيخ/ على حامد عبدالرحيم

2

عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «أقرأنى جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدنى حتى انتهى إلى سبعة أحرف». أخرجه البخارى

الجواب عن الثانى وهو: هل الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن الكريم كتبت فى زمن النبى ﷺ إلخ، هو أن القرآن نزل على رسول الله ﷺ بحسب الوقائع والأحوال، فلم يكن نزوله مرتبا على الحالة التى هو عليها الآن. ومن البديهى أن ترتيبه على هذه الحالة بأمر الله -عز وجل- كما ستعرفه، فكانت تنزل الآية أو الآيات فيأمر النبى كتبة الوحى الذين كانوا يعرفون الكتابة يومئذ، فيكتبون ما يوحى إليه بنصه وشكله، ويبلغه للناس، فيحفظه القراء المشهورون بالحفظ

من مختارات مجلة الأزهر
جمادى الآخرة 1357هـ

كما أنزل بحسب لغاتهم المختلفة، وهكذا، حتى تم نزوله وترتيبه، فعرض النبي ﷺ القرآن كما هو على جبريل، وبلغه للحفاظ مرتبا فحفظوه على حالته التي تواتر بها إلينا.

وقد كان ﷺ يباشر تحفيظ كبار الصحابة بنفسه زيادة على تعليم كتبة الوحي الذين كانوا على جانب عظيم من الذكاء والفطنة والأمانة. ومن الذين علمهم الرسول مباشرة عبدالله بن مسعود، فقد روى عنه البخاري أنه قال: «والله لقد أخذت من فى رسول الله بضعا وسبعين سورة». وفى رواية لابن أبى داود أن ابن مسعود قال: «أخذت من فى رسول الله سبعين سورة، وإن زيد بن ثابت لصبى من الصبيان». فهذا صريح فى أن ابن مسعود تلقى القرآن سورة سورة عن رسول الله ﷺ. وقال عبدالله بن عمر: كانت تنزل السورة فنحفظها عن رسول الله ﷺ ونتعلم حلالها وحرامها الخ. فهذا صريح فى أنهم كانوا يحفظونه سورا كاملة مرتبة على هذه الحالة التى تواترت إلينا.

ومما هو واضح أن العرب يومئذ كانت لهم مقدرة شديدة على الحفظ، حتى كان بعضهم يحفظ كل ما يسمعه من أول مرة. وقد سمع ابن عباس قصيدة عمر بن أبى ربيعة وهى تبلغ سبعين بيتا تقريبا مرة واحدة فحفظها حفظا جيدا وقرأها طردا وعكسا. فلم يعقهم الحفظ متفرقا عن الحفظ جملة واحدة كما قد يتوهم.

وبالجملة: إن الحفاظ الذين كانوا يتلقون القرآن عن رسول الله ﷺ كانوا على جانب عظيم من الضبط والذكاء والفطنة، ومنهم: أبو بكر وعمر، وزيد بن ثابت، وعبدالله بن مسعود، وسالم ومعاذ، وأبى بن كعب، وغيرهم من فحول الأذكياء وأساطين الحفاظ. فهؤلاء هم الذين حفظوا القرآن مرتبا على ما هو عليه بعد أن تم نزوله، ونقله عنهم غيرهم من القبائل، بحيث نقلت كل قبيلة ما يوافق لغتها التى نزل بها.

ومن هنا تعلم أنه لم تكن هناك حاجة إلى كتابة القرآن مرتبا، لأن الحفظ كان كافيا، ولكنه كتب متفرقا كله آية آية، وكانت الكتابة يومئذ على الجلد والأحجار الملساء ونحو ذلك. فلما توفى الرسول صلوات الله عليه قتل كثير من القراء، فتنبه عمر لذلك وقال لأبى بكر: أخشى أن يذهب القرآن بموت القراء فمن الصواب أن نجمع الآيات المتفرقة التى كتبت فى عهد الرسول مرتبة طبقا للمحفوظ لنا، فوافق أبو بكر بعد تردد لأنه كان يحب الوقوف عند الحد الذى تركهم عليه الرسول، فجمعت آيات القرآن المتفرقة ورتبت وفقا للمحفوظ بدون تغيير فى الرسم الذى كانت عليه، لأنها كانت مشتملة على كثير من لغات العرب التى نزل بها القرآن، فكل ما فعله أبو بكر - رضى الله عنه - أنه جعل كل آية بجوار صاحبتها حتى كملت كل سورة على حدة، ولكنه لم يرتب السور، ولم يحذف شيئا من اللغات المدونة فيه.

فلما شاع القرآن بين العرب وانتشر الإسلام فى الأمصار والأصقاع، وقرأت كل قبيلة بلغتها، دب الخلف بين الناس، وأخذ بعضهم يكفر صاحبه ويقول له: «أنت تقرأ القرآن على غير ما أنزل، لأن كل واحد كان يجهل ما نزل به القرآن من لغة الآخر. فاستشار عثمان كبار الصحابة فى أن يجمع الناس على قراءة واحدة كى لا تحدث بين المسلمين فرقة، فوافقوه على رأيه. فجمع القراء المشهورين، ومنهم: زيد بن ثابت، وعبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبدالله بن عباس، وغيرهم، فكتبوا له المصحف بلغة قريش، لأن معظم القرآن نزل بها، وأقرهم على فعلهم سائر الصحابة يومئذ، فبعث به إلى الجهات المتفرقة، وأمر بحرق ما عداه.

فعمل عثمان - رضى الله عنه - كان مشتملا على أمرين لم يعملهما أبو بكر:

أحدهما: أنه جعل الكتابة مقصورة على لغة واحدة بعد أن كانت بلغات متفرقة.

ثانيهما: أنه رتب سور القرآن فجعل كل سورة عقب الأخرى على حسب الترتيب الذى تلقاه الحفاظ عن رسول الله ﷺ عن رب العالمين.

وقد أحسن عثمان - رضى الله عنه - ومن وافقه من أئمة الدين بذلك العمل الجليل كل الإحسان، فقد سد على المفسدين والمنافقين الذين فى قلوبهم مرض باب الاختلاق على كتاب الله المبين، وحسم مادة التفرقة فى أصل الدين ومنبعه المعين. وما كان ذلك إلا بتوفيق الله العلى الكبير الذى قال:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1].

فقد صدق وعده الذى وعد به. فألهم عثمان وباقى أصحاب رسول الله الأعلام وسيلة حفظه، ولولا ذلك لكان اختلاف لهجات العرب الكثيرة المتشعبة من أكبر العوامل التى أتاحت لأعداء الدين أسعد الفرص لتحريف ذلك الكتاب الكريم وتبديل عباراته كما بدل غيره من الكتب. فالحمد لله الذى ألهم عثمان ومن وافقه من المسلمين وسائل حفظ كتاب الله والعناية بكل ما يتعلق به.

فهذا هو جواب السؤال الثانى. وحاصله أن الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن كانت مفرقة فيه، فبعضه نزل بلغة قريش، وهو معظمه، وما نزل بهذه اللغة كتب بها، وبعضه نزل بلغة هوازن، وما نزل بهذه اللغة كتب بها أيضا، وبعضه نزل بلغة هذيل، وبعضه نزل بلغة اليمن فكتب بلغتهما، وهكذا. ولا يخفى أن القبائل التى نزل بعضه بلغتها يجوز لها أن تقرأ جميعه بهذه اللغة لأن في نزول بعضه بلغتها ترخيصا لها فى قراءته جميعه بهذه اللغة. فالذى حصل فى زمن أبى بكر - رضى الله عنه - هو أنه جمع الآيات المتفرقة سورا فجعل كل آية بجوار صاحبتها طبقا للمحفوظ عن رسول الله ﷺ بدون زيادة ولا

---

(١) الحجر (٩).

نقص، فجعل كل سورة على حدة ولم يرتبه اكتفاء بترتيبه فى صدور الحفاظ، على أنه يغير شيئا من المكتوب بل أبقاه على حاله، أما عثمان - رضى الله عنه - فقد كتب مصحفا بلغة قريش خاصة ورتبه طبق المحفوظ.

ومن هذا تعلم أن الأحرف السبعة كان بعض القرآن مكتوبا بها فى عهد النبى ﷺ، كما أنها كانت محفوظه يتداولها الحفاظ فى القبائل، وأنها لم يوجد منها شىء فى مصحف عثمان، لأنه كان مقصورا على لغة قريش. وهذا هو المعتمد الذى لا ينبغى أن يلتفت إلى غيره.

٣- وأما السؤال الثالث، وهو: ما السبب فى اختلاف القراءات السبع بعد أن جمع عثمان الناس على قراءة واحدة؟ فقد أجاب عنه بعضهم بأن القرآن قد تواتر عن النبى ﷺ بلغات العرب على الوجه الذى تقدم ونقله القراء من الصحابة إلى الجهات المختلفة على هذه الحالة، فتواتر نقله بلغات متعددة، فلما كتب المصحف العثمانى وبعث به إلى تلك الجهات التى كان بها بعض القراء من الصحابة، عملوا بما يمكنهم العمل به من ذلك المصحف، فكل ما تلقوه متواترا عن الصحابة مما لا تدل عليه كتابة المصحف، ثبتوا عليه وتركوا ما يخالف المصحف. وإليك نص عبارة الحافظ ابن حجر فى ذلك: قال ابن أبى هاشم: إن السبب فى اختلاف القراءات السبع وغيرها أن الجهات التى وجهت إليها المصاحف كان بها من الصحابة من حمل عنه أهل تلك الجهة. وكانت المصاحف خالية من النقط والشكل، قال: فثبت أهل كل ناحية على ما كانوا تلقوه سماعا من الصحابة بشرط موافقة الخط، وتركوا ما يخالف الخط امتثالا لأمر عثمان الذى وافقه عليه الصحابة لما رأوا فى ذلك من الاحتياط للقرآن، فمن ثم نشأ الاختلاف بين قراء الأمصار. إلى آخر ما قال.

والذى أفهمه فى ذلك: أن عثمان - رضى الله عنه - لم يحرم قراءة القرآن باللغات التى تواترت عن رسول الله ﷺ إلا لما عساه أن يترتب على ذلك من فرقة بين المسلمين، فكتب مصحفه ليكون مرجعا يرجع اليه الناس عند الاختلاف، فإذا قرأت قبيلة بلغتها المتواترة وأنكرت عليها الأخرى أمكنهم الرجوع إلى الأصل. وظاهر أن غرض عثمان ومن وافقه حفظ أصل القرآن وصون عباراته من التبديل والتحريف، وذلك يحصل حتما بالاجماع على التمسك بنص ما كتب فى مصحفه، أما غيره من المد والتسهيل والإدغام والإظهار ونحو ذلك مما لا يترتب عليه تغيير فى نص القرآن فذلك ما لا ضرر فيه البتة، وإلى ذلك يشير قوله ﷺ لعمر: «يا عمر: القرآن كله صواب ما لم يجعل المغفرة عذابا والعذاب مغفرة»[٢]. ومعناه أن الذى يضر هو

---

(٢) كنز العمال، حديث رقم (٢٨٥٦).

تبديل القرآن وتحريفه، أما كل ما يوافق اللغة العربية ولا يغير المعنى فإنه لا يضر، فمصحف عثمان منع الفرقة فى أصل اللفظ، وجعل العبارة مصونة من التحريف، ورتب القرآن طبقا للمحفوظ، ولم يمنع القراءات المتواترة التى توافق لغات العرب ولم يترتب عليها فرقة.

وقد ذكرنا لك فيما مضى الضابط لذلك، وهو كل ما صح سنده واستقام وجهه فى العربية ووافق لفظه خط المصحف العثمانى فهو من القراءات المقبولة». فالمصحف ضبط اللفظ الدالّ على المعنى ورتب المتواتر عن الرسول، أما غير ذلك مما تواتر نقله فلم يمنعه أحد من الصحابة، ولم يقل أحد من المسلمين بعدم جوازه، وذلك لأن الدين الإسلامى مبنى دائماً على جلب المصالح ودرء المفاسد، فأصحاب النبى ﷺ اعتبروا بالكتب التى تقدمتهم وحرفها المفسدون، ففعلوا كل ما يمكنهم من صون القرآن عن التحريف، فكل ما ظنوه أو توهموه يفضى إلى ذلك قضوا عليه بكل ما أوتوا من قوة، وكان الله لهم فى ذلك ناصراً ومؤيداً، وأما ما عدا ذلك مما تواتر نقله عن رسول الله ولا ضرر منه فلم يتعرضوا له، فجزاهم الله عن الدين أحسن الجزاء.

(٤) أما الجواب عن السؤال الرابع وهو: ما حكم قراءة القرآن أو كتابته على عكس الترتيب الوجود فى المصحف؟ فهو أن هذا السؤال على ثلاثة أوجه:

أحدها: حكم قراءة الآيات غير مرتبة، كأن يقرأ «ذلك الكتاب لا ريب فيه، قبل آلم» مثلا.

ثانيها: حكم القراءة معكوسة كما كان يفعل العرب فى الشعر والنثر للدلالة على مهارتهم فى الحفظ: كأن يقول مثلا «من الجنة والناس، الذى يوسوس فى صدور الناس».

ثالثها: حكم قراءة سورة قبل أخرى عكس الترتيب الموجود فى المصحف، كأن يقرأ آل عمران قبل البقرة. والنساء قبل آل عمران. ويعبر الفقهاء عن ذلك بالتنكيس إذا كان فى الصلاة.

فأما الجواب عن الأول والثانى، فإنه لا يجوز بلا نزاع، لما فيه من ضياع المعنى المراد، والخلط على السامعين. وقد صرح السلف بحرمة ذلك.

وأما الجواب عن الثالث فإنه يجوز خارج الصلاة بلا كراهة. وأما فى الصلاة فقد صرح الفقهاء بأنه مكروه تنزيها، سواء قرأ المصلى سورة فوق التى قرأها أولاً، أو قرأ آية، وإنما كانت قراءة الآية منكسة فى هذه الحالة مكروهة لا محرمة، لوجود الفصل بين القراءتين بالصلاة، فلا يترتب عليه الاشتباه الحاصل من وصل الآيات بعضها ببعض.

أما ما ورد فى صحيح البخارى من أن عائشة قالت لمن سألها فى ذلك: «وما يضرك إن قرأت آية قبل أخرى» فمرادها: إن قرأت سورة قبل أخرى. ولذا قال الجمهور: إن ترتيب السور كتابة فى المصاحف ليس لازما. والله أعلم.

مصطلح الإنسان في القرآن الكريم



٥

للأستاذ الدكتور / محمد أحمد العزب

ويضع القرآن الكريم مصطلح (الإنسان) موضعه الطبيعي من حركة الكون والحياة، فهو سيد الأشياء لأنه خليفة الله فى الأرض، وهو متمرد لأنه مناط المعرفة، وهو هش لأنه مخلوق من عناصر الهشاشة، وهو ملتزم لأنه حر ومسئول.

ومادام هذا هو الإنسان فى جوهره الحقيقى، متردداً بين السيادة والأهلية والضعف والالتزام، بكل ما تحمل هذه الجوانب المختلفة من تناغم وتضاد، فإن القرآن الكريم لم يتركه نهباً لرياح التناقض المتناوحة، ولكن ملأ وعيه الإنسانى بوصايا الحب وحكمة التفكير.

وتتصل وصايا الحب فى القرآن الكريم بمستويين متقابلين: مستوى حب الوالدية النوعية وتقديم الولاء الكامل لهذا الحب، ومستوى الارتفاع فوق هذا الحب وتخطيه إذا تعارض مع الولاء الكامل لقضية التوحيد.. لأن الوالدية فى أبلغ صورها - حنانا ورحمة - مجرد وعاء حمى يمنح ويستوعب نطفة فى قسمة عاطفية مشتركة بين متعاطفين.. ولكن الخالقية هى المصدر الأول الذى يفيض ببلاغة الخلق وبلاغة التكوين.. فإذا قام تعارض ما بين الوالدية والخالقية، فإن الانحياز إلى الخالقية يصبح حتمية كونية واعية تصدر عن حركة الذات السوية المخلوقة لله بلا جدال:

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۚ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(١).

وليس انتفاء الطاعة هنا مدخلا إلى انتفاء الحب والبر، فإن الوالدية مطاعة فى كل شىء، إلا إذا تخطى هذا الشىء دائرة المعقول إلى دوائر اللامعقول، بمعنى أن من حق الولد أن يرفض طاعة

(١) العنكبوت (٨).

الوالدين فى شركهما بالله، لأن خالق الولد والوالدين أقمن بالطاعة ممن سواه، حتى ولو كان هذا السوى هو الأب اللاصق والأم الراتمة، وهذا منطق طبيعى يتساوق مع قانون الحكمة وصواب التقدير.

ولكنه حتى فى إطر مروق الوالدية كما نرى، يطالب القرآن الكريم الولد ببذل الطاعة الحياتية والمعروف المادى والنفسى لوالديه، لقاء ما حملت الأم وعانى الأب فى شعاب الكدح المرير، وإن كان قد خص الأمومة بشىء من البيان لدورها، نظراً إلى منطق الضعف الذى هو بها ألصق منه بالوالد الرجل الصبور:

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ۝ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٢).

وواضح هنا أن المقصود بالشرك هو صاحب هذا التوجيه العاطف الرزم، ومع ذلك فإن رحمته الهامية سابقة على بطشه القادر، إن الشرك هنا ليس بسوى الله:

﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي ﴾(٣).

ومع ذلك هو يعمق فى خلد الإنسان الابن مصاحبتهما فى الدنيا معروفا، وهذه قمة العفو فى قمة الكنود.. يؤكد ذلك أن الشركة هنا ليس قضية حاصرة مقصورة على الذات المشركة، ولكنه شرك متحرك عنيد يريد أن ينقل ظلامه إلى الآخرين، أى أن الوالدين لا يريدان أن يشركا وحدهما وإنما يجران ابنهما إلى مناطق الشرك، وكان مقتضى العدل أن ينسحب البطش المرصود لقضية الإشراك على كل المواقف والشخوص، إلا أن الذى يضع تأصيل القضايا هنا ليس بشرا خاضعا لمنطق الفعل ورد الفعل، وليس مخلوقا محكوما بغريزة الانتقام، وإنما هو خالق الكون والحياة والإنسان، وهو من هذا المنطلق يعامل مفردات خلقه بمنطق الحب لا بمنطق البطش، وبقانون العفو وليس بقانون الثأر، وبمنهج الرد وليس بمنهج الآدميين.

ومن هنا تكون وصايا الحب فى القرآن الكريم نزوعا إلى دفع (الإنسان) فى طريق الدماثة والانتماء، وفتح حوار مستمر مع الأجيال الجانحة أملا فى تخليق حس إيمانى يترقرق فى صحارى وجداناتهم المغلقة، ويترع وجودهم الجدب بأزاهير اليقين.

أما حكمة التفكير التى ملأ القرآن بها وعى إنسان المسلم، فتتجلى فى الآيات الكريمة التى تفسر (للإنسان) موقفه من قوى الشر فى العالم، وتهمس أو تدوى فى وعيه بضرورة أن يتأمل القضية على ضوء من

(٢) لقمان (١٤، ١٥).

(٣) لقمان (١٥).

العقل الباصر والذكاء النبيل.

ولأمر ما كان الشيطان هو رمز الشر والهبوط في هذا العالم المائر: هو المال إذا انحرف، هو الجاه إذا تجاوز، وهو الجنس إذا اعتدى، وهو القبح إذا ساد، وهو الغباء إذا تجسد، وهو الحقد إذا اشتعل، وهو الفتنة إذا استشرت، وهو التحلل إذا شاع، وهو الإلحاد إذا تبجح، وهو الكفر إذا استفاض.. هو هذه الأشياء، أو فلنقل هو حامل وزر هذه الأشياء، ومن قدر الإنسان على الأرض أن يكون في حاجة إلى المال، وأن يستعصم ببعض الجاه، وأن يمارس قضية الجنس، وأن يرى الجمال والقبح، وأن يحس الفطانة والغباء، وأن يواجه الصفاء والحقد، وأن يعيش الاستقرار والفتنة، وأن يشهد التماسك والتحلل، وأن يقرأ الإيمان والإلحاد، وأن يعاصر اليقين والكفر.

وإذن فهو عائش في قلب التيار، ولكن هذا الحلول التاريخي في قلب حركة ما لا يسوغ له أن يكون ريشة في مهاب رياحها العاتية.. إنه مطالب بأن يجعل من المال وسيلة لا غاية، ومن الجاه عدالة لا افتياتا، ومن الجنس نظافة لا نتنا، ومن تقابل الأضداد في الجمال والقبح، والفطانة والغباء، والصفاء والحقد، والاستقرار والفتنة، والتماسك والتحلل، والإيمان والإلحاد، واليقين والكفر، جدلا يفضي سيئه إلى حسنه، وهابطه إلى سامقه، وجدبه إلى خصبه.. وبهذا يضرب الجمال وجه القبح، وتنتصر الفطانة على الغباء، ويسود الصفاء فوق الحقد، ويطرد الاستقرار الفتنة، ويحكم التماسك التحلل، ويسحق الإيمان الإلحاد، ويصفع اليقين الكفر.

حينذاك ينطفىء منطق الشيطان ويتقهقر إلى الوراء، ويمضغ عداوته المريرة للإنسان في ضعف ذليل:

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[4].

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾[5]

ومتى تكاملت (للإنسان) دائرتاه الماثلتان في وصايا الحب وحكمة التفكير.. كان في مأمن من انحداره الفاجع إلى وهدة الكراهة أو وهدة الغباء.. وهما ألد أعداء الإنسان والإنسانية على السواء!!

ولكن.. لماذا كل هذا الحرص القرآني على تأصيل قضية الحب وقضية التفكير في تربة الوجود الإنساني؟ ولماذا تتخطى قضية الحب دائرة التعاطف مع الأشباه في العقيدة لتشمل الأضداد في هذه العقيدة؟ ولماذا أيضًا تتخطى قضية التفكير ما هو محس إلى ما هو متعلق؟

إن فلسفة الرؤية القرآنية في هذا الصدد تنهض على أن الحب كل لا يتجزأ، وأن التفكير كذلك هو الآخر كل لا يتجزأ، فإذا أحب (الإنسان) فإن حبه يبدأ من نقطة الالتزام بتجريد الذات من ظلام الكراهية

(4) يوسف (5).

(5) الإسراء (53).

والحقد والالتواء، إنطلاقًا من وضعيته الرسالية على الأرض بما هو مأمول لتطويع كل القوى المعادية والمعارضة لرؤيته العقيدية. مهما أوغلت هذه القوى في فدافد الرفض والإنكار.. وإذا فكر (الإنسان) فإن تفكيره يبدأ من نقطة الوعي بالمادي المشاهد، وينتهي إلى الوعي بالمتعقل المحجوب، انطلاقا من وضعيته الخلافية على الأرض بما هو مطالب بربط عناصر الوجود في وحدة متناغمة يفض محسوسها إلى معقولها لتكون في النهاية لوحة متناغمة متكاملة تنطق بروعة الخلق وإعجاز الحكمة الكامنة في بنائها المخلوق لله.

فإذا كان هذا هو الأساس الفلسفي للرؤية القرآنية في مجال الحب والتفكير، فإن بدء حركة الحب ينبغي أن يوجه إلى الأقرب والألصق (الوالدية) ليصل من ذلك إلى الآماد الكونية المتراخية بلا حدود... وكذلك ينبغي أن توجه حركة التفكير في بدئها إلى القوى المناوئة (للذات)، لتصل من ذلك إلى كل القوى المناهضة للوجود الشامل، لتكون من هذه وتلك على حذر مؤسس على بداهة المعرفة وموضوعية الفقه وصوابية التحديد.

وهكذا يدفع القرآن الكريم بالإنسان إلى قضية الحب والتفكير دفعا مؤسسا على فلسفة راشدة وليس على مجرد جذب عشوائي، لأن الإنسان بالحب يستطيع أن يحرك كل الكون في اتجاه الله.. ولأنه بالتفكير يستطيع أن يجعل من المعادلة الوجودية لسانا لاهجا بتقريظ السماء.. وقد فعل الإنسان.. وما يزال قادرا على الفعل البطولي في هذا السبيل.

نستطيع في نهاية الرحلة أن نوجز فهمنا لوضعية (الإنسان) بلفظ (الإنسان) في القرآن الكريم: فهو خليفة الله في الأرض.. وهو بذلك مجلى لإعجازه الخارق.. وهو مناط رعايته، سلحه بالعقل، وحرسه بالرسالات، وسخر له الكون والوجود.. وتحدث إليه حديثا حميما عن انفلاته وتمرده.. وعن ضعفه الكامن في طبيعته.. وعن ضرورة التزامه بما هو حر.. وعن وعيه بقضية الحب قضية التفكير.

ونعتقد اعتقادا راسخا وجازما معا، بأن هذه الفلسفة القرآنية المعجزة في تناولها لمصطلح (الإنسان) تشكل منهجا عقائديا وسلوكيا واجتماعيا ونفسيا وتاريخيا يضع المناهج الأرضية في أزمة دائمة.. فهي تستخلص الإنسان من قبضة ذاته ومجالاته، وتضفي عليه ألوانا من الكمالات التي تثرى حسه بصميمية وجوده في الوجود.. ومتى استشعر الإنسان هذه القضية صار على الفور صديقا للحياة والأحياء، يقيم من بنائها ما تهدم.. ويرفع من راياتها ما سقط.. ويضيء من مصابيحها ما أطفأته رياح الإحباط، وعشوائية التخليط.. وهذه هي غاية الخلق في الوجود الإنساني، بكل ما تحمل هذه الغائية النبيلة في أطوائها من عظمة الخالق وروعة المخلوق!!

سلطة الشريعة الإسلامية

للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى

لقد تناول الإسلام -كوحى إلهى- حياة المسلم كلها دينية ودنيوية فتناول الحياة القانونية والسياسية والاجتماعية وهو إذ يتناولها ليس تناول دراسة للقوانين الاجتماعية والحياة السياسية. إنما يشملها من خلال إطار كلى يساعد على بناء حياة أفضل. من جل تغيير وتصحيح المسيرة الاجتماعية التى هى -دائما- فى تحويل وتبدل.

لذلك كان الإسلام يهتم بالرؤية المستقبلية لدراسة «ما ينبغى أن يكون» انطلاقا من تقويم ما هو كائن. وكانت المشكلة الأساسية التى واجهت المسلم هى: أن الدين يوصف بالثبات وعدم التغير.. بينما الحياة الاجتماعية توصف بالتغير والتبدل والتحول.. فيكف بالترابط الثابت بالتغير.. والمفروض ليس الترابط بينهما فقط بل المطلوب أن يقود الثابت (الدين) المتحرك (الحياة الاجتماعية والسياسية إلخ)؟

من هنا نشأ علم أصول الفقه وتطبيقاته العلمية التى عرفت باسم الفقه الإسلامى- علم سلوك المسلم- تلبية دينية واجتماعية وثقافية، مسايرة لمبدأ التوازن بين الإسلام وتطور الحياة ومشكلاتها كى لا ينعزل المسلم بإسلامه عن الحياة ولا ينعزل بالحياة عن إسلامه. وكان هذا الجهد الفقهى تطويرا لمفهوم «الرأى» الذى أخذ به معاذ حين أرسله الرسول إلى اليمن وقد رضى عنه الرسول وعلى هذا الدرب تطور الرأى بجهود الفقهاء إلى ما يعرف بالاجتهاد فى التشريع مراعاة لقانون التغيير العام. وكان مبدأ الاجتهاد فى الإسلام ضروريا ليحفظ على العقل دوره الحضارى فى الإسلام فى تطبيق كليات الشريعة وتحويلها إلى حركة اجتماعية. ومن خلال قواعد عقلية صنعها العقل لتحفظ عليه رشده من أن يقع تحت أهواء مضلة أو يقع تحت تأثير رؤية ذاتية ومن تلك القواعد: القياس- الإجماع - الاستحسان - المصالح المرسلة.. قواعد صاغها العقل لغاية دينية.

وذلك كله كان من جهود الفقهاء، مراعاة لقانون التغيير العام فى المجتمعات خلال انتقاله المستمر من زمن إلى زمن ومن حال إلى حال.

ان من أهم ما أورده الإسلام للعالم المتحضر قانونه الدينى الذى يسمى بالشريعة والشريعة الإسلامية هى جملة الأوامر الإلهية التى تنظم حياة كل مسلم من جميع وجوهها وهى تشتمل على أحكام خاصة بالعبادات والشعائر الدينية كما تشتمل على قواعد سياسية وقانونية وعلى تفاصيل آداب الطهارة، وآداب الأكل وعيادة المرضى.

والشريعة الإسلامية هى أبرز مظهر يميز أسلوب الحياة الإسلامية وهى لب الإسلام ولبابه، ولم يتهيأ قط لعلم الكلام أن يصل إلى درجة من الأهمية تضاهى علم الشريعة.

وهذا الفقه بهذا المعنى الشامل، هو فى الحقيقة الناحية التى تمثل لنا الروح الإسلامية على أصلها وتصورها لنا فى جوهرها الأساسى، كما أنه يمثل لنا الطابع الحقيقى للتفكير الإسلامى فالذين يعنون بمعرفة الأصالة الإسلامية والتفكير الإسلامى الذى لم يتأثر بمؤثرات أجنبية عليهم أن يدرسوا علم الفقه الإسلامى وأصوله فهو لم يدخله دخيل فى الفكر أو الطريق فهو علم يقوم على القرآن والسنة ويدور حولها.

يقول د. على حسن عبدالقادر عبدالفتاح: هذا ولايزال الفقه إلى الآن، العامل الأساسى فى الكفاح الفكرى للإسلام ضد الغرب، ما هو حاصل أمام أعيننا، فإن النهضة الأوروبية الحديثة لا تقف من الإسلام موقفها العدائى من ناحية أمر العقيدة، فعقيدة الإسلام أوضح وأبسط وأقرب إلى قبول العقل من عقيدة الأوروبيين أنفسهم، وإنما هم يقفون منا هذا الموقف السلبى من ناحية حياتنا العلمية وسلوكنا الاجتماعى وينتقدون فينا التأخر وعدم مسايرتنا للمدنية من ناحية النظم التى نتخذها ونعيش على مقتضاها، ويرون فيها جمودا ورجعية وبعدا عن التمدن ولما كان الفقه الإسلامى هو الذى يمثل هذه الناحية فى حياة المسلمين. كان خط الدفاع الأول للإسلام ضد هذه الهجمات المتواصلة من قبل المدنية الغربية.

ومن هنا كانت حركات الإصلاح والتقدم الإسلامى التى يحاول بها المصلحون المسلمون التجديد تبتدئ من الفقه، فهو يمثل عند دعاة الإصلاح الإسلام التاريخى وهم يريدون الرجوع إلى الإسلام الأول، ويرون فيه قدره على التصور الاجتماعى والقانونى.

وتعتبر الشريعة الإسلامية مثالا له مغزاه على نحو خاص لما تميز به على التشريعين: الشريعة اليهودية والقانون الكنسى. أما القانون الكنسى والشريعة الإسلامية فهما يتباينان تباينا كبيرا فى علاقتهما بثنائية الدين والدولة حيث إن الدولة الإسلامية -خلافا لليهودية- لم تكن قوة غريبة بل كانت التعبير السياسى للإسلام. أما النزاع بين الدين والدولة اتخذ أشكالا مختلفة: ففى المسيحية كان هناك صراع من أجل السلطة من جانب الكنيسة وهيئتها التى تنتهى إلى رياسة عليا وكان تسلطها الكنسى أحد أسلحتها السياسية.

أما فى الإسلام فلم يكن هناك قط ما يشبه نظام كهنوت الكنيسة ولا يوجد طبقة كهنوتية فالشريعة الإسلامية لم تستند مطلقا إلى تأييد قوة كهنوتية منظمة، وعلى ذلك فلم ينشأ قط فى الإسلام اختبار حقيقى للقوى بين الدين والدولة. وكل ما هناك أنه كان يوجد عدم توافق بين ما جاء فى الشريعة وبين الممارسة الفعلية التى كان من عناصرها التنظيمات التى تصنعها الدولة، فكانت هناك فجوة صغيرة أو كثيرة بين الجانبين بحسب ظروف الزمان والمكان وكانت تلك الفجوة تطبيق من حين إلى حين حتى توشك أن تزول لكنها كانت تعود دائما إلى الظهور.

وكثيرا ما كان التشريع الإسلامى من ناحية العمل موافقا للعصر المعمول فيه، ولكن كان ذلك إلى حد محدود. فإنه فى أثناء تطوره لم يكن نافذا معمولا به على الإطلاق، لأنه فى الحقيقة لم يكن من عمل الدولة وأعضائها ولكنه من عمل المؤلفين.

كذلك لم يكن له مركز رئيسى يصدر قواعده إلى مراكز ثانوية.

من هنا لم تتخذ الحياة الإسلامية شكلا واحدا، إنما أخذت أشكال القوانين طريقا إقليميا حتى أن كثيرا من أسس الفقه وأصوله بدأت على أسس إقليمية مختلفة.

وكان هو السبب فى الاختلاف فى الفروع الفقهية الذى صاحب اختلاف فى التقدير، واختلاف فى الآراء.

ولما كانت الدولة الإسلامية شاسعة الآفاق مترامية الأطراف اختلفت بيئاتها وتنوعت أعرافها ومصادرها الثقافية، نشأت المذاهب الفقهية متأثرة ببيئة المجتهدين فيها، وكثيرا ما كان التشريع الإسلامى من ناحية العمل موافقا للعصر وما جد فيه من قضايا.. غير أن عمل الفقهاء بدأ ينحسر عن الحياة وقضاياها ليكون عملا فقهيا داخل مدارس الفقهاء فقط فجاء بعضه خاليا بعيدا عن الواقع وبدأ ينسلخ عن الواقع الاجتماعى ليحتل مكانه داخل الفروض الذهنية لأنه فى الحقيقة لم يكن من عمل الدولة وأعضائها ولكنه كان عملا للمؤلفين. وتحول من فقه عملى إلى فقه نظرى.

ومن هنا تشكلت هوة واسعة بين الأمة وأهل العلم وبين حكامها ولم تظهر تلك الفجوة مرة واحدة إنما بدأت فى الظهور منذ أيام بنى أمية فقد تم إنشاء الإطار العام لمجتمع عربى إسلامى جديد. وتكون فى هذا المجتمع تنظيم جديد لأمور القضاء، وظهر تفكير تشريعى فقهى إسلامى ومن خلال ذلك ظهر القانون الإسلامى نفسه.

ثم سقطت دولة الأمويين على أيدى بنى العباس. وقد نجح العباسيون من أن القضاة أصبحوا منذ ذلك الحين ملزمين فى أحكامهم بقانون الشريعة الإسلامية لكنهم لم ينجحوا فى تحقيق تطابق دائم بين السلطة السياسية والشرعية ونتيجة لذلك أبعد التشريع شيئا فشيئا عن التطبيق العلمى، لكنه آخر الأمر صار له على عقول المسلمين سلطان أكبر مما فقده فى التطبيق وظل المبدأ القائل بأن الإسلام من حيث هو دين ينبغى أن ينظم الناحية القانونية- فى حياة المسلمين- قائما لا يتحداه أحد.

الإطار الأخلاقى للفقه الإسلامى

التشريع الإسلامى ذو منهج منظم وهو يؤلف منهجا متماسكا، ونظمه المتعددة مترابطة بعضها مع بعض فالجانب الأكبر من أحكام العقود والالتزامات مثلا موضوع على مثال عقود البيوع، ثم إن احكام الشريعة كلها مشبعة بالاعتبارات الدينية والأخلاقية، وذلك مثل تحريم الربا أو الثراء غير المشروع بوجه عام، وتحريم إصدار الأحكام على أساس الشبهة، والحرص على تساوى الطرفين المتعاقدين، ومراعاة الوسط فى الأمور، وكون العديد من العقود والتى هى موضع نظر التشريع الإسلامى تتشابه فى تكوينها إلى حد بعيد، إنما يرجع بدرجة كبيرة إلى أن تلك العقود يسودها الاهتمام ذاته بمراعاة نفس المبادىء الأخلاقية والدينية.

سلطة الفقهاء

ويتجلى فى الشريعة الإسلامية نموذج من نماذج اجتهاد الفقهاء نشأ تحت مصطلح «علم الفقه» بنى على قواعد «علم أصول الفقه» ومن أهم القواعد بعد القرآن والسنة، القياس، الإجماع وقواعد أصولية وفقهية أخرى، وهذه الخصائص كلها هى مظاهر لأسلوب متميز خاص من التفكير يغلب على التشريع الإسلامى كله وهو الذى تحكم فى تنظيم المادة القانونية فى شتى مظاهرها.

كذلك تميز الفقه الإسلامى بأن فرض هيمنته على الحياة الإسلامية فى الوقت الذى ظهرت مشكلته الدائمة وهى التعارض بين النظرية والتطبيق. وقامت الدولة بدور المشرع، وبسط سلطانه على الدولة، وكانت هذه السلطة من العلو بحيث فرضت نفسها على الحاكم والمحكوم. وكانت سلطة الفقه والفقهاء التى حلت محل الدولة ضمنت استقرار الفقهاء واستمرار نشاطها الفقهى. ومن هنا كان النشاط الفقهى تلبية للمجتمع وليس للدولة.

كذلك أدت الثقة فى الصحابة والتابعين من الشعوب فى أطراف البلاد الإسلامية بنوع خاص إلى عدم التقصى أو عدم العلم الكافى للمسألة.

ولولا اقتناع الناس بأنه يجب متابعة الخلف فى كل أمر وأن كل ما فصل فيه الأسلاف مرة يجب أن ترتبط به الأمة الإسلامية فى كل الأوقات لما حصل هذا التشريع المحدد لكل حياة المسلمين فقها مقدسا.

ثم من توزيع الوحدة الإسلامية وقعت الدولة الإسلامية فى براثن الضعف والانحلال، جمدت الحياة الفكرية وركد الاجتهاد، ونشأ التعصب ودارت الحركة الفقهية على الاتكال على نصوص الإمام كما لو كانت كتابا أو سنة وبات الإمعان فى تحديد المذاهب بعضها من بعض مثيرا للحقد والكراهية ومؤججا لنار التعصب وعملاً بمقتضى القاعدة السيئة التى تجعل للأمة الحق

فى فرض المذهب الذى تريده وهى قاعدة ليست لها نسبة معينة لأحد المذاهب وليس لها مستند شرعى سوى رواج تطبيقها. ثم دخلت الدولة الإسلامية فى عصور الانحدار السياسى وتفككت تدريجيا وهو تفكك قد قطع شوطا كبيرا حوالى أواخر القرن الثالث الهجرى- التاسع الميلادى.

وهنا نجد أن التشريع الإسلامى أفاد من ابتعاده عن السلطة السياسية فحافظ على ثباته واستقراره، بل أنه كان العامل الرئيسى فى وحدة عالم إسلامى منقسم، وعلى حين كان ينمو ويتكيف حتى العصر العباسى الأول، فإن هذا التشريع أخذ منذ ذلك الوقت يجمد على نحو متزايد ويستغرق قوالب نهائية. وهذا الجمود فى الجوهر ساعد التشريع الإسلامى على الاحتفاظ باستقراره طوال القرون التى شهدت انحلال الأنظمة السياسية فى عالم الإسلام. وليس معنى ذلك أنه جمد جمود تاما ولكن التغيرات التى وقعت كانت تهتم بدقائق النظرية التشريعية الفقهية والآراء المترتبة عليها أكثر مما تهتم بالتشريع الوضعى. ثم سقط المجتمع الإسلامى تحت وطأة ظروف استثنائية أدت إلى ضعف فى العقيدة، وفرقة فى التوجه، وعدم الوضوح فى الهدف وخرافية المعرفة والتفكير وتواكلية فى السلوك، وتأخر مدمر وبعد واضح عن المنطق العقلى فجمدت حركة الفقه الإسلامى وأعرض الفقهاء عن الاسهام فى حل المشاكل الجديدة فقد كانوا يرون كل بحث جديد فى مشكلات الفقه الإسلامى إنما هو بدعى ولذلك انغلق عليهم باب الاجتهاد واقتصروا بأبحاثهم حول تفسير صيغ الفقه الإسلامى وحول تميز المدارس الفقهية، بعضها عن بعض ثم ناقشوا مشكلات نظرية بعيدة كل البعد عن الحياة العلمية ومشكلاتها ومن ذلك على سبيل المثال: ما حكم المجتهد داخل المذهب؟ أو داخل المذاهب؟

ثم سادت مسايرة من جاء بعدهم لآراء الفقهاء وأسرفوا حين اعتبروا أن الشريعة الإسلامية المصدر الأساسى للفقه الإسلامى وجعلوها هى والفقه شيئا واحدا بينما الفقه مجموعة آراء اجتهادية قابلة للنقد والرد والتعديل. أما الشريعة فهى القواعد الكلية التى يستمد منها المجتهد آراءه لما يجد على الساحة الإسلامية من مشاكل، أو حين سادت نظرة المساواة بين الشريعة والفقه أحالوها إلى حقل التاريخ والمعرفة المدفونة فى الكتب وانسحب عليها الرأى القائل بقصور الفقه الإسلامى وجموده.

أما الفقه فى وضعه الحاضر فهو كثير من عمل الفقهاء أنفسهم، فهؤلاء المصلحون يريدون أن يصلوا من الإسلام نفسه، ومن قواه الخاصة إلى نظام عملى مستعمل فى الحياة القانونية ولا يكون هذا إلا بإعادة النظر فى الفقه وتطوراته فى العصور الأخيرة، والتمسك منه بما يرونه حيا صحيحا قابلا للتطبيق العملى، وبناء الأسس الجديدة على ما كان عليه الإسلام فى عهده الأول وعهد نهضة المسلمين الفقهية وأيام الاجتهاد.

ومن هنا نرى أن مسألة كون الفقه الإسلامى قابلا للإصلاح والرجوع به يكمن فينا- وهى المسألة التى يثيرها الأوروبيون المستشرقون- انما تقوم على مسألة أخرى وهى: هل يستطيع الفقه الإسلامى أن يتخلص من الأشكال العتيقة الجامدة التى جاءته فى العصور الأخيرة؟

ولسنا نرى أن ما حصل فى تركيا من طرح الفقه الإسلامى مرة واحدة، وإحلال غيره محله، فهو فضلا عن كونه لا يتمشى مع الطبيعة الاجتماعية لا يعد حلا للمسألة، وإنما معناه طرحها جانبا والاعتراض عن معالجتها.

أما بداية الطريق إلى التجديد بالنسبة لرجال القانون ورجال الفقه الإسلامى وأصوله وتنظيم جهودهم وتوحيد خططهم فى هذا التعاون المشترك بأن يمد الفقهاء الإسلاميون رجال القانون بالمواد الفقهية لإعدادها فى وضع جديد، وفى ثوب من التفكير والاصطلاح القانونى، وتصوير ذلك كله فى ضوء التطورات الاجتماعية والزمنية والمكانية وليس هذا بالأمر السهل القليل.

ومن المناهج الميسرة لنجاح هذا التعاون العلمى المشترك دعوة الفقهاء ورجال القانون ليقوموا بتتبع المسائل الفقهية تتبعا موضوعيا تاريخيا فى تطورها فى القرون المتوالية والمدارس الفقهية المتعددة بدراسة تحليلية لأمهات كتب الفقه، ليس كما هى العادة- لمعرفة ما فيهما من اختلاف، ولكن لمعرفة الأفكار الفقهية المختلفة فى هذه الأصول وتصويرها وشرحها فى ضوء التاريخ، وربط الآراء بعضها ببعض، وعلى ضوء هذه الأسس يقوم بناء فقهى قانونى شامخ تتلافى فيه اشكالية الأصالة والمعاصرة، وتخرج من النزاع الدائر بين أهل الفقه وأهل القانون وحوله تتوحد الأمة حول تشريع واحد ويكف الغير عن رمى الإسلام بالجمود.

وفى نظرنا أن الطريق أصبحت معبدة أمام هذا التعاون العلمى المشترك بين الفقهاء ورجال القانون لتوحيد الجهود المشتركة بعدما أخرج المجلس الأعلى للشئون الإسلامية موسوعته الفقهية على ثمانية مذاهب وكذلك الكويت أخرجت موسوعتها الفقهية لا يبقى أمام الفقهاء سوى الترتيب التاريخى لتلك المسائل الفقهية، ولا شك أن العناية بإبراز الترتيب التاريخى لتلك المسائل الفقهية له عظيم الأهمية، فهو من ناحية يبرز اختلاف الفتاوى الذى هو سنة فى الفقه الإسلامى الذى يرتبط بتجدد الأحوال ومن ناحية يؤكد أن الاختلاف حول الفتوى للحكم الواحد له سنده الأصولى ثم أخيرا يحرك جمود النظر الفقهى.

وليس من شك فى أنه إذا توافرت الهمم وتوحدت الجهود بين العلماء العاكفين على البحث ورجال القانون العارفين لاستطاعوا بكفاياتهم وسهولة الأسباب عندهم ووفرة الموضوعات الفقهية ومرجعها، أن يؤدوا للمعرفة الفقهية والقانون جليل الأعمال النافعة المشهورة.

مؤتمر المثقفين العرب أو ترحيل الإسلام من مصر

للأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعنى

فى الأيام الأوائل من شهر يوليو الماضى عقد بمصر مؤتمر دعا إليه السيد الفنان فاروق حسنى، وزير الثقافة ومعاونوه بعنوان:

«نحو خطاب ثقافى جديد من تحديات الحاضر إلى آفاق المستقبل» دام ثلاثة أيام من الأول إلى الثالث من يوليو، شارك أعضاء من مصر، ومن بعض الدول العربية، وقد وُجهت الدعوة إلى أعضاء كلهم مجمعون على كراهية الإسلام ومعروفون بعدائهم له، ما عدا الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف المصرية.

وتمت واقعيات المؤتمر فى ظل تعتيم إعلامى كثيف، وبخاصة من الصحف القومية ووسائل الإعلام المسموعة والمرئية، وكان أول من أثار الحديث عنه صحيفة «اللواء الإسلامى» حيث كتبت عنه تقريراً وافياً، ثم صحف المعارضة، التى حولته إلى موضوع رأى أحدث ضجة فى مصر.

ثم صحيفة «القاهرة» التى يرأس الفنان فاروق حسنى نفسه كل أنشطتها.

وقد اختلف تناول صحيفة «القاهرة» لواقعيات المؤتمر، عن تناول صحف المعارضة اختلافاً كبيراً، فصحيفة «القاهرة» أو صحيفة فاروق حسنى جعلت واقعيات المؤتمر إنجازاً وطنياً وعربياً لا مثيل له فى المجال السياسى والاجتماعى والإصلاحى وتكتمت على ما قيل فيه من مساوىء واتجاهات معادية لمصالح الأمة العليا، وقيمها ومبادئها وموروثها الثقافى الوضّاء، وأصول دينه وفروعه، واشتمل بيانها الختامى على ذكر عموميات خادعة، ظاهرها فيه الرحمة، وباطنها من قبله العذاب.



فاروق حسنى

أما المساوىء الفظيعة، فلم تذكر صحيفة «القاهرة الفاروقية» شيئاً منها، وهذا نوع من «التدليس» المفضوح الذى لا يحتاج إلى ذكاء فى الكشف عنه.

وخدعة أخرى - مكشوفة - وقع فيها الداعون إلى هذا المؤتمر «فاروق حسنى» ومنظمو المؤتمر، وفى مقدمتهم د. جابر عصفور الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة.. أرجح أنهم أرادوا منها التمويه على ولاة الأمر الأعلى منهم شأناً ليتمكنوا من عقده بدون معوقات، ثم ليكن بعد ذلك ما يكون.

تلك الخدعة أن المؤتمر يحمل عنواناً هو: «تجديد خطاب ثقافى».. ثم تحولت كل واقعياته إلى «نحو تجديد الخطاب الدينى» وليس «الثقافى» ولم يلتزموا بحرفية العنوان «الثقافى» موضوع الخدعة، وحصروا معنى «الدينى» فى الدين الإسلامى وحده، وهذا كما ترى فيه كثير من المكر السيىء ضد الإسلام، ومعناه - مرة أخرى - «أنهم وصلوا لأهدافهم الخبيثة بـ تأشيرة دخول مزورة!!..» أو كما جاء فى الحديث الشريف:

«مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت». المهم، أن المؤتمر تمكن من الانعقاد، ولم نر فى واقعياته أموراً ثقافية تناقش، وإنما هو شن حرب ضروس على الإسلام، وكل ما يتصل به من أصول وفروع، ومزايا ومحاسن، لا يراد من هذه الحرب الضروس إلا ترحيل الإسلام عن مصر، كما أراد أتاتورك «الذى يمثله الفنان فاروق حسنى» ترحيل الإسلام من تركيا فى أوائل القرن العشرين الميلادى!!..

وليس فى هذا أدنى مبالغة أو تهويل، بل هى الحقيقة التى سيقر بها القراء بعد الفراغ من عرض التوصيات التى انتهى إليها أعضاء المؤتمر والمقترحات التى صدرت عن كثير منهم فى الجلسات الفرعية، مع أسماء الذين قدموها من المصريين وغيرهم[1].

السخرية من الوحى «القرآن»

الذى ارتكب هذه الجريمة هو: «أدونيس» الشاعر السورى، وهو فى الأصل قسيس تظاهر بدخول الإسلام ليتمكن من الطعن فيه من الداخل وأسمى نفسه أحمد سعيد، ويتربع الآن على كرسى الحداثة العربية، ويعزى إليه نشر الحداثة فى الوطن، وهو أول من دعا إلى إعادة تفسير القرآن على منهج حداثى تفقد فيه مفردات اللغة وتراكيبها دلالاتها الوضعية والمجازية، ولا يستقر معنى واحد للكلمة، بل لكل إنسان أن يفهم من المفرد أو من التركيب ما يشاء من المعنى، وله أن يفهم معنى «كلمة» الآن، ثم يفهم منها معنى آخر غداً.. إلى آخر الهلوسات.

(١)- مرجعنا فى هذا النقل «جريدة اللواء الإسلامى الصادرة بتاريخ الخميس ١٠/٧/٢٠٠٣م.

ليكون النظم القرآني ألاعيب في دنيا الناس!!..

وقد نشرت هذه الأفكار في صفحة «الحوار القومي» في الأهرام أيام كان لطفي الخولي مشرفاً عليها، وهي التي يقوم بتحريرها الشيوعيون في مصر، كان هذا عام ١٩٩٣م تقريباً.. أما ما أشارت إليه «اللواء الإسلامي» فهو بالحرف الواحد:

«أما الشاعر السوري أدونيس، الذي أصر فاروق حسني على أن يجلسه بجواره مباشرة فقد اعتبر الدين هو المعوق أمام أي تجديد أو أية معرفة وقال: كيف يتم تجديد المعرفة في مجتمع الدين فيه هو العنصر الأساسي المكون للمعرفة، وما القيمة المعرفية للوحي الذي تقوم عليه الثقافة العربية؟!.. ثم قال: لابد من إعادة النظر في الدين».

انظر كيف تجرأ هذا «القس» وهو موضع حفاوة فاروق حسني، كيف سخر من القرآن ووصفه بأنه يخلو من كل أنماط المعرفة، ثم دعا إلى إعادة النظر في الدين أصلاً، ليتاح لنا التحرر من سلطانه، وتتمكن من الإبداع



جانب من المشاركين في المؤتمر ويظهر فيه من اليمين إلى اليسار د. حسن حنفي، و د. رضوان السيد، و د. يحيى الرخاوي

والانفتاح على العالم المتحضر، كالمجتمعات الأوروبية: في مصر ـ الأزهر، معقل الإسلام يقال هذا الكلام؟!!..

القرآن عند أدونيس والداعين إلى المؤتمر ومنظميه وأعضائه يخلو من المعرفة، ربما لأنه يخلو من الرقص والفنون المسرحية من كوميديا وتراجيديا، و «يا ليل يا عين»، وهلم جرا!!!!..

فصل الدين عن الدولة

هذا الاقتراح تقدم به الكاتب العلماني المعروف أحمد عبدالمعطي حجازي أحد كُتّاب جريدة الأهرام «الأسبوعيين» وهو منذ عودته إلى مصر من فرنسا التي هرب إليها خوفاً من الرئيس الراحل محمد أنور السادات، وهو معروف بحقده على الإسلام، يناصر كل أنواع الفساد العملي والقولي، ولا تخلو مقالة من مقالاته الأسبوعية من إظهار العداء للإسلام.

تخلف القرآن عن مستجدات الحياة

هذا الاقتراح تقدم به د. حسن حنفي أستاذ الفلسفة بجامعة القاهرة، فهو يزعم أن القرآن نصه منته «محدود» وأحداث الحياة ليست منتهية، ولا يجوز أن يحكم المنتهي على غير المنتهي، ثم يخلص متفقاً مع أحمد عبدالمعطي حجازي في وجوب فصل الدين عن الدولة وأن الإسلام دين وأمة، وليس ديناً ودولة!!!!..

وهذا كلام لا يصدر عن عاقل عالم بمقاصد الإسلام، وإنما يمليه الجهل أو التجاهل، أو الهوى أو العناد، فالقرآن ليس منتهياً كما فهم د. حسن حنفي، لكنَّ للقرآن منهجاً في التشريع، غاب عن هؤلاء «الخواجات» فليس من منهج الإسلام في التشريع أن ينص على أحكام الوقائع كلها إلى يوم الدين وإنما منهجه وضع «كليات» تستخرج منها آلاف الأحكام مهما طال الزمن عن طريق الإجماع أو القياس، ومنها أدلة أحكام أخرى فيما ليس فيه نص ولا حكم منصوص، تبلغ في جملتها ثلاثة عشر دليلاً كالمصالح المرسلة، والاستحسان الشرعي، والاستصحاب وسد الذرائع، إلخ......

أما ذكر جميع الأحكام لوقائع حدثت أو تحدث، إلى يوم القيامة، فهذا لو كان قد حدث لأوقع الناس في ربكة وحيرة، فمثلاً لو أنزل القرآن حكمه في فوائد البنوك، ولم يكن لها وجود في عصر نزول القرآن، لتساءل الناس: ما هي البنوك؟!.. وما هي فوائدها؟!.. ولخرج القرآن بالناس من الواقع المحسوس المعروف لهم إلى أشياء مجهولة ليس لهم بها صلة.

والقواعد «الكلية» التي في القرآن تتولد عنها مئات الأحكام عن طريق الاجتهاد الذي له سند من الشرع، وهذا من سمات الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم.

فليست النصوص القرآنية منتهية كما تصوروا، ولكن الجهل بها هو السبب في الحماقات التي تصدر عن هؤلاء الذين يهرفون بما لا يعرفون.. واستشهد كثير منهم بأن فصل الدين عن الدولة من أهم أسباب النهضة للمسلمين، بأن أوروبا حين فصلت الدين عن الدولة حققت تقدماً عظيماً في الرقي والازدهار، وبلغت حضارتها عنان السماء، والمؤتمر هنا يردد عبارة جاهلة طالما رددها أمثالهم من قبل، دون أن يفطنوا إلى فسادها، ولكنهم حاطبوا ليل يحسبون كل أصفر ديناراً.

لأن أوروبا قبل عصر النهضة كان وراء تخلفها سببين كبيرين:

الأول: الإقطاع الجشع، الذي كان يمثله الملوك والأمراء.

والثاني: الدين، الذي كان يمثله رجال الكنيسة في ذلك الحين.

وجهلوا أن الذي كان وراء تخلف الغرب ليس فيه من الدين إلا اسمه، بعد أن حرفته الكنيسة وحولته من صفائه ونقائه إلى صورة

ليس بينها وبين الأصل أية صلة واستخف رجال الدين في ذلك الوقت بعقول الناس، فباعوا قصورا في الجنة يدخلونها بعد الموت، بعد أن يغفروا لهم ذنوبهم ويحرروا لهم بذلك صكوكاً أسموها «صكوك الغفران» ليقدمها حاملها لسلطات الآخر فليتسلم نصيبه من الجنة، الذى باعه له أولئك الدجالون.

ثم احتكرت الكنيسة «المعرفة» والأسباب الموصلة إليها كالقراءة والكتابة، بل قد بلغت البلاهة والجهل برجال الكنيسة أن بعضهم كان يزعم أن إضاءة الليل بالمصابيح حرام، حرام، لأنه مخالف لإرادة الله، لأن الله جعل الليل ظلاماً فلا يجوز إشعال المصابيح فيه!!..

كان الإقطاع يسيطر قهراً على جسد الإنسان الأوروبى، وكانت الكنيسة تسيطر على روحه وقلبه، فمات عقله بين ملكية الجسد، وغياب الروح والقلب.. كان الدين دجلاً وشعوذة، وكان الإقطاع جبروتاً لا ذرة فيه من رحمة.

لهذا قامت الثورة الفرنسية للخلاص من هذا الكابوس، وكان شعارهم «اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس»!!!...

فهل الإسلام مثل الدين الذى كانت الكنيسة فى القرون الوسطى تمثله، لقد حرر الإسلام الإنسان من أنواع الرق والتبعية، ومجد العلم ودعا إليه وقدس العمل ورفع الذين آمنوا وأولى العلم، والذين عملوا الصالحات درجات، ولم يجعل للإنسان سيداً إلا الله ودعا إلى العدل والرحمة والمساواة، ومحا الفوارق بين الناس إلا الإيمان والعمل الصالح.

إذن فلا صلة أبداً بين الإسلام وبين الدين الذى حاربته أوروبا فى بداية عصر النهضة لأنه فعلاً كان مفسداً للحياة عائقاً لأى تقدم فيها.

أما الإسلام فهو دين يدعو إلى كل فضائل الحياة وجعل العمل للدنيا كالعمل للآخرة فى الدرجة والثواب.

ونسأل أصحاب اقتراح «فصل الإسلام عن الدولة»: ما الذنب الذى جناه الإسلام حتى تعادوه وتفصلوه عن الحياة؟!..

إن سبب تخلفنا هو ضعف صلتنا بالإسلام فى العمل للدنيا والدين معاً، وليس العمل به.

لقد تخلفنا لأننا لم نأخذ بالأسباب التى لفت أنظارنا إليها الإسلام، وأنتم تعلمون ـ فيما أظن ـ أن منهج التجربة والملاحظة، الذى هو سبب نهضة أوروبا، هو صناعة عربية إسلامية، عملت به أوروبا فنهضت، وتركناه نحن وراء ظهورنا فنمنا على الأرض ووطئنا بالأقدام.

إن اتهام الإسلام بأنه معوق لكل تقدم لا يصدر إلا عن جاهل به أو معاند، والجهل والعناد حجتان على صاحبيهما لا على الإسلام.

إلغاء السنة والفقه

طالب بهذا الرأى مجموعة من الأعضاء، منهم أحمد عبدالمعطى حجازى، الذى قال: إن الحديث النبوى كله إلا عشرة أحاديث مكذوب على رسول الله ﷺ فعلينا أن نلغى هذه الأحاديث، وكذلك المذاهب الفقهية الكبرى الأربعة، اقترح ومعه أعضاء آخرون إلغاءها!!.. وأن نتوجه مباشرة إلى أخذ الأحكام من القرآن وحده!!..

هذا ما اقترحه جمال البنا، ورأى فى نفسه قدرة فائقة على استخراج الأحكام من القرآن مباشرة.

وهذا تهور وإفراط فى التقدير لأن الثروة الفقهية الإسلامية تكونت من خلال جهود مضنية بذلها علماء ورعون مخلصون منَّ الله عليهم بنعمة الفهم والفقه فى الدين، واستمر عملهم أكثر من عشر قرون من عصر الصحابة والتابعين، على شكل طبقات، كل طبقة تضيف إلى ما قبلها، والتاريخ فى هذا المجال لن يعيد نفسه؛ لأن لكل زمان دولة ورجال، وبدلاً من هذا اللغو الفارغ فليعمد جمال البنا وزملاؤه لعمل مذهب فقه جديد يأخذون فيه الأحكام من القرآن مباشرة، ثم يعرضونه على الأمة بدلاً من هذا الادعاء الأجوف الذى يطالعوننا به حيناً بعد حين، ورحم الله رجلاً عرف قدر نفسه.

إلغاء الفقه لماذا؟!

تقدم أن المؤتمرين طالبوا بإلغاء الفقه الإسلامى القديم، ولا نريد أن نطيل الكلام حوله، لكن ذكرناه مرة أخرى لنعرف ما هو هدفهم من إلغاء الفقه، وهو كما أفصحوا عنه، تحرير الإسلام نفسه من الحلال والحرام!!...

يعنى أن مؤتمر المثقفين العرب يريد محو الفقه الإسلامى ليحرروا الدعوة الإسلامية، وهى الخطاب الدينى الإسلامى، من الحرام والحلال، وليحل محلهما عبارة:

«افعل ما شئت، أو لا تفعل، فلا حرج عليك!!!...»



أحمد عبدالمعطى حجازى

وإذا وصل الأمر بالخطاب الدينى إلى هذا الحد، فهل يبقى دين حتى نجدد خطابه؟!!..

إلغاء المؤسسات الدينية!!

كما دعوا إلى إلغاء المؤسسات الدينية كالأزهر والهيئات التابعة له والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وربما وزارة الأوقاف نفسها، لأنها مؤسسة، وربما المساجد، لأنها روافد دينية واقترحوا أن يحل محل هذه المؤسسات هيئة مدنية خالية من علماء الدين تتولى أمور الفتوى!!..

هؤلاء المؤتمرون فقدوا صوابهم، إن كان لديهم صواب، وصاروا يتكلمون ولا يدرون ماذا قالوا وماذا يقولون؟!!.. لأنهم يخططون لترحيل الإسلام عن البلاد، فما حاجتهم إذن إلى هيئة فتوى حتى لو كانت من الشياطين؟!.. إن هذا الكلام والتخبط لا يصدر إلا عمن لعبت «السمادير» برأسه، أو عن محموم أشرف على الهلاك، وصاحب هذا الاقتراح د. على فخرو من مملكة البحرين!!..

إلغاء «إسلامية مصر» !!!...

هذا الاقتراح تقدم به جمال البنا، وهو أن نحذف من الدستور المصرى المادة التى تقول: «إن الدين الرسمى للدولة هو الإسلام».. يعنى يريد المؤتمرون أن يجعلوا مصر دولة علمانية لا دين لها !!...

إلغاء اللغة العربية !!..

وقد بلغ الهوس مداه عند المؤتمرين، فطالبوا بإلغاء اللغة العربية، وحرق معاجم اللغة القديمة، على أن يكتبوا هم لغة جديدة تحل محلها، وإذا كان هذا هو غرضهم، فلن يقف الإلغاء على كتب المعاجم، بل سوف يتعداه إلى القرآن الكريم، وكُتُب السُّنَّة، وكُتُب التراث كلها، بحيث لا يبقى أثراً واحداً مكتوباً باللغة العربية، ولا عجب، فقد حكموا على القرآن بأنه لم يعد صالحاً لإدارة الحياة لأنه «منتهٍ» وقضوا على الحديث النبوى بأنه مكذوب عليه، إلا عشرة أحاديث عند راوى الرواة «جمال البنا» وقد سبقه زميل له «سيد القمنى» فى مقالات له فى روز اليوسف بأن السُّنَّة ليس فيها إلا حديث واحد صحيح، هو قوله ﷺ: «من كذب علىَّ متعمداً، فليتبوأ مقعده فى النار»[٢].

هذا يعنى أن هذا الحديث الواحد الصحيح اعترفوا بصحته لينسف كل الأحاديث الأخرى ويثبتوا أنها مكذوبة على رسول الله ﷺ عند هؤلاء «البهاليل» واللغة العربية تحظى بقدر كبير من الحقد عند خصوم الإسلام، منذ الاحتلال الانجليزى لمصر، وكان لهم دور كبير فى محاربتها، وبخاصة الفُصْحى، ثم جاء هؤلاء المثقفون العرب ولهم أسلاف وعزفوا على الوتر نفسه الذى عزف عليه المستعمرون من قبل، ثم اليسوعيون خريجوا الجامعة الأمريكية فى بيروت.

إن أعداء الإسلام يحملون حقداً على العربية الفُصْحى لا يقل عن الحقد والعداء الذى يحملونه على الإسلام نفسه.

والسبب أن اللغة العربية هى لغة القرآن والحديث النبوى وهما مصدرا الإسلام وفى القضاء عليها قضاء على الإسلام نفسه، لو كان القضاء عليهما ممكناً، ولكن هيهات.. فهل هؤلاء يتمتعون بقواهم العقلية، أم على قلوبهم أقفالها؟!!..

صاحب هذا المقترح هو الدكتور حسن حنفى صاحب مقولة: إن السماء ليس لها سُلْطان على الأرض، ومقولة إن الإنسان إذا تحكَّم فى نظام غذائه وشُرْبه، يمكن أن يفعل ما يشاء على وجه الأرض، ولن يعرف الموت له سبيلاً، ولا زماناً ولا مكاناً، وفى هذا تكذيب لآيات كثيرة، منها قوله تعالى:

﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[٣].

(٢) البخارى ١/٣٤؛.

(٣) المنافقون ـ الآية ١١.

إلغاء التعليم الدينى

والمراد التعليم الدينى الإسلامى طبعاً، وهذا الاقتراح كان رغبة جميع المؤتمرين، عدا الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق، الذى يعقب بقدر المستطاع على أباطيل شياطين الإنس، والسبب وراء هذا العداء للتعليم الدينى الإسلامى عند هؤلاء الموتورين، أنه يصنع الإرهاب ويجعل على النفوس سلطاناً للحرام والحلال، وهم يريدون الحياة خلوا مما يحكم شهواتهم ورغباتهم.

﴿ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾[٤].

وكذلك فإن التعليم الدينى يصنع الإرهاب ويرعاه، هكذا يقولون، ولم يكتشفوا «إرهابية التعليم الإسلامى» إلا بعد أن اكتشفها عمهم «بوش» منذ عامين؟!.. والطيور ـ كما جاء فى المثل ـ على أشكالها تقع!!..

إلغاء المؤسسات الدينية والخيرية

هذا المقترح وإن تقدم به واحد منهم إلا أنه مطلب جميع من شارك فى هذا المؤتمر سواء قبل انعقاده أو فى أثنائه أو بعده، والمؤسسات الإسلامية التى يراد إلغاؤها نوعان:

● مؤسسات علمية ـ تعليمية.

● مؤسسات خيرية، ترعى ذوى الحاجة من الفقراء أو العاجزين والضعفاء، وهو مبدأ «بوشى» كذلك، الملك المتوج على رقاب العالمين، استكباراً وعلواً فى الأرض، ومكر السيىء، ولن يحيق المكر السيىء إلا بأهله.

أطلنا عليكم أعزائنا قراء «مجلة الأزهر».. ومع هذا فلدينا الكثير نقوله من واقعيات هذا المؤتمر المشئوم، والذى نحب أن نشير إليه فى الختام، أن هذه المساوىء الشنيعة لم تذكر منها صحيفة «القاهرة» «الفاروقية» شيئاً قط، لأن فى ذكرها إدانة لهم.

● وإن هذا المؤتمر لم يريدوا منه إلا ترحيل الإسلام عن مصر، وربما محوه من الوجود كله «عرباً وغير عرب»!!!...

● وإن على الدولة أن تحاسب الداعية إليه على ما ورد فيه مما ينافى نظام المجتمع، ويعيده إلى الجاهلية الأولى.

● وهو لا يدخل فى مبدأ حرية الرأى لأنه جاء فى الميثاق أن حرية الرأى مكفولة فى حدود القانون، وأن الإساءة للأديان محظورة، ويخضع للمساءلة القانونية من يحاول ذلك.

● وعلى الأموال العامة.. التى أنفقت عليه، والشعب والدولة فى أمس الحاجة إليها، وكان الأولى إنفاقها فى بناء عشش وأكواخ لسكان المقابر من أبناء وأسر هذا الشعب الكادح!!..

ونقول لهؤلاء «البهاليل» ما قاله الله عز وجل لأشياعهم من قبل:

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾[٥].

(٤) محمد ـ الآية ١٢.

(٥) الأنبياء ـ الآية ١٨.

يعتذر فضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى عن عدم متابعة موضوع مقاله (مناقشات حول الفكر) وسيتابع المناقشة فى أعداد قادمة بإذن الله.

مؤتمر دعى وثقافة مشبوهة

لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ
وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ
﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ
لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ
إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة/ ٨ : ١٣)

عقد فى القاهرة أول يوليو سنة ٢٠٠٣ اجتماع زعم المؤتمرون فيه أنه مؤتمر للثقافة تولى كبره السيد/ فاروق حسنى وزير الثقافة المصرى ودعى إليه من وصفهم الدكتور حسن فتح الباب: بأن بعض المثقفين المدعوين لهذا المؤتمر أصحاب مواقف مشبوهة فبعضهم من دعاة التطبيع مع إسرائيل. ثم قال - كان من المفترض عقد مؤتمر كبير لمناقشة هذا المحور - يقصد محور الخطاب الدينى - الهام بحضور المثقفين المنتمين لمشروع هذه الأمة لأن بعض المشاركين فى هذا المؤتمر من أعداء العروبة والإسلام[١].

(١) جريدة الأسبوع يوم ١٤/٧/٢٠٠٣.

أول ما يلفت النظر ويثير الانتباه أن المؤتمر جعل من بين محاوره «تجديد الخطاب الدينى» ونحن نقول للمؤتمرين ليس هذا شأنكم ولستم له بأهل. فأنتم ترفضون الإسلام وتناصبونه العداء ولايمكن أن تزعموا غير ذلك لأن كراهية الإسلام والتنصل من مبادئه وسلوكياته وأخلاقه هى رصيدكم الذى تكافئون عليه. ونحن نعلم أن هذا شأنكم فى كل أطروحاتكم وما تكتبون. فأنتم لاتدينون لهذا البلد بالولاء ولا للدين باعتقاد وكنا نود أن تتحلوا بالشجاعة التى ينبغى أن يتحلى بها المثقف الحقيقى التى تعنى صراحة المواجهة والرغبة الحقيقية الصادقة فى الوصول إلى الحق. وليست الثقافة ختلاً ومراوغة وضجيجاً. وكنا نود أن يُدعى أصحاب الشأن لتجديد الخطاب الدينى الذين يعنيهم مستقبل هذا الوطن ويخاطبون ضميره الدينى. والوطنى وولاءهم لمصر أولاً. ولسنا والله نتهم أحداً فى وطنيته ولكنا نقول ما سطرته الصحف عن مؤتمراتكم. كتب الأستاذ سمير الجمل[٢] عن مثل هذه المؤتمرات المدفوعة المزعومة يقول: «سمعت خبراً من راديو لندن عن مؤتمر للصحافة العراقية فى مرحلة ما بعد صدام تحتضنه اليونان. واكتشفت بعد ذلك أن اختيار اليونان ماهو إلا غطاء لأن أمريكا هى التى دعت للمؤتمر وتنفق عليه ومن خلاله تعيد تأهيل الأقلام الصحفية العراقية على النظام الأمريكى واحتضان العناصر الموالية ودعمها ضد الأقلام الوطنية التى ترفض الاحتلال الأمريكى وتفضل الموت على بيع أفكارها بآلاف الدولارات» ثم واصل كلامه قائلا: «وكم من الندوات واللقاءات تعقد فى عواصم غربية. (وأنا أضيف وعربية) يلعب العفريت الأمريكى من خلف الستار لأنه يعرف جيداً أن احتلال العقول والنفوس أبقى وأعظم من احتلال الدول» إلى آخر ما جاء فى المقال.

(٢) اللواء الإسلامى ٣/٧/٢٠٠٣.

وأنا أعتذر إلى قارىء «مجلة الأزهر» حيث أنى لم أكتب مقالاً بالمعنى الحقيقى للكتابة لكنى أجمع بعض أراء الذين كتبوا عن مؤتمر الثقافة الموهوم فقد تساءل الدكتور صلاح الراوى عن جدوى انعقاد المؤتمر أو تلك التظاهرة بأموال الشعب المصرى والعربى بلا عائد إيجابى[٣] وأنا أقول للدكتور صلاح الراوى تحرَّ فلعلها أموال الشعب الأمريكى.

وأنقل من جريدة القاهرة لسان حال السيد/فاروق حسنى وراعية هذه التظاهرة العابثة ما كتبه الدكتور حلمى القاعود[٤] قال: «هل يستطيع هؤلاء المثقفون ومعظمهم من مثقفى الحكومات أن يعلقوا الجرس فى رقبة الأسد أو القط؟ هل لديهم الشجاعة أن يقولوا إننا نريد تعددية حقيقية وتداولاً للسلطة وإصلاحاً حقيقياً يضرب الفساد ويقضى عليه ويقيم العدل بين المواطنين ويحفظ دماءهم وكرامتهم ويصون أعراضهم وأموالهم:» ثم يضيف فى تقييم حقيقى لهؤلاء المؤتمرين فيقول: «لقد برعت الأغلبية من هؤلاء المدعوين من مختلف الأنظمة والعصور على تمييع المواقف واللعب بمصير الأمة وانتهاك عرض اللغة «هكذا والله» حين خدموا سيدين فى وقت واحد واستفادوا من كل الحكومات وخرجوا على الناس فى ثياب المناضلين والمكافحين ولا أظنهم سيقدمون جديداً. فهم هكذا من نصف قرن يغيرون الشعارات ويتحولون من اليمين إلى اليسار ومن اليسار إلى اليمين ومن الخلف للأمام ومن الأمام إلى الخلف، وأقول للأمة جميعاً والشعب المصرى الواعى: هل علم أن سبب النكبة هم هؤلاء المثقفون وليس الدين ولا التراث؟

---

(٣) جريدة الأسبوع ١٤/٧/٢٠٠٣.

(٤) جريدة القاهرة ٨/٧ ص١٨.

ثم يقول الدكتور القاعود «إن مؤتمراً للثقافة يقتضى أجيالاً جديدة من المثقفين تملك حريتها وتقبض على جمرة الحق فى مواجهة زيف الباطل وفى الوقت ذاته تتحدث بلغة صريحة محددة لا تعرف المجاز ولا التورية». أقول وضمائر حية تؤمن بالله وقلوباً جسورة تصدع بالحق دون مواربة أو ارتزاق.

وبعد فإنى أسأل لو أن هذا المؤتمر تم عقده فى أحضان الصهيونية أو بفكر مراوغ أمريكى يزف الشعارات ويحتل البلاد ويقهر العباد باسم التحرير والحرية هل كان يصدر عنه ما هو أشد ضراوة وعداوة لتراث الأمة وفكرها ودينها؟

أقول بيقين كامل أبداً فلن يصدر عنه أكثر مما زعمه أحد المؤتمرين حيث قال: التراث على ما فيه من شوائب هو أكبر عوامل تخلفنا: بالله عليكم هل هذا رجل يحترم تاريخه ووطنه ويدافع عنه؟؟.

وأسأله أين عوامل تقدمك؟ أقول له إنها الخلاعة والزيف الغربى أنظر ما فعل مغول العصر بالعراق؟ وتأمل ما يراد بك؟ ولست أدرى لماذا يستعجلون؟ هلاً تريثوا فالطوفان قادم والتدمير واقع واقع لا محالة. ولست أرد على هذا المثقف الذى زعم أن التراث هو سبب التخلف لكنى أترك كاتباً آخر صديقاً له يرد عليه يستنكر قوله وفعله يقول: من غير المعقول أن نستغنى عن تراثنا جملة وتفصيلاً فهو تراث يضم كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والفقه والتفسير وما أنتجه العقل المسلم من فكر حضارى إلى آخر ما قال الأستاذ عبدالله السمان وأقول للأستاذ عبدالله السمان إن عتابك لا يجدى مع هذا وأمثاله لأنهم لا يهدفون إلا لإزاحة كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - من طريق الأمة.

إن هذا المؤتمر مرفوض لأنه مسخ للأمة ومحو لشخصيتها وتحقير للكتاب والسنة. وبعد فهذا رأى بعض المثقفين في المؤتمر ورجاله وتبقى لنا كلمة مع السيد فاروق حسنى نقولها له بأمانة وإخلاص: حذار أن تلعب بالنار وأن تساق إلى هذه المجالات. فأنت لست لها بأهل ودع الخطاب الدينى لأهله فهم حماة الأمة حقاً ورجالها حقاً ويكفيك مجالك الذى تعيش له وتنتعش فيه وتجيد أساليبه. نسأل الله لك الهداية ونتمنى ألا تعود لمثلها فهل يليق بمن يعقد في يوم ٣ من يوليو مؤتمراً يناقش فيه الخطاب الدينى وبعد أن ينتهى المؤتمر في يوم ٣ يوليو وفى يوم الجمعة ١١ يوليو وهو يوم مبارك عند المسلمين وتحت عنوان (سنة أولى رقص) تنشر له صورة وهو بين طلاب المدرسة مبتهج تبتسم وتحت الصورة عبارة «وزير الثقافة فاروق حسنى فى صورة جماعية مع طلاب مدرسة الرقص»[٥]، وشعار مدرسة الرقص مكتوب عليه مودرن دانس سكول MODERN DANCE SCHOOL فهل هانت الأمور فى مصر حتى يرعى الدين راعى مدرسة الرقص:

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[٦].

ملحوظة لم ننشر الصورة لأننا نربأ بمجلة الأزهر عن هذه الحداثة ودعاتها. ونورد كلمة للعقاد[٨] نختم بها مقال اليوم «إيه يا دعاة - الحداثة والخلاعة - أعشيتم نفوسنا أعشى الله نفوسكم الضئيلة، لا هوادة بعد اليوم «السوط في اليد وجلودكم لمثل هذا السوط خلقت وسنفرغ لكم أيها الثقلان».

---

(٥) انظر جريدة الأخبار ص٢ عدد الجمعة ١١ يوليو.

(٦) الشعراء (٢٢٧).

(٨) سبق أن أوردنا نفس العبارة فى مقال سابق فى جمادى الأولى ١٤٢٣هـ.



التهديد الإسلامى خرافة أم حقيقة؟

تأليف

جون ل. اسبوزيتو

ترجمة

الدكتور قاسم عبده قاسم

الحلقة الأخيرة

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوضين

الباحث الجاد عن الحقيقة تقوده حياديته وجده إلى محاولة استقصاء أبعاد القضية التى يتناولها؛ لأنه يؤمن بأن تقديم أحد وجوه الحقيقة لا يكفى فى جلائها، والوقوف عليها، بل قد يكون ذلك الوجه الواحد مضللا؛ إذ الحقيقة إنما تبرز وتتضح بتجلية شتى وجوهها، والتعرف عليها فى مختلف أحوالها وبيناتها.

ومؤلف كتاب (التهديد الإسلامى.. خرافة أم حقيقة؟) لم يشأ إلا أن يكون ذلك الباحث الجاد، الحريص على الحياد؛ فلم يكتف - فى بحثه عن جواب سؤاله هذا - بالتعرف على الإسلام فى منشئه فقط، ولا بالتعرف عليه فى مواطنه الرحيبة الممتدة بعد ذلك، وما صادفه فيها من صراع بين الحكام والمحكومين باسم الإسلام كذلك فقط، ولا بالتعرف عليه فى تلك المواطن وما صادفه من مواجهات وحوار فكرى. فحسب، بل سعى إلى التعرف عليه - فى هذه المواطن - والتعرف عليه وعلى المسلمين فى علاقتهم بالغرب الأوروبى، وسر ما نشب بين هذين الطرفين من صراع، استخدمت فيه شتى وسائل القهر والتضليل.

أسلمة الحكم بين التزييف والمطاردة

ففى الفصل الرابع (الإسلام والدولة... القوى المحركة للنهضة) بدأ المؤلف منطلقاً مع الصورة الزائفة للإسلام التى استقرت فى أذهان الغربيين، حيث أصبحت الأصولية

الإسلامية مثل الغول، ذلك الكائن الوهمي الذي يخوِّف به الصغار حتى تتسرب في أذهانهم صورة مخيفة مرعبة تستدعي عند التلفظ بها هيئة ناس غوغاء يتمنون الموت لأمريكا، ويشعلون النار في السفارات، ويخطفون الطائرات للفتك بحياة الأبرياء بسبب حقدهم على ما هم فيه من رغد العيش ونعومة الحياة!.. إلى غير ذلك من الصور الكاذبة التي تفزع من الإسلام، وتنفر من المسلمين.. تلك التي يقدمها الغرب والإعلام الأمريكي مبرراً للاستعمار الجديد، كما صنع أسلافهم في التبرير للاستعمار الصليبي السابق، على الرغم من أن للإسلام أهمية وواقعاً يتجاوز كثيراً ما تطرحه تلك الغارات والتصورات.

ويرى المؤلف أن بعض الحكومات في الدول الإسلامية تدعم التراث الغربي الاستعماري في خلق هذه الصورة عن الإسلام، وذلك إما بالاستخدام المشوه للإسلام من بعض الحكومات المتشحة بوشاح الإسلام، وإما بالسعي للتخلص من بعض الأنظمة الإسلامية الجادة، والعمل على عزلها وتشويه مسلكها ومقاصدها بشتى الوسائل الدعائية من بعض الحكومات العلمانية؛ فما إن تحقق الاستقلال السياسي لمعظم دول العالم الإسلامي، حتى سيطر على نظم الحكم فيها ثلاثة اتجاهات؛ الاتجاه الإسلامي ممن استخدموا الإسلام لإضفاء الشرعية على سياستهم، والاتجاه العلماني ذي الديانة المقيدة بشدة داخل نطاق الحياة الشخصية، والاتجاه الوسط الذي ترك السكان على تراثهم الإسلامي، والتزم في الحكم مساراً علمانياً معتدلاً في التطور، يهدف إلى خلق دول حديثة تتم صياغتها وفق النموذج الغربي.

ولم يكتف المؤلف بهذا الرصد لما أصبح عليه العالم الإسلامي في النصف الثاني من القرن العشرين، ولكنه دعم ذلك بتقديم صور دقيقة ناطقة تبين مسار بعض الحكام والحكومات في الدول الإسلامية المختلفة، وتوضح ترددهم بين هذه الاتجاهات الثلاثة، وتفسيراتهم المتباينة للإسلام، ودوافعهم إلى ذلك، وممارساتهم العنيفة.

وأوضح أن معظم هذه الدول المنتمية ظاهرياً إلى الإسلام، قد أسهمت في الحكم على الإسلام بما تقوم عليه ممارساتها؛ فهذه لرعايتها الإرهاب دفعت إلى ربط الإرهاب والتطرف بالإسلام، على الرغم من انتماء الإرهابيين والمتطرفين إلى أنظمة شتى؛ من كاثوليكية مسيحية إلى شيوعية ملحدة.

ويرى المؤلف أن من أبرز الأسباب في اتساع الهوة بين الإسلاميين والغربيين... اعتقاد الكثيرين أن الولايات المتحدة تدعم حكام المسلمين الذين يلتزمون بتحقيق مآربها رغم استبدادهم ودكتاتوريتهم، وتغفل تماماً مزاعمها حول حماية حقوق الإنسان، وحماية الديمقراطية، وأنها - في الوقت ذاته - تكيل الاتهامات الباطلة - التي لا تستند

إلى أي دليل - لأي حاكم يخرج عن سياستها، وتفرض عليه العقوبات الاقتصادية. وأن الموقف الأمريكي من الحكومات الإسلامية يتغير بتغير القائم على أمر الدولة؛ ففي ظل الدولة الإسلامية نجد حاكماً يتمتع بعلاقات وثيقة مع الولايات المتحدة، ونجد آخر في الدولة نفسها تتدهور العلاقات بينه وبينها بشكل واضح.

استغلال الدكتاتوريين للإسلام

ويرى المؤلف أن مراجعة السياسات الإسلامية المعاصرة تكشف أن تطبيقات الدول للإسلام اختلفت في ضوء أشكال الحكم والبرامج المحلية، والسياسات الخارجية. وفضلاً عن ذلك.. فإن اللجوء إلى الإسلام كان بمثابة سيف ذي حدين؛ فبينما كان استخدام الدولة للإسلام يمكن أن يوسع من قاعدة التأييد للحاكم، فإنه كان يجلب عليه الانتقادات الإسلامية والعلمانية على السواء.

ويرى أن فرض الإسلام من أعلى قد أخرج الإسلام عن حقيقته إلى نماذج تطبيقية مختلفة، مما أثار أسئلة عديدة، مثل: إسلام من؟ وأي إسلام؟ ولماذا إسلام سلبي؟

أما السؤال الأول (إسلام من؟) فالآن الإسلام - مثل كل الأفكار علمانية كانت أم دينية - يمكن أن يكون قوة اجتماعية إيجابية، كما يمكن أن يستغل بدهاء من جانب الدكتاتوريين، والدهماء، ومن جانب الحركات الإسلامية.

ولأن كثيراً من الحكام والحكومات قد استخدموا الإسلام لتقوية سلطتهم، بدلاً من توسيع نطاق المشاركة السياسية، كما إن كثيرين من علماء الدين، والتنظيمات الإسلامية كانوا يسعون إلى السلطة.

وأما السؤال الثاني (أي إسلام) فلأن الدعوة إلى مجتمعات ذات توجه إسلامي تتطلب التعرف على المقصود بذلك، أهو بعث للمذاهب والقوانين الماضية أم إعادة بناء نماذج جديدة تتناسب مع مستجدات الحياة، وتضرب - في الوقت ذاته - بجذورها في العقيدة والقيم الأصيلة للإسلام؟

ومثل هذا الاختلاف بين التقليديين والتحديثيين ليس خاصاً بالإسلام؛ فقد شهدته كل الديانات، غير إن الخلاف يكون أشد حدة عندما تكون نتائجه واجبة التطبيق على الحياة الشخصية والحياة العامة.

وأما السؤال الثالث (لماذا إسلام سلبي؟) فلأن الأغراض الشخصية من التطبيق الإسلامي سياسياً جعله - في أغلب الأحوال - يبدو وسيلة للاستغلال والسيطرة السياسية والاجتماعية أكثر من كونه أداة للإلهام والتجديد والوحدة؛ حيث سادت القوانين المقيدة، والمحاكمات السريعة، ونفذت الحدود الإسلامية بصورة عشوائية، بدلاً من أن يسود الإصلاح السياسي والاجتماعي، والتأكيد على حقوق الإنسان.

ومن هنا... نجد أن كلاً من الحكام الذين يفرضون الإسلام من أعلى، والحركات

الشعبية التى هيمن الغرض الشخصى على بعض قادتها . . . نجد هؤلاء وهؤلاء يواجهون بتحديات مستمرة من النظم العلمانية تدور فى محور تساؤلهم الساخر : كيف سيكون المجتمع والدولة ذات التوجه الإسلامى أكثر فعالية من النظم العلمانية فى قضايا التحرر السياسى ، والمشاركة السياسية ، والإصلاح السياسى والاقتصادى ، والأصالة الثقافية .

الحركات الإسلامية الحديثة فى ميزان الفكر والواقع

وفى الفصل الخامس (التنظيمات الإسلامية : جند الله) قام المؤلف برصد مستقص للحركات الإسلامية الحديثة من أقصى العالم الإسلامى إلى أقصاه ، متتبعاً الدور المحورى الذى لعبته - وما تزال تلعبه - فى سياسات العالم المسلم ، وفى الخطط والحسابات ، والاستجابات من جانب الحكومات الغربية ، محاولاً بذلك التعرف على طبيعتها وأهدافها ، وأنشطتها ، ومدى الاختلاف بينها وبين الحركات الإسلامية فى القرون الباكرة .

١ - وكان مرتكزه فى رحلته مع التنظيمات الإسلامية أن يتعرف على منظمتين رأى أنهما يحكمان المشهد فى العالم الإسلامى فى القرن العشرين ؛ لأن النشاط الإسلامى المعاصر فى عمومه يدين - بشكل خاص - للنموذج الفكرى والتنظيمى لها ، وهما (الإخوان المسلمون) فى مصر ، و (الجماعة الإسلامية) فى جنوب آسيا .

ويرى المؤلف أن هاتين الحركتين تتشابهان فى أن ظهورهما وبداية نموهما كان فى الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين فى مجتمعين متزامنين ، وتتشابهان فى أن كلتيهما وجهت اللوم إلى الاستعمار الأوروبى ، وإلى القيادة المسلمة المتغربة . وتتشابهان فى أن منظريهما ومؤسسيهما كانا رجلين تقيين ، متعلمين ، ذوى خلفية إسلامية تقليدية ، وعلى معرفة بالفكر الغربى الحديث . وتتشابهان فى أن هذين عولا على اهتمامات كل من الحركات الإحيائية الإسلامية فى القرن الثامن عشر ، والحركات التجديدية الإسلامية التى سبقتهما فى نقدهما للمجتمع المسلم ، وفى نظرتهما العالمية والإحيائية التى تؤكد على التنظيم .

وأنهما لم يكونا ضد الأخذ بالأساليب الحديثة ، على الرغم من عدائهما للتغريب ، فقد ارتبطا بالتنظيم الحديث ، وبناء المؤسسات ، وقدما خدمات لصالح التعليم والمجتمع ، واستخدما التكنولوجيا الحديثة ووسائل الاتصال الجماهيرى لنشر دعوتهما ، أى أنهما قدما الإسلام - فى أصوله - لجمهور يعيش فى القرن العشرين بشكل واضح ؛ من كل ما أنتج رؤية عالمية فكرية عامة ، ألهمت كثيراً من حركات الإصلاح الاجتماعى الأخلاقى الحديثة ، ذات التوجه الإسلامى .

وأن هاتين الحركتين لم تدينا الاستعمار

والتهديد الثقافى الغربى فحسب ، ولكنهما - إلى ذلك - أدانتا انفصام المسلمين عن إسلامهم ، حيث وجدنا أن مأزق المسلمين هو مشكلة إسلامية - أولاً وقبل كل شئ - تسبب فيها المسلمون الذين فشلوا فى الحفاظ على إسلامهم بما يكفى ؛ فالدعوة إلى الإسلام تتمثل فى دعوة غير المسلمين إلى الإسلام ، ودعوة إلى أن يكونوا مسلمين أفضل حالاً .

ولم تكن إدانتهما للغرب تعنى الرفض الكلى للتحديث ؛ فقد ميزا بين التغريب والتحديث ، ورأيا أن أفضل ما فى العلم والتكنولوجيا والمثل العليا السياسية يمكن مواءمتها بانتقائية وحذر ينفصل بها عن القيم الغربية المناقضة للإسلام .

وعلى الرغم من أن الجماعتين بدأتا تنظيمين للإصلاح الاجتماعى السياسى . . . لاحظ المؤلف أنهما تورطتا تماماً فى السياسة ، فاضطر (الإخوان المسلمون) إلى الدخول فى مواجهات مع الحكومات لجأت معها الحكومات إلى محاولة قمعها واستئصالها ، بخلاف (الجماعة الإسلامية) التى دخلت فى حلبة السياسة فى باكستان ، وأسهمت فى النظام السياسى بنشاط ملموس .

ولكن محاولة القمع والاستئصال لم تخرج الغالبية العظمى من (الإخوان المسلمون) عن النهج التطورى المعتدل فى العمل الاجتماعى السياسى ، بخلاف أقليات منهم ثاروا على ذلك النهج ، وانتحلوا صفات وأسماء توحى بالتطرف مثل (الجهاد) ، و (الناجون من النار) بهدف خلق دولة إسلامية ، معتقدين أن الجراحة الجذرية مطلوبة ، معلنين الجهاد ضد حكام مصر ، ومجتمع مصر الكافر ؛ فشكلوا تهديداً مباشراً لسلطة الدولة ، انتهى باغتيال السادات .

وزاد من حدة اندفاع هؤلاء فى طريق العنف والتطرف الاعتقاد بأن عقلية الغرب الصليبية ، وحركة الاستعمار الجديد ، وقوة الصهيونية ، كانت وراء المؤامرة المسيحية اليهودية التى عبأت قوى الغرب ضد العالم الإسلامى .

وبهذا العنف والغلظة والتشدد أنفسها أدانوا المؤسسة الدينية والمساجد التى تدعمها الحكومة وتديرها ، كما أدانوا الغالبية من (الإخوان المسلمين) لميلهم إلى الاعتدال ، حيث رأوا فى الاعتدال تعاوناً مع أعداء الله .

وقد ظلت الجماعات القاتلة فى مصر متشرذمة ، ولم تحظ بتأييد شعبى ، على الرغم من أن انتقاداتهم للمجتمع كانت أحياناً محل الإعجاب أو التأييد .

٢ - وعثل هذا الاستعراض المستقصى قدم المؤلف حركة (أمل) ، و (حزب الله) فى لبنان ، لافتاً النظر إلى ما لابس نشوءهما من شعور بالظلم الفرنسى الاستعمارى حين حرصوا على تسيد المسيحيين فى الدولة اللبنانية الناشئة ، بناء على إحصاء مزيف للبنية السكانية ، حيث نشأت حركة (أفواج المقاومة اللبنانية) التى اختصرت فى (أمل) ، والتى حول نبيه برى زعامتها من الزعامة

الدينية إلى زعامة أكثر علمانية، فأصبحت منظمة شيعية وطنية.

ومنبهـاً إلى دور الاحتلال الإسرائيلي جنوب لبنان، ومذبحة اللبنانيين والفلسطينيين في معسكرى (صابرا)، و(شاتيلا) بأيدى المسيحيين الكتائبيين والإسرائيليين... في نشوء (حزب الله) الذى ضم المجموعات الثورية من حركة (أمل) الإسلامية، ومنظمة (جند الله)، وفيلق (استشهاد الحسين) وجماعة الجهاد، ومنظمة العدالة الثورية، الذين اجتمعوا على رؤية مشتركة تقرر أن أعداءها هم الحكومة اللبنانية، والولايات المتحدة، وفرنسا، والحكومات العربية الموالية للغرب، وتهدف إلى تقويض الدولة اللبنانية، وخلق دولة إسلامية مكانها.

ومصرحاً بأن الاختلاف بين (أمل)، و(حزب الله) لم يقف عند حدود الأفكار والمقاصد، بل تعدى ذلك إلى التعارض السلوكى، والتصادم؛ فبينما كانت (أمل) حريصة على إقامة علاقات مع الغرب، كان حزب الله يرى الغرب (الشيطان الأكبر) ويرفض التعامل معه.

ومقراً أن الحقائق الاجتماعية السياسية في لبنان أدت إلى تفريخ عدد من الحركات الإسلامية، كما حدث في مصر.



مذبحة صابرا وشاتيلا



نبيه برى



ابو الأعلا المودودى

٣- وعلى هذا النهج نفسه في الاستقصاء والتحليل سار المؤلف في استعراض الحركات الإسلامية في المغرب العربي، حيث رأى أنها كانت - على النقيض من التنظيمات التقليدية - ذات قواعد حضرية، تسعى أساساً بين الطلاب والمهنيين المتعلمين، وأن معظمها قد تأثرت في تكوينها بنجوم الحركة الإسلامية المعاصرة، مثل (المودودى)

و(حسن البنا)، و(سيد قطب)، بالإضافة إلى المصلحين الإسلاميين الأوائل، مثل ابن حزم، وابن تيمية. وأن هذه الحركات قد تطورت من جمعيات للقرآن أو الثقافة الدينية إلى حركات اجتماعية حديثة؛ أو سياسية تتبنى القضايا الشعبية؛ من تحرير، وعمل، ونزاهة حكومية، وعدالة، مما أوقعها في صدام مع الحكام. اندفعت معه الحكومات من جهة إلى إسراف في القهر والتنكيل والعنف والقمع العسكرى، والاعتقال والسجن. واندفعت معه تلك الحركات من جهة أخرى إلى المقاومة - بشتى ألوانها - المعلنة والمستترة، من كل ما أدى بالحكومات إلى الاشتغال بما أطلق عليه (أمن الدولة). على حساب الإصلاحات السياسية والاجتماعية، والاقتصادية.

٤- وكذلك صنع المؤلف في استقصائه الحركات الإسلامية في تركيا، حيث تتبعها منذ حاول (كمال أتاتورك) تقويض الدين سنة ١٩٢٤، وإحلال النظام العلماني الغربي محل الشريعة الإسلامية؛ منبهاً إلى ما خلفته تلك المحاولة من فجوة واسعة بينه ونخبته الحاكمة وبين الجماهير التركية التي ظل الدين بالنسبة لها قوة كامنة تترقب الفرصة لتعلن عن وجودها، ولكن العسكريين المتعصبين لعلمانية أتاتورك ظلوا لهم بالمرصاد. فأقاموا العراقيل تلو العراقيل ليمنعوا أى تهديد إسلامي لعلمانية الدولة، حتى وصل الأمر إلى التخلى عن الالتزام بالديمقراطية لكى تمنع الإسلاميين من المشاركة في السياسة والأعمال الاجتماعية.



حسن البنا



سيد قطب



كمال أتاتورك

مرونة الإسلام حقيقة جلية

وخلص المؤلف من تلك الجولة المستقصية - وراء التوجهات الإسلامية داخل الأوطان الإسلامية وعلاقة العلمانيين بها - إلى تقرير:

١- أن تنوع الجماعات الإسلامية الناشطة، والتجارب الإسلامية شهادة على مرونة الإسلام - خصوصاً الإسلام السياسى - حيث وضحت قدرته على تشكيل (أيديولوجية) الحركات الإسلامية، وإستراتيجيتها.

٢- وأن هذا التنوع يبرز مشكلة المصطلح؛ فليس كل من يعلن توجيه الإسلامى ملتزما - في مواقفه وأهدافه - بالإسلام، كما وضح في مواقف بعض الحكام الإسلاميين، ونشاط بعض الأصوليين المتشددين.

٣- وأن الكثيرين من ناقدى الحركات الإسلامية يدعون أن تلك الحركات لا تمثل سوى أقلية من السكان، وليس لها برنامج حقيقى.. مع إن أحداً من الحكام لم يبد استعداداً لإعطائهم الفرصة، حتى يثبت فشلهم، بل إنهم – على العكس من ذلك – عملوا على منعهم من أى فرصة، مضحين بالتزامهم الشكلى بالديمقراطية، متجاهلين أخطر ما يجلبه ذلك من اضطرار إلى العنف؛ لأن العنف غالباً ما يلجئ إلى العنف.

فى حين يلمس جماهير المسلمين مدى ما تقدمه التنظيمات الإسلامية من معالجات للمشكلات العامة فى شتى الميادين الخدمية، كما يلمسون أن هذه التنظيمات لا تعادى التحديث، ولا تعارض التقدم الحضارى، بحيث أغلقت الفجوة الخرافية بين الدين والتحديث العلمانى؛ من كل ما جعل تلك المنظمات الإسلامية تتمتع بتأثير لا يتناسب مع حجمها وأعدادها؛ وذلك لجودة تنظيمهم، وسمو دوافعهم، ولتبنيهم إحساساً بأنهم فى مهمة يطيعون بها أمر الله؛ فهم لا يسعون إلى إعادة إنتاج الماضى، وإنما إلى إعادة بناء المجتمع من خلال عملية إصلاح إسلامية تطبق فيها مبادئ الإسلام، وفقاً للحاجات المعاصرة.

الإسلام والغرب فى مرآة الواقع

وفى الفصل السادس (الإسلام والغرب. هل هو صراع حضارات؟) يمم المؤلف – بمنهجه الذى التزمه – شطر الغرب؛ باحثاً عن الإسلام هناك، مستطلعاً العلاقة بين الحكومات الغربية وجماهيرها من جهة، وبين الإسلام والتنظيمات الإسلامية من جهة أخرى.

والمؤلف – فى مسعاه هذا – بدأ بتقديم صورة الإسلام والمسلمين كما يراها الغرب – خصوصاً فى أخريات القرن العشرين الميلادى – مشيراً إلى من صنع هذه الصورة ولفقها، حيث يرى أنه – فى زمن ما بعد الحرب الباردة بين الاتحاد السوفيتى والغرب – صدرت تحذيرات كثيرة تنبه إلى أن المسلمين هم أعداء الحضارة الغربية، وأنهم – لذلك – هم طرف الصراع الذى سيحل محل السوفييت، وتعالت أصوات فى أمريكا وأوروبا تصيح: (المسلمون قادمون)، وخلال زمن إدارة (بوش الأب) تحدث نائب رئيس الولايات المتحدة (دان كويل) عن خطر الأصولية الإسلامية، وربط بينها وبين النازية والشيوعية. وفى عهد (كلينتون) أعلن تجميد كل الأصول فى الولايات المتحدة المملوكة لحوالى ثلاثين منظمة وفرداً، يعتقد أنهم على علاقة بالمناضلين الإسلاميين فى الخارج.

ومع وقوع بعض الأحداث فى أمريكا وأوروبا ساد الاعتقاد بأن صداماً وشيكاً بين العالم المسلم والغرب، وظهر ذلك فى عناوين مثيرة مختلفة، مثل: (حرب مقدسة تتجه نحونا)، و(أنا أومن بالخوف من الإسلام)، و(الجهاد فى أمريكا).

ويرى المؤلف أنه إذا كانت المخاوف المبالغ فيها، والرؤية الجامدة للاتحاد السوفيتى التى أدت بالغرب إلى اتخاذ خطوات (هرقل) ضد عدو من الحجر... أعمت الغرب عن التشرذم والاختلاف داخل الاتحاد السوفيتى، وعن التغيرات الشاملة التى كانت تحدث فيه، فإن من الواجب أن يفيد من ذلك فى تعامله مع المسلمين. ولكنه يكرر ما وقع فيه من خطأ، ويسلك الطريق السهل، فيرى فى الإسلام والإحياء الإسلامى تهديداً من عدو تاريخى تتعارض ديانته وأولوياته مع ديانة الغرب وأولوياته؛ ولذلك تراه يسارع إلى تأييد النظم العلمانية فى المواطن الإسلامية، بدلاً من المخاطرة بحكومة إسلامية، على الرغم من اعتماد تلك النظم العلمانية على القمع والقهر والاستبداد، ونبذ الديمقراطية تماماً.

والعذر السهل لدى الغرب – فى تأييد نظم الحكم الفردية فى الشرق الأوسط ودعمها – هو الزعم بأن الإسلام يعادى الديمقراطية، وهو زعم ناشئ عن مزيج من الجهل والتنميط، يصيب بالعمى حتى من يتمتعون بحسن القصد.

وليس هذا مقصوراً على الغربيين – فى نظرتهم إلى الإسلام والمسلمين – بل إن كثيرين من المسلمين يقعون فى هذا الخطأ نفسه، ويلقون باللوم على أوروبا وأمريكا فى جميع مشكلاتهم. من كل ما أنتج ميلا متبادلا بين المسلمين والغربيين إلى أن يرى كل منهما فى الآخر تهديداً، وصداماً وشيكاً.

منشأ هذه التشويهات

ويرى المؤلف أن هذا التشويه نشأ من عوامل مشتركة:

فالغرب – وخصوصاً وسائل إعلامه – ينتقى من شعارات العالم الإسلامى تلك الشعارات التى تجعله يساوى بين الإسلام والخطر أو التهديد، مثل شعارات (الإسلام المقاتل)، و(الأصولية الإسلامية)، و(الإرهاب الإسلامى)، و(القنبلة الإسلامية).

والغرب – بتلك الإنتقائية – يعيق قدرته على تقدير الجانب الآخر، ويعمى عينيه عن الوقوف على منشأ هذه الشعارات، ويدفعه إلى تجاهل دور الاستعمار، والهيمنة الغربية على البلاد الإسلامية التى تلتها التبعية المستمرة للغرب، وما خلفته من جروح واستياء، صارت أعذاراً سهلة لتبرير الإخفاقات الاجتماعية.

وميل الغرب إلى الحكم على تصرفات المسلمين بشكل مبتسر، وإلى تعميم أعمال القلة على الكثرة، وغض النظر عن التجاوزات التي ترتكب باسم ديانات أخرى ليس جديدا على الغرب.

فإذا كان هناك تهديد إسلامي، فإن من الغرب من يعتقدون أن هناك أيضاً تهديداً غربياً يشمل السياسة، والاقتصاد، والدين، والثقافة، حتى صار الطرفان يتبادلان اتهام الآخر، ورؤيته في هيئة الشيطان.

بيد إن حكومات كثيرة في العالم الإسلامي تحمي نفسها بالتعاون مع الغرب، مستغلة خطر الإرهاب الإسلامي، وتضخيمه لتبرير سيطرتها القمعية، حتى إن بعض هذه الحكومات وجدت في قادة إسرائيل حليفاً جاهزاً - بغض النظر عما بينهم من اختلافات - مما دفع إسحاق رابين إلى استغلال ذلك، فيقول: «إن العالم العربي - والعالم عموماً - سوف يدفع الثمن إذا لم يوقف سرطان الإسلام الأصولي».

ونتيجة لهذا.. فإن الإحياء الإسلامي قد اختزل في أشكال نمطية، يرددها الغرب وأعوانه، مثل: (الإسلام ضد الغرب)، و(الإسلام يحارب الحداثة)، و(الإرهاب الإسلامي)، و(الأصولية الإسلامية تعادل الإرهاب).. إلخ تلك الشعارات.

ومن هنا... استقر كثيرون من المعلقين الغربيين على أن الإسلام والغرب يسيران على طريق الصدام، وأن الإسلام يحمل تهديداً سياسياً وحضارياً وسكانياً للغرب، على الرغم مما تتسم به تعليقاتهم من ندرة مذهلة في المعلومات، وتحجر في الفهم، ونقص في التمييز بخصوص طبيعة التجديد الإسلامي وتنوعه، واستبعاد الأسباب التي يقدمها الإسلاميون تفسيراً لنقدهم الغرب، ورفضهم إياه؛ إذ المسلمون ليسوا هم القوم الوحيدين الذين يستخدمون الدين لإضفاء الشرعية والعقلانية على أفعالهم، فهناك كثيرون من اليهود، والمسيحيين، والسيخ، والهندوس يصنعون ذلك، عندما يواجهون ما يتهدد وجودهم أو مصالحهم، كما إن الحرب العالمية الأولى والثانية نشبت بين أصحاب حضارة واحدة - بمنطق (هنتنجتون)؛ فكانت الحربان شهادة على هشاشة الحضارة الأوروبية.

وانطلق المؤلف مستعرضاً آراء (هنتنجتون)، مفنداً كل رأى بحجج عقلية، وواقعية، وتاريخية، مقرراً تعمده التجنى على الإسلام والمسلمين، ثم انتقل إلى ما يواجه النمو الإسلامي في الغرب من مخاوف، ومشاعر معادية، حيث أصبح الإسلام ثاني أكبر ديانة في فرنسا، واحتل المرتبة الثالثة في انجلترا وألمانيا.

ويخلص المؤلف من هذا الاستعراض المفصل إلى عدة ملاحظات، من أبرزها:

١- أن التعامل مع الحركات الإسلامية يقوم - في أغلب الأحوال - على أساس الأنماط الشائعة، والتوقعات المسبقة - بدلاً من البحث التطبيقي - اعتماداً على تقارير الصحف، أو الوثائق التي تصدرها الحركات والحوادث المعزولة، حتى إن نشاط الغالبية المعتدلة من التنظيمات المعاصرة لم تلق الاهتمام المناسب، بل قوبلت بالتهوين من شأنها، حتى لقد غض الكثيرون أبصارهم عن الثورة الهادئة التي جرت في أنحاء من العالم الإسلامي، فالإحياء الإسلامي لم يعد حركة تقوم بها أقلية هامشية تعيش على أطراف المجتمع، وإنما صار جزءاً من التيار الرئيسي في حياة المسلمين.

٢- وأن الإسلام المعاصر يشكل تحدياً أكثر منه تهديداً؛ إذ إنه يتحدى الغرب أن يعرف تنوع التجربة الإسلامية، ويفهمها، كما إنه يتحدى الحكومات المسلمة أن تكون أكثر استجابة للمطالب الشعبية بالتحرر السياسي، والمزيد من المشاركة الشعبية، وأن تبنى مؤسسات ديمقراطية يعول عليها، تحتوى الإرهاب والتطرف العنيف، وأن تتسامح مع حركات المقاومة غير العنيفة، بدلاً من أن تقهرها؛ فإن الاختبار الحقيقي للحركات الإسلامية هو إقامة حكومة فعالة منتخبة، وبرنامج للتغيير الاقتصادي الاجتماعي، كي تتخطى الشعارات والوعود الغامضة إلى البرامج السياسية والاجتماعية والاقتصادية الصلبة، حتى تردم الفجوة بين المعتقدات والمؤسسات الإسلامية وبين الحقائق السياسية الاجتماعية في العالم المعاصر.

٣- وأن ما يمكن أن يكون تهديداً إسلامياً للغرب يقابله ما يمكن أن يكون تهديداً غربياً - أو يهودياً مسيحياً - للإسلام؛ فالإسلام - مثل اليهودية والمسيحية - قدم طريقاً للحياة، وهداية حولت حياة الكثيرين، إلا أن بعض المسلمين - مثل بعض اليهود والمسيحيين - قد استغلوا دينهم لتبرير العدوان والحرب، وإضفاء الشرعية عليه.

٤- وأن ما يبدو أنه عداء للغرب - وأمريكا خاصة - إنما هو اعتراض على سياسات غربية أمريكية بعينها، ورفض لتصرفات محددة، وليس بدافع العداء الحضاري، كما يتوهم الكثيرون، وكما يزعم المضللون؛ فالوجود الغربي، والسياسة الأمريكية غالباً ما يكون هو القوة الدافعة لما يتم ضد الحكومة الأمريكية، وليس الحقد والكراهية للأمريكيين؛ إذ تعتمد السياسة الأمريكية على الكيل بمكيالين، بحيث تقابل بالصمت الراضي كل ما يصنعه اليهود والمسيحيون المتطرفون بالمسلمين، من

تفجير مراكز العبادات، وذبح بالمساجد، وما يقومون به من إبادة عرقية - كما حدث من اليهود في الخليل بفلسطين، ومن المسيحيين الصرب في البوسنة - بينما تقابل مثل ذلك عندما يحدث من بعض المسلمين بضجة إعلامية تدفع فيها إلى استئصال جميع الإسلاميين. وبحيث تدين - بكل وسيلة - خلط الإسلام بالسياسة، في الوقت الذي تتقبل فيه خلط الدين بالسياسة في جنوب أفريقيا، وإسرائيل، وبولندا، وشرق أوروبا، وأمريكا اللاتينية، بل إنها تتجاوز ذلك إلى الدعم المتعاون. مما يجعل منها دولة متآمرة عنصرية.



نموذج للاضطهاد العرقي ضد المسلمين
عشرات الأسر البوسنية المسلمة الهاربة من مذابح الصرب الوحشية تفترش الأرض في إحدى صالات الألعاب الرياضية في مدينة «سبليت»

وكان الواجب على أمريكا: أن تكون مستعدة لأن تظهر بالقول وبالفعل إيمانها بأن حق تقرير المصير، والحكومة المنتخبة يتضمن قبول دولة إسلامية التوجه، ومجتمعاً إسلامياً. طالما أنه يعكس الإرادة الشعبية، ولا يهدد مصالح الولايات المتحدة بصورة مباشرة.

وأن تكون مستعدة للاعتراف بالفروق الفكرية بين الغرب والإسلام، وتقبل هذا الاختلاف أو التسامح إزاءه على الأقل، وإدراك أن معظم الحركات الإسلامية ليسوا معادين للغرب، ولا لأمريكا، ولا للديمقراطية، وأنهم لا يهددون - بأي صورة - مصالح الولايات المتحدة؛ فتفهُّم تاريخ الإسلام وحقائقه يؤكد ذلك ويقرره.

وبعد: فالكتاب يقدم باحثاً أمريكياً جاداً محايداً، قاده جده وحياده إلى خوض هذا العباب الصاخب - في صبر وأناة - مما يسوده من ضباب كثيف، وظلام متراكم، كادت معه حقيقة الإسلام تختفي، وسمات الحركات الإسلامية تفقد معالمها السامية، بفعل التشويه لها، ولكن شيئاً من ذلك لم يضله عن الحقيقة التي وجد فيها الإجابة عن تساؤله الذي عنون به كتابه، والتي يمكن إجمالها في النقاط التالية:

١- إن الإسلام - في حقيقته - دين سلام، لا مكان للعنف فيه إلا عند الضرورة الملحة.

٢- إن الإسلاميين المتمسكين بأصول الإسلام في حياتهم ليسوا كالأصوليين الغربيين، فهم يرفضون العنف، وينبذون العنصرية، ويسعون إلى التعاون المثمر الجاد، ولا يخرجهم عن مسارهم إلا من يرون فيهم تهديداً لمصالحهم، أو انتقاصاً من سلطاتهم.

٣- إن قلة من الإسلاميين هم الذين يدفعهم جهلهم بالإسلام أو القمع الواقع عليهم إلى العنف الطائش.

٤- إن الحكومات الغربية - خصوصاً الأمريكية - تتعامل مع المسلمين بازدواجية صارخة، فما تقبله من اليهود والمسيحيين المتعصبين في شتى المواطن.. ترفضه من المسلمين، وترصد الجهود الكبيرة لمقاومته دون هوادة، أو التزام بقيم، حتى فقدت مصداقيتها تماماً، وأصبحت تمثل العدو المتربص الذي يستثير المسلمين لمعاداته.

بيد إن المؤلف - مع جهده وجده وحياديته - لم يسلم من أثر الثقافة الاستشراقية التبشيرية، فعكس قلمه بعض الأخطاء والتعبيرات التي قصد من ورائها المستشرقون تشويه الإسلام، أو أوقعهم فيها جهلهم بحقيقة الإسلام، ومن أمثلة ذلك:

أ) تعبيره عن المسلمين والمسيحيين بالإسلام والمسيحية، مما يوحي بأن الدينين هما اللذان يقوم بينهما التحدي، كما تراه في ص٤٥، ص٧٢، ص٧٣، ص٣٩٤، والباحث - من غير شك - إنما يقصد معتنقي الدينين.

ويبدو أنه وقع في ذلك عن غير قصد؛ لأنه عاد فنقض ذلك في ص٣١٥، ص٣١٦، حيث نص صراحة على وجوب التفريق بين ما ينسب إلى الدين الإسلامي وما ينسب إلى المسلمين.

ب) إصراره على أن الإسلام ليس وحياً، ولكنه تجربة دينية لمحمد، أحدثت تحولاً في حياته، وبدأت ببناء جماعة صارت بعد أربعة عشر قرناً ثاني أكبر جماعة دينية ص٤٧، ص٤٨، ولا ريب في أن هذا من آثار الفكر التبشيري الاستشراقي؛ لأنه يعود بعد ذلك فيقرر أن الوحي الذي تلقاه محمد وبلغه كان هاديا ص٥٠.

جـ) قوله: إن قتال من يرفض الإسلام أو دفع الجزية كان لفرض الإسلام ص٦٣ صنعه المستشرقون غافلين عن أن قتالهم كان لتأمين المسلمين من عدو متربص، ولتأمين الدعوة من عدوان من يرفض التعهد بالأمان والمسالمة.

يضاف إلى هذا ما لاحظه المترجم من أخطاء علق عليها في الهامش.

ولكن روح الجد والحياد التي تسود الكتاب تجعلنا نرى أن هذه الأخطاء إن هي إلا من آثار ثقافته الاستشراقية، التي لم تستطع حياديته أن تخلصه منها، فجرى بها قلمه من غير قصد، فكانت تلك الثمرة التي أسهم بها في التعريف بحقيقة الإسلام.

الطبيعة الإنسانية الدولية للمبادئ الإسلامية

للدكتور
عبد الحليم عويس

تتميز تعاليم الإسلام ـ عقيدة وشريعة وأخلاقاً ـ بأنها ذات بنية إنسانية عالمية .. فالخطاب فى القرآن لكل الناس (يا أيها الناس) وأحياناً لبنى آدم (يابنى آدم) والرسول محمد ﷺ نبىّ الإسلام أرسله الله رحمة للعالمين .. وهكذا نجد الطابع الشمولى والإنسانى والعالمى فى خطاب الإسلام وتعاليمه.

وبإيجاز يمكن النظر إلى هذه الطبيعة الإنسانية الشمولية فى الإسلام من خلال القواعد الإسلامية التالية:

١ - عالمية الدعوة الإسلامية وإنسانيتها:

لما كانت دعوة الإسلام عالمية لم تأت منذ البداية مخاطبة بلد بعينه أو قوم بعينهم؛ فإنها كانت خطوة إنسانية تقدمية إلى الأمام نحو تحقيق مابذلت المحاولات البشرية لتحقيقه من بعد، وهو تدويل المجتمع الإنسانى، بيد أن الدعوة الإسلامية ـ مع دعوتها للعالمية والتدويل ـ لم تسمح بالقضاء على الخصوصيات، أو مصادرة حقوق الحضارات الأخرى فى التعبير عن نفسها.

٢ - الأخوة الإنسانية:

ويكفى لإيضاح هذه الأخوة من نصوص القرآن قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(١).

(١) الحجرات: ١٣.

٣- خلق الناس جميعاً من نفس واحدة:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(٢).

٤ - الإنسانية فى الإسلام جماعة واحدة:

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾(٣).

﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾(٤)

٥ - اختلاف اللون واللسان آية ربانية لاتفرقة عنصرية:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾(٥).

٦ - العمل الصالح ميزان التفاضل بين المجتمع:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(٦).

٧ـ فريضة الحج عبادة إنسانية دولية:

وذلك أنها عبادة يلتقى عندها كل المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها بصرف النظر عن أجناسهم وألوانهم وأوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية، فهذه الفريضة تتميز بالأخوة الدولية، ولعله لايوجد ملتقى فى عالم اليوم يحطم حواجز العنصريات والجغرافيا، ويلتقى على (الأخوة الدولية الإسلامية) مثل الملتقى الذى تؤدى فيه مناسك الحج فى مكان محدود وزمان محدد، ووفق قيم محددة شكلاً ومضموناً يلتزم بها الجميع .. وإلا فسدت عباداتهم.

شهادة عالمية بحقوق الإنسان فى الإسلام

فى صفر ١٣٩٢هـ (مارس ١٩٧٢م) عقدت فى الرياض، ثم فى باريس والفاتيكان ومجلس الكنائس العالمى فى جنيف والمجلس الأوروبى فى ستراسبورغ ندوات علمية بين فريق رسمى من كبار رجال الفقه فى المملكة العربية السعودية، وفريق من كبار ورجال الفكر والقانون فى أوروبا .. وقد انتهت الندوات باعتراف صريح من الفريق الأوروبى بسمو حقوق الإنسان فى الإسلام، وسبقها على كل القوانين المعاصرة وشمولها، وقد

(٢) النساء: ١.
(٣) البقرة: ٢١٣.
(٤) يونس: ١٩.
(٥) الروم: ٢٢.
(٦) البقرة: ٦٢.

انتهت الندوة بمذكرة رسمية قدمت للمؤتمرين، كما قدم مضمونها قبل ذلك لقسم حقوق الإنسان بالأمم المتحدة فى يونيو ١٩٧٠م مشفوعاً بملاحظات حكومة المملكة العربية السعودية على الإعلان العالمى لحقوق الإنسان.

وحقوق الإنسان الأساسية فى الإسلام ـ كما أجملتها المذكرة ـ تتلخص فى الحقوق التالية:

١ - «كرامة الإنسان» عملاً بنص القرآن الكريم الذى قد جاء فيه:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾[7].

٢ ـ عدم التمييز فى الكرامة وفى الحقوق الأساسية مابين إنسان وآخر.

٣ ـ النداء بوحدة الأسرة الإنسانية والإعلان بأن خير بنى الإنسان عند الله هو أكثرهم نفعاً لهذه الأسرة.

٤ ـ الدعوة إلى التعاون بين الشعوب على مافيه الخير وتقديم أنواع البر إلى جميع بنى الإنسان.

٥ ـ حرية الإنسان فى عقيدته وعدم جواز ممارسة الإكراه فيها عملاً بما جاء فى القرآن الكريم:

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾[8].

٦ ـ حرمة العدوان على مال الإنسان ودمه عملاً بقول رسول الإسلام:

«إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام»[9].

٧ ـ حصانة البيت لحماية حرية الإنسان عملاً بما جاء فى القرآن الكريم:

﴿ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ ﴾[10].

٨ ـ التكافل فيما بين أبناء المجتمع والاعتراف بحق كل إنسان فى الحياة الكريمة والتحرر من الحاجة والفقر، بفرض حق معلوم فى أموال القادرين ليصرف لذوى الحاجة على اختلاف حاجاتهم عملاً بما جاء فى القرآن الكريم:

﴿ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾[11].

٩ ـ إيجاب العلم على كل مسلم من أجل القضاء على الجهل عملاً بقول رسول الإسلام ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[12].

١٠ ـ إمكان فرض العقوبة على الممتنعين عن واجب التعلم والتعليم وهذا مالم تصل

(٧) الإسراء: ٧٠. (٨) البقرة: ٢٥٦.

(٩) مسند الإمام أحمد ٢/٣٦٣، ٤٨٥، ٤/٦٩، ٣٠٦، ٥/٣٠، ٣٧، ٤١٢. (١٠) النور: ٢٧.

(١١) المعارج: ٢٤، ٢٥. (١٢) كشف الخفا ٢/٥٦.

إليه حقوق الإنسان فى أية دولة حتى اليوم، وذلك نتيجة لفرض التعليم على كل مسلم.

١١ ـ فرض الحجر الصحى فى حالات الأمراض المعدية ومنذ أربعة عشر قرناً وقبل أن تنتبه أية دولة حينذاك لإدخاله فى تشريعها وذلك مبالغة من الإسلام فى حماية الصحة العامة من المرض، إلى جانب حماية المجتمع من الفقر والجهل.

١٢ ـ وهناك كثير من النصوص التشريعية الإسلامية التى لا تحصى لحماية هذه الحقوق التى أشرنا إليها أعلاه وهى فى مجملها تشرح (حقوق الإنسان) الاقتصادية والاجتماعية والثقافية من مستوى آفاقها الإنسانية العليا التى لاتميز ـ ولاتسمح أن يميز فيها ـ ما بين إنسان وآخر. وخاصة بسبب الأمور التى نص عليها (الإعلان العالمى لحقوق الإنسان) وهى: «الجنس أو اللون أو اللغة أو الدين أو الرأى أو الأصل الوطنى والاجتماعى أو الثروة أو البلاد».

١٣ ـ أعلن الإسلام أن النساء شقائق الرجال، وأن لهن من الحقوق مثل ماعليهن من الحقوق إلا ما جعل للرجل من حق فى رياسة الأسرة وتحمل مسئولياتها، لما بنى عليه تكوين الرجال من خصائص تجعلهم فى الأصل أرجح فى حمل هذه المسئولية الاجتماعية الثقيلة..

ـ وأخيراً..

إن الحروب فى الإسلام تخضع لآداب صارمة تتلخص فى أوامر الخليفة الراشدى الأول أبى بكر الصديق لأسامة بن زيد لما وجّهه إلى الشام: بالوفاء لمن يعاهدهم، وبالرحمة فى الحرب، وبالمحافظة على أموال الناس، وبترك الرهبان أحراراً فى أديارهم وصوامعهم، وقال له: لاتخونوا ولاتغدروا ولاتغلوا ولاتمثلوا ولاتقتلوا طفلاً ولاشيخاً كبيراً ولا امرأة، ولاتعقروا نخلاً ولاتحرقوه، ولاتقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولابعيراً إلا للأكل، وإذا مررتم بقوم فرّغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم ومافرّغوا أنفسهم له...

هذه الوصايا ـ الأوامر ـ لا وجود لها ولاالقريب منها، ولا لروحها فى العهد القديم، بل إنك تجد نفسك أمام حروب إبادة لعلها هى التى فرضت روحها على حروب الإبادة العنصرية والدينية المعاصرة.. تلك التى تمارسها اليوم ضد المسلمين أمريكا وأوروبا واليهود كما مارستها من قبل القيصرية فى روسيا والدولة الشيوعية فى الاتحاد السوفيتى الهالك.

***

مكانة الوطن فى الإسلام

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

إن محبة الأوطان من دلائل الإيمان؛ فما شرع الجهاد فى سبيل الله إلا دفاعا عن العقيدة والأوطان، وردًّا للظلم والطغيان، وتأمينا لدعوة الإيمان، ونشراً للسلام والأمان.

ومما لاشك فيه أن فى الجهاد بذلا للمهج والأرواح، فى سبيل الدفاع عن الدين والأوطان:

وللأوطان فى دم كل حر
يد سلفت ودين مستحق
وللحرية الحمراء باب
بكل يد مضرجة يدق

الرسول ﷺ وحب الوطن

وقدوتنا فى حب الأوطان، هو سيدنا رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - فعندما خرج مُهاجرا من مكة إلى المدينة، نظر إلى البيت الحرام نظرات حانية، ثم قال مخاطبا مكة المكرمة، البلد الحرام ومسقط رأسه، ومنزل الوحي وقبلة المسلمين: «والله إنك لأحب أرض الله إلىّ، وإنك لأحب أرض الله إلى الله، ولولا أن أهلك أخرجونى منك، ما خرجت»[1].

ثم توجه الرسول ﷺ إلى الله - سبحانه وتعالى - بهذا الدعاء: «الحمد لله الذى خلقنى ولم أكُ شيئا، اللهم أعنى على هول الدنيا، وبوائق الدهر ومصائب الليالى والأيام. اللهم اصحبنى فى سفرى، واخلفنى فى أهلى، وبارك لى فيما رزقتنى، ولك فذللنى وعلى صالح خلقى فقونى، وإليك ربى فحببنى، وإلى الناس فلا تكلنى.

أنت رب المستضعفين، وأنت ربى، أعوذ بوجهك الكريم الذى أشرقت له السموات والأرض، وكشفت به الظلمات، وصلح عليه أمر الأولين والآخرين، أن تحل على غضبك وتنزل بى سخطك، أعوذ بك من زوال نعمتك، وفجاءة نقمتك، وتحول عافيتك وجميع سخطك، لك العتبى عندى خير ما استطعت، ولاحول ولاقوة إلا بالله»[2].

(١) رواه أحمد والترمذى.

الأزهر

وفى قوله ﷺ لمكة: «إنك لأحب أرض الله إلىّ» ما يدل على حبه لها، وعدم رغبته عنها إلا للضرورة، وذلك لما خرج ﷺ من مكة، فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة، فأنزل الله:

﴿إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[3].

قال إلى مكة، انتهى[4].

ومما يدل على أن حب الوطن من الإيمان، قول الله - تعالى -:

﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا﴾[5].

والناس يحبون أوطانهم ففيها حياتهم ونشأتهم، وبها تعلقت عواطفهم، وفيها تواصل الأرحام، والإحسان إلى أهل الوطن من فقراء ومحتاجين، وفى كل جزء فى الوطن عاطفة للإنسان ترتبط به، ولا تفرط فيه وإذا كانت مكة وطناً أول لرسول الله ﷺ، فإن المدينة المنورة كانت الوطن الثانى الذى هاجر إليه، ودعا للمدينة ولأهلها، ودعا بالبركة فيها حيث قال: «واجعل بالمدينة ضعفى ما جعلت بمكة من البركة»[6].

وتتجلى محبته - صلوات الله وسلامه عليه - للمدينة، ومحبة أهل المدينة له فى استقبالهم وحفاوتهم به وبالمهاجرين من أول لحظة قدم فيها المدينة، كما تتجلى محبته للمدينة ومحبة أهلها له، بعد أن فتح الله - تعالى - عليه مكة، وفرح بالفتح فرحاً عظيماً، وكان حفيا بالكعبة المشرفة والمسجد الحرام.. وعندئذ خاف الأنصار أن يقيم رسول الله ﷺ فى مكة، ولا يرجع إلى أهل المدينة فيحرمون منه، فقال بعضهم لبعض: أما الرجل فأدركته رغبة فى قريته، ورأفته بعشيرته، أترون رسول الله ﷺ إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها؟

فأوحى الله إليه بما جرى، فذهب رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - إليهم، فأخبرهم بما قالوا.

فأقروا، فطمأنهم قائلا: «كلا إنى عبدالله ورسوله هاجرت إلى الله

(٢) البداية والنهاية، ورواه أبو نعيم.

(٣) سورة القصص: (٨٥).

(٤) رواه ابن أبى حاتم.

(٥) سورة البقرة: (٢٤٦).

(٦) مسند الإمام أحمد جـ ٣، ص ١٤٢.

وإليكم، فالمحيا محياكم، والممات مماتكم».(٧)

فأقبلوا إليه يبكون ويقولون: «والله ما قلنا الذى قلنا إلا الضن بالله ورسوله».

فقال رسول الله ﷺ: «إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم».(٨)

هذا هو النموذج الأمثل فى حب الوطن والتعلق به، والوفاء له والانتماء الصادق إلى العقيدة الحقة، التى تدعو إلى حبه وصدق الانتماء إليه، وهذا يجعل الناس ينافحون عنه وينتصرون له، ويضحون بالنفس والنفيس فى سبيله، وتكون خيانته أو التفريط فى حقه فى الأمن والاستقرار من الخيانة العظمى، التى تُورد صاحبها موارد الهلاك.

إن حب الوطن، يدعو كل مؤمن صادق الإيمان، أن يكون وفيا لتراب الوطن الذى نشأ عليه، وأن يصونه من كل غائلة، ومن كل ترويع أو اضطراب، فلا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له.

إن سمات المؤمن أن يأمنه الناس، على دمائهم وأموالهم وأعراضهم، بل يكون اسمه نداء النجدة للمكروبين والمفزعين، ويكون فى جواره الأمن والطمأنينة.

وإن الإسلام حين يدعو إلى حب الأوطان، ونشر الطمأنينة فيها والأمان، إنما يقرر المبدأ الإسلامى الذى يجب أن يسود فى الأرض، وهو مبدأ الحرية والسلام، والأمن والاستقرار، بل إن الإسلام قرر مبدأ الجوار، ومبدأ الأمن لمن يجير إنسانا ولو كان كافرا، فلا تمتد يد بسوء إليه.

فقد كانت السيدة ام هانىء بنت أبى طالب زوج هبيرة بن أبى وهب المخزومى قد أجارت بعض أقارب زوجها - بعد الفتح - وهما: الحارث بن هشام وزهير ابن أبى أمية المخزومى، فدخل عليها أخوها على بن أبى طالب- رضى الله عنه-، يريد أن يقتل الرجلين فمنعته أم هانىء، ثم جاءت إلى رسول الله ﷺ - وهو فى مكة - فلما رآها رسول الله ﷺ قال: «مرحبا بك وأهلا يا أم هانىء ما جاء بك؟» فقالت: يا نبى الله كنت أمنت رجلين من أحمائى فأراد على قتلهما، فقال رسول الله ﷺ: «قد أجرنا من أجرت يا أم هانىء»(٩). فماذا كانت نتيجة هذا الجوار والأمان لهذين الرجلين؟

---

(٧) صحيح مسلم، باب الجهاد، رقم (٨٦).

(٨) أحمد ٢/٥٣٨، ومسلم، باب الجهاد (٨٤ : ٨٦).

(٩) رواه البخارى ومسلم.

لقد أسلم الحارث وزهير وكانا عونا للإسلام وأهله، وهكذا كانت ثمرة تعاليم الإسلام فى دعوته إلى الأمن والاطمئنان، وحب الأوطان، ولله در القائل:

بلادى وإن جارت علىّ عزيزة
وأهلى وإن ضنوا علىّ كرام

ومعنى هذا أن الإنسان يعز عليه أن تشقى بلده، وحتى لو فرض أنها جارت عليه، أو ناله منها عسف أو تعب أو نصب، فإنها مع هذه عزيزة على الإنسان، لا يرضى لها الضياع ولا الهوان، ومعلوم أن الوطن بمؤسساته وتراثه، وبحضارته وخيراته لاتكون هذه الأشياء هى الجائرة، ولكن مراد الشاعر أن الذين فيها قد يجورون، فلا يصح أن يكون هذا مسوغا للإنسان أن يكره الوطن برمته، ولا أن يكون حربا عليه، بل تظل بلاده عزيزة عليه.

كما أن أهل الإنسان وعشيرته، قد يبخلون عليه، فلا يكون بخلهم أو بخل أحدهم مسوغاً له أن يبغضهم، بل عليه أن ينظر إلى زوايا أخرى ناله من خلالها وبسببهم خير كثير، فقد تربى بخيرهم ونشأ فى جوارهم، وإن ضنوا عليه فى جانب، فقد كانوا كراما فى جوانب أخرى.

ومن هنا تغنى الشعراء بحب الأوطان، وبالتفانى فى سبيل رفعتها وسؤددها:

وطنى لو شغلت بالخلد عنه
نازعتنى إليه فى الخلد نفسى

إن الإنسان المؤمن، يحب وطنه، ويظل وفياً له، منافحاً عنه وعونا لأهله فى السراء والضراء، يعز عليه أن يشقى الوطن أو أحد من أهله مهما كانت الأحوال.

إن الإنسان المؤمن، محب لوطنه، وفىٌ له، متعاون مع أهله، مدافع عنه، يعز عليه عنت الوطن، أو شقاوته أو ترويعه أو إرهاب أحد بنيه، بل يحب له الخير والسلام، والأمن والاستقرار، فالمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم، روى الدينورى، عن الأصمعى قال: قالت الهند: «ثلاث خصال فى ثلاثة أصناف من الحيوان الإبل تحن إلى أوطانها، وإن كان عهدها بها بعيداً، والطير إلى وكره، وإن كان موضعه مجدباً، والإنسان إلى وطنه وإن كان غيره أكثر له نفعا».

وعن الأصمعى قال: سمعت أعرابيا يقول: «إذا أردت أن تعرف الرجل فانظر كيف تحننه إلى أوطانه، وتشوقه إلى إخوانه، وبكاؤه على ما مضى من زمانه».

خطبة الجمعة :

روابط المسلمين

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى

الحمد لله عز وجل، ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين، أشهد أن لا إله إلا الله، أبدع الخلائق بحكمته وأمدهم بهدايته:

﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(1).

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله. جمع الكلمة، ووحد الأمة، وهدى الناس إلى صراط مستقيم، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى ذريته وآله، وصحبه ورجاله:

﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(2).

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام:

جاء الإسلام بهداية الله رب العالمين، الرحمن الرحيم، فأخرج بها الناس من الظلمات إلى النور، وكسب العرب ـ قومه الأوائل ـ عزة بفضله، ورشاداً بتوجيهه، وسيادة بتمكينه، ولما كان الإسلام قد جاء للناس أجمعين، وكان نبيه رحمة ربه للعالمين، كان لزاماً على السابقين إليه أن يكونوا حملته إلى أهل المشارق والمغارب، ولذلك رأى

(1) الروم (30). (2) البقرة (5).

المسلمون الأولون أن دينهم يفرض عليهم ألا يستأثروا بما ساق الله إليهم من خير، وألا يحرموا سواهم ما آتاهم من فضله، فخرجوا بعد أن تدبروا وتطهروا يحملون مشاعل الهداية الربانية ليضيئوا بها المسالك والشعاب أمام الناس هنا وهناك.

وكان المسلمون الأولون حين خرجوا من ديارهم لهداية الناس وبث نور الإسلام لا يبغون فتحاً، ولا يطلبون سلطاناً، ولا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً، وإنما هم دعاة كلفهم ربهم بأن يشيعوا هذا الحق الإلهى بين عباده حتى يصبح الناس بنعمة الله إخواناً، ولكن أقواماً أعمتهم غشاوات الجاهلية، وأضلتهم غوايات الفساد والاستبداد، أبوا إلا الوقوف، فى وجه هذه الدعوة الربانية يريدون وأدها والقضاء عليها، فكان لابد لحملة هذه الدعوة من أن يذودوا عنها، ويقاتلوا لصيانتها والانتصاف من الباغين عليها، فجاءت هذه الغزوات الصادقة التى غزاها المسلمون الأولون لتأمين الدعوة وصيانتها ونشرها... وكذلك كانت هناك بلاد فى الجزيرة أو فيما حولها استبد بها مستبدون، وطغى على أهلها طاغون، وفريق من هؤلاء الطغاة دخلاء طارئون، وفريق آخر من أبناء البلاد، ولكنهم استغلوا نفوذهم وقوتهم، فبغوا على قومهم بغير الحق، وساموهم سوء العذاب، فجاء الإسلام محرراً لهذه الجموع، ورادعاً لأولئك الطغاة، وكان لابد لكلمة الإسلام أن تظل عزيزة عالية موجهة فى تلك البقاع ليسوس المسلمون أمور تلك البلاد سياسة العدل والإنصاف، وهناك بلاد أخرى لم يكن فيها هذا الطغيان البادى، ولا أولئك البغاة الطغاة، فسرى إليها ضوء الإسلام رفيقاً هادئاً بوساطة الدعاة أو التجار أو الارتحال، ففتح الإسلام هناك الآذان والأفئدة والقلوب بلا صراع أو نضال، ولذلك نجد البلاد التى دخلها الإسلام طائفتين، فطائفة منها دخلها الإسلام على أيدى أولئك المجاهدين المحتسبين الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، وطائفة منها دخلها الإسلام فى هدوء وسلام، وهذه الطائفة الأخيرة قد فتحت صدرها عن طواعية واختيار لدعوة الله واعتزت بها وثبتت عليها.

وتلاقى هؤلاء وهؤلاء على أخوة فى الله وطيدة الأركان شامخة البنيان، وتعارفوا بهذا الشعار الإلهى المجيد: لا إله إلا الله، محمد رسول الله وتلاقوا على روابط لها جذورها العميقة فى الأرض ولها فروعها السامقة فى السماء!..

وكان المسلمون فى عهودهم الناضرة المزهرة لا تصدهم عن أخواتهم وتعاونهم حدود جغرافية أو أوضاع سياسية، وفى الوقت الذى استطاع فيه الاحتلال

الأجنبى الخبيث أن يغزو ديار الإسلام ويفرق أبناءها ويمزق أشلاءها، ويعزل كل بقعة عن غيرها من بلاد المسلمين بقوة الحديد والنار، كان المسلمون برغم هذا كله يتعاطفون ويتجاوبون فى مشاعرهم وعواطفهم من وراء هذه الجدر الصفيقة التى أقامها الاستعمار حول هذه الديار، فإذا أن جريح فى أرض الكنانة مثلا لمس المسلمون جنوبهم ألما وإشفاقاً فى الهند وأندونيسيا والجزيرة، وإذا نزل مكروه بقطر من أقطار المسلمين أحست معه بقية الأقطار باللوعة والأسى، وذلك لأنهم أمة واحدة:

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾[3].

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[4].

«ترى المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»[5].

وفى رواية لمسلم: «المؤمنون كرجل واحد»[6] وفى رواية أيضاً: «والمسلمون كرجل واحد، إذا اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله»[7].

وهذه دول فى الشرق الإسلامى مثلا بدت صراعها مع الاستعمار، فكانت مصر منبراً للدفاع عن قضايا هذه الدول والمطالبة بحقوقها، ولفت الرأى العام إلى وجوب حصولها على هذه الحقوق، وكانت لهذه المؤازرة آثارها وثمارها مما يذكره المناضلون من أبناء هذه الدول وينوهون به فى كل مناسبة، وحينما وقع العدوان الثلاثى على بلادنا خفقت القلوب المؤمنة فى تلك الدول المسلمة وثارت النفوس هناك، وغضبت للاعتداء علينا، وكان لتأييدها لنا ومناصرتها لقضيتنا ومناداتها بالوقوف فى وجه المعتدين الغاشمين أثر وثمر، مما تجلى فى تلك الغضبة العالمية التى غضبتها الأمم المتحدة حين وصمت بالعار أولئك المعتدين بقرارها التاريخى المشهور.

واليوم قد تقلص ظل الاستعمار البغيض، وحمل عصاه، ورحل من بلاد المسلمين إلا قليلا، وسرت أضواء الحرية بين هذه الملايين من المسلمين الذين يبلغون مئات الملايين فى العالم،

(٣) المؤمنون (٥٢).
(٤) الحجرات (١٠).
(٥) البخارى، كتاب الأدب باب (٢٧)، صحيح مسلم، كتاب البر باب ٦٦.
(٦) مسند الإمام أحمد ٤/٢٧١ ، ٢٧٦.
(٧) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب ٦٧ مكرر.

وكثرتهم الغالبة تحتل هذا الشطر المجيد الكريم من الأرض وهو الشرق، وهذا العدد يستطيع بما بينه من رحم الإسلام، وروابط الأخوة فى الله، ووشائج التلاقى على القيم الروحية والاعتقادية الطاهرة أن يكون قوة عالمية عزيزة الجانب مسموعة الكلمة فى هذه الحياة، ويستطيع هذا العدد الضخم الهائل بتراثه الروحى ومبادئه السامية وقوته الحاضرة وإمكانياته الواسعة أن يكون ميزاناً للعدالة فى هذا الكون:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[8].

وهذا العدد الضخم الهائل فى كمه وكيفه من المسلمين لا يريد له الإسلام أن يتجمع ليبغى أو يبطش أو يحتل، وإنما ليصلح وينفع، وليكون عاملا هاما من عوامل الاستقرار والاطمئنان والسلام والتراحم بين الناس، وإذا كان الإسلام قد طلب من المسلمين أن يعدوا ويستعدوا، فقد جعل حكمة ذلك إدخال الهيبة على الذين يفكرون فى البطش بالشعوب الإسلامية أو الاعتداء على الأمم الضعيفة:

﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[9].

وإذا لم تكن هناك عداوة باغية باطشة جاءت الأيدى المؤمنة حاملة الخير والبر للناس، لأن خير الناس فى اعتبار الإسلام أنفعهم للناس.

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام:

لقد أخذ حكام المسلمين فى الفترة الأخيرة يتبادلون الزيارات، ويعقدون الاجتماعات، ويصدرون البيانات، ويتحدثون عن الأخوة الإسلامية والوحدة الإسلامية مع الاحتفاظ بحرية كل شعب إسلامى فى شئونه الداخلية وأموره الخاصة، وإنها لفرصة ذهبية يجب أن ينتهزها أبناء الإسلام ليحدثوا الناس هنا وهناك عن هذا الإسلام الذى يحمل فى ثناياه قارورة الدواء ودستور الهناء:

﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[10].

واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون.

(٨) البقرة (١٤٣).
(٩) الأنفال (٦٠).
(١٠) المائدة (١٥، ١٦).

من واقع الأحداث

الإسلام قادم.. لا محالة

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عيطة

لا شك أننا اليوم - كأمة إسلامية - مستهدفون من الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها، بخاصة إسرائيل، أقول كأمة إسلامية وأعنيها، وليس كعرب فقط وإن كان الجناح العربي من الأمة الإسلامية، له مزيد من الاهتمام في نظر هذه الهجمة الصليبية الشرسة، ومخططاتها القريبة والبعيدة: لأنها هي التي تجاور الكيان الصهيوني، وهي الأرض التي يطمع في الامتداد على حسابها..

لاشك أننا اليوم مستهدفون، ولم يعد الأمر خافيا على أحد، ولم تعد السياسة الأمريكية والإسرائيلية تخفي غرضها الذي ترمي إليه من وراء هذه الهجمة على الإسلام والمسلمين، فإذا كان هناك بعض التصريحات التي تخرج من الساسة الأمريكان الرسميين، وتدعي أن هذه الحرب الطويلة، ذات المراحل المتعددة، إنما هي بهدف تحرير الشعوب المغلوبة على أمرها من قادتها المستبدين، أو بهدف إخلاء هذه الدول من أسلحة الدمار الشامل، أو بسبب أنها تؤوي بعض عناصر وقادة الإرهاب الدولي، وهي بالطبع حجج زائفة أثبتت الأحداث، ولاتزال تثبت يوما بعد يوم بطلانها، فإن هناك الكثير من التصريحات العلنية، التي تؤكد أن الإسلام هو الهدف الأول والأخير، وتؤكد كذلك أن الأيام حبلى بالكثير والكثير، مما هو مُعدّ وجاهز، للقضاء على المسلمين والعرب، ولنضرب على ذلك بعض الأمثلة التي تؤكد على هذه الحقيقة، وتكشف النقاب الزائف عن الوجه القبيح للحرب الصليبية الجديدة وأهدافها الحقيقية، كما تثبت أننا نخوض حربا عقدية، ندافع فيها عن ديننا كتلك التي خاضتها الدعوة الإسلامية في بداية عهدها، أيام الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين: سواء داخل الجزيرة العربية آنذاك، أو خارجها بخاصة تلك الحروب التي خاضتها ضد أكبر قوتين في ذلك الزمان: الفرس والروم لقد قال مدير المخابرات المركزية الأمريكية السابق في أحد تصريحاته: إن الحرب سوف تستمر أربعين عاما، وإن سوريا وإيران والمتطرفين المسلمين أهداف لنا..» وكتب الصحفي الأمريكي «لوري





انقض النسر الأمريكي المدعو بـ (النبيل) على هؤلاء الأطفال لا لشيء إلا لأنهم مسلمون. الصورة الأولى من اليمين لأطفال أفغان يهيمون على وجوههم والثانية لطفلة عراقية جريحة وسط أشاوس بوش

جودستين» بجريدة النيويورك تايمز أيضا مقالا كشف فيه عن مصاحبة جماعات تنصيرية تبشرية للقوات الأمريكية في عدوانها على العراق، وقال: إن عدد المبشرين الذين يمثلون عددا من الكنائس الأمريكية، وطائفة «الميسوديت» قد بلغوا حوالي ٨٠٠ مبشر على رأسهم القس الأمريكي الصهيوني بيل جراهام، ونجله القس فرانكلين، وهما من أساتذة «جورج بوش» الابن. وهذه المهمة بالقطع - وكما يقول الأستاذ مصطفى بكري رئيس تحرير جريدة الأسبوع - تهدف إلى تنفيذ المخطط الذي يستهدف تنصير العراقيين في إطار الحرب الدينية التي يشنها «بوش» ضد الإسلام والمسلمين.

ومما يؤكد على أن إبادة الإسلام هدف السياسة الأمريكية - ولن تبلغه مطلقا إن شاء الله رب العالمين - أن الرئيس الأمريكي «جورج بوش» الصغير، كان يرى ولا يزال، أن الإسلام دجل ديني، وأن المتعصبين هم الذين يحركون الناس نحو هذا الإسلام، وقد دفعته هذه القناعة إلى الاعتقاد الكامل في صحة مقولات القس جراهام وابنه فرانكلين، اللذين يزعمان، أن المسلمين هم الذين يشكلون الخطر الأكبر على عودة المسيح إلى الأرض، وأن هؤلاء المسلمين لا يتبعون ملة دينية وإنما يتبعون رجلا اسمه محمد.

وقد استطاع هذا القس وابنه إقناع «بوش» بالانضمام إلى طائفة «الميسوديت» التي تعبّر عن التحالف الصهيوني المسيحي..

وهذا كله - وغيره الكثير - مما يفسر مقولة «بوش» الصغير عقب صفعة الحادي عشر من سبتمبر مباشرة إلى أن يقول «إننا نخوض حربا صليبية جديدة ضد الإسلام» وإن حاول الاعتذار عنها بعد ذلك، ولكنها الحقيقة الناصعة، التي تقف وراء أهداف هذه الحرب الشرسة التي تُشن ضد هذا الدين.

نقول هذا، لنؤكد على أن هذه الحرب إنما هي ضد الإسلام، مهما زعم الزاعمون، أنها ذات أهداف سياسية أخرى بعيدة عن العقيدة، وبعيدة عن المؤسسات الدينية والإسلامية.. والسؤال

الآن . هل معنى هذا أن هذه الحرب المعلنة على الإسلام والمسلمين، والتى تشنها أقوى دولة فى عالم اليوم مدفوعة بأخبث المخططين اليهود والصليبيين، وممولة بأكبر بيوت المال اليهودية والأمريكية، سوف تقضى على هذه الأمة لا محالة، وتعيدها إلى عصر الجمال . كما قال بعض الأمريكيين عقب حرب رمضان المجيدة، حينما استخدم العرب سلاح البترول فى المعركة، وهل صحيح أن المسلمين والعرب، لا قبل لهم بمواجهتها ولن يستطيعوا صدها . . ؟؟!! هذا هو السؤال، الذى يطوف بفكر جميع المسلمين والعرب سواء على مستوى الأفراد، أو على مستوى الحكومات والمسئولين الذين بيدهم اتخاذ القرار . .

إن نظرة واحدة متفحصة، بعين الإيمان بالله - تعالى -، ومزودة بالتعرف على حقيقة هذا الدين، ومتعمقة إلى ما تحت السطح، تؤكد غير ذلك، وتثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن الإسلام قادم، وأن المعركة ما هى إلا كرّ وفرّ، وما هى إلا جولات تتأرجح فيها عوامل القوة والضعف بين الفريقين: تارة هنا، وتارة هناك . . لكن الغلبة فى النهاية ستكون حتما إلى جانب الحق والشرعية، وإلى جانب العقيدة الصحيحة؛ لينتصر المؤمنون بربهم، المضحون فى سبيل عقيدتهم بكل مرتخص وغال . . كما انتصر رسول الله ﷺ والمؤمنون معه، وذلك بالرغم من قلة عددهم، وضعف عتادهم المادىّ والعسكرىّ، بالقياس إلى ما كان يتمتع به خصومهم . . والتاريخ خير شاهد على ذلك:

إن هذا الدين، الذى نتشرف بالانتساب إليه، وقد شاءت إرادة الله - عز وجل - أن يُمتحن فى قوته وعزته وكرامته، ونحن حاملون لوائه فى عصرنا هذا . . هذا الدين فيه من عوامل القوة وأسباب النصر الكثير والكثير؛ مما لو تدبره أنصاره، وتعرفوا على حقيقته لاستطاعوا أن يروا رايات النصر مرفوعة أمام أعينهم «الآن»، وذلك بالرغم من أن الليل حالك والريح عاتية، والأمواج متلاطمة من حول هذه الأمة . . ولو تدبره أعداؤه ودرسوا التاريخ دراسة مفصلة فاحصة . . ومحايدة، وتعرفوا من خلاله على حقيقة هذا الدين، وأثره على المدى الطويل، لأيسوا من النصر ولعرفوا حق المعرفة، أنه نزل ليبقى وإلى آخر الدهر، ولأيقنوا أنهم إلى زوال مهما برقت أمامهم مخايل النصر الفارغ، ولاحت لهم تباشير الفوز بجولة أو حتى جولات، فالمعركة طويلة الأمد، فسيحة المجال، متعددة الملامح كثيرة الأسلحة، لا تقاس نتائجها النهائية بقوة السلاح المادى، المتمثل فى الطائرة والقنبلة والصاروخ . . بل لعل هذا السلاح هو أضعف الأسلحة التى تنطلق فى ميدان المعارك المصيرية كتلك التى تخوضها الأمة المسلمة اليوم، وسرعان ما تتجاوز الأمم آثاره المادية وتبنى نفسها وتقيم أركان حياتها من جديد وتحتسب شهداءها الأبرار عند الله - عز وجل - وتراهم وقودا إيمانيا يدفع أبناءها للمزيد من التضحية، فالتاريخ فى عبره يؤكد على حقيقة أن الأمم التى تسخو بدماء أبنائها وتقدم شبابها راضية دفاعا عن عقيدتها وأرضها ومقدساتها، لابدّ أمرها

صائر إلى النصر، مهما علت صيحات الباطل، واشتد أوار المعركة.

إن ما نواجهه اليوم، لا يقاس بما واجهه المسلمون الأولون: سواء فى عهد رسول الله ﷺ أو فى عهد خلفائه الراشدين، أو فى عهود من جاءوا بعدهم من الأمويين والعباسيين، وفى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى ومن جاء بعده من سلاطين المماليك وعلى رأسهم السلطان قطز.

فالواقع الذى نواجهه اليوم، لا يقاس بالواقع الذى واجهه الإسلام والمسلمون فى هذه العهود الخالية، حينما توزن كل قوة بما يواجهها . . ولن نستعرض كل هذه الحالات وإنما سنكتفى باستعراض الواقع الذى واجهه الإسلام فى أول عهده بهذه الدنيا.

وذلك لنتأكد من أن هذا الدين يحمل بين عناصره عوامل قوته وأسباب بقائه مهما واجهه من صعاب . . ولم يكن بقاؤه مرهونا بقوة أتباعه، فلو أن الأمر كذلك لقضى على الإسلام فى مهده وانتهى أمره، منذ أكثر من ألف عام.

جاء الإسلام أول ما جاء، والأرض كلها ملأى بواقع كئيب، يطبق على كل شئون الحياة: فى العقيدة، وفى الحياة الاجتماعية والاقتصادية . . ولم يكن يحمله إلا رجل واحد . . واحد فقط، ولكنه انتصر فى نهاية الأمر، وحقق من النتائج ما يعجز القلم عن وصفه والإحاطة به فى مثل هذه العجالة، ولو أنه قيل لكائن من كان فى ذلك الزمان: إن هذا الدين الجديد جاء ليغير هذا الواقع الهائل، الذى كانت الأرض كلها تسنده بما انتشر فيها من رذائل أخلاقية وقوانين جائرة، وفى أقل من نصف قرن من الزمان، لما لقى هذا القول إلا السخرية والاستهزاء والتهكم، ولكن هذا الواقع الضخم، سرعان ما تزحزح عن مكانه ليخليه للوافد الجديد وسرعان ما تسلم القائد الجديد قيادة البشرية ليخرجها من الظلمات إلى النور ويقودها بشريعة الله تحت راية الإسلام؛ [اقرأ فى كتاب «هذا الدين» لسيد قطب ص٥٢].

لقد تألبت على الدين الجديد، قوى الشر والبغى بكافة أشكالها واتجاهاتها ولأهداف مختلفة، ولكنه فى نهاية المعركة فاز وانتصر، وتحقق وعد الله:

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ﴾(١).

جاء الإسلام والجزيرة العربية تعج بالآلهة الكثيرة التى تعبد من دون الله حيث كان لكل قبيلة آلهتها، فضلا عن هذا العدد الهائل من الآلهة الذى كان يحيط بالبيت العتيق فى مكة، وإن نظرة واحدة فى هذا الزمان كانت تؤكد على أن العرب، لن يتخلوا عن عبادتها تحت أى قوة فى الأرض، ولكنهم تخلوا، وتحطمت الأصنام، وعلت كلمة الله، وأذن بلال فوق سطح الكعبة المشرفة «الله أكبر، الله أكبر . . لا إله إلا الله»، دون خوف أو فزع، ممن كانت مصالحهم مرهونة بتعدد هذه الآلهة، وكانوا

(١) غافر (٥١).

حراصا على استمرار هذه الحياة، أشد من حرصهم على استمرار حياتهم ذاتها، ويؤمر رسول الله ﷺ أن يعلنها صريحة مدوية لا لبس فيها ولا مواجاة، ولا رياء:

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾[2]

ولم تكن الجزيرة العربية وحدها هي التي تألبت على الإسلام والمسلمين، وإنما أعلنت أعظم قوتين في الأرض آنذاك الحرب على الإسلام: وهما قوة الفرس وقوة الروم، بكل ما كانتا تمتلكان من عدد هائل، وعتاد حربي لا أول له ولا آخر، ولكن الإسلام انتصر في نهاية الأمر، وعلت كلمة الله.

فإذا ما قورنت حالة الجزيرة العربية آنذاك، والإسلام يُحارَب هذه الحرب التي لا هوادة فيها، ولا رحمة، وهو يومئذ وليد كالنبتة الصغيرة التي تنبت بين الصخور، ولم يكن يحمل لواءه في بادئ الأمر إلا رجل واحد.. واحد فقط.

وإذا ما قورنت حالة المسلمين وأعدائهم فيما بعد أيام غزوات التتار والغزوات الصليبية في موجاتها الأولى.. إذا تمت هذه المقارنة بحالة العالم اليوم والحرب معلنة على الإسلام من أمريكا وحلفائها، في حين أن المسلمين الآن يملأون كل ركن من أركان الأرض، فضلا عما تحت أيديهم من ثروات طائلة.. أمدَّهم الله - عز وجل - بها.. لكانت نتيجة المقارنة بالقطع في صالح المسلمين، شريطة أن يحسنوا استغلال هذه الثروات، ويقصروا الإفادة منها عليهم وعلى شعوبهم، وأن يخلص قادتها نياتهم للقضية العقدية، قبل كل شيء، حتى لو تعارض ذلك مع مراكزهم الرسمية، مع أن ذلك بالقطع لن يتعارض، وسوف يجدون من شعوبهم ما يسرهم ويعلي من شأنهم بين أممهم، وفي هذه الحالة ستبرز من بين صفوف المسلمين نماذج تشبه وإلى حد بعيد تلك النماذج القوية التي حملت لواء الإسلام ونشرته لأول مرة في أرجاء العالم.

إن وعد الله لعباده بالنصر، لن يتخلف، شريطة أن نحسن تطبيق عبوديتنا له سبحانه، لا أن نركن إلى الدنيا وزينتها وننتظر النصر:

﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[3].

علينا أن ننفض غبار الهزيمة عن كاهلنا، ونسترد الثقة في ديننا، ونعلم علم اليقين أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا كما قال الصادق المصدوق ﷺ.

فالقضية هنا قضية العقيدة، قضية أن يكون الاسلام أولا يكون.. وليست قضية سلاح الدمار الشامل، أو قضية محاربة الإرهاب، كما يزعم الزاعمون المضللون، أو حتى قضية الاقتصاد، وإن كانت هذه القضية واحدة من الأسباب العاجلة، التي

(٢) الأنعام (٥٦).

(٣) المجادلة (٢١)

دفعت الصليبيين الجدد لأن يتحالفوا مع اليهود للفوز بها.. ومعارك العقائد والأديان لا تقاس نتائجها بجولة أو جولتين كما لا تتعجل الانتصارات النهائية بعقد من الزمان أو حتى بعقود وإذا كان الأعداء قد فازوا بجولة أو جولتين، فإن وعد الله - عز وجل - لابد من أن يتحقق فينا وفيهم:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥) إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾[4].

﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (٧) عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾[5].

وها هم أولاء قد عادوا للإفساد وإحراق المسجد الأقصى، وها هم أولاء قد عادوا لقتل النساء والأطفال والشيوخ، وللتطاول على الإسلام والمسلمين ولإعلان الحرب عليهم، دون مواربة... فعلينا الآن أن نعمل جاهدين لأن نكون من عباد الله الذين يبعثهم الله لتأديب هؤلاء الباغين المفسدين، ولتحصين دينه الذي اختاره سبحانه لعباده.

علينا أن نسترد ثقتنا في أن تحالف المسلم مع أخيه المسلم، لن يؤدي إلا إلى النصر، وأن تحالف المسلم مع الكافر، لن يؤدي إلا إلى البوار والخسران.. وإلا فكيف نفسر قول الحق - تبارك وتعالى - في آخر سورة المجادلة:

﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٩) إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ (٢٠) كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢١) لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[6].

ألا، هل بلغت؟ اللهم فاشهد.. والله الموفق والهادي.

(٤) الأنبياء (١٠٥، ١٠٦).

(٥) الإسراء (٤ : ٨).

(٦) المجادلة (١٩ : ٢٢).

الوحدة الإسلامية ضرورة حتمية

لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف

إن وضع المسلمين الآن فى شتى بقاع الأرض صار وضعاً لا يحسدون عليه، فقد صاروا ضعفاء بعد قوة، وأذلاء بعد عزة... وذلك بعد أن فرق أعداء الإسلام أمته الواحدة إلى أمم شتى، وأقاليم منفصلة، ودول متقطعة الأوصال... ورسموا بتخطيط محكم، وذكاء شديد سياسات طويلة المدى لشغل كل إقليم بذاته، وفرض حصار محكم على كل إقليم ليعيش فى هموم قضاياه ومشاكله التى يصنعونها ويدبرونها له... وعملوا على غرس مبادىء ومفاهيم الوطنية والجنسية والقومية للإقليم الواحد لتأكيد العزلة وفرض الغربة..

لقد كانت الوحدة الإسلامية حقيقة واقعة أيام ازدهار الخلافة الإسلامية فى المدينة ودمشق وفى العصر الذهبى لبغداد... وكان المسلمون ينضمون تحت لوائها عارفين أنهم مهما تفرقت بهم البلاد، وتعددت أسماء الأقاليم تجمعهم راية واحدة... وهم يتنقلون بين البلاد شرقاً وغرباً، دون أن يُسأل القادم عن موطنه، لأن موطنه هو الإسلام الذى يقول فيه القائل:

أبى الإسلام لا أب لى سواه.
إذا افتخروا بقيس أو تميم

وحين صرخت أسيرة المسلمين فى أقصى بلاد الإسلام قائلة: «وا معتصماه» وجاءه الخبر ترك كل ما كان فيه من أمور وصاح: «لبيك» ثم أسرع بجيشه لينقذ الأسيرة، ويغنم النصر المبين.

ثم شاء القدر أن تَنقسم الخلافة إلى عدة دُويلات، وأن تتفرق كلمة المسلمين تبعاً لمنازعات الحكام والولاة، فضعف شأن الوحدة الإسلامية، وأحسَّ الغربُ بضعف الشرق، وأنه تمزق إلى دول مختلفة، لا تستطيع أن تصمد لأوروبا النازحة بجيوشها الجرارة، وسفنها المليئة بالذخيرة والعتاد، فأشعلت الحروب الصليبية... وأدرك المسلمون أن تفرقهم الأليم كان فاتح شهية هذا الغزو الأوروبى الوحشى الرهيب، الذى اتخذ الدين ستاراً والصليب شعاراً لتحقيق هدفه الاستعمارى، وغايته المستترة وهى القضاء على الإسلام.

ولم تجد أوروبا فى مبدأ الغزو الغادر مَن يصدهم فى قوة، ويوقف زحفهم فى منعة، فاحتلوا بلاد الإسلام وأقاموا الإمارات، وجعلوا لكل إمارة حاكم إفرنجى حاقد يحكمها، وظنوا أنهم بذلك قد أصبحوا ملوك الشرق، وحكام المسلمين، وأن دولة الإسلام قد دانت لسطوتهم، وخضعت لقوتهم، يفعلون فيها ما يشاءون.

ولكن الله القوى العزيز الغالب هيأ من وحّد الصفوف وجمع الجموع لسحق هذا العدوان الغادر، بقيادة صلاح الدين الأيوبى، غير أن صلاح الدين الأيوبى لم يستطع أن يخطو خطواته الأولى فى سبيل تحقيق النصر إلا حين جَمع مصر والشام تحت يده، فبنى لَبِنة قوية من لَبِنات الوحدة، وتابعه مَن جاء بعده حتى اندحر الغزو الصليبى، وعاد يجر أذيال الهزيمة بما تم من اتحاد إسلامى جزئى، وتنفس المسلمون الصعداء بعد زوال كابوس العدو الصليبى.

ولو أن الشعوب الإسلامية أخذت الدرس من موقف صلاح الدين، ووعته جيداً، لكملَت سعيه، وعملَت على قيام وحدة إسلامية عامة شاملة، تدفع الشر الذى لا يزال يحتل نفوس الغرب، وتعيد أمجاد الخلافة الإسلامية فى المدينة ودمشق وبغداد... والتى جعلت الخليفة عمر بن عبدالعزيز ـ رضى الله عنه ـ عندما نظر إلى سحابة تمر فوق رأسه يقول: «أمطرى حيث شئت فسيأتينى خراجك»...

ولكن «وآه من كلمة لكن» تنازع المطامع، وتغلب الشهوات، جعلت بأس المسلمين بينهم، فنشبت الحروب بين أبناء الدين الواحد، وبدل أن يتحدوا ويتجمعوا ويتكتلوا لينقذوا بلاد المسلمين المحتلة، ويستردوا الحقوق المغتصبة، وقعوا فى براثن الفُرقة والاختلاف، والعداوة والبغضاء، وتركوا بلاد المسلمين نهب الضياع والشتات.

ثم تابع التأخر السياسى تأخر علمى واقتصادى... فلم تقُم بالشرق الإسلامى حركة علمية صناعية استكشافية خلاّقة بناءة، كالتى قامت فى أوروبا، والتى مكنت أوروبا من أن تنهض وتتقدم وترقى، وتغريها باحتلال بلاد كثيرة من الوطن الإسلامى دون أن تجد المقاومة التى تصدها وتردها... فلاقى الشرق أقسى ضروب الهوان على يد المحتلين من الفرنسيين والانجليز والهولنديين والبلجيكيين والإيطاليين.

وكان زعماء المسلمين ورجالهم المفكرين يائسين من مواجهة الاستعمار المسلح بشتى أسلحة الهلاك والدمار المتفرد بها، فلم يرسموا سبيل الإنقاذ، حتى ظهر المصلح الكبير جمال الدين الأفغانى، وقد رزقه الله بصيرة نافذة، وخبرة واسعة، وإيماناً قوياً، فأخذ يجوب ممالك الإسلام ومدنه ليدعو إلى النهضة والتحرر والخلاص من قيود الاستعمار...

وفى كل بلد يحل به كان ينشىء ويُكوّن من التلاميذ من يؤمنون بمبادئه ويعملون على تنفيذها.

وأول ما رآه جمال الدين من أسباب توفر النجاح فى هذا المجال هو تحقيق الوحدة الإسلامية التى تُحدد أهداف المسلمين، وتُجمع كلمتهم، وتجعلهم متماسكين أمام عدوهم صفاً واحداً لا يتقهقر ولا يتراجع.

وقد رأى من الضرورى أن ينشىء جريدة تنير الأبصار، وتفتح القرائح، وتدعو إلى الوحدة، وتنادى بجمع الكلمة، تُوزّع فى شتى بلاد العالم الإسلامى، ومن ثم ظهرت جريدة «العروة الوثقى» تنادى بالوحدة الإسلامية فكانت أول صيحة معاصرة تَقرع الأسماع، وتُلفت الأنظار، وتُنبه الأذهان إلى ضرورة تحقيق ذلك... وما ساقه جمال الدين الأفغانى من الأدلة، وما أقامه من حجج، وما رسمه من اقتراحات هو ما يجب أن نهتدى بهديه، وأن نسير على ضوئه فى هذه الأيام الحالكة، لأن الظروف الصعبة القاسية التى تمر بنا الآن هى مشابهة للظروف التى عايشها جمال الدين، واكتوى بها العالم الإسلامى شر اكتواء.

والمَقام لا يتسع ولا يُسعفنا أن نذكر ما قاله المصلح الكبير فى هذا المجال، ولكننا بالرجوع إلى جريدة «العُروَة الوُثقى» نستطيع أن نُلخص زبدة الزبد من أفكاره وآرائه لتكون نبراساً يضىء لنا الطريق.

كان الهدف من إصدار العُروَة الوُثقى كما جاء فى العدد الأول منها هو وحدة المسلمين وإيقاظهم من سُباتهم، وإرشادهم إلى سُبل المواجهة أمام الصعاب المتراكمة، وأعداء الإسلام المتربصين به...

وقد أعلن جمال الدين أن الوحدة بين المسلمين ضرورة تقضى بها الطبيعة والعادة، ويؤيدها العقل والنقل، وتقرها شواهد التاريخ للجماعات البشرية، وعوامل الاجتماع الخاصة بالجنس البشرى، واستشهد بمثالين: أحدهما قديم، والآخر حديث، أما المثال القديم فهو الوحدة التى حرص عليها الإسلام فى العصر الأول، وأما الحديث فهو الوحدة الجرمانية التى جمعت شعوب الجرمان على رأى واحد... ثم إن البلاد الإسلامية أقدرَ على الوحدة من غيرها من الدول لأمور عدة: أولها اتحاد العقيدة التى تربط بين قلوب المسلمين بأقوى رباط، وثانيها كثرة العدد لأن المسلمين يزيدون على ربع سكان العالم فى التقدير الرسمى، فهم قوة لا يُستهان بها، يُحسب لها ألف حساب لو اتحدوا، وثالثها تاريخهم الحافل بمواقف البطولة والحميَّة والدفاع عن القيم والمُثل والمبادىء السامية والأخلاق الفاضلة... ثم يتوجه جمال الدين الأفغانى إلى الصميم حين ينفى اعتراضات تقوم بأذهان من يعترض على هذه الوحدة فيقول:

«لا ألتمس بقولى هذا أن يكون مالك الأمر فى الجميع شخصاً واحداً، فإن هذا ربما كان عسيراً، ولكنى أرجو أن يكون السلطان للقرآن، والاتجاه لقواعد الدين ومبادئه، وكل رئيس فى مُلكه يسعى جهده لحفظ الآخر قدر المستطاع، ويعتقد أن حياته مرهونة بحياته، ولا بقاء له بغير بقائه، وفى هذا التماسك الإسلامى ما يجعل الدول جميعها أمة واحدة. أما الذى يؤيد الوحدة ويدعو لها فليست الصحافة وحدها، لأن أكثرها لا تتبع الحق كما نشاهد الآن فى صحف الشرق والغرب، إذ كل صحيفة تصدر عن حزب تعبر عن رأيه، وتهاجم الحزب الآخر دون نظر إلى الحق باعتبار أنه حق، وإذا وجدت صحيفة مثالية تدعو لله على بصيرة فإن أعداءها يقفون لها بالمرصاد يؤولون كل قول، ويحرفون الكَلم عن مواضعه، ويحاربونها فى التوزيع، إذ يجمعون الأعداد من الباعة، ويشددون الحصار على وسائل انتقالها بين البلاد فلا يصل إلا العدد القليل منها».

وهذا ما كان ذائعاً أيام جمال الدين الأفغانى، وقد صودرت العُروَة الوُثقى فى أكثر بلاد الإسلام، فكانت لا تنتشر إلا بحِيَلٍ خاصة، وطرق خفيَّة، وكأنها نشرات سرية تهاجم الدولة.

أما أداة الوحدة الإسلامية فى رأى جمال الدين الأفغانى فهم العلماء العاملون إذ يستطيعون التأثير فى النفوس، وتملك القلوب، وتوجيه الأفكار، وتجميع المشاعر... فمن الواجب عليهم قياماً بحق الوراثة عن الأنبياء التى شرفوا بها على لسان الشارع الحكيم، أن ينهضوا إلى إحياء الرابطة الدينية، والوحدة الإسلامية، ويتداركوا الاختلافات التى تقع بين طوائف المسلمين بتمكينهم من الرد عليها، وإيضاح الخطأ من الصواب فيها، وأن يكونوا دعاة فى المساجد والمدارس والمنتديات والمجتمعات العامة، حتى يصبح لكل داعية حلقة تؤمن بمبادئه وأفكاره المستمدة من الفهم الصحيح للإسلام وأحكامه، وتدعو إلى التنفيذ المبكر لها، ويكون الجميع حلقات متصلة متتالية فى سلسلة واحدة فكرها واحد وأهدافها واحدة، إذا اهتز أحد طرفيها اهتز لهزته الطرف الآخر... كما يرتبط جميع العلماء والخطباء والأئمة والدعاة والوعاظ فى جميع الأنحاء والأمصار بعضهم ببعض، ويجعلون لهم مراكز فى أماكن محددة يرجعون إليها فى شئونهم وأمورهم، ويأخذون بأيدى العامة إلى مقررات القرآن الكريم، والحديث الشريف، ويجعلون جميع الأطراف تنتهى إلى معقل واحد يكون مركزهم ومرجعهم، ويكون الاجتماع السنوى فى موسم الحج مؤتمراً عاماً للمسلمين لدراسة الأوضاع، وإبداء الاقتراحات، والنظر إلى ما تم فى الماضى من التنفيذ، وما ينبغى أن يتم فى المستقبل القريب والبعيد من أهداف وغايات لصالح المسلمين.

وإلى اللقاء إن شاء الله.

الإسلام له رب لا يضيعه

للأستاذ/ أحمد السيد تقي الدين

«ليس هناك ما يدعونا أو يبرر لنا أن ننظر إلى المستقبل بعين التشاؤم، فنحن في البوسنة والهرسك لانريد أن نقول: إن العدوان كان عقاباً أنزله الله بنا. صحيح أن البعض منا قد وقع في المعاصي، أو قصَّر في معرفة حقيقة دينه، أو ضل سواء السبيل، ولكننا كنا نطمح طموحا شديدا إلى الحرية، فجزانا الله خيرا على هذا الطموح. إننا نؤمن بأن الأمم القوية هي التي تتعرض للمحن، وأن الأمم التي تتمسك بمبادئها الأخلاقية حتى في أشق الظروف، وتظل مخلصة لذاتها ومنفتحة على العالم في الوقت ذاته هي الأمم القوية حقا. وهذا ما أرجوه لشعبي وللعالم الإسلامي كله».

إنها كلمات متفائلة للرئيس البوسني علي عزت بيجوفيتش[1]. وما أحوجنا اليوم إلى مثل هذا التفاؤل لننتشل به أنفسنا من بحر التشاؤم الذي أغرقنا أنفسنا فيه برغبتنا وإرادتنا ونسينا أننا كما قال عنا المولى عز وجل:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[2].



علي عزت بيجوفيتش

أمة الإسلام كانت وستظل هي أمة الابتلاء لأنها الأمة التي اصطفاها المولى -عز وجل- دون سائر الأمم لحمل الأمانة.. أمانة تبليغ دعوة الحق، لذلك لن يضيعها الله أبدا.

أجل الإسلام له رب لا يضيعه، وهي عبارة قيلت في يوم من أيام الإسلام المشهورة، يوم عين جالوت [٢٤ رمضان سنة ٦٥٨هـ] يوم التقى الجمعان: جمع ضم فئة باغية عاتية لا دين لها ولا خلاق إنهم التتار الذين اقترفوا من الجرائم في بغداد ما جعلهم مضرب المثل في الوحشية والهمجية.. أما الجمع الثاني فكان الجيش المصري.. جيش خير أجناد الأرض يقودهم

(١) في مقال بعنوان: (رؤية حضارية إلى الغرب) نشر بمجلة (الإسلام اليوم) الصادرة عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسسكو) في العددين ١٦، ١٧ لعام ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

(٢) آل عمران/ ١١٠.

البطل السلطان المظفر قطز الذي أصر على أن يأخذ مكانه في قلب الجيش، ولما حمي الوطيس قُتل جواد السلطان قطز، فترجل وبقي واقفا على الأرض ثابتا، فلما رآه بعض الأمراء ترجل عن فرسه، وحلف على السلطان ليركبنها، فامتنع، وقال لذلك الأمير ما كنت لأحرم المسلمين نفعك، ولم يزل كذلك حتى جيء له بجواد فركب، فلامه بعض الأمراء، لِمَ لمْ تركب فرس فلان؟ فلو أن بعض الأعداء رآك لقتلك وهلك الإسلام بسببك!! فقال قطز: أما أنا فكنت إلى الجنة، وأما الإسلام فله رب لا يضيعه.

أجل.. الإسلام له رب لا يضيعه، ولكن علينا واجبات في مقدمتها تنفيذ قول الله -عز وجل-:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾.

وحتى اليوم نتلوا هذه الآية الكريمة وتتردد في الخطب المنبرية ويتشدق بها المتحدثون، ولكن ما أصدق من قال:

لقد أسمعت لو ناديت حيا
ولكن لا حياة لمن تنادي

الدكتور رجب بويا رئيس المشيخة الإسلامية بكوسوفا أدلى بتصريحات مؤلمة ضمن حديث صحفي نشرته الزميلة (عقيدتي) قال فيه:

«للأسف الشديد.. لقد جاء التجاوب الإسلامي مخيباً للآمال ولم تعترف بنا سوى دولتين فقط هما: تركيا وماليزيا، اللتان لهما تمثيل دبلوماسي لدينا، ولنا تمثيل دبلوماسي لديهما، وأتمنى أن تحذو الدول الإسلامية حذو هاتين الدولتين في الاعتراف بنا؛ لأن هذا جزء رئيسي من كياننا، وإثبات وجودنا في العالم الإسلامي والساحة الدولية، وخاصة أن الوجود الإسلامي لدينا ليس وليد اليوم كما قد يظن البعض، وإنما يعود إلى القرن الأول الهجري، حيث دخل بعض أبناء كوسوفا الإسلام عن اقتناع بعد أن عرفوا به من بعض التجار المسلمين الذين جسدوا مبادئ الإسلام في معاملتهم، إلا أن الانتشار الكبير الرئيسي للإسلام في كوسوفا كان على يد العثمانيين الذين جاءوا لبلادنا ليجدوا بعض المؤمنين بالإسلام، وساعدوهم في نشر الإسلام، لهذا نرى واجبا على كل الدول الإسلامية الاعتراف بنا، ومد يد العون والمساعدة لنا، حتى نقف على أقدامنا ونتجاوز آثار الحرب المدمرة التي كانت تستهدف إرادتنا».



د. رجب بويا

انتهى كلام الدكتور رجب بويا، وهو يمثل بالتأكيد انعكاسا للواقع الإسلامي المؤلم.

الغريب أننا نتحدث عن الحوار بين الأديان ونتيه على أنه حوار لايمس جوهر العقائد، ثم نجد من بين ظهرانينا من يشكك في عقائد المسلمين ويهاجمها ويطعن فيها أعني في

ذلك المذهب الشيعي الذي يعتنقه عدد غير قليل من المسلمين.

من بين مفكرينا وعلمائنا من يهاجم هذا المذهب ويوجه إليه الاتهامات ناسياً أو متجاهلاً أن الشيعة يقولون: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويحجون البيت أي أنهم يقيمون شعائر الإسلام كاملة كما هي في مذاهب أهل السنة.

قد يكون من بينهم من يخرج عن صحيح الدين.. ولكن هل نحن معشر أهل السنة على إطلاقنا نتمسك في حياتنا اليومية بصحيح الدين؟ أعتقد أن منا من يتمسك بصحيح الدين ومنا دون ذلك فما أكثر من لايصلون ولايصومون ولايؤتون الزكاة مع استطاعتهم لأدائها، ولايحجون مع الاستطاعة أيضاً، بل من بيننا من خرج مؤخرا ينكر انتماء مصر للإسلام وللعروبة ويقول بفرعونية مصر.. ويطالب بإلغاء التعليم الديني ويشكك في مصداقية الحديث والسنة. هذا القائل يحمل - كما يقول دائماً - صفة مسلم سني ولكن ليس هذا مقصد حديثنا، بل أقصد أن هناك مذاهب شيعية فاسدة، وأن هناك أيضاً سلوكيات فاسدة لدى من ينتمون إلى أهل السنة أو مايمكن أن نطلق عليه: انتماء شهادة الميلاد وبطاقة الهوية. أو هو انتماء سلالة وجنس كانتماء أبي جهل - لعنه الله - للنبي ﷺ ولكنه انتماء لايدخله أبداً في زمرة المسلمين حيث موطنه ومن على شاكلته ممن جاهر بالكفر أو ادعى الإسلام سعياً لهدمه، في الدرك الأسفل من النار.

علينا أولاً أن نميز الخبيث من الطيب.. نتجنب الخبيث وندع حسابه إلى الله، ثم ننظر لإخواننا في الدين نظرة تتفق مع صحيح الدين:

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾[3].

أما مسألة الخلافات المذهبية فأعتقد أن المفروض في المذهب أنه ينظم للمسلم أسلوب وشكل أدائه لعبادته، والله وحده هو الذي يحكم على الناس في يوم مشهود:

﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾[4].

ليس من المقبول أبداً أن يجهل المسلم السني طبيعة ومفردات المذاهب الشيعية، كذلك ليس من المقبول أبداً أن يجهل المسلم الشيعي طبيعة ومفردات المذاهب السنية. لابد أن يقوم كل بالتعرف على الآخر، ودراسته دراسة فهم واستيعاب لا دراسة نقد وتجريح.

فلننظر ماذا فعل جيش الاحتلال الأمريكي بعد أن فهم طبيعة الخلاف الحاد والمزمن بين السنة والشيعة؟! لقد عمل على تكريس هذا الخلاف، وزيادته،

(٣) آل عمران/١٠٢.

(٤) الانفطار (١٩).



باسم الحرية المزعومة يتجرع الشعب العراقي كأس المهانة ولكن صبراً .. فإن غداً لناظره قريب

وتعميقه، هادفاً من وراء ذلك إلى إشعال حرب أهلية بين السنة والشيعة، حرب يُفني العراقيون فيها بعضهم البعض، بينما يجلس المحتل سعيداً يستغل مقدرات هذا البلد وثرواته، ويعلن أنه سيبقى في العراق إلى أجل غير معلوم، لأن العراقيين يتقاتلون، ولا يستطيعون إدارة شئون بلادهم، ويعلنون أنهم يتفضلون على العراقيين بإدارة بلادهم لأنهم غير مؤهلين لذلك، رافعين في سبيل ذلك كل ما يستطيعون من لافتات تحمل شعارات جوفاء، وبالطبع لن ينسوا أن يتقاضوا مكافآتهم ومرتباتهم من ميزانية العراق التي باتوا بحكم وضعهم كمحتلين المتصرف الأول فيها.

ينبغي أن نفهم جيداً حقيقة ما يُراد بنا، لابد أن نتقارب، وأن نتخطى الحواجز اللعينة التي صنعناها نحن أو صُنعت لنا بموافقتنا. لا توجد دولة إسلامية واحدة تستطيع أن تستغني تماماً عما يقدمه لها الغرب من ملبس ومأكل وتكنولوجيا، في حين أننا قادرون لو التقت رغباتنا واتحدت توجهاتنا كأمة إسلامية أن نصنع لأنفسنا كياناً يستغني في كل متطلباته الضرورية والكمالية عن الاستيراد من الأسواق الأوروبية والأمريكية التي لا تستطيع أن تحيا دون الحصول على المواد الخام التي نتحكم نحن فيها بحكم ما تذخر به بلادنا من ثروات.

أجل الإسلام له رب لا يضيعه ولكن علينا أولاً أن نأتمر بأوامره متلمسين من أحكامه سبل العزة والقوة والوحدة لمواجهة ما يحيط بنا من خطوب، فالله لن يضيع من يحفظه وينصره:

﴿ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[5]

﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[6].

(٥) محمد (٧).

(٦) يوسف (٢١).

في المحنة التي يكابدها المسلمون اليوم في فلسطين والعراق وغيرهما. نقدم هذه القصيدة التي تعبر عن مشاعر اليوم كما عبرت عن مشاعر الأمس. وقد قيلت يوم ضياع «أدرنة» المسلمة في أوائل القرن الماضي.

الأندلس الجديدة(*)

لأمير الشعراء أحمد شوقي

يَا أُخْتَ أَنْدَلُسٍ عَلَيْكِ سَلامُ ... هَوَتِ الخِلافَةُ عَنْكِ وَالإِسْلامُ(١)
نَزَلَ الهِلالُ عَنِ السَّمَاءِ فَلَيْتَهَا ... طُوِيَتْ، وَعَمَّ العَالَمِينَ ظَلامُ(٢)
أَزْرَى بِهِ، وَأَزَالَهُ عَنْ أَوْجِهِ ... قَدَرٌ يَحُطُّ البَدْرَ وَهْوَ تَمَامُ(٣)
جُرْحَانِ تَمْضِي الأُمَّتَانِ عَلَيْهِمَا ... هَذَا يَسِيلُ، وَذَاكَ لاَ يَلْتَامُ(٤)
بِكُمَا أُصِيبَ المُسْلِمُونَ وَفِيكُمَا ... دُفِنَ اليَرَاعُ، وَغُيِّبَ الصَّمْصَامُ(٥)
لَمْ يُطْوَ مَأْتَمُهَا، وَهَذَا مَأْتَمٌ ... لَبِسُوا السَّوَادَ عَلَيْكِ فِيهِ وَقَامُوا(٦)
مَا بَيْنَ مَصْرَعِهَا وَمَصْرَعِكِ انْقَضَتْ ... فِيمَا نُحِبُّ، وَنَكْرَهُ الأَيَّامُ(٧)
خَلَتِ القُرُونُ كَلِيلَةً، وَتَصَرَّمَتْ ... دُوَلُ الفُتُوحِ كَأَنَّهَا أَحْلامُ(٨)
وَالدَّهْرُ لاَ يَأْلُو المَمَالِكَ مُنْذِرًا ... فَإِذَا غَفَلْنَ فَمَا عَلَيْهِ مَلامُ(٩)
مَقْدُونِيَا ـ وَالمُسْلِمُونَ عَشِيرَةٌ ـ ... كَيْفَ الخُؤُولَةُ فِيكِ وَالأَعْمَامُ(١٠)

(*) من الشوقيات جـ١ ص ٢٣٠ وأمير الشعراء أحمد شوقي أشهر من أن يُعرف به توفي عام ١٩٣٢
(١) الخطاب لمدينة [أدرنة] وقد سقطت في أيدي البلغار عام ١٩١٢ بعد دفاع مجيد.
(٢) ليتها: الضمير يعود على السماء.
(٣) أزرى به: وضع من شأنه. أوجه: أفقه.
(٤) الجرحان: جرح الأندلس وجرح أدرنة. يلتام: يلتئم.
(٥) اليراع: القلم. الصمصام: السيف.
(٦) مأتمها: الضمير يعود على الأندلس. وهذا: أي جرح أدرنة.
(٧) يعني المدة الزمنية بين سقوط الأندلس وسقوط أدرنة.
(٨) خلت: مضت. كليلة: ضعيفة. تصرمت: انقضت.
(٩) لا يألو: لا يقصر.
(١٠) مقدونيا: اسم الإقليم الذي تقع فيه أدرنة. عشيرة: أهل.

أَتَرَيْنَهُمْ هَانُوا، وَكَانَ بِعِزِّهِمْ ... وَعُلُوِّهِمْ يَتَخَايَلُ الإِسْلامُ(١١)
إِذْ أَنْتِ نَابُ اللَّيْثِ كُلُّ كَتِيبَةٍ ... طَلَعَتْ عَلَيْكِ فَرِيسَةٌ وَطَعَامُ(١٢)
مَا زَالَتِ الأَيَّامُ حَتَّى بُدِّلَتْ ... وَتَغَيَّرَ السَّاقِي، وَحَالَ الجَامُ(١٣)
أَرَأَيْتِ كَيْفَ أُدِيلَ مِنْ أُسْدِ الشَّرَى ... وَشَهِدْتِ كَيْفَ أُبِيحَتِ الآجَامُ؟(١٤)
زَعَمُوكِ هَمًّا لِلْخِلافَةِ نَاصِبًا ... وَهَلِ المَمَالِكُ رَاحَةٌ وَمَنَامُ؟(١٥)
وَيَقُولُ قَوْمٌ: كُنْتِ أَشْأَمَ مَوْرِدٍ ... وَأَرَاكِ سَائِغَةً عَلَيْكِ زِحَامُ(١٦)
وَبِرَأْيِهِمْ دَاءُ المُلْكِ نَاسٌ جَهَالَةٌ ... بِالمُلْكِ مِنْهُمْ عِلَّةٌ وَسَقَامُ(١٧)
لَوْ آثَرُوا الإِصْلاحَ كُنْتِ لِعَرْشِهِمْ ... رُكْنًا عَلَى هَامِ النُّجُومِ يُقَامُ(١٨)
وَهُمُ يُقَيِّدُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِهِ ... وَقُيُودُ هَذَا العَالَمِ الأَوْهَامُ
صُوَرُ العَمَى شَتَّى، وَأَقْبَحُهَا إِذَا ... نَظَرَتْ بِغَيْرِ عُيُونِهِنَّ الهَامُ(١٩)
وَلَقَدْ يُقَامُ مِنَ السُّيُوفِ وَلَيْسَ مِنْ ... عَثَرَاتِ أَخْلاقِ الشُّعُوبِ قِيَامُ(٢٠)
وَمُبَشِّرٍ بِالصُّلْحِ قُلْتُ: لَعَلَّهُ ... خَيْرٌ عَسَى أَنْ تَصْدُقَ الأَحْلامُ(٢١)
تَرَكَ الفَرِيقَانِ القِتَالَ، وَهَذِهِ ... سِلْمٌ أَمَرُّ مِنَ القِتَالِ عُقَامُ(٢٢)

(١١) يتخايل: يزهو ويفتخر.
(١٢) ناب الليث: أي مرهوبة مخيفة مثل ناب الليث. ما يتقدم فيه يفترسه ويأكله.
(١٣) حال: تغير. الجام: كأس الشراب.
(١٤) أديل: تغير الوضع. الشرى: مأسدة في الحجاز. الآجام: الشجر تسكنه الأسود.
(١٥) ناصبا: متعبا.
(١٦) إشارة إلى ما قاله المتخاذلون من أن أدرنة كانت تسبب متاعب مادية ومالية كثيرة للخلافة. سائغة: عذبة الورود.
(١٧) ناس جهالة: قوم جهلاء، لا يعرفون حقائق الأشياء.
(١٨) لو أصلحت الخلافة أمرك ولم تتركك عملاً ما تعرض بك أحد، وكنت ركنا منيعا.
(١٩) الهام: الرءوس، والبيت حكمة رائعة.
(٢٠) يقام: يقام من عثرات السيوف فينهض العاثر ويستقيم أمره ولا يقام من عثرات الأخلاق.
(٢١) كانت الأنباء تردد قبل سقوط أدرنة بأن المتحاربين سيميلان إلى الصلح.
(٢٢) عقام: لا يرجى منه، والمعنى قد يكون السلم أوجع أثرا من الحرب.

يَنْعَى إِلَيْنَا الْمُلْكَ نَاعٍ لَمْ يَطَأْ   أَرْضًا وَلا انْتَقَلَتْ بِهِ أَقْدَامُ[٣٣]

بَرْقٌ جَوَائِبُهُ صَوَاعِقُ كُلُّهَا   وَمِنَ الْبُرُوقِ صَوَاعِقٌ وَغَمَامُ[٣٤]

إِنْ كَانَ شَرٌّ زَارَ غَيْرَ مُفَارِقٍ   أَوْ كَانَ خَيْرٌ، فَالْمَزَارُ لِمَامُ[٣٥]

بِالأَمْسِ (أَفْرِيقَا) تَوَلَّتْ وَانْقَضَى   مُلْكٌ عَلَى جِيدِ الْخِضَمِّ جُسَامُ[٣٦]

نَظَمَ الْهِلالُ بِهِ مَمَالِكَ أَرْبَعًا   أَصْبَحْنَ لَيْسَ لِعِقْدِهِنَّ نِظَامُ[٣٧]

وَالْيَوْمَ حُكْمُ اللهِ فِي مَقْدُونِيَا   لا نَقْضَ فِيهِ لَنَا وَلا إِبْرَامُ[٣٨]

كَانَتْ مِنَ الْغَرْبِ الْبَقِيَّةَ فَانْقَضَتْ   فَعَلَى بَنِي عُثْمَانَ فِيهِ سَلامُ[٣٩]

أَخَذَ الْمَدَائِنَ وَالْقُرَى بِخِنَاقِهَا   جَيْشٌ مِنَ الْمُتَحَالِفِينَ لُهَامُ[٤٠]

غَطَّتْ بِهِ الأَرْضُ الْفَضَاءُ وَجَوُّهَا   وَكَسَتْ مَنَاكِبَهَا بِهِ الآكَامُ[٤١]

تَمْشِي الْمَنَاكِرُ بَيْنَ أَيْدِي خَيْلِهِ   أَنَّى مَشَى، وَالْبَغْيُ وَالإِجْرَامُ[٤٢]

وَيَحُثُّهُ بِاسْمِ الْكِتَابِ أَقِسَّةٌ   نَشِطُوا لِمَا هُوَ فِي الْكِتَابِ حَرَامُ[٤٣]

وَمُسَيْطِرُونَ عَلَى الْمَمَالِكِ سُخِّرَتْ   لَهُمُ الشُّعُوبُ كَأَنَّهَا أَنْعَامُ[٤٤]

«عِيسَى» سَبِيلُكَ رَحْمَةٌ وَمَحَبَّةٌ   فِي الْعَالَمِينَ وَعِصْمَةٌ وَسَلامُ

---

(٣٣) المراد بالناعي اسلاك البرق لانها لا تسير على ارض ولا تنهض بقدام

(٣٤) الجوائب: الأخبار يريد أن الأنباء كلها صاعقة سيئة

(٣٥) كان هنا تامة. لمام: قصير.

(٣٦) يريد بافريقيا البلاد المسلمة التي احتلها الغرب مثل مصر وليبيا وتونس والجزائر. الخضم: البحر. جُسام: عظيم.

(٣٧) الهلال: شعار الخلافة العثمانية. والممالك الاربع ذكرناها من قبل.

(٣٨) لا نقض ولا إبرام: لا حل ولا عقد.

(٣٩) كانت مقدونيا آخر دولة تتبع الخلافة في الغرب، باستثناء سواحل اليونان.

(٤٠) المتحالفون هم اليونان ورومانيا والبلغار والصرب. لهام: عظيم كأنه يلتهم كل شيء.

(٤١) المناكب: النواحي. الآكام: التلال.

(٤٢) المناكر: القبائح التي يأتيها جنود الجيش فاجرين.

(٤٣) أقسة: جمع قس، وقد نشط هؤلاء لحرب المسلمين بدعوى الاستجابة للإنجيل، مع أنهم اقترفوا ما حرمه الإنجيل

(٣٤) يقصد بالمسيطرين حكام الدول المتحالفة لحرب العثمانيين.

مَا كُنْتَ سَفَّاكَ الدِّمَاءِ وَلا امْرَأً   هَانَ الضِّعَافُ عَلَيْهِ وَالأَيْتَامُ

أَنْتَ الَّذِي جَعَلَ الْعِبَادَ جَمِيعَهُمْ   رُحَمَا وَبِاسْمِكَ تُقْطَعُ الأَرْحَامُ[٣٥]

أَنْتَ الْقِيَامَةُ فِي وِلايَةِ يُوسُفٍ   وَالْيَوْمَ وَبِاسْمِكَ مَرَّتَيْنِ تُقَامُ[٣٦]

كَمْ هَاجَةٍ صَيَدُ الْمُلُوكِ وَهَاجَهُمْ   وَتَكَافَأَ الْفُرْسَانُ وَالأَعْلامُ[٣٧]

الْبَغْيُ فِي دِينِ الْجَمِيعِ دَنِيَّةٌ   وَالسِّلْمُ عَهْدٌ وَالْقِتَالُ زِمَامُ[٣٨]

وَالْيَوْمَ تَهْتِفُ بِالصَّلِيبِ عَصَائِبٌ   هُمْ لِلإِلَهِ وَرُوحِهِ ظُلاَّمُ[٣٩]

أَوَ مَا تَرَاهُمْ ذَبَّحُوا جِيرَانَهُمْ   بَيْنَ الْبُيُوتِ كَأَنَّهُمْ أَغْنَامُ[٤٠]

كَمْ مُرْضَعٍ فِي حِجْرِ نِعْمَتِهِ غَدَا   وَلَهُ عَلَى حَدِّ السُّيُوفِ فِطَامُ[٤١]

وَصَبِيَّةٍ هُتِكَتْ خَمِيلَةُ طُهْرِهَا   وَتَنَاثَرَتْ عَنْ نَوْرِهِ الأَكْمَامُ[٤٢]

وَأَخِي ثَمَانِينَ اسْتُبِيحَ وَقَارُهُ   لَمْ يُغْنِ عَنْهُ الضَّعْفُ وَالأَعْوَامُ

وَجَرِيحِ حَرْبٍ ظَامِئٍ وَأَدُوهُ لَمْ   يَعْطِفْهُمُ جُرْحٌ دَمٍ وَأُوَامُ[٤٣]

وَمُهَاجِرِينَ تَنَكَّرَتْ أَوْطَانُهُمْ   ضَلُّوا السَّبِيلَ مِنَ الذُّهُولِ وَهَامُوا[٤٤]

السَّيْفُ إِنْ رَكِبُوا الْفِرَارَ سَبِيلُهُمْ   وَالنِّطْعُ إِنْ طَلَبُوا الْقَرَارَ مُقَامُ[٤٥]

---

(٣٥) يشير إلى أن عيسى - عليه السلام - جاء بالرحمة.

(٣٦) يوسف: هو صلاح الدين الأيوبي، وفي زمنه قامت قيامة الصليبيين حين زحفوا على بلاد الإسلام باسم المسيح، وكذا أوروبا اليوم تبعثها حروباً صليبية.

(٣٧) هاجه: أثاره. صيد: يميلون أعناقهم كبرا.

(٣٨) دين الجميع: دين المسيحية ودين الإسلام يحرمان البغي فهو دنية أي رذيلة. زمام: موضع أمن.

(٣٩) أبناء الصليب الذين يدعون حماية المسيح، هم الظالمون الذين خرجوا على دين الله وعلى مبادئ نبيه عيسى عليه السلام.

(٤٠) تراهم: الضمير يعود إلى الصليبيين حيث ارتكبوا الفظائع التي سيأتي تفصيل بعضها.

(٤١) حجر نعمته: مهد نعمته بين أمه وأبيه.

(٤٢) خميلة: حديقة. نوره: زهرة. الأكمام: جمع كم وهو غطاء الزهر.

(٤٣) وأدوه: قتلوه. دم: دامٍ. أوام: عطش.

(٤٤) تنكرت أوطانهم: لم يستطيعوا البقاء بها لما يهددهم من أهوال القتل.

(٤٥) يريد أنهم يلقون العذاب هاجروا أو أقاموا.

يتلفتون مودعين ديارهم ... واللحظ ماء والديار ضرام[٤٦]

شرفا أدرنة هكذا يقف الحمى ... للغاصبين، وتثبت الأقدام[٤٧]

وترد بالدم بقعة أخذت به ... ويموت دون عرينه الضرغام[٤٨]

والملك يؤخذ أو يرد ولم يزل ... يرث الحسام على البلاد حسام[٤٩]

عرض الخلافة ذاد عنه مجاهد ... في الله غاز في الرسول همام[٥٠]

تستعصم الأوطان خلف ظباته ... وتعز حول قناته الأعلام[٥١]

(عثمان) في برديه يمنع حيشه ... (وابن الوليد) على الحمى قوام[٥٢]

علم الزمان مكان شكرى وانتهى ... شكر الزمان إليه والإعظام[٥٣]

صبرا أدرنة كل ملك زائل ... يوما ويبقى المالك العلام[٥٤]

خفت الأذان فما عليك موحد ... يسعى ولا الجمع الحسان تقام[٥٥]

وخبت مساجد كن نورا جامعا ... تمشي إليه الأسد والآرام[٥٦]

يدرجن في حرم الصلاة قوانتا ... بيض الإزار، كأنهن حمام[٥٧]

---

(٤٦) اللحظ العين. ضرام: حريق.

(٤٧) أدرنة: المدينة المجاهدة. شرفا: أي نلت شرفا.

(٤٨) العرين: الغاب للأسد. الضرغام: الليث.

(٤٩) النصر والهزيمة تتعاقبان. الحسام: السيف.

(٥٠) ذاد: دافع. العرض: ما يحمى ويصان. همام: ذو همة باسلة.

(٥١) تستعصم: تحتمي. الظبة: حد السيف. الأعلام: الرايات.

(٥٢) عثمان بن عفان. وخالد بن الوليد ـ رضي الله عنهما ـ كلاهما يتمثلان في سجاياه.

(٥٣) شكري هو قائد حامية أدرنة التي ثبت طويلا يدافع عنها أمام أربعة جيوش.

(٥٤) صبرا: اعتصمي بالصبر.

(٥٥) خفت: سكت. موحد: مسلم ينطق بكلمة التوحيد. الجمع: جمع جمعة أراد بها صلاة الجمعة.

(٥٦) خبت: انطفأت. ويريد بالأسد والآرام الرجال والنساء.

(٥٧) يدرجن: يمشين. قوانتا: من القنوت وهو الطاعة والإخبات.

وعفت قبور الفاتحين وفض عن ... حفر الخلائف جندل ورجام[٥٨]

نبشت على قعساء عزتها كما ... نبشت على استعلائها الأهرام[٥٩]

في ذمة التاريخ خمسة أشهر ... طالت عليك فكل يوم عام[٦٠]

السيف عار، والوباء مسلط ... والسيل خوف، والثلوج ركام[٦١]

والجوع فتاك، وفيه صحابة ... لو لم يجوعوا في الجهاد لصاموا

ضنوا بعرضك أن يباع ويشترى ... عرض الحرائر ليس فيه سوام[٦٢]

ضاق الحصار كأنما حلقاته ... فلك، ومقذوفاتها أجرام[٦٣]

ورمى العدى، ورميتهم بجهنم ... مما يصب الله لا الأقوام[٦٤]

بعث العدو بكل شبر مهجة ... وكذا يباع الملك حين يرام[٦٥]

مازال بينك في الحصار وبينه ... شم الحصون ومثلهن عظام[٦٦]

حتى حواك مقابرا وحويته ... جننا فلا غبن ولا استذمام[٦٧]

●●●

---

(٥٨) عفت: امحت. فض: كسر وارتفع. جندل: حجارة. رجام: صخر.

(٥٩) العزة القعساء: الحصانة المنيعة.

(٦٠) يصف الشاعر شهور الحصار وما كابده المسلمون داخل أدرنة، وما قاوموا به في بسالة خارقة مع قلة العدد، وضعف المدد.

(٦١) السيف عار: مجرد دائما للقتال. ركام: بعضها فوق بعض.

(٦٢) الحرائر: السيدات. سوام: مساومة في البيع والشراء.

(٦٣) الفلك: مدار النجوم. والأجرام: الأجسام التي يحتويها الفلك.

(٦٤) جهنم: كناية عن اشتداد المقاومة واشتعالها.

(٦٥) لم يتغلب العدو إلا حين بذل في كل شبر من الأرض مهجة بطل من أبطاله، وهذا ثمن الملك.

(٦٦) شم الحصون: الحصون العالية.

(٦٧) لم تستسلم أدرنة إلا بعد أن صارت مقابر للأعداء. فلا غبن إذن ولا ذم يلحق المستسلمين.

من قضايا القدس:

هــذا العهــد!!

للأستاذ الدكتور/ على أحمد الخطيب

(إيلياء) بيت الله المقدس، لن يكون مكظوما إلي الأبد، ولن يطول به (أسر) يفرح له عدو ويهنأ به شريد، إنما أراد الله - تعالى - له أن يضرب به الأمثال، ويرشد به إلى الطيب، ويسم به الخبيث. ويجعل من «القدس» قضية فلسطين جميعا، لتنزل على قلوب المؤمنين نورا يهدى إلى الحق فى أمر كل من شغل بها، وأدلى برشائه فى دلوها.

معاذ الله أن ننساك يا قدس، أو ننسى مالك من منزلة فى قلوب الأنبياء والمرسلين، ولازال المولى - عز وجل - يرشد بك إلى «الحق» وينفى عنك الزور والمين المبين.

وبالحق - وحده - ننظر إلى هذا العهد الذى يذكر «الأرشمندريت بنيامين بوانيدى» أنه عهد أعطاه عمر بن الخطاب - رضى الله - تعالى - عنه للبطريرك «صفرونيوس» على جبل الزيتون[1] خاصا بـ (إيلياء) وأهلها وكنائسهم.. إلخ. وبالتاريخ، ثم بجغرافية المكان، فصدق «عهد الإسلام» نناقش هذا العهد لندلى - فى النهاية - بكلمة الحق الفاصلة فى أمره.

وها نحن خطوة خطوة، مع الحوادث - كما شاء الله - عز وجل - لها أن تكون:

كانت (بصرى) أول مدينة فتحت بالشام عام (١٣) هـ على يد خالد بن الوليد - رضى الله عنه - وأهل العراق، ولما وصل أمراء الجنود الإسلامية إلى الشام نزل أبوعبيدة بن الجراح - رضى الله عنه - (الجابية) وهى إحدى قرى (دمشق) ناحية (الجولان) فكانت مقرا لقيادته إلى حين، وذلك فى نفس العام (١٣) هـ.

وانطلق خالد من الشرق وأبوعبيدة من الغرب ففتحا دمشق والتقيا بقلبها فى نفس العام، وتلا ذلك فتح سوريا جميعا، وفر الأمبراطور الرومانى مودعا سوريا بكلمته الشهيرة:

(سلام عليكم يا سوريا سلاما لا لقاء بعده)

(١) من جبال القدس، يقع بشرقها، دفن بسفحه جماعة من شهداء الفتح زمن عمر، وزمن صلاح الدين.

ولحق بجنده فى «أنطاكية» قبل أن يفر منها جميعا إلى القسطنطينية.[2]

وفى عام (١٥هـ) رأى عمر أن يلحق بكلا جنديه فى العراق والشام، ليكون أقرب إلى الحوادث فى هذه المرحلة الحاسمة من سقوط الأمبراطوريتين: الفارسية والرومية، وليواجه فرار كثير من الروم إلى الأمبراطور بأنطاكية الذى صار لديه جمع كثيف منهم، وممن شايعهم «من المستعربة: لخم وجذام وبلقين وبلى وعاملة، وتلك القبائل من قضاعة، غسان: بشر كثير، ومعه من أهل أرمينية[3] مثل ذلك»[4].

نزل عمر بن الخطاب سوريا أولا، ميمما شطر (الجابية) حيث بها أبوعبيدة - رضى الله عنه - وقد اتخذها قاعدة قيادته فى سوريا إلى حين.

«فبينما عمر معسكرا بالجابية، فزع الناس إلى السلاح، فقال: ما شأنكم؟ فقالوا: ألا ترى الخيل والسيوف! فنظر، فإذا كُرْدُوسٌ [طائفة عظيمة من الخيل والجند.. أو الناس] يلمعون بالسيوف، فقال عمر: مُسْتَأْمِنَة، ولا تراعوا وأمِّنوهم فأمَّنوهم وإذا هم أهل إيليا»[5].

أى هم أعيان من بيت المقدس، رأوا أن يسارعوا بطلب الأمان لمدينتهم، فتصير - بأسلوب عصرنا - مدينة مفتوحة أمام المسلمين لا يدور بها قتال.

وكان هذا العمل من أولئك الأعيان عين الصواب، فهم قد رأوا وسمعوا بانتصار المسلمين أمام هؤلاء الرومان إلى جانب انتصاراتهم أمام الفرس.. إلى ما ثبت لهم من عدلهم ومعاملاتهم، وقد توالت إليهم الأدلة على التزامهم الكامل بما وقعوا من عهود، آخرها عهد دمشق فانتخبوا منهم جماعة ارتحلت إلى سوريا، وقد حضرها عمر ليكتب لهم (عهد أمان) وفى (الجابية) بسوريا أعطاهم الفاروق العهد الذى طلبوه، فأمن القوم على أنفسهم ودينهم وما ملكت أيديهم، وذلك فى السنة الخامسة عشرة من الهجرة، ثم قفل عمر راجعا إلى المدينة المنورة، ودخل المسلمون بعد ذلك بعام مدينة القدس - أى فى العام السادس عشر، وبعض المؤرخين جعل فتحها فى العام السابع عشر، ومن هنا نعلم أن «العهد» لم يقترن بـ «الفتح» وأن بينهما عام - على الأقل - سبق العهدُ الفتح فيه، وحضر عمر هذا الفتح مرتحلا إليه من المدينة، إلى «الجابية» أيضا، ومنها إلى «إيلياء»، وقد أجمع المؤرخون على أن «جميع ما خرج عمر إلى الشام أربع مرات»[6].

وإليكم نص عهد عمر رضى الله عنه:

(٢) راجع تاريخ الطبرى عام ١٣ هـ بالجزء الثالث وانظر به الصفحات ٥٩٨ - ٦٠٣ ط المعارف مصر.

(٣) شمال شرق تركيا وجنوب تبليسى. انظر الأطلس العربى ط٣ ص٥٣، ٥٥ لسنة ١٣٨٨ هـ.

(٤) تاريخ الطبرى ٣/٥٧٠، وراجع بفهارسه فى الجزء العاشر حوادث السنة الثالثة عشرة، وانظر نفس الفترة لابن الأثير - الكامل فى التاريخ، ولابن كثير - البداية والنهاية الجزء السابع، والبلاذرى - فتوح البلدان ص١٢٩ ط السعادة مصر ١٩٥٩م.

(٥) الطبرى ٣/٦٠٨ - ابن كثير ٧/٥٨ - دار الريان للتراث ١٤٠٨ هـ - ابن الأثير ٢/٥٠١ دار صادر ودار بيروت ١٣٨٥.

(٦) طبرى ٣/٦٠٧ - ابن الأثير ٢/٥٠٠ - ابن كثير ٧/٥٨، ٥٩ - البلاذرى ص ١٤٤.

«بسم الله الرحمن الرحيم»

هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان:

أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها: إنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم.

ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم.

ولا يسكن بإيلياء أحد من اليهود

وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية[7] كما يعطى أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت[8]، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية.

ومن أحب من أهل إيليا أن يسير بنفسه وماله مع الروم، ويخلى بيعهم وصليبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصليبهم حتى يبلغوا مأمنهم.

ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان: فمن شاء منهم قعد، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم.

وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء، وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية.

شهد على ذلك: خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبدالرحمن ابن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان، وكتب وحضر سنة خمس عشرة.[9]

---

(7) الجزية، وتعنى بدقة: (ضريبة الدفاع) فليس على دافعى الجزية دفاع عن أنفسهم ولا أهليهم ولا أموالهم ولا أرضهم. إنما يتولى ذلك المسلمون عنهم. وعليهم رد أموال الجزية إلى أصحابها إذا تبين لهم العجز عن الدفاع عنهم. راجع عمل أبى عبيدة بن الجراح فى اليرموك وغيرها.

(8) هم اللصوص: اللصت مثل اللص: السارق وجمعه لصوت - طبرى ٣/٦٠٩

(٩، ١٠) د. محمد حميد الله - مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة ص(٣٨٠)، دار الإرشاد - بيروت ط ثالثة ١٣٨٩هـ.

هذه هى الوثيقة التى أعطاها عمر - رضى الله عنه - عهدا ومعاهدة لأهل إيليا ودخل بعدها المسلمون بيت المقدس دونما قتال، وفتحت المدينة، صُلْحًا.

وجاء فى «مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة» للدكتور محمد حميد الله: «صالح عمر أهل إيليا - (يعنى بيت المقدس) - بالجابية، وكتب لهم فيها الصلح»[10].

أى أن عهد الصلح وُقع بالجابية من أرض سوريا.

وهذا هو «عهد عمر».

ثم نعثر على عهد آخر باسم عمر - لنفس البقعة [القدس + إيلياء] موجها إلى البطريرك صفرونيوس:

ذكره الأرشمندريت بنيامين بوانيدى - فى دليل الأرض المقدسة، هذا نصه[11]:

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمد لله الذى شرفنا بالإسلام، وأكرمنا بالإيمان، ورحمنا بنبيه محمد ﷺ وهدانا[12] من الضلال، وأنقذنا به من التهلكة، ووحد قلوبنا، ونصرنا على الأعداء، وثبت أيدينا، وجعلنا أخوة متحابين، فاحمدوا الله - يا عباد الله - على هذه النعمة.

أما بعد:

فهذا عهد منى - أنا عمر بن الخطاب - أعطى للشيخ الوقور بطريرك الأمة الملكية صفرونيوس على جبل الزيتون بمقام القدس الشريف، فى الاشتمال على الرعايا والقسوس والرهبان والراهبات حيث كانوا وأين وجدوا، وأن يكون عليهم الأمان، لأن الذمى - إذا حفظ أحكام الذمة - وجب له الأمان والصون منا - نحن المؤمنين، وإلى من يتولى بعدنا، وتقطع عنهم أسباب جوائحهم كحسب ما قد جرى من الطاعة والخضوع.

وليكن الأمان عليهم وعلى كنائسهم ودياراتهم، وكافة زياراتهم التى بيدهم داخلا وخارجا وهى: القيامة، وبيت لحم مولد عيسى - عليه السلام - الكنيسة الكبرى، والمغارة ذات الثلاثة أبواب: قبلى وشمالى وغربى. وبقية أجناس النصارى الموجودين هناك، وهم: الكرج، والحبش والذين يأتون للزيارة من الافرنج والقبط والسوريان والأرمن والنساطرة واليعاقبة والموارنة تابعين للبطرك

---

(11) شحادة خورى ونقولا خورى - تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية ص ٤١ و٤٢ نقلها المؤلفان عن (دليل الأرض المقدسة ص٤١٤ للأرشمندريت بنيامين بوانيدى - مطبعة دير الروم بالقدس الشريف عام ١٨٧٧م)

(12) كذا.

(*) فى المصدر حاشية هنا تقول: إشارة إلى العهدة الممنوحة من النبى الكريم ذاته لرهبان طور سيناء.

الذكور، ويكون متقدما عليهم. لأنهم أعطوا من حضرة النبي الكريم والحبيب المرسل من الله، وشرفوا بختم يده الكريمة، وأمر بالنظر إليهم والأمان عليهم، كذلك ـ نحن المؤمنين ـ نحسن إليهم إكراما لمن أحسن إليهم، ويكونون معافين من الجزية والغفر[13] والمواجب ومُسلَّمين من كل كافة البلايا في البر والبحور، وفي دخولهم للقيامة، وبقية زياراتهم لا يؤخذ منهم شيء.

وأما الذين يقبلون إلى الزيارة إلى القيامة يؤدى النصراني إلى البطريرك[14] درهم[15] وثلث من الفضة.

وكل مؤمن ومؤمنة يحفظ ما أمرنا به: سلطانا أو حاكما أو واليا يجرى حكمه في الأرض: غني أو فقير من المسلمين المؤمنين والمؤمنات، وقد أعطي لهم مرسومنا هذا بحضور جم من الصحابة الكرام: عبدالله، وعثمان بن عفان، وسعد بن زيد، وعبدالرحمن بن عوف، وبقية الإخوة الصحابة الكرام.

فليعتمد على ما شرحناه في كتابنا هذا، ويعمل به، ويبقى في أيديهم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه والحمد لله رب العالمين. حسبنا الله ونعم الوكيل.

في العشرين من شهر ربيع الأول سنة ١٥ للهجرة النبوية.

وكل من قرأ مرسومنا هذا من المؤمنين وخالفه ـ من الآن إلى يوم الدين فليكن لعهد الله ناكثا ولرسوله الحبيب باغضا. أهـ.

وإذ قد انتهى العهد فلننظر فيه شكلا ومضمونا، ولنبدأ ـ بإذنه تعالى ـ بالمضمون:

١ ـ جاء في أوله:

أ ـ «فهذا عهد مني ـ أنا عمر بن الخطاب، أعطي للشيخ الوقور بطريرك الأمة الملكية صفرونيوس على جبل الزيتون بمقام القدس الشريف في الاشتمال على الرعايا.. الخ

وجاء في تاريخه بآخره:

ب ـ «في العشرين من شهر ربيع الأول سنة ١٥ للهجرة النبوية»

أقول:

إن «المكان» و«الزمان» في النصين (أ، ب هنا) يسقطان هذا العهد، ويبرزان كذبه، فإن عمر ـ رضي الله عنه ـ لم يكن بإيلياء ـ حينئذ ـ مطلقا، وقد سبق بيان ذلك بإيضاح شديد[16].

---

(١٣) كذا.

(١٤) ذكرت هنا بياء وراء بطريرك ووردت قبل ذلك بهما وبدونهما.

(١٥) كذا وهو خطأ عربية.

(١٦) راجع، من المقال ـ وفد أهل إيلياء إلى عمر بالجابية إلى حصولهم على العهد.

٢ ـ لم يعط رسول الله ﷺ عهدا لرهبان طور سيناء ـ ولو أنهم قدموا إليه لأكرمهم ـ عليه الصلاة والسلام وأعطاهم طلبتهم، لكن شيئا من ذلك لم يحدث إلا ما كان منه ﷺ لنصارى نجران،[17] وهذه عهوده ﷺ ووفوده منذ آخر العام الثامن والتاسع الهجري وما بعده محفوظة معروفة. ليس من بينها هذا العهد، ولا هذا الوفد، وكم كان يغني من حدثته نفسه بصناعة هذا العهد أن يعلم مدى إكرام الإسلام لمن صدق عهده من أهل الكتاب حتى سموا: «ذمة الله وذمة رسوله» فصاروا عهدا في رقبة كل مسلم عليه أن يوفر لهم الأمن، بل والراحة أيضا. قال عمر بن الخطاب ـ وهو على فراش الموت ـ في وصيته من بعده:

«وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله ﷺ أن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلفوا إلا طاقتهم».[18]

وهل أتى عهد «صفرونيوس» هذا بمثل هذه الوصية، أو ارتفع إلى مستواها... أو دنا خطوات من «عهد إيليا» الصحيح الصادر من عمر...؟!

٣ ـ ينص هذا العهد على شهود منهم من أسماء: (عبدالله) ـ كذا ـ دون ذكر لنسبه كاملا، أو على الأقل اسم أبيه، وفي ذلك جهالة فكم من (عبدالله) في الصحابة ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ لا يفرق بينه وبين غيره إلا اسمه كاملا، لاسيما وأنه يحمل هذا الاسم من الصحابة الذين ذكرهم ابن الأثير في كتابه «أسد الغابة» أربعة وخمسون وأربعمائة رجل. فلا قيمة لهذا الاسم أن يذكر شاهدا في عقد أو عهد، وهو بهذه الجهالة.

ثم يلي (عبدالله) هذا ـ عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ وعثمان لم يكن بجند الفتح في (إيلياء) مطلقا حتى يكون من شاهدي هذا العهد، يتبين ذلك بمراجعة عمله أثناء هذه الحرب، وفي فهارس الأعلام دلالة على ذلك، ويكفي لذلك مراجعتها بكل من «الطبري» و«ابن الأثير» ومراجعة القارىء ما شاء من الموسوعات التاريخية لهذه الفترة.

والجهالة في الشاهد الثالث: «سعد بن زيد» أشد منها في «عبدالله» المقدم، فليس بين (قواد) عمر في هذه الجبهة من يحمل هذا الاسم على الإطلاق.

ويذكر ابن الأثير: «سعد بن زيد الأشهلي» من الصحابة ـ رضوان الله

---

(١٧) طبري ٣/٢٢١، ٢٢٢ ـ ابن الأثير ٢/٢٩٣، ٢٩٤.

(١٨) صحيح البخاري ١/٢٦٣ ـ ٢/١٥٥ طبع البهية عام ١٢٩٠ هـ.

عليهم - في كتابه: «أسد الغابة» ليس على أنه أحد قواد الحرب في الجبهة الرومانية التي يحارب فيها أبوعبيدة بن الجراح ثم خالد بن الوليد الروم، بل على أنه أحد الصحابة الأعلام، وبالكشف عنه تبين أنه: سعد بن معاذ بن النعمان بن امرىء القيس بن زيد بن عبدالأشهل، شهد بدرا، واستشهد يوم الخندق وهو الذي اهتز لموته عرش الرحمن، وكانت غزوة الخندق في العام الخامس من الهجرة[19] فليس هو - إذا الشاهد في هذا العقد بحال، وإنما ذكرُه رميةٌ أخطأت راميها فدلت عليه.

٤ - لم يتعرض عمر - رضى الله تعالى عنه - للأنظمة الكنسية وجباياتها، إذ لاشأن للإسلام بهذا وإنما فرض الجزية على كل من احتلم. فأما إدارة شئون الكنيسة فليست في حسابه ولا حساب أحد من قواده، فما معنى أن يأتي بهذا العهد قيمة ما يؤديه النصراني الزائر لكنيسة القيامة (درهم وثلث من الفضة) فيجبى باسم الإسلام وبأمر عمر.. سقطة ما لها من درك؟!

ومثلها تماما أن يأتي هذا اللفظ ويقره عمر: (بطريرك الأمة الملكية) فما معناه، وهل يقر عمر، وقد افتتحت إيلياء، أن يكون أهلها حكومة ملكية، أو رعايا لدولة ملكية..؟! ذاك محال!

ومن العجيب أن صانع هذا العهد أسقط الجزية عنهم، وأوجب على النصارى أداء حق الزيارة المالي للبطريرك؟

٥ - كل عهود الرسول ﷺ والخلفاء من بعده موجودة جميعا ومحفوظة، ولم يستخدم في واحد منها كلمة (مرسوم) وهو لفظ استعمله العرب بعد عصر الرواية[20] واستخدامه - على أي حال يرشدنا إلى حقيقة جوهرية، فهو دلالة واضحة على أن هذا العهد لم (يصنع) في العصر الإسلامي الأول، وإنما تم (ضربه) بعد ذلك بكثير، أي حين ظهرت كلمة (مرسوم) مقرونة بالأوامر والصكوك الحكومية.

ولننظر - بعد - إلى الشكل إذ انتهينا مما وفقنا الله - تعالى - إليه من مضمون:

١ - لم نعهد في عهود الصدر الأول هذا (المطلع) الأشبه بافتتاح الخطب، وإنما يعمد المعاهد أمير المؤمنين، أو القائد الفاتح - إلى نص العهد مباشرة موجها إلى أهل المنطقة، وأحيانا إلى عين أعيانها وأهلها، وها هي العهود أمامنا

---

(١٩) انظر السير، وراجع بها حوادث العام الخامس للهجرة.

(٢٠) انظر المعجم الوسيط مادة (رسم) مع مراجعة رموزه.

تامة والحمد لله بجمع الأستاذ الدكتور محمد حميد الله لها.

٢ - الألفاظ وخروجها على بلاغة العصر:

(وأن يكون عليهم الأمان)، و(وليكن الأمان عليهم)، و(الأمان عليهم)... أسلوب لم يستخدم في العهود بهذه الركاكة.

الاستطراد والشرح في مثل:

أ - (وأن يكون عليهم الأمان، لأن الذمي - إذ حفظ أحكام الذمة - وجب له الأمان والصون منا).

ونحن المؤمنين - نحسن إليهم إكراما لمن أحسن إليهم، ويكونون معافين من الجزية والغفر - كذا - والمواجب ومسلمين من (كل كافة، البلايا في البر والبحور).

ثم ترى: كيف كان يملك عمر - رضى الله عنه - أن يمنع عنهم كافة البلايا في البر والبحور..؟!

وهل تجمع بلاغة عصر عمر بين (كل وكافة)..؟

ب - (وكل مؤمن ومؤمنة يحفظ ما أمرنا به: سلطانا أو حاكما أو واليا يجرى حكمه في الأرض: غنى أو فقير..).

ج - (فليعتمد على ما شرحناه في كتابنا هذا).. إلخ.

(وكل من قرأ مرسومنا هذا..) إلخ

كل هذا الاستطراد والشرح مناف تماما لصيغ العهد في هذا العصر الكريم، ولا يوجد بها شيء من ذلك البسط الممل.

٣ - أخطاء لغوية ونحوية منها:

أ - (معافين من الجزية والغفر) يقصد - والله أعلم - بالغفر: الحماية والحراسة [أي الخفر - بخاء] وإلا فإن المعنى اللغوي للغفر - بالغَين: نبات ينبت في السهول والربى كأنه عصافير خضر قيام، وهو أيضا: صغار الكلأ، ومحال أن يكون هذا أو ذاك مقصود صانع هذا العهد.

ب - (يؤدى النصراني إلى البطريرك درهم وثلث من الفضة) وصحتها نحويا: درهما وثلثا.. الخ.

نسأل الله - سبحانه - أن يوفقنا للحق والذود عن القدس الشريف وبلده، وإنه لآمن - بإذنه تعالى - ومشيئته.

***

المشروع الإسرائيلي لقناة البحرين

للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

إن إسرائيل، منذ قيامها في فلسطين التاريخية، تسعى لحل المعضلة الثلاثية، الهجرة، والأرض، والمياه، التي تمثل ركائز الكيان الصهيوني في قلب المنطقة العربية. ومن ثم فإن اعتماد هذا الكيان على الهجرة الوافدة من مختلف بلاد العالم لسُكنى هذه الأرض العربية السليبة، لا يمكن أن يحقق أهدافه في تأمين وجوده، بدون توفير مصادر المياه التي تشكل عصب الحياة للهجرة اليهودية، والأرض على السواء، لذلك فإن المياه تمثل إشكالية في حياة المجتمع الإسرائيلي المعاصر، الذي يعاني منذ التسعينيات من القرن العشرين، من مرارة الجفاف، وشُح المياه، التي تكاد تهدد كيانه، وتعصف بوجوده. ومن هنا جاءت فكرة إنشاء قناة إسرائيلية تربط بين البحرين، الأبيض والأحمر مروراً بالبحر الميت، أحد الحلول لتوفير المياه للهجرة اليهودية القادمة لإسرائيل، وتوليد الطاقة الكهربائية اللازمة، وتحويل صحراء النقب إلى أرض صالحة لاستيعاب مزيد من المهاجرين اليهود الجدد، خاصة أن هذه الصحراء تتجاوز نصف مساحة فلسطين العربية برمتها، وتواجه في نفس الوقت، أكبر قوة إقليمية مؤثرة من الجنوب «مصر». والحقيقة أن فكرة قناة البحرين ليست فكرة حديثة العهد، بل هي فكرة لها جذور تاريخية قديمة، فقد عرضها مهندس بريطاني كان يعمل بالجيش البريطاني، برتبة كولونيل، يُدعى «وليام آلان» من خلال كتاب قام بتأليفه عام ١٨٥٥ تحت عنوان: «البحر الميت طريق جديد إلى الهند من أجل ربط البحرين الأحمر والأبيض» ولقد رأى هذا المهندس العسكري أن هذه القناة تَفْضُل قناة السويس التي تبنت فكرتها فرنسا عام ١٧٩٨، عندما قامت بحملتها العسكرية على مصر. لذا فإن بريطانيا رحبت بهذه الفكرة للسيطرة على الممرات البحرية في صراعها الاستعماري مع فرنسا من جهة، ولتأمين مستعمراتها في الهند من جهة أخرى. كما أنها اقترحت نفس المشروع -

أثناء احتلالها لمصر عام ١٨٨٢، ليكون بمثابة مانع مائي ضد أي هجوم تركي أو روسي على مصر- وفي عام ١٨٩٩ توصل مهندس يهودي يدعى «ماركوس بوركارت» إلى مشروع بحفر قناة تربط البحر الأبيض بالبحر الأحمر، عبر البحر الميت، وعرضه على «تيودور هرتزل» مؤسس الصهيونية السياسية، خدمة للمشروع الصهيوني في فلسطين. وفي خمسينيات القرن العشرين اقترح عدد من الخبراء الأمريكيين، كان على رأسهم «لاودر ميلك» فكرة إنشاء قناة تصل البحرين الأبيض والأحمر، عبر الأرض الفلسطينية لتوليد الطاقة الكهربائية، وتحلية المياه. ولم يأت عام ١٩٦٨ حتى طُرحت فكرة حفر قناة تربط ميناء أشدود على البحر الأبيض المتوسط بميناء إيلات على البحر الأحمر، غير أن بعض المتغيرات حالت دون تنفيذ هذه الفكرة الإسرائيلية. وفي عام ١٩٧٤ كلفت الحكومة الإسرائيلية «شلومو إكشتين» بتشكيل لجنة برياسته، لدراسة فكرة إنشاء قناة البحرين، وأعيد طرح نفس المشروع من جديد من جانب عدد من الخبراء، كان على رأسهم «تسفي ليفير» من خلال دراسة قام بها تحت عنوان «الاستمرارية والتغيير في الاستراتيجية الإسرائيلية حتى عام ٢٠٠٠» وفي ظل حكومة الليكود



اليمينية عام ١٩٧٧، تولى «يوفال نئمان» وزير الطاقة والعلوم الإسرائيلى تشكيل لجنة برياسته لدراسة مشروع قناة البحرين، توصلت إلى تحديد أربع مسارات حول هذا المشروع.

الأول: المسار الشمالى، ويبدأ من حيفا إلى جنوب بحيرة طبرية، ومنها إلى البحر الميت.

الثانى: مسار الوسط، ويبدأ من منطقة الخضيرة بجوار تل أبيب إلى البحر الميت.

الثالث: مسار يبدأ من تل القطيف، جنوب عسقلان، على شواطىء غزة، إلى البحر الميت.

الرابع: المسار الجنوبى، ويبدأ من خليج العقبة على البحر الأحمر إلى البحر الميت. وقد أوصى الخبراء من أعضاء لجنة الدراسة بتنفيذ المسار الثالث من القطيف إلى البحر الميت، غير أن هذا المسار واجهته عدد من الصعاب، منها: اعتراض الأردن عليه بسبب الأضرار التى يمكن أن تصيب معامل البوتاس الأردنية على البحر الميت، وتأثيره الضار على أراضى السلطة الفلسطينية، وإعلان الكثير من الهيئات الدولية وقف أية مساعدات مباشرة أو غير مباشرة لهذا المشروع. لذلك قررت الحكومة الإسرائيلية إرجاء التنفيذ حتى تحين الظروف المناسبة.

لكن إسرائيل استغلت موقفين للترويج لفكرة إنشاء قناة تربط بين البحرين الأحمر والميت «المسار الرابع».

الأول: تحسن العلاقات الإسرائيلية مع الأردن نتيجة اتفاقية السلام بينهما عام ١٩٩٤.

الثانى: قيام الأردن بعرض مشروع حفر قناة تصل البحر الأحمر بالبحر الميت، أمام قمة التنمية المستدامة «قمة الأرض» التى عقدت فى جوهانسبرج فى سبتمبر ٢٠٠٢ بجنوب أفريقيا، وهو نفس المشروع الإسرائيلى، وبذلك التقت الرغبتان الإسرائيلية والأردنية حول مشروع واحد.

ومن اللافت للنظر أن «شارون» انتهز هذه الفرصة السانحة وسارع بزيارة الولايات المتحدة الأمريكية بصحبة وزير خارجيته «شيمون بيريز» لإقناع الإدارة الأمريكية بأهمية هذا المشروع بالنسبة لإسرائيل، وبادر بعقد عدة لقاءات مع وفد من رجال الأعمال الأمريكيين للحصول على التمويل اللازم له.

وفى هذا السياق يذكر الخبراء أن مشروع قناة البحرين، الأحمر والميت يتكون من ستة أجزاء:

الأول: المأخذ: ويقع على ساحل خليج العقبة على البحر الأحمر بين مينائى العقبة الأردنى وإيلات الإسرائيلى.

الثانى: محطة الضخ: التى تضخ المياه من المأخذ لرفعها لمنسوب ١٢٥ مترا فوق مستوى سطح البحر الأحمر لوضعها على سطح الحافة الصخرية الساحلية، ومنها إلى قناة مكشوفة.

الثالث: القناة المكشوفة وخط الأنابيب: لتوصيل مياه البحر الأحمر إلى البحر الميت، ويبلغ طول هذه القناة ١٠ كم، تبدأ من الحافة الصخرية الساحلية لتندفع المياه خلالها بواسطة محطة الضخ، وتنقل القناة ما يتراوح بين ١,٥ إلى ١,٨ مليار متر مكعب من مياه خليج العقبة على البحر الأحمر إلى البحر الميت، وفى نهاية هذه القناة يبدأ خط الأنابيب بطول ٢١٠ كم لتوصيل المياه إلى الخزان التنظيمى لتسقط المياه بعد ذلك رأسياً إلى البحر الميت.

الرابع: الخزان التنظيمى: ويقع عند الطرف الجنوبى الشرقى للبحر الميت، حيث تتدفق إليه مياه خط الأنابيب.

الخامس: محطتان: إحداهما لتوليد الكهرباء، والأخرى لتحلية المياه.. وتقع المحطتان فى جنوب شرق البحر الميت، وتتراوح كميات المياه المحلاة بين ٨٠٠ إلى ٨٥٠ مليار متر مكعب سنوياً، تحصل منها الأردن على الثلثين، بينما تحصل إسرائيل على الثلث الباقى، وتكفى حصة الأردن من هذه المياه فى سد العجز بنسبة ١٠٠٪، بينما تكفى حصة إسرائيل فى سد عجز المياه فيها بنسبة ٤٠٪ حتى عام ٢٠٣٠م.

والجزء السادس: يتمثل فى نقل المياه المحلاة إلى عمّان عن طريق خط أنابيب مزدوج طوله ٢٠٠كم مركب عليه (٩) مضخات لرفع المياه إلى منسوب ١٥٠٠ متر، أما القدس وإسرائيل فتنقل المياه المحلاة إليهما بواسطة خط أنابيب طوله ١٢٥كم، مركب عليه عدة مضخات لرفع المياه إلى منسوب ١٤١٥ متراً. وقد قدرت شركة هارزا الهندسية الأمريكية تكاليف إنشاء قناة البحرين بحوالى ٥ مليارات دولار على مدار فترة المشروع، التى تتراوح بين ١٠ إلى ١٣ عاماً.

وفى هذا الإطار بادرت إسرائيل بالدعاية لفكرة هذه القناة لتهيئة الرأى العام العربى بعامة، والفلسطينى بخاصة لهذه الفكرة، بدعوى إنقاذ البحر الميت من الجفاف، وبوصفه جزءاً من التراث الإنسانى، الذى يجب الحفاظ عليه، وسعت كل من إسرائيل والأردن لدى هيئة اليونسكو لإدراج هذا البحر فى قائمة المحميات الطبيعية.

وفى هذا المقام يذكر بعض خبراء الجيولوجيا أن دعوى إسرائيل بجفاف البحر الميت هى دعوى لا يُراد منها إلا مصلحة إسرائيل، إذ ليس هناك أدنى احتمال لجفاف البحر الميت بالكامل، حيث

يحتاج ذلك لمئات السنين. كما يرى بعض الخبراء أن إسرائيل والأردن هما المسئولتان عن تناقص مياه هذا البحر. فقد أقامت إسرائيل مصنعاً لاستخراج البوتاسيوم جنوب غرب البحر الميت في سيدوم، بطاقة سنوية قدرها ١٣٥ ألف طن، وأنشأت أيضاً الأردن مصنعاً لاستخراج البوتاسيوم من البحر الميت، قرب بلدة الصافى فى لواء الأغوار الجنوبية بطاقة سنوية قدرها ١,٨ مليار طن.. ويضيف هؤلاء الخبراء أن الشركات التى تستخرج أملاح البحر الميت بالتبخير على شاطئيه، الإسرائيلى والأردنى، هى المسئولة عن تناقص ثلث مياه هذا البحر سنوياً، بالإضافة إلى وجود عوامل أخرى تسهم فى تراجع منسوبه مثل نقص المياه العذبة المتدفقة إليه، وارتفاع معدل التبخر الطبيعى.

وفى سياق التسويق لفكرة قناة البحرين إعلامياً يذكر الخبراء فى إسرائيل أن إنشاء هذه القناة سيؤدى إلى تكوين شواطىء جديدة لكل من إسرائيل والأردن، خاصة أن شاطىء الأردن على خليج العقبة لا يتجاوز طوله ٢٧كم، وشاطىء إسرائيل عليه لا يزيد طوله على ٧كم، ومن جانب آخر يمكن استغلال مياه القناة الجارية التى لا تتوقف، بإنشاء بحيرات صناعية على شواطئها، بالإضافة إلى إقامة العديد من مراكز الجذب السياحى فى كل من إسرائيل والأردن، وحل مشكلة نقص المياه العذبة، فى الدولتين بتحلية مياه البحر الأحمر المتدفقة إلى البحر الميت، واستغلال فارق منسوب البحرين فى توليد الطاقة الكهربائية.

وتواصل إسرائيل فى إطار حملتها الإعلامية لترويج هذا المشروع، الزعم بأنه يرمز إلى السلام مع الزردن، وتصف القناة بـ«قناة السلام» وتعتبرها نواة لمزيد من التعاون العربى ـ الإسرائيلى الشامل فى المستقبل، وعلى الرغم من هذه الدعاية الإسرائيلية ـ الأردنية لهذا المشروع، فقد واجه معارضة قوية داخل الأردن، عندما عرض فكرته «حازم الناصر» وزير الرى الأردنى أمام «قمة الأرض» فى جوهانسبرج فى سبتمبر ٢٠٠٢، فقد طالب «حزب جبهة العمل الإسلامى» الحكومة الأردنية بوقف هذا المشروع، والالتزام بقرارات الجامعة العربية التى تدعو إلى مقاطعة إسرائيل بسبب احتلالها للأرض الفلسطينية، وعدوانها المستمر على الشعب الفلسطينى، وقد أكد رفضه الكامل للفكرة برمتها فى بيان قال فيه: «إن الكارثة البيئية التى يتحدث عنها المشروع هى نتيجة عدوان وممارسات الكيان الصهيونى، الذى حوّل نهر الأردن وروافده إلى صحراء النقب». كما عارضه الجانب الفلسطينى فى قمة الأرض، خاصة أن

إسرائيل تعلم أن الجانب الفلسطينى يمتلك أكثر من نصف الساحل الغربى للبحر الميت، ومع ذلك، تجاهلته، ولم تتشاور معه بهذا الصدد، لذا طالب الجانب الفلسطينى بترسيم الحدود بين الأردن وفلسطين، وإنهاء العدوان الصهيونى على الشعب الفلسطينى، وأعرب عن مخاوفه من أن يؤدى تنفيذ المشروع المشترك بين إسرائيل والأردن إلى ترسيم حدود جديدة بينهما على حساب الفلسطينيين.

وفى إطار المشروع الإسرائيلى لقناة البحرين وافقت إسرائيل على فكرة الأردن التى طرحت أمام مؤتمر «قمة الأرض» بتوصيل البحرين الأحمر والميت على أساس أنها مرحلة أولى يعقبها مرحلة ثانية بإنشاء قناة تربط البحر الأبيض بالبحر الميت ليكتمل بذلك المشروع الإسرائيلى الطموح الذى يراود أحلام الكيان الإسرائيلى، ليكون منافساً لقناة السويس المصرية، ومانعاً مائياً يعرقل أى هجوم أو غزو عسكرى يأتى من الجنوب. ولا يخفى على أحد من العرب أن قناة البحرين الإسرائيلية لها هدف استراتيجى، يتمثل فى فرض الهيمنة الإسرائيلية على المنطقة العربية، مع محاولة أن يكون لإسرائيل دور محورى، وريادى فيها «أى فى المنطقة» فى ظل التزام أمريكى بأمن هذا الكيان الصهيونى، وحمايته.

.. والجدير بالذكر أنه فى إطار القانون الدولى العام يذكر رجال القانون أن هذه القناة التى تربط البحرين، الأحمر والميت، كمرحلة أولى للمشروع الإسرائيلى الكامل، لا يمكن إنشاؤها إلا بعد عقد اتفاقية بين الأطراف صاحبة الشأن، التى تجرى هذه القناة فى أراضيها، وهى الأردن، وإسرائيل، والسلطة الفلسطينية، لتحديد الالتزامات على كل طرف من هذه الأطراف، وحصته من عوائدها، وتعيين مسئولية كل طرف فى إدارتها، وصيانتها.

.. وفى الختام.. يمكن القول: إن الأمر جد، وليس بالهزل، فعلى الدول العربية اتخاذ موقف عربى موحد، من خلال الجامعة العربية، للتصدى للمشروع الإسرائيلى لقناة البحرين باعتباره خطراً يهدد الأمن القومى المائى العربى، خاصة بعدما تبين للجميع أن فوائده تصب فى صالح الكيان الإسرائيلى، بالدرجة الأولى، وهو ما يفرض على الدول العربية التخطيط المشترك لتنفيذ المشروعات المائية التى تهم الصالح العربى مثل مشروع: «سد الوحدة» بين سوريا والأردن، الذى يمكن من خلاله، تأمين احتياجات الدولتين من المياه العذبة، والطاقة الكهربائية. لذلك فقد آن الأوان أن تقف الدول العربية على صعيد واحد، جنباً إلى جنب، فى مواجهة الأطماع الصهيونية الشرهة فى مياهنا العربية.

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

لا عليك

قرأ أحد الناس تهجماً عليه في إحدى الصحف، فشكا ذلك إلى بعض أصدقائه فقال له:

لا عليك يا صاحبي من هذا كله، فإن نصف قراء الصحيفة لم يلاحظوا هذه الكلمة، ونصف الذين لاحظوها لم يطالعوها، ونصف الذين طالعوها لم يفهموها، ونصف الذين فهموها لم يصدقوها، ونصف الذين صدقوها لا أهمية لهم، فماذا يبقى بعد ذلك؟!

الترفع على السفهاء

من شعر أبي إسحاق الصابي:

أيها النابح الذي يتصدى
بقبيح بقوله لجوابي
لا تؤمل أني أقول لك: اخسأ
لست أسخو بها لكل الكلاب

حقا

قال الشاعر:

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله
على قومه يستغن عنه ويذمم

الأناة والعجلة

من كلام المهلب بن أبي صفرة بن سراق: أناة في عواقبها درك، خير من عجلة في عواقبها فوت.

وقال بعض الحكماء: إياك والعجلة، فإنها تكنى أم الندامة، لأن صاحبها يقول قبل أن يعلم، ويجيب قبل أن يفهم، ويعزم قبل أن يفكر، ويقطع قبل أن يدبر، ويحمد قبل أن يجرب، ويذم قبل أن يخبر، ولن تصحب هذه الصفات أحدا إلا صحب الندامة وجانب السلامة.

من لطيف الدعابة

كان أبوجعفر المنصور إذا دخل البصرة أيام الأمويين، دخل متنكرا متكتما، وكان يجلس في حلقة أزهر السمان، العالم المحدث. فلما أفضت الخلافة إليه، قدم عليه أزهر، فرحب به وقربه وقال: ما حاجتك يا أزهر، فقال: يا أمير المؤمنين، داري متهدمة، وعلي أربعة آلاف درهم، وأريد أن أزوج ابني محمدا، فوصله باثني عشر ألف درهم، وقال له: قد قضينا حاجتك يا أزهر، فلا تأتنا بعد اليوم طالبا: فأخذها وانصرف، فلما كان بعد سنة، أتاه فقال له أبوجعفر: ما حاجتك يا أزهر؟ فقال: جئت مسلما، فقال: والله بل جئت طالبا، وقد أمرنا لك باثني عشر ألفا، فاذهب ولاتأتنا بعد اليوم طالبا ولامسلما، فأخذها ومضى، فلما كان بعد سنة، أتاه فقال له: ما حاجتك يا أزهر؟ فقال: أتيت عائدا، فقال: لا والله بل جئت طالبا، وقد أمرنا لك باثني عشر ألفا، فاذهب ولا تأتنا بعد اليوم طالبا ولا مسلما ولا عائدا. فأخذها وارتحل فلما مضت السنة أقبل، فقال له: ما حاجتك يا أزهر: فقال: يا أمير المؤمنين، دعاء كنت سمعتك تدعو به، جئت لأكتبه، فضحك أبوجعفر وقال: الدعاء الذي تطلبه غير مستجاب، فإني دعوت الله به ألا أراك، فلم يستجب لي، وقد أمرنا لك باثنا عشر ألفا فخذها وتعالى إذا شئت فقد أعيتنا الحيلة فيك.

لك الويل

حينما شعر الحجاج برعدة الموت تسري في جسده، وأيقن بالهلاك قال: أسندوني، وأذن للناس فدخلوا عليه فأخذ يذكر الموت وكربه، واللحد ووحشته، والدنيا وزوالها والآخرة وأهوالها، وكثرة ذنوبه، وفداحة عيوبه، وكان ممن دخلوا عليه أبو المنذر يعلى ابن مخلد، فقال: كيف ترى ما بك يا حجاج من غمرات الموت وسكراته.

قال: يا يعلى، غما شديدا وجهدا جهيدا، وألما عظيما ونزعا أليما، وسفرا طويلا وزادا قليلا، فويلي ثم ويلي، إن لم يرحمني الجبار، قال يعلى: يا حجاج إنما يرحم الله من عباده الرحماء الكرماء، أولي الرحمة والرأفة والتعطف على عباده وخلقه، أشهد أنك قرين فرعون وهامان، لسوء سيرتك، وترك ملتك، وتنكبك عن قصد الحق وسنن المحجة وآثار الصالحين، قتلت صالحي الناس فأفنيتهم، وسلبت حقوق الناس فظلمتهم، وأطعت المخلوق في معصية الخالق، وهرقت الدماء وهتكت الأستار، وسست سياسة متكبر جبار، والويل لك من الواحد القهار.

طبيب هذه الأمة

قال سفيان الثوري: العالم طبيب هذه الأمة، والمال داؤها، فإذا كان يجرُّ الداء إلى نفسه، فكيف يعالج غيره؟!

قصة العدد

السَّبَّاح الفِدائى

عابر سبيل

كان المطر يتساقط على صفحة النهر فى سكون الليل، وقوارب الصيد تتأرجح ذات اليمين وذات الشمال فى هبات الرياح المتلاحقة، والبرد يُرعشُ جسوم الصيادين، فترتعد فرائصهم دون هدوء، ولكنهم لا ينقطعون عن تجديفهم المتواصل سعياً وراء الرزق، فهذا ينصب فخاخه، وذاك يجمع ما وقع فى شباكه، حتى إذا أذن الفجر وبدأت لوامع النور تصنع طريقاً فى حندس الظلام تسلل كل صياد إلى بيته القريب من الشاطئ راضياً بما ساقه الله إليه من الخير قليلاً أو كثيراً.

ورجع عيسى العوام فيمن رجع إلى كوخه الصغير، ونادى زوجته سلمى البكرية، لتأخذ عنه ما حمل، فتلوربه إذا أشرق الصبح على منازل الحى كعادتها بائعة جائلة، ولكنه لم يسمع لها صوتاً يجيب، وقد بحث عنها فى كل ناحية، فلم يقف لها على أثر، وإذ ذاك جلس منهوكاً مُرهقاً، يفكر فيما دار بينه وبينها بالأمس، فقد هددته بالرحيل عن الكوخ والالتحاق بجيش صلاح الدين الرابض حول بيت المقدس، فتقوم بما تقوم به مثيلاتها من النساء، فتعد الطعام وتحمل المؤن، وتدور على العطاشى بالماء، وعلى الجرحى بالدواء، وكانت تسلق زوجها بقوارص اللوم، وتدعوه أن يلحق بالجيش الظافر، فيؤدى واجب الرجولة والعروبة والإسلام، ولكنه يجيبها فى مرارة أليمة فيقول: «لست والهفتاه رجل طعان وصيال، وكم كنت أتمنى أن أدرب فى حداثتى على امتطاء الخيل وامتشاق السيف، ولكن البيئة الظالمة حصرت جهدى الضئيل بين القارب والشبكة والنهر!! فترد عليه سلمى فى حدة: «إن لكل رجل نصيبه من الكفاح والجلاد، وإذا توجهت إلى الميدان فسيضعك القائد المظفر حيث تفيد!» فتتلعثم الكلمات تحت لسانه، ولا يدرى كيف يجيب!!

لقد أدرك عيسى أن زوجته الباسلة، قد يئست منه، فاتجهت وحدها إلى ساحة الحرب مستجيبة إلى داعى الجهاد، إلى نداء الكرامة والعزة، وقد شعر بحسرة لاذعة تكوى فؤاده حين وجد امرأة ضعيفة تنقاد لحميتها العارمة، فتُعرض نفسها للموت قريرة العين باسمة الثغر، وأخذ يقارن بين عزيمتها الواثبة وخوره المتردد، ففارت الدماء فى عروقه وأخذ عُدته، ثم يمَّم شطر بيت المقدس.

وأحس بفرحة بهيجة تملأ جوانحه حين سمع على بعد أصوات التكبير والتهليل وتقدم جريئاً إلى خيام الجند وطلب أن يقابل أحد القادة من حماة الكتائب الإسلامية!. ثم عرض عليه أن يُهيِّىء له عملاً حربياً يناسب استعداده، ففكر القائد فى أمره، ثم أشار عليه أن يصحب الأسطول الإسلامى فى جولاته البحرية، فعيسى بحكم مهنته صيادٌ سباح، يستطيع أن يخوض اللُّجج المتراكمة لينقذ ما يسقط فى الماء من مؤن وآلات، وقد استشعر الرجل فرحة غامرة حين وفق إلى طريق من طُرق الجهاد، فاستقبل عمله الجديد مُرتاحاً مسروراً، وأدى واجبه الحربى مع رجال الأسطول أداءً مُخلصاً، فكافح الموج وجابه الموت غير هيَّاب!. وقد أنقذ من آلات الذخيرة وأدوات الحرب شيئاً كثيراً، حتى أكبره أصحابه، وكتب الأمير حسام الدين لؤلؤ قائد الأسطول إلى صلاح الدين يحدثه عن مهارة عيسى وبسالته.

مضت الأيام، وزادت معامع القتال ضراماً واشتعالاً، فأبدى الفريقان المتصارعان من خوارق البطولة وغرائب التضحية ما كان موضع العجب والإعجاب، ثم علَتْ راية الحق فانتصر الجيش الإسلامى، وسقط بيت المقدس سُقوطاً عاد بالنكبة والخُذلان على الصليبيين، فانكسرت حدتهم وانكفؤوا على وجوههم فى الفجاج المترامية بين هارب جازع وجريح يترجس، وطريح قتيل!!.. كما وقع فى الأسر من جموعهم الحاشدة ما يقدر عدده بالآلاف، وظن الناس أن صلاح الدين سيفعل بأسراه ما فعلوه هم من قبل حين اقتحموا بيت المقدس، فما تركوا عذراء فى خدرٍ ولا مُصلياً فى محراب، ولا عجوزاً مُقعداً... وخاضت الخيل فى بركها العائمة فكانت تخضب منها القوائم والبطون!!.. أجل ظن الناس أن البطل العظيم سينتقم، ولكنهم نظروا فوجدوا الصفح الغافر، والتسامح النبيل.

احتفل صلاح الدين بنصر الله فى موكب حاشد، فنصب سرادقاً فسيحاً يضم الأفواج الغفيرة من جنوده وأعوانه، وجعل يستقدم إلى مجلسه الأبطال واحداً واحداً فيصافح كل جندى بيده ويُثنى على همته ونجدته، ومن حوله أمراؤه وقواده

يخبرونه عن بلاء كل محارب وجهاده، والقائد المظفر يبتسم ابتسامة الارتياح، ويسلم تسليم المقدر المعتز، وجاء دور عيسى العوام فنهض الأمير حسام الدين لؤلؤ قائد الأسطول الإسلامي، وقال مخاطباً صلاح الدين:

«هذا سباح ماهر يا مولاى!. كان يقذف بنفسه بين الأمواج فيحمل على كتفه الناحلة، ما تقل من آلات الحديد، وكم أنقذ من ذخيرة ثمينة ساعدت على النصر والنجاح».. فنهض صلاح الدين من مجلسه محيياً مصافحاً!. ولكنه أبصر امرأة متهللة باسمة، تتخطى الرقاب، وتجتاز الصفوف، حتى دنت من عيسى فعانقته فى فرحة دافقة، وقال مهتاجة:

ـ أأنت هنا يا زوجي العزيز؟.

فقال: لقد تبعتك يا سلمى حيث تشائين.

وأدرك صلاح الدين حقيقة الزوجين فغض طرفه مستحيا، ولو عنقه إلى الخلف حتى يفرغا من عناقهما اللهيف!!..

وانتهى المشهد المؤثر فنادى صلاح الدين عيسى، وسأله فى ابتسام عن زوجته، ولكن القاضى بهاء الدين بن شداد أسرع فقال:

ـ هذه يا مولاى سلمى البكرية، من أشجع النساء، وأكرم السيدات، كانت تحمل الجريح على صدرها مسافة طويلة فتنقله إلى الخيام من الميدان ثم تطير بالرسائل حيث آمرها أن تسير، فترجع بالرد فى أسرع وقت ينتظر، فحياها الله من سيدة ذات إقدام!.

فنهض صلاح الدين من مجلسه، وخاطب سلمى وزوجها قائلا:

«يا لكما من زوجين باسلين أحسنت لقاءهما الأقدار!.»

وانتهى احتفال النصر فى بهجة رفافة، فخرج الزوجان فرحين، ليقيما فى خيمة متواضعة وراء الأسوار، قال عيسى لصاحبته:

ـ أتظنين أن مقامنا هنا سيطول؟.

فأجابته:

ـ لقد سمعت من بعض القواد أن الصليبيين سيثأرون لهزيمتهم عن قريب حين تأتى إليهم الأمداد المتلاحقة من وراء البحار، لأن أوروبا لن تهدأ بعد فشلها الخائب على يد صلاح!. فقد كانت طوال الأعوام السابقة تسوق الجيوش وراء الجيوش، لتحمى بيت المقدس، وهى بلا شك ستصاب بجنون مغيظ حين تعلم أن جهودها المتلاحقة قد تمزقت أيدى سبأ!. على أنى واثقة من النصر الظافر على يد صلاح الدين!!..

فابتسم عيسى ابتسامة عذبة، وقال فى حنان:

ـ علم الله أنى أتطلع إلى ساعة النضال فى شوق لهيف!. فقد أصبحت أهوى

حياتى الجديدة هوى يختلط بدمى، ويجرى فى عروقى، وإنى لآسف أشد الأسف على ما ضاع من أيام موحشة قضيتها فى كسب تافه، أتبلغ به بعد تعب ضائع كريه!. غافلا عن ميدان الرجال، وحومة الأبطال، ولولاك يا سلمى الحبيبة، لبقيت هكذا خاملا مجهولا، أشعر فى أعماقى الدفينة بالضعة والهوان، وأكابد صراعا داخليا بين عجز الحيلة ورغبة الآمال!. أما الآن فيخيل إلى أنى سيد الماء وفارس البحار!!..

قالت سلمى:

ـ ستمتد سيادتك على البحر بعد حين، فتصبح أمير الأسطول وقائد الأمواج، وسيزهى بك صلاح الدين فى إكبار، ويغدو اسمك أنشودة الركب وترنيمة الأبطال!.

دقت الطبول فجأة بعد أمد قريب، فعلم المسلمون أن الميدان قد هيىء، وأن الكتائب المترقبة قد زحفت سيولها من الغرب، فقد جاء ملوك أوروبا يتقدمهم فريدريك، وقلب الأسد، وفيليب أوجوست، ومن ورائهم من لا يحصون من الحشود والجنود، وما لا يقدر من الأسلحة والعتاد والأساطيل!. وسار صلاح الدين بنفسه يجمع الجموع، ويضع كل بطل فى موضعه، ويحمى ما يستطيع حمايته من البلاد والقلاع، إلا أن الكثرة الكاثرة قد اتجهت إلى «عكا» فحاصرتها حصارا شديداً، وقاسى العرب داخل الأسوار صروف المحن وضروب الشدائد، أما الجيوش العربية فقد اشتبكت مع المحاصرين بالخارج فى حروب دامية، مريرة، كان النصر بها سجالا، فيوم للهلال ويوم للصليب.

وكان صلاح الدين يفكر فى أمر هؤلاء الذين حوصروا خلف الأسوار!. فمنع عنهم الطعام والشراب، وأحاط بهم العدو، فلم يقدروا على الإفلات!. كيف يتصل بهم، فيلم بأخبارهم، ويعرف حقيقة ما لديهم من الزاد والعتاد؟!..

لقد فكر وقدر ثم هداه تفكيره إلى أن يستقدم عيسى العوام، فهو سباح ماهر يستطيع أن يخوض لجج البحر متخفيا، فيحمل الرسائل فى حذر إلى العرب، ويمدهم بما يقدر على حمله من أكياس الذهب والفضة، ثم يعود وقد رسم الصورة الصحيحة لما شاهد وخلف!. ولعله بسفارته المستترة يقدم من الفوائد الحربية ما لا تقوم به الكتائب والجيوش!. هكذا قدر صلاح الدين ودبر، ثم بعث بمن أحضر إليه عيسى العوام، فأصدر له أوامره وتوصياته.

كان على السباح الفدائى أن يخوض البحر مخترقا صفوف السفن الإفرنجية دون أن يشعر به أحد، ثم يأتى إلى الأسوار الناهضة فيعمد إلى فرجة ضيقة تأذن له بالتسلل، فإذا أوفق فى مسعاه اتجه برسائله

وأكياسه إلى بهاء الدين قرقوش حاكم المدينة، وقائد المسلمين، فأبلغه رغبات صلاح الدين، ثم حمل عنه ما يخط من الرسائل ويبدى من المقترحات، وكان الليل مسرحاً أميناً لمغامراته، فهو ينتظر حتى تهجع عيون الأعداء فوق السفن وينغمس في الماء مجتهداً ألا يظهر ما ينبيء بمروره، وقد يصطدم في ظلمات العباب بسفينة أو صخرة، فيتحمل كل عسير حتى يصل إلى الشاطيء ثم يلتفت في كل ناحية، حتى يلتمس مأمنه، فيسرع إلى مبتغاه، ويقضى اليوم الطويل داخل الأسوار، حتى إذا أقبل الليل كرَّ راجعاً إلى سيده ومعه الرسائل والأنباء!!..

وكم قاسى من زمهرير الشتاء، وأهوال الظلام، وصدمات البحر، ولسعات البرد في أعماق البحر!.. وهو سعيد هانيء يغمره شعوره النفسي بدفء مريح ويفحه إيمانه القوى بما يبدد كل خوف وارتعاش!!.. ومازال يواصل رسالته الفذة حتى قطف المسلمون على يديه أنضر زهرات النجاح.

وذات مساء تسلل كعادته حاملاً أكياس الذهب إلى قرقوش!!.. وخاض لجج الماء في برودته القاسية، مستهيناً غير مكترث!.

وانتظر المسلمون عودته فأبطأ.

وجاء الحمام الزاجل من عكا ينبيء بأن عيسى لم يحضر شيئاً!!.. فأخذ الناس يتساءلون ويتكهنون، فمن قائل: غرَّه الذهب فاستولى عليه ولاذ بالفرار!. ومن قائل: وقع في يد الفرنجة فأسروه.. حتى تكشف الحق الأليم، حين وجد المسلمون جثة طافية على الماء تتجه رويداً إلى الساحل، فأسرعوا إلى انتشالها، فعرفوا بها وجه عيسى العوام، وقد مزق أحشاءه سهم من يد عدو، تربص به حتى أصاب مرماه!.

وكانت الحسرة أليمة حين أبصروا حزامه في وسطه وبه أكياس الذهب كاملة لم يضع منها دينار!!.. وراح الخبر إلى صلاح الدين، فدمعت عيناه، وأمر بدفنه في موكب خاشع رهيب!!..

وطاف القاضي بهاء الدين بن شداد ذات مساء على ساحل البحر، فوجد سيدة تسبح في الماء!. فدهش متعجباً، وانتظر حتى ارتدت ملابسها ورجعت إلى الخيام، فتعقبها ليقف على حقيقة أمرها، فعرف أنها سلمى البكرية زوجة عيسى.. فسألها في حنان عما تصنع؟!.. فصاحت في اعتداد: آليتُ على نفسي أن أتعلم السباحة لأواصل رسالة عيسى العوام، وأحظى باستشهاده النبيل!.

فنظر إليها القاضي متعجباً وصاح: صدق صلاح الدين حين قال: يا لكما من زوجين أحسنت لقاءهما الأقدار!.

مواقف إسلامية

الحجاج: المفترى.. المفترى عليه

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

مدخـــل

في كتابه «جنة الشوك» يقول طه حسين:

قال التلميذ الفتى لأستاذه الشيخ: هناك من يتعالى على مرءوسيه. ثم يتذلل لرؤسائه.

فقال الأستاذ الشيخ: هو عبد. فقد نفسه، فهو يبحث عنها في العلو الكاذب تارة.. وفي الترفع مرة أخرى.. وهو عبد في الحالين!!

وفي تاريخنا من قال فيهم الشاعر:

أسد عليَّ.. وفي الحروب نعامة؟!!

وفي دنيا الولاية. والحكم.. ربما ابتليت الحياة بناس من هذا الصنف الذى فقد نفسه.. فهو يبحث عنها في الزحام.. فبينما تراه بين يدى رئيس الدولة ذليلاً.. إذ يستأسد على ضعيف بلا عشيرة تحميه.. ولا رهط يدرأ عنه. وفي النهاية: ينتصر الضعف الشريف.. على القوة الغاشمة. جاء في.. المحاسن والأضداد.. للجاحظ:

قال الحجاج لواحد من حاشيته:

ما تقول في التزويج؟ قال: وجدت أسعد الناس في الدنيا. وأقرهم عيناً. وأطيبهم عيشاً. وأبقاهم سرورا. وأرخاهم بالاً. وأشبهم شباباً.. من رزقه الله زوجة مسلمة. أمينة. عفيفة. حسنة لطيفة. مطيعة. إن ائتمنها زوجها وجدها أمينة. وإن قتر عليها.. وجدها قانعة. وإن غاب عنها، كانت له حافظة. تجد زوجها أبداً ناعماً.. وجارها سالماً. ومملوكها آمناً. وصبيها طاهراً. قد ستر حلمها جهلها. وزين دينها عقلها. فتلك هي الريحانة. والنخلة لن يجتنيها.

وكاللؤلؤة التي لم تثقب. قوامة. صوامة. ضاحكة بسامة.

إن أيسرت . شكرت . وإن أعسرت . صبرت . فأفلح وأنجح .. من رزقه الله مثل هذه .

وإنما مثل المرأة السوء كالحمل الثقيل على الشيخ الضعيف يجره فى الأرض جراً . فبعلها مشغول . وجارها متبول . وصبيها مرذول . وقطها مهزول !

قال الحجاج لصاحبه :

قم الآن .. فاخطب لى .. هند بنت أسماء .. ولا تزيدن على ثلاث كلمات .

فأتاهم فقال :

جئت من عند من تعلمون، هو الأمير، يعطيكم ما تسألون .. أفتنكحون .. أم تدعون؟ !

قالوا : أنكحنا . وغنمنا .

فرجع إلى الحجاج فقال :

أصلح الله الأمير صلاح من رضى عمله . ومدَّ فى الخيرات أجله . وبلغ به أمله . جمع الله شملك . وأدام طولك . وأقر عينك . وأعلى كعبك . وذلل صعبك . وحسن حالك على الرفاء والبنين والبنات . والتيسير . والبركة . وأسعد السعود . وأيمن الجدود . وجعلها الله ودوداً ولوداً . وجمع بينكما على الخير والبركة . فتزوجها الحجاج .

ثم إنه دخل عليها ذات يوم وهى تقول :

وما هند إلا مهرة عربية
سليلة أفراس تحللها بغل !
فإن نتجت مهراً كريماً فبالحرى
وإن يك إقراف .. فما أنجب الفحل

فلما انتهت خرج من عندها مغضباً . ثم دعا ابن القرية . فدفع إليه مائة ألف درهم وقال : ادخل على هند . وطلقها عنى . ولا تزد على كلمتين . وادفع إليها المال .

فلما دخل عليها قال لها : إن الأمير يقول : كُنت . فبِنت .. وهذه المائة ألف صداقك .

فقالت : يا ابن القرية :

ما سررت به إذ كان .. ولا جزعت عليه .. إذ بان . وهذا المال بشارة لك . لما جئتنا به .

فكان القول أشد على الحجاج من فراقها .

تمهيد

قال معاوية - رضى الله عنه - لرجل من أهل اليمن :

ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة !

فقال له الرجل :

أجهل من قومى .. قومك .. الذين قالوا - لما دعاهم الرسول ﷺ إلى الإيمان ما حكاه القرآن :

﴿ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ ﴾(١)

ولم يقولوا : إن كان هذا هو الحق .. فاهدنا إليه .

وهكذا فتح معاوية - رضى الله عنه - على نفسه باباً من أبواب الجحيم .. كان فى غنى عنه .. لقد كان الأسد رابضاً .. ساكناً .. فلما أغضبه هب يدافع عن نفسه .. وبعنف .

(١) الأنفال: ٣٢.

وهكذا كان الحجاج .. الذى أحرج المرأة إحراجاً .. أثار فيها عزتها .. فأسمعته ما يكره ! ولم يشأ إحساسها بالعزة أن يطوح بها .. لتجلس على حافة الزمن .. هرباً من سطوة الحجاج .. الذى استعلى به غرور السلطة .. فصدمته هى بالواقع الصارم .. حتى أفاق على آثار صدمة ما كانت تخطر على باله يوماً .. عن طريق ردها المركز .. الصريح . وذلك إجمال . يحتاج إلى تفصيل .. يتضح به الموقف بكل أبعاده وآماده .

صراحة الزوجين

لقد كانت الصراحة هنا هى القاسم المشترك بين زوجين .. لم يلتقيا على فراش .. كما تقول بعض الروايات .

والمفروض فى هذه المرحلة الباكرة أن تكون العواطف مشبوبة . مندفعة لاتلوى على شىء .. لأن المعايشة بسلبياتها لم تتم .. ومن ثم .. فلا مشاحنات .

لكن «الحجاج» كان صادقاً مع نفسه .. حين قرر إنهاء العلاقة التى رآها ولدت ميتة !

وهو بذلك يضع للمربين قاعدة نفسية واجتماعية .. هذه القاعدة التى قننوها على ضوء تصرفه .. فقالوا : (إن أرقى مقياس للعاطفة الصادقة هو : ضبط النفس . حتى لاينساق الإنسان وراء أوهامه ومشاعره الأولية التى لم تنضجها التجربة .

وحتى ولو كانت هذه المشاعر عنيفة .. فمن الأفضل أن يكون لها «لجام» يحدمنها . ويصفيها من الشوائب . ويقودها نحو هدف واضح .

والاستسلام للعاطفة المزيفة يترك فى النفوس انطباعات مزورة عن الأشياء الخارجية . كما أن الاستسلام للتزييف العاطفى هو نوع من خداع النفس ..)

وأصحاب الإرادة القوية . يستنكفون من المبالغة . وإنما هى الكلمة المركزة .. أى : القرار الحاسم .. والذى لا يحتاج إلى ثرثرة .. ذلك بأنه صادق .. والصدق ليس فى حاجة إلى مبالغة أو تزويق .. أو زخرفة .. وكذلك كان «الحجاج» فى قراره .. وكذلك كانت «هند بنت المهلب» حين ردت عليه بنفس الصراحة .. والقوة .. رداً يذكرنا بما قالته الشاعرة الفلسطينية «سلمى الخضراء» :

أنت معطاء ..
ولكن .. خفف الإغداق عنى
إنما يرهقنى غمر العطاء .
إن بعض الجود ظلم و«تجنى»
وقيود .. وديون .. وعناء
إن بعض الجود : أستار كثيفة
أسدلت .. تحجب عن أعيننا .. كنز الضياء .
وخبايا الأنفس السود .. العنيفة
إن بعض الجود زلفى ورياء
أنت إن أعطيتنى .. ما أتمنى
تحرم القلب أفانين التمنى ..
وبماذا أتغنى ؟ ! !
إن أنا نلت المحال ؟ !

وإذا كان الحجاج هنا هو ذلك الرجل الذى يحاول التعاظم على من هم أضعف منه.. دالاً على تصاغره لمن هو فوقه.. إذا كان الحجاج ذلك الرجل.. فقد جاء الرد القاسى.. على لسان من تتهيأ لعرسها.. تحدياً وعناداً:

إن كان منزلتى فى الحب عندكمو
ما قد رأيت.. فقد ضيعت أيامى!

فساد النظرية الغربية

يقول الشاعر البريطانى «تومس مور»:

«مهما حاولنا إخفاء عبوديتنا.. إلا أن المرأة مازالت تحكمنا!

ولا أعتقد أننى قابلت أحداً انطبقت عليه هذه المقولة أكثر من الكاتب الكبير «البرتو مورافيا»، لقد أمضى حياته كلها مرتبطاً بالمرأة ارتباطاً غير عادى، ابتداء من والدته. التى اعتمد عليها اعتماداً كاملاً فى طفولته المريضة. التى أمضاها مقعداً. وانتهاء بالفتاة التى كانت تصغره بنصف قرن من الزمان. والتى أمضى معها السنوات الأربع الأخيرة من حياته».

ولكن الحجاج. بإبائه يرفض هذا الخضوع فلقد انخلع من عواطفه. ثم تطاوعه نفسه على اتخاذ القرار الصعب.. مستدبراً امرأة كانت بالنسبة له حلماً وشيك التحقق.

لقد كان رجلاً «لا يعبأ بما يعلم مادام السيف فى يده. والسجن من ورائه.

فليغضب الغاضبون كما يشاءون. فالقوة الطاغية تقيه كل سوء.

وقد تغلغل اعتقاده هذا فى نفسه. حتى سرى إلى أسرته الخاصة. فكان يجبر المرأة على الاقتران به. ثم يعاملها معاملة من لا يستميل ودها. أو يحرص على حنانها. بل معاملة المتسلط المتحكم:

ولها أن تضيق فيما بينها وبين نفسها بزوجها ومنزلها وحياتها. فليس يمنجيها منه تبرم أو ضيق»[٢].

ولكن الحجاج أنصف نفسه وصاحبته هذه المرة.. صادراً عن طبيعة عربية أصيلة ترفض أن يستنوق الجمل!

ألا إن الطريق إلى معالى الأمور وعر المسالك. محفوف بالمكاره. يورد صاحبه موارد التهلكة.. حتى قيل:

سيد القوم أشقاهم!

وقد أبى «الحجاج» هذه المرة إلا أن يكون سيداً..

ولا يجمل بالسيد من الرجال إلا أن يكون فى واحد من موضعين: مع الملوك مكرما.. أو مع النساك متبتلاً..

تماماً كالفيل: لا يحسن أن يُرى إلا فى موضعين:

فى البريّة.. وحشا،
أو للملوك مركبا،
أما أن يكون للأنثى مركباً.. فذلك ما لايكون!

(٢) د. محمد رجب البيومى - علماء فى وجه الطغيان ج ٣٧/١.

ولقد كان «الحجاج» هنا على ما قيل.. اعتزازاً بالنفس:

كذبتم وبيت الله.. لا تأخذونها
مراغمة.. مادام للسيف قائم
متى تجمع القلب الذكى وصارماً
وأنفاً حمياً.. تجتنبك المظالم
ومن يطلب المال الممنّع بالقنا
يعش مثرياً.. أو تخترمه المخارم
وكنت إذا قوم غزونى.. غزوتهم
فهل أنا فى ذا.. يال همدان ظالم؟!

امرأة.. لا تعرف البكاء

كان رد المرأة عنيفاً.. مع ما كان للحجاج من سطوة ونفوذ، لقد كان الحجاج يقتل.. فى غير رحمة.. ويفتك بلا روية. كان شجاعاً مقاتلاً.. ولم يكن حاكماً عادلاً، له عزيمة قاهرة.. وحيل ماكرة..

وفى الوقت الذى كان يمنى نفسه أن يرضع أفاويق الهناء.. رأى المسافة بينه وبين «هند» واسعة شاسعة.. بحيث لا ينفع معها احتيال ولا قتال.. فحسم القضية مع امرأة أسمعته. ثم أوجعته!

ولم يكن «عبدالرحمن بن الأشعث» وحده هو الذى خرج عليه وكسر كبرياءه.. ولكن «هنداً» كانت أشد له إيجاعاً.. لأن القذيفة تنقض عليه من أنثى مهيضة الجناح!

لقد واجهته بالمنطق الصارم.. لا بالتشنج الغائم.. ولا حتى بالدموع التى تفيض فتخفف عنها ما تلاقى من عناء..

الفعل.. ورد الفعل

لم تشأ المرأة أن يكون موقفها متشنجاً.. أو دامعاً.. إن رد الفعل كما تقول التجارب تلقائى.. بلا تفكير.. وسريع.. بلا تدبير.. وحاد.. ينتهى إلى لا شىء!

وقد فعلت «هند» ما يليق بها كعربية أبية حين قررت أن تعود - كما يقول علماء النفس. إلى الخبرات والتجارب ثم اعتصارها لتواجه بها الأحداث العظام.. ثم تستعد بها لاقتحام المستقبل.

يعنى: أن نحافظ على أعصابنا.. بالتعقل.. الذى يصبح سداً له عيون.. تمر منها المياه.. ولكن بقدر!

أما البكاء والنحيب.. فلن يسترد يوماً مضى.. ولم يحقق أملاً يرتجى.. وصحيح أن البكاء.. وبالذات فى حياة المرأة أمر طبعى.. ومادامت هناك آلام.. فنحن نأوى إليه كحل مؤقت لمشكلاتنا.

لكن غير الطبيعى - كما يقول المربون - أن نظل نبكى.. لنوسع بالبكاء مساحة المشكلة.

والمطلوب منا أن نجند كل طاقاتنا، بحثاً عن حل عملى.. لنفسح عرق المعاناة.. لادموع الأسى..

ألا إن الناس من حولنا يعجبهم مشهد العرق بحثاً عن مخرج من الكهف المظلوم..

أما الدموع.. فإنها سلاح الملوم!

وحرىّ بالضعيف أن يجمع شتات نفسه فى إباء يرفض المنطق الغشوم مُردداً ما قاله الشاعر:

لما تاه على الناس شريف.. يا أبا سعد
فَتِهْ ما شئت إن كنت بلا أصل ولا جدْ
وإذْ حظك في النسبة بين الحر والعبد
وإذا قاذفك المفحش في أمن من الحد

الرغبة الجامعة

ومن دروس الموقف: ضرورة أن تكون هناك رغبة متبادلة.. تطيب في ظلها الحياة.

وقد يهيم أحد الطرفين بالآخر حباً.. بينما قلب الآخر مصروف عنه.. ومن الحكمة عندئذ حل عقدة النكاح.. وهو ما قرره الحجاج هنا.. مؤثراً أن يحمر وجهه حياء.. مرة واحدة.. على أن يصفر وجهه خجلاً كل يوم!!

سحر البيان

لئن كان فراق الزوجة ضربة موجعة.. فقد كان ردها القاسي مصيبة أوجع.. في قلب رجل طاغية كالحجاج.

إن الحجاج هنا لم يكن لتردعه موعظة.. حتى يكون عادلاً.. ولم يكن من المناسب مهادنته حتى يتحول إلى قوة مسالمة.

وإنما مخاطبته باللغة التي يفهمها.. وهو ما لجأت إليه المرأة. والتي نجت بحياتها من كيده.. فكانت أذكى من «الفضيل العدواني» والذي قتله الحجاج.. بعدما زايلته حكمته في حواره مع الحجاج:

لقد كان ردها موجزاً معجزاً أذهل الطاغية.. كان على ما قيل: «يجيد الحز، ويصيب المفصل[3]».

وفي هذا قال معاوية يمدح عبدالله بن عباس:

إذا قال لم يترك مقالاً.. ولم يقف
لعي. ولم يثن اللسان على هجر
يصرف بالقول اللسان إذا انتحى
وينظر في أعطافه نظر الصقر

لقد صمدت المرأة في المنعطف الخطير.. وقابلت اللطمة بأشد منها.

بين الفعل والانفعال

إنها «فعلت» ولم «تنفعل»!

ولم تشأ أن تكون ذلك الغزال الجريح.. الذي يهرب مسرعاً إلى أشجار الغابة الكثيفة.. حيث يختبيء هناك. وتلفظ أنفاسها الأخيرة في هدوء. بعيداً عن عيون أعدائها.

إنك إذا عجزت عن تحمل الصدمة.. فلا حق لك في الحياة.

ألا وإن الصبر على الكارثة.. هو الحل الوحيد الذي نحقق به الانتصار.

من الدفاع.. إلى الهجوم

وعلى الذين تعودوا أن يقفوا موقف الدفاع.. أن يعلموا أن لزوم الدفاع قاض عليهم بالتقهقر.. حتى يغيبوا عن الميدان تماماً.. ليتفرد به الفقراء من مواهب الخير.

إن خير وسائل الدفاع.. هي الهجوم!

---

(3) مثل يضرب في البلاغة: شبهوا البليغ الموجز الذي يقل الكلام، ويصيب المعاني.. بالجزار الرفيق: يقل حز اللحم ويصيب مفاصله.

الهجوم على من ظنوك يوماً لهم نداً.. وهم في الواقع لا يساوون شسع نعلك القديم؟!!

عزة المرأة المؤمنة

كانت الزوجة على غاية ما تكون العزة.. عندما خاطرت بنفسها.. فخاطبت الحجاج الطاغية باللغة التي يفهمها..

وإذا كان في النساء من تسقط من الضربة الأولى مستخذية أمام غرور الرجل.. فقد كانت «هند» حجة عليها.. حين تعلمها درساً في الإباء والعزة.. والذي ينطق بلسان الحال:

«اللهم: إنا قد عادينا الجاهلين بك.. فوالنا لمعاداتنا لهم فيك. وصدقنا المخبرين عنك.. فاجزنا على ذلك بفضلك. وبيض وجوهنا بالنظر إلى وجهك. وحينا برضوانك.. أنت أهل لذلك».

وإذا ابتليت يوماً
بالشيطان وتغويله - تضليله -
والهوى وتسويله. والباطل وتعليله.

إذا رأيت ذلك من صاحبك فاضرب وجهه بدنيا يؤثرها. وهوى يتبعه. واسمع شجو لبيب كره المقام في هذه الدار، التي امتلأت بالذئاب فقال:

نظرت.. فلم يعلق بعيني سوى القذى
وجلت. فلم أجلب لنفسي سوى الأذى
ولم أر وجهاً مستحقاً لمرحبا
ولا وجه أمر مستحقاً لحبذا
رأينا شرار الناس يمضون حكمهم
على الجانب الأدنى.. إلى الشر منفذاً
ويسعون فيه نحو أبعد غاية
وإن كان وجه الخير أقرب مأخذا
وواصلتهم حتى سئمت.. فلم أجد
سوى هجرهم من شرهم لي منقذا
يعدون عند السخط حلمي.. مهانة
ويُسمون يوم الحفل عارضتي بذا[4]
ويعلون من أرض لهم من عنانه
بسوط.. ويستخذون للمرء ذي الشذا[5]
فعش هكذا طول الحياة فربما
سلمت من الأشرار إن عشت هكذا

من إنسانيات الحجاج ودرس في الدعوة

وإذا كان منطق المرأة يعجبنا.. فإننا نتعجب من منطق الحجاج وحلمه.. على غير عهدنا به.. والذي ذكرنا بموقف لعمر - رضي الله عنه - لما قال لأحد ولاته:

كثر شاكوك.. فإما اعتدلت.. وإما اعتزلت..

ولقد قرر الحجاج عزل زوجته فعلاً.. بلا دماء.. ولا أشلاء!

لقد كان الحجاج: كثير المنازعة.. شديد المراجعة.. ولكن الماء من حجر الصوان ينبثق! وعهدنا بالخلافات الأسرية هكذا: من

---

(4) العارضة: «الاقتدار» على القول. والبذا: الفحش.

(5) الأذى.

الزوج كلمـة.. ومن الزوجـة كلمـة.. ثم يحتـدم الصـراع.. ويطول.. ويكون هناك الاحتيـال والملال.. ثم الاختـلال، تخدع العيون.. بعكس ما يقول اللسان.. فلا يدرى أحد أيهما يصدق.

ولكن الحجاج.. والزوجة معاً.. حسما القضية فى حينها.

وكما أنه من المقرر:

«أنه قد يبدر من العاقل ما لايتوقع إلا من المجنون.. ويبدو من المجنون بعض ما لايتوقع إلا من العاقل. فإنه لايعتد بذلك ولا بهذا.. فلا يصير العاقل بهذا المقدار مجنوناً.. ولا يصير المجنون بهذا المقدار عاقلاً»(٦).

ولكن هذا الموقف لم يكن من الحجاج.. بيضة الديك.. وإنما كانت له «إنسانيات» تؤكد أن الله- تعالى- قد يجعل فى أعماق الطاغية من معانى الإنسانية ما يشهد بأن الخالق حقا هو الله- تعالى- والذى جعل من الأرض الواحدة.. ألواناً من الزروع مختلفة الأشكال والمذاقات! وهو درس فى الدعوة مانع من تجاهل ما فى أعماق الجبارين من عناصر الخير فلعلنا أن نمسك بها.. وقد تصل بها إلى مكان الإقناع فيه.

الحجاج.. فى ميزان التاريخ

الفكرة العامة عن الحجاج أنه كان حاكماً غشوماً ظلوماً.. قاسى القلب..

ومن شواهد قسوته ما روى من أن امرأة جاءت إلى أحد العلماء تقول: زوجى حلف بالطلاق.. أن الحجاج فى النار.

فقال لها المفتى: انتظرى إلى يوم البعث، فإن كان فى النار.. فبها.. وإن دخل الجنة.. فـيغفر الله لزوجك. كما غفر للحجاج فى مائة ألف رقبة!!

وكـان من الممكن أن تزيد هذه الرقـاب الطائرة واحدة.. هى رقبة الحسن البصرى.. والذى اختبأ من الحجاج.. حتى ماتت ابنته الحبيبة فأرسل لابن سيرين ليصلى عليها.

ومع ذلك:

فقد روى عنه أنه كان تلاء لكتاب الله- عز وجل- فى جوف الليل.. ومـا أكثر الودعاء فى دنيانا.. لكن البيئة قد تحولهم إلى وحوش كاسرة!

وفى عهد الحجاج كان الأمن مستتباً.. وكانت المرأة تنام.. وباب دارها مفتوح.. فلا تخاف.

وقد روى أن زوجة أسر زوجها. وولدها. وأخوها.

فجاءت إليه تطلبهم.. فقال لها:

اطلبى إطلاق سراح واحد فقط..

فاختارت الإفراج عن أخيها..

فـما كـان جواب الحجاج إلا أن أطلق سراحهم جميعاً!

وربما اعتـصم بالعـفو من أجل كلمة يسـمعها:

(٦) الامتاع والمؤانسة ج ٢/٢٠٤.

أعد يوماً «وليمة».. وكان فى المدعوين أعرابى أعجب «بالفالوذج».. فانكب عليه..

فقال له الحجاج:

من أكل هذا ضـربت عنقـه

فتحير الرجل بين السيف.. والحلوى..

فاختار الحلوى قائلاً:

أوصيك بأولادى خيراً!!

فعفا عنه الحجاج!

وذات يوم صلى صلاة عاجلة لم يتم ركوعها ولا سجودها. ومن سوء حظه أن كان «ابن المسيب» فى المسجد عندئذ.. فلما رآه أخذ.. ابن المسيب «كفا» من حصى ثم رمى الحجاج به.. فبهت واستخذى.. ثم أخذ يطمئن فى صلاته.

الحجاج.. خادم القرآن

يقولون: إن أول من ضبط القرآن بالشكل كان هو الحجاج!

منطلقاً من حس حاد باللغة العربية.. والتى كان فيها أستاذاً:

وقد ذكروا أن رجلاً نطق فى واحد من مجالسه باسم على وزن «فُعلة» فقال له الحجاج: ليس فى العربية اسم على وزن فعلة!

وكان من الممكن أن يقف الأمر هنا عند حد التصويب.. ولكن الحجاج تعود إليه طبيعته القاسية.. فيقول للرجل:

انزل إلى البادية.. وابحث عن هذا الوزن المفقود.. فإذا لم تجد كلمة على وزن «فُعلة» قطعت رقبتك!!

وامتثل الرجل المفجوع للأمر.. وهو من الموت قاب قوسين أو أدنى..

فلما نزل الصحراء.. سمع من ينشد:

ربما كان من الأمر ما له «فُرجة» كحل العقال. ففرح الرجل فرحاً حين كان له من غمه «فرجة».

وفى طريق عودته بكلمته.. بل بحياته التى عادت إليه.. إذا به يسمع أن الحجاج قد مات!! فقال: والله لا أدرى:

أأفرح بهذه الكلمة.. أم بوفاة الحجاج؟!!

الحجاج.. الواعظ.. الغشوم!

وإذا كان الحجاج قاسياً.. فمما يحسب له أنه كان أشد ما يكون على العصاة:

رأى رجلاً - يبيع السمسم - بينما يقام للصلاة. فقال له الحجاج:

لماذا لم تصلِّ؟

فقال الرجل: لا أعرف كيف الصلاة.

فسأله الحجاج: كم «رطل» من السمسم يحتاج إلى رطل من السكر؟

فقال: يحتاج إلى كذا.

حتى وصل الرجل إلى ما تحتاجه السمسمة الواحدة من السكر!

فجعله الحجاج نكالاً للمتكاسلين عن الصلاة. لأنه عرف أمر دنياه.. وجهل أمر أخراه!

أما بعد:

فمهما بلغ المرء من العتو.. إلا أن فى كيانه يسكن «إنسان» فلنحاول.. أن نطول بالحكمة هذا الإنسان.. فلعله أن يعود إلينا من رحلة الغرور.. وقبل أن تتكسر الأجنحة ويغرق السفين!

علماء من مصر

الحافظ السِّلَفي

لفضيلة الشيخ / عبد الحفيظ فرغلي القرني

هو أحد المعمرين من العلماء، فقد توفي وقد أوفى على المائة من عمره أو أشرف عليها، والراجح أنه مات دونها بسنتين. فقد ولد سنة ٤٧٨هـ وتوفي سنة ٥٧٦هـ في أرجح الأقوال.

مولده ونشأته

ولد الحافظ السلفي في أصبهان في التاريخ المذكور وهو الإمام الحافظ الثبت أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سلفه الأصبهاني الأصل الملقب بصدر الدين.

وسلفه بكسر السين وفتح اللام لقب جده إبراهيم كان يلقب به، وهي كلمة أعجمية تطلق على مشقوق الشفة، وكانت إحدى شفتيه مشقوقة فصارت مثل شفتين فأصبح كأن له ثلاث شفاه. وأصل كلمة سلفة بالفارسية سي لبه - بالياء - فعربت بالفاء.

قال ابن خلكان عنه في وفيات الأعيان: هو أحد الحفاظ المكثرين، رحل في طلب الحديث ولقي أعيان المشايخ، وكان شافعي المذهب.

ورد بغداد ولقي فيها الكيا أبا علي الهراس، وكان الكيا الهراس من أهل طبرستان وخرج إلى نيسابور، وتفقه على إمام الحرمين أبي المعالي الجويني إلى أن برع، ثم خرج إلى بيهق ومنها إلى بغداد حيث استقر بها وتولى تدريس المدرسة النظامية فيها، وظل في بغداد حتى مات سنة ٥٠٤هـ.

كما تلقى العلم على يد الخطيب العالم الأديب اللغوي أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي، ومنه تلقى البراعة في اللغة والأدب، فقد كان التبريزي إماما في الأدب والنحو واللغة وله شعر رائق منه في رد له على تحية أرسلها إليه صديقه العميد الفياض:

قل للعميد أخي العلا الفياض
أنا قطرة من بحرك الفياض.
شرفتني ورفعت ذكري بالذي
ألبستنيه من الثنا الفضفاض
ألبستني حلل القريض تفضلا
فرفلت منها في غُلاً ورياض
إني أتيتك بالحصى عن لؤلؤ
أبرزته من خاطر مرتاض

وتوفي التبريزي سنة ٥٠٢هـ ببغداد.

وطاف الحافظ السلفي في عدة بلاد قبل أن يلقي عصا التسيار في مصر التي أكرمت وفادته وأحلته المكان اللائق به، فوجد فيها خير أهل وعشيرة واستقر بها فلم يبارحها حتى وافاه أجله فيها. لقد قضى فيها ثلثي عمره: ستة وستين عاما.. وهو عمر مديد يقضي بأن يصبح من أهل مصر لحما ودما وأهلا وموطنا.

في الإسكندرية

كان مجيء السلفي إلى مصر سنة ٥١١هـ وسنه إذ ذاك ثلاث وثلاثون سنة وهي سن النضج والاكتمال. ونزل ثغر الإسكندرية، فقد كان قادما إلى مصر عن طريق البحر، كان قادما من مدينة صور إحدى مدن الشام حيث كان في إحدى رحلاته التي كان يستكثر منها ولا يكف عنها في طلب العلم.

وأعجبه جو الإسكندرية وطيب هوائها وهدوؤها وجمالها فقرر الإقامة فيها وتسامع بمجيئه العلماء والمتعلمون فقصدوه من كل مكان وكان السلفي قد بلغ رتبة بلغت شهرتها الآفاق، وسمع بها القاضي والداني، وكانت مصر إذ ذاك مهد العلم وقبلة العلماء، فما أن سمعوا بقدوم الحافظ السلفي إلى الإسكندرية حتى شدت إليه الرحال.

صلاح الدين الأيوبي يحضر عليه

وكان ممن حضر عليه في الإسكندرية السلطان صلاح الدين الأيوبي. كان صلاح الدين قد ذهب إلى الإسكندرية في رحلة تفقدية لإصلاح مينائها وترميم حصونها استعدادا لحملات الصليبيين المتكررة، وصادف ذلك شهر شعبان فعزم على أن يقضي رمضان في الثغر واغتنم هذه الفرصة ليتزود من العلم فلزم مجلس الحافظ السلفي ومعه أولاده وكبار حاشيته الذين اصطحبهم معه في رحلته.

قال العماد الأصفهاني: وأدمنا الحضور عنده واجتلينا من وجهه -أي وجه الحافظ السلفي- نور الإيمان وسعده، وسمعنا عليه ثلاثة أيام الخميس والجمعة والسبت- أي كل أسبوع طيلة شهر رمضان، وهذا هو الذي جعل المؤرخين يذكرون من شيوخ صلاح الدين الذين تلقى عليهم العلم الحافظ السلفي- من كتاب الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة.

الحاكم يبني له مدرسة

وكان الوزير العادل أبوالحسن علي بن السلار وزير الظافر العبيدي حاكم مصر قد بنى مدرسة بالإسكندرية سنة ٥٤٦هـ وعهد بها إلى الحافظ السلفي وأصبحت معروفة باسمه، ونهض بالإشراف عليها والتدريس بها على خير وجه وأرضاه حتى ذاع أمرها وكثر قصادها.

قال ابن خلكان: وهذه المدرسة مازالت معروفة به إلى الآن- أي إلى عصر ابن خلكان وقد توفي ابن خلكان سنة ٦٨١هـ.

قال ابن خلكان: وأدركت جماعة من أصحابه بالشام والديار المصرية وسمعت عليهم

واجازوني، وكان قد كتب الكثير ونقلت من خطه فوائد جمة؛ ومن جملة ما نقلت من خطه لأبي عبدالله محمد بن عبدالجبار الأندلسي من قصيدة:

لولا اشتغالي بالأمير ومدحه
لأطلت في ذاك الغزال تغزلي
لكن أوصاف الجلال عذبن لي
فتركت أوصاف الجمال بمعزل

قال: ونقلت من خطه أيضا لبثينة صاحبة جميل ترثيه:

وإن سلوى عن جميل لساعة
من الدهر ما حانت ولا حان حينها
سواء علينا يا جميل بن معمر
إذا مت بأساء الحياة ولينها

قال: وكان كثيرا ما ينشد:

قالوا نفوس الدار سكانها
وأنتم عندى نفوس النفوس

علمه وأدبه

وتشير هذه النقول إلى التوجهات الأدبية التي كانت للحافظ السلفي فلم يكن رجل علم ودين فحسب، ولم يقف عند حدود الفقه والحديث الذي كثر حفظه له، ولكنه كان أديبا، وله شعر مأثور عنه. ومن شعره الذي استشهد به ابن كثير في البداية والنهاية قوله:

أتأمن إلمام المنية بغتة
وأمن الفتى جهل وقد خبر الدهرا
وليس يحابي الدهر في دورانه
أراذل أهليه ولا السادة الزهرا
وكيف وقد مات النبي وصحبه
وأزواجه طرا وفاطمة الزهرا

وله في فضائل علم الحديث الذي برع فيه:

يا قاصدا علم الحديث لدينه
إذا ضل عن طرق الهداية وهمه
إن العلوم كما علمت كثيرة
وأجلها فقه الحديث وعلمه
من كان طالبه وفيه تيقظ
فأتم سهم في المعالي سهمه

ومن جيد شعره ما ذكرته الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية له:

دين الرسول وشرعه أخباره
وأجل علم يقتفي آثاره
من كان مشتغلا بها وبنشرها
بين البرية لا عفت آثاره

منزلته العلمية

تحدث الإمام ابن الجزري عنه في كتابه غاية النهاية فقال: هو حافظ الإسلام وأعلى أهل الأرض إسنادا في الحديث والقراءات مع الدين والثقة والعلم، قرأ القراءات على أبي الفتح أحمد بن محمد الحداد، وأبي الخطاب علي بن عبدالرحمن بن الجراح، وعبدالله بن أحمد بن عبدالله الخرقي، وغيرهم، وسمع الحروف من أبي طاهر بن سوار، ومن مرشد بن يحيى المديني، ومن محمد بن محمد المديني. وروى القراءات عنه عيسى بن عبدالعزيز والكمال الضرير. وهو بذلك يعده من أئمة القراء.

وأدرجه عبدالرحيم الإسنادي في طبقات الشافعية، وأدرجه جلال الدين السيوطي في الحفاظ، وقال عنه في حسن المحاضرة: كان حافظا متقنا ناقدا ثبتا، دينا خيرا انتهى إليه علو

الإسناد، وروى عنه الحفاظ في حياته، وله تصانيف، وكان أوحد زمانه في علم الحديث، وأعلمهم بقوانين الرواية.

وأثنى عليه شمس الدين الذهبي وذكره في الطبقة الثلاثين من كتابه: تهذيب سير أعلام النبلاء من طبقات القراء.

وقال عنه الحافظ المنذري: كان أوحد زمانه في علم الحديث وأعرفهم بقوانين الرواية والتحديث، جمع بين علو الإسناد وعلو الانتقاد وبذلك كان ينفرد بين أبناء جنسه[1].

مؤلفاته

وللحافظ السلفي مؤلفات منها:

- كتاب الأربعين البلدانية، جمع فيها أربعين حديثا عن أربعين شيخا في أربعين مدينة أبان فيها عن رحلة واسعة وأظهر فيها رتبة عالية- كشف الظنون.
- معجم مشيخة أصبهان، ومعجم شيوخ بغداد، ومعجم السفر.
- الفضائل الباهرة في مصر والقاهرة.
- شرح الأربعين حديثا الودعانية التي جمعها القاضي أبونصر محمد بن علي بن ودعان المتوفى سنة ٤٩٤هـ.
- معجم الشعراء، وهم المعاصرون له.
- الوجيز في ذكر المجاز والمجيز.
- كتاب: أحاديث وحكايات انتخبها من أصول كتب الشيخ: أبي عبدالله الطبري وله كتب أخرى كثيرة غير هذه تدل على سعة علمه وكثرة معرفته.

لقد كان الحافظ السلفي أحد العلماء الأجلاء الذي أضاءت بهم آفاق الديار المصرية، وشرف به ثغرها الميمون، وانتفع بفضله كثير من أهل العلم والمعرفة ومازال اسمه مقرونا بالثناء، وذكره محفوفا بالولاء والوفاء.

وفاته:

توفي الحافظ السلفي بالإسكندرية سنة ٥٧٦هـ قيل: إنه مات فجأة، ودفن في مقبرة وعلة بالإسكندرية، وهي مقبرة منسوبة إلى عبدالرحمن بن وعلة الشيباني المصري صاحب ابن عباس رضي الله عنهما.

وكان قد ولد في أصبهان كما ذكرنا ولكن وفاته كانت في الإسكندرية وما أبعد الشقة بين مسقط الرأس ومهد الموت ولكن صدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾[2].

ولله در الشاعر الذي ترجم هذا المعنى شعرا فقال:

مشيناها خطا كتبت علينا
ومن كتبت عليه خطا مشاها
ومن كانت منيته بأرض
فليس يموت في أرض سواها

(١) الموسوعة الذهبية للدكتورة فاطمة المحجوب جـ ٢٩ ص ٥١٠.

(٢) لقمان (٣٤).

من رواد العلم العربي الحديث

حسن صادق

(١٨٩١ - ١٩٤٩)

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا

نبذة مختصرة عن حياته

ولد حسن صادق في ١٦ من يناير سنة ١٨٩١م بالإسكندرية والتحق بمدرسة العقادين الابتدائية فالخديوية الثانوية بالقاهرة، ثم التحق بمدرسة «المهندسخانة» الخديوية وأظهر من التفوق والنبوغ خلال السنة الأولى فى هذه المدرسة ما جعله موضع عناية أساتذته، فقرروا إيفاده فى بعثة لدراسة الجيولوجيا بجامعة لندن بانجلترا حيث حصل على بكالوريوس العلوم فى الجيولوجيا سنة ١٩١٣م بمرتبة الشرف. وعاد حسن صادق إلى مصر ليجد أبواب العمل الجيولوجى موصدة أمامه فعين موظفا بوزارة الزراعة ليقاوم دودة القطن «لأن دودة القطن تخرج من الأرض وهو قد تعلم علوم طبقات الأرض !!»، ولكنه لم ييأس وأخذ يتسمع الأخبار ويتحين الفرص حتى صارت أزمة البترول فى مصر من جراء الحرب العالمية الأولى مما دفع الحكومة المصرية إلى إنشاء «مكتب البترول» بوزارة المالية للبحث عن البترول واشتدت الحاجة إلى الجيولوجيين فنقل حسن صادق أمينا للمتحف الجيولوجى الذى كان جزءاً من «المساحة الجيولوجية»، ثم أصبح كبيراً للمفتشين حتى سنة ١٩٢٨م، وكان قد حصل على درجة دكتوراه الفلسفة فى الجيولوجيا من جامعة لندن عام ١٩٢٣م، وقامت المؤسسة المصرية العامة للمساحة الجيولوجية والمشروعات التعدينية بنشر رسالته للدكتوراه عام ١٩٥٦م. كذلك شغل د. حسن صادق كرسى الأستاذية للجيولوجيا والتعدين بكلية الهندسة جامعة القاهرة.

من ناحية أخرى عمل الدكتور حسن صادق وزيرا للمالية سنة ١٩٤١م، ثم وزيراً للحربية سنة ١٩٤٢م، وتحول نشاطه من المجال الحكومى إلى مجال الخدمة العامة الأهلية، فكان رئيسا للجنة المالية بمجلس الشيوخ، وعضوا بمجلس إدارة البنك الأهلى، وعضوا منتدبا لمجلس إدارة شركة مصر للطيران، وعضوا مؤسسا ورئيسا لمجلس إدارة شركة المعادن الأهلية، وعضوا بمجلس إدارة شركة أسمنت بورتلاند بطره، وشركة أبوزعبل للأسمدة، ومستشاراً فنيا لشركة آبار الزيوت المصرية الإنجليزية. وقد توفى ـ رحمه الله ـ فى ٢٥ مايو سنة ١٩٤٩م.

ويوضح هذا العرض السريع لحياة الدكتور حسن صادق أنه الجيولوجى المصرى الأول الذى أظهر تفوقا وتميزاً فى كل الميادين التى عمل بها.

أهم مآثره وانجازاته العلمية

أسهم الدكتور صادق فى أغلب فروع علم الجيولوجيا والعلوم المتصلة به من ناحيتيها البحتة والتطبيقية، وهى: الخرائط الجيولوجية- علم الجيولوجيا التركيبية- علم الطبقات (الاستراتيجرافيا)- علم دراسة التضاريس (الطبوغرافيا)- علم شكل الأرض أو أصول التضاريس (الجيومورفولجيا)- علم الجغرافيا- جيولوجيا البترول- جيولوجيا المعادن- تدريس علم الجيولوجيا.

ويمكن إيجاز أهم المآثر والإنجازات العلمية للدكتور حسن صادق فيما يلى:

١- كانت أكثر فترات حياة الدكتور حسن صادق الوظيفية عطاءً هى تلك التى عمل خلالها كأحد مجموعة الرواد التى صدر بأسمائهم سلسلة من اثنى عشر جزءاً بعنوان: «نشرة بحوث البترول»، وقد غطت مناطق كثيرة فى الصحراء الشرقية وسيناء، مثل مناطق «أبودربة» وغرب سيناء، وجبل تزازات، وجبل تانكة، والقصير ـ سفاجا، وأبوشعر القبلى، وجنوب جبل الزيت، ورأس ديب، وشمال سيناء، والمنطقة بين جبل عتاقة وجبل الجلالة البحرية.

٢- تمتاز بحوث الدكتور صادق عامة بعناية فائقة بجغرافية المناطق التى درسها؛ فقد اهتم بمواقع البلدان وتصحيح الأسماء الشائعة للأماكن المختلفة، كما درس الرياح السائدة فى مختلف المناطق ومتوسط سقوط الأمطار ومواسم سقوطها، واعتنى بدراسة أنواع الحياة من نبات وحيوان، ودراسة الطرق وأنواعها ومواقعها، ووصف وسيلة المواصلات الملائمة. واهتم بوجه خاص بسكان المناطق ونظم معيشتهم وعاداتهم وحرفهم وتنقلات قبائلهم.

٣- كان رسم الخرائط الجيولوجية هو أبرز نواحي إنتاج الدكتور صادق العلمي، ولازالت الخرائط التي قام برسمها منفرداً أو مع زملائه تعتبر من أدق المراجع الجيولوجية لتلك المناطق. وقد اهتم بمناطق خليج السويس وسيناء، حيث تركز فيها اهتمام الحكومة المصرية بالبحث عن البترول في ذلك الوقت. وكان مجموع المساحة التي قام بنشر خرائط جيولوجية لها أكثر من عشرة آلاف كيلومتر مربع، بجانب آلاف الكيلومترات المربعة الأخرى التي رسمها ولم تنشر. وإذا علمنا أن الباحث العادي يدرس في المتوسط مساحة تتراوح مابين ٥٠ و ٥٠٠ كيلومتر مربع للحصول على درجة دكتوراه الفلسفة لاستطعنا أن نقدر جهود الدكتور صادق حق قدرها، خاصة وأن كل خرائطه قام برسمها في المدة القصيرة بين ١٩١٨ و١٩٢٥م تحت ظروف قاسية تختلف اختلافاً كبيراً عن ظروفنا الحالية. فقد كانت تستعمل الجمال في كثير من التنقلات.

٤- شملت المناطق التي بحثها الدكتور صادق منفرداً أو مع زملائه كل العصور الجيولوجية الممثلة في مصر فيما عدا العصر الكربوني، وتمتاز هذه الدراسات الطبقية بدقة الملاحظة في الحقل والاهتمام بدراسة الحفريات وتقدير عمق الطبقات بناءً على هذه الدراسات. ولايزال الباحثون يستعملون الكثير من هذه التقاسيم الطبقية لسهولة ربطها بالعصور الجيولوجية المختلفة ولسلامة المنهج المتبع في اختيار الحدود الجيولوجية الفاصلة في الخرائط على أن تكون حدوداً فاصلة بين الوحدات الصخرية بصرف النظر عن عمرها الجيولوجي. ولازالت هذه التقاسيم هي المستعملة في صخور حوض خليج السويس. ويعزى إلى الدكتور صادق فضل السبق إلى كشف الكثير من المستحدثات في علم الطبقات، وتعتبر بحوثه في هذا المجال من أهم المراجع الأساسية لكل من يدرس الصخور في «استراتجرافية» مصر.

٥- توصل الدكتور صادق منفرداً أو بالاشتراك مع زملائه إلى نتائج مهمة في مجال التراكيب الجيولوجية وتحليلها، وقد اهتمت بعثة البترول الحكومية بهذه النتائج لما لها من علاقة مباشرة بتجمعات البترول واحتمالات وجوده من ناحية، وبطبيعة جيولوجيا المناطق التي درست في سيناء وخليج السويس والبحر الأحمر من ناحية أخرى. وكان لهذه النتائج فضل كبير في رسم السياسة المتبعة حديثا للبحث عن البترول.

وقد أشاد أهل الاختصاص بآراء الدكتور صادق وزملائه في التاريخ الجيولوجي لمصر، وهي آراء تعتمد بدرجة كبيرة على مشاهداتهم الشخصية.

٦- اهتم الدكتور صادق وزملاؤه بتضاريس المناطق التي درسوها، وأبدعوا في وصف الجبال والهضاب والأودية والسواحل، وقسموها إلى أنواعها المختلفة. ولم يكتفوا بوصف مشاهداتهم، بل بحثوا الأسباب الجيولوجية المختلفة التي نتجت عنها هذه الظواهر الطبيعية من تركيب وترسيب وتعرية. وبهذا يكون الدكتور صادق في مقدمة علماء العلم المؤسسين لعلم أصول التضاريس الذي تبلور بعد ذلك كعلم مستقل من علوم الجيولوجيا المعاصرة.

٧- أسهم الدكتور صادق ببحوث عن ثروة مصر المعدنية وأثرها في النهضة الصناعية، وكان لهذا أثره في لفت الأنظار إلى أهمية الثروات المعدنية ودورها في تنمية الاقتصاد المصري.

٨- ينسب للدكتور حسن صادق الفضل في تأليف الكتاب العربي الأول في علم الجيولوجيا ليدرس في المدارس الثانوية، ولايزال هذا الكتاب من أفضل المؤلفات الشاملة لفروع علم الجيولوجيا بالعربية. ولم يقتصر صادق في كتابه على النقل والتعريب من المراجع الأجنبية، بل جعله كتابا مصريا في لغته وموضوعه، فقد استعمل المظاهر الجيولوجية المصرية كلما كان ذلك ممكنا، وقد صادفته صعاب كبيرة عندما تصدى لتعريب المصطلحات العلمية، ولم تكن توجد هيئات مختصة بهذا العمل في ذلك الوقت، فاضطلع وحده بهذا المجهود وأبدع فيه، وعرّب كثيرا من المصطلحات العلمية تعريبا موضوعيا دقيقا.

هذا وقد شارك الدكتور حسن صادق في الهيئات العلمية المهتمة بنواحي تخصصه، فكان عضوا بالمجمع العلمي المصري والأكاديمية المصرية للعلوم والجمعية الجغرافية المصرية والمجمع المصري للثقافة العلمية والاتحاد المصري لصناعة التعدين والبترول والجمعية الجيولوجية بلندن.

وقد امتد تكريمه إلى الخارج، بعد أن كوفىء بتقدير الدولة ومنح أعلى النياشين، فمنحته الجمعية الجغرافية الملكية بلندن ميداليتها الذهبية تقديراً لبحوثه الجغرافية المتميزة.

* **المراجع:**

١- محمد عبدالمنعم غراب، مجلة «رسالة العلم»، ديسمبر ١٩٥٨م.
٢- تاريخ الحركة العلمية في مصر الحديثة،

﴿ فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

● اطلعنا على الفاكس الوارد إلينا من دار أخبار اليوم - المقيد برقم ١٦٥١ لسنة ٢٠٠٢ المتضمن: ما رأى الدين فيما يسمى «بالقتل الرحيم» أو الموت رحمة وهل يمكن عمل ذلك فى حالات بعينها مثل المرض الشديد الذى لا شفاء منه مثل موت جذع المخ والأمراض السرطانية الشديدة.. وهل يجوز فى حالة المريض المتوفى إكلينيكيا مثلا إزالة الأنابيب وأجهزة التنفس وما إلى ذلك؟

.. وأحيط سيادتكم علما.. بأن أحد المرضى فى فرنسا كان قد أصيب فى حادث، نتج عنه اصابته بشكل كامل فى كافة أجزاء جسده عدا إصبع واحد فى يده بالاضافة إلى فقد بصره.. فأرسل هذا الشخص إلى الرئيس الفرنسى يطلب منه أن يقتله الأطباء لأن فى هذا رحمة له ولأسرته فرفض الأطباء قتله.. لأن الدستور الفرنسى لا ينص على ذلك.. وهذا هو الذى دعا الجريدة إلى التفكير فى هذا الموضوع.

●● الجـواب:

أولا: من المقرر شرعا أنه يحرم الإقدام على إزهاق روح إنسان معصوم الدم وبه حياة مستقرة أو غير مستقرة، حتى ولو كانت بعض الظواهر الطبية أو غيرها تشير إلى عدم استمرارها أو كان ميئوسا من بقائها لأن أمر الروح والحياة بيد الله تعالى عطاء، وأخذا ولا يجوز لطبيب ولا لغيره مصادرتها بحال من الأحوال حتى ولو كان بقصد الرحمة أو إنهاء الآلام.

ثانيا: أما بالنسبة لما ورد بالسؤال من إزالة الأنابيب وأجهزة التنفس فى حالة المريض المتوفى إكلينيكيا فإنه يجوز ازالتها ولكن بترك المتوفى حتى تتوقف مظاهر الحياة بجميع علاماتها ولا يجوز أن يؤخذ منه أى عضو قبل التأكد من توقف الحياة تماما فى كل أجزاء الجسم.

والله سبحانه وتعالى أعلم

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
أحمد الطيب
مفتى جمهورية مصر العربية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

● اطلعنا على الطلب المقدم من/ أحمد محمد محمد رضوان - المقيد برقم ٨٢٩ لسنة ٢٠٠٣م المتضمن:- ما حكم قراءة القرآن وإهداء ثوابها لروح الميت؟ هل يصل ثوابها للميت أم لا؟

●● الجـواب:

إن قراءة القرآن أفضل العبادات التى يتقرب بها المسلم إلى ربه ولا فرق بين أن تكون القراءة سرا أو جهرا فى المسجد أو فى غيره من الأماكن الطاهرة التى تليق بذكر الله تعالى.

وقراءة القرآن على الإنسان بعد وفاته سواء كان ذلك فى المسجد بعد صلاة الجنازة أو قبلها أو فى البيت أو عند القبر «جائزة شرعا».

وهى بفضل الله تهون على الميت فى قبره كما أخبرنا بذلك رسول الله ﷺ فقال: (ما من ميت يقرأ عليه سورة «يس» إلا تهون عليه) وما رواه الثعلبى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (من دخل المقابر فقرأ «يس» خفف الله عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها حسنات) إلا أنه ينبغى عند تلاوة القرآن التأدب بآداب التلاوة وعدم الإخلال بالحروف امتثالا لأمر الله تعالى فى قوله:

﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ (المزمل ٤)

وبناء على ماسبق وفى واقعة السؤال:-

فإن قراءة القرآن للإنسان بعد وفاته جائزة شرعا عند القبر أو بعيدا عنه فى المسجد أو فى البيت ويجوز شرعا إهداء ثواب قراءتها للميت ويصل ثوابها إليه وتهون عليه بفضل الله تعالى.

ومما سبق يعلم الجواب

والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم

همسات فى آذان مصلى الجمعة

للأستاذ
مجدى عبد الحميد بشير

يوم الجمعة يوم مشهود، وهو خير يوم طلعت عليه الشمس، فيه خُلق آدم، وفيه أُدخل الجنة وأُخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا يوم جمعة، وفيه ساعة إجابة لا يصادفها عبد قائم يصلى ويدعو الله إلا استجاب الله له، ولأجل هذه الفضائل التى زخر بها يوم الجمعة نبه أهل العلم والتقى إلى أمور يحدر بالمسلم اتباعها حتى يكون أهلاً لعطاء الله الجزيل وثوابه العظيم، فيسعد الإنسان دنيا وآخرة بدأبه وإتقان عمله وتوفيق الله له وإنجاح مسعاه، ومن هذه الأمور ما يلى:

١- المحافظة على الصلوات والمراقبة على صلاة الجمعة وعدم تركها. ففى صحيح مسلم عن عبدالله بن عمر، وأبى هريرة -رضى الله عنهما- أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول على أعواد منبره: «لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين» وعند الترمذى وحسنه عن أبى الجعد الضمرى أن رسول الله ﷺ قال: «من ترك ثلاث جمع متهاونا بها طبع الله على قلبه» وفى رواية لابن خزيمة: «من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر فهو منافق». وعن أبى يعلا بسند صحيح عن ابن عباس -رضى الله عنهما- قال: «من ترك الجمعة ثلاث جمع متواليات، فقد نبذ الإسلام وراء ظهره». فما أشد تلك الزواجر وأخطرها لو وُعيَتْ.

٢- التبكير إلى الجمعة: ففى الصحيحين لأبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من اغتسل يوم الجمعة غُسل الجنابة، ثم راح فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ومن راح فى الساعة الثانية، فكأنما قرب بقرة، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام جلست الملائكة يستمعون الذكر».

٣- الاغتسال والتسوك والتطيب: ففى الصحيحين لأبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ قال: «غُسل يوم الجمعة واجب على كل مُحتلم وسواك، وعين من الطيب ما قدر عليه».. واقرأ بعين بصيرتك، وانظر إلى جوائز يتفضل بها البارى فى ذلك العيد الأسبوعى للموحدين. ففى صحيح البخارى يقول النبى ﷺ: «لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طُهْر ويدّهن من دهنه، أو يمس من طيب بيته، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلى ما كُتب له ثم ينصت إذا تكلم الإمام، إلا غُفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى».

٤- إحرص على قراءة سورة الكهف يوم الجمعة، فقد روى الحاكم والبيهقى عن أبى سعيد الخُدْرىّ أن النبى ﷺ قال: «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين».. وفى رواية أخرى: «إلا أضاء له من تحت قدميه إلى عنان السماء».

٥- داوم على الصلاة والسلام على النبى ﷺ فى الليلة الزهراء واليوم الأزهر، يوم الجمعة. فقد روى أحمد وأبو داوود عن أوس بن أوس أن النبى ﷺ قال: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فأكثروا علىّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علىّ. فقالوا: يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟. فقال: إن الله حرم على الأرض أجساد الأنبياء».. فاللهم عطر بالصلاة عليه دنيانا.

وفى رياض الصالحين لأبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «ما من أحد يسلم علىّ إلا رد الله علىّ روحى حتى أرد عليه السلام».

٦- اعلم أن للجمعة سُنّة بَعْدِيّة، ففى صحيح مسلم أن النبى ﷺ قال: «إذا صلى أحدكم يوم الجمعة، فليُصل بعدها أربعاً»، فلا يفتك ذلك الخير.

٧- تحر أن تكون فى الصف الأول، ففى الصحيحين لأبى هريرة: لو يعلم الناس ما فى النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا»، أى أجروا القرعة بينهم.

٨- التزم الصمت التام أثناء خطبة الجمعة، ففى الصحيحين يقول ﷺ: «إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والإمام يخطب، فقد لغوت»، بل قد يصبح الأمر أشد خطراً إن تخطى الرقاب أو مس الحصى أو تكلم، إذ يقل الأجر من أجر جمعة إلى أجر ظهر لا غير.. والفرق كبير. فقد روى ابن خزيمة عن ابن عمرو أن النبى ﷺ قال: «من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب امرأته إن كان لها، ولبس من صالح ثيابه، ثم لم يتخط رقاب الناس، ثم لم يلغُ عند الموعظة كان كفارة لما بينهما. ومن لغا وتخطى رقاب الناس كانت له ظُهراً».

٩- تحلَّ بالعفة ونظافة اليد، فلا تتسول ولا تجمع صدقات أثناء الخطبة مُطْلقاً، فذلك من أعمال اللغو والتشويش التى تصرف الانتباه عن الجمعة.

١٠- يستحب لك ويندب أن تسر بالصلاة على النبى ﷺ وبالدعاء فى أثناء الخطبة، ولا تجهر، فالكلام أثناء الخطبة ممنوع.

١١- حاذر أن تسلك أو تصافح أحداً أو ترد سلاماً أو تشمت عاطساً أثناء خطبة الجمعة. روى أبو يعلا بسند صحيح عن جابر بن عبدالله قال: «دخل ابن مسعود المسجد والنبى ﷺ يخطب فجلس إلى جنب أُبَىّ ابن كعب فسأله عن شىء أو حكّمه بشىء، وفى رواية فذكر النبى ﷺ آية فقال له: متى نزلت هذه الآية؟. فلم يرد عليه، فسكت ابن مسعود وظن أنها موجدة فلما انفتل النبى ﷺ من صلاته قال ابن مسعود: يا أُبىّ ما منعك أن ترد علىّ؟. فقال أبى: إنك لم تحضر معنا الجمعة. قال: لم؟ فقال: لأنك تكلمت والنبى ﷺ يخطب. فقام ابن مسعود من فوره ودخل على النبى ﷺ فذكر له ما قال أُبىّ. فقال ﷺ «مرتين»: «صدق أُبىّ. أطع أُبيّاً».

.. وبعد.. فتلك إضاءات لينا نقتدى فيها بسُنّة رسولنا الكريم ﷺ حتى نكون ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.. أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب. فاللهم اجعلنا من المفلحين المتقين.

مصر الحبيبة

للأستاذ/ حسين فارسى - «الجزائر»

اللهُ أكبر فى ألطافه الخبر ... ومصر حسنى على الأعداء تنتصرُ
دعنى أناجى من الأعماق فى شمم ... شعباً يلبى النداء إن أحدق الخطرُ
يحمى حمانا من الأنذال فى شرف ... وفى إباءٍ فلا يبقى ولا يذرُ
أعظِم بشعبٍ وسل تاريخ ملحمة ... قد خاضها بإباءٍ وهو يفتخرُ
وراح يحمى تخوم العرب فى جلد ... وفى فخارٍ فلا خوف ولا ضررُ
فيه الأشاوس أهل العلم يقدمهم ... وليس بدعاً بما قد جاءنا الخبرُ
فيا مُبَارَكُ هذى مصر خلفكمُ ... بشعبها والأُلى يسمو بهم قدرُ
كفاكِ يا مصر فيض النيل ثروته ... فضلُ الإله إليكِ ساقه القدرُ
وفيك معلمة ترنو العيون لها ... منها العلوم وروح الشرع تنتشرُ
وفيك هندسة الأهرام شاهدة ... توحى بعمق حضارات لها صورُ
وأنت مهد ثقافات توارثها ... أجيال أمتنا كالضوء تنتشرُ
وحفك اللطف بالرحمن فى مدد ... فلا تخافى لهم بأساً ولو كثروا
سَيُهْزَمُون بأيدى المخلصين وإن ... طال الزمان فلا عفو ولا عُذرُ
ومن جزائرِ أبطال الوغى لكمُ ... تهدى التحايا بأنغامٍ لها وترُ
وبالوفاء نرى الميثاق يجمعنا ... مدى الحياة وكم يسمو بنا القدرُ
هذا حنينى لمصرَ عاشقٌ ولعٌ ... يهيم فى حبها ولهان يفتخرُ

بين الصحف و المجلات

إعداد الأستاذ
محمود الفشنى

المواجهة

ليتنا مثلهم هذه هى المواجهة الحقيقية التى قدمتها إذاعة «بى.بى.سى» فقد قدمت للدنيا النموذج الحقيقى فى كيفية كشف الحقائق ورفض كل أنواع الضغط حتى ولو كانت من رئيس الوزراء نفسه.

وهذه المواجهة قدمها عبدالوهاب عدس فى جريدة الجمهورية فى عددها الصادر فى ١٧/٧/٢٠٠٣ قال فيها: صمدت «بى.بى.سى» فى مواجهة الزيف والخداع والكذب والتلفيق تعاملت بكل مصداقية، ورفضت الإفصاح عن مصدرها وكشف أكبر جريمة ارتكبت فى حق البشرية قضت على دولة وشعب حر، كانت هذه الاتهامات تتلخص فى أن الحكومة البريطانية قامت بالمبالغة فى الملف الذى قدمته بتصوير حجم الخطر الذى كان النظام العراقى السابق يمثله.

مقابل ذلك شن تونى بلير رئيس الوزراء البريطانى هجوماً عنيفاً على هيئة الإذاعة البريطانية «بى.بى.سى» التى تعتبر من أعرق المؤسسات الإعلامية فى العالم.

كما فاجأت «بى.بى.سى» الجميع بإنتاج فيلم وثائقى يحمل عنوان السلاح السرى الإسرائيلى حول البرنامج النووى الإسرائيلى كشف حقيقة الترسانة النووية الضخمة التى تملكها إسرائيل والتى تكفى لتدمير الشرق الأوسط كله عدة مرات، وفى الوقت الذى تجاهلت فيه المنظمات الدولية هذه الترسانة. على عكس الأسلوب الذى تعاملت به مع ملف أسلحة العراق الذى لم يتأكد حتى اليوم من وجود أية أسلحة نووية به.

الخلافة الإسلامية هل هى حلقة النجاة؟
من بغى المتربصين بنا من الطغاة

تحدث حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية الأسبق فى جريدة الأسبوع فى عددها الصادر فى

٢١ / ٧ / ٢٠٠٣ عن الخلافة الإسلامية فقال:

الدعوة للخلافة الإسلامية تعبير عن أمل قد يبدو فى ظل الواقع الذى نعيشه الآن بعيد المنال لما عليه العالم الإسلامى من تفكك وضياع وتشرذم ولكن بدافع العزة الإسلامية وبحق الدفاع عن النفس ولتوفير الأمن والأمان للعالم الإسلامى الذى يشمل مليارا ونصف المليار من البشر يستحقون وهم أصحاب الحضارة وأصحاب الرسالة الإسلامية أن تكون لهم الإرادة الحرة والكلمة المسموعة لتحريك هذا الأمل وتحقيقه ولن يتحقق ذلك إلا بالإيمان والنضال والجهاد إلى أن يأذن الله بالتمكين لمن يرتضيه ليرى على يديه النصر.

أمريكا تسىء إلى الإسلام باسم الحرية

مواقع إنترنت متطرفة تهاجم العرب والمسلمين

أعلنت الحركة الفرنسية «ضد العنصرية» ومن أجل الصداقة بين الشعوب عن نتائج تحقيقها الذى استمر منذ عامين حول تنامى العداء للعرب والمسلمين على مواقع الشبكة الإلكترونية الإنترنت.

تقرير أعدته نرمين حسن فى جريدة الوفد فى عددها الصادر فى ١٩ / ٧ / ٢٠٠٣ عن صحيفة «لوفيجارو» وكانت بداية هذا التقرير سنة ٢٠٠٢ حيث بث موقع على الإنترنت صورة لجاك شيراك يصافح شيخا عربيا وفى نفس الوقت نجد مئات الموضوعات فى صفحتى الأخبار والآراء تطالب باستبعاد شيراك من رئاسة فرنسا.

وأكد التقرير أن هذه الحملة الشرسة على المسلمين بدافع الكراهية بسبب الاعتقاد فى غزو إسلامى لفرنسا ودول العالم.

أبرز المواقع المعادية للإسلام

Sos - racaille. Org أنشىء للهجوم على المسلمين ومناهضى العنصرية، ويتيح النقاء مجموعات المتطرفين المسيحيين واليهود.

Oumma. Org يتولى الهجوم على الإسلام والمسلمين خاصة المسلمين الفرنسيين وموقعهم Oumma. com.

Mrav. org أنشىء للهجوم على المسلمين والعرب وخاصة الحركة الفرنسية لمناهضة العنصرية.

france - france - info. org info. org يتضمنان مواد ضد العرب والمسلمين وأقامت مجموعة راديو فرنسا دعوة قضائية ضد الموقعين، وتم تحويل زوارهما إلى الموقع الرسمى لإذاعة فرنسا أنفو.

المواقع الإسرائيلية

Aipj- net يهاجم الموقع عرب ومسلمى منطقة الشرق الأوسط، يتولون إعادة صياغة الأخبار الصادرة عن وكالة أنباء الشرق الأوسط.

Amisraelhai . org لاحق القضاء المسئولين عن هذا الموقع وأوصت المحكمة بتكليف أشخاص ينتمون إلى الداعين لسلام عادل وشامل فى الشرق الأوسط لتولى مسئولية الموقع.

Radikalweb. com موقع للنازية الجديدة يعتنق مبدأ السامية العنصرية.

Gendarmes - en - colere. org يعمل المسئولون عنه على تجميع الجنود فى معركة ضد العرب والمسلمين.

Annee - algerrie. org ويهاجم تحرير الجزائر ويمتدح فكرة الجزائر الفرنسية، مهاجما العرب والمسلمين.

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم
عادل رفاعى خفاجة

لك الله يا مجلة الأزهر


أ/ عبداللطيف فايد

أ- منذ عدة أيام نشرت (جريدة الجمهورية) مقالاً للأستاذ عبداللطيف فايد تحت عنوان: (الصورة الإعلامية وتجديد الخطاب الدينى) مفاده أن مجلة الأزهر ومجلة منبر الإسلام وجريدة صوت الأزهر لاتساير المفاهيم الحديثة للصحافة.

حينئذ وجدتنى أتساءل: تُرى ماذا يريد الأستاذ/ عبداللطيف فايد؟! هل يريد مثل تلك العناوين الضخمة التى تشد القارىء شداً فإذا ماراح يفتش وراء أحد هذه العناوين لم يجده شيئاً؟! إن كثيراً من المواد الصحفية تعتمد على أسلوب الإثارة على حساب الحقيقة، فهل يمكن للأزهر أن يستخدم مثل هذه الأساليب لجذب القارىء؟

ولم تمر غير أيام معدودة حتى وردت إلينا رسالة القارىء السعيد على محمود -رمل الاسكندرية- حول نفس الموضوع، فآثرت عرضها على السيد صاحب الفضيلة رئيس التحرير، وفيما يلى نقدم نص الرسالة والرد عليها.

الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد

فلعلكم قرأتم ما كتبه الأستاذ/ عبداللطيف فايد بجريدة «الجمهورية» خاصا بمجلة الأزهر، حيث ادعى أنها لاتبحث قضايا الساعة الراهنة، وأنها مجرد كتاب علمى لايهتم بشئون المجتمع المعاصر، وأن القائم عليها قد يكون استاذاً فى جامعة، ولكنه بعيد عن الجو الصحافى.. إلى آخر ما قال.

وأنا أرى أن ذلك كله خلافاً للواقع، ولعلكم تردون على هذا الخطأ الصريح، وتقبلوا تحياتي واحترامي.

السعيد على محمود– رمل الاسكندرية

● أخي الأستاذ/ السعيد على محمود.. أشكر لك اهتمامك بمجلة الأزهر ودفاعك عنها، وقبل كل شيء أؤكد أني أرحب بالنقد الهادف ولا أضيق به، والأستاذ عبداللطيف فايد كاتب إسلامي نابه، وإخلاصه للحق لاشبهة فيه، ونحن جميعاً في خندق واحد، وفي جبهة شريفة هي جبهة الدفاع عن الإسلام، فإذا كتب مالايتفق مع الواقع، فقد يكون متأثراً بفكرة قديمة عن المجلة، فكرة مبالغ فيها تماماً، دون أن يراجع أعداد المجلة في تطورها الأخير.

وكي أصل إلى الحق من أقرب طريق أدعوه أن يراجع العدد الأخير من المجلة (جمادى الأولى ١٤٢٤هـ) فهو مثال لما سبقه، ولن أستطيع أن أستشهد بالماضي فيتسع القول، وسيرى بوضوح أن المجلة تعيش في الحاضر الراهن، مصوِّرة آلام المسلمين وآمالهم، محذرة من التخاذل، ورافضة الطغيان الأمريكي والبغي الإسرائيلي في مقالات عاقلة متزنة، تقدم البرهان، وتعصف بالأباطيل؛ فمن المقالات التي طلع بها العدد الأخير ما يلي:

(١) منهج الإصلاح في مواجهة التحديات. للدكتور أحمد عمر هاشم.

(٢) منهج الحوار بين الأخيار. للدكتور عبدالحليم عويس.

(٣) نشأة الصراع بين الشرق والغرب وتطوره. للدكتور عبدالعظيم المطعني.

(٤) الثقة القوية أولى خطوات النجاح. للدكتور حمدي فتوح والي.

(٥) التهديد الإسلامي خرافة أم حقيقة (مناقشة كتاب) للدكتور إبراهيم عوضين.

(٦) ماذا بعد العراق. للأستاذ صديق بكر عيطة.

(٧) جولة بالزي العسكري (إسرائيل) للأستاذ صلاح عبدالرحيم.

(٨) أبداً لن يضيع العراق. للأستاذ أحمد السيد تقي الدين.

(٩) العراق تحت الانتداب الأمريكي. للدكتور محمد حسن عبدالخالق.

(١٠) بين الصحف والمجلات. للأستاذ محمود القشني.

(١١) أنباء العالم الإسلامي. للأستاذ محمد الشرقاوي.

وهذا كله خاص بالوضع الراهن في العالم الإسلامي، وقد جاء في عدد واحد مع المقالات الاجتماعية والدينية والتاريخية التي جاوزت جميعها ثلاثين مقالاً!

فهل يرى الأستاذ عبداللطيف فايد أن المجلة بعيدة عن مشكلات العصر بعد هذا البيان الوجيز؟

(محمد رجب البيومي)

كان هذا رد فضيلة الأستاذ الدكتور رئيس التحرير على رسالة القارئ، وإذا كان الشيء بالشيء يذكر كما يقولون، فإني أذكر هنا أيضا:

ب– أن مجلة الأدب الإسلامي التي تصدرها رابطة الأدب الإسلامي العالمية نشرت مقالاً بعنوان: «هدم اللغة العربية الفصحى» للدكتور نعمان عبدالرزاق السامرائي، والمقال بحق جيدٌ في

موضوعه، غير أن كاتبه أورد في بدايته «... أما المستشرق وليم ويلكوكس الذي كان مهندساً للري في القاهرة فكان الأكثر حماساً لذلك[1] ومن نكد الدنيا أن هذا المستشرق الحاقد كان يتولى تحرير مجلة الأزهر عام ١٨٨٣هـ»[2].

ولست أدري كيف يخفى الدكتور نعمان السامرائي نفسه من البحث ليلم بقصة مجلة الأزهر التي أشار إليها – لاسيما وقد كتبت مجلة الأزهر تحقيقاً في هذا الموضوع – بدل أن يلقي القول هكذا على عواهنه؟!

ولو أراد الحقيقة فعليه أن يطالع هذا الموضوع ويعود إليه في مراجعه من مجلة الأزهر عددي شعبان وشوال من عام ١٤٠٤هـ. إذن لعرف أن الأزهر أرفع من أن يعطي ويلكوكس أو أمثاله شرف رئاسة تحرير مجلة الأزهر.

وأسأل الأستاذ السامرائي:

لو أراد بقال... أو خياط... أو غيرهما من أصحاب الحرف أن يجعل لافتة محله بهذا العنوان (بقالة الأزهر) أو (خياط الأزهر) هل من قانون يمنعه.. أو سلطة بيد الأزهر ترده؟!

أستاذ سامرائي

وددنا – والله – أنك لم تجار بعض الكتاب ببلد عربي عزيز على كل مسلم ممن أوقدوا الفتنة حول هذه التسمية– مما دفع فضيلة الأستاذ الدكتور رئيس التحرير وقتئذ أن يبسط أمرها كله ليضع الحق في نصابه، وذلك بافتتاحية عدد شعبان ١٤٠٤هـ مايو ١٩٨٤م إلى جانب دراسة وافية لهذا الموضوع بقلم الأستاذ/ عاطف زهران في نفس العدد استغرقت ست صفحات أتبعها بدراسة أخرى حول نفس الموضوع استغرقت صفحات عشر في عدد شوال من نفس العام ليجلو الحقيقة كاملة ويكفينا أن نقدم قوله:

«صدرت بمصر جريدتان (مجلتان) تحمل كل منهما اسم الأزهر لم تكن لمشيخة الأزهر علاقة ما بأي منهما، وصدرت كلتاهما حين كان من الممكن أن تسمى أية صحيفة أو مجلة بما شئت من أسماء ولو كان للاسم طابعاً قومياً خاصاً»[3].

«أصدر ويلكوكس مع أحمد الأزهري ما أسمياه مجلة الأزهر من يناير ١٨٩٣م حتى نهاية العام نفسه»[4].

وبعد عشر سنوات من هذا التوضيح يكتب الأستاذ السامرائي أن من نكد الدنيا أن يتولى ويلكوكس تحرير مجلة الأزهر!!

وأخيراً يكتب الأستاذ عبداللطيف فايد أن مجلة الأزهر بعيدة عن العمل الصحافي!!

أليس من حقنا أن نقول: لك الله يا مجلة الأزهر؟!

ع. خ

وإلى رسائل القراء

---

(١) أي: دعم العامية المصرية وبالتالي هدم الفصحى.

(٢) راجع مجلة الأدب الإسلامي المجلد الأول – العدد الرابع – نوفمبر ١٩٩٤م.

(٣) راجع مجلة الأزهر/ الجزء الثامن ص١٢٧٥ من السنة السادسة والخمسين/ شعبان ١٤٠٤هـ.

(٤) راجع مجلة الأزهر/ الجزء العاشر ص١٧١٨ السنة السادسة والخمسين/ شوال ١٤٠٤هـ.

حزب الشيطان!!

أولى رسائل هذا العدد من الأستاذ الدكتور فوزى يوسف الهابط.. الأستاذ بكلية اللغة العربية بالمنوفية وقد ساءه حملة إحدى المجلات على الحجاب حيث يقول:

دأبت مجلة قومية أسبوعية، فى أعدادها الأخيرة، على مهاجمة كل ما هو إسلامى، برغم ما يحملون من أسماء تدل على هويتهم الإسلامية! فتعجبت من ذلك الأمر، واندهشت من تكرار حدوثه

واشتد العجب، حين رأيت هذه المجلة ـ فى عدد من أعدادها الأخيرة ـ تستكتب أستاذة جامعية، لكى تهاجم فتيات الجامعة المحجبات، وتتهمهن بأنهن صنائع تنظيمات سرية منحرفة، تخصصت فى جذب الفتيات الجامعيات إلى ارتداء الحجاب، بعد عمليات لغسيل أمخاخهن!! وتستشهد على ذلك بأن نسبة المحجبات فى سنوات الجامعة الأولى، لا تتجاوز ٢٠٪، ثم ما يلبث عددهن أن يزيد، حتى يصل إلى ٨٠٪ فى السنوات الجامعية الأخيرة، وهذا ما جعل قلب الأستاذة الجامعية ينفطر حزنا على حال الفتيات المحجبات!!

ومن العجب العجاب: أن هذه الأستاذة (المبجلة) تتهم الجمعيات التى تهتم بهداية الفتيات المسلمات إلى الطريق الإسلامى الصحيح: تتهمها بأنها عميلة للموساد، والمخابرات المركزية الأمريكية!! كما أنها ـ الأستاذة ـ لا تستبعد بالمرة: أن التركيز على الحجاب والنقاب فى مصر، خلفه أيدٍ صهيونية!!

يا لله للمسلمين والمسلمات!! ألهذا الحد تستخف الأستاذة بعقول القراء، وتستعدى المسئولين فى الجامعة على الفتيات المحجبات؟!!

وهل يهتم الموساد، والمخابرات المركزية الأمريكية ـ والصهيونية معها ـ بإصلاح الفتيات المسلمات أم بإفسادهن؟!

وهل من مصلحتها أن تكون الفتيات المسلمات صاحبات هداية أم من صويحبات الغواية؟!! وأى النوعين أرجى لتحقيق مآرب هذه المنظمات العدوة للإسلام والمسلمين، والتى تسعى ـ بكل ما أوتيت من حيلة، ومكر وغواية ـ إلى إفساد الشباب المسلم، حتى يكون هشا، فارغا، خاويا، تافها، لا يُرجى منه خير، ولا شر يأتى من ناحيته؟!!

●●●

فيأيتها الأستاذة اتقى الله فى هذا الجيل الحائر، الذى فقد القدوة الحسنة، ومع ذلك: يحاول مصارعة التيارات الجارفة، التى تشده إلى الضياع، ومن ضمنها: تيارات هذه المجلة التى كتبت فيها ما كتبت ابتغاء وجه الشيطان!!

ولو ألقيت نظرة على ما جاء بعد مقالك ـ فى هذه المجلة ـ لوجدتها قد نشرت ـ تحت عنوان: قاهرة قلوب الرجال فى العالم صورة لفتاة عارية، لا يحجب عوراتها إلا ورق التوت، وذلك على ورق فاخر، مصقول، ملون، لتكون هذه الصورة فتنة لمن لا يفتتن، حتى يقبل الشباب على شراء المجلة!! وذلك أسلوب رخيص، لا ترضاه لنفسها صحيفة محترمة!!

والعجب أن المجلة كررت أوضاع هذه الصورة الفاتنة فى أكثر من مكان!!

ولم تكتف بذلك، بل زادت الفتنة اشتعالا بنشر صورة عارية أخرى تحت عنوان: من هى أجمل فتاة فى مصر؟

فماذا قصدت المجلة من هذا ـ فى رأيك ـ أيتها الأستاذة (المبجلة)؟!

هل قصدت هداية الشباب الضال؟ أم زيادة إضلاله؟! وهل أرادت ـ بهذه الصور العارية ـ زيادة وعيه الدينى، وتنويره الفكرى، حتى يقبل على عمله وعبادته بهمة ونشاط؟ أم أرادت تدميره روحيا، ودينيا، ومعنويا؟

●●●

والغريب أن أصحاب المجلة يقولون ـ فى دعاياتهم ـ: نحن نقول ما لا يقوله الآخرون! وصدقوا فى هذا، لكن من جانب الهدم وليس البناء!!

ولو أرادت الصهيونية أن تجذب شباب الإسلام إلى ما يردهم عن مبادئهم، ويصرفهم عن دينهم، الذى هو مصدر عزتهم، ومكمن قوتهم: ما فعلت أكثر مما فعلته هذه المجلة، التى جنّدت أقلام كُتّابها لمهاجمة المظاهر الإسلامية للشابات المسلمات، واستعداء المسئولين فى الجامعات عليهن.

ولم تكتف بذلك، بل سخرت محرريها لاختيار أفضح الصور العارية التى يندى لها جبين الفضيلة، لكى تنشرها بين طياتها!!

وأولئك حزب الشيطان، الذى يحاول أن ينشر الفساد بين ربوع الأمة الإسلامية!! ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون فى الدنيا والآخرة.. وصدق رسول رب العالمين حين قال: «من سن سنة حسنة: فله أجرها، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة: فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة».

●●●

وختاما أقول لهم ـ ولأمثالهم ـ إنهم مهما كثر خَبَثُهم فإنه كالزَّبَد الذى يذهب جُفاء، وأما ما ينفع الناس: فإنه يمكث فى الأرض، وأمامهم يوم قريب جداً يحاسبون فيه على ما صنعته أيديهم من إفك وإضلال، وهذا اليوم: لا ينفع فيه مال ولا بنون، ولا جاه، ولا سلطان، إلا من أتى الله بقلب سليم!

من سلفنا الصالح

الشيخ على الجرجاوى داعية الإسلام فى اليابان

● وكتب القارئ الفاضل الأديب فرج مجاهد عبدالوهاب - شربين - دقهلية - عضو اتحاد الكتّاب يقول:

هو الشيخ على أحمد على الجرجاوى المولود فى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر الميلادى فى مدينة جرجا تتلمذ على يد كثير من علماء الأزهر مثل المرحوم محمد بخيت المطيعى. ابتعد عن الأعمال الحكومية لتسلط الانجليز على مقدرات البلاد فعمل فى الصحافة الإسلامية وأصدر صحيفة «الإرشاد» كما عمل بالمحاماة أمام المحاكم الشرعية وذات يوم قرأ عن انعقاد مؤتمر دينى فى اليابان بأمر الأمبراطور للبحث عن أصول كل دين فكتب فى الجريدة حاضا على تأليف وفد من العلماء المصريين إذ أنهم أولى لوجود الأزهر بينهم وهو قلعة الإسلام الكبرى غير أن صوته ذهب أدراج الرياح فعقد العزم على السفر وحده وغادر الاسكندرية فى ٣٠ يونية سنة ١٩٠٦م على باخرة إيطالية، توقفت فى نابولى فتعرف على كثير من أهلها ووجد فيهم الكثير ممن يتمسكون بأوامر الإسلام، ثم عدل مسار رحلته وذهب عن طريق جدة ثم عدن ثم بومباى فى الهند ثم سنغافورة ثم بلاد الصين ومن هناك صحبه العالم المسلم السيد سليمان الصينى ثم وصلا إلى ميناء يوكوهاما اليابانى فصحبهم الحاج مخلص محمود وهو مسلم روسى إلى طوكيو وهناك صحبهم الشيخ السيد حسين عبدالمنعم ليكونوا جماعة نزلت فى بيت أحد التجار اليابانيين وهو «المسيو جازنيف» وكان أول الداخلين إلى الإسلام ثم قام بالترجمة لهم من الإنجليزية إلى اليابانية فى الجلسات التى تمت فى منزله فى مواعيد محددة وبلغ عدد الجلسات نحو ثمانى عشرة جلسة اعتنق الإسلام خلالها نحو الاثنى عشر ألف رجل حدثهم الشيخ الجرجاوى عن محاور هامة فى الإسلام والقرآن وإعجازه، ووحدانية الله، والنبى محمد ﷺ ورسالته. وساعد الشيخ الجرجاوى فى مهمته الفطرة السليمة لأهل اليابان لكل ما يوافق العقل، ثم عاد إلى مصر بعد أن ظل فى اليابان نحو اثنين وثلاثين يوما.

حرر الشيخ على الجرجاوى العديد من المؤلفات التى تدور كلها حول الدعوة إلى الإسلام والدفاع عنه منها: ١- كتاب الرحلة اليابانية التى سجل فيه وقائع الرحلة كاملة.

٢- كتاب الإسلام ومستر سكوت وفيه الرد على مفتريات التى كتبها ضد الإسلام.

٣- حكمة التشريع وفلسفته فى جزأين كبيرين.

واستمر الشيخ فى أمور الدعوة عازفا عن المناصب واهبا نفسه للدفاع عن الإسلام ورئيسا لجمعية الأزهر العلمية حتى توفى فى يناير سنة ١٩٦١ عن عمر ناهز الخامسة والثمانين ودفن بمقابر الأسرة بمدينة جرجا بصعيد مصر. رحمه الله.

من إبداعات القراء: تحية إلى شعب العراق

شعب العراق تحية وسلام ... ولماء دجلة والفرات سلام
شعب تحصن بالكرامة رافعا ... علم الإباء فدونه الأعلام
يا أهل بغداد الكرام إليكم ... تسب بالنضال وسطرت أقلام
نعم الشجاعة والبطولة والفدا ... نعم البقاع تحوطها الآجام
والطامعون شرار خلق دنسوا ... أرض الحضارة كى يعمّ ظلام
قتلوا البراءة والمنازل هدمت ... هدموا المساجد واستبيح زمام
قولوا لبوش ومن يؤيد فعله ... ثمن الكرامة عزةٌ وحمام
فإذا قتلت اليوم طفلا صامدا ... فغدا سيأتى بعده ضرغام
من ذا يصدق أن شعبا آمنا ... يمسى تهدد أمنه الألغام
يا أيها العرب الأماجد كلنا ... صرنا الفريسة والمصير حمام
لا فرق بين مؤيد ومعارض ... حتما ستظهر ذلك الأيام
ولقد عهدنا الغدر فى أسلافهم ... فهم الغزاة وكلهم إجرام
فاليوم يضرب فى العراق وبعدها ... تأتى الخطوب يحفها الإظلام
ماذا أقول وإن وصفت كفاحهم ... لا تحتويه قصيدة وكلام
فهم الأباة عن المحارم دافعوا ... بدمائهم ستؤرخ الأعوام
يا أيها الشعب المرابط معلنا ... أن الحياة نعيمها أوهام
من ذا يجيب ومن سيسمع صوتكم ... وبنوا العروبة كلهم نوام
لكن بعون الله ثم نضالكم ... سيذوق كأسا للهوان طغام
ويعود مجد بالمآثر حافلا ... وعلى المدائن ترفع الأعلام

شعر / جابر عبدالعليم مصطفى
مزاته شرق - دار السلام - سوهاج

نعتذر للسادة القراء لعدم نشر رسائلهم كاملة، وذلك حرصاً من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من القراء. ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق فى اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها. كما نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم ونواصل نشرها تباعا بمشيئة الله تعالى.



أنباء العالم الإسلامى

رابطة العالم الإسلامى تدين محاولات التشكيك فى الإسراء والمعراج

أدانت رابطة العالم الإسلامى الدعوى الزائفة التى روجتها بعض الجهات المعادية للإسلام فى بعض وسائل الإعلام الدولية والتى زعمت فيها بأن الإسلام نقل حضارة أديان سابقة حرفيا وأن قضية الإسراء والمعراج موجودة فى نقوش بالمعابد الصينية وهى رحلة لأحد عباد الديانات القديمة.

وأوضح الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى الدكتور عبدالمحسن التركى فى بيان له أن من أهداف التشكيك فى الإسراء والمعراج صرف المسلمين عن الاهتمام بالمسجد الأقصى الذى يسعى الصهاينة لهدمه وبناء هيكل سليمان المزعوم مكانه! ولم يستبعد أن تكون مؤسسات صهيونية وراء أكذوبة النقوش الصينية بشأن الإسراء والمعراج الذى أكده القرآن الكريم.

للأستاذ/ محمد الشرقاوى

افتتاح أول مسجد بقرطبة منذ خمسة قرون

لأول مرة منذ أكثر من خمسة قرون يعود صوت المؤذن ليصدح فى مدينة قرطبة الواقعة فى إقليم الأندلس جنوبى إسبانيا بعد افتتاح مسجد هناك.

وتحت عنوان «قرطبة تسمع صوت الإسلام بعد أكثر من خمسمائة عام» قالت صحيفة «التايمز» البريطانية إن مسجد قرطبة الجديد هو الأول فى هذه المدينة منذ إعادة المسيحيين بسط سيطرتهم على هذه المدينة.

وكانت قرطبة آخر قلاع ملوك الطوائف فى الأندلس حيث سقطت بأيدى القوات التابعة للملكة «إيزابيلا الثانية» والملك «فرديناند الأول» فى عام ١٤٩٢.

الحاخامات اليهود يفتون بأن قتل الفلسطينيين أمر إلهى

أصدر عدد من حاخامات الدولة العبرية فتوى دينية جديدة يطالبون فيها المستوطنين بقتل واغتيال الفلسطينيين بزعم أنها أوامر إلهية.

وطالب الحاخامات المستوطنين بأن يكونوا مستعدين عاطفيا وبدنيا لتكرار عملية إقامة المستوطنات المتقدمة بدلا من الدخول فى مصادمات مع قوات الجيش كما طالبوا بتكثيف إقامة البؤر الاستيطانية.

جبهة ضد العرب والمسلمين على الإنترنت فى فرنسا

شكل المتطرفون اليهود واليمينيون فى فرنسا تحالفا مناوئا للعرب والمسلمين على شبكة الإنترنت ويدعو هؤلاء عبر مواقع مترابطة على الشبكة إلى «المقاومة العنيفة» ضد ما أسموه «الجمهورية الإسلامية فى فرنسا».

وذكرت صحيفة «الإندبندنت» أن المحققين رصدوا مواقع لهذه الجبهة حتى شهر مارس الماضى والتى كانت تدعو إلى مهاجمة المساجد بهدف إشعال حرب أهلية بين العرب من جهة والفرنسيين البيض واليهود من جهة أخرى واللافت أن جميع هذه المواقع اختفت معا وفى نفس اليوم من مارس الماضى وعزا محققون ينتسبون لجمعيات مناهضة للعنصرية الاختفاء المتزامن والمفاجىء إلى خلافات بين القائمين على هذه المواقع بسبب خلافات حول الحرب الأمريكية فى العراق.

يذكر أن جماعات اليمين المتطرف عارضت الحرب بينما أيدتها المنظمات اليهودية وفى الأسابيع الأخيرة ظهرت مواقع جديدة تبث دعاية معادية للعرب وبتتبعها تبين أنها أيضا تنتمى لجماعات اليمين المتطرف ومنظمات يهودية أخرى واعتقلت الشرطة الفرنسية أخيرا أحد القائمين على واحد من هذه المواقع وهو مسئول عن جماعة متطرفة تطلق على نفسها «الحركة القومية الجمهورية» واتهمته الشرطة بالتحريض على الكراهية العرقية الدينية.

وقف موظفة مسلمة بفرنسا لارتدائها الحجاب

قرر مجلس التأديب للتوظيف الحكومى بفرنسا وقف موظفة فرنسية مسلمة تدعى «نجاة بنت عبدالله» - (٢٣ سنة) عن العمل وتعليق دفع راتبها لإصرارها على ارتداء الحجاب برغم إدانتها من قبل محكمة إدارية فى ليون بوسط فرنسا فى وقت سابق.

ويذكر أنه صدر بحق هذه المسلمة قرار سابق بوقفها عن العمل (١٥) يوما مع وقف التنفيذ للسبب نفسه ورفضت المحكمة الإدارية طعنا تقدمت به بسبب هذه العقوبة.

هذا القرار إن دل على شىء فإنما يدل على مدى الكراهية والحقد والعصبية التى يضمرها الغرب لكل ما هو إسلامى وأن تشدقهم بما يسمونه حقوق الإنسان ما هو إلا شعار أجوف يفتقد المصداقية.

أبناء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسي

سيريلانكا تطلب زيادة المنح الدراسية لأبنائها

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف سعادة الوزير محمد هاشم محمد كبير وزير التعليم والتدريب وعضو البرلمان بدولة سيريلانكا والوفد المرافق، رحب فضيلته بالضيف مشيداً بعمق العلاقة بين مصر وأزهرها الشريف ودولة سيريلانكا موضحاً بأن لدولة سيريلانكا ٢٩ طالباً يدرسون بالأزهر الشريف على منح ويقيمون بمدينة البعوث الإسلامية، كما أن الأزهر الشريف له علماء يعملون بالجامعات والمعهد والمدارس والأكاديمية والكليات المتنوعة والجمعيات الخاصة بحفظ القرآن الكريم وعددهم ١٧ مبعوثاً والأزهر لايدخر وسعاً فى تلبية احتياجات سيريلانكا فى مجال التعليم، ومن جانبه أشاد السيد الوزير بفضل الأزهر الشريف فى تعليم أبناء سيريلانكا بالأزهر الشريف والمنح التى يقدمها ويخصصها الأزهر لأبناء سيريلانكا مؤكداً على عمق الصداقة بين البلدين، موضحاً بأن عدد السكان فى سيريلانكا ١٧ مليون نسمة والمسلمون حوالى مليون نسمة بنسبة ٨٪ من عدد السكان ومن منطلق تقوية العلاقات الثنائية مع المؤسسات الإسلامية طلب الوزير زيادة المنح الدراسية للدراسة بالأزهر الشريف وطلب إيفاد المزيد من المتخصصين فى مجالات العلوم المختلفة من خريجى الأزهر للتدريس ولتعليم اللغة العربية لأبناء سيريلانكا موضحاً بأنه يوجد ١٣ جامعة للتعليم العالى وجامعة تخص جموع المسلمين فى سيريلانكا وقال فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بأن الأزهر سيدرس جميع الطلبات على أن ترسل من السفارة حتى يتم دراستها تمهيداً لتلبيتها، حضر اللقاء فضيلة الشيخ سيد وفا الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية.

الإمام الأكبر يستقبل مستشار رئيس جمهورية السودان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف البروفسور أحمد على الإمام مستشار رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الفقه الإسلامى بالسودان يرافقه المستشار ابراهيم عبدالباسط المستشار الثقافى بالسفارة، رحب فضيلته بالضيفين الكريمين فى الأزهر الشريف موضحاً دور الأزهر الشريف فى تعليم أبناء المسلمين فى شتى أنحاء العالم وفى الأزهر الشريف تدرس المواد الدينية والعربية بتوسع وعلى رأسها حفظ القرآن الكريم إلى جانب العلوم الثقافية، والدراسة فى الأزهر الشريف تمتاز بالتوسط والاعتدال والبعد عن التعصب، وفى الأزهر الشريف تدرس جميع المذاهب وأكد على أنه لاخلاف فى الأركان أوفيما ثبت من الدين بالضرورة، فالأصول محل اتفاق، أما الفروع ففيها الاجتهاد، وللسودان طلاب يدرسون فى الأزهر الشريف على منح وعددهم ١٨٦ طالباً وطالبة يقيمون فى مدينة البعوث الإسلامية والأزهر لايدخر وسعاً فى تقديم المساعدة لأبناء السودان الشقيق وتلبية كل طلباته.

ومن جانبه شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر على هذا اللقاء الطيب مشيداً بدور الأزهر الشريف وأثره على أبناء السودان الذين تلقوا تعليمهم بالأزهر الشريف، وأوضح بأن مجمع الفقه الإسلامى بالسودان أصبح يضم عدداً من العلماء والباحثين والخبراء فى مختلف التخصصات لشئون العدل والشئون الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعلوم التطبيقية وهم من حفظة القرآن الكريم، وطلب من فضيلة شيخ الأزهر أن يرشح من يشارك بأبحاثه فى مؤتمر الفقه الإسلامى الذى سيعقد فى السودان منتصف شهر أكتوبر ٢٠٠٣م والدعوة الخاصة بفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ستأتى طبقاً للبروتوكول المتبع لمكانة فضيلته كما طلب من الأزهر الشريف إيفاد قراء للسودان ليقوموا بتحفيظ القرآن الكريم لأبناء السودان حتى يتعودوا على النطق الصحيح والسليم للقرآن الكريم، وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر بهذه الطلبات والعمل على تلبيتها.

الإمام الأكبر:
مهمة الشباب فى الأمة بناء حضارتها

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد الشباب السعودى الذى يزور مصر فى إطار البروتوكول المشترك بين وزارتى الشباب المصرية والسعودية وقد رأس الوفد الأستاذ خالد عبدالعزيز المحبوب وأشرف عليه الأستاذ صالح بن سليمان الهزاع، وقد رحب فضيلته بالوفد مشيراً بعمق العلاقة بين مصر وأزهرها الشريف والمملكة العربية السعودية معرباً على أن شباب البلدين يتعاونون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، وأن مثل هذه اللقاءات تعود على أبناء البلدين بالنفع وتقارب الأفكار ويهمنا أن نبين للناس وجه الإسلام السمح الذى يبنى ولايهدم ويعمر ولايخرب ويصلح ولايفسد كما وجههم على أن توجه

طاقاتهم وطاقات الشباب عموماً للاستفادة بها فى التنمية والبناء، وعليهم أن يعرفوا حقيقة دينهم حتى يمكنهم الرد على التهم التى تلصق بالإسلام، وأكد على أن مهمة الشباب فى الأمة هو بناء حضارتها وقوتها، وعلى الشباب أن يفرق بين الإرهاب والجهاد، فالإرهاب إفساد فى الأرض وحقد وبغض، وأما الجهاد فى الإسلام فهو رد العدوان والدفاع عن النفس وعن المال وعن العرض وعن الأرض فالفرق واسع وشاسع كالفرق مابين السماء والأرض، فعلى الشباب أن يعرفوا تلك الفروق حتى يستطيعوا الرد على التهم التى تلصق بالإسلام وأجاب فضيلته على أسئلتهم واستفساراتهم ودعا لشباب البلدين بالتقدم والرقى والسداد والتوفيق فى حياتهم، ومن جانبه شكر الوفد فضيلته على حسن اللقاء والحفاوة وإتاحة الفرصة لهذا اللقاء الذى من شأنه أن يدعم العلاقة بين شباب البلدين وإيجاد فرص التعارف وتبادل المعرفة وتوثيق عرى المحبة.

الإمام الأكبر يستقبل سفير ماليزيا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير أبوبكر داود سفير ماليزيا بالقاهرة حيث رحب فضيلته بالضيف مشيداً بعمق العلاقة بين مصر وأزهرها الشريف ودولة ماليزيا الشقيقة موضحاً بأن طلاب ماليزيا الذين يدرسون فى الأزهر الشريف بجانب إخوانهم المصريين ينالون كل رعاية واهتمام وعددهم حوالى ستة آلاف طالب وطالبة والأزهر الشريف فى خدمة أبناء المسلمين وخاصة أبناء ماليزيا الذين يتسمون بالأدب وبحب العلم، ومن جانبه شكر السيد السفير فضيلة الإمام الأكبر على حسن اللقاء والحفاوة.

كما قدم الشكر على دعوة الأزهر الشريف للعلماء الذين يحضرون الدورات التدريبية التى يعقدها الأزهر الشريف لأبناء ماليزيا لدراسة اللغة العربية، وأكد على أن ماليزيا فى حاجة إلى خبراء من الأزهر للعمل بماليزيا وقد رحب فضيلته بتلبية طلبات ماليزيا كما رحب بالدعوة لزيارة ماليزيا.

الصندوق العربى للمعونة يطلب علماء من الأزهر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد السفير فوزى محمد بيت المال مدير عام الصندوق العربى للمعونة الفنية للدول الأفريقية حيث أوضح الضيف بأن الصندوق مؤسسة عربية افريقية تهدف الى تقديم المساعدات والقروض الميسرة، ومقرها القاهرة ويهدف الصندوق إلى مساعدة أبناء افريقيا لبناء الانسان الأفريقى لتنمية موارده المتاحة، كما يقدم الصندوق الدورات التأهيلية للأمهات لتوعيتهم من الأمراض الناتجة عن الجهل، وطلب من الأزهر الشريف إيفاد العلماء لتوعية المسلمين وإظهار سماحة الدين وتوضيح صورته فى

بعض البلدان، ومن جانبه شكر فضيلة الإمام الضيف على مايهدف اليه الصندوق من مساعدة المحتاجين والفقراء.

والأزهر الشريف يؤيد كل مامن شأنه تقديم العون والمساعدة للانسان.

الإمام الأكبر يستقبل وزير التجارة السنغافورى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد جورج يو وزير التجارة بدولة سنغافورة يرافقه سعادة سفير سنغافورة بالقاهرة والوفد المرافق، ومن جانبه شكر السيد الوزير فضيلة شيخ الأزهر الشريف وعلماء الأزهر على مايقدمونه لأبناء سنغافورة من منح للدراسة بالأزهر حيث وصل عدد الدارسين فى الأزهر وجامعته حول ٩٥ طالباً، وأثنى على الخلق الذى يتمتع به الدارسون بالأزهر مشيداً بزيارته لبعض المدارس الدينية بسنغافورة وماوجده من خلق متميز لهؤلاء الطلاب بخلاف غيرهم فى المدارس الأخرى بسنغافورة، موضحاً بأن المسلمين فى سنغافورة يعيشون فى سلام وأمان وطلب العديد والمزيد من تلك المدارس لما لها من تأثير إيجابى على تربية الأبناء موضحاً بأن فى حياتهم الكثير من سوء الفهم لمفهوم الدين والأديان، وقد أوضح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بأننا فى مصر مسلمين ومسيحيين نعيش معاً فى أمن وأمان وسلام والجميع يتمتع بكافة الحقوق ونؤدى ماعلينا من واجبات، وأن الناس جميعاً خلقوا من أب واحد وأم واحدة لا فرق بين شمالى وجنوبى أو شرقى أو غربى ونحب للعالم كله أن يتعاون لصالح البشرية جمعاء بعيداً عن التطرف والإرهاب والظلم والعدوان، ونحن من جانبنا نبين للناس سماحة الدين الإسلامى ونصحح المفاهيم الخاطئة عنه، وأنه دين يدعو إلى السلم وإلى الأمان وإلى العدل وإلى الرحمة وإلى التسامح.

الإمام الأكبر يستقبل وفد الأحزاب الشعبية بالبرلمان الأوروبى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد مجموعة الأحزاب الشعبية بالبرلمان الأوروبى برئاسة السيد/ هانز بوترينج يرافقه السيد/ كلاوس ويل أمين عام مجموعة الأحزاب الشعبية بالبرلمان الأوروبى والسيد ماركوس أرينز المستشار السياسى لرئيس المجموعة، حيث رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى مصر وأزهرها الشريف وقدم فضيلته شرحاً مبسطاً لنظام التعليم بالمعاهد الأزهرية، وجامعة الأزهر الشريف وأوضح أن الدراسة فى الأزهر تعتمد على الوسطية والاعتدال وتعتمد على دراسة وحفظ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والتبحر فى علوم اللغة العربية والشريعة الإسلامية، كما أوضح أن الناس جميعاً من أب واحد وأم واحدة،

ويجب علينا أن نتعاون على كل ما ينفع الإنسانية، كما يجب أن نتبادل المنافع التى أحلها الله فيما بيننا كما يجب أن نتواصل وبخاصة فى عصر أصبح فيه العالم كله كأنه قرية صغيرة، وأيضاً فى هذا العصر لايمكن لدولة صغيرة كانت أم كبيرة أن تعيش بمفردها، فالتواصل الآن أصبح حقيقة واقعة كما يجب أن نتعاون على نشر الفضائل ونشر العدل والحرية والكرامة الإنسانية، ومن أجل إعطاء كل ذى حق حقه بدون تعصب أو ظلم أو استغلال أو عنصرية، ونحن فى مصر والحمد لله نعيش مسلمين ومسيحيين تحت مظلة القانون، الكل يتساوى فى الحقوق والواجبات فالمسلم والمسيحى يدفع الضرائب، ويلتحق بالجيش فى سن معينة ويعين فى الوظائف المختلفة فى الدولة، أما العقائد فلكل عقيدته والمسلم يذهب إلى المسجد ليؤدى الصلاة والمسيحى يذهب إلى الكنيسة ليؤدى شعائر دينه فحرية العقيدة مكفولة ولا إكراه على العقائد لأن الذى يحاسب عليها هو الله عز وجل، والإكراه على العقائد لايولد مؤمنين وإنما يأتى بمنافقين كذابين، ونحن نؤمن بأن الاختلاف فى العقائد لايمنع من التعاون، ولدينا فى الأزهر الشريف لجنة للحوار، ونحن نتعاون ونتحاور فيما ينفع الإنسان ولكن لانتحاور فى العقائد على الإطلاق، ووظيفتنا فى الأزهر الشريف أن تبين للناس الوجه السمح للإسلام وتبين أن الإسلام يمد يده بالسلام لكل من يمد يده إليه بالسلام، وقد اتفق العقلاء على أن العدل فضيلة والظلم رزيلة، وعلى أن الصدق فضيلة والكذب رزيلة من أجل ذلك جاءت الأديان لتبين للناس الفضائل وتحثهم عليها وتبين الرزائل وتبعد الناس عنها، ومن جانبه شكر الوفد فضيلة الإمام الأكبر على حديثه الممتع الذى يتفق تماماً مع دور البرلمان الأوروبى موضحاً بأن البرلمان يتكون من ٦٢٦ عضواً يشتمل على المسيحيين والمسلمين واليهود، وأشار إلى أن الدين الإسلامى دين تسامح واعتدال وأنه يتقبل الفهم مع الديانات الأخرى، وهو الأمر الذى دعاه لزيارة مصر والأزهر الشريف، لأن أساس التعاون هو التسامح والاعتدال، وأنه متفق مع ماقاله فضيلة الإمام الأكبر ووصفه بالحكمة والرأى السديد، ولأن فضيلته أوضح بإيجاز ماجاء من أجله، وما نقوله مع المجموعات الأوروبية الأخرى ونحن نقول أن الوحدة الأوروبية تقوم على العدل واحترام الدول الصغيرة فى الوجود مثلها مثل الدولة الكبرى، موضحاً بأن المجموعة تهدف إلى إيجاد السلام ليس فى أوروبا فقط بل مع جيراننا وخاصة مع العالم الإسلامى والعربى، حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى رئيس الإدارة المركزية لمكتب شيخ الأزهر الشريف للإعلام والعلاقات.

الإمام الأكبر يستقبل سفير مصر بباكستان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير هشام محمد الزميتى سفير مصر فى باكستان ودار الحديث حول المنح الدراسية لأبناء باكستان للدراسة فى الأزهر الشريف والتنسيق بين سفارة مصر فى باكستان ومشيخة الأزهر الشريف، وطلب السيد السفير من فضيلة الإمام الأكبر بعض الكتب التى تتحدث عن تنظيم الأسرة ومعاملات البنوك، ومن جانبه رحب فضيلة الإمام بأى أسئلة أو استفسارات ترد إليه سيقوم بالرد عليها وتوضيحها وسلمه الكتب التى طلبها، كما طلب السيد السفير أن يكون لباكستان عدد من الأئمة لحضور الدورات التدريبية التى يقيمها الأزهر الشريف كل ثلاثة أشهر وقد وعد فضيلته بتلبية هذا المطلب.

..ويستقبل سفير مصر بأندونيسيا

كما استقبل فضيلته سعادة السفير الدكتور عزت سعد سفير مصر فى أندونيسيا وتم بحث مايتعلق بالمبعوثين لأندونيسيا من العلماء الذين يقدمون بتعليم أبناء أندونيسيا، كذا الإشراف على المعاهد الأزهرية الموجودة هناك والتى تقدم الدراسة فيها على نظام الأزهر الشريف، كذا التنسيق على إرسال الأئمة والوعاظ لحضور الدورات التدريبية فى مصر، وبحث السفير مع فضيلة الإمام الأكبر ترتيب إرسال دعوة فضيلته لزيارة أندونيسيا على أن تأتى من رئيس الدولة تقديراً لفضيلته ومكانته العالمية، كما استقبل فضيلة الشيخ محمد عاشور وكيل الأزهر الشريف سعادة السفير وتم مناقشة بعض الأمور المتعلقة بالبعثة الأزهرية من السادة العلماء، وبخصوص المنح الدراسية للطلاب علماً بأن الطلاب الأندونيسيين الذين يدرسون بالأزهر المعاهد والكليات أعداد كبيرة بجانب إخوانهم المصريين.

الاجتماع الثانى للجنة التعاون بين الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف العمانية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد سلطنة عمان برئاسة فضيلة الشيخ أحمد بن سعود السيابى الأمين العام لمكتب مفتى السلطنة عمان وقد حضر الوفد إلى الأزهر لعقد الاجتماع الثانى للجنة التعاون بين الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف والشئون الدينية بالسلطنة، وكان الاجتماع الأول تم فى العام الماضى فى السلطنة، وقد رأس الجانب الأزهرى فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف ورأس الجانب العمانى فضيلة الشيخ أحمد السيابى وقد أسفرت نتائج الاجتماعات العديد من التوصيات حيث تم الاتفاق على إرسال خمسة من الأئمة بالسلطنة للمشاركة بصفة دائمة فى الدورات التدريبية التى يقيمها الأزهر الشريف كل ثلاثة أشهر، كذا إرسال أئمة

ووعاظ عمانيين فى دورات خاصة بالأزهر الشريف، وعقد دورات لخريجى معهد العلوم الشرعية، وقيام الأزهر الشريف بإرسال الخطط التفصيلية لمناهج تدريس القرآن الكريم، وأدلة معاهد القراءات الموجودة فى مصر للاستفادة منها فى مجال تعليم القرآن الكريم والتعليم الدينى بالسلطنة، ومعادلة شهادات كلية الشريعة والقانون بالسلطنة فى جميع تخصصاتها بالكليات المناظرة بجامعة الأزهر الشريف، وتبادل أعضاء هيئة التدريس بين معهد العلوم الشرعية وجامعة الأزهر الشريف فى عدد من التخصصات، وقبول خريجى معهد العلوم الشرعية فى تخصص الدعوة بالكليات المناظرة بجامعة الأزهر لنيل درجتى الماجستير والدكتوراه، والسماح بقبول خريجى معهد العلوم الشرعية، الحاصلين على شهادة الدبلوم لاستكمال دراستهم بالأزهر والحصول على درجة الإجازة العالية ومراجعة المصحف المخطوط للسلطنة بالأزهر وقد تم مراجعة الجزء الأكبر منه، إنشاء مركز السلطان قابوس للفكر الإسلامى بالأزهر الشريف، إرسال ١٥٠عالم وواعظ للسلطنة هذا العام وقد انضم للجنة فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمود شيخون نائب رئيس الجامعة وفضيلة أ. د. رشاد خليل عميد كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر الشريف، وفى نهاية الاجتماع تم عرض نتائج الاجتماع على فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الذى أشاد بالجهود الذى بذل والنتائج التى توصلت إليها اللجنة من أجل خدمة الدين والمسلمين فى البلدين الشقيقين.

الإمام الأكبر يعتمد نتائج الشهادات الأزهرية

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف نتيجة الدور الأول للشهادة الإعدادية الأزهرية للعام الدراسى ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣ حيث تقدم لأداء الامتحان ٩٤٥٢٠ طالباً وطالبة نجح منهم ٥٩٦٤١ طالباً وطالبة وكانت نسبة النجاح ٦٣,٤٪ كما اعتمد فضيلته نتيجة امتحان الشهادات الثلاث للقراءات للدور الأول العام الدراسى ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣ وكانت على النحو التالى:

١ـ اجازة التجويد تقدم ٢٣٣٣ نجح منهم ١٢٤٧ وكانت نسبة النجاح ٥٣,٥٪

٢ـ عالية القراءات تقدم ١٣٢٣ نجح منهم ٧٤٠ وكانت نسبة النجاح ٥٥,٩٪

٣ـ تخصص القراءات تقدم ٤٦١ نجح منهم ٢٩٠ وكانت نسبة النجاح ٦٢,٩٪

كما اعتمد نتيجة امتحان الدور الأول للشهادة الثانوية الأزهرية للعام الدراسى ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣م حيث تقدم لأداء الامتحان ٨٠٧٠٠ طالباً وطالبة نجح منهم ٣٣٦٩٧ طالباً وطالبة وكانت نسبة النجاح فى القسم العلمى ٦٠٪ ونسبة النجاح فى القسم الأدبى ٤٠٪ وكانت نسبة النجاح فى القسمين العلمى والأدبى ٤٣٪.

Ecology and the Problems of Environmental Pollution:

Ecology is one o the recent environmental sciences that correlates with many scientific specialtis (natural and humane). That science is specialized in searching in the mutual relations between creatures and their surrounding environment. Moreover, it traces the cuases behind the imbalance of the different environmental systems so as to realize its direct and indirect effects, warns against its dangers and refers to the best ways of eliminating pollution.

In this regard, the bad effects caused by man in any area spread to the other areas. That is becaue, the environmental systems are not isolatd from each others, as they all form an integrated structure having inimitable balance.

Unfortunately, man has kept himself busy with scientific and technological revolution paying no care to its negative effects on the different environmental elements, including man himself. During the last decades, many voices began to warn against the dangers of the environmental pollution that negatively affects both man and plants.

True are the Words of Allah, Exatled be He, is which he says:

{Corruption has appeared in the (dry) land and the sea for what mankind's hands have earned, that He may let them taste some (part) of what they have done, that possibly they would return. }

[Ar-Rum (The Romans): 41]

*The Environment and its Problems From an Islamic Perspective

By: Dr. Ahmad Fou`ad Pasha

The increasing, multiple environmental problems top the list of the contemporary issues detected by the technological and scientific advance. Naturally, man represents one of the environment's components; he is in continuous reaction with the other components. So far, all the international conferences and treaties failed to achieve the required balance between the human ambition (scientifically, technologically and economically) and the issue of keeping and reserving the environment.

However, this challenge can be confronted and overcome through an Islamic perspective, which has the ability to cope with the contemporary events and to provide the effective solutions.

Scientifically speaking, the term "environment" refers to the place where humans, animals and plants live. Moreover, the term "environment" is of a comprehensive meaning that extends to include all the external conditions and factors surrounding organisms and affecting their biological processes. It also extends to include the type of relation between the environment and its inhabitants. For more illustration, the mother's womb is man's first environment. Also, the house, school, country, earth, and the whole universe are all environments. Hence, man's environment grows and expands as he grows and gains more knowledge and experience.

With regard to the above issue, the pre-birth environment is a place in which a fetus lives and derives all the essentials of life from its mother. Besides, the fetus gets affected by the external environment through its mother. In that environment, man's primary nature is formed according to that which it inherits of genes. Thus, such an environment is called "The Genetic Environment." Hereby, carefulness in choosing one's spouse is regarded as one of the important factors that should be taken into

*An Atrricle Published (in Arabic) At A- Azhar Magazine.

consideration in order to improve lineage and avoid genetic shortcomings and illnesses.

Further, the universe is considered the major environment of man: namely, the solar energy that reaches the earth continuously and regularly is the basic factor that makes the earth a suitable environment for the continuity and preservation of life. It should be noted that what happens in the other environments has its effect on man. That is, the earth planet gets affected by the other elements of the universe and so it affects man accordingly. In fact, this means that there is only one whole environment represented in the universe; what happens in one part of it affects the other parts. Nevertheless, science pays much attention to the particles, such as the house and earth, in order to reach a whole environmental framework; because the overall direct look to the universe may lead to confusion which wastes the true meaning of the environment. This is one of the most intellectual and methodical problems that faces man when reacting with the environment and its issues. However, such a problem can be solved through the guidance of the true Islamic instructions that defined the sound relation between man and environment.

In addition, the environment is not only the resouces from which man derivs the essentials of life, but it also represents the relation between man and man. This kind of relations is organized by the social institutions, customs, conventions, values and ethics. Therefore, ignoring such meanings when defining "enironment" results in the increase of its problems as well as their severity. This goes back to the fact that restricting thought to the material explanation of the environment hinders any trial or effort being exerted to provide justifying solutions for its problems. Again, we can feel the presence of the Islamic view involving both the Book of Allah (the Qur'an) and the Sunnah of the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him. That Islamic view has the competence to interfere to correct the materialistic look towards environent and correct the mistakes fallen into by man as well. Moreover, Islam, along with its instructions, can heal the deficiency caused by man in his relation with environment (the whole universie).

The Withdrawal of Imperialism and the Reappearance of the Islamic Countries on the World Scene:

Although imperialism possessed wealth, science and weapons, yet its image (on the international level) has begun to shrink since the second half of the twentieth century. Instead, some Islamic countries, in both Asia and Africa, have begun to reappear on the world scene. Such countries are of prominent importance and independence.

In this regard, any historian who delivers researches about the stages of the rise and development of such countries has to assume and admit that they possess a very distinct secret. Such secrets may resemble those secrets behind the unexpected triumph realized by the Islamic Nation, under the leadership of the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, as well as his Companions, over the two major powers at that time: the Persian and the Roman empires.

The Explanation of the Steadfastness Phenomenon in the Islamic Creed:

The steadfastness of Islam goes back to the fact that it is an all-inclusive creed as it addresses feelings, wills, explicit and implicit facts. Thus, Islam symbolizes the ideal creed of both man and society, The comprehensiveness of the Islamic Creed, concerning both the individual and social phenomena, is regarded as its unique characteristic.

The Islamic Creed elements of comprehensiveness:

1- Islam encompasses all the human nations. That is, Islam is not the religion of one nation or one class. In other words, the Islamic Creed addresses all mankind of every race and color. Allah, Exalted be He, says:

And in no way have We sent you, except as a bearer of good tidings and a warner to the whole of mankind... Ṣaba' (Sheba): 28]

2- Islam's guidance is not restricted to one nation due to its distinct race; raiher, it is a religion for all races and nations. Allah, the Almighty, says:

And in no way have We sent you except as a mercy to the worlds.
[Al-Anbiyaa' (The Prophets): 107]

3- In Islam, people may be only different in ranks due to their knowledge or deeds, Allah, the Ever-High, says:

Allah will raise in degrees the ones of you who have believed and the ones

to whom knowledge has been brought; and of whatever you do Allah in Ever-Cognizant. [Al-Mujadalah (The Dispute):11]

But, will the enemies of Islam let Muslims be, after the rise of their nations?

Of course, not. Since the rise of the independent Islamic countries on the international scene, the anti-Islamic forces have planned to eliminate Muslims and their Message. Such enemies wish nothing but destroying and ruining the social and intellectual Muslim issues. There are many examples on this:

1- These enemies have begun to remove the issue of loyalty (to Islam) from the public behavioral, ethical and educational structure of the rising Islamic countries. Consequently, loyalty has become just for land and race. Moreover, it has not been permitted to Islam to consist a part of the concept of nationalism (of the Islamic countries); therefore, Muslims have been apart from each others, as there has been no tie or relation to unite and gather them.

2- If Islam is permitted to exist, it will be a merely weak existence. Such existence is deprived of the factors of development and effectiveness. Hence, generations of no religious tendency or interest (i.e., very separated from their religion) have been formed.

3- Weakening the Islamic scientific and financial institutions as well as launching public and hidden wars against the Islamic scientific wealth has resulted in the inability of Islam to realize its renaissance.

4- Anti-Islamic forces have begun to disseminate lies and falsehoods against Muslims.

5- Planting Israel in the Islamic entity has led to its division and the revival of Judaism. At the same time, such forces work towards eliminating the loyalty to Islam that prohibits fanaticism and racial discrimination.

Despite all such aggressive trials, Islam's power lies in its nature; simplicity, clarity, comprehensiveness and stability in meeting the actual needs of the human disposition. Furthermore, Islam's power is implied in keeping away from worshipping man as it devotes it to only Allah, the Creator of man.

the fact that we take the West as an example to be followed. Contrarily, the Western people of distinction see that the Easterners follow the West outwardly, as the East has its own distinct spirit that is not easily to be changed. However, the West, after being exhausted by materialism, became in dire need of a new revival based on a new spirit that is found in East and Islam." Hence, Ustaz Musa was a great analytical scholar who shed light on the hidden cause behind the East's submission to the West. Nevertheless, he did not leave the listners (students) in depression; as he ended his lecture with an optimistic issue: namely, the future of the East. That is, the West began to look for the civilization of the East, the bearer of the Heavenly Messages.

***

*Islam is a Steadfast Power And Firm Comprehensive Knowledge

By: Counselor Muhammad Ezzat At-Tahtawy

The guidance of Islam has been sent from the Lord of the worlds as an encompassing and all-inclusive guidance. Though all the principles of that religion have been delivered by all the earlier Prophets to their nations, those principles along with the legislation that has been sent down from the heaven upon the Seal of the Prophets, Muhammad (PBUH), have been destined to last forever. In this respect, Allah, Exalted be He, says:

Allah also says:

(And in no way have We sent you, except as a bearer of good tidings and a warner to the whole of mankind; but most of mankind do not know). [Saba' (Sheba): 28]

When one contemplates on the historical events, he/she gets astonished towards what the predecessors have left for the successors. That is, many of the early Muslims have been martyred for the sake of disseminating the Islamic Call and fighting fitnah (i.e., dissension). They have been able to plant faith in people's hearts due to their great, continuous efforts. Accordingly, the successors inherited faith so easily as there was no persecution or disbelief. However, they got weaker and weaker, which gave the chance to the enemies of Islam to practice dominance over the Islamic countries. This dominance was represented in the form of imperialism. In other words, there was no Islamic country enjoying freedom, sovereignty or independence, especially in the nineteenth century up till the first half of the twentieth century.

Those looking into such times may imagine that both the present and future factors take the side of the enemies of Islam, as they have the power, science and sophisticated civilization, so there in no way-out before the weak to avoid their grip (i.e. imperialism).

---

*An Atrricle Published (in Arabic) At A- Azhar Magazine.

Dr. Muhammad Youssuf Musa
One of Al-Azhar Great Scholars
Philosophy and Islamic Legislation

By: Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy

Ustaz Muhammad Musa graduated from Al-Azhar before the system of colleges was known. Therefore, he studied languages, sciences of Shari`ah (i.e. Islamic Law) and the sciences of the Creed. So, his comprehensive study was considered one of the factors behind his distinction in different fields. In addition to his wide knowledge, Ustaz Muhammad Musa was gifted with rare ambition, which motivated him to travel to Europe to get the highest scientific degrees from Sorbonne. Moreover, he traveled to France on his own expenses.

However, Muhammad Musa was not satisfied with the doctorate obtained by Taha Hussein, Mansour Fahmy, Zaki Mubarak and others, as he was looking forward to getting the doctorate of the State, which is considered the highest scientific degree in France. Though few were able to get that doctorate, Ustaz Muhammad Musa got it in a great celebration. To get his doctorate, Ustaz Muhammad Musa presented two theses: the first was about "Religion and Philosophy at the Sight of Ibn Rushd and the Middle Age Philosophers" and the second was about "Philosophy or Metaphysics in the Qur'an." Surprisingly, Ustaz Musa was successful in representing and clarifying the theories involved in his two theses as well as in defending his views and opinions. So, the Sorbonne invited Dr. Musa to give lectures, in Arabic, about the philosophy of the Islamic legislation stated in the Qur'an.

Ustaz Musa wrote his two theses while shouldering the burdens of lecturing at Al-Azhar. The subjects he used to teach were relating to ethics, so they had nothing common with the subject of the theses. Hereby, he was getting himself ready for both two tasks: Teaching and compiling the theses. With regard to the first task, Ustaz Musa would issue a book after another for his students and write in the literary newspapers about matters closely connected with what he used to teach. It should be noted that he wrote series

of articles about the evolution of the ethical concept and its first rise. Some of those articles were the topic of argument among researchers. This is because Ustaz Musa introduced religion as a deep-rooted factor concerning the rise of ethics and formation of the human conscience. However, those accustomed to the French books of argumentation were not convinced, as such books would indicate that the human ethics were formed gradually when the first man began to leave caves in order to form human groups. Hence, such gatherings urged man to pay much attention to the rules and laws of his society, and so he viewed that any attempt to violate such rules would be a source of threat. Thus, ethics began to be formed gradually according to the theory of the human evolution. Therefore, many discussions took place between Ustaz Musa and his opponents; however, such discussions were of a unique ethical level away from nonsense and aggressive, aimless criticism.

As for the second task: namely, the compilation of the thesis, Ustaz Musa preferred to compile it under the supervision of the Great Ustaz Moustafa Abdur-Raziq according to a schedule of weekly sessions set by the master. With regard to those sessions, Ustaz Musa mentioned one of the strangest incidents that happened to him. He mentioned that some of the professors of philosophy at the Egyptian University used to visit Sheikh Abdur-Raziq and see him lecturing his student, Musa. In one of those sessions, one of the visitors addressed Ustaz Musa saying, "You have no command of any language other than French, so it is not possible that you get a scientific degree from Sorbonne unless you study Greek and English in order to understand the origins of philosophy." Sheikh Abdur-Raziq noticed the harshness of the visitor so he turned to him saying, "O brother! I am the professor of the Islamic philosophy at the Egyptian University for more than fifteen years, however, I did not need any of such languages." Upon this, the visitor preferred to keep silent out of his embarrassment. However, that incident did not cause any kind of depression to Ustaz Musa; rather, it was a point of motivation, as he determined to get the highest degree in philosophy which was not attained by that arrogant visitor.

In one of his lectures, Ustaz Musa said, "The Western commons see us, the Easterners, as groups of no independent entity or character. This is due to

AL-AZHAR MAGAZINE
Jumada Al-Aakhirah 1424 A. H.

ENGLISH SECTION
July/ Aug. 2003

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

The Occupied Iraq
By: Dr. Ibrahim Al-Assil.

During the last few months, the world has witnessed an unimaginable incident in which the USA and its ally, the UK that are considered the major powers in the world did invade a powerless Arab nation, Iraq. This country was under a severe siege for more than twelve years. Besides, Iraq was undergoing ceaseless attacks. Moreover, Iraq was the target of a psychological warfare that was followed by a war bereaved of legality as well as manifest intentions. Those two major powers did so, challenging the entire world as well as disregarding the oppositions and protestations, even those arising from the Americans and British themselves.

In that war, internationally banned weapons were used resulting in huge numbers of killed and wounded civilians including children, elderly people and women. The case of the child, Mahmoud, is a chocking example on that horrible war.

In addition, such a war resulted in the destruction of houses, institutions, ministries and even the equipment of water purification. Moreover, such destruction led to plundering, despoliation and the devastation of civilizational symbols and basic records on which the whole Iraqi nation base its public interests.

This war was launched under the pretext of liberating the Iraqi people and planting the seed of democracy, as well as protecting humanity, especially the American people, of the claimed massive destruction. However, there were wise voices demanded giving the opportunity to the UN inspection members to find out the truth, with regard to the accusations that Iraq possesses mass destruction weapons.

Now, the USA and UK have achieved their target: namely, the full control over all areas in Iraq, then where are those claimed mass destruction weapons? And on what basis should the USA occupy Iraq?

الفهـــرس

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي

●●●

رئيس التحرير
أ.د. محمد رجب البيومي

نائب رئيس التحرير
الطاهر محمد الطاهر الحامدي

مدير التحرير
عادل رفاعي خفاجة

سكرتير التحرير
أحمد السيد تقي الدين

المراسلات باسم
مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / ج.م.ع
ت: ٢٦٣٨٥٩٩

رجب ١٤٢٤هـ - سبتمبر ٢٠٠٣م - الجزء السابع - السنة السادسة والسبعون

افتتاحية العدد

يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم

إذا كان الكاتب مخلصا لرأيه، أمينا فى قوله، فإن طريق القول أمامه رحب فسيح، لأنه ينقل عن خاطره الصادق دون افتعال فتنثال المعانى على يراعه فى تدفق لا يعرف البطء، وإذا تمهل الكاتب حينئذ فإنه يتمهل ليحكم الصوغ لا ليتكلف من المعانى ما يملأ به الفراغ، هذا هو الكاتب المخلص، ولكننا نجد جواره نفرا من المغرضين يخشون أن يجهروا بما يعتقدون من زيف، فيبذلون الجهد الجاهد فى التعمية والتضليل، ويحاولون جاهدين ان يضعوا السم فى الدسم فى حيطة بالغة تمنع الافتضاح وقد فات هؤلاء أن القراء ليسوا جميعا ممن ينخدع بالطلاء الزائف، ولكن فيهم من يسبر الغور العميق ليرى ما تحجب الثياب الملونة من علل قاسية، وأمراض قاتلة وهذا النفر الفاحص من القراء هم أهل التجريح والتعديل، وبهم وحدهم يتميز الطيب من الخبيث، لأن ثوب الرياء يشف عما تحته كما قال الشاعر القديم.

فاذا أراد القارىء أمثلة، موضحة لما تعنيه، فلن يعوزه الأمر، لأنه من الذيوع والانتشار بحيث أصبح موضع العجب من نفر يظنون فى أنفسهم الذكاء الخارق، وهم سطحيون سطحيون.

لقد قامت الحرب على المخدرات المسمومة فى أدوات الإعلام إذاعة وصحافة وكتبا وندوات ومحاضرات وكشف المتخصصون عن أضرارها الجسيمة الوبيئة فى المجتمع الإنسانى بما لا مزيد عليه، ولكن نفرا من المرتزقة المأجورين يسوءهم أن تعلن الحرب العادلة على هذا الوباء الفاتك لأن المتكسبين من بلائه يمدونهم بالمال كى يخدعوا الرأى العام بما يبهرجون وهؤلاء المرتزقة المأجورين لا يستطيعون أن يقلبوا الباطل حقا؛ بما ينشرون من أراجيف تجد الرفض الحاسم، وتصب عليها اللعنات من كل مكان، فهم يتظاهرون بدءا بتأييد ما يعلن من حرب على هذه السموم، ويفتعلون ضروبا من الغيرة الكاذبة يمهدون بها لما يحاولون أن يبثوه من الدعاية لهذه الآفات، وإن أحدهم ليأخذ مأخذ الحذر بدأ فيطرى الجهود المعبأة فى هذا الاتجاه، حتى إذا ظن أنه أمن على نفسه أخذ مأخذه الوصولى فقال، إن هذه المخدرات قد تنسى الهم لدى المحزون، وقد تعين على راحة البال فتكون سببا لفترات من الهدوء، وقد تساعد أصحاب الضعف الجنسى على نشاط يرجونه ولا يستطيعونه، ولكنها مع ذلك ذات أخطار شديدة لا تقاس بهذه المنافع المشتهاة!

هذا كلام كتب ورددد فى مجال الحرب على هذه السموم، وهو كلام كاذب كاذب لا يحتمل ذرة واحدة من الصواب، لأن دعوى الصفاء موهومة، فما وجدنا فى الحياة سكيرا هادىء البال، مرتاح الخاطر، ولكن وجدنا أصحاب هذا البلاء متوترى الأعصاب مستوفزى المشاعر يثورون لكل تافة، ويبدون فى حالة السكر ما يجعلهم موضع السخرية والاستهزاء فإذا انتقلوا إلى الصحو فلن ترى غير وجوه المرضى المتقلصة، وسحنات المحزونين العابسة، وضيق المتبرم بحياته، المستاء من مظهره بين أهله وذوية، أما أسطورة الضعف الجنسى فقد كشفها الطب الصادق بما لا يدع مجالا للريب، لأن ما يظن من النشاط شيء وقتى يعود سريعا على صاحبه بانتكاس أوجع وأفجع، بحيث يكون فى تكراره ما يهدم جهاز النسل هدما ويحطمه تحطيما، وما أظن عاقلا يقبل أن يسعد لحظات معدودة ليفاجأ بانهيار تام يصحبه مدى الحياة، فإذا كرر ما اقترف فقد ساعد على بواعث الهدم بما يجعل الجسم أنقاضا فوق أنقاض!

وإننا لنتساءل بعد ذلك، أهذا الذى كتبه ذلك المأجور الآثم يعتبر مقبولا من ناحيتى الشكل والموضوع؟ أما من ناحية الشكل التعبيرى فهو مرفوض إذ لا يجوز لكاتب يحترم نفسه أن يتناقض فى مثال واحد، فيجعل مبدأ المقال حربا على المخدرات ونهايته تأييدا لها لأن بدء المقال بتأييد الحملة على المخدرات يوحى باتجاه معارض لها، فإذا لم تصلح المقدمة أن تكون ذات ارتباط بجوهر الموضوع، فهنا الانفصام الشائه، والإسفاف المضحك.

أما من ناحية الموضوع، فنحن نعلم جيدا أن الكاتب المخلص يعرض وجهات النظر المختلفة، ليعقب على كل وجهة بما يراه، فإذا سلم مبدئيا بوجوب الإبادة الكاسحة لهذه المخدرات، فان عليه متى تعرض لوجهة النظر المقابلة أن يرد عليها بما يبرز خداعها الزائف، فنحن لا نمنعه إطلاقا أن يشير إلى ما يدعيه مروجو المخدرات، بل نوجب عليه ذلك ليتضح وجه الصواب للقراء، ولكننا نطلب منه ألا يقف عند مثل قول الله: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَوٰةَ﴾[1]، بل عليه أن يعقب على هذه الادعاءات بما يبين زيفها الصريح، فيكون حينئذ من ذوى النظر الممتد، ولن يفعل ذلك إلا من ينشر الحقيقة لوجه الحقيقة، اما الذين يخادعون الناس من ذوى النفاق فإننا

(١) النساء: (٤٣).

تكلفهم رهقا حين نطلب منهم أن يسيروا على الصراط القويم، وكيف نطلب منهم ذلك وما حملوا القلم، وتكلفوا القول إلا ليدعوا إلى المنكر الصريح..

ونحن نسأل المنافقين الخادعين، ما بال الواحد منهم ينكر على ابنه كل الإنكار أن يقترف السكر الشائن ويرى الادمان مصيبة كبرى تنزل بفلذة كبده لو اتجه إليه، ثم لا يمنعه الضمير اليقظ أن يخلط السم بالدسم فيُرضى من استأجروه حين يجهد نفسه فى تلفيق ما يجذب بعض الرغبات، تلفيقا يعلم فى قرارة نفسه قلة جدواه.. على أن هذا الكاتب ليس وحده، فهناك من يعزفون معه على قيثار واحد. وكأنهم جنود فى كتيبة واحدة يحاربون عدوا واحدا فى جبهة واحدة، هؤلاء ليسوا كتاب المقال، ولكنهم مؤلفو القصص الهابطة، والرابحة معا.

إنك لتقرأ القصة لأحد هؤلاء فتجدها فى أكثر صفحاتها، لا تتحدث إلا عن مجالس الإدمان، باعتبارها واحة الأمان تجد السرد المسهب المتكرر لهذه البؤر السوداء مضيفا إلى جريمة السكر اشنع ضروب الفجور والتهتك، فإذا أنحيت باللائمة على هؤلاء المتحدرين فلا تسمع غير أنهم يصفون شريحة من شرائح المجتمع!! وهم فى الواقع لا يصفون إلا هذه الشريحة وحدها كأن ليس فى الدنيا إلا مجتمع السقوط! ولن تجد تعليلا لمثل هذا الإلحاح المتواصل إلا أنه يمثل رغبات الكاتب وحدة، إذ لا يستريح فى جو غير هذا الجو، فإذا اشرأب إلى آفاق النور ذهب البرق ببصره فارتد خاسئا وهو حسير.

فإذا تركنا ما ظهر من نفاق الرأى فى قضية الإدمان وانتقلنا إلى قضية المرأة، فسيهولك ما تسمع من أعاجيب مريبة تختلط فيها الإحكام وتطير بها الأهواء إلى الباطل الصريح.

إن حكم الله فى أمر المرأة سفورا وحجابا، وعملا وراحة، وتعليما واهمالا، وتصونا واختلاطا معروف مؤيد بالدليل، ولكن الذين يلوون ألسنتهم بالكذب يعمدون إلى النفاق حين ينتقلون بالدليل إلى غير موضعه وهم على بينة من هذا التلبيس الخادع، ولكن الغرض يعمى ويصم.

تتحدث عن تصون المرأة، ووجوب تحفظها فى مجتمع مسرف عابث، فتجد من يفاحش بالرأى، ويحاحش بالدليل ويتستر بالنفاق فيقول إن عائشة – رضى الله عنها – كانت تعلم الناس أحكام الله نقلا عن رسول الله! فتتساءل دهشا عن موضع الدليل فيما ذكر الكاتب عن عائشة – رضى الله عنها – فلا تجد! إذ ليس بين العلماء من ينكر على المرأة حقها فى التعلم والتعليم، وتضلعها فى بعض مسائل العلم الذى تختاره مناسبا لعقلها ومداركها وطبيعة حياتها، إنما الإنكار على التبذل السفيه، والانحدار المسف، والتبرج الخليع؟ فأين موضع الشاهد فى تضلع عائشة، وفقهها التشريعى! أفيجهل الكاتب أنه أتى بالدليل فى غير مكانه، إنه بديهيا لا يجهل، ولكنه يخادع منافقا، واهما أن القارئين جميعا سينخدعون بتمويهه وهو فى الحقيقة لم يخدع إلا نفسه حين نافق فى الرأى عن غرض سقيم، نحن ننكر الخلاعة والتبرج والاختلاط الآثم! فهل إذا تحدثت عائشة المصونة عن أمور الدين يكون ذلك دليل التبرج والاختلاط الماجن؟

ونقول إن للمرأة وظائف اجتماعية خاصة لا تتعداها كالطب والتربية والتعليم والحضانة فتجد من يقول إن نسيبة – رضى الله عنها – قد حاربت مع الرسول، وهذا تضليل كاذب، لأن ساعة الحرب تمثل حدثا طارئا يتجند له كل مواطن، والمرأة فى شتى أدوار التاريخ لم تتخل عن جهادها الحربى تحريضاً تارة، ومجابهة بالقذائف تارة دون أن ينكر عليها أحد، وفى موقعة المنصورة كانت النساء يقذفن الصليبيين من أعالى المنازل بالحجارة والماء الساخن، وقد أثنى عليهن عالم عصره الإمام الغيور عز الدين بن عبد السلام!

فهل الدعوة إلى اقتصار المرأة على المهن المناسبة لتكوينها الطبيعى، تدفع المعارض إلى الاستشهاد بنسيبة – رضى الله عنها – وأمثالها الكثيرات! وإذا كانت الأحكام العرفية تعلن رسميا فى أيام الحرب وتعد المصانع لنوع خاص من الذخيرة، وتحمى بعض الطرق لتخصص لسير العربات الحربية وتحمل المرأة السلاح لتقف مع الرجل تجاه الهول الصاعق! إذا كان ذلك كله يحدث استثنائيا أيام الحرب! أنتخذه دليلاً على ما يصنع فى عهد السلم، ونتشدق بأن نسيبة – رضى الله عنها – كانت تحمل السلاح! لقد كانت تحمل السلاح كالرجل، ولم تكن ذات خلاعة ومجون!

وأبشع شىء أن ينكر صاحب الرأى المنافق مكانة المرأة الملموسة فى المجتمع المصرى حيث تشارك الفلاحة زوجها فى الحقل زارعة وحاصدة ومربية للدواجن، ومتعهدة للماشية حتى أن جهدها فى بعض الأحيان يفوق مجهوده انتاجا وحصادا!

كان ذلك فى كل العصور الإسلامية دون استثناء، ومع هذا الواقع الملموس نجهر بأن المرأة حبيسة المنزل، سجينة البيت، أمَةَ الرجل، ويجب أن تخرج إلى الشارع لتنشم الهواء، وتنشط الجسم، أفليس هذا دجلا كاذبا، مبعثه النفاق الإثيم!

أيها المتصدرون للبحوث الاجتماعية! إن القلم أمانة، وان الرأى شهادة وإن من يجرى قلمه بغير الحق خائن، ومن يكتب غير ما يرى شاهد زور! فتبينوا أين تكونون!

د. / محمد رجب البيومى

تفسير سورة البقرة

قال تعالى:

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

الآيات (٢٦١ : ٢٦٢)

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

ذكر بعض المفسرين أن هاتين الآيتين نزلتا في صدقة عبدالرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، وذلك أن رسول الله ﷺ لما حث الناس حين أراد الخروج إلى غزوة تبوك، جاء عبدالرحمن بأربعة آلاف درهم فقال: يا رسول الله كانت لي ثمانية آلاف فأمسكت لنفسي ولعيالي أربعة آلاف، وأربعة آلاف أقرضتها لربي، فقال رسول الله ﷺ «بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت»[1]. وجاء عثمان بألف دينار في جيش العسرة فصبها في حجر الرسول ﷺ قال عبدالرحمن بن سمرة - راوي الحديث - فرأيته ﷺ يدخل يده فيها ويقلبها ويقول: «ماضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم اللهم لا تنس هذا اليوم لعثمان»[2]. وقال أبو سعيد الخدري: رأيت النبي ﷺ رافعا يديه يدعو لعثمان ويقول: «يارب عثمان إني رضيت عن عثمان فارض عنه»[3].

ونزول هاتين الآيتين في شأن صدقة هذين الصحابيين الجليلين لا يمنع من شمولهما لكل من نهج نهجهما، وبذل من ماله في سبيل الله.

و«المثل»، الشبه والنظير، ثم أطلق على القول السائر المعروف لمماثلة مضربه لمورده الذي ورد فيه أولا. ثم استعير للصفة أو الحال أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة، وعلى هذا المعنى يحمل المثل في هذه الآية.

و«الحبة» كما يقول القرطبي - اسم جنس لكل ما يزرعه ابن آدم ويقتاته، وأشهر ذلك البر فكثيرا ما يراد بالحب.

وسنبلة - بوزن فنعلة - من أسبل الزرع إذا صار فيه السنبل، أي استرسل بالسنبل كما يسترسل الستر بالإسبال. وقيل: معناه صار فيه حب مستور كما يستر الشيء بإسبال الستر عليه. والجمع سنابل.

والمعنى: مثل صدقة الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله، أي: في طاعته، كمثل حبة القيت في أرض طيبة، أصابها الغيث، فخرجت الحبة على هيئة زرع قوى جميل فأنبتت في الوقت المناسب لإنباتها سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة.

فأنت ترى أن الخالق - عز وجل - قد شبه الصدقة التي يبذلها المؤمن في سبيل الله فيكافئه الله - تعالى - عليها بالثواب العظيم، بحال الحبة التي تلقى في الأرض النقية فتخرج عودا مستويا قائما قد تشعب إلى سبع شعب، في كل شعبة سنبلة، وفي كل سنبلة مائة حبة. وفي هذا التشبيه ما فيه من الحض على الإنفاق في وجوه الخير، ومن الترغيب في فعل البر ولاسيما النفقة في الجهاد في سبيل الله.

(١) فتح الباري جـ٨ صـ٣٣٢.
(٢) تفسير القرطبي جـ٣ ص٢٠٢، ٢٠٦.
(٣) الإمام أحمد ٥/٦٣.

قال ابن كثير: وهذا المثل أبلغ في النفوس من ذكر عدد السبعمائة. فإن هذا فيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينميها الله - تعالى - لأصحابها كما ينمي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة[٤].

وقال - سبحانه -: ﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ ﴾ فأسند الإنبات إلى الحبة، مع أن المنبت في الحقيقة هو الله، وذلك لأنها سبب لوجود تلك السنابل المليئة بالحبات، ولأنها هي الأصل لما تولد عنها.

ثم قال - تعالى -: ﴿ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ﴾ أي والله - تعالى - يضاعف الثواب والجزاء أضعافا كثيرة لمن يشاء من عباده، فيعطي بعضهم سبعمائة ضعف، ويعطي بعضهم أكثر من ذلك، لأن الصدقة يختلف ثوابها باختلاف حال المتصدق، فمتى خرجت منه بنية خالصة، وقلب سليم، ونفس صافية، ومن مال حلال، ووضعت في موضعها المناسب، متى كانت كذلك كان الجزاء عليها أوفر، والمضاعفة لها تزيد على سبعمائة ضعف. إذ عطاء الله لمن يشاء من عباده ليس له حدود، وثوابه ليس له حساب معدود.

ولذا ختم - سبحانه - الآية بقوله: ﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ أي والله - تعالى - عطاؤه واسع، وجوده عميم، وفضله كبير، وهو - تعالى - عليم بنيات عباده وبأقوالهم وبأفعالهم وبسائر شئونهم، فيجازي كل إنسان على حسب نيته وعمله.

وقوله - تعالى -:

﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾

استئناف جيء به لبيان كيفية الإنفاق الذي يحبه الله، ويجازي عليه المنفقين بالجزاء العظيم.

وقوله:

﴿ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى ﴾

تحذير للمتصدق من هاتين الصفتين الذميمتين لأنهما مبطلتان لثواب الصدقة.

والمن معناه: أن يتطاول المحسن بإحسانه على من أحسن إليه، ويتفاخر عليه بسبب ما أعطاه من عطايا. كأن يقول على سبيل التفاخر والتعيير: لقد أحسنت إليك وأنقذتك من الفقر وما يشبه ذلك.

قال الإمام الرازي ما ملخصه: والمن في اللغة على وجوه: فقد يأتي بمعنى الإنعام. يقال: قد من الله على فلان. إذا أنعم عليه بنعمة. وقد يأتي بمعنى النقص من الحق والبخس له. قال - تعالى -: ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾[٥] أي غير

---

(٤) تفسير ابن كثير جـ١ ص٣١٦.

(٥) القلم (٣).

مقطوع وغير ممنوع ومنه سمي الموت منونا لأنه يقطع الأعمار، ومن هذا الباب المنة المذمومة لأنها تنقص النعمة وتكدرها، والعرب يتمدحون بترك المن بالنعمة.

والمراد بالمن في الآية المذموم الذي هو بمعنى «إظهار الاصطناع إليهم»[٦].

وقال صاحب الكشاف: المن: أن يعتد على من أحسن إليه بإحسانه، ويريد أنه اصطنعه وأوجب عليه حقا له، وكانوا يقولون: إذا صنعتم صنيعة فانسوها. ولبعضهم:

وإن امرؤ أسدى إلي صنيعة
وذكرنيها إنه للئيم

وفي نوابغ الكلم: صنوان: «من منح سائله ومن، ومن منع نائله وضن»[٧] والمراد بالأذى في الآية: أن يقول المعطي لمن أعطاه قولا يؤذيه، أو يفعل معه فعلا يسيء به إليه، وهو أعم من المن، إذ المن نوع من الأذى لكنه نص عليه لكثرة وقوعه.

وجاء العطف بثم في الجملة الكريمة، لإظهار التفاوت الشديد في الرتبة بين الإنفاق الذي يحبه الله، وبين الإنفاق الذي يصاحبه المن والأذى، وللإشعار بأن المن والأذى بغيضان عند الإنفاق وبعده، فعلى المنفق أن يستمر في أدبه وإخلاصه وقت الإنفاق وبعده حتى لا يذهب ثوابه، إذ المنّ والأذى مبطلان للثواب في أي وقت يحصلان فيه.

قال الشيخ ابن المنير مبينا أن ﴿ ثُمَّ ﴾ هنا تفيد استمرار الفعل بجانب إفادتها للتفاوت في الرتبة: وعندي فيها - أي في ثم - وجه آخر محتمل في هذه الآية ونحوها. وهو الدلالة على دوام الفعل المعطوف بها وإرخاء الطول في استصحابه. فهي على هذا لم تخرج عن الإشعار ببعد الزمن، ولكن معناها الأصلي تراخي زمن وقوع الفعل وحدوثه، ومعناها المستعار إليه دوام وجود الفعل وتراخي زمن بقائه. وعليه حمل قوله:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾[٨]

أي: داوموا على هذه الاستقامة دواما متراخيا ممتد الأمد.. وكذلك قوله هنا «ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى» أي يدومون على تناسي الإحسان وعلى ترك الاعتداد به والامتنان والأذى.[٩].

وكرر - سبحانه - النفي في قوله:

﴿ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى ﴾

لتأكيده وشموله لأفراد كل واحد منهما، أي يجب ألا يقع منهم أي نوع من أنواع المن ولا أي نوع من أنواع الأذى. حتى لقد قال بعض الصالحين: «لئن ظننت أن سلامك يثقل على

---

(٦) تفسير الفخر الرازي جـ٧ ص٤٩.

(٧) تفسير الكشاف جـ١ ص٣١٦.

(٨) فصلت (٣٠).

(٩) حاشية تفسير الكشاف جـ١ ص٣١٦ للشيخ أحمد بن المنير.

من أنفقت عليه بنفقة تبتغى بها وجه الله، فلا تسلم عليه».

ثم ختم ـ سبحانه ـ الآية ببيان عاقبة المنفقين بلا من ولا أذى فقال:

﴿ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

أى: لهم جزاؤهم العظيم مكافأة لهم على أدبهم وإخلاصهم، عند مربيهم ومالك أمرهم، ولا خوف عليهم مما سيجدونه فى مستقبلهم، ولا هم يحزنون على ماضيهم، وذلك لأن الله ـ تعالى ـ قد أحاطهم برعايته فى دنياهم وأخراهم وعوضهم عما فارقوه خير عوض وأكرمه.

ثم كرر ـ سبحانه ـ التحذير من المن والأذى، مناديا المؤمنين بأن يجتنبوا فى صدقاتهم هاتين الرذيلتين، مبينا أن الكلمة الطيبة للفقير خير من إعطائه مع إيذائه، استمع إلى القرآن الكريم وهو يسوق هذه المعانى وغيرها بأسلوبه البليغ المؤثر فيقول فى الآيات (٢٦٣، ٢٦٤):

﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾

والمعنى: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾ بأن تقول للسائل كلاما جميلا طيبا تجبر به خاطره، ويحفظ له كرامته «ومغفرة» لما وقع منه من إلحاف فى السؤال، وستر خاله وصفح عنه، ﴿ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ﴾ أى خير من صدقة يتبعها المتصدق أذى للمتصدق عليه.

لأن الكلمة الطيبة للسائل، والستر عليه، والعفو عنه فيما صدر منه، كل ذلك يؤدى إلى رفع الدرجات عند الله، وإلى تهذيب النفوس، وتأليف القلوب وحفظ كرامة أولئك الذين مدوا أيديهم بالسؤال. أما الصدقة التى يتبعها الأذى فإن إيتاءها بتلك الطريقة يؤدى إلى ذهاب ثوابها، وإلى زيادة الآلام عند السائلين ولاسيما الذين يحرصون على حفظ كرامتهم، وعلى صيانة ماء وجوههم، فإن ألم الحرمان عند بعض الناس أقل أثرا فى نفوسهم من آلام الصدقة المصحوبة بالأذى، لأن ألم الحرمان يخففه الصبر الذى وراءه الفرج، أما آلام الصدقة المصحوبة بالأذى لهم فإنها تصيب النفوس الكريمة بالجراح التى من العسير التئامها وشفاؤها.

قال القرطبى: روى مسلم فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «الكلمة الطيبة صدقة، وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق». فعلى المسئول أن يتلقى السائل بالبشر والترحيب، ويقابله بالطلاقة والتقريب

ليكون مشكورا إن أعطى ومعذورا إن منع. وقد قال بعض الحكماء: «الق صاحب الحاجة بالبشر فإن عدمت شكره لم تعدم عذره»[١٠].

وقوله: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾ مبتدأ وساغ الابتداء بالنكرة لوصفها وللعطف عليها.

وقوله: ﴿ وَمَغْفِرَةٌ ﴾ عطف عليه وسوغ الابتداء بها العطف أو الصفة المقدرة إذ التقدير ومغفرة للسائل أو من الله وقوله:

﴿ خَيْرٌ ﴾ خبر عنهما وقوله:

﴿ يَتْبَعُهَا أَذًى ﴾ فى محل جر صفة لصدقة.

ثم ختم الله ـ تعالى ـ الآية بقوله:

﴿ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾ أى والله ـ تعالى ـ غنى عن إنفاق المنفقين وصدقات المتصدقين. وإنما أمرهم بهما لمصلحة تعود عليهم. أو غنى عن الصدقة المصحوبة بالأذى فلا يقبلها. ﴿ حَلِيمٌ ﴾ فلا يعجل بالعقوبة على مستحقها، فهو ـ سبحانه ـ يمهل ولا يهمل.

والجملة الكريمة تذييل لما قبله مشتملة على الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب.

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ ﴾

نداء منه ـ سبحانه ـ للمؤمنين يكرر فيه نهيهم عن المن والأذى، لأنهما يؤديان إلى ذهاب الأجر من الله ـ تعالى ـ وإلى عدم الشكر من الناس ولذا جاء فى الحديث الشريف: «إياكم والامتنان بالمعروف فإنه يبطل الشكر ويمحق الأجر»[١١].

ثم أكد ـ سبحانه ـ هذا النهى عن المن والأذى بذكر مثلين فقال فى أولهما:

﴿ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾

والمعنى: يا من آمنتم بالله ـ تعالى ـ لا تبطلوا صدقاتكم بأن تحبطوا أجرها، وتمحقوا ثمارها، بسبب المن والأذى، فيكون مثلكم فى هذا الإبطال لصدقاتكم بسبب ما ارتكبتم من آثام، كمثل المنافق الذى ينفق ماله من أجل أن يرى الناس منه ذلك ولا يبغى به رضاء الله ولا ثواب الآخرة، لأنه كفر بالله، وكفر بحساب الآخرة.

وفى هذا التشبيه تنفير شديد من المن والأذى لأنه ـ سبحانه ـ شبه حال المتصدق المتصف بهما فى إبطال عمله بسببهما بحال هذا المنافق المرائى الذى لا يؤمن بالله واليوم الآخر.

وقوله: ﴿ كَالَّذِي ﴾ الكاف فى محل نصب على أنها نعت لمصدر محذوف أى: لا

(١٠) تفسير القرطبى جـ٣ ص٣٠٩.

(١١) القرطبى ٣/٣٥٦.

تبطلوها إبطالا كإبطال الذى ينفق ماله رئاء الناس.. أو فى محل نصب على الحال من فاعل ﴿ تبطلوا ﴾ أى لا تبطلوها مشابهين الذى ينفق ماله رئاء الناس.

وقوله: ﴿ رِئَآءَ ﴾ منصوب على أنه مفعول لأجله أى: كالذى ينفق ماله من أجل رئاء الناس.

وأما المثال الثانى فقال ـ سبحانه ـ:

﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ﴾

﴿ صَفْوَانٍ ﴾ اسم جنس جمعى واحده صفوانة كشجر وشجرة وهو الحجر الكبير الأملس، مأخوذ من الصفاء وهو خلوص الشىء مما يشوبه. يقال: يوم صفوان أى صافى الشمس. وقيل هو مفرد كحجر. و«الوابل» المطر الشديد. يقال: وبلت السماء تبل وبلا ووبولا. اشتد مطرها و«الصلد» هو الشىء الأجرد النقى من التراب الذى كان عليه. ومنه رأس أصلد إذا كان لا ينبت شعرا، والأصلد الأجرد الذى لا ينبت شيئا مأخوذ من صلد يصلد صلدا فهو صلد.

والمعنى: يأيها المؤمنون لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى فيكون مثلكم كمثل المنافق الذى ينفق ماله من أجل الرياء لا من أجل رضا الله، وإن مثل هذا المنافق فى انكشاف أمره وعدم انتفاعه بما ينفقه رياء وحبا للظهور كمثل حجر أملس لا ينبت شيئا ولكن عليه قليل من التراب الموهم للناظر إليه أنه منتج فنزل المطر الشديد فأزال ما عليه من تراب، فانكشف حقيقته وتبين للناظر إليه أنه حجر أملس صلد لا يصلح لإنبات أى شىء عليه.

فالتشبيه فى الجملة الكريمة بين الذى ينفق ماله رياء وبين الحجر الكبير الأملس الذى عليه قدر رقيق من التراب ستر حاله، ثم ينزل المطر فيزيل التراب وتنكشف حقيقته ويراه الرائى عاريا من أى شىء يستره. وكذلك المنافق المرائى فى إنفاقه يتظاهر بمظهر السخاء أمام الناس ثم لا يلبث أن ينكشف أمره لأن ثوب الرياء يشف دائما عما تحته، وإن لم يكشفه فإن الله كاشفه.

ومن المفسرين من يرى أن التشبيه فى الجملة الكريمة بين المنفق الذى يبطل صدقته بالمن والأذى وبين الحجر الأملس، وأن الضمير فى قوله:

﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ ﴾ يعود إلى هذا المبطل لصدقته بالمن والأذى. فيكون المعنى: لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى فيكون مثلكم كمثل الحجر الأملس الذى عليه تراب كان يرجى أن يكون منبتا للزرع فنزل المطر فأزال التراب فبطل إنتاجه، فالمن والأذى يبطلان الصدقات ويزيلان أثرها النافع، كما يزيل المطر التراب الذى يؤمل منه الإنبات من فوق الحجر الأملس.

والذى نراه أن عودة الضمير فى قوله: ﴿ فَمَثَلُهُۥ ﴾ على الذى ينفق ماله رئاء الناس أظهر لأنه أقرب مذكور، ولأن التشبيه فى قوله: ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ ﴾ قد جاء بلفظ المفرد وهو المناسب للذى ينفق ماله رئاء الناس لأنه مفرد مثله، بخلاف قوله:

﴿ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ فإن الضمير فيه بلفظ الجمع، فمن الأولى أن يعود الضمير فى قوله: ﴿ فَمَثَلُهُۥ ﴾ إلى المرائى لتوافقهما فى الأفراد.

ثم قال ـ تعالى ـ:

﴿ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ﴾

أى أن الذين يبطلون صدقاتهم بالمن والأذى، والذين يتصدقون رياء ومفاخرة لا يقدرون على تحصيل شىء من ثواب ما عملوا لأن ما صاحب أعمالهم من رياء ومن أذى محق بركتها، وأذهب ثمرتها، وأزال ثوابها.

أو المعنى: أن أولئك المنانين والمرائين ليس عندهم قدرة على شىء من المال الذى بين أيديهم وإنما هذا المال ملك لله وهو ـ سبحانه ـ الذى أنعم به عليهم، فعليهم أن يشكروه على هذه النعمة، وأن ينفقوه بدون من أو أذى أو مراءاة، حتى يظفروا بحسن المثوبة منه ـ سبحانه ـ.

ثم ختم ـ سبحانه ـ الآية الكريمة بقوله:

﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ أى لا يهديهم إلى ما ينفعهم لأنهم آثروا الكفر على الإيمان.

والجملة الكريمة تذييل مقرر لمضمون ما قبله، وفيها إشارة إلى أن الإنفاق المصحوب بالمن والأذى والرياء ليس من صفات المؤمنين وإنما هو من صفات الكافرين، فعلى المؤمنين أن يجتنبوا هذه الصفات التى لا تليق بهم.

والذى ينظر فى هذه الآيات الكريمة يرى أن الله ـ تعالى ـ قد حذر المنفقين من المن والأذى فى ثلاث آيات متواليات، كما حذرهم من الرياء، وساق أكثر من تشبيه لتقبيح الصدقات التى لا تكون خالصة لوجه الله فلماذا كل هذا التشديد فى النهى؟

والجواب عن ذلك: أن المن والأذى فى الإنفاق كثيرا ما يحصلان بسبب استعلاء كاذب، أو رغبة فى إذلال المحتاج وإظهاره بمظهر الضعيف: وكلا الأمرين لا يليق بالنفس المؤمنة المخلصة، ولا يتلاقى مطلقا مع الحكم التى من أجلها شرعت الصدقات بل إنه ليتنافر معها تنافرا تاما لأن الصدقات شرعها الله لتهذيب النفوس وتطهير القلوب ولتربط بين الأغنياء والفقراء برباط المحبة والمودة والإخاء، فإذا ما صاحبها المن والأذى أثمرت نقيض ما شرعت له، لأنها تثير فى نفس المعطى بسبب ذلك الكبر والخيلاء وغير ذلك من الصفات الذميمة، وتثير فى نفس الآخذ

شعورا بالحقد والانتقام ممن أعطاه ثم آذاه وبذلك تنقطع الروابط، ويتمزق المجتمع، وتتحول المحبة إلى عداوة.

ولقد تحدث الإمام الرازى عن الآثار السيئة للمن والأذى فقال ما ملخصه:

وإنما كان المن مذموما لوجوه:

الأول: أن الفقير الآخذ للصدقة منكسر القلب لأجل حاجته إلى صدقة، فإذا أضاف المعطى إلى ذلك إظهار الإنعام زاد ذلك فى انكسار قلبه فيكون فى حكم المضرة بعد المنفعة، وفى حكم المسىء إليه بعد أن أحسن إليه.

والثانى: أن إظهار المن يبعد أهل الحاجة عن الرغبة فى صدقته إذا اشتهر من طريق ذلك.

الثالث: أن المعطى يجب أن يعتقد أن هذه النعمة من الله ـ تعالى ـ عليه ـ وأن يعتقد أن لله عليه نعما عظيمة حيث وفقه لهذا العمل ومتى كان الأمر كذلك امتنع عن أن يجعل ما ينفقه منة على الغير.

الرابع: أن المعطى فى الحقيقة هو الله، ومتى اعتقد العبد ذلك استنار قلبه، أما إذا اعتقد غير ذلك فإنه يكون فى درجة البهائم الذين لا يترقى نظرهم عن المحسوس إلى المعقول، وعن الآثار إلى المؤثر.. وأما الأذى فيتناول كل ذلك وغيره مما يسىء إلى الفقير بأن يقول له: فرج الله عنى منك، وأنت أبدا تأتى إلى بما يؤلم. إلخ[١٢].

هذا، وقد ساق الإمام ابن كثير عددا من الأحاديث الشريفة التى نهت عن المن والأذى ومن ذلك ما جاء فى صحيح مسلم عن أبى ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المنان بما أعطى، والمسبل إزاره، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب» وروى النسائى عن ابن عباس عن النبى ﷺ أنه قال: «لا يدخل الجنة مدمن خمر، ولا عاق لوالديه، ولا منان»[١٣].

وبعد أن بين القرآن سوء عاقبة الذين يراءون فى صدقتهم، ويفسدون ثمارها بالمن والأذى، أتبع ذلك ببيان حسن عاقبة الذين ينفقون أموالهم ابتغاء رضا الله، فقال ـ تعالى فى الآية (٢٦٥):

﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

التثبيت: تحقيق الشىء وترسيخه.

والجنة ـ كما يقول الراغب ـ كل بستان ذى شجر يستر بأشجاره الأرض. وأصل الجن ستر الشىء على الحاسة، يقال: جنه الليل وأجنه أى ستره. وسميت الجنة بذلك لأنها تظلل ما تحتها وتستره. «والربوة» ـ بضم

(١٢) تفسير الفخر الرازى جـ٧ ص٤٩.

(١٣) تفسير ابن كثير جـ١ ص٣١٨.

الراء وفتحها ـ المكان المرتفع من الأرض. وأصلها من قولهم: ربا الشىء يربو إذا ازداد وارتفع ومنه الربا للزيادة المأخوذة على أصل الشىء.

والمعنى: ومثل الذين ينفقون أموالهم طلبا لرضى الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ أى: وتوطينا لأنفسهم على حفظ هذه الطاعة وعلى ترك ما يفسدها كمثل جنة بموضع مرتفع من الأرض نزل بها مطر كثير فأخرجت ثمرها

﴿ ضِعْفَيْنِ ﴾ أى ضعفا بعد ضعف فتكون التثنية للتكثير، أو فأعطت صاحبها أو الناس مثلى ما كانت تثمر فى سائر الأوقات بسبب ما أصابها من المطر الغزير. أو فأخرجت ثمرها ضعفين بالنسبة إلى غيرها من الجنان.

والمقصود تشبيه نفقة هؤلاء المؤمنين المخلصين فى زكائها ونمائها عند الله بتلك الحديقة اليانعة المرتفعة التى تنزل عليها المطر الغزير فآتت أكلها مضاعفا وأخرجت للناس من كل زوج بهيج.

وقوله: ﴿ ابْتِغَاءَ ﴾ مفعول لأجله أى يبذلون نفقتهم من أجل رضا الله ـ عز وجل ـ أو حال من فاعل ينفقون. أى ينفقون أموالهم طالبين رضا الله.

وقوله: ﴿ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ معطوف على سابقه، وقد ذكر صاحب الكشاف أوجها فى معنى هذه الجملة الكريمة فقال: قوله:

﴿ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ أى وليثبتوا منها ببذل المال الذى هو شقيق الروح على سائر العبادات الشاقة وعلى الإيمان، لأن النفس إذا ريضت بالتحامل عليها وتكليفها، ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها وقل طمعها فى اتباعه لشهواتها وبالعكس، فكان إنفاق المال تثبيتا لها على الإيمان واليقين. و﴿ مِّنْ ﴾ على هذا الوجه للتبعيض، مثلها فى قولهم: هز من عطفه وحرك من نشاطه. ويجوز أن يراد من قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ أى: وتصديقا للإسلام وتحقيقا للجزاء من أصل أنفسهم لأنه إذا أنفق المسلم ماله فى سبيل الله، علم أن تصديقه وإيمانه بالثواب من أصل نفسه ومن إخلاص قلبه. و﴿ مِّنْ ﴾ على هذا الوجه لابتداء الغاية، كقوله ـ تعالى ـ:

﴿ حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ ويحتمل أن يكون المعنى: وتثبيتا من أنفسهم عند المؤمنين أنها صادقة الإيمان مخلصة فيه، وتعضد هذا المعنى قراءة مجاهد: وتبيينا من أنفسهم: فإن قلت: فما معنى التبعيض؟ قلت: معناه أن من بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه، ومن بذل ماله وروحه معا فهو الذى ثبتها كلها كما فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ ﴾(١٤)

وخصص الجنة بأنها بربوة لأن الأشجار فى المكان المرتفع من الأرض تكون عادة أحسن منظرا، وأزكى ثمرا، للطافة هوائها، فكان من فوائد هذا القيد إعطاء وجه الشبه - وهو تضعيف المنفعة وجمالها قوة ووضوحا، كما أن من فوائده تحسين المشبه به تحسينا يعود أثره إلى المشبه عند السامع.

ثم قال - تعالى - :

﴿ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞ ﴾.

والطل: هو المطر القليل وجمعه طلال، وهو مبتدأ محذوف الخبر أى فطل قليل يصيبها يكفيها.

والمراد أن هذه الجنة لطيبها وكرم منبتها تزكو وتثمر كثر المطر النازل عليها أو قل فكذلك نفقة المؤمنين المخلصين تزكو عند الله وتطيب كثرت أو قلت، لأن إخلاصهم فيها جعلها عند الله - تعالى - مضاعفة نامية.

ثم ختم - سبحانه - الآية بقوله:

﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

أى أنه - سبحانه - عليم بأحوال عباده لا تخفى عليه خافية، وسيجازى المخلصين بما يرضيهم كما سيجازى المنانين والمرائين بما يستحقون. ففى الجملة الكريمة ترغيب وترهيب ووعيد.

وبذلك نرى القرآن الكريم قد ساق فى هذه الآية وسابقتها حالتين متقابلتين: حالة الذى يبطل صدقته بالمن والأذى والرياء، وكيف تكون عاقبته ونهايته. وحالة الذى ينفق ماله طلبا لرضا الله وتعويداً لنفسه على فعل الطيبات وكيف يكون جزاؤه عند العليم الخبير ولقد صور القرآن هاتين الحالتين تصويرا مؤثرا بديعا، من شأنه أن يهدى العقلاء إلى فعل الخيرات، وإخلاص النيات، واجتناب السيئات.

***

(١٤) تفسير الكشاف جـ١ صفحة ٣١٢ بتصرف يسير.

من الإعجاز البيانى فى القرآن الكريم

نجم فى سماء الرسالات: صورة إيمانية

لفضيلة الشيخ/ صديق بكر عيطة

قال - تعالى - فى سورة النجم:

﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ
عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ (٣) إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ (٥)
ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ (٦) وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨)
فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ (٩) فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ (١٠)
مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ (١١) أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (١٢) وَلَقَدۡ رَءَاهُ
نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ (١٣) عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ (١٥)
إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ (١٦) مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (١٧) لَقَدۡ رَأَىٰ
مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴾ (الآيات من ١ : ١٨).

أما أنه ﷺ كان نجماً فى سماء الرسالات، فتلك حقيقة واضحة، ليست فى حاجة إلى مزيد من بيان؛ ويكفى أن تعرف أن من سبقه من الأنبياء والرسل كانوا يتمنون أن يكونوا من أمته..!! فلماذا إذن كانت «صورة إيمانية»؟. وهل هى محكومة «فنيا» بإطار التصوير، الذى درجنا فى مسيرتنا على استلهامه، واستنباط عناصره من بين مكونات العبارة القرآنية؛ حينما تتخذ من الحركة المنظورة، والكلمة المسموعة والتجسيد الفعلى للأحداث، سبيلاً لنقل القارئ من مقعد المتابع للفكرة الذهنية المجردة، إلى مقعد المشاهد للحدث وتقلباته، وأحياناً إلى موقع المشارك فى صنع الحدث.. ليكون ذلك أقوى فى بيان الحقيقة القرآنية، وأقطع فى إقامة الحجة، وأنفى للمعذرة، وأبلغ فى تحقيق الهدف المنشود؟!.. هذا أولا. وثانيا: لماذا كانت «إيمانية»؟. وهل الإيمان له صورة؟. وهل تستمد هذه الصورة عناصرها الفنية مما

تستمد منه عناصرُ الصورة الفنية التى تعرفنا عليها فى هذه المسيرة؟.

مجموعة من التساؤلات المتشابكة، التى يرتكز بعضها على بعض، أو يأخذ بعضها بتلابيب البعض الآخر، والتى تشكل الإجابة عنها صلب هذه الرؤية الفنية العامة للآيات التى معنا، مع ما قد يضاف إليها من قضايا أخرى لها علاقة بها..

●●●

فسورة «النجم» إحدى السور المكيّة، التى جاءت لتعالج قضية العقيدة بآفاقها الروحية الممتدة. ومن أهم ما يمهد للعقيدة الصحيحة، التى تتوثق فيها عرى الإيمان بالله ـ تبارك وتعالى ـ، أن تتوثق عرى الإيمان بصدق صاحب الدعوة ﷺ فى كل ما يبلغ عن ربه ـ عز وجل ـ: فلا يتهم بالكذب، ولا يوصف بالضلال، ولا يوصم بالغفلة فى تبليغ ما يتنزل إليه من السماء، كما لا يُتهم بالاحتكام إلى هواه فى الإعلان عن هذه الرسالة العظمى:

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾

ومن أبرز آفاق العقيدة الصحيحة، أن يكشف القرآن الكريم، وصاحب الدعوة ﷺ زيف عبادة خصوم هذه الدعوة، وأن ما يعبدونه من دون الله، إنما هو محض افتراء وضلال، لا يفيد صاحبه شروى نقير:

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴾[1].

وعلى الجانب الآخر، لابد من تقوية عزيمة الداعى، وشد أزره ﷺ ببيان حقيقة أعدائه، وأنهم لا وزن لهم، ولا قيمة، وأنهم فى نهاية الأمر صائرون مع باقى الخلائق إلى الله ـ عز وجل ـ:

﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾[2].

اقرأ قوله ـ تعالى ـ:

﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ ﴾[3].

ومما يقوى من عزيمة صاحب الدعوة، ويشد من أزره ﷺ أن يضرب الله المثل تلو المثل، لعاقبة المكذبين، حسبما مضت به سنّة الله فى خلقه فى الأمم السابقة، كما يضرب المثل لقدرته ـ سبحانه وتعالى ـ وأنه بكل شىء محيط:

(١) النجم (١٩: ٢٣).

(٢) النجم (٣١).

(٣) النجم (٢٩، ٣٠).

﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴾(*).

ومن خلال هذا الاستعراض السريع لآفاق السورة المباركة، يتبين لنا مدى التلاحم الوثيق بين أطراف موضوعاتها. كما يتبين تبعاً لذلك مدى تجافى أصحاب الدعوة إلى تفسير القرآن الكريم تفسيراً موضوعياً عن جادة الصواب. فنحن نرى أن تفسير القرآن على صورته التى نقرأه بها: سواء على مستوى السورة الواحدة، أو على مستوى القرآن كله، إنما هو التفسير الوحيد، الذى يستحق أن ينال شرف «التفسير» وهو ما درج عليه السلف الصالح من المفسرين، منذ فجر التاريخ الإسلامى، حيث دونت العلوم الإسلامية، وأقوال الرسول ﷺ والصحابة والتابعين وإلى اليوم، حتى أصبحت المكتبة القرآنية الآن عامرة بأروع ما أنتجته القريحة الإنسانية من دراسة حول القرآن الكريم، وما تزال تعطى... وسوف تعطى إن شاء الله حتى آخر الزمان..

ولسنا بذلك نمنع من أن تمارس دراسة القرآن الكريم، دراسة موضوعية ـ أو دراسة موضوعات، سمها ما شئت ـ فهذه الدراسة أحد آفاق المكتبة القرآنية العامرة، وكم لها من أياد بيضاء على الفقه الإسلامى والفلسفة الإسلامية بشكل عام.. وإنما نحذر من أن تكون بديلاً للتفاسير، وتؤخذ على أنها تفسير للقرآن الكريم، تتوارى خلفه عناية العلماء بالتراث الخالد، كما تنصرف إليه جهود الدارسين، الذين يغوصون فى بحاره يوماً بعد يوم لاستخراج لآلئه وأصدافه..

وعلى كل حال، لنترك هذه القضية الآن؛ فربما يكون لها دورها فى بحث مستقل تجود به علينا عناية الله ـ تبارك وتعالى ـ، وتمنحنا القدرة على إنجازه فى قابل الأيام.

●●●

إن قارئ السورة المباركة ـ سورة النجم ـ ليشعر منذ مطلعها بأنه قد انقطع من دنيا الناس، وخرج من إطار هذا الكوكب الأرضى، الذى ساخت فيه رجلاه، وعاش بين أوحاله وأوهامه.. يشعر القارئ بهذا الشعور، وهو ينطلق فى سرعة النجم الذى يهوى، فى صحبة هذا النبى الخاتم ﷺ الذى استضافه الله ـ تبارك وتعالى ـ فى هذه الليلة المباركة «ليلة الإسراء والمعراج» ومعه جبريل الأمين.

إن هذه الآيات الطيبات لترسم لوحة علوية، لأحداث هذه الرحلة المباركة، التى لم يعتد الناس على مثلها فى هذه الحياة الدنيا،

(*) النجم (٣٣ : ٤١).

وإنما يعيشها المؤمنون بوجدانهم ومشاعرهم، ويحيون أحداثها؛ لترتسم هذه الأحداث في عقولهم وتُنقش في قلوبهم. رحلة إيمانية يخرجون فيها من عالم الماديات إلى عالم السماوات العُلا.. يخرجون إلى هذه الرحلة العلوية المباركة، ويعيشون أحداثها، وهم بعد لايزالون في حياتهم الدنيا، وفوق سطح هذا الكوكب الأرضي، وذلك من خلال ما يراه هذا النبي الخاتم، وتقصه علينا هذه السورة المباركة في مطلعها. إنها تقص علينا أنغاماً علوية، تطير معها الروح.. ويتمدد معها الفؤاد بمقدار ما تحمله هذه المدود المتوالية في قوافي الآيات. ثم تنساب في آذاننا لتسري في قلوبنا، وقد تحولت إلى أنوار خالدة صافية، تملأ ما بين الأرض والسماء.

نعم. نعم. «صورة إيمانية» فهي تصور رحلة الإيمان، إلى السماوات العلا، ليستمد العون والقوة، بعد أن فقد النصير على الأرض؛ فقد ماتت السيدة خديجة رضي الله عنها. كما مات أبو طالب، وقد كانا أكبر نصيرين لرسول الله ﷺ حتى سُمي هذا العام عام الحزن. وقد ظن المشركون أن محمداً أصبح وحيداً، وأنه بات لقمة سائغة، وصيداً سهلاً، تلتهمه أفواههم الجائعة متى شاءت.

وهنا يتحول مسار القضية، وتكون الرحلة المباركة بشقيها: رحلة الإسراء، التي تكفلت بالحديث عنها صراحة سورة الإسراء، وتبعتها رحلة المعراج، التي تحدثت عنها سورة «النجم» حديثاً علوياً إيمانياً، لا يدركه إلا قلوب المؤمنين.

فإذا كان دور البشر الذين يقومون بواجب الحماية لمحمد قد انتهى. فها هي ذي السماء تعلن وبأعلى صوت أن رسالة محمد، صائرة إلى نصر كبير. وها هو ذا نجم محمد ﷺ ينطلق إلى السماوات العلا، ثم إلى سدرة المنتهى.

جبت السماوات أو ما فوقهن بهم
على منورة درية اللجم
مشيئة الخالق الباري وصنعته
وقدرة الله فوق الشك والتهم
حتى بلغت سماء لا يطار لها
على جناح ولا يسعى على قدم
وقيل كل نبي عند رتبته
ويا محمد هذا العرش فاستلم

فالنجم المحمدي، حينما تخلص من جواذب الأرض، ومثقلاتها في لحظة من ليل ﴿هَوَىٰ﴾، ولكنه لم يهو إلى الأرض؛ إذ لم يكن هناك ما يطغى عليه من مثقلات المادة، فكان هويه إلى السماوات العلا.. إلى سدرة المنتهى..

فهو قد ﴿هَوَىٰ﴾ فعلاً. ولكن يجب أن نفهم هذا الحادث الجلل من خلال إيماننا بحادث معراجه ﷺ. «فالنجم الذي هوى» والذي أقسم الله تعالى به، إنما يجب أن

نتعرف عليه من خلال رؤيتنا لأحداث هذه الليلة، وهويها على رؤوس المشركين[4].

فالآيات هنا، إنما تصور هذه الرحلة المباركة، رحلة الإيمان، التي ارتحلها من الأرض إلى السماء؛ ليتزود بما يدفعه على طريق الدعوة المباركة بعد أن ظن المسلمون أن الطوق قد أحكمت مغاليقه، وأن الطريق بات مسدوداً.. وقد امتزجت عناصر تكوين هذه الصورة الفنية، بما يكفل لها القوة والتأثير، اللذين يخرجان بالقارئ من إطار هذا العالم المشهود، إلى عالم النور الأسنى؛ حيث ترفرف عليه أنسام القرب من الحبيب، وكأنه كان بصحبة هذا النبي المبارك، خلال هذه الرحلة الميمونة..!

---

(4) يرى ابن كثير أن المراد بالنجم، الثريا اشتعلت مع الفجر، ويذكر رواية الأعمش عن مجاهد في قوله: ﴿والنجم إذا هوى﴾ يعني القرآن إذا نزل. ويرى أن هذه الآية كقوله ـ تعالى ـ:
﴿فلا أقسم بمواقع النجوم (75) وإنه لقسم لو تعلمون عظيم (76) إنه لقرآن كريم (77) في كتاب مكنون (78) لا يمسه إلا المطهرون (79) تنزيل من رب العالمين﴾ (الواقعة/ 75: 80)

وجاء في القرطبي: قوله ـ تعالى ـ:
﴿والنجم إذا هوى﴾ قال ابن عباس ومجاهد: معنى ﴿والنجم إذا هوى﴾ والثريا إذا سقطت مع الفجر. وعن مجاهد أيضاً أن المعنى: والقرآن إذا نزل، لأنه كان ينزل نجوماً، وقاله الفراء. وعنه أيضاً: يعني نجوم السماء، كلها حين تغرب.

أما شهيد الإسلام، سيد قطب، فكان أقرب من سابقيه إلى حقيقة ما تلمحه في هذا النجم الذي أقسم الله ـ تعالى ـ به في بعض كلامه، وإن تراجع خطوة فيما تلاه، ليقترب من ركب السلف في فهم المراد من «النجم» يقول رحمه الله وأجزل له المثوبة (في ظلال القرآن): «تعيش لحظات مع قلب محمد ﷺ مكشوفة عنه الحجب، مزاحة عنه الأستار، يتلقى من الملأ الأعلى، يسمع ويرى، ويحفظ ما وعى، وهي لحظات خص بها ذلك القلب المصفى، ولكن الله يمن على عباده، فيصف لهم هذه اللحظات وصفاً موحياً مؤثراً، ينقل أصداءها وظلالها وإيحاءها إلى قلوبهم، يصف لهم رحلة هذا القلب المصفى، في رحاب الملأ الأعلى، يصفها لهم خطوة خطوة، ومشهداً مشهداً، وحالة حالة، حتى لكأنهم كانوا شاهديها».

ويستمر قائلاً: «ويبدأ الوصف الموحي بقسم من الله ـ سبحانه وتعالى ـ ﴿والنجم إذا هوى﴾. وبحركة تألق النجم ثم هويه ودنوه أشبه بمشهد جبريل المقسم عليه:
﴿وهو بالأفق الأعلى (7) ثم دنا فتدلى (8) فكان قاب قوسين أو أدنى (9) فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾.

هكذا عشنا مع الشهيد عليه الرحمة والرضوان من الله لحظات نورانية، تحت ظلال العرش، ننعم بأريحية الوحي في صحبة هذا النبي الخاتم ﷺ. غير أنه لم يشأ أن يبعد كثيراً عن دائرة المفسرين السابقين، عندما عاد وقيد المراد من قوله ـ تعالى ـ:
﴿والنجم إذا هوى﴾. حيث قال: «... وقد رويت تفسيرات مختلفة للنجم المقصود في هذا القسم، وأقرب ما يرد على الذهن أنها إشارة للشعرى، التي كان بعضهم يعبدها والتي ورد ذكرها في السورة فيما بعد في قوله: ﴿وأنه هو رب الشعرى﴾ (النجم/ 49)

انتهى كلامه.

ونحن نرى أن الشهيد ـ رحمه الله ـ اختار هذا الرأي لأنه الذي يتمشى مع منهجه الذي يربط من خلاله أول السورة بآخرها برباط فكري وموضوعي واحد. وقد عهدناه يطبقه في الظلال بشكل عام، جنباً إلى جنب مع منهجه التصويري الذي درج عليه. ولا منافاة، بين ما فهمناه، وما فهمه السلف الصالح، فإن ما أفاده القسم «بالنجم» إنما يفسح المجال لاستشراف العالم الأعلى، بآفاقه الرحبة الممتدة فضلاً عما أشار إليه السلف الصالح، كلٌّ حسبما رأى. والله أعلم بمراده.

إن هذه السورة تتهادى منها أنغام علوية، تحملها أنسام رخية ندية، تهب من جهة العرش، وهي من الوضوح وعظمة الأداء، بحيث كانت بمثابة التراتيل، التي تهيىء نفس المُشاهد، لاستقبال ما هو قادم على مشاهدته، وتدعو القلب في تلطف عجيب إلى التحليق فوق آكام الحياة..

غير أن المعجز في هذه الصورة الإيمانية، أن موسيقى المشهد هي عين أحداثه، فهي ليست خارجة عنه، ولا مضافة إليه، وهذا هو الشأن في موسيقى القرآن الكريم.. إن «ذلك الإيقاع ذُو لون موسيقى خاص.. فالصور والظلال في هذه الآيات، تشع من المجال العلوي الذي تقع فيه الأحداث النورانية والمشاهد الربانية، التي يصفها هذا المقطع، ومن الحركات الطليقة للروح الأمين، وهو يتراءى للرسول الكريم.. والصور والظلال والحركات والمشاهد والجو الروحي المصاحب، تستمد وتمد ذلك الإيقاع التعبيري وتمتزج به وتتناسق معه، وتتراءى فيه، في توافق منغم عجيب»[٥].

فها هي ذي الألف، التي تشكل الفاصلة المشتركة في آيات المقطع - والسورة كلها بشكل عام - إنما تفتح آفاق السماوات العلا وبلا حدود، من بداية الرحلة أمام القارئ المؤمن.. لينطلق مع الرسول الكريم كالنجم الثاقب، الذي يهوى بفعل الجاذبية، ولكن جاذبية هذه المرة كانت إلى أعلى، كما سبق أن قلنا؛ حتى يصل إلى سدرة المنتهى، ليحيا بوجدانه ومشاعره عند جنة المأوى.

والآيات الأولى من هذا المقطع، التي تتلو القسم مباشرة، تؤكد على أن ما أخبر به الرسول الكريم ﷺ مبلغاً عن ربه، إنما هو حق ثابت وواقع لا يتطرق إليه شك: فصاحبكم، الذي عرفتموه قبل الرسالة وبعدها، وطالت صحبتكم له، لم يضل طريق الرشاد، ولم يتكلم بباطل، ولم ينطق عن هوى نفسه في هذه الرسالة المباركة العظمى. وإنما هو مبلغ عن ربه - تبارك وتعالى - ما أوحى إليه، حيث علمه جبريل الأمين، شديد القوى وصاحب السمت الحسن والخلق الجميل.

إن المؤمن القارئ للآيات، ليشعر مع انطلاق المدّ المتوالي، في نهاية كل جملة بأن أحكامها، وما تحمله من دلالات فكرية وشعورية، إنما تنطلق لتعم نفوس المؤمنين ومشاعرهم من جانب، ولتشمل معهم عالم الأملاك والأفلاك من جانب آخر: فالنجم، الذي هوى، لا حد لقوته، ولا دافع له عن الوصول إلى غايته، مهما طالت به مسافته، أو شطت به غايته..

وصاحبكم ﷺ لم يُصب بالغواية، التي تبعده وتشط به عن طريق الهدى، فلم تسمعوا منه إلا ما أوحي إليه، وتمددت آثاره

(٥) سيد قطب - في ظلال القرآن، بتصرف يسير.

بين جنباته ومشاعره؛ لم يعد له من هدف في هذه الحياة، إلا أن يبلغ هذا الذي أشربته روحه، وتغلغل بين حنايا صدره الشريف.

ولقد كان يحمل هذا الوحي إليه جبريل الأمين، وكان ذا قوة غير محدودة، وصاحب خلق سامق مستو.. وحينما يرى الرسول المبارك جبريل الأمين في صورته الأولى، التي خُلق عليها، ويهوله منظره العجيب المهيب، نرى الروح الأمين يقترب منه في تلطف وتحبب، ويدنو من صدره الشريف، ليهدئ من روعه ويسكن من اضطرابه، بما يتحدد في صدره إثر هذا القرب، من روح المحبة والطمأنينة، وليوحي إليه ﷺ بما لا يعلم حدوده وآفاقه إلا الله - تبارك وتعالى -.

فإذا ما أشربت روح القارئ المؤمن أنفاس هذا الجو العلوي العطر، وتفتحت مشاعره، وتشوفت نفسه لاستطلاع أنباء هذه الرحلة المباركة، انتقلت به الآيات في تلطف عجيب، ومودة صادقة، عبر موسيقى هذه المدود الطليقة، ليرى نفسه في صحبة هذا الفؤاد المصفى، الذي يرى جبريل الأمين نزلة أخرى، في هيئته العجيبة المهيبة. وقد كان هذا الوفد المبارك هذه المرة في ضيافة الحق الأعلى، عند سدرة المنتهى التي عندها جنة المأوى، وهنا تتراءى أمامنا أنوار هذه الشجرة المباركة، عندما يغشاها من رحمة الله وعنايته وفضله ما تنطلق وراءه الأفهام والمشاعر، دون أن تحيط بعظمته وأسراره. وهنا انتهت صحبة جبريل للرسول الكريم، ولم يبق إلا أن يتقدم عليه الصلاة والسلام، وعند هذه الغشية المباركة، التي غشيت الشجرة يكون الرسول ﷺ قد أعد لهذا الحدث العظيم.. وهو رؤية الحق الأعلى، ويرى جمهور المسلمين أنه عليه الصلاة والسلام رأى ربه في هذه الليلة الطيبة المباركة، بلا كيف رؤية حقيقية، بعد أن أعده الله لهذه الرؤية. وهنا نود أن نناقش عدة أمور:

الأمر الأول: أن طبيعة الرسول ﷺ في هذه الليلة المباركة - ليلة الإسراء والمعراج - قد مرت بثلاثة أطوار. الأول: طبيعة البشر الموحى إليه، وذلك خلال الرحلة المقدسة من مكة إلى بيت المقدس، وقد تكفلت سورة الإسراء بنقل هذا الحدث العظيم في قوله - تعالى -:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٦].

ومن هنا كانت الرؤية بالتعدية، وليست بالأصالة «لنريه» فالإرادة واقعة من الله على رسوله؛ لأن هذه المشاهد التي عرضت عليه لم تكن في طاقة بشر، في حين أن الطبيعة

(٦) الإسراء (١).

البشرية كانت ماتزال مسيطرة.. فالذى أسرى به، هو الذى عرض أمامه هذه الخوارق، التى تحدث عنها العلماء - أو ما صح منها - فى المسافة بين مكة وبيت المقدس. فالرسول لم يسر بنفسه وإنما أسرى به، ولم ير بقدرته المستقلة هذه الخوارق، وإنما أراه الله هذه الآيات.

الطور الثانى: يتمثل فى مرحلة الملائكية، التى كانت تسيطر عليه ﷺ منذ بداية معراجه، حتى وصل إلى سدرة المنتهى بصحبة جبريل الأمين؛ وعندها جنة المأوى. وهنا توقف المسير بأمين الوحي – عليه السلام – لتبدأ مرحلة ما فوق الملائكية، وهي المرحلة الثالثة، التى فاق فيها محمد ﷺ الملائكة بما فيهم جبريل - عليه السلام -. وهنا يدور هذا الحوار الذى تناقلته أقوال العلماء، حيث قال محمد لجبريل: «يا أخى يا جبريل. أهنا يترك الخليل خليله؟!.. فقال جبريل: يا محمد. لو تقدمت لاخترقت. أما أنا، فلو تقدمت لاحترقت».. !! وهنا رأى محمد ربه كفاحاً، ليس دونه حجاب؛ ولذا كانت الرؤيا من الرسول مباشرة «لقد رأى من آيات ربه الكبرى».

الأمر الثانى: قضية الرؤية. يقول البيجورى فى شرحه على جوهرة التوحيد: «الراجح عند أكثر العلماء، أنه ﷺ رأى ربه - سبحانه وتعالى - بعينى رأسه، وهما فى محلهما؛ خلافاً لمن قال: حولاً لقلبه..» وجاء فى شرح الخريدة فى علم التوحيد للإمام أبى البركات سيدى أحمد الدردير، ما نصه:

«.. والمعتمد أن النبى ﷺ رآه ليلة الإسراء بالبصر لا بالقلب فقط» (ص ٤٧).

فالقول الراجح لدى علماء المسلمين، أن رؤية الرسول ﷺ قد وقعت ليلة الإسراء والمعراج، غير أن ما نود أن نوضحه، قولهم: إن الرؤية وقعت «بعينى رأسه وهما فى محلهما، خلافا لمن قال: حولا لقلبه» فى المصدر الأول. أو وقعت «بالبصر لا بالقلب فقط» فى المصدر الثانى.

إذا كانت الرؤية فى الدنيا يشترط فيها: أن يكون المرئى فى الجهة المقابلة، وأن يكون فى حيز، وألا يكون فى غاية القرب أو فى غاية البعد؛ وألا يكون شفافاً، وألا يكون بين الرائى والمرئى حاجز يمنع الرؤية، كما يشترط فى تمام الرؤية سلامة حاسة الإبصار مما يعطلها..

إذا كانت الرؤية لابد فيها من هذه الشروط، فإن ذلك فى الدنيا، ونواميس الطبيعة البشرية هى التى تتحكم.. أما فى الآخرة، فإن قوانين الآخرة، لا تخضع لهذه الشروط، والدليل على ذلك: أن النائم قد يرى أنه يطير فى الهواء بلا جناح، ومن الناس من يرى أنه يتقلب فى أحضان الحور العين، فى حين أن النائم بجانبه، قد يرى أن هناك سبعاً يلتهمه.

وقد سئل شاب أعمى: هل ترى فى الأحلام؟. قال: نعم. ثم سئل: وما الألوان التى ترى فيها الأشياء؟. قال: أراها كلها

بلون واحد؛ إذ لا خبرة له سابقة بالألوان!!..

هذه الحالات، وأشباهها تدل على أن مجرد التحرر المحدود، من قوانين الطبيعة، الذى يشعر به النائم، وتنطلق فيه قدراته وملكاته عند حدوث الرؤيا، إنما يفسح المجال، لقوانين أخرى لا يعلمها إلا الله – تعالى – ولا نستطيع إدراكها الآن، أو التكهن بما فى طاقتها.

قد يقول قائل: هذا فى الآخرة، أما رؤية الرسول ربه فى ليلة الإسراء والمعراج، فإنه لم يكن فى الآخرة. وهنا نرد قائلين: إن الجامع هنا هو الانطلاق من عالم الشهادة بما يحكمه من قوانين الطبيعة البشرية الحاضرة، إلى قوانين أخرى، لا نعلم عنها شيئاً الآن.

وهذا يدفعنا إلى أن نقول: إن العينين اللتين يقصدهما علماء التوحيد، إنما هما عينا الآخرة اللتان لا تخضعان للشروط التى عرفناها، أو ما يشبهها فى التحرر من قيود الشروط، إلى كيفية لا يعلمها إلا من لا تحد قدرته حدود، ولذا كان هذا التعبير القرآنى الوحي:

﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾، وإن كانت هذه الآية المباركة خارج إطار الرحلة السماوية؛ حيث إنها تبدأ عند قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴾

ولكنها من موحيات الآيات، التى تمهد القلب لاستقبال هذه الحياة العلوية.. شأن قوله - تعالى -:

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ وبذلك يمكن الجمع بين من يرى أن الرؤية وقعت بالبصر، ومن يرى أنها وقعت بالقلب، حيث إن نور بصره ﷺ ارتد على نور بصيرته فرأى من ليس كمثله شيء. بلا كيف، ولا جهة. ومما يؤيد ذلك ما أورده ابن كثير فى تفسيره، حيث قال: «وفى صحيح مسلم، عن أبى ذر قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أنى أراه».. وقال ابن أبى حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو خالد، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب قال: يا رسول الله، رأيت ربك؟. قال: «رأيته بفؤادى مرتين» ثم قرأ:

﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾».

أما الأمر الثالث: الذى نود أن نناقشه: لماذا صرح الله - تعالى -، بوقوع الإسراء، ولم يصرح بالمعراج؛ بل تركه لما يفهم من موحيات أوائل سورة «النجم» مع أنه ورد فى أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ حتى بات مجمعاً عليه، بين عامة المسلمين وخاصتهم؟!.. وحتى قال العلماء: إن منكر الإسراء كافر، ومنكر المعراج فاسق؟!..

والجواب: أن رحلة الإسراء أرضية، وقد سبق في علم الله - تعالى - أن سوف يستحدث في قابل الأيام من المخترعات والعلوم، ما يثبت إمكان وقوع هذا الحدث العظيم، وذلك حينما يتعلق الأمر بقدرة الله - تبارك وتعالى - صاحب الحول والطول.. وها قد عشنا - والحمد لله - عصر المخترعات العلمية، ورأينا ما كان في عداد المستحيلات، أصبح واقعاً ملموساً، وذلك فيما أنجزه البشر.. ولسنا هنا في مجال أية مقارنة؛ فلله المثل الأعلى في السماوات والأرض. وإنما نحن في مجال تأكيد عقيدة، وهو ما يؤكد على صدق الآية المباركة:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾

في لحظة من ليل، وذلك في زمن كان أسرع ما فيه من وسائل الانتقال، التي تقطع هذه المسافة إبل تضرب أكبادها شهراً في رحلة الذهاب، وشهراً آخر في رحلة الإياب:

﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

هذا أولاً. وثانياً: أن التصريح بوقوع هذا الحادث العظيم كان بمثابة الريح العنيفة، التي هبّت على المجتمع المسلم، وهزته من أعماقه. ليُثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا، ويقتلع ما كان لصيقاً بالمسلمين، وليس منهم، ولذا رأينا أبا بكر الصديق يقول حينما بلغه الخبر، ولم يكن قابل الرسول ﷺ في يومه بعد: لئن كان قد قال ذلك، فقد صدق. والله إنا لنصدقه في خبر السماء، أفلا نصدقه في خبر الأرض؟!.. في حين أن هناك بعض من كانوا في عداد المسلمين، ثم ارتدوا عن الإسلام، عقب إعلان هذا الخبر. فهذا الخبر، إنما كان تمحيصاً وامتحاناً للمجتمع المسلم.

ومن هنا.. نرى أن من ثبت على إسلامه عقب هذا النبأ العظيم، لم يكن في حاجة إلى التصريح بوقوع حادث المعراج الشريف، فكان ما أوحى به النص الكريم في سورة «النجم»، وكنى عنه.. وصرحت به الأخبار والأحاديث النبوية الشريفة، وأجمع عليه المسلمون.

***

أثر القرآن الكريم في الحركة الفكرية

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

(١) يشكل القرآن الكريم محور الحركة الإسلامية منذ البدء وحتى يرث الله الأرض ومن عليها، فكل العلوم الإسلامية نبعت من محيطه، وكل الفتح الإسلامي تم تحت رايته، وكل العبقريات الإسلامية تخرجت في ظلاله.

وقد عرف المسلمون للقرآن الكريم هذه الوضعية التاريخية المعجزة، فأحاطوه - منذ نزل - بقلوبهم حبا وتأملا عباديا، وبعقولهم بحثا وتعمقا تنظيريا، فكان لهم من ذلك كله، هذا الرصيد الهائل الضخم من العلوم والفنون والمعارف في شتى منازع الفكر ومختلف جوانب الإبداع.

(٢) والذين يتصورون أن حركة الفكر العربي كانت ماضية إلى غايتها التاريخية في ظل من حتمية التطور واندفاعه دائما نحو الأرقى والأكمل، حتى ولو لم يجيء الإسلام حاملا بين يديه قرآنه العظيم، واهمون أو هم خابطون، لأن ذلك قد كان يمكن أن يكون لو أن الإسلام جاء استطرادا طبيعيا لسيرة الكفر العربي في الجاهين: المادي والمعنوي، لأن احتمال الموافقة حينذاك كان يمكن أن يعطي احتمال الاستطراد التاريخي في الاتجاه نحو التطور الطبيعي.. ولكن الذي حدث قد كان شيئا مغايرا تماما، فالإسلام لم يجيء استطرادا طبيعيا للنمط الحياتي أو النمط الفكري الجاهلي، بل هو على النقيض، جاء مصادرة كاملة أو قل شبه كاملة لنوعية التعامل الفكري والحياتي في المجتمع العربي، ربما باستثناء بعض الملامح الصميمة التي تمليها فطرة الخلق في بشرية البشر، وإنسانية الإنسان... أما ما عدا ذلك فقد جاء الإسلام بنقيضه تماما، ليؤسس عالما مغايرا في الكم والكيف، وليبدأ من منطلق هذا الانقلاب الشمولي حركة فكر جديدة، تؤصل لعلوم جديدة، وتقعّد لنظرية جديدة، وقد اتخذ من القرآن الكريم محور حركته في كل هذه الاتجاهات، مما يؤكد على أن الإسلام بدأ بالفعل يعطي للفكر العربي مضمونا مغايرا

وجديدا، ويبدأ به رحلة إبداع وتنظير جديدة، ويضع له وبه من العلوم النظرية والتطبيقية ما ينبيء عن إسلامية خلقها وتشكيلها وتكامل وجودها الموضوعي، بعيداً عن استطراد تاريخي متوهمٍ يمكن أن يكون به امتدادا للمسار الجاهلي في جانبه العقلي أو جانبه العقائدي.

٣ وإذا قلنا إن القرآن الكريم بدأ هذا الفتح الفكرى المسلم فليس هذا القول نابعا من تعصب عرقي أو عقائدي، ولكنه تأمل موضوعي لظاهرة تاريخية فرضت حلولها على خريطة الواقع الحي، وفسحت للمسلمين بها مكانا عريضا وعميقا في مسيرة الفكر والإبداع الإنسانيين وجعلت من الحركة الإسلامية انعطافة بالتاريخ كله من مناطق العبودية والاجترار والتكرار، إلى مناطق التفجر والخلق والابتكار، وهذا هو الحجم الحقيقي لأية ظاهرة أصيلة تنبع من صلابة نظرة كونية شاملة، وليس من هشاشة فكر عرضي خابط أو حتى متردد بين الخبط والاستواء!!

٤ ولأن المسلمين قد عرفوا القرآن الكريم كل هذا الدور الخطير في تشكيل ملامح الظاهرة الإسلامية، فقد استقطروه تأملا ودراسة وتفسيرا، وحاولوا من خلال هذا الاستقطاب أن يلموا بجوانب إعجازه واكتنازه، ولكن الأجيال الخالفة كانت تجد دائما في القرآن مناطق لم تستوعبها جهود الأجيال السالفة، وستجد كل الأجيال - دائما - في هذا الكتاب المعجز الخالد ما يثير فكرها نحو مزيد من الإبداع والفكر، وما يحرك عقلها نحو مزيد من التنظير والتأصيل، سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلا.

٥ لقد لحق النبي ﷺ بربه والقرآن الكريم وديعة في صدور الرجال وفي عديد من الصحف المفرقة التي خطها كتاب الوحي، وأحجم أبو بكر الصديق أن يقدم على ما لم يفعله النبي ﷺ من تدوين القرآن وإثباته تعبدا وتحوطا، ولكن فارس الفكر الإسلامي المقتدر عمر بن الخطاب سار إلى أبي بكر وقد هاله كثرة القتلى من حملة القرآن في حروب الردة الطاحنة، وقال له: إن أصحاب رسول الله باليمامة يتهافتون تهافت الفراش في النار، وإني لأخشى أن لا يشهدوا موطنا إلا فعلوا ذلك، حتى يقتلوا، وهم حملة القرآن، فيضيع القرآن وينسى، فلو جمعته وكتبته.. فنفر منها أبو بكر، وقال: أفعل ما لم يفعل رسول الله؟ وتراجعا في ذلك. ثم أرسل أبو بكر إلى زيد بن ثابت. قال زيد: فدخلت عليه وعمر مسربل فقال لي أبو بكر: إن هذا قد دعاني إلى أمر فأبيت عليه، وأنت كاتب الوحي، فإن تكن معه اتبعتكما، وإن توافقني لا أفعل، فاقتص أبو بكر قول عمر، وعمر ساكت، فنفرت من ذلك، وقلت: تفعل ما لم يفعل رسول الله ﷺ؟ إلى أن قال عمر كلمة: وما عليكما لو فعلتما ذلك؟ فذهبنا ننظر، فقلنا: لا شيء والله، ما علينا في ذلك شيء، قال زيد: فأمرني أبو بكر فكتبته في قطع الأدم وكسر الأكتاف والعسب.

٦ هذا موقف ينبيء عن اتجاهين أساسيين اعتصم بهما الفكر الإسلامي الرائد حيال محور حركته، القرآن الكريم: اتجاه محافظ يتحرج أن يفعل ما لم يفعله النبي ﷺ في حياته، حتى ولو كان هذا الفعل حياطة القرآن من مظنة الضياع والنسيان... واتجاه واقعي جسور يتحرج هو الآخر أن يشل إرادته نحو صيانة قرآنه حتى ولو لم يكن النبي ﷺ قد فعل مثل ذلك في حياته..

وبعيدا عن جمود المذهبية أو جمود الاقتناع الذاتي بصواب اتجاه معين، يتشاور الرجلان الجليلان حول محور القضية المطروحة، ويبدى كل منهما رأيه في هدوء علمي جليل، وحين يحسان أن المسافة بينهما لا تقترب، يستدعيان كاتب الوحي ويطرحان أمامه القضية وموقف كل منهما حيالها، ويطلبان إليه المشورة والرأى، حتى إذا أنس الرجل من نفسه ميلا إلى رأى دون رأى، صدع به بلا مبالاة.. ولكن (كلمة) مقنعة من طرف، تبدد غواشي التردد في نفس الطرف الآخر، فإذا هو صادع للحق، ماض إلى إنفاذ الرأى النقيض في بطولة فكرية رائعة.. أما موقف عمر في هدوئه العلمي الرصين فيبقى أن يكون نموذجا يحتذى في كل حوار على كل مستوى وفي كل اتجاه، فقد ألقى إلى خليفته أبي بكر برأيه في القضية، وظل معتصما بأدب الجندى، صامتا في حومة الحوار الدائر بين الخليفة الأول وكاتب الوحي، حتى إذا لاح له أن القضية توشك أن تتجمد بينه وبينهما، لم يزد على أن قال: وما عليكما لو فعلتما ذلك؟ ويتسرب بهذه القولة الحكيمة إلى أعماق الرجلين معا، فيجدان في إنفاذ ما أشار به، وإمضاء ما رأى ورآيا من صواب.. وإننا لنحسبه قد خرج من مجلس الخليفة الأول وهو يتمتم بدعاء الشكر لله أن قيض لرأيه مسافة في قلب صاحبه أتاحت لرأيه أن يخرج من عالم الحلم إلى عالم التحقق والحلول.

٧ وإذا دلّ هذا التحوط الحاذر على شيء فإنما يدلّ على تحرج بالغ حيال هذا الكتاب المعجز الخالد، وعلى إحساس حقيقي بإلهية هذا القرآن الكريم الذى تلقفه المسلمون بعقولهم وقلوبهم مطرا سماوياً جليلاً يخصب الجدب ويحوّل وجهة التاريخ.

وقد تفيق حركة الإلحاد العالمي المعاصر على إيقاع مثل هذه الحقائق البادهة، فلو أن طلائع الصحابة الذين عايشوا النبي ﷺ كانت تتسرب إليهم ذرة من الشك في إلهية القرآن لما أحسوا نحوه، وقد لحق الرسول بربه، بكل هذا التحرج البالغ، ولبدا من بعضهم بصيص من جراءة ينفرد بها حتى

فى جمع هذا القرآن وتدوينه، وهو الأمر الذى لا يضير القرآن فى شىء... إن هذا التحرج فى أمر ظاهر الطهارة والبراءة، من هذا النفر الجليل من صحابة النبى وخلفائه، يؤكد بلا حدود إلهية القرآن، وإيمان الرعيل الذى عاصر وحيه وتلقيه بأن محمدا لم يكن سوى بشر رسول يوحى إليه، ويحمل عن ربه كلماته إلى الناس، ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ولينتقل بهم من بداوة تاريخ دموىٍ غليظ إلى حضارة تاريخ قرآنىٍّ شفيف.

٨ وقد اصطنع زيد بن ثابت فى جمع القرآن وتدوينه منهجا علميا بالغ الدقة والإحاطة، فقد شعر بجسامة التبعة التى ألقاها أبو بكر على عاتقه، حتى إنه قال: «فوالله لو كلفنى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علىَّ مما أمرنى به من جمع القرآن». لقد عمد زيد إلى الحفاظ يستثبتهم ويسمع إليهم، وعمد إلى الرقاع والأكتاف واللخاف والعسب يجمعها ويوازن بينها، وعمد إلى ذاكرته هو وما وعته من حفظ القرآن عن رسول الله ﷺ فى السنة الأخيرة من حياته يستحثها ويثيرها، ثم راقب فى يقظة كاملة حقيقة أن أبا بكر يحفظ القرآن، وعمر يحفظه، وعليا يحفظه، وعثمان يحفظه، وكبار الصحابة يحفظونه أو يحفظون منه أجزاء كثيرة، إلى جانب أربعة من الصحابة هو واحد منهم جمعوا القرآن على عهد النبى ﷺ، وذلك فيما يرويه مسلم والبخارى عن أنس بن مالك أنه قال: (جمع القرآن على عهد النبى ﷺ أربعة كلهم من الأنصار: أبى ابن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد) وقول أنس هنا لا يراد به أن هؤلاء الأربعة هم الذين حفظوا القرآن فى عهد النبى دون سواهم، يقول القرطبى: (فقد ثبت بالطرق المتواترة أنه جمع القرآن عثمان، وعلى وتميم الدارى، وعبادة بن الصامت، وعبد الله بن عمرو بن العاص، فقول أنس: لم يجمع القرآن غير أربعة، يحتمل أنه لم يجمع القرآن وأخذه تلقينا من رسول الله ﷺ غير تلك الجماعة، فإن أكثرهم أخذ بعضه عنه، وبعضه عن غيره، وقد تظاهرت الروايات بأن الأئمة الأربعة جمعوا القرآن على عهد النبى ﷺ لأجل سبقهم إلى الإسلام، وإعظام الرسول ﷺ لهم).. بل إن آخرين كتبوا مصاحف بعضها كامل وبعضها غير كامل، ومن هؤلاء عبد الله بن مسعود.

كل هذه المصادر البشرية والوثائقية كانت تحت عين زيد بن ثابت وهو ينهض بعملية جمع القرآن الكريم، وكان من غير شك يراقبها مراقبة محاذرة، ويرجع إليها كلها أو بعضها كلما أشكل أمر، أو استبهم طريق، فإذا أضفنا إلى ذلك حتمية إيمان زيد ومراقبته الخاشعة لله ولذكرى رسوله الذى كان زيد كاتب وحيه وأمين سره إلى زمن قريب، أدركنا إلى أى مدى كان توثيق هذا الكتاب الخالد المعجز خاليا من الركاكة التى طرأت على توثيق غيره من الكتب تحقيقًا لوعد الله عز وجل:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1].

٩ وحين جمع زيد بن ثابت آيات القرآن لم يجمعها فى مصحف واحد ولكنه جمعها فى صحف مختلفة أودعها عند أبى بكر - رضى الله عنه - ثم انتقلت هذه الصحف من أبى بكر إلى عمر - رضى الله عنه - ثم إلى حفصة بنت عمر، حتى إذا ولى عثمان - رضى الله عنه - أمر المسلمين بعث إلى حفصة فى طلب هذه الصحف، وعهد إلى جماعة من الصحابة منهم: زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، بجمعها فى مصحف واحد، ونسخ منه نسخا وزعها على الأمصار، فأرسل منها إلى مكة والشام واليمن والبحرين والبصرة والكوفة، واستبقى فى المدينة واحداً، وهو مصحفه الذى يسمى الإمام، وكان ذلك فى سنة خمس وعشرين للهجرة.

١٠ واتفاق المؤرخين منعقد على أن ترتيب الآيات فى السور كان واحدا فى كل المصاحف التى جمعت قبل وفاة الرسول والتى جمعت بعد وفاته وقبل أن يأمر أبو بكر بجمع القرآن، أما جمع السور وترتيبها فقد ترك لاجتهاد الأمة وخلفاء النبى[2]: (روى ابن عباس: قلت لعثمان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهى من المثانى، وإلى براءة وهى من المئين، فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتموها فى السبع الطوال، فقال عثمان: «كان رسول الله ﷺ تنزل عليه السورة ذات العدد، فكان إذا نزل عليه الشىء دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هؤلاء الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا. وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة. وكانت براءة من آخر القرآن نزولا. وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها. فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتها فى السبع الطوال.»).

إذن فترتيب الآيات فى السور تم بتوقيف النبى ﷺ، ولقد قبض وهذا الجمع تام معروف للمسلمين، ثابت فى صدور القراء والحفاظ.

(ونصوص القرآن تؤيد ما سبق. من ذلك قوله تعالى:

---

(١) الحجر (٩).

(٢) انظر الإتقان فى علوم القرآن - للسيوطى - جـ١ - ص٢٠٢ وما بعدها. وجامع الأصول - جـ٢ - ص١٠٥ وما بعدها.

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾[3].

وآيات المزمل هذه نزلت فى الفترة الأولى من بعث الرسول. فمطالبة النبى فيها أن يقوم الليل يرتل القرآن يرجح أن الآيات لم تكن مبعثرة من غير ترتيب، وتؤكد ما قدمنا من أن ما كان يوحى إلى النبى متصلا بوحى سبق إليه كان الوحى يلحقه به. وذلك قولهم أن جبريل قال للنبى ﷺ حين أوحى إليه قوله تعالى:

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[4].

«يا محمد ضعها فى رأس ثمانين ومائتين من البقرة»[5].

من هنا يتضح أن عمل زيد فى الجمع والتدوين كان توقيفيا من جهة ترتيب الآيات فى السورة وأنه اكتفى بذلك فى عهد أبى بكر فجمع السور فى ألواح وعسب وخاف. وتركها هكذا حتى تم لها فى زمن لاحق أن تأخذ شكلها الاستطرادى، لعله زمن عمر أو زمن عثمان كما يقول العلماء على خلاف فى ذلك بينهم.

١١ والذى يتأمل تاريخ الفكر العربى قبل الإسلام وبعد الإسلام، يروعه ما يجد هناك من جدب فكرى إلا بعض الإطلالات التى تلوح من خلال الحركة الشعرية الناشطة فى الجاهلية، وبعض من فنات القول فى حكمة تروى أو مثل يسير أو خطبة تذهب فى الناس... ثم ما يجده هنا من عطاء علمى وفنى فى كل اتجاهات الفكر والفن، من علوم تتصل ببنية اللغة وحقائق التعبير، أو علوم تتصل ببنية الكون وحقائق الأشياء... فإذا حاول أحد أن يتلمس الحافز الحقيقى وراء هذا التحول الهائل وجده كامنا فى القرآن الكريم: فهو الذى دعا إلى تأصيل علم القراءات حين استنفر قوما من علماء الأمة إلى ضبط لغاته، ومعرفة مخارج حروفه.. وإلى تأصيل علم النحو حين استنفر قوما إلى معرفة المعرب والمبنى من الأسماء والأفعال والحروف العاملة وضروب كل أولئك، وإلى تأصيل علم التفسير حين استنفر قوما إلى شرح ألفاظه الدالة على معنى أو معان كثيرة، أو شرح تراكيبه الظاهرة أو البعيدة.. وإلى تأصيل علم التوحيد حين استنفر قوما إلى رصد ما فيه من أدلة عقلية وشواهد كونية على الوجود والوحدانية والخلود.. وإلى تأصيل علم الأصول حين استنفر قوما إلى معرفة

---

(٣) المزمل (١ - ٤).

(٤) البقرة (٢٨١).

(٥) دكتور محمد حسين هيكل - الصديق أبو بكر - ص٢٢٤ - ٢٢٥.

التخصيص والأخبار والنص الظاهر والمجمل والمحكم والمتشابه والنسخ وأنواع الأقيسة واستصحاب الحال والاستقراء.. وإلى تأصيل علم التاريخ حين استنفر قوما إلى تأمل قصص القرون والأمم الخالية ودراسة أخبارهم وتدوين آثارهم ووقائعهم.. وإلى تأصيل علم الفلك حين استنفر قوما إلى النظر فى الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم والبروج.. وإلى تأصيل علم البلاغة حين استنفر قوما إلى فصاحة ما فيه من جزالة ونظم ومبادىء ومقاطع وتلوين فى الخطاب وإطناب وإيجاز[6].. وإلى تأصيل علوم الطبيعة والكيمياء حين استنفر قوما إلى ضرورة البحث فى المادة وخواص الأشياء بما لفتهم إليه واستدعى اجتهاداتهم حياله.

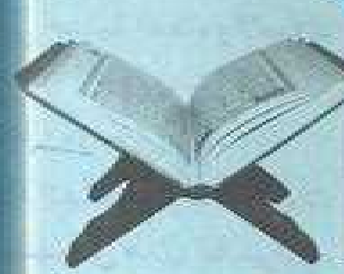
وهكذا نرى أن علوم العرب - قبل القرآن - كان مزقا من الفكر لا تشكل نظرية فى أى من الاتجاهات، ولكنها - بعد القرآن - أخذت طريقها إلى التشكل فى نظريات عديدة رفدت العلم العالمى آنئذ بكثير من الاجتهادات الصميمة التى أضافت إليه وأخصبت مساره الواثق.. وحسب كتاب ما أن يعمل بكل هذه البطولة المعجزة فى كل هذه الاتجاهات النظرية والتطبيقية، وأن يخرج بأتباعه من حتمية التلقى والاحتذاء إلى حتمية العطاء والامتلاك وأن يكون كتاب هداية وعلم، ومشرق إيمان وحضارة، ونبع بلاغة وتأصيل.

١٢ يبقى أن نتأمل حركة اتجاهات الفكر المسلم فى ظلال القرآن.. لماذا هى؟ وكيف تشكلت؟ وما هى خصائصها؟ وما طبيعة المراحل التى مرت بها؟ ومن هم أولئك الرواد الذين نيطت بهم بطولة العلم فى كل واحد من اتجاهاتها العديدة؟؟ بكلمة واحدة: ما هى معطيات الفكر الإسلامى فى هذا المجال؟ وسنرى أن حركة الفكر المسلم فى ظلال القرآن من خلال تفسيره، بعد جمعه وتدوينه تضع جهود العلماء المسلمين فى مكانها الحقيقى على خريطة الفعل الإسلامى، وتحدد بالتأكيد طبيعة الموقف العقائدى الذى صدروا عنه فى هذا الاتجاه أو ذاك، وتشير إلى الخط البيانى الصاعد الذى يضيف فيه كل عصر إلى كل عصر، وتضعنا نحن فى إطار من حتمية الترقى إلى هذا الأفق الذى إن فاتنا طوق احتوائه كاملا، فينبغى على الأقل أن لا يفوتنا قدرُ أن نتأمل روعته الحقيقية، وأن نسبح فى تيار بهائه بلا حدود!!

***

---

(٦) انظر: الإتقان فى علوم القرآن - للسيوطى - ج٤ - ص٢٨ وما بعدها.



براءة القرآن من الاختلاف والتناقض

للأستاذ الدكتور
عبد العظيم المطعني

من الافتراءات التي يرددها خصوم الإسلام بكثرة ـ الآن ـ وصف القرآن الحكيم أنه حافل بالاختلاف والتناقض وهما لا يكونان إلا عن جهل أو نسيان، وأن الجهل والنسيان الله منزه عنهما، ومادام الاختلاف والتناقض موجودين في القرآن فهذا من أقطع الأدلة على أن ما يسمى عند المسلمين قرآنًا ليس كلام الله، لأن الله ليس بجاهل، ولا هو يجوز عليه النسيان، وهذا هو المطلوب من هذه الفرية وأمثالها.

وقد قلنا مرات إننا لا يخيفنا ما يقوله خصوم الإسلام عن الإسلام، لأنهم لا يقولون عليه إلا منكر من القول وزورا، وها نحن لهم بالمرصاد. نحيل ما يزعمون كومة من الرماد، ولو كان في ضخامة الجبال.

●●●

ومن المضحك ـ حقًا ـ أنهم يدعون أن القرآن نفسه يعترف بأن فيه اختلافًا وتناقضًا، فماذا يقول المدافعون عنه وهو يعترف بذلك اعترافًا صريحا؟

ونسألهم أين اعتراف القرآن بأن فيه اختلافًا وتناقضًا؟

يجيبونك على الفور:

في الآية [٨٢] من سورة «النساء» وهي:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾(*).

إذ لا ريب أن هذه تنفي عنه ـ أي عن القرآن ـ الاختلاف الكثير فقط، أما الاختلاف القليل فلم تنفه الآية كما هو ظاهر، وهو ما يسمى عند الأصوليين بمفهوم «المخالفة» أي مخالفة المعنى المفهوم للمعنى المنطوق به صراحة في الكلام.(١)

(*) النساء (٨٢).

(١) للكلام مطلقًا معنيين: معنى يفهم من ظاهر العبارة، ويسمى معنى «المنطوق» ومعنى يفهم من عكس معنى العبارة، ويسمى معنى المفهوم كما إذا قال قائل: اجلس على هذا المقعد، فإن معنى هذه العبارة «المفهوم» لا تجلس على مقعد آخر غيره، ومن هنا فهموا أن المنفي في الآية هو الاختلاف الكثير دون القليل.

ويستوي عندهم الاختلاف «القليل» الذى تثبته الآية، في القرآن ـ حسب فهمهم والاختلاف «الكثير» الذى تنفيه الآية عن القرآن، فالقرآن لو كان من عند الله خلا من كل اختلاف قليله وكثيره؟ ومادام فيه اختلاف «قليل» باعتراف القرآن نفسه فهو ـ إذن ـ ليس من عند الله؟

هذا ما لغطوا به حول هذه الآية.

●●●

والجواب على هذا «الهراء» الذى ذكروه يتألف من ثلاثة اعتبارات:

الأول: إن العرب النازل بلغتهم الكلام وهم أساطين البلاغة والفصاحة وأعلم الناس بمزايا الكلام مطلقًا، وكذلك كانوا أعلم الناس بعيوب الكلام، لم يرد عنهم الطعن في البيان القرآني بأن فيه اختلافًا واضطرابا وتناقضا مفسدا للمعنى.

بل وصفوه بأنه سحر، أو شعر، أو أساطير الأولين. وهذه الأوصاف وإن أرادوا بها الذم والقدح، فقد تضمنت معاني المدح والرفعة، والباعث عليها كلها ما لمسوه في القرآن من شدة تأثيره في القلوب والعقول. وهذه معنى مدح لازم تضمنته أوصافهم للقرآن وهم لا يشعرون، لأن هذه الأجناس الأدبية: الشعر، الأساطير شديدة التأثير على مشاعر الناس وأحاسيسهم، وكذلك السحر الذى يأتي بكل عجيب مذهل بل ثبت عنهم الإشادة بروعة البيان القرآني ورفعته وسموه فوق الشعر والقريض بكل أنواعه.

وهذا ما ورد على لسان الوليد بن المغيرة، إذ قال في وصف القرآن مادحا له مثنيا عليه:

«والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الإنس، ولا من كلام الجن. إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يُعلى عليه»(٢).

أولئك العرب أرباب البلاغة الفطرية والفصاحة والبيان، خبراء الأساليب لم يتهموا القرآن بأى عيب من عيوب الكلام لا في لفظه ولا في معناه، وهم قد كانوا في أشد الحاجة إلى إثبات هذا العيب لو كانوا وجدوه، ولأبطلوا الدعوة من أقصر طريق وأدنى جهد، بدلاً من الحروب التي خاضوها والدماء التي أرهقوها، والأموال التى أضاعوها والأرواح التى افتقدوها، دون أن يحققوا من مقاصدهم شيئًا غير الحسرة وخيبة الآمال.

وسكوت هؤلاء الخصوم الألداء عن

(٢) الكشاف (١/١٨٣).

اتهام القرآن بوجود أدنى اختلاف فيه أو تناقض، دليل قاطع من خارج القرآن على براءته من كل عيب مخل بفصاحة الكلام وبلاغته، لأنهم كانوا أعلم الناس قاطبة بمزايا الكلام وعيوبه، فماذا يكون هؤلاء الخواجات أعجميو اللسان من أولئك العرب الخلص أساطين البيان الذين لا يكادون يفقهون قولاً؟

الاعتبار الثانى: هذا الاعتبار من خارج القرآن كذلك، وهو قاعدة «لغوية» جهلها هؤلاء المتطاولون جهلاً على قدسية القرآن الكريم تلك القاعدة تقول:

النفى إذا دخل على موصوف وصفه كان له احتمالان:

الأول: تسلط النفى على الصفة والموصوف معاً، فيكونان الإثنان منفيين.

الثانى: تسلط النفى على الصفة وحدها دون الموصوف، فتكون الصفة منفية والموصوف مثبتاً.

بيان ذلك:

إذا قلت: فلان ليس له ولد نافع فى هذه العبارة موصوف هو «ولد» وصفه، هى «نافع».

وقد دخل عليهما معاً النفى «ليس» فما هو المقصود بالنفى؟ هل هو ولد ونافع معاً؟ أم المقصود الصف «نافع» دون «ولد».

قالوا: والذى يدل على المراد هو الواقع الخارجى فإذا كان ﴿فلان﴾ ليس ولد فى الوجود كان المقصود بالنفى هو الصفة والموصوف معاً.

وإذا كان «فلان» له «ولد» فى الوجود على قيد الحياة لكن لا يرجى منه نفع كان المقصود بالنفى هو الصفة وحدها دون الموصوف وتطبيق هذا على الآية الكريمة هكذا: فى الآية الكريمة موصوف هو:

﴿ ٱخْتِلَٰفًا ﴾[3] وصفة هى ﴿ كَثِيرًا ﴾[4] فأى الاحتمالين مقصود هنا؟

نفى الموصوف والصفة معاً، أم نفى الصفة وحدها والموصوف مثبت لا منفى؟

الرجوع إلى الواقع يفيد أن المنفى هو الموصوف والصفة معاً، ونفى الموصوف يستلزم نفى الصفة قطعاً، لأن الصفة لا تقوم بغير موصوف. وهذا هو حكم العقل.

والذى يدل على هذا هو «الواقع» أعنى القرآن نفسه، لأن دقة التدبر والتأمل فيه يثبتان براءته من الاختلاف والتناقض ـ كما سيأتى ـ أى يثبت براءة القرآن من الاختلاف، وهو الموصوف. ويثبت كون ذلك الاختلاف قليلاً أو كثيراً، لأن نفى الموصوف نفى لكل صفة، وجودية يوصف بها، لأن المعدوم لا يقوم به موجود قط فيكون المراد بـ «ليس» نفى الموصوف ونفى أى صفة وجودية

(3، 4) النساء (82).

تقوم به، فلا اختلاف فى القرآن لا كثير ولا قليل. هذا هو الوجه السائد فى رد هذه الشبهة التى فهموها من الآية الكريمة.

●●●

ولدينا وجه آخر استبيناه من نظم الآية نفسها، فهو وجه من داخل القرآن لا من خارجه ويحتاج فهمه وتصوره إلى دقة نظر من نظم الآية، وهو كما فهمناه بتوفيق من الله ما يأتى:

إن دقة التأمل والنظر فى نظم الآية يرينا أن الموصوف بالاختلاف الكثير ليس القرآن ولكنه كلام آخر ليس من عند الله، ونص الآية هكذا.

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾[5] فهذا حديث عن القرآن فعلا لا عن كلام غير القرآن ثم قال:

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ ﴾[6] وهنا ترى انتقالا من الحديث عن القرآن، إلى الحديث إلى كلام آخر غير القرآن، والانتقال من الحديث عن القرآن إلى الحديث عن كلام من عند غير الله «أى كلام آخر ليس القرآن النازل من عند الله وبعلمه المحيط» هذا الانتقال تم من خلال لمحة لطيفة، يدركها من صفا ذهنه، كامنة فى قوله تعالى:

﴿ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ ﴾[6] أى كلام بشر، هذا الكلام البشرى لو كان ثم تدبروه لوجدوا فيه فعلا اختلافا كثيراً، لأن البشر خطاءون، ففى هذه الآية مع هذه اللمحة مقارنة بين القرآن الذى هو كلام الله، وبين كلام يفترض صدوره عن غير الله، فالأول، وهو القرآن، برىء تماما من الاختلاف المفسد للمعنى، والثانى وهو كلام ليس من عند الله. وهذا هو الكلام الذى يقع فيه الاختلاف فى الكثير.

وإذا رأى القارىء غرابة، فى هذا الرأى فعليه أن يكرر النظر فى نظم الآية الكريمة حتى يستأنس هذا الفهم وينقاد إليه المعنى طواعية بلا أدنى صعوبة.

وإذا صح هذا، وهو صحيح بإذن الله، فنحن لسنا فى حاجة، إلى وجه الدفاع الثانى الذى أساسه القاعدة اللغوية التى تقدم ذكرها وتحليلها.

وأيا كان الأمر فليس لخصوم الإسلام أدنى شبهة فى أن القرآن يعترف صراحة بأن فيه اختلافا قليلاً، وأن الاختلاف كثر أو قل دليل على أن القرآن ليس من عند الله؟

هذا وَهْمٌ مُظلم سيطر على عقول هؤلاء الخواجات ومن نحا نحوهم من الزنادقة الذين فى قلوبهم زيغ، الذين يتبعون ما تشابه من آيات القرآن ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ليحاربوا الله ورسوله ومن الآيات التى روجوا بها شبهة الاختلاف والتناقض فى القرآن

(5، 6) النساء (82).

الحكيم قوله تعالى:

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ۝ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾(٧)

وجه الاختلاف عندهم أن الله فى الآية كذب قول المنافقين أن الحسنة من عند الله، وأن السيئة من الرسول، ثم أثبت ما قالوه فى الآية الثانية. فأثبت أن الحسنة من الله وأن السيئة من النفس المخلوقة، وهذا لو صح لكان اختلافًا مفسدًا للمعنى «تناقض» أليس هذا كذلك؟.

والآيتان لا اختلاف فيهما عندما يتدبر فيهما القارىء، وإنما يبدو الاختلاف على ظاهر المعنى، والظاهر ليس مرادًا على إطلاقه، بل هو فى حاجة إلى شىء من «التأويل».

فجزْمُ القرآن بأن الحسنة والسيئة كلتاهما من الله، على اعتبار أن الله - عز وجل - فاعلهما، ومؤذن بهما، ومقدرهما مصداق ذلك قوله عز وجل:

﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾(٨)

أما التفرقة فى الآية الثانية بين مصدرى السيئة والحسنة:

﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾(٩).

فليس فيه اختلاف بينها وبين قوله فى الآية الأولى:

﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾(١٠) لأن لهذه التفرقة سببًا وجيهًا، وسنة من سنن الله فى عباده.

فكل نعمة تفضلٍ وإحسان من الله على عباده وليس لأحد دين على الله يوفيه إياه، لهذا كانت الحسنات كلها خيرًا محضًا من الله على العباد مؤمنهم وكافرهم مطيعهم وعاصيهم، مصداق ذلك قوله عز وجل:

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾(١١).

وهذا هو المقصود بقوله فى سورة النساء:

﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾(١٢).

ودخول ﴿مِنْ﴾(١٣) على حسنة يفيد إرادة جميع الحسنات، ما كبر منها وما صغر، وما ظهر منها وما بطن.

وأما السيئات وإن كان الله مقدرها

---

(٧) النساء (٧٨ - ٧٩).
(٨) الحديد (٢٢).
(٩) النساء (٧٩).
(١٠) النساء (٧٨).
(١١) النحل (٥٣).
(١٢) النساء (٧٩).
(١٣) النساء (٧٩).

وفاعلها فهى تنزل من عند الله بسبب معاصى الناس وليست ظلمًا يقع عليهم من الله، فالله يقول:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾(١٤)

وهكذا ترى للجمع بين الحسنة والسيئة فى كونهما من عند الله:

﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾(١٥) اعتبار مناسب، كما ترى - عند التدبر - للتفرقة بين الحسنة والسيئة فى أن الحسنة دائمًا من عند الله، وأن السيئة دائمًا من عند الناس، اعتبارًا مناسبًا كذلك، يخلو الكلام مع هذين الاعتبارين من الاختلاف والتناقض وهذا هو المراد بقوله تعالى:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾(١٦)

فالتدبر فى القرآن، وهو تقصى طرق البحث والنظر، والغوص وراء معانيه، هو الذى يكشف لك عن خبيئات المعانى المرادة، أما الوقوف عند ظواهر الألفاظ ثم ظواهر العبارات والتراكيب هو الذى يؤدى إلى اللبس، ولذلك قالوا: إن الأخذ بظاهر بعض الآيات كفر، وهؤلاء لما وقفوا عند ظاهر الكلام فى آيتى النساء أدى الوقوف إلى قول الكفر.

والخلاصة: أن هاتين الآيتين ليس فيهما اختلاف مفسد للمعنى (تناقض) لأن نسبة الحسنة والسيئة لله فى:

﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾(١٧) على اعتبار أن الله مقدر لهما وصانعهما ومؤذن لهما أما التفرقة بينهما فلأن كل نعمة، من الله إنما هى إحسان منه إلى عباده وليس لأحد دين عند الله يُلْزِمُ بالوفاء به. أما السيئة فقد نسبت إلى النفس لأن الله لا يظلم الناس شيئًا، وما تنزل بأحد نازلة إلا كان الإنسان هو السبب فيها فنسبت إليه السيئة بهذا الاعتبار، مصداق ذلك قوله تعالى:

﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾(١٨).

***

---

(١٤) يونس (٤٤).
(١٥) النساء (٧٨).
(١٦) النساء (٨٢).
(١٧) النساء (٧٨).
(١٨) الشورى (٣٠).

السنة

حكم خروج النساء من بيوتهن وما يتعلق بذلك

للأستاذ الكبير عبد الرحمن الجزيرى
عضو جماعة كبار العلماء

إعداد الشيخ / على عامد عبد الرحيم

عن عائشة قالت «خرجت سودةُ بنت زَمْعة ليلا فرآها عمر فعرفها، فقال : إنك والله ياسودة ماتَخْفَيْن علينا، فرجعتُ إلى النبى ﷺ فذكرتُ ذلك له وهو فى حُجرتى يتعشّى وإن فى يده لَعَرْقاً[1]، فأنزل الله عليه، فرفع عنه وهو يقول : قد أذن الله لكنّ أن تخرجن لحوائجكن» . رواه البخارى .

(١) العرق بفتح العين: العظم بلحمه، فإذا أكل لحمه سمى عراقاً بضم العين.

يتعلق بشرح هذا الحديث أمور:

(١) بيان معناه.

(٢) حكم خروج النساء لمصلحة دينية أو دنيوية.

(٣) الإسلام لايفرق بين الرجل والمرأة فى الحقوق العامة والواجبات إلا فيما تأباه طبيعة كل منهما.

(١) معنى الحديث ظاهر : وهو أن سودة بنت زمعة إحدى أزواج الرسول صلوات الله عليه خرجت من دارها ليلا بعد نزول آية الحجاب لقضاء حاجة، وكانت طويلة القامة، فرآها عمر - رضى الله عنه - فعرفها بطول قامتها، فناداها بقوله : إنك ياسودة ماتخفين علينا، ليلفتها إلى أن خروجها من دارها ينافى الحجاب المطلوب بالنسبة لها، لأنها تعرف بقامتها وإن كانت مستترة، فكأن عمر قد فهم من آية الحجاب (الآتى بيانها) أن المرأة مأمورة باجتناب كل مايدل عليها ويجعلها معروفة للناس.

وكان رضى الله عنه غيورا على المؤمنات، حريصا على محو عادات أهل الجاهلية وآثارهم الذميمة، لما كان يعرفه من فضائحهم، وانتهاك حرمات الأخلاق بينهم، وكان من شر عاداتهم تهتك النساء واختلاطهن بالرجال اختلاطا معيبا أفضى إلى إباحتهن واحتقارهن فى نظر الرجال إلى أبعد مدى.

فلما سمعته سودة رجعت الى النبى ﷺ وكان موجودا عند عائشة وقتئذ يتعشى فى حجرتها، فأخبرته بما وقع من عمر، فأوحى الله إليه أن حجاب المرأة ليس معناه حبسها فى المنزل بحيث لاتخرج منه، وإنما معناه ستر جسمها وزينتها عن أعين الرجال كى لاتغرى بها أهل الفسوق الذين لايبالون بالآداب والأخلاق، فلها أن تخرج لقضاء حاجتها وهى مستترة بساتر يحجب بدنها عن أعين الرجال الذين يساقون بدافع شهواتهم إلى الاعتداء على حقوق غيرهم من حيث لايشعرون، وذلك هو معنى الحجاب المفروض على النساء فى قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾[2]

ومعنى الآية: أنه لايجوز لنساء الرسول أن يختلطن بالرجال ويكلموهم بدون ساتر يغطى أبدانهن ويسترها عن أعينهم من ملاءة ونحوها.

فآية الحجاب نزلت فى نساء النبى ﷺ.. وليس من المعقول أبداً أن يفرض الله على نساء الرسول التحجب عن الرجال وهن أمهاتهم دفعا للريبة المتوهمة، ويبيح للنساء المؤمنات غيرهن الاختلاط بالرجال وهن مكشوفات.

فما أورده بعض الناظرين من أن هذا الحكم خاص بنساء الرسول فلا يكلف به سواهن،

(٢) الأحزاب (٥٣).

لاقيمة له مطلقا. على أن علة الأمر بالحجاب نص الله عليه، وهى قطع وساوس الشهوة من النفوس وتطهيرها منها كى لايكون للشيطان سبيل عليها. وظاهر أن نساء النبى لايطمع فيهن أحد من المسلمين وهن أمهات المؤمنين، وإن وجد شخص ضعيف النفس والمروءة وحدثته نفسه بذلك كان نادرا لايعبأ به. فالمقصود بهذا الحكم النساء عامة، وإنما بدأ بنساء النبى ليعلم الناس مالاختلاط النساء بالرجال من خطر شديد.

على أن الآية التى بعد هذا تدل على غرض الشارع من الحجاب، وتبين أنه عام يشمل زوجات النبى وسائر نساء المؤمنين، وهى قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَ ﴾(٣).

والجلباب رداء خاص تستتر به المرأة من رأسها إلى قدمها، يشبه الملاءة ونحوها، ومعنى يدنين الجلباب: يرخينه عليهن ويغطين به وجوههن وأبدانهن، ومعنى قوله تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَ ﴾(٤).

ذلك أقرب إلى معرفتهن وتمييزهن من الإماء اللاتى كان يقصدهن يومئذ بعض فاسدى الأخلاق. وذلك لأنهم كانوا يتعرضون للإماء حين يخرجن مع النساء ليلا لقضاء حاجتهن فيختلطن بالحرائر فيصيب الحرائر أذى المتعرضين من حيث لايقصدونهن. فأمر الله الحرائر بتغطية وجوههن ليمتزن عن الإماء فلا يصل إليهن أذى المتعرضين.

وحاصل المعنى: أن نساء المؤمنين كن يخرجن بعد آية الحجاب وأبدانهن ورءوسهن مستورة بالجلباب، ولكن وجوههن مكشوفة كالإماء، فترتب على ذلك عدم تمييزهن من الإماء ليلا، فأمرهن الله بتغطية وجوههن كى لايتعرض لهن أحد.

ومن هذا يتضح أن كشف وجه المرأة لايجوز إذا تعرض لها بعض فاسدى الأخلاق فى الطرق، وأن غرض الشريعة الإسلامية من الحجاب هو صيانة الآداب العامة، والقضاء على فوضى الأخلاق فى كل زمان ومكان. فلو أن المسلمين عرفوا هذا المعنى وعلموه لأزواجهم وبناتهم، لقضوا على التبرج وفساد الأخلاق، وحفظوا بذلك أعراضهم وأنسابهم.

وبعد: فهل للمرأة أن تكشف وجهها إذا لم يترتب على كشفه فساد؟

الجواب: إن جمهور الأئمة يقولون: بجواز ذلك، فإذا لم يترتب على كشف الوجه افتتان بالمرأة أو تحرش بها أو إغراء لها على الفساد، كان كشف وجهها جائزا. وخالف الشافعية فى ذلك فقالوا: إن وجه المرأة عورة

(٣) الأحزاب (٥٩).

(٤) الأحزاب (٥٩).

فلا يصح كشفه للرجال، بخلاف وجه الرجل فإنه ليس بعورة فيصح للمرأة أن تنظر إليه عند أمن الفساد باتفاق الجميع.

(٢) مما لاريب فيه أن الشريعة الإسلامية قد حررت المرأة من قيود الجاهلية، وجعلت لها مكانتها اللائقة بها فى المجتمع الإنسانى، وأباحت لها فعل كل مالا نقيصة فيه، فلم تمنعهن من الخروج من ديارهن لقضاء حوائجهن إلا إذا ترتب على ذلك الخروج شر يضر المرأة ويفسد أخلاقها. فللمرأة أن تخرج من دارها وهى مستترة غير متبرجة، ولها أن تذهب إلى محال العبادة وتحضر مجالس الوعظ. وهذا الحديث الذى معنا صريح فى هذه الإباحة، وقد جاء أيضا فى الحديث المتفق عليه، عن أم عطية الأنصارية أنها قالت: «أمرنا أن نخرج العواتق والحُيَّض فى العيدين يشهدن الخير ودعوة المسلمين ويعتزل الحيَّض المصلى». والعواتق: البنات الأبكار البالغات والمقاربات للبلوغ. ومعناه ظاهر، وهو أن النساء سواء كن بالغات أولا يجب على أولياء أمورهن أن يخرجوهن ليحضروا مجالس الخير. أما ماروى عن عائشة من أنها قالت: «لو رأى النبى ﷺ ماأحدثه النساء لمنعهن عن المساجد» فليس فيه مايدل على حكم شرعى بل هو من باب زجر النساء اللاتى يخرجن عن قواعد الحجاب وآداب الإسلام، فهو من باب لفت النظر إلى ما سنه الرسول صلوات الله عليه وعدم الخروج عنه.

وبالجملة: فإن قواعد الدين الإسلامى قد أباحت للمرأة أن تسلك كل سبيل لا ريبة فيه، وأن تباشر الأعمال الدينية التى فيها مشاق وأسفار طويلة، ففرض الله على المرأة الحج مع زوجها أو مع ذى رحم محرم كابنها وأخيها وعمها، وجعل للرجل الحق فى أن يصحب زوجه فى أسفاره إلى أى جهة مأمونة. ولكن كل ذلك مشروط بأن لايترتب على خروجها فساد خلقى، وأن لاتخرج متبرجة تعرض زينتها وبدنها للرائين، وأن يكون خروجها بإذن زوجها، فمتى توفرت هذه الشروط جاز للمرأة أن تخرج لقضاء حوائجها، وحضور مجالس العلم والوعظ بلا نزاع، فإذا تعرض لها شخص فاسد الأخلاق بأذى بعد ذلك كان حقيرا فى ذاته حقيرا عند الله والناس جميعا.

(٣) ومن هذا تعلم أن الشريعة الإسلامية إنما أمرت النساء بالحجاب لما يترتب على التبرج من فساد خلقى، لا لنقص طبيعى فى المرأة يقتضى حبسها، بل قد سوّت الشريعة بين الرجل والمرأة فى الحقوق والواجبات العامة الدنيويةوالأخروية، إلا فيما لاتقتضيه طبيعة كل منهما، فأما الحقوق الدنيوية فإن معظمها وأهمها يرجع إلى باب الأموال، وقد سوت الشريعة الإسلامية بين الرجل والمرأة فى هذا الباب، فلم تجعل لأحدهما ميزة على صاحبه فى ذلك، فللمرأة حرية التصرف فى مالها مادامت رشيدة مكلفة كالرجل سواء بسواء، ولا يحجر عليها فى تصرفها إلا بسبب من الأسباب الموجبة للحجر كما يحجر على الرجل بذلك

السبب. نعم إن بعض الأئمة قال إن للرجل حق التصرف فى بعض أموال امرأته بدون إذنها، وله الحق فى أن يحجر عليها فى ذلك القدر. ولكن جمهور الأئمة على خلاف ذلك. وهذه ميزة عظيمة تدل على ما للمرأة من المكانة والتقدير فى نظر الشريعة الإسلامية، فإن حرية التصرف فى باب المال دليل واضح على اعتبار المرأة وتقديرها، فما دامت المرأة حرة التصرف فى مالها من بيع وشراء وهبة وصدقة وإجارة وغير ذلك من أنواع العقود بحيث لاتصح إلا إذا صدرت منها أو من وكيلها، كانت فى نظر الشريعة الإسلامية عاملا قويا فى بناء دعائم العمران وخدمة المجتمع.

فللمرأة الحق المطلق فى أن تتصرف فى مالها فيما ينفعها حال حياتها وبعد مماتها، وليس لزوجها ولا لغيرها أن يمنعها من حقها فى التصرف.

وبديهى أن إنفاق المال على وجه صالح ينفع المجتمع، له أكبر الأثر فى تخليد ذكرى الإنسان فى الدنيا، وهو من أكبر الوسائل الموجبة للسعادة الأخروية. فإذا أتيح للمرأة أن تكون خالدة فى هذه الحياة الدنيا بما تنفقه من أموالها فى إصلاح حال المجتمع، وأن تكون لها فى الآخرة أسمى المنازل وأرفع الدرجات بلا فرق بينها وبين الرجل، لم يكن وراء ذلك شئ ينقص أجرها أو يقلل احترامها.

ولعل قائلا يقول: إن الشريعة الإسلامية وإن سوت بين الرجل والمرأة فى باب التصرف بصورة واسعة، ولكنها لم تسو بينهما فى قسمة الميراث حيث جعلت لها نصف الرجل.

والجواب عن ذلك: هو أن قسمة الميراث بالصورة التى جاء بها القرآن الكريم مطابقة للنظم الاجتماعية فى كل زمان ومكان، بحيث لو خرج الناس عنها قيد شعرة لكان ذلك إجحافا معيبا. وذلك لأن الرجل يجب أن يمتاز بهذه الميزة المادية لما تستلزمه حياته من تكاليف تزيد عن حياة المرأة المسلمة.، فالرجل مكلف بأن ينفق على المرأة كل ماتحتاج إليه من طعام وشراب وسكن بحسب حاله وحالها، ومكلف بأن ينفق على أولاده وأقربائه الفقراء، ومكلف بالدفاع عن عرضه ووطنه، ومكلف بأن يقوم بأعباء ماتستدعيه العادة والعرف من ضيافة ونحوها. كل ذلك يجب على الرجل أن يقوم به وحده. أما المرأة فإنه لايجب عليها شئ من ذلك مادام الرجل موجودا . فالمال الذى ترثه المرأة يعد ربحا خالصا لها قد لايساويه نصيب الرجل المضاعف الذى تكتنفه مطالب كثيرة.

فمن الغفلة أن يقال: إن المرأة مغبونة فى الميراث، بل المعقول الظاهر أن المرأة لو زادت عن هذا القدر لكان ذلك إجحافا ظاهرا بالرجل، وهذه المعانى لايصح لمشرع أن يغفل عنها، وإلا كان تشريعه ظالما فى الواقع، فيتبرم به الناس عندما يصطدمون بالحوادث الطبيعية.

فالشريعة الإسلامية قدرت المرأة حق قدرها فى باب المال فأعطتها النصيب اللائق بها، وجعلت لها حق التصرف فى نصيبها كالرجل سواء بسواء.

وقد ظن بعض الجهلة بالتشريع وطبائع الأمم أن الشريعة الإسلامية مهينة للمرأة فى هذه الناحية، وقد غفلوا عن أن بعض الأمم العريقة فى المدنية تجعل للرجل حق الحجر على زوجه فى تصرفها المالى، وبعضها يرى الحق فى الميراث لولد المتوفى الأكبر. ولكن الشريعة الإسلامية قد نظرت إلى المصلحة من جميع جهاتها، وقررت العدل المطلق الذى لايختل ميزانه فى وقت من الأوقات، فهى صادرة عن إله عليم خبير بلا نزاع.

وأما الحقوق الأخروية فالتسوية فيها كاملة تامة، وقد صرح القرآن الكريم بذلك، قال تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(٥).

فهذه الآية صريحة فى تسوية المرأة بالرجل فى الجزاء الأخروى بلا فرق، وكذلك آية:

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾(٦) إلى قوله:

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾(٧).

وإذا كانت المرأة مساوية للرجل فى الحقوق الدنيوية العامة، ومساوية له فى النعيم الخالد يوم القيامة، فمن السخف أن يقال: إن المرأة أحط قدرا وأضعف منزلة من الرجل فى نظر الشريعة الإسلامية. ولكن الشريعة الإسلامية أحاطتها بما يصون عرضها ويحفظ لها كرامتها، لأن لها حالة اقتضتها طبيعة الأنوثة، فرفعت عنها تكاليف الحياة ومشاقها، وقصرتها على تدبير منزلها ومراقبة تربية أبنائها وبناتها وهم فى مهدهم، وحتمت عليها أن تلزمهم وتعلمهم الأدب، كما قال ﷺ: «الزموا أولادكم وعلموهم الأدب» فإن لم ينشأ الصغير على الفضيلة عاداها وتعود الشهوات الفاسدة، فصار عضوا فاسدا فى المجتمع يضر ولاينفع، وكلفت الرجال باحتمال مشاق الحياة وتكاليفها، والعمل على صيانة زوجه وأولاده من الضياع، والقيام عليهم بما يحوطهم ويرعاهم بحسب مايتاح له فى هذه الحياة، ومما لاريب فيه أن ذلك هو المناسب اللائق لطبيعة كل منهما، فعلى الرجل الكد وتحصيل المال اللازم بقدر مايستطيع تحصيله، وعلى المرأة أن تدبر منزلها، وأن ترعى أولادها، وتهيء لهم طعامهم وشرابهم بحسب حالهم وحالها. فالرجل عامل فى تكوين الأسرة وتربيتها فى الخارج، والمرأة عاملة فى تكوين الأسرة وتدبيرها فى الداخل.

---

(٥) النحل (٩٧).

(٦) الأحزاب (٣٥).

(٧) الأحزاب (٣٥).

ما يقال عن الإسلام

شبهات زائفة تكشفها الحقائق الدامغة

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوضين

الصراع بين الحق والباطل صراع أزلى منذ خلق الله الإنسان ولازال وسيظل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، والهجوم على الإسلام من أعدائه ليس جديدا ولاحديثا.. ولكن وصل مؤخرا إلى مرحلة من التدنى.

ولقد وصلت إلىّ معلومات عن بعض مايثيره أعداء الاسلام فى الولايات المتحدة الأمريكية باستخدام الاختلاق الفاجر الذى لايحتاج إلى جهد ما فى كشف أباطيله.

وقد تعمدنا أن نحاور بالتى هى أحسن:

﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾[1] راجين أن ترجع العقول إلى صوابها فلا يتكرر هذا العدوان الآثم.

وقد أحلت هذه الشبهات إلى الأستاذ الدكتور إبراهيم عوضين محرر باب (كتاب الشهر) وهو خاص بدحض الشبهات وقمع الأباطيل، فكتب هذا الرد على حلقات تنشرها المجلة تباعا.

فوزى الزفزاف - رئيس لجنة الحوار بالأزهر الشريف

(١) الأنفال (٤٢).

من يتتبع تاريخ الإسلام منذ بعث محمد ﷺ إلى يومنا هذا.. يجد أن خصومه لجأوا إلى شتى الحيل لمقاومته، وتوسلوا بمختلف الأسلحة فى طعنه، وهو ماض فى سبيله، يزداد مع الأيام قوة، ويكتسب من كل مطعن حصانة، ويخرج من كل ما يواجه من حروب أشد عزما، ويجتاز كل مايفرض فى سبيله من عقبات وهو أكثر عددا؛ فإذا ببضعة الأفراد الذين بدأ بهم الإسلام فى مكة يتجاوزون اليوم ألف مليون ينتشرون فى جميع أرجاء العالم، يقودهم كتاب الله وقرآنه الذى أنزله الله - تعالى - على نبيه محمد ﷺ، والذى تكفل سبحانه وتعالى بحفظه، فقال عز شأنه مطمئنا كل مسلم:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[2]

فليس غريبا أن تتخذ منه قوى الاستبداد - فى العصر الحديث - عدوا، ولا أن يرى فيه دعاة النفعة المادية خصما تدبر له المكائد، وتكال له التهم، وتزيف من أجل تشويهه الحقائق، وتكتل فى سبيله القوى، ويثار فى وجهه الغبار حتى يحال بين الناس وبين الإقبال عليه، والاحتماء به، والدخول فيه.. خصوصا حين اشتدت بالناس الكروب، وأصابهم من مطامع فلاسفة الشر الضياع، وتلفتوا بحثا عن مرفأ آمن يفيئون إليه، وينضوون تحت لوائه، ليواجهوا به عتو الطغاة، وجبروت الظالمين المستبدين، وأباطيل أتباعهم ومناصريهم.

فما ووجه به الإسلام فى مبتدئه من صلف أبى جهل، وغطرسة الوليد بن المغيرة، وأمثالهما فى مكة، وماووجه به من مكر يهود بنى قينقاع والنضير وقريظة وغيرهم فى المدينة بعد أن هاجر إليها المسلمون، وماحاوله معه المنافقون من دس وخيانة وخداع، وإثارة فتن، وبلبلة عقول فى المدينة - كذلك - بعد أن كادت تستقر بالمسلمين الأحوال.

وما لاحق الإسلام - من هذه المواجهات - بعد ذلك على يد أكاسرة الفرس، وقياصرة الروم، ثم من همجية التتار، وسعار الصليبيين الأوربيين.. ثم ظلت تلك المواجهات تلاحقه فى العصر الحديث على أيدى الحكام والقادة الذين يخشون على سلطانهم من فكره الذى يحرر الإنسان من عبودية الإنسان، ويخافون توجيهاته التى تعادى كل ظلم وجبروت.. متوسلين بعناصر من البشر تلبس المسوح الخادعة. أملا فى أن تحقق من مآربها بعض ماتصبو إليه بما تسوقه من كلام منمق لخداع السذج والعامة من الناس، كى تخيفهم من الإسلام، أو تضللهم عنه، أو تشوه صورته أمام أعينهم، معتمدين على تزييف الحقائق، وصرفها عن وجوهها

(٢) الحجر (٩).

الانتقاء من أبرز وسائل التضليل

وكما كان يصنع أبو جهل في صدر الإسلام.. حيث يلجأ - في تخويف سادات العرب من الإسلام - إلى الانتقاء المبتور؛ فيجعل من قيمة المساواة التي يدعو إليها الإسلام قيمة تسقط عن ذوى الشرف شرفهم. وتدعو إلى مؤازرة الفقراء لفقرهم، حتى أصبح يجرى على ألسنة الكثيرين: إن الإسلام يدعو إلى عدم احترام الأشراف، ويتملق الفقراء والعبيد والمستضعفين.

كما كان يصنع أبو جهل وأمثاله ليصدوا عن الإسلام، ويخيفوا الآخرين منه... يصنع اليوم أولئك الداعون إلى مناهضة الإسلام بأنفسهم ومايطلقون من شعارات، ومايسخرون من بشر وأجهزة، كما نرى في صنيع تلك السيدة ناظرة الثانوية في أمريكا.

١ - فهي تدعى: أنها تحولت من الإسلام إلى المسيحية؛ لأنها وجدت أن القرآن كرَّم العذراء مريم، وفضلها على نساء العالمين. أي أنها - في هذا - تُصدِّق القرآن، وتنجذب إلى الإيمان بابنها السيد المسيح عليه السلام متنحية - في الوقت نفسه - عن الإيمان بمحمد ﷺ الذي تلقت عنه هذا القرآن، والذي أوحي إليه القرآن ليدعو الناس كافة إلى الإيمان به، ولا أدرى بأى عقل انطلق لسانها بهذه العبارة، ولا كيف سوغت لنفسها هذا المنطق الغريب؟!

ولا أدرى أى إسلام هذا الذى تحولت عنه إلى المسيحية؟! إن الإسلام الذى كرم العذراء مريم في كتابه ليس دينا يخاصم ماتقدمه من الديانات السماوية، بل هو دين يفرض على كل مسلم أن يؤمن بجميع رسل الله السابقين على محمد، ولايفرق بين أحد من هؤلاء المرسلين، كما يقرره قوله تعالى:

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾(٣).

وهو دين يصدق كتابه ماتقدمه من كتب سماوية ويتممه، على ماجاء في قوله سبحانه:

﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ﴾(٤).

٢ - وهي وجدت: أن المعجزات التي قدمها السيد المسيح - عليه السلام - بين يدى دعوته - والتي عرفتها من القرآن - معجزات لم يأت بها أى نبى آخر. ومن أجل تلك المعجزات المنفردة تحولت عن الإسلام.. حتى ليخيل لمن يتلقى كلامها أنه أمام سيدة في متجر راحت تنتقى منه مايروقها من معروضات وسلع.

(٣) البقرة (٢٨٥).

(٤) المائدة (٤٨).

وهذا - في الوقت نفسه - يكشف انتقائيتها الضالة المضلة كمن يتلقى قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾(٥)

فينتقى منه مايوافق هواه، فيقول: إن القرآن ينهى المؤمنين عن الصلاة.

وكذلك تفعل هذه السيدة. فقد ذكر القرآن معجزات كثيرة ذات خطر - لاتقل عن معجزات السيد المسيح - قدمها أنبياء آخرون، مثل معجزة إبراهيم - عليه السلام - أبي الأنبياء، حيث جعلت له النار التي ألقى فيها بردا وسلاما، ومثل معجزات موسى - عليه السلام - حيث تحولت العصا إلى حية حقيقية تلقف ماصنعه سحرة فرعون من حيات، وحيث ضرب الحجر بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا من الماء، وضرب البحر بها فانفلق شقين، بينهما طريق سلكه هو ومن معه من بني إسرائيل فرارا من بطش فرعون وجنوده.

فإذا كانت السيدة مبهورة بمعجزات السيد المسيح التي ذكرها القرآن، فما بالها وقفت عند هذه المعجزة وحدها، ولم تبهر بتلك المعجزات - وقد تكون واحدة منها أقوى من معجزات السيد المسيح - فيكون تحولها إلى الإبراهيمية الحنيفية التي أشار القرآن إلى أسسها، أو يكون تحولها إلى اليهودية الموسوية، أصل المسيحية؟!

لايمكن تفسير ماصنعته هذه السيدة إلا بالصدور عن الانتقائية التي تعني: الضلال، أو التعصب، أو الجهل الطائش، أو هذا كله ثم إذا ساغ في العصور السابقة - بما كانت تتسم به من بدائية - أن يبهر الناس بالمعجزات المادية، فكيف استساغت السيدة ناظرة الثانوية في القرن الحادى والعشرين أن تبهرها مثل هذه المعجزات التي قدمها السيد المسيح، والتي غيبتها الأيام في طواياها، فأصبحت أدنى إلى الشك أو التشكيك في وقوعها، لو لم يحفظها القرآن الكريم.. أقول كيف استساغت هذه السيدة أن تبهرها تلك المعجزات، ولا تلتفت إلى المعجزة القرآنية الخالدة والباقية بذاتها على حالتها أكثر من أربعة عشر قرنا تحمل التحدى للإنس والجن أن يأتوا بمثله:

﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾(٦)

إن التقدم العلمي والحضارى الذى وصل إليه الإنسان في القرن الحادى والعشرين ليفرض على الإنسان المحايد الجاد - بما حصل من معارف - أن يكشف مايحمله القرآن الكريم من أسرار تؤكد أنها ليست وليدة

(٥) النساء (٤٣).

(٦) الإسراء (٨٨).

عقل بشرى كان يعيش فى القرن السابع الميلادى، أما أن ينصرف إنسان القرن الحادى والعشرين عن هذه المعجزات القرآنية، فهو انصراف مقصود، لا مبرر له إلا الرغبة فى الرفض والتضليل فحسب، على ما أشار إليه القرآن الكريم نفسه فى قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (89) وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (90) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (91) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (92) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ﴾(7).

فانبهار هذه السيدة ـ اليوم ـ بالمعجزات المادية التى أدت دورها منذ نحو عشرين قرنا، لم يعد لها أى وجود مادى واقعى.. هذا الانبهار إنما دفع إلغاء مقصود لدور العقل المتوازن المحايد واستسلام للهوى الشخصى المهلك، نشأ عن تلك الانتقائية الضالة!

وتأليه الهوى من أخطر مايصيب الإنسان

وتكاد السيدة تعلن أنها لم تكن مسلمة ابتداء، إذ يدفعها الهوى الذى ملك ناصيتها إلى الإيماء بأن القرآن من صنع محمد – على مايفتريه كثير من المستشرقين– فتدعى أن النبى محمدا كان يذكر الآيات التى تناولت قصة العذراء مريم وتفضيل الله إياها على نساء العالمين، وكان يذكر معجزات السيد المسيح فى بداية الرسالة توددا إلى المسيحيين لكسبهم فى صفه، ثم بدأ ينقلب على المسيحية بعد أن قويت شوكته.

وهذا الادعاء – لعمر الله– أوضح دليل على استسلام تلك السيدة لهواها الذى اتخذته إلها، فصرفها عن كل معقول، وأفقدها نعمة التوازن وتحرى الصواب، فلم تنتبه إلى أن السورة القرآنية التى سميت باسم (مريم) وقدمت قصتها فى أخطر مراحل حياتها، إنما هى من السور التى نزلت فى مكة. وبالتالى لم تنتبه إلى أن خطاب محمد ﷺ فى مكة كان محصورا فى الدائرة المكية الوثنية، فلم يكن هناك أى وجود مسيحى، فضلاً عن أن يكون وجودا مؤثرا يفرض على محمد أن يسعى لكسب وده.

وعلى فرض التسليم بالوجود المسيحى المؤثر فى تلك البيئة المكية.. فأين هو التودد المزعوم– أو المتوهم– فى قوله – تعالى – على لسان عيسى عليه السلام – وهو فى المهد– ليدفع فرية اليهود عن أمه:

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾(8).

(7) الإسراء (89: 93).

(8) مريم (30: 33).

ثم أين هو التودد فيما تلى هذه الآيات من قوله تعالى موضحا حقيقة عيسى – عليه السلام:

﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (34) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (35) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾(9).

إن هذه الآيات المكية إنما أنصفت عيسى – عليه السلام – فأوضحت حقيقته، ونفت ما افتراه على حقيقته المفترون، بعد أن أنصفت أمه، وردت على المفترين فريتهم، متحدياً بذلك ما ادعاه كثير من اليهود والمسيحيين!

ثم إن ماورد فى القرآن الكريم المكى عن المسيح – عليه السلام: هو نفسه الذى نبهت إليه الآيات المدنية، مصورة تجاوز أهل الكتاب طريق الحق، وادعاءهم أن المسيح ابن الله، فقالت:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (171) لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾(10).

تلكم نماذج من القرآن المكى التى حدثتنا عن المسيح – عليه السلام – وأمه، حين كانت شوكة محمد ﷺ ضعيفة– كما توهمت السيدة– ونماذج من القرآن المدنى بعد أن قويت شوكة محمد ﷺ. فأين فيها التودد المزعوم، وأين فيها الانقلاب على المسيحية الذى تزعمه السيدة ناظرة الثانوية؟!

لقد كان أولى بمحمد ﷺ – إذا استساغ فى دعوته نهج التودد أن يتودد إلى قريش التى كان يعيش بينها، فيذكر آلهتهم بخير – كما كانوا يتمنون – أولا يذكرهم بخير ولا بسوء، حتى يخففوا من وطأتهم عليه، ويمنحوه فرصة لمباشرة دعوته دون اعتراض. ولكنه ﷺ تحمل المشاق، وشتى وسائل القهر من تعذيب ومقاطعات، مواصلا تبيان حقيقة الأوثان التى لاتنفع ولاتضر، ولاتملك من أمر نفسها شيئا، ومواصلاً كشف باطل زعماء قريش المشركين، وتوعدهم بعذاب شديد، فأعلن ﷺ مانزل عليه من القرآن الكريم فى شأن الوليد بن المغيرة من تسفيه وتحقير ووعيد:

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (11) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (12) وَبَنِينَ شُهُودًا (13) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (14) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (15) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (16) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (17) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (18) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (19) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (20) ثُمَّ نَظَرَ (21) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (22) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (23) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (24) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (25) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (26) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (27) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (28) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (29) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾(11)

(9) مريم (34: 36).

(10) النساء (171: 172).

(11) المدثر (11: 30).

وكان أولى بمحمد ﷺ - إذا استساغ التودد نهجا في دعوته - أن يتودد إلى أبي جهل، فلا يذكر ما نزل عليه من القرآن متحديا ومتوعداً إياه:

﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۝ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۝ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ۝ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾(١٢)

بل كان أولى به ﷺ أن يهادن أسرته، فلا يعلن ما نزل في شأن عمه أبي لهب وزوجه، حتى يضمن استمرارها في حمايته، ولكنه واجهه بما نزل فيه من قوله تعالى:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾(١٣).

ثم.. أين هي السذاجة؟!

ولاتقف تلك السيدة- في مسيرتها الهوائية- عند ذلك الحد، ولكنها - بتأثير هذا الهوى المضل الذى اتخذته من دون الله إلها - رأت أن القول بعدم صلب المسيح قول ساذج.

والمتأمل في هذه القضية يحار في الوقوف على موطن السذاجة فيها..

أهو في التمسك بما ردده من حاولوا قتل السيد المسيح، وانطلقت به ألسنة العامة وراءهم، دون تحر للحقيقة والصدق فيما يتردد؟!

أم هو في قبول ماجاء به وحى الله - تعالى - مبينا وموضحاً؟!

إن وقفة متأنية للنظر المتعقل في الأمر لكفيلة بأن تردنا إلى الصواب.

فليس من شك في أن قصة قتل المسيح لم يرد بها كتاب معصوم، نزل به الوحي، وإنما هي روايات تداولتها الألسن، وتناقلتها على مدى تلك السنين، حتى جاء محمد ﷺ، فنزل عليه وحي ربه بإحقاق الحقيقة، مبينا من كان وراء تلك الفرية وغيرها، مما يتصل بالسيد المسيح وأمه - عليهما السلام - فقال متحدثا عن ناقضي العهود والمواثيق من اليهود:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ۝ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾(١٤).

---

(١٢) العلق (١٥ - ١٩).

(١٣) سورة المسد.

(١٤) النساء (١٥٥ - ١٥٧).

وليس من شك في أن الزعم بقتل المسيح - عليه السلام - لايمثل عائقا أمام محمد ﷺ، وأن نفي القتل والصلب لايفيده ﷺ شيئا، ولا يعينه في دعوته، بل على العكس من ذلك فقد كان بمقدوره أن يتودد إلى المسيحيين واليهود، ويقرهم على ما يرددونه، فليس فيه مايضيره.

لو أن هذا الأمر طرحه المتعقلون على بساط البحث، ونظروا إليه من زواياه المختلفة لوجدوا أن محمدا ﷺ حين يردد على مسامعهم ما أنزله عليه ربه في هذا الشأن إنما قصد من ورائه إيقافهم على الحقيقة، وتنبيههم إلى أن من اختلق هذه الأكذوبة هو نفسه الذى وصم السيدة مريم أم المسيح بوصمة الزنا، وقال عليها هذا البهتان العظيم.

ولكن تلك السيدة- في غفلة منها عن العقل- تقبل ماجاء به القرآن الكريم في شأن السيدة مريم، وترفض ماجاء به في شأن القتل والصلب، وتعده تشكيكا وتحريفا، استمرارا منها على نهج الانتقاء، فصدق عليها قول الحق تبارك وتعالى:

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(١٥).

وتواصل السيدة سيرها على هذا النهج الانتقائي غير المتعقل، فتستثير في الآخرين سذاجتهم ليتقبلوا مزاعمها: وتقول: «كما إن الله العادل لن يضحي بروح إنسان برىء، يقتل بغير ذنب لمجرد اقتداء السيد المسيح»، غافلة - أو مغفلة- أن هذا الكلام لاصلة للقرآن به، ولا لمحمد ﷺ، فالقرآن الكريم قرر في حسم أنهم ماقتلوه وما صلبوه، ولكن شبه لهم، حيث خيل إليهم أنهم قتلوا السيد المسيح أو صلبوه.

ثم.. من قال إن الله العادل ضحى بروح إنسان برىء؟!

إن القتلة أنفسهم هم الذين خدعوا فقتلوه ظلما. كما كانوا يقصدون قتل المسيح ظلما، وكما هو حال كل ظالم يتخذ من القتل وسيلة لتحقيق مآربه.

وقبل هذا، وبعده.. من أطلع تلك السيدة على حقيقة هذا الذى قتل.. أكان بريئا، أم كان مذنبا مدانا في قضايا أخر، فاقتضت عدالة الله أن يسلط ظالم على ظالم؟!

أعتقد أن هذه السيدة لو كانت تسعى إلى الحقيقة. ونظرت إلى الأمر بالعين التى يقودها العقل السليم، ويحفظها الحياد الأمين لما كان منها ما كان.

---

(١٥) البقرة (٨٥).

حوارات حول مؤتمر الثقافة المنعقد في القاهرة ١-٣ يوليو ٢٠٠٣

ماذا يريد المثقفون من مؤتمرهم؟

للأستاذ الدكتور/ عبدالمنعم يونس

جميل أن يلتقي المثقفون العرب في قاهرة المعز يبحثون تجديد الخطاب الثقافي في هذه المرحلة الزمنية التي تداعت فيها الأمم على الأمة العربية، وذلك يعني أمرين:

الأول: أن ذلك المؤتمر يعني إشارة واضحة إلى أن العقل العربي مازالت به بقية من فكر، فهو يؤثر ويتأثر، ويتفاعل مع قضايا الأمة في محنتها التي تمر بها.

الثاني: أن القاهرة تلك المدينة التي حملت على عاتقها منذ بناها المعز لدين الله الفاطمي هموم الأمة العربية والإسلامية، والتي كانت ومازالت مأوى العلماء والمفكرين، والأدباء والباحثين والقادة والمصلحين، والأبطال المجاهدين فقد هرع إليها يحتمي بظلها الظليل، ونيلها العليل جل قادة الإصلاح، وكثير من المجاهدين الذين قاوموا المستعمر رغبة منهم في اتخاذ القاهرة منطلقا لتحرير أوطانهم، والأمثلة على ذلك كثيرة ومتعددة.

وجميل.. أيضا أن تحتضن القاهرة هذا الملتقى، وأن تقدم لهؤلاء المؤتمرين كل صنوف الراحة، وألوان النعيم، فالكرم المصري معروف لدى الجميع.

ولكن ليس جميلا أن يُستقبلَ أعداء التراث الإسلامي والعربي استقبال الفاتحين، وليس جميلا.. أيضا أن ينشروا سمومهم في بيئة القاهرة التي هيأت لهم مقاما طيبا، وأوقاتا سعيدة ينعمون فيها بخير البلاد والعباد.

كنت أعتقد أن المؤتمرين سيسلكون خطا متوازنا، وطريقا مستقيما، فهم في فترة زمنية هجم فيها أعداء الإسلام والعروبة على مقدساتهم، وأباحوا حرماتهم ومزقوا كيانهم، وأحلوا لكل من هب ودب أن يستولي على تراث الأمة التي يزعم الداعون إلى المؤتمر أنهم حماته، وأن الآثار العربية والإسلامية شغلهم الشاغل ألم يكن من الأجدر أن يهبوا لطلب كل من اغتصب آثار العراق، ودمر ثروته الفكرية والأدبية في ساعة عجز فيها العرب والقائمون على حماية الثقافة العربية الذَّبَّ عن تبديد هذه الثروات، لكننا رأيناهم يقفون مع الغاصب في خندق واحد وينهالون على تراث أمتهم بمعاول أوحى لهم بها أعداؤهم، وكأنهم يقولون مالنا ولهذا التراث؟ فليسلب كله، وليلق به في نهرى دجلة والفرات كما صنع هولاكو من قبل، بل كأنهم يقولون: إننا لا نريد لهذا التراث البقاء، نحن نريد تراثا من نوع آخر، نريد تراث رعاة البقر، ودعاة التعهر، وحماة الإباحية والفوضى، هذا هو التراث الذى يجعلنا ننفلت من ماضينا، ونصنع كما صنعت أمريكا، كنا نريد منهم أن يكون اجتماعهم قائما على التفكير في أمجاد الأمة الضائعة - إن كانوا مازالوا يعترفون بهذه الأمجاد - كيف يقدمونها للآخر، وكيف يطورون خطابهم ليجعلوا الآخر يرى بعين النصفة ما كان عليه العرب قديما، وماذا قدموا للإنسانية من خدمات في الوقت الذى كان فيه غيرهم عالة عليهم.

لكنهم في الوقت الذى كان يتطلب منهم ذلك رأيناهم يقدمون لأعدائهم تراث أمتهم في صورة رثة بالية، ويعملون جاهدين على ذبحه وتقديمه وليمة سائغة لخصومهم ويا ليتهم اكتفوا بذلك، ووقفوا عند التراث يقطعون أوصاله، ويمزقون أشلاءه ويهيلون التراب عليه، ويا ليتهم أهالوا عليه التراب، وستروه عن أعين خصومهم، وإنما صنعوا كما صنع رعاة البقر في العراق، ينشرون جثث القتلى على الملأ، وفي وسائل الإعلام المرئية دون مراعاة لإنسانية الإنسان، وهم الذين تشدقوا بحقوق الإنسان ردحا من الزمن.

إن رجال الثقافة الذين أقبلوا على مؤتمر الثقافة من كل حدب وصوب صنعوا بتراثهم ما لم يصنعه الغاصب، فإذا كان الغاصب قد سرق الآثار من متحف بغداد وأخذ النادر من الصادر - وهم يعلمون أنه نادر - فإن المؤتمرين حاولوا أن يقولوا لهم: إن هذا التراث الذى تحرصون على نهبه لا قيمة له عندنا، تعالوا وخذوا ما تريدون، وجردونا من ماضينا، كما جردتمونا من ثرواتنا، فنحن لسنا راغبين فيه لأنه ليس جديرا بذلك.

إنها مصيبة أصيب بها العرب والمسلمون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ويا ليت المصيبة كانت في العامة والدهماء إنها مصيبة في الخاصة من أمة العرب الذين يدعون أنهم الخاصة، ولكن أنَّى لهم ذلك، فقد ذهب الرجال، وبقي أشباه الرجال، أو كما قال القائل:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم
وبقيت في زمن كجلد الأجرب.

وليس جميلا - أيضا - أن يترك الحبل على الغارب لهؤلاء الأدعياء يقولون ما يشاءون، حقيقة إن جو الحرية الذى تنعم به مصر في

هذا العصر يشجع الكثيرين على البوح بأفكارهم، ونشر آرائهم دون خوف أو وجل، ولكن لا يصل الأمر إلى النيل من المقدس الذى يمس وجدان الأمة وعواطفها، هنا كان ينبغى لهؤلاء أن تكون لديهم بقية من خجل.

وليس جميلا أن يتحول المؤتمر من مؤتمر للثقافة دعت إليه وزارة الثقافة عن طريق المجلس الأعلى للثقافة إلى مؤتمر لتجديد الخطاب الدينى، ولا يدرى المتابع لجلسات هذا المؤتمر ما الذى أراده الداعون له؟ هل أرادوا دراسة تجديد الخطاب الثقافى - كما يفهم من عنوان المؤتمر - وهل أرادوا تحريك الوعى العربى، ومعرفة ما يحيط بالأمة من مؤامرات؟ أم أرادوا هدم الموروث الثقافى، أو بالأحرى هدم الإسلام والسير على أنقاضه، حتى يرضوا بذلك خصوم الإسلام أولئك الذين يعملون جاهدين على تقويض أركانه فى كل مجال من مجالات الحياة؟ ولا أريد - الآن - الدخول فى التفاصيل، وإلا فلماذا تغير عنوان المؤتمر من مؤتمر للثقافة، إلى مؤتمر لتغيير الخطاب الدينى؟.

هب أن القائمين على المؤتمر رأوا أن يبحثوا قضية الخطاب الدينى، وأن ذلك الخطاب له أثر فاعل فى دفع الأمة إلى مستقبل أرحب - وهذا شأن الخطاب الدينى دائما - ألم يحث الإسلام الأمة فى كتابه الكريم إلى التفكير؟ ويدفعها إلى معرفة كل ما يحيط بها؟ ألم يقل القرآن الكريم:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[1].

هب أن هؤلاء رأوا أن تجديد الخطاب الدينى جدير بالبحث، ألم يكن من الأجدى أن يدعى إلى ذلك رموز الفكر الإسلامى؟ هل عقمت مصر أن يكون لديها رجال يستطيعون تقديم الإسلام تقديما عصريا، فلجأنا إلى هذه الشرذمة ممن يدعون الثقافة، وهم بعيدون عنها بعد ما بين المشرقين؟ أم أن هؤلاء أرادوا أن سادتهم يسعدون بآرائهم، وأفكارهم التى أرادوا بها هدم الإسلام؟ ويعلنون لسادتهم أن أفكارهم لاقت رواجا، فلم يعترض عليها أحد! هل يعقل أن يعرض الإسلام عن طريق جماعة لا يفهمون مضمونه، ولا يستطيعون التعايش معه؟، أو جماعة رفضت كل تعاليم الإسلام شكلا ومضمونا، لأنه لا يتفق وسلوكياتهم المنفلتة؟ إننى أستعير فى ذلك كلام الأستاذ فاروق جويدة «لا يعقل أن أترك ميكانيكى سيارات يعبث فى قلب مريض ويجرى له تغيير صمامات، ولا يعقل أن أترك ناقدا لا يفهم شيئا فى اللغة نحوا ولا صرفا، ولا حتى نطقا يتعامل مع نص قرآنى، كما يتعامل مع قصيدة شعر ركيكة، ويقول إنه تحليل للنص» (الأهرام ٢٥ يوليه ٢٠٠٣م).

وهناك أمران جديران بالوقوف أمامهما فى تلك العجالة السريعة لأننى سأقف مع كل نص من القضايا التى أثارها الباحثون حول تجديد الخطاب الدينى:

(1) فاطر (٢٧ : ٢٨).

العلم والدين والتصور التلفيقى

عاجل
مؤتمر المثقفين
د/ عماد

د. فيصل دراج

الأمر الأول: ماذا يعنى أن تدخل اللجنة بحوثا لم ترد فى موعدها كذلك الذى وقع فى يدى صدفة يحمل عنوان «العلم والدين والتصور التلفيقى» فقد كتب عليه بخط اليد: «عاجل.. مؤتمر المثقفين توقيع.. د. عماد.

إن هذا البحث يصب جام غضبه على الثقافة الإسلامية، أو قل على الإسلام، فقد عكف كاتبه على تلخيص كتاب لأحد الباكستانيين يتهم فيه المسلمين بالتخلف والجمود، وعدم مسايرة العلم الحديث، ويتجه باللائمة على الرئيس ضياء الحق الذى يعلم الجميع أنه أول رئيس وضع باكستان على قائمة الدول التى يخشى بأسها الجميع وهو يدعى أن المسلمين ليس لهم يد طولى فى مسيرة الحياة العلمية، ويدعى أن المسلمين اليوم يفهمون العلم الحديث على أنه الأجهزة الحديثة التى ترد إليهم من الغرب.

إن هذا البحث هرع به إلى المؤتمر، لأنه يحط من قدر العرب والمسلمين، وذلك أمر يتفق والدعوة إليه، فالداعون إليه يسعدون بمثل تلك البحوث التى تجرد العرب والمسلمين من كل تاريخهم الطويل والحافل بالعلوم والمعارف، والذى يقرأ البحث يفهم لماذا كتبت عليه هذه العبارة «عاجل مؤتمر المثقفين».

الأمر الثانى: كيف مر على اللجنة المنظمة ذلك البحث الذى كتب صاحبه صراحة أننا إذا أردنا التقدم، وأردنا خطابا دينيا عصريا علينا أن نطرح ثلاثة أمور:

١ - ما كتبه المفسرون من لدن عبدالله بن عباس، وحتى سيد قطب.

٢ - ما كتبه المحدثون، ونطرح بذلك كل كتب الحديث الصحيح منها وغير الصحيح.

٣ - أن نطرح كل ما كتبه الفقهاء فى المذاهب الأربعة وغيرها، وألا نعترف إلا بالقرآن الكريم، والأحاديث التى تتفق مع القرآن الكريم، وذلك ذرا للرماد فى العيون حتى لا يسفر كلية عن نواياه فى هدم كل ما هو تراثى، أو هدم الإسلام كلية، والبحث عن هوية جديدة تتفق وآراء السادة المجددين، أو تتفق وما أملاه عليهم القائمون الذين يريدون القضاء على الإسلام والمسلمين.

أليس عجيبا أن يدخل هذا البحث ضمن مجموعة البحوث التى قبلت فى هذا المؤتمر؟ لكن يبدو أن السادة يريدون ذلك، وليس لأحد أن يعترض عليهم، ولكن الله غالب على أمره ولو كره الكافرون.

«يتبع»

إعادة قراءة النص تزوير.. لا تنوير

للدكتور/ عبد الحليم عويس

إن إعادة قراءة النص التى تعنى إنتاج النص إنتاجاً يوافق فكرية القارئ واتجاهاته، بصرف النظر عن دلالات النص الحقيقية؛ وذلك عن طريق تأويل النص تأويلاً قد ينقله من اليمين إلى اليسار، ومن الإيمان إلى الكفر بحيث يصبح النص بدلالته المعجمية، وبتعبيره عن قائله وعصره.. أمراً ثانويا لاقيمة له.. بل أمراً مرفوضا...!!

ـ هذه الإعادة للقراءة وهذا الإنتاج الجديد للنص.. عملان مرفوضان بكل المقاييس العقلية والأخلاقية.. بل هما ـ كما قال كثير من المفكرين بحق ـ تزوير من أعجب ماعرفت الحضارات من تزوير ومصادرة لكل العقول والعصور فى التعبير عن رؤيتها وطبيعتها، وقهرها كى تكون معبرة عن رؤية غير رؤيتها، وطبيعة غير طبيعتها دون اعتبار للمنطق والعقل والحق!!

● ففى كتابه عن «جمال الدين الأفغانى» ـ بمناسبة مرور مائة سنة على وفاته ـ كتب الدكتور حسن حنفى المفكر اللائكى المصرى يقول: إن دراسته تعتمد على منهج إعادة القراءة، وإعادة إنتاج النص: ونقله من ظروف القرن الماضى إلى ظروف هذا القرن، تمثلا للأفغانى وروح عمله..[1].

ـ والجملة الأخيرة من هذا النص تنقض العبارات الأولى.. فتمثل الأفغانى وروح عمله يقتضى ـ بل يوجب ـ قراءته كما أراد الأفغانى نفسه، ويوجب ـ أيضاً ربط النص بسياقه التاريخى والمعرفى وعدم فصله عن ظروف إبداعه!!

وفى كتابه «نقد النص» يتحدث (على حرب) حديثاً يكاد يكون مطابقاً لحديث (حسن حنفى) عن القراءة الجديدة للنص.. فيقول:

(١) حسن حنفى: جمال الدين الأفغانى «المئوية الأولى ١٨٩٧ - ١٩٩٧» ـ الهيئة العامة للكتاب مصر.

ـ «أن يكون النص منطقة للتفكير أو حقلاً للبحث معناه أنه يحتاج إلى قراءة تحوله من مجرد إمكان إلى فعل معرفى منتج، ولهذا فشرط القراءة وعلة وجودها أن تختلف عن النص الذى تقرؤه وأن تكتشف فيه مالا يكشفه بذاته، أو مالم ينكشف فيه من قبل. وأما القراءة التى تقول مايريد المؤلف قوله، فلا مبرر لها أصلا، لأن الأصل هو أولى منها ومايغنى عنها، إلا إذا كانت القراءة تدعى أساسا أنها تقول مالم يحسن المؤلف قوله.. وفى هذه الحالة تغنى القراءة عن النص، وتصبح أولى منه..!!

وهكذا ثمة قراءة تلغى النص، تقابلها قراءة تلغى نفسها هى أشبه باللا قراءة وأعنى بها القراءة الميتة التى هى نوع من اللغو أو الهذر والثرثرة، أما القراءة الحية فهى تقرأ فى النص المختلف عن ذاته مايختلف فى الوقت نفسه عنه[2].

ـ ونكتفى بهذين النصين للاستدلال بهما على أننا أمام تأليف جديد وإسقاطات دلالية جديدة، تحت مايسمى «القراءة الجديدة» أو تحويل النص إلى فعل معرفى منتج جديد، بحيث تختلف القراءة عن النص الذى تقرؤه، بل ـ بكل وضوح ـ إلغاء دلالات النص؛ بحيث يكون النص ليس نصا، ويقرأ الكاتب مايريد أن يسقطه من فكر، فلو كان رفاعة الطهطاوى وجمال الدين الأفغانى ومحمد عبده من


رفاعة الطهطاوى

طلائع الإيمان، ومن دعاة التقدم والتنوير على اساس ثوابت الأمة، فيمكن تحويلهم إلى دعاة إلحاد، وقادة هدم للأديان كلها!!!

● ونحن نتساءل: لماذا القراءة أصلاً؟

ولماذا نقرأ الآخرين إذا كنا سنفرض عليهم فكرنا وعصرنا، ونلغى أفكارهم وعصورهم؟!! وإذا لم يكن هذا تزويرا وإلغاء، فماذا يكون التزوير والإلغاء إذن؟!!

ولماذا نصر على توظيف الآخرين فى الدعاية لأفكارنا والتستر من خلفهم؟ ولماذا لا ندعو لأفكارنا بوضوح دون أن نختفى ـ ظلما ـ وراء الآخرين للترويج لأفكار نعجز عن الإفصاح عنها؟!!

● ويزداد الأمر حدة وتضليلا إذا طبقنا هذا المنهج على النصوص المقدسة التى من وظائفها أن ترسم منهج الحياة للناس، وتحدد علاقتهم بالله من خلال

(٢) على حرب: نقد النص (المقدمة) نشر بيروت.

العقيدة، وعلاقتهم بالناس الآخرين من خلال الشريعة.. فهنا يمكن إلغاء الوحى، ويمكن تطويع كل قراءة للنصوص للأيديولوجيات المسبقة، وللحكام، والأهواء، والتقلبات الفكرية والسياسية، حتى تبدو الأوضاع المتردية فى كل عصر، وتبحث عن المخارج لكل أنواع الابتذال والانحطاط وبالتالى تجرى النصوص وراء تقلبات العصور بعد أن تفقد اتصالها بالثوابت الإنسانية التى تنظم علاقة الإنسان بالكون وخالق الكون والحياة والأحياء.

- ولعلنا لانبالغ إذا قلنا: إن هذا هو المقصود الأسمى من وراء مايسمى بإعادة إنتاج النص أو بقراءته قراءة جديدة، أو بتحقيق عصريته أو تحديثه، أو تأويله.. إلى غير ذلك!!

● وقد رأينا الصلة الوثيقة بين أصحاب هذا المنهج وبين الماركسية والعلمنة والاستغراب والصهيونية، ووجدنا أنهم يقفزون من وراء تخصصاتهم.. نقدا كانت أو أدبا أو فلسفة أو فكرا، إلى الطعن فى الأديان. وإلى تأليه العقل على حساب النقل، بل إلى تأليه العقل وإلغاء النقل، بحيث يكون العقل وحده هو المعبود الذى لاشريك له من وحى أو نبوة.. وبالتالى ينتهى دور الأديان والثوابت والقيم المطلقة، وتعبد البشرية العقل وحده، حتى لتبيح تحت مظلته المطاطة زواج الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة!!!

● وفى موقف من المواقف يعود الأستاذ (محمد أركون) - الكاتب الجزائرى الفرنسى اللائكى، إلى شئ من الحق بعد بلوغه من العمر أرذله، وبعد أن سقطت معظم مقولاته، الداعية إلى لاهوت العقل وحده، ولم تترك مقولاته وأطروحاته إلا الجراثيم السامة فى تراث بعض الزاهدين فى الحق، الراغبين فى عبادة الدنيوية وحدها لاشريك لها.

يعود (أركون) فى حديث دار بينه وبين (أدونيس)، إلى شئ من الحق، فيصرح أن مشروعه الفكرى يقوم على تحرير النص الأول، أى الوحى القرآنى من النص الثانى، أى من تأويله وشروحاته؛ لأن هذا الأخير حجب النص الأول وأسره، مشكلا بذلك حجابا كثيفا حال بين المسلم وبين الوصول الى الظاهرة الأولى التى هى «الظاهرة المعجزة» على حد تعبير (أركون) (مواقف عدد ٥٤).

وعندما يصرح الأستاذ أركون بهذا الإيمان «الظاهرة المعجزة» تقوم قيامة تلميذه (الملكى أكثر من الملك) (على حرب) فيتبرى للقول.

- ليس المهم مايصرح به أركون(!!!)

وإنما المهم منطق بحثه وبنية تفكيره، وليس المهم مايقوله عن نفسه ويعترف به (!!!) بل المهم معنى أقواله، والأهم مايحجبه ويسكت عنه (يبدو أن على حرب وأمثاله يعلمون مافى الصدور!!!)

- ولهذا فإنى أعتبر - والكلام لعلى حرب - ان اعتراف أركون فى حديثه لأدونيس عن صلته الحميمة (بظاهرة الوحى) موقف إيمانى عقائدى أو عشقى، لا موقف ناقد محلل (...)!!

- ولكن للمسألة وجهها الآخر وهو الأهم - والكلام لعلى حرب - فأركون يقوم بتفكيك بنية النص المفهومية والمصطلحية من أجل الكشف عن قواعد انبنائه وقواعد اشتغاله (أى القرآن) بوصفه نصا له بنيته الأسطورية (!!) وله فعاليته الرمزية، وطاقته البيانية الجمالية (...) بل يقوم بعمل الحفر والتفكيك فيكشف عن المحجوب، ويتكلم عما هو مسكوت عنه ويقرأ القرآن من خلال تاريخه..

- وتاريخيته - كما هو معروف عن هذه المدرسة - تعنى بشريته، وأنه - أى القرآن - إنتاج ثقافى واجتماعى وإنسانى!!

- وبالطبع فنحن لانستطيع أن نتتبع كل هذه النصوص اللامعقولة (!!) والتى تمتهن المنطق والعقل واللغة، وتلعب بالكلمات والعقول، وتحرم البشرية من بناء الحضارات وفق ضوابط عقلية ولغوية محددة المعالم، وتجعل الفكر أو العقل الفردى مجرد لاعب بعقول الآخرين، مستخف بها، يلغيها ويفرض عليها رؤيتها العبثية وألاعيبه الجدلية(!!)



د. محمد عمارة

- وسلام على التراث الإنسانى كله وعلى التراث الإسلامى بخاصة (!!)

***

- وفى تعليقه على واحد من أكبر المشاريع فى هذا الطريق الوعر المدمر للتراث الفكرى الحضارى وهو مايسمى (بمقدمة المشروع الفكرى) للدكتور (حسن حنفى)، يقول الدكتور محمد عمارة:

«وإذا نحن شئنا إيجازاً للمشروع الفكرى للدكتور حسن حنفى من خلال كتابه هذا (التراث والتجديد) الجامع «للمقدمات النظرية» لمشروعه كله، فإننا نقول:

إنه محاولة أنسنة الدين (أى جعله إنتاجا عقليا إنسانيا كأى إبداع بشرى) وتفريغه من محتواه، وذلك بإلغاء «ثوابته» و«مطلقاته» «ومقدساته» من الله

إلى «النبوة» .. إلى الرسالة .. إلى الوحي .. إلى الغيب .. إلغاء كل ذلك .. بإعطائها مضامين ومفاهيم إنسانية أرضية .. أى إلغاء الغيب كمصدر للمعرفة، وقصرها على عالم الشهادة، وقصر سبل المعرفة على العقل والتجريب وحدهما .. أى إلغاء كل ما يجاوز الحس والمشاهدة .. وتأويل كل ماله علاقة بالدين والغيب والألوهية والنبوة والرسالة والوحي على النحو الذى يؤنسنه، ويجعله إفرازا بشرياً ..

- فنحن إذن - بإزاء استعارة لفلسفة «التنوير - الغربي - العلماني» يريد الدكتور حسن حنفي أن يتعامل بها مع الإسلام، كما تعامل التنويريون الغربيون مع النصرانية الأوروبية إبان النهضة الأوربية الحديثة[3] !!

- ومن ثم يفضح الدكتور عمارة المشروع التضليلي التنويري لحسن حنفي فيقول:

«يشبه الدكتور حسن حنفي التراث بالمخزون النفسي» وينتقد مذهب الذين يكتفون به .. ومذهب الذين يكتفون بالجديد - الاكتفاء الذاتي للتراث .. والاكتفاء الذاتي للجديد[4] (!!)

ويقدم مذهبه هو في التعامل مع هذا «المخزون النفسي» - التراث - مذهب التراث والتجديد، فإذا به تصفيه لهذا المخزون وتبخير له، وتخلص منه، لا «برفضه» كما يصنع أنصار الاكتفاء الذاتي بالجديد» - وإنما بإعادة تفسيره التفسير الذى يجعله مساويا تماما لـ «جديد» أنصار «الاكتفاء الذاتي بالجديد»[5] (!!!)

- فهو يلغيه ويصفيه، لكن باسمه وبلغته وتحت مظلته، وهذا منهج أذكى

- ولا نقول «أخبث» !! في التعامل مع هذا المخزون !! لأنه سبيل «غير مباشر» في التصفية والإلغاء، أما الهدف والغاية فلا مساومة فيها .. فمهمة (التراث والتجديد) هي التحرر من السلطة بكل أنواعها: سلطة الماضي، وسلطة الموروث، فلا سلطان إلا للعقل، ولا سلطة إلا لضرورة الواقع الذى نعيش فيه، وتحرير وجداننا المعاصر من الخوف والرهبة والطاعة للسلطة، سواء كانت الموروث أو سلطة المنقول)[6].

---

(٣) الإسلام من التنوير والتزوير ١٨٨ ومابعدها، دار الشروق ١٩٩٥.

(٤) محمد عمارة - الإسلام بين التنوير والتزوير ص١٨٩ (راجع التراث والتجديد ص٢٨).

(٥) التراث والتجديد ٥٥ نقلا عن محمد عمارة: الإسلام بين التنوير والتزوير ص١٩٠.

(٦) د. محمد عمارة: الإسلام بين التنوير والتزوير ص١٩٠.

الصِّدقُ فِى الأقوالِ والأفعالِ

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

نحن في أمس الحاجة إلى أن تكون أقوالنا وأفعالنا منضبطة صادقة مخلصة، ممثلة للشخصية الإسلامية الحقيقية. ولن تكون الأقوال والأفعال هكذا إلا بمنهاج رباني يضبط حركتها قولا وفعلا وسلوكا ليكون الفرد والمجتمع في صدق مع الله ومع النفس ومع المجتمع، مخلصا في عمله لا أن يكون مزيفا للحقائق ولا كاذبا على ربه ولا متسلقا في المجتمع بأى أسلوب وبأية صورة وإنما يكون في أقواله وأفعاله ممثلا للشخصية الإسلامية. فلو وجدت في مجتمع غير مسلم مثلا وتصرفت التصرف السيىء من كذب في القول وزور في الشهادة ونفاق وإفك، لن يقولوا هذا «على» أو هذا «محمد» أو هذا «إبراهيم» الذى يفترى ويختلق، بل سيقولون هذا هو المسلم. ففي المجتمعات الغربية يحملون الإسلام هذا الخطأ الذى يرتكبه أحد من ينتمي إلى الإسلام. من هنا لم يجعل الله - تعالى - ما يضبط حركة أقوالنا وأفعالنا قانونا وضعيا ولا متابعة بشرية من البشر، وإلا فإنها ستكون في مهب الأهواء المشبوهة، لكنه جعل ضبط حركة أقوالنا وأفعالنا لمنهاج رباني:

﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[1]

هو قول الحق تبارك وتعالى في القرآن الكريم ومن قول الرسول المصطفى ﷺ. أى بالكتاب والسنة. ومن هنا قال رسول الله ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا، كتاب الله وسنتي».

ولكي نضبط أقوالنا وأفعالنا التى نمارس بها حياتنا اليومية ولن نخلص إلى النتيجة المرجوة ولا إلى الهدف المنشود إلا إذا سرنا على المنهج الإلهي الذى يضبط حركة الأقوال والأفعال ويصححها. أمامنا هذا المنهاج فكيف نفقده وهو بين أيدينا؟

---

(١) فصلت (٤٢).

وكيف نغفل عنه وهو يتلى علينا آناء الليل وأطراف النهار؟ وكيف نتركه إلى أقوال مزيفة وأفعال مزورة وفضائيات تنتهك الحرمات؟ إن ضبط حركات أقوالنا وأفعالنا والصدق فيما نمارسه بأقوالنا وأفعالنا وفيما نربى به أجيالا ستأتى إما أن تترحم على هذه الأمة وإما أن تلعنها لأنها ضيعتها، تترحم عليها حين لاتترك ولدك الشاب الجامعى أو الطفل أو حتى الذى تخرج وهو موظف ألا تتركه دون أن تعطيه حقه من كتاب الله. إن حقه ليس كما تزعم وتقول (أنا أتعب، أريد أن أجعل لأبنائى من بعدى ما يعيشون به أخصص سكنا أو مالا) لا يا أخى. إنك لو تركتهم من دون مال فلهم رب رزاق:

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾[2]

ولكنك حين تتركهم دون أن تراقب أقوالهم وأفعالهم، ودون أن تعطيهم حقهم من كتاب الله سيفقدون ما تتركه لهم من الملايين، سيبددونها، وسيضيعون وتضيع أنت معهم، لكنك حين تورثهم كتاب الله فاعلم أنه سيكون حصنا لهم وصمام أمان من التيارات المتزاحمة، المهلكة للأجيال.

إن القرآن الكريم الذى قال فيه رب العزة:

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ ﴾[3]

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[4]

ويأمر سيدنا المصطفى ﷺ ألا نحرم شبابنا منه حتى وإن كان تعليمهم تعليما دينيا أو فى الأزهر حتى وإن كانوا فى أى تعليم عسكريا كان أو اقتصاديا أو طبيا لاتحرمه من تعليم القرآن لأن حق ابنك عليك ألا تحرمه من كتاب الله وقد قال سيدنا المصطفى ﷺ: «بلغوا عنى ولو آية».

واعلم أنك حين تورثه كتاب الله وحين تُحفظه ولو ما تيسر منه وحين تُنشئه على الصدق فى القول والإخلاص فى العمل وحين تورثه كتاب ربه والدين الحقيقى سلوكا وعبادة فسوف يكون خيرا له وصمام أمان من الفتنة للولد ورحمة لك بعد أن تلقى الله لأنك تسببت فى الخير لجيل قادم فيرحمك الله بسبب ذلك. مر سيدنا رسول الله ﷺ على قبر رجل فألهم أنه يعذب ثم مر عليه بعد حين فألهم أن الله كشف عنه العذاب. فسأل فقال له إنه مات يوم مات وترك امرأته حاملا فولدت ولدا، دفعت به إلى الكُتَّاب فتعلم القراءة والكتابة فأول ما كتب فى اللوح كتب «بسم الله الرحمن الرحيم» فقال رب العزة: استحييت أن أعذب أباه تحت الأرض وله ولد فوق الأرض يصفنى بأننى أنا الرحمن الرحيم. والقرآن يا أمة الإسلام

(٢) هود (٦).

(٣) ص (٢٩).

(٤) الإسراء (٩).

لاتضيعوه فتضيعوا، ولا تُهدروا أقواله وأفعاله فتُهدروا. إن أعداء أمتنا من المستشرقين والمستعمرين أدركوا سرَّ عظمة هذه الأمة، وعرفوا السرَّ الكامل فى قوتها ونصرها فى الغزوات أيام رسول الله ﷺ وعلم أن سر عظمتها وقوتها هو هذا القرآن الذى يوحد صفها والذى يصُوغ شخصيتها الإيمانية القوية. فراح أحدهم فى أحد المؤتمرات يمسك بالمصحف فى يده ويقول لا قرار لنا ما دام هذا المصحف فى أيدى المسلمين. وراحوا يُسلطون وسائل الإعلام الظالة الخانقة وراحوا يُسلطون فضائياتهم وأفعالها ولكننا لا يغيب عنا أننا حين نصطلح مع الله وحين نتمسك بكتاب الله سوف نصوغ شخصيات أبنائنا ومجتمعاتنا وشبابنا وسوف يحقق الله لنا النصر بإذن الله.

سأضرب لكم مثلا بسورة واحدة من القرآن الكريم سماها الله الشفاء لأن بها يشفى المريض وسماها الله الواقية لأن الله بها يقى الإنسان كل سوء وسماها الكافية لأنها تكفى صاحبها وسماها أم القرآن لأنها اشتملت على كل ما فى القرآن على سبيل الإجمال هذه هى سورة الفاتحة. انظروا إلى عظمة هذه السورة يروى البخارى بالسند الصحيح المتصل عن أبى سعيد بن المعلى ويروى أحمد بالسند الصحيح المتصل عن أبى بن كعب عندما ناداه رسول الله ﷺ وكان يصلى فجاءه. فقال له الرسول ﷺ لم لم تُجب حين ناديتك؟ قال: يا رسول الله كنت أصلى. قال له: ألم تسمع قول الحق:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[5].

ثم قال له لأعلمنك أعظم سورة فى القرآن الكريم. فلما هم الرسول ﷺ أن يخرج قال له: قلت، لأعلمنك أعظم سورة فى القرآن الكريم يا رسول الله. فقال له: والذى نفسى بيده ما فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى الفرقان أعظم من فاتحة الكتاب، إنها السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته، وكان سيدنا رسول الله ﷺ جالسا ومعه سيدنا جبريل - عليه السلام - فسمع نقيضا فى السماء فقال جبريل: هذا باب من السماء قد فتح لم يفتح من قبل. فنزل ملك فقال: وهذا ملك نزل ولم ينزل من قبل، وقال: يا رسول الله أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك. خواتيم سورة البقرة وفاتحة الكتاب لم تقرأ بحرف منها إلا أعطاك الله إياه. فيبشرنا سيدنا رسول الله ﷺ بما لهذه السورة العظيمة من فضل. لماذا؟ لأنها هى التى احتوت على القرآن الكريم على سبيل الإجمال، ومن أجل ذلك اختارها الله -

(٥) الأنفال (٢٤).

تعالى - للقراءة فى الصلاة فهى السبع المثانى لأنها تثنى وتكرر وهى الشفاء لأن بها يشفى المريض، وفى الحديث الذى أخرجه البخارى من حديث اللديغ وأمر الضيوف الذين نزلوا القرية وأهلها لم يقروهم فلدغ سيد الحى فقالوا: هل من راق؟ فأخذ الرجل يقرأ بالفاتحة حتى شفى كأنما نشط من عقال فلما سألوا رسول الله ﷺ عندما صالحوهم على جعل من الغنم. قال: وما يدريك أنها رقية؟ خذوا واضربوا لى معكم بسهم. يشير إلى أنها رقية فكان بعد ذلك سيدنا عمر يقرأها على المريض فيشفى؟ ثم بعد عمر يقرؤون فلا يشفى. قالوا: كيف وقد كان يقرأها عمر فيشفى المريض؟ قال: تلك هى الفاتحة. ولكن أين عمر؟

﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾(٦) سورة واحدة من كتاب الله سماها الله - تعالى - السبع المثانى والراقية والشفاء وسماها رب العزة سبحانه «الصلاة» حين قال فى حديثه القدسى: «قسمت الصلاة بينى وبين عبدى قسمى ولعبدى ما سأل فإذا قال: الحمد لله رب العالمين. قال: حمدنى عبدى. فإذا قال: الرحمن الرحيم. قال: أثنى علىّ عبدى. فإذا قال: مالك يوم الدين، قال: مجدنى عبدى. فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين. قال: خصنى عبدى بالعبادة. فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. قال: هذا لعبدى ولعبدى ما سأل» سورة واحدة من كتاب الله - تعالى - يرشدنا ربنا - سبحانه - بأن فيها الهداية وأن فيها الرشد وأنها احتوت مقاصد القرآن الكريم. إن ضبط أقوالنا وأفعالنا وصياغة هذه الشخصية لهذه الأمة تحتاج منا إلى رؤية جديدة، إلى وقفة جديدة مع النفس. إلى تطبيق منهاج ربانى بين أيدينا يتلى صباح مساء ونحن فى غفلة عنه. وهو دستور سماوى أنزله رب العزة - سبحانه وتعالى - لنعلمه أنفسنا ولنعلمه أبناءنا وليكون صمام أمان لنا من التيارات الزاحفة من الظلم والعدوان من الإثم والبغى والفسوق والعصيان. فإن كتاب ربنا - سبحانه وتعالى - حين يتلى تتنزل ملائكة الله. حين يتلى تغشانا رحمة الله حين يتلى تتنزل علينا رحمات ربنا - سبحانه وتعالى - وقد كانت الملائكة تتنزل لخشوع الخاشعين وصدق المخبتين الأوابين فمن حديث أسيد بن حضير وهو يتلو القرآن فتجول فرسه ويسكت فتسكت حتى خرج ونظر فى السماء فوجد أمثال الظلة فيها أمثال المصابيح فسأل سيدنا رسول الله ﷺ وقال: «تلوت البارحة القرآن فجالت فرسى ثم سكت فسكنت وكلما تلوت جالت وكلما سكت سكنت حتى خرجت فنظرت إلى

(٦) المائدة (٢٧).

السماء فرأيت أمثال الظلة فيها أمثال المصابيح. فما هذا يا رسول الله؟ قال: تلك ملائكة الله نزلت تستمع لتلاوة القرآن ولو ظللت تقرأ لظلت الملائكة حتى رآها الناس فى الصباح».

نريد أن نصطلح مع الله، نريد أن تكون أقوالنا وأفعالنا تمثل الشخصية الإسلامية التى ربى القرآن الكريم عليها أتباع الرسول ﷺ فكانوا قادة الدنيا وكانوا سادة العالم وشرقوا وغربوا، وكانت الأمة التى بها القيادة والتى شاء الله - تعالى - لها أن تخرج إلى الوجود لا لتكون فى ذيل القافلة ولا لتتبع شرقا أو غربا ولكن لتروِّد العالم وتقود الدنيا، هذه الأمة هى التى أرادها الله والمقصودة بقوله:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾(٧).

أخرجها الله لتقود هذا العالم لا لتتبع شرقا أو غربا لا لتكون فى ذيل القافلة، بل لتكون فى مقدمتها قائدة ورائدة، لا لتنتهك حرماتها، لا لتداس مقدساتها، لا ليشقى فيها أقلياتها، ولكنها أمة أخرجت قائدة ورائدة ومعلمة وآمرة وناهية وذلك حين نطبق قرآن الله ونتمسك بهدى سيدنا المصطفى ﷺ.

يا أمتنا الإسلامية كفانا ما جرى لهذه الأمة ولمجتمعاتنا البشرية من أقوال مزيفة معسولة ومن أفاكين يحاولون أن يخربوا الأمة بأيديهم، نريد أن ننظف أقوالنا من الكذب والزور والبهتان نريد أن ننظف قلوبنا من الحقد والحسد، نريد أن ننظف جوارحنا وأعمالنا من الغش والخيانة حتى لايهدر مال وما كانت لتحدث هذه الرذائل لو أن هذه الأيدى كانت متوضئة نظيفة تعلم أن لها إلهاً رقيبا يعلم السر وأخفى. عُودوا إلى ربكم واصطلحوا مع خالقكم واعلموا أنكم مهما فعلتم من الذنوب فحين تمدون أكف الضراعة إلى الله يقبلكم. فاصطلح مع ربك قبل أن تلقاه وقبل أن ترى ما قدمته يداك أن خيرا فخير وإن شرا فشر، ولن تكون أكثر من هذا الذى قضى حياته أشواطا ثلاثة. شوطا عبد الله فيه، وآخر ترك الله فيه وثالثا عصى الله فيه، فلما نظر فى المرآة ووجد الشيب قد علاه وقف ليذرف أدمعا عزيزة، ويقول: «يا رب عبدتك عشرين سنة وتركتك عشرين سنة وعصيتك عشرين سنة أفلن عدت إليك تقبلنى يا رب العالمين؟ فسمع نداء سماويا وكانوا فى الأمم السالفة يسمعون، يقول له: أحببتنا فأحببناك، وتركتنا فتركناك وعصيتنا فأمهلناك وإن عدت إلينا قبلناك». فمن عاد إلى الله قبله الله. فلنعد إلى الله ولنصطلح مع الله ولا نستمرىء ما نحن عليه من ذنوب وعصيان.

(٧) آل عمران (١١٠).

﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
أحمد الطيب
مفتى جمهورية مصر العربية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

● **اطلعنا على الطلب المقدم من / إسلام فرحات - المقيد برقم ١١٥٢ لسنة ٢٠٠٣ المتضمن: هل يجوز قتل المريض بداء ميؤوس من شفائه (مثل فاقد المناعة الإيدز) أو بمرض خطير لا شفاء منه.**

●● **الجواب:**

من المقرر شرعاً أنه يحرم الإقدام على إزهاق روح إنسان معصوم الدم وبه حياة مستقرة أو غير مستقرة، حتى ولو كانت بعض الظواهر الطبية أو غيرها تشير إلى عدم استمرارها أو كان ميئوسا من بقائها لأن أمر الروح والحياة بيدا الله تعالى عطاء وأخذا ولا يجوز لطبيب ولا لغيره مصادرتها بحال من الأحوال حتى ولو كان بقصد الرحمة أو إنهاء الآلام.

والله سبحانه وتعالى أعلم

● **اطلعنا على الطلب المقدم من / ماجد محمد أحمد حسان المقيد برقم ٨٧٤ لسنة ٢٠٠٣ والمتضمن قول السائل: حلفت على زوجتى أيمان الطلاق الآتية:**

فى المرة الأولى: طلاق رسمى على يد مأذون ثم راجعتها إلى عصمتى خلال فترة العدة.

فى المرة الثانية قلت لها: (أنت طالق) وكنت فى وعى تام لما أقول وراجعتها فى فترة العدة.

فى المرة الثالثة قلت لوالدتها (بنتك طالق) وأنا فى غضب شديد أفقدنى الوعى لما أقول بعد خلاف بينى وبين والدة زوجتى.

ويطلب السائل بيان الحكم الشرعى فى ذلك.

●● **الجواب:**

يقع بطلاق السائل زوجته على يد المأذون الشرعى فى المرة الأولى طلقة أولى رجعية. وبمراجعته لها فى أثناء العدة تعود العلاقة الزوجية. ويقع بقوله فى المرة الثانية: (أنت طالق) وهو واع ومدرك لما يقول الطلقة الثانية الرجعية وبمراجعته لزوجته فى فترة العدة تعود الزوجية مرة أخرى. أما قوله لوالدة زوجته فى المرة الثالثة: (بنتك طالق) وهو فى غضب شديد أفقده الوعى بعد خلاف بينه وبين والدة زوجته - كما يقرر بسؤاله - فلا يقع به طلاق عملا بقوله صلى الله عليه وسلم: «لا طلاق فى إغلاق» وعلى ذلك فتكون الزوجية مازالت قائمة ولا يكون واقعا فى حق الزوج سوى طلقتين فقط.

وهذا إذا كان الحال كما ورد بالسؤال.

والله سبحانه وتعالى أعلم

● **اطلعنا على الطلب المقدم من / فتحى حسن مندور - المقيد برقم ٨٦٩ لسنة ٢٠٠٣م المتضمن: - وفاة / محمد السيد عطية عبدالله عام ٢٠٠٢ دون أن يكون له أب ولا أم ولا زوجة ولا أولاد على قيد الحياة وقت وفاته عن:**

١- أخويه لأبيه ذكر وأنثى.
٢- أختيه شقيقتيه.
٣- أولاد أخيه من أبيه المتوفى قبله.
٤- أولاد أخته لأمه متوفاة قبله.
٥- أخته من الأم.

ويطلب السائل بيان من يرث ومن لا يرث ونصيب كل وارث؟

●● **الجواب:**

بوفاة / محمد السيد عطية عبدالله عام ٢٠٠٢ دون أن يكون له أب ولا أم ولا زوجة ولا أولاد عن المذكورين فقط يكون لأختيه شقيقتيه ثلثا تركته مناصفة بينهما فرضا لتعددهما وعدم وجود الفرع الوارث ولأخته لأمه سدس تركته فرضا لعدم وجود الفرع الوارث ولا الأصل الوارث المذكور ولأخويه لأبيه الباقى بعد الثلثين والسدس للذكر منهما ضعف الأنثى تعصيبا لعدم وجود صاحب فرض آخر ولا عاصب أقرب.

ولا شىء للذكور من أولاد أخيه لأبيه المتوفى قبله لحجبهم بالأخ لأب الأقرب منهم درجة. ولا شىء للإناث من أولاد أخيه لأبيه المتوفى قبله ولا لأولاد أخته لأمه المتوفاة قبله لكونهم جميعا من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات.

هذا إذا كان الحال كما ورد بالسؤال ولم يكن للمتوفى المذكور ورثة آخرون غير من ذكروا ولا فرع يستحق وصية واجبة.

والله سبحانه وتعالى أعلم

حوار من وراء الأسوار

لفضيلة الشيخ
الطاهر الحامدى

قلت فى مقال سابق لقد شقى المسلمون من اختلافهم فى أحاديث صحيحة أكثر من شقائهم من أحاديث موضوعة.

وما ذاك إلا أنهم اتحدوا فى مواجهة الموضوع واختلفوا وتباينت أهواؤهم فى فهم الصحيح.

أعيد هذه الكلمات لأنى أردت أن يكون الحوار تحت لوائها ومحصورا فى إطارها الواعى المستنير، ومن هذا المنطلق أنشر رسالة لمست فى نفسى جوانب كثيرة جذبتنى إليها بشدة، ومن وحيها كان هذا العنوان فقد أرسل إلىّ قارىء كريم هو الشيخ أحمد على حسنين واعظ الجمعية الشرعية وهو من القناطر الخيرية القليوبية يقضى - كما ذكر - عقوبة السجن السياسى فى ليمان طرة.

أستميح القارىء عذراً فى نشر الرسالة كاملة بعد حذف التقديم والمديح حيث إنه لا يهم القارىء فى شىء.

«فى الأعداد الأخيرة كتبت عن الذكر والذاكرين وحاولتم شاكرين تفتيت الجمود الذى يحيط بعقول البعض فى فهم معنى الذكر أو تحديده بشىء معين وعدم السماح بغيره.. وهو عين الصواب حيث أزلتم الغبار عن بعض المفاهيم وقمتم بالتصحيح.. لكنى أخى الفاضل وجدت أن حوارك مع صاحبك قد خلا تماما من الإشارة إلى قضية هامة وخطيرة ألا وهى ما يفعله جهلة المتصوفة ولا أقول جميعهم.. لكن جهلة المتصوفة وهم أغلبية ساحقة انتمت إلى الكثير من الطرق الصوفية فى عصرنا الحالى حتى صار الحال اليوم أبعد ما يكون عن صوفية أو شيوخ وأئمة التصوف فى الماضى.. فأين صوفية الحاضر من علم وورع وهدوء وخشية وتقوى وصلاح: الجنيد، وابن أدهم، وابن المبارك، والمحاسبى، وابن القيم، وابن تيمية.

أخى الحبيب لقد حاد الذاكرون (أو من يسمون أنفسهم ذاكرين) اليوم عن جادة الصواب فى حلقات يسمونها حلقات ذكر داخل المساجد وخارجها ومجالس وحضرات تعلو فيها أصواتهم ويصفق لهم خليفتهم وينشد لهم منشدوهم بعبارات لا أصل لها فى دين الله عز وجل.. ؟؟

فلعل صاحبك كان يقصد هؤلاء ولكن تسرعه لم يسعفه وتهوره وعدم هدوئه فى الحوار لم يمكنه من عرض الموضوع..

أخى وشيخى الفاضل.. أنا أريد منك أن تذهب إلى ساحة مسجد الحسين أو السيدة زينب أو البدوى بعد صلاة الجمعة وفى الأيام الأخرى وفى المناسبات والمواسم.. ثم لتنقل لى ما هو رأيك فيما تسمعه وتراه؟.

كيف بك وأنت المسلم الموحد العالم تستمع إلى منشد فى حلقة ذكر على الملأ يقول:

يا صاح خذنى إلى الحانات والخمر
ودع المساجد خربى للمصلينا.. ؟؟؟
ما قال ربك ويل للأولى سكروا
بل قال ربك ويل للمصلينا؟؟

أظنك فى غنى عن تعليق وتوضيح من مثلى فأنت العالم الجليل، ولك من المعرفة ما يكفى من التأمل.. ولاحظ أن هذا المثل الذى ضربته لك ليس من مجلة أو كتاب، أو شريط.. بل رؤيا عين جهارا نهارا حضرتها بنفسى عدة مرات بل وشاركت فيها فى حقبة من الزمن نسأل الله العفو عما فيها.

الأستاذ الكبير: كيف بك وأنت ترى الحلقة الكبيرة والمجلس الذى يضم المئات وهم يذكرون المولى بصوت عالٍ جدا داخل المسجد (وهو منهى عنه كما علمتم) ثم تكون البلية فى الألفاظ عندما ينادون المولى أو يذكرونه بلفظ (هو... هو... هو...) ومع السرعة الشديدة تتحول الكلمة إلى صوت نوع من المخلوقات وهى تخرج من حناجر القوم.. صوت المخلوق الذى ضرب الله به أسوأ المثل فى سورة الأعراف.. فهل هذا ذكر؟. (يقصد صوت الكلب).

ثم إذا نادوا المولى بلفظ الجلالة وناهيك عن رفع الصوت.. فإنهم يقولون.. الله.. الله.. الله.. وفى أول عشر مرات تكون الكلمة واضحة.. وجميلة.. ومع سخونة الحضرة والسرعة والغياب عن الوعى كما يسمونه.. تتحول الكلمة إلى حرفين أو حرف واحد.. ال.هـ. ثم أهـ.. أهـ، وهكذا.

وهذا ما أنكره شيوخ الطرق الصوفية من عهد السطوحى والتفتازانى والحالى الشيخ الشناوى.

أخى الحبيب أتمنى أن أقرأ لك قريبا عن هذا الموضوع ولك تحياتى وتقديرى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

وقال عن مجلة الأزهر ما نصه: (فهى لسان حال أزهرنا الغالى قبلة العلم وطلابه.. ولابد لطالب العلم وهو يتجه إلى قبلة علمه ببصره وقلبه أن تكون وسيلته الأولى هذه المجلة بما تحتويه من علوم نفيسة فى كافة المجالات.. ثم هى الدرع الباقى للذود عن دين الله - عز وجل - ونتمنى من الله - تعالى - أن يحفظها ويحفظ رجالها من كل سوء ومكر وعدوان ويأتى اليوم الذى نراها وهى تصدر

بعدد يتجاوز المليون أسبوعيا بدلا من شهريا».

وأنا أحمد الله - تعالى - وأشكر الإنسان حبيب العادلي وزير الداخلية الذى فتح أبواب السجن لتدخل منها مجلة الأزهر فتلج إلى قلوب الرجال خلف الأسوار لتصحح مفاهيم خاطئة فيجد نزيل السجن وقتاً كافيا لا ليقرأ فقط ولكن ليسطر رسالة فى هدوء لا يتاح لنا نحن الطلقاء فى كثير من الأحيان.

يكفينى شرفاً وعلاً وجدانى غبطة وسرورا أن واعظا تجاوز الخمسين من عمره يقول عنى: (حاولتم شاكرين تفتيت الجمود الذى يحيط بعقول البعض فى فهم الذكر أو تحديده بمعنى معين وعدم السماح بغيره) فأنا مغتبط بهذه الكلمات، لأنى أعلم أنه خير من يعلم هذا الجمود وعانى منه، ومن عدم السماح بغيره، ولعل فترة السجن سمحت له بخلوة رشيدة يستلهم فيها الحق والصواب من مجلة الأزهر.

ويتوج هذا بتاج الإعزاز والشرف أنى دخلت تحت قوله ﷺ: (لأن يهدى الله بك رجلاً خير من الدنيا وما فيها)[1].

أما عما يريد الشيخ الواعظ أن أتكلم عنه وأنا به خبير فلعله يذكر أنى قد وعدت بالحديث عنه فى أول مقال لى عن الذكر فى عدد ربيع الآخر من مجلة الأزهر نفسها حيث قلت فى نهاية المقال ما نصه:

«كما أن هناك من الذاكرين من ليس على مستوى الذكر وسوف نفرد له حلقات أخرى إن شاء الله».

على أنى أبادر فأنبه إلى أهمية اللغة فى مجال علوم التراث وأهميتها أيضا لعالم الدين وقد أحصيت بعض أخطاء لغوية قمت بتصويبها فى خطابك لا تغيب عن دارس مبتدىء فضلاً عن واعظ كبير لكن أخطرها ما دفعك إلى الخلط بين الذكر باسم «هو» وبين صوت حيوان ذكر فى سورة الأعراف كما قلت.

وما ذاك يا أخى إلا نتيجة قصور واضح فى اللغة وصوت الحيوان الذى تعنيه بفتح الهاء ويسمى فى اللغة نباح.

أما اسمه جل شأنه فهو بضم الهاء. وكم من فتحة أو كسرة تقلب المعنى رأسا على عقب ومجال اللغة واسع فسيح.

قال صاحبى: كأنك بهذا تدافع عن أخطاء تحدث من الذاكرين مع أنى أعلم أنك ضد كل انحراف أو أخطاء تقع من بعض المريدين

قلت: نعم الحمد لله وأذكر أن لى كلمات وملاحظات متناثرة فى بعض مقالات على ما قد يحدث من بعض المريدين ومن بعض الأشياخ، لكن أحب أن أعمل أنا وأنت تحت لواء قوله تعالى:

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[2].

(1) إتحاف السادة المتقين ٦/٥،١٠٦،١٠٥: كتاب الزهد لابن المبارك ص ٤٨٤، رقم ١٣٧٥.
(2) المائدة ٨.

فلا يحملنا البغض على الظلم. ولا يحملنا الحب إلى الميل مع من نحب.

قال صاحبى وهو ينظر إلىَّ فى دهاء تعودته منه:

قرأت فى إحدى المجلات نقداً لحديث سبق المفردون وحديث اذكر الله حتى يقولوا مجنون قلت لصاحبى: «هذه شنشنة نعرفها من أخزم» مثل يضرب لمن تعودنا منه الصياح من غير مضمون يفيد.

ثم أردفت قائلاً: إن دعوات تهوين الأحاديث وتضعيفها والطعن فى الرواة عمل دأب عليه ناس كثيرون وعانى منه صحابة أجلاء وتابعون ورعون وأقرب مثال هجوم أبو ريه على - سيد الرواة أبو هريرة - رضى الله عنه - الذى فند أراجيفه أستاذنا العظيم الدكتور محمد أبو شهبة فى كتاب قيم سماه «دفاع عن السنة» كما ظهر طاعنون آخرون فى مؤتمر الثقافة المزعوم وأخذ الطعن أشكالاً عديدة وتزيا بأردية مختلفة لكن أهدافه خبيثة نعرفها، فهم يزعمون أنهم يبغون تنقية التراث وتصحيح المسار لكنهم - والله يعلم يهيلون التراب على التراث كله ولايريدون قرآنا ولا سنة:

﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾[3].

فيرون التراث كله هو سبب التخلف والنكبة.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[4].

ثم قلت لصاحبى: هذا صنف نعرفه من الطاعنين فى السنة الموهنين من شأن الرواة والأحاديث لكن ثمة طائفة أخرى ويعلم الله نحار فى هويتهم وأهدافهم «ويضيق صدرى ولا ينطق لسانى» يسيرون فى نفس الطريق ويأخذون ذات النهج لكن والحق يقال سمتهم مختلف وهيئتهم محببة. هم من بنى جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا لكن الأساليب تكاد تكون واحدة والعبث مشترك كلنا نعرفه. وتعال إلى طبعة جديدة أنيقة فى الشكل وأحيلك إلى كتاب «فيض القدير بشرح الجامع الصغير» لترى كيف يكون العبث والاستهتار الذى يصل إلى حد التزوير والكتاب إعداد مركز البحوث والدراسات لمكتبة نزار مصطفى الباز كتبت عليه العبارة التالية: «وتشتمل هذه النسخة على آراء علماء من السلف والخلف: الإمام الحافظ البخارى ومسلم والبيهقى والشيخ ناصر الدين الألبانى. (أنظر الصورة).

(3) آل عمران (١١٨).
(4) الصف (٨).

هكذا مسلم والبيهقى ثم الشيخ الألبانى كأنه فى مصاف هؤلاء أو أنه أرفع قليلا.

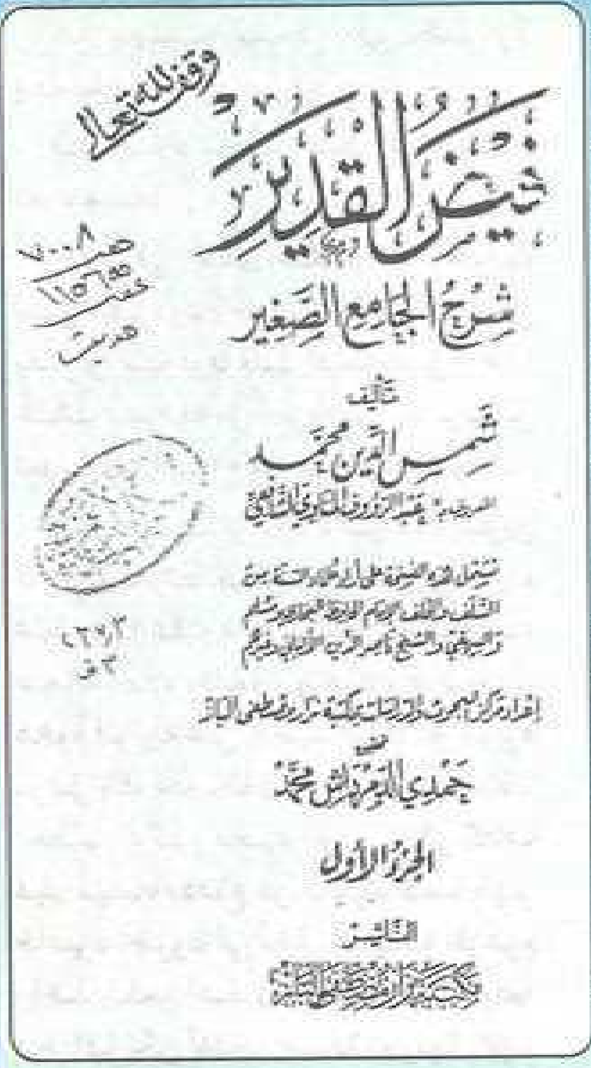
فضيلة الأخ الواعظ لست أخاف عليك ولا على نفسى لكنى أحمل هم أجيال قادمة كادت الأمور أن تختلط فى أذهانهم أو قل إنها اختلطت بالفعل قل لى بربك أليس من الإنصاف والأمانة العلمية أن يوضع كل حسب منزلته وقدره أم أن الألبانى فى منزلة البخارى ومسلم والبيهقى.

يا سبحان الله نفس الرأى قاله جمال البنا وحوارييه فى المؤتمر الثقافى عن البخارى ومسلم: إنهم يهونون من شأن أحاديث البخارى ومسلم وسوف أنقل لك صورة ضوئية من كتاب «فيض القدير» المشار إليه لثلاثة أسباب:

الأول: لترى القارىء حديث: «أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون» وتعليق وشرح المناوى عليه فى كلام صاف خال من الهوى والغرض.

الثانى: لترى كيف عبث الألبانى وتابعوه بالحديث.

الثالث: حتى أنأى بنفسى عن شبهة الغرض فى العرض والتقديم (أنظر الصورة) وسوف ترى الحديث والتعليق فى نهاية الصفحة بين قوسين معقوفتين رقم الحديث ثم بجوارها كلمة ضعيف وتحتها أخرجه أحمد ابن حنبل فى مسنده، وأبويعلى فى مسنده وابن حبان فى صحيحه، والحاكم فى المستدرك، والبيهقى فى شعب الإيمان، وقال الحاكم: هذه صحيفة المصريين صحيحة الإسناد، وأبو الهيثم سليمان بن عتبة من ثقات أهل مصر، ووافقه الذهبى.


وقف لله تعالى
فيض القدير
شرح الجامع الصغير
تأليف
شمس الدين محمد
المدعو بعبد الرؤوف المناوي الشافعي
الجزء الأول
الناشر

فهل بعد هذا أسمع أن يقال: ضعفه الألبانى؟!

وانظر كذلك الصفحة التى بها حديث سبق المفردون. أخرجه مسلم. والترمذى قال: حسن غريب، والحاكم فى المستدرك، وقال الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبى. فهل بعد هذا من رأى فيقال رأى الألبانى فيرمى الحديث بالضعف؟!

هل بعد هذا أسمع أن يقال ضعفه الألبانى؟! فليطرب جمال البنا وليسعد مؤتمر الثقافة وليهنأ كل من يريدون تشويه السنة وهدم التراث!!! إن فى الأمر ريبة لماذا أحاديث الذكر بالذات تتحامل عليها؟! أم أننا نتعامل مع الدين بالهوى ومع السنة بالمزاج وقبل أن يتسرب الملل إلى صاحبى قلت له: سوف أنقلك إلى رحاب كريمة، إلى قصة مذكورة فى كتاب «كنز العمال» تحت رقم ٣٧٨٣٢ تحكى عن أويس القرنى تقول القصة فأما أويس أن أهله ظنوا أنه مجنون فلما ولى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ نادى فى موسم الحج: فقال: قوموا «ثم» قال: إجلسوا إلا من كان من أهل اليمن. فجلسوا فقال: إجلسوا إلا من كان من أهل الكوفة فجلسوا. فقال: اجلسوا إلا من كان من مراد فجلسوا فقال: اجلسوا إلا من كان قرن فجلسوا إلا رجلا وكان عم أويس فقال له عمر: قرنى أنت؟ فقال: نعم فقال: أتعرف أويسا؟ فقال: ـ كأنه يستهين بأمره ـ وما تسأل عن ذاك يا أمير المؤمنين فوالله ما فينا أحمق منه ولا أجن منه ولا أهوج منه.

فبكى عمر وقال: بك لا به. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يدخل الجنة بشفاعته مثل ربيعة ومضر».


١٣٩٧ - أَكْثِرُوا ذِكْرَ اللهِ حَتَّى يَقُولُوا مَجْنُونٌ - (حم ع حب ك هب) عن أبي سعيد - (ح).

إلى دار القرار ، وفيه ندب ذكر الموت بل أكثريته ، لأنه الزاجر عن المعصية والداعي للطاعة (ت ن هـ ك هب عن أبي هريرة طب حل هب عن أنس) بن مالك (حل) عن عمر بن الخطاب .

(أكثروا ذكر الله حتى يقولوا) يعني المنافقين ومن ألحق بهم ، ممن استولت عليهم الغفلات واستغرق في اللذات وترك الآخرة وراء ظهره وانهمك في غفلة في سره وجهره إنه مكثر الذكر (مجنون) وفي رواية لعبد بن حميد حتى يقال إنه مجنون أي ولا تلتفتوا لمقالهم الناشئ عن مرض قلوبهم لعظم فائدة الذكر إذ به يستنير القلب ويتسع الصدر ويمتلئ فرحا وسرورا وشرف الذكر تابع لشرف المذكور وشرف العلم تابع لشرف المعلوم وشرف الشيء بسبب الحاجة إليه ، وليست حاجة الأرواح بشيء أعظم من ذكر بارئها والابتهاج به .

(تنبيه) قال في الأذكار : لا إله إلا الله رأس الذكر ولذلك اختار السادة الأجلة من صفوة هذه الأمة أهل تربية السالكين وتأديب المريدين قول : لا إله إلا الله لأهل الخلوة وأمرهم بالمداومة عليها ، وقالوا : أنفع علاج في دفع الوسوسة الإقبال على ذكر الله وإكثاره ، وأخذ المؤلف من هذا الحديث ونحوه أن ما اعتاده الصوفية من عقد حلق الذكر والجهر به في المساجد ، ورفع الصوت بالتهليل لا كراهة فيه[1] ذكره في فتاويه الحديثية ، قال : وقد وردت أخبار تقتضي ندب الجهر بالذكر وأخبار تقتضي الإسرار به والجمع بينهما أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص كما جمع النووي به بين الأحاديث الواردة بندب الجهر بالقراءة والواردة بندب الإسرار بها (حم ع حب ك هب عن سعيد) الخدري رمز المصنف لصحته ، وهو فيه تابع لتصحيح الحاكم له ، وقد اقتصر الحافظ ابن حجر في أماليه على كونه حسنا وقال الهيثمي بعدما عزاه لأحمد وأبي يعلى : فيه دراج ضعفه

[١٣٩٧] [ضعيف]
أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده (٣/ ٦٨) ، وأبو يعلى في مسنده (١٠ / ٧٨ مجمع) ، وابن حبان في صحيحه (٩ / ٩٣ إحسان) ، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٩٩) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٢٦) عن أبي سعيد .
وقال الحاكم : هذه صحيفة للمصريين صحيحة الإسناد ، وأبو الهيثم سليمان بن عتبة الخولاني من ثقات أهل مصر ، ووافقه الذهبي .
وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١١٠٨) ، والضعيفة (٥١٧) ، والترغيب (٢ / ٢٣٠) .
(١) هذا مردود بقوله ﷺ : « جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم ، وشرائكم وبيعكم وخصوماتكم ورفع أصواتكم » الحديث .

١٢٨٣

والقصة موجودة بطولها فى حلية الأولياء راجعها إن شئت ثم قلت لصاحبى: لا أستبعد فى هذا الزمن أن يقال أن أويس القرنى شخصية موهومة لا وجود لها. من قبل ذلك قال طه حسين إن الشعر الجاهلى منتحل لا أصل له.

المؤلم والمزعج أن هذه الدعوة الماكرة ظلت تتردد بأشكال مختلفة وإيقاعات عدة تجد لها صدى عند ناس يطربون لها ويروجون لها حتى سمعنا من يطالب بالاحتفال بدخول نابليون مصر، ألا يدفعكم هذا إلى التساؤل والانتباه لخطر هذه الدعاوى جميعها.

رحم الله الشيخ محمد الغزالى حيث قال فى ضيق وضجر: «لماذا يقبل التاريخ على أنه علم وتهتم به كل أمة مع أن طرق الإثبات فيه أقل بكثير من طرق الإثبات فى الحديث النبوى؟ بل لماذا يشوه المسلمون تاريخهم وسيرة نبيهم؟

ثم قلت لفضيلة الشيخ أحمد: أرجو ألا يكون هذا آخر العهد بك، ولا يروعك هامش ص١٢٨٣، وأرجو أن يكون حوارى معك تحت عنوان: «السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث»، وقبل أن أتركك أرجو أن تطالع كتاب مختصر تفسير ابن كثير، حتى ترى كيف تحول الاختصار إلى ما يأباه العلم والدين، فلا ترى حديث «سبق المفردون» وهو موجود بالأصل، وسوف ترى حديث «أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون»، وقال عنه المحقق فى الهامش:

٤٦٥٠ - سبق درهم مائة ألف درهم: رجل له درهمان أخذ أحدهما فتصدق به، ورجل له مال كثير فأخذ من عرضه مائة ألف فتصدق بها. (ن) عن أبي ذر (ن حب ك) عن أبي هريرة. (صح).

٤٦٥١ - سبق المفردون المستهترون في ذكر الله، يضع الذكر عنهم أثقالهم، فيأتون يوم القيامة خفافًا. (ت ك) عن أبي هريرة (طب) عن أبي الدرداء. (صح).

(سبق درهم مائة ألف درهم) قالوا: يا رسول الله كيف يسبق درهم مائة ألف؟ قال: (رجل له درهمان أخذ أحدهما فتصدق به ورجل له مال كثير فأخذ من عرضه مائة ألف فتصدق بها) قال الشافعي: فإذا أخرج رجل من ماله مائة ألف وتصدق بها وأخرج آخر درهما واحدا من درهمين لا يملك غيرهما طيبة بها نفسه صار صاحب الدرهم الواحد أفضل من صاحب مائة ألف درهم. أهـ. وقال في المطامح: فيه دليل على أن الصدقة من القليل أنفع وأفضل منها من الكثير ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ [الحشر/ ٩] والدرجات تتباين بحسب تباين المقاصد والأحوال والأعمال (ن عن أبي ذر ن حب ك في الزكاة عن أبي هريرة) قال الحاكم: على شرط مسلم.

(سبق المفردون) أي المنفردون المعتزلون عن الناس من فرد إذا اعتزل وتخلى للعبادة فكأنه أفرد نفسه بالتبتل إلى الله أي سبقوا بنيل الزلفى والعروج، إلى الدرجات العلى، روي بتشديد الراء، وتخفيفها، قال النووي في الأذكار: والمشهور الذي قاله الجمهور التشديد. قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: (هم المستهترون)، وفي رواية المستهترون (في ذكر الله) وعلى الأولى فالمراد: الذين أولعوا به يقال: أهتر فلان بكذا

[٤٦٥٠] [حسن]

أخرجه النسائي في سننه (٥/ ٢٥٢٨) عن أبي مسعود، والنسائي في سننه (٥/ ٢٥٢٧) وابن حبان في صحيحه (٣٣٤٧) والحاكم في مستدركه (١/ ٤١٦) عن أبي هريرة.

قال: على شرط مسلم ووافقه الذهبي، عن أبي هريرة.

وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٦٠٦)، وتخريج مشكلة الفقر (١١٩)، وصحيح الترغيب (٨٧٥).

[٤٦٥١] [ضعيف]

أخرجه مسلم (٤/ ٢٦٧٦) والترمذي في سننه (٥/ ٣٥٩٦) وقال حسن غريب، والحاكم في مستدركه (١/ ٤٩٥) عن أبي هريرة، وقال الحاكم: على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، والطبراني في الكبير (١٠/ ٧٧ مجمع) عن أبي الدرداء.

وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٢٤٠)، والضعيفة (٢٠١٦).

٣٠١٤

أخرجه الإمام أحمد مرفوعاً.

فمن نتبع: الألبانى، أم الصابونى، أم جمال البنا؟

والله المستعان.

ملاحظة:

وصلت إلى المجلة ردود حديثية متخصصة تتعلق بالموضوع توالى نشرها تباعا بمشيئة الله.

نقد وتحليل

كتاب الإسلام يشخصون الحضارة الغربية

للدكتور/ حمدى فتوح والى

تواجه أمتنا الإسلامية اليوم موجة استعمارية جديدة لا تقل خطرا عن الموجات السابقة التى تعرضت لها من قبل على مدى تاريخها الطويل.

ويكمن خطر تلك الموجة فى التوقيت الذى اختارته لهجمتها فقد جاءت والأمة الإسلامية فى أشد حالاتها ضعفاً، إذ تعانى غياباً حضارياً قاتلاً، يتمثل فى فشلها فى تحديد وجهتها وتميز هويتها، واختيار ثقافتها، وضعف انتمائها لتراثها وعقيدتها مما هيأ لهذه الموجة فراغاً امتدت فيه ثقافياً وحضارياً وسياسياً يقول الشيخ محمد الغزالى:

«إن المأساة المقلقة هى وقوع الغارة اليهودية ومن قبلها الغارة الصليبية، فى أيام نحسات من تاريخنا المرير فالعلم بالدين سيء، والعمل به أسوأ، وقد استطاع الاستعمار الثقافى خلق جيل مهزوز الإيمان والفقه، ضعيف الثقة فى نفسه وأمته، فهو يعطى الدنية فى دينه ودنياه غير شاعر بأولاه وعقباه. إلى أن يقول: «إننا بحاجة إلى يقظة عامة تتناول أوضاعنا كلها حتى تحسن الدفاع عن وجودنا ورسالتنا فى عالم لا تسمع فيه إلا عواء الأقوياء»[1].

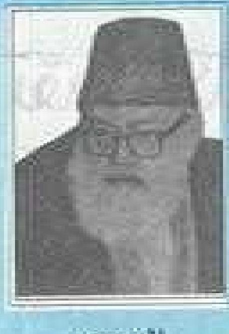
ومن أخطر أسلحة تلك الموجة التى نجحت فى استعمالها - وما تزال تمارس العمل بها اليوم عن طريق رجالها الغربيين حينا وبأيدى بعض المنتسبين إلى أمة الإسلام أحيانا كثيرة، سلاح التشكيك فى عقيدة الأمة والطعن فى ثوابتها والنيل من رموزها. وازدراء حضارتها والغارة الحاقدة على كل مقدس من مقدساتها. وآخر ذلك ما رأيناه فى المؤتمر الذى عقده فى القاهرة مجموعة من أدعياء الفكر ممن ينتسبون إلى أمة الإسلام بأسمائهم، ويكرهونها بقلوبهم، ويهدمون كيانها بأقلامهم. ليقدموا لسادتهم من الغربيين عربون ولاء، ودليل انتماء ليغمسوا أقلامهم العميلة فى

---

(١) هموم داعية - محمد الغزالى - دار البشير - ص٥٣.

جراح الأمة النازفة. مما يتطلب من أبناء الأمة المخلصين يقظة حضارية مكافئة تتعدى مرحلة الدفاع إلى الرد، وتخرج من حالة الاستسلام لتلقى الضربات إلى مرحلة المبادأة بالفعل المنبعث عن تخطيط ودراسة وأعنى بالتخطيط والدراسة، محاولة الوقوف بوعى ودقة، على أحوال الغرب، ثقافياً وروحياً ودينياً، وأن نتحسس تلك الأحوال فى براعة تفوق براعة التاجر الذى يبحث لسلعته عن سوق رائجة، ليضمن لسلعته الرواج والانتشار. ثم علينا مع ذلك أن نحسن اختيار أجود ما لدينا، ونحسن ترتيبه وعرضه. منتهزين حالة الفراغ القاسى، الذى تعانى منه أرواحهم، وتنشق منه مشاعرهم، ومقدرين حالة الظمأ الروحى المشتاق إلى جرعة يقين تندى قساوة قلوبهم، وتروى ظمأ نفوسهم، وتطمئن قلق أرواحهم، وتهدئ روح وجدانهم. ثم نختار من الوسائل أجداها وأقواها لننقل من خلالها أفكارنا. ونعرض بها منهاجنا. عن طريق دعاة مخلصين صادقين، مؤمنين بربهم، واثقين بدينهم، مخبتين لخالقهم سبحانه وتعالى، يجاهدون فى سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم مدركين عن يقين أن أهل الغرب يعانون فداحة الانحراف عن الحق الذى نعرفه وينكرونه، ونؤمن به ويجحدونه، لأنهم لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً.

إن الغرب المادى قد فاق الدنيا كلها فى مجالات العلوم الدنيوية من فلكية ورياضية وعسكرية، واستطاع ببراعة أن يسخر الهواء، وأن يقتحم الفضاء، وأن يغوص فى الماء. لكنه أخفق إخفاقاً ذريعاً فى أن يحسن السير فى الأرض



المودودى

بما يصلحها، ويتقدم إلى البشرية بما يسعدها، وأن يستوعب الناس بالحب والإنصاف والعدالة والأمان، وذلك راجع فى نظر المفكر الإسلامى أبى الأعلى المودودى إلى أن «الحضارة الغربية ظهرت فى أمة لم يكن عندها معين صاف، ولا نبع عذب للحكمة الإلهية».

لقد كان فيها قادة الدين، ولكن لم يكونوا أصحاب حكمة ولا علم ولا شريعة إلهية، ولم يكن عندهم إلا شبح دينى لو حاول أنه يسير بالنوع البشرى على صراط مستقيم فى طريق الفكر والعمل لما استطاع، ولم يكن له إلا أن يكون حجر عثرة وسداً فى سبيل ارتقاء العلم والحكمة، وهكذا كان. وكان عاقبة ذلك أن الذين كانوا يريدون الرقى، نبذوا الدين بالعراء، واختاروا طريقاً لم يكن دليلهم فيها إلا المشاهدة والاختبار والقياس والاستقراء ووثقوا بهذه الدلائل التى هى فى حاجة بنفسها إلى الهداية والنور، وجاهدوا واجتهدوا باحتذائها فى طرق الفكر والنظر والتحقيق والاكتشاف والبناء والتنظيم، ولكن ضلت خطوتهم الأولى فى كل جهة وفى كل مجال. وانصرفت فتوحهم فى

ميادين العلم والتحقيق، ومحاولاتهم فى سبيل الفكر والنظر، إلى غاية لم تكن صحيحة؛ إنهم بدأوا وساروا من نقطة الإلحاد والمادية، نظروا فى الكون على أنه ليس له إله، ونظروا فى الأنفس والآفاق على أنه لا حقيقة فيها إلا المشاهد والمحسوس، وليس وراء هذا الستار الظاهر شىء، إنهم أدركوا نواميس الفطرة بالاختبار والقياس، ولكنهم لم يتوصلوا إلى فاطرها، إنهم وجدوا الموجودات مسخرة فاستخدموها لأغراضهم، ولكنهم جهلوا أنهم ليسوا سادتها ومدبريها، بل هم خلفاء سيدها الحق، فلم يروا أنفسهم مسئولين عنها، ولم يروا على أنفسهم عهدة وتبعة، فاختل أساس مدنيتهم وتهذيبهم، وانصرفوا عن عبادة هذا الإله، وسارت بهم هذه العبادة فى كل ميدان من ميادين الفكر والعمل على طرق زائغة خلابة رائعة، ولكن مصيرها إلى الهلاك».

وبعد هذا التوصيف السليم. والتشخيص الحكيم للبداية النكدة التى أثمرت ما تعانيه البشرية اليوم من تدمير وتخريب. وتهديد وترهيب، ومن شعورها برعب قاتل نتيجة إحساسها أن مصيرها معلق بضغطة على زر من يد رجل أحمق، أو قرار طائش من رأى مأفون. يقول الأستاذ المودودى: «وهذا هو الذى مسخ العلوم الطبيعية فصارت آلة لهلاك الإنسان، وصاغ الأخلاق فى قالب الشهوات والرياء والخلاعة والإباحة، وسلط على المعيشة شيطان الأثرة والشح والفتك ببنى النوع، ودس فى عروق الاجتماع وشرايينه سموم عبادة النفس والأنانية والإخلاد إلى الراحة والتنعيم ولطخ السياسة بالجنسية والوطنية وفروق اللون والنسل وعبادة إله القوة فجعلها لعنة كبرى للإنسانية»[٢].

وإذا كان الإمام أبو الأعلى المودودى قد أحسن التشخيص والتحليل وأجاد التوصيف والتعليل. فإن المفكر الإسلامى الأستاذ سيد قطب يقدم صورة واقعية لما يعيشه الناس اليوم فى دول الغرب من معاناة القلق والحيرة والاضطراب النفسى الذى يصل إلى حد الجنون. فيقول بعد عودته من أمريكا فى بداية النصف الثانى من القرن العشرين:

إن العاقل الواعى الذى لم يأخذه الدوار الذى يأخذ البشرية اليوم. حين ينظر إلى هذه البشرية المنكودة، يراها تتخبط فى تصوراتها وأنظمتها وأوضاعها وتقاليدها وعاداتها، وحركاتها كلها تخبطاً منكراً شنيعاً.. يراها تخلع ثيابها وتمزقها كالمهووس! وتتشنج فى حركاتها وتتخبط وتتلبط كالممسوس.. يراها تغير أزياءها فى الفكر والاعتقاد، كما تغير أزياءها فى الملابس وفق أهواء بيوت الأزياء!.. يراها تصرخ من الألم، وتجرى كالمطارد، وتضحك كالمجنون، وتعربد كالسكير، وتبحث عن لا شئ! وتجرى وراء أخيلة! وتقذف بأثمن ما تملك، وتحتضن أقذر ما تمسك به يداها من أحجار وأوضار!

(٢) السيد أبو الأعلى المودودى/ مقالة بعنوان «ألم العصر المريضة» ترجمة أبو الحسن الندوى.

لعنة! لعنة كالتي تتحدث عنها الأساطير!

إنها تقتل الإنسان وتحوله إلى آلة.. لتضاعف الإنتاج! إنها تقضي على مقوماته «الإنسانية» وعلى إحساسه بالجمال والخلق والمعاني السامية لتحقيق الربح لعدد قليل من المرابين وتجار الشهوات ومنتجي الأفلام السينمائية وبيوت الأزياء.

وتنظر إلى وجوه الناس، ونظراتهم، وحركاتهم، وأزيائهم، وأفكارهم، وآرائهم، ودعواتهم. فيخيل إليك أنهم هاربون! مطاردون! لا يلوون على شيء، ولا يتثبتون من شيء! ولا يتريثون ليروا شيئاً ما رؤية واضحة صحيحة.. وهم هاربون فعلاً! هاربون من نفوسهم التي بين جنوبهم هاربون من نفوسهم القلقة الحائرة، التي لا تستقر على شيء «ثابت»، ولا تدور على محور ثابت، ولا تتحرك في إطار ثابت.

وحول هذه البشرية المنكودة زمرة من المستفعين بهذه الحيرة الطاغية، وهذا الشرود القاتل.. زمرة من المرابين، ومنتجي السينما وصانعي الأزياء والصحفيين، والكُتاب.. يهتفون لها بالمزيد من الصرع والتخبط والدوار، كلما تعبت وكلت خطاها، وحنت إلى المدار المنضبط والمحور الثابت، وحاولت أن تعود!

زمرة تهتف لها.. التطور.. الانطلاق.. التجديد.. بلا ضوابط ولا حدود.. وتدفعها بكلتا يديها إلى المتاهة كلما قاربت من المثابة.. باسم التطور.. وباسم الانطلاق، وباسم التجديد.. إنها الجريمة. الجريمة المنكرة في حق البشرية كلها. وفي حق هذا الجيل المنكود!»[3].

تلك هي حضارة الغرب كما تبدت لهؤلاء الحكماء، الذين استشعروا نعمة الله عليهم، بأن نجاهم من شرورها، ولم يصطلوا بنارها، فانبروا يبصرون أبناء أمتهم عن الانخداع ببهرجها الزائف، ومظهرها الخادع، كحية رقطاء ناعمة الملمس وفي أنيابها السم الزعاف.

ويشبه الشيخ أبو الحسن الندوي الحضارة الغربية بشجرة خبيثة ثمارها حلوة ولكنها سامة، أزهارها جميلة ولكنها شائكة، فروعها مخضرة ولكنها تنفث غازاً ساماً لا يرى ولكنه يسمم دم النوع البشري فيقول: «إن أهل الغرب الذين غرسوا هذه الشجرة الخبيثة قد مقتوها وأصبحوا يتذمرون منها.. ولا تزال هذه الشجرة تثمر لهم شروراً ومصائب، حتى صارت الحياة الغربية جسداً مقروحاً، يشكو من كل جزء أوجاعاً وآلاماً، وأعيا الداء الأطباء واتسع الخرق على الراقع.. ثم يقول الرجل «إن الأمم الغربية تتململ ألماً، قلوبها مضطربة، وأرواحها متعطشة إلى ماء الحياة، ولكنها لا تعلم أين معين الحياة»[4].

(3) خصائص التصور الإسلامي/ سيد قطب ط٨ سنة ١٩٨٣ ص ٧٧-٧٨.

(4) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين/ أبو الحسن الندوي/ مكتبة السنة سنة ١٩٩٠ ص ٣٢٢.

فهل يستشعر المخلصون من أبناء أمتي مدى حاجة البشرية إليهم فيتقدمون لأهل الأرض منقذين؟ بعد أن ظهر لهم مدى ما تعانيه البشرية، من تخبط في المنهج، وفساد في التصور وقصور في الفكر، وضلال في المعتقد، اضطراب في جميع شئون الحياة.

وهل يعي المخدوعون بالغرب - والمنبهرون بزخرفه الخادع أنهم بانخداعهم هذا يمارسون جريمة من أعظم الجرائم، ويرتكبون خيانة من أعظم الخيانات لا في حق أمتهم فقط، ولا في حق تراثهم وعقيدتهم فحسب وإنما في حق أنفسهم وأهليهم.

لقد ذهبوا يشربون من نهر الغرب الآسن فغرقوا فيه، فكانت لهم طبائع الأغنام والدواب، ورأوا أضواءه الباهرة فاندفعوا إليها، واحترقوا بنارها فكانوا كالفراش والهوام. ولهؤلاء نقول ما قاله المصلح الإسلامي الكبير «جمال الدين الأفغاني»: «إن المقلدين للتمدن الغربي إنما يشوهون وجه الأمة، ويضيعون ثروتها، ويحطون من شأنها، إنهم المنافذ لجيوش الغزاة، يمهدون لهم السبل، ويفتحون لهم الأبواب»[5].

وإذا كانت تلك شهادة بعض العقلاء ممن عافاهم الله من رجس هذه الحضارة الشوهاء، فإنني أختم مقالي بشهادة رجل غربي قضى عمره يرضع لبانها، ويتغذى على فكرها حتى صار عالماً من أكبر علمائهم ومؤرخاً من ألمع مؤرخيهم وهو المؤرخ الإنجليزي «أرنولد توينبي» الذي يقول:

«إن لدى سبباً هائلاً لكراهية الغرب. فمنذ شببت عن الطوق - وأنا الآن في الخامسة والسبعين من عمري، اشتبك الغرب في حربين عالميتين، وأخرج للدنيا مذاهب الفاشية، والشيوعية والاشتراكية والقومية كما أخرج موسوليني وهتلر ومكارثي. وهذه الكبائر الغربية تجعلني - أنا الغربي أشعر بالقلق وعدم الأمان.

لقد اقترف رفاقي الغربيون من أهل ألمانيا جرائم كثيرة، فكيف أضمن أن مواطني الإنجليز لا يمكن أن يقترفوا مثل هذه الجرائم بل إننا اقترفنا بالفعل جريمة قتل بضعة آلاف من المدنيين العزل في بورسعيد سنة ١٩٥٦، فما الذي يمكن أن أتعفف عن اقترافه بعد هذه الجريمة النكراء،.. وإلى جانب هذه الجرائم والآثام الغربية المعاصرة ثمَّ عيوب للحياة الغربية المعاصرة، وآراء منفرة. فإن كنت أكره العبودية السالفة للفرد إزاء الجماعة في اليابان فإني أكره بصورة أشد ذلك المدى المتطرف الذي ذهبت إليه الفردية في الغرب المعاصر، ولا سيما ما يبدو هناك من قسوة وجمود تجاه العجائز. فالحضارة الغربية المعاصرة فيما أعتقد أول حضارة ليس فيها للمتقدمين في السن مكان يحتلونه بصورة طبيعية في بيوت أولادهم البالغين.. وكلما نظرت إلى هذه القسوة الغربية بعين غير غربية وجدتها شيئاً مروعاً».

فليت المنهزمين من أبناء أمتي يعقلون.. وليت المتبجحين بعداوة أمتهم وخيانتها يستحون.

(5) ماذا يعني الاستقلال الحضاري لأمتنا - د. محمد عمارة ص ١.

العولمة والهيمنة الثقافية

للأستاذ الدكتور/ عبدالله نجيب محمد (*)

ما أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، حتى بدأ الغرب مرحلة جديدة من الاستعمار الحديث، الذى عمد إلى التسلل من الخلف، أو ما يسمى الاقتراب غير المباشر، التسلل إلى العقل والاقتصاد، وبدأ يخطط لعملية تحكم واسعة النطاق فى العقل السياسى والثقافى العربى خاصة، مستخدما خبرته ووسائله الحديثة، وعلى رأسها الدراسات الأنثروبولوجية الميدانية المشتركة بين علماء ومؤسسات البحث العلمى الغربية ذات الصلة الوطيدة بأجهزة المخابرات وصناعة القرار السياسى فى الخارج والداخل، وما كادت الولايات المتحدة الأمريكية تنفرد بالتربع على عرش القوة بعد سقوط الاتحاد السوفيتى، حتى أعلنت ما سمته بداية «نظام عالمى جديد»، وظهر ما يسمى أيضا بـ«العولمة».

والذى لاشك فيه أن الاختراق الثقافى الغربى للثقافة العربية لم يتوقف منذ أكثر من مائتى عام، إلا أن أشكال هذا الاختراق قد اتخذت فى الآونة الأخيرة، وفى ظل ما يسمى بالعولمة أبعاداً جديدة، تضغط بانتظام على هوية الأمة وثقافتها، وهى مرحلة لا تمثل بحال انقطاعاً عما سبقها، بل هى متصلة بها من حيث المضمون، وإن اختلفت فى أساليبها وآليات تنفيذها.

ولاشك أن عملية فرض النموذج الغربى فى الهيمنة الثقافية والاقتصادية والاجتماعية، ومجالات التطويع الثقافى، وكسر الإرادة السياسية العربية، ومحاولات الاختراق العقلى يستوجب الكشف والتحليل، تمهيدا للعمل الإيجابى والمقاومة.

تلك هى القضية، وهى قضية وثيقة الصلة بمدى تأثير العلاقات الراهنة مع الغرب على ثقافة وهوية الأمة العربية،

(*) الكاتب: أستاذ بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية - جامعة القاهرة.

والآثار السلبية المؤدية إلى التبعية الثقافية، كثمن محتمل لثورة المعلومات والاتصال، واختلال التوازنات السياسية فبينما نجد اتجاها يرفض فكرة احترام التنوع الثقافى والحضارى مدعيا أنه يمثل غذاء للتطرف والتعصب، ويهدد ظهور فكر إنسانى عالمى، وهذا الاتجاه تغذيه إرادة الهيمنة الأمريكية الغربية، ونجد اتجاها معاكسا يرى أنصاره أن انتصار الرأسمالية ليس أمرا محتوما، ولا مضمونا، ويرى ضرورة الوعى بالخصوصيات الثقافية والحضارية واحترامها، وقد يظهر اتجاه ثالث توفيقى يسعى إلى خلق نظام جديد يقوم على أسس المشاركة والاعتداد بالتقاليد الأساسية للحضارة الإنسانية، والاعتراف المتبادل بالخصوصيات، والاتجاه نحو تقبل التفاعل بين الهويات الثقافية المتعددة، والتى تسمح بالتعايش بين مختلف التقاليد الحضارية.

وعلى كل حال فإن العولمة بمعنى الهيمنة أو التوحيد الاقتصادى والسياسى والثقافى القسرى للعالم ليست قدرا محتوما لا فكاك منه ويجب التصدى لسلبياتها، أما العولمة بمعنى أنها عملية تاريخية تمثل فترة من فترات التطور وستتجاوز شروط نشأتها والمخططات الهادفة للهيمنة والسيطرة على النظام العالمى لتصبح عملية عالمية واسعة المدى، تنقل الإنسانية كلها إلى آفاق عليا من التطور الفكرى والعلمى والتكنولوجى والسياسى والاجتماعى، وهى بالمفهوم الأخير عملية تاريخية غير قابلة للتراجع لأنها فى هذه الحالة ستعبر عن حصاد التقدم الإنسانى عبر القرون والإسهام البشرى لكافة الشعوب والحضارات، وتنجح فى صياغة ثقافة عالمية، تكون بداية تشكيل حضارة عالمية شعارها وحدة الجنس البشرى، ومن الضرورى فى هذه الحالة التكيف الإيجابى الخلاق معها، والاستفادة من إيجابياتها، بل يجب استغلالها لزرع القيم والمفاهيم السامية التى تنفرد بها الحضارة العربية الإسلامية، ومازالت حلما من أحلام البشرية.

ويعرف روزيناو «العولمة» بأنها عملية تفاعلية تنطوى على تغيير فى اهتمامات البشر، وانتقال Trans Formation للممارسات والمعايير، الأمر الذى يفترض تغيير الترتيبات الإقليمية التقليدية المرتبطة بنظام الدولة، حتى لا تمنع أية سلطة إقليمية أو حواجز قضائية عمليات العولمة من الوصول بالأفراد والهيئات والجماعات إلى أى مكان على ظهر المعمورة، والغرض من العولمة يتمثل فى رأيه «فى زيادة معدلات التشابه بين

الأفراد والجماعات والمؤسسات في أنماط متشابهة من السلوك والمشاركة في نظم أكثر تماسكا وقوة، وهي تعمل ـ حسب رأيه ـ في اتجاه اندماجي معاكس للنزعة المحلية Localization الضيقة، التي تسعى لتكريس الحدود والمشاركة في سلوكيات منقسمة، والانسحاب إلى نظم وهيئات محدودة كالأسرة والجيران والثقافة المحلية .. إلخ، أما العولمة، فهي على العكس تتبع «ديناميتها» من حاجة الناس على المدى البعيد، لنظام أفضل فيما يتعلق بزيادة إنتاجهم من البضائع والخدمات والأفكار المناسبة لإنسانيتهم، ومن ثم يخلص إلى أن المستقبل سيكون في صالح هذا الاتجاه، كما كان سابقا. [1]

أما «برهان غليون» فيرى أن العولمة تشير إلى الدخول في طور حضاري يصبح فيه مصير الإنسانية - بسبب الثورة المعلوماتية والتقنية والاقتصادية ـ مصيرا واحدا، لكن الوحدة ـ في رأيه لا تعني التجانس والتساوي بين جميع أجزاء العالم والمجتمع البشري، إنما تعني درجة عالية من التفاعل بين مناطق ومجتمعات بشرية مختلفة ومتباينة وبالتالي تزداد درجة التأثير والتأثر المتبادلين، ولذلك ارتبط مفهوم «العولمة» بمفهوم «الاعتماد المتبادل». [2]

ويرى «آلان تونيلسون» أن العولمة الاقتصادية تشير إلى الاندماج المتزايد للأسواق عن طريق التدفق السريع للبضائع والخدمات ورأس المال والمعلومات والناس أحيانا. [2]

ويتضح مما سبق أنه لا يوجد مفهوم محدد للعولمة، وإنما هناك عدة مفاهيم تختلف باختلاف الرؤى والمدارس الفكرية، التي يركز بعضها على الجانب الاقتصادي أو السياسي أو الثقافي أو غيره.

ويواكب عمليات العولمة، تدفق إعلامي وثقافي، ينطلق من بلدان المركز في شكل قيم أخلاقية وسلوكية، وقواعد قانونية ومصطلحات سياسية وغيرها، تهدف من غير شك إلى التأثير في الثقافات الأخرى مما يطرح قضية «التعددية الثقافية»، ورغبة دول المركز في فرض ثقافتها، وطرح الثقافات الأخرى والقضاء عليها.

الأمركة [المشروع الأمريكي الأوروبي]

وعلى الرغم من موضوعية الاتجاه إلى «العالمية»، وقيام المجتمع العالمي، أو بمعنى أدق اتجاهه للتكون، إلا أن القوى الإمبريالية،

(1) Jams. n. Rosenou, The Coplexities and Contradicton of Globalization in Current History, V01, 90. No 613 November,1997.pp.360 - 361.

(٢) نايف علي عبيد: العولمة والعرب، المستقبل العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ٢٢١، يوليو ١٩٩٧، ص٢٨.

(2) Alan Tonelson, Globalization: The Great American

تحاول استغلال هذا التطور الطبيعي، والمستمد من سنة التطور الطبيعي واستبداله بشيء يتشابه معه شكلا، ويختلف عنه موضوعاً وجوهرا وهو اتجاه «العولمة» أي فرض عالمية قسرية تقوم على توحيد المجتمع العالمي، ومراحله الدنيا في مجتمع ما فوق الأمة لتجعله تحت الهيمنة والسيطرة الإمبريالية الرأسمالية.

ومن ذلك نستخلص أن العولمة شيء يختلف عن العالمية ويختلف عن الأمركة Americaniztion التي تهدف إلى استغلال عمليات العولمة لتحقيق أغراضها في السيطرة والهيمنة.

والواقع أن من يقرأ الأدبيات الأمريكية والغربية، لا يفوته أن يدرك ـ بصرف النظر عن التعريفات والاحتمالات ـ أن الولايات المتحدة الأمريكية وبعض دول الغرب، لديها مشروعها الخاص في النظام الدولي الجديد، تعول فيه على هيكل النظام، بمعنى ترتيب الوحدات المكونة له، وقدراتها على السيطرة والتوحيد في ظل نظام قطب واحد هو الولايات المتحدة الأمريكية.

هذا وقد استخدم بعض المفكرين اصطلاح «نهاية التاريخ» بمعنى انتهاء الصراع العالمي الرئيسي في التاريخ الإنساني بسيادة الأيديولوجية الليبرالية والنظام الرأسمالي. [4]

وفي كل الأحوال تحاول الولايات المتحدة أن تجعل من نفسها، الفاعل الرئيسي في العالم، وتحاول ترتيب الحسابات وفقا لرؤيتها، وترتيب الأوراق وفقا لتصورها، بمعنى أنها تحاول فرض هيمنتها المباشرة على العالم كله، أو على الأقل فرض نوع من الهيمنة غير المباشرة في حالة الاتجاه نحو المشاركة الجماعية في النظام الدولي الجديد.

وقد ظهرت على سبيل المثال، تعبيرات تدل على الأفكار التي تحرك هذا المشروع، كالتعبير الذي أعلنه «صامويل هينتجتون» عام ١٩٩٣م وهو «الحقبة الغربية» "western Phase" وأشار بعضهم إلى ما سموه «الأحادية القطبية» "unipolor" أو القوة العظمى الواحدة.

وأيا ما كانت الدلالة الحقيقية لمثل تلك التعبيرات، فالحقيقة أننا ندرك منها رغبة الولايات المتحدة بصفة خاصة، في الهيمنة على النظام العالمي الجديد، سواء في ظل قطب واحد، أو في ظل نشاط دولي جماعي. [5]

(٤) راجع: علي مزروعي، قضايا فكرية، أفريقيا والإسلام والغرب. ت صبحي قنصوه وآخرين، سلسلة دراسات أفريقية ٤-١٩٩٨، مركز دراسات المستقبل الأفريقي، ص٢١ وما بعدها.

(5) samuel.p.HunEigton, The Clash of Civilization in Foreign, V0l 72, No.3.Summer 1993 P.3

ويرى «بريجينسكى» مستشار الرئيس الأمريكى الأسبق «كارتر» أن الحضارة الغربية تمثل التجسيد الوحيد للثقافة الإنسانية، وأن قيمها الراقية يجب أن تسود، واختص الثقافة «الأنجلوسكسونية» أو الأمريكية بالتحديد يقول: «إن على الولايات المتحدة - فى ظل سيطرتها الكبيرة على الإعلام الدولى - أن تقدم للعالم أجمع، نموذجا كونيا للحداثة، بمعنى نشر القيم والمبادىء الأمريكية، كما دعا الرئيس السابق «ريتشارد نيكسون» فى كتابه: «نصر بدون حرب» والصادر عام ١٩٨٨ إلى نشر القيم الأمريكية، إذا ما أرادت أمريكا أن تكون زعيمة للعالم وعبر «لانوش» عن خوفه من هذه الإمبريالية الثقافية الغربية الأنجلوسكسونية التى تسهم فى غزو ثقافى للجنوب من جانب الشمال، وداخل الشمال من الولايات المتحدة نحو البلاد الأخرى [ومنها فرنسا].

وطرح الرئيس الأمريكى «كلينتون» فيما يسمى «الوثيقة الجديدة التى تهدف إلى إحداث تغيير أساسى فى حياة الأمريكيين، وإرساء قواعد النظام الدولى الجديد، طرح عدة عناصر أبرزها:

● التوصل إلى نظام دولى لنزع السلاح، والحد من انتشار أسلحة الدمار الشامل.

● القيام بحملة دولية لحماية حقوق الإنسان، ونشر الديمقراطية فى جميع أنحاء العالم.

● الاشتراك مع أطراف أخرى فى وضع خطة شاملة لحماية البيئة ومساعدة الجهود الإنمائية للدول الفقيرة.[٦]

وقال «بوش» إبان حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١م: «إن النظام العالمى الجديد هو إطار لعالم جديد خال من توترات الحرب الباردة، حيث يتم فى هذا الإطار حل النزاعات الإقليمية» وقبلها فى ١١ سبتمبر ١٩٩٠م قال: «إن الأحداث التى وقعت فى منطقة الخليج، قد أظهرت أنه لا بديل عن القيادة الأمريكية» وذكر «كيسنجر» فى كتابه «الدولة الأولى فى العالم» مؤكدا أن الولايات المتحدة الأمريكية لن تسمح بعد الآن بوجود قوة أخرى كبرى تقابلها، وأن الولايات المتحدة يجب أن تكون القوة الكبرى والوحيدة فى العالم كى تحقق الديمقراطية والسلام».

***

(٦) راجع: اختراق «مرجع سابق» ص٣٦ وما بعدها.

الوحدة الإسلامية ضرورة حتمية

لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف

عجيب أمر المسلمين!! إلههم واحد، ورسولهم واحد، وقرآنهم واحد، وسنتهم واحدة، ولغة قرآنهم وسنتهم واحدة.. ومع ذلك فهم دول ممزقة، وشعوب متفرقة، وفرق متناحرة، وجماعات متصارعة، ومذاهب مختلفة.. مع أن الإسلام يدعوهم إلى الوحدة فى صراحة واضحة لا تحتاج إلى تفسير ولا إلى تأويل ولا إلى اجتهاد، يقول الله تعالى:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾[١].

فقد أمر الله المسلمين فى هذه الآية الكريمة أن يكونوا جميعا متمسكين بكتاب الله وبتعاليم دينه وأحكامه فى وحدة مترابطة تجمعهم، لأن الوحدة سبب قوتهم وغلبتهم وعزتهم.. ونهاهم عن التمزق والفرقة لأنها تكون سبب ضعفهم وقهرهم وذلتهم.. وذكرتهم الآية الكريمة بنعمة الله عليهم أن هداهم إلى الإسلام الذى وحد شملهم، وجمع كلمتهم، فأصبحوا إخوانا متحابين بعد أن كانوا فى الجاهلية أعداء متناحرين يضرب بعضهم رقاب بعض.. فعليكم إذن أيها المسلمون أن تجتمعوا على طاعة الله، وأن تكونوا يدا واحدة فى وحدة مترابطة على كلمة سواء.. وإذا حدتم عن هذا الطريق السوى الذى دعاكم إليه الله وأمركم بالالتزام به فلن تجنوا إلا الضعف والهوان والذلة والخسران..

ثم يبين لنا رسول الله ﷺ فى أحاديثه الشريفة ما ينبغى أن يكون عليه المؤمنون من الصلة والترابط، والوحدة والتعاون، والحب والعطف، والسند والإعانة، والنجدة والإغاثة، فعن النعمان بن بشير - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»، وعن أبى موسى - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه».

(١) آل عمران (٣: ١٠٣).

فهل للمسلمين بعد ذلك أن يتساءلوا عن سبب ما وصلوا إليه الآن من هذا الوضع الذى كله هوان وخزى وذلة؟؟

إن دول أوروبا رغم ما كان بينها من عداوات وحروب طاحنة عبر التاريخ القديم والحديث، ورغم تعدد لغاتها واعتزاز كل دولة بلغتها والحرص على الحديث بها والعمل على تعميمها ونشرها بين دول أخرى. وقد وصل الأمر فى بعض دول أوروبا لو تحدث أجنبى مع أحد مواطنيها بلغة غير لغة بلده- وهو يعرفها جيدا- لا يرد عليه ولا يجيبه إلا إذا تحدث إليه بلغة بلده، ورغم ما بينها من تنوع الثقافات والحضارات، ورغم ما بينها من سباق محموم فى تحقيق التقدم العلمى والابتكار فى الاختراعات، ورغم المحاولات المستميتة لكل دولة فى تحقيق تقدم اقتصادى يزيد من رفاهية شعوبها، ورغم ورغم ورغم.. ورغم كل ذلك أيقنت دول أوروبا أن العصر الحديث الذى نعيشه يختلف عن العصور السابقة، وأنه لا بقاء فيه للدول المنفردة، وأن البقاء لتجمعات الدول المتحدة، فنادت دول أوروبا بالوحدة الأوروبية، والسوق الأوروبية المشتركة، وظلت تعمل أكثر من ربع قرن لتحقيق هذه الوحدة إلى أن تم لها ما أرادت وتحققت الوحدة الأوروبية والسوق الأوروبية المشتركة.. بل ووصلت الوحدة إلى توحيد العملة النقدية وصار «اليورو» هو عملة خمسة عشر دولة أوروبية..ودخل الفرنك الفرنسى والمارك الألمانى والليرة الإيطالية وغيرها من العملات الأوروبية ذمة التاريخ، وصارت الوحدة الأوروبية قوة تقف أمام الصراعات الدولية، لها وزنها يعمل لها ألف حساب وحساب!!

أما هز ذلك مشاعر الدول الإسلامية والعربية؟ أما حرك ذلك قادة الدول الإسلامية والعربية؟ أما دفع ذلك المسلمين إلى أن يتخذوا من دول أوروبا قدوة ومثالا يحتذى لينهجوا نهجها ويسيروا على دربها؟ بعد أن أهملوا دعوة دينهم وأمر ربهم وإرشاد نبيهم إلى وحدة المسلمين!!

إن الأمة الإسلامية وهى تمر بظروفها الصعبة القاسية فى تلك الأيام الحالكة من تاريخها، وقد تكالب عليها أعداؤها، وأحاطوا بها من كل جانب، وصدقت فيهم نبوءة الرسول عليه الصلاة والسلام، فعن ثوبان- رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله فى قلوبكم الوهن. فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت».

هذه الأمة الإسلامية فى أمس الحاجة الآن إلى الرجوع إلى الله والعودة إليه، وتطبيق أوامره وتعاليمه، واتخاذ

الخطوات العملية الجادة لتنفيذ الوحدة الإسلامية قولا وعملا ومنهجا وسلوكا..

لقد نجح جمال الدين الأفغانى فى إيقاظ الروح النائمة للأمة الإسلامية، وفى تنبيه أذهان المسلمين إلى الأخطار المحيطة بهم، وأكد على أن الوقوف والصمود أمام تلك الأخطار لن يتحق إلا بالوحدة الإسلامية بين المسلمين، ونبذ الفرقة والخلاف فيما بينهم، واقترح أن يقوم العلماء ورجال الدين بمهمة مخاطبة جماهير المسلمين والحديث معهم فى مشاكل المسلمين الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.. الخ، وبث الوعى الدينى الرامى إلى تحقيق الوحدة الإسلامية.

ولكن تنفيذ اقتراحه الخاص بقيام العلماء ورجال الدين فى كل مكان إسلامى بتلك المهمة لم يجد بابا للتحقيق!! لأن أكثر العلماء فى عصره كانوا فى شغل شاغل عن مصائب العالم الإسلامى ودواهيه، وما يعانيه من نكبات وكوارث، وكانوا يعكفون على كتب العصور المتأخرة التى تحصر مسائل الدين فى العبادات والطهارة والصلاة والصوم والزكاة والحج.. أما أحوال المسلمين البائسة، أما سيطرة المستعمر الغاشم على دول الإسلام، أما الدعوة إلى الإخاء والترابط والتلاحم بين المسلمين، أما الحث على طلب الاستقلال والحرية والعدل والمساواة والأخذ على يد الظالمين المعتدين.. فهذا ما لم يتناولوه ولم يتحدثوا فيه.. ولا أكون مغاليا أو جانبت الحقيقة والصواب إذا قلت: إن هذا لم يخطر لأكثرهم على بال..



جمال الدين الأفغانى

ونحن الآن رغم هذا التقدم المطرد فى جميع مجالات الحياة.. نرى أننا لا زلنا فى مسألة الوحدة الإسلامية حيث وقف جمال الدين الأفغانى، ولم نتحرك قيد شعرة لتحقيقها مع وجود فارق كبير بين العصرين.. فالرأى العام أيام جمال الدين كان نائما غير مستيقظ وكان الفكر جامدا غير متحرك، وكانت العزلة والانغلاق سمة هذا العصر.. أما الزمن الذى نعيشه فهو زمن الحركة والتجديد والتطوير، وهو زمن قرب المسافات وضيق الحدود، وأزال حواجز الاتصالات بين الأمم والشعوب.

فجمال الدين الأفغانى فى عصره كان كأنه ينفخ فى رماد، لولا أنه ترك من دعاة الوحدة الإسلامية مصلحين كبيرين هما:

الإمام محمد عبده، والسيد عبد الرحمن الكواكبي، وكلاهما حمل الراية من بعده في تنوير الرأى العام وإيقاظه.. وكان لمحمد عبده مدرسة في العالم الإسلامي أخذت بآرائه وعملت قدر استطاعتها على تحقيقها.. وكان لكتابيّ الكواكبي الشهيرين عن خصائص الاستبداد وعن المؤتمر الخيالى الذى تمثله في أم القرى جامعا شتى العلماء من بقاع العالم الإسلامى ليبدوا آراءهم في علاج المريض الجريح.. كان للشيخ محمد عبده وللكواكبي هذا المد المتفرع من جمال الدين، والذى جعل فكرة الوحدة الإسلامية حية لم تمت، والدعوة إليها قائمة، وقاومت من يعترضونها وهم كثير..

وحين ظهرت الدعوة إلى الوحدة العربية في القرن العشرين، وتبناها كثير من الكتاب والمصلحين، حتى برزت للوجود في إنشاء الجامعة العربية، كتب المخلصون من دعاة الوحدة الإسلامية يعلنون أنها خطوة أولى في سبيل الوحدة الإسلامية التى لا مناص من تحقيقها لعلاج ما أصاب الأمة الإسلامية من وهن وضعف وتأخر، وأوضحوا ذلك بما لا مزيد عليه من البيان والبرهان.. غير أن بعض المتسرعين أو المتشائمين رأى أن الوحدة الإسلامية ضرب من الخيال والاستحالة، دون أن يبدى الدليل الشافي والبرهان المقنع على ما يقول، بل تعلق بخطب لا تترك صداها القوى لدى من يزن القول بميزان صحيح..


محمد عبده

وقد رد عليه بعض أصحاب الرأى الجازم بضرورة قيام الوحدة الإسلامية بكلام شاف قال فيه:

«إن من المعروف لدى الخاص والعام أن رابطة الإيمان والعقيدة أقوى من روابط اللغة والعادات والمصالح، وأن التقارب بين الناس والتفاهم يقوم مع وحدة اللغة على وحدة المبادئ والعقائد والغايات، وها هى ذى مبادئ الشيوعية والاشتراكية والماسونية تجمع بين أناس اختلفت لغاتهم وأجناسهم وبلادهم وأقاليمهم، ولم يمنعهم هذا الاختلاف كله من أن يتفاهموا ويتقاربوا ويجتمعوا على مبادئ واحدة وخطط واحدة..

أليس من باب أولى أن تكون عقيدة الإسلام عاملا قويا لاتحاد المسلمين واجتماعهم على كلمة سواء؟؟؟ إن العرب في الجاهلية كانوا قبائل متنافرة متخاصمة متقاتلة مع أن لغتهم كانت

واحدة، وعنصرهم واحد!! إلى أن جاء الإسلام فآخى بين العربى والعربى، وبين العربى وغير العربى، وجمع المسلمين تحت عباءته على مبادئه السامية، وألف بين قلوبهم، وجعلهم أمة واحدة رغم اختلاف الأجناس واللغات..

أفتكون هذه الوحدة التى أمكن تحقيقها في عصر صدر الإسلام وعصرى الأمويين والعباسيين ومن أتى بعدهم مستحيلة في عصرنا هذا؟؟؟ كيف!!

إن كل مسلم في أى بلد من بلاد الإسلام يعتقد أن المسلم اليابانى والصينى والأوروبى كأخيه الذى يعيش معه في وطن عربى أو أفريقى، فكيف تقولون باستحالة تحقيق الوحدة الإسلامية؟؟ هذا بعض ما قيل.

إننا على يقين أن الدعوة إلى قيام الوحدة الإسلامية تخيف وتزعج كثيرا من الأنظمة الحاكمة في الدول الإسلامية، خشية أن تفقد سلطانها، وأن تزول سطوتها وقيادتها وهيمنتها.. وإذا كانت الناحية السياسية في الوحدة هى أول ما يكثر حولها النقاش والجدل والصد والرفض، فإن لنا في النواحى الأخرى المختلفة من الوحدة مداخل لتحقيقها، مثل: الوحدة الثقافية، والوحدة الصناعية، والوحدة الاقتصادية، والسوق المشتركة.. وغيرها وغيرها جداول هامة تتفرع وتمتد لتلتقى في النهاية وتصب في بحيرة الوحدة الشاملة.. وبقيام هذه الوحدات المتعددة تشعر بالقوة الدافعة في الوطن الإسلامى لتحقيق ما نرجوه من استقلال وتقدم وعزة..

ثم ليس هناك أقوى في تحقيق الوحدة الإسلامية من وحدة الآمال ووحدة الآلام:.

فوحدة الآمال تحرك الشعوب إلى العمل، لأن المسلم إذا وضع الأمل أمام عينيه عز عليه أن يكون واقعا بمنأى عنه ودون أن يسعى إلى تحقيقه، فهو لا يزال يخطو خطوات متتالية حتى يبلغ الغاية منه.

أما وحدة الآلام فهى واقع يتفاعل في قلوب المسلمين جميعا حين يرون جوانب العدوان على بقاع شتى من بقاع العالم الإسلامى بتأثير الأحقاد الدفينة التى تؤججها الصهيونية ومن يؤازرها في أمريكا وأوروبا ممن ترهبهم وحدة المسلمين.

وفي ظلمات هذه الغواشى الحالكة نعرف أنه لا يأس من روح الله، إذ لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.. ومع إحكام الخطة ووضوح الغاية واتزان الخطوات وإخلاص السرائر نصل بفضل الله وتوفيقه إلى الغاية المأمولة في مدى قريب.. ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

التبادل الثقافي وروح الزمالة الفكرية في الإسلام

للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومي

١

ارتبط ظهور الحركات الفكرية العربية الإسلامية وتطورها بتاريخ دولة الخلافة التى أقامها العرب بعد الفتح الإسلامي، فقد شيدوا امبراطورية واسعة، مترامية الأطراف، امتدت من الهند شرقا وحتى البيرينية غربا، ووحدت -ولأول مرة بعد الإسكندر المقدوني- الشرق والغرب، العالم المتوسطي الهيليستي والعالم الهندى الإيراني، وفى دولة الخلافة هذه بلغت الحياة الاقتصادية مستوى رفيعا نسبيا، فازدهرت الصناعات والحرف، واتسع نطاق التجارة، وواكب الازدهار الاقتصادي والاجتماعي تقدما ملحوظا للعلوم والآداب والفنون، وللحياة العقلية عامة، ارتكز على التفاعل الحضارى والثقافي بين مختلف الشعوب المنضوية تحت لواء دولة الخلافة.

وقد غدت اللغة العربية، التي حلت محل اللغات الأدبية الأخرى -السريانية- الآرامية والفارسية في سوريا وإيران، واليونانية في سوريا ومصر، واللاتينية في أسبانيا-، أداة فعالة في التفاعل والتكامل الثقافي بين العرب والفرس والأتراك والبربر وغيرهم من شعوب دولة الخلافة، فمع دخول هذه الشعوب في الإسلام صارت العربية تتحول، تدريجيا، إلى لغة العلم والثقافة، وغدت وسيلة التخاطب والتفاهم بين الأوساط المثقفة، من أبناء مختلف الشعوب والطوائف والملل والنحل.

واكتسبت حركة الترجمة طابعا منظما في مطلع القرن التاسع، وذلك بعد مبادرة الخليفة العباسي المأمون (٨١٣- ٨٣٣) بإنشاء «بيت الحكمة» في بغداد، على غرار الأكاديمية القديمة التى كانت قائمة في جنديسابور، وفي بيت الحكمة هذا لمعت طائفة من المترجمين، بينهم سهل بن هارون، وحنين بن سحق، وابنه إسحق بن حنين، وحبيش بن الحسن، وثابت بن قرة، وعيسى بن يحيى.

وقد أسهم علماء العالم الإسلامي، الذين ارتكزوا على إنجازات من سبقهم، بقسط وافر في إغناء العلوم الطبيعية والدقيقة، فأحرزوا نجاحات كبيرة في الطب، حيث خلد التاريخ أسماء: أبي بكر محمد بن زكريا الرازي (ت: ٩٣٥) صاحب «الحاوى» في الطب، وأبي علي بن سينا (٩٨٠- ١٠٣٧) صاحب «القانون»، وأبي القاسم الزهراوى (ت: ١٠١٣) الذى برز في الجراحة، وعلي ابن عيسى الكحال (القرن الحادى عشر) الذى لعله أول من أدخل التخدير في جراحة العين، وابن النفيس (القرن الثالث عشر) الذى اكتشف الدورة الدموية (الصغرى)، وقام علماء الرياضة والفلك المسلمون بتعميق وتدقيق أفكار أسلافهم من اليونانيين والهنود، وفي بغداد في القرن الحادى عشر لمع النجم والفلكي أبي معشر البلخي (ت: ٨٨٦) ومحمد بن موسى الخوارزمي (توفي في أواسط القرن التاسع)، وقد وضع الخوارزمي جملة من الأعمال في الجبر والحساب والجغرافيا الرياضية، وبفضل كتابه: «الجبر والمقابلة» شاع مصطلع «الجبر» المعاصر، ومن اسمه باللاتينية اشتق لفظ «اللوغاريتم»، وباسم الرياضي والفلكي أبي عبدالله محمد البتاني (ت: ٩٢٩) يربط وضع نظرية التوابع (الدوال) المثلثية، واستحق جابر بن حيان (أواخر القرن الثامن) لقب «أبي الكيمياء»، واشتهر ابن الهيثم (٩٦٥- ١٠٣٩) بكشوفه البصرية، ومن النماذج الفذة للعلماء الموسوعين، الذين لم يكونوا نادرين في المشرق الإسلامي، كان أبوالريحان البيروني (٩٧٣- ١٠٤٨)، الذى برز في علوم الفلك والرياضيات والفيزياء والمعادن والتاريخ والجغرافيا والأثنوغرافيا.

وقد تميز إبداع العلماء المسلمين بالبحث عن التطبيقات العملية لهذه وغيرها من الإنشاءات النظرية، وبالالتفاف نحو التجربة والملاحظة وما يتصل بذلك من الاستخدام الواسع لمختلف المعدات والأجهزة (واختراعها، بطبيعة الحال)، وبالاهتمام بالطرق الكمية في الاستقصاء، وخاصة في ميادين الفيزياء والكيمياء والفلك والجغرافيا.

وكان لتطور التفكير العلمي دوره في التغيير الجذرى للتوجهات القيمية، وفي توسع الآفاق والمتطلبات العقلية عند المسلمين، الذين لم يكن لهم -بالطبع- ألا يتجاوزوا إطار القناعات، التي توافق مستوى التطور الثقافي لسكان الجزيرة العربية في القرن السابع، وكانت هذه الأمور، ومعها تكونت العلوم اليونانية التي تمثلها المسلمون تتسم، هي نفسها، بطابع تجميعي إلى حد كبير، وراء الاهتمام الواسع والعميق بالفلسفة اليونانية.

وقد تعرف المسلمون على المدارس الأساسية في الفلسفة اليونانية القديمة،

وإن كان أرسطو محط اهتمامهم الأول، وإلى أواخر القرن التاسع كانت قد نقلت إلى العربية الأعمال الأرسطية الرئيسية، إما مباشرة من اليونانية أو بتوسط السريانية (مع ملاحظة أن أغلبية الترجمات السريانية قد تمت بعد الفتح الإسلامي، وفي القرن التالي، العاشر، أعيدت ترجمة بعض مؤلفات أرسطو، وذلك بهدف تدقيق معناها وإصلاح أسلوبها وتهذيب مصطلحاتها، وكان بين هذه المؤلفات ما ترجم أربع مرات «تفنيد الحجج للسوفسطائية»، مثلا.

وبهدف التفهم الأعمق لفلسفة أرسطو كانت تستخدم أعمال شراحه المتأخرين: فورفيريوس، وثامسطيوس، ويوحنا فيليبونوس، وسمبلقيوس، وأوليمبيودورس شراح مدرسة الإسكندرية.

ونقلت إلى العربية بعض حوارات أفلاطون، بينها «النواميس» و«السوفسطائي» و«طيماوس»، ولكن معلم أرسطو هذا كان أقل نفوذا ورواجا من تلميذه عند العرب، فقد كانت أعماله، بمسوحها الميثولوجية وبعدها عن الدقة العلمية في تفسير الأمور الطبيعية (كما في «طيماوس»، مثلا)، لا تصمد للمنافسة مع مؤلفات أرسطو، التي تستند إلى المنهجية الدقيقة والوقائع الثابتة، والتي تشكل نسقا متكاملا من المعارف.

ولعبت دورا كبيرا في قيام الفكر العربي الإسلامي بترجمة الأعمال التي تعود إلى المدرستين الإسكندرانية والأثينية في الأفلاطونية المحدثة، فقد تعرف العالم الإسلامي على آراء أفلوطين المصري من خلال ما يسمى بـ«باثولوجيا أرسطوطاليس»، التي هي، في الحقيقة، تلخيص لبعض «تساعيات» أفلوطين (الثلاث الأخيرة منها - الرابعة والخامسة والسادسة)، كما نقلت إلى العربية مقتطفات أخرى من تلك التساعيات، ولكن إذا كان البعض منها قد نسب إلى «الشيخ اليوناني»، أي أفلوطين، فإن بعضها الآخر قد نسب إلى الفارابي، ومن أعمال برقليس وصلنا «كتاب الخير المحض» الذي هو مقتطفات من مؤلفه «أصول الإلهيات»، وتسع من أصل الثماني عشرة حجة لصالح القول بقدم العالم والتي وردت في كتاب برقليس «في قدم العالم»، و«مقالة في إثبات الصور الروحانية المنسوبة إلى الإسكندر الأفروديسي»، والتي هي في الحقيقة جزء من «أصول الإلهيات»، وفصول أخرى من هذا الكتاب أيضا.

كما ترجمت إلى العربية أعمال الإسكندر الأفروديسي وثامسطيوس وأوليمبيودورس ويوحنا فيليبونوس ونقولا الدمشقي.

وكان المحافظون من رجال الدين ينظرون بارتياب إلى العلوم الفلسفية اليونانية، «علوم الأوائل»، التي عرفت أيضا بـ«العلوم الدخيلة»، ولكن هذه العلوم لم تكن دخيلة تماما على الثقافة العربية الإسلامية، ولا شيئا غريبا عنها، فبين الورثة الأحياء لهذه التقاليد كان النساطرة السريان والصابئة والأقباط، الذين كان المسلمون على صلة وطيدة ومثمرة بهم: وبدءا من القرن التاسع صار بالإمكان تتبع تأثير الفلسفة اليونانية حتى في المؤلفات الخاصة بالنحو والشعر و«الأدب»، وراحت الحكايات والنكات عن حياة حكماء اليونان ومذاهبهم تلاقي الرواج الواسع حتى خارج الفئات العليا من الأوساط المثقفة.

فمن المتعذر فهم هذه الظاهرة إلا بوضعها في إطارها التاريخي والاجتماعي -الثقافي، الذي كانت من أهم سماته المميزة:

- الازدهار الكبير للمدن وللحياة المدنية (بحيث كانت نسبة السكان، الذين يقطنون مدنا يزيد عدد سكانها على المئة ألف في القرون ٨- ١٠ أعلى منها في أكثر بلدان أوروبا الغربية تطورا في القرن ١٩)، بنزعتها الدنيوية والعملية التي حفظ لنا الجاحظ (القرن ٩)، في «كتاب البخلاء» مشاهد بالغة الدلالة منها[1].

- الانتشار الواسع للتعلم، وتطور العلم والثقافة، والتقدير الكبير للعلم وأهله، والحب العميق للكلمة المكتوبة ففي قرطبة وحدها، كما يقدر الإحصائيون، كان هناك من الكتب أكثر مما في كل أوروبا المسيحية المعاصرة لها، وقد كان هذا كله وراء ظهور نموذج «الأديب» («والأدب») هو النظام العربي لـ Paide'ia اليونانية واللاتينية Humanitas الذي يأخذ من كل علم بطرف، والذي يجمع بين سعة الاطلاع وأناقة السلوك وما ينسب إلى ابن قتيبة من نقد الشعر هو كما ذهب المحققون ينتسب إلى أرسطو وهذا لايقدم في أصالة المدارس النقدية في الأدب العربي.

- كان الاغتناء المتبادل والتعايش بين جملة من الملل المتباينة، مما يعود على التساهل الديني والتسامح المذهبي، ويخفف من غلواء العصبية الطائفية.

- رواج مختلف أشكال الفكر المتحرر، بدءا من الرسائل التي تدور حول فكرة الزندقة، التي لقيت انتشارا واسعا في أوساط «الظرفاء».

ومن العوامل التي ساهمت في تهيئة التربة لتربية الناس بروح النزعة الشمولية الكلية، ولتذليل الانغلاق والعصبية الطائفية، بما في ذلك الحذر والعداء للعلوم المذكورة («العلوم الدخيلة»)، ذات الأصل الوثني، ناهيك عن تلقيها على أيدي

(1) الفلسفة العربية الإسلامية للدكتور/ آرثور سعديف ودكتور/ توفيق سلوم. تاريخ الفلسفة الإسلامية في الشرق الدكتور محمد إبراهيم الفيومي.

المسيحيين، كانت الوجهة للنزعة الإنسانية العامة، التى تشكلت فى العالم الإسلامى، فهنا، كما فى العالم الهلينيستى، جاء توطيد الصلات الاقتصادية، والتجارية والثقافية ليسرع فى تبلور فكرة وحدة البشرية، وجاءت اللغة العربية لتهدم الحاجز الذى كان يفصل - على الصعيد الثقافى - بين «العربى» و«العجمى»، وذلك على غرار مافعلته اللغة الهيلينستية من تذليل الفوارق بين «اليونانى» (الهيلينى) و«البربرى»[٢].

فاليعقوبى يحيى بن عدى الذى كان على رأس المدرسة الأرسطية (المشائية) ببغداد، تتلمذ على المسلم أبى النصر الفارابى، الذى تتلمذ، بدوره على النسطورى يوحنا بن حيلان، وكان هؤلاء المفكرون، ومعهم الفيلسوفان اليهوديان وهب بن يعيش وأبوالخير داود بن مزاج، يرتبطون فيما بينهم بعرى من القرابة الروحية، أوثق بكثير منها بينهم وبين عامة الناس من أبناء طوائفهم، وتبين لوحات الحياة العقلية فى بغداد القرن العاشر، التى رسمها الأديب والفيلسوف أبوحيان التوحيدى كيف كان المسلمون والنصارى واليهود وأبناء الملل الأخرى من كافة أرجاء العالم الإسلامى يلتقون فى مجالسهم «مجالس العلماء» التى كان يسود فيها ما تمليه الفلسفة من قيم وأهداف، تعلو على الفوارق القومية والدينية، وينعكس جوهرها الإنسانى فى عبارة التوحيدى الشهيرة - «أشكل الإنسان على الإنسان».

ومن العوامل، التى ذللت العوائق التى تعترض طريق التطور الحر للفكر الفلسفى، كانت خصوصية الحياة الدينية فى العالم الإسلامى بالمقارنة مع أوروبا المسيحية فى العصر الوسيط، فلم يعترف الإسلام بأى وسطاء بين الإله والمؤمنين، ولايحق لأحد فى احتكار تأويل القرآن والسنة، ولم تقم فى الإسلام مؤسسة، شبيهة بـ «الكنيسة»، ولا مراتبية اكليركية ومجامع كنسية، تتولى حسم الخلافات فى العقائد الدينية، وتفرض على الجماعة حلا واحدا ووحيدا لا تحيد عنه قيد أنملة، وترى لنفسها الحق فى تحريم هذا أو ذاك من المذاهب، وحرمان أصحابه من عضوية جماعة المؤمنين، الخ، بعبارة موجزة: لم تكن فى الإسلام أرثوذكسية (وإن كان هذا لم يكن ليمنع، بالطبع، أن تدعى كل مدرسة أو فرقة - كما هو الحال فى المسيحية- بأن مذهبها هو المذهب «الصحيح» الوحيد).

«يتبع»

(٢) تاريخ الفلسفة الإسلامية فى المشرق.

التأصيل الإسلامى للعلم الطبى البيئى

للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا

حققت الحضارة الإسلامية انتشاراً ودواماً متلازمين لم تحققهما أى حضارة عبر التاريخ، وكانت مصدر الإشعاع الوحيد الذى غمر بنوره كل أنحاء الدنيا فى العصور الوسطى، ولاتزال آثارها ومؤلفات علمائها خير شاهد على دورهم الريادى فى مسيرة التقدم العلمى والتقنى.

وفى مجال الطب والصيدلة كان لهؤلاء العلماء القدح المعلى، سواء فى فن الترجمة والتأليف، أو فى اتباع المنهج العلمى السليم، أوفى السبق إلى العديد من الاكتشافات التى قامت عليهاالعلوم الطبية والصيدلية الحديثة، ولايزال العالم ينعم بثمارها وفوائدها حتى اليوم.

وفى مجال الطب البيئى سبق الدين الإسلامى الحنيف إلى وضع تشريعات محكمة لرعاية البيئة وحمايتها من كل صور التلوث والفساد، ورسم المنهج الإسلامى حدود هذه التشريعات على أساس الالتزام بمبدأين أساسين يحددان مسئولية الإنسان حيال البيئة التى يعيش فيها.

أما المبدأ الأول فهو «درء المفاسد» حتى لا تفع بالبلاد والعباد وتسبب الأذى للفرد والمجتمع والبيئة، حيث لا ضرر ولا ضرار.

وأما المبدأ الثانى فهو «جلب المصالح» وبذل كل الجهود التى من شأنها أن تحقق الخير والمنفعة للجماعة البشرية.

ولقد أقام الإسلام بناءه كله على الوسطية والتوازن والاعتدال والقصد، وحثت التعاليم الإسلامية على حماية البيئة والاهتمام بالنظافة العامة، واعتبرت التلوث بكل أشكاله نجاسة كريهة يجب على المسلمين التطهر منها.. وقد ورد لفظ «طهر» ومشتقاته فى القرآن الكريم أكثر من ثلاثين مرة لإيجاب طهارة البدن والنفس المؤمنة والبيئة الإنسانية فى الظاهر والباطن. ويعول على الإنسان دائما باعتباره من أهم عوامل الخلل والاضطراب فى منظومة التوازن البيئى المحكم الذى وهبه الله - سبحانه وتعالى - للحياة والأحياء على الأرض. قال - تعالى -:

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[1].

وتنسب إلى علماء المسلمين وأطبائهم فضل السبق إلى الاهتمام بالمشكلات البيئية وتأسيس ما يعرف اليوم «بعلم الطب البيئي» Environmental Medicine فقد علموا بحكم تخصصهم كأطباء أثر البيئة على الصحة وعرفوا بحكم عقيدتهم الإسلامية أهمية الطب باعتباره علما نافعا يهدف إلى صحة العقل والنفس والبدن التي تعين على توفير كافة المقاصد الرئيسية الخمسة للشريعة الإسلامية كما يراها الفقهاء، وهي بترتيب أهميتها: الدين والنفس والعقل والنسل والمال. فقد جاء في كتاب «بستان الأطباء وروضة الألباء» لابن المطران الدمشقي ما يؤكد ضرورة مراعاة تأثير البيئة عند تشخيص المرض، فقال: «ينبغي للطبيب إذا قدم على مداواة قوم في بلد، أن ينظر في وضع المدينة، ومزاج «طبيعة» الهواء المحيط بها، والمياه الجارية فيها، والتدبير الخاص الذي يستعمله قوم دون قوم، فإن هذه هي الأصول ثم بعدها النظر في سائر الشرائط» وهذه رؤية متقدمة في علم الطب البيئي الذي أصبح من أهم العلوم الطبية المعاصرة.

وفي كتابه «دفع مضار الأبدان بأرض مصر» يتحدث الطبيب المصري ابن رضوان عن الأمراض الوافدة (أي المعدية) ويعزيها إلى أربعة أسباب هي: «تغير كيفية الهواء والماء والغذاء والأحداث النفسانية»، ثم ينصح بضرورة أن «تكون المساكن فسيحة لينحل منها من البخار (أي الرطوبة) مقدار وافر، ويكون لها مخاريق (طيقان وشبابيك وأبواب) ينحل منها البخار، ويدخل منها شعاع الشمس، وينبغي أن تكون مرخمة، أو مبلطة، أو معمولة بالجص والجبس ويتعاهد تنظيفها، وتفرش في الأوقات الحارة بالحصر الباردة» ويحذر ابن رضوان من خطورة التلوث الهوائي والمائي على الصحة قائلا: «الهواء يتغير معه الأشياء التي يحيط بها، وأن الماء إذا تغير وإن كان كثيرا كماء النيل، غير الهواء. وكذلك أنفاس الناس تغير الهواء إذا كثر فيهم المرض.. من أجل هذا ينبغي أن تصرف العناية في كل مرض وافد إلى إصلاح الهواء» وذكر في مقدمة كتابه أسباب تأليفه قائلا: «قد كان أحمد بن إبراهيم الجزار الطبيب المغربي، وضع في ذلك مقاله لم يستقص فيها ذكر الأسباب البلدية (أي المحلية) وما يحدث عنها، وما يدفع به ضررها، فعرض له النقصان في ذلك، لأنه من أهل المغرب ولم يعاين مصر معاينة اختبار، وإنما سمع بها فذكر ما سمع به فكتابنا هذا (دفع مضار الأبدان)

[1] الروم (٤١).

يزيد على كتابه (نعت الأسباب المولدة للوباء في مصر، وطريق الحيلة في دفع ذلك، وعلاج ما يتخوف) منه. ومن أحب الإنصاف وآثر العدل فسيقف على صدق هذا القول، إذا جمع بين الكتابين.. وإذا كان كتابنا بهذا الحال، فحاجة الخاص والعام، من ساكني مصر وما يليها، ومن يصير إليها من الغرباء، ضرورية في صحة أبدانهم.. وأشدهم إليه اضطرارا الأطباء.. إذ كان لا يوقف على ما يحتاج إليه في المداواة دون الوقوف على مزاج (طبيعة) البلد، وما يحدث فيه خاصة.

ويدلنا هذا القول على ما يتمتع به ابن رضوان من حاسة نقدية ورؤية منهجية في تناول الموضوع بأسلوب علمي يعتمد على المشاهدة والتجريب، كما تدلنا عبارته «وأشدهم إليه اضطرارًا الأطباء» على إدراكه الوعي لأصول صنعته الطبية وما تستلزمه من ضرورة مراعاة تأثير البيئة عن تشخيص المرض قبل النظر في سائر الشرائط، على حد قول ابن مطران الدمشقي كما أسلفنا فقد ذكر ابن رضوان في حفظ الصحة خمسة وعشرين شيئا مما يحتاج أن يحصيه الطبيب ويحفظه ويعرفه في مداواة كل مرض، بعد جزئيات آخر وهذه الأمور هي:

مزاج البلد- الأمراض البلدية (المحلية)- الوقت الحاضر- مزاج (حالة) ذلك الوقت- المرض الوافد (المعدى)- المرض الموجود في البدن، وفي أي عضو هو- سبب المرض- مقدار قوة المرض- قوة الأعراض- قوة العليل- مزاج العليل- سن العليل- مزاج العضو الذي فيه المرض، وفعله، وشكله، ووضعه- سحنة العليل- طبيعة (نوع) العليل من الذكور والإناث- عادته في أيام الصحة والمرض- طبيعة الأغذية والأدوية- عادته منها في أيام صحته، ومرضه- ما ينبغي للطبيب أن يختار منها في أوقات الصحة، وفي أوقات المرض- كيف ينبغي أن يكون العلاج- أي وقت موافق للعلاج- أي عضو موافق في إيراد العلاج- أن يكون المريض ومن يحضره على وفاق مع الطبيب- أن يكون ما يعرض من خارج موافقا.

ويضيف ابن رضوان بعد ذلك قائلا: «فهذه هي التي يقتدى بها الطبيب على معونة الطبيعة، والقيام بخدمتها في حفظ الصحة، ومداواة المرضى، والوقوف عليها، والعمل بها، ليس تسهيل الإحاطة بها صعبة عسرة، تحتاج إلى تعب كثير، وعناء، ودربة طويلة في طلبها، والرياضة فيها (أي إجادتها وإتقانها)، وترك التشاغل عنها، والإهمال لشيء منها، كبيرها وصغيرها، دقيقها وجليلها، فإني أنا إلى اليوم، لا أعرف من تقدم بهذه الضمانات من الأطباء، ولا أعرف في هذه

المدينة العظيمة من يقوم بمعرفة مزاج أهل مصر، فضلا عن غيره. وهذا أمر لا تمكن المداواة بدونه، وحسبك بابن الجزار على تقدمه فى هذه الصناعة، وضع فى أرض مصر كتابا مفردا، لم يبين فيه مزاجها، ولا يشرح حالها، وعرض له مع ذلك سهوه فى مواضع كثيرة من كلامه! وإذا كانت هذه الأشياء على ما وصفنا من الصعوبة، فليس يتهيأ للإنسان إدراكها إلا بعد السهر الطويل، فى قراءة كتب الأوائل، والتفكر فى معانيها، ومعاناة ذلك بالنفس والبدن، ليلا ونهارا، بقدر استطاعة الإنسان».

وقد حظى هذا المؤلف التراثى الأصيل لابن رضوان باهتمام الأطباء فى عصره واهتمام من جاءوا بعده، كما حظى باهتمام الباحثين مؤخرا بعد أن ترجمه «ميشيل دولز» M.W.Dols إلى الإنجليزية ونشره سنة ١٩٨٤م.

ويزخر التراث الإسلامى بمؤلفات عديدة حول الطب البيئى من جوانب مختلفة. فعلى سبيل المثال، ألف الكندى «رسالة فى الأبخرة المصلحة للجو من الأوباء» و«رسالة فى الأدوية المشفية من الروائح المؤذية»، ووضع ابن المبرد كتابا أسماه «فنون المنون فى الوباء والطاعون»، وتكلم ابن سينا بالتفصيل فى كتابه «القانون» عن تلوث المياه بشكل عام وكيفية معالجة هذا التلوث لتصبح المياه صالحة للاستعمال، كما أنه وضع شروطا تتعلق بطبيعة الماء والهواء المؤثرين فى المكان عند اختيار موقع ما للسكنى.

أما الرازى فقد نشد سلامة البيئة عندما استشاره عضد الدولة فى اختيار موقع لمستشفى ببغداد، فاختار الناحية التى لم يفسد فيها اللحم بسرعة، وكانت المستشفيات بصورة عامة تتمتع بموقع تتوافر فيه كل شروط الصحة والجمال، فعندما أراد السلطان صلاح الدين أن ينشىء مستشفى فى القاهرة اختار له أحد قصوره الفخمة البعيدة عن الضوضاء وحوله إلى مستشفى ضخم كبير هو المستشفى الناصرى.

وألف الرازى «رسالة فى تأثير فصل الربيع وتغير الهواء تبعا لذلك»، كما أنه أول من كشف عن مرض «الحساسية» حين كتب فى الحالة التى تصيب إبراهيم البلخى عندما يشم الورد. وتحدث أبو مروان الأندلسى فى كتابه «التيسير فى المداواة والتدبير» عن فساد الهواء الذى يهب من المستنقعات والبرك ذات الماء الراكد وكتب ابن قيم الجوزية فى كتابه «الطب النبوى» فصلا عن الأوبئة التى تنتشر بسبب التلوث الهوائى، والاحتراز منها. وصنف محمد بن أحمد التميمى فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى)

كتابا كاملاً عن التلوث البيئى وأسبابه وآثاره وطرق مكافحته والوقاية منه، وفصل الحديث فيه عن ثلاثية الهواء والماء والتربة، وتبادل التلوث بين عناصرها، وجعل عنوانه «مادة البقاء فى إصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوباء»، وأوضح فى مقدمته الغرض من تأليفه بقوله: «... وكان الباعث لى على تأليف هذا الكتاب والعناية بهذا الأمر، أنى نظرت حال علماء الأطباء الساكنين بالأمصار الفاسدة والأهوية والبلدان المشهورة بالأوبئة الكثيرة الأمراض، التى يحدث بها عن انقلابات فصول السنة الأمراض القاتلة والطوعية المهلكة لأجل فساد أهويتها بمجاورة الأنهار الكثيرة المدود، والمدائن التى تحدق بها الغدران، ومناقع المياه الآجنة والمشارب الكدرة، التى تتصاعد أبخرتها إلى الجو فتفسده وتغلظه.. كأرض مصر ودمشق، والمدن التى تلى سواحل البحار ويعظم بها من مدود الأنهار، مثل بغداد والبصرة والأهواز وفارس وسواحل بحر الهند، كعمان وسيراف وعدن، وما جرى مجرى هذه الأمصار العظام التى تجاور البحار، وتخترقها الأنهار، وتحدق بها مناقع المياه الراكدة والجارية، وبخاصة ما كان منها منكشفا لمهب ريح الجنوب، مكتنفلا بالجبال وبأقوار الرمال عن مهب ريح الشمال، فكان الأولى بالذين يتولون منهم علاج ملوكها، وخاصة رؤسائها، وعامة أهلها، أن تكون عنايتهم بمداواة الهواء الفاسد، والحدث لوقوع الأوبئة بها، الجالب الطواعين على سكانها، وأولى وأوجب من عنايتهم بمداواة ما يتحصل بذلك من الأمراض المخوفة فى أجساد أهلها، وأن يصرفوا هممهم إلى ذلك ويفرغوا له نفوسهم..».

واتبع أطباء المسلمين منهجا علميا فى العلاج بصفة عامة يعتمد على أثر التغذية فى الإسقام والإبراء فيقول الرازى: «مهما قدرت أن تعالج بالتغذية فلا تعالج بالأدوية، ومهما قدرت أن تعالج بدواء مفرد فلا تعالج بدواء مركب» بل إنه كان كثيرا ما يفضل أن تكون الأدوية من جنس الأغذية اعتقادا بأن الأمة أو الطائفة التى غالب أغذيتها من الأطعمة البسيطة المفردة تكون أمراضها قليلة ويعتمد طلبها على المفردات فأهل المدن الذين غلبت عليهم الأغذية المركبة يحتاجون إلى الأدوية المركبة لأن أمراضهم فى الغالب مركبة، بينما تكفى الأدوية المفردة لعلاج أهل الصحارى والبوادى لأن أمراضهم مفردة.

ويضيف داود الأنطاكى إلى طرق العلاج أمرين مهمين هما: الزمان الذى يقطع فيه العشب، والبيئة التى ينمو بها، وذلك استنادا إلى قول أبقراط: «عالجوا كل مريض بعقاقير أرضه فإنه أجلب لصحته».

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

القول والعمل

عن بعض السلف أنه قيل له: حدثنا، فسكت. ثم قيل له: حدثنا، فقال: أتأمرونني أن أقول ما لا أفعل فأستعجل مقت الله.

وفي التنزيل المجيد:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾(١)

وفيه:

﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾(٢)

وفيه:

﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾(٣)

حقا

قال رجل حكيم: اعلم أن أصعب الأشياء أن ينال المرء ما لا يشتهيه، فأجابه الحكيم: واعلم أنت أن أصعب من ذلك أن يشتهي المرء مالا يناله.

يا يزيد بن مزيد

بينما كان يزيد بن مزيد آخذا في طريقه يوماً إذ سمع صائحا يقول: يا يزيد بن مزيد. فطلبه يزيد فجيء به إليه وتمثل بين يديه، فقال له: ما حملك يا هذا على الصياح بي والمناداة باسمي؟ قال: فقدت دابتي، ونفدت نفقتي، وسمعت قول الشاعر:

إذا قيل من للجود والمجد والندا
فنادى بصوت يا يزيد بن مزيد

فأعجب يزيد بسرعة خاطره، وحسن استحضاره وأمر له بفرس أبلق كان معجباً به.

(١) الصف ٢، ٣.
(٢) البقرة ٤٤.
(٣) هود ٨٨.

لا تقبل النميمة

قال أبو الأسود الدؤلي:

لا تقبلن نميمة بلغتها
وتحفظن من الذي أنباكها
إن الذي أهدى إليك نميمة
سينم عنك بمثلها قد حاكها

غناء جارية

شهد رجل عند ابن شبرمة، فرد شهادته، وقال: بلغني أن جارية غنت، فقلت لها: أحسنت، فقال: قلت ذلك حين ابتدأت أو حين سكتت؟ فقال: حين سكتت، قال: إنما استحسنت سكوتها أيها القاضي.

مالك يا أبا سعيد؟

روى أن الحسن البصري -رحمه الله تعالى- أعطى شربة ماء بارد فأخذ القدح، فغشي وسقط من يده، فلما أفاق قيل له: مالك يا أبا سعيد؟ قال: ذكرت أمنية أهل النار حين يقولون لأهل الجنة:

﴿أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾(٤)

من نوادر الأعراب

مر أعرابي بمرآة ملقاة في مكان جمع القمامة فنظر وجهه فيها، فإذا هو سمج بغيض فرمى بها، وقال: ما طرحك أهلك من خير.

وكيف لا يقل كلامي

سأل العتابي رجلا حاجة فأقلل في كلامه فقال له الرجل: تكلم أليس لك قدرة على ذلك؟

فأجابه العتابي: وكيف لا يقل كلامي ومعي حيرة الطلب وذل المسألة وخوف الرد.

دعاء

اللهم اجعلنا ممن سمع فوعى، وعلم فعمل، وأزل يارب قساوة قلوبنا، وأنزل علينا سكينة من عندك حتى نطمئن لوعدك، ولا نفرط في عهدك.

(٤) الأعراف ٥٠.

مواقف إسلامية

مواقف .. ولا أبا حسن لها

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

قد تأخذنا العزة بالإثم يوما .. حين ينزغنا من الشيطان نزغ .. فينفلت العيار منا بكلمة نابية ..

وعندئذ تتباعد وجهات النظر .. ويتفاقم الخلاف حول مسألة ما .. إلى الحد الذى يكاد الشيطان ليكسب الجولة .. بما يثيره من أسباب الاختلاف هذا الاختلاف الذى قد يكون بين الحاكم والمحكوم .. أو بين التلميذ والشيخ ولكن قيم العفو .. والأريحية .. ويقظة الرواد .. إذ بها تطل على الموقف فإذا القلوب عائدة إلى الود القديم .. والذى كان خصاما .. صار ودا ووئاما والذى كان انفصاما .. صار أعمالا جساما.

وحول هذه المعانى يدور هذان الموقفان:

كان «لسعيد بن عمرو البرذعى» دروسه الحافلة بطالبى العلم .. الذين يفدون إليه من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم: منافع نظرية .. من بحر علمه، ثم منافع عملية من سلوكه المستقيم وذات يوم حدث الذى لم يكن يتوقعه أحد!

فلقد قرر الشيخ أن يغلق عليه بابه ويعتزل الناس بما فيهم تلاميذه ولقد كان الشيخ الجليل مقتنعا بسلامة قراره بعد ما رأى من تغير أحوال الناس الذين أفسدهم الزمان.

وكأنما أراد أن يحفظ كرامته بهذه العزلة إلى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا.

وإذا كان الأستاذ منطقيا مع نفسه بهذا القرار فقد كان لطالبى علمه تقديرا آخر لقد فكروا

وفكروا .. واستعادوا ذكرياتهم معه بحثا عما يمكن أن يكون قد بدر من أحدهم .. فأغضب الشيخ .. فلم يجدوا .. لم يجدوا إلا أن الأمور كانت على ما يرام. فقد كان للشيخ منهم التقدير وكان لهم منه: التواضع.

إن الشيخ كان يطلع عليهم كالشمس .. وهم منه كهذا القمر الذى يستمد نوره منها ومن ثم فقد حفظوا له نعمة إمدادهم بالنور ..

وعلى أى حال .. فقد قرر التلاميذ اختيار أحدهم لينوب عنهم فى رجائه أن يعود إليهم.

وكان هذا الرسول «محمد بن مسلم الرازى» الذى كان لديه من الحكمة ما رشحه لهذا الاختيار.

حوار الأوفياء

وبدأ التلميذ .. فألح فى الرجاء أن يقطع الشيخ عزلته ويعود إلى طلاب علمه المشتاقين إليه. لكنه قال بلهجة حاسمة: لا أفعل.

قال التلميذ: بحقى عليك إلا حدثتهم.

قال الشيخ: وأى حق لك علىّ؟

قال طالب العلم: أخذت يوما بركابك (سرت إلى جانب ركابك ماشيا).

فقال الشيخ: قضيت حقا لله عليك. وليس لك علىّ حق.

قال التلميذ: إن قوما اغتابوك فرددت عنك.

قال الشيخ: وهذا أيضا حق جماعة المسلمين عليك.

فقال التلميذ: فإنى عبرت بك يوما فى ضيعتك فتعلقت بى إلى طعامك فأدخلت على قلبك سرورا.

فقال الشيخ: أما هذه .. فنعم!!

ثم عاد الشيخ إلى تلاميذه وأحبائه .. كأن شيئا لم يكن!

من شيم الكبار

لم يكن احتجاب الشيخ نفورا كما وأنه لم يكن غرورا..

فالشيخ يعلم أنه .. وإن كان شمسا .. فإنه بالغرور يعرض نفسه للأقوال، لأن الشمس وهى أكبر يمكن أن يحجب ضوءها القمر، ولكنها عزة العالم الذى يحتفظ بدرره حتى يلاقى من يقدرها قدرها.

حق الشيخ .. وواجب التلميذ

ومن حق الأستاذ أن يغضب إذا أحس ظلما أو هضما لحقه من تلاميذ يأكلون خيره .. ثم يشكرون غيره!

ولكنه بالعلم لم يعد ملكا لنفسه .. وإنما صار به ثروة قومية .. من حق الناس أن يستمتعوا بها. ومن ثم فقد فزع الرفاق .. وكلفوا أمثلهم طريقة لينوب عنهم فى إقناع الشيخ بالعود الحميد إلى مجلسه العلمى الرشيد. وهذا هو الذى حدث بالفعل!

فكيف تم ذلك؟

ذكاء السفير

لقد كان سفير الطلاب ذكيا عندما اختار الحوار سبيلا إلى إقناع الشيخ، هذا الحوار المدعوم بالخبرة والحنكة التى انتهت بتحقيق آمال مريديه فيه.. وعلى أى حال فقد كان الموقف غصناً فى دوحة السلف الصالح.. الذين استخدموا ذكاءهم.. وتجربتهم.. فحققوا بهما.. ما كان يبدو مستحيلا، صادرين عن هديه ﷺ، فقد كان له ﷺ فى عرفة موقف لم يجرؤ فيه واحد من الصحابة على سؤاله: عما إذا كان صائما أم مفطرا؟

فذهبوا إلى أم سلمة - رضى الله عنها - يسألونها.

ولقد استعانت بخبرتها وذكائها.. وبهما معا كشفت الستار عما يسألون. فقد كانت على يقين من أنه ﷺ لا يرد ثلاثة:

اللبن.. والريحان.. والوسادة..

فلما جاءته ﷺ بقدح من اللبن.. شرب.. فتأكد للصحابة أنه لم يكن صائما!!

وهكذا فعل التلميذ الرازى:

فقد تقدم إلى الشيخ الوقور.. كأنه شعاع الفجر يتسلل رويدا.. رويدا فذكره بحق التلميذ على أستاذه..

وكانت مفاجأة أنكرها الشيخ من حيث اعتقادة أنه لا حق للتلميذ على أستاذه.. يفرض عليه أن يتراجع عن قرار يتخذه بمحض اختياره.. لكن التلميذ الوفى لم ييأس.. فواصل الحوار مذكرا إياه بأنه مشى فى ركابه يوما.. خادما له..

فما بين له الشيخ أن ذلك حق المجتمع الذى أمده بأستاذه.. انتقل إلى الثانية..

وكان من ذكاء التلميذ أنه يترقى فى مشفاعته: من القوى.. إلى الأقوى فقال له هذه المرة:

إن قوما اغتابوك.. فرددت عنك.

وإن أعظم ما يجلب المحبة: الدفاع عن المسلم فى غيبته مهما قصد بسوء أو تعرض عرضه لكلام صريح أو بالتلميح.

فحق الأخوة: التشمير فى الحماية والنصرة

وتبكيت المتعنت وتغليظ القول عليه والسكوت عن ذلك موغر للصدر. ومنفر للقلب وتقصير فى حق الأخوة.

أو هكذا قال الإمام الغزالى.

ومع قوة السبب هذه المرة.. إلا أن الشيخ يحيل التلميذ إلى المجتمع ليوفيه حقه!

ولم يبق أمام التلميذ الوفى الذكى إلا أن يقذف بالثالثة.. حين أتاه من الجهة التى يحبها.. من جهة إنسانيته.. لما جره الشيخ إلى بيته يوما ليؤاكله.. فقبل التلميذ رجاء شيخه مدخلا السرور على قلبه فرق الشيخ.. وصار ذلك الجمل الذلول.. الذى إذا أنيخ على صخرة.. استجاب!

وعاد الشيخ إلى مجلسه العلمى.. هذا المجلس الذى لم يكن فيه أبلغ من هذا الدرس الذى يؤكد:

وفاء التلاميذ.. وعزة العلماء.. وتواضعهم أيضا: وبالوفاء.. والعزة معا.. تؤتى دروس العلماء أكلها.

لقد كان الشيخ من الراسخين فى العلم.. الذين تعرض لهم الشبهة.. وقد يستغلق عليهم الأمر..

لكنهم يعودون إلى الحق من قريب..

والفرق هائل بين راسخ فى العلم.. ودخيل عليه.. فالدخيل عليه زائغ.. يبحث عن أمله فى القمامة

وكما يقول العلماء:[1]

الزائغ المتبع لما تشابه من الدليل لا يزال فى ريب وشك إذ المتشابه لا يعطى بيانا شافيا. ولا يقف منه متبعه على حقيقة

فاتباع الهوى يلجئه إلى التمسك به والنظر فيه لا ينتهى، فهو على شك أبدا، وبذلك يفارق الراسخ فى العلم:

لأن جدال العالم إن افتقر إليه فهو فى مواقع الإشكال العارض طلبا لإزالته.

فسرعان ما يزول إذا بين له موضع النظر.

وأما ذو الزيغ، فإن هواه لا يخليه إلى طرح المتشابه.. فلا يزال فى جدال عليه.

وطلب لتأويله

ولقد دل «سعيد البردعى» برجوعه إلى الحق.. إلى مجلسه العلمى على أنه كان جديرا بهذا التقدير.. من مريدين تخلوا عن الكبر فأحسنوا إلى أنفسهم قبل أن يحسنوا إلى أستاذهم.. وكانوا جميعا قدوة حسنة..

فرضى الله - تعالى - عنهم فى الخالدين.

عزة العالم

إن اعتزاز العالم بعلمه.. جدير أن يستوعبه الطلاب ذلك بأنه كما أن قيمة العبد من قيمة سيده.. فإن قيمة الدرس العلمى تابعة لطبيعة العالم نفسه.

فإن كان عزيزاً.. عز ما يصدر عنه، وإن كان طرى العود مغموزا فى خلقه.. فسوف تكون أفكاره صورة منه: مهزوزة.. مغموزه.. وسوف تسقط فوق التراب.. ثم لا تصل إلى الألباب..

وقد أكد هارون الرشيد هذا المعنى عندما قرر:

أنه تواضع لعلم الإمام مالك.. فانتفع به.. ولكن علم «سفيان بن عيينة» لما تواضع له.. لم ينتفع به!

---

(1) حد الإسلام وحقيقة الإيمان/ ٣.

فى قصور الحكام

ومن مجالس العلماء.. إلى قصور الأمراء.. لتجد نفس المعنى، فقد تختلف وجهات النظر.. وتتعدد..

وقد يسبق اللسان إلى ما لا يرضى من القول.. ولكن الوفاء.. ولكن العفو.. وإرادة الخير المستكنة فى الصدور.. تخفف من حدة الانفعال.

وذلك كله يطل على الساحة فى لحظة الخطر.. فإذا بالمخطىء يراجع نفسه.. وإذا بالوئام.. بعد الخصام: وإذا بقيمة الإنصاف تعلن عن نفسها.. مؤكدة حقيقة: أن سلفنا الصالح: كانوا فى وفاقهم وخلافهم.. يصدرون عن قيمة الإخلاص.. ولا سلطان هناك للنفس ولا للهوى:

وإنما السلطان فقط: للحق أولا.. وللحق عاشرا.

وذلك ما يشير إليه الموقف الآتى:

وقد «محمد بن مسلمه» رحمه الله من المدينة على عمرو بن العاص فى مصر ليبلغه عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - حديثا يتعلق بسياسته فى مصر ويعتب عليه أمورا لم ترض الخليفة عمر

وبعد ليالى الضيافة.. أسمع ابن مسلمة.. عمراً رأى الخليفة فيه فعز على عمرو أن تكون لعمر هيمنة عليه؟!

فقال: قاتل الله الزمن!!:

أيأمرنى عمر بن الخطاب.. وقد كان أبوه كذا.. وكان أبى يفضل أباه؟!!

السفير.. المستنير

وقد بدت حكمة رسول الخليفة حين قال له ناصحا:

أما أبوه وأبوك.. فقد ماتا على الجاهلية كافرين فهما فى الكفر سواء.. وأما عمر: فقد فضله الله عليك بسابقة الإسلام وعندئذ تنبه عمرو إلى سقطته أو جنونه وقال:

المجالس أمانة.. يا ابن مسلمة!!

فقال ابن مسلمة:

أما وعمر حى.. فنعم..

وقد ظل ابن مسلمة وفيا أبيا.. فلم يتحدث بها إلا بعد وفاة عمر.

من دروس الموقف

كان الصحابة يختلفون.. لكنه الخلاف بالحق.. وللحق.. وليس للهوى المتقلب فيه نصيب.. وكم كان احترام الصحابى لرأى أخية عظيما.

وحتى لو استبد الانفعال بأحدهم لحظة.. فسرعان ما يكون العود الحميد إلى الوئام من جديد!:

أخرج البيهقى فى سننه الكبرى عن أنس - رضى الله عنه - قال:

إنا معشر أصحاب رسول الله ﷺ.. كنا نسافر:

فمنا الصائم.. ومنا المفطر، ومنا المتم.. ومنا المقصر، فلم يعب الصائم على المفطر..

ولا المفطر على الصائم، ولا المقصر على المتم.. ولا المتم على المقصر.

وعلى عمق الود بين أبى بكر وعمر - رضى الله عنهما - فقد كانا يختلفان وقد عدد ابن القيم أكثر من مائة مسألة جرى الخلاف فيها بين عمر وابن مسعود - رضى الله عنهما - وحتى فى زمن الفتنة على ما كان من جفاء بين علىٍ ومعاوية - رضى الله عنهما - إلا أن كلا منهما كان يجل أخاه.

كان معاوية يرسل يستفتى عليا فيما أشكل عليه..

وكما أكبره حيا.. فقد أنصفه ميتا.. وطالما بكى عليه.. معددا شمائله قائلاً: كذلك كان الحسن رحمه الله تعالى.

وفى هذا الموقف انفعل عمرو رضى الله عنه ولكن سرعان ما عاد إلى وقاره حينما لفت نظره ابن مسلمه إلى خطأ ما يقول.

لقد غشى عمراً من جراء الانفعال ما غشى فنطق هجراً..

وإذا استطاع المنفعل فى حدة النزاع أن يخفى الحقيقة لحظة.. فإنه بالقطع لن يستطيع القضاء عليها..

أجل لن يستطيع القضاء عليها مادام فى المجلس ناس شجعان من أمثال ابن مسلمة والذى تدخل فى الوقت المناسب.. فحسم القضية لصالح الخليفة الغائب!

فلما تنبه عمرو إلى سقطته.. وتصور خطورة النتائج المترتبة عليها.. لفت نظر سفير أمير المؤمنين إلى أن المجالس أمانة.. ومن ثم فهو مطالب بأن يحتفظ بالسر.. فرارا من العاقبة الوخيمة.. وكان رسول الخليفة عند حسن الظن به.. فوعد بإخفاء ما دار فى المجلس طالما كان عمر حيا.

ولقد أنجز حر ما وعد: فلم يبح ابن مسلمة بالسر إلا بعد وفاة الخليفة.. هذا السر الذى صار درسا مفيدا.

ولئن كان رد ابن مسلمة قاسياً.. لكنها القسوة الحازمة العائدة بالعلاقة إلى مجاريها - بلا ريبة فيها.

وإذ يلجأ الفارغون إلى الوقيعة بين الرفاق.. كسباً لدنيا يصيبونها من وراء هذا النفاق.. فإن ابن مسلمة آثر أن يكون نبيلاً حافظاً لود الرفاق.. لكون وفاقهم قوة للأمة.. ومغايظة لأعدائها.. وتنويها بسلفنا الصالح.. ليظلوا فى وعينا قدى حسنة على الطريق..

هؤلاء الذين كانوا يمشون يسعى نورهم بين أيديهم فيبصرون مواقع أقدامهم.. فكيف يضلون.. كيف يضلون وقد وضع كل واحد نفسه بين نورين؟ استخارة الخالق.. واستشارة المخلوق؟

المعدن الأصيل

ولئن كبا الجواد لحظة بعمرو رضى الله عنه.. فقد كان ذلك هو الاستثناء.. أما القاعدة فهى: أنه كان من التواضع.. والزهد فى المكان المكين.

ركب يوما بغلة شمطاء (عجوزا) ثم اجتاز بها منازل الصحابة رضوان الله عليهم

أجمعين.. وكان ذلك بالفسطاط. فقال له أحدهم:

أتركب هذه البغلة أيها الأمير.. وأنت من أقدر الناس على امتطاء أكرم الجياد بمصر؟!

فقال له عمرو:

لا ملل عندي لدابتي.. ما حملت رحلي
ولا لامرأتي.. ما أحسنت عشرتي
ولا لصديقي.. ما حفظ سري
فإن الملل من كواذب الأخلاق

وهكذا يعطي الأمير في السلم.. كما كان يعطي في الحرب.. يعطي دروساً.. يصلح الله بها نفوساً.

إيجابية «ابن مسلمة»

ويبقى في موقف السفير «محمد بن مسلمة» يبقى فيه أبعاد أخرى: فلقد قرأت أن المسلم قد يقول يوماً: لا إله إلا الله.. فيدخل بها النار؟!! وكيف؟

قال العلماء:

يغتاب الرجل في المجلس.. فيقول: لا إله إلا الله!! وليس هذا أوانها.. وإنما الذي يقال للمغتاب: اتق الله! ثم يردعه.. أو يقنعه بخطأ ما خاض فيه!

وهكذا فعل «محمد بن مسلمة» الذي دافع عن الحاكم في غيبته. فكان إيجابيا على نحو خدم به الطرفين على سواء!

أما أن نترك الشاتم يشتم.. ثم نرخي له الحبال دون أن نردعه.. مستمتعين بما نسمع من زور وبهتان.. فليس ذلك من أخلاق أهل الإيمان.

وما أكثر الخطائين الراغبين في توبة نصوح.. يستعدون بها للإقلاع عبر مستقبل أكثر إشراقا.

ويبقى أن نقف إلى جانبهم.. ليقتلعوا أقدامهم من وحل المعصية ثم يعودوا إلى قواعدهم سالمين.. بدل أن نشهر بهم على الملأ.. فتأخذهم العزة بالإثم.. لنصير مثلهم آثمين.

ولنعلم أن ما نحسبه لغوا من أقوالنا.. موضوع في ميزان أعمالنا وأقوالنا.

ولقد سمع بعض الصالحين من يقول:

إن الملك الموكل بالإنسان يسجل عليه.. حتى أنينه في مرضه.. فكف الرجل الصالح عن الأنين.. مع أنه حقه! فكيف إذا كان غيبة.. أو نميمة؟!

إن ذلك أحرى أن نجعل بيننا وبينه أمدا بعيدا.. استعلاء على شهوة النفس.. وولعها بسقوط الآخرين.. لتنفرد هي بالقمة العالية.

فليحاول المسلم أن يجعل من نفسه على نفسه بصيرة.. قبل أن يقف موقف الحساب غدا:

إن الوعد يشوقك.. وأنت ساه
والوعيد يخوفك.. وأنت لاه
والعتاب يوافيك.. وأنت ذاهل
والعلامة تلوح لك.. وأنت جاهل
والعبرة توقظك.. وأنت ناعس

يا هذا: بادر واصطبح بعدوك. قبل أن يغتبق بك عدوك.

الإسلام ومكافحة البطالة

للأستاذ الدكتور/ مصطفى رجب

إن الخطوة الأولى في المنهجية الإسلامية لمواجهة مشكلة البطالة هي تدبر القرآن الكريم لمعرفة المكانة العليا للعمل كمفهوم إنتاجي تنموي، اهتم القرآن بإبرازها في أكثر من صورة.

أ. فالعمل مصدر للسعادة: قال تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(١).

ب. والعاملون مأجورون في الدنيا قبل الآخرة: وهذا ما يمثل بالنسبة لهم حافزا دائما للعمل لقوله تعالى:

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾(٢).

جـ. والعاملون محل للتقدير دائما: فإنه تعالى يكرمهم ورسوله ﷺ يعتز بهم، والمؤمنون يحترمونهم ويقدرونهم، كما يقول جل شأنه:

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾(٣).

د. والعمل مصدر للغنى والثروة والاستمتاع بالحياة: يقول تعالى:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾(٤).

هـ. العاطلون محاسبون بتقصيرهم: وقد يظن العاطلون أنهم معذورون لأنهم لا يجدون أعمالاً. ولكن الحقيقة أنهم محاسبون على عجزهم وتقاعسهم عن التماس العمل.. فالآيات القرآنية صريحة في الأمر بالعمل، كما يظهر من قوله تعالى:

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾(٥).

---

(١) النحل (٩٧).
(٢) التوبة (١٠٥).
(٣) الكهف (٧).
(٣) الأحقاف (١٩).
(٤) القصص (٧٧).

كما أن التماس العمل لا يكون ببقاء الإنسان في مكانه انتظارا لوظيفة حكومية أو رزق يأتيه وهو مسترخ في بيته.. بل إنه مأمور بالسعي والحركة وطلب الرزق والعمل حيثما يكونان يقول تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾[٦].

ويقول سبحانه:

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ ﴾[٧].

ويقول جل شأنه مبينا سنن الله في الكون:

﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾[٨]

وهذه الآية الأخيرة انقلبت موازينها في حياة المسلمين حالياً، فإن انتشار أجهزة التلفاز والفيديو، وما شابهها جعلت أكثر الشباب يسهرون معها وينامون قبيل الفجر تاركين صلاة الفجر، بل ولا يستيقظون إلا قرب انتصاف النهار، وربما بعده. مخالفين بهذا السلوك بذلك منهج الله الذي ارتضاه لعباده من عمل بالنهار وراحة بالليل.

وليس أدل على كون الإسلام دين العمل من ذلك الاقتران الواضح بين الإيمان والعمل المتكرر في عشرات الآيات الكريمة، التي يتكرر فيها التعبير القرآني:

﴿ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾، بل إن القرآن الكريم أشار إلى رفع درجات المؤمنين العاملين في أكثر من موضع. فقال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[٩]

وقال تعالى:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[١٠]

ومن هذا المنطلق، نود أن نتناول في هذا المقال منهجية الإسلام في مكافحة مشكلة البطالة التي تفشت في المجتمعات المسلمة، والتي ترجع أسبابها إلى عوامل اجتماعية وسياسية واقتصادية من أهمها:

١ـ فساد نظم التعليم العصرية:

فالواقع أن نظمنا التعليمية السائدة في المجتمعات المسلمة، نظم نشأت في ظل الاستعمار فاكتست لباسا غربياً بعيداً عن

---

(٦) الملك (١٥).
(٧) الجمعة (١٠).
(٨) النبأ (١٠، ١١).
(٩) البقرة (٨٢).
(١٠) فصلت (٣٣).

الصبغة الإسلامية التي ستتبين ملامحها في هذا المقال. ومن مظاهر هذا الفساد، فيما يخص موضوع مقالنا، ذلك الفصل التعسفي بين التعليم النظري (الأكاديمي) والتعليم الفني (التطبيقي) حيث نجد غالبية الناس ينفرون من العمل اليدوي الحرفي، ويميلون إلى الوظائف الحكومية المكتبية، وينظرون نظرة احتقار إلى الصناع والفنيين، مما أدى إلى احتقار التعليم الفني.

٢ـ غياب روح التكافل الاجتماعي:

إن المجتمع المسلم المعاصر يفتقر إلى روح التواد والتعاطف والتراحم التي دعا الإسلام إلى ضرورة أن تسود المجتمع المسلم، ومن ثم فإن تراكم الخريجين بلا عمل لا يشغل بال أصحاب المال ورجال الأعمال، ولا يشعرون بالتالي بواجبهم إزاء إخوانهم المتبطلين الذين لا يجدون عملا يسترون به أنفسهم وأسرهم.

٣ـ ميكنة العمل:

إن تطور العمل واستخدام التقنيات الحديثة من أجل رفع معدلات الإنتاج وتسريعها، أدى بالتبعية إلى تناقص فرص العمل. فما كان يؤديه عشرون عاملا في يومين يمكن الآن أن تؤديه آلة في بضع ساعات، مما زاد معدلات البطالة.

٤ـ الميل إلى الراحة:

مع تقدم وسائل العلم والتقنيات الحديثة، صارت حياة الناس أسهل بكثير عما كانت عليه من قبل، فالمرأة التي كانت تعمل بيديها كل خدمات بيتها، أصبحت الآن تستعين بغسالة أطباق وغسالة ملابس وما شاكل ذلك من آلات، وأصبح الرجل يستخدم المحرك اليدوي (الريموت كنترول) لتغيير محطات التلفاز بدل أن يتحرك خطوات.. وهذه مجرد أمثلة لما صارت عليه حياة الناس من يسر وسهولة، مما خلق أجيالاً من الكسالى الذين يحبون الراحة ويخلدون إلى الأرض.

وكل ذلك جعل من الصعب على شباب الأمة المسلمة أن يتكبد أية مشكلات في البحث عن العمل. كما صاروا يهربون من أية أعمال تتطلب مجهودا.

إن الأسباب الأربعة السابقة، وغيرها كثير، أدت إلى شيوع البطالة وتفشيها في المجتمعات المسلمة.. فكيف السبيل إلى مواجهة هذه المشكلات ذات العواقب الاجتماعية الوخيمة؟..

معالم المنهجية الإسلامية لمحاربة البطالة

أولاً: استغلال الموارد المتاحة:

يدعو الإسلام إلى الاستثمار الأمثل لأبسط الموارد من أجل تحسين مستوى المعيشة وتأكيد قيمة العمل.. وإذا نظرنا إلى أحوال من يعانون الفاقة ويشتكون البطالة، وجدنا أكثرهم يعيشون في مستوى معيشة لا بأس به. ولو أنهم باعوا بعض ما يملكون واستثمروه في أي مشروع نافع لشغلوا

أنفسهم ولبسط الله تعالى لهم الرزق.. نفهم هذا من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه الذى رواه أبو داود وغيره والذى نهى فيه رسول الله ﷺ عن المسألة. فقد أخرج أبوداود بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه[11]: «أن رجلا من الأنصار أتى النبي ﷺ يسأله فقال (أما فى بيتك شيء) قال: بلى حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقعب نشرب فيه من الماء، قال: (ائتني بهما) فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله ﷺ بيده، وقال: (من يشترى هذين)؟ قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين، فأعطاهما إياه. وأخذ الدرهمين وأعطاهما الأنصارى. وقال: (اشتر بأحدهما طعاماً فانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قدوماً فأتني به). فأتاه به فشد فيه رسول الله ﷺ عوداً بيده ثم قال له: (اذهب فاحتطب وبع، ولا أرينك خمسة عشر يوماً) فذهب الرجل يحتطب ويبيع فجاء وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوباً وببعضها طعاماً، فقال رسول الله ﷺ: (هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة فى وجهك يوم القيامة، إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة: لذى فقر مدقع، أو لذى غرم مفظع، أو لذى دم موجع).

(والحلس: فراش بسيط، والمراد بذى الغرم المفظع: المدين ديناً يعجز عن أدائه، والمراد بذى الدم الموجع: من لزمه دفع دية قتل خطأ) فباستثناء هذه الفئات الثلاثة: الفقراء والغارمين وذوى الديات لا يحل للمسلم بحال من الأحوال أن يسأل الناس.

ثانياً: حسن إدارة الوقت:

أغلب المسلمين حاليا يسيئون إدارة أوقاتهم، ونظرة الإسلام إلى الوقت ذات أهمية كبرى فيما يتعلق بموضوعنا وهو البطالة، فالأصل فى الشرع عدم السهر وكراهية السمر بعد صلاة العشاء لما ورد من النهى عن ذلك فى السنة النبوية فكيف إذا كان السهر مصحوبا بجلسات مجون ولهو وتمضية الوقت مع الأغانى والطرب والاختلاط الماجن؟ مما يضر بالنفس والجسم والمال.

ثالثاً: العمل اليدوى شرف:

إن العمل اليدوى - فى أية حرفة - شرف للإنسان، لا يخجل منه إلا من كان قصير النظر، ضعيف الشخصية، خائر الإرادة وهذا العجل أضعف الأمة، وجعلها عالة على غيرها فهى تستورد النجار والسباك والميكانيكى والكهربائى، لأن شباب المسلمين يستنكفون أن يقوموا بهذه الأعمال ويرون أنفسهم غير جديرين إلا بالإدارة والمكاتب الوثيرة، وقد نبهنا القرآن الكريم

(11) سنن أبي داود، ج2، القاهرة، دار الحديث، 1988، ص123.

إلى أهمية العمل بصرف النظر عن نوعه فقال عن نبى الله داود عليه السلام:

﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴾[12].

وقال تعالى موجها الخطاب لداود عليه السلام:

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۝ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[13].

وقال فى شأن العبد الصالح ذى القرنين:

﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۝ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۝ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾[14]

وأخرج ابن ماجه بسنده عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: (كان زكريا نجاراً)[15] وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: (ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم) فقال أصحابه: وأنت؟ قال: (نعم.. كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة) (أخرجه البخارى فى صحيحه)[16]، أى أنه صلى الله عليه وآله كان يرعى الغنم مقابل أجر لأهل مكة.

أفليس فى ذلك كله مقنع لشباب المسلمين لكى يتأسوا بأنبياء الله عليهم السلام ولا يأنفوا من العمل اليدوى أيا كان؟!

رابعاً: تأمين حقوق العمال:

لقد حرص الإسلام على تأييد حقوق العمل بأن أكد مشروعية «الأجر مقابل العمل»، كما ثبت من قصة موسى عليه السلام بعدما سقى لابنتى الرجل الصالح فاقترحت إحداهما على أبيها أن يستأجره لقوته وأمانته، فاستأجره ثمانى سنوات مهراً لتزويجه من ابنته على نحو ما حكته سورة القصص.

كما ثبت الأجر مقابل العمل من قوله تعالى:

(12) الأنبياء [80].

(13) سبأ [10، 11].

(14) الكهف [94، 97].

(15) الألباني: صحيح سنن ابن ماجة ط3، م2، الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج 1998م ص7.

(16) وانظر أيضاً المرجع السابق ص6.

﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾[17].

ومن قوله تعالى:

﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾[18].

كما ثبت مبدأ الأجر مقابل العمل فى السنة المطهرة، لما رواه البخارى وابن ماجة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ فى السنة المطهرة، لما رواه البخارى وابن ماجة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ثلاث أنا خصمهم يوم القيامة، ومن كنت خصمه خصمته: رجل أعطى ثم غدر بى، ورجل باع حراً وأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يوفه أجره)[19]. كما أخرج بن ماجه وغيره عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (اعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه)[20].

ولم يستكبر الصحابة رضوان الله عليهم عن أداء العمل عند الحاجة إليه، ما داموا يضمنون الحصول على أجرهم عما يعملون. فلقد أخرج الإمام أحمد بسنده عن سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه أنه قال: «جعت يوما جوعا شديدا، فخرجت أطلب العمل فى عوالى المدينة (أطرافها) فإذا أنا بامرأة قد جمعت قدراً (تراباً جافاً) «فظننتها تريد بله (أى تريد أن تخلطه بالماء) فقاطعتها (أى اتفقت معها): كل ذنوب (دلو) على تمرة. فمددت ستة عشر ذنوباً حتى مجلت (ورمت) يداى. فعدَّت لى ست عشرة تمرة، فأتيت النبى ﷺ وعلى آله وسلم فأخبرته فأكل معى منها»[21].

خامساً: التماس الحلال:

والتماس الرزق الحلال، والأجر الحلال مقابل العمل، أصل من أصول الشريعة، يجب على كل مسلم أن يتمسك به، وأن يربأ بنفسه عن المطعم الحرام والمشرب الحرام، والأجر الحرام الذى لا يقابله عمل، لأن ما يترتب على ذلك لا طاقة له به.

والخلاصة: ان الإسلام عالج مشكلة البطالة علاجاً فعالاً ناجعاً بالحث على العمل، وقبول العمل اليدوى، واشتراط الأجر، والتماس الحلال، والسعى فى الأرض لطلب الرزق أينما كان.. والله أعلم.

---

(17) الكهف (77).

(18) الطلاق (6).

(19) أخرجه البخارى.

(20) سنن ابن ماجة ٢/٨١٧.

(21) أخرجه الإمام أحمد.

قصة العدد

يحلمان بالصباح

للأستاذ الدكتور عبداللطيف الحسيدى

قدم ورقة بن نوفل من رحلة الشام. فتوجه إلى معتكفه بجبل أبى قبيس فى مكة دون أن يذهب إلى منزله. ورأى أن يخلو بنفسه بضعة أيام مكتفيا بقليل من الزاد من تمر ونمير الماء من شراب. وقد حببت إليه الخلوة منذ زمن بعيد. فهو بها يستطيع أن يواصل التفكير فيما يشغله من أمر الأصنام فى مكة. وكيف استجابت قريش إلى تأليهها ومن نحر الذبائح لها. وهى أحجار صماء لا تضر ولا تنفع. بل تضر قطعا لأنها تصرف الناس عن عقولهم. فلا يفكرون فى فاطر السموات والأرض. وهو إله واحد بيده ملكوت الكون!

وكان غلامه (منذر بن الأرقش) يتوقع مجيئه فهو فى كل يوم يصعد إلى جبل أبى قبيس لعله يجد سيده قد آب من غيبته فلما رأى النور الضئيل يلوح ويختفى فى جوف الغار من ثقب يسمح بتسرب الضوء. عرف أن سيده قد قدم. وقد هابه أن يطرق عليه الباب فى حندس الليل فيظنه قاطع طريق. فلما أشرق نور الصباح تقدم إلى باب الغار بخطوات متأنية. وجعل يطرق الباب طرقا خفيفا يعرفه سيده إذ كان له عهد به من قبل.

فصاح ورقة: مرحبا يا منذر. من حدثك أنى قدمت بالأمس. أرآنى أحد؟

قال منذر: حدثنى قلبى أنك قدمت. إذ مضت الأشهر الثلاثة على رحلتك وكنت أخبرتنى أنك ستعود فى نهايتها.

قال ورقة: سألتك هل علم أحد بمقدمى وأخبرك فلم تجب؟

قال منذر: لم يعلم أحد بمقدمك. إذ لم يخبرنى بذلك إنسان!

فظهر الارتياح على وجه ورقة وقال أحمد الله أن جهلت مكة مقدمي لأن القوم يتوافدون عليّ وأنا أجاهرهم بضلالهم فلا يستجيبون إليّ، ويطول النقاش دون جدوى!

ثم صمت بعض الوقت، وسأل منذر: هل تحدث إليك أحد بشأني في هذه الرحلة! أو أن اغترابي مر بسلام؟

فقال منذر: سيدي كان اسمك يدوي في عكاظ منذ شهر، حين سأل عنك قس بن ساعدة الإيادي.

فانتبه ورقةُ انتباهاً ظهرتْ جدّيته على وجهه وقال: هل حضر قس بن ساعدة إلى عكاظ هذا الموسم وهل سأل عني كما تقول؟

فقال منذر: كان الرجل بفصاحته الرائعة وسمته المهيب وصوته الجهوري واقفا على جمل أورق وحوله أبناء موطنه من نجران فعرفه الناس لاشتهار صيته في الجزيرة وأقبلوا عليه يستمعون ما يقول، وانتظر قس قليلا حتى اكتملت الحلقة بما يزيد على مائتي مستمع ثم اتكأ على سيفه وهو أول من حمل السيف في العرب خطيبا، وكانوا يتكئون على العصا، كذلك هو أول من قال في الخطبة (أما بعد) فصارت ديدن كل خطيب، فلما أشرأبت إليه الأعناق وتطلعت العيون، وأمسك كل مستمع أنفاسه ليجمع في ذهنه ما يقول.

انطلق قس فقال:

«أيها الناس اسمعوا وعوا، وإذا وعيتم فانتفعوا، إنه من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت ليل داج، ونهار ساج، وسماء ذات أبراج، ونجوم تزهر، وبحار تزخر، وجبال مرساة، وأرض مدحاه، وأنهار مجراه، إن في السماء خبرا وإن في الأرض لعبرا ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون، أرضوا بالمقام فأقاموا، أم تركوا هناك فناموا، يا معشر إياد، أين الآباء والأجداد، وأين ثمود وعاد؟ وأين الفراعنة الشداد، ألم يكونوا أكثر منكم مالا، وأطول آجالا، طحنهم الدهر بكلكله ومزقهم بتطاوله»

ثم أخذ ينشد في لهجة مؤثرة، وإلقاء جاذب:

في الذاهبين الأولين
من القرون لنا بصائر!
لما رأيت مواردا
للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها
يسعى الأصاغر والأكابر
لا يرجع الماضي إليّ
ولا من الباقين غابر
أيقنت أني لا محالة
حيث صار القوم صائر!

ثم أدركته فترة، فوقع السيف من يده، وأحاط القوم يسندونه ويجلسونه، فقال له قائلهم: وفيم العمل يا قس وأين نذهب بعد تحذيرك هذا التحذير؟

فقال قس: إنها مكة، وإن نبيا آن أوانه وقرب حينه سيخرج الناس من الظلمات إلى النور! وذهب القوم وقد زاد عجبهم بما يسمعون.

ولكن قسا قال: أين ورقة بن نوفل؟ أين ورقة بن نوفل؟ هل عاد من رحلته إلى الشام؟ إنه باحث مثلي عن الحقيقة، وكنت أود لقاءه لأخبره بما لدى!

قال منذر: وأخذ الناس يقرنون اسمه باسمك يا سيدي منذ يوم عكاظ.

أطرق ورقة برأسه كمن شغله هم شاغل، وقال: إذا كان قس يود لقائي، فلابد أن لديه الجديد مما يتعلق بهداية الأنام! لقد قابلته في بصرى وكان يجتمع بالأحبار من رؤساء الكنائس يناقشهم ويناقشونه، ولما طال الأمد عليّ في بصرى، قلت له: أكمل نقاشك مع هؤلاء، وقد نلتقي فتخبرني بما يكون، فقال: إذا حصلت على شيء فسآتي الحجاز وأخبرك، وها هو ذا قد جاء قبل أن آتي فوا أسفا ثم وا أسفا!

ونظر ورقة إلى منذر وقال له: إن الذي يطلب الحق لا يعوقه شيء ومعه الهمة والعزيمة، وإذا كان قس قد ذهب مع شيوخ إياد إلى نجران، فلابد أن أذهب إلى نجران فأرتاح لما أسمع منه!

قال منذر: أنت ياسيدي مرهق من رحلة الشام، ولابد أن تنتظر قرابة شهر أو شهرين حتى تستعيد قواك، وبعد ذلك تفكر في الرحيل!

فصاح ورقة: وهل تراني ساهدا في مكة إذا أقمت بها شهرا أو شهرين، إن نفسي لا تستقر على مطمأن من الأمر حتى أعلم ما وصل إليه قس! ونجران ليست بأبعد من بصرى وعليك أن تصحبني فأنا لم أعرف طريقها من قبل، وفيك فتوة تجعلني أعتمد عليك في السؤال عن الطريق، ومطالعة الناس بما يعرفونه عن أقرب السبل إلى نجران!

لم يجد منذر بدا من الطاعة والإذعان، فهو يحب سيده ويعجبه منه أنه مشغول بأفكار عالية لا يلتفت إليها غير الصفوة من الأخيار، وقد قرنه الناس في مكة بقس، وسيده شيخ وهو شاب فإذا تحمل الشيخ مصاعب السفر فعار على الشاب أن ينكص ويستكين!

ومن هنا تهيأ السيد وغلامه للرحلة إلى نجران ومنذ الساعة ومنذر يكثر من السؤال عن الطريق إلى نجران وقد اتصل بأصحاب الرحلة التجارية في الشتاء والصيف وهم أدرى الناس بالمسالك والدروب، فعرف كل شيء عن الطريق ومن حسن الحظ أن رحلة ستذهب إلى اليمن بعد يومين، فكان ذهابها العاجل مصدر بهجة لمنذر وبادر إلى سيده يقول: لقد هان أمر السفر وذللت الصعاب، فنحن سنرحل مع القافلة، ولن نجد من المشاق ما كنا نتصوره،

فقال ورقة في ابتهاج: إذا شاء الله أمرا قضاه!

ومضت القافلة تخب وتضع حتى بلغت أرض اليمن، فسأل ورقة عن نجران فعرف موضعها، وعلم أنها على مسيرة يوم، كما

سأل عن قس بن ساعدة وأين يقيم، فقال له القوم لن تصل إليه حيث يتعبد لأنه يقيم في مكان يحرسه أسد ضار وقد خضع الوحش الكاسر لقس، فكان زئيره الرهيب بالليل يرعب من يهم باجتياز المكان! ولكن قسا يترك موطنه يوم الأحد، ليصل إلى مقبرة دفن بها صديقاه العزيزان فهو يجلس بين مدفنيهما طوال اليوم، يتعبد، ويذكر أحوالهما معه، حتى إذا أذنت الشمس بالمغيب، رجع حيث يقيم الأسد، فاطمأن إليه الوحش وتعلق به، وكأنما يقابل من يحب!

قال ورقة: أين المقبرة؟

فدُل عليها وأخذ ينتظر يوم الأحد على شوق جارف، وحان الموعد فإذا قس يحضر كعهده، ولم يشأ ورقة وصاحبه أن يفاجئه، فانتظر حتى تمكن من مجلسه، وجلس ينشد بصوت حزين:

خليلي هبا طال ما قد رقدتما
أجدكما لا تقضيان كراكما
ألم تعلما أني بنجران مفرد
وما لي فيها من حبيب سواكما
أقيم على قبريكما لست بارحا
طوال الليالي أو يجيب صداكما
وأبكيكما طول الحياة وما الذي
يرد على ذي عولة أن بكاكما
جرى النوم بين العظم والجلد منكم
كأن الذي يسقي العقار سقاكما

فلما فرغ من إنشاده رأى ورقة يتقدم إليه، وهو يقول: طاب وقتك يا قس، لقد سألت عني بعكاظ فلم أطق صبرا حتى أتيت إليك وبي من الشوق ما لا يتحمله جبل أبي قبيس.

فنهض قس يعانق صاحبه، ثم سالت دموعهما معا، وامتنعا عن الكلام قرابة ساعة واستطاع قس أن يقول:

كان لابد من اللقاء يا ورقة! لقد تقابلنا بالشام، وتحدثنا معا مع الأحبار والرهبان ولكنك أسرعت دون أن تنتهي إلى رأي! أما أنا فقد وضح الصبح لذي عينين عندي لقد حدثني راهب أمين يقرأ التوراة والإنجيل، ويعتنق دين المسيح - عليه السلام - على وجهه الصحيح قبل أن يختلط بالتثليث فقال إن التوراة والإنجيل بشرتا بنبي يظهر في مكة، وإنه سيدعو إلى الله وحده ويحارب الشرك ويهدي الناس إلى الطريق المستقيم، وقد حان موعد ظهوره، فمكة يا ورقة موطنك، ستكون قريبا مشرق النور، وقد أراحك الله فلن تتركها لتبحث عن أمر هو لديك، وأظن أجلي قريب، فلن أشرف بلقائه، أما إذا متعك الله بالبقاء، فبلغ سلامي إليه، واذكرني عنده بالخير، لقد هان الصعب يا ورقة واستنار السبيل!

قال ورقة: بشرك الله بالخير يا قس وأرجو أن أكون معك في موئل من رضا الله فقد حاربنا الأوثان وكرهنا الشرك

والمشركين وذممنا الذبائح على النصب وفعلنا ما يقربنا إلى الله عن فطرة صافية تهدي البصير إلى النظر في السموات والأرض لتعرف رب السموات والأرض.

واستطرد ورقة يسأل: ومن هذان الصديقان اللذان تزورهما في قبريهما كل أسبوع إن الطير يقع على شكله فهما معك في اتجاهك كما يلوح لي يا بن ساعدة!

قال قس: هو ما ذكرت ياورقة كنا نحن الثلاثة نتعبد على دين إبراهيم، وكنا لا نفترق في الحياة إلا لضرورة ملزمة وقد تعاهدنا أن تقترب قبورنا بعد الممات لننعم باللقاء في حياة الخلد، فلما مات الأول بكيناه وجعلت أنا وصاحبي نزور قبره ولا ننقطع إلا برحلة ملزمة من رحلات الحياة ثم مات الثاني فبكيته وجعلت أزوره مع صاحبه وقد بنيت قبري جوارهما لأكون الثالث. وأوصيت أصحابي، وسيفعلون!

قال ورقة: الحمد لله سأعود أدراجي إلى مكة بعد أن اشتفيت بلقائك.

فقال قس: لن تذهب حتى أهيىء لك من نجران من يصحبك إلى بلدك والقوم طوع أمري وبعد غد إن شاء الله ستخرج بسلام بعد أن أقضي في جوارك ليلتين سعيدتين سيمران كأنهما لحظتان، والأمور بيد الله يا ورقة إقامة وسفرا، وأنت من قلبي قريب وإن بعدت!

حان الموعد فسافر ورقة وغلامه المنذر سفرا مريحا برعاية من تعهدا بصحبتهما طوعا لقس ولكن ورقة كان لا يدري حقيقة شعوره الداخلي بعد ما سمع من قس ما سمع! وهو يعلم أنه صادق كما أنه أيضا قد سمع أخبارا مؤكدة عن نبي مكي سيبعث ناشرا كلمة التوحيد فمن يكون ومتى؟ وقد زاده اعتقاده هذا إيمانا وتقوى، فكان يلجأ إلى مقره بجبل أبي قبيس ليتعبد خاليا، لا يلج مكانه إلا غلامه منذر!

ثم أشرق الصباح ذات يوم حين جاءته ابنة عمه خديجة بنت خويلد فقالت له. كما جاء في صحيح البخاري.. يا ابن العم، اسمع من ابن أخيك،

فقال ورقة لمحمد ﷺ، يا بن أخي ماذا ترى؟

فأخبره بما كان من أمر الوحي في غار حراء فسر ورقة وصاح فرحا: هذا هو الناموس الذي نزل على موسى - عليه السلام - يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أو مخرجي هم؟

قال نعم: لم يأت نبي قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا.

لقد تحقق حلم قس وورقة ولكن ورقة مات بعد أيام!

خطبة الجمعة

نريد مصحات أخلاقية (*)

لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصي

لله الحمد، لا يظلم ولا يحب الظلم من العباد، ويتوعد بالعذاب أولى البغى والفساد:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾(١).

سبحانك سبحانك، أمضيت فى الباغين المثلات فكانوا عبرة للمعتبرين وعظة للعاقلين:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾(٢).

نشهد أن لا إله إلا أنت أصلحت النفوس بشرعة التأديب والتقويم، ونشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبدك ورسولك، جملته بالخلق العظيم والطبع السليم، فصلواتك اللهم وسلامك عليه، وعلى البدور الساطعة من آله، والكواكب اللامعة من صحبه ورجاله، والمهتدين فى حياتهم بأعماله وأقواله: ﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٣).

(*) بدون تاريخ محدد.

(١) إبراهيم (٤٢ - ٤٣).

(٢) الفجر (٦ - ١٤).

(٣) الأنعام (١٢٧).

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام:

من ضلال البشرية وخيبة الإنسانية أن تعرض عن نور السماء، لتضل فى مسالك الغبراء، وأن تترك قوانين العليم الخبير، إلى قوانين العاجز القصير:

﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾(٤).

وليتهم بعد هذا التهاون والاستخفاف، بهدى الحكيم ذى الرحمة والألطاف، يحسنون وضع القوانين البشرية، أو يخلصون فى تنفيذها، أو يسوون بين الجميع عند تطبيقها، ولكن الناس فى أغلب بقاع الأرض - وما تخص أمة دون أمة - يضعون القوانين غالبا للرغبات والأهواء، وقد يخرقونها أو يعطلونها عندما يشاءون بلا استحياء، وقد يتخذونها مصائد أو مكائد للضعفاء، بينما يستعلى عليهم فى الأرض أو يسىء استغلالها فى الكون المجرمون من الأقوياء، كأنما العالم البئيس التعيس يعيش فى محيط وسيع تسبح فى أعماقه أسماك مختلفة الأشكال والأحجام، والموت بينها للصغير الهزيل، والبقاء للمقتدر القتال!.

لقد أخذ الناس مثلا فى مختلف الأمم بنظام السجون والمعتقلات، والطبيعى أن تستقبل السجون كل معتد أثيم أو وغد لئيم، ولكن الواقع الخفى يهتف من حين لحين قائلا: كم فى السجون من أبرياء، وكم فى الكون من طلقاء كان أولى بهم غيابات السجون، وحسب البشرية هو أن يكون فيها ذلك الظلم الشنيع!. وهذه هى المعتقلات والمنافى تفتحها الدول كلما اكفهر الجو أو تلبدت الغيوم فى سماء الأحداث الكبار، فتملؤها هذه الدول غالبا بالمخالفين فى الرأى ولو كان بعضهم أطهارا، وبغير المرغوب فيهم ولو كان بعضهم أبرارا، فلا يؤدى ذلك الاستغلال الذميم إلى إصلاح أو خير، بل يثمر تمزق الأسباب واتساع الثغرات والأبواب وانتشار الفتنة والخراب، وإذا كان مهرة الأطباء من المصلحين قد عجزوا حتى الساعة عن القضاء على داء الاعتقال مع سوء الاستغلال، فلست أدرى لماذا لا يطالب المصلحون بفتح معازل جديدة من نوع آخر، يراد به خير الداخلين إليه لا إضرارهم، ويقصد منه العمل لله والناس؟!.

هذا السكير مثلا، الذى أفقدته الخمر، فجعلته مجرما بعد أن كان عظيما يشار إليه بالبنان، وأهمل واجبات أسرته ووظيفته وشريعته، وغدا كجرثومة الداء ومنبع البلاء، وأصبح من إدمانه الخمر لا

---

(٤) المائدة (٥٠).

يطيق عنها صبرا، ولا يجد من الوازع الجماعي قهرا، لماذا لا تضعه الدولة - أي دولة كانت في معزل بعيدا عن أم الخبائث لمدة شهور، حتى يسترد عقله ووعيه، ويستكمل عزيمته وهديه، ويدرك مبلغ ما هناك من حق وحكمة في قوله تبارك وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾(٥).

وهذا المترف المبطون الذي لا يشبع، وهذا القاروني الذي يجمع ثم يجمع وفي الوقت نفسه يمنع ثم يرفع، وهذا الكانز الذي أصابه سعار الكنز والامتلاك فلا يقف عند حد، ولا يقنع بالكثير مهما امتد، بل يطمع ويطمع، ويقلد مأواه جهنم في جشعها وطلبها مددا بعد مدد من أمثاله المجرمين:

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾(٦)

وهذا الذي تراه بارعا كل البراعة في الجمع من حل ومن حرمة، ولكنه في الوقت نفسه لا يعرف شيئا اسمه القسمة، وهذا الذي لا يأكل كالمؤمن في معى واحد، بل يأكل كالكافر في سبعة أمعاء، وتفيض موائده بأصناف شتى من الطعام امتصها من دماء المظلومين أو المهضومين، ويكاد يهلك من التخمة وتتمزق دنياه من الامتلاء.. لماذا لا يوضع كل واحد من هؤلاء في معزل، ويحال بينه وبين جنون التجميع، ويؤخذ بشيء من الخشونة والتجويع، لا تشفيا منه وانتقاما، بل إصلاحا له وإكراما، وتعويدا له على الجوع وسغب الحرمان، ليألف الرحمة والإحسان، ويدرك ما في قول الجليل من إيجاع وتقريع:

﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾(٧).

وانظر أيها الغافل كيف جاءت الصورة المقابلة لهذا الموقف عقيبه، فرسمت لنا مستقر النفس الهادئة المطمئنة، القانعة المؤمنة، التي عرفت حق ربها وحق نفسها وحق الناس:

(٥) المائدة [٩٠ : ٩٢].

(٦) ق [٣٠].

(٧) الفجر [١٧ : ٢٦].

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾(٨)

وهذه الخلوقة الضالة أيا كانت التي نوديت إلى الفضيلة فأبت، ودعيت إلى صيانة البيت فتمردت، ونصحت بحفظ ثدييها فتاجرت، وأطلقت ساقيها للريح، وألقت ثيابها لكل قادم والغ، وأصابها كلب الشهوة وحمى الجنس، فأصبحت عليلة بالداء الخبيث لا تطيق منه خلاصا، فلم لا يجب على الدولة أن تعتقلها في خدرها، أو في معزل مأمون مصون من الريب والشبهات، حتى تقضي شهورا هناك، تتعلم الصبر والعفة، والوقار، وتفقه أن المرأة إذا ضاع تاج عفتها فقد انتهت حياتها وإن امتدت بها الأعمار، وسقطت مكانتها وإن كانت من ذوات الحسب والنسب، وصدق العلي الكبير:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾(٩)

وهذا المستبد المتجبر في بيته أو بيئته أو أمته، الذي يبطش ويظلم كأنه فرعون، وينهى ويأمر كأنه إله في الكون، ويتطاول متفحشا على مرءوسيه، ويتحيف حقوق أتباعه كأنهم قطع من قطع الشطرنج بين يديه يجب أن تحتجزه الإنسانية في مصحة أخلاقية، حتى يحس بلوعة الخضوع وذلة الخشوع، وحتى يدرك وهو خلف السدود والقيود ما يصيب البريء من ألم حين يظلمه سواه، وحتى ينتفع بمثل ذلك الدرس البليغ الذي يرويه لنا التاريخ فيقول: كان للخليفة العباسي المتوكل ولد اسمه المعتز، فاختار له مربيا هو الإمام ابن عبيد الكوفي ليعلمه ويهذبه، فلما أراد المتوكل أن يجعل ابنه المعتز وليا لعهده، تعمد مؤدبه ابن عبيد أن يحط من مرتبته، وأن يؤخر غداءه عن وقته، وضربه من غير ذنب.. فلما بلغ ذلك المتوكل غضب، واستدعى ابن عبيد، وسأله عن السبب في ذلك، فأجابه المؤدب العظيم:

«بلغني ما عزم عليه أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - فدعوت المعتز وحططت منزلته، ليعرف هذا المقدار من الحط فلا يعجل بزوال نعمة أحد، وأخرت غداءه ليعرف هذا المقدار من الجوع، فإذا اشتكى إليه الجوع عرف ذلك، وضربته من غير ذنب ليعرف مقدار الظلم فلا يعجل بالظلم على أحد»!.

(٨) الفجر [٢٧ : ٣٠].

(٩) التحريم [١٠ : ١٢].

فلما سمع المتوكل ذلك منه سر به، وأعطاه عشرة آلاف درهم، ثم سمعت بذلك أم المعتز - وهى أم - فأرسلت إلى ابن عبيد عشرة آلاف أخرى...

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام:

الواقع أن الإنسانية المصابة فى أخلاقها تحتاج أشد الاحتياج إلى معازل ومصحات، لا نقول مصحات جسدية، فعندنا منها الكثير، والسبيل إلى الزيادة فيها يسير، ولا نقول معازل فكرية، فإن المقيمين فى أبراجهم العاجية يحلمون ويتخيلون، ولكن المجتمع فى حاجة إلى معازل اجتماعية ومصحات أخلاقية، يساق إليها - فى حزم المصلح ورفق الحكيم وقوة المؤدب - كل من تعالى على العباد، وأظهر بالفساد، أو طغى فى البلاد، وما قدمنا فى حديثنا الآن إلا جانبا قليلا من نماذج لا تحصى، ولو فتشنا جوانب الحياة لوجدنا الكثيرين ممن يحتاجون إلى العزل والإبعاد.. ولكن السؤال المحير الذى يتردد هنا وهناك هو: أيوجد فى الناس من يستحق الإشراف على تنفيذ ذلك الإصلاح، أم أننا أصبحنا من سوء حالنا فى موجبات العزل سواء، وأن الأمر كما قال العليم:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾(١٠)

إلا أن الطريق برغم ظلامه لم يفقد المصباح، والقفل برغم تعقيده لم يستعص على المفتاح، وبوادر الفشل برغم ذيوعها لم تغلب رجاء الفلاح:

﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾(١١)

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾(١٢)

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾(١٣)

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم، سلوا ربكم التوفيق يستجب لكم.

تصويب:

ورد فى مقال «الحافظ السَّلفى» للشيخ/ عبدالحفيظ فرغلى القرنى فى الهامش رقم (١) ص٩٦١: «الموسوعة الذهبية للدكتورة/ فاطمة المحجوب» والصواب: «للدكتورة/ فاطمة محجوب».

كما ورد العنوان: «الحافظ السَّلفى» بفتح السين، والصواب: «الحافظ السِّلفى» بكسرها.

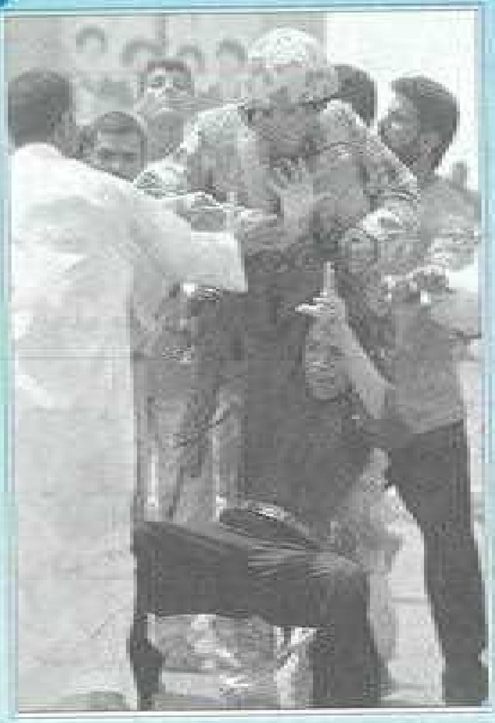
---

(١٠) الروم (٤١).

(١١) يوسف (٨٧).

(١٢) المائدة (٨٨).

(١٣) النحل (١٢٨).



ما أشبه الليلة بالبارحة

شريعة الغاب(*)

للشاعر الأستاذ/ حسن كامل الصيرفى

شَرِيعةُ الغابِ عادَ الظُّفْرُ والنابُ ... وعادَ للبَغْيِ سُلْطانٌ وإرْهابُ(١)

ونُكِّسَتْ لِصُروحِ العَدْلِ أَلْوِيَةٌ ... وحُطِّمَتْ لِرُموزِ الحقِّ أنصابُ(٢)

واستَشْرَتِ الطُّغْمَةُ الحَمْقاءُ يَدفَعُها ... إلى المَهالِكِ خَطّافٌ ونَهّابُ(٣)

بِطولَةٌ تَدَّعيها وهى أَرْنَبَةٌ ... فى الحَرْبِ يُفْزِعُها هِرٌّ وسِنْجابُ

طاشَتْ عُقولٌ، وضَلَّتْ أَنفُسٌ، وبَغَتْ ... شَراذِمٌ من شِرارِ الخَلْقِ أَوْشابُ(٤)

صَبُّوا الجَحيمَ على الأحرارِ وانتَهَكوا ... قَداسَةَ الحَقِّ، حينَ الحَقُّ مِحْرابُ(٥)

تَجَنَّبوا الحَرْبَ فى المَيْدانِ، وانطَلَقَتْ ... فى الجَوِّ مِنهُم على النُّوّامِ أَسْرابُ(٦)

(*) من ديوان (صدى وتر ودموع) ص ٢٠٢.

(١) البغى: الظلم.

(٢) أنصاب: تماثيل.

(٣) الطغمة: العصابة.

(٤) أوشاب: رعاع.

(٥) محراب: مكان طاهر لا يدنس.

(٦) أسراب: جماعة من الطائرات.

وحشيةٌ نبتت للوحشِ ظالمةٌ ... فالوحشُ يأنفُ ممّا جاءَ أذنابُ(٧)

دنيا الحضارةِ عادت من فعالِهمُ ... أحطَّ ما وصفت - ظلمًا - به الغابُ

العلمُ - وهو أداةُ الخيرِ - سخّرهُ ... للشرِّ مستعمرٌ باغٍ وسلّابُ(٨)

والعلمُ ما لم يصنْهُ العقلُ من فتنٍ ... فناسكُ العلمِ دجّالٌ وكذّابُ(٩)

تمضي القرونُ ووحشُ الغابِ يسترُهُ ... قناعُ وهمٍ من الإنسانِ خلّابُ(١٠)

ولن تغيّرَ من أطباعهِ أبدًا ... ديانةٌ، وتعاليمٌ، وأحقابُ

يا ناقمين على «الباستيل» سيرتَهُ ... الظلمُ عادَ له في الأرضِ أعقابُ(١١)

حريةُ الناسِ غابت عن شعاركمُ ... يا من سقاكم كئوسَ الذلِّ غلّابُ(١٢)

شُرّدتمُ في بقاعِ الأرضِ آونةً ... وشفّكم من جراحِ النفي أوصابُ(١٣)

حتى إذا محتِ الأيامُ شدّتكم ... وغولجت من جنونِ الحربِ أعصابُ

وقفتمُ في طريقِ الحقِّ يدفعكم ... إلى المجازرِ فتّاكٌ وقصّابُ(١٤)

نسيتمُ ما ادّعيتم منذ ثورتكم ... وهدَّ «موليه» ما قد شادَ «ميرابو»(١٥)

في كلِّ قطرٍ لكم في الأرضِ مذبحةٌ ... يمشي اليتامى بها يبكون من غابوا

***

(٧) يأنف: يربأ بنفسه.
(٨) سلّاب: مغتصب.
(٩) ناسك العلم: المتقطع إلى العلم.
(١٠) خلّاب: خداع.
(١١) الباستيل: قصر المسجونين بفرنسا قبل الثورة.
(١٢) غلّاب: منتصر قاهر.
(١٣) أوصاب: الآم.
(١٤) قصّاب: جزار.
(١٥) موليه: رئيس وزارة فرنسا عند العدوان الثلاثي على مصر، وميرابو: خطيب الثورة الفرنسية.

ويا طغاةً نصرناهم وقد كشفت ... للشرِّ في «طبرق» الحمراءِ أنيابُ(١٦)

متى انتصرتم بغيرِ الفاتحين لكم ... بابَ النجاةِ إذا ما استغلقَ البابُ؟(١٧)

من كلِّ شعبٍ غريبٍ عنكمُ اجتمعت ... لنصرِ أجبنِ خلقِ اللهِ أسبابُ(١٨)

ما للسكارى الحيارى في حروبهمُ ... عليهمُ من جلودِ النمرِ أثوابُ؟(١٩)

عجبتُ للقومِ، لا المعروفُ ردّهمُ ... إلى الصوابِ ولا للرشدِ قد ثابوا(٢٠)

عادوا يسيئون للأيدي التي صنعت ... جدارَ أمنٍ لهم والهولُ صخّابُ(٢١)

تروي رمالُ الصحارى عنهمُ خبرًا ... فيه الهزائمُ ألوانٌ وأضرابُ(٢٢)

لو وخزةٌ في قفاهم من أسنّتنا ... ما عادَ يوهبُ عودَ الروحِ هرّابُ(٢٣)

***

وحفنةٌ من طريدي كلِّ مملكةٍ ... لها على الوطنِ المزعومِ تنعابُ(٢٤)

من كلِّ بائعِ أخراهُ بعسجدهِ ... وتاجرٍ برباهُ خارَ حسّابُ(٢٥)

وكلُّ ذي حرفةٍ يندى الجبينُ لها ... يتيهُ فخرًا إذا ما يُذكرُ العابُ(٢٦)

مشوا على أرضهِ كالطفحِ منتشرًا ... على خدودِ العذارى الأسْلِ واجتابوا(٢٧)

تاهوا، وضلّوا، وآبوا من متاهتهم ... يزمّلون وهم للوهمِ طلّابُ

***

(١٦) طبرق: ميناء في ليبيا كانت موضع الحرج لدى الحلفاء في الحرب العالمية الثانية.
(١٧) يريد بالفاتحين: أبناء الأمم الشرقية ممن عاونوا الحلفاء في الحرب.
(١٨) أسباب: وسائل.
(١٩) السكارى: حين الحرب الهلع نفوسهم.
(٢٠) ثابوا: رجعوا.
(٢١) صخّاب: مزمجر.
(٢٢) أضراب: أنواع.
(٢٣) أسنتنا: رماحنا.
(٢٤) يريد اليهود.
(٢٥) عسجده: ذهبه. حسّاب: محاسب.
(٢٦) العاب: العيب.
(٢٧) اجتابوا: ساروا في البلاد.

عَجِبْتُ للقومِ: أطماعٌ مفرّقةٌ　　قد ضمّها الاغتيالُ الشرقَ آرابُ[28]

ابنُ البتولِ الطّهورِ الحقِّ قد نسيتْ　　آلامَه، وتناسى الغدرَ أصلابُ[29]

تحالفتْ عُصْبةٌ منهم يقودُهُمُ　　عادٍ على الحقِّ نهّازٌ ووثّابُ[30]

تحالفتْ وفلولُ الغدرِ، وائتمرتْ　　فالضِّدُّ للضِّدِّ أنصارٌ وأحبابُ[31]

موسى وعيسى براءٌ من شرورِهِمُ　　فما لهم في أصولِ الخيرِ أنسابُ[32]

خليقةٌ من «يهوذا» في دمائِهِمُ　　والعِرْقُ للأصلِ دسّاسٌ وجذّابُ[33]

***

عهدُ الفتوحِ تولّى وانقضى زمنُ　　الغزوِ فيه بطولاتٌ وإعجابُ[34]

العالمُ اليومَ وحدانيّةٌ جمعتْ　　شعوبَه حيثُ لا تعلوه أربابُ[35]

العالمُ اليومَ إنسانيّةٌ ربطتْ　　أبناءَه فتساوتْ فيه أحسابُ[36]

العالمُ اليومَ لا استغلالَ يحكمُه　　ولا امتيازَ، ولا حكرٌ وأسلابُ[37]

***

---

(٢٨) آراب: مطالب.

(٢٩) أصلاب: الأبناء والأحفاد.

(٣٠) عاد: باغٍ، نهاز: وصولي.

(٣١) فلول الغدر: بقايا الغادرين.

(٣٢) براء: يتبرءان من الانتساب إليهم.

(٣٣) يهوذا: الغادر الواشي بالمسيح.

(٣٤) تولى: ذهب ومضى.

(٣٥) أرباب: رؤساء كالآلهة.

(٣٦) أحساب: أصول.

(٣٧) الحكر: الاحتكار، أسلاب: غنائم.

الإشكالية في يهودية دولة إسرائيل

للأستاذ/ صلاح عبد الرحيم محمد

يعني مفهوم «يهودية دولة إسرائيل» ابتداء أن إسرائيل هي دولة لليهود فقط، لايشاركهم فيها أحد من غيرهم، وهي تمثل اليهود سواء من يعيشون منهم داخلها أو خارجها. فقد وصف «بن جوريون» هذه الدولة بأنها «دولة الشعب اليهودي كله». ومن الناحية التاريخية فإن فكرة «إقامة دولة لليهود» لحل المسألة اليهودية في بلاد الشتات، ظهرت أول ماظهرت، على يد مؤسس الحركة الصهيونية «تيودور هرتزل» من خلال كتابه «الدولة اليهودية» عام ١٨٩٦، الذي دعا فيه إلى إقامة دولة لليهود، في أي مكان، لجمع شملهم المفرق، ولم يكن «هرتزل» يعني فلسطين بالذات. وقد جاء ذكر فلسطين لتكون وطناً قومياً لليهود على لسان اللورد «بلفور» وزير خارجية بريطانيا في وعده المشهور في الثاني من نوفمبر عام ١٩١٧، وبعد ثلاثين عاماً من هذا الوعد، صدر قرار الأمم المتحدة رقم ١٨١ في التاسع والعشرين من نوفمبر ١٩٤٧، بتقسيم فلسطين العربية إلى دولتين، يهودية وعربية. وأتى صدور «قانون العودة» عام ١٩٥٠ من جانب الدولة اليهودية الوليدة تتويجاً لحق عودة أي يهودي من منفاه إلى أرض الموعد في إسرائيل ليكون مواطناً إسرائيلياً بمجرد العودة إليها. وفي هذا السياق حدد ميثاق المنظمة الصهيونية العالمية مهمتها بأنها «لم شمل المنفيين اليهود في أرض إسرائيل التاريخية». واللافت للنظر أن إسرائيل كدولة لليهود فقط، تقوم على مبدأ مفاده «أن العرب فيها يمثلون أقلية لايمكن اندماجها، مقابل أغلبية يهودية حاكمة، لها السيادة والغلبة، لايمكن لها أن تستوعب غيرهم» ومن هذا المنطلق فإن إسرائيل ترى أن عرب ١٩٤٨ هم جزء من الأمة العربية بعامة، وجزء من الشعب الفلسطيني بخاصة، لهم ثقافتهم، ولغتهم، وقوميتهم، فهم لذلك ليسوا مستعدين للاندماج في دولة إسرائيل. وفي نفس الوقت لايضير الكيان الإسرائيلي أن تندمج الأقلية العربية في البلاد العربية وتستوعبهم مستنداً في ذلك علي أن اللغة العربية واللغة العبرية، هما لغتان ساميتان في الأصل، لكنهما مختلفتان، ولايمكن لإحداهما أن تحل محل الأخرى، فالأولى هي لغة الأقلية العربية، والثانية هي لغة الأغلبية اليهودية، ولايمكن الجمع بينهما في دولة تضم اليهود فقط. وفي ضوء ذلك يذكر أن هناك نوعاً من الفصل الجغرافي في إسرائيل بين العرب واليهود، فيعيش العرب في ثلاث مناطق، الأولى منطقة

الجليل ويقطنها ٦٠٪، والثانية منطقة المثلث ويسكنها ٢٠٪، والثالثة منطقة النقب الشمالي ويقطنها ١٠٪ بينما ١٠٪ من عرب إسرائيل يسكنون في مدن مختلطة تجمع يهودا وعربا. وهذا يعني أن ٩٠٪ من العرب في إسرائيل يعيشون في تجمعات عربية منفصلة لا يساكنهم فيها أحد من اليهود، أما العشرة في المائة الباقية من العرب، فتسكن في أحياء مستقلة بالمدن المختلطة، وهذا يعكس رغبة إسرائيل في عزل الأقلية العربية جغرافيا. ومن جانب آخر تبرز سياسة الفصل بين اليهود والعرب في مجال التعليم والجيش، إلا أنه من الطبيعي أن تجد ثمة فروقاً في اللغة والثقافة بينهما، لكن إسرائيل تنتهج سياسة تعليمية عنصرية، فتجد أن نسبة الفصل في التعليم من أعلى النسب العالمية. فالعزل أو الفصل بين اليهود والعرب يكاد يكون تاماً في رياض الأطفال، وفي مرحلة التعليم الأساسي، وفي المدارس الثانوية، والمعاهد التعليمية، ولايكون الجمع بينهما إلا في الجامعة فقط، كما يُذكر أن الالتقاء بين الطلاب العرب واليهود في الجامعة لايمثل اختلاطاً بالمفهوم المتعارف عليه في جامعات الدول الأخرى، وترسيخا لسياسة العزل التعليمي، فإن إسرائيل حتي الآن لم تؤسس أية جامعة عربية، أو معهد عربي للطلاب العرب. والجدير بالذكر أنه في مجال الجيش، فالعرب مُعفون من الخدمة العسكرية، باستثناء الدروز الذين يمثلون ١٠٪ من عرب إسرائيل. وحتى في مجال الحياة الاجتماعية، فنادرا ماتوجد أية زيجات مختلطة بين العرب واليهود في إسرائيل، فهي تعد بالمئات فقط، وتكاد تكون بين فئات هامشية. كما أن علاقات الجوار بين العرب واليهود ليست علاقة دافئة أو قوية، فتشير الإحصاءات إلى أن ٧٣,٥٪ من اليهود ليس لهم أصدقاء عرب على وجه الإطلاق، وأن ١٣,١٪ منهم، لهم أصدقاء عرب، غير أنهم لايقومون بزيارتهم، وأن ١٣,٤٪ من اليهود فقط يزورون العرب في بيوتهم، وهكذا تصنع إسرائيل لنفسها «جيتو اجتماعيا» يعزل فيه اليهود عن العرب. وفي مجال الحديث عن اليهودية فإن اليهود في إسرائيل يعتبرون أنفسهم إما يهوداً أو إسرائيليين، فنجد أن العلمانيين، من مؤيدي اليسار السياسي المتمثل في أحزاب العمل، وميرتس، الداعين إلى انسحاب إسرائيل من الضفة الغربية وغزة، يميلون إلى اختيار الهوية الإسرائيلية، بينما نجد المتدينين، من مؤيدي اليمين السياسي المتمثل في الأحزاب اليمينية مثل الليكود، وموليديت، والاتحاد القومي، وكذلك الأحزاب الدينية مثل شاس، والحزب الديني القومي (المفدال)، وأجودات إسرائيل، وهم جميعاً من معارضي الانسحاب من مناطق السلطة الفلسطينية، يميلون إلى اختيار «الهوية اليهودية» التي تشدد علي القومية اليهودية، واقتلاع العرب من فلسطين. وفي هذا السياق يكتشف استطلاع أجرى في إسرائيل عام ١٩٩٥ حول اختيار الهوية، أن ٤١,٦٪ من اليهود اختاروا «الهوية المدنية»، وأن ٣٨,٦٪ منهم اختاروا «الهوية القومية»، وأن ١٩,٨٪ منهم فضلوا «الهوية الدينية»، ولاشك أن هذا الاستطلاع يوضح

التباين، والصراع المحتدم بين المتدينين والعلمانيين من جهة، واليهود الشرقيين والغربيين من جهة أخرى للبحث عن الهوية الضائعة في دولة اليهود.

ومن جهة أخرى يصف الأديب الصحفي السوري الأصل، الإسرائيلي الجنسية «أنطوان شماس» في مقال له بعنوان «إسرائيل على مشارف القرن الحادي العشرين» وضع عرب ١٩٤٨ في الدولة اليهودية فيقول: «إن العرب لا يستطيعون أن يعيشوا في إسرائيل مدة طويلة من الزمن وذلك لعاملين:

الأول: أن إسرائيل دولة يهودية ترفض كل ماهو غير يهودي.

والثاني: أن هذه الدولة اليهودية لم تضع لها دستوراً مكتوباً حتى الآن». ويضيف «أنطوان شماس» قائلا: «إن اليهود يشكلون ٧٠٪ من سكان إسرائيل، وأن عرب إسرائيل هم أحد مصادر التهديد للدولة اليهودية».

كما يتفق الأديب الإسرائيلي «يورام كنيوك» مع الأديب الصحفي «أنطوان شماس» حول ضرورة فصل الدين عن الجنسية الإسرائيلية شأن ما هو متبع في أوروبا الغربية وأمريكا فيقول: «إن العلمانيين هم الذين أقاموا الدولة اليهودية التي تخضع لرجال الدين، ونظراً للطابع اليهودي للدولة، فإن من شأن ذلك أن يجعلها دولة شريعة» وفي هذا السياق يرى «يورام كنيوك»: أن قوانين الهوية في إسرائيل هي قوانين عنصرية، لذلك فهو يطالب بتغيير قانون العودة، فيقول: «إن إشكالية الهوية هي إشكالية أبدية، وتعتبر من أكبر المعضلات التي تواجه المجتمع الإسرائيلي، وتقف حجر عثرة أمام تدفق الهجرة اليهودية إلى إسرائيل» ويضيف قوله: «إن اليهود في بلاد الشتات يفضلون البقاء في أماكنهم، أو الهجرة إلى بلاد غير إسرائيل هرباً من قوانين الجنسية العنصرية الإسرائيلية التي تغلب أحكام الشريعة اليهودية (الهالاخاة) فيما يتعلق بتعريف من هو اليهودي ومن جانب آخر فإن قانون العودة لسنة ١٩٥٠، وقانون تحديد هوية الدولة لسنة ١٩٨٥ يحولان دون أن تكون إسرائيل «دولة لكل مواطنيها» وليس دولة لليهود فقط، كما هو الحال الآن. أضف إلى ذلك أن هذه القوانين العنصرية تخلق داخل إسرائيل تمييزاً ضد العرب على أساس قومي عرقي.

ويجدر لفت الانتباه إلى أنه بتولي الليكود الحكم في إسرائيل أعوام ١٩٧٧، ١٩٩٦، ٢٠٠١ تنامت قوة اليمين الديني الصهيوني، وتولدت تبعاً لذلك، أيديولوجية قومية متطرفة تمجد القوة، وتعلي من شأن استخدامها، ويتضح ذلك من العديد من المقولات التي تروجها إسرائيل للتأليف بين اليهود مثل «القوة تحل كل شيء» و«أن العالم كله ضدنا» و«أن درس النكبة النازية يلزمنا بأن نكون أقوياء»، ومقولة «إن الشعب اليهودى يقيم بمفرده» وهذه المقولة الأخيرة تكفي لتحويل إسرائيل إلى «جيتو يهودي» يجمع شمل اليهود فقط. وفي هذا الإطار يقول «يورام كاتس»، مستشار حزب العمل الأسبق للشئون العربية: «أن إسرائيل دولة

يهودية، ولن تتحول إلى دولة ثنائية القومية، وأن الخط الأحمر الذى لايمكن تجاوزه هو تغيير القوانين التى تكفل لليهود حق العودة، واكتساب المواطنة الإسرائيلية، والعيش فى إسرائيل ولاشك أن هذا النص الذى بين أيدينا يؤكد على أمرين، الأول التأكيد على يهودية إسرائيل فهى لاتسع إلا اليهود فقط، والأمر الثانى التأكيد على استحالة قيام دولة ثنائية القومية تجمع بين الأقلية العربية، والأغلبية اليهودية فى إطار من التعاون المشترك، ويترتب على الأمرين نتيجتان لازمتان.

الأولى: لامناص من ترحيل عرب إسرائيل خارج الدولة اليهودية.

والثانية: إنكار إسرائيل حق عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم عام ١٩٤٨م.

واللافت للنظر أنه خلال العقدين الأولين من عمر الكيان الصهيونى، امتنع هذا الكيان تحت دعاوى إيديولوجية، عن إدماج العرب فى الهوية الإسرائيلية، فيقول «عزمى بشارة» عضو الكنيست العربى، بهذا الصدد: «إن إسرائيل ليست دولة لكل مواطنيها، بل هى دائما دولة لليهود، وأن اليهود الذين يعيشون فيها، لايشكلون مع العرب أمة إسرائيلية ديمقراطية واحدة»، ويضيف «عزمى بشارة» قائلا: «إن المحاولة التى قام بها الدكتور «كلود كلاين» عميد كلية الحقوق الأسبق فى الجامعة العبرية بالقدس لطرح فكرة «حكم ذاتى للأقلية العربية» فى إسرائيل ليست خطوة نحو المساواة، وإنما من أجل تجنب «معركة المساواة»، وهى معركة لابد أن يُطرح فيها جوهر الدولة اليهودية للنقاش».

وعلى الرغم من محاولات إسرائيل الجادة لتحويلها إلى دولة لليهود فقط، وتفريغها من أى عنصر غير يهودى، بهدف تأكيد وحدة الشعب اليهودى، فإن هناك عدداً من علماء الاجتماع، يؤكدون عدم تجانس المجتمع اليهودى، ويتوقعون، فى الفترة المقبلة، أن تشهد إمكانية قيام حرب أهلية، إما بين اليهود الشرقيين والغربيين، أو بين المتدينين والعلمانيين، أو بين عرب إسرائيل واليهود، أو بين السكان القدامى واليهود الجدد، فيرى «سامى سموحة» أستاذ علم الاجتماع بجامعة حيفا أن اليهود من ذوى الأصول الشرقية «السفارديم» فى إسرائيل يشعرون بالظلم والإجحاف، بينما اليهود الغربيون «الاشكنازيم» يحصلون على معظم الامتيازات. ويؤكد «سامى سموحة» أن الزواج المختلط بين اليهود الشرقيين والغربيين لم يحل المشكلة بينهما. ويقول الدكتور «دانيال ثمان» أستاذ علم الاجتماع بجامعة القدس: «إنه حتى الثمانينات من القرن العشرين، كان الخلاف بين مجموعتين اثنتين كبيرتين، هما اليهود الشرقيون والغربيون، وكان الجميع يشعرون أن اليهود الغربيين فى وضع أحسن حالاً من اليهود الشرقيين، أما اليوم فقد حدث تغير كبير، وأصبحت هناك ثلاث مجموعات اثنية كبيرة، وهى اليهود الغربيون، واليهود الشرقيون، والمهاجرون من الاتحاد السوفيتى السابق، ولهذا فإن الوضع صار، حالياً، أكثر خطورة وأشد تعقيداً». ويذكر الدكتور

«إيلى رقائيل» أن هناك مشكلة خطيرة يواجهها المجتمع الإسرائيلى، وتتمثل فى المهاجرين الروس، الذين جاءوا إلى إسرائيل، ليس حباً للوطن الصهيونى، بل لرفع مستواهم المادى والاقتصادى الذى عانوا منه كثيراً داخل الاتحاد السوفيتى السابق، فهؤلاء المهاجرون أصبحوا فى توتر دائم مع السكان القدامى الذين يرون فى المهاجرين الجدد مصدر تهديد، ومنافسة لهم»، ويضيف الدكتور «إيلى رقائيل» قوله: «وهذا ما أوجد ما يمكن أن يطلق عليه «حالة من العداء بين اليهود الروس واليهود الشرقيين» ويردد الكثيرون أنه على الرغم من أن المهاجرين الروس يريدون أن يصبحوا جزءاً من المجتمع الإسرائيلى لكنهم ليسوا على استعداد للتخلى عن هويتهم الروسية، وهو ما يشكل عقبة كؤوداً أمام اندماجهم فى المجتمع الإسرائيلى. وينتقد بعض المحللين السياسيين يهودية الدولة الإسرائيلية، ويذهب أن إسرائيل باعتبارها «دولة الشعب اليهودى» لاتضم إلا أقلية يهودية من هذا الشعب، لاتزيد عن خمسة ملايين يهودى من مجموع يهود العالم البالغ ١٤ مليونا، وأن معظم يهود العالم لايبدون حماساً كبيراً للذهاب إلى إسرائيل إلى مجرد الزيارة فقط. ويرى البعض الآخر من هؤلاء المحللين أن «الولاء المزدوج» لليهودى الإسرائيلى لبلده الأصلى التى جاء منها من جهة، وولائه لدولة إسرائيل من جهة أخرى، هى مسألة مرفوضة، خاصة إذا كانت الولاءات متعارضة. ويذكر كثير من يهود العالم أن دولة إسرائيل، التى تدعى أنها تتحدث باسمهم، هى دولة لها مصالحها الخاصة المختلفة عن مصالحهم أحياناً، والمتعارضة معها أحياناً أخرى، ومن جانب آخر يعتقد المتدينون اليهود أن دولة إسرائيل تتزايد فيها معدلات «العلمنة»، والإباحية، والفساد الخلقى، فقد وصف «آمنون روبنشتاين» المجتمع الإسرائيلى بأنه أكثر المجتمعات إباحية فى العالم. ويصرح أحد الباحثين بأن هناك وثيقة صادرة عن المؤتمر اليهودى عام ١٩٨١ تنتقد إسرائيل بقولها: «إن إسرائيل دولة ذات نزعة مادية متزايدة، حدث فيها قضم للقيم الدينية، والمثل اليهودية القديمة الخاصة بالعدالة». ويتحدث الحاخام الإصلاحى الأمريكى «يهودا ماجنس» أول رئيس للجامعة العبرية، أنه بدأ حياته صهيونياً سياسيا، ثم تحول إلى الصهيونية الثقافية، وانتقل بعد ذلك، إلى مرحلة، رفض خلالها، فكرة إنشاء دولة يهودية خالصة لليهود فقط، ويضيف أنه كرس حياته للترويج لفكرة ضرورة وجود تفاهم يهودى عربى، ودعا إلى وضع نظام يتسم بالمساواة التامة بين اليهود والعرب فى إسرائيل، وطالب بتقييد الهجرة اليهودية إلى فلسطين.. وفى الختام يتفق كاتب المقال مع من يرون أن حل إشكالية يهودية الدولة الإسرائيلية تكمن فى إقامة «دولة ديمقراطية متعددة الثقافات»، تستوعب كل السكان، باختلاف ثقافاتهم، ولغاتهم، وقومياتهم، بدون سيطرة، أو سيادة جماعة على أخرى، وهو ما يعنى إقامة «دولة ديمقراطية، لا صهيونية، ولا يهودية» أى دولة لكل مواطنيها عرباً ويهوداً على السواء.

إنه الإنذار الإلهى لجبارى الأرض

للأستاذ
أحمد السيد تقى الدين

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ
(٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨)
وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠)
الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ
عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾

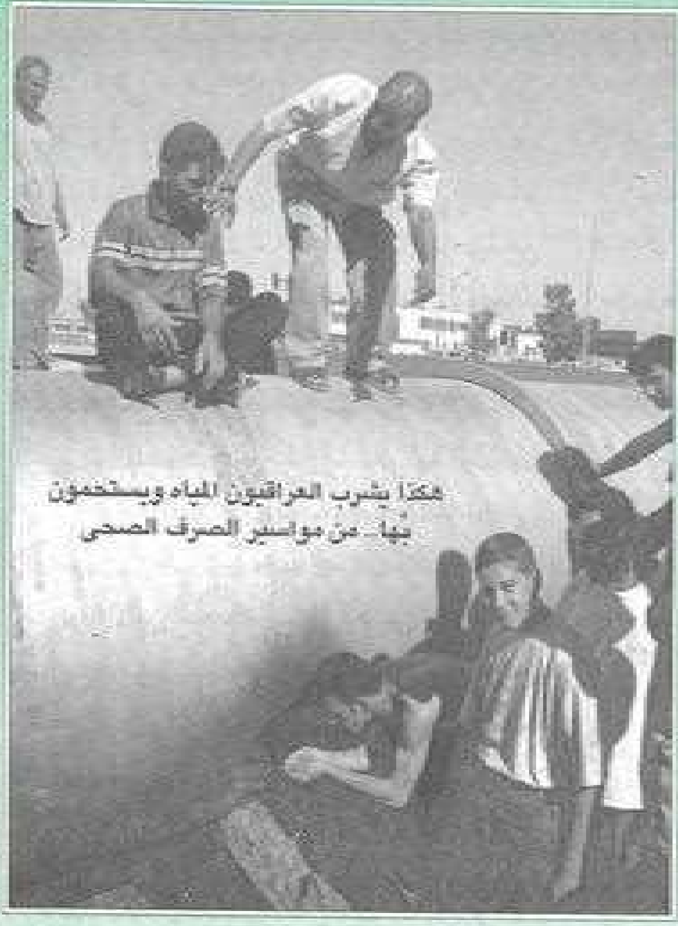
(الفجر ٦ : ١٤)

تبريرات متعددة ساقتها الإدارة الأمريكية تجاه أزمة انقطاع الكهرباء في أجزاء عديدة بالولايات المتحدة الأمريكية شملت نيويورك، وكلايفلاند، وديترويت، وتوليدو. كما شملت تورنتو وأوتاوا بكندا، هذه المناطق شهدت توقفاً كاملاً لكل مظاهر الحياة في البنوك والمصانع والمطارات ووسائل النقل المختلفة، والاتصالات.

حالة من الذعر عمت الولايات المتحدة الأمريكية، الكل اعتقد أن الولايات المتحدة تواجه هجوماً هائلاً، عزز من هذا الاعتقاد حجم العدوان الأمريكي غير المسبوق على عدة دول ذات سيادة. الكل اعتقد أن هناك من ينتقم من هذا العدوان وهناك من قال: إنهم العراقيون ينتقمون، وخاصة أن الرئيس الأمريكي جورج بوش زرع في نفوس المواطنين الأمريكيين أن النظام الحاكم في العراق يشكل خطراً داهماً على الولايات المتحدة، وهذا النظام لازال رئيسه حراً طليقاً لعله هو الذى تسبب في انقطاع الكهرباء.. هكذا حدث الأمريكيون أنفسهم.

والبعض منهم بدأ يشعر بتأنيب الضمير قائلاً لنفسه: لقد ضربنا أول ما ضربنا في العراق محطات توليد الكهرباء وهي إلى الآن غير صالحة للعمل.. ترى كيف يعيش هؤلاء التعساء منذ أكثر من ٤ أشهر مضت.

وهناك من أشاد بقوة وشجاعة المواطن العراقى متسائلاً: كيف تحملوا قيظ الشمس إذ درجة الحرارة عندهم تتجاوز الـ ٥٠ درجة مئوية، ونحن هنا في الولايات المتحدة نهلك بدون أجهزة التكييف إذا تجاوزت الثلاثين درجة مئوية. وهو تصور سليم مائة في المائة لأن فرنسا شهدت مأساة بكل المقاييس تمثلت في وفاة أكثر من عشرة آلاف وأربعمائة مواطن بسبب ارتفاع درجة الحرارة إلى أربعين درجة مئوية، والأمريكيون إلى يومنا هذا يتكتمون الإعلان عن ضحاياهم من المدنيين العراقيين الذين ماتوا بتأثير ضربات الشمس جراء تعطل أجهزة التكييف لانعدام التيار الكهربائى لأكثر من أربعة أشهر.



هكذا يشرب العراقيون المياه ويستحمون بها.. من مواسير الصرف الصحى

وفي ولاية كليفلاند الأمريكية انقطعت مياه الشرب واختلطت بمياه الصرف الصحى نتيجة لفشل عمليات المعالجة بعد انقطاع الكهرباء مما أدى إلى إصابة العديد من الأمريكيين بحالات قئ وإسهال شديد استدعت نقلهم إلى المستشفيات ذات الإمكانات الهائلة وهي ذات المياه التى يشربها العراقيون ويستحمون بها منذ أكثر من ٤ أشهر ولم تعد لديهم مستشفيات تعالجهم من آثار شرب هذه المياه.

افترش الأمريكيون الطرقات والحدائق والأرصفة ولجأوا إلى صنابير إطفاء الحرائق للاغتسال منها مصطفين في طوابير طويلة امتدت لعشرات الأمتار.

في شوارع مانهاتن بنيويورك انبعثت روائح نتنة بعد أن اضطر المواطنون الأمريكيون إلى المبيت وقضاء حاجاتهم (أعنى قضاء الحاجة بالمعنى الاصطلاحى في الفقه الإسلامى) في الشوارع لساعات معدودة فما هو الحال في العراق بعد أن فقد العراقيون منازلهم منذ أربعة أشهر مضت.

الإعلام الأمريكي وجد نفسه مضطراً للمقارنة بين ما يعانيه الشعب العراقى جراء انقطاع التيار الكهربائى منذ أكثر من أربعة أشهر في ظل درجة حرارة تصل إلى ٥٥ مئوية، وما مر به خمسون

مليون أمريكي لساعات معدودة في إشارة غير مباشرة إلى حجم الإجرام الذي ارتكب في حق الشعب العراقي بزعم تحريره من ظلم حكامه، هذا الظلم الذي لا يمكن أن يرقى أبدا إلى حرمان شعب بأكمله من مقومات الحياة الأساسية من كهرباء ومياه وطعام ومأوى فضلاً عن الانتهاك المستمر للحرمات، وذلك الإذلال المتمثل في القايضة السافلة التي لجأت إليها قوات الاحتلال الأمريكية للضغط على القاومة العراقية الباسلة، حيث قام الغزاة الأمريكيون بوضع لافتات على دباباتهم التي تجوب أنحاء العراق كتب عليها «امنحونا الأمن نمنحكم المياه والكهرباء» اعتراف صريح بأنهم يقطعون المياه والكهرباء عن الشعب العراقي عمداً، لماذا؟ لأنهم يطالبون بكرامتهم التي استولى عليها الغزاة وسرقوها. كما سرقوا بترولهم وآثارهم وأموالهم وطعامهم.

﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ ﴾

(سبأ ٢٠)

ولكن صبرا فإن وعد الله آت لا ريب فيه:

﴿ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾

(الأنعام ١٢٤)

عجزوا عن القتال بشجاعة ولم يجدوا سوى أفعال الخسة والنذالة من رشوة وإفساد للذمم والضمائر ومساومة حقيرة على مقومات الشرف (استغنوا عن شرفكم نمنحكم الماء والكهرباء) إنه الشعار الأمريكي في عصر العولمة الآثم، تلك السلوكيات التي دفعت بعض أفراد القوات الأمريكية إلى التذمر والعصيان ورفض تنفيذ الأوامر القتالية في بعض الأحيان، بل أن بعضهم قام بعمليات عسكرية ضد قوات التحالف ووصل الحال ببعضهم إلى محاولة التعرف على الإسلام واعتناقه، ذلك الدين الذي جاءوا من أجل محاربته وهو ما تتكتمه القيادة الأمريكية.

ولكن فجأة جاء الإنذار الإلهي الساحق وأين؟ على أرضهم ووقفوا جميعاً بلا حول ولا قوة إنها البداية.. بداية إحقاق الحق بالميزان الإلهي.

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾

(الشعراء ٢٢٧)

إنها دعوات المظلومين، إنها دعوات المقهورين التي ليس بينها وبين الله حجاب.

هذه الكلمات ليست دفاعاً عن صدام حسين وزمرته الذين صدقت فيهم كلمات الله عز وجل:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾

(الأنعام ١٢٣)

لقد ذهبوا جميعاً غير مأسوف عليهم وقريباً يحتفل العراقيون بحريتهم بعد دحر الغزاة.

﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾

(الروم ٤، ٥)

رسالة مفتوحة

للأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير

«للولايات المتحدة أسباب عديدة لاجتياح العراق، أولاها إزاحة صدام حسين وثانيها إزالة أسلحة الدمار الشامل وثالثها تحرير شعب العراق وآخرها إرساء الديمقراطية وجعل هذا العالم مكانا خاليا من الخوف ومهدا آمنا لما ينشد الإنسان من سلام وازدهار».

ولكن دعوني أفند هذه الادعاءات واحدا بعد الآخر. فلقد سألت صديقا عراقيا حميما ما إذا كان صدام بهذا السوء فأكد لي أنه كذلك وأضاف: «لقد قتل كثيراً من أبناء بلده بما فيهم أقاربه وذوي رحمه والشال الصارخ زوجا ابنتيه. كما كدس ثروة ضخمة واستأثر بها لنفسه وأغوى بها مطيعيه من أسرته وكان هو وأبنيه مولعين بالنساء». إلى هنا انتهى كلام صديقي الذي كان كافيا لجعلي أؤمن أن صدام شر مستطير.

لكن يثور سؤال هو هل من حق قطر أن يجتاح قطرا آخر لأن رئيسه شرير؟؟ وإذا كان ذلك منطقيا فلماذا تم التغاضي عن كثير من المظالم وغض الطرف عن المذابح والمجازر المروعة التي اقترفتها كثير من النظم ضد شعوبها لماذا تسامحنا عن هذه الفظائع وتغافلنا عنها باسم حقوق السيادة للدول؟؟ وكيف يمكنك أن تقبل أو تعقل أن أمريكا كانت ستغزو بلدا ما منذ سنوات لأن مواطني هذه البلدة الإفريقية المنحدرين من أصول أمريكية كانوا ضحايا الإعدام دون محاكمة وإذا لم يكن من حق الدولة التدخل في الشئون الداخلية لدولة أخرى فإن بدعة حرب أمريكا للعراق تضع نصب أعيننا علامة استفهام كبيرة لسؤال غامض تصبح الإجابة عنه أمرا عسيرا. إننا دون لف أو دوران نرتكب خطيئة لا تغتفر وسابقة لا مثيل لها في ازدراء المنطق والعقل.

أما قرية أسلحة الدمار الشامل فإني أؤكد أن مفتشي الأمم المتحدة لم يعثروا لتلك الأسلحة على أثر رغم أنهم دأبوا على قلب العراق حجرا حجرا وأقول كيف تأتى للرئيس بوش أن يجزم بحيازة صدام لهذه الأسلحة؟؟ الجواب أن الرئيس بوش له الحق أن يقول ذلك والسبب أن أمريكا أعطت صدام أسلحة كيماوية وبيولوجية أثناء حرب العراق لإيران والسؤال هو: لماذا يا ترى أصبحت تلك الأسلحة الفتاكة وبشكل مفاجيء تمثل تهديدا؟؟ إن ما ينفي هذا

الزعم أن صدام لم يستخدمها منذ بداية تلك الحرب وأن ما أشيع عن استخدامه إياها لم يكن إلا من قبيل الدعاية الرخيصة بل حتى بعد هزيمته في اقتحامه للكويت في حرب الخليج الثانية.

إن قتل الأبرياء جريمة شنعاء أسرف بالقيام بها صدام ضد شعبه ولا ريب ولكن هل هذا مبرر لنا كقوى عظمى أن نرتكب نفس الجريمة تحت أى مسمى أو مبرر يدحضه التفكير السوى لا يصمد للرأى الرشيد.

إن نظرة على أخبار الحرب التى غصت بها الفضائيات لتوضح التدمير المستمر للممتلكات والقتل بلا رحمة للأبرياء وماذا تملك الأمم المتحدة أكثر من بيانات الإدانة الفارغة لأفعال بربرية تعيد إلى الأذهان قانون الناب والظفر. إن بوش - بعدم احترامه للأمم المتحدة وضربه عرض الحائط بقرارات مجلس الأمن - ليسن للعالم سنة غير حميدة وسابقة خطيرة فى التمادى فى الخطأ والإصرار عليه.

ألم يخطر بباله أن أى قطر مستقبلا يمكن أن يجتاح قطراً آخر بحجة أنه خطر محدق بالنسبة له ألا يصبح مثلا من حق فرنسا والصين وروسيا أن تغزو أمريكا على اعتبار أن «بوش» شرير وأن أمريكا خطر على أمن العالم.

ولو قمت بدراسة تحليلية لأكثر البلاد تقديما للمساعدات الإنسانية للشعوب لأذهلك أن أمريكا تحتل الصدارة فى هذا المضمار فإن الدارسين الأطباء والعلماء والباحثين فى مجالات الطب ومبتكرات العلاج النفسى ومجالات أخرى لا تقع تحت حصر أنقذت حياة الملايين من البشر كان للأمريكين فيها النصيب الأوفى. كل ذلك جميل ولا غبار عليه ولكن - ولسوء الحظ - فإن الأوراق الخفية أو المعلنة للمطامع التجارية والسيطرة على الموارد الطبيعية للشعوب والخطط العبثية الشريرة للتحكم فى مقدرات المغلوبين على أمرهم والتى قام بوضعها سياسيون قصيرو النظر لا تتعدى رؤاهم مواضع أقدامهم هذه الخطط النكدة جلبت العار والشنار والسمعة السيئة لبلدنا أمريكا التى تأسست على الدأب فى البحث والعمل الجاد ليل نهار لتكون مثالا يحتذى فى الجد والاجتهاد والعمل المثمر الدؤوب.. فهل وعى ذلك هؤلاء البلهاء الأشقياء؟

فيا أمريكا يا من ظلمك السفهاء من أبنائك أما آن لك أن تنظرى إلى صورتك فى المرآة لترى كيف أصبحت مقززة منفرة؟ أما آن لك أن تستنقذى نفسك من هذا المستنقع الذى رماك فيه وبلا تفكير أولئك الوجوديون الماديون العبثيون الذين لا هم لهم إلا الأفكار العفنة التى عفا عليها الزمان فصارت من سقط المتاع وأورثت الأمريكان البغض والكره حتى من طوب الأرض فمتى يثوبون لرشدهم».

وبعد عزيزى القارىء فهذا الكلام لمواطن أمريكى نشره فى مطبوعة يطالعها جمهور غفير من البشر فى شتى أنحاء العالم. ولم أشأ أن أوقف استرساله حتى أرى من لا يرى كيف يمكن أن تكون البصيرة مصباح يهتدى بنوره فى الإدلاء بشهادة الحق.

بين الصحف و المجلات

إعداد الأستاذ

محمود الفقى

الصراع الحقيقى

لقد أصبحنا فى صراع حقيقى ليس مع من يريد أن يسلبنا حرياتنا وثقافاتنا ولكن مع بعضنا البعض فهذا مبدع وهذا ناقد وذاك ساخط والكل يدعى وينهم حتى صرنا مستهدفين ومستعمرين هنا فهانت علينا أنفسنا.

واليوم نقول لمدعى الثقافة لك مطلق الحرية فى الثقافة العامة وهى حق لكل أفراد الأمة أما الثقافة الخاصة فلها أفراد معينون يتحدثون ويجتهدون فيها.

ولكن أدعياء الثقافة وهم من مذاهب وأفكار معينة يريدون أن يفرضوا سلطانهم على الثقافة المتخصصة ويقولون فيما ما ليس منها وهذا المؤتمر المتسلط الذى ضم البعض منهم وهم معروفين للعامة بهويتهم الثقافية ومواقفهم من الأديان وبخاصة الدين الإسلامى لأنه الدين الوحيد الذى يتضمن الشريعة إلى جانب العقيدة وتميز قرآنه الذى جاء بثوابت لا يجوز الخروج عليها فكيف يقولون والعياذ بالله منهم بضرورة حذف آيات من القرآن الكريم ويزعمون أن هذه الآيات تسىء إلى حلفائنا وتضع المسلمين فى موضع التعالى على غيرهم ومن ثم يقف غيرهم موقف الكراهية.

فقد ضلوا سواء السبيل وظهرت نفوسهم الضعيفة وجهلهم بالإسلام من خلال هذا المؤتمر الفاشل والغازى لأمتنا الإسلامية حتى أصبحنا مشتتين وطعاما لذيذاً للأسود الجائعة.

المحرر

أدعياء.. لا دعاة

وهذا الرد كتبته الأستاذة سهير عبدالرحمن في جريدة «الأهرام» في عددها الصادر في ١٠/٨/٢٠٠٣: قرأت للأستاذ فكرى مكرم عبيد مقالاً في الأهرام كان عنوانه «ذكريات الصبا الوطنية» وتحدث فيه عن عباس حليم وتأسيسه لحزب العمال والاعتصام بحبل الله والجماعة ولكنها قالت: مما أضحكنى كثيرا وهو ضحك كالبكاء أننا نرى ونسمع الآن أن كل من قرأ كتابا في الدين حتى ولو كان مما يدرس في السنة الأولى الابتدائية اعتقد بإمكانه أن يجتهد ويفتى في المسائل الدينية وأن كل من وجد نفسه ضائعا وارتد إلى طريق الهداية وقرر أن يتجه إلى الله ظن أن الأمر سهل وأنه يمكنه الاجتهاد والتجديد شأن كبار العلماء والفقهاء.

واستمعت أيضا وهى في أثناء السفر إلى خطبة الجمعة وفزعت مما سمعته من الخطيب في تفسيره للقرآن على مزاجه وذكر في تفسيره للقرآن عن سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ أنه عندما قال لقومه من عبدة الأصنام ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ ﴾ كان يقصد «تف عليكم» والمعنى في القرآن واضح وجلى ثم واصلت قائلة بالله عليكم هل أصبح ديننا الجميل لعبة في أيدى هؤلاء الأدعياء ولا أقول الدعاة؟ وهل من الأدب أن يقال هذا عن سيدنا إبراهيم.

بالتي هي أحسن

في كلمة كتبت في جريدة «عقيدتى» في عددها الصادر في ١٢/٨/٢٠٠٣ حررت باسم الجريدة جاء فيها: لا خلاف على أن الدعوة الإسلامية تمر بمرحلة صعبة فالتحديات التى يواجهها الإسلام كثيرة ومتنوعة وحملات التشكيك والتضليل وذم الإسلام وصرف المسلمين عن الإسلام تتصاعد كل يوم.

لذلك فإن تطوير الخطاب الدينى سيظل مطلبا إسلاميا وليس أمريكيا فالتطوير يعنى التجديد والابتكار في الأساليب والوسائل لتوصيل رسالة الإسلام خالية من الشوائب مؤثرة ومقنعة بعيدا عن العشوائية والارتجال.

وفى ظل هذه المهام الصعبة المنوطة بالأزهر والأوقاف وفى ظل التقارير الصحفية التى تربط بين الدعوة إلى تطوير وتجديد الخطاب الدينى وبين الضغوط الأمريكية لمسخ هوية التعليم الإسلامى وسوف تكون هذه منطلقات التطوير والتجديد والتحديث في كل الأحوال إسلامية ووطنية.

لا أحد يستطيع التدخل في شئوننا الدينية

وفى جريدة «الأخبار» قال مصطفى حسن في العدد الصادر في ١١/٨ تحت عنوان «قضايا ساخنة» حيث قال على لسان وزير الأوقاف: لا أحد يستطيع أن يطلب من مصر تطوير الخطاب الدينى وفق رؤيته ولو حدث فسوف يرفض لأن ذلك تدخل في شئوننا الداخلية وفى قيمنا وعقيدتنا الإسلامية. وقد أخذت وزارة الأوقاف على عاتقها عملية التطوير والتجديد لمواجهة العصر وجمع شمل الأمة.



مُحَمَّد رَجَب بَيُّومِي رَائِدًا

بقلم الأستاذ الدكتور/ عبدالعزيز الدسوقى

● والدكتور محمد رجب البيومى من أهم الرواد الذين يعيشون الآن بيننا على امتداد الأرض العربية، وريادته متعددة.

● فهو رائد في الشعر.

● ورائد في المقال الأدبى.

● ورائد في كتابة الدراسات الإسلامية.

● ورائد في كتابة السيرة والمقال الأدبى.

وله عشرات الكتب والدراسات الأدبية والإسلامية.

وله حضور باهر في الساحة الثقافية، فلا يزال يحمل القلم، ويواصل الكتابة، حتى لقد تحولت الكتابة عنده إلى رسالة يحمل رايتها وهو يمضى في الحياة، وكأنه يرى في التخلى عن هذه الراية خيانة عظمى، كالجندى المحارب الذى يحمل الراية ولا يتخلى عنها.

وأنا أتابع كتاباته في الصحف والمجلات والكتب بشغف واهتمام، وأحيانا أشترى مجلة لم أتعود قراءتها، لمجرد أن أرى مقالاً لرجب البيومى. فهو لا يكتب إلا عن معرفة دقيقة بموضوعه، ولابد أن يعطى فكرة جديدة مفيدة في كل موضوع يتناوله. وهو يمتلك السليقة اللغوية والحاسة الفنية، ولذلك تتحول كتاباته في أى موضوع إلى تجربة فنية تثير الغبطة واللذة والمتاع العقلى، والجذل الروحى.

كنت أعرفه على البعد، وكان هو كذلك، من خلال مقالاتنا وكتبنا المنشورة.

وعندما أصدرنا «مجلة الثقافة» كان من أوائل الأدباء والمفكرين الذين أنوى الاتصال بهم ليسهم - مع الأعلام - في تدعيم المجلة وقد باءت كل محاولاتى بالفشل فلم أتمكن من الاتصال به أو معرفة عنوانه، ولا أدرى لماذا لم يتصل بى؟! لعله فكر أننى تجاهلته. فأحب أن يعاقبنى ويعاقب الثقافة بحرمانها من إنتاجه الرفيع. وإن كنت عرفت - بعد ذلك - أن شيئاً من ذلك لم يكن وشاء الله أن نلتقى من خلال قضية تثير الضحك. فأنا كنت أقضى اجازة من المجلة - يومين - لا أذهب إليها الخميس

والجمعة، وأترك العمل لمدير التحرير القاص الأديب الأستاذ إبراهيم سعفان. وكان يعاونه في بعض الأحيان أستاذنا العلامة الأديب الشاعر «محمد عبدالغني حسن».

وكان «سعفان» يتصل بي ويخبرني بما يجيء للمجلة.

وفي مرة من تلك المرات جاءت سيدة إلى المجلة، وتركت قصيدة في رثاء زوجها، وألحت أن تنشر في العدد الجديد وكان في المطبعة عدد على وشك الصدور واتصل بي سعفان وحدثني أن هذه السيدة تبكي وترجوهم أن ينشروا القصيدة في العدد الذي سيصدر - بعد أيام - في العاشر من أكتوبر لأن هذا اليوم هو أربعين زوجها.

وقال لي إن الأستاذ محمد عبدالغني حسن قرأ القصيدة، وقال إنها رائعة وكان له في العدد قصيدة- فقال لسعفان أجل قصيدتي، وانشر هذه القصيدة إكراما لهذه السيدة الباكية، ثم هي قصيدة ستكون من أجود قصائد العدد. وقلت لسعفان لابأس، ولكن أجل قصيدة أخرى غير قصيدة الأستاذ محمد عبدالغني حسن.

ثم صدر العدد وبه للسيدة الباكية «قصيدة» وانشغلنا بالعدد الجديد وتجهيز مواده.

وفوجئت بخطاب من الصديق «الدكتور محمد رجب البيومي» يخبرني فيه أن قصيدة هذه السيدة في رثاء زوجها هي بنصها «قصيدة» رجب البيومي في رثاء «زوجته» «رحيل مفاجيء» ولرجب البيومي شعر كثير من أجود أشعار الرثاء في زوجته، وكنت أعرفه وأقرأه.

من الغريب والمضحك أنني كتبت موضوعا عن رثاء الزوجة في الشعر الحديث تحدثت فيه عن «عبدالرحمن صدقي» و«عزيز أباظة» و«سعيد العريان» و«رجب البيومي» وهذا الموضوع نشر في مجلة العلوم البيروتية ولكني أخفيت كل هذا عن رجب البيومي، حتى لاأحدث بينه وبين الأستاذ «محمد عبدالغني حسن» قطيعة فأنا أعرف حساسية الشعراء، ولكن رجب البيومي عرف الحقيقة من سعفان. وكان ما كان وترسبت في نفسه الرواسب. كيف لايعرف محمد عبدالغني حسن قصيدته!!

على كل حال جاءت الشاعرة فواجهتها بقسوة بجريمة السرقة، وقلت لها إن هذه سرقة بلهاء لأن قصيدة رجب البيومي منشورة في مجلة الأديب والعدد السنوي الممتاز من مجلة العربي وهو عدد يطبع آلاف النسخ وبه هدايا مغرية، فكيف تجرأت على هذه السرقة؟!

وكتبت كلمة أزجر فيها الشاعرة. فجاءت تبكي أمامي وترجوني ألا أنشر هذه الكلمة وزجرتها رافضا فذهبت الى الدكتور رجب البيومي وطلبت منه أن يمنع نشر كلمته الرادعة، فكتب إليّ خطاباً رائعاً، ثم طلب إليّ أن أصرف النظر عن إعلان السرقة، فرفضت وأصررت على نشر خبر هذه السرقة البلهاء حتى لاتتكرر من الذين يتصورون أنهم بمنأى عن العقاب.

ولكن الشاعرة ألحت على رجب البيومي يمنع النشر، وألح عليّ هو الآخر فأرسلت إليه خطابا ادعوه ملحا إلي المشاركة في تحرير مجلة الثقافة وحدثته حديثا مستفيضاً عن ريادته وإبداعه في

مختلف المجالات واستجاب مشكوراً وكتب موضوعاً للمجلة وحدثني أنه لن يرسله إليّ حتى أعده بعدم نشر شيء عن سرقة قصيدته. واستجبت مكرها.

وهكذا بدأ رجب البيومي يكتب بانتظام في أعداد مجلة الثقافة. وكان بعد كل عدد يقرأه، يرسل إليّ خطابات ينقد فيها مقالات العدد نقدا ذكيا يدل على ذكاء عميق وثقافة واسعة وخبرة وفيقة. وكان بعض الذين ينقدهم من الأعلام والمفكرين المشهورين، وكان يلح عليّ أن أمزق هذه الأوراق بعد قراءتها. وكان يكتب هذا النقد في مجموعة من الأوراق الصغيرة حتى لاأتمكن من نشرها. ولكني كنت أحتفظ بها، وأخذت منها سلاحا أعدده به فكنت أكتب اليه لأخبره أني احتفظ بكل هذه الأوراق وسأنشرها في العدد الذي يتخلف عن الكتابة فيه، وبذلك ضمنت كتابته في مجلة الثقافة. وهذه الفصول التي نشرناها لرجب البيومي أعظم الفصول الأدبية التي نشرت في الثقافة ولا أدرى هل ضمنها لبعض كتبه أم لاتزال بين صفحات المجلة؟

على أية حال كانت تلك علاقتي برجب البيومي، ولا أدري لماذا لم يأخذ هذا العلم الشامخ والقمة السامقة جائزة الدولة التقديرية وهو أحق بها من معظم الذين حصلوا عليها من أمثال غالي شكري وغيره من الذين لا يطاولون قامة رجب البيومي السامقة.

***

وللنفس الإنسانية مسارب متعددة لانعرف عنها شيئا. فمثلاً رجب البيومي بعد أن عرف أن الأستاذ عبدالغني حسن قرأ القصيدة المسروقة ولم يعرف أنها لرجب البيومي أحس نحوه بشيء ما، لا أقول كرهه، ولكنه تحول عنه وأخذ ينتهز الفرصة ليرد إليه بعض الشاغبات، ويأخذ عليه بعض الهنات. وكنا في الثقافة لانهاب النقد وننشره مهما كان قاسيا ومهما كانت شخصية المنقود. وفي باب رسائل الأدباء الذي أدخلته على المجلة لتثير فيه القضايا الحارة والنقدات اللاذعة ونخلق جواً من الحيوية في الحياة الأدبية كتب الصديق «أبو حسام» وهو الدكتور محمد رجب البيومي نفسه وتخفى حول هذا الاسم لئلا يغضب الأستاذ محمد عبدالغني حسن كتب يقول «نشر الشاعر الكبير محمد عبدالغني حسن بعدد نوفمبر من مجلة الثقافة قصيدة رائعة المعاني دافقة الشعور صادقة التعبير - حرسه الله وأمد في عمره وقد جاء فيها قوله:

وتقتحم بطيبكم أرداني وغمرتم من الشذا أبرادي، وبه تشعيث في العروض والتشعيث في العروض لا يأتي إلا إذا كان البيت مصرعاً ولكنه يأتي في الضرب مستحسنا. فلعله يبحث عن كلمة رقيقة غير قوله (أرداني) وله تحية وسلام.

والخطأ العروضي شيء عادي يقع فيه الشعراء، ولكنه من شاعر كبير وعالم فحل في اللغة والعروض كالأستاذ محمد عبدالغني حسن يعتبر سقطة كبيرة، ولهذا كتب في العدد التالي يدافع عن نفسه، ويذكر آراء بعض علماء العروض الذين يجوزون «التشعيث» في العروض وترك الأمر لي لأرجح أي الرأيين، وقلت بغلظة إنني مع رأي أبي حسام ولا أدرى

لماذا؟ وكان من الممكن أن أظل على الحياد؟

وإننى أعجب كل العجب، وأنا أكتب هذه السطور فى العام الثالث من القرن الحادى والعشرين. كيف كنا نجادل فى هذه الأمور العلمية العميقة الدقيقة، التى لايعرفها إلا كبار المتخصصين فى اللغة العربية وعلومها وآدابها، من امثال «التشعيث» و«الضرب» و«العروض» وغيرها من المصطلحات، التى لايمكن أن نرددها فى مقالاتنا الآن.

وكان الدكتور رجب البيومى يتتبع ماينشر فى المجلات المصرية والعربية، ويعقب على مافيها من أخطاء، وكنت أشجعه على ذلك حتى تثير الحيوية فى الساحة الأدبية.

ومن أهم المقالات التى كتبها محمد رجب البيومى فى الثقافة مقالة بعنوان «أتهام مسرف» وهى من أروع المقالات التى تصدت لتفنيد الشائعات التى كانت تدور حول بعض كبار الأدباء فقد قيل:

● إن سعيد عبده هو الذى كتب مسرحيات شوقى.

● وقيل إن محمد شوقى أمين هو الذى كتب روايات محمود تيمور.

● كما قيل إن محمد مخيمر هو الذى كان يكتب شعر عزيز اباظة، وكذلك أحمد محرم، ومع أنى فندت هذه المزاعم فى متابعاتى فى المجلة، إلا أن مقال رجب البيومى قضى عليها بالدليل العلمى الرصين، والمنهج الهادىء، حتى إن شوقى أمين نفى أن يكون فى هذا الكلام، شىء من الصحة وقال لى «لقد قرأت وأنا صبى صغير خمس قصص لمحمود تيمور ولما تعرفت عليه ازددت به إعجاباً. وقال لى الشاعر أحمد مخيمر: لقد كتبت مقالاً عنيفاً أتصدى فيه لهؤلاء الذين يحاولون تشويه روادنا كما قال لى «إننى عرفت عزيز أباظة شاعراً وتأثرت به قبل أن أصدر ديوانى «ظلال القمر» ولما صدر هذا الديوان فى الثلاثينات ضم قصيدة عن عزيز اباظة تشهد به وبشاعريته».

وكان الفضل فى كل هذا لمقال الدكتور رجب البيومى.

***

ومن أهم مميزات الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى حرصه على تكريم رموز ثقافتنا ولو بإشارة أو فى مقدمة مقال يكتبه، حتى فى مقالاته التى ينتقدهم فيها.

ففى بعض أعداد الثقافة احتفلنا بالرائد الكبير محمد صبرى السربونى عندما غادر دنيانا إلى رحاب الله، وكان من ضمن كتاب هذا العدد رجب البيومى كتب مقاله بعنوان «محمد فريد وجدى والبحوث الروحية» وفى طليعة المقالة كتب هذه العبارة «مهداة الى الأستاذ الكبير أحمد حسين» ثم بدأ المقال بقوله «قرأت المقال الرائع الممتاز الذى كتبه الأستاذ الكبير أحمد حسين عن العلامة الأصيل فريد وجدى -رضي الله عنه- وأنا أجل الأستاذ أحمد حسين إجلالاً يدفعنى إلى تعقب آثاره فى كل مكان وأذكر أنى كتبت منذ خمس سنوات إلى الاستاذ الكبير (محمد سعيد العامودى) رئيس تحرير مجلة الرابطة الاسلامية بمكة أعلن فرحى الزائد بانضمام الأستاذ متفضلاً إلى أسرة تحرير المجلة، وأطلب من الأستاذ العامودى أن يعمل جاهدا علي ألا يخلو عدد من آثار الاستاذ الكبير فرد علي الاستاذ العامودى بأن ذلك غاية مايتمناه، وأن رجائي يجب أن يتوجه إلى الأستاذ أحمد حسين نفسه.. كي يواصل الكتابة أقول ذلك ليعرف الأستاذ منزلته العالية لدى الشباب من أمثالي، وليفسح صدره إذا وجدني أخالفه في تحفظه على المباحث الروحية التى اشتهر بها العلامة فريد وجدى».

ثم جاء المقال الذي وصل إلى خمس صفحات، تفنيدا لرأى الأستاذ أحمد حسين ودحضا لتحفظاته على الحياة الروحية عند فريد وجدى.

ونشر المقال كاملاً ولم يغضب الأستاذ أحمد حسين منى ولا من رجب البيومي، بل كتب بحثاً آخر عن «فريد وجدى» وموضوع تحضير الأرواح» بدأه بقوله «لا أستطيع أن لا أعترف بمدى سرورى العظيم بالمقال الذى تفضل الدكتور محمد رجب البيومي بإهدائه إليّ فما كنت لأتصور أن يحفل من فى مثل مقامه العلمى بإنسان مثلى ثم مضى بعد ذلك فى شرح وجهة نظره. وكان حافزه اعتراضات رجب البيومى.

تلك كانت طبيعة رجب البيومى ومنهجه فى التصحيح والتوضيح وبذلك كان مشتبكا مع كل الأعلام والمفكرين، وأذكر أنه صحح للأستاذ الكبير فتحى رضوان نسبة قصيدة لشاعر أخطأ فيها.

***

ولكن لماذا كتبت كل هذا عن محمد رجب البيومى، لأنى كما قلت فى بداية هذه السطور وجدت أمثال هذا العملاق لايحظى بتقدير كاف من مؤسسات الدولة، فلم يحظ بمنصب رفيع، ولم يأخذ جائزة الدولة التقديرية فى الآداب، ولم أقرأ عن جهة ترشحه لهذه الجائزة وإذا كانت بعض الجهات قد رشحته ولم إقرأ الخبر، فإننى أتمنى أن ينالها رجب البيومى فى هذا العام. فهو جدير بكل جوائز الدولة.

وجد الدكتور رجب حرجا فى نشر هذا المقال وطلب عدم نشره لمكانه من المجلة، لكن أسرة المجلة رأت نشره، لأنه بعض مايستحقه الدكتور رجب البيومى على أننا نأمل أن يوافينا تلاميذ الدكتور رجب وزملاؤه بشىء عن سيرته وجهوده فى الحياة الثقافية لا فى مصر وحدها ولكن فى العالم العربى، فالرجل يستحق من التقدير وبيان جهده بما لا يتسع له مقال أما الذين عايشوه واختلطوا به فسوف يجدون فى جوانب شخصيته وخلقه وتواضعه مع سموق قامته العلمية والأدبية الشىء الكثير ونرجو أن يهيىء الله لنا إعطاءه بعض حقه - أما عن الجوائز الرسمية فإن ما يكتنفها من مجاملات فجة تربأ بالدكتور عنها.

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم
عادل رفاعي خفاجة

غنى النفس

كثير جداً من يتطلعون إلى الآخرين، يتمنون أن يكونوا أمثالهم في الجاه أو النفوذ أو الثروة، وبخاصة وقد تزايد في المجتمع من يطلق عليهم «مليونيرات» ثم بدأت تسمية جديدة تعرف طريقها إلى أصحاب المال، تلك هي «المليارديرات» مما دفع كثيراً من الناس إلى التساؤل من أين لهؤلاء هذه الأموال ؟! وكيف كان السبيل إلى جمعها ؟! وتمنوا أن يكون لهم مثل ما لهؤلاء من الثروة... وهذا التمني أمر يراود النفس وتردده الألسنة من قديم وظل يسرى عبر العصور، وقد صور القرآن الكريم ذلك حيث قص لنا ما تمناه بعض الذين عاصروا قارون فقال جل شأنه :

﴿ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾(١).

هكذا يظن الناس أن الخير في الثروة، ومازالوا يعتقدون ذلك إلا من رحم ربي.

ولذلك نجد من يعقدون المقارنات بين الحرف المختلفة بحثاً عن طريق الملايين، فمن قائل : الطريق في تجارة المخدرات، ومن قائل : بل الطريق فساد أخلاقي أساسه الرشوة والحصول على أموال من البنوك بحيل مدروسة، ومن قائل : إنما خلف الملايين تجارة رابحة وحسن استخدام العقل وتوفيق من الله تعالى قبل كل شئ.

وهنا ظهر من يستغلون هذا الموقف اللاهث وراء المال، لنجد في الأسواق عدداً من الكتب التي ترشد إلى الطريق المنشود، فنجد عناوين لكتب من مثل : كيف تكون «مليارديراً»؟

وبلاشك، فإن بعض مؤلفي هذه الكتب يصفون طريقاً لم يسيروا فيه، لكنهم يصفون ما يتوقعون أنه الطريق المنشود غير أن هذا الواقع، أعني : انشغال الناس بالبحث عن أسهل الطرق للوصول إلى الثروة الفاحشة وانبهارهم بالظاهر دون البحث عما يعانيه أصحاب هذه الثروات من مشاكل !

وظهور مؤلفات تهدف إلى تحقيق هذه الرغبة أو تستغل هذه الرغبة - إنما يدل على خروجهم عن جادة الطريق وانشغالهم المفرط بالحياة الدنيا دون الآخرة !!

ولو أنهم تذكروا قول النبي ﷺ «من أصبح منكم آمنا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا»(٢) لما شغلوا أنفسهم بأكثر من البحث عن قوت اليوم من حلال.

وحيازة قوت اليوم وما يحتاجه الإنسان من ضروريات الحياة تستغرق منه يومه فما الداعي لتحميل النفس فوق طاقتها ؟!

فلنا في هديه ﷺ النجاة، فليس الغنى في كثرة المال، إنما الغنى غنى النفس وإن النفس الفقيرة لا يشبعها ملك الدنيا بأكملها، لأنها ستظل منهومة، فقرها بين عينيها، تصبح فقيرة وتمسي كذلك.

وإن المؤمن حقا هو من يعلم حقيقة :

﴿ أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾(٣)

أي أن الله يوسع على من يشاء ويضيق.

ويرحم الله سلفنا الصالح، فهذا إبراهيم الحربي يقول : ما كنا نعرف من هذه الأطبخة شيئا، كنت أجيء من عشي إلى عشي وقد هيأت لي أمي باذنجانة مشوية أو باقة فجل»(٤).

فهؤلاء هم الرجال الذين عملوا لله ولم يهتموا كثيرا بأمر الدنيا، فكان يكفيهم ما يرد جوعتهم وليس يعنيهم ما إذا كانت باذنجانة مشوية أو بعض الفجل، وهم في ذلك إنما كانوا يتأسون برسول الله ﷺ حيث قال :

«حسب الآدمي لقيمات يقمن صلبه»(٥).

وهذا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يحزنه أن رأى أثر الحصير في جنب رسول الله ﷺ فبكى ويسأله النبي ﷺ ما يبكيك يا عمر ؟

فيقول عمر : يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت رسول الله !

فقال ﷺ : أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة(٦).

ولذلك نقول لكل من هفت نفسه أن يكون من أصحاب المال الوفير : اجمع من حلال ما شاء الله لك واعلم أن السعي في طلب الرزق جهاد قد جعله الله مكفرا للذنوب.

فعن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «إن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج ولا العمرة. قالوا : فما يكفرها يا رسول الله؟ قال : الهموم في طلب المعيشة»(٧).

نسأل الله - تعالى - حسن الاتباع.

وإلى رسائل القراء

(١) القصص ٧٩.

(٢) سنن الترمذي - كتاب الزهد / باب التوكل على الله / حديث رقم ٢٣٦٨.

(٣) الروم ٣٧.

(٤) راجع تاريخ بغداد جـ٦ ص٣٦.

(٥) سنن ابن ماجة جـ٢/١١١٦.

(٦) البخاري : تفسير القرآن / باب تبتغي مرضاة أزواجك حديث ٤٥٣٢.

(٧) الطبراني الأوسط جـ١ ص٣٨.

الإيمان القوى لا تزعزعه الحوادث

وردت رسالة فضيلة الشيخ / محمد محمود حمودة.. وكيل معهد كرداسة يقول فيها:

الإيمان القوى لا يمكن أن تزعزعه الحوادث بحال ولذلك تخرج نفس المؤمن من بين جنبيه، وهو يحمد الله.

قال أنس بن مالك: رضى الله عنه مات ابن لأبى طلحة من أم سليم فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه، حتى أكون (أول من يحدثه) فجاء، فقربت إليه عشاء، فأكل، وشرب، ثم تصنعت له فوقع بها فلما أن رأت أنه قد شبع وأصاب منها - قالت: يا أبا طلحة أرأيت: لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت، فطلبوا عاريتهم. ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا. فقالت: فاحتسب ابنك «أى اطلب ثواب مصيبتك فى ابنك من الله تعالى» قال: فغضب، ثم قال: تركتنى، حتى إذا تلطخت ثم أخبرتنى بابنى، فانطلق حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره بما كان، فقال رسول الله ﷺ بارك الله فى ليلتكما. قال: فحملت وفى نهاية الحديث أنها ولدت ثم انطلقت به إلى رسول الله ﷺ وسماه عبدالله وفى رواية للبخارى «قال بن عيينة»: فقال رجل من الأنصار: فرأيت تسعة أولاد. كلهم قد قرءوا القرآن -يعنى من أولاد عبدالله بن طلحة- وهكذا من رسخ الإيمان فى قلبه، وكان مؤمناً صادقا مخلصا: يرضى بالقضاء، ويصبر على البلاء.

وقد كان بلال مؤذن رسول الله ﷺ مملوكاً لأمية بن خلف. فكان يطرحه فى حر الظهيرة على ظهره، فوق الحصى. ويضع الصخرة.. على صدره، ليحمله على الكفر بالله فما كفر بلال، وظل يقول: أحد أحد، حتى اشتراه أبوبكر من أمية، وأعتقه، وفى غزوة بدر - مكن الله بلالاً من أمية - فقتله.

ولا عجب، فالصبر يزيد الإيمان ويقويه فتدوم استقامة العبد لربه وتحت ظلال الهداية يحيا ويموت المؤمن قوى الإيمان، مرضياً الله الواحد الديان، الذى عرف مقامه، فخافه.

ألا إن العبد المؤمن بالله تعالى إيماناً صادقاً خالصاً قوياً يرى ويعلم يقيناً، أن كل ما يناله من خير، وما يصيبه من شر ممتحن به من الله تعالى. فالأسباب والمسببات كلها بيد الله.. الخير والشر واليسر والعسر والجوع والشبع والنفع والضر، كل ذلك بيد الله.

ولذلك الحق المبين لا يكون من المؤمن القوى الإيمان، إذا نال خيراً أو شراً، إلا ما يرضيه تعالى، فكما لا تطغيه النعم لا تزعزع إيمانه الحوادث، مهما عظمت ولا تنقص إيمانه المصائب، مهما كثرت، وعندما تنزل به حادثة، أو تصيبه كارثة - يتلقاها بالصبر الجميل، فلا يسخط الله بالجزع.

فالمؤمن القوى الإيمان - كما يكون عند النعمة شاكراً - يكون عند المصيبة صابراً. ما أحوج الأمة - فى بناء نهضتها ونيل عزتها - إلى قوة الإيمان والصبر الجميل فلا تضعف أمام ضغط العدو.

الثوب القشيب

وتعقيباً على كلمة القارىء / هشام خضير والتى تضمنت بعض المقترحات منها وضع مجلة الأزهر سنوياً على أقراص كمبيوتر «سى دى» حتى يتم مواكبة التطور الحضارى كتب الأستاذ صلاح الدين طه منزهى - الخارجة - الوادى الجديد يقول:

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ الفاضل مدير تحرير مجلتنا الحبيبة الغراء والأساتذة الفضلاء فريق العمل والإدارة بالمجلة تحية من عند الله مباركة طيبة.. فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

وبعد:

مع الدعاء الخالص لكم بدوام التوفيق لتحقيق آمال الأمة الإسلامية لى رجاء أن تعبر كلماتى التالية عن مشاعر تقدير وحب أعتقد أنها تغمر كل قراء مجلتنا الغراء إذ أتيحت لهم مطالعة الأبواب المتميزة والموضوعات الحية التى تتسم بها «مجلة الأزهر» «وما توفيقى إلا بالله» وهذا شعار حضراتكم والله حسيبكم.

ولقد جاشت مشاعرى حين طالعت مقترحات القارىء الكريم هشام خضير من بورسعيد بعدد يوليو ٢٠٠٣م بتطوير المجلة بما يتناسب بجلال مكانتها وسمو رسالتها وكذلك حين قرأت التعليقات على مؤتمر المثقفين العرب المشبوه بعدد أغسطس ص ٨٧٠، ٨٧٨ والمقالات الواردة تعقيبا على عراقنا المنكوب بنفس العدد أقول وبالله التوفيق.

قرأت الحب فى ثوب قشيب
تسربله هشام البورسعيدى
يطالبنا بمزج الحب دوما
بممزوج من العلم الجديد
يضم القلبُ أزهرنا فيسمو
ويحتضن الأمومة عبر «سى. دى»
نقلت مشاعراً خلجات نفس
تراودنى ببوادينا الجديد
تجاه مجلة راقت لعينى
تجلها الوقر للعديد
يجاوب كل باب شوق قلب
تطلع فى العلوم إلى المزيد

مع خالص تحياتى

وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته

أبو القاسم المجريطى (ق ٥هـ/ ١١م)

القارئ الفاضل محمد عباس محمد عرابى نشكر لك حسن متابعتك لنا وطيب مقترحاتك، وها قد بدا بعضها يأخذ طريقه إلى النور ونقدم للقراء كلمتك عن هذا العالم الجليل:

هو محمد بن إبراهيم بن عبدالدايم أبو القاسم المسلمى المجريطى الأندلسى، عالم الكيمياء عاش فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى، الحادى عشر الميلادى. ولد بمدينة مجريط (مدريد) بالأندلس. ولقد اعتمد المجريطى فى بحوثه الكيميائية على التجربة الخبرية، والملاحظة للتفاعلات الكيميائية، وما تنتجه من صور كيميائية جديدة.

وقد دعا المجريطى - ربما لأول مرة - إلى ضرورة اشتغال من يريد دراسة علم الكيمياء بدراسة العلوم الرياضية أولا وتفهم أصولها. والمجريطى هو أول من حضّر أوكسيد الزئبق، وقد استغرقت منه هذه التجربة أربعين يوماً. وقد صمم المجريطى فرناً خاصاً للتقطير الآلى.

وأبدع ميزاناً حساساً بخمس صفحات (كفات) تطفو فوق سطح الماء من أجل إثبات الوزن النوعى لمادة كان يريد وضعها قيد الاختبار. وقد اهتم المجريطى اهتماماً خاصاً بتجارب الاحتراق والتفاعلات التى تنتج عن هذا الاحتراق. والتغيرات التى تطرأ على أوزانها. هذه التجارب التى كانت أساساً لكافة النظريات الكيميائية الخاصة بأوزان المواد وتغييرها بالاحتراق.

وهو أول من أرخ لتطور الكيمياء فى القرون السابقة.

وللمجريطى من المؤلفات كتاب: «رتبة الحكيم ومدخل التعليم» ويعد هذا الكتاب من أهم مصادر دراسة تاريخ الكيمياء فى الأندلس، وقد ألفه المجريطى عام ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م، وله: «غاية الحكيم وأحق النتيجتين بالتقديم» وفيه أرخ المجريطى لتطور الكيمياء فى القرون الوسطى السابقة له، وسجل منجزات الأمم السابقة فى الكيمياء فى العالم القديم فى أزمنة اليونانيين والمصريين القدماء وله: «مفاخرات الأحجار» و«فى علم الأحجار وتدميرها».. وله مقالة «فى الكيمياء».. وله رسائل «فى الكيمياء» و«الأوزان فى علم الميزان» و«فى الطبيعيات» و«فى الطبائع».

الشيخ أحمد بن شرقاوى (أبو المعارف)

وأرسل القارىء الأديب فرج مجاهد عبدالوهاب يقول:

الشيخ أحمد بن شرقاوى الملقب (أبو المعارف) من الشخصيات الفذة فى العلم والدين والتصوف ولد عام ١٨٣٤ بمدينة فرشوط بقنا، وقد سلك طريق التصوف على يد أستاذ جليل وعالم مشهور هو الشيخ أحمد الخضرى الطهطاتى. وكان يقيم عند سفره إلى القاهرة بضاحية عين شمس يجتمع مع كبار رجال الأزهر فى زمانه مثل الشيخ إبراهيم الباجورى والشيخ مصطفى البولاقى والشيخ مصطفى المرصفى وغيرهم وكان من أخلص أصدقائه الشيخ الإمام محمد عبده والشيخ سليم البشرى والشيخ حسونة النواوى والشيخ محمد شاكر. ومن أشهر تلاميذه الشيخ أحمد الطاهر الحامدى والشيخ حسنين مخلوف والشيخ المراغى والشيخ عبدالرحيم السيوطى.

ومن مؤلفاته كتاب «شمس التحقيق وعروة أهل التوفيق» و«كتاب الذاكرين وإرغام المكابرين» و«المورد الرحمانى» وهو فى التوحيد والتصوف وقد شرحه اثنان من تلاميذه هما الشيخ أحمد الطاهر الحامدى، والشيخ محمد حسنين مخلوف. وله أيضاً كتاب «منحة الفتاح ورقية الأرواح» و«الوسيلة الحسنى فى نظم أسماء الله الحسنى» وكان على دراية تامة بفنون الشعر وتمكن كامل من اللغة مما أهله للقيام بتشطير بردة الإمام البوصيرى فى مدح رسول الله ﷺ والتى وصلت إلى ٣٢٩ بيتاً من الشعر، وتقبلها المعاصرون له من العلماء أجمل قبول وقرظها العديد من العلماء مثل الشيخ النواوى والشيخ الجيزاوى والشيخ سليم البشرى من مشايخ الأزهر.

وقد توفى بعد حياة حافلة أمضاها فى تربية النفوس وتهذيب الأخلاق وفى خدمة العلم والدين والتصوف والدعوة، فى عام ١٣١٦هـ الموافق ١٨٩٨م ودفن بقريته (نجع الشرقاوى) بالقرب من مدينة نجع حمادى.

***

ظليل الملائكة

● أنا الشيخ خيرى محمد إبراهيم أبوالروس ـ من كفر الشيخ ـ بيلا.. فكان مما كتبه:

ظليل الملائكة هو أحد نقباء الأنصار الذين بايعهم الرسول الكريم ﷺ بيعة العقبة الثانية وهو: «أبو جابر عبدالله بن عمرو ابن حرام» وهو من بنى سلمة. هاجر إلى المدينة المنورة ووضع نفسه وماله فى خدمة الإسلام والدعوة الإسلامية. وبعد هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة «يثرب قديماً» شهد معه غزوة بدر الكبرى، ثم كانت بعد ذلك غزوة أحد فى العام الثالث من الهجرة المباركة إلى المدينة المنورة فشهدها مع الرسول الكريم ﷺ وغمره إحساس صادق بأنه لن يعود، فكاد قلبه يطير فرحاً.. واستدعى ولده «جابر» وأوصاه بأهله خيراً، وأن يرد ديناً كان عليه.. ولما انتهت المعركة إلى ما انتهت إليه بعد مخالفة الرماة لأوامر الرسول الأعظم والقائد الأول للأمة الإسلامية، سيدنا محمد ﷺ وذهب المسلمون ينظرون شهداءهم، بحث جابر ـ ابن عبدالله ـ رضى الله عنهما ـ عن أبيه حتى ألفاه بين الشهداء وقد مثل به المشركون، كما مثلوا بغيره من الشهداء، ووقف سيدنا جابر بن عبدالله ـ رضى الله عنهما. وبعض أهله يبكون شهيد الإسلام، فمر بهم رسول الله ﷺ فقال لهم: «ابكوه... أو لا تبكوه... فإن الملائكة لتظله بأجنحتها».

لا يا خطيب المسجد

بقلم: القارىء الأستاذ/ السيد التحفة شبراخيت ـ شارع أحمد عرابى:

● قال خطيب مسجد (.........) إن أحمد ابن طولون قال للسحابة: «أمطرى حيث شئت، فسيأتينى خراجك».. وهذا الكلام عين الخطأ، فأساس هذه المقولة يرجع إلى الخليفة العباسى التقى المظلوم «هارون الرشيد» الذى كان يغزو سنة ويحج فى الأخرى.

أما ابن طولون فلم يكن ذا ملك عريض مثل ملك هارون الرشيد.. ولو قالها.. فربما على سبيل الاستشهاد فقط.

.. وبالتالى أطالب وزارة الأوقاف أن تقوم بإعداد الدعاة حتى يكونوا على ثقافة كافية وكفيلة بأن تؤهلهم للصعود على المنبر.

فإن للصعود عليه رهبته، وكذلك له تبعاته، بمعنى أن الخطيب إذا أضل فئة من الناس عن طريق نشر معلومات مضللة لهم، فعليه وحده وزر هذا الضلال..

وصدق المصطفى ﷺ حينما قال: «اللهم إنى أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أجهل أو يجهل على».

المحرر:

كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن ينبه على خطأ يقول: «ما بال أقوام....»

لذلك حذفنا اسم المسجد لأن الهدف الإصلاح وليس التشهير.

من إبداعات القراء:

فى الإسراء والمعراج

يا درة الكون والآفاق من قدم — يا مبعث النور والأخلاق والكرم
أعطاك ربك فى الإسراء معجزة — فطفت بالأفق والأجواء والسدم
وبت تشهد للآيات معتبراً — جل الإله وما أعطاك من نعم
سريت بالليل فى ركب يضمكما — حتى وصلت إلى الإخوان فى الحرم
والرسل بالمصطفى كان اقتداؤهم — إذناً صريحاً بختم الوحى والكلم
طفت السموات حتى جئت منزلة — فى سدرة المنتهى كلمت من أمم
وفى العروج لقد شاهدت جنته — كذا الجحيم وما يحويه من ألم
جنت البرية بالصلاة يمنحها — رب العباد لمن يختار من نسم
نعم الهدية فهى الخير أجمعه — وبالصلاة نكون أسعد الأمم
يا سائلين على وقت لرحلته — وعن صفات لما رأى من الجرم
فالوقت مختبس حتى يتممها — أمراً من الله ذى الجلال والكرم
والبيت يأتى على كف لينظره — فيتقن الوصف للشرفات والرسم
والصدق يظهر والصديق يدعمه — والوحى يشهد للمختار بالنعم

شعر/ جابر عبدالعليم مصطفى – المدرس بمعهد الزوازية ع. ث – دار السلام – سوهاج

نعتذر للسادة القراء لعدم نشر رسائلهم كاملة، وذلك حرصاً من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من القراء. ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق فى اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها. كما نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم ونواصل نشرها تباعاً بمشيئة الله تعالى.



أنباء العالم الإسلامى

للأستاذ / محمد الشرقاوى

إمنحونا الأمن نمنحكم المياه والكهرباء

لم تجد القوات الأمريكية المحتلة وسيلة للضغط على المقاومة العراقية المتصاعدة سوى قطع المياه والكهرباء عن سكان بغداد.

وقامت بوضع شعارات على دباباتها التى تجوب بغداد تقول فيها للعراقيين «إمنحونا الأمن نمنحكم المياه والكهرباء».

وقد وصف مراسلون غربيون فى بغداد هذا الوضع الذى وصلت إليه القوات الأمريكية بالتخبط والارتباك أمام هجمات المقاومة العراقية المتصاعدة التى لا تهدأ مهما كان عنف الأمريكان.

من ناحية أخرى نقل موقع «انفودون كوم» على شبكة «الإنترنت» نصوص رسائل متبادلة بين جندى أمريكى فى العراق ووالده حيث قال الجندى فى إحدى الرسائل: أخرجونا من هنا الآن ما من شئ نستطيع فعله من أجل تهدئة الشعب العراقى ما عدا الخروج من بلده والسماح له بإعادة فرض النظام بالطريقة التى يريدها.

- ولكن لسان حال المقاومة العراقية يقول للقوات المحتلة الغاصبة:

سنقض مضجعكم ونثير بينكم الذعر والخوف ولن نترككم تستولون على بلادنا التى اغتصبتموها وسنمنعكم الأمن حتى لو منعتمونا الماء والهواء والكهرباء والغذاء.

ضابط أمريكى يشهر إسلامه ويتزوج بعراقية

أشهر ضابط أمريكى إسلامه فى محكمة الأحوال الشخصية بضاحية «الكرخ» فى بغداد

ليتمكن من الزواج بطبيبة عراقية تعرف عليها بينما كان يقوم بحراسة المستشفى الذى تعمل به الطبيبة.

وأكد الضابط أن إشهار إسلامه لم يأت إلا عن اقتناع كامل وليس فقط للارتباط بالطبيبة العراقية التى أحبها.

وعلق أحد أعضاء هيئة علماء المسلمين فى العراق على ذلك قائلاً: إنه التقى مع ضابط أمريكى آخر أشهر إسلامه ورآه يبكى متسائلا عن ذنب والديه بعد أن ماتا دون أن يعلما شيئا عن الإسلام.

مفتى روسيا يحذر من اضطهاد المسلمين

حذر الشيخ - نفيع الله أشيروف - رئيس مجلس الإفتاء فى روسيا - الحكومة الروسية من خطورة تعرض المسلمين للاضطهاد وما يمكن أن يقود إليه ذلك من اضطرابات عرقية.

ودعا «أشيروف» الحكومة الروسية إلى وضع حد للتفرقة التى يتعرض لها المسلمون فى البلاد وقال: إن روسيا شهدت تصاعد حملة التفرقة ضد المسلمين خاصة بعد العمليات الاستشهادية التى نفذتها بعض الشيشانيات فى موسكو فى شهر يوليو الماضى.

وباتت الشرطة الروسية تنظر إلى كل مسلمة على أنها انتحارية إرهابية وإلى كل رجل مسلم على أنه متطرف وانفصالى.

الهجوم على مسجد بساحل العاج

هاجم مسلحون متطرفون فى ساحل العاج مسجداً فى العاصمة «أبيدجان» واعتدوا على مؤذنه وأجبروا المصلين على ترك المسجد وعدم إقامة الصلاة وذكرت صحيفة «فراترنيته ماتان» التى تصدر فى ساحل العاج أن المهاجمين قالوا للمصلين: إذا أردتم الحفاظ على حياتكم فعليكم التوقف عن الصلاة فى المسجد. ولكن عدداً من قيادات المسلمين لجأوا إلى السلطات واستطاعوا الحصول على تصريح بإعادة فتح المسجد وإقامة الصلاة به.

إلا أن هذا الحادث مازال يمثل هاجساً وعقبة أمام حرية المسلمين فى هذا البلد.

صمود المسلمين يعجل بسقوط أمريكا

أعلن المفكر الإسلامى الفرنسى «روجيه جارودى» أن صمود المسلمين فى وجه الهيمنة الأمريكية سيعجل بسقوط إمبراطورية الشر الأمريكية.

وطالب «جارودى» فى تصريحات صحفية له المسلمين بمزيد من الصمود فى وجه الغطرسة الأمريكية مشدداً على ضرورة وجود تحالف إسلامى قوى للتصدى للولايات المتحدة وحليفتها دولة الكيان الصهيونى.

مشيراً إلى أن الهدف التالى لأمريكا بعد أفغانستان والعراق هو إيران وقال جارودى: ما من شك أن هناك استراتيجية أمريكية واضحة للسيطرة على العالمين العربى والإسلامى سياسياً واقتصادياً وقد انطلقت هذه الاستراتيجية منذ مدة وكانت أفغانستان والعراق بواكيرها الأولى.

عـودة الدينـار الإسلامى

في سابقة هي الأولى من نوعها والتي تعد خطوة نحو استقلال الاقتصاد الإسلامي بدأت ماليزيا التعامل بالدينار الإسلامي في ولاياتها السبع لتخفيف الاعتماد على العملات الأجنبية غير المستقرة.

وكان رئيس الوزراء الماليزى قد اقترح قبل عامين طرح عملة الدينار الإسلامى للتعامل فى ماليزيا وبالفعل تم إنجاز الفكرة وسيقتصر التعامل فى هذه الفترة بالدينار كبديل لعمليات التوفير.

وقد جاء الدينار الذى طرحته ماليزيا وفقاً للدينار الذى ضرب فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه والذى يزن ٤،٢٥ جرام وتصل نقاوته إلى ٩١،٦٪ من الذهب.

ويتوقع الخبراء المصرفيون أن يؤدى الإصدار الجديد للدينار الإسلامى إلى تشجيع المدخرات الوطنية ودفع النمو الاستثمارى فى ماليزيا.

أحدث تقرير للكونجرس حول القتلى الأمريكان فى العراق

كشف أحدث تقرير للكونجرس الأمريكى أن «٣٠٠» جندى أمريكى يلقون مصرعهم شهرياً على أيدى المقاومة العراقية بمعدل يومى يتراوح ما بين ١٠ و١٢ جندياً مما ينذر بتحول العراق إلى مستنقع أبشع من المستنقع الفيتنامى.

وتضمن تقرير لجنة الكونجرس التى زارت العراق برئاسة السيناتور «بورتر جوس» وضمت ١٢ عضواً - لقاءات مع عدد من الضباط والجنود الأمريكان فى مناطق متفرقة من العراق عبّروا خلالها عن ذعرهم من تصاعد هجمات المقاومة العراقية وانتظارهم للموت فى أية لحظة وذلك برغم محاولة الحاكم الأمريكى للعراق التخفيف من حدة الموقف وذلك بالادعاء بأن عدد قتلى الجنود الأمريكيين يومياً لا يتجاوز «٣ إلى ٥» جنود فقط ؟ وبأن قواته حققت نجاحاً كبيراً فى مطاردة فلول المقاومة.

وقد اضطرت اللجنة إلى اختصار زيارتها إلى خمسة أيام فقط بدلاً من عشرة أيام حسبما كان محدداً وذلك بعد تدهور الأوضاع الأمنية فى العراق.

وأكد التقرير أن هناك أوضاعاً مأساوية حقيقية يعيشها الضباط والجنود الأمريكيون فى العراق وأن كلاً منهم يتوقع أن يقتل بعد ساعة أو ساعتين وأن كل دقيقة تمر وهم على قيد الحياة يعايشون بعدها القلق والخوف وفى ختام التقرير طالبت لجنة الكونجرس الإدارة الأمريكية بسرعة التحرك لإنقاذ أرواح الجنود والضباط الأمريكيين الذين يتعرضون لنزيف الدم يومياً على أرض العراق. محذرة من أن تجاهل نداءات القوات العاملة بالعراق من شأنه أن يقود إلى تمرد واسع وعمليات هروب كبيرة لهذه القوات.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

الإمام الأكبر يستقبل رئيس جمعية نهضة العلماء بأندونيسيا

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه بمشيخة الأزهر الشريف بحديقة الخالدين بالدراسة فضيلة الشيخ / أحمد هاشم مزاوى رئيس جمعية نهضة العلماء كبرى الجمعيات الإسلامية بدولة أندونيسيا والوفد المرافق.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى الأزهر الشريف مشيدا بعمق العلاقات التاريخية منذ عشرات السنين، موضحا بأن أعدادا كبيرة من طلبة وطالبات أندونيسيا يدرسون بالأزهر الشريف فى مراحله المختلفة، وأن هناك أعدادا أخرى قد تخرجت بعد أن أنهت الدراسة وجميعا يعودون إلى بلادهم لنشر الإسلام وتعاليمه السمحة بعد أن حصلوا العلم النافع وتعلموا القرآن الكريم واللغة العربية والشريعة الإسلامية.

وقد شكر الوفد فضيلة شيخ الأزهر الشريف على هذا اللقاء البناء مؤكدين حرصهم على هذه الزيارات المتكررة للأزهر الشريف لأنهم يستفيدون استفادة كبيرة، وقد وجهوا الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وهى موجهة من رئيس الجمهورية وذلك لحضور الاحتفال الدولى لعلماء الجامعات الإسلامية والذى سيعقد فى الأسبوع الثانى من شهر يناير أول العام القادم، وأن جمعية نهضة العلماء يهمها جدا حضور فضيلة شيخ الأزهر الشريف للتعريف بسماحة الإسلام.

الإمام الأكبر

نحن مع الشعب الفلسطينى فى الدفاع عن المسجد الأقصى

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فضيلة الشيخ / تيسير التميمى قاضى قضاة فلسطين، ونائبه الشيخ / محمود سلامة، ومستشاره السيد / جميل سلامة، ومدير مكتبه السيد / تيسير عليوى، ورحب فضيلته بالسادة الضيوف فى مصر وأزهرها الشريف موضحا بأننا فى مصر رئيسا وحكومة وشعبا نقف إلى جانب إخواننا فى

فلسطين نعاونهم ونؤازرهم بكل أنواع المعاونة، ونقف إلى جانب الحق الفلسطيني مع السيد الرئيس ياسر عرفات ومع السيد رئيس الوزراء ومع الشعب كله ونحن معهم في الدفاع عن المسجد الأقصى المبارك الذي هو أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومكان مسرى رسول الله ﷺ ونحن نبذل كل ما نستطيع من جهد لتحقيق المقاصدة وإقامة الدولة الفلسطينية في أقرب فرصة ممكنة وعاصمتها القدس الشريف، وقد سلم قاضي القضاة رسالة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف من السيد الرئيس ياسر عرفات، يوضح فيها خطورة الوضع الراهن في الأراضي المقدسة التي تستهدف مقدسات المسلمين والمسيحيين وعلى رأسها المسجد الأقصى الشريف، كما أشاد بالجهود التي يقدمها السيد الرئيس / محمد حسني مبارك رئيس جمهورية مصر العربية للقضية الفلسطينية، قائلا بأننا ندرك أهمية مصر حكومة وشعبا والأزهر الشريف في مساندته للفلسطينيين، والتوضيح الدائم لما تتعرض له الأماكن المقدسة. وقد طلب عقد مؤتمر يوضح المخططات الصهيونية التي تسعى للسيطرة، ولا تسعى للسلام، وأن اليهود قاموا بتقسيم فلسطين إلى عشرين تجمعا يصعب التنقل فيما بينها، وذلك لما فرضه الإسرائيليون من حصار شديد، مع استمرارهم في بناء الجدار الأمني رغم المعارضة العالمية.

ويؤكد:

الأزهر لا يدخر وسعا في تقديم العون لأبناء فلسطين

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد عرب إسرائيل الذين يقيمون داخل الخط الأخضر برئاسة الشيخ / عبدالرؤوف حسن القاسمي رئيس مجلس أمناء كلية الشريعة والدراسات الإسلامية والدكتور / محمد عيسوي رئيس كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، حيث رحب فضيلته بالضيفين في مصر وأزهرها الشريف مؤكدا على أن الأزهر الشريف لا يدخر وسعا في تقديم العون والمساعدة لأبناء المسلمين في أرجاء المعمورة وبخاصة أبناء فلسطين.

وقال فضيلته: نحن على استعداد لإمدادكم بالكتب والمراجع في التخصصات التي تريدونها وكذلك المناهج والكتب الدراسية التي تحتاجون إليها وأوضح فضيلته بأنه يوجد بمدينة غزة معهد ديني يدرس المناهج الأزهرية على غرار معاهد الأزهر الشريف وهو معهد غزة الديني، ومن جانبه أعرب رئيس الوفد عن شكره وامتنانه لمصر ولأزهرها الشريف على المواقف الإيجابية التي يفخر بها كل عربي وكل مسلم معربا عن رغبته في دعم كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بأعضاء هيئة التدريس من الأزهر الشريف، كما طلب إمدادهم بالأئمة والوعاظ للعمل داخل هذه الأكاديمية حيث إنها تضم أقساما مختلفة لتدريس اللغة العربية والمواد الشرعية والدراسات الإسلامية، كما تشتمل على قسم معادل لكلية

الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر الشريف وقال: إن عدد المسلمين داخل الخط الأخضر يبلغ المليون نسمة، كما طلب معادلة شهادات الماجستير والدكتوراة من كلية الدراسات الإسلامية بفلسطين بمثيلتها بالأزهر الشريف.

الإمام الأكبر:

العقائد لا تباع ولا تشترى

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد المجموعة المصرية الأمريكية والتي تنظم سنويا للطلبة المصريين الأمريكيين رحلة بهدف مد الجسور والاتصال بين المهاجرين وأجيالهم وبين الوطن الأم وذلك للحفاظ على هويتهم وربطهم بجذورهم المصرية، وقد رأس الوفد المهندس / ناصر عبدالعزيز رئيس المجموعة، وقد رحب فضيلته بالوفد مؤكدا على تمسكهم باللغة العربية حتى يتمكنوا من قراءة القرآن الكريم وفهم السنة النبوية وقراءة الكتب والمجلات والجرائد التي تصدر باللغة العربية، وأكد فضيلته على أننا في مصر مسلمين ومسيحيين نعيش معا نتساوى في الحقوق والواجبات لأننا أخوة متحابين مترابطين والشرائع السماوية كلها تحثنا على ذلك وهي ضد التعصب والعنصرية، والعقائد لا تباع ولا تشترى، ولكل إنسان عقيدته، والأديان السماوية تجمع ولا تفرق، تبني ولا تخرب، تنشر بين الناس المحبة، وتأمر بالتعاون والتآخي والترابط، والشرائع السماوية تعطي لكل إنسان حقه، وتمنع العدوان وتحاربه، وتحارب الظلم والغش والعنصرية البغيضة، والعقول الإنسانية السليمة أجمعت على أنه حينما ينتشر السلام ينتشر الأمان ويعم الخير، ولكن حينما ينتشر التعصب الأعمى، والعنصرية البغيضة، وضيق الأفق حينئذ يعم الخراب والدمار والفوضى والفساد. كما أوضح فضيلته أن الظلم لا يمكن أن يدوم ويستمر ولكن الذي يستمر هو الحق والعدل والتعاون والمحبة، والشرائع أكدت على أن الناس جميعا خلقوا من أب واحد وأم واحدة، وعليهم جميعا إخلاص العبادة لله وحده.

كما أجاب فضيلته عن أسئلة الوفد واستفساراته حول زواج المتعة، ومرجعية الأزهر بالنسبة لمجتمع المهجر في الشئون الدينية. كما وجههم فضيلته على أن يكونوا يدا واحدة وأن يعملوا بكل ما يستطيعون على توضيح صحيح الإسلام وتحسين صورة مصر في الخارج ودور البعثات المصرية في الولايات المتحدة الأمريكية والتنسيق مع علماء الأزهر الشريف ليظل التواصل دائما وتدعيم العلاقات بين مصر والمجتمع الأمريكي.

الإمام الأكبر يستقبل وفد طلاب البوسنة والهرسك

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفدا من الطلاب والطالبات من مدارس المدن المختلفة من البوسنة

والهرسك ومعهم مديرى المدارس المشرفين عليهم. وتأتى تلك الزيارة فى إطار دعوة وزارة الأوقاف المصرية والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية للوفد لزيارة مصر، وقد رحب فضيلته بهم فى مصر وفى أزهرها الشريف مشيدا بتمسكهم بدينهم وبصمودهم أمام مايتعرضون له داعيا لهم بدوام السداد والتوفيق.

ثم التقى بهم فضيلة الشيخ محمود إمبابى وكيل الأزهر الشريف وشرح لهم رسالة الإسلام ووسطيته وسماحته كما قدم شرحا مبسطا لرسالة الأزهر الشريف وكيف أنه يستقبل طلابا من أكثر من ٩٥ دولة من دول العالم ليتعلموا فى الأزهر الشريف، كذا العلماء الذين يوفدهم الأزهر إلى بلاد العالم المختلفة ليقوموا بتعليم أبناء هذه الدول والدور الهام لعلماء الأزهر الشريف فى تصحيح وتوضيح المفاهيم الإسلامية مشيرا إلى نظام التعليم بالأزهر حيث يقوم بتحفيظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية وعلوم الشريعة الإسلامية إلى جانب المواد الأخرى الثقافية واللغة الانجليزية والفرنسية، وقد أثنى على أبناء البوسنة والهرسك فى جهادهم ونضالهم من أجل الدفاع عن عقيدتهم، وأكد على أن الدين الإسلامى يأمر بالصدق والعدل والأخلاق الكريمة، مؤكدا على دور المسلمين فى الدعوة إلى الحق والفضيلة أسوة بالرسول الكريم محمد ﷺ ليكونوا رسلا للعالم، وبين أن مصر دولة تحتفظ بالإسلام فى جوهره وتسير على كتاب الله وعلى سنة رسول الله ﷺ وتطبق الدين الإسلامى. وفى مصر يعيش المسلمون والمسيحيون فى مجتمع واحد كل يؤدى ما عليه من واجبات والكل يتمتع بحقوقه الدستورية التى كفلها القانون، وتم إهداؤهم كتبا عن الإسلام باللغة العربية والإنجليزية.

الإمام الأكبر يشهد حفل تخريج دورة جديدة لأئمة ووعاظ العالم الإسلامى

● شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف حفل تخريج الدورة التدريبية العالمية الحادية والستين للأئمة والوعاظ الوافدين من العالم الإسلامى والتى استمرت ثلاثة أشهر اعتبارا من ١/٥/٢٠٠٣ وانتهت فى ٣١/٧/٢٠٠٣ لعدد ٢٤ إماما وواعظًا من دول: الجزائر والصين ونيجيريا والسودان تلقوا خلالها العلوم الدينية والمعارف الثقافية والشرعية، وتزودوا بالعلم من أساتذة متخصصين فى مختلف العلوم والمعارف من علماء الأزهر الشريف وأساتذة جامعة الأزهر وعلى رأسهم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وقد ألقى فضيلته كلمة هنأ فيها الخريجين وحثهم على بذل الجهد والعطاء، وأن تكون دعوتهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن تكون لخدمة دينهم ووطنهم ولوجه الله - عز وجل - وعليهم أن يتحلوا بمكارم الأخلاق، وعليهم أن يشرحوا ما تعلموه لأبناء بلادهم بعيدا عن التعصب الأعمى والمغالاة، وأن يظهروا وجه الإسلام السمح القائم على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، وألا يتحيزوا لمذهب بعينه وأن يكونوا رسلا للأزهر الشريف وأن يكون قدوة طيبة يحتذى بهم فى أقوالهم وأفعالهم وتصرفاتهم، كما حثهم على التعاون فى نشر العلم النافع وخاصة فى هذا العصر الذى نعيش فيه، وأن يتصدوا لمن يشككون فى أمور الدين الحنيف ومن تجاوزوا الحدود والذين يرمون الإسلام بتهم باطلة، وعلينا جميعا أن ندافع عن ديننا دفاعا مبنيا على المنطق السليم والإقناع لأننا فى عصر أفضل وسائل الاقناع فيه هو إقناع العقول، وإقامة الأدلة، على أن شريعة الإسلام ضد التطرف وهذا الظلم والعدوان والفواحش، وأكد على أن الإسلام دين يصون النفس الإنسانية، من أى عدوان عليها، لأن الله كرم النفس الإنسانية:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾

الإسراء (٧٠)

وقال فضيلته إن الإسلام يبنى ولا يهدم يعمر ولا يخرب يصلح ولا يفسد، يدعو أبناءه أن يعيشوا أعزة، ويكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، وقال: نحن دينيا وشرعيا وخلقيا نرفض أى عدوان يحدث من مسلم على مسلم بصفة خاصة أو من مسلم على غيره بدون وجه حق بصفة عامة، ونحن كعلماء يجب أن نكون غيورين على ديننا ندافع عن الحق بكل عزة وحزم.

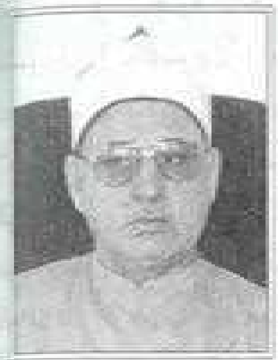
وقد أوصاهم فضيلته أن يذكروا مصر وأزهرها الشريف وأن يكونوا على تواصل دائم مع الأزهر الذى يفتح أبوابه دائما للمعرفة وللتزود بالعلم النافع وبأمور الفتيا وبالمعارف الدينية ودعاهم بأن يعودوا إلى بلادهم بكل توفيق وسداد.

ثم قام فضيلته بتوزيع شهادات التخرج عليهم وإهداء كل عالم مكتبة إسلامية قيمة، كما افتتح فضيلته الدورة الثانية والستين التى ستبدأ اعتبارا من ١/٨/٢٠٠٣ لأئمة ووعاظ العالم الإسلامى وعددهم ٢٠ إماما وواعظا من دول: الجزائر والسودان، ميانمار، غينيا كوناكرى، بوركينا فاسو، سيريلانكا.

اعتماد نتيجة الدور الثانى للشهادة الابتدائية الأزهرية

● اعتمد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف نتيجة امتحان الشهادة الابتدائية الأزهرية للدور الثانى حيث تقدم لأداء الامتحان ٣٧٠٧٧ تلميذا وتلميذة حضر منهم ٣٥٩٥٧ تلميذا وتلميذة نجح منهم ٢٧٢٩٤ تلميذا وتلميذة وبلغت نسبة النجاح فى الدور الثانى ٧٥,٩١٪، وكانت نسبة النجاح فى الدور الأول ٧٠,٣٥٪ وبذلك تصبح النسبة العامة للنجاح فى الدورين الأول والثانى معا ٩٢,٥٢٪.

الدكتور محمود إمبابي وكيلا للأزهر



د/ محمود إمبابي

● صدر قرار السيد الرئيس محمد حسني مبارك رئيس الجمهورية رقم ١٩٠ لسنة ٢٠٠٣م بناء على ما عرضه فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف بتعيين فضيلة الشيخ/ محمود إمبابي أمين قناوي وكيلا للأزهر الشريف اعتبارا من ١٣/٨/٢٠٠٣ وحتى ٢٣/١٢/٢٠٠٤ تاريخ بلوغه السن المقررة لتلك الخدمة.

● أسند فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف رئاسة قطاع المعاهد الأزهرية لفضيلة الشيخ/ محمد صبري عبدالحليم البديوي بدرجة وكيل أول وزارة اعتبارا من ١٣/٨/٢٠٠٣ بناء على ما عرضه فضيلة الشيخ د. محمود إمبابي وكيل الأزهر.

● كما أسند فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف إلى السيد الأستاذ عبدالمنعم حافظ فودة مدير عام الأمن بالأزهر الشريف القيام بعمل وظيفة رئيس الإدارة المركزية المشرف على مدينة البعوث الإسلامية بالإضافة إلى عمله الأصلي بصفة مؤقتة لحين شغل الوظيفة المنتدب إليها بصفة أصلية وذلك بالقرار رقم ٩٧٥ لسنة ٢٠٠٣ وقد صدر في ٨ من جمادى الأخر ١٤٢٤هـ الموافق ٦ من أغسطس سنة ٢٠٠٣م

● كما صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف رقم ٩٧٤ لسنة ٢٠٠٣ بأن يسند إلى فضيلة الشيخ عبدالله ألهم مجاور حسين مدير عام منطقة وعظ الجيزة القيام بعمل وظيفة رئيس الإدارة المركزية لأمانة اللجنة العليا وشئون الدعوة الإسلامية وذلك لحين شغلها بصفة أصلية.

● ويسند الى فضيلة الشيخ عزت عبدالرحمن الإمام عيسى مدير التوجيه بمنطقة وعظ القاهرة القيام بعمل وظيفة مدير عام منطقة وعظ الجيزة بصفة مؤقتة لحين شغلها بصفة أصلية وقد صدر في ٨ من جمادى الأخر ١٤٢٤هـ الموافق ٦ من أغسطس سنة ٢٠٠٣م.

● كما وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على ندب فضيلة الشيخ عبدالرؤوف محمود محمد مدير عام شئون المناطق بقطاع المعاهد الأزهرية للقيام بعمل وكيل قطاع المعاهد الأزهرية لشئون المناطق.

● وعلى ندب فضيلة الشيخ أحمد عبدالعزيز عبدالقادر مدير عام التعليم النوعي والفني بقطاع المعاهد الأزهرية للقيام بعمل وكيل قطاع المعاهد الأزهرية لشئون التعليم وذلك لصالح العمل.

faculties of man's society in order to achieve better progress and perfect social development according to the values of Islam on the other hand.

Since every educational philosophy depends on certain values, the Islamic educational philosophy has its own unique values. We will mention some of those values as follows

- *Monotheistic values*. These values are considered the origin of the other fiducial beliefs. With such values, Islam was able to confront the deviated values that were prevailing in the Pre-Islamic Era, such as polytheism, paganism, planets worship, believing in astrology, bad omens, etc. Moreover, believing in the Oneness of Allah has an ethical message for both the individual and society. There are numerous proofs showing the relation between faith and the ethics of both the individual and society.
- *Values of knowledge*. They are considered the pillars of every civilizational progress. In this respect, we should not restrict our knowledge to the rulings of our religion and its ethical values and claim that there is no relation between Islam and the cosmological and material knowledge. This is because Islam encompasses all the different fields of human knowledge.
- *Cosmological research*. Man has been commanded to construct and populate this universe that has been subjected to him. This means that man can benefit from the blessings of the universe so as to secure his provision and life. Consider the meaning of the statement of Allah in which He says:

﴿And He has subjected to you whatsoever in the heavens and whatsoever in the earth, altogether from Him.﴾

[Al-Jathiyah (Kneeling): 13]

- *Equality between people*. This is considered one of the most important values in Islam. This is due to the fact that there is no distinction between an Arab or a foreign except by righteousness and piety. Allah, Exalted be He, says:

﴿O you mankind, surely We created you of a male and a female, and We have made you races and tribes that you may get mutually acquainted.﴾ [Al-Hujurat (The Apartments): 13]

*Educational Values in Islam

By: *Ustaz* Moustafa Al-Basiouny

Among the favors conferred by Allah, Exalted and Glorified be He, upon mankind is that He made His religion (i.e., Islam) pays much attention to the education of man whom He created and well-proportioned. Naturally, the One Who created mankind is the best one to know about His creation. Allah, Exalted be He, says:

﴿Shall He not know, Who created? And He is The Ever-Kind, The Ever-Cognizant﴾ [Al-Mulk (The Kingdom): 14]

Accordingly, Allah, Exalted be He, gives much importance to the education of man as well as the other matters. This is due to the fact that He has created man to construct the earth by the means, characteristics and faculties He has conferred upon him. Such faculties conform to the message of construction for which man is created. Hence, Allah's wisdom necessitated that He provides for man the educational means that can help him fulfill what he was created for. This is supported by the fact that man was not created for nothing or thrown onto the earth aimlessly, as came in some philosophies that do not search for the truth; rather, each of them tries to distort and efface it.

Since there is a specific role in this life for man to play, the Divine Providence has willed that there be an educational method; if followed and applied by man, success in his role of constructing the earth is granted. This is in order not to leave any excuse for man when he is asked about the extent to which he has played his role. In this regard, Allah, Exalted and Glorified be He, says,

﴿So whosoever does an atom's weight of charity shall see it. And whosoever does an atom's weight of evil shall see it.﴾

[Az-Zalzalah (The Earthquaking): 7-8]

What a miraculous divine wisdom; namely, Allah created man and honored him by breathing from His own Soul into him;

---

*An Article Published (In Arabic) at Al-Azhar Magazine.

besides, He did not leave him proceed in a series of bumps, as He paved the way to a happy life for him. Allah's mercy necessitated that He guide man to the educational method that can achieve harmony and best reaction between his human faculties and abilities on one side and the phenomena and objects surrounding him on the other side.

In order to let man understand his value in the sight of himself as well as the whole mankind, Allah has willed that man has to trust and believe that whatever deeds and efforts he exerts will not be lost in vain. This is because there is either a reward or recompense waiting for him in the Hereafter. Allah, the Ever-High, says:

﴿Did you then reckon that We created you only for sport, and that you would not be returned to Us.﴾

[Al-Mu'minun (The Believers): 115]

The sound, uncorrupted natural disposition understands that the Day of Resurrection is a means of honoring man not humiliating him, as well as a means of dignifying not threatening.

The word "*education*" (referred to as 'rear' in the Qur'an) came in the Qur'an in two positions. First, it is mentioned in *Surah Al-Israa'* (The Night Journey) in which Allah, Glorified be He, exhorts man to take care and show mercy towards his parents saying:

﴿Say, "Lord! Have mercy on them as they reared me when (I was) small﴾ [Al-Israa' (The Night Journey):24]

Second, it is stated in *Surah Ash-Shu'araa'* (i.e., the Poets) when Phir'aun (Pharaoh) said to Musa (Moses):

﴿Said he, "Did we not rear you amongst us as new-born; and did you not linger amongst us years of your age?﴾

[Ash-Shu'araa' (The Poets): 18]

Hereby, Islam pays much importance to the education of man as well as society. This is due to the fact that there is a kind of mutual interaction between them. So, when we say "Islamic Education," we mean educating and raising individual's different faculties and abilities so as to achieve psychological and intellectual perfection on one hand. And to develop the

eliminating any entity represents a threat to its security and future, or eliminating the centers of terrorism – all of such claims are nothing but false excuses.

Otherwise, what kinds of dangers could Iraq, if assumed to possess such weapons, cause to the USA and its allies? Does not America possess of such weapons what may destroy the whole earth? Does not China, which is considered the bitter enemy to America, possess of such weapons what could turn the world upside down and shake the sovereignty of the USA itself? Do not Russia, France and England possess such weapons? Has not India blown up its nuclear bomb so as to assume its position among the countries possessing such nuclear weapons? Above all, does not Israel possess such mass destruction weapons as well as internationally banned weapons, and actually uses them against the Palestinians?

Nevertheless, they allege that Iraq would break the international law and would not execute the decrees issued from the Security Council, so it must be returned to the international fold and be punished severely. The bitter, unanswerable question is how many internationally issued decrees did Israel, since its establishment in 1948, execute? Moreover, the USA would take the side of Israel against any blame might be directed to it due to what it continuously commits of awful crimes against the Palestinian people. Hence, the accusations regarding the Iraqi possession of mass destruction weapons are nothing but naïve excuses hard to be believed even by the simple-minded people. This is supported by the fact that Iraq has been put under economical, political and military siege for more than twelve years, which resulted in the death of millions of children and old people who could not find food or medicines.

The war against Iraq has been launched even after the well-known inspection committee has affirmed the non-existence of such weapons in Iraq. After the occupation of Iraq, the head of the committee declared publicly before the whole world that the war against Iraq was decided along time ago and that it had no relation with what USA claimed of the Iraqi possession of mass destruction weapons.

As for the issue of overthrowing the ruling systems that oppress their peoples, it is considered one of the funniest matters. In other words, the USA claimed that it aims nothing but to liberate and help the Iraqi people get rid of their dictatorial regime, so what mistake has the Iraqi people committed so that houses, mosques, factories, hospitals and the whole infrastructure be destroyed?

There is one more excuse according to which the USA invaded Iraq; namely, Iraq represents a threat to its national security. What an irony! Could Iraq be a threat to the USA? Is it possible that a country like Iraq, which does not possess even one-tenth of what the USA possesses of power, be a threat to it? The question does not need an answer.

One last excuse on which the USA bases its right to invade Iraq is to eliminate terrorism. However, all the surrounding events have proved that there is no home or religion for terrorism. This is supported by the fact that all the Heavenly religions, topped by Islam, ostracize terrorism and detest terrorizing people, even at times of war. Accordingly, that proves nothing but the mere falsehood of the accusations of the USA. Thus, the manifest result is that such a war is a war against creed declared by the USA against the Arab and Islamic Nations regardless of the declared reasons.

I had the honor of meeting with Jarmanus many times and making interesting conversations with him. In one of those conversations, he told me about the aggressive war launched by the West against the Arabic language using some of the Arab writers themselves. Then, he said, "I do not blame the anti-Arabic when they fight it in response to their malicious grudge. Rather, I do blame Arabs themselves, for they have deserted it in their private and public talks." One of the strangest things about Jarmanus is that he had learned Arabic by himself, without any teacher; only by dictionaries.

Above all, constructive criticism was the means through which Jarmanus would present his opinions. He gave lectures about the history of the Islamic civilization at its most prosperous age; however, they were received with purposeful criticism at the hands of those who would feel great inconvenience when talking about the merits of that civilization in the European universities. Those unfair criticizers wrote trying to degrade the Islamic civilization depicting the conditions of Muslims in the nineteenth and twentieth centuries. He answered them mentioning the history of Damascus, Baghdad, Cairo etc. In fact, Europe was sleeping deeply while Muslims were, at their prosperous ages, enlightening the world. Muslims, as a fact, were the source from which Europeans derived their civilization. That is, without the Islamic civilization, Europe would not get up from their drowsiness. Hence, Jarmanus refers the excellence of the European countries over Muslims to the fact that those countries have waged numerous wars against Muslims to prevent their development and thus to be able to exploit their resources and wealth. Accordingly, Islam is not to blame; rather, those who fought its teachings are the ones to blame.

*Iraq... What's Next?

By: Sheikh Siddiq Bakr Iytah

Iraq has fallen! Yes, it has fallen under the American and British occupation. Its destiny will be the same as that of the Muslim Afghanistan, which became a weak subordinate to the United States. No longer can it declare or defend the word of Islam as it did along time ago by Jamalud-Din Al-Afghany.

Iraq has fallen! Then, the sounds of war drums began to reverberate towards another Arab, Islamic country, Syria. This is because Syria is considered the first country that has common borders along with the Zionistic entity. Moreover, Syria as well as many Arab Countries, topped by Egypt, represents a strong threat to such an entity. No wonder in this, such a war against Muslims has been declared since along time; besides, the American President, George W. Bush, has done nothing except declaring it. He said, "We are going through a new crusade war." However, such a declaration does not represent any surprise; it was expected. That is, war is getting intense every year since such a strange entity (i.e., Israel) was planted in the heart of the Arab, Islamic Nation according to Balfour Promise.

The new crusade wars launched by USA and its allies are the result of a precise, deeply planned conspiracy aiming at eliminating Islam, humiliating Muslims and taking control of their natural resources bestowed upon them by Allah. As for what the American administration claims of removing mass destruction weapons, liberating the oppressed nations, overthrowing the regimes that persecutes their peoples,

*An Article Published (In Arabic) at Al-Azhar Magazine.

Abdel-Kareem Jarmanus

By: Dr. Muhammad Rajab Al-Biomi

Dr. Abdel-Kareem Jarmanus is one of the liberal researchers who studied all religions and came to realize that the teachings of Islam represent a lighting guidance towards the straight path. As a result, he converted to Islam, in terms of conviction, trusting its benefits as well as its reforming message. Moreover, he defended himself fearlessly against those who purposefully criticized him in the European newspapers, for they took it hard that a brilliant thinker like him would try to change what they already believe in. Nevertheless, Jarmanus, owing to his strong thought and clear logic, was not one of those who would blindly believe in matters; rather, he would study them thoroughly searching for the truth.

If Dr. Jarmanus is considered one of the prominent orientalists in the modern age in the sight of all the intellectualists, I do not recognize him as an orientalist according to the common meaning of that term. This is due to the fact that if one of the Westerners studied Islam and believed in it, it would not be appropriate to write him in one list with the one who studied Islam in order to present it from his/her own point of view while unbelieving in the principles of what he/she presents. That is, the first one, after truly believing in Islam, becomes a Muslim not an orientalist, as he/she begins to contemplate and understands matters in accordance with the Prophetic teachings and Divine perspective. Contrarily, the latter, who searches the Islamic features with the aim of only pleasing a self-need or as a response to his community' tendencies without caring much about the essence of the facts of which he claims having good command; this is, indeed, the real orientalist.

The great writer, Mahmoud Taymour, wrote a prolonged article about the story of Jarmanus's embracement of Islam

saying, "I asked him, 'What is the story of your embracement of Islam, hajj Abdul-Kareem?' He answered meditatively, 'It happened at a moment of luminance and purity. This was when I realized that Islam is the religion of the enlightened mind. Besides, those of freethinking will find in that religion a creed and *Shari'ah* (i.e., Islamic Law) worthy of admiration. In my opinion, Islam will be the belief of the freethinkers as soon as they get rid of the slavery of abnormal tendencies and imitation obsession. I know some of the enlightened who believe, *secretly*, in Islam and take it as their religion.' Feeling curious to know more, I asked him again, 'Would you tell me what are those things that attracted you to Islam?' Dr, Jarmanus immediately resumed saying, 'It was actually one thing that made me love Islam; namely, Islam is the religion of purity and cleanliness of body, soul, social behavior as well as human feelings. Do not belittle the purity of body, as it is has a moral significance and deep influence. Hence, public as well as private baths were among the most signs indicating civilization. In fact, the Europeans learnt about baths from Muslims. As for the psychological and social purity, it is sufficient to mention that Islam is the religion of dealings and that all people are equal before Allah; that is, none is distinguished from the other due to a color or race. Moreover, the relation between man and his community is based on a solid principle of happy feelings due to mind ease and tranquility. The outcome of this is a community established on truth, justice, righteousness and peace.'"

Besides, love for Islam has motivated Jarmanus to love the languages of Muslims, so he began to study many of their languages, which enabled him to write books in them. How amazing that such a great scholar would write in seven languages by himself and without the help of any translation.

AL-AZHAR MAGAZINE
Rajab 1424 A. H.

ENGLISH SECTION
Sept. 2003

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾
الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

An American Soldier Declares His Islam
By: Dr. Ibrahim Al-Assil

The daily newspapers have published a piece of news announcing that one of the American soldiers, from among the American forces occupying Iraq, has embraced Islam. When that soldier was asked about the reason behind doing so, he replied, "My watch duty at the Iraqi capital, Baghdad, gave me the chance to observe a group of Iraqi youths who keep going regularly to the mosque, in front of my position, to perform their prayers. I noticed that those youths lead a behavior different from that of the other persons who do not observe prayer. Such sublime behaviors had great influence on me. When I drew close to those people, I admired them and began to follow their ideal way of life."

History may be repeating itself; namely, we see those soldiers drawing near to Islam similar to what happened with the Tartars who turned to be among the callers to Islam instead of attacking it. In this connection, I would like to mention the story of the American lady who converted to Islam though she passed her forties. When one of the interviewers of an American newspaper asked her about the reason behind her embracement of Islam, she replied, "In fact, the thing that exhorted me to embrace Islam was the permissibility of divorce as well as polygamy." How odd! Her people used to attack Islam and all its related matters especially those two matters.

That lady defended her view saying, "The permissibility of divorce in Islam indicates personal freedom. That is, it is not reasonable that spouses live together while each of them hates the other. Otherwise, if such a matter is not permissible, there will be so many evils. Moreover, the allowability of polygamy signifies the practical view of Islam and its efforts to protect ethics and genealogies. For more illustration, it is known that the number of men continues to decrease unlike that of women, so the only solution is to apply such a matter if we want a virtuous society in which the children's rights are observed.

الفهرس

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي

● ● ●

رئيس التحرير
أ.د. محمد رجب البيومي

نائب رئيس التحرير
الطاهر محمد الطاهر الحامدي

مدير التحرير
عادل رفاعي خفاجة

سكرتير التحرير
أحمد السيد تقي الدين

الاشتراك السنوي

- ● داخل مصر ١٨ جنيها مصريا
- ● الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا
- ● أوروبا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا
- ● اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
☎ ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم
مدير التحرير / بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر / القاهرة
ت: ٢٦٣٨٥٩٩

شعبان ١٤٢٤هـ - أكتوبر ٢٠٠٣م - الجزء الثامن - السنة السادسة والسبعون

الفهرس

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

● ● ●

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومي

نائب رئيس التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدي

مدير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

سكرتير التحرير

أحمد السيد تقي الدين

الاشتراك السنوي

- داخل مصر ١٨ جنيها مصريا
- الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا
- أوروبا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا
- اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
☎ ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / ج.م.ع

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

شعبان ١٤٢٤هـ - أكتوبر ٢٠٠٣م - الجزء الثامن - السنة السادسة والسبعون

افتتاحية العدد

من مشكلات المجتمع

سحب غائمة فى آفاق الزوجية

يأسف الاجتماعيون كثيراً أن تكون للزواج مضايقاته، مع أن الأصل فيه أن يكون مصدر هناءة تامة وسعادة دائمة إذ يقول الله عز وجل:

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[1].

فسكون النفس وطمأنينتها هدف أول من أهداف الزواج وفى ظل هذا السكون الآمن تكون المودة الحانية، والرحمة الرقيقة، حين يتعاون الزوجان على تحمل الأعباء بثغر باسم، وعزم نشيط، ولعل من رحمة الله أن تكون هذه المضايقات فى كثير من أحوالها سهلة الحل، يسيرة الاحتمال، فليست خطراً هادماً تصعب ملاقاته إلا فيما ندر لدى قوم يتبعون مثار العاصفة وحدها، فلا ينظرون إلى الأمر من جميع نواحيه ليوازنوا بين مناحى الخير، ومواضع الشر، بل تتجسد أمامهم النقائص وحدها، وكأنها كل شىء، وإذ ذاك يقضون حياتهم فى عذاب مرير.

(١) الروم (٢١).

بعض المحللين النفسيين

ومما يؤسف له أن بعض من يتحدثون عن الزواج من علماء النفس وهم قلة مندفعة بجرار أكثرية عاقلة، يسرفون فى الاستنتاج العلمى إسرافاً مبالغاً لا ضرورة له، إذ يزعم هؤلاء أن العداوة شىء طبيعى بين الزوج والزوجة وأن من أسباب هذه العداوة أن كل جنس يحمل فى تكوينه الجسمى بعض عناصر الجنس الآخر، فليست هناك ذكورة خالصة وأنوثة خالصة، وإنما الأمر نسبى فى الزيادة والنقصان، وبهذه العناصر المتشابهة يحدث التصادم، إذ لا يكون الزوج حينئذ مكملاً لزوجته، بل معارضاً لها، فتتيسر أسباب التصادم لأتفه الأسباب.

وهذا القول الذى يفيض فيه ذوى التحليل النفسى يحتاج إلى من يرده رداً عاقلاً بشهادة الواقع نفسه، إذ أن المسألة لو كانت مسألة التركيب البيولوجى فى الزواج، لوجب أن تكون المضايقات الزوجية فى كل أسرة أو فى أكثر الأسر مع التساهل، وبنسبة واحدة فى شتى الأجيال الزمنية المتعاقبة، ولكننا نجد كثيرا من الأسر يستمتعون بالسعادة الزوجية استمتاعا لا شك فيه، كما نجد الأجيال السابقة أحسن حظاً من هذا الجيل فى توفر الاستقرار واكتمال الهدوء والطمأنينة، فلو كانت المسألة مسألة تركيب بيولوجى لكان الصراع محتوماً فى كل زمان ومكان، فليكف هؤلاء المحللون عن القول بهذه (الجبرية المحتومة) التى لا دليل عليها.

المضـــايقات الحقيقيـــة

أما المضايقات الحقيقية فترجع إلى أمور عارضة يمكن تجنبها، وليست أصلاً عضوياً لا محيد عنه، وأذكر أن الكاتب الإنجليزى (هـ. ج. ويلز) لخص هذه المضايقات فى الجمال والمال واختلاف الميول والنزعات وعجيب جداً أن تكون بواعث السعادة من جمال ومال هى نفسها بواعث الشقاء، لأن كل واحد من هذه المضايقات سلاح له حدان متناقضان.، وسنقف وقفة قصيرة لدى كل باعث أشار إليه الكاتب الكبير.

أ- الجمال:

إن المرأة البسيطة فى تكوينها الجسمى تمنح قرينها عيشة هادئة بتواضعها النفسى، وقلة رغباتها المادية، فهى ليست ذات دلال مفرط بحيث تكون شغله الشاغل تعطفاً واسترضاء، وهو من أجلها عرضة لحسد قد يكدر عليه حياته، كما هو عرضة لغيرة مفرطة تأكل صدره، إذ يحس أن زوجته موضع التطلع، وقد تتجسد أوهامه، فيتصور أموراً لا حقيقة لها ولكنها مع ذلك تؤرقه

وتضنيه، وتجعله غير مستقر فى حياته النفسية، ومن طبيعة صاحبة الجمال المفرط أن تتطلب من النفقات ما قد يكون بعيداً عن مقدرة قرينها، وقد تكون فى صميم نفسها قانعة راضية، ولكن من ينصحونها من الأقارب، ومظهرى المودة، يجسدون لها أهميتها الجمالية ويدعونها إلى إرهاق زوجها بالمطالب التى تستحقها من كانت فى مثل جمالها، وهكذا يصبح الجمال المدل مصدر إزعاج وإرهاق حتى لينادى كاتب كبير مثل (ويلز) بضرورة الابتعاد عنه، نشدانا للراحة وتطلبا للهدوء.

ب - المـال:

وإذا كان أحد الزوجين ذا ثروة خاصة فإن ثراءه الملموس قد يكون مكدرا للصفو بدل أن يكون وسيلة للسعادة، فالرجل يتطلع إلى مال الزوجة، ويراه مما يجب أن يعود عليه بالرفاهية والاستمتاع، على حين ترى أنه حقها وحدها، وأن مطامع صاحبها لابد أن تقف دونه، فيحدث من الخلاف ما يجعل البيت السعيد غائم الأفق بالضباب الكثيف، وقد يكون الزوج هو صاحب الثراء ولكنه مقتصد غير مبذر، فتظن الزوجة أنه لايريد أن يسعدها بماله، فيحدث الكدر المنغص أيضاً، لذلك كان من الضرورى مراعاة المستوى المالى المناسب بين الزوجين، لسد أبواب الخلاف، والغريب أن حماقة أحدهما دائماً هى التى تكدر الصفو، إذ لو استطاع المحتاج أن يظهر تعففه النفسى لوجد من يقدر نزاهته المترفعة، فيكون البذل حينئذ عن طواعية، ولكن الاندفاع المتعجل هو الذى يجسد الخلاف، ويجوف المشكلات على نحو مفزع!

جـ - الوظيفة:

ووظيفة المرأة فى صميمها امتياز مادى يوحى لها نفسياً بعزة العطاء، وقوة الاستقلال، فهى لاتخرج عن عنصر المال الذى أشار إليه الكاتب الاجتماعى (هـ. ج. ويلز) ولكنها الآن تشكل مشكلة تغيم سحابها فى آفاق المنزل، إذ كانت وظيفة المرأة من قبل لا تعد كسباً ضرورياً يضاف رصيده لميزانية المنزل، بل كانت الزوجة الموظفة تختار عملها الرسمى وكأنه أداة ترف تحسب لها فى ميزان التفوق الاجتماعى فحسب، ولم يكن الزوج ينظر إلى صاحبته المثقفة العاملة غير نظرة الارتياح لتفوقها العقلى ومكانها الاجتماعى، لا لما تكسب من أجر يضيع مثيله فى مرتب المربية والخادمة ومظاهر الملبس الوظيفى، ونفقات الرواح والغدو إلى العمل.

وهنا كانت وظيفة المرأة بالأمس دلالاً لايحسب لها فى رصيدها الخاص، ولكن غلاء

الأسعار اليوم وصعوبة العيش، والبحث الملح عن المسكن اللائق والملبس المحترم، والمظهر الجيد، وإشباع حاجات الأولاد، ومنهم تلاميذ المدارس والمعاهد والكليات، كل ذلك قد جعل الزوج يفكر فى المرأة الموظفة قبل كل شىء لتقف معه فى معترك الحياة، والزوجة أيضا تعرف أنها مختارة لماتكسبه من أجر شهرى، فإذا تم الزواج وقامت ميزانية المنزل على الاشتراك التام فى النفقات، كان ذلك مصدرا لبعض النزاع، فالزوجة تذهب إلى عملها فى الصباح، كما يذهب الرجل، وتعود إلى المنزل فى الساعة الثانية بعد الظهر كما يعود الرجل فتجد نفسها مطالبة بأعباء الحياة المعيشية حيث تعد الطعام ومايلزمه من مقدمات النظافة والتهوية، فإذا أدت واجبها العائلى، جاء المساء وهى مرهقة مضناة وقد لاتحس أثر ذلك فى السنوات الأولى، ولكنها بعد وجود الأطفال، وتعدد الرغبات، وتنوع المطالب، تظل تدور فى ساقية تروى دون راحة، وكأنها تعيش من كدحها المتواصل فى سجن دائم، وهنا لابد أن تطلب من زوجها أن يقوم بمساعدتها فى قضاء حاجات المنزل، لأنها تكسب مثله، وتضنى كل الضنى بعد العمل ليأكل أولاده ويلبسوا، فإذا استجاب الزوج مرغماً كان ذلك ثقيلاً على نفسه، إذ يعد عمله الإضافى فى المنزل فرضاً محتوماً سلط عليه وليس من شأنه، وترى الزوجة ما ينم عن غضبه، فتقف أمامه موقف الند من الند، وتصيح فى انفعال أنها تتعب كما يتعب فى ميدان العمل، وعليه أن يتعب مثلها فى المنزل، إذ لا أحد أفضل من أحد.

وهنا تأتى المضايقة الحقيقية، ولاسبيل إلى حلها، بإحضار الخادمة أو المربية، لأن أجر هؤلاء قد ارتفع حتى أصبح يماثل أجر السيدة الموظفة ذات الدرجة الجامعية كثيراً، بل ربما فاقه مرات، لأن أرباب الثراء الفاحش من أصحاب المضاربات المالية قد تدفق فى أيديهم المال، فرأوا من الأبهة أن يستعينوا بالمربيات والخادمات وأن يجزلوا لهن العطاء، كما أن العمل اليومى فى البناء والزراعة والصناعة قد جعل لهؤلاء مكسباً يومياً يغرى بالانصراف عن أعمال المنزل، فالخادمة إذن لاتتهيأ للمرأة الموظفة ذات الدخل المتواضع، فى كثير أو قليل، وعليها أن تقوم بكافة أعمال المنزل، وحينئذ ترى من الحتم أن يشاركها الزوج لتخفيف بعض ماتحمل وهو واجب لا يقف عند يوم أو شهر أو عام بل لابد أن يتصل مع رحلة الحياة حتى تصل السفينة إلى الشاطىء بسلام.

هنا تحدث المضايقة من الوظيفة، وتصير عقبة فى الهناء الزوجى، ولابد من ملاحظتها عند العلاج!

د - اختلاف الميول والنزعات:

أما اختلاف الميول والنزعات فباعثه الحقيقي اختلاف البيئة والثقافة فإذا كان أحد الزوجين في مستوى عائلي أو ثقافي دون مستوى صاحبه، شعر باتساع الهوة بين رغباته المنشودة، وما القرينه من رغبات مضادة، وقد يكون صاحب المستوى الرفيع متشامخاً متكبراً، فيظل يتحدث عن نفسه معدداً مزاياه، وكأنه بذلك يردد نقائص صاحبه، وطبيعي أن يكثر اللجاج المندفع في مثل هذه الظروف، فتنمو البغضاء بالتدرج، حتى تصل إلى حد يتعذر معه الوفاق، وكان من الممكن تجنب كل ذلك، لو نزع كل زوج إلى مماثله القريب.

وحين دخلت المرأة ميدان العمل أخذت تترقى في مدارج الوظائف العالية، وقد تصل إلى منزلة تكون فيها رئيسة لزوجها، حتى ليعرف بها بين الناس، وفي أمثال هذه الحالات ينطوي الزوج على نفسه وكأنه فوجىء بنقص يعوقه أن يجد امتداده الطبيعي، ولا أقول أن ذلك مطرد دائم، فهناك من يتمتع بحصانة نفسية تجعله لايحس بذلك النقص ولكن هناك من تؤرقه هذه المتاعب وتضنيه، وكان من الأوفق أن يقدر لكل حالة وضعها، أو أن يعمد مبدئياً إلى اختيار من يوازيه في مستوى واحد على سنن الطريق.

حديث نبوي

فإذا طلبنا العلاج لهذه المضايقات، وجدناه في ضرورة الاختيار المناسب قبل الاقتران، وقد شخصه رسول الله ﷺ تشخيصاً حكيماً، حين قال: (تنكح المرأة - والنكاح في اللغة معناه الزواج- لمالها وحسبها وجمالها ودينها، فاظفر بذات الدين) فقد حدد رسول الله مرغبات الزوجة من مال وجمال وحسب، ولكنه آثر على هذه المرغبات عنصراً هاماً وهو (الدين) لأن ذات الدين الحقيقي تعتصم به فتعرف حق صاحبها وتحسم بوادر الخلاف حين تلوح بوارق الشر، والدين صفة (جامعة) لكل الفضائل، ومن أهمها العفة الشريفة، والود المخلص، والحنان المتبادل، والإيثار النبيل، وإذا اكتمل ذلك كله لدى الصاحبين -زوجاً وزوجة- فلا مضايقات ولا مكدرات، فليت الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، يجدون في هذا التشخيص الدقيق، والعلاج الصحيح مايجعل المنزل العائلي روضة ناضرة ذات عطر ودفء وتسنيم، مع الشعور بالتسامح والتغاضي لدى الزوجين، لأن التسامح يلقي الماء على النار فينطفيء الحريق.

د. محمد رجب البيومي

تفسير سورة البقرة

قال تعالى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ
لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ
فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ
فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ
لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا
لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم
بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ
﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ
وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾
يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

الآيات: ٢٦٦ / ٢٦٩

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قوله: ﴿ أَيَوَدُّ ﴾ هو من الود بمعنى المحبة الكاملة للشئ وتمنى حصوله، والاستفهام فيه للإنكار و﴿ إِعْصَارٌ ﴾ ريح عاصفة تنعكس من الأرض إلى السماء مستديرة كالعمود، وهى التى يسميها بعض الناس زوبعة. وسميت إعصارا لأنها تعصر ما تمر به من الأجسام، أو تلتف كما يلتف الثوب المعصور. والريح مؤنثة وكذا سائر أسمائها إلا الإعصار فإنه مذكر ولذا قيل ﴿ فِيهِ نَارٌ ﴾ أى سموم وصواعق.

والمعنى: أيحب أحدكم -أيها المنافقون المراءون- أن تكون له جنة معظم شجرها:

﴿ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾ تجرى من تحت أشجارها:

﴿ ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾.

النافعة، والحال أنه قد أصابه الكبر الذى أقعده عن الكسب من غير تلك الحديقة اليانعة، وله فضلاً عن شيخوخته وعجزه ذرية ضعفاء لايقدرون على العمل، وبينما هو على هذه الحالة إذا بالجنة ينزل عليها إعصار فيه نار فيحرقها ويدمرها ففقدها صاحبها وهو أحوج ما يكون إليها وبقى هو وأولاده فى حالة شديدة من البؤس والحيرة والغم والحسرة لحرمانه من تلك الحديقة التى كانت محط آماله.

فالآية الكريمة قد اشتملت على مثل آخر لحالة الذين يبطلون أعمالهم وصدقاتهم بالمن والأذى والرياء، وغير ذلك من الأفعال القبيحة والصفات السيئة فقد شبه -سبحانه- حال من يعمل الأعمال الحسنة ثم يضم إليها مايفسدها فإذا كان يوم القيامة واشتدت حاجته إليها وجدها محبطة ذاهبة. شبه هذا الإنسان فى حسرته وألمه وحزنه بحال ذلك الشيخ الكبير العاجز الذى له ذرية ضعفاء لايملك سوى حديقة يانعة يعتمد عليها فى معاشه هو وأولاده فنزل عليها إعصار فيه نار فأحرقها ودمرها تدميرا.

وحذف - سبحانه - حالة المشبة وهو الذى يبطل صدقته بالمن والأذى والرياء وما يشبه ذلك، لظهورها من المقام.

وقد وصف - سبحانه - تلك الجنة بثلاث صفات:

وصفها أولا: بأنها من نخيل وأعناب أى معظمها من هذين الجنسين النفيسين اللذين هما أنفع الفواكه وأجملها منظرا.

ووصفها ثانيًا: بأنها تجرى من تحتها الأنهار، أى تجرى من تحت أشجارها الأنهار التى تسر النفس. وتبهج القلب، وتزيد فى حسن الجنة وبهائها.

ووصفها ثالثًا: بأنها زاخرة بكل أنواع الثمار التى تنفع صاحبها، وتغنيه عن الاحتياج إلى غيره، فهى جنة قد جمعت بين حسن المنظر، وكثرة النفع، وهذا نهاية ما يتمناه كل إنسان لما يملكه.

أما صاحبها فقد وصفه -سبحانه- بأنه إنسان قد أصابه الكبر وله ذرية ضعفاء أى أنه فى منتهى الاحتياج إليها لكبر سنه وعجزه عن الاكتساب من غيرها ولمسئوليته عن الإنفاق على أولاد صغار لايعولهم أحد سواه.

تلك هى حالة الجنة وحالة صاحبها فى احتياجه إليها، فماذا حدث بعد ذلك؟ لقد أصابها ﴿ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ﴾

فماذا يكون حال هذا الإنسان الذى أصابه الكبر وله ذرية ضعفاء وهو يرى جنته ومحط أمله قد احترقت وهو فى أشد الحاجة إلى ظلها وثمارها ومنافعها؟

إن الكلمات لتعجز عن تصوير ما يصيب هذا البائس من غم وهم وحزن وحسرة، وهو يرى جنته قد احترقت وهو فى أشد أوقاته حاجة إلى ظلها وثمارها ومنافعها!؟

ولكأن الله -تعالى- يقول للناس بعد هذا التصوير البديع المؤثر: احذروا أن تبطلوا أعمالكم الصالحة بارتكابكم لما نهى الله عنه، فلا تجدون لها نفعا يوم القيامة وأنتم فى أشد الحاجة إليها فى هذا اليوم العصيب، لأنكم إذا فعلتم ذلك كان مثلكم فى التحسر والحزن كمثل هذا الشيخ الكبير الذى احترقت جنته وهو فى أشد الحاجة إليها.

وإنه لتصوير قرآنى فى أسمى درجات البلاغة والتأثير، وفى أعلى ألوان التأديب والتهذيب.

قال القرطبى: روى البخارى عن عبيد بن عمير قال: قال عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- يوما لأصحاب النبى ﷺ «فيم ترون هذه الآية نزلت وهى قوله -تعالى-:

﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ ﴾ الآية.

قالوا: الله أعلم. فغضب عمر فقال: قولوا نعلم أو لانعلم فقال ابن عباس: فى نفسى منها شئ يا أمير المؤمنين. قال عمر: يا ابن أخى قل ولاتحقر نفسك. قال ابن عباس: ضربت مثلا لرجل غنى عمل بطاعة الله. ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى أحرق عمله». وروى ابن أبى مليكة أن عمر تلا هذه الآية وقال «هذا مثل ضربه الله للإنسان يعمل عملاً صالحًا حتى إذا كان عند آخر عمره أحوج ما يكون إليه عمل العمل السيئ»[1].

ثم ختم -سبحانه- هذه الآية بقوله:

﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾

أى: كما يبين الله فى هذه الآية مايهديكم وينفعكم بين لكم آياته وهداياته فى سائر أمور دينكم لكى تتفكروا فيما يصلحكم، وتعملوا ما يرضى خالقهم.

قال ابن كثير «عن البراء بن عازب -رضى الله عنه- فى قول الله تعالى:

(١) تفسير القرطبى جـ ٣ ص ٣١٨.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾

الآية قال: نزلت في الأنصار كانت الأنصار إذا كانت أيام جذاذ النخل أخرجت من نخيلها البسر فعلقوه على حبل بين الأسطوانتين في مسجد رسول الله ﷺ فيأكل فقراء المهاجرين منه، فيعمد الرجل منهم إلى الحشف -أي التمر الرديء- فيدخله مع أقناء البسر يظن أن ذلك جائز فأنزل الله فيمن فعل ذلك الآية»[2].

والمعنى: يأيها الذين آمنوا اجعلوا نفقتكم التي تنفقونها في سبيل الله من أطيب أموالكم التي اكتسبتموها عن طريق التجارة وغيرها.

قال ابن عباس: أمرهم الله -تعالى- بالإنفاق من أطيب المال وأجوده وأنفسه، ونهاهم عن التصدق برذالة المال ودنيئه وخبيثه، فإن الله طيب لايقبل إلا طيبا، قال -تعالى-:

﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾[3]

وقوله:

﴿ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ﴾.

معطوف على ماقبله أي أنفقوا من طيبات أموالكم التي اكتسبتموها ومن طيبات ما أخرجنا لكم من الأرض من الحبوب والثمار والزروع وغيرها. وترك - سبحانه - ذكر كلمة الطيبات في هذه الجملة لسبق ذكرها في الجملة التي قبلها.

فالآية الكريمة تأمر المؤمنين بأن يلتزموا في نفقتهم المال الطيب في كل وجه من وجوهه، بأن يكون جيدا نفيسا في صنفه، وحلالا مشروعا في أصله.

وقد أكد الله -تعالى- هذا الأمر بجملتين كريمتين فقال:

﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ ﴾

قوله -تعالى-: ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا ﴾ أي ولاتقصدوا وتتعمدوا. يقال: تيممت الشئ ويممته إذا قصدته. ويقال يممت جهة كذا إذا قصدته. ومنه الإمام لأنه المقصود المعتمد وأصل تيمموا تتيمموا فحذفت إحداهما تخفيفا.

والخبيث هو الرديء من كل شئ وخبث الفضة والحديد ماتنفاه الكير لأنه ينفي الرديء. ويطلق الخبيث على الشئ الحرام والمستقذر.

والإغماض في اللغة -كما يقول الرازي- غض النظر وإطباق جفن على جفن، وأصله من الغموض وهو الخفاء، والمراد بالإغماض

(2) تفسير ابن كثير جـ 1 ص 321.

(3) آل عمران (92).

ههنا المساهلة وذلك لأن الإنسان إذا رأى ما يكره أغمض عنه لئلا يرى ذلك. ثم كثر ذلك حتى جعل كل تجاوز ومساهلة في البيع وغيره إغماضا»[4].

والمعنى: أنفقوا أيها المؤمنون من أطيب أموالكم وأنفسها وأجودها، ولاتتحروا وتقصدوا أن يكون إنفاقكم من الخبيث الرديء، والحال أنكم لاتأخذونه إن أعطي لكم هبة أو شراء أو غير ذلك إلا أن تتساهلوا في قبوله، وتغضوا الطرف عن رداءته، وإذا كان هذا شأنكم في قبول ما هو رديء فكيف تقدمونه لغيركم؟ إن الله -ينهاكم عن ذلك لأن من شأن المؤمن الصادق في إيمانه ألا يفعل لغيره إلا ما يجب أن يفعله لنفسه، ولايعطي من شئ إلا ما يحب أن يعطى إليه، ففي الحديث الشريف: «عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به»[5].

قال الألوسي: وقوله: ﴿ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾ الضمير المجرور يعود للخبيث، وهو متعلق تنفقون، والتقديم للتخصيص، والجملة حال مقدرة من فاعل ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا ﴾ أي لاتقصدوا الخبيث قاصرين الإنفاق عليه، أو من الخبيث أي مختصا به الإنفاق، وأيا ما كان لايرد أنه يقتضي أن يكون النهي عن الخبيث الصرف فقط مع أن المخلوط أيضا كذلك لأن التخصيص لتوبيخهم بما كانوا يتعاطون من إنفاق الخبيث خاصة.

وقوله: ﴿ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ ﴾ حال من ضمير ﴿ تُنفِقُونَ ﴾ أي: والحال أنكم لستم بآخذيه في وقت من الأوقات أو بوجه من الوجوه إلا وقت إغماضكم فيه»[6].

ثم ختم -سبحانه- الآية بقوله:

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ أي واعلموا أن الله -تعالى- غني عن صدقاتكم وإنما أمركم بها لمنفعتكم، ﴿ حَمِيدٌ ﴾ يجازي المحسن أفضل الجزاء، وهو -سبحانه- المستحق للحمد الحقيقي دون سواه، فمن الواجب عليكم أن تبذلوا في سبيله الجيد من أموالكم شكرا له على نعمه حتى يزيدكم من عطائه وآلائه.

ثم حذر الله -تعالى- المؤمنين من وساوس الشيطان وخطواته فقال:

﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ﴾

قوله: ﴿ يَعِدُكُمُ ﴾ من الوعد، وهو في أصل وضعه لغة شائع في الخير والشر، وأما في الاستعمال الشائع فالوعد في الخير

(4) تفسير الفخر الرازي جـ 7 ص 68.

(5)

(6) تفسير الألوسي جـ 3 ص 39 بتلخيص.

والإيعاد في الشر. وقد استعمل هنا في الشر نظرا إلى أصل الوضع، لأن الفقر مما يراه الإنسان شرا ولذلك يخوف الشيطان به المنفقين ويقول لهم: لاتنفقوا الجيد من أموالكم لأن إنفاقكم هذا يؤدى إلى فقركم وتخويب ما بين أيديكم من أموال.

والفقر هو مايصيب الإنسان من سوء في الحال ومن ضعف بسبب قلة المال، وأصل الفقر في اللغة كسر فقار الظهر، ثم وصف الإنسان المحتاج الضعيف بأنه فقير تشبيها له بمن كسر فقار ظهره فأصبح عاجزا عن الحركة لأن الظهر هو مجمع الحركات، ومنه تسميتهم المصيبة فاقرة، وقاصمة الظهر.

والفحشاء والفحش والفاحشة ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال، ويرى كثير من العلماء أن المراد بالفحشاء في الآية البخل الشديد فإن كلمة الفاحش تطلق في لغة العرب على البخيل الشديد البخل، ومن ذلك قول طرفة بن العبد.

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى
عقيلة مال الفاحش المتشدد [٧]

والمعنى: الشيطان يوعدكم إذا أنفقتم بالفقر وضياع الأموال ويحذركم من الصدقة بما يوسوس في نفوسكم من شرور وآثام، ويغريكم بارتكاب المعاصى التى من أقبحها البخل الشديد، والشح المهلك، فعليكم أن تحذروه وأن تنفقوا من أموالكم في سبيل الله ما يوصلكم إلى رضوانه ورحمته.

قال الجمل: وفي هذه الآية لطيفة وهي أن الشيطان يخوف الرجل أولا بالفقر ثم يتوصل بهذا التخويف إلى أن يأمره بالفحشاء وهو البخل، وذلك لأن البخل صفة مذمومة عند كل أحد فلا يستطيع الشيطان أن يحسن له البخل إلا بتلك المقدمة وهي التخويف من الفقر فلهذا قال.

﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ ﴾[٨].

وروى الترمذى عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «إن للشيطان لمة بابن آدم، وللملك لمة -أى همة وخطرة تقع في القلب- فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ:

﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ ﴾[٩]».

---

(٧) يعتام: أى يختار. والعقيلة: أكرم المال. والفاحش: البخيل والمعنى: أرى الموت يختار الكرام ويختار أفضل مال البخيل ومادام الأمر كذلك فلا فائدة من البخل.

(٨) تفسير الجمل جـ ١ صفحة ٢٢٢.

(٩) تفسير القرطبي جـ ٣ صفحة ٣٢٩.

هذا مايعده الشيطان للإنسان. فما الذى يعده الله -تعالى- لعباده؟ لقد بين -سبحانه- ذلك فقال:

﴿ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾

أى: إذا كان الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء، فالله -تعالى- يعدكم مغفرة منه لذنوبكم على ما تنفقونه من أموالكم في سبيله ففي الحديث الشريف «الصدقة تطفئ الخطيئة»[١٠]. ويعدكم -أيضا- ﴿ وَفَضۡلٗاۗ ﴾ أى نماء وزيادة في أموالكم، فإن الصدقات تزيد البركة في الرزق فيصير القليل منه في يد السخى كثيرا بتوفيق الله وتأييده.

وصدر له سبحانه - الجملة بلفظ الجلالة، للإشارة إلى أن الوعد الذى وعد به المنفقين وعد حق لايمكن أن يخالطه شك أوريب، لأنه وعد من الله الذى لايخلف وعده، وإذا كان الشيطان يهدد الناس بالفقر عند العطاء، ويأمرهم بالفحشاء، فالله -تعالى- يبشر عباده بمغفرته ورضوانه، بسبب إنفاقهم في السراء والضراء ويعدهم على ذلك بالرزق الوفير، والفضل الكبير في الدنيا والآخرة.

وقد ختم -سبحانه- الآية بقوله:

﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾ تأكيدا لوعده الذى وعد به عباده المتقين المتصدقين بأن يزيدهم من فضله، أى والله -تعالى- واسع الجود والعطاء والرحمة، وسيحقق لكم ما وعدكم به من المغفرة وتضعيف ما تنفقونه، وهو مع ذلك عليم بأحوال عباده صغيرها وكبيرها، وسيجازى الذين اتبعوا أوامره بجزيل الثواب، كما سيجازى الذين اتبعوا وسوسة الشيطان بسوء العذاب. ثم قال -تعالى-:

﴿ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ ﴾

قال الإمام الرازى: «اعلم أنه -تعالى- لما ذكر في الآية المتقدمة أن الشيطان يعد بالفقر ويأمر بالفحشاء، أن الرحمن يعد بالمغفرة والفضل نبه على أن الأمر الذى أوجب لأجله ترجيح وعد الرحمن على وعد الشيطان هو أن وعد الرحمن ترجحه الحكمة والعقل ووعد الشيطان ترجحه الشهوة والنفس من حيث إنهما يأمران بتحصيل اللذة الحاضرة واتباع أحكام الخيال والوهم. ولاشك أن حكم الحكمة والعقل هو الحكم الصادق المبرأ عن الزيغ والخلل، وحكم الشهوة والنفس يوقع الإنسان في البلاء، فكان حكم الحكمة والعقل أولى بالقبول، فهذا هو وجه النظم»[١١].

---

(١٠)

(١١) تفسير الفخر الرازى جـ ٧ ص ٧٢.

و ﴿ الحكمة ﴾ مشتقة من حكم بمعنى منع، لأنها تمنع صاحبها من الوقوع فى الخطأ والضلال ومنه سميت الحديدة التى فى اللجام وتجعل فى فم الفرس حكمة لأنها تمنعه من الجموح، أو هى فى الأصل مصدر من الإحكام وهو الإتقان فى علم أو عمل أو قول أو فيها كلها.

والحكمة بالنسبة للإنسان صفة نفسية هى أساس المعرفة السليمة التى توافق الحق، وتوجه الإنسان نحو عمل الخير، وتمنعه من عمل الشر. فهى فيه مانعة ضابطة تسير به نحو الكمال والاستقامة.

وللعلماء فى المراد بها فى الآية الكريمة أقوال كثيرة أرجحها أن المراد بها إصابة الحق فى القول والعمل، أو هى العلم النافع الذى يكون معه العمل به.

والمعنى: أن الله -تعالى- الفاعل لكل شئ يؤت الحكمة لمن يشاء من عباده:

﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ﴾

لأن الإنسان إذا أوتى الحكمة يكون قد اهتدى إلى العلم النافع، وإلى العمل الصالح الموافق لما علمه، وإلى الإيمان بالحق وإلى الاستجابة لكل خير والابتعاد عن كل شر، وبذلك يكون سعيدا فى دنياه وأخراه.

وفى الصحيحين عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «لا حسد- أى لا غبطة- إلا فى اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق، ورجل آتاه الله -تعالى- الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها». ثم قال -تعالى-:

﴿ وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾.

والألباب جمع لب وهو فى الأصل خلاصة الشئ وقلبه، وأطلق هنا على عقل الإنسان لأنه أنفع شئ فيه.

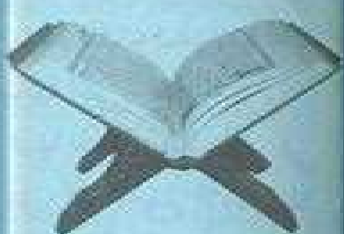
والمراد بأولى الألباب هنا أصحاب العقول السليمة التى تخلصت من شوائب الهوى، ودوافع الشر، فقد جرت عادة القرآن ألا يستعمل هذا التعبير إلا مع أصحاب العقول المستقيمة.

أى: وما يتعظ بهذه التوجيهات القرآنية، وينتفع بثمارها إلا أصحاب العقول الراجحة والنفوس الصافية التى اهتدت إلى الحق وعملت به، والتى أنفقت فى سبيل الله أجود الأموال وأطيبها لا أصحاب العقول الفاسدة التى استحوذ عليها الشيطان فأنساها ذكر الله، والتى ترى أن البخل بالمال هو الحكمة، وأن الإنفاق فى سبيل الله هو نوع من الإسراف والتبذير.

فالجملة الكريمة تذييل قصد به مدح أولئك المؤمنين الصادقين، الذين استجابوا لتوجيهات دينهم، فأصابوا الحق فى أقوالهم وأعمالهم.

***

الأزهر



براءة القرآن من الاختلاف والتناقض

للأستاذ الدكتور
عبد العظيم المطعنى

٢

ومن الآيات التى يرون بينها اختلافا وتناقضا الآيات التى تعلن أن كلمات الله لا تبديل لها ولا تحويل، مثل قوله تعالى:

﴿ ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد ﴾(١)

﴿ سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾(٢)

﴿ واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ﴾(٣)

﴿ ولا تجد لسنتنا تحويلا ﴾(٤)

يذكرون هذه الآيات، وأمثالها كثير، ويقولون - أعنى الطاعنين فى القرآن، إن هذه الآيات كلها منسوخة بآيتين، أو أن هاتين الآيتين منسوختان بهذه الآيات لما بينهما من اختلاف وتناقض، والآيتان هما:

﴿ يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ﴾(٥)

ثم قوله عز وجل:

﴿ وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون ﴾(٦).

يرون أن هذه الآيات يدفع بعضها بعضا ومحال أن يكون بينها اتفاق؟

يريدون بهذا أن يقولوا إن القرآن ليس من عند الله، لأنه لو كان من عند الله لسلم من جميع المآخذ والعيوب، ولا عيب كعيب الاختلاف والتناقض، الذى تشهد له هذه الآيات وغيرها كثير.

هذا قولهم:

١- ق (٢٩) ٢- الأحزاب (٦٢)
٣- الكهف (٢٧) ٤- الإسراء (٧٧)
٥- الرعد (٣٩) ٦- النحل (١٠١)

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾(٧).

ولاقتلاع هذه الشبهات من جذورها، إن كان لها جذور، نقول:

إن عمدتهم فى هذه الدعوى هو آية الرعد:

﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ﴾، إذ هى الآية التى تنص صراحة على المحو والإثبات. وردنا عليهم - هنا - ذو شقين:

الأول: قصير مجمل.

والثانى: طويل مفصل.

نقول لهم أولاً: إن قوله تعالى:

﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ﴾ هى نفسها كلمة، من كلمات الله التى لا تبدل، وسنة من سننه التى لا تحول.

فهى - إذن - موصوفة.. بالوصف العام الذى وصفت به كلمات، بأنها لا تبدل ولا تحول، وهذا وحده كاف فى إبطال دعواهم، التى استسمنوا ورمها، وخدعوا بها أنفسهم إن كانوا صادقين فى دعواهم هذه. لا معاندين وهم يعلمون الحق.

أما آية «النحل»:

﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ ﴾ فهى تشير إلى مبدأ النسخ فى القرآن فقد يقضى الله فى بعض الأمور بقضاء مناسب لأحوال العباد، وهو يعلم أنه سوف ينسخه فى مستقبل الحياة، ويضع مكانه تشريعاً آخر مناسباً للأوضاع الحياتية التى علمها الله أزلاً. لحكمة حكيمة يرى فيها نفعاً لعباده وليس فى هذا تبديل ولا تحويل، لأن تدبير الأمور بما يساير مصالح العباد كلمة من كلماته. وسنة من سننه القويم. وهو القائل عن نفسه:

﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ﴾(٨)

ولذلك قال عز وجل فى النحل:

﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾

ومن معانى علم الله - هنا - بما ينزل أن كل شىء عنده بمقدار، وأنه لا يكتسب علما جديدا بشىء كان يجهله - سبحانه - بل يعلمه أزلاً.

الرد الطويل المفصل

إن آية الرعد:

﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾

وهى من كلمات الله، وسنة نافذة من سننه، تتعلق بقطاع واسع من تصرفات الله فى الحياة، لأن ما يجرى فى كون الله وفى شئون عباده قسمان لا نزاع فى أى منهما.

أمور لا تقبل المحو ولا الإثبات، بل هى ثابتة نافذة على وتيرة واحدة، وهى ما يسمى فى علم أصول الدين:

٧- الصف (٨).

٨- يونس (٣).

القضاء المبرم، أى الثابت الذى لا يعتريه تبديل ولا تحويل، ومن أمثلته:

إعمار العباد فهى ثابتة منضبطة، محددة تحديدا دقيقا محكما، كل نفس تعيش العمر الذى قدره الله، وإذا جاء الأجل توفاه الله بحيث لا يتقدم أجله ولا يتأخر لحظة واحدة كما جاء فى قوله تعالى:

﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(٩).

هذا فى شأن الأفراد، أما فى شأن الجماعات والأمم، فهى كذلك كما جاء فى قوله تعالى:

﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾(١٠)

فهذا من القضاء المبرم، وكذلك كون فلان أبا لفلان وفلانه أما لفلان.

وكون كل إنسان خلق وعاش فى جزء من الزمن، لا متقدما عنه ولا متأخرا، فنحن - مثلا - جمعنا فى حياتنا بين القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين، وليس هذا باختيار منا، بل عمل خالص لله عز وجل ومثل اختلافنا بين الطول والقصر، ومثل ألواننا ونبرات أصواتنا، ومثل القضاء علينا جميعاً بالموت فى الأوقات التى حددها الله بعلمه.

ومثل ما يهبنا الله من ذرية جامعاً بين الذكور والإناث أو الذكور فحسب أو الإناث فحسب، أو لا هذا ولا ذاك.

فكلمات الله فى هذا الجانب، الذى يمكن أن نطلق عليه:

الجانب المغلق: ثابتة حتمية، لا يعتريها تبديل ولا تعطيل ولا تحويل.

أما الجانب الثانى، وهو:

القضاء المعلق، ويمكن أن نسميه الجانب المفتوح، فإنه خاضع لما يشاء الله من تصرفات وفق تبديل وتغيير أحوال عباده، وهو الذى عناه الله عز وجل بقوله:

﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾

وفى الذكر الحكيم ما يساند هذه إلا فى معناها، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾(١١)

وقوله عز وجل:

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾(١٢).

وهذا الجانب المفتوح له تطبيقات كثيرة فى القرآن نفسه، ومن هذه التطبيقات الآيتان المذكورتان، لأنهما فيهما إشارة إلى بعض التغييرات فى حياة الناس.

٩- المنافقون (١١).

١٠- يونس (٤٩).

١١- الرعد (١١).

١٢- الأنفال (٥٣).

اقرأ هذه الآية:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾[١٣].

انظر هذا التبديل العظيم الذى رتبه الله على الإيمان والعمل الصالح.

- الاستخلاف القوى فى الأرض.
- تمكين الدين الذى ارتضاه للمؤمنين، وهو بلا نزاع الإسلام.
- تبديل الخوف آمنا.

إنه تغيير يشمل الأمة كلها.

فالضعف وعدم الاستخلاف واهتزاز الدين أحوال مؤسفة من أحوال الأمة فإذا أخذت الأمة بأسباب القوة الإيمانية.

وجعلت قبلتها هى منهج الله فى الحياة خرجت بإذن الله من الضعف إلى القوة، ومن الهوان إلى العزة، وأصبحت أفضل من يمشى على الأرض أفليس هذا تبديلا للأحوال لما أخذت الأمة بالأسباب؟

إن القضاء المعلق عرضة للتبديل إذا بدل العباد ما بهم.

وهو مجال المحو والإثبات.

ومثال آخر قوله عز وجل:

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[١٤].

فى هذه الآية محو وإثبات ـ وهينا تبديل أحوال العباد.

فالنعم التى بأيديهم قابلة، للزيادة السخية إذا هم عرفوا فضل الله فيها، وشكروه عليها بالعمل والقول.

فإذا كفروا النعم وعصوا الله فيها لم يهددهم الله بالحرمان فحسب. بل بالعذاب الشديد.

فالشكر سبب الازدياد والرضوان.

وكفران النعم سبب زوالها وسبب الحرمان والعذاب الشديد.

هذا هو المحو وهذا هو الاثبات وكل شىء عنده بمقدار، ونظامه فى كونه ومخلوقاته قائم على علم محيط، وقدرة فائقة، وحكمة رشيدة.

وهذه النماذج من القضاء المعلق، أو الجانب المفتوح، مخصوصة بكسب العباد وما يُحمدون عليه ويُذمون. وهو الذى قال الله فيه:

﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾[١٥]

١٣- النور (٥٥).

١٤- إبراهيم (٧).

١٥- المطففين (٢٦).

والناس فيه مرهونون بما كسبوا لأنه مناط التكليف، وتحمل المسئولية أمام الله، والناس.

وهو معقل الآمال والطموحات، ولولاه لأصبحت الحياة أشبه بآلة جبرية لا قدرة لأحد على الخروج من ضغطها.

إذن، فكلمات الله قسمان:

قسم خاص بأفعال الله فى الحياة، التى لا دخل لمخلوق بها، ولا يُسأل عنها الإنسان لأنها ليست من معمولاته، وإنما هى واقعة رضى أم كره.

إن الله لن يسأل عباده عن أفعاله هو - عز وجل - فلن يسأل عبدا لماذا ولد يوم ولد، ولا لماذا كان فلان أباه، ولا عن طوله وقصره ولونه.. فهذا هو القضاء المبرم المحتوم وكلماته فيه لا تقبل التبديل ولا التعديل.

أما القضاء المعلق فقد بينت كلمات الله فيه أن معمولاته محل للمحو والإثبات من قبل الله، ولكل من المحو والإثبات أسباب تقتضيها عند الله، فلا اختلاف ـ إذن ـ بين قوله عز وجل:

﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾

وبين قوله تعالى ـ مثلا ـ:

﴿ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ بل لكل منهما مجرى ومسار يسير فيه بلا عوائق.

أما آية النحل:

﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ۙ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

هذه الآية لا تعارض ولا اختلاف ولا تناقض بينها وبين الآيات الناصة على أن كلمات الله لا مبدل لها ولا تحويل، لأن كلمات الله التى لا تبديل لها ولا تحويل هى سننه وقوانينه المعمول بها فى الكون وفى الحياة.

والآية تسجل موقف اليهود من بعض الآيات التشريعية، التى يضع الله فيها تشريعاً مكان تشريع «النسخ» لحكمة تقتضى ذلك، وكل من التشريعين «المرفوع الأول والموضوع الثانى، معلومان علما أزلا، ولم يطرأ على علمه القديم علم جديد لم يكن يعلمه، ولكن كل من التشريعين مناسب للظرف النازل فيه، حسب المنهج التربوى الذى ساس الله به الأمة فى أطوارها المختلفة.

ولنأخذ على ذلك مثالين اثنين نستلهم منهما مرونة، التشريع الإسلامى، وتطوره فى عصر نزول القرآن بما فيهم من رحمة الناس أنه بهم رءوف رحيم.

المثال الأول:

قال الله تعالى فى شأن من يأتى الفاحشة من النساء:

﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾(16)

قضى الله، وهو خير الفاصلين، على النساء اللاتى يأتين الفاحشة، بعد ثبوت هذه الجريمة بطريق أربعة شهداء أن يحبسن فى البيوت مدى الحياة.

﴿ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ ﴾

وفى هذا زجر شديد وعقوبة شديدة الوقع على النفس تورث الاحباط والملل القاتل للنفوس وهن أحياء، والله يعلم ذلك، فلم يبقه عقوبة أبدية، بل مؤقتة، وأشار إلى ذلك بقوله تعالى معطوفا على ما قبله:

﴿ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾

ثم لم يطل الزمن حتى أنزل تشريعا جديدا وضعه موضع النفاذ، ووقف العمل فورا بالتشريع الأول، وكل من التشريعين صحيح فى وقته، ذلك التشريع الجديد تراه فى قوله تعالى:

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ﴾(17).

فبين القرآن أن عقوبة الفاحشة اذا وقعت من غير محصنين فالعقوبة هى الجلد المنصوص عليه فى الآية.

وبينت السنة أن جريمة الزنا إذا وقعت من محصنين «متزوجين» فالعقوبة هى الرجم حتى الموت. بشرط ان تثبت هذه الجريمة ثبوتا يقينا لا ريب فيه. إما بظهور حمل أو اعتراف حر، أو رؤية أربعة شهود عدول للجريمة وهى تقع والحكمة فى هذا التبديل التشريعى هى التخفيف، لان الجلد والرجم أخف وقعا من اطالة العقوبة بالحبس أو السجن المؤبد مدى الحياة، فهو موت قبل الموت ثم ان الجلد مع ايلامه الشديد فمدته قصيرة سرعان ما تزول، وتخلو من الايلام النفسى الطويل المدى.

والرجم فيه زجر وردع للمجرم، وعبرة لمن تسول له نفسه اقتراف هذه الجريمة، وفيه تطهير للمجتمع من هؤلاء البغاة المرضى اخلاقيا، والقدوة السيئة فى الحياة وفيه تعميم لطرفى الجريمة نساء ورجالا واستئصال للفساد من جذوره، لأن هذه الفواحش من أقبح الموبقات وتؤدى إلى انتهاك الحرمات، واختلاط الأنساب.

وبهذا يظهر جليا أن لا تعارض ولا اختلاف ولا تناقض بين هاتين الآيتين لأن الثانية منهما وقفت العمل بالأولى.

المثال الثانى

أما أولهما فهو قوله عز وجل:

16- النساء (15).

17- النور (2).

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾(18)

وقوله جل شانه:

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(19).

لنا فى هاتين الآيتين مطلبان:

الأول: ما يثيره الطاعنون فى القرآن من أن بين الآيتين تعارضا واختلافا وتناقضا لان موضوعهما واحد، هو عدة النساء المتوفى عنهن أزواجهن ومع ذلك فإن الحكم مختلف إحدى الآيتين تجعله أربعة أشهر وعشرا والأخرى تجعله عاما كاملا؟ وكفى بذلك تناقضا.

والمطلب الثانى الحكمة الإلهية فى نسخ حكم وإحلال حكم آخر محله.

ونبدأ بالرد عليهم فى المطلب الأول، وهو دفع التناقض الذى توهموه.

وباختصار شديد نقول:

لا تناقض أبدا بين هاتين الآيتين، ولا تناقض أبدا فى القرآن كله.

أما هاتان الآيتان فإن الحكم الذى فى ثانيتهما رفع ولم يعد معمولا به فى الواقع التشريعى الإسلامى، وحل محله الحكم الذى فى الآية الأولى أربعة أشهر وعشرا.

وذلك وفق حكمة إلهية تربوية سنشير إليها قريبا إن شاء الله.

وإنما كان يكون التناقض لو كان العمل بهما معا هو المطلوب. وهذا لا وجود له.

أما مع رفع حكم الثانية وإحلال حكم الاول محله فالتناقض لا وجود له الا فى أوهام القائلين به من الكارهين لما أنزل الله، سبحانه وتعالى عما يصفون.

أما حكمة النسخ وإحلال التشريع الناسخ محل التشريع المنسوخ فهى التخفيف فى التشريع الناسخ، ولا نزاع فى أن العدة المحددة بـ.. أربعة أشهر وعشرا أيسر من العدة المحددة بحول كامل وهذا جانب تربوى عظيم الأثر فى حياة الناس.

وقد يسأل سائل فيقول: ما فائدة بقاء الآية المنسوخ حكمها مع وجود الآية الناسخة؟

والجواب جد يسير، لأن بقاء الآية المنسوخ حكمها تعبر عن لمحة من لمحات تاريخ التشريع فى الاسلام، والتأمل فى معنى الآيتين يرينا سعة فضل الله علينا فى الانتقال من تشريع شاق إلى تشريع ميسر بمقدار ثمانية اشهر بين الحكمين المنسوخ والناسخ. وهذا مدعاة ليشكر

18- البقرة (234).

19- البقرة (240).

النعم التي أنعم الله بها على الزوجات اللاتي توفي عنهن أزواجهن والله ذو فضل عظيم.

وفي موضع آخر من القرآن بين الله - عز وجل - صراحة أن المراد له من إحلال حكم محل حكم آخر، هو التخفيف والتيسير على عباده وذلك في قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ (٦٥) الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾(٣٠).

في الآية الأولى ألزم الله المؤمنين بأن يواجه الواحد منهم عشرة من مقاتلي الأعداء.

وفي الآية الثانية ألزمهم بأن يواجه الواحد منهم اثنين. فخفف العدد من عشرة إلى اثنين. وفي ذلك تيسير عظيم في وجوب مواجهة المؤمنين لأعدائهم فلا يلامون على ترك الجهاد إذا زاد عدوهم عليهم أكثر من مثليهم.

وأعداء الإسلام يرون في مبدأ الناسخ والمنسوخ في القرآن طعنا في صدقه وكونه من عند الله؟ ويقولون إن الذي يلجأ للنسخ يرى رأيا، ثم يتبين له خطأ هذا الرأي فيلغيه ويضع مكانه ما يرى أنه صواب ويسمون هذا بـ«البداء»(٣١) ويقولون إنه لا يجوز في حق الله؟

هذا ما سالت لهم أوهامهم، لأن التشريع في حياة الأمم كالطعام. فالطفل في كل مرحلة من مراحل نموه يناسبه غذاء خاص، وكذلك التشريع تطور في عصر نزول القرآن في وقائع قليلة، لمصلحة «المكلف» ومسايرة بعض أوضاعه التي مر بها وليست فيه نسبة للخطأ والجهل بالنافع والضار إلى الله عز وجل:

﴿ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ مع أن مبدأ النسخ معروف وكان معمولا به في العهدين القديم والجديد «التوراة والإنجيل».

فعيسى عليه السلام حكى الله عنه أنه قال لبني إسرائيل:

﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾(٣٢)

***

٣٠- الأنفال (٦٥ - ٦٦).

٣١- معنى «البداء» أي أن الله يرى رأياً ثم يبدو له أنه خطأ فيرجع عنه!!

٣٢- آل عمران (٥٠).

السنة

ليلة النصف من شعبان

لفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ/ عبدالرحمن الجزيري
عضو جماعة كبار العلماء بالأزهر الشريف

إعداد الشيخ/ على حامد عبدالرحيم

روى عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «دخل عليَّ رسولُ الله فوضع عنه ثوبَيْه ثم لم يستتمَّ أن قام فلبسهما، فأخذتني غَيْرة شديدة، ظننت أنه يأتي بعض صُويحباتي، فخرجت أتبعه، فأدركته بالبقيع، بقيع الغرقد يستغفر للمؤمنين والمؤمنات والشهداء، فقلت: بأبي وأمي، أنت في حاجة ربك وأنا في حاجة الدنيا! فانصرفت فدخلتُ حجرتي ولي نَفَس عالٍ، ولحقني رسول الله ﷺ فقال: ما هذا النفَس يا عائشة؟ فقلت: بأبي وأمي أتيتني فوضعت عنك ثوبيك ثم لم تستتمَّ أن قمت فلبستَهما، فأخذتني غَيْرة شديدة ظننت أنك تأتي بعض صُويحباتي حتى رأيتك بالبقيع تصنع ما تصنع. فقال: يا عائشة: أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله؟ أتاني جبريل عليه السلام فقال: هذه ليلة النصف من شعبان ولله فيها عُتقاء من النار بعدد شعور غنم بني كلب، لا ينظر الله فيها إلي مشرك، ولا إلى مشاحن، ولا إلى قاطع رحم، ولا إلى مُسبل، ولا إلى عاق لوالديه، ولا إلى مُدمن خمر. قال: ثم وضع عنه ثوبيه فقال لي: يا عائشة تأذنين لي في قيام هذه الليلة؟ قلت: نعم بأبي وأمي، فقام فسجد ليلا طويلا حتى ظننت أنه قد قبض، فقمت ألتمسه ووضعت يدي على باطن قدميه، فتحرك، ففرحت، وسمعته يقول في سجوده: أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سَخَطك، وأعوذ بك منك، جل وجهك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك. فلما أصبح ذكرتهن له، فقال: يا عائشة تعلَّميهن، فقلت: نعم. فقال: تعلميهن وعلميهن، فإن جبريل عليه السلام علمنيهن وأمرني أن أردِّدهن في السجود». رواه البيهقي من طريق العلاء بن الحارث، وقال هذا مرسل جيد، لأن العلاء لم يسمع من عائشة. ذكره الحافظ المنذري.

يتعلق بشرح هذا الحديث أمور:

(١) بيان معناه إجمالا.

(٢) بيان حكم إحياء ليلة النصف من شعبان وما ورد من ذلك.

(٣) بيان حكم الدعاء الخاص المشهور بين الناس ليلة النصف من شعبان.

(١) أما معنى الحديث إجمالا فظاهر؛ ولا يخفى ما فيه من الدلالة على شغف السيدة عائشة – رضى الله عنها – برسول الله ﷺ، وحرصها على أن يكون قريباً منها قرباً تزداد به شرفا ورضواناً من الله – عز وجل – فلما رأته خرج من حجرتها أدركها ما يدرك النفوس البشرية من الغيرة على من تحب؛ وكيف لا تغار على رسول الله ﷺ وهى ترى وتلمس كل يوم من آيات النبوة ودلائلها ما قد لا يتيسر لغيرها من الصحب الكرام؟ فحملتها هذه الغيرة الممدوحة على أن تخرج من حجرتها وتتبعه، فوجدته ذاهباً إلى الله، وفى طاعة الله؛ وجدته مهتماً بالدعاء للشهداء والأموات الذين جاهدوا فى الله حق جهاده، ويستغفر للمؤمنين والمؤمنات؛ فلما رأته على هذه الحالة وقارنت بين خواطر نفسها وبين عمله ﷺ، خجلت من نفسها وقالت: «بأبى أنت وأمى، أنت فى حاجة ربك وأنا فى حاجة الدنيا!»، ورجعت متغيرة نادمة على ما حدثتها به نفسها، إلى آخر ما ذكر فى الحديث.

ولا ريب أن الحافظ المنذرى ثقة فى الرواية، فلا يترك حديثاً مطعوناً فيه بدون أن ينبه على ذلك الطعن، ويبين موقعه من القوة والضعف؛ وهو لم يطعن فى رواية هذا الحديث، كما لم يطعن فى رواية أحاديث أخرى وردت بمعناه. فما نقل عن أبى بكر بن العربى من أن الأحاديث التى وردت فى ليلة النصف من شعبان كلها موضوعة، غير سديد، ولا وجه له من جهة العقل ولا من جهة النقل.

أما الأول: فلأن الشريعة الإسلامية وإن كانت لا تقدس الأيام لذاتها كما لا تقدس الأمكنة كذلك؛ ولكن قد يقع فى بعض الأيام والأمكنة ما يفضلها على غيرها؛ فإذا أمرنا الله بأن نعظم مكاناً خاصاً كالكعبة، أو أياماً مخصوصة كأيام الأعياد والمواسم، فإنه يلزمنا أن نمتثل أمر الله، ويكون تعظيم المكان أو اليوم هو تعظيماً لله – عز وجل – بامتثال أمره.

نعم قد يقال: إن فى بعض ألفاظ الحديث مبالغة لم يقع مثلها فى الأحاديث الصحيحة التى يرويها البخارى ومسلم مثلاً، وهذه المبالغة هى أن الله يعتق من النار بعدد شعر غنم بنى كلب، وهى قبيلة لها غنم كثيرة، فإذا فرض وعتق من النار كل عام بعدد شعور غنم هذه القبيلة على التحقيق، إستغرق ذلك جميع المواليد فلم يبق أحد مستحقاً للنار. ولكن الواقع أن العرب كانوا يعبرون عن الكثرة بمثل هذه

العبارة فيقولون: عدد النجم، أو عدد الرمال، أو عدد الحصى، ويريدون بذلك المبالغة فى الكثرة؛ فالغرض من هذه العبارة ظاهر جلى.

وهناك إشكال آخر، وهو أن الدين الإسلامى قد حكم فى هذه المسائل حكماً واضحاً، وهو أن حقوق العباد لا تمحى إلا بردها إلى أربابها، أو بالعفو عنها؛ وحقوق الله – تعالى – تمحى بالتوبة والإقلاع عن تركها؛ فمن يقترف خطيئة أو إثما مع الله أو مع عباد الله فليتحلل وليتب من ذنبه؛ وقد استثنى الحديث المذكور بعض الكبائر المتعلقة بحقوق العباد، كقاطع الرحم، والعاق لوالديه، ومسبل الإزار خيلاء وتكبراً على عباد الله، والمشاحن الذى لا ينفك عن إيذاء الناس فى معاملاته إياهم؛ وذكر من الكبائر المتعلقة بحقوق الله الإدمان على شرب الخمر، ولم يذكر قاتل النفس التى حرم الله إلا بالحق، والقتل هو من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله، وكذلك لم يذكر الزانى بحليلة الغير، ولا السارق، وهما من الكبائر المجمع عليها، إلى غير ذلك من الكبائر والموبقات التى تقدم ذكرها فى مقام آخر.

والجواب عن ذلك أن الأحاديث الواردة فى النهى عن موبقة من الموبقات لا يلزم أن تذكرها جميعها، فإذا كان الله – سبحانه – لا ينظر إلى هؤلاء العصاة فى هذه الليلة فلا ينظر لغيرهم من باب أولى، وتكون النتيجة أن الذين يعتقون من النار فى هذه الليلة هم الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا، فالله – سبحانه – يزيد لهم العمل الصالح، وييسره لهم ويحبب إليهم التوبة، وبذلك يعتقهم من النار، وإن كانوا من الأموات الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئا وماتوا ولم يتوبوا، فإن الله – سبحانه – قد يعفو عنهم إلا إذا كانوا متصفين بهذه الأوصاف التى نهى عنها الحديث. وبالجملة فإن الغرض من هذا الحديث هو الترغيب فى الأعمال الصالحة، والتوبة عن الموبقات فى هذه الليلة التى يغفر الله فيها للمؤمنين خطيئاتهم. هذا هو مجمل معناه، وليس فيه شىء يستلزم إنكاره عقلا، لأنه ترغيب فى الأعمال الصالحة الهامة، وزجر عن الموبقات.

وأما من جهة النقل فلأن الحافظ المنذرى مشهور بدقة الرواية، ولم يترك حديثاً فيه جهة من جهات الضعف إلا نبه عليها، وكفى به حجة.

(٢) أما ما ورد فيه من إحياء ليلة النصف من شعبان بعبادة الله – تعالى – وطاعته فى جوف الليل، فهو أمر مشروع فى ذاته لا نزاع فى مدحه، وليس من البدع فى الدين أن يقوم المرء الليل ويقطعه بعبادة ربه والدعاء للأحياء والأموات من المؤمنين، إنما الذى لا يجوز هو أن يحكم

الإنسان حكماً شرعياً لا أصل له فى الدين، فيقول مثلاً: إن إحياء ليلة كذا بالعبادة فرض أو سنة مؤكدة، أو صيام يوم كذا سنة أو واجب بدون أن يرتكز فى ذلك على سند صحيح من كتاب الله أو سنة رسوله، أو تقليد مجتهد من المجتهدين المعروفين، وهكذا.

نعم ورد أن الأئمة الأربعة كرهوا الاحتفال فى المساجد بهذه الليلة، ولكن هذا شىء وما فعله النبى ﷺ شىء آخر. قال فى إحياء العلوم: «وأما صلاة شعبان فليلة الخامس عشر منه يصلى مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة يقرأ فى كل ركعة بعد فاتحة الكتاب قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة، وإن شاء صلى عشر ركعات يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله أحد مائة مرة؛ كان السلف يصلون هذه الصلاة ويسمونها صلاة الخير، ويجتمعون فيها، وربما صلوها جماعة ... الخ». وقد قال شارحه الزبيدى: لم يصح شىء فى هذا الباب، وقد كره الحجازيون الاحتفال والاجتماع لإحياء هذه الليلة، وأجاز ذلك بعض أئمة أهل الشام. فالأئمة الأربعة يكرهون مثل هذا الاحتفال كما يكرهون الدعاء الخاص له.

ولا يخفى أن هذا كله غير ما نحن فيه، وغير ما يدل عليه الحديث، لأن الحديث إنما يدل على أن النبى ﷺ قام هذه الليلة يعبد الله ويستغفر للمؤمنين والمؤمنات، وهذا لا شك فى كونه مشروعاً نافعاً يقره العقل والدين. فالأحاديث الواردة فى هذا المقام صحيحة السند لا يصح إنكارها بدون دليل من العقل أو النقل، ومن أنكرها كان مجازفاً.

(٣) أما الدعاء المعروف بين الناس فلم يرد ذكره فى الأحاديث التى يعول عليها مطلقاً؛ نعم ذكره الألوسى فى تفسير قوله تعالى:

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾(١)

بصيغة قريبة من الصيغة المشهورة بين الناس، ونسبه إلى سيدنا عمر، كما نسب صيغة أخرى لبعض الرواة. ولكن لم يبين لنا صحة السند وعدمها كما هو شأن المفسرين فى الغالب.

والحق الذى لا مرية فيه أن مثل هذه الاجتماعات فى المساجد، وهذه الأدعية التى لم يرد لها أصل عند الأئمة الأربعة ولا عند أئمة المحدثين، ينبغى اجتنابها، لأن الله - تعالى - يكتفى من عباده المؤمنين بأى دعاء يدعون به ما دامت قلوبهم متجهة إلى الله - عز وجل - مخلصة فى مناجاته، وقد ورد فى السنة الصحيحة أن الدعاء لا يستجاب إذا كان صاحبه متلبساً بالحرام، فقد قال ﷺ:

(١) الرعد (٣٩).

«يطيل الرجل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يقول يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وقد غذى بالحرام، فأنى يستجاب لذلك». فينبغى للداعين أن يلاحظوا ذلك عند دعائهم حتى يستجاب لهم.

وبالجملة فمن أراد أن يقلد رسول الله ﷺ فى إحياء هذه الليلة فليحيها بالعبادة وحده بدون اجتماع كما ورد فى الحديث الذى معنا.

وها هنا مبحث دقيق يذكر لمناسبة قوله تعالى:

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾

فى هذا الدعاء: فإن بعض المفسرين يظن أنها متعلقة بالقضاء والقدر، وأنه فى هذه الليلة تكتب الآجال والأرزاق، وغير ذلك من الأمور المتعلقة بشئون العباد؛ فالله - تعالى - يمحو ما أراده أزلاً ويثبت غيره. ولكن يرد على هذا سؤال واضح، وهو أن قضاء الله - تعالى - الذى انتهى إليه علمه لا يمكن أن يغير مطلقاً، وإلا انقلب العلم جهلاً، فإنه إذا كان يعلم أن فلاناً سيموت فى يوم كذا لا محالة ثم بدا له بعد ذلك أن يغير هذا الموعد، لزم التغير فى علم الله، وهو ما يسمونه بالبداء، بمعنى أنه قد بدا له أمر صرفه عن إرادته الأولى؛ وهذا ممنوع. نعم أجازه بعضهم مستدلاً بأن أصحاب النبى المبشَّرين بالجنة وعلى رأسهم سيدنا عمر كانوا يخافون عذاب الله - تعالى - أشد من غيرهم، حتى قال عمر: «لو نادى مناد: كل الناس يدخلون الجنة إلا واحداً، لظننت أنى ذلك الواحد». فهذا يدل على أن القضاء يمكن تغييره. ولكن ليس فى هذا وأمثاله شىء من الدلالة، لأن سيدنا عمر وأمثاله من كبار الصحابة قدوة للناس، فهم إنما يقولون ويفعلون ما فيه مصلحة للمجتمع بصرف النظر عن شخصيتهم.

والحق الذى لا شبهة فيه أن هذه الآية الكريمة لا علاقة لها بهذا الموضوع رأساً، بدليل ما قبلها، لأن الله - تعالى - قال:

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۝٣٨ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾(٢).

ومعنى هذا أن الله - سبحانه وتعالى - أرسل الرسل إلى الأمم كما أرسل سيدنا محمداً بشريعة تناسب كل زمان ومكان، فلكل أجل كتاب معناه: لكل وقت حكم يكتب على العباد بحسب ما يلائم حالهم، فإذا جاء رسول إلى أمة من الأمم بشرع، لا بد أن يراعى حالها وصلاحيتها لقبول هذا التشريع، فيتدرج معها حسبما تطيق، وذلك كان شأن الإسلام مع العرب فى كثير من الآيات والأحكام المتعلقة بالزواج والطلاق

(٢) الرعد (٣٨، ٣٩).

والميراث، بل والعادات والملذات وهكذا، حتى إن النبى ﷺ لما أرسل معاذاً إلى اليمن أمره بأن يطالبهم بالتوحيد فقط، ثم بعد ذلك يأمرهم بالصلاة، ثم بالصيام، لأنه أشق، ولا يطالبهم بالزكاة إلا بعد أن يستقر الإسلام فى أنفسهم، فكذلك شأن العادات التى كانوا يقدسونها. وما قصة تحريم الخمر بخافية على أحد، لأن العرب كانوا مولعين بشرابه فلم يحرمه الله عليهم من أول الأمر، بل أخذ يرشدهم إلى المضار التى تنشأ عنه، ويلفتهم إلى أن يقارنوا بين مضاره وبين ما يجدون فيه من لذة حتى يعلموا أنهم خاسرون بشرابه، وبعد ذلك حرمه عليهم. فقوله تعالى:

﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ﴾ معناه ينسخ من الأحكام المؤقتة ما لا يناسب تطور الأمة، ويثبت ما يناسب ذلك التطور:

﴿ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾: الأصل الذى يريد أن تستقر عليه حال الأمة.

وهذا التفسير هو الذى اختاره الإمام على - كرم الله وجهه - وهو الصواب فيما أعتقد. وذلك لأن مسائل القضاء والقدر لا ينبغى أن تكون مرتبطة بأعمال الناس وشئونهم العامة والخاصة، لأن الله - تعالى - خلق الأسباب والمسببات، وربطها ببعضها ربطاً محكماً، وكلف الناس بأن يعملوا لدينهم ودنياهم على منهج خاص أتيهم به الشريعة وبينته لهم أحسن بيان. فالمريض الذى ينفعه دواء خاص لا يحل له أن يتركه اعتماداً على القضاء والقدر، والقادر على السعى على الرزق يحرم عليه أن يكون عالة على الناس اعتماداً على القضاء والقدر، والذى يترك الأرض بدون حرث وغرس وسقى اعتماداً على القضاء والقدر، يكون آثما جاهلا بلا كلام. وهكذا كل الأسباب المشروعة النافعة، يجب على الناس أن يستمسكوا بها، ويحرم عليهم أن يستمسكوا بالقضاء والقدر فى شأنها، لأن القضاء والقدر مخبوء لا علم لأحد به، ولم يكلفنا الله - تعالى - بالبحث عنه وعن معرفته، بل بالعكس قال لنا: لا ينفعكم الاحتجاج به لا فى الدنيا ولا فى الآخرة. فإذا كان الاستمساك بالقضاء والقدر يدفع المرء إلى العمل بهمة ونشاط وهو يقول أنا لا أبالى باقتحام المخاطر فى سبيل الله لأنه لا يصيبنى إلا ما هو مكتوب، فذلك حسن. أما إذا كان الاستمساك بالقضاء والقدر يحمل الناس على التواكل وترك العمل، فذلك قد نهى عنه الله ورسوله نهياً شديداً. روى أن النبى ﷺ دخل على علىّ وزوجه فاطمة فسألهما: هل تقومان الليل؟ فقال علىّ: أرواحنا بيد الله إن شاء قمنا وإن شاء لا، فغضب النبى ﷺ، وخرج وهو يقول:

﴿ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾[٢].

هدانا الله إلى سواء السبيل.

(٢) الكهف (٥٤).

تحويل القبلة وتميز الشخصية المسلمة



للأستاذ/ محمد حسن دراز

أمر رسول الله ﷺ باستقبال الصخرة التى كلم الله - عز وجل - يعقوب - عليه السلام - عليها، والتى بنى عليها يعقوب - عليه السلام - بيت المقدس، فكان عليه الصلاة والسلام بمكة يصلى بين الركنين، فتكون الكعبة بينه وبين بيت المقدس، فلما هاجر إلى المدينة تعذر الجمع بينهما. قال تعالى:

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾[١].

روى البخارى عن البراء بن عازب - رضى الله تعالى عنه - أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس - عقب الهجرة إلى المدينة - ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وإن أول صلاة صلاها صلاة العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن كان صلى معه، فمر على أهل المسجد - ذى القبلتين - وهم راكعون، فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قبلَ مكة، فداروا كما هم قبل البيت؛ فسمى المسجد ذا القبلتين. وكان الذين ماتوا على القبلة قبل أن تحول قبل

(١) البقرة (١٤٤).

البيت رجالا قتلوا، لم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله عز وجل:

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾(٢).

وكان اليهود قد أعجبهم إذ كان عليه السلام يصلى قبل بيت المقدس، فلما ولى وجهه قبل البيت الحرام، أنكروا ذلك، فقال السفهاء وهم اليهود: ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها.

والحكمة من التوجه إلى بيت المقدس أولا، ثم العدول عنه إلى الكعبة المشرفة: أن البيت الحرام عظمته العرب فى الجاهلية؛ لأنه بيت أبويهما إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - فاشتركت فى تقديسه عصبية الجنس، فأراد الله - عز وجل - أن يخلص المسلمين من هذا الشعور؛ ليكون بيت الله المقدس، فصرف المسلمين عنه فترة إلى بيت المقدس، قال تعالى:

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(٣).

وسطية الأمة المسلمة:

أ - وسطية المنهج بين مادية اليهود ورهبانية النصارى.

قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾(٤).

عن أنس - رضى الله تعالى عنه - قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ، يسألون عن عبادته، فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: أين نحن من النبى ﷺ؛ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فأقوم الليل أبدا، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر أبدا ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء، فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إنى لأخشاكم لله، وأتقاكم له، ولكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى»(٥).

روى الإمام مسلم عن حنظلة بن الربيع الأسيدى، أحد كتاب رسول الله ﷺ

---

(٢) البقرة (١٤٢).

(٣) البقرة (١٤٣).

(٤) المائدة (٨٧، ٨٨).

(٥) رياض الصالحين ص ٨٢.

قال: «لقينى أبو بكر - رضى الله تعالى عنه - فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة؛ قال: سبحان الله ما تقول؟ قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالجنة والنار، كأنا رأى العين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيرا. قال أبو بكر - رضى الله تعالى عنه - فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ، فقلت: نافق حنظلة يا رسول الله! قال: «وما ذاك»؟ قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة، كأنا رأى العين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيرا.

فقال عليه الصلاة والسلام: «والذى نفسى بيده أن لو تدومون على ما تكونون عندى وفى الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفى طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة» ثلاث مرات(٦).

ب - وسطية التوازن بين حق الفرد وحق الجماعة:

١ - توازن فى التكاليف والجزاء:

المؤمن مجازى بسعيه، قال تعالى:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٧).

ومسئول عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر للجماعة، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٨).

٢ - توازن فى ثمرة السعى والتكافل الاجتماعى:

للعامل ثمرة سعيه بلا ظلم ولا انتقاص، قال تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾(٩).

وللجماعة حق التكافل فى أموال الأغنياء. قال تعالى:

﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾(١٠).

تميز الشخصية المسلمة واستقلالها:

قال تعالى:

---

(٦) رياض الصالحين ص ٨٧.

(٧) النحل (٩٧).

(٨) المائدة (١٠٥).

(٩) الملك (١٥).

(١٠) الحديد (٧).

﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١٤٥) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (١٤٧) وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٤٨) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٩) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(١١).

روى الإمام مالك والشيخان وأبو داود عن أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم». وروى الإمام البخاري: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبدالله ورسوله». وروى الجماعة إلا مسلما عن عمر – رضي الله تعالى عنه – قال: إن المشركين كانوا لا يفيضون من المزدلفة حتى تطلع الشمس، ويقولون: أشرق ثبير؛ كيما نغير، وإن رسول الله ﷺ خالفهم فأفاض قبل أن تطلع الشمس».

روى الشيخان عن ابن عمر – رضي الله تعالى عنهما: أن رسول الله، ﷺ قال: «خالفوا المشركين، ووفروا اللحى، وأحفوا الشوارب».

أيها الأحبة الكرام: هذا سبيل الله – عز وجل – ومنهج رسوله ﷺ، ولن يعود للإسلام مجده وللمسلمين كرامتهم، إلا إذا استقاموا على سبيل الله – عز وجل – وعلى منهج رسوله ﷺ، فاللهم خذ بأيدينا إليك، وردنا إليك رداً جميعا، وأعز اللهم بنا الإسلام وانصر المسلمين، واللهم إنا عبيدك أبناء عبيدك، نواصينا بيدك، ماض فينا حكمك، عدل فينا قضاؤك، نسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور بصائرنا، وجلاء همنا وغمنا، اللهم علمنا منه ما جهلنا، وذكرنا منه ما نسينا، وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار بما يرضيك عنا، بمنك وفضلك وكرمك.

(١١) البقرة (١٤٥ : ١٥٠).

نزعة الحقد على الأسلاف المرض.. والعلاج

للدكتور/ عبد الحليم عويس

● نزعة الخيانة للماضي، والتنكر للأسلاف الذين صنعوا لنا الأمجاد التي تؤهلنا للاستمرار والإبداع والوقوف من جديد على أقدامنا.. نزعة مرضية أقرب ما تكون إلى الانتحار.. فمن لا أب له يكون لقيطاً ضائعاً مؤهلاً للاستعباد.

● ومن أغرب ما وقع فيه بعض المسلمين حقد بعضهم على هؤلاء الأسلاف (!!) للأسف الشديد، وكأنهم ليسوا امتداداً لهم ويداً من أياديهم!!

● إنهم لم يشهدوا التاريخ، ولربما طويت صفحات، أو كانت هناك مؤامرات لم يكشفها التاريخ، ولربما كانت هناك ظروف لم تدرس كل أبعادها... نعم... نحن نحكم على طرف بأنه مخطئ وطرف آخر بأنه مصيب... وجمهور الأمة المسلمة من طنجة إلى جاكرتا تؤمن بأن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – ومن معه – مثلاً – كانوا على الصواب، وبأن معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه – كان ومن معه على خطأ.. وهي تؤمن – مع ذلك – بأن الطرفين اجتهدوا وكانا – معاً – طائفتين مؤمنتين بغت إحداهما على الأخرى، ووقعت بين الطرفين ملابسات وضبابيات جعلت صحابيا ورعا شريفا بإجماع الأمة هو (عبدالله بن عمر) يتوقف في الأمر ولا يتحيز لطرف ضد آخر... إن الأمة تؤمن بكل ذلك، بل إن قلب الأمة المسلمة كله – إلا من شذ – مع علي بن أبي طالب وأبنائه وآل البيت جميعا، لدرجة أنه يشاع عن شعب كالشعب المصري أنه شعب يحب آل البيت حباً جماً إلا أنه لا يتمذهب بمذهب التشيع!!

● ويرى جمهور الأمة أن الأمر يجب أن يقف عند هذا الحد، وأن نسعى إلى أن

نستفيد من درس هذه الفتنة أو المؤامرة، وأن يكون مثلنا الأعلى هو الآية الكريمة:

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[1].

وأن نحفظ لجيل الصحابة كرامته الذى يليق به، ولاسيما وقد نهانا الرسول عليه الصلاة والسلام نهياً صحيحا قاطعا عن التجرؤ عليهم فقال لنا: (لا تسبوا أصحابى، فوالله لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه).

● وقد وقع فى كثير من النهضات والثورات كثير من الخلافات ومع ذلك فإن أصحابها يجلون رموزها ويعتبرونهم قمماً تاريخية وصناع حضارة.. وما وقع بين الصحابة كان دفاعا حقيقيا عن وجهة نظر كل منهم وعن قيمة أساسية من قيم الإسلام فهؤلاء يدافعون عن حق الأمة وخليفتها الشرعى - أولا - فى ممارسة سلطانه... وأولئك يدافعون عن حق دم خليفة قتل ظلماً حتى تستتب الأمور على رضا عام وقواعد سليمة!!

● ولسنا نريد أن نثير القضية أو نؤجج نارها - استغفر الله - وإنما نريد القول: إن هذا الموقف نتيجة طبيعية لبداية مرحلة جديدة كانت تمر بها الأمة المسلمة، وهى تواجه قوى العالم القديم بما درب عليه من مكائد وأساليب سياسية. وتواجهه - من جانب آخر - بكل ما يطرحه من نقلة حضارية تخرج بالمسلمين من طبيعة الجزيرة بمنهجها البسيط الواضح إلي دنيا الحضارة الفارسية والرومانية بمنهجها السياسى المركب.. فكانت الفتن الكبرى أو المؤامرات الكبرى مأزقا كنا نتمنى أن يمر بأسلوب أكثر أناة وسلماً.

- ومع ذلك فهو درس... ويجب أن يبقى درساً يُعالج بمنهج العلم والتاريخ والحب...!!

● لكن طائفة — أو شرائح من طوائف - تنسب نفسها إلى التشيع قد عالجت الأمر بمنهجية مختلفة.. وقد حولته إلى مذهب... وهذا المذهب يصر على أن تعيش عند هذه النقطة ولا تتجاوزها، وأن نضخمها ما استطعنا، وأن نؤلف فيها مئات الكتب، ونقيم لها فى كل عام احتفالات تلطم فيها الخدود وتشق فيها الجيوب ويضرب بعضهم بعضا بالسلاسل الحديدية، ويقيمون أو تقيم جماعة منهم - مؤتمرات خاصة بلعن أبى بكر وعمر وعثمان - رضى الله عنهم فضلا عن اللعن الثابت لمعاوية وبنى أمية وبنى العباس.. أى لتاريخنا الإسلامى كله... وموقفهم من العثمانيين أيضا موقف عدائى... ودولة الصفويين الشيعة قد أوقفت زحف العثمانيين على أوروبا وطعنتهم من الخلف وشغلتهم بها عن أوروبا[2].. فكانت الكارثة التى انتهت بأن تحول العثمانيون إلى رجل مريض!! فلماذا هذا كله؟ وما الجدوى منه إذا كنا جميعا مسلمين؟!

● ولماذا لا ندرس الدرس دراسة علمية محايدة، ونتجاوزه، ونبصر التحديات المتراكمة التى انتهت بأمتنا إلى هذه الصورة الشائهة حضاريا، والتى وصلت إليها فى القرن الخامس عشر للهجرة والقرن الذى قبله، ونخشى أن تستمر لقرن قادم مالم تدركنا رحمة الله؟.

- وعلام هذه الشحنات الدافقة الولود من الأحقاد على أبرار أطهار لم يستطع التاريخ البشرى أن يجود بمثلهم من أمثال أبى بكر وعمر وعثمان؟.

- ولنفترض أن معاوية وأحفاده وأبا جعفر المنصور؟ وأحفاده قد ارتكبوا أخطاء... فهل هم معصومون؟ وأيضا: أليست لدولهم حسنات؟

● ولماذا لا يكون ميزاننا إسلاميا عادلا؟.. بل لماذا لا نلتمس الأعذار ونستفيد من دروس التاريخ على أساس من الولاء لتاريخنا وعدم الوقوف مع أعداء الإسلام فى جهودهم لتشويهه... وبالتالى نميل إلى الحب... وإلى النظر إلى المساحة الواسعة البيضاء؟

وهل من الإسلام أن يخون الصفويون الإسلام هذه الخيانة الكبيرة ويتعاونوا مع أوروبا فى إسقاط آخر خلافة إسلامية؟.

- إن كل الأمم تتغاضى عن بعض أخطاء عظمائها... وإن لعظمائنا مكانتهم العالية بالنسبة لعظماء هذه الأمم، وما وقعوا فيه إنما هو من قبيل البشرية الحاكمة... وهى أخطاء قد يكون من حقنا أن نقيسها بمقياس إسلامنا العظيم ومسئوليتنا في تقديم أفضل النماذج للبشرية لأننا خير أمة ولأننا الأمة الباقية الشهيدة على الناس... لكن ليس من حقنا أن نجعلها - وحدها - هدفنا، ومجال اهتمامنا، وأن نظلم فنتجاهل بقية المساحة القيمة الإيجابية التى انتظمت حياة هؤلاء ونحن ضد كل خطأ ارتكبه أسلافنا...

لكننا لسنا ضد أشخاصهم العالية الذكية.. إنهم ليسوا هدفنا الذى نسعى

(1) البقرة (١٣٤).

(2) انظر فى هذا الاختراق الفكر الشيعى د. على شريعتى فى كتابه (العودة إلى الذات).

إلى تشويهه وتجريحه ، وإنما هدفنا أن نبصر الخطأ ونصحح المسار ونعرف كيف نتجنب ما وقعوا فيه ونعمق ما أحسنوا فيه - وهو كثير - !!

فإذا كانت طبيعة عصورهم لم تضغط عليهم ليستحدثوا مؤسسات ثابتة ودائمة للشورى فإننا لا نأخذ عليهم ذلك ... ومع تقديرنا الكبير لما أورده المسعودى الذى لا يمكن اتهامه بموالاة معاوية ولا بنى أمية ، من أن معاوية - رضى الله عنه - كان يأذن للناس خمس مرات فى اليوم والليلة بلقائه ... كان إذا صلى الفجر جلس للقاص حتى يفرغ من قصصه ، ثم يدخل فيؤتى بمصحف فيقرأ جزأه ، ثم يدخل إلى منزله فيأمر وينهى ، ثم يصلى أربع ركعات ثم يخرج إلى مجلسه (...) ثم يؤتى بالغداء وربما قدم عليه من أصحاب الحوائج أربعون أو نحوهم على قدر الغداء (...) وينادى بالمغرب فيخرج فيصليها ثم يصلى بعدها أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة خمسين آية (...) ثم يؤذن للخاصة وخاصة الخاصة والوزراء والحاشية ...)[3] وبعد أن انتهى المسعودى من سرده الذى ذكرنا بعضه ، (وتحيل إليه لروعته ...) يعقب على البرنامج اليومى لمعاوية - رجل الحكم العظيم فيقول : « وقد كان هم بأخلاقه جماعة بعده مثل عبدالملك بن مروان وغيره فلم يدركوا حلمه ولا إتقانه للسياسة ولا التأنى للأمور ، ولا مداراته للناس على منازلهم ، ورفقه بهم على طبقاتهم[4].

مع تقديرنا لهذا كله إلا اننا كنا نتمنى أن ينجح إسلافنا فى استحداث مؤسسات ثابتة للشورى تجمع عقول الأمة وخبراتهم .

لكننا - مع ذلك - لا نحول هذا الخطأ إلى حقد عام واتهامات جزافية ، ثم نستمر فى تجاهل قيمة مؤسسات الشورى التى تفرضها علينا بكل صور الفرض تحديات عصرنا ... والتى لو وجدت لحالت دون ثورات كثيرة وخلافات مدمرة ... كلا فلنقرر الحقيقة ... هذا هو الدرس ... ولنواجه الدرس بجدية ولنستفيد من الدرس كما ينبغى ... ولنترك الحقد والتشويه !! .

***

(٣) ، (٤) المسعودى مروج الذهب ٢/ ٤٠ .



شبهات زائفة تكشفها الحقائق الدامغة

٢

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوضين

رأينا - فيما تقدم - أن ما ساقته السيدة ناظرة الثانوية تعليلا لتحولها من الإسلام إلى المسيحية .. إن هو إلا ثمرة من ثمار الانتقائية التى قد تكون استغلت فى التأثير على المشاعر الرقيقة لتلك السيدة ، فاندفعت بها - من غير وعى - للتحول عن الإسلام ، ثم اندفعت بها لتضليل من يتلقون حديثها - متوهمة أنها تنصحهم - ولإلباس الباطل ثوب الحق ، وإلباس الحق ثوب الباطل ، ولإثارة الشكوك والبلابل فى النفوس .

ونحن اليوم مع شطر آخر من تلك القضايا التى يظن أن إثارتها سوف تصنع عاصفة من تراب أسود تحجب به حقيقة الإسلام عن أعين الناس ، فيروا الخير شرا ، والنافع ضرا ، والدواء داء ، كما حاولت كثيرا أن تصنعه المنظمات التبشيرية التى أطلقتها أوربا - ومازالت تطلقها - على الإسلام والمسلمين فى مقدمة جيوشها العسكرية ، منذ بدأت حملاتها الصليبية على البلاد الإسلامية ، مع مطالع القرن الحادى عشر الميلادى ، والتى أطلقتها - ومازالت تطلقها - على بقايا الوثنيين فى

أفريقيا وآسيا؛ لتحد -أو تمنع- إقبالهم على الدخول فى الإسلام، والتى أطلقتها -ومازالت تطلقها- على الشعوب الأوروبية والأمريكية لتعوق المد الإسلامى بينها.

تعدد الزوجات تقدير للمرأة وليس امتهانا لها

انتقلت السيدة -من الحديث عن السيد المسيح وأمه التى كرمها القرآن الكريم -إلى الحديث عن العلاقة بين الرجل والمرأة فى الإسلام، وما صُوِّر لها -أو مارأته- فى تلك العلاقة من إهانة للمرأة.

١- وابتدأت بالحديث عن حق الرجل فى تعدد الزوجات، الذى رأت أنه أمر مهين للمرأة، وأنه لا يحترم مشاعرها ولا كرامتها، فى حين أن المسيحية تحترم هذا الرباط المقدس، ولاتسمح بتعدد الزوجات.

ولو أن هذه السيدة لم تسلم تفكيرها لمشاعرها الجامحة وما تولده من انفعالات، وأعملت العقل الهادىء المتوازن، وحررت رؤيتها من سطوة الفكر التبشيرى -بتعصبه الأعمى- لأبت على نفسها أن تردد مثل هذا الزيف الساذج، ولما خاضت فيه، ولما جعلته من أسباب تحولها من الإسلام، خصوصا أن هذا الموضوع تكرر الكلام فيه، ودفع ما يثار حوله من شبهات مصنوعة، لا حقيقة لها إلا فى وهم المنظمات التبشيرية التى يتوسل أعضاؤها بالمثيرات الخادعة فى تقديم الجميل قبيحا، وإبداء الصالح فاسدا، وجعل الخير شرا.

ولو أن تلك السيدة تجاوزت المشاعر والانفعالات، وبحثت عن السر فى إباحة الإسلام للرجل أن يتزوج بأكثر من امرأة لعرفت ابتداء أن هذه الإباحة ليست مطلقة، ولكنها مقيدة بعدد محدود، ومقيدة باطمئنان الرجل إلى أنه يستطيع أن يعدل بين زوجاته، كما أوضحه قوله عز وجل:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾(١)

مع التنبيه إلى أن هذه الاستطاعة عسيرة التحقق مهما بلغ الحرص عليها. كما فى قوله تعالى:

﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾(٢)

فشريعة الإسلام -فى تقرير هذا المبدأ- لاتتملق جانب الشهوة فى الرجل، ولاتمنحه حقا مطلقا، ولكنها تقصد من ذلك تحقيق الغرض من الزواج ودوره فى تأكيد التوازن الإنسانى فى مجتمع خال من الاهتزازات النفسية والاجتماعية.

أ) وذلك لأن إباحة تعدد الزوجات تؤكد التوازن الإنسانى، إذ هى -أولاً- تخلص بعض النساء من البقاء بين مخالب

(١) النساء: (٣).

(٢) النساء: (١٢٩).

العنس مدى الحياة، يشتهين الاستجابة للفطرة، ويحلمن بالولد الذى يشبع فيهن الأمومة، ويهفين إلى الأسرة، ويتمنين الاستقرار فى واقعهن ولو بالزواج من بعض رجل، ولكنهن يتلفتن فيجدن الحرمان من كل ذلك، فيشعرن بالخيبة، ويستسلمن للضياع، ويستولى عليهن القلق، فليس أمامهن إلا أن يلجأن، إما إلى السعى المضنى لكبت ما يضطرب فى أعماقهن، وبذل الجهد الخارق فى مقاومته، فلا يكون إلا انهيار الصحة، وضعف العقل. وإما يلجأن -فى الاستجابة لتلك الحاجات الطبيعية- إلى الاستسلام لعنف الغريزة توجههن أنى تيسر لها الإشباع، فيخسرن بذلك العفة، والكرامة، والشرف، ويستسلمن للضياع يفتك بهن.

ب) وإباحة تعدد الزوجات تؤكد التوازن الإنسانى، لأنها -ثانيا- تصون الرجل من الوقوع تحت سيطرة الغريزة فى الوقت الذى يضعف فيه استعداد المرأة للتلبية الجنسية لسبب طبيعى، مثل مدة الحيض، والنفاس، مما قد يثير فى نفس بعض الرجال قلقا واضطرابا، لا يطيق تحمله، مما يتهدده وأسرته بأوخم العواقب.

جـ) وبإباحة التعدد تتحقق الغاية الأصلية من الزواج -وهى حفظ النوع- فلو أن رجلا تزوج من امرأة عقيم- يحرص على إكرامها بإبقائها زوجا له- ولم يتح له أن يتزوج من أخرى حرم -بذلك- من أداء وظائفه الحيوية، ولكان ذلك إقرارا بأن الغاية من الزواج مقصورة على الإشباع الجنسى فحسب، فيفقد الغاية الأسمى، وهى حفظ النوع.

د) هذا إلى أن طبيعة التكوين لم تقف بقدرة الرجل التناسلية عند حد زمنى موقوت، ولم تقيدها بوقت معين من أوقات الشهر أو السنة، بينما تلك الطبيعة وقفت بقدرة المرأة التناسلية عند حد من العمر لا تتخطاه -فى الغالب- كما قيدت استعدادها للإخصاب بقيود تجعلها مقصورة على مرة واحدة فى كل شهر.

وهذا -وغيره- يعنى أن منع الرجل المستطيع من التزوج بأكثر من امرأة -إذا تحققت له استطاعة العدل- إن هو إلا تعطيل لوظيفته التناسلية مدة تجاوز ضعف المدة التى يمكن فيها أن يقوم بدوره فيها، سواء فى ذلك تعطيلها مدة حيض المرأة وما يسبقها وما يليها -حيث لا تتهيأ البويضة للإخصاب -وتعطيلها مدة وصول المرأة إلى مرحلة اليأس.

هـ) وإباحة تعدد الزوجات تتضمن القضاء على التناقض بين الشريعة وبين منطقها الخاص فى إشباع الحاجة الجنسية، لأنها حرمت الزنا تحريما قاطعا -لأسباب كثيرة من بينها الحفاظ على كرامة المرأة- ومنطق هذه الشريعة يوجب محاربة الزنا فى شتى صوره، والقضاء على كل ما يدفع إليه قضاء باتا، وإغلاق كل منفذ يمكن أن يؤدى إليه.

ولاشك في أنه بإباحة تعدد الزوجات يحمى الرجال والنساء من الوقوع في جريمة الزنا التي تكاد تسود المجتمع الأوروبي والأمريكي بسبب الوقوف في وجه هذا المبدأ العلاجي.

وإذا كان الفهم السطحي الخاطئ لتعدد الزوجات كان سببا في بقاء القوانين الأوروبية -حتى اليوم- تنكره وترفضه، ولا تعترف به، فإن كثيرا من علمائهم ومفكريهم بدأوا يحسون بالحاجة إلى إباحة التعدد، ويشعرون بضرورته، ففي المؤتمر الذى عقدته الحكومة الفرنسية سنة ١٩٠١ للبحث عن خير الطرق لمقاومة انتشار الفسق، وشيوع العلاقات الشاذة. ذكر: أن عدد الأولاد اللقطاء والمجموعين في ملاجئ مقاطعة (السين) وحدها بلغ خمسين ألف لقيط، وأن بعض من يقومون على أمر هذه الملاجئ يفحشون بالبنات هناك، ولا زاجر يزجرهم من قيم أو قوانين، حتى انطلقت الصحف تدعو إلى إباحة تعدد الزوجات، حرصا على سلامة البناء الاجتماعي، وتخليصا له من ذلك الانهيار الخلقي، وظلت تلك الصحف تدعو إلى إباحة تعدد الزوجات، خصوصا بعد الحربين العظميين (١٩١٤، ١٩٣٩) اللتين خلفتا عددا كبيرا من الأرامل اللاتى مات عنهن أزواجهن، وعدداً أكبر من الفتيات اللاتى لايجدن من يتقدم للزواج منهن لفقد كثير من الجنود، واضطراب التوازن الاجتماعي بين عدد الشابات والشبان، مما دفع بالكثيرات منهن إلى مهاوى الفسق والفساد الذى يجنى العالم الأوروبي والأمريكي ثمرته اليوم في مطالع القرن الحادى والعشرين.

وليست الحرب هي الدافع الوحيد إلى الحاجة لتعدد الزوجات، ولكن هي دافع يعزز دوافع أخرى، تذوق الإنسانية من جرائها اليوم ويلات ومتاعب لاحدود لها، ويحاولون في المجتمعات الأوروبية اليوم أن يتجاهلوها ليقنعوا أنفسهم بأن لامشكلات، مثل شيوع الزنا، وانتشار الجرائم المترتبة عليه، ومثل الانهيار إلى درك الشذوذ الجنسي بنوعيه- والذى يحاولون اليوم أن يقننوه، وينشروه في شتى بلاد العالم إقراراً له- ومثل الاضطرار إلى الاعتراف بنظام الخالة: بعد أن يلقى عليه أسماء وصفات أخرى خداعة، مثل الصداقة.. إلى غير ذلك، حيث يتاح -في ظل تلك الإباحيات- لكل رجل أن يتخذ خليلة أو عددا من الخليلات ينازعن فيه زوجته، تحت سمعها وبصرها، دون رعاية لمشاعرها، ولاحرص على كرامتها، متعللين في ذلك بحجج واهية، لاتنهض بأى حال على عقلية ولا إنسانية، ولا اجتماعية لإشاعة مثل هذا الخلل والشذوذ.

ولهذا لم يكن غريبا أن يعلن في مؤتمر نساء أفريقيا، المنعقد في (لاجوس) سنة ١٩٦٣ تحت إشراف اللجنة الأفريقية

الاقتصادية المتفرعة عن الأمم المتحدة: أن تعدد الزوجات قد انتشر بين المسيحيين في نيجيريا، والسبيل إلى ذلك عقد الزواج المدنى الذى يتم في مكتب سجلات المدينة، وهو نظام جديد لتوثيق الزواج، يوجد إلى جانب عقد الزواج في الكنيسة، وذلك خروجا من الموانع الكنسية التى تفرض زوجة واحدة، وفرارا من التقيد بقوانينها التى تحرم تعدد الزوجات، تلك التى ظنت السيدة ناظرة الثانوية أنها تحفظ كرامة المرأة، وتصون مشاعرها.

وقد ذكر وزير الاقتصاد النيجيرى -في بحث قدمه للمؤتمر-: أنه من أجل حماية المرأة أباحت الحكومة الزواج بأكثر من واحدة، ولم تعد هناك غرابة في وقوعه، بعد أن تبين إلحاح الحاجة إلى تعدد الزوجات، وعدم قدرة الإنسان -في عمومه- على الخضوع لذلك التحديد المطلق.

وكان أولى بسيدتنا تلك -بدلا من ترديد ما يثيره المبشرون- أن تدلنا على تلك المرأة التى تجد في تعدد الزوجات إهانة لها، أهى المرأة التى حرمت من الزوج، وأصبحت تتمنى الزواج ولو من ربع رجل فقبلته زوجا عندما تقدم لها؟! أم هى المرأة المتزوجة التى أباح لها الإسلام أن تشترط على زوجها عند العقد ألا يتزوج بغيرها. وكفلت لها شريعة الإسلام -عندئذ- تحقيق شرطها مع الحفاظ على كافة حقوقها، ولكنها رفضت استعمال هذا الحق، وفضلت عليه البقاء زوجة مع تلك الزوجة الجديدة؟!

إن الإسلام -بإباحته تعدد الزوجات- يحقق التوازن الإنسانى المنشود، فلا تخدم تشريعاته الرجل على حساب المرأة، ولا امرأة على حساب امرأة أخرى، ولكنه يعى أبعاد المجتمع كلها، وحاجات الإنسان الفطرية -ذكوره وإناثه- فيضع من التشريعات والقيود والأنظمة ما يمنح كل إنسان أسباب الحياة الكريمة العزيزة، بخلاف أولئك الذين يتملقون بعض الناس، ويهملون البعض الآخر.

وإن لم يكن في ذلك ما يقنع فلتأتنا تلك السيدة بامرأة أكرهت على التزوج من رجل متزوج!

والتطليق تغفل عن عمد محامده

٢- وكما رأت هذه السيدة في تعدد الزوجات مهانة للمرأة، وعدم احترام لمشاعرها وكرامتها.. رأت في منح الرجل حق التطليق شيناً للمرأة ويبدو أن تلك السيدة لم تحاول -في أثناء إسلامها- أن تعرف شيئا عن شريعة الإسلام، خصوصا فيما يتعلق بالمرأة وعلاقتها بالرجل، فاعتمدت فقط على ما يفرزه المبشرون- الذين يلوون الحقائق الإسلامية- وكثير من المستشرقين الذين أضلهم التعصب الأعمى، أو الجهل.

ولو أنها استلت نفسها من سلطان هذا الإفراز وذاك، ونظرت إلى تشريع الطلاق فى الإسلام بعين المحايد الباحث عن الحقيقة.. لرأته فى أبعاده المختلفة، ولعلمت أن شريعة الإسلام ما أباحت الطلاق -ابتداء- إلا لتقديرها أهمية الزواج وقدسيته، ولإدراكها ضرورة الحفاظ عليه مصونا من كل أسباب الهزات التى قد تطرأ على أحد الزوجين، فتفقد الزوجية مقاصدها السامية، وتصبح النعمة نقمة، إذ إن من الطبائع ما لا يألف بعض الطبائع، فلا يكون من الإصرار على إبقاء الجمع بينهما إلا زيادة الشر، وتنغص المعيشة. ومن الناس من يصاب بزوج غير كفء، ولا حسن السمعة، فلاتستقيم معه العشرة... فلا يكون إلا الطلاق علاجا حاسما، يلجأ إليه عند مثل تلك الحاجات الملحة.

وحرص الإسلام على بقاء العلاقة الزوجية قائمة إلا فى الحالات الملحة.. كان الطلاق: «أبغض الحلال إلى الله عز وجل» كما صرح بذلك رسول الله ﷺ، وكان من يمارس الطلاق -لغير سبب جاد- ملعونا من الله -تعالى-، على ما صرح به ﷺ فى قوله: «لعن الله كل ذواق مطلاق»، لما فى ذلك من كفران بنعمة الله -تعالى-.

ولو أن تلك السيدة أمعنت النظر المنصف فى أعباء الزوجية التى يلقيها الإسلام على الرجل -بوصفه قائد الأسرة- لعلمت أن الرجل -فى الغالب- يكون أحرص على بقاء الزوجية، حتى لايضيع ما أنفقه فى سبيلها، وما يُلزَم أن ينفقه إذا طلق زوجته، من مؤخر مهر، ومتعة طلاق، وإنفاق على المطلقة مدة العدة... بخلاف المرأة التى لاتتحمل من تبعات الطلاق المادية شيئا مما يتحمله الزوج، لذلك فإنها -فى كثير من الأحيان- تكون أسرع استجابة إلى حل عقدة الزواج لأتفه سبب، دون تردد أو مراجعة، بل قد تبادر إلى التحلل من الزواج لغير سبب صحيح.

فمع إمعان النظر المنصف فيما يترتب على الطلاق من أعباء يتحملها الرجل... يتبين أن الرجل -فى الغالب- لا يلجأ إلى الطلاق إلا عندما يستنفد كل أسباب الإصلاح، وتنسد فى وجهه كل الطرق.

ولو أن تلك السيدة رجعت إلى مختص فى فقه الشريعة الإسلامية، لعرفت أن الطلاق -وهو حل عقد- لايقع إلا من واع لما يصدر منه، قاصد ما يصنع، وليس منفعلا ولاغضبان كما تتوهم، لأن المولى -سبحانه وتعالى- يقول:

﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[3]

(3) البقرة (227).

وليس خافيا أن العزم يقتضى الإرادة الجازمة بفعل المعزوم عليه، فلا طلاق من غضبان ولا من هازل، ولا من مخطىء، ولا من مكره.

ثم لننظر السيدة معنا بإنصاف إلى هذا الرجل الذى يعرض عقدة الزواج المقدسة للطلاق مرة بعد مرة. أيمكن أن يؤتمن مثل هذا الرجل على تلك العقدة، ويترك من غير علاج يفيقه ويرده إلى الصواب؟!

لم يكن هذا العلاج إلا أن يحرم من رد زوجته عند تكرار الطلاق ثلاث مرات، لأن عبث مثله يحوج إلى وضع حد لعبثه!

لذلك... قررت شريعة الإسلام حرمانه من مراجعة زوجته بعد ذلك، حتى يفيق من سكرته، وفرضت عليه ما يوقظه، ويعيد إليه صوابه، فلا يعود إليها إلا بعد أن ينقطع أمله تماما فيها، وذلك بزواجها من آخر زواجا طبيعيا -وليس صوريا بغرض التحليل كما وقع فى وهم كثير من السذج والجهلة- وتعيش فى كنف زوجها الجديد ما شاء الله أن تعيش، ثم تقع الفرقة بينهما لأى سبب خاص بهما، وتنقضى عدتها منه... عندئذ فقط يصح أن يعود الزوج السابق للزواج منها بعقد جديد مع كل التزاماته.

أما من يتزوج بقصد التحليل، فهو عاص، مرتكب كبيرة، ملعون هو ومن وظفه لأداء ذلك الدور، لما رواه أبوهريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله المحلل والمحلل له»[4]، وقد وصفه ﷺ بأقبح الصفات لينفر منه، فقال -فيما رواه عقبة بن عامر-: «ألا أخبركم بالتيس المستعار؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «هو المحلل. لعن الله المحلل والمحلل له»[5].

فهذا يا سيدتى سلوك من بعض الناس يرفضه الإسلام، فلا يصح أن يحمل الإسلام تبعاته.

ومع هذا وذاك... فإن حق الطلاق فى الإسلام ليس مقصورا على الرجل، إذ يجوز أن يفوض الزوج زوجته فى تطليق نفسها إذا شاءت. كما يجوز لها أن ترد عليه ما قدمه لها من صداق وتخلع نفسها من الارتباط به، كما يجوز أن ترفع الأمر إلى القضاء وتقدم ما يدل على إضراره بها لتتخلص منه!

من كل ما يؤكد أن شرعية الإسلام لاتميل إلى جنس على حساب جنس آخر، ولكنها تتوخى العدالة، وتقصد الاستقرار العام للمجتمع الإنسانى.

تعجب يثير التعجب

٣- والسيدة -فى تعليل تحولها من الإسلام- تتعجب من استحلال الرجل -بشريعة الإسلام- معاشرة الأمة أو الخادمة لمجرد أنها تعمل عنده، متجاهلا ما يسببه ذلك من مشاكل فى حالة حمل هذه المرأة.

(4) أخرجه أحمد.

(5) المعجم الكبير ٢٩٩/١٧.

وهو تعجب يثير أمورا كثيرة، أقلها التعجب من أن يقوم تفكير هذه السيدة على تلك السطحية الساذجة، ثم تعلل به تحولها من الإسلام إلى المسيحية!

أ) فهي -أولا- تخلط بين الأمة والخادمة -سواء عن جهل أو قصد المغالطة- على الرغم من أن الفرق بينهما واضح بيّن، فالأمة إنسانة أفقدها الأسر في الحرب حريتها -على ماكان معمولا به في المجتمعات القديمة- أما الخادمة فهي إنسانة حرة تعمل نظير أجر تتقاضاه. والأمة وحدها هي التي يبيح الإسلام لسيدها أن يعاشرها معاشرة الأزواج. أما الخادمة فهي -مثل كل حرة- محرمة على مخدومها، ومعاشرتها تكون زنا يحرمه الإسلام، ويعاقب عليه.

ب) وهي -ثانيا- تتوهم أن إباحة الإسلام للسيد معاشرة أمته يعد إهانة لتلك المرأة، وترتب عليه مشاكل في حالة حملها منه.

ولو أنها سألت أي فقيه مختص عن سر ذلك لتلاشت توهماتها، ولرأت في ذلك ما يفخر به كل مسلم ويعتز بالإسلام من أجله، فالإسلام أقر نظام الرق اضطرارا، لأن مجتمعات العالم كلها كانت تقيم نظمها الاقتصادية عليه، وكان من العبث أن يرفض الإسلام الرق في مجتمعه فيحرر كل من يقع أسيرا عنده، بينما تصر سائر المجتمعات الأخرى على استرقاق من يقع في أيديهم من المسلمين أسيرا. لكن الإسلام -مع اعترافه المؤقت بالرق- قدم كل الوسائل للقضاء عليه، والتخلص منه، معتمدا على تضييق روافده التي ينشأ الرق بسببها، فحرم بيع الإنسان نفسه، وبيع ابنه، وخطف الأحرار وبيعهم كما كان يصنع الأوروبيون المستعمرون في أفريقيا.. إلى آخر تلك الروافد، ومعتمدا كذلك على توسيع المصارف التي تخلص الرقيق من ملكية الآخر. فجعل عتق العبد كفارة لبعض الأخطاء التي يقع فيها المسلم، وكفارة لبعض الجرائم.. مما لايتسع المجال لتفصيله.

وكان من أبرز المصارف التي ابتدعها الإسلام لإعادة الحرية للأمة.. إنشاء مبدأ (أم الولد)، فأباحت شريعة الإسلام للسيد مالك الأمة أن يعاشرها معاشرة الأزواج، فإذا حملت منه صارت (أم ولد)، وبذلك في منتصف الطريق إلى الحرية، فلا يملك أن يبيعها، ولا أن يهبها للغير -حتى لو سقط الجنين ميتا- فإذا مات السيد أصبحت حرة، وليست جزءا من تركته، على مارواه ابن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: «من ولدت منه أمته فهي حرة من بعد موته، وتعتق من رأس ماله».

فيما خدعت فيه تلك السيدة، ورأته عيبا في الإسلام يثير تعجبها ويثير مخاوفها مما يترتب عليه من مشكلات.. هو من أبرز محامد الإسلام التي عالجت مشكلة الرق -وكانت من أخطر مشكلات البشرية- في هدوء، من غير تلك الصدمات المزلزلة، ومن غير الوقوع في مشكلات أخرى تنشأ عن العلاج.

وسطحية تخفى معها حكمة الميراث

٤- ويمثل هذه السطحية في التفكير يثور التساؤل في جعل الرجل يرث ضعف الأنثى، مما يوحي أن الإسلام فرض للرجل -في جميع الأحوال- ضعف الأنثى في الميراث.

وهذا -من غير شك- تساؤل نشأ من الخطأ في الفهم، والتعجل في إصدار الأحكام، لأن أحكام الميراث في الإسلام تقرر أن المشرع الأعظم جل وعلا قدر فيها اختلاف الظروف والأحوال -وهو العليم بتلك الظروف والأحوال- ولم يضاعف ميراث الذكر على الإطلاق.

أ) فتارة يورث الذكر ضعف الأنثى، كما في توريث الأبناء، والإخوة الأشقاء، والإخوة لأب:

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾(٦)

ب) وتارة يسوى بين الذكر والأنثى، كما في توريث الأبوين مع وجود الأولاد:

﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾(٧)

وكما في توريث الإخوة لأم إذا لم يكن للميت وارث أصيل.

﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾(٨).

جـ) وتارة ترث الأنثى ضعف الذكر، كما إذا ماتت المرأة وتركت زوجا وأبا وأما، فإن الزوج يرث نصف التركة، وترث الأم ثلثها، ويرث الأب الباقي وهو السدس:

﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾(٩)

د) وتارة ترث الأنثى ولا يرث الذكر، كما إذا ماتت المرأة وتركت زوجا، وأختا شقيقة، وأخا لأب. فإن الزوج يرث النصف، والأخت ترث النصف الثاني، ولاشيء للأخ.

فالميراث في الإسلام مقدر فيه أحوال وظروف لا يصل إليها إلا العليم الحكيم، وليس عقل المخلوقين القاصر، كما نبهنا

---

(٦) النساء: (١١).

(٧) النساء: (١١).

(٨) النساء: (١٢).

(٩) النساء: (١١).

إليه سبحانه فى قوله:

﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾(١٠)

ولم يكن ختم هذه الآية بقوله:

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾(١١).

بعد قوله:

﴿ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ﴾(١٢)

إلا تنبيها إلى ما وراء هذا الاختلاف من علم شامل، وحكمة فاصلة لاتجامل، فليس الإنفاق وحده هو العلة فى مضاعفة ميراث الذكر، ولكنه علة قد تكون فى آخر العلل الكثيرة التى لعل من أبرزها: ما يناط بالذكر من عبء اجتماعى، إذ هو موئل الأسرة، والملاذ الذى تركن إليه المرأة إذا ما اشتط زوجها فى معاملتها. فالإسلام -فى حفاظه على كيان الأسرة- يرتب على الأخ التزامات يقوم بها قبل أخته وسائر أفراد أسرته لحمايتها، وإشاعة الطمأنينة فيها، عندما يغيب الأب عنها، حتى تظل الأسرة عنصرا صلبا أصيلا فى البنية الاجتماعية، آمنا من الهزات، والزلازل العارضة.. والله عليم حكيم.

ولو كان المجال يتسع لمزيد من التفصيل لوجدنا أن الأنثى تتساوى مع الذكر أو تتميز عنه فى أكثر من ثلاثين حالة، أما تميز الذكور على الإناث فلا يتجاوز ستة أحوال كما رأينا.

فأين هذا التشريع - فى دقة تفصيله، وسمو أهدافه - من تلكم التشريعات الوضعية التى يخص بعضها الذكور بالتركة كاملة، ويخص بعضها الابن الأكبر بالتركة، ويسوى بعضها بين الجميع، دون تنبه لتلك الظروف المختلفة التى لاحظها الإسلام، ونبه إليها العليم الحكيم؟!

«يتبع»

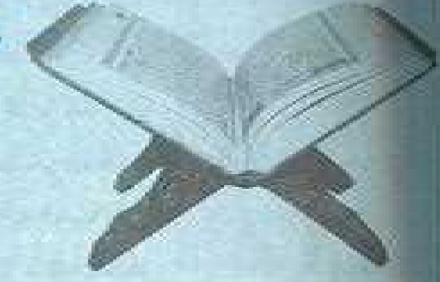
***

(١٠) النساء (١١).

(١١) النساء (١١).

(١٢) النساء (١١).

عن الأسلوب القرآنى رؤى معاصرة



للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

يجئ كتاب (التصوير الفنى فى القرآن) لسيد قطب، ليمثل اتجاها معاصرا فريدا فى دراسة النص القرآنى دراسة أسلوبية بحتة: تنحنى فى مسارها الطويل على ظواهر التعبير فى القرآن، وترصد منها الظاهرة الأساسية -ظاهرة التصوير- بما تتضمنه هذه الظاهرة من عنصر التخييل وعنصر التجسيم، مؤكدة أن هذه الخاصية التعبيرية هى السمة الأولى فى التعبير القرآنى، باستثناء ما يتعلق بالأحكام والتشريع بالطبع، أما سائر الأنحاء الأخرى من المعانى الذهنية إلى الحالات النفسية إلى الحادث المحسوس إلى المشهد المنظور إلى النموذج الإنسانى إلى الطبيعة البشرية، فتلك كلها خاضعة لظاهرة التعبير بالصورة المحسة المتخيلة تعبيرا يرتقى حتى يبعث الحياة فى جوامد الصور، والحركة فى هيئات الأشياء، والجدل فى علاقات الإنسان والحوادث والمشاهد واللوحات.

ويلوح فى هذه الدراسة العميقة بحق، أن صاحبها كان على وعى تام بما يريد أن يقول، فلم يفلت من يديه عبر دراسته كلها هذا الوعى الصميمى. فقد بدأ وفى يقينه أنه يدرس (التصوير الفنى فى القرآن) وظل على ولائه الكامل لهذا الوعى اليقينى فلم يسترسل إلى تفريعات أخرى قد تتصل بجانب الدعوة أو جانب الإيمان أو جانب الاعتقاد أو غيرها من الجوانب الأخرى، مما كان يمكن أن يخرج الدراسة عن مسارها المنهجى الذى توخت فيه أن تتوفر على ظاهرة معجزة واحدة هى ظاهرة (التصوير الفنى فى القرآن) دون إبطاء طويل عند تفريعات هذه الظاهرة أو تنويعاتها مما يتصل بصميم العقيدة وليس بصميم (التعبير) عن هذه العقيدة.. لقد ظل الأساس الفنى هو المحور الذى ارتكز عليه المؤلف عبر دراسته الناقدة، فى حين أن سواد العلماء الذين تصدوا لقضية الإعجاز كانوا يبدأون من منطلق منهجى، ثم لايلبثون أن يغيبوا فى أطواء منطلقات أخرى بلا حدود، مما كان يصيب وحدة العمل المنهجى فى دراساتهم بكثير

من التشتت والضياع فى مسارب التفريعات.

أى أن الأساس النقدى الجمالى فى دراسة (التصوير الفنى فى القرآن)، ظل هو الأساس الوحيد الذى يتعامل معه المؤلف فى عرضه على النصوص وعرض النصوص عليه.. بمعنى أنه بدأ يفهم النص القرآنى ويتذوقه فى ضوء أساس نقدى جمالى معين، ولم يشأ -كغيره- أن ينفلت من قبضته هذا المنهج كلما لاح له أن النص قد لايسعفه هنا، أو أن الجانب التطبيقى قد يخذله هناك.. مما يؤكد أن المؤلف لم يعمد إلى مجموعة من النصوص النقدية الجامدة أو الملفقة ليلتمس لها تنظيرا تطبيقيا فى نصوص القرآن الكريم، وإنما عمد إلى منهج نقدى كامل استبان له -من خلال معايشته أولاً للنص، أنه صالح لعرضه عليه، وتأكيد مقولاته النظرية التى يطرحها بواقع نصى من شواهد القرآن، ولم يتخلف فى موطن من مواطن الاستشفاف والفهم عن مقابلة القاعدة بالنص، ومصاحبة الأساس للتطبيق.

وربما نضيف أن المؤلف لم يلجأ بداهة إلى أساس نقدى جمالى ليحاكم على ضوئه النص القرآنى، فهذا ظن لابد أن يغيب تماما من دائرة فهمنا للقضية القرآنية، ولكنه لجأ إلى نوع من استقصاء الظواهر الفنية الأسلوبية فى التعبير القرآنى العظيم، حتى إذا انتهى -فى حدود الطاقة المتاحة- من هذا الاستقصاء تبين له أن هذا النحى التعبيرى المعجز يمكن أن يضع أساسا نقديا جماليا جديدا ربما يستطيع الباحث أن يوجزه فى مقولة (التصوير الفنى) بما تتكئ عليه ظاهرة (التصوير) من (تخييل) و(تجسيم) وهكذا



سيد قطب

يلوح أن النص القرآنى الملهم هو الذى أوحى بالأساس النقدى وليس النقيض، مما يؤكد ولاء الحس الإيمانى للحس الفنى فى الدراسة، من جهة، ويؤكد انتفاء وهم محاكمة النص القرآنى على ضوء مقاييس بشرية جامدة من جهة أخرى، وأن كنا فى النهاية محكومين بحتمية (الفهم البشرى) حتى (للنص الإلهى)، وتبقى فى الزمن مساحات بلا حدود لتجدد الفهم والاستلهام وإضافة الآتى إلى الغابر، والآتى إلى الماضى، بلا انتهاء.

المهم -حتى لايجرفنا الاستطراد- هو إن المؤلف حدد قاعدة (التصوير) قاعدة أساسية فى أسلوب القرآن الكريم، كما حدد ظاهرة (التخييل) وظاهرة (التجسيم) كأبرز ظاهرتين من ظواهر هذه القاعدة الأساسية التى هى (التصوير) وهكذا مضى بلا تخلف عبر كل دراسته الطويلة.

يقول سيد قطب: (التصوير هو الأداة المفضلة فى أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهنى، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنسانى، والطبيعة البشرية، ثم يرتقى بالصورة التى يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهنى هيئة أو حركة،

وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنسانى شاخص حى، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية. فأما الحوادث والمشاهد، والقصص والمناظر، فيردها شاخصة حاضرة، فيها الحياة، وفيها الحركة، فإذا أضاف إليها الحوار، فقد استوت لها كل عناصر التخييل. فما يكاد يبدأ العرض حتى يحيل المستمعين نظارة، وحتى ينقلهم نقلا إلى مسرح الحوادث الأول الذى وقعت فيه، أو ستقع، حيث تتوالى المناظر وتتجدد الحركات، وينسى المستمع أن هذا كلام يتلى، ومثل يضرب، ويتخيل أنه منظر يعرض، وحادث يقع. فهذه شخوص تروح على المسرح وتغدو، وهذه سمات الانفعال بشتى الوجدانات، المنبعثة من الموقف، المتساوقة مع الحوادث، وهذه كلمات تتحرك بها الألسنة. فتنم عن الأحاسيس المضمرة.

إنها الحياة هنا، وليست حكاية الحياة.

فإذا ما ذكرنا أن الأداة التى تصور المعنى الذهنى، والحالة النفسية، وتشخص النموذج الإنسانى، أو الحادث المروى، إنما هى ألفاظ جامدة، لا ألوان تصور، ولا شخوص تعبر، أدركنا بعض أسرار الإعجاز فى هذا اللون من تعبير القرآن. والأمثلة على هذا الذى تقول هى القرآن كله، حيثما تعرض لغرض من الأغراض التى ذكرناها، حيثما شاء أن يعبر عن معنى مجرد، أو حالة نفسية، أو صفة معنوية، أو نموذج إنسانى، أو حادثة واقعة، أو قصة ماضية، أو مشهد من مشاهد القيامة، أو



حالة من حالات النعيم والعذاب، أو حيثما أراد أن يضرب مثلا فى جدل أو محاجة، بل حيثما أراد هذا الجدل إطلاقا. واعتمد فيه على الواقع المحسوس، والمتخيل المنظور.

وهذا هو الذى عنيناه حينما قلنا: وإن التصوير هو الأداة المفضلة فى أسلوب القرآن،

فليس هو حلية أسلوب، ولا فلتة تقع حيثما اتفق. إنما هو مذهب مقرر، وخطة موحدة، وخصيصة شاملة، وطريقة معينة، يفتن فى استخدامها بطرائق شتى، وفى أوضاع مختلفة، ولكنها ترجع فى النهاية إلى هذه القاعدة الكبيرة: قاعدة التصوير.

ويجب ان نتوسع فى معنى التصوير، حتى ندرك آفاق التصوير الفنى فى القرآن، فهو

تصوير باللون، وتصوير بالحركة، وتصوير بالتخيل، كما أنه تصوير بالنغمة، تقوم مقام اللون في التمثيل. وكثيراً ما يشترك في الوصف، والحوار، وجرس الكلمات، ونغم العبارات، وموسيقى السياق، في إبراز صورة من الصور تتملاها العين والأذن، والحس والخيال، والفكر والوجدان وهو تصوير حي منتزع من عالم الأحياء، لا ألوان مجردة، وخطوط جامدة.

تصوير تقاس الأبعاد فيه والمسافات، بالمشاعر والوجدانات، فالمعاني ترسم وهي تتفاعل في نفوس آدمية حية، أو في مشاهد من الطبيعة تخلع عليها الحياة(١).

ولعلنا - بعد قراءة هذا النص - لسنا في حاجة إلى التدليل على التزام المؤلف، الذي لا يتخلف، بقضية الفهم الفني للإبداع القرآني العظيم.. وعلى سياحاته الفكرية عبر تنويعات هذا الإبداع بكل ما فيه من تصوير وتخييل وتجسيم.. وعلى رصد تقلبات هذا الحس الفني ليسارق المعنى، والحس، واللوحة، والنموذج.. وعلى اقتدار هذا اللون من ألوان التعبير القرآني على استجاشة الحياة حتى في هوامد الأشياء، وجوامد الطبيعة، وآفاق الأرض والسماء.

وقد نلمح مشايعة بادية أو مستترة بين منهج التصوير الفني في القرآن عند سيد قطب. وقضية النظم عند عبدالقاهر، إلا إن هذه المشايعة لا تعني أن لاحقا نقل عن سابق، ولا أن سابقا قصر عن لاحق، فلكل من المنهجين ملامحه الخاصة، وظواهره الذاتية المتفردة، ولكن حس التوفر في قضية النظر إلى القرآن الكريم على النص بما هو أسلوب معجز التركيب والتصوير هو الجامع المشترك بين الاتجاهين بلا فكاك.. لقد ركز عبدالقاهر في قضية النظم على الأثر الفني الذي يوحيه التركيب، وركز سيد قطب في قضية التصوير على الأثر الفني الذي يوحيه التخييل والتجسيم.. أي أن كلا منهما لم يتلكأ عند قضية التفريق المتسرع بين اللفظ والمعنى، ولا عن شمول النص القرآني لعديد من الظواهر الكونية والغيبية فتلك هموم يمكن أن يتوفر عليها دارس التفسير أو دارس علم الكلام.. أما الحركة النقدية فهي مطالبة باستظهار قضايا التعبير والتركيب بكل ما توحيه من شمول الحس ورهافة التوظيف.

وإذا كان عبدالقاهر قد وقف كتابه (دلائل الإعجاز) على تأكيد نظرية النظم من خلال منهج تأصيلي وتطبيقي معا، فإن سيد قطب قد وقف كتابه (التصوير الفني في القرآن) على تأكيد نظرية التصوير الفني من خلال منهج تأصيلي وتطبيقي معا كذلك، ليبين أن طريقة القرآن المفضلة في التعبير عن كافة المعاني هي طريقة التصوير، بدليل شمولها حتى مناطق التعبير عن المعاني المجردة التي قد يجر هذا النمط التعبيري فيها إلى قضايا لبس بلا حدود.

(١) سيد قطب - التصوير الفني في القرآن - ص (٣٢ - ٣٣).

يقول المؤلف: (بهذه الطريقة المفضلة في التعبير عن المعاني المجردة، سار الأسلوب القرآني في أخص شأن يوجب فيه التجريد المطلق، والتنزيه الكامل: فقال:

﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾(٢).

و ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾(٣).

﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾(٤).

﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾(٥).

﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾(٦).

﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾(٧).

﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾(٨).

﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ ﴾(٩).

﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾(١٠).

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾(١١)

﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾(١٢).

وثار ما ثار من الجدل حول هذه الكلمات. حينما أصبح الجدل صناعة: والكلام زينة. وإن هي إلا جارية على نسق متبع في التعبير، يرمي إلى توضيح المعاني المجردة، وتثبيتها، ويجري سنن مطرد، لا تخلف فيه ولا عوج، سنن التخيل الحسي، والتجسيم في كل عمل من أعمال التصوير(١٣).

وهكذا.. وبهذا الاستقصاء المقارب لآيات التصوير الحسي في مجال التعبير عن المجرد والمطلق، يضع القرآن الكريم شرطه الأسلوبي كقاعدة أساسية لمنحاه البياني المتفرد المعجز، ويضع المؤلف تصوره النقدي لحدود القيم الجمالية التي يتسم بها الأسلوب القرآني في نمطه الإلهي العظيم.

إن هذه الطريقة التعبيرية في أسلوب القرآن لا تضع مجرد أساس جمالي يرسخ حس التلقي في القارئ حتى يألف ما يراه من صور التعبير والتصوير، ولكنها تثير المتلقي دائما بطرائق تعبيرية وتصويرية عذراء... (.. فالصبح مشهد مألوف مكرور،

(٢) الفتح (١٠).
(٣) هود (٧).
(٤) البقرة (٢٥٥).
(٥) الأعراف (٥٤).
(٦) فصلت (١١).
(٧) الزمر (٦٧).
(٨) الأنفال (١٧).
(٩) البقرة (٢٤٥).
(١٠) الفجر (٢٢).
(١١) المائدة (٦٤).
(١٢) آل عمران (٥٥).
(١٣) سيد قطب - التصوير الفني في القرآن - ص (٧٦).

ولكنه فى تعبير القرآن حى لم تشهده من قبل عينان إنه :

﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾[14]. والليل آن من الزمان معهود، ولكنه فى تعبير القرآن حى جديد : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾[15]. وهو يطلب النهار فى سباق جبار :

﴿ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا ﴾[16].

والظل ظاهرة تشهد وتعرف، ولكنه فى تعبير القرآن نفس تحس وتتصرف :

﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ۝ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾[17].

والجدار أبنية جامدة كالجلمود، ولكنه فى تعبير القرآن يحس ويريد :

﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ﴾[18]

والطير بنية حية ولكنها مألوفة لا تلفت الإنسان. أما فى تعبير القرآن فمشهد رائع يثير الجنان :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ
وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ ﴾[19]

والأرض والسماء والشمس والقمر والجبال والوديان والدور العامرة والآثار الداثرة والنبات والحيوان والأشجار والأفنان. كل أولئك أحياء، أو مشاهد تخاطب الأحياء، فليس هناك جامد ولا ميت بين الجوامد والأشياء.

تلك طريقة القرآن، وإنها لفن قائم وحده إزاء المعانى والأغراض، وهو فى أفقه الرفيع كفاء تلك المعانى، وصنو هذه الأغراض[20].

ولسنا هنا - فى هذه النقطة الأخيرة بالذات - بقادرين على إغفال ما قدم علماؤنا على مر العصور فى هذا المجال، بحيث يبدو المؤلف إلى جوارهم مجرد محتذ أو مستفيد، لقد رصد العلماء قضية خروج القرآن الكريم باللفظ والتركيب معا عن مجرد الدلالة الوضعية إلى دلالات أخرى بلا حدود، وتركوا لنا فى هذا الصدد نماذج كثيرة، واستشهادات كثيرة. ولم يكتفوا بذلك، بل خرجوا منه إلى تعليله وفلسفته. ولكن ذلك كله لا يطامن من قيمة ما قدم المؤلف من تحديد معاصر لعناصر القضية القديمة الجديدة.. ومن ذا الذى يزعم أنه قال أو سيقول الكلمة الأخيرة فى إعجاز القرآن الكريم؟!!

(14) التكوير (18).
(15) الفجر (4).
(16) الأعراف (54).
(17) الواقعة (43، 44).
(18) الكهف (77).
(19) الملك (19).
(20) سيد قطب - التصوير الفنى فى القرآن - ص (201 - 202).

من القصص القرآنى :

خطيب آل فرعون

للأستاذ الدكتور/ عبد الحليم حفنى

من المثل الرائعة التى يضربها القرآن الكريم فى كل مجال لتكون منارة وهديا هذا النموذج للداعية القوى، الذى يصمد فى وجه الطغيان، ويجهر بالحق برغم كل المخاطر من حوله، فإن الجهر بالحق حتى يصل إلى عقول الناس واضحا جليا ليكون حجة على الناس عند الله هو هدف كل الأنبياء، وغاية كل الدعاة إلى الله، وهذا هو النصر المبين لهم. ولذلك انتصر سحرة فرعون نصرا مدويا حين استطاعوا إعلان الحق وتوصيله إلى عقول الناس، برغم أنهم تعرضوا للقتل والصلب والتمثيل بهم، فإن المعركة لم تكن بينهم وبين فرعون، وإنما كانت بين فرعون ورسالة موسى. وهذا النموذج عن خطيب آل فرعون، وحديثه واسع يحتاج إلى بحث مستقل، ولكن يمكن عرض أهم نقاطه فى إيجاز شديد كما يلى :

التعريف به

قبل أن يعرض القرآن نص الخطبة يقدم تعريفا وافيا بالخطيب، وبإعجاز أسلوب القرآن يعرض هذا التعريف فى كلمات معدودة تتضمن وصفه أولا بالقوة والصلابة والصمود، وذلك من خلال وصفه بالرجولة التى يأتى بها القرآن عادة فى سياق هذه المعانى ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ ﴾[1] ثم يوضح القرآن أن أهم الأسس التى تعتمد عليها قوة هذا الخطيب فى خطبته هو الإيمان، فإن المبارز أو المقاتل مهما تكن قوته لن يستطيع الصمود طويلا إذا لم يكن مؤمنا بأنه على حق فى موقفه، وهذا الخطيب كان ممتلئا بالإيمان بأنه على الحق، وأن خصومه على باطل بين ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ ﴾[2] ثم كان من الأسس التى اعتمدت عليها قوة هذا الخطيب أنه من أعضاء الأسرة المالكة، فهذا عنصر هام فى اهتمام السامعين وانفتاح قلوبهم وعقولهم لما يقول، ولو لم يكن من آل فرعون وعارض رغبة فرعون، بل هاجمها هجوما شديدا منذ

(1) غافر (28).
(2) غافر (28).

أول كلمة فى خطبته لنفر السامعون فى أغلب الظن وأغلقوا قلوبهم وعقولهم دون خطبته بل لم يسمحوا له بإتمامها :

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾(٣)

ولكنه أتم خطبته فى أحسن وضع يتمناه أى خطيب، ومن الأسس التى تهيأت أو التى هيأها هذا الخطيب لتعتمد عليها قوة خطبته أنه كتم إيمانه برسالة موسى، ولو أن السامعين وأولهم فرعون علموا أنه مؤمن ما أتاحوا له أن ينطق كلمة من هذه الخطبة، ولكنهم استمعوا إليه على أنه واحد منهم فى موقفه من دعوة موسى، وأن ما يقوله فى هذه الخطبة ليس إلا رأياً يبديه ليناقشه المجلس ويرى رأيه فيه، كما يحدث اليوم فى المجالس النيابية من تبنى المعارضة وجهة تعارض اتجاه السلطة فى أغلب الأحيان، ولكنها فى الغالب الأعم لا تكون ذات تأثير.

ملابســـات الموقـــف

والموقف كان من آثار الرغبة المسيطرة على فرعون فى أن يقتل موسى نتيجة توالى النكبات النفسية على فرعون فيما يفصح عنه توالى الأحداث، فقد استقرت نفسية فرعون على الشعار الذى أعلنه لشعبه وهو :

﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾(٤) ولكنه يفاجأ بدعوة موسى التى تزلزل هذا الشعار، وتؤكد له أنه ليس الأعلى وليس إلهاً أصلاً، بل هو مجرد مخلوق من مخلوقات الإله الواحد الذى لا شريك له، ثم تتواصل النكبات النفسية على فرعون بفشل محاولته صد موسى عن دعوته بالحوار الطويل الذى أجراه معه حين:

﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴾؟(٥) ولكن الحوار يزيد ألوهية فرعون اهتزازاً وعدم ثبات، ثم من النكبات النفسية لفرعون أن يجىء موسى عليه السلام بمعجزات تؤكد أنه رسول من عند الإله الواحد، ثم حاول فرعون أن يثبت أن هذه المعجزات ليست إلا نوعاً من السحر الذى برع فيه وتفوق كثير من أبناء شعبه، فأقام مباراة بين موسى وكبار السحرة، ولكن فرعون يفاجأ بأن السحرة أنفسهم يعترفون بصدق موسى الذى يتضمن كذب فرعون فى إدعائه الألوهية، ولم يجد فرعون مخرجاً من هذه الأزمات النفسية سوى أن يقتل موسى الذى كان سبباً فى كل هذه الأزمات.

ولكن فرعون على تفرده بسلطان مطلق، بل على ألوهيته التى يعلنها ويدين له بها شعبه دون منازع أو معارض لم يكن يقضى أمراً دون الرجوع إلى المستشارين، فكان له مجلس شورى لابد أن يرجع إليه فى كل أمر عام، كما

(٣) غافر (٢٨).

(٤) النازعات (٢٤).

(٥) طه (٤٩).

يتضح من خلال حديث القرآن عنه، وهذه الشورى تتفق مع أحكام الإسلام الذى يجعلها من أسس حياة المسلمين، كما يقول تعالى:

﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾(٦) بل يجعلها إلزاماً لولى الأمر صاحب السلطان الممثل حينذاك فى شخص النبى ﷺ:

﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾(٧) ولكن فرعون لم يكن يلتزم الشورى تديناً أو خلقاً، وإنما من باب الحكمة التى يقتضيها تثبيت الملك واستقرار السلطان، فإن أصحاب الأفق الضيق من ذوى السلطة يتصور الواحد منهم أن إنفاذ أمره بقوة سلطانه يحقق له الهيبة فى نفوس مرءوسيه مهما يكن أمره غير مرضى، وهو لا يدرى أنه بهذا يغرس فى نفوسهم سخطاً، فإذا تكرر فعله تحول السخط إلى تذمر، ثم التذمر إلى تمرد خفى، ثم إلى تمرد علنى، حتى إذا حانت لهم فرصة انقضوا عليه، ولكن الشورى تجعلهم شركاء فى الأمر، فكيف يسخطون أو يتذمرون؟ وهكذا كان أسلوب فرعون فى التزام الشورى، وكان من أهم الأمور العامة لديه حينئذ هو الرغبة الجامحة فى قتل موسى ليريح نفسه من توالى النكبات النفسية عليه. ولكنه وجد الشورى عقبة كبرى أمام رغبته، فكيف يأمر بقتله دون الرجوع إلى مجلس الشورى؟ كما تقول ملكة سبأ لمجلس الشورى:

﴿ مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴾(٨)

فواضح أن فرعون أمر حينئذ بعقد مجلس الشورى، وليس فى جدول أعمال هذه الجلسة سوى موضوع واحد صادر من فرعون مباشرة، هو:

﴿ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ ﴾(٩) وواضح من تعبير ﴿ ذَرُونِىٓ ﴾ أن فرعون كان يشعر بأن سلطانه مقيد بالشورى وليس مطلقاً كما قد يبدو فى ظاهر الأمر، والدليل على ذلك أن مجلس الشورى انتهى فعلاً إلى معارضة رغبة فرعون ورفضها، وكانت خطبة مؤمن آل فرعون هذه، هى جوهر المعارضة وأساس الرفض.

عناصــــر الخطـــبة

أولاً: أراد خطيب آل فرعون أن يقتحم الموضوع مباشرة دون تمهيد أو تقديم حتى يشد كل الأنظار ويستحوذ على كل المشاعر، والموضوع هو رغبة فرعون فى قتل موسى، فإذا الخطيب يستنكر قتل موسى، ولكن بأسلوب خطابى بالغ الإثارة عاطفياً، وبالغ الإقناع عقلياً، وكأنه يقول

(٦) الشورى (٣٨).

(٧) آل عمران (١٥٩).

(٨) النمل (٣٢).

(٩) غافر (٢٦).

مخاطباً المجلس ولكن ملمحاً إلى فرعون: ما الذنب الذى اقترفه موسى حتى تقتلوه؟ وهل من يقول ربى الله يستحق القتل؟ ومع ذلك فقد جاءكم هذا الرجل بالآيات الساطعات فى الدلالة على صدقه، ولنفترض أنه كاذب فى قوله، فما الضرر الذى يلحقكم من كذبه؟ فكل ما تملكونه حينئذ هو رفض دعوته، أما قتله فلا يدخل فى أى عقل، ولا يسوغه أى منطق، فإذا افترضنا أنه صادق فالويل لكم، حيث سيحل بكم ما أنذركم به من غضب الله وعقابه فى الدنيا والآخرة:

﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ﴾(10).

وإذن ففى كل الأحوال لا يجوز التفكير فى قتله.

وحيث كان فرعون - كما يتضح من الآيات - حاضراً هذه الجلسة لأهميتها الشديدة عنده، وكان الخطيب يخشى أو يتوقع أن يثور فرعون ويغضب لاعتراض رغبته، فأراد أن يوجه إليه سهماً بليغاً يشل من غليانه أو يكسر من حدته، فقال موجهاً الخطاب ضمناً إلى فرعون: إن بعض الناس يتجاوزون حد الاعتدال فيكونون مسرفين كفرعون الذى يريد أن يقتل من لم يرتكب جرماً، أو يكونون كذابين كفرعون الذى يدعى أنه الإله، هؤلاء خائبون لا يخرجهم الله من ضلالهم، ولكن الخطيب يزيد التلميح إلى فرعون وضوحاً يقرب من التصريح، حيث يتحدث عن المُلك، وفرعون هو صاحب المُلك، ولكن الخطيب يصغر من ملكه وقوته بالقياس إلى قوة الله، فيقول:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (28) يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا ﴾(11).

وقد فهم فرعون أن الخطاب موجه إليه، ولم يجد لديه ما يرد به على حجج الخطيب الدامغة فى استنكار قتل موسى أو التخويف من بأس الله، فلجأ إلى ما يلجأ إليه بعض أصحاب السلطة حين لا يجدون حجة يردون بها على المعارضين، من أنهم إنما يفعلون ما يرون فيه المصلحة من وجهة نظرهم:

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾(12).

وكأن فرعون بمقاطعته هذه للخطيب يريد أن يقطع عليه طريق المواصلة لخطبته، وفى

(10) غافر (28).
(11) غافر (28، 29).
(12) غافر (29).

الوقت نفسه يريد كسب أعضاء الشورى، فإن سكوته يتضمن موافقته على ما يقوله الخطيب.

ولكن الخطيب من براعته يتجاهل هذه المقاطعة فلا يرد عليها حتى لا يتحول عن خطبته إلى حوار مع فرعون، يضيع معه هدف الخطبة.

وهذا العنصر فى مجموعه موجه إلى شخص فرعون.

ثانياً: ينتقل الخطيب من توجيه الخطاب إلى فرعون لينتقل إلى توجيهه إلى الملأ من أعضاء مجلس الشورى بوصفهم الصورة المصغرة للشعب، أو الصورة المنتقاة من الشعب، فيحذرهم من العاقبة الرهيبة إن هم جحدوا بالله، وهموا بقتل رسوله كما هو معروض عليهم اليوم، وعليهم أن ينتظروا هذه العاقبة حينئذ فى الدنيا والآخرة معاً، وفى حديثه عن عقاب الله فى الدنيا يفيض الخطيب بمعلومات تاريخية تنم عن ثقافة واسعة، فضلاً عن عبقريته الواضحة فى الخطابة والبلاغة، حيث يحدثهم عما فعله الله بالشعوب التى كفرت به وتحدت رسله من الأمم السابقة فى عقاب دنيوى، ولم يكن هذا فى حاجة من الخطيب إلى أدلة إثبات لأنها وقائع تاريخية ماثلة، وكذلك حين انتقل الخطيب إلى تخويفهم من عقاب الله فى الآخرة لم يكن فى حاجة إلى أن يثبت لهم أنهم سيبعثون بعد الموت ليحاسبوا، فإن الفراعنة كانوا مؤمنين بالبعث من حيث المبدأ، وكل قبورهم كالأهرام، وكل كتاباتهم على المعابد والقبور تؤكد إيمانهم بالبعث بعد الموت، ولكن عقيدتهم كانوا يوجهونها إلى غير الله، كعبادة الآلهة الذين كان فرعون أعلاهم، كما كان يقول لهم:

﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴾(13) فلم يكن الخطيب فى حاجة إلى إثبات البعث الذى يؤمنون به، ولكن الذى ينجيهم من العقاب بعد البعث هو ما يدعوهم إليه موسى، وليس فرعون.

فالخطاب فى هذا العنصر موجه إلى الشعب، وليس إلى شخص فرعون كما فى العنصر الأول:

﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (30) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ (31) وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (32) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾(14)

ثم ينتقل إلى حجة أخرى، وكأنه يقول لهم من خلالها إن الرسالة التى جاءكم بها موسى من الله، والمعجزات التى جاء

(13) النازعات (24).
(14) غافر (30-33).

بها ليؤكد صدقه لم يكن كل ذلك بدعاً ولا جديداً، فقد جاءكم يوسف قبل ذلك برسالة من الله، وجاءكم أيضاً بمعجزات، إضافة إلى مواهبه فى علوم الدنيا، فى الحساب والاقتصاد والتدبير، وفى استنباط الغيب من خلال الرؤى والملابسات، حتى كان سبباً فى نجاتكم من السنين العجاف، فآمنتم بمواهبه الدنيوية حتى جعلتموه عزيز مصر، وارتبتم فى رسالته الدينية التى تخالف عقيدتكم، فقبلتم جانبه الدنيوى مضطرين، وطويتم الريبة فى رسالته الدينية داخل نفوسكم، ويعنى بهذا ما فعله أسلافهم المصريون فى موقفهم من يوسف ـ عليه السلام ـ فكيف تكررون هذه الريبة فى موقفكم من رسالة موسى الدينية؟ ولكن الخطيب يوجه إلى فرعون سهماً مغلفاً بالتعميم، حيث يبدو الكلام وكأنه موجه إلى كل الناس، بينما هو موجه إلى شخص فرعون فيقول:

﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾(١٥).

والذى يجادل فى آيات الله هو فرعون، كما أن فرعون هو صاحب القلب المتكبر الجبار.

وكما أن فرعون حينما أحس فى العنصر الأول أن الخطيب يوجه إليه التحذير والإنذار لجأ إلى مقاطعته، فكذلك هنا تدخل فرعون مقاطعاً الخطيب، مظهراً مدى سلطانه، ومدى إمكاناته المادية والحضارية، حيث يستطيع وهو فى فجر التاريخ أن يبنى أطول وأعلى مما يوصف اليوم بناطحات السحاب:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾(١٦)

وهذا على سوء ظاهره يتضمن بدء إيمان فرعون بصدق موسى، وأن الله موجود، حيث لا يعقل أن يأمر ببناء هذا الصرح الذى يحتاج بناؤه إلى إمكانات لا تتخيلها العقول ليطلع على الله وهو موقن بعدم وجود الله، ولو أراد الله به خيراً لآمن بالله حينئذ، ولكن غلبت عليه الشقوة فانساق فى أشد الضلال، ليكون من أئمة الكفر والطغيان فى التاريخ.

ثالثاً: يختتم الخطيب خطبته أيضاً بتجاهل اعتراض فرعون ومقاطعته، فيفيض بموهبته الخطابية فى معان تجمع بين عاطفة الخطابة ومنطق العقل، كقوله:

(١٥) غافر (٣٥).

(١٦) غافر (٣٦ : ٣٧).

الأزهر

﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾(١٧).

ومضمون هذا أنهم يسيرون فى طريق الضلال الذى رسمه لهم فرعون، وأن طريق الهدى هى التى يسير فيها هو، ومن أجمل المقابلات المعنوية المثيرة للعاطفة قوله:

﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾(١٨).

والاستفهام الذى صاغ به الخطيب عبارته مما يدعوهم إلى استخدام عقولهم للإجابة عن سؤاله، واستخدام العقول من أهم أهداف القرآن وأهداف الدعاة إلى الله، لأن أى عقل سليم سيسطع له الحق فى أية موازنة بين الله وأية آلهة مزعومة، ولذلك يشرح لهم الخطيب عبارته السابقة بقوله:

﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾(١٩)

ومن آخر ما ختم به الخطيب خطبته تأكيده لهم أنهم سيجدون نتيجة ما يقوله لهم وما هم فيه اليوم يوم القيامة، وأنه بهذا النصح قد أدى واجبه تاركاً الأمر كله لصاحب الأمر والهداية والضلال وهو الله ـ سبحانه ـ المطلع على كل شئ، وهذه المعانى يقابلها بالضبط قول النبى ﷺ عقب خطبته فى حجة الوداع (ألا هل بلغت، اللهم فاشهد) فيقول الخطيب:

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ﴾(٢٠) وواضح من نهاية القصة أن هذا البيان الرائع الناصع لم يستطع رغم براعته أن يهديهم إلى سبيل الرشاد، لأن الهداية من الله وحده، وليس من أى سبب، من باب قوله تعالى:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾(٢١).

ولكن الخطيب نجح فى إقناع المجلس برفض رغبة فرعون فى قتل موسى، وقد كافأه الله بأن نجاه مما حل بفرعون وملأه من عقاب:

﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾(٢٢).

***

(١٧) غافر (٣٨، ٣٩).

(١٨) غافر (٤١).

(١٩) غافر (٤٢).

(٢٠) غافر (٤٤).

(٢١) القصص (٥٦).

(٢٢) غافر (٤٥).

سمات المجتمع الإسلامي الفاضل

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

ينشد الإسلام من أتباعه أن يكونوا خير أمة أخرجت للناس، ومن أجل أن يصبحوا كذلك وجبت على المجتمعات أن تستكمل عناصر الأفضلية والخيرية، وهى عناصر ليست صعبة، ولا شيئا مستحيلا، فهى تتركز فى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

كما تتمثل فى تطبيق هذا الإيمان عمليا بما شرعه الله تعالى من عبادات ومن عمل واجب على كل إنسان.

وحتى تأخذ هذه السمات المثالية موقعها من حياة المجتمع لابد قبل ذلك من أن يتخلى عن كل ما يسىء إلى الحياة الإسلامية فى كل جوانبها، ولذا كانت التخلية مقدمة على التحلية، وكان تجنب الرذائل مقدما على التحلى بالفضائل.

ومن أخطر الرذائل التى يمتد أثرها السىء إلى الجوانب الأخرى الجانب المادى والمعاملات المالية فهى - غالبا - تكون من أهم أسباب الخلافات الدينية والأخلاقية والاجتماعية بين الناس.

ومن أجل ذلك حذر الإسلام من أخطر تلك المعاملات المالية وهو «الربا» فحذر منه، ونهى عنه لما له من آثار سيئة فى سائر جوانب الحياة الخلقية والاجتماعية والنفسية قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾(1).

ثم أمرت الآيات أن نتقى النار التى أعدت للكافرين، وأن نطيع الله والرسول رجاء الرحمة الكبرى بنا.

وجاءت الآيات الكريمة موضحة هذه الحقائق فى أبهى صورها، حيث قال سبحانه:

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾(2)

لقد جاءت هذه الآيات الكريمة تحمل سمات المجتمع الإسلامى الفاضل، وخصائصه المثالية وعناصر تقواه.

(1) سورة آل عمران (130).

(2) سورة آل عمران (133-136).

قد أمر الله عباده بأسباب المغفرة والجنة، ووجههم إلى المسارعة فى ذلك وجاء التوجيه الربانى بصيغة تقتضى هذا الجزاء العظيم، الذى أعد لهم، لأنهم اتقوا ربهم حق تقاته، وقدم الجزاء أولا ليبين أنه المتكفل به والضامن له، ثم ذكر - بعد ذلك - سماتهم وأوصافهم ثم ختم الوصايا بما بدأ به ببيان الجزاء:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴾(3)

فوضحت الآيات أن هذا الجزاء إنما جاء وفق إيمانهم وعملهم وفضل ربهم سبحانه وتعالى، لأنه لا يضيع أجر من أحسن عملا، وليوضح أيضا أن الجزاء مؤكد عند الله سبحانه وتعالى.

وخلال حديث القرآن الكريم، عن أوصاف المتقين، الذين سموا فى أعمالهم إلى مراقى الفلاح، وكونوا بمثاليتهم أرقى مجتمع إنسانى على ظهر الأرض وفى معرض تعداد الأوصاف، ذكر القرآن الكريم نوعين من الأعمال، عليهما تدور سعادة الأمة التى ينتمون إليها، سعادة حسية مادية، وأخرى نفسية ومعنوية:

أما الأولى الحسية المادية فتتمثل فى الإنفاق فى السراء والضراء.

وأما الثانية النفسية المعنوية فتتمثل فى كظم الغيظ والعفو والإحسان والتوبة إلى الله.

توضح هذه الملامح الآيات الكريمة:

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴾(4).

لقد جاءت الآيات الكريمة، حاملة سمات المجتمع الإسلامى الفاضل تكتنفها آيات سابقة تناولت معركة جدال ومناظرة، وآيات لاحقة تناولت معركة حرب وقتال فى يوم أحد.

فجاءت هذه الآيات الكريمة بعد الآيات الأولى فأدارت حوارا وتربية وتوجيها للنفس الإنسانية خلال الدخول فى الحديث عن يوم أحد وعن القتال، بيانا لتكامل المنهج الربانى من جميع الوجوه، عقيدة وعبادة وأخلاقا وجهادا.

وابتدأت الآيات بنداء المؤمنين، وندائهم بوصف الإيمان يفيد حضهم على ما يدعوهم

(3) سورة آل عمران (136).

(4) سورة آل عمران (133-136).

إليه وحثهم على السرعة فى الاستجابة التى سيطالبهم بها وعدم الإهمال :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

فنهى عن أكل الربا فى كل أنواعه، وليس قوله:

﴿ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ﴾ شرطا فى تحريمه، بل هو بيان للواقع الذى كانوا عليه، أما حكمه فهو حرام كثر أو قل كان أضعافا مضاعفة أو لم يكن كذلك، قال الله سبحانه وتعالى - موضحا صورة أكلة الربا وتحريمه ومحقه للمال مهما زاد، ووعيده لآكليه المصرين عليه :

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (٢٧٩) وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨٠) وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٨١) ﴾(٥)

وما هذا البيان خطورة الربا ونهاية صاحبه ووعيده بحرب من الله ورسوله إلا لما فيه من إفساد للحياة الخلقية والاجتماعية والنفسية، وإفساد لحياة الإنسان كلها فأرادت الآيات الكريمة تنقية البيئة الإسلامية من هذا الفساد وعلاجها من تلك الأمراض لأن لها أسوأ النتائج فى الحياة المعيشية.

وفى المعارك الحربية فلا ينتصر المرابون فى حياتهم ولا معاشهم، فالله يمحق الربا، ولا فى حروبهم، لأن الله تعالى ينصر من ينصر دينه وينفذ تعاليمه.

وجاء النهى عن أكل الربا أثناء الحديث عن غزوة أحد، كما جاءت هذه السمات المكونة للمجتمع المثالى أثناءها، لتوضيح أن تطبيق التعاليم بدون توثيق الصلة بالخالق والقيام بحق المجتمع لا يتم بذلك النصر، وأن النصر فى المعارك الحربية وغيرها لابد له من النصر على النفس الأمارة بالسوء وعلى أهوائها وأن مخالفة رسول الله ﷺ يترتب عليها ما لا تحمد عقباه، كما حدث فى يوم «أحد» فجاء

(٥) سورة البقرة (٢٧٥-٢٨١).

فى سياق الحديث عن هذه الغزوة التوجيهات البانية للمجتمع لتكون واقعية وعملية.

وعقبت الآيات على النهى عن أكل الربا بالأمر بالتقوى رجاء الفلاح:

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ كما حذرت الآيات من النار التى أعدت للكافرين :

﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾(٦).

لينبه إلى أنه لا يأكل الربا من يخاف النار التى أعدت للكافرين، وأنه لا يأكل الربا مؤمن بعيد فى إيمانه عن الكافرين، وإنما يستحله ويأكله من كان قريبا منهم ومن أفعالهم.

وفى ذكر الكفر تشنيع لأمر النار، أو أن أكلة الربا توعدهم الله بنار الكفرة، إذ أن النار سبع طوابق(٧) العليا منها وهى جهنم للعصاة، والخمس للكفار، والدرك الأسفل للمنافقين، فأكلة الربا إنما يعذبون يوم القيامة بنار الكفرة، لا بنار العصاة، فالألف واللام للعهد.

ثم أمرت الآيات الكريمة بطاعة الله وطاعة الرسول ﷺ حتى يحظى الناس برحمة ربهم:

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾(٨)

وجاء هذا التوجيه بعد النهى عن أكل الربا لبيان أنه لا طاعة لله وللرسول فى مجتمع يقوم على النظام الربوى، ومن وقع فى ذلك فعلاجه أن يطيع الله والرسول لعله يحظى برحمة الله تعالى.

ويدخل فى طاعة الرسول ﷺ طاعة ولاة الأمر القائمين على تعاليم الإسلام لقوله ﷺ : «من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن أطاع الأمير فقد أطاعنى ومن عصى الأمير فقد عصانى»(٩).

وتطلعنا الآيات الكريمة على خمس سمات إذا تحققت تكاملت بها صورة المجتمع المثالى :

أولاً: الإنفاق فى السراء والضراء.

ثانياً: كظم الغيظ.

ثالثاً: العفو عن الناس.

رابعاً: الإحسان إلى من أساء.

خامساً: التوبة والاستغفار والرجوع إلى الله تعالى.

أولاً: الإنفاق فى السراء والضراء

إن أولى سمات المتقين الذين يكونون المجتمع المثالى :

﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾.

(٦) آل عمران (١٣١).

(٧) المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية طبع وزارة الأوقاف المغربية.

(٨) آل عمران (١٣٢).

(٩) رواه البخارى فى الجهاد.

أى فى حالة الرخاء وحالة الشدة و ﴿ ٱلسَّرَّآءِ ﴾ من السرور أى فى الحالة السارة التى يستشعر الإنسان فيها السعة واليسر، ﴿ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ من الضر أى الحالة التى يشعر فيها الإنسان بالضيق والعسر، وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما تفسيرهما باليسر والعسر.

وهناك لفتة حكيمة، حيث بدأت صفات المتقين بالإنفاق وذلك لسببين:

أولاً: لمقابلته بالربا الذى نهى الله عنه فى الآية السابقة فى قول الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(١٠).

فإذا كان فى الربا استغلال من الغنى للفقير وانتهاز لحاجته وفاقته لأكل ماله بغير وجه حق، فإن فى الصدقة مساعدة للفقير وعونا له، لا يبتغى من الفقير جزاء ولا شكورا.

ثانيا: للدعوة إلى الإنفاق فى جميع الحالات، فى العسر واليسر، وفى هذا دلالة على صدق الإيمان، وبرهان على قوة اليقين، وهذا هو شأن المتقين لا اليسر يجعلهم فى بطر، ولا العسر يوقعهم فى قنوط أو ضجر، فهم لا يقتصرون فى تعاونهم على حالة الرخاء والنعمة بل هم فى الحالين سواء.

فلما كان الإنفاق أدل على التقوى، وأعظم نفعا للمجتمع الإنسانى من سائر الأعمال الأخرى أستهلت الآيات الكريمة موكب المتقين بفضيلة الإنفاق فى السراء والضراء.

وواضح أن الإنفاق دليل صدق الإيمان وأن الصدقة برهان على ما يكنه المسلم من صدق فى عقيدته وعبادته وكما جاء فى الحديث: «...... والصدقة برهان»(١١).

وأفضل أنواع الصدقة ما يقدمه الإنسان وهو صحيح شحيح أمامه الآمال فى الدنيا، ومع هذا فهو يؤثر ما عند الله على ما فى دنياه، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله أى الصدقة أعظم أجراً؟ فقال: «أما وأبيك لتنبأنه أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان»(١٢).

وقد ورد فى فضل الإنفاق قول الله تعالى:

﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(١٣).

(١٠) سورة آل عمران (١٣٠).

(١١) رواه مسلم.

(١٢) رواه مسلم

(١٣) سورة النساء (١١٤).

ووعد الله تعالى أن يخلف على من أنفق ووعده حق لا يخلف الله الميعاد، قال سبحانه:

﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾(١٤).

بل إن ملكا يدعو للمنفق بأن يعطيه الله خلفا، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن ملكا بباب من أبواب السماء يقول: من يقرض اليوم يجز غدا، وملكا بباب آخر يقول اللهم أعط منفقا خلفا وعجل لممسك تلفا»(١٥).

ويقول رب العزة سبحانه:

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾(١٦).

ثانيا: كظم الغيظ

ثم تذكر الآيات الكريمة الفضيلة الثانية من سمات المتقين وهى قوله سبحانه:

﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾ والغيظ هو شعور النفس الداخلى الذى لا يظهر على الجوارح، وأما الغضب فحال معه ظهور على الجوارح والكاظمون هم الذين يحبسون غيظ نفوسهم بالصبر عندما يهضم لهم حق من الحقوق أو حين يستفزهم موقف ما، وهذه السمة تقتضى ضبط النفس، وكبح جماحها، حتى لا تنزلق فى الشر فتكون فتنة. وقد بين الرسول ﷺ درجة كظم الغيظ وثمرته حين قال: «من كظم غيظا وهو يقدر على إنفاذه ملأه الله أمنا وإيمانا»(١٧).

وكظم الغيظ نوع من جهاد النفس، ففيه مقاومة ورد للغيظ فى الداخل حين يوشك على الخروج من كثرته، فلا يقدر على رده وجهاد نفسه بمقاومة الغيظ والغضب إلا من كان قوى الإيمان، ولذا يقول الرسول ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب»(١٨). وإن فى هذه السمة بيانا لعلاج الإسلام للنفس الإنسانية حين يستفزها الغضب أو الغيظ وكيف أن الله تعالى يكافىء من يجاهد نفسه بأجر وافر وثواب عظيم قال عليه الصلاة والسلام: «ما من جرعة يتجرعها العبد خير له وأعظم أجر من جرعة غيظ فى الله»(١٩) وفيما رواه أبوداود من قول الرسول ﷺ: «وما كنت لأقعد إذ قعد الشيطان»(٢٠).

(١٤) سورة سبأ (٣٩).

(١٥) رواه أحمد وابن حبان والطبرانى فى الأوسط.

(١٦) سورة الذاريات (١٥-١٩).

(١٧) رواه ابن أبى الدنيا.

(١٨) رواه أحمد والبخارى ومسلم.

(١٩) رواه ابن ماجة.

(٢٠) رواه أبو داود.

ردًا على سؤال أبي بكر بعد أن كظم الغيظ مرتين في مجلسه لما نال منه أحد الناس ورد عليه في الثالثة فخرج الرسول ﷺ من المجلس فلما سأله أبوبكر قائلا : أوجدت على يا رسول الله ؟ أى أغضبت على فأجابه عليه الصلاة والسلام بما يفيد أن ملكا من السماء كان يرد على الرجل فلما رد أبوبكر خرج الملك ونزل الشيطان وقال ﷺ : «وما كنت لأقعد إذ قعد الشيطان» أو ما معناه.

ومرحلة كظم الغيظ هى المرحلة الأولى من مراحل المعركة مع النفس وضبطها حتى لا تتفاعل النفوس بالغضب أو تنفجر بالعدوان.

وعن سهل بن أنس الجهنى عن أبيه عن النبى قال ﷺ : «من كظم غيظًا وهو يستطيع أن يُنفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره فى أى الحور شاء»[٢١].

ومرحلة كظم الغيظ مرحلة أولى فى ميدان جهاد النفس، وهى تمهيد لمرحلة تالية وهى مرحلة «العفو» فكظم الغيظ وحده لا يكفى، فقد يكظم الإنسان غيظه ويكون بداخله حقد دفين يظهر بعد ذلك، ولذا كانت المرحلة التالية لذلك مرحلة العفو عن الناس، ثم الإحسان.

ثالثًا: العفو عن الناس

وفى هذه المرحلة ينتقل جهاد النفس من حالة الكتمان إلى حالة الظهور فى صورة العفو والتسامح ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ وهنا يرقى الإسلام بنفس المسلم، فبعد أن أطفأ جذوة الشر التى كادت تندلع بها النفس الإنسانية وذلك بكظم الغيظ، انتقل بالمسلم إلى درجة أسمى، فيها معالجة للنفس وارتقاء، وارتفاع إلى مرتبة أسمى من السابقة، فقد يكظم الإنسان غيظه ولايزال فى قلبه شيء من الضغينة، أما العفو فيمسح ما بقى من شر حتى يعود القلب نقيا.

قال الله تعالى :

﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[٢٢].

وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان، ويرفع الدرجات ؟ قالوا : نعم يا رسول الله، قال : تحلم على من جهل عليك، وتعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك، وتصل من قطعك»[٢٣].

---

(٢١) رواه أبو داود والترمذي.

(٢٢) سورة فصلت (٣٤– ٣٥).

(٢٣) رواه الطبراني.

وفى هذه السمة تنقية لقلب الإنسان، من الأحقاد والأضغان، فلا يعفو عن أخيه إلا إذا صفا قلبه، وتأكيد القرآن على هذا الخلق فيه يجعل من أفراد المجتمع أخوة متحابين متواصلين، لا متنافرين متباعدين، وصنعت بكظم الغيظ والعفو عن الناس، عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قيل : يا رسول الله أى الناس أفضل ؟ قال ﷺ : «كل مخموم القلب صدوق اللسان، قيل : صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب ؟ قال : التقى النقى لا إثم فيه ولا بغى ولا غل ولا حسد»[٢٤].

وينظر الإسلام إلى الذين لا يعفون عن الناس، ولا يقبلون عثرة أحد ولا معذرة إنسان، ولا يغفرون ذنبا لأحدهم ينظر الإسلام إليهم على أنهم شرار الناس، عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «ألا أنبئكم بشراركم ؟ قالوا : بلى إن شئت يا رسول الله، قال : إن شراركم الذى ينزل وحده، ويجلد عبده، ويمنع رفده، أفلا أنبئكم بشر من ذلك ؟ قالوا : بلى إن شئت يا رسول الله قال : من يبغض الناس ويبغضونه، قال : أفلا أنبئكم بشر من ذلك ؟ قالوا بلى إن شئت يا رسول الله قال : الذين لا يقبلون عثرة، ولا يقبلون معذرة، ولا يغفرون ذنبا، قال : أفلا أنبئكم بشر من ذلك ؟ قالوا : بلى يا رسول الله قال : من لا يرجى خيره، ولا يؤمن شره»[٢٥].

رابعًا: الله يحب المحسنين

وإذا كان العفو منزلة فوق العدل كان عند بعض العلماء إحسانا، وعلى هذا فمعنى : ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أى الذين أحسنوا فى معاملتهم وعفوهم.. ولكن يمكن أن يكون قوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ سمة رابعة من سمات المتقين، فهى درجة أرقى من سابقتها، بحيث كان أصحابها المتصفون بها لا يكتفون بكظم الغيظ والعفو فحسب بل إنهم يحسنون إلى من أساء إليهم.

روى أن جارية لعلى بن الحسين رضى الله عنهما جعلت تسكب عليه الماء ليتهيأ للصلاة فسقط الأبريق من يدها فشجه فرفع رأسه فقالت إن الله يقول :

﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ فقال : قد كظمت غيظي فقالت :

﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ قال : قد عفوت عنك قالت :

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ قال اذهبى فأنت حرة لوجه الله، ورويت هذه الواقعة فى تفسير الطبرى عن ميمون بن مهران، كما رويت عن جعفر الصادق.

---

(٢٤) رواه ابن ماجة.

(٢٥) رواه الطبراني.

ومقابلة السيئة بالإحسان هي دعوة القرآن الكريم التي أكد عليها بقول الله جل شأنه :

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[٣٦].

وقد دعا إليها رسول الله ﷺ حين أمر بالإحسان إلى من أساء وطبق ذلك عمليا حين قال يوم فتح مكة : «اذهبوا فأنتم الطلقاء» وحين قال : «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون» واتسمت دعوته بالرفق وحسن معالجة الأمور، ومقابلة السيئة بالإحسان، «جاء أعرابي إلى النبي ﷺ يطلب منه شيئا فأعطاه، ثم قال: أحسنت إليك؟ قال الأعرابي: لا ولا أجملت فغضب المسلمون وقاموا إليه، فأشار إليهم النبي ﷺ ثم قام ودخل المنزل، وأرسل إلى الأعرابي، وزاده شيئا ثم قال له أحسنت إليك؟ قال: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا، فقال له النبي ﷺ : إنك قلت ما قلت، وفي نفس أصحابي من ذلك شيئا، فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك قال: نعم فلما كان الغد أو العشي جاء فقال ﷺ : إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضي أكذلك؟ قال: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا، فقال ﷺ : «مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورا، فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي، فإني أرفق بها منكم وأعلم، فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار»[٣٧].

وهكذا نرى أن سمة الإحسان إلى من أساء تصلح النفوس وتقربها وتهذبها وترشدها، في السيرة النبوية العطرة نماذج كثيرة ممن أحسن إليهم الرسول ﷺ بعد أن أساءوا مثل: زيد بن سعنة الحبر، ومثل: ثمامة بن أثال وغيرهما، فكان نتيجة الإحسان ومقابلة إساءتهم به سببا في إصلاحهم ودخولهم في الإسلام.

خامسا

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا ﴾

وفي هذه السمة الأخيرة بيان لطبيعة النفس البشرية، وأنها عرضة للخطأ والزلل، فالمسلم التقي إذا اقترف معصية في حالة ضعف نفسي يبادر بالرجوع إلى ربه مستغفرا تائبا، وإن سماحة الإسلام لاتدع أمثال هذا النمط في مؤخرة القافلة، بل ترفعهم إلى مصاف «المتقين» ماداموا قد ذكروا ربهم

(٣٦) سورة فصلت [٣٤].

(٣٧) رواه البزار.

واستغفروه ولم يصروا على ما فعلوا، وكلمة الفاحشة المذكورة في الآية الكريمة تعم جميع المعاصي وكثر استعمالها في الزنا، وقيل أو بمعنى الواو إن المراد بظلم النفس الذنب الصغير وبالفاحشة الكبيرة وبهذه الآية الكريمة يطلع الله تعالى عباده على سماحته وعفوه وغفرانه لعباده حيث دعاهم العفو فيما بينهم:

﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ فاطلعهم على سماحته وعفوه سبحانه ليتذوقوا طعم التسامح ومع أن الفاحشة المشار إليها من أكبر الذنوب إلا أن رحمة الله تعالى لا تطرد أصحابها ولا تجعلهم في مؤخرة قافلة البشرية من المؤمنين، وإنما ترفعهم إلى مرتبة المتقين بتوبتهم النصوح حيث يذكرون ربهم ويندمون على ما فرط منهم، ويقلعون عن ذنوبهم ويعزمون على عدم العود ولا يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون بخطيئتهم وأنهم حين زلوا لم يطردوا من ساحة الرحمة والغفران، وبهذا الهدى الرباني تأخذ الآيات الكريمة بيد المخطئ وبشرط ألا ينس ربه، بل عليه أن يذكره وأن يرجع إليه.

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[٣٨]

قال سبحانه:

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

واستغفارهم كان نتيجة لذكرهم لربهم حيث ذكروا الله بالخوف من عقابه والحياء منه إذ هو المنعم على عباده، ومن ذلك قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «رحم الله صهيبا لو لم يخف الله لم يعصه».

وقد جاء قوله:

﴿ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ في وسط الكلام ليوقف النفس داعيا إلى الله مرجيا في عفوه وكرمه إذا رجع العبد إليه وتاب.

﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا ﴾ لأنه لا توبة مع الإصرار ولا ذنب مع التوبة والاستغفار:

﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أنهم أذنبوا أو بما حرم عليهم أو يعلمون أن باب التوبة مفتوح.

ثم تختم الآيات توجيهها بما بدأت به من طلب الإسراع إلى المغفرة والجنة:

﴿ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾

(٣٨) البقرة [٢٢٢].

لقد كانت المغفرة والجنة جزاء هؤلاء فإنهم لم يكونوا سلبيين بل كانوا عاملين ونعم أجر العاملين . لقد أنفقوا وقاوموا شح النفس وقاموا النفس الأمارة بالسوء وانتصروا فى معركة الجهاد مع النفس فاستحقوا هذا الجزاء العظيم وهناك فرق بين التائب المستغفر الذى يستغفر ، مع إصراره على المعصية وبين التائب المستغفر الصادق فى توبته .. فأما المصر مع استغفاره فهو الذى عناه قول الحسن البصرى : استغفاره يحتاج إلى استغفار .. وأما الثانى الصادق فى توبته المقلع عن ذنوبه فهو المقبول عند ربه حتى ولو ضعف وعاد ، ففى الحديث القدسى : «أذنب عبد ذنبا فقال : اللهم اغفر لى ذنبى فقال تبارك وتعالى : «أذنب عبدى ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ، ثم عاد فأذنب فقال : أى رب اغفرلى ذنبى فذكر مثله مرتين .. وفى آخره قال : «اعمل ما شئت فقد غفرت لك»[٢٩] .

وهذا من باب ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ﴾[٣٠] .

أى أنه مغفور له ما سبق ومحفوظ إن شاء الله فيما يستقبل من شأنه ، وليس فى هذا الحديث تسهيل للمفرطين ولا فتح لباب العصيان ، وإنما هو فتح لباب الأمل وعدم القنوط وإن الذى يكون صادقا فى توبته يقبلها الله منه ، وإن عاد وصدق فى توبته ثانية يقبل الله منه أما المصر على الذنب فلا ينطبق عليه هذا المعنى ، فالحديث من باب فتح الأمل وعدم اليأس من رحمة الله وعلاج النفوس الضعيفة التى تزل بها الأقدام ففى الحديث : «ما أصر من استغفر وإن عاد فى اليوم سبعين مرة»[٣١] .

وفى الآيات الكريمة السابقة ما يوضح عظم فائدة الاعتراف بالذنب والإقرار به والندم عليه .

وهكذا نرى كيف اتجه بنا المنهج القرآنى فى تأسيس المجتمع الإسلامى المثالى الفاضل : أنه بدأ بالنهى عن المعاملات المالية المحرمة وأكل الربا ، لأن أكل الحرام يورث فساد القلب ، وإذا فسد القلب فسد الجسد كله وإذا صلح صلح الجسد كله ، ثم اتجه إلى الأمر بطاعة الله وطاعة الرسول ، لأنهما تشتملان على كل ما أمر الله ورسوله به وعلى كل ما ورد النهى عنه ، وفيهما الإيمان من الفتن ما ظهر منها وما بطن .

وهكذا وضعت الآيات أركان بناء المجتمع بالتكافل الاجتماعى وذلك بالإنفاق فى السراء والضراء ، وبإصلاح الجانب النفسى بكظم الغيظ والعفو عن الناس والإحسان إلى من أساء ، ثم بتأكيد الصلة بالله وتوثيق العهد معه سبحانه بالتوبة النصوح ، وختمت الآيات مطافتها بما بدأت بالدعوة إليه :

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴾

(٢٩) رواه مسلم.

(٣٠) الحجر [٤٦].

(٣١) رواه أبو داود والترمذى وأبويعلى والبيهقى فى الشعب.

دلائل التوحيد فى الآفاق وفى الأنفس

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا

قال تعالى :

﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[١] .

هذه الآية الكريمة ، وغيرها كثير من آيات القرآن الكريم ، تدعو إلى إعمال المنطق السليم فى إثبات وجود الإله الواحد والخالق العليم كضرورة حتمية لوجود هذا الكون واستمرار حركته منذ بداية خلقه وحتى يقضى الله أمرا كان مفعولا . لكن الملحدين والكافرين لا يعرفون ، أو لعلهم لا يريدون أن يعرفوا ، هذه الحقيقة الواضحة بالرغم من اعتراف بعضهم بوجود النظام فى الكون وسريان الحكمة والروح غير العادية فى الوجود . فهم عاجزون عن أن يشعروا بوجود منظم مدبر لهذا الكون ، لأنهم استسلموا لأوهام الفكر ، وبالغوا فى تقديس العقل وما يستنبطه من علم ، ونسوا ، أو تناسوا ، وجود خالق العقل والعلم ، وخالق كل شىء فى هذا الوجود ليقوم بوظيفته التى هيأه وأعده لها على أكمل وجه . لقد تمادى هؤلاء الملحدون عبر العصور فى غيهم ، وحاولوا أن يبدلوا سنة الله التى لا تتبدل ، وأن يثبتوا أن الله غير موجود ، ولم يستطع أحد منهم أن يقدم دليلا واحدا يؤيد إنكارهم لوجود الله . وعبثا يمكن إقناعهم لأن لديهم بقعة عمياء داخل عقولهم تمنعهم من تصور وجود الله ، وتجعلهم لا يستمعون إلى كلام الله وبلاغ الأنبياء والرسل ، بل ولا ينصتون لحقائق البحث العلمى فى مختلف ظواهر الكون والحياة ، وصدق الله العظيم حيث يقول :

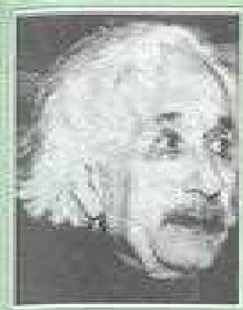
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾

وها هو العلم الصحيح يقدم لنا الأدلة الكثيرة على وجود الله ووحدانيته ، ويدحض مزاعم الملحدين والكافرين ، ويقف بقوة مع دعوة الدين إلى إعمال العقل بعيدا عن

(١) الأنبياء ٢٢ .

(٢) البقرة ٦ ، ٧ .

الهوى والتعصب لكشف حقائق الوجود، والاهتداء إلى الإيمان الخالص بالخالق الواحد - سبحانه وتعالى - على هدى وبصيرة، فليس من المعقول أن يفكر الجماد في تطوير نفسه، أو أن تمنح الطبيعة الجامدة نفسها قبس الحياة، أو أن تحكم المصادفة حركة الكون، ويتولد النظام تلقائيا من الفوضى والعشوائية. ومن المستحيل أيضا أن تتكرر المصادفة لتتخذ شكل ظاهرة عامة تسرى على ملايين الكائنات الحية في النبات والإنسان والحيوان، وعلى ملايين الظواهر الكونية في السماوات والأرض، سواء فيما يتصل بمقاومة عوامل العطب والفناء، أو فيما يتعلق بالتركيب الخارجي والداخلي للأفراد والمفردات المختلفة التي تعمل في توافق عجيب وتعاون مذهل لاستمرار الحياة. ولقد اكتشف العلم الحديث أن الأرض التي شاءت الإرادة الإلهية أن تجعلها مقراً للإنسان مسخرة بكل ما فيها وما عليها لاحتضان الحياة والأحياء، وتتخذ ملاءمتها للحياة صوراً عديدة من التنظيمات والتوافقات الرائعة التي لا يمكن تفسيرها على أساس المصادفة أو العشوائية. فكيف تعرف الطبيعة الجامدة عن طريق الصدفة أن الأرض يجب أن تكون بهذا الحجم والوزن والتكوين، وأن غلافها الجوى لابد أن يكون له هذا التركيب والتوزيع أفقيا ورأسيا، وأن موقعها مع الشمس والكواكب الأخرى لابد أن يتحدد بهذه الدقة العجيبة التي تنسجم انسجاما معجزا مع كل مقومات الحياة التي أرادها الله - سبحانه وتعالى - عليها.



اينشتين

كيف يمكن أن ينشأ هذا البناء الكوني المحكم عن طريق الصدفة؟ وهل من المعقول مثلا أن تنشأ عمارة أنيقة رائعة من انفجار عشوائي في تلال من الأحجار والحديد والأخشاب والزجاج؟.

ويبقى بعد هذا كله سر أسرار الحياة، وهي الروح التي جعلها الله مصدر الوعي ومنبع الشعور، فقد خلق الله الإنسان خلقا جمع بين المادة والروح، فالإنسان بجسمه المادى مشدود إلى الأرض، له دوافعه وشهواته ومطالبه الحيوانية، وبروحه الشفافة يتطلع إلى السماء، له أشواق الملائكة وجاذبية السمو نحو الله. أما النفس فلها طبيعة مزدوجة تحتوى على معنويات الخير والشر والتقوى والفجور. ورغم أن العلم قد تعرف على التركيب المادى لجسم الإنسان بعناصره ومركباته، وذلك بطرق التحليل الكيميائي، إلا أنه لايزال عاجزا حيال عالم النفس الذى يحاول اقتحامه، كما أنه يقف عاجزا أمام عالم الروح، ولن يقدر للعلم البشرى أن يصل إلى سر الحياة الذى استأثر به خالق الكون والحياة، قال تعالى:

﴿ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(٣).

صدق الله العظيم الواحد الأحد:

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾(٤).

ويقول الله تعالى:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٥).

حيث تقرر هذه الآية الكريمة أن جميع المخلوقات والكائنات في هذا الكون على اختلاف أنواعها وأحجامها ونواميسها يجمع بينها مهمة التسخير للإنسان، ويوحد بينها أنها مقدرة بمشيئة الخالق الواحد. والإيمان الخالص بوحدانية الله - سبحانه وتعالى - أساس العقيدة الإسلامية، وهو أمر فطرى، ينعم به كل إنسان يتمتع بفطرة نقية، لكن البحث العلمي يوصلنا إلى حقائق كونية تيسر قبول العقول بمسلمة التوحيد الإسلامي، وتكشف عن الوحدة التي تؤلف بين الكثرة مهما كانت درجة تنوعها.

ومن أبسط القضايا العلمية التي توضح منطق التوحيد في الفكر العلمي وأثره الواضح في تطور العلم تذكر العلاقة المتبادلة بين المادة والطاقة باعتبارهما أساس الكون المادى، والشمس هي مصدر الطاقة في عالمنا المسمى بالمجموعة الشمسية. ولقد تمكن العالم الفيزيائي «اينشتين» من إثبات التكافؤ بين المادة والطاقة، وحقق بذلك إنجازا علميا هائلا يتمثل في اعتبار المادة طاقة حبيسة، فالمادة التي تراها بأعيننا ونقبض عليها بأيدينا تشغل في هذا الكون مكانا أو حيزا، لكنها قد تتخلى عن صفات التجسيد هذه وتتحرر من قيودها وتحديد مكانها بحيز معين في الفراغ، وتنطلق على هيئة طاقة أو (موجات) تتحدى قيود المكان والزمان. وكان إنتاج الطاقة النووية وصناعة القنبلة النووية من ثمار هذا الاكتشاف العظيم. كذلك نجح العلماء في القيام بالعملية العكسية، أى تجسيد الطاقة وتحويلها إلى مادة. وبهذا أمكن إثبات التوحد والاندماج والتكافؤ بين المادة والطاقة، وتحقق العلماء من صحة العلاقة الرياضية التي تعبر عن علاقة التحول بينهما.

واقتضى منطق التوحيد في الفكر العلمي أن يغير الإنسان من نظرته القديمة لكل من الفضاء والزمان باعتبارهما مستقلين عن بعضهما. وهذه من عجائب العلم الحديث التي يحتاج فهمها واستيعابها جيدا إلى نوع

(٣) الإسراء «٨٥».

(٤) الملك «٢».

(٥) الجاثية «١٣».

من التمرين العقلي، ربما لم يسبق لنا مزاولته، حيث يجب أن نتجرد بعض الشيء من طريقة التفكير التقليدية التي تعودنا عليها، بل إن «اينشتين» نفسه – صاحب هذه الأفكار – وجد صعوبة بالغة في التعبير عنها باللغة العادية المألوفة، وكان عسيرا عليه أن يقنع الناس بما توصل إليه خياله العلمي من فهم أعمق لحقائق الأشياء، لكن الزمن كان كفيلا بأن يسمح للعقول تدريجيا أن تتقبل طريقة التفكير الجديدة وتتلمس الحقيقة العلمية من خلال الوقائع المشاهدة في الحياة اليومية. والغرض من هذا الإيضاح هو التمهيد لقبول فكرة التوحيد بين الفضاء والزمن في نسق واحد ضروري لتفسير الظواهر الكونية، وهذا يعني أننا إذا كنا نحدد الحيز أو الفراغ عادة، مثل حيز الغرفة أو الحيز الذي يشغله صندوق، بأبعاد ثلاثة هي الطول والعرض والارتفاع، فإنه لابد من اعتبار الزمن كبعد رابع، وعلى ذلك فالجسم الساكن في عرف الرأي القديم الذي يتعامل مع الكون ثلاثي الأبعاد، يكون متحركا – حسب النظرة العلمية الجديدة – على محور رابع هو الزمن الممتد من الماضي والمار بالحاضر إلى المستقبل، أي أن هذا الجسم يكون ساكنا في الفضاء ولكنه متحرك على محور الزمن. وهكذا يلتئم الزمن مع الفضاء في وحدة اندماجية بحيث لا يجوز الفصل بينهما، تماما مثلما تم التوحيد بين المادة والطاقة.

ومهما تكن صعوبة هذا التصور على الفهم بسرعة، فإن الأخذ به ساعد على تطوير النظريات العلمية القديمة، وظهرت تجارب هامة تؤكد سلامته.

كذلك استطاع «أينشتين» أن يتوصل إلى نظرية شاملة تبين لنا أن الكون يظهر بمجال واحد وقوانين واحدة تنطبق على كل شيء فيه، سواء كان هذا الشيء الكترونيا دقيقا أو كوكبا كبيرا، أو شعاعا ضوئيا سريعا. وأوضح أن هذه القوانين تعمل منذ أن بدأ هذا الكون، وسوف تستمر إلى أن يأذن الله بانتهائه.

ومثل هذا الأسلوب في التوصل إلى نظريات التوحيد في الفكر العلمي لابد أن يكون مسترشدا بوجود قوة عاقلة واحدة مهيمنة تسيطر على جميع مكونات هذا الكون الهائل المترامي الأطراف ولعل هذا يوضح ما ذهب إليه «أينشتين» من صياغة توحيدية بين المادة والطاقة، وبين المكان والزمان، وبين المجال الكهربي المغناطيسي والمجال التجاذبي.

أما الحياة في جميع صورها فإنها تنتفع بالمادة والطاقة معا وتتوقف عليهما، وهذه وحدة تجمع الحياة والمادة والطاقة في إطار متكامل متصل ومتواصل، فسبحان الله الذي سخر لنا ما في السماوات وما في الأرض «جميعا منه».

***

الخطاب الإسلامي في منهاج الرسول ﷺ

للأستاذ/ محمد مصطفى البسيوني

كان الكيان المحمدي الطاهر كله خطابا دينيا راشدا وهاديا. فكما كانت شخصيته – عليه السلام – شخصية كاملة متكاملة تؤلف بين عناصرها العناية الربانية وتتعهدها الرعاية الإلهية إعدادا وتهيئة للرسالة العظمى، كذلك كان خطابه الديني كاملا متكاملا لا ينطق عن الهوى يصدر عن هذه الشخصية الفذة المختارة المصطفاة التي تتلقى الهدى من السماء فتسير به بين الناس قولا مأثورا، وسلوكا منشورا، وذلك تحقيقا لقوله عز وجل:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾(١)

فالدعوة إلى توحيد الواحد الأحد هي محور الرسالة الخالدة، ومناط الخطاب الديني الهادي المنير، وحولها – ومنها – تتشعب التكاليف، وتتعدد النواهي والأوامر والأخلاقيات في اتساق دقيق وتآلف عميق.

ومن هنا نرى أن أول من وجه الخطاب الإسلامي إلى الناس كافة بل إلى الجن والإنس جميعا هو أن النبي ﷺ من خلال الدعوة الإلهية التي حملها إليه أمين الوحي جبريل عليه السلام.

ولم يكن الخطاب الإسلامي عند النبي ﷺ هو القرآن الكريم كتاب معجز معنى ومبنى فقط، ولكنه أيضا معايشة هذا القرآن الحكيم والاستغراق فيه لسانا داعيا وسلوكا واعيا، وقلبا عاشقا وروحا صادقة.

ومن هنا جاء حديث الصديقة بنت الصديق – رضي الله عنهما – عندما سئلت عن خلق النبي ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن»(٢).

حقا، لقد كان ﷺ قرآنا يسير على الأرض، يتلقاه أصحابه عنه آيات بينات تتردد، ثم يشاهدونه فيه أفعالا تتجسد.

(١) الكهف (١١٠).

(٢) مسند الإمام أحمد ٦/٩١، ١٦٣.

وكان هذا من الآيات البينات ـ أمام المصدقين والمكذبين جميعا ـ على تأكيد صدق هذا الداعية الأمين الذى يقول ما يفعل، ويفعل ما يقول، فهو لا ينصح قومه باعتناق مبادىء ثم ينأى هو عنها بنفسه.

وكان هذا أيضا من دعائم الدعوة الراسخة والشامخة التى تدوى فى الآفاق:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾(٣).

وهنا نتأمل الاتساق بين الأسوة المحمدية الصادقة وبين رجاء المؤمن لله واليوم الآخر، وحينئذ تطمئن إلى أن النبى ﷺ فى أعماله وأفعاله وحركاته وسكناته كان قائدًا رائدًا يقود أمته إلى سبيل الله - عز وجل - الذى سيحاسبهم يوم القيامة على مدى تأسيهم برسوله المصطفى ﷺ فى العقيدة الغراء والشريعة السمحاء والسلوك القويم.

ولقد كان عرض الخطاب الإسلامى بالمنهاج المحمدى حريا بأن يوقظ أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا رانت عليها البداوة القاسية، والحياة الضالة، وكيف لا وهو ﷺ يسير على النهج الربانى العظيم الذى أبدعه الله - عز وجل - لكى يتلاءم من هداية الإنسان وتربيته وتنميته بما سبق فى علمه - سبحانه - من طبيعة هذا الكائن الآدمى، وكيف يهتدى إلى الحق الجلى، وكيف يقوِّم إذا تنكب الطريق السوى..

أليس الصانع هو الأعلم بصنعته، وأليس الخالق هو الأعلم بخلقه:

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾(٤)

ولقد شرح الله - سبحانه - بهذا النهج المحمدى فى عرض الخطاب الإسلامى صدور الصحب الكرام - رضوان الله عليهم - المتعطشين إلى معرفة الحق الذى تطل أشعته من وراء الضباب الكثيف، والمتطلعين إلى معاينة الحقيقة التى تكاد تبين عن نفسها لولا أطياف الأصنام والأزلام الجاثمة فى عتو أبله بغيض حول البيت العتيق، وفى دور المقدين من كبار القوم، وأتباعهم المستضعفين.

وكان من أبرز عوامل اقتناع هؤلاء السابقين من السلف العظيم بالخطاب المحمدى الهادى السلوكُ النبوى الصدوق مع الناس.. وبابُ القدوة التربوية عند النبى ﷺ تزخر به الكتب، وتصدح به

---

(٣) الأحزاب (٢١).

(٤) الملك (١٤).

الناس، وتسير به السير، حتى لقد كان المؤمنون عن طريق القدوة المحمدية أكثر بكثير من الذين دخلوا دين الله بمعارك الحرب التى أكره عليها المسلمون دفاعا عن العقيدة ودعما لكرامة الإنسان، ومن هنا قال الشاعر..

لقد افترى من قال إن محمدا

نشر العقيدة بالسيوف، قد افترى

لقد جاءت رسالة محمد ﷺ بعيدة عن الغموض، خالية من العسر والعنت، نائية عن الغصب والإكراه، لا تُغفل الدنيا، وتؤمن بفطرة الروح والبدن فى كيان واحد وذلك انطلاقا من الوسطية الرشيدة التى ميزت دين الله - عز وجل.

ثم إنها جاءت لتنظم حياة الناس بحيث يخرجون من دائرة المنفعة الذاتية والأنانية بما يرتبط بها من الشهوة والهوى والقسوة والظلم والإباحية:

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(٥)

كما أنها فرضت على المرء أن يعمل وجعلت قيمة الإنسان وشرفه معلقين بعمله:

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٦).

كما شيدت الدين على أركانه الخمسة فى تكامل وترابط تحت لواء الركن الركين (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله) ولك أن تتأمل هنا أسلوب المتكلم الواحد فى الشهادتين وليس أسلوب المتكلمين إشارة إلى إقرار كل فرد بذاته بتوحيده لله - عز وجل - ومسئوليته وحده عما يترتب على هذا الإقرار من تبعات إيمانية وسلوكية امتدادا للعهد الذى أخذه الله - سبحانه - من بنى آدم منذ القدم:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴾(٧).

كما حثت هذه الرسالة المحمدية على التواضع:

(لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر)(٨).

وحرمت الخيلاء:

---

(٥) الحشر (٩).

(٦) التوبة (١٠٥).

(٧) الأعراف (١٧٢).

(٨) صحيح مسلم، حديث رقم ١٤٧، ١٤٩.

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾(٩).

وجعلت للإنسان بيئة مشروعة يولد فيها وينشأ بها وينطلق منها إلى عمران الحياة والكون تلك البيئة هي الأسرة التي تقوم على النكاح وليس على السفاح، والتي اختار لها علماء النفس والاجتماع المحدثين والمعاصرين اسم «بيئة المحبة».

ولقد حرم الإسلام تحريماً قاطعاً كل ما يسيء إلى التفكير السليم، والمنطق القويم فنهى عن الخمر وكل ما يدور في مدارها من معوقات العقل ومدمرات الكيان الإنساني الذي أبدع الحق خلقه.

ومما أفحم خصوم النبي ومعارضيه أنه يؤمن أشد الإيمان بما يدعو إليه مهما وضع إيمانه على محك الخطوب والعنت والبلاء والاضطهاد ومغريات الملك والجاه والسلطان، ولا يزال رده عليه السلام على عمه أبي طالب وهو ينقل إليه إفك الأفاكين من قريش «والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته»(١٠). وهكذا اتسقت دعوته السماوية الهادية مع سلوكه الأرضي النابض بالحق بين الناس.

فعندما يدعو إلى التوحيد تراه لا يخشى في سبيل ذلك لومة لائم بالقول والفعل رغم التلوث العقائدي المبثوث في شعاب مكة والذي كان يزكم العقول والأرواح حيث لا عقل يعقل ولا روح تستبصر، وعندما يأمر الناس بالصلاة يشهده الناس وهو يقيمها في عشق واطمئنان حتى تتورم قدماه من القيام فتقول له عائشة - رضي الله عنها: «ألم يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر»، فيجيبها في بساطة وعمق وإيمان «أفلا أكون عبداً شكوراً»(١١).

ويؤكد ﷺ دائماً أن قرة عينه قد جعلت في الصلاة حتى إنه إذا حزبه أمر كان يقول لبلال رضي الله عنه: «أرحنا بها يا بلال»(١٢).

وإذا حض الناس على العدل كان أسبقهم إليه تطبيقاً وأسرعهم إليه تحققاً، وإذا أمرهم بالصدق كان أصدقهم لساناً وأثبتهم بياناً.

وإذا دعا إلى الوفاء بالعهد.. والالتزام بالوعد كان المثل الأعلى للوفاء والنموذج الحي للالتزام.

(٩) لقمان (١٨).

(١٠)

(١١) البخاري ٢/٦٣، ٦/١٦٩، ٨/١٢٤.

(١٢) الطبراني في الكبير ٦/٣٤٠.

وعندما كان ﷺ يدعو الناس إلى أداء الأمانة: الأمانة مع النفس، والأمانة مع الناس، والأمانة مع الله، كان حرصه ﷺ على التمسك بهذه السمة الأخلاقية الفاضلة دعوة للأعداء قبل الأصدقاء أن يستودعوه أماناتهم رغم كيد الأعداء له واضطهادهم إياه واتهامهم له بكل باطل وافتراء حتى إذا حانت ليلة الهجرة دعا ﷺ علياً - رضي الله عنه - وأوصاه برد هذه الأمانات والودائع إلى أهلها رغم أنه ترك مكة أحب أرض الله إليه دون أن يصطحب منها شيئاً إلا رعاية المولى - عز وجل - وعنايته، وحسبه بالحق غنى عن الخلق.

وقد ترسم الصديق - رضي الله عنه - هذه الخطى المحمدية عندما أنفق كل ما يملك في سبيل الدعوة الراشدة، وهاجر بصحبة صديقه الحبيب ورفيقه الغالي فلما سأله النبي ﷺ: «ماذا تركت لأهلك يا أبا بكر» أجاب في إيمان عميق وقول وثيق: «تركت لهم الله ورسوله». فأكرم بالقدوة وأكرم بالمقتدى.

ولقد نبه النبي ﷺ أتباعه حتى يوم الدين بأن: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان»، وفي رواية: «وإذا خاصم فجر»(١٣).

ومن ثمة فقد كان المخلصون من أتباعه ﷺ حريصين على الصدق وحفظ الوعد والأمانة والسعي بين الناس إلى الخير والصالحة، ألم يقرأوا القرآن الكريم وهو يقول:

﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾(١٤).

وهكذا كان - عليه السلام - خطاباً إسلامياً يتحرك بين الناس سلوكاً هادياً وقولاً شافياً وعملاً يستقيم على جادة الحق..

وما أحوجنا إلى التأسي برسول الله ﷺ في كل تصرفاته إذ هو الكمال الإنساني بعينه. ونحن نرى أن السلوك المحمدي اليومي هو من أهم مواطن الأسوة التي ينبغي أن نلح على العناية بعرضها دائماً ضمن الخطاب الإسلامي على عامة المسلمين، وتعميق الإحساس لديهم بها كتجارب معيشية حية، وذلك بالأسلوب الذي يحرك طاقاتهم الإيمانية نحو تنظيم معاملاتهم اليومية على بصيرة نيرة وخلق قويم. ولاشك في أن هذا هو الأسلوب المنشود في مخاطبة المسلم المعاصر الذي تحيط به مرائي الفتن، ومهاوي الغفلة من كل مكان مما يجعله في أمس الحاجة إلى التعرف الواعي على منهاج نبيه العظيم تعرفاً عملياً سلوكياً.

(١٣) البخاري ١/١٥، ٣/٢٣٦، ٨/٣٠.

(١٤) النساء (١٢٨).

يعيش فى حركات جوارحه، ويشيع بين جوانحه فى كل دقائق الحياة.

لقد أراد الله - عز وجل - لنبيه العظيم أن تكون السنوات التى أمضاها على هذه الأرض - فيما بين مولده المبارك وبين انتقاله إلى جوار ربه الكريم - كلها عقداً منتظم الحبات، وسلسلة مترابطة الحلقات من المواقف الإنسانية المتعددة والمتنوعة، والتى كانت بحق نماذج عملية لكل ما يمكن أن يعرض لأى امرىء فى حياته من أمور، فما نظن أن هناك تجربة ميدانية يمكن أن تعرض لأى إنسان فى الحياة لم تتضمنها حياة محمد ﷺ.

ولقد اقتضت الحكمة الإلهية ذلك حتى يكون ﷺ الأسوة الشاملة فى كل مواقف الحياة، حتى إذا تعرض أحدنا لموقف من هذه المواقف تساءل: ماذا كان يفعل محمد ﷺ فى مثل هذا الموقف؟

وما أغنى كتب السيرة بمثل هذه المواقف المحمدية التى يمكن أن تثرى خطابنا الدينى إلى القريب والبعيد أيما إثراء حتى يعلم الجميع أن هذا الدين الحنيف قد حمل لواءه نبى تحمل هم الإنسانية كلها حتى يخرجها من الظلمات إلى النور بالكلمة الطيبة، والحكمة البالغة، والحجة الظاهرة، والنوايا النقية، والعلم المفيد، والفكر السديد، وكلها دروب تنفتح جميعها نحو السلام الذى هو كلمة الله، ونحو العمران الذى هو رسالة الإنسان.

وبعد، فما أحوج المسلمين - بل ما أحوج البشر جميعاً - اليوم إلى أن يتعمقوا مواطن الأسوة النبوية الهادية، وحقيقة الخطاب المحمدى الرشيد، وذلك فيما يعن لهم فى حياتهم اليومية فى هذا العصر من مواقف ومشكلات، ويالها من مواقف، ويالها من مشكلات.

وحبذا لو عنى كل من تحمل مسئولية تربوية فى المجتمع بإبراز صور السلوك المحمدى اليومى أمام الناشئة حتى يعى الجميع أن هذه الصور هى قوام حضارة بناءة خالدة تدعو الإنسانية جميعاً إلى التلاؤم والالتئام، والمودة والسلام، وأن التأسى بالسلوك المحمدى اليومى هو ضرورة العصر بل كل عصر وليس مجرد حكايات تحكى فى المواسم، وروايات تروى فى المناسبات تنطلق من مجرد الألسن إلى مجرد الأسماع، دون أن يتمثلها القلب أو يعيها اللب، ودون أن تسرى فى نمو شخصية الناشىء مسرى الطعام فى نمو الأجساد.

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

التبادل الثقافى وروح الزمالة الفكرية فى الإسلام

٢

للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى

مدرستان: أهل الرأى وأهل الحديث

فى مجال التشريع تبلورت، ومنذ صدر الإسلام، مدرستان وهما فيما يبدو متعارضتان لكنهما فى حقيقة الأمر يرسمان منهجا متكاملا، أولهما مدرسة «أهل الحديث»، التى أظهر ما كانت فى الحجاز والتى كان أنصارها لايتجاوزون النص (من قرآن وسنة)، فإن سئلوا عن شئ وعرفوا فيه آية أو حديثا أفتوا، وإلا توقفوا، لايقولون شيئا، وكان هؤلاء يعرفون بالاعتداد بالحديث، وفى مقابل هؤلاء قامت مدرسة «أهل الرأى»، التى انتشرت فى العراق خاصة، والتى تميز أصحابها بثقافة العراق ومدارسه، وبتدقيقهم فى الأدلة، وبتحكيمهم العقل فى الآراء، وبتغليبهم القياس على النقل، وقد توجت مدرسة «أهل الرأى» بأبى حنيفة (نعمان بن ثابت، ٦٩٩ - ٧٦٧)، إمام المذهب الحنفى، الذى عرف بتوسعه وسماحته عموما، وأما نزعة مدرسة أهل الحديث فتجسدت على أشدها فى المذهب الحنبلى، وتوسط المذهبان المالكى والشافعى بين المدرستين.

وكانت قضايا الجدل التى تكونت حول الفرق الإسلامية هى:

● الخلاف حول من هو الخليفة:

وفى ميدان العقائد توزع المسلمون إلى فرق جمة، فقد نشب الجدل بينهم حول «الإمامة» («الخلافة»)، من الأحق فيها بعد الرسول، وهل تكون بالاتفاق والاختيار (بالبيعة والاستفتاء والشورى) أم بالنص والتعيين، وهل يجمع الإمام بين السلطتين الزمنية والروحية. الخ، وكان ذلك مثلا سبب تمايز السنة والشيعة.

● الخلاف حول مرتكب الكبيرة:

واختلف المسلمون حول مسألة «صاحب الكبيرة»، وما يتصل بها من قضايا العلاقة بين النظر والعمل، والإسلام والإيمان، فغالى الخوارج فى تشديدهم، إذ حكموا بأن صاحب الكبيرة كافر، مخلد فى النار، واعتبروا العمل شرط للإيمان، وبالمقابل تمادى «المرجئة» فى

تسامحهم، فتوقفوا عن تكفير صاحب الكبيرة، وتركوا الحكم فيه لله، وفصلوا العمل عن الإيمان واعتبروا أن الله وحده هو الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، فليس لأحد أن يكون رقيبا أو حسيبا على ضمائر الناس.

وتناقضت الآراء فى التسيير والتخيير، القضاء والقدر، فذهبت «الجبرية» إلى أن الأفعال كلها لله، وقالت «القدرية» بأن الإنسان خالق «قدره»، خيره وشره.

● الخلاف حول الصفات الإلهية:

ودار الجدل حول قضية الصفات والذات الإلهية، واختلفت المواقف فتطرف بعضهم فى إثبات الصفات والأخذ بحرفيتها كما جاءت فى القرآن (من «يد» و«عين»..)، حتى وصلوا إلى التشبيه والتجسيم، وغالى آخرون فى تأويلها (اليد - بمعنى القوة والاستيلاء، والعين - بمعنى العناية والإرشاد..)، فخلصوا إلى «النفى» و«التعطيل».

● مناقشة مبدأ الخلاف والتفرق:

ولم يأت القرن العاشر حتى صار مؤرخو الفرق والإخباريون يرون صعوبة بالغة فى حصر الفرق الإسلامية بالعدد الذى نسب إلى الرسول التنبؤ به: نيف وسبعون، ومال بعضهم إلى إضفاء الشرعية على هذه التعددية، واعتمدوا فى ذلك، فيما اعتمدوا، على أحاديث، منها: «اختلاف أمتى رحمة»[1] و«ستفترق أمتى إلى نيف وسبعين فرقة، كلها فى الجنة إلا واحدة»[2].

● الزمالة الفكرية بين الفرق

وكان لهذا التعايش بين الفرق أثره على تحقيق مبدأ الزمالة، والتعرف على الآراء المخالفة، أثر بعيد فى شحذ العقول وحثها على البحث والدرس عن أوجه الخلاف وأسبابها، وفى تحرير الأذهان من أسر التقاليد الدينية الضيقة التى تربوا فى أحضانها، وقد نوه المفكرون الإسلاميون أنفسهم إلى التأثير المعرفى الإيجابى لتباين الآراء هذا، مما تجسد فى القول المأثور: «لا يعرف الرجل خطأ معلمه حتى يسمع الاختلاف».

● الحوار الفكرى ودور العقل:

وأدى الحوار بين الفرق الإسلامية إلى تفهم تعذر الاعتماد على النص حتى القرآنى منه، حجة حاسمة لنصرة هذا المعتقد أو ذاك، «فالقرآن حمال أوجه»، «وما من فرقة إلا ولها فى كتاب الله حجة»، هذا فى الجدل بين المسلمين، فكيف بينهم وبين أصحاب الملل الأخرى، بما فيها الديانات التوحيدية التى اعترف الإسلام بها، كاليهودية والمسيحية، والتى كان معتنقوها يعيشون بأمان فى دار الإسلام، وعلى هذا النحو راح يبرز دور العقل حكما أعلى فى المناقشات اللاهوتية، وفى فهم العقائد الدينية نفسها، وفى خضم هذه المشادات ظهرت وتطورت النزعة

(١) إتحاف السادة المتقين ٦/٤٠٢، ٢٠٥.

(٢) الحاكم فى المستدرك ٤/٤٣٠.

العقلانية فى «علم الكلام»، أول التيارات الفلسفية فى الفكر العربى الإسلامى.

● نشأة علم الكلام ومنهجه الفكرى:

وإذا كان علم الكلام وليد المناقشات بين المسلمين أنفسهم، وبينهم وبين ممثلى الديانات الأخرى، فإن «الفلسفة» بالمعنى الخاص للكلمة، أى المذاهب الفكرية التى طورت التقاليد الفلسفية اليونانية القديمة، جاءت وليدة «حركة الترجمة» التى تحدثنا عنها أعلاه، وأما الفارق بين هذين الاتجاهين فكان بعض المتكلمين (أصحاب علم الكلام) يرونه فى أنهم ينطلقون من المسائل التى يمليها الدين، ويسيرون على «قانون الإسلام»، أما الفلاسفة فيجرون على «قانون العقل»، وافق الإسلام أم لا.

علم الكلام وتعريفاته

لعل أوسع قائمة بأوجه تسمية علم الكلام بهذا الاسم هى مايورده التفتازانى (ت: ١٣٩٠) فى «شرح العقائد النسفية»:

١) «لأن عنوان مبحثه كان قولهم: الكلام فى كذا وكذا».

٢) «ولأن مسألة الكلام (كلام الله، أى القرآن من حيث كونه قديما أو محدثا - المؤلفان) كانت أشهر مباحثه وأكثرها نزاعا وجدالا».

٣) «ولأنه يورث القدرة على الكلام فى تحقيق الشرعيات وإلزام الخصوم، كالمنطق للفلسفة».

٤) «ولأنه أول ما يجب من العلوم التى تعلم وتتعلم بالكلام، فأطلق عليه هذا الاسم لذلك، ثم خص به ولم يطلق على غيره تمييزا له».

٥) «ولأنه إنما يتحقق بالمباحثة وإدارة الكلام بين الجانبين، وغيره قد يتحقق بالتأمل ومطالعة الكتب».

٦) «ولأنه أكثر العلوم خلافا ونزاعا، فيشتد افتقاره إلى الكلام مع المخالفين والرد عليهم».

٧) «ولأنه لقوة أدلته صار كأنه هو الكلام دون ما عداه من العلوم، كما يقال للأقوى من الكلاميين: هذا هو الكلام».

٨) «ولأنه لابتنائه على الأدلة القطعية، المؤيد أكثرها بالأدلة السمعية، أشد العلوم تأثيرا فى القلب وتغلغلا فيه، فسمى بالكلام، المشتق من الكلم، وهو الجرح».

ويضيف صاحب مخطوط «منتخبات فى الكلام» إلى هذه التفسيرات خمسة غيرها، هى:

«الأول، إنه استغنى الصحابة والتابعون عنه بكلام الله تعالى ليمكنهم من تحصيل العقائد عنه، فالرجوع إلى هذا العلم للعجز عن تحصيلها بالكلام، فهذا العلم نائب للقاصرين عن الكلام».

«والثانى، أنه امتاز عن عقائد الحكماء بمطابقتها لكلام الله وحفظها عن مخالفته»[3]

(٣) التفتازانى، شرح العقائد النسفية، قازان، ١٩١٠، ص ٥-٦.

«والثالث، أنه لا يفيد الجوارح إلا الكلام، بخلاف الفقة فإنه ما يفيد العمل مطلقا».

«والرابع، أنه في مقابلة الصمتية التي مدارها على السكوت، فسمي بما يقابل السكوت».

«والخامس، أنه في إفادة الاختصاص بالمبدأ كدلام، الاختصاص في إفادة الاختصاص فيما بين الأشياء، فسمي باسم مركب من كاف التشبية واللام، إلا أنه أجرى مجرى الأسماء المفردة في الاستعمال لكونه على وزن المفرد منه»[٤].

تدور محاور التعريفات على ثلاثة:

المحور الأول: أنه أثر من آثار الثقافة اليونانية والسريانية حتى مصطلح اسمه فهو مشتق من اللفظ اليوناني السرياني.

المحور الثاني: يدور حول أنه نشأ نشأة إسلامية عربية أي نشأ وفق عوامل داخلية موضوعا ومنهجا ومصطلحا وهذا هو رأينا.

المحور الثالث: أنه تجديد لعلم «اللاهوت المسيحي اليهودي» بينما هناك فرق بين علم الكلام الإسلامي وعلم اللاهوت.

رأى الشهرستاني والجاحظ

ويرى بعض الباحثين أن الثاني من الاعتبارات الثمانية التي يذكرها التفتازاني من أوجه الاعتبارات، وهو يصادف عند المتكلم ومؤرخ الفرق محمد بن عبدالكريم الشهرستاني (ت: ١١٥٣)، صاحب «الملل والنحل» كأحد وجهين اثنين في تسمية علم الكلام[٥]، وبالفعل، فقد كانت مشكلة «خلق القرآن»، أي حدوثه في الزمان أو قدمه، محور جدل عنيف بين المتكلمين في النصف الأول من القرن التاسع الميلادي، ولكن ربط لفظ «الكلام» بهذه المشكلة يبدو لنا بعيدا عن الحقيقة التاريخية، فالجاحظ (ت: ٨٦٨)، الذي لعل مؤلفاته أولى ما وصلنا من مصادر تتضمن لفظي «الكلام» و«المتكلمون» بالمدلول الاصطلاحي لهما، يتحدث عن المتكلم فيقول بأنه يجب أن يكون ما يحسنه من «كلام الدين» بوزن ما يحسنه من «كلام الفلسفة»، كما ويأتي على ذكر «متكلمي النصارى»[٦] ولو كان مصطلحا «الكلام» و«المتكلم» قد ارتبط ظهورهما بالمشادات حول خلق القرآن، والتي عاش الجاحظ في معمعانها وشارك فيها، لما كان له أن يستخدمها في سياق، بعيد كل البعد عن تلك المشادات، والأوفق عندنا أنه لما كانت محنة خلق القرآن وهي داخلة في صفة الكلام واحتدم النقاش حولها بدأت

(٤) منتخبات في الكلام، مخطوط (مغفل من اسم صاحبه، وبدون ترقيم للصفحات) رقم ب ٢٣٩٤، (٦٦٢٩) بمعهد الاستشراق بلينينجراد.

(٥) انظر: الشهرستاني: الملل والنحل، القاهرة ١٩٦٨، ج١ ص ٢٩.

(٦) انظر: الجاحظ كتاب الحيوان - القاهرة، ١٩٣٨ - ١٩٤٥ ج٢، ص ١٣٤، وأيضا رسائل الجاحظ - على هامش «المبرد» الكامل - القاهرة ١٣٢٤ هـ، ج٢، ص ١٧٤.

تظهر مشكلة الكلام في هذا العصر وصارت علما على علم أصول الدين وسمى الكل باسم الجزء.

وأما الوجه الثاني في تسمية «علم الكلام» عند الشهرستاني فيردها إلى مقابلة المعتزلة للفلاسفة في تسميتهم فنا من فنون علمهم بالمنطق، «والمنطق والكلام مترادفان».

القول بالنشأة اليونانية السريانية

ويطرح بعض دارسي علم الكلام من المستشرقين ومن تابعهم من الذين يحلو لهم أن يربطوا كل إبداع عربي باليونان، وهذا منطق سقيم لاعتبارات عديدة من هذه الاعتبارات أنهم يرجعون لفظ «الكلام» إلى «'dialextechne» عند أفلاطون أو «dialexis» عند آباء الكنيسة من المسيحيين، ومن وجهة النظر هذه يكون علم الكلام صناعة جدلية، تقوم ميزتها الأساسية في المناظرة مع خصم حقيقي أو مفترض، وهي المناظرة التي تصاغ عادة في عبارات، مثل «إن قلتم، قلنا»، التي توافق الأدبيات المسيحية.

وثمة باحثون يردون مصطلح «الكلام» إلى لفظ يوناني آخر، هو «لوغوس»، وهم يستندون في ذلك إلى حقيقة أنه في الترجمات العربية من اليونانية تستخدم عبارة «الكلام الطبيعي» مثلا، في مقابل «Peri Phuses Lifoi» والمتكلمون في الطبيعيات في مقابل «Phusioligoi» و«أصحاب الكلام الإلهي» «theoligoi»، الخ، ولكن إذا كان البعض يقرون «الكلام» بـ«لوغوس» في اللفظ المركب «thei- logoui» فقط، فإن آخرين يقصرونه على معنى الحجة argument ويفترض فريق من الدارسين أن لفظ «الكلام» يعود بأصله إلى اللفظ اليوناني «تيولوجيا» بتوسط اللفظ السرياني «ماملوت الأهوتا» أو «ماملا الأهيا».

ونحن نرجح رأى صاحبا كتاب «الفلسفة العربية[٧] الإسلامية في قولهما: إن لفظ «الكلام» (علم الكلام) نشأ وفق عوامل داخلية، أكثر منه خارجي، وأنه كان يدل، أول الأمر، على البحث أو النظر عامة، ويتفق مع هذا الرأى الوجه الأول من الاعتبارات الثمانية في قائمة التفتازاني، وأما أكثر الاعتبارات الباقية فتشير إلى أن هذا البحث كان، في بداية عهده، فقهي الطابع على الأغلب، وأنه تطور، بصورة أساسية، في المناظرات والمجادلات، التي دارت بين المتكلمين أنفسهم خاصة، وفيما بعد صار «الكلام» يستخدم أساسا للدلالة على البحث النظري، الذي اشتغل به المعتزلة، ومن ثم الأشاعرة.

الفرق بين علم الكلام وعلم اللاهوت

وقد تبلورت في الدراسات الحديثة والمعاصرة نزعتان رئيسيتان في تحديد جوهر هذا البحث، فالأولى منهما تميل إلى رد الكلام إلى تقنية معينة: إلى الأسلوب الجدالي في العرض، أو إلى فن وضع الأسئلة والأجوبة أو إلى طريق «إيهام التسليم للخصم ثم رده عليه. الخ

(٧) د. آرثور سعد بيف، د. توفيق سلوم.

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

تقدموك.. في الإسلام

وقف بباب سيدنا عمر بن الخطاب رجال من المسلمين بينهم أبو سفيان بن حرب، وهو أعرق قريش نسباً، وأشدهم تعاظماً، وبلال الحبشي وهو رجل كان عبداً لأبي بكر وأعتقه لإسلامه، وصهيب الرومي، وهو رجل رومي دخل في الإسلام وتقدم فيه، وسلمان الفارسي، وهو أعجمي اتخذ الإسلام ديناً له، وترك فيه مآثر، وقد استأذنوا للدخول على سيدنا عمر، فخرج الإذن لبلال، ثم صهيب، ثم لسلمان الفارسي وأبو سفيان واقف، ثم أذن عمر لغيرهم، ثم أذن لأبي سفيان في النهاية، فدخل أبو سفيان وهو غاضب من تقديمهم عليه في الإذن فنهره عمر وزجره، وقال له: تقدموك في الإسلام فلا جرم أن يتقدموك في الإذن.

حب النبي.. ﷺ

من يدعي حب النبي ولم يفد
من هديه فسفاهة وهراء

الحب أول شرطه وفروضه
إن كان صدقاً: طاعة ووفاء

لقد أتعبت من بعدك

رأى علي بن أبي طالب عمر بن الخطاب يهنأ[1] بعيراً أجرب من إبل الصدقة، فقال أبو الحسن لأبي حفص: هلا عهدت بذلك إلى عبد يقوم به!! فقال - رضي الله عنه: من ولي أمر المؤمنين فهو عبد للمؤمنين يجب عليه ما يجب على العبد لسيده! فقال علي - رضي الله عنه - لقد أتعبت من بعدك!.

(١) هنأ البعير: طلاه بالهناء، وهو القطران.

كلكم يبكي لدنياي

عن يزيد الرقاشي قال: دخلت على عابد وإذا أهل بيته حوله، فإذا هو مجهود قد أجهده الاجتهاد، قال: فبكى أبوه فنظر إليه ثم قال: أيها الشيخ ما الذي يبكيك؟

قال: يا بني أبكي فقدك، وما أرى من جهدك، قال: فبكت أمه، فقال: أيتها الوالدة الشفيقة الرقيقة ما الذي يبكيك؟ قالت: يا بني الفراق وما أتعجل من الوحشة بعدك، قال: فبكى أهله وصبيانه، فنظر إليهم ثم قال: يا معشر اليتامى بعد قليل ما الذي يبكيكم؟ قالوا: يا أبانا نبكي فراقك، فقال: أقعدوني أرى كلكم يبكي لدنياي، أما فيكم من يبكي لآخرتي، أما فيكم من يبكي لما يلقاه في التراب وجهي؟ أما فيكم من يبكي لمسألة منكر ونكير وإياي، أما فيكم من يبكي لوقوفي بين يدي الله ربي؟ قال: ثم صرخ صرخة فمات.

لأنك تابع

عدا كلب وراء غزال، فقال الغزال: إنك لن تلحقني، قال الكلب: ولمْ؟

قال الغزال: لأني أعدو لنفسي، وأنت تعدو لصاحبك.

النقي: التقي

قال ابن لقمان الحكيم لأبيه: يا أبت، أي الخصال خير للإنسان؟ قال: الدين، قال: فإذا كانت اثنتين، قال: الدين والمال، قال: فإذا كانت ثلاثاً، قال: الدين والمال والحياء، قال: فإذا كانت أربع خصال، قال: الدين والمال والحياء وحسن الخلق، قال: فإذا كانت خمساً، قال: الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء، قال: فإذا كانت ستاً، قال: يا بني، إذا اجتمعت الخصال الخمس فهو نقي تقي ولله ولي، ومن الشيطان بريء.

طبع إنساني

قال حكيم: من غريب طبع الإنسان أنه يحب العدالة مظلوماً، ويكرهها ظالماً، ويطلب الحرية مرءوساً، وينكرها رئيساً.

لهم ما لنا وعليهم ما علينا

عندما هاجم قازان التتري دمشق في آخر القرن السابع، أسر أسرى من المسلمين وأهل الذمة من اليهود والنصارى، فذهب ابن تيمية إليه، فأجابه في فك أسرى المسلمين دون الذميين، ولكن ابن تيمية رأى أن الدين يوجب عليه أن يفك أسرى اليهود والنصارى من أهل الذمة لأن لهم ما لنا وعليهم ما علينا، ولم يتركه حتى فك أسرهم جميعاً.

من الشعر الاجتماعى

الشريد

للشاعر الكبير الأستاذ على الجارم

فى العشوائيات وفى الدروب المهملة، وعلى الأرصفة المتآكلة

(لايزال صوت على الجارم يرن بهذه الأبيات)

أطلت الآلام من جحره ... ولفت الأسقام فى طمره(١)
بردته الليل، على برده ... وكنه القيظ، على حره(٢)
مشرد يأوى إلى همه ... إذا أوى الطير إلى وكره(٣)
ما ذاق حلو اللثم فى خده ... ولا حنان المس فى شعره(٤)
ولا حوته الأم فى صدرها ... ولا أب ناغاه فى حجره(٥)
قد صبر النفس على ما بها ... وانتظر الموعود من صبره(٦)

***

البطن مهضوم، طواه الطوى ... ونام أهل الأرض عن نشره(٧)

(١) أطلت: أشرقت. الطمر: الثوب البالى. (٢) البردة: كساء صغير مربع. الكن: السترة.
(٣) مشرد: مطرود منفر. أوى: أقام وسكن.
(٧) مهضوم: ضامر. الطوى: الجوع. نشره: إحيائه.

والوجه لليأس به نظرة ... يقذفها الحقد على دهره(٨)
جرحه الدهر، فمن نابه ... تلك الأخاديد، ومن ظفره(٩)
قد كتب الله على خده ... خطا يبين البؤس فى سطره(١٠)
وغار ضوء الحس من عينه ... وفر لمح الأنس من ثغره(١١)
والبشر، أين البشر؟ ويحى له! ... يا رحمة الله على بشره(١٢)
يجر رجليه ببطء الخطا ... كالجعل المكدود من جره(١٣)
إن نام أبصرت به كتلة ... تجمع ساقيه إلى نحره(١٤)
احتبست «أواه» فى قلبه ... واختنقت «ويلاه» فى صدره(١٥)
وجف ماء العين فى موقها ... ماذا أفاد العين من همره؟(١٦)
سالت به نهرا على لقمة ... فعاد كالسائل فى نهره!(١٧)
لا يجد المأوى، ولو رامه ... أحاله الدهر على قبره(١٨)
هناك يثوى هادئا آمنا ... من شظف العيش ومن وعره(١٩)
فكم بصدر القبر من ضجعة ... أحنى من الدهر ومن نكره!(٢٠)

***

منعمة الإنسان فى حسه ... وشقوة الإنسان من فكره(٢١)
كيف يرجى الصفو من كائن ... الحمأ المسنون فى ذره؟(٢٢)
لم يسم للأفلاك فى أوجها ... ولا هوى للوحش فى قفره(٢٣)

(٩) الأخاديد جمع أخدود: وهو الحفرة فى الأرض، والمراد بها الغضون والتجاعيد التى يطبعها البؤس على وجهه.
(١٣) الجعل: دويبة معروفة. المكدود: المتعب. (١٤) النحر: أعلى الصدر.
(١٥) أواه: يقصد بها الشكوى. ويلاه: يقصد بها الألم. (١٦) الموق: جانب العين مما يلى الأنف. همر الدمع: انصبابه.
(١٩) يثوى: يقيم. وعره: صعبه. (٢٠) أحنى: أعطف. النكر: القبح والشناعة.
(٢٢) الحمأ: الطين الأسود. المسنون: المتغير النتن. ذره: الذر أصغر النمل، ويراد به أصل الإنسان وجرثومته.
(٢٣) الأوج: ضد الهبوط. هوى: سقط.

من الشعر الاجتماعي

الشريد

للشاعر الكبير الأستاذ على الجارم

فى العشوائيات وفى الدروب المهملة، وعلى الأرصفة المتآكلة

(لايزال صوت على الجارم يرن بهذه الأبيات)

أطلت الآلام من جحره   ولفت الأسقام في طمره(1)
بردته الليل، على برده   وكنه القيظ، على حره(2)
مشرد يأوي إلى همه   إذا أوى الطير إلى وكره!(3)
ما ذاق حلو اللثم في خده   ولا حنان المس في شعره!(4)
ولا حوته الأم في صدرها   ولا أب ناغاه في حجره!(5)
قد صير النفس على ما بها   وانتظر الموعود من صبره!(6)

***

البطن مهضوم، طواه الطوى   ونام أهل الأرض عن نشره!(7)

(1) أطلت: أشرفت. الطمر: الثوب البالي.
(2) البردة: كساء صغير مربع. الكن: السترة.
(3) مشرد: مطرود منفر. أوى: أقام وسكن.
(7) مهضوم: ضامر. الطوى: الجوع. نشره: إحيائه.

والوجه لليأس به نظرة   يقذفها الحقد على دهره(8)
جرحه الدهر، فمن نابه   تلك الأخاديد، ومن ظفره(9)
قد كتب الله على خده   خطا يبين البؤس في سطره(10)
وغار ضوء الحس من عينه   وفر لمح الأنس من ثغره(11)
والبشر، أين البشر؟ ويحي له!   يا رحمة الله على بشره(12)
يجر رجليه ببطء الخطا   كالجعل المكدود من جره(13)
إن نام أبصرت به كتلة   تجمع ساقيه إلى نحره(14)
إحتبست «أواه» في قلبه   واختنقت «ويلاه» في صدره(15)
وجف ماء العين في موقها   ماذا أفاد العين من همره؟(16)
سالت به نهرا على لقمة   فعاد كالسائل في نهره!(17)
لا يجد المأوى، ولو رامه   أحاله الدهر على قبره(18)
هناك يثوي هادئا آمنا   من شظف العيش ومن وعره(19)
فكم بصدر القبر من ضجعة   أحنى من الدهر ومن نكره!(20)

***

متعبة الإنسان في حسه   وشقوة الإنسان من فكره(21)
كيف يرجى الصفو من كائن   الحمأ المسنون في ذره؟(22)
لم يسم للأفلاك في أوجها   ولا هوى للوحش في قفره(23)

(9) الأخاديد جمع أخدود: وهو الحفرة في الأرض، والمراد بها الغضون والتجاعيد التي يطبعها البؤس على وجهه.
(13) الجعل: دويبة معروفة. المكدود: المتعب.
(14) النحر: أعلى الصدر.
(15) أواه: يقصد بها الشكوى. ويلاه: يقصد بها الألم.
(16) الموق: جانب العين مما يلي الأنف. همر الدمع: انصبابه.
(19) يثوي: يقيم. وعره: صعبه.
(20) أحنى: أعطف. النكر: القبح والشناعة.
(22) الحمأ: الطين الأسود. المسنون: المتغير النتن. ذره: الذر أصغر النمل، ويراد به أصل الإنسان وجرثومته.
(23) الأوج: ضد الهبوط. هوى: سقط.

رامَ اللُّبابَ المحضَ من سعيِهِ ... فلم ينلْ منهُ سوى قشرِهِ[٢٤]

يسعى، وما يدرى إلى نفعِهِ ... سعى حثيثاً، أم إلى ضرِّهِ[٢٥]

آمنتُ بالله! فكم عالمٍ ... أعجزهُ المحجوبُ من سرِّهِ[٢٦]

***

اللهُ في طفلٍ غزاهُ الضنى ... بأدهمِ الخطبِ ومُغبرِّهِ[٢٧]

في ظلماتٍ، موجُها زاخرٌ ... كأنهُ ذو النونِ في بحرِهِ[٢٨]

والناسُ بالشاطئِ، من غافلٍ ... أو ساخرٍ، أمعنَ في سخرِهِ[٢٩]

والموجُ كالذؤبانِ حولَ الفتى ... يسدُّ أذنَ الأفقِ من زأرِهِ[٣٠]

نادى، وما نادى سوى مرةٍ ... حتى طواهُ اليمُّ في غمرِهِ[٣١]

تظنُّهُ طفلاً، فإن حققتْ ... عيناكَ، لم تعثرْ على عُشرِهِ[٣٢]

كأنهُ الشكُّ إذا ما مشى ... أو ما يرى النائمُ في ذعرِهِ[٣٣]

طغى به الجوعُ، ففي دمعِهِ ... ما فعلَ الجوعُ، وفي نبرِهِ[٣٤]

***

واهاً لكفٍّ لصقتْ بالثرى ... والتدمتْ بالبؤسِ من عفرِهِ[٣٥]

ماذا على الإحسانِ لو ردَّها ... نديةَ الأطرافِ من برِّهِ؟[٣٦]

ماذا على الإحسانِ لو ردَّها ... رطيبةَ الألسنِ من شكرِهِ؟[٣٧]

كم بسمةٍ أرسلها محسنٌ ... أزهى من الروضِ ومن زهرِهِ![٣٨]

---

(٢٤) اللباب: قلب الشيء. المحض: الخالص.

(٢٥) حثيثاً: مسرعاً.

(٢٧) أدهم: أسود. أدهم الخطب: أشد المصائب وأفدحها.

(٢٨) موج زاخر: ممتد مرتفع. ذو النون: سيدنا يونس وقد ابتلعه الحوت في البحر، فنجاه الله من الغم وأخرجه.

(٣٠) الذؤبان: جمع ذئب. الزأر: صوت الأسد، ويقصد به هدير الأمواج.

(٣٥) واهاً: اسم فعل للتعجب ويراد به هنا التفجع. الثرى: التراب الندى. التثم: أساغ الخبز بالإدام. العفر: التراب.

(٣٦) ندية الأطراف: غضة بضة بالإحسان.

(٣٧) رطيبة الألسن: تلهج بالثناء.

ولقمةٍ سدَّتْ فما جائعاً ... رجحتْ الميزانَ في حشرِهِ![٣٩]

ومنةٍ كانتْ جناحاً لهُ ... طارَ بهِ الذائعُ من ذكرِهِ[٤٠]

ودمعةٍ يذرفُها مشفقاً ... أصفى من المذخورِ من دُرِّهِ[٤١]

لا تزهرُ الجنةُ إلا بما ... ينفحهُ الباكي على وزرِهِ[٤٢]

لو عرفَ الإنسانُ ما أجرُهُ ... ما ضنَّ بالنفسِ على أجرِهِ[٤٣]

يبقى قليلُ المالِ من بعدِهِ ... ويذهبُ المالُ على كثرِهِ[٤٤]

بيضُ أيادي المرءِ في قومِهِ ... أغلى من البيضِ ومن صُفرِهِ[٤٥]

والحرُّ، لا ينعمُ في وفرِهِ ... حتى ينالَ الناسُ من وفرِهِ[٤٦]

والمرءُ لا يعرفُ مقدارُهُ ... أو تنبئُ الأحداثُ عن قدرِهِ[٤٧]

والناسُ كالماءِ، فمن ضحضحٍ ... ومن عميقٍ، حرتَ في سبرِهِ[٤٨]

ليس الذي ينفقُ من يسرِهِ ... مثلُ الذي ينفقُ من عسرِهِ[٤٩]

كم درهمٍ أُلقي في سجنِهِ ... ولم ينلْ عفواً مدى عمرِهِ[٥٠]

لم يرَ حسنَ الصبحِ في شمسِهِ ... ولا جمالَ الليلِ في بدرِهِ[٥١]

يطمعُ وخزُ الجوعِ في وصلِهِ ... ويرسلُ الزفراتِ من هجرِهِ[٥٢]

والمالُ كالخمرِ، إذا ما طغى ... ضاقتْ فجاجُ الأرضِ عن شرِّهِ[٥٣]

متى يهبُّ العقلُ من نومِهِ؟ ... أو يستفيقُ المالُ من سكرِهِ؟[٥٤]

متى أرى النفسَ، وقد أطلقتْ ... من ربقةِ المالِ ومن أسرِهِ؟[٥٥]

---

(٤١) المذخور: المدخر المعد لوقت الحاجة.

(٤٥) بيض الأيادي: النعم المشهورة. البيض: الدراهم. الصفر: الدنانير.

(٤٦) وفره «في الشطر الأول»: المال الكثير. وفره «في الشطر الثاني»: مازاد عن حاجته.

(٤٨) الضحضح: الماء القليل. السبر: الاختبار.

(٥٠) السجن هنا المكان الذي يدخر فيه البخيل ماله.

(٥٢) الوخز: الطعن بالرمح ونحوه.

(٥٣) فجاج الأرض: طرقاتها الواسعة.

(٥٥) الربقة: العروة في الربق وهو الحبل يشد به.

مَتى أرى الحُبَّ كَضَوْءِ الضُّحى … كُلُّ امْرِئٍ يَسْبَحُ في طُهْرِه؟(٥٦)

مَتى أرى النَّاسَ، وقد نَزَّهُوا … عن شَرِّهِ الذِّئبَ وعن غَدْرِه؟(٥٧)

أُخُوَّةُ الغُصْنِ إلى صِنْوِهِ … وبَسْمَةُ الزَّهْرِ إلى قَطْرِه(٥٨)

ورَحْمَةٌ، ورَفَافَةٌ لم تَدَعْ … قلبًا يُوارِى النَّارَ في صَخْرِه(٥٩)

لا يُحْسَدُ الجاهُ على مَنْ بِهِ … أو يُنْتَهَرُ البُؤْسُ على فَقْرِه(٦٠)

***

كم شاردٍ في مصرَ، يا كَثْرَةً … مِنْ عَدِّهِ، يَسْخَرُ مِنْ حَصْرِه!(٦١)

ذَخِيرةُ الأُمَّةِ أبناؤُها … ماذا أفادَ النِّيلُ مِنْ ذُخْرِه؟(٦٢)

ماذا أفادَ النِّيلُ مِنْ ساعِدٍ … أسْرَعَ مِنْ ضِغْثٍ إلى كَسْرِه؟(٦٣)

وأرْجُلٍ أوْهَنَ مِنْ هِمَّةٍ … ومِنْ نَسِيمِ الصُّبْحِ في مَرِّه؟(٦٤)

ومِنْ فَتاةٍ، فَجْرُها لَيْلُها … ومِنْ غُلامٍ، ضَلَّ في فَجْرِه؟(٦٥)

ألْقَتْهُ مِصْرُ هَمَلًا ضائِعًا … فَضَلَّ يَبْغي الشَّرَّ مِنْ مِصْرِه(٦٦)

غاصٍ مِنَ الآثامِ في آسِنٍ … يَكْرَعُ مِلْءَ الفَمِ مِنْ مُرِّه(٦٧)

أسْرى مِنَ اللَّيْلِ، وأمْضى يدًا … مِنْ عَبَثِ اللَّيْلِ، ومِنْ مَكْرِه(٦٨)

كم ضاقَ مِنْ شِقْوَتِهِ عُمْرُهُ … وضاقَ بالسُّخْطِ على عُمْرِه!(٦٩)

شَجًا بِحَلْقِ الوطنِ المُفْتَدى … وشَوْكَةٌ كالنَّصْلِ في ظَهْرِه(٧٠)

مَدْرَسَةُ النَّشْلِ وسَلِّ المُدى … أُسْسُها الشَّيْطانُ في جُحْرِه(٧١)

---

(٥٨) الصنو: الواحدة من النخلتين في أصل واحد.

(٥٩) رفافة: عفافة شاملة، ويقال: رف الطائر بسط جناحيه. (٦٣) الضغث: الحشيش الرطب واليابس.

(٦٦) هملا: متروكاً سدى بغير راع.

(٦٧) آسن: ماء آجن فاسد. يكرع: يشرب الماء بفمه من موضعه من غير أن يتناوله بكفيه أو بإناء.

(٦٨) أسرى من الليل: أمضى والسرى: السير بالليل. (٦٩) شقوته: شقاؤه.

(٧٠) الشجا: ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه. النصل: حديدة السهم والرمح والسيف.

إذا هوى الخُلُقُ، وضاعَ الحِجا … فكُلُّ شيءٍ ضاعَ في إثْرِه!(٧٢)

مَنْ يُصْلِحِ الأُسْرَةَ يُصْلِحْ بِها … ما دَمَّرَ الإفسادُ في قُطْرِه(٧٣)

***

جِنايةُ الوالِدِ نَبْذُ ابْنِهِ … في عُسْرِهِ، إنْ كانَ، أو يُسْرِه!(٧٤)

لا تَتْرُكُ الذِّئْبَةُ أجْراءَها … ولا يَغيبُ الكَلْبُ عن وَجْرِه!(٧٥)

البيتُ صَحْراءُ إذا لم تَجِدْ … طُفُولَةٌ تَمْرَحُ في كِسْرِه(٧٦)

فعاقِبُوا الآباءَ إنْ قَصَّرُوا … لابُدَّ للسَّادِرِ مِنْ زَجْرِه(٧٧)

وأنْقِذُوا الطِّفْلَ، فما ذَنْبُهُ … إنْ جَمَحَ الوالِدُ في خَمْرِه؟(٧٨)

رَبُّوهُ، يُثْمِرْ ثَمَرًا طَيِّبًا … لا يَيْأسُ الزَّارِعُ مِنْ بَذْرِه(٧٩)

وعَلِّمُوهُ عَمَلًا صالِحًا … يَشُدُّ - إنْ كافَحَ - مِنْ أزْرِه(٨٠)

رَبُّوهُ في الرِّيفِ، لَعَلَّ القُرى … تُصْلِحُ ما أعْضَلَ مِنْ أمْرِه(٨١)

النَّفْسُ مِرآةٌ، وغُصْنُ النَّقا … يَطِيبُ أو يَخْبُثُ مِنْ جِذْرِه(٨٢)

لَعَلَّ هَمْسَ الغُصْنِ في أُذْنِهِ … يُنْسِيهِ ما أضْمَرَ مِنْ ثارِه(٨٣)

لَعَلَّ أنفاسَ نَسِيمِ الرُّبا … في صَدْرِهِ، تُبْرِدُ مِنْ جَمْرِه!(٨٤)

النِّيلُ يَسْتَنْجِدُ مُسْتَنْصِرًا … فأسْرِعُوا الخَطْوَ إلى نَصْرِه(٨٥)

لا يَذْهَبُ المَعْرُوفُ في لُجَّةٍ … ولا يَكُفُّ المِسْكُ عن نَشْرِه(٨٦)

***

---

(٧٢) هوى: سقط. الحجا: العقل. إثره: بعده.

(٧٥) الأجراء: جمع جرو، وهو صغير كل شيء، وولد الكلب والأسد والذئبة. الوجر: الكهف في الجبل وجحر الضبع.

(٧٦) كسره: جانبه. (٧٧) السادر: الذي لا يبالي ما يصنع. الزجر: المنع.

(٧٨) جمع: ركب هواه. (٨٠) الأزر: القوة.

(٨٦) نشره: رائحته الطيبة.

مواقف إسلامية

بِرُّ الوالدين

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

تمهيد:

يأخذ البر فى الإسلام مداه الواسع.. حين لا ينحصر فى بر الولد والديه.. وإنما هو قبل ذلك أن يبر الوالدان ولدهما.. لتكتمل الدائرة.. وتتم النعمة..

وإذا كان هناك فى الناس من تسميهم «اجتماعيين» قادرين على أن يشتروا العبيد بأموالهم.. فهناك منهم طراز فريد قادر على أن يشترى الأحرار بحسن معاملتهم.. وفى طليعتهم آباء صدق غرسوا «فسيلة» البر فى قلوب أولادهم.. فصارت من بعد شجرة ضخمة أُكُلها دائم وظلها.

أهميــة البــر

يقول - تعالى - فى سورة الأنعام:

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾(١)

(١) الأنعام ١٥١.

الأزهر

فقد كان من الممكن أن يقال هنا: «ولا تسيئوا الوالدين».. مثلاً.. ولكن السياق يطوى هذا.. لأن الإساءة غير واردة.. ولا متصورة بالمرة. وكذلك الأمر بالإحسان، لم يرد هنا.. لأن هذا الإحسان مقرر فى الفطرة السوية التى تبذله تلقائياً.. وبلا تكلف.. ومن ثم فلا حاجة إلى الأمر به.. ثقة بطبيعة الفطرة.

فالإحسان إلى الوالدين مقرراً ابتداء.. لكن المطلوب هو قمته.. هو ذروته.. فلا تدخر وسعا فى الإحسان إلى الوالدين.

بر الآباء بأولادهم

وقبل الحديث عن بر الآباء بأبنائهم.. نذكر طرفاً من بر الأحفاد.. هذا البر الذى كان نهرا فياضا بالحنان.. حين لم يتوقف مدّه عند الأولاد.. ولكنه تجاوزهم إلى الأحفاد..

وأسوتنا فى ذلك هو: رسول الله ﷺ عن أبى قتادة قال:

«خرج علينا النبى ﷺ وأمامه بنت أبى العاص على عاتقه.. فصلى.. فإذا ركع وضعها.. وإذا رفع، رفعها»(٢).

.. وإنك لتلاحظ من رحمته ﷺ وشفقته بحفيدته.. أن اهتمامه بالصلاة التى كان يركز فيها كل اهتمامه.. لم ينسه حق الصغيرة فى الحنان.

.. ولقد كان الموقف صعباً.. يحتار فيه الإنسان بين عقله وقلبه.. عقله الذى يفرض عليه أن يقبل على صلاته بكل كيانه.. من حيث لا ثواب له على صلاته، إلا ما عقَلَه منها.. ثم قلبه الموصول بالصغيرة التى هى بضعة منه!!..

ولقد كان من توفيق الله - تعالى - أن يستجيب لعقله وقلبه معاً.. كان إذا ركع.. يخشى عليها السقوط على الأرض.. فيتلطف بها.. فيضعها.. وكأنها كانت - لشدة تعلقها به - لا تصبر فى الأرض.. فتجزع لمفارقته.. فيحتال ليحملها إذا قام..

لقد كان ﷺ بين أمرين:

١- أن يحافظ على المبالغة فى الخشوع.

٢- أن يراعى خاطر حفيدته.. المتعلقة به.

فقدم الثانى.. على نحو لم يبطل الأول.

.. وكان ﷺ بولده إبراهيم باراً حفياً:

فعن أنس قال:

«أخذ النبى ﷺ إبراهيم: فقبّله وشمه»(٣).

وقد أخذ العلماء من ذلك جواز تقبيل الولد فى كل عضو منه. فهو ريحان.. طيب الرائحة. وكذلك: يجوز تقبيل الكبير - عند أكثر العلماء - ما لم يكن عورة.

.. وكان ﷺ يُقبِّل فاطمة.

(٢) فتح البارى ج/١٠/ باب رحمة الولد.

(٣) فتح البارى ج/١٠/ باب رحمة الولد.

.. وكان أبوبكر - رضي الله عنه - يُقَبِّل عائشة.

.. وهكذا كانت الرحمة بالصغار صورة من صور البر بهم.. وهو طريق لا حب.. لا يضل سالكه.. ولا يهتدى تاركه.

ولكن ناساً.. جهلوا فلم يفهموا ذلك الدرس.. فكان للرسول معهم موقف لفت أنظارهم فيه إلى أهمية أن يبر الآباء أبناءهم.. وإذا كانوا يتنافسون في توفير الطعام.. غذاء لأجسامهم.. فأجدر بهم أن يجعلوا من الرحمة غذاءً لأنفسهم.

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت:

جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال:

تُقَبِّلون الصبيان؟!!.. فما نُقَبِّلهم!! فقال النبي ﷺ: «أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة»[4].

ولقد كان الدرس قاسياً.. ومن الحكمة أن يكون كذلك مع رجل مردت قبيلته على القسوة في معاملة بنيها.. وحرمانهم من حقهم المشروع في الحنان.. والذى لا يصير سوياً.. إلا به.

وفي موقف آخر يروى أبو هريرة - رضي الله عنه - قال: «قَبَّل رسول الله الحسن بن عليّ وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً:

فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد.. ما قَبَّلت منهم أحداً.

فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال:

«من لا يَرحَم.. لا يُرحَم»[5].

ولقد كان جواب رسول الله ﷺ هنا أخف لهجة من جوابه للأعرابي الآنف الذكر.

فالأقرع من الناحية الاجتماعية: زعيم قومه.. ومن الناحية النفسية: من المؤلفة قلوبهم.. فإيمانه قلق غير ثابت..

ومن أجل ذلك تلطف الرسول في رده الذي كان عاماً.. ولم يكن مباشراً.. لقد نظر إليه أولاً نظرة يفهم منها رفضه لما قال: ثم مرت فترة صمت.. جاءت بعدها الموعظة عامة.. لا تصطدم بالإحساس.. وقد استمر الأقرع مسلماً.. بل وحسن إسلامه.

في غزوة حنين

عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: قدم على النبي ﷺ سبي. فإذا امرأة من السبي تحلّب ثديها.. تسقي: إذا وجدت صبياً في السبي.. أخذته فألصقته ببطنها. وأرضعته. فقال لنا النبي ﷺ: «أترون هذه طارحة ولدها في النار؟. قلنا: لا.. وهي تقدر على ألا تطرحه.. فقال: الله أرحم بعباده من هذه بولدها»[6].

---

(٤) فتح البارى ج-١٠/ كتاب الأدب.

(٥) فتح البارى: نفس الموضع ويجوز في: يرحم: ضم الميم، أو تسكينها على إرادة الشرط.

(٦) المرجع والموضع.

كانت هذه المرأة قد فقدت صبيها، وتضررت باجتماع اللبن في ثديها.. فكانت إذا وجدت صبياً أرضعته.. ليخفف عنها..

..وفي الموقف دروس..

ومن دروس في العقيدة

١- إن كل إنسان يعلق أمره بالله وحده.

٢- وإن كل من فيه رحمة يقصد لأجلها.. فالله تعالى أرحم منه.

ومن دروس الأخلاق

إن الحياة بلا مبادئ تتحول إلى مسبعة.. إلى غابة.. والناس فيها وحوش ضارية.. أعني.. تصير حياتهم في موت غيرهم!!..

ولقد كانت قيمة الإنسانية بارزة في هذا الموقف.. الذى لم تتخذ فيه هذه الأم غرضاً.. يتلهى به.. وإنما كان هناك إشفاق عليها.. وتقدير لغريزة الأمومة فيها..

ومن الناحية التشريعية

جواز ارتكاب أخف الضررين - كما يقرر العلماء هنا لأنه ﷺ لم ينه هذه المرأة عن إرضاع الأطفال الذين أرضعتهم مع احتمال أن يكبر بعضهم فيتزوج بعض من أرضعته المرأة معه. ولكن: لما كانت حالة الإرضاع ناجزة.. وخشية الحرمية متوهمة.. جاز ذلك الإرضاع.. ولولا خشية هلاكها.. ما تركها ترضعهم.

وإذن: فلا بأس من أن ترضع الكافرة صبياً مسلماً.

بر الأبناء

ولقد كان طبعياً أن يرد الأبناء جميل آبائهم وأمهاتهم إليهم براً ووفاء..:

قال المأمون: لم أجد أحداً أبر بأبيه.. من الفضل بن يحي: كان أبوه لا يتوضأ إلا بماء ساخن.. فمنعه السجان من الوقود في ليلة باردة.. فلما أخذ يحيى مضجعه من النوم.. قام ابنه الفضل إلى إناء من نحاس مملوء بماء.. فأدناه من المصباح. حتى استيقظ والده. فتوضأ بالماء الساخن[7].

والمرأة..

على نفس الطريق

قال يحيى بن كثير:

لما قدم أبو موسى الأشعرى.. وأبو عامر.. على رسول الله ﷺ فبايعوه وأسلموا.. قال: «ما فعلت امرأة منكم تدعى كذا وكذا؟. قالوا: تركناها في أهلها. قال: «فإنه قد غُفر لها».. قالوا: بم يا رسول الله؟.. قال: ببرها والدتها.. قال: كانت لها أم عجوز كبيرة. فجاءهم النذير. أن العدو يريد أن يغير عليكم.. فجعلت تحملها على ظهرها. فإذا أعيَت. وضعتها.. ثم ألزقت بطنها ببعض أمها. وجعلت رجليها تحت رجليّ أمها من الرمضاء.. حتى نجت[8].

---

(٧) حقوق الآباء على الأبناء/ ٧٢.

(٨) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه.

من المردود..
الجامعة المانعة..

قال رجل لليث بن سعد: إن أبي ببلاد السودان. وقد كتب إليَّ أن أذهب إليه. فمنعتني أمي. فقال له الليث: أطع أباك.. ولا تعص أمك[٩].

.. ومن حكمة الرد هنا: الاحتفاظ بقيمة البر للوالدين كليهما.. فإذا كان الحق مع الوالد.. لكن ذلك لا يمنح الابن حق الجفاء في خطاب أمه.. وعليه أن يرفق بقلبها المتعلق به.. حتى يكسب رضاء الاثنين معاً.

من بر الأمهات..

عن أبي يزيد البسطامي.. قال: طلبت أمي ماء. فجئتها به.. فوجدتها نائمة.. فقمت أنتظر يقظتها.. فلما استيقظت.. قالت: أين الماء؟. فأعطيتها الكوز.. وكان قد سال الماء على إصبعي.. فجمد عليها الماء من شدة البرد.. فلما أخذت الكوز.. انسلخ جلد إصبعي.. فسال الدم.. فقالت: ما هذا؟.. فأخبرتها.. فقالت: اللهم إني راضية عنه.. فارض عنه[١٠].

حق الأم..

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله: من أحق بحسن صحابتي؟. قال: أمك.. قال: ثم من؟.. قال: أمك.. قال: ثم من؟.. قال أمك. قال: ثم من؟.. قال: ثم أبوك»[١١].

كان الصالحون يقولون: يكفي من الدعاء مع البر.. ما يكفي الطعام من الملح:

فالبر هو الأصل.. فهو دعاء السرائر، وروح الإيمان.

فإذا توفر.. فقليل من الدعاء يكفي.

إن الولد ناظر بطبيعته إلى ذريته.. إلى حياته المقبلة.. وفي غمرة هذا الاندفاع قد ينس أصله: أمه.. وأباه.

من أجل ذلك يجيء التركيز على قيمة البر.. حتى يظل الود قائماً.. تتواصل به الأجيال.

ومن هنا قال عليٌ ـ رضي الله عنه ـ محذراً من التفريط فيها: «لو علم الله ـ تعالى ـ أقل من «أف» لحرمه.. فليعمل العاق ما شاء.. فلن يدخل الجنة.. وليعمل البار ما شاء.. فلن يدخل النار».

إن الوالدين هما: جنتك.. ونارك.. فاختر لنفسك ما يحلو. وإذا كانت النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها.. فإن نصيب الوالدين من الحب أوفى.. يحملنا على ذلك أمران: الطبع.. والشرع.

وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟..

(٩) نزهة المجالس ومنتخب النفائس/ ١٩٦.

(١٠) نزهة المجالس/ ١٩٦.

(١١) البخاري: كتاب الأدب رقم/ ٥٩٧١.

الأبناء عند حسن الظن بهم..

وهذا رجل يفد إليه ﷺ يحمل هماً من هموم أمته.. متعطشاً إلى معرفة دوره إزاء الناس من حوله. فيخبره ﷺ بحق والديه عليه أولاً.. واضعاً للأم نصيبها الأوفى من الحب والاحترام.

لماذا؟..

قال ابن بطال: (في فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ١٠ / ٤٠٢):

«مقتضاه أن يكون للأم ثلاثة أمثال ما للأب من البر».

قال:

وكان ذلك: بصعوبة الحمل.. ثم الوضع.. ثم الرضاع.

فهذه تنفرد بها الأم وتشقى بها.. ثم تشارك الأب في التربية.. وقد وقعت الإشارة إلى ذلك في قوله تعالى:

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾[١٢].

فسوى بينهما في الوصاية. وخص الأم بالأمور الثلاثة.

التحذير من العقوق..

ومن العقوق أن يكون الولد سبباً في سب أبيه وأمه.

عن عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه.. قيل: يا رسول الله: وكيف يلعن الرجل والديه؟.. قال: يسب الرجل أبا الرجل، فيسب أباه ويسب أمه.. فيسب أمه»[١٣].

والحديث الشريف يقرر ما يلي:

١) حق الوالدين في التوقير.

٢) مسئولية مباشرة الذنب. والتسبب فيه.

٣) وإذا كان غير المباشر مذنباً.. فكيف بالمباشر؟!!..

٤) وإذا كان الإيذاء بالقول هكذا جُرْماً عظيماً.. فكيف إذا كان الإيذاء بالفعل؟!!..

٥) تطهير المجتمع من البذاء والجفاء.

٦) التحذير من كل ما يتهاون الناس فيه.. ويحسبونه هيناً، وهو عند الله عظيم.

وكانت الأمهات جديرات بهذا التكريم..

والتاريخ خير شاهد

أ) قال ابن السماك:

كان رجل يجلس إليّ.. فبلغني أنه نزل به الموت.. وإذا أم عجوز.. كبيرة.. فجعلت تنظر إليه حتى غمض.. وعصب.. وسجي.. فقالت: «رحمك الله يا بني..

(١٢) لقمان (١٤).

(١٣) فتح الباري ج-١٠/ ٥٩٧٣.

لقد كنت بنا باراً.. وعلينا شغوفاً.. رزقنا الله عليك الصبر.. فقد كنت تطيل القيام.. وتكثر الصيام.. فلا حرمك الله ما أمّلت من رحمته.. وأحسن عنك العزاء..

ثم نظرت إليّ وقالت: «لو بقي أحد.. لبقي رسول الله ﷺ لأمته»(١٤).

روى أن رجلاً قال: يا رسول الله: إن أمي هرمت عندي:

فإني أطعمها بيدي. وأسقيها بيدي. وأضعها وأحملها على عاتقي. هل جازيتها حقها؟.

قال: «لا.. ولا واحداً من مائة» قال: ولم يا رسول الله؟..

قال: «لأنها خدمتك في وقت ضعفك.. مُريدةً حياتك.. وأنت تخدمها.. مُريداً موتها. ولكنك قد أحسنت»(١٥).

الأم..
تدافع عن حقها المهضوم

تخاصم أبو الأسود الدؤلي إلى امرأته أمام القاضي.. على غلامهما: أيهما أحق بحضانته؟.. فقالت المرأة: أنا أحق به:

لأنني حملته تسعة أشهر.. ثم وضعته.. ثم أرضعته، إلى أن ترعرع بين أحضاني.. كما تراه مراهقاً.

فقال أبو الأسود: أيها القاضي: حملته، قبل أن تحمله. ووضعته، قبل أن تضعه.. فإن كان لها بعض الحق فيه فلي الحق كله أو جله.

فقال القاضي:

أجيبي أيتها المرأة عن دفاع زوجك..

فقالت: لئن حمله خفاً، فقد حملته ثقلاً.. ولئن وضعه شهوة.. فقد وضعته كرهاً..

فنظر القاضي إلى أبي الأسود وقال له:

«ادفع إلى المرأة غلامها.. ودعني من سجعك»(١٦).

قيمة البر..
في ذرية الفاروق

عن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما أن رجلاً من الأعراب لقيه بطريق مكة، فسلم عليه ابن عمر، وحمله على حمار كان يركبه، وأعطاه عمامة كانت على رأسه.

فقال ابن دينار: فقلنا له: أصلحك الله: إنهم الأعراب.. وهم يرضون باليسير.

فقال ابن عمر: إن أبا هذا كان وداً لعمر ابن الخطاب.. وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إن أبر البر: صلة الولد أهل ود أبيه».

(١٤) حقوق الآباء/ ٧١.

(١٥) شرح شريعة الإسلام/ ٤٧٤.

(١٦) حقوق الآباء على الأبناء.. طه عفيفي/ ٣٩.

ومن بعده كان سالم بن عبدالله باراً بوالده، فكان أحياناً يروى عن أبيه ويقول: كان «عبدالله بن عمر»، لم يقل «أبي».. لأن ذلك هضم لحقه.. فلم يكن عبدالله مجرد «رب أسرة» محدود المسئولية..

ولكنه كان شخصية عالمية.. يتحدث عنها ولده سالم بما يفيد أنه لم يعد والداً له.. وإنما هو ملك للناس جميعاً!.

ويبقى حق الوالد محفوظاً

شكا رجل أباه إلى النبي ﷺ وقال له:

إنه أخذ مالي.

فاستدعاه النبي ﷺ..

فإذا هو شيخ يتوكأ على عصاه.. يخاطب نفسه بكلام غير مسموع.

فنزل جبريل على النبي ﷺ يأمره أن يسأل الرجل عما حدثته به نفسه، قبل أن ينظر في شكوى ابنه.

فلما سأله.. قال الرجل:

والله لا يزيدنا الله بك إلا إيماناً وتصديقاً.

لقد قلت أناجي ابني:

غذوتك مولوداً وعُلتك يافعاً ... تُعل بما أجني عليك وتنهل

إذا ليلة ضافتك بالسُقم لم أبت ... لسقمك إلا ساهراً أتململ

كأني أنا المطروح دونك بالذي ... طرقت به دوني.. فعيني تهمُل

تخاف الردى نفسي عليك وإنها ... لتعلم أن الموت وقت مؤجل

فلما بلغت السن والغاية التي ... إليها مدى ما كنت فيك أؤمل

جعلت جزائي غلظة وفظاظة ... كأنك أنت المنعم المتفضل

فليتك إذ لم ترع حق أبوتي ... فعلت كما الجار المجاور يفعل

فأوليتني حق الجوار ولم تكن ... عليّ بمال دون مالك تبخل

فلما سمع النبي ﷺ قوله، اغرورقت عيناه بالدموع.. وقال الرجل مستطرداً:

إن ابني كان ضعيفاً.. وأنا قوي.. وفقيراً.. وأنا غني.. فكنت لا أمنعه شيئاً من مالي.. واليوم: أصبحت ضعيفاً.. وهو قوي.. وفقيراً.. وهو غني.. ويبخل على بماله.

فبكى النبي ﷺ وقال:

«ما من حجر، ولا مدر، يسمع هذا، إلا بكى.. والتفت إلى الولد وقال: «أنت ومالك لأبيك»(١٧).

(١٧) أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ١٢٠٠. ورواه ابن ماجة بلفظ قريب ٢/ ٧٦٩. نيل الأوطار ٦/ ١٤.

كشف الأستار عن حديثين من أحاديث الأذكار

للأستاذ / محمد سلطان جاد

من المقرر عند أهل العلم بالحديث أن أئمة الجرح والتعديل قد يختلفون في حكمهم على الرواة فيزكي بعضهم راويا ويعدّله نفسه آخرون، وذلك لأن الجرح والتعديل أمر اجتهادي تختلف فيه الأنظار، وقد يعلم الجرِّح ما لم يعلمه المعدِّل من أمور تقتضي الجرح، وقد يجرح بما ليس بجارح، وقد يطلع المعدِّل على حقيقة أمر الراوي، وأن الطعن فيه ناشئ عن عصبية أو اشتباه والتباس أو غير ذلك مما ليس بجارح، وهكذا.

لذلك يحتاج الناظر في كتب الرجال إلى بصيرة ناقدة وإنصاف وتجرد وتحرٍّ دؤوب في البحث عن الحق الذي يظهر له، وأن يضع الأمور في نصابها فلا يجعل الظني المختلف فيه قطعيا ولا يجعل القطعي ظنيا.

وإذا كان الأمر في حديث ما راجعا إلى متابعة أهل الاختصاص وتقليدهم، فمَنْ رأى متابعة إمام من أهل الاختصاص مدعوما بالحجة والبرهان الذي ظهر له فلا ينبغي لغيره أن يثرِّب عليه أو يعنِّف بل يذكر ما ظهر له مؤيدا بحجته.

إذا علمنا ذلك فمن الخيانة العلمية أن يخفي الباحث في حال راوٍ من الرواة ويظهر جرح من جرحه فقط، ولقد وقع في هذه السقطة أحد كتاب مجلة التوحيد في عدد جمادى الآخرة - ١٤٢٤ - في باب صحح أحاديثك فحكم على الحديثين اللذين ذكرهما الشيخ الطاهر الحامدي - حفظه الله - في مقاله في (مجلة الأزهر الصادرة في شهر جمادى الأولى من هذه السنة) بالضعف والنكارة وذكر أقوال من جرح بعض رواتهما وسكت عما قيل فيهم من توثيق وعن تصحيح من صحح الحديثين أو حسنهما.

وإلى طالب الحق المسترشد بيان حال الحديثين ونبدأ بالحديث الأول وهو «أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون».

أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣ / ٦٨) والحاكم في المستدرك (١ / ٤٤٩) وصححه وسكت عليه الذهبي، وابن حبان (٢ / ١٠٢ الإحسان)، وأبويعلى (٢ / ٥٢١ح ١٣٧٦) والبيهقي في الشعب (٢ / ٤٢٢) وابن السني في اليوم والليلة رقم (٤).

قلت (ومدار الحديث عند الجميع على دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري).

قال الأستاذ الكاتب غفر الله له: (وعلّته دراج أبو السمح أورده الإمام الذهبي في ميزان الاعتدال (٢ / ٢٤ / ٢٦٦٧) قال: دراج أبو السمح صاحب أبي الهيثم العتواري.

١- قال أحمد: أحاديثه مناكير.

٢- وقال ابن يونس: كان يقص بمصر.

٣- وقال الرازي: ما هو ثقة ولا كرامة.

٤- وقال الدار قطني: ضعيف، وقال مرة: متروك.

٥- وقال النسائي: منكر الحديث - قلت - أي الأستاذ عليّ - وأورد له الإمام الذهبي هذا الحديث وجعله من مناكيره) انتهى بنصه.

أقول للكاتب: أتيت بكل جرْح ذُكر في الرجل فلماذا لم تأت بمن عدّله ووثقه؟! وأراك اعتمدت على ميزان الذهبي فقط فهلا نظرت في كتب أهل العلم بالجرح والتعديل الباقين، أم أنك ترى أن كتابا واحداً يغني في مثل هذه المسائل؟!!

أخي البصير طالب الحق إليك حال دراج.

لقد وثق دراجا غير واحد من الأئمة منهم:

١- إمام أهل الجرح والتعديل وأعلم الرجال بحال الرجال - كما قال أحمد بن حنبل - الأمام يحيى بن معين قال يحيى: دراج أبو السمح ثقة، ومرة سُئل فقال: ليس به بأس (في تاريخه ٢ / ١٥٥ رواية عباس الدوري) والمزي في التهذيب (٨ / ٤٧٨) وابن حجر في تهذيبه (٣ / ٣٠).

٢- ووثقه عثمان بن سعيد الدارمي في تاريخه (رقم ٣١٥).

٣- ووثقه ابن شاهين في الثقات ترجمة (٣٤٩).

٤- وذكره ابن حبان في الثقات كذا قال ابن حجر (٣ / ٣٠ تهذيبه) قلت فالتحقيق يدل على أن دراجا ضعفه جماعة ووثقه آخرون، وهذا ما أشعر به لفظ الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٧٥) حيث قال: (وفيه دراج ضعفه جماعة) والمفهوم يعني (ووثقه آخرون).

قلت فدراج بهذه الكيفية يتأرجح بين التجريح والتعديل أو التضعيف والتوثيق، لكن رجح الإمام ابن حجر في التقريب هذه الحالة فقال (صدوق) (١ / ٢٣٥) ثم قال «في حديثه عن أبي الهيثم ضعف».

قلت: في قوله (في حديثه عن أبي الهيثم ضعف) نظر لعدة أمور تظهر بالتحقيق والتدليل.

١- أن ابن شاهين في الثقات (ترجمة ٣٤٩) قال: سألت يحيى بن معين عن حديث دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري فقال: ما كان هكذا بهذا الإسناد فليس به بأس دراج ثقة وأبو الهيثم ثقة.

٢- الإمام الترمذي - رحمه الله - يحسن هذا الإسناد دائماً في سننه مثل (٢٠٣٣، ٢٢٧٤، ٢٥٣٢، ٢٥٤٠، ٢٥٨١، ٣٠٩٢، .... إلخ).

٣- سكوت أبي داود - رحمه الله - عن هذا الإسناد في سننه غالباً، وهذا يعرفه من سبر سننه.

قلت: قال المحدث الكبير الشيخ أحمد شاكر (وما كان من الدرجة الرابعة (يعني صدوق) فحديثه صحيح من الدرجة الثانية وهو الذي يحسنه الترمذي، ويسكت عليه أبوداود) الباعث (ص٨٩).

٤- رجوع الإمام ابن حجر نفسه عن هذه اللفظة، وحسن هذا الإسناد في أماليه على الأذكار (فيض القدير ٢/ ٨٥).

فعلى هذا الإسناد حسن، حسنه بعض الأئمة.

وإليك بعض من صحح أو حسن إسناده منهم:

١- الإمام الحاكم في المستدرك صححه (١/ ٤٤٩) وسكت عليه الذهبي (وكذلك يسكت عن جميع الأسانيد التي فيها دراج عن أبي الهيثم).

٢- صححه السيوطي في الجامع الصغير (٢/ ٨٥ من الفيض).

٣- حسنه الإمام ابن حجر في أماليه على الأذكار.

٤- حسنه المناوي في الفيض (٢/ ٨٥).

٥- والشوكاني في تحفة الذاكرين (٣٢).

٦- العلامة عبدالحي اللكنوي في سباحة الفكر في الجهر بالذكر.

٧- العلامة أحمد بن الصديق في المداوي (٢/ ١٦٣).

٨- العلامة عبدالله بن الصديق في تعليقه على رسالة السيوطي (نتيجة الفكر في الجهر بالذكر).

قلت: وله شواهد عند الطبراني وأبي نعيم عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: (اذكروا الله ذكراً كثيراً حتى يقول المنافقون إنكم تراءون) قلت: فيه الحسن بن أبي جعفر وهو ضعيف.

● وله شاهد آخر مرسلا عند سعيد بن منصور، والإمام أحمد في الزهد، والبيهقي في الشعب أرسله أبوالجوزاء بنحو السابق لكنه مضعف أيضاً.

● وهاك فيهما معنى الجنون في الذكر كيف يكون؟

الأول ما ذكره الإمام ابن كثير في تفسيره (٥/ ١٥٩) قال: «أخرج عبدالرزاق أخبرنا معمر بن راشد عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبدالرحمن قال: جلس رسول الله ﷺ ذات يوم فأخذ عودا يابسا فحط ورقه ثم قال إن قول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله لتحط الخطايا كما تحط ورقة هذه الشجرة الريحُ خذهن يا أبا الدرداء قبل أن يحال بينك وبينهن هن الباقيات الصالحات وهن من كنوز الجنة. قال أبوسلمة فكان أبوالدرداء إذا ذكر هذا الحديث قال لأهللن الله ولأكبرن الله ولأحمدن الله حتى إذا رآني الجاهل حسب أني مجنون» أ.هـ ثم في كلام ابن كثير على الإسناد فائدة فلا تفوتنك هناك.

الثاني: ما ذكره الإمام ابن القيم في الوابل الصيب ص٦٦ (قال: وأتى رجل أبا مسلم الخولاني، فقال: أوصني يا أبا مسلم قال: اذكر الله تحت كل شجرة ومدرة، فقال زدني فقال: اذكر الله - تعالى - حتى يحسبك الناس من ذكر الله مجنونا) قال ابن القيم - رحمه الله: (وكان أبومسلم يكثر ذكر الله فرآه رجل وهو يذكر الله فقال: أمجنون صاحبكم هذا؟ فسمعه أبومسلم فقال: ليس هذا بالجنون يا ابن أخي ولكن هذا ذو الحنون) بالحاء المهملة.

ولعل فيما ذكرته في الحديث الأول كفاية لمن أراد الحق والإنصاف.

الكلام عن الحديث الثاني وهو «سبق المفردون، قالوا: وما المفردون يا رسول؟ قال المستهترون بذكر الله، يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافا».

أخرجه بهذا اللفظ الإمام الترمذي (٥/ ٤٧ ح ٣٥٩٦) وقال حسن غريب والبيهقي في الشعب (٢/ ٥٠٣ ح ٥٠٧)، والبخاري في تاريخه (٨/ ٤٤٨ ترجمة ٣٦٥١) وذكره ابن عدي في الكامل والذهبي في ميزان الاعتدال (٣/ ١٩٣/ ٦١٠١).

من طريق عمر بن راشد عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً.

قال الكاتب غفر الله له - أورده أيضا الذهبي في ميزان الاعتدال (٣/ ١٩٣/ ٦١٠١) وقال عمر بن راشد اليمامي عن يحيى بن أبي كثير ضعفوه، ثم ذكر من جرح عمر بن راشد من العلماء ثم قال: وأورد له الذهبي هذا الحديث وجعله من مناكيره.

أقول للكاتب: مالك منزعج منكر للفظة الاستهتار في الذكر وكيف تكون تعريفا للفظة «المفردون» فهو يقول بعد أن ساق حديث مسلم قال: أنظر إلى الصحيح في مطلق الذكر لتعريف المفردون، وانظر إلى الحديث المنكر في تعريف المفردون بأنهم المستهترون «أي الذي يستهتر بهم الناس لكثرة ذكرهم لله تعالى» أ.هـ

وأيضا هناك طرق لهذا الحديث فسرت المفردون «بالمستهترين» وهاكها:

١- أخرج الإمام أحمد في المسند (٢ / ٣٢٣، ٤١١) ولفظه «سبق المفردون. قالوا وما المفردون؟ قال الذين يهترون في ذكر الله» إسناده صحيح صححه الشيخ أحمد شاكر وإسناده هو (حدثنا عبدالله حدثني إلى حدثنا أبوعامر، حدثنا علي بن المبارك، عن يحيى بن أبي كثير، عن ابن يعقوب، قال: سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ .... الحديث).

٢- وأخرجه الإمام الحاكم في المستدرك (١ / ٦٧٣ رقم ١٨٢٣) (إلا أنه قال من رواية عباس الدوري عن أبي عامر .. إلخ) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي.

٣- أخرجه البيهقي في الحديث رقم (٥٠٥) وصححه.

٤- أخرجه البخاري في التاريخ (٨ / ٤٤٨ ترجمة ٣٦٥١) وصححه.

فبان بذلك صحة تفسير «المفردون» «بالمستهترين».

وإليك شاهد من حديث معاذ - رضي الله عنه - قال الحافظ بن رجب - رحمه الله - في جامع العلوم والحكم ص ٥٤٣ الحديث الخمسون (وروى موسى بن عبيدة عن أبي عبدالله القراظ عن معاذ بن جبل قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ نسير بالقريب من جمدان إذ استنبه فقال: يا معاذ أين السابقون؟ فقلت: قد مضوا وتخلف أناس، فقال: يا معاذ إن السابقين الذين يستهترون بذكر الله) أخرجه جعفر الفريابي انتهى كلام ابن رجب.

وإليك شاهد من حديثي أبي الدرداء وكذلك متابعات لرواية عمر بن راشد.

قال العلامة المحدث الكبير الشيخ أحمد بن الصديق في المداوي لعلل المناوي (٤ / ٢٠٥).

«قال المناوي في الكبير: قال الحاكم على شرطهما وأقره الذهبي، وقال الهيثمي رواه الطبراني عن شيخه عبدالله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم، وهو ضعيف.

قلت - أي ابن الصديق - ذكره لتصحيح الحاكم عقب حديث أبي الدرداء بوهم أنه صحيح حديث أبي الدرداء والواقع أنه لم يخرجه[1]، ونقله[2] كلام النور الهيثمي في حديث أبي الدرداء وإقراره عليه غير جيد فإن الهيثمي إنما يتكلم على الطريق إلى أمامه، وعبدالله شيخ الطبراني لم ينفرد به بل ورد من غير طريقه فأخرجه[3] ابن شاهين في الترغيب قال: حدثنا عبدالله بن محمد بن زياد النيسابوري، حدثنا محمد بن أشرس، حدثنا إبراهيم بن رستم، حدثنا عمر بن راشد عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي الدرداء به ثم قال ابن شاهين هكذا قال إبراهيم بن رستم في الحديث عن أبي الدرداء وهو عندي وهم والصواب عن أبي هريرة»: قلت - أي ابن

١- أي الحاكم.

٢- أي المناوي.

٣- من هنا تبدأ المتابعات والكلام السابق كان لبيان وجود شاهد من حديثي أبي الدرداء.

الصديق - ذلك ليس وهما من إبراهيم بن رستم وإنما هو اختلاف من عمر بن راشد أو من يحيى بن أبي كثير فقد تابع إبراهيم بن رستم على قوله عن أبي الدرداء محمد بن يوسف الفريابي كما ذكره شيخ الإسلام الهروي في منازل السائرين فقال رواه محمد بن يوسف الفريابي عن عمر بن راشد عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي الدرداء مرفوعا، والحديث إنما هو لأبي هريرة وخالف إبراهيم بن رستم والفريابي أبومعاوية ومحمد بن بشر فروياه عن عمر بن راشد عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة.

أما رواية أبي معاوية فرواه الترمذي (٣٥٩٦) وقال الترمذي حسن غريب.

وأما رواية محمد بن بشر فقال الهروي في منازل السائرين أخبرنا الحسين بن محمد الفرانقي أخبرنا محمد بن أحمد بن حسنويه أخبرنا الحسين بن إدريس الأنصاري أخبرنا عثمان بن أبي شيبة أخبرنا محمد بن بشر هو العبدي عن عمر بن راشد، ثم قال الهروي هذا حديث حسن لم يروه عن يحيى بن أبي كثير إلا عمر بن راشد اليمامي.

قلت - أي ابن الصديق - وليس كذلك بل رواه عنه علي بن المبارك لكنه قال عن عبدالرحمن بن يعقوب عن أبي هريرة. أ.هـ من المداوي (٤ / ٢٠٥).

قلت: فبهذه الشواهد والمتابعات والروايات الصحيحة لتفسير «المفردون» يحسن حديث عمر بن راشد.

فالحديث حسن بشواهده ومتابعاته.

أما مفهوم الشيخ الطاهر (حفظه الله) من الحديثين وهو قوله (ولا تزعجك كلمة المستهترين فالذي أفهمه منها في ضوء الحديث قبله «حتى يقولوا مجنون» أنها تعني الذي لا يبالي بهيئة رضي الناس عنها أم سخطوا» وإنكار الكاتب عليه في ذلك فأقول له ولطالب الحق: راجع هذا المفهوم وأكثر منه أعني (الولوع بالذكر حتى يستهين به الناس):

١- الإمام ابن رجب في كتابه جامع العلوم والحكم، الحديث الخمسون.

٢- ابن القيم في كتابه الوابل الصيب (٦٦).

٣- الإمام المناوي في فيض القدير (٤ / ٩٣).

٤- العلامة المباركفوري في تحفة الأحوذي (١٠ / ٤٠).

٦- العلامة أحمد البنا الساعاتي في شرح مسند أحمد (١٤ / ٢٥٤).

٧- الشوكاني في تحفة الذاكرين ص٣١، ٣٢.

٨- الإمام الدمياطي في المتجر الرابح ص٤٠٩.

٩- الإمام المنذري في الترغيب (٢ / ٣٩٩).

١٠- الإمام المرتضى الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧ / ٢٥٣) وغيرهم كثير.

والله من وراء القصد

حوارات حول مؤتمر الثقافة المنعقد في القاهرة ١ - ٣ يوليو ٢٠٠٣

التأثر والتأثير فى دنيا الثقافة

للأستاذ الدكتور / عبدالمنعم يونس (*)

٢

الحمد لله رب العالمين، وسلام على عباده الذين اصطفى - وبعد:

فإن الذى يتتبع مادة الثقافة يجد أنها تعنى التقويم والتهذيب والتعلُّم، وتعنى كل معنى يصل بالإنسان إلي طلب المعرفة، والوقوف على ما أفرزته العقول البشرية السابقة، ولذا ينبغى على من يتسم بهذه السمة أن يتمثل ذلك الرحيق الذى نتج عن السابقين، وأن يعيد إخراجه شرابا مختلفا ألوانه فيه شفاء للناس.

ولا يستطيع عاقل، حتى الرسل والأنبياء أن يدعى لنفسه المعرفة والثقافة دون أن يقف على تلك الجهود التى بذلها السابقون، وأسهموا بها فى مسيرة الحياة الإنسانية؛ لذا فإن القرآن الكريم قص علينا تاريخ الأنبياء، وأبان لنا أن هؤلاء الرسل؛ حتى لا يكون لأحد فضل عليهم تولى الله - سبحانه وتعالى - تعليمهم وتهذيبهم قال تعالى فى شأن آدم عليه السلام:

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (البقرة ٣١ - ٣٢)

وقال الله - تعالى - فى شأن الرسول محمد ﷺ ..

﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (النساء ١١٣)

(*) الأستاذ بكلية اللغة العربية، جامعة الأزهر بالمنوفية، ورئيس جمعية رابطة الأدب الإسلامى بالقاهرة

فلا يستطيع إنسان أن يدعى لنفسه المعرفة دون أن يقف على تلك الجهود التى بذلها السابقون وأسهموا بها فى مسيرة الحياة الإنسانية؛ حتى وإن كانت تلك الجهود لا تتفق وما نريد اليوم صنعه، فى مسيرتنا الثقافية؛ لكنها لابد أن تسهم فى تكوين عقولنا وأفكارنا، ثم نحاول أن ننطلق منها إلى أداء دورنا فى نهضتنا وتقدمنا.

وهل يجرؤ مفكر أن ينطلق من فراغ أو أن يؤسس لنفسه نظرية ثقافية دون الرجوع إلى من سبقه من الباحثين والمنظرين، إن الإنسان من شأنه أن يطلب العلم من مصدر سابق، سواء كان ذلك المصدر وحياً يوحى كما حدث فى حياة الرسل والأنبياء، أم كان نتيجة خبرات قوم آخرين رصدوا تجاربهم وعلومهم لمنفعة البشرية.

إن الإنسان العاقل هو الذى يبدأ من حيث انتهى الآخرون؛ لأن عصر الرسالات قد انتهى، ومهما يكن من أمر فقد وصلت إلينا أفكارنا من مصدر أياً كان لون هذا المصدر، ويحضرنى مثال أراه جديرا بالتفكير، فقد خرج يوما الشنفرى الأزدى على عادات قومه، ورفض قانونهم الظالم - فى نظره، وذهب إلى الغابة يحيا كما تحيا سائر الحيوانات، فماذا كانت النتيجة؟ إنها النتيجة التى ذكرها فى قصيدته الرائعة «لامية العرب»:

أقيموا بنى أمى صدور مطيكم
فإنى إلى قوم سواكم لأميل

حتى يقول:

ولى دونكم أهلون سيد عملس
وأرقط زهلول، وعرفاء جيأل

هم الأهل لا مستودع الرذائع
لديهم ولا الجانى بما جر يخذل

ثم يقول:

وكل أبى باسل غير أننى
إذا عرضت أولى الطرائد أبسل

لقد عاشر الشنفرى سائر الحيوانات، الذئب الذى أشار إليه بقوله «سيد عملس»، والنمر الذى أشار إليه بقوله «أرقط زهلول»، والضبع المشار إليها بقوله «عرفاء جيأل»، هؤلاء هم أهله لا يذيعون له سرا، ولا يخذلونه إن طلب نصرتهم لكنه تفوق عليهم بأنه كان أبسل منهم إن عرضت لهم طريدة، ولم ينس الشنفرى أن يكتب لنفسه صفة لا توجد فى هذه الحيوانات فقال:

وإن مُدَّتْ الأيدى إلى الزاد لم أكن
بأعجلهم إذ أجْشعُ القوم أعجلُ

فالإنسان الذى يخالط الحيوانات، أو الذى يعيش فى غابة بعيدا عن الناس لا يستطيع أن يصنع لنفسه حضارة، أو يشكل لنفسه نظرية حضارية يسير عليها غيره من البشر، وإنما سيحيا كما تحيا سائر الحيوانات فى الغابات.

وهكذا يكون شأن الإنسان - اليوم - الذى يريد أن يتخلى عن كل الجهود التى قام

بها السابقون وعكف عليها العلماء والمفكرون، وتركوها لنا نعيش تحت ظلها الظليل، وننعم بفكرهم، فهم لا يريدون منا جزاء ولا شكورا، جزاهم الله عنا وعن العلم خير الجزاء.

لقد عرضت لي كثير من المعاني وأنا أقرأ بحثا لباحث اسمه جمال البنا قدمه إلى مؤتمر الثقافة بعنوان «الثقافة العربية، وتجديد الخطاب الإسلامي»، يقول في الحديث عن هذه الثقافة «ولهذه الثقافة وجدان تعبر به عن دور كبير في الحضارة الإنسانية. هذا الوجدان هو الإسلام الذي عندما حملته الثقافة إلى الشعوب فإنه أحياها من العدم، وأنهضها من النكر، ووضع في يدها الكتاب والميزان، وزودها بقيم العدل والخير والحب والسلام، وكان تجويد القرآن هو أساس الموسيقى العربية» (السطر الأخير من الصفحة الأولى من البحث).

إنني أقول لهذا الباحث: هل القرآن الكريم وصل عندك إلى درجة تجعل تجويده أساس الموسيقى العربية؟ أليس للقرآن الكريم وتجويده دور في حياتك يجعلك تقدره قدره، أو حتى تقول كما قال المشركون إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة؟ ألم يغير القرآن الكريم عادات، وتقاليد كان يدين بها العرب؟ ألم يخرجهم من الظلمات إلى النور؟ ألم يجعل العرب خير أمة أخرجت للناس؟ألم يجعل القرآن الكريم اللغة العربية من اللغات التي تنتشر في شتى بلاد المعمورة؟ فهي اللغة التي يحاول تعلمها كل من اعتنق الإسلام، وآمن برسوله محمد ﷺ.

ثم يقول الباحث في فقرة تالية «ذلك لأن القرآن الكريم في حقيقة الحال هو أعظم وأسمى وثيقة فنية ظهرت في العالم حتى الآن».. ثم يقول «وأخيرا فإن لهذه الثقافة «مناخ» يكتبها هكذا - صاحبها في أيامها الأولى هو «الحرية».. ويتحدث الباحث عن قضية حروف العلة وقضية الشكل الذي تناوله الباحثون القدامى، وضبطوا به القرآن الكريم، وأسهموا بدور رائد في ذلك، وكان هذه القضية في نظره من بنات أفكاره، وأخيرا يختم كلامه عن هذه الجزئية بقوله «أصبحنا اليوم تجابه بتحدى نشرى» ففي صفحة واحدة هي الصفحة الثانية من البحث يخطىء الباحث خطأين، في السطر الثالث لم ينصب اسم إن في قوله: «فإن لهذه الثقافة «مناخ»، وفي السطر التاسع من أسفل الصفحة يقول: «أصبحنا اليوم تجابه بتحدى نشرى، وكأنه لم يعلم أن كلمة التحدى يجب حذف يائها إذا لم تكن مقترنة بالألف واللام، وكانت مرفوعة، أو مجرورة، أما إذا كانت منصوبة فإن الياء تعود إليها، وتنصب بالفتحة خفتها، وهناك خطأ ثالث في نفس الصفحة هو قوله: «إن هذا يتحقق في نظرنا لو التزمنا بثلاث، واطرحنا، ثلاث، ويكتبها هكذا وكأنه لم يدر أنها مفعول به تكتب «ثلاثا» لا «ثلاث».

ونأتي إلى ثالثة الأثافي كما يقولون ذلك

إنه يقول «أما الثلاث التي يكون علينا أن نطرحها؛ حتى لو عز علينا؛ أو حز في نفوسنا، فهي تفسير المفسرين للقرآن الكريم بدءا من ابن عباس حتى سيد قطب، فليست هذه التفاسير إلا إسقاطا بشريا على النص المعجز المقدس، وهو أمر يكاد أن يكون شركا.. فضلا عما وضعه المفسرون مما أطلقوا عليه علوم القرآن من نسخ أو أسباب نزول، أو إيضاح المبهمات.. الخ. وهذا كله افتيات صريح على القرآن لوث نقاءه، وبقع إعجازه، وأقحم معاني وقيم تخالف قيم القرآن نفسه وهو يكتب أيضا كلمة قيم الأولى كما هي واضحة أمامك، وكأنه لا يدري أنها معطوفة على المفعول لابد من نصبها كما ينصب المفعول وهي معاني، أو لعله نظر إلى أن معاني مادامت هكذا فإن ما بعدها لا ينصب».

إنني أقف مع هذا الأمر الذي يريد حذفه، وهناك أمران آخران هما جهود المحدثين، وجهود أئمة الفقه أتركهما إلى موضوع لاحق، إنه يريد حذف كل جهود المفسرين من لدن عبدالله بن عباس وحتى سيد قطب فكل جهود المفسرين تكاد أن تكون شركا، لماذا لأنها إسقاطات بشرية على النص المعجز، وأنا أتساءل هل قال أحد من المفسرين إن كلامهم مقدس، أو أنه يضاف إلى كتاب الله العزيز، لقد اجتهد هؤلاء المفسرون في خدمة القرآن الكريم بعد أن تزودوا بالزاد الذي يجعلهم أهلاً لذلك، فلم يرفعوا المنصوب، أو ينصبوا المرفوع كما صنع عالمنا النحرير الذي يريد الدخول إلى القرآن الكريم دون نظر في تلك الجهود التي قام بها المفسرون.

وهو يريد أيضا أن يحذف كل الدراسات القرآنية التي قام بها العلماء من أسباب نزول، أو من نسخ أو إيضاح مبهمات، ولم يدر أن الذين قاموا بذلك كانوا معاصرين لرسول الله ﷺ من أمثال عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - الذي كان يقول: «ما من آية في القرآن الكريم إلا وأنا أعلم متى نزلت، وأين نزلت وفيم نزلت» هب أننا تجاوزنا قول عبدالله بن مسعود متى نزلت وأين نزلت، هل كنا سنعلم فيم نزلت لولا تلك الجهود التي قام بها عبدالله بن مسعود وغيره من أولئك الذين أدوا دورهم في خدمة كتاب الله، وهل كنا سنعلم المحكم والمتشابه الذي أشار إليه القرآن الكريم نفسه في قوله - تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

(آل عمران ٧)

لقد كتب علماؤنا فى أسباب النزول، وفى أوجه إعجاز القرآن الكريم، وفى المحكم والمتشابه، وفى المكى والمدنى وفى الناسخ والمنسوخ، وفى كثير من الأخبار التى استقوها من رسول الله ﷺ وقدموا لنا هذه الدراسات موثقة من المصدر الأول وهو رسول الله ﷺ أفبعد هذا كله نقول إن هذه الدراسات نطرحها، بل إنها فى نظر الباحث تعد شركا لوث نقاء القرآن الكريم؟ سامحك الله!!

إننا إن وافقنا هذا الباحث على ما كتبه فمن أين لنا أن نستنبط الأحكام الفقهية التى أشار إليها القرآن الكريم مجملة؟ ومن أين لنا أن نعلم شيئا عن النفاق والمنافقين، وعن كثير من القضايا التى لمسها القرآن الكريم، وحدثنا صحابة رسول الله ﷺ عن أسباب نزولها؟ علينا إذن أن نجعل التاريخ يعود أدراجه، وأن نعاصر هؤلاء الصحابة الذين عاصروا رسول الله ﷺ وكانوا ملاصقين له؟.

هل نحن قادرون بعد خمسة عشر قرنا أن نفهم بعض الكلمات التى وردت فى القرآن الكريم دون الرجوع إلى فهم هؤلاء الصحابة؟ إذا كان سيدنا عبدالله بن عباس يقول: «ما فهمت كلمة، «فاطر» فى قوله تعالى:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ ﴾

(فاطر ١)

حتى رأيت رجلين يختصمان فى بئر يقول أحدهما للآخر «بئرى أنا فطرتها» أى أوجدتها، أو يقول: مافهمت كلمة «يحور» فى قوله تعالى:

﴿ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴾ (الانشقاق ١٤)

حتى سمعت طفلة تقول لأختها «حورى» أى ارجعى ففهمت أن الله يقول للعبد: إنه ظن أن لن يرجع إلينا مرة أخرى (أنظر فى ذلك كتب الإعجاز للباقلانى والجرجانى، والسيوطى فى أسباب النزول، وكتاب معترك الأقران فى إعجاز القرآن).

إذا كان بعض من يدعى الثقافة، أو من يريد أن يطرح كل هذه الجهود ولا يستطيع أن يقيم جملة أو يخطىء فى بعض الكلمات، ولايستطيع فهمها إعرابا ولغة هل يستطيع أن يستنبط أحكاما فقهية من القرآن الكريم مباشرة؟ وأن يجعل الأمة تسير على نهجه المقترح؟ لعل هذا الباحث يريد أحكاما تسير وفق ما يطلبه منا الغاضبون؟ حتى يجدوا لهم مرجعا يرجعون إليه، حتى يعمُوا على الناس ما يريدون القيام به من هدم الإسلام، وتقويض أركانه.

إن الأمة الإسلامية أمة غنية بتراثها الذى كان سبباً فى نشر العلم والمعرفة فى جميع الأمم المحيطة به ولن تستطيع قوة مهما بلغت أن تقتلعها من جذورها، ولن يستطيع أحد أن يبعدها عن ماضيها، أو يعبث به كما يشاء، وكما قيل من لا تليد له لا جديد له، والشجرة التى تتخلى عن جذورها محكوم عليها بالموت.

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾

النحل: ١٢٥

التطرف وموقف الإسلام منه

لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف
رئيس لجنة الحوار بالأزهر الشريف

تمر على الإنسانية أزمان يسود فيها الهدوء والاستقرار، وينعم البشر فيها بالأمن والأمان والاطمئنان، وفى تلك الأزمان تزدهر الحياة فى أحوالها المختلفة، وفى جميع مجالاتها المتعددة، لأن كل إنسان يجد سعادته فى اطمئنانه الأمنى والنفسى والاجتماعى، وهذا الاطمئنان ييسر للإنسان كل عسير، ويسهل له كل صعب، ويجعله محتفظا بقواه العقلية والنفسية والجسدية فينشط للعمل والإنتاج، ويؤدى واجباته الفردية والأسرية والاجتماعية والوطنية والإنسانية على خير منوال، راضى النفس، هادىء البال، متعاونا مع من حوله، آمنا على نفسه وماله وعرضه.

كما تمر على الإنسانية أزمان أخرى يتبدل الحال فيها من حال إلى حال، حيث تنتشر القلاقل والاضطرابات، ويسود التطرف والإرهاب، فيعم القلق والفزع، والخوف وعدم الأمان، ويفتقد الإنسان الهدوء والاستقرار والاطمئنان، فيصبح الإنسان شارد الفكر، مبلبل الخاطر، قلق النفس، متوتر الأعصاب، وينعكس ذلك على عمله فيقل الإنتاج، ويهبط مستوى الأداء، كما ينعكس على مجتمعه فينتشر

الفساد والكساد، وتنعدم الثقة بين الجميع، فتنفتح أبواب الشر، وتتقطع أوصال المجتمع.

التطـــرف

خلق الله -سبحانه وتعالى- الكون بمن فيه وما فيه بتوازن دقيق، وانسجام تام بين المخلوقات، وهيأ للبشر أسباب الاستقرار والاطمئنان، والأمن والأمان إذا التزموا بتعاليم الدين التى أتى بها الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام- من عند الله -عز وجل-، وطبقوها فى يسر واعتدال بدون تزمت أو تعصب، أو إفراط وتفريط، أو تطرف وتجاوز إلى أحد طرفى قصد الأمور.

غير أنه فى بعض الأزمنة والعصور يظهر على مستوى الأفراد والجماعات والدول من يتبع أسلوب التطرف والمغالاة فى الفكر والعقيدة، والسلوك والعمل، والقول والفعل... حاسبين أن ذلك من صميم أمور الدين وتعاليمه، ومبادئه وأحكامه، مدعين أن من يخالف منهجهم ولا يعتنق فكرهم، ولا يتجاوب مع آرائهم خارج عن الملة، بعيد عن الدين، تجب قطيعته بل ومحاربته..

ولو أمعنا النظر فى أحوال هؤلاء، وفى فكرهم وآرائهم وتصرفاتهم، وفى أسلوب ومنهج معاملاتهم نجدهم بين أمرين:

إما أنهم لم يسمعوا كلام الله وأقوال الرسول -عليه الصلاة والسلام-، ولم يستوعبوها بالفهم الصحيح، والفكر المستنير فى إطار عقيدة الإسلام السمحة البناءة، التى تجمع ولا تفرق، وتبنى ولا تهدم، وتعمر ولا تخرب... وكان عليهم أن يدرسوا الدين دراسة واعية كاملة غير مبتورة قبل أن يتوجهوا وجهة مخالفة.

وإما أنهم سمعوا ذلك غير أنهم لم يستجيبوا بسبب فكرهم الضيق، وتطرفهم البغيض، وهذا هو الخطأ الأكبر، إذ لاينبغى ولايجوز أن يدعو إلى الدين من لايفهم ويستوعب ويتمسك بأمر القرآن الكريم، وحديث الرسول - عليه الصلاة والسلام - بعد الإحاطة الكاملة بمعانيهما ومقاصدهما..

على أن ناحية أليمة ظهرت من أحوال هؤلاء، هى ناحية التكبر وعدم الإذعان لنصائح العقلاء من المفكرين، وفيهم من هم أساتذتهم وآباؤهم، فتجد الواحد منهم يعتد برأيه، ويتمسك بفكره، ويتجمد فى فهمه، فإذا حاولت أن تناقشه وتعرض عليه ما يهديه إلى الصراط المستقيم أعرض ونأى بجانبه عنك، ونالك من لسانه أقذع وأبشع الاتهامات، ورماك بالتبعية والانقياد، والإذعان لهوى الحاكم.. والخضوع والخنوع والاستسلام لأوامر وتوجيهات السلطة..

هذا التطرف فى الفكر والعقيدة، وفى السلوك والعمل، سواء أكان على مستوى الأفراد والجماعات، أم على مستوى نظم الحكم فى الدول... لاتجنى البشرية من ورائه إلا القلق والاضطراب، والتخلف والضعف، والخراب والدمار.

إن التدين الفاسد يحدث فى خصائص الإنسان العليا ما تحدثه السموم فى الأبدان، أو ما تحدثه مياه النار إذا رُميت بها الوجوه الحسان.. لن ترى إلا سقاما وتشويها..

لقد شرح القرآن الكريم طريق الخير لأبناء آدم، فجعل أساسه أن يحافظوا على فطرتهم، وأن يغسلوا عنها النكت والأقذار التى تعلو وجهها، حتى تبقى سليمة نقية صافية كما ذرأها الله، مثلما تغسل زجاجة المصباح إذا غشيتها الشوائب والأكدار، فيرتد إليها صفاؤها، وينبعث إشراقها نقيا وضاء.

التدين الصحيح السليم ليس استجلاب عناصر جديدة تزكو بها النفس، وإنما هو إقامة حصانات وضوابط لبقاء النفس على طبيعتها النقية وفطرتها السليمة الأصيلة، وكل تدين فسدت فيه الفطرة فهو جملة تزويرات وأكاذيب..

أمثلة للتطرف من صحف التاريخ

إذا تصفحنا التاريخ على وجه عام: فى الشرق أو فى الغرب تأكد صدق ما نقول، فما ازدهرت الأمم، ولا ارتقت الشعوب، وما تقدمت الدول إلا فى عهود الاعتدال والاتزان، اللذين هما مصدر الأمن والأمان، وأساس الهدوء والاستقرار.. وما سقطت الأمم فى هوة الخسران والضلال، وهوت الشعوب فى سحيق الفوضى والتمزق، وعانت الدول من شر التخلف والضعف، واكتوت الإنسانية بنار القلق والخوف، إلا فى عهود التطرف والإرهاب.

وأخطر ما فى التطرف أنه مصدر للعبث والفساد، ودافع إلى الحيرة، وباعث على الاضطراب والفوضى، لأن للمتطرفين أسبابا غير مشروعة، وأحوالا غير متفقة مع شريعة العقل المستنيرة، والمنطق السليم، والفكر السوى.

وأكثر ما يرعب الناس منهم أنهم يعتقدون أنهم هم الذين على الحق، وأن ماسواهم يسيرون مع الباطل، ***ويغلقون باب الحوار، وتضيق صدورهم أمام المناقشة، ويرفضون الرأى الآخر، ولايعترفون إلا بفكرهم فقط،*** ويحاربون كل مايخالف سلوكهم ومنهجهم، هذا الاعتقاد يدفعهم إلى ارتكاب أعمال غير مشروعة، وقد تكون من القسوة والشدة والعنف بحيث تروع الآمنين وتفزعهم، وتذهب بالأرواح والأموال، وتقضى على الأخضر واليابس...

ففى الإسلام عرف التطرف أول ما عرف عند الخوارج، وهم قوم فهموا الدين فهما خاصا بهم، ولم يستمعوا إلى مخالفيهم...، وقد عقدت مناظرات بينهم وبين علماء الأمة ابتداء من عبدالله بن عباس -رضى الله عنهما- ومرورا بعمر بن عبدالعزيز والحسن البصرى، فما استجابوا لداعى الحق، وما أنصتوا لصوت العقل، وسالت دماء كثيرة فى مواقع شتى من يوم حرب

النهروان فى عهد الإمام على بن أبى طالب -كرم الله وجهه- إلى كثير من المعارك فى ظل الدولتين الأموية والعباسية.

وحين فلت شوكتهم قام الزغ بتطرف آخر شديد قتلت فيه آلاف الأرواح، وقد أحرقت البصرة، ودمرت منازلها، وقتل شيوخها ونساؤها وأطفالها... حدث كل هذا فى ظل مفهوم خاطىء للنصوص الدينية. وهؤلاء الزنوج الذين يتطرفون ويدعون إلى الثورة باسم الدين هم أول من يعرفون أنهم على خطأ، ولكنهم قد استهووا العبيد وضعفاء العقول ومحدودى الفكر، فجاسوا خلال الديار سفاحين ومهلكين....

هذا مثل من أمثلة التطرف فى الشرق، أما أمثلة التطرف فى الغرب. فأذكر مثلاً من العهد القريب الذى عاشه كثير من أبناء الجيل الحالى، وقد اخترته لأن دمار تطرفه لم يكن محليا قاصرا على الغرب، بل تطاير لهيبه، وامتد جحيمه، واتسع خرابه ليشمل العالم كله غربه وشرقه، إذ كان سببا مباشرا لقيام الحرب العالمية الثانية. حين تطرف هتلر فأعلن أن ألمانيا فوق الجميع، وأن الشعب الآرى وحده هو الذى يجب أن يحكم ويسود، وكانت فلسفة القوة التى دعا إليها نيتشه - الفيلسوف الألمانى - هى الملهمة الأولى للنازية، وترتب على هذا التطرف أن قامت أكبر حرب عرفتها البشرية على مدى خمس سنوات، جعلت أوروبا أنقاضا، وبعض دول الشرق خرابا، وخلفت وراءها الملايين من القتلى ومشوهى الحرب.

الإسلام دين الوسطية والاعتدال

الإسلام دين الوسطية والاعتدال، يقول الله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(١)

والوسطية فى أكثر التفاسير هى: التوازن المستقيم بين التفريط والإفراط، بين الجمود والتسرع، بين التعصب والتسيب، وفيها معنى العدل، وهو أمر حميد.

يقول الله تعالى:

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾(٢)

أى قال أعدلهم.

وطريق الوسط هو الصراط المستقيم الذى يسأله المسلم من ربه عدة مرات كل يوم فى كل ركعة من ركعات الصلاة حين يقول ضارعا:

(١) البقرة (١٤٣).
(٢) القلم (٢٨).

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾(٣)

وصاحب الصراط المستقيم غالبا مايكون هادىء النفس، مطمئن التفكير، سديد الرأى، واسع الأفق، رحب الصدر، يجيد الإنصات، يتقبل النقد الهادف البناء، لأنه أمن الشرود والجموح، وسلم من القلق والاضطراب.

أما التطرف القلق الذى يحيد عن الصراط المستقيم إلى حيث يشتط فهو دائما ثائر هائج، لايستقر على حال، وكأنه يخوض فى بحر هائج ترفعه موجة وتخفضه أخرى، وفى هذا من القلق الذهنى، والتوتر العصبى، والاضطراب النفسى ما يعجل بشقائه النفسى والجسدى والفكرى معا، فالمتطرف يتخيل أنه مع جماعته هم المصيبون وأن ما سواهم من السواد الأعظم هم المخطئون، وقد يشتد تطرفه فيراهم أعداءه فيشن عليهم حربا دامية دون هوادة، يستبيح فيها كل محرم... ويرتكب فيها كل الجرائم...

وهل الإرهاب إلا تطرفا لم يعرف طريق الاعتدال؟؟ ولو كان هذا المتطرف الإرهابى -ومن يسيرون على دربه ويسلكون طريقه- عرف خطأ رأيه، وطيش سلوكه، وبُعده عن الجادة والصواب.. لو كان عرف ذلك لرجع عن غيه المدمر، وفاء إلى عقل سديد ورأى رشيد.. ولكنه يرى نفسه مصلحا للفساد بين قوم فاسدين، وكأن المتنبى قد عناه حين قال:

أنا فى أمة تداركها الله
غريب كصالح فى ثمود

وإذا كان الحسد يبدأ بصاحبه فيؤذيه، وقد يقتله، فإن التطرف كالحسد يبدأ بصاحبه فيشقيه، فهو فاقد لسعادته، ينام فلا يهنأ بنوم، ويصحو فلا يسعد بيقظة، ومما يزيد فى بلائه أنه يؤلف مع شاكلته فريقا لايفكرون بعقل مستقيم، ولايتحاجون بمنطق سليم، وقد يرسمون الخطط للنسف والتدمير، والقتل والاغتيال، فيكون بلاؤهم شديدا على أنفسهم وعلى الجماعة التى تخالف مذهبهم.

وعلماء التربية والأخلاق يؤكدون فى كتبهم الكثيرة الدعوة إلى الالتزام بالوسطية -التى هى دين الإسلام- التى تكره التطرف وتمقت الجمود، فحجة الإسلام الإمام الغزالى يقول فى كتاب الإحياء: «اعلم أن المطلوب الأقصى فى جميع الأمور هو الوسط، إذ خير الأمور أوسطها، وكلا طرفى قصد الأمور ذميم....».

ويقول ابن المقفع فى وجوب التوسط وعدم الشطط: «اعلم أنك إذا جاوزت الغاية

(٣) الفاتحة (٦).

في العبادة صرت إلى التقصير، وإن جاوزتها في حمل العلم لحقت بالجهال، وإن جاوزتها في تكلف رضا الناس والخف معهم في حاجتهم كنت الخاسر المضيع».

ولعلماء الأخلاق في شرح ذلك كلام طويل نحن في غنى عنه الآن، ولكن زبدته أن التطرف مذموم، وأن الاعتدال هو أهم ركن في سعادة الإنسان.

والاعتدال الذى هو عدم التطرف محمود في كل شيء، ولذلك كانت تعاليم الإسلام وأحكامه وتشريعاته وتوجيهاته كلها في نطاق الوسطية والاعتدال، وشملت جميع مجالات الحياة التى تهدف إلى الاستقرار والاطمئنان وتحقيق الأمن والأمان للفرد والمجتمع والإنسانية... منها على سبيل الاستشهاد:

الوسطية في العبادات

فهم أمور الدين والإحاطة بمقاصدها وغاياتها، والعمل على تنفيذها وتطبيقها في الحياة في حاجة كبرى إلى التعقل والتوسط.. ولكنا نرى نفرا من الذين يتزينون بأزياء التقوى والصلاح يحسبون أن التطرف هو الغاية المثلى والطريق الصحيح حتى في العبادات، وهو خطأ صريح.

فمع أن الله -سبحانه وتعالى- خلق الإنس والجن من أجل عبادته والتسبيح بحمده، وإعلان الخضوع لربوبيته:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۞ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۞ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[٤]

فقد حث الإسلام على الوسطية والأخذ بالتيسير في العبادة، وعدم تحميل النفس فوق طاقتها...

فقد رأى رسول الله ﷺ رجلاً كبيراً يحج إلى بيت الله ماشيا ومعه ولداه يسندانه في الطريق، ومنظره العاجز يستدعي الرحمة، فسأل ﷺ عن ذلك، فقيل يا رسول الله إن هذا الشيخ نذر أن يحج إلى بيت الله ماشيا، وهو يؤدى النذر، فقال ﷺ: «الله غني عن تعذيب هذا نفسه فمروه فليركب»[٥].

ويقول -عليه الصلاة والسلام-: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»[٦].

وقال ﷺ: «تصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة»[٧].

---

(٣) الفاتحة (٦).

(٤) الذاريات (٥٦، ٥٧، ٥٨).

(٦) البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، حديث رقم ٣٨.

(٥) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ١٠/٧٨.

(٧) سنن النسائي ٥/٧٩.

وامتدح قوم رجلاً إلى رسول الله ﷺ فقالوا: «صحبناه في سفر فما رأينا بعدك يا رسول الله أعبد منه، كان لا ينتقل من صلاة، ولا يفطر من صيام». قال: «فمن يمونه ويقوته»؟ قالوا: كلنا يا رسول الله، قال ﷺ: «كلكم أعبد منه».

وعن أنس بن مالك -رضى الله عنه- قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي -عليه الصلاة والسلام-، فلما أخبروا كأنهم تقالوها!! فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ، قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر أبدا، وقال آخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: «أنتم القوم الذين قلتم كذا وكذا؟.. أما والله وإني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني: أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[٨].

الرخص في العبادات

مبدأ التيسير على الإنسان، ومراعاة ظروفه الصحية والمعيشية، موضع اهتمام الإسلام دائماً، يراعيها في تكليفاته التعبدية... فقدم الرخص في العبادات، حفاظاً على صحة الإنسان، وتخفيفا على أصحاب الأعذار، ورفعا للمشقة عنهم.

فعلى سبيل المثال لا الحصر رخص الإسلام للمريض والمسافر الفطر في رمضان إذا استشعر المشقة، كما رخص للمسافر القصر والجمع في الصلاة، ورخص للمريض الذى لايستطيع القيام والركوع والسجود في الصلاة أن يصلي جالسا، ورخص التيمم عند عدم وجود الماء للوضوء والطهارة، أو إذا ترتب على استعمال الماء إلحاق ضرر بالجسم.

وإذا كانت تعاليم الإسلام وتكليفاته الشرعية في العبادات -التي هي قصد الله في خلق الإنسان- بهذا اليسر وتلك السماحة فهل يوجد مجال للتطرف والتعنت والتزمت في الإسلام؟؟؟

«يتبع»

***

---

(٨) سنن البيهقي الكبرى ٧/٧٧

قصة العدد

من روائع التاريخ

المسجد ملاذ الخائفين

بقلم / عابر سبيل

طغى الأتراك من الجنود طغيانا كبيراً، وهذه احدى مآسيهم التى يسجلها التاريخ فى عهد الخليفة العباسى المعتضد ببغداد.

١ بين إمام المسجد وخادمه

الخادم: ألح بالمسجد فتاة تكلم الناس، وكأنها تسأل عن سيدى الإمام.

الإمام: هذا المسجد للصلاة لا لمقابلة النساء.

ـ وماذا أقول لها الآن؟

ـ أخرجها برفق فأنا لا أسمح أن تكون المساجد ملاعب للظباء.

ـ هاهى ذى مقبلة عليك.

وينظر الإمام فيجد فتاة فى سن العشرين ماثلة أمامه، فيخفض رأسه إلى الأرض، وتتكلم الفتاة.

الفتاة: أتأذن لى أيها السيد الجليل ببعض الحديث؟

الإمام: قد يكون للحديث مكان آخر غير هذا المكان.

الفتاة: لقد أتيت عائذة باسم الفضيلة والكرامة والدين.

الإمام: من أنت وماذا تقصدين؟

ـ أنا محصنة عفيفة يا مولاى، فهل لك أن تأذن بالحديث؟

ـ تفضلى بإيجاز.

ـ كنت سائرة أمام مسجدك الآن، أبتغى الذهاب إلى منزلى، حيث ينتظرنى زوجى، فتعرض لى الرئيس التركى المقيم بهذا الحى، وجذبنى بعنف وشدة، وراودنى عن نفسى فانصرفت وصرخت، فلحقنى وامتنع الناس عن إنقاذى، جبنا وضعفا، وحين يئست من مروءته أمهلته بضع لحظات، كيما أصلى ركعتين بالمسجد، وهأنذا أحضر إليك وهو لايزال واقفاً أمام الباب.

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله:

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾(١).

أما يزال الآثم واقفا؟ انظرى تأملى الباب!

ـ نعم يا مولاى، ويلحظنى بنظرات حداد.

ـ اذهب أيها الخادم، وانظر من هناك.

يذهب الخادم ويرجع قائلا:

ـ ها هو هناك يا مولاى.

الإمام: شىء عجيب، هيا بنا يابنتى، وليكن ما أراد الله أن يكون.

٢ بين الإمام والرئيس

الإمام: السلام عليك ورحمة الله.

الرئيس التركى: وعليك السلام، من أنت؟

ـ أنا إمام المسجد الذى تقف على عتبته، أتيت أحادثك فى بعض الأمور.

الرئيس التركى: ولماذا تظهر على وجهك دلائل الانفعال.

الإمام: أنت أيها الرئيس تعرف لماذا جئت إليك لاسيما وأنت تبصر معى هذه الفتاة.

ـ أفصح عما فى نفسك وإياك أن ترد نفسك موارد الضعة والخسران!!

ـ أنا أعظ للناس، وقد جئتك لأؤدى رسالتى الخالدة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، مرشدا إلى الطريق المستقيم.

ـ ومامعرفتك بالطريق المستقيم وأنت لا تفرق بين الظلام والضياء.

ـ طريق العفة والطهارة والشرف هو الطريق المستقيم:

﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾(٢).

وصدق الله العظيم

ـ اذهب واقرأ قرآنك بالمسجد فليس هنا مكان التسبيح والصلوات.

---

(١) الروم (٤١).

(٢) الطلاق (١).

ـ أجل، سأذهب إلى المسجد، على أن يذهب كل إنسان إلى بيته، فمن منا يبدأ بالذهاب؟

ـ ما هذه الوقاحة؟ لقد حلمت عليك كثيرا، وما أراك سترتدع إلا بالعقاب.

ـ أنا أرحب مغتبطا بالعقاب، ولا أسمح بانتهاك حرمات الله.

ـ في قبضتي سوط ألهب به الظهور فأنا ذو غلظة وقسوة، فارجع إلى مسجدك بسلام.

ـ لقد صدق الله العظيم حين قال:

﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴾[٣]

وما أرى بغداد إلا ستدمر تدميرا بأفعالك أنت ومن معك من الجهلاء.

الرئيس لغلمانه: احملوا هذه المرأة كارهة أو راضية إلى منزلي، وأدخلوا الشيخ إلى مسجده خاضعا أو عاصيا، فقد انتهى النقاش.

٣ يحمل الإمام إلى مسجده حملا عنيفا، فينادي خادمه ويسأله

الإمام: في أي وقت نحن الآن؟

الخادم: نحن في الثلث الأول من الليل وقد ذهب كل إنسان إلى بيته، وسكنت حركة الأحياء والأشياء.

الإمام: لقد ظهر الفساد في البر والبحر، ووقعت الأمة الإسلامية في قبضة الطغيان.

ـ لقد صنعت ما في وسعك يا مولاي!!

ـ لم أصنع شيئاً، لأن الفتاة ستعرض للمكروه، إن لم تدركها عناية الرحمن.

ـ وماذا عسى أن تصنع بعد ذلك يا مولاي، وقد لاقيت مالاقيت في سبيل الله.

ـ سأذهب إلى الخليفة المعتضد الساعة، وأخبره بما حدث دون إبطاء.

ـ أين أنت من المعتضد الآن، ودون لقائه ألف حجاب وحجاب.

ـ سأذهب إليه من أقرب طريق بعون الله.

ـ لابد من معجزة خارقة، فهل تملكها الآن؟

ـ المعجزة لاتتيسر لغير الأنبياء، ولكني فكرت في حيلة تبلغنا المقصد من أقرب طريق وأدناه.

ـ وماذا ستصنع يا مولاي؟

ـ سأصعد إلى المئذنة وهي قريبة من منزله، وأؤذن الفجر في غير ميعاده، فيفيق، ويدهش لجرأتي وحمقي. ثم يأمر من يحضرني إليه، فأبسط أمامه قضيتي، ويحق الله الحق بكلماته ولو كره الطغيان.

(٣) الإسراء، (١٦).

٤ صوت – الله اكبر – الله اكبر – أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله

الخليفة المعتضد –دهشا–: في أي وقت نحن الآن!!

أحد الحجاب: نحن في الثلث الأول من الليل، يا أمير المؤمنين.

ـ وماذا يصنع هذا المجنون؟

الحاجب: لعله غافل أبله يا مولاي.

ـ وما للبله والأذان!! أحضره الساعة بلا انتظار

ثم يطير الحاجب إلى المئذنة ويرجع بالإمام إلى الخليفة.

٥ الإمام: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله.

الخليفة: أنت المؤذن يا مجنون.

الإمام: لست مجنونا يامولاي.

ـ وماذا حملك على الأذان في غير ميعاد، فيخرج ذو الحاجة إلى مقصده في غير حينه، وينقطع مريد الصوم عن الطعام والشراب.

ـ هل آمنك على نفسي إذا صدقتك الحديث يا أمير المؤمنين؟

ـ أنت آمن، فالتزم الصدق فيما تقول

ـ لقد استغاثت بي فتاة مؤمنة أخذها الرئيس التركي، عنوة إلى بيته الآن، وأسمعته كلمة الله، فاشتاط غضبا وطردني، فرأيت أن أصل إلى أمير المؤمنين فأناديه من فوق المئذنة، ليتلافى الشر قبل وقوعه، وليفعل الله ما يشاء.

ـ أحسنت فيما فعلت! فاختر ماتشاء من الجنود، واذهب إلى منزل هذا الآثم، وأحضره مع الفتاة مكبلا بالأغلال!!

ويسرع الشيخ مع كتيبة من جنود القصر إلى منزل الرئيس التركي. ويرجعون به مع الفتاة مكبلا بالأصفاد.

٦ الخليفة (منفعلا) ماذا فعلت الليلة بهذا الشيخ؟

الرئيس التركي .... لا ينطق.

الخليفة: لماذا اغتصبت الفتاة بدون حق وتعديت حدود الله؟

الرئيس التركي: عفوك يا مولاي.

ـ لماذا جاهرت بالفسوق والعصيان على رءوس الأشهاد وكأنك فرعون أو هامان؟

ـ لن أرجع إلى ذلك بعد الآن! عفوك يا مولاي.

ـ لن ترجع بعد الآن!! لابد أن يقام عليك الحد في هذه الساعة!! خذوه فغلوه، جزاء ما اقترفت يداه.

ثم يسحبه الحراس إلى جزائه الرهيب.

ـ الخليفة للإمام: هنيئا لك أيها الشيخ فقد أمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر في قوم طغاة، لايعرفون غير الضلال!!

ـ الإمام: بل هنيئا لك أنت يا مولاي، فلولا صرامتك العادلة لتمادى الآثمون في الفسق والعدوان.

ـ الخليفة: اذهب غانما مشكوراً إلى مسجدك، فإذا شاهدت منكراً في حندس الليل، فاصعد إلى المئذنة، وادعنا إليك عن طريق الأذان.

خطبة الجمعة

﴿ففروا إلى الله﴾ (١)

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى

لك الحمد أيها العليم الذى لا يجهل، الحليم الذى لا يعجل، الكريم الذى لا يبخل، سبحانك، أنت المنيع الذى لا يرام، المجير الذى لا يضام، وأنت أرحم الراحمين، نشهد أن لا إله إلا أنت، خضعت لك قلوب العارفين، وذلت لهيبتك رقاب الجبارين، فتبارك الله رب العالمين، ونشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبدك ورسولك، الذى استعاذ بك من العين التى لا تدمع، والقلب الذى لا يخشع، والعلم الذى لا ينفع، فكان سيد المرسلين وإمام المتقين، فصلواتك اللهم وسلامك عليه، وعلى آله وأغصان دوحته، وأصحابه وجنود دعوته:

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾(٢).

يا أتباع محمد عليه السلام..

من عيوب المسلمين المعاصرين الذين قل اعتزازهم بدينهم، وضعف يقينهم بربهم، وخدعتهم بوارق من مدنية غيرهم، أنهم لا يثقون ولا يؤمنون إلا إذا جاءتهم الشواهد من الخارج، ووردت إليهم البراهين على صحة الدين من المثقفين المدنيين، أو الناهلين من حضارة الأوروبيين، فلو سمعوا من الواعظ الدينى مائة خطبة يذكرهم فيها بالله، ويدعوهم خلالها إلى حماه، لما اتعظوا بها، ولا استجابوا لها، ولكنهم لو جاءتهم الموعظة من رجل مدنى، أو من جو أوربى، لسارعوا إليها مصدقين معجبين، ومع ما فى هذا من مخالفة لقول الرسول الكريم عليه الصلاة والتسليم: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»(٣). فنحن نريد أتباعاً للحكمة فى الدعوة، واحتيالا فى التحذير من الضلالة، أن تأتيهم بالشواهد التى يريدون.

هذا رجل شرقى عظيم، له من بيئته وعمره وثقافته ما يجعله خبيراً بالمشكلات دارساً للحضارات، يرحل إلى أوروبا ويقضى فى أرجائها شهورا، ثم يعود فيقول لنا فى وضوح وتأكيد: إن أبناء الحضارة الحديثة قد آمنوا أخيراً وبعد طول المطاف بأنه لا سلام إلا بالله، ولا سعادة إلا بالرجوع إلى الله، ولا استقرار إلا بالثقة فى دين الله، لأن الرجوع إلى الله واليقين به والاحتماء بلوائه هو الذى سيقضى على الحروب المهلكة والشيوعية البشعة، وسيزيل الفقر الشائع والمرض الذائع من بين الأحياء، ومعنى هذا أن عمالقة البشر فى العالم الحديث، الذين هتكوا أسرار الطبيعة، واستخدموا كل شىء تحت أيديهم، واستمتعوا بكل لذة تريدها الأجساد، لم ينعموا بذلك ولم يسعدوا، فرجعوا نادمين، وعادوا إلى ربهم تائبين، وقرعوا بابه هاتفين:

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾(٤).

وهذا كاتب معاصر يزور فى الأيام الأخيرة «باريس» مدينة النور والفجور، وموطن المواخير والخمور ومصدر كل لذة، ومثيرة كل شهوة، وصاحبة التاريخ الطويل الثقيل فى العبث والمجون، فإذا بالكاتب يراها كما وصفها وقد صحت من غفوتها، وأفاقت من غمرتها، وتابت وأنابت، فصار فيها من يعنى بأمر الأخلاق، ومن يذكر بجلال البارىء الخلاق، لأنهم عرفوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه، وأعطتهم المحن المتلاحقة والنكبات المتلاصقة دروسا لا تنسى تعلموا منها أن الاعتماد على قوة الأرض، والاغترار بسلطان الإنسان، باطل وزور، وأن الخير كل الخير فى الإيمان بالله الذى إليه تصير الأمور!..

وهذا سباح مصرى عالمى، وهو ضابط رياضى مثقف، درس ورحل، واختلط

---

(١) أول ذى الحجة سنة ١٣٦٨ هـ ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٤٩م.

(٢) آل عمران (١٧٣، ١٧٤).

(٣) فتح البارى ٢٨٩/١٣.

(٤) الأعراف (٢٣).

بهؤلاء وأولئك، وخالط المدنية الحديثة والحضارة الغربية المعاصرة، ولم ينشأ في رحاب ديني أو وسط «سني» وقد أراد أن يكسب لأمته فخرا يرفع رأسها بين الأمم في ميدان الرياضة التي يدعو إليها الإسلام، ويحرص عليها لتكون إعداداً للجندية المجاهدة في سبيل الله، فعبر بحر «المانش» الرهيب الصاخب من الشاطئ الإنجليزي إلى الشاطئ الفرنسي، وتعرض لأهوال البحر ومخاوف الغرق، وطغيان الأمواج وتأثير الأملاح، وذبذبات المد والجزر، وبرودة الجو ووحوش الماء، وكان كلما خارت منه القوى، وأحدق به الخطر، وداعبه اليأس والقنوط، لا يلجأ إلى قوارب النجاة ولا يستعين بمن خلفه من مراقبين، ولا يعلن فشله وإفلاسه، بل كان يلجأ إلى سلاح أقوى وأعلى، ويستمد العون والمد من مصدر أغنى وأسمى، كان يستلهم النصرة والتأييد من ربه العزيز المجيد، فكان كما أذاعت الأنباء يتلو القرآن الكريم وسط الأمواج بصوت مسموع، ويناجي ربه بدعاء مرفوع، وكان كما يقول كلما تلا آية أو ردد دعوة، ازداد قوة وامتلأ همة، وأيقن أنه سيصل وسينتصر بفضل الله، وقد كان فوصل وانتصر، وقرر أن الفضل في الانتصار يرجع إلى عون العزيز القهار، وكذلك تكون قوة الإيمان بالله في الإنسان، تقرب له البعيد، وتيسر له العسير، ولا عجب فقد وصل سببه برب الأسباب، وألقى عبئه على أقدس جناب:

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾[٥]

أليس في هذه الأدلة والشواهد ما يكفي المعرض عن الله، أو البعيد عن حماه، لكي يرجع ويرتدع، ويتوب ويثوب ويشاهد نور ربه في كل مكان، ويراقب جلاله في كل زمان، ويطيل التفكير فيما أراده الصوفي الحكيم حين قال: «الحق ليس بمحجوب عنك، إنما المحجوب أنت عن النظر إليه، إذ لو حجبه شيء لستره ما حجبه، ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر، وكل حاصر لشيء فهو له قاهر، وهو القاهر فوق عباده» بل ويهتف من الأعماق كما هتف الواصل الأول يناجي ربه قائلا:

ذكرتك لا أني نسيتك لمحة
وأيسر ما في الذكر ذكر لساني
وصرت بلا وجد أهيم من الهوى
وهام على القلب بالخفقان
فلما أراني الوجد أنك حاضري
شهدتك موجوداً بكل مكان

(٥) الطلاق (٣).

فخاطبت موجوداً بغير تكلم
وشاهدت موجودا بغير عيان

يا أتباع محمد عليه السلام..

حقيقة إن الفكرة الإسلامية قد حوربت بأيدي أعدائها، بل وتطاول على جلالها بعض الطاغين الذين يعدون أنفسهم من المسلمين، فهتكوا حرمة القرآن، ونكلوا بأشبال الإيمان، وتجرءوا على حمى الرحمن، وهتكوا حرمات كانت بالأمس عزيزة مصونة، وارتكبوا في تنكيلهم بالمجاهدين في سبيل الله الناشئين في طاعة الله، مآثم ومظالم تضج من هولها أرجاء السماء، وقد زلزل كثير من الناس أمام هذا التنكيل الطاغي زلزالا شديداً، وظنوا بالله الظنونا، ولكن الثابتين على العهد، الصادقين في الوعد، يؤمنون بأن الإسلام يقوى على المحن، ويشتد رغم طغيان الزمن، ولولا شهداء سقطوا في سبيل الله، ودماء زكية طاهرة سالت دفاعاً عن كلمة الله، وغزوات ابتلي فيها صبر المسلمين أشد الابتلاء، وأعداء من المشركين واليهود والنصارى والمنافقين والمخادعين، يتربصون بالمسلمين الدوائر، لولا هذه الظروف كلها لما ظهر نور الإسلام ساطعاً وضاء من خلال الظلمات:

﴿ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[٦].

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾[٧].

واستعذبوا في سبيله العناء والبلاء، فإن الله لا يضيع أجر العاملين:

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾[٨]

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾[٩]

كان عليه الصلاة والسلام: يدعو فيقول: اللهم لك أسلمت، وبك آمنت وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم أعوذ بعزتك - لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون[١٠].

***

(٦) التوبة (١١١).
(٧) الحج (٧٨).
(٨) المائدة (٨٨).
(٩) النحل (١٢٨).
(١٠) البخاري ٨/٨٦، ٩/١٤٢، ١٦٢.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾

البقرة - (٢٠٧)

ربح البيع

للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين

أخرج الحافظ ابن كثير فى تفسيره عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب - رضى الله عنهم أجمعين - قال: «أقبل صهيب مهاجراً نحو النبى ﷺ فاتبعه نفر من قريش، فنزل عن راحلته، وانتثل ما فى كنانته، ثم قال: يا معشر قريش، قد علمتم أنى من أرماكم رجلا، وأنتم والله لا تصلون إلىّ حتى أرمى بكل سهم فى كنانتى ثم أضرب بسيفى ما بقى فى يدى منه شىء ثم افعلوا ما شئتم، وإن شئتم دللتكم على مالى وقنيتى بمكة، وخليتم سبيلى، قالوا: نعم. فلما قدم على النبى ﷺ قال: «ربح البيع»(١).

﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

البقرة (٢٤٥)

لقد دعانى إلى ذكر هذه الواقعة ما نشرته الصحف المصرية الصادرة صباح يوم الأحد نقلاً عن صحيفة الدستور الأردنية الصادرة يوم السبت ٣٠ / ٨ / ٢٠٠٣، أن مواطناً مسلماً عربياً أردنياً رفض عرضاً بملايين الدينارات الأردنية مقابل بيع قطعة أرض يمتلكها فى مدينة القدس المحتلة بجوار الحرم القدسى الشريف.

(١) الجزء الأول من تفسير ابن كثير تفسير الآية (٢٠٧) من سورة البقرة.

رفض المواطن المسلم العربى الأردنى هذا العرض المغرى جدا بعد أن ملأ الشك قلبه تجاه الجهة التى تقف وراء محاولة الشراء خاصة وأن الأرض التي تقع في حي الشيخ جراح بالقدس العربية قريبة جدا من الحرم القدسى الشريف حيث تبعد بمئات قليلة من الأمتار عن باب العامود أحد أبواب المدينة المقدسة.

رفض المواطن المسلم العربى ذلك العرض الذى لا يرفض متمثلا أمام عينيه قول المولى عز وجل:

﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١) مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾

الحديد (٢١ : ٢٣)

الرجل المسلم العربى الأردنى قرر أن يأخذ بزمام المبادرة وألا يكتفى بمجرد رفض بيع الأرض، فربما يأتى من أصلابه من يفعلها مستقبلا تحت إغراء الملايين التى لا يمكن للكثيرين أن يرفضوها، ولكن الرجل آثر آخرته على دنياه، وقرر أن يجنب أبناءه وأحفاده إغواء الشيطان راجيا رحمة الله ومثوبته:

﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾

آل عمران (٩٢)

ذهب الرجل إلى مدير إحدى المؤسسات العربية الإسلامية العاملة فى رعاية المدينة المقدسة وما فيها من مقدسات ليتنازل عن قطعة الأرض ومقابل كم؟! مقابل دينار واحد قائلا: «لأجل إرضاء الله والحفاظ على القدس، وعدم وصول الأرض إلى اليهود، وحتى تبقى القدس عربية مسلمة، وحتى أنام ليلى هانئاً دون خوف أو تقلب أو فتون».

﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

البقرة (٢٦٢)

كان الرجل عند حسن الظن به وعلى مثله يصدق قول العزيز الحميد:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

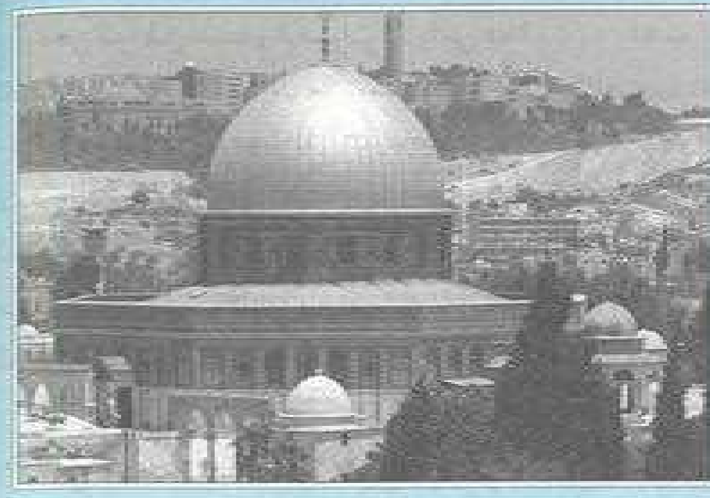
آل عمران (١١٠)

وأثبت بفعله أن الخير باق فى هذه الأمة مادام فيها عرق ينبض بالحياة.

وأحسب الرجل فى فعله هذا متأسيا بسيرة الرعيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ ﴾

[الممتحنة ٦]



فما أقرب فعل هذا الرجل بفعال الصحابي الجليل ذي النورين سيدنا عثمان بن عفان – رضي الله عنه:

أخرج الإمام أحمد بن حنبل – رضي الله عنه – قال: حدثنا إبراهيم ابن عبدالله، حدثنا حجاج بن نصر، حدثنا أبو عوانة عن حصين قال: قلت لعمرو بن جاوان: لم كان اعتزل الأحنف؟ قال: قال الأحنف: انطلقنا حجاجاً فمررنا بالمدينة فبينما نحن في منزلنا إذ أتانا آت فقال: إن الناس قد فزعوا في المسجد قال: فانطلقت أنا وصاحبي فإذا الناس مجتمعون على نفر في وسط المسجد قال فتخللتهم حتى قمت عليهم وإذا على بن أبي طالب وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص قعود فلم يكن ذلك بأسرع من أن جاء عثمان يمشي في المسجد عليه مُلَيَّة[2] صفراء قد رفعها فقلت لصاحبي كما أنت حتى أنظر ما جاء به. فلما دنا قالوا: هذا ابن عفان قال: أههنا علي؟ قالوا: نعم. أههنا الزبير؟ قالوا: نعم قال: أههنا طلحة؟ قالوا: نعم. قال: أههنا سعد؟ قالوا: نعم. قال: أنشدكم الله الذي لا إله إلا هو أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال: من يبتاع مربد بني فلان؟ فابتعته. قال حصين: أحسبه قال بعشرين ألفاً أو بخمسة وعشرين ألفاً فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إني قد ابتعته قال: فاجعله في مسجدنا وأجره لك قالوا: اللهم نعم، قال: أنشدكم الله الذي لا إله إلا هو هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: من يبتاع بئر رومة غفر الله له فابتعتها بكذا وكذا فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إني قد ابتعت بئر رومة قال: اجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك؟ قالوا: نعم أنشدكم الله الذي لا إله إلا هو أتعلمون أن رسول الله ﷺ نظر في وجوه القوم يوم جيش العسرة فقال: من يجهز هؤلاء غفر الله له فجهزتهم حتى ما يفقدون خطاما ولا عقالا قالوا: اللهم نعم. قال: اللهم اشهد اللهم اشهد اللهم اشهد ثم انصرف[3].

هذه هي أمتنا منذ أربع وعشرين وأربعمائة وألف عام وستبقى إن شاء الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وليس الفعل الكريم الذي أقدم عليه أخونا المسلم العربي الأردني إلا مجرد أنموذجاً رصدته الصحافة يؤكد على خيرية أمة محمد ﷺ ونقائها وأن المادية لن تعرف إلى جوهرها سبيلاً.

(٢) مُلية: تصغير مُلاءة، مخففة الهمز وهي الإزار. انظر لسان العرب لابن منظور مادة ملأ.

(٣) فضائل الصحابة، الجزء الأول صـ ٤٠٦، ٤٠٧، حديث رقم (٨٣٧).

ربح البيع.. ربح البيع أخا الإسلام، واستبشر بما بشرت به، وقرناؤك في كتاب الله العزيز:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

التوبة (١١١)

● هذا رجل أبى إلا أن يكون مدافعاً عن حرمات الله ولم تبهره الملايين الطائلة التي طالما تبهر الكثير، لكنه طمع في رحمة الله ومثوبته:

﴿ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ﴾

الحج (٣٠)

● هذا رجل آثر إلا الاستجابة لأمر الله العزيز الحكيم:

﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ البقرة (١٤٨).

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

(آل عمران ١٣٣)

● هذا رجل وجد أمامه ميداناً للجهاد فآثر إلا أن يكون له قصب السبق.

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

(العنكبوت ٦٩)

● هذا رجل علم أن «لا عيش إلا عيش الآخرة»[4].

● هذا رجل يريد أن يتقي الدنيا استجابة لقول رسول الله ﷺ «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء»[5].

● هذا رجل وضع كتاب الله وسنة رسوله نصب عينيه في زمن كثر فيه الحفاظ وقل العاملون.

فيا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال ولا تكونوا كالذين قال عنهم المولى عز وجل:

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

الجمعة (٥)

وتدبروا قول رسول الله ﷺ: «بادروا بالأعمال الصالحة فستكون فتنة كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافراً، ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا»[6].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ج ١٣٨١/٣ قال رسول الله ﷺ: «لا عيش إلا عيش الآخرة فأصلح الأنصار والمهاجرة».

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الرقاق باب أكثر أهل الجنة فقراء (٢٧٤٢).

(٦) أخرجه مسلم.

عُرسُ الشَّهِيدُ



شعر / محمد ابراهيم العشماوى (*)

سمعتُ صوتاً يُنادي وهْوَ مُختنقُ   كأنّهُ صرخةُ المكلومِ تنطلقُ
فقلتُ يالله ذاكَ الصوتُ أعْرِفُه   صوتُ الحبيبةِ إلا أنّه قلقُ
باتتْ تُنادى وسِتْرُ الليلِ مُنْسدِلٌ   والعينُ دامعةٌ والقلبُ يحترقُ
مَنْ ذا يُجيبُكِ يا أرضاً مقدَّسةً   قد لَفَّها الطُّهْرُ واستشرى بها العَبَقُ؟
مَنْ ذا يُجيبُكِ يا جُرْحاً يُؤرِّقُنا   يُدْمي القلوبَ ويُغْيِينا به الأرَقُ؟
مَنْ ذا يُجيبُكِ والأهوالُ داميةٌ   والقومُ حولَكِ موتى مابهم رمَقُ؟
قالتْ: كَفاكَ فَفِتيانُ الحِمَى عشِقُوا   في الشهادةِ يالله ماعَشِقُوا!!
فلوْ رأيتَهُمُ والشوقُ يدفعُهم   نحوَ الحياةِ التي من أجلها خُلِقُوا

(*) مدرس الحديث المساعد بكلية أصول الدين بطنطا.

على وُجوهِهم الآمالُ باسمةٌ   وفى عُيونِهم الأحلامُ تأتلقُ
أعطَوا مواثيقَهُمْ للهِ خالقِهم   أنْ ينصروهُ ومافي غيرِه وثِقُوا
عادوا شظايا وأشلاءً مُمزَّقةً   على الأعادى فماتَ القومُ وانْصعقُوا
كأنّهم حِمَمُ البُركانِ ثائرةٌ   أو شُعلةٌ من لظى النيرانِ تنبثقُ
زُفّوا إلى اللهِ في عُرْسٍ تُشَيِّعُه   ملائكُ الخُلدِ جَذْلَى حولَهم حِلَقُ
يا للشهيدِ غدا للأمِّ مُعتنِقاً   قبلَ الوداعِ وقلبُ الأمِّ يحترقُ
فلوْ رأيتَ فتاةَ القُدسِ صامدةً   إلى الشهادةِ تسعَى وهْيَ تستبقُ
كأنّها ظبيةٌ في القاعِ ساكنةٌ   لكنّها بحزامِ الموتِ تنتطقُ
أيطمعُ الوغدُ أنْ يحظى بمأمنِه   مهما استبدَّ به في غيِّه النزقُ؟!
وكيفَ يأمنُ مَنْ في الغدرِ قدْ نشأوا   وكيفَ يسلمُ مَنْ للظلمِ قد حذِقُوا؟!
مَنْ عاشَ في قلقٍ أو ماتَ مِنْ فَرَقٍ   أينَ الأمانُ وهذا الأمنُ مُخترقُ؟!
كتائبَ العِزِّ أعْلى اللهُ رايتكم   ياألسُنَ الحقِّ لمّا أُسكِتُوا نطَقُوا
أنتِ الكرامةُ إذْ هانتْ كرامتُنا   أنتِ النجاةُ إذا ما عمَّنا الغرَقُ
أنتِ الضياءُ إذا اسْودَّتْ حوالكُنا   أنتِ الطريقُ إذا ما انسدّتِ الطُّرُقُ
مهما دجا الليلُ وامتدّتْ جوانبُه   لابُدَّ يذهبُ والإصباحُ ينفلقُ

***

﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾

المخطط الإسرائيلى لجدار الفصل العنصرى

بقلم / صلاح عبدالرحيم محمد

يبدو أن إسرائيل ببنائها الجدار الفاصل، الذى تسميه «الجدار الأمنى» بينها وبين الضفة الغربية، تريد أن تصنع لنفسها «جيتو جديدا» تتشرنق فيه، وتتقوقع، بعيداً عن المحيط الفلسطينى حتى لاتختلط به أو تتعامل معه بحجة أنه منبع العمليات الإرهابية التى تهدد الأمن القومى الإسرائيلى بصفة عامة، وأمن المواطن الإسرائيلى بصفة خاصة، ومن ثم يمثل الجدار الفاصل بين إسرائيل والضفة الغربية أهمية حيوية من أجل تأمين حياة الشعب الإسرائيلى، والحفاظ على وجود الكيان الصهيونى، وفى ضوء ذلك يعتبر هذا السياج الفاصل من أهم الخطوط الحمراء فى السياسة الإسرائيلية، التى لايمكن التفريط فيها، وقد أكد «بنيامين نيتانياهو» وزير المالية فى حكومة شارون أهمية هذا الجدار بقوله: «إن الضائقة الاقتصادية، ومشكلات الميزانية، لاينبغى أن تعيق العمل فى بناء الجدار، حتى لو استدعى الأمر إلغاء مشروعات أخرى، بما فيها البنية التحتية».

كما أكد أيضاً «أريئيل شارون» أهمية الجدار الفاصل الحيوية فى تأمين إسرائيل ضد مايسميه بالعمليات الإرهابية الفلسطينية بقوله: «إن الجدار الأمنى هو الوسيلة المثلى لمنع الإرهاب الفلسطينى، وأنه لايشكل حدوداً سياسية، بل هو لتأمين الشعب الإسرائيلى». وفى هذا السياق يذكر بعض المحللين السياسيين الإسرائيليين أن ثمة دوافع أخرى غير أمنية تكمن وراء بناء إسرائيل للجدار الفاصل، من أهمها توفير عمق استراتيجى لمنطقة السهل الساحلى على البحر الأبيض، فهى تمثل عنصر ضعف أمنى لإسرائيل، بسبب زيادة كثافة سكان المدن به، فهو يشكل ١٦٪ من مساحة إسرائيل،

الأزهر



إنهار سور بارليف الأمنى ورفرف العلم المصرى فوق حصونه التى ظنوا أنها تمنعهم. فهل يأخذون العبرة

ويلى هذا الدافع فى الأهمية، احتواء الضفة الغربية على أكبر مخزون من المياه الجوفية نظراً لصخرية أرضها التى لاتسمح بتسرب مياه آبارها، كما أن بعدها النسبى عن البحر المتوسط يجعل مياهها محتفظة بدرجة كبيرة من النقاء، كما أن الجدار الفاصل كما يذكر هؤلاء المحللون السياسيون يعمل على تأمين الحدود الشرقية لمنع التواصل عبر الحدود المشتركة بين الفلسطينيين والأردنيين، وحماية حدود الخط الأخضر (حدود ١٩٤٨ بين إسرائيل والضفة الغربية) الذى تتواجد داخله المدن الإسرائيلية ذات الكثافة البشرية العالية، يضاف إلى ذلك أن هذا السياج الفاصل يمثل بالنسبة لإسرائيل ورقة رابحة تلوح بها فى أية مفاوضات مع الجانب الفلسطينى كعنصر من عناصر الضغط فيما يتعلق بقضايا الوضع النهائى مثل اللاجئين والمستوطنات، والمياه، والحدود، والقدس. واللافت للنظر أن فكرة الجدار الفاصل ليست وليدة اليوم، لكنها برزت على الساحة السياسية الإسرائيلية فى الثالث من يناير عام١٩٩٥ عندما طرحتها حكومة «اسحاق رابين»، عقب تزايد العمليات الفدائية الفلسطينية، خاصة بعد عملية

«بيت لبيد»، فكلفت مدير الشرطة، فى ذلك الوقت «موشى شاحال» بتشكيل لجنة برئاسته لإعداد خطة الجدار الأمنى الفاصل، وعُرضت هذه الخطة بعد وضعها على «إسحاق رابين»، كان من أبرز ملامحها..

أولاً: تحديد مسالك عبور الفلسطينيين، والبضائع المسموح بمرورها.

ثانياً: قيام دوريات لمراقبة المعابر، وإقامة سياج خاضع لرقابة دقيقة.

وثالثاً: تنظيم دخول الفلسطينيين بموجب تصاريح خاصة خلال المعابر، غير أن هذه الخطة لم تنفذ لعدم توفر التمويل اللازم لها. وفى عهد حكومة «بنيامين نيتانياهو» عام ١٩٩٦ قام «أفيجدور كهلانى» الذى خلف «موشى شاحال» بوضع خطة أخرى للجدار الفاصل، عرفت باسم «ميتسام» وتتضمن إقامة سياج عازل، وعوائق على امتداد الخط الأخضر بين إسرائيل والضفة الغربية، ليحول دون عبور الفلسطينيين، والمركبات إلى داخل إسرائيل، لكن هذه الخطة أيضا تعثر تنفيذها لاعتراض اليمين المتطرف عليها خشية أن يتحول الجدار الفاصل إلى حدود فعلية لإسرائيل. وجدير بالذكر أنه كان هناك عدد من وسائل الفصل الأخرى التى أقدمت إسرائيل على القيام بها، مثل السور الذى يفصل بين مستعمرة «متان» وقرية «حبلة» قرب قلقيلية، والسياج الكهربائى حول مستعمرة «بيت حيفر» بجوار طولكرم، والخندق الذى حُفر حول مدينة «أريحا» بعمق ٨ أقدام، وعرض ٥ أقدام.

وماكادت تندلع انتفاضة الأقصى فى ٢٨/٩/٢٠٠٠ فى ظل حكومة «إيهود باراك»، وعجز إسرائيل عن إخمادها، حتى بدأت الحملة العسكرية الإسرائيلية، فيما تسمى «عملية السور الواقى» فى ٢٨/٣/٢٠٠٢ فى اجتياح أراضى السلطة الفلسطينية، وكان الهدف من ذلك واضحاً لايخفى على أحد، وهو محاولة إسرائيل رسم خريطة جديدة لتحويل مناطق السلطة الفلسطينية إلى «كانتونات» منعزلة، لا يربطها رابط جغرافى، حتى يتم إجهاض قيام دولة فلسطينية حقيقية فى الضفة الغربية وقطاع غزة. ومن هنا برزت فكرة الخطط الإسرائيلى للجدار الفاصل لتأخذ مجالها للتطبيق. وبدأت إسرائيل، فعلاً بإقامة هذا الجدار العازل فى الثالث والعشرين من يونيو ٢٠٠٢ لفصل الضفة الغربية عن إسرائيل، فصار معلما بارزاً جديداً فى هذه الخريطة السياسية الإسرائيلية.

ويمر مخطط الجدار الفاصل بثلاث مراحل:

الأولى تهدف إلى تغطية المنطقة الوسطى من خط التماس «الخط الأخضر» مع الضفة الغربية، وتمتد من مفرق «مى- عامى» بالقرب من جنين شمالاً إلى اللطرون، قرب القدس.

والمرحلة الثانية تشمل ممر القدس من

اللطرون إلى منطقة «بيت جوفرين».

أما المرحلة الثالثة، فتشمل شمال الضفة الغربية وجنوبها. وفى هذا الإطار يبلغ طول الجدار الفاصل بجميع مراحله ٦٠٠ كيلومتراً، بينما يمتد الجدار فى مرحلته الأولى على طول الخط الأخضر الذى يصل طوله إلى ٣٦٠ كيلومتراً ليفصل الضفة الغربية عن إسرائيل، ولايلتزم هذا الجدار فى مساره، بدرجة كبيرة بمسار الخط الأخضر، بل يتعرج، وينحنى فى عدة مناطق من الضفة الغربية ليضم أراض فلسطينية، ومستوطنات يهودية فى الضفة إلى إسرائيل، ويصل ارتفاعه إلى ٨ أمتار، وعرضه ما بين ٥٠ - ١٠٠ متر، تعلوه شبكة من الأسلاك الشائكة، وأبراج مراقبة فى العديد من مواقعه، وبالجدار أيضا أجهزة إنذار مبكر، ونقاط تفتيش، ووحدات للجيش، ودوريات مرورية، ويذكر الخبراء أن بناءه يستغرق ثلاث سنوات، وقد انتهت فعلاً مرحلته الأولى فى ٣١/٧/٢٠٠٣، والتى بدأت من كفر سالم غرب جنين، وحتى كفر قاسم، بالإضافة إلى ٢٠ كيلومترا شرق تل أبيب، وقد بلغ طول الجدار فى هذه المرحلة ١٤٥ كيلومترا. ويُذكر أن الجدار فى مساره يتخذ عدة أشكال، ففى الأماكن التى تتجاور فيها مساكن الفلسطينيين والإسرائيليين، يكون على شكل «جدار مرتفع» من الخرسانة المسلحة لمنع تسلل رجال المقاومة الفلسطينية إلى داخل إسرائيل، بينما فى مناطق أخرى يكون الجدار الفاصل على شكل «أسوار الكترونية شائكة»، كما يتضمن ما بين ٩ - ١٠ معابر لتسهيل مرور الفلسطينيين من أماكن سكناهم فى الضفة الغربية إلى حقولهم ومزارعهم خلف الجدار، فى مقابل أن يدفع كل فلسطينى دولارين رسم مرور، فى حين يدفع كل قائد سيارة عابرة ٣٤ دولاراً. واللافت للنظر أنه توجد منطقة أمنية بين الجدار والخط الأخضر تحرسها وحدات من الجيش الإسرائيلى. وفى هذا السياق يذكر الخبراء الإسرائيليون أن الجدار الفاصل يتخذ فى مساره شكل «ثلاثة أسوار» أمنية.

الأول سور فى شرق الضفة الغربية بطول غور الأردن.

والثانى سور غرب الضفة على طول الخط الأخضر بعمق ٥ - ١٠ كم، والثالث سور يحيط بالقدس، بالإضافة إلى إقامة ٥ أحزمة عرضية بين السورين الطوليين، تشكل معاً ممراً بين منطقة جنوب «طولكرم»، ومنطقة «نابلس» حتى غور الأردن، الأمر الذى يؤدى إلى تقسيم المناطق الفلسطينية إلى أربعة كتل رئيسية، وهى «جنين - نابلس»، ورام الله، وبيت لحم، والخليل، كما أن الجدار بهذه الصورة يقسم الضفة الغربية إلى ٨ كانتونات منفصلة تماماً عن باقى الضفة الغربية. أو كما يقول الرئيس «عرفات»، عندما شاهد خريطة الجدار الفاصل: «إن ما أخذته إسرائيل من الضفةالغربية ٥٨٪ من مساحتها، وما تبقى للفلسطينيين٤٢٪ فقط، مقسمة إلى

كانتونات، كانتون فى الخليل، وكانتون فى أريحا، وجدار برلين حول القدس، وكانتون فى رام الله، وكانتون فى نابلس، وكانتون فى جنين، وجيتو فى قلقيلية، وجيتو فى طولكرم». وبذلك تحولت الضفة الغربية بسبب جدار الفصل العنصرى إلى سجن كبير للفلسطينيين داخل كانتونات منعزلة، ومن جهة أخرى وبالتوازى مع مخطط الجدار الفاصل بادرت إسرائيل بشق عدد من الطرق الالتفافية لربط المستوطنات اليهودية بعضها ببعض، وعزل القدس والمدن الفلسطينية عن بعضها البعض بعد أن قامت بمصادرة كثير من أراضى الضفة الواقعة فى المنطقة (ب) الخاضعة للسيطرة المشتركة لكل من السلطة الفلسطينية وإسرائيل، وجرى ذلك وفقاً لخطة «شارون» للفصل، التى تهدف إلى إحكام السيطرة على الكانتونات الفلسطينية لخلق واقع جديد فى الأرض لترسيم حدود جديدة لتلك الكتل الاستيطانية المنفصلة، التى تطمح دولة الكيان الصهيونى لضمها فى حالة التوصل إلى حل نهائى مع السلطة الفلسطينية.

وما يجب لفت الانتباه إليه أن جدار الفصل العنصرى له العديد من التأثيرات السلبية على حياة، وممتلكات الفلسطينيين، فقد أدى إلى سجن ١١٧٠٠ فلسطينى داخل ١٣ تجمعاً سكنيا فى منطقة محصورة بين الجدار الفاصل والخط الأخضر، وحصار ١٢٨٥٠٠ فلسطينى داخل ١٩ تجمعا سكنيا، وعجز مايقرب من ٧٢٢٠٠ فلسطينى يسكنون ٣٦ تجمعا سكنيا عن الوصول إلى أراضيهم الزراعية الموجودة خلف الجدار الفاصل، وتقييد حرية حركة الفلسطينيين فى الوصول إلى أعمالهم، والعودة إلى بيوتهم، وإعاقة وصول المدرسين والتلاميذ إلى مدارسهم، والمرضى إلى المستشفيات، وضم ١١ قرية، يبلغ عدد سكانها ٢٦٠٠٠ فلسطينى إلى إسرائيل، لوجودها بين الجدار الفاصل والخط الأخضر، يضاف إلى ذلك سيطرة إسرائيل على ٢١ قرية فلسطينية أخرى وراء الجدار العنصرى.

ومن جانب آخر يذكر أن إسرائيل بدأت فى إقامة عدد من الأسوار الالكترونية المكهربة حول المناطق (أ) الخاضعة لسيطرة السلطة الفلسطينية، وإنشاء مناطق عسكرية فاصلة أدت إلى فصل المناطق (أ) عن بعضها البعض مكونة بذلك ١٣ جيتو فلسطينيا منفصلا. ومن ناحية أخرى أدى الجداران الفاصلان على امتداد غور الأردن شرقا، وعلى امتداد الخط الأخضر إلى تقليص مساحة الضفة الغربية إلى حوالى ٤٢٪، وهى المساحة التى يلوّح بها شارون لتركها للفلسطينيين لإقامة دولة فلسطينية. وفوق ذلك سيؤدى الجدار العنصرى إلى عزل القدس، وحصارها بالمستوطنات اليهودية التى تحيط بها من كل جانب إحاطة السوار بالمعصم، بحيث يصعب تصوّر هذه المدينة المقدسة، عاصمة للدولة الفلسطينية الوليدة،

وإخراج عدة قرى فلسطينية من حدود بلدية القدس، بما يطبع هذه المدينة بالطابع اليهودى، وحرمان الفلسطينيين من مصادر المياه، بعد أن صادرت إسرائيل مايزيد على ٣١ بئر مياه جوفية خلال المرحلة الأولى للجدار الفاصل، توفر حوالى ٤ ملايين متر مكعب من المياه، زد على ذلك قيام إسرائيل بتدمير حوالى ٣٥٠٠٠ متر من أنابيب المياه، كانت تستخدم لرى الأراضى الزراعية، والأغراض المنزلية، وضم ٥٧ مستوطنة يهودية من مستوطنات الضفة الغربية إلى إسرائيل بدلاً من تفكيكها، أو تفريغها من مستوطنيها.

وعلى الرغم من إصرار حكومة شارون على مواصلة استكمال بناء الجدار الفاصل فقد تعالت أصوات داخل إسرائيل تطالب بوقف البناء، فيرى كثير من المحللين السياسيين «أن خطة الجدار الفاصل ليست سوى (الأخت الصغرى) للسترة الواقية من الرصاص، والسيارات المصفحة، والمكعبات الأسمنتية، وجميع الوسائل التى لم تفلح فى أن تكون بديلة عن المواجهة العسكرية»، وهؤلاء يستندون فى ذلك على عدم نجاح الجدار الفاصل حول غزة فى رد هجمات المقاومة الفلسطينية، ومنع تسلل الفدائيين الفلسطينيين إلى المستعمرات اليهودية، كما أن خطة الفصل التى نفذتها إسرائيل فى شمالها، لم تمنع حزب الله من مهاجمة الجنود الإسرائيليين فى «مزارع شبعا». ويرى «افيجدور ليبرمان» وزير البنى التحتية السابق: «أن أى خط لم ينفع، لا جدار برلين، ولا خط ماجينو، ولا خط بارليف»، وإن كان «ليبرمان» قد اقترح «فصلا بالعرض» لقطع الضفة الغربية وغزة إلى «كانتونات» وهى نفس الفكرة التى سبق لشارون تقديمها عندما كان وزيراً للبنى التحتية فى حكومة «بنيامين نيتانياهو» فى نوفمبر ١٩٩٦، وعُرفت باسم «خطة الكانتونات» التى تقوم على أساس منح الفلسطينيين «مناطق حكم ذاتى» لا رابط جغرافى بينها، ومقطعة الأوصال بواسطة طرق عرضية تصل بين السهل الساحلى على البحر الأبيض المتوسط والقدس وغور الأردن، وأعتقد أن هذا ما يسعى إليه شارون فى المستقبل. وفى هذا السياق يقول زعيم المعارضة «يوسى ساريد»: «إن سياج الفصل الذى يتم إقامته، هو سياج لايقوم على خطوط ١٩٦٧، ولايرتبط بإخلاء المستوطنات، إنه سياج ضد الأمن. فالسياج الذى يتم إقامته سيزيد فقط من العبء الواقع على الجيش الإسرائيلى، ولن يتحسن الوضع الأمنى، وإنما سيزداد سوءا».

وفى الختام يمكن القول إن جدار الفصل العنصرى الذى تواصل إسرائيل بناءه لن يحقق لها الأمن الذى ترجوه، وأن التسوية السياسية العادلة بينها وبين الفلسطينيين لتكون لهم دولة مستقلة ذات سيادة، هى السبيل الوحيد لتحقيق السلام والأمن للطرفين.

كيف يصحح المسلم عقيدته

للأستاذ / مجدى عبدالحميد بشير

العقيدة الحقة هى أعلى ما يملك المؤمن فى حياته فيها يعيش ولأجلها يقاتل وفى سبيلها يجاهد وعليها يموت ويحيا ويلقى الله عز وجل والعقيدة هى التى تحرك العبد للطاعة وتبعده عن المعصية ولذا كان واجباً على كل مسلم حريص على دينه أن يصحح عقيدته باتباع أمور نوجزها فيما يلى:

أولاً: عدم الاستغاثة بالأموات.. فلا استغاثة ولا استنجاد عند الكرب والشدة إلا بالله وحده، قال تعالى:

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1].

ثانياً: عدم طلبك المدد إلا من الله قال تعالى:

﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾[2].

وقد علّم الرسول ﷺ عبدالله بن العباس ذلك فقال: (إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله)[3]. بل كانت الهدية التى قدمها ﷺ لأحد صحابته حين أخذ بيده وقال: (والله إنى لأحبك يا معاذ فلا تدعن فى دبر كل صلاة أن تقول اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك)[4].

ثالثاً: عدم الذبح أو تقديم القرابين إلا لله وحده فلا ذبح للجن ولا عمل بترهات السحرة وأباطيلهم ومن خالف ذلك فقد أشرك لأن الضار والنافع هو الله وحده. قال رسول الله ﷺ: (لعن الله من ذبح لغير الله)[5].

الأمر الرابع: عدم النذر إلا لله وحده فلا يجوز - إذا تمنيت نجاح ولدك أو زواج بنتك وتحقق لك ما أردت - أن تنذر لأولياء الله فالنذر عبادة لا تكون إلا لله وحده. قال رسول

(١) الأنفال (٩ - ١٠).
(٢) الإسراء (٢٠).
(٣) أخرجه الترمذى فى سننه برقم ٥١٦.
(٤) كنز العمال (٤٩٧٠).
(٥) أخرجه مسلم فى الأضاحى.

الله ﷺ: (من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه)[6].

خامساً: لا طلب للشفاعة إلا من الله وحده وعلينا حين نطلب شفاعة النبى ﷺ أن نقول: (اللهم شفع فينا نبيك ﷺ) وعلى من أراد الفوز بالشفاعة أن يخلص العمل لله فإن رسول الله ﷺ قال لأبى هريرة: (أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه)[7] فوحد الله يشفع لك رسوله.

سادساً: لا طواف بغير الكعبة ولا طواف بأى قبر ولا تمسح بأى ضريح أو تبرك بقبر ولى أو عارف فكل ذلك حرام فالطواف عبادة لا تكون إلا بالبيت العتيق وهذه قصة يتضح منها ما نريد إثباته فعن أبى واقد الليثى قال: كنا مع النبى ﷺ فى غزوة حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وكان للمشركين ذات أنواط - يعنى شجرة - يعلقون عليها سيوفهم فمررنا على سدرة عظيمة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال ﷺ: «الله أكبر إنها السنن - أى العادة» والذى نفسى بيده لقد قلتم كما قال بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال: ﴿ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾[8].

أما مواقف عمر الفاروق فى القضاء على الشرك والبدع فمنها قطعه شجرة الرضوان وقوله للحجر الأسعد: (والله إنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك).

سابعاً: لا تصدق خرافة عفاريت الموتى ولا تعتقد فى خزعبلة أشباح القتلى فكل تلك أوهام قاتلة وظنون لا أصل لها يقول رسول الله ﷺ (لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفرة). والتاريخ الإسلامى غنى بسلوكيات الصحابة الذين لم يستسلموا للأوهام الباطلة كخرافة التشاؤم من امرأة بعينها لأنها كلما تزوجت رجلا وافاه أجله إذ أن الصحابية «عاتكة الخزرجية» تزوجت أربعا من الصحابة وآمت منهم جميعا فكلما تزوجت أحدهم وافته المنية فلم يتشاءم اللاحق من السابق فكل تلك معتقدات فاسدة مخلة بالعقيدة، ولما ضرب الطاعون الشام أمر الفاروق بالعودة إلى المدينة فلما كلمه أبوعبيدة بن الجراح أمين الأمة قائلا: أفرارا من قضاء الله يا أمير المؤمنين؟ قال رضى الله عنه: (نفر من قدر الله إلى قدر الله).

فاللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا واجعلنا من الذين يحرصون على أن تبقى عقيدتهم خالصة نقية من الشوائب ابتغاء وجهك الكريم.

(٦) أخرجه البخارى ٨/١٧٧.
(٧) أخرجه البخارى ١/٣٦، ٢/٤١٢، ٨/١٤٦.
(٨) الأعراف (١٣٨).

منح دراسية فى موضوعات الإعجاز العلمى للقرآن الكريم

أصدر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر القرار رقم (١٢١٤) لسنة ٢٠٠٣م وهذا نصه:

المادة الأولى:

الموافقة على الإعلان عن منح دراسية فى موضوعات الإعجاز العلمى للقرآن الكريم وفقاً للشروط والإجراءات والضوابط التى وضعتها لجنة الإعجاز العلمى للقرآن الكريم بمجمع البحوث الإسلامية وهى:

١- قيمة المنحة ١٠٠٠٠ جنيه (عشرة آلاف جنيه مصرى) للدكتوراه و ٦٠٠٠ جنيه (ستة آلاف جنيه مصرى) للماجستير.

٢- يتقدم طالب المنحة بموضوع البحث وخطته إلى لجنة الإعجاز العلمى للقرآن الكريم بمجمع البحوث الإسلامية للموافقة عليها.

٣- بعد موافقة اللجنة على موضوع البحث يتخذ الطالب والسادة المشرفون الإجراءات الخاصة بالتسجيل من المجالس المختصة بالجامعة، على أن يكون أحد المشرفين من المتخصصين فى العلوم الإسلامية المتعلقة بموضوع البحث، ولا تنفذ المنحة إلا بعد التسجيل العلمى فى الكلية المختصة وموافقة اللجنة.

٤- بعد إتمام التسجيل يتم صرف ١٠٠٠ جنيه (ألف جنيه مصرى) لطالب الدكتوراه و ٥٠٠ جنيه (خمسمائة جنيه مصرى) لطالب الماجستير عن كل عام من تاريخ التسجيل فى الجامعة ولمدة أقصاها ثلاث سنوات وذلك بناء على تقرير من السيد المشرف فى نهاية كل عام يوضح به مدى تقدم الطالب والتزامه بخطة البحث.

٥- بعد الانتهاء من الرسالة ومناقشتها وإجازتها يمنح الطالب مبلغاً وقدره ٢٠٠٠ جنيه (ألفا جنيه مصرى) للدكتوراه ومبلغ ١٥٠٠ جنيه (ألف وخمسمائة جنيه مصرى) للماجستير يضاف إليهما تكلفة طبع الرسالة وإعدادها بحد أقصى ١٠٠٠ جنيه (ألف جنية مصرى) على أن يخصص خمس نسخ منها لإيداعها مكتبة اللجنة بالأزهر الشريف.

٦- يمنح السادة المشرفون على الرسالة - مجتمعين - بعد إجازتها مبلغ ٥٠٠٠ جنيه (خمسة آلاف جنيه مصرى) للدكتوراه و ٣٠٠٠ جنيه (ثلاثة آلاف جنيه مصرى) للماجستير.

٧- فى حالة إنجاز الرسالة فى مدة أقل من ثلاث سنوات يتم صرف المنحة عن الفترة التى تم اختصارها مع المكافأة التى تصرف بعد إنجاز الرسالة ومنح الدرجة العلمية وذلك بالنسبة للطالب.

٨- تقدم الطلبات الخاصة بالمنح إلى سكرتارية لجنة الإعجاز العلمى للقرآن الكريم بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف وذلك فى خلال ستة أشهر من تاريخ نشر هذا الإعلان.

٩- على لجنة الإعجاز العلمى للقرآن الكريم بمجمع البحوث الإسلامية تعميم هذا الإعلان على جميع الجامعات والمراكز العلمية وينشر بالصحف كخبر غير مدفوع الأجر.

المادة الثانية:

على الجهات المختصة تنفيذ هذا القرار.

صدر فى: ١٠ من رجب سنة ١٤٢٤ هـ

الموافق: ٧ من سبتمبر سنة ٢٠٠٣م.

شيخ الأزهر

دكتور / محمد سيد طنطاوى

* وجدير بالذكر أن هذه المنح الدراسية مقدمة من وقف السيد المستشار الدكتور / محمد شوقى الفنجرى

﴿ فَسْئَلُوٓا أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

● اطلعنا على الطلب الوارد إلينا من / مجلة الأزهر - المقيد برقم ١٦٨٦ لسنة ٢٠٠٣م المتضمن :

أولاً: يقول السائل نذرت ذبح خروف عند قضاء مصلحة فهل يحق لى أن آكل منه شيئاً وما مقداره. ولو نذرت مبلغ ألف جنيه فهل يحق لى أن آخذ أى مبلغ منه؟

ثانياً: يقول السائل عندى ثلاثة أبناء الأول والثانى متزوجان وحالتهما ميسورة جداً أما الثالث فلم يتزوج ولم يعمل حتى الآن فهل يحق لى كتابة جزء من أملاكى كشقة لهذا الإبن دون إخوته؟

ثالثاً: تقول السائلة عندى رصيد بالبنك قدره خمسون ألف جنيه وآخذ الفوائد سنوياً لأعيش بها فهل يجب علىّ زكاة مال علماً بأننى لم أخرج زكاة المال منذ عامين سابقين وما مقدار هذه الزكاة وهل تجب فى الفوائد أم فى أصل المال؟

وتطلب مجلة الأزهر الإجابة عن هذه الأسئلة.

●● الجواب :

أولاً: من المقرر شرعاً أن من نذر نذراً مباحاً وكان فى استطاعته الوفاء به لزمه أن يفى بما نذر بعينه، سواء عيَّن المساكين أم لا وسواء كان التعيين باللفظ والنية أو النية فقط ولا يجوز للناذر أن يأكل من نذره ولا أن يشارك المساكين فيه وذلك لأن النذر بالذبح أو بالإطعام أو بالأموال يعتبر صدقة والصدقة قاصرة على الفقراء ولا يجوز لغيرهم أن يشاركهم فيها.

الأزهر

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
أحمد الطيب
مفتى جمهورية مصر العربية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

وعلى ذلك فلا يجوز للسائل أن يأكل من لحم الخروف الذى نذره ولا أن يأخذ شيئاً من المال الذى نذره وإنما يقوم بتوزيع النذر على فقراء المسلمين.

ثانياً: ينبغى للسائل أن يعدل بين أبنائه فى الهبات والأعطيات ويجوز له أن يميز بعض أولاده على بعض بما يشاء إذا كان هناك مبرر لذلك مثل المرض والفقر والانشغال بالعلم والقلق على مصير أحد الأبناء بل لو كان الولد أكثر براً بوالديه من باقى إخوته جاز تفضيله.

ثالثاً: من المقرر شرعاً أن زكاة المال ركن من أركان الإسلام الخمسة وفرض عين على كل مسلم توافرت فيه شروط وجوب الزكاة وهى أن يبلغ المال النصاب الشرعى وأن تكون ذمة مالكه خالية من الدين وأن يكون فائضاً عن حاجته الأصلية وحاجة من يعول وأن يمر عليه سنة قمرية.

والنصاب الشرعى هو ما قيمته بالنقود الحالية ٨٥ جراماً من الذهب عيار ٢١.

وبناءً على ذلك وفى واقعة السؤال:

إذا بلغ المال المودع بالبنك النصاب الشرعى أو أكثر وجبت فيه الزكاة بعد استيفاء الشروط المنوه عنها سابقاً بواقع ٢,٥٪ كما يجب على السائلة أن تخرج الزكاة عن العامين السابقين.

أما الأرباح السنوية عن هذا المبلغ فإن كانت السائلة تضم هذه الأرباح إلى رأس المال فتكون الزكاة على جميع المبلغ الأصل والعائد.

أما إذا كانت السائلة تنفق الأرباح السنوية لتعيش منها فلا زكاة على الأرباح وإنما تكون على أصل المال فقط.

ومما ذكر يعلم الجواب عما جاء بالأسئلة إذا كان الحال كما ورد بالطلب.

والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم

حوار من وراء الأسوار

٢

لفضيلة الشيخ
الطاهر الحامدى

يقول الله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾

سورة إبراهيم (٢٤)

لفت نظرى تشبيه الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة، وأوحى لى وجه الشبه المتعدد بعلو منزلة الكلمة الطيبة.

فهى ثابتة فلابد أن جذورها عميقة فى الأرض وفرعها فى السماء فلابد أنها سامقة عالية تؤتى أكلها كل حين فينتفع الناس بها.

وأيضا هى ذات فروع متعددة تظلل فى كل اتجاه والله يعلم أنى لما تشرفت بالعمل بمجلة الأزهر سألت الله أن يهبنى الصدق ويرزقنى القبول.

وجللنى قول الله تعالى: ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ وتذكرت قول عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أنا لا أحمل هم الإجابة ولكنى أحمل هم الدعاء فإذا وفقنى الله للدعاء فأنا موقن بالإجابة.

فها هى بشرى للقبول تطرق بابى فى رسالة فضيلة الشيخ أحمد على حسانين الواعظ بالجمعية الشرعية سجين القناطر فك الله أسره وأعاده إلى أهله كما أعاد إليه فهمه الرشيد المستقيم.

ومن الفروع الباسقات التى ظللت فى كل اتجاه جاءنى واعظ آخر هو الشيخ جمال عبدالفتاح البنا ينتصب عرقا من فرط عدوه وهمه ـ رغم انكسار حدة الحر ـ يشكو إلىَّ ما أصابه من جراء تشابه اسمه فقد توهم الناس أنه المقصود المشارك فى مؤتمر الثقافة الآثم.

قلت يا رجل كيف وأنت تحمل دليل براءتك بين يديك؟!

لقد كان يحمل كتابا له بعنوان (دعوة نبوية لرؤية خير البرية) ﷺ أنت تدعو لتكتحل عيوننا برؤية الحبيب ﷺ فكيف تقارن نفسك أيها الواعظ النبيل بمن لا يطمح فى رؤية نعلى مالك بن أنس اللذين خلعهما إكراما لتراب مشى عليه النبى صلى الله عليه وسلم.

فلقد روى التاريخ أن مالك بن أنس ـ رضى الله عنه ـ فقيه المدينة وعالمها أبى أن يلبس نعلا يمشى به فى المدينة وقال كيف أطأ بنعلى ثرى مشى عليه المصطفى ﷺ.

أقول: لفضيلة الأخ الواعظ لا ترع من تشابه الأسماء فالله يحاسبنا على الأعمال والقلوب كما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

وكما شفع لك كتابك فى الدنيا أسأل الله أن يشفع لك ولى وللمذنبين من أمثالى صاحب الحوض يوم القيامة.

قال صاحبى لقد أسرفت على نفسك وعلىَّ فى المقدمات فماذا أنت فاعل مع فضيلة الشيخ واعظ القناطر فيما أشكل عليه من بعض أفعال المتصوفة قلت جزاك الله خيرا ثم أردفت قائلا: قرأت عبارة للعارف بالله الراحل الكريم الشيخ محمد زكى إبراهيم رائد العشيرة المحمدية يقول فيها: (إن المعالج لقضية التصوف يمشى على لظى الزجاج المتكسر بين أعداء التصوف وأدعيائه على السواء) فأنت على حذر وقلق من خطأ الأدعياء وهوى الأعداء ويبدو أن ذلك ما حمل احد رجال التصوف على مدح شيخه لأنه تصدى للأدعياء والأعداء فقال شعرا يخاطب شيخه:

أجهدت نفسك فى الطريق ونشرها
وبذلت فيها همة الأبطال
كابدت جهل عدوها وصديقها
وشقيت بين مفرط ومغال

وقال أيضا يمدح جهاده مفصحا عن رفض التعصب والجهل:

حفظ الطريقة أن يشوه حسنها
متعصب أو بتبة جهول
فى حقبه راج الفسوق يسوقها
علنا ويسود مدع ودخيل
وتصدر الجهلاء فيها وادعوا
إن الطريق تواكل وخمول
كلفوا بترصيع الملابس شهوة
واتوا بما لا يرتضيه دليل

وغــزوا بمظاهر مـــعـــروفـــة
فى طيـهـا الإلحـاد والتـدجـيـل
وتعــدو الحق الصـراح وعندهم
أن التظاهر بالوصـــول وصــول

ولعلك عـرفـت أن الأدعـيـاء والجـهلة المشكلة التى يعانى منها أى منهج سليم وليس ذلك وليـد هذه الأيام بل إن الأمر بدأ منذ قـرون عـدة مما حـمل الإمـام القشيرى صاحب الرسالة أن يقول فى مقدمة كتابه أنه جمع هذه التراجم حتى لا يختلط بالطائفة أدعياء غيرهم فإذا علمت أن الإمام القشيرى كتب رسالته منذ أكثر من تسعة قرون فكيف الحال اليوم. ذلك مجال واسع خطير ولا أحب أن استطرد فيه لكنى أحب أن أذكر لك يا أخى بعض ما قاله شيوخنا فى ضبط أسـمـاء الله أثناء الذكر حـيث إنك استنكرت بعض أخطاء وقعت فى بعض مجالس الذكر قال سيدى أحمد بن شرقاوى فى منظومته عن أدب الذكر:

واحذر من التقطيع فى الأسماء
والقصر والمد بلا امتراء

يحذر الشيخ من ثلاثة أشياء:

الأول: التقطيع فى أسماء الله تعالى فإنه حرام بإجماع.

وأما ما ورد عن بعضهم من كراهة التقطيع فإنه محمول على تقطيع الجمل فلا ينافى حرمة التقطيع فى الكلمة الواحدة.

الثانى: القصر كأن يقال [الله] بدون مد طبيعى ولذلك قالوا: وأما مد كلمة الجلالة فلا يجوز نقصه عن حركتين وهو المد الطبيعى.

وأما حذف ألف الله فهو لحن لا ينعقد معه ذكر كما صرح بعضهم بأن حذف ألف الله خطأ محض لا أصل له فى اللغة ـ أرجو ألا تختلط فى ذهنك بكلمة «لله» ـ فإن ذلك جار ومجرور.

ولذلك قالوا لا يجوز الذكر به إلا بإثبات الألف.

الثالث: المد فى غير محله بأن تشبع الحركات حتى تتولد من الكسرة ياءً ومن الفتحة ألفاً ومن الضمة واواً.

وحذارى من تفخيم أداة النفى فى (لا إله إلا الله) فربما مال بها بعضهم إلى جهة الشفتين فتصير كالواو وفى جهة وسط اللسان وما فوقه فتصير كالياء وهكذا ضبطوا الأسماء حتى لا يحرفها جاهل ولذلك قالوا إنه:

ـ إذا وقع تحريف فيجب على كل حاضر قادر منعه وعلى كل عارف تنبيه كل ذاكر أخطأ فى كيفية ذكره وتصحيحه على الوجه المرضى.

وقد اعتنى بضبط هذه الكلمة المشرفة وحذر من اللحن فيها جمع كثير من أئمة الدين أذكر منهم أبوالبركات فى «شرح الخريدة» وهى كتاب فى التوحيد كان يدرس فى الأزهر، وقال ابن الحاجب فى كتابه «المدخل أنه يلزم تأديب من يلحن فى الذكر».

ثم قلت لصاحبى: أما اعتراضك على ما سمعته من الإنشاد فى الذكر فإن ما سمعته من شعر ليس لأحد من رجال الله المتصوفة إنما قائله «أبونواس» إذا لم تخنى الذاكرة.

وكان يلزم قائله التأديب كما يلزم شيخه كذلك إذ سمعه وأجازه.

واسمح لى أن أذكر لك أبياتاً من الشعر الذى يرقق الوجدان ويقوى العاطفة ويعين الذاكرين.

وهو قول القائل وقد ذهب لزيارة المصطفى ﷺ.

قال:

لما وفدت إليك ألتمس الرضا
وألوذ عند القبة الخضراء
وأتت للحرم الأمين وبغيتى
ميمون عطفك يا أبا الزهراء
ووقفت أهديك التحية ضارعاً
من كثرة العثرات والأخطاء
وبكيت من ثقل الذنوب ولم أجد
شيئاً يليق هناك غير بكائى

ولا يخفى عليك يا أخى ان الشعر كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح وأن رسول الله ﷺ كان يسمع حسان بن ثابت فى المسجد ويقول له اهجهم فإن روح القدس معك.

فإنشاد الشعر مادام فى كلام عذب جميل ليس فيه خروج عن الدين ولا عن الأخلاق فإنه ينمى العاطفة ويوقظ الوجدان وإلى لقاء آخر إن شاء الله.

***

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم
عادل رفاعي خفاجة

تكريم الإسلام للإنسان

يقول الله تبارك وتعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾(1).

لقد كرم الله الإنسان على سائر المخلوقات فوهبه العقل الذى هو آلة التمييز ومناط التكليف، والعقل موضع العلم وتلقى المعارف وبه يعرف الإنسان الله ويفهم كلامه وبه يتوصل إلى نعيمه وتصديق رسله وهناك أمور يجوزها العقل وأمور يرفضها ولذلك ورد عن السلف الصالح أن العقل أنوار وبصائر.

والإنسان مأمور أن يستخدم عقله ويتفكر فى خلق الله من حوله ويتفكر فى نفسه كيف كان نطفة ثم كان علقة ثم مضغة ثم عظاما ولحما ثم هو بالعقل والتفكير يعلم ما يحدث لبنى جنسه من تحول فيراهم يمرون بأطوار من الطفولة إلى الشباب ثم الشيخوخة وهو أمر مطرد تنظمه سنة الله التى لاتتخلف فمن يُعمل عقله فى هذه الأمور يعلم أنه صائر إليها لامحالة وأن بعد القوة ضعفا وشيبة.

وقد أمرنا الله فى غير ما آية أن نتفكر ونتدبر حتى لانلغى عقولنا التى هى أساس تكريم الله للإنسان.

وقد حرص الإسلام على تزكية من يستخدمون عقولهم وصولا إلى الصراط المستقيم يتفكرون فى خلق الله من حولهم.

يقول الحق تبارك وتعالى فى شأنهم:

﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(2) أى وما يذكر إلا أصحاب العقول.

(1) الإسراء ـ 70.
(2) البقرة (269).

ويقول جل شأنه:

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

آل عمران ـ ١٩٠

ويقول:

﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

الرعد ـ ١٩

إن هذا التكريم الذى منحه الله للإنسان يلقى عليه واجبا لابديل عنه وهو ضرورة إعمال فكره فى كل تصرفاته بحيث يكون محبا للخير داعيا لبنى دينه ووطنه وجنسه وهو ما حثنا عليه رسول الله ﷺ حيث قال لمن سأله أى الإسلام خير؟ قال ﷺ: «تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»(1).

وبإعمال العقل يكون شغل الإنسان الشاغل هو البناء والبعد عن الهدم فتزداد وشائج الرحمة بين الناس ولايكون ذلك إلا بالتسامح والبذل والعطاء.

ومازال النبى ﷺ يُعلِّم الناس هذه المبادىء الحنيفة السمحة قولا وعملا.

فمن أقواله ﷺ: «أفضل الفضائل أن تصل من قطعك وتعطى من منعك وتصفح عمن شتمك»(2).

وفى فتح مكة نراه ﷺ يضرب المثل والقدوة الحسنة فى الصفح والتسامح.

وها هم صناديد قريش يجتمعون بالكعبة وبينهم من آذى الرسول ﷺ ومن دبر لقتله ينتظرون جميعاً ما يحل بمثلهم جزاء لما اقترفت أيديهم، وهاهو الرسول الكريم يمكنه أن يمثل بهم جميعا، ويثأر لكل جرائمهم فى حقه وحق صحابته ولم يكن فى حاجة ليبرر ما يفعل، فقد سبقت هند بنت عتبه إلى ذلك.

لم يفعل النبى ذلك بل قال: «يامعشر قريش إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء الناس من آدم وآدم من تراب.

ثم قال: يامعشر قريش ما ترونى أنى فاعل بكم

قالوا: خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم.

قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء»(3).

هكذا عالج رسول الله ﷺ أخطاء قريش بالرحمة وكان القدوة الحسنة لغيره فى كيفية تقليل عدد المخطئين بهذا الدرس العملى وباحترام الإنسان واحترام عقله وبذلك علم الناس أنه الرسول الكريم وأنه ﷺ الرحمة المهداة فدخلوا فى دين الله أفواجا..

وبعد فعلينا أن نعى هذا الدرس الذى قدمه الرسول الكريم فى فتح مكة للبشرية وهو فى قمة انتصاراته درس التسامح واحترام ذات

(1) البخارى ـ كتاب الإيمان ـ باب إطعام الطعام من الإسلام.
(2) السيرة النبوية لابن هشام جـ4 ص74.
(3) مسند الإمام أحمد ـ مسند المكيين حديث رقم 15065.

الإنسان الذى كرمه الله لقد ذاق المسلمون ألوانا من العذاب على أيدى قريش وتعرض الرسول الكريم لأقسى ألوان العذاب الجسدى والنفسى فى بدء الدعوة، وبعد أن مكن الله له فما كان منه غير التسامح الكريم المنقطع النظير!

وما كان ذلك منه ﷺ إلا إرساء لقاعدة الأخوة الإنسانية وإعلاء لكرامة الإنسان.

نقول: هذه هى تعاليم الدين الإسلامى الحنيف أرساها رسول الإنسانية وتبعه أتباعه أيمانا وتصديقا والتزاما صادقا ثم بعد مرور ما يقرب من أربعة عشر قرنا تصدر الأمم المتحدة إعلان حقوق الإنسان الذى تضمن (ضرورة إحترام كرامة الإنسان والبعد عن أى عمل يعتبر حاطا بكرامته).

فهل التزم العالم المتحضر بما صاغه بيديه وقبل تنفيذه بمحض إرادته؟! وأين ذلك مما يحدث الآن على أرض العراق وفلسطين؟!

● أليس تفتيش جنود الاحتلال للنساء العراقيات حاطا بالكرامة؟ وبخاصة إذا علمنا أن قوات الاحتلال تضم مجندات أمريكيات هن أولى بالقيام بهذه المهمة من الرجال؟!

● وهل هناك أعمال حاطة بالكرامة أشد بشاعة من اقتحام الجنود الأمريكيين لبيوت العراقيين فى تكريت بحثا عن أفراد المقاومة العراقية وإخراج أهلها ووطىء رحرهيم بالأحذية؟!

● وهل طرد عرفات من وطنه إلا صورة من صور الأعمال الحاطة بكرامة العرب جميعا.

● ثم أليس استخدام الفيتو الأمريكى ضد مشروع القرار الذى أعدته المجموعة العربية بالأمم المتحدة بعدم طرد عرفات.. إلا صورة من صور الإصرار على الحط من كرامة العرب؟!

إننا نقدم هذه الكلمات ليعرف العالم من أرسى كرامة الانسان، ويطبقها قولا وعملا ومن يتشدق بحقوق الانسان، وكرامة الانسان وبينه وبين التطبيق ما بين المشرق والمغرب.

شكر واعتذار

ورد إلى المجلة العديد من المقالات التى تتناول الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى ودوره فى إثراء الفكر الإسلامى والدراسات القرآنية، وجهوده الخلاقة فى مجال اللغة والأدب والنقد.

والمجلة إذ تشكر السادة الأساتذة الذين تفضلوا بالكتابة إليها تتقدم إليهم جميعاً بالاعتذار عن عدم النشر نزولاً على رغبة فضيلة الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى لمكانته من المجلة ولا يسعنا إلا أن نلبى رغبة فضيلته، راجين قبول العذر مع وافر الشكر والتقدير لما بذلوه من جهد مشكور

وإلى رسائل القراء

الوفاء من خلقه ﷺ

هذه الكلمات التى تصور جانباً من وفاء الرسول أرسل بها القارئ: أكرم محمد شريف - مدرس بالأزهر - ميت كنانة - القليوبية يقول:

ستبقى أخلاق النبى ﷺ ظلال وارفة يأوى إليها كل من يفر من قيظ الحياة ويستظل خصاله الكريمة بستانا يتريض فى رحابه كل باحث عن الراحة والسكينة ونبراسا لكل من يريد أن يمشى سويا على صراط مستقيم.

وأعرض من دوحة خصاله وواحة خلاله خلق (الوفاء) فقد كان وفاؤه ﷺ درسا فى زمان ساد فيه الجحود والنكران.

فكان أول وفاء النبى لربه الذى خلقه اعترافا له بفضله وشكرا على نعمه فكان يصلى حتى لتتورم قدماه من طول الوقوف يصلى بين يدى مولاه.

وكان وفاؤه مع زوجته الفاضلة السيدة خديجة فلم ينس لها أنها وقفت بجواره تشد من أزره وترفع عن كاهله ما ألمَّ به مع كلمات الوحى الأولى فى الغار حيث أخذت تعدد له كريم خصاله وأن مثله لا يخزيه الله أبداً فعرف لها ذلك، وبعد رحيلها كان إذا أتاه آت بهدية يأخذ من ذلك ويقول اذهبوا به إلى فلانه فإنها كانت صاحبة خديجة.

ومن وفائه مع عمه الذى كفله صغيراً أنه حدثت مجاعة فى مكة وكان أبو طالب كثير العيال فأخذ النبى ابن عمه على بن أبى طالب معه إلى بيته ليخفف عن عمه فى هذه الشدة وليرد له الجميل.

السعى للسعادة فى ليلة النصف من شعبان

وعن ليلة النصف من شعبان وما يستحب فيها من أعمال يقول الشيخ محمد محمود حمودة وكيل معهد كرداسة:

ألا ما أجدرنا جميعا بالانتباه إلى مواسم الطاعات وانتهاز فرصها لكسب الخيرات فى الحياة، وبعد الممات حيث الجنة العالية وعيشتها الراضية، ومن مواسم الطاعات: ليلة النصف من شعبان. قالت عائشة «قام رسول الله من الليل فصلى فأطال السجود حتى ظنت انه قد قبض، فلما رأيت ذلك قمت حركت ابهامه فتحرك، فرجعت فسمعته يقول فى سجوده: أعوذ بعفوك من عقابك، واعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك منك لا احصى ثناء عليك أنت كما

اتيت على نفسك فلما رفع رأسه من السجود وفرغ من صلاته ـ قال: ياعائشة أو ياحميراء أظننت أن النبى ﷺ قد خاس بك؟ قلت: لا والله يارسول الله، ولكن ظننت أنك قبضت لطول سجودك فقال: أتدرين أى ليلة هذه؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال هذه ليلة النصف من شعبان إن الله عزوجل يطلع على عباده فى ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحقد كما هم.

لما كان من رسول الله ﷺ من زيادة فى طاعة فى تلك الليلة وإطالة السجود له فى صلاته بها وتعظيمه الثناء عليه تعالى وتضرعه ودعائه ـ لفتنا ﷺ أن ليلة النصف من شعبان موسم يحرص المسلم الرشيد على استغلاله للطاعة وإرضاء الله وحسب العبد أن يغفر الله له ويفوز برحمة الرحمن تبارك وتعالى وعلينا أن ننتبه.

لايغفر الله لمن قال استغفر الله بلسانه وهو مصر على ذنوبه: فليس الاستغفار كلمة تقال، ولكنها أعمال تعمل، الاستغفار هو الندم على ما مضى والعزم على ترك العودة إليه.

وان تعمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤديها وأن تؤدى للناس حقوقهم التى أخذت منهم ومن موجبات الرحمة أن يرحم غيره وفى الحديث «الراحمون يرحمهم الرحمن».

وعلى الإنسان فى تلك الليلة أن يصوم نهارها وهو اليوم الخامس عشر من شعبان آخر الايام البيض منه، فيضف إليه اليومين السابقين الثالث عشر والرابع عشر ليفوز بسنة صيام الايام البيض من هذا الشهر الذى ترفع فيه الأعمال إلى الله، هدانا الله لما يحب ويرضى.

الشعر وعلاقته بالفلسفة

عن الشعر وعلاقته بالفلسفة أرسل الطالب على إسماعيل درويش بكلية اللغة العربية المنصورة- جامعة الأزهر رسالة ضافية نقدم بعضاً منها:

وما هى علاقة الشعر بالفلسفة والنقاد فى هذه القضية صالوا وجالوا، وانصب فكرهم فيها، لذا باتت هذه القضية شبه شائكة فراح كل باحث يفحص ويمحص حتى يصل إلى الصواب.

والحقيقة ان النقاد خصوا الفلسفة بتلك التى تبحث وراء الطبيعة وتركوا نوعية أهم من سابقتها هى الفلسفة الوجدانية.

إن القالب الشعرى لو أمتع الجانب الوجدانى وأقنع الجانب العقلى كان ألصق

بالنفس عند التلقى، ويكون الشاعر قد حواه كليا واستحوذ عليه نفسا وعقلا، ولننظر إلى الشعراء الغزليين الذين اضناهم الحب وشفهم الوجد عندما يتحدثون عن خلجات نفوسهم ومكابدتهم للوجد يعضدون أقوالهم بنظرية عقلية كى تصبو إليهم محبوباتهم.

وها هو فحل شعراء العربية (المتنبى) يقول لمن انغمسوا فى بحبوحة اللهو وانكم لا محالة ميتون عائدون إلى التراب:

نحن بنو الموتى فما بالنا
نعاف ما لابد من شربه

● لأن المتنبى لو كان معتنقا مذهبا فلسفيا ما لقلنا انه يناصره ومتأثر به، لكن الفكرة الفلسفية جاءت عفو الخاطر لم يتكلفها الشاعر وهذا يدل على عدم تصنعه.

ولقد ذكر الدكتور «محمد البهى» عددا من الأمثلة حاول من خلالها الربط بين الشعر والفلسفة حيث يقول: «.. مجالان مختلفان: مجال العقل، ومجال المنطق، وتعبيران متقابلان: تعبير الفكر الفلسفى، وتعبير الشعر..».

فى هذا دقة واحكام ولكننا نستطرد شيئا هو ان التعبير الشعرى قد يشترك مع التعبير الفلسفى كأن يكون الشاعر متحدثا إلى العقل كالحديث عن قضية سياسية.

ثم بعد ذلك رأى الاستاذ (البهى) ألا يخضع الشعر للتفكير الفلسفى ولا يخضع التفكير الفلسفى للطريقة الشعرية حتى يكون طريق العقل لمن يؤثرونه على غيره، وطريق الوجدان لمن يفضلونه على المنطق والعقل.

● لكن هل هناك من مانع اذا ما اتحد الطريقان؟!

● لعل اشتراك الطريقين وصبهما فى قالب شعرى واحد يخلق جوا آخر ينعم فيه المتلقى.

● وأما النوع الثانى- الفلسفة الوجدانية- فلم يتناولها النقد الادبى تحت هذا المصطلح وعلى سبيل المثال.. ينقل المحب لحبيبته ما يختلج فى نفسه، وما يعتمل فيها من لوعة وأسى جراء هجرها له فهو لهج بها مغرم بلقياها تيمه العشق وضعضعه فخليق به ان يستجمع كل قواه النفسية وفلسفته الوجدانية حتى ترق اليه، ومن ذلك قول مجنون ليلى:

أليس عاهدتنى يا قلب أنى
إذا ما تبت عن ليلى تتوب
فها أنا تائب عن حب ليلى
فمالك كلما ذكرت تذوب

- ان قيسا فى هذين البيتين جعل من قلبه انسانا يخاطبه فانهما لما تعاهدا على ان يسلوا حب ليلى نقض قلبه العهد، فحين سماع اسمها يهتز ويضطرب ويذوب عشقا وغراما، وكأنى به يقول اننى لو استطعت نسيانك ما استطاعه قلبى، فقد ملك حبك على كل فؤادى وحتى كدت اتشاجر مع قلبى، إنها فلسفة ليست كالفلسفة المعهودة.. انما هى نوع خاص يتسرب إلى الجميع، فقد يجلس

الشاعر تحت دوحة فينانة يتنسم اريجها الفواح فيعشه شذاها، ويرى البلابل على الاغصان تغرد وكأنها تغنيه ويغنيها وفروع الدوحة فوقه متشعبة متعانقة عناق الحب حبيبه، فتنتشي نفسه بادئا في تصويرها ولا يأتي تصويره لما ترنو إليه عيناه فحسب بل يحلق بخياله في عنان السماء يتخيل في الشجرة أشياء ليست فيها ولا من صفاتها.

هذا التصور البديع نابع من ملكة شعرية وفلسفة وجدانية جعلته يخرج الشجرة عن اصلها ويسند اليها اشياء ليست فيها من خلال تجربة مر بها وحالة نفسية سيطرت عليه وكذا في كل شيء يراه فيلهبه ويحرك السكان فيه والكامن.

لعل (ابن خفاجة) هو أقرب دليل وشاهد على ما اقول، فانظر إليه في تصويره لجبل شاهق أغرم بوصفه قائلا: . .

وقور على ظهر الفلاة كأنه
طوال الليل مفكر في العواقب

● فأى القرائح تنضج مثل هذه، وأى فكر مسار لها . . انها الحالة النفسية المضطرمة في صدر الشاعر، والتى ترجمتها فلسفة وجدانية في قوالب شعرية.

من إبداعات القراء

ياليلة النصف هل في الفجر من أمل

يا ليلة النصف عودى اليوم عودينا — كفى دموعا جرت تدمى مآقينا
يا ليلة النصف عودى اليوم شاهدة — على مآس على خزى جرى فينا
ياليلة النصف هل في الفجر من أمل — يعيد سيف الهدى بالنصر يأتينا
إن كان من أمل فلتصيرى معنا — أولم يكن أمل عودى وعزينا
فالقدس في عيده يدعو لنصرته — من هول حرب لها شابت نواصينا
انى ذكرت عهود القدس في زمن — ألفيت فيه بأن القدس شاكينا

انا لهونا بليل الغرب في سكر — حتى أضعنا حمانا من أيادينا
نمنا سكارى وعين الذئب ترقبنا — يخشى لوان رشاد العقل يأتينا
حتى انتبهنا وكاد السكر يقتلنا — على صراخ يشق القلب يدمينا
يريد من جهله إعلان موتتنا؟! — فليعلم الغر أن الموت يحيينا . . .
هيا انفروا عصبة تحمى كرامتها — من جهل خصمهم والله راعينا
هيا ارحموا أنما قد بات يفجعنا — في روض زيتوننا في طور سينينا
إن كان بالمال قد يشرى مرابعنا — لكن بالمال لا يشرى فلسطينا
هل يشترى قبلة كانت توجهنا — هل يشترى عزنا هل يشترى دينا؟
الله يشهد لن تسكن جوارحنا — حتى نعيد سلاما في بوادينا . . .
فالسلم غايتنا والحب رايتنا — والعدل يسعدنا والحرب تشقينا
يا ليلة النصف فلتشهدى دمنا — إهراقه في سبيل الحق يحيينا
لا تحسبن بأن الله ودعنا . . — ولا تظنن أن الله قالينا . . .
يا رب حقق سلاما عادلا أبدا — فالسلم يا ربنا أقصى أمانينا
يارب ثبت جنود الحق في حرب — قد أحرقت نارها تينا وزيتونا
واقطع بسيف وصال حبل فرقتنا — واجمع على الحق قاصينا ودانينا
واجعل شعيرتنا في يوم نصرتنا — «الله أكبر إن النصر آتينا»

شعر / **عبدالمجيد السعيد النجار**
طالب بالدراسات العليا بالأزهر الشريف

نعتذر للسادة القراء لعدم نشر رسائلهم كاملة، وذلك حرصا من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من القراء. ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق في اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها. كما نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم ونواصل نشرها تباعا بمشيئة الله تعالى.

بين الصحف و المجلات

إعداد الأستاذ
محمود الفشني

الإسلام يرحب بالعولمة الهادفة إلى التواصل الحضارى

فى بحث نشرته جريدة الشرق الأوسط فى عددها الصادر فى ٦ / ٩ / ٢٠٠٣ لوزير الأوقاف فى سوريا :

إن الدين الإسلامى يرحب بالعولمة الهادفة إلى التواصل الحضارى وقبول التعددية مشيراً إلى ان الإسلام يحث على الانفتاح العالمي والاستفادة من تجارب الشعوب وتبادل الخبرات معها ويرفض الاحتكار والاستغلال والسيطرة كما يعمل على احترام عقائد الغير والحفاظ على هويات الشعوب وحقوق الإنسان . وأكد فى هذا البحث على ضرورة الفصل بين العالمية التى جاءت بها شريعة الإسلام وما تحمله من رسالة حب ورحمة وتسامح وإخاء إلى العالم أجمع ، وبين العولمة وما تعنيه من الهيمنة واستلاب الآخرين لحساب حفنة من أصحاب النفوذ والقوة والتسلط للاستيلاء على أموال الآخرين وثرواتهم وقيمهم الحضارية .

وقال : إن العالمية التى تحيل العالم إلى قرية كونية واحدة يتمتع الإنسان فيها بحق الاختيار ويسود فيها البر والقسط وتتفيأ فيها ظلال العدل والرحمة وتُصان فيها حرمات المخالفين وحقوقهم ، هذه العالمية يجب ألا تلتبس فى ذهننا بالعولمة التى تهدف إلى تحويل العالم إلى غابة عالمية واحدة تذوب فيها مفاهيم القيم والمثل والأخلاق .

وأشار فى مقاله قائلا : ليس الحرج فى التوجه إلى العالمية فى ذاته والتعامل مع الكيان البشرى كأمة

واحدة وإنما يكمن فى المشروع الذى يحمله القائمون على هذا التوجه عندما لايرون فى الآخرين إلا أحجاراً على رقعة الشطرنج يعبثون بمقدراتهم ومصائرهم كما يشاءون الأمر الذى لا تقام به دنيا ولا يصلح به دين ولا يزداد به العالم إلا شقاء فوق شقاء ولاتحصد الإنسانية إلا مزيداً من التردى والانحطاط .

إلى متى

تنتهك إسرائيل كرامة المسلمين وعقيدتهم ؟

فى تقرير نشرته جريدة الأحرار فى عددها الصادر فى ١٢ / ٩ / ٢٠٠٣ حول الاعتداء الصارخ على كرامة المسلمين وعقيدتهم

أكد التقرير أن الاحتلال الاسرائيلى فى مدينة القدس يمارس الانتهاكات على نطاق واسع على المقدسات الدينية فى القدس الشرقية خاصة المسجد الأقصى الذى يمثل أهم معلم دينى وتاريخى لأكثر من مليار مسلم !

أولا : سمحت إسرائيل للسياح الأجانب بالدخول للمسجد الأقصى وانتهاك حرماته

ثانيا : قامت بتشديد الحصار حول المسجد الأقصى ومنعت أكثر من ثلاثة ملايين فلسطينى من دخول المسجد وشد الرحال إليه وأداء الصلاة فيه وحتى خلال الأشهر المقدسة فى حين يسمح لليهود والسياح بحرية الحركة وتدنيس الأماكن المقدسة .

ثالثا : الشيء المؤلم حقا وهو لم تجد بوابة من بوابات المسجد الأقصى إلا ووضعت السلطات الإسرائيلية عند مدخلها إسرائيليين مدججين بالسلاح .

رابعا : ممارسة الاضطهاد الدينى وسلب ونهب الأماكن المقدسة وحظر حرية التعبد ومنع المصلين من الوصول إلى مساجدهم أو كنائسهم .

خامسا : لقد أمعنت سلطات الاحتلال فى إعاقة عمل علماء الدين حيث يجرى دائما استدعاء الخطباء للتحقيق معهم تحت ذريعة واهية تدعى التحريض على «اقتراف أعمال الشغب» .

سادسا : التحريض على منع الأذان كما طالب حاييم ميلر عضو مجلس بلدية القدس الغربية من حزب «يهود هتوارة» بإرسال مراقبى البلدية لفرض غرامات على المساجد التى يصدر الأذان منها بصوت عالٍ من بينها المسجد الحرام .

سابعا : ما تقوم به الطائرات الحربية الإسرائيلية من التحليق أو انتهاك المسجد الأقصى مما يهدد صوتها باختراقه لحاجز الصوت المسجد الأقصى وعمران المسجد وجدرانه والرسوم الفسيفسائية .

ثامنا : منع المسلمين من إدخال مواد البناء للقيام بعملية ترميم العمران داخل المسجد .

أنباء العالم الإسلامي



للأستاذ / محمد الشرقاوي

السلطات السلوفينية ترفض الحجاب

رفضت السلطات السلوفينية السماح للمسلمات بالظهور بالحجاب في الصور الخاصة برخصة قيادة السيارات في سلوفينيا.

قالت وزارة الداخلية في سلوفينيا: إن الحجاب من شأنه أن يخفي الملامح الكلية للمرأة.

.. وكانت فتاة سلوفينية مسلمة تدعى «وحيدة شكار» قد أبلغت بأنها لن تحصل على رخصة قيادة ما لم تقدم صورة بدون حجاب.

وقد طالبت لجنة حقوق الإنسان السلوفينية السلطات المحلية تقديم رخصة القيادة المحجوزة للمتضررة وتقديم تعويضات مادية على ما لحقها من ضرر وضغوطات نفسية بسبب الممارسات التي وصفتها باللاإنسانية للشرطة السلوفينية.

وقالت اللجنة في رسالة بعثت بها إلى المحكمة السلوفينية في «لوبليان»: «إن ما تقوم به بعض الدول من إجراءات بخصوص حرية اللباس سواء في الغرب أو بعض البلدان العربية ليس حجة على حقوق الإنسان وحرية التدين والتعبير عن الانتماء الديني أو الفكري أو العرقي».

وقالت اللجنة أيضاً: «إنه لا يوجد أي تهديد من الحرية في هذا السياق، بل إن التهديد الحقيقي للهوية الإنسانية وللمبادئ على مختلف مصادرها يكمن في منع الناس من التعبير عن خصوصياتهم».

إسرائيل تضغط على هولندا لغلق موقع إسلامي

بدأت إسرائيل في ممارسة ضغوط مكثفة على الحكومة الهولندية لإغلاق موقع ثقافي إسلامي على شبكة الإنترنت لتوعية المسلمين في هولندا بأمور دينهم.

زعم مركز استخباراتي إسرائيلي موجود في هولندا أن الموقع الإسلامي يدعو الشباب من أبناء الأقلية المسلمة في هولندا إلى الالتحاق بصفوف المجاهدين في تنظيم القاعدة.

وقال المركز الإسرائيلي للمعلومات والتوثيق (CIDI) وهو مركز استخباراتي إسرائيلي يمارس عمله بشكل علني في «لاهاي»: إن الموقع الإسلامي الهولندي يدعو الشباب إلى الانضمام إلى قافلة الشهداء، في إشارة منه إلى المجموعة التي قامت بتجهيزات الحادي عشر من سبتمبر.. ودعا «روني ناقتالين» - رئيس المركز - الحكومة الهولندية إلى المسارعة بحظر الموقع وغيره من المواقع الإسلامية التي يزعم أنها تعمل على زعزعة المجتمع الهولندي وقيم التسامح والتعددية التي تسود فيه.

تزايد أعداد مدارس القرآن الكريم في جنوب أفريقيا

ذكرت مجلة «لانتجلون» الجنوب أفريقية أن الفترة القليلة الماضية شهدت زيادة كبيرة في أعداد مدارس تعليم القرآن الكريم في مختلف مناطق جنوب أفريقيا، وأرجعت المجلة السبب وراء ذلك بحسب مصادر المجلس القضائي الإسلامي هناك إلى القيود والتعقيدات المتشددة التي وضعتها كل من الهند وباكستان على الطلاب المسلمين من جنوب أفريقيا والراغبين في الدراسة في مدارس الهند وباكستان خاصة بعد أحداث «الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١».

وأشارت المجلة إلى أن معظم المدارس الإسلامية الجديدة تتمركز في إقليم «الكيب» حيث تتمركز الأقلية المسلمة البالغ عددها نحو (٦٠٠ ألف مسلم) وفي ميناء «دربان» في شرق جنوب أفريقيا وفي مدينة «جوهانسبرج».

ويذكر أن الدارسين الأجانب حالياً يتركون المدارس في باكستان خوفاً من اعتقالهم في إطار حملات الحكومة الباكستانية المحمومة ضد من تسميهم الناشطين الإسلاميين.

.. وكان الإسلام قد دخل إلى جنوب أفريقيا منذ أكثر من (٣٠٠ سنة) في الوقت الذي وصل فيه الاحتلال الهولندي ومعه العبيد من ماليزيا والفلبين ومستعمرات جنوب شرق آسيا إلى جنوب أفريقيا.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

الإمام الأكبر يستقبل مدير الجامعة القادرية بالهند

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف وفد الجامعة القادرية بالهند برئاسة الشيخ مقصود على مدير الجامعة، والشيخ نور الحسن أمين عام الجامعة والوفد المرافق رحب فضيلته بالوفد فى مصر وأزهرها الشريف معربا بأن الأزهر الشريف يرعى أبناء المسلمين من شتى أنحاء المعمورة ويقوم بتعليمهم علوم الشريعة واللغة، ويهتم اهتماما خاصا بتحفيظ القرآن الكريم وهذا كله تتم دراسته بالمعاهد الأزهرية وجامعة الأزهر الشريف، كما يهتم بتوفير المناهج والمقررات الدراسية التى تدرس بالأزهر الشريف، للمعاهد التى تقام فى بعض الدول التى عندها معاهد أزهرية والتى ترغب فى إنشاء معاهد أزهرية على غرار ونظام المعاهد الأزهرية بمصر، وأوضح بأن بالأزهر طلابا من الهند يدرسون فى الأزهر الشريف على منح دراسية من الأزهر يتلقون دراستهم بجانب إخوانهم من الطلاب المصريين ومن باقى الدول الأخرى، ويسكنون بمدن البعوث الإسلامية وينالون كل العناية والرعاية من طعام وشراب وعلاج، ولهم أنشطة رياضية مختلفة، وحينما ينتهون من دراستهم يعودون إلى بلادهم يحملون العلم النافع الذى تعلموه بالأزهر الشريف ويعلمون أهليهم وذويهم وهم رسل الأزهر الشريف إلى بلادهم والأزهر الشريف لا يدخر وسعا فى تقديم كل ألوان المساعدة لأبناء المسلمين فى شتى بقاع الأرض وهى رسالته العالمية، فكما يقدم المنح الدراسية للطلاب، يرسل العلماء إلى الدول المختلفة لتعليم المسلمين وتبصيرهم بأمور دينهم ودنياهم بالسهولة واليسر المعهودة فى علوم الأزهر الذى تقوم الدراسة فيه على الوسطية والاعتدال والبعد عن التعصب والعصبية.

ويستقبل وفدا من قضاة سلطنة عمان

- استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد القضاة العمانى الذى يزور القاهرة لحضور دورة بمركز الدراسات القضائية بمصر يرافقهم المستشار / حسن أنيس، ويضم الوفد عددا من نواب رئيس المحكمة العليا، ورؤساء محاكم الاستئناف بسلطنة عمان الشقيقة، وقد رحب فضيلته بالوفد فى مصر وأزهرها الشريف مشيرا إلى أن العلاقة بين البلدين يسودها المحبة والأخوة وتربط مصر بالسلطنة كل أنواع التعاون، مؤكدا على أن القضاء على رأس المؤسسات التى تحتل المكانة العالية التى تحمى حياة الناس، وتحكم بينهم بالعدل، مستدلا بالآيات القرآنية التى تنص على العدل والإصلاح والحكم بما أنزل الله، موضحا بأن القضاء فى الأمة هو عقلها وروحها وسبب انتشار الخير والرخاء بما أنزل الله، مشيرا إلى أن الفضائل يغذى بعضها بعضا، وعلى النقيض من ذلك إذا لم يؤد القضاء مهمته فى نشر العدل والاستقرار والأمان، فينتشر الخوف والظلم وعدم الأمان وتعم الفوضى والبغض والكراهية، وتنتشر الرذائل من قتل وإرهاب، لذلك كان للقضاء أهميته وهيبته ومكانته فى الإسلام، لذا كان على القاضى أن يلم بمقاصد الشريعة الإسلامية وأن يراعى أحوال المتقاضين وأن يحقق العدالة المطلوبة، لأن سيادة العدل سبب لانتشار الأمن والطمأنينة والرخاء فى نفوس الناس والمجتمعات، ثم أجاب فضيلته عن أسئلة الوفد واستفساراته حول نظام التعليم فى الأزهر الشريف منذ الحضانة وحتى الجامعة.

الإمام الأكبر:

بالحوار نستطيع أن نصل إلى ما يرضى الجميع

- استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الوفد الألمانى المكون من خمسة وعشرين فردا برئاسة الدكتور / فريتس انهيلم مدير الأكاديمية الإنجيلية للخدمات الإنجيلية بمصر، والوفد الألمانى ممثلا للبرلمان والكنائس ومسئولى الحوار، وممثلى المراكز الإسلامية، والكنائس المسيحية وأساتذة الجامعات، وممثلى المنظمات والصحافة والإعلام، وقد رحب فضيلته بالوفد مشيدا بالعلاقات الطيبة التى تربط مصر بألمانيا، شارحا للوفد أن الله قد أوجد البشر جميعا من ذكر وأنثى ومن أب واحد وأم واحدة من أجل أن يتعاونوا ويتعارفوا ويتبادلوا المنافع فيما بينهم وأن يخلصوا العبادة لله، مبينا أن اختلاف العقائد لا يمنع من التعاون بين الناس لأن الذى يحاسب على العقائد هو الله عز وجل، ونحن كبشر علينا أن نتعاون لنشر السلام والأمان والرخاء والتعمير ونشر الحب والإخاء الإنسانى، ونحن فى مصر نرفض صراع الحضارات، وننادى بتعاون الحضارات لأن لكل بلد حضارته التى يعتز بها فلا مانع من أن يأخذ كل بلد من حضارة البلد الآخر، وبالحوار نستطيع أن نصل إلى ما يرضى الجميع، وهو ما يقوله العقلاء من الناس للوصول إلى النتائج الطيبة، مؤكدا على أن التعاون بين المسلمين والمسيحيين وغيرهم من

العقائد الأخرى يعود بالنفع على الجميع، ويعم الخير على الوطن، وفى مصر المسلمون والمسيحيون وغيرهم يتساوون فى الحقوق والواجبات لأنهم جميعا يحملون الجنسية المصرية، أما العقائد فلكل عقيدته والذى يحاسب عليها هو الله عز وجل، ولا إكراه على العقائد، والعقلاء من الناس جميعا متفقون على ما أجمعت عليه الأديان السماوية من أن هناك فضائل يجب أن تتبع، وهناك رذائل يجب أن تجتنب، فالصدق فضيلة، والكذب رذيلة، والعدل والأمان والسلام فضائل وعكسها رذائل وهكذا ومن ناحية التعاون فنحن نعترف بأن دولة ألمانيا الصديقة لها حضارة متميزة، ونحن فى مصر لدينا حضارة متميزة أيضا، وأبناؤنا يذهبون إلى ألمانيا ويحصلون على أرقى الشهادات، وأبناء ألمانيا يأتون لمصر ليتعرفوا على حضارتها ويدرسون بجامعاتها ومنهم أساتذة بالجامعات المصرية وهذا مثال طيب لتعاون الحضارات إلى جانب النواحى الاقتصادية المتبادلة وكلها منافع للبلدين، وأكد على أن التعاون فى مصر قائم بين المسلمين والمسيحيين وهذا التعاون ينفعنا جميعا، ونتشاور فى أمور كثيرة من أجل صالح الفرد والوطن، وفيما يتعلق بأحداث الحادى عشر من سبتمبر فإن الأزهر الشريف أكد موقفه عقب هذه الأحداث فورا حيث عقد مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف اجتماعا أوضح فيه أن ما حدث هو جريمة بكل المقاييس وهى جريمة بشعة وشيطانية، ويعتبر الأزهر الشريف هو أول مؤسسة دينية بادرت باستنكار هذا العمل المشين، لأن الأزهر حينما يقول فإنه يتكلم باسم الشرع.

ومن جانبه أشاد رئيس الوفد بحديث فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وأنه مطابق لما وجدوه من حفاوة الاستقبال ومن رجاحة العقل وسلامة التفكير، وأن هذا التجمع مطابق تماما للحوار ويوضح الصور التى رسمها الإسلام فى كثير من المواقف، وهى صورة صادقة عن الإسلام، والأزهر كأكبر مؤسسة إسلامية معروفة فى كل أرجاء العالم له مكانته السامية العالمية المسموعة، وأتمنى أن يكون كل المصريين والألمان يشاركونا هذا اللقاء ليعلموا حقيقة الدين من مصادره الأصلية، وأقدم باسمى وباسم الوفد خالص الشكر والتقدير للأزهر ولشيخه على حديثه الطيب الذى أوضح فيه حقيقة الإسلام وأجاب عن أسئلتنا واستفساراتنا، ثم قدم رئيس الوفد نبذة عن الأكاديمية الإنجيلية بمقاطعة لوكوم بألمانيا والتى تتبع مذهب المصلح مارتن لوثر وهى تضم الجميع بغض النظر عن هويتهم الدينية أو السياسة، والأكاديمية مفتوحة للجميع، وعقدت مؤتمرا باسم جامعة الأديان التقى فيها طوائف المسلمين والمسيحيين واليهود وغيرهم تحت عنوان (كيف ننسى الأمس ونحوله إلى غد أفضل) وهو مطابق تماما لما قلتموه وشرحتموه فى حديث فضيلتكم، ورغم ما تعانيه الأكاديمية من صعوبات فى تلك الحوارات إلا أننا سنستمر فيها.

الإمام الأكبر يستقبل السفير الأمريكى بالقاهرة

- استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير، ديفيد ولش سفير الولايات المتحدة بالقاهرة، وقد تناول اللقاء توضيح السيد السفير من أن الولايات المتحدة الأمريكية تحترم كافة العقائد والتقاليد، ولم تتدخل فى أى تعديل فى المناهج الدراسية أو الدينية أو مناهج الأزهر الشريف فى مصر على عكس ما تقوم بنشره بعض الصحف، ولم تتدخل فى ذلك على الاطلاق وعلى من ينشر ذلك عليه أن يقدم البراهين والدلائل، كما تناول اللقاء نصيحة فضيلة الإمام الأكبر للإدارة الأمريكية والبريطانية فى العراق على أن تسرع بنقل الحكم فى العراق للعراقيين أنفسهم لإدارة شئون بلادهم على أن يتم هذا بطريقة متوازنة وعادلة بين السنة والشيعة والأكراد والتركمان، حيث إن الحساسية بينهم بالغة للغاية، وأكثر مما يتخيله الأمريكيون، وعليكم إفهام العراقيين أن الإدارة الأمريكية والبريطانية غير طامعة فى النفط العراقى ولا فى أموال العراق، وأنكم لم تأتوا لاحتلال العراق، وإنما لتخليصه من الظلم وإعادة الأمور الطبيعية إلى نصابها، هذا وقد أيد السفير الأمريكى ما قاله فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، وأنهم بالفعل يحاولون ذلك من خلال تشكيل المجلس الانتقالى العراقى تمهيدا لتشكيل حكومة عراقية من أبناء العراق حتى يعود الاستقرار للبلد، وأوضح السيد السفير بأن القوات الأمريكية والبريطانية تبذل قصارى جهدها فى حماية المقدسات الإسلامية، ولم تدخل أى مسجد على الإطلاق كما أنها تدافع عن الآثار، وتقوم بحمايتها، وخاصة المتاحف فى بغداد، كما تناول اللقاء الحديث عن فتح المسجد الأقصى للسياحة، وقال السفير بأنه لابد من احترام قدسية المسجد الأقصى، وقد وجهت الإدارة الأمريكية النصح للحكومة الاسرائيلية بذلك وعدم المساس بقدسية هذا المسجد، أو إحداث أية مضايقات للمسلمين الفلسطينيين، لما تعلم الإدارة الأمريكية من مكانة هذا المسجد للمسلمين فى العالم، وكان هذا رد السفير على ما أوضحه فضيلة الإمام الأكبر من الظلم الواقع على الفلسطينيين والمقدسات الإسلامية وخاصة المسجد الأقصى الشريف أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وأن على الولايات المتحدة العبء الأكبر فى حل هذا الموضوع حتى لا تتفاقم الأمور ولا يعلم مداها إلا الله عز وجل.

وقدم السفير رغبة الولايات المتحدة الأمريكية فى سفر علماء الأزهر الشريف خلال شهر رمضان المعظم للتوعية الدينية فى أمريكا على أن يقدم الأزهر أوراق من سيتم ترشيحهم مبكرا للسفارة الأمريكية بالقاهرة لإنهاء الإجراءات، هذا وقد أرجأ الأزهر سفر السادة العلماء الوعاظ للولايات المتحدة فى شهر رمضان بعد أحداث ١١ سبتمبر بسبب التفتيش الذى يتعرض له السادة العلماء، وقد شكر السفير فضيلة الإمام الأكبر على حسن الاستقبال وحسن النصيحة.

وكيل الأزهر:

رجال الدين لهم مكانة عالية ويجب أن يكونوا محل الاحترام

- استقبل فضيلة الدكتور/ محمود إمبابى وكيل الأزهر الشريف مسئولة العلاقات السياسية السيدة/ ديانى كلى، والسيدة ستيفانى كرونيسبرج مديرة قسم التأشيرات بالسفارة الأمريكية، ودار الحديث حول استئناف إرسال الدعاة للولايات المتحدة الأمريكية، وأشارت القنصل إلى أن الإجراءات للحصول على التأشيرات سيتم تيسيرها هذا العام وذلك لمكانة الأزهر العالمية والبارزة والمعتدلة فى أوساط المسلمين وغير المسلمين، وأن المجتمعات الإسلامية فى الولايات المتحدة فى حاجة إلى الاسترشاد والمعرفة برأى علماء ودعاة الأزهر الشريف.

ومن جانبه أوضح فضيلة وكيل الأزهر بأن رجال الدين لهم مكانة عالية ويجب أن يكونوا محل الاحترام والتقدير بعيدا عن الأمور السياسية أو الاقتصادية، فهم لهم مهمة علمية وتعليمية، لنشر العدل واحترام كرامة الإنسان، وحقوقه، ونحن بصفة خاصة نحترم الجميع فى كل مناحى الحياة، لأن الدين الإسلامى إذا فهمه الإنسان على حقيقته فسيعلم أنه يرسى مبادىء الحياة الطيبة للجميع، وهى مبادىء يدرسها الأزهر الشريف للطلاب والطالبات فى معاهد الأزهر وفى لقاءات العلماء وندواتهم حتى يسود العدل والاحترام المتبادل.

اعتماد نتيجة الشهادات الأزهرية

- اعتمد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف نتيجة امتحان الشهادة الإعدادية والثانوية الأزهرية والتجويد ومعهد غزة ودبلوم المعلمين وقد بلغت نسبة النجاح فى الشهادة الإعدادية فى الدورين الأول والثانى ٩٦.١٪، وبلغت نسبة النجاح فى الشهادة الثانوية فى الدورين الأول والثانى ٩٠.٨، وبلغت نسبة النجاح فى إجازة التجويد ٨٢٪ وعالية التجويد ٨٧.٦ والتخصص ٩٠.٧٥، ودبلوم المعلمين ٩٦٪ ومعهد غزة الثانوى ٩٨.٨٪ وقد هنأ فضيلته الطلاب والطالبات الناجحين وحثهم على بذل المزيد من الجهد لإحراز التقدم والنجاح وأن يكونوا لبنة فى بناء المجتمع وأن يكونوا فى خدمة دينهم ووطنهم مصر، كما شكر القائمين على الامتحانات والعاملين فى الكنترولات ولجان النظام والمراقبة والتصحيح وجميع مدرسى ومدرسات المعاهد الأزهرية وشيوخ المعاهد على هذه النتائج الطيبة التى بذل فيها الجهد طول العام.

حضر حفل الاعتماد فضيلة د/ محمود إمبابى وكيل الأزهر الشريف ورئيس قطاع المعاهد الأزهرية ووكلاء القطاع ورؤساء الكنترولات.

Command or was it an *ijtihad* from the Prophet, there is disagreement among scholars. However, we give preponderance to the view stating that turning faces during the performance of prayer was due to Allah's Command. This is because those who said that it was due to the Prophet's command did not substantiate their opinion with evidence.

With regard to the second question; namely, at which prayer was the turning to the Sacred *Ka'bah*, the preponderant opinion among the scholars is that the verse "We have already seen the turning about of your face..." has been revealed on the Prophet before performing *Az-zuhr* (Noon) Prayer. Thus, the first prayer at which people performed prayer while directing to *Ka`bah* was *Az-zuhr* Prayer.

Concerning the third question; namely, did anyone perform prayer while directing to the Sacred House before the revelation of a permission of directing towards the Noble *Ka'bah*, it is reported that Al-Bara' Ibn Ma`rour is considered the first man to perform prayer while directing to the *Ka`bah* before the revelation of a command stating so.

As for the fourth question; did anyone perform prayer while directing to *Al-Aqsa* Mosque after the revelation of a permission of directing towards the Sacred *Ka`bah*, the answer is "Yes". That is, some people performed prayer to *Al-Aqsa* Mosque, as they did not know about the revelation of such a command except after the *Subh* (i.e., after-dawn) Prayer. However, the Prophet did not command any of them to re-perform prayer.

With regard to the fifth question; namely, the ruling on the one who died before the revelation of turning to the *Ka`bah* when performing prayer, it became obvious that whoever died before the revelation would not be addressed with such a permission.

The Month of Sha'ban and the Great Change

By: The Dignified Sheikh At-Taher Al-Hamidy

The event of turning the *Qiblah* (i.e., Prayer direction) from *Al-Aqsa* Mosque to the Inviolable Mosque (the Ancient Mosque located at Kingdom of Saudi Arabia) took place in the great month of Sha'ban (the 8th month in the Hijri calendar). So, that month acquired its sublime rank amongst the other months due to such an event in which the hope of the Prophet, Muhammad, may the blessing and peace of Allah be upon him, became true; he would wish to direct Muslims faces to the Ancient Mosque while performing their prayers. Besides, the Prophet would attribute the month of Sha'ban to himself saying, "*Sha'ban is my month.*" Moreover, he would observe fasting for the most of it. In this regard, `A'ishah, the Prophet's wife, may Allah be pleased with her, said, "The Prophet used to fast in Sha'ban to the degree that we almost thought that he did not break fast in any of its days."

The Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, and Muslims used to direct their face while performing their prayers to *Al-Aqsa* Mosque. They continued to do so even after the Prophet's Migration to Medina. That lasted for about seventeen months. Yet, the Prophet would yearn to make the Inviolable Mosque, the *Qiblah* of the Father of Prophets, Ibrahim, as the *Qiblah* of prayer. But, he was commanded by Allah to direct to *Al-Aqsa* Mosque and he would not change the *Qiblah* by himself. Due to his extreme attachment to the Ancient Mosque – while being in Mecca – the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, would direct his face during the performance of prayer to both *Al-Ka'bah* and *Al-Aqsa* Mosque. However, when he migrated to Medina, such a thing was not attainable.

That matter intensified his yearning and doubled his noble inner pain. About His House, Allah, Exalted be He, says:

﴾The Inviolable Mosque that We have made equal to mankind, (alike) him who consecrates himself therein and the nomad﴿

[Al-Hajj (The Pilgrimage): 25]

That is, the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, was seeking the pleasure of his Lord so as to turn the *Qiblah* to the Ancient Mosque. Thus, the Honest Spirit, Angel Gabriel, was sent down by Allah's Command to the Prophet saying (as the words of the Lord Exalted be He):

﴾We have already seen the turning about of your face to the heaven; so We will indeed definitely turn you towards a Qiblah that shall satisfy you. So turn your face towards the Inviolable Mosque; and wherever you are, then turn your faces towards it.﴿

[Al-Baqarah (The Cow): 144]

There are some questions with regard to the turning of the *Qiblah*:

First: Was the direction towards *Al-Aqsa* Mosque during the performance of prayer due to Allah's Command or was it an *ijtihad* (i.e., practicing one's own opinion) from the Prophet?

Second: At which prayer was the turning to the Sacred *Ka'bah*?

Third: Did anyone perform prayer while directing to the *Ka'bah* before the revelation of a command stating so?

Fourth: Did anyone perform prayer while directing to the Sacred House after the revelation of a permission of directing one's face during prayer towards the Noble *Ka'bah*?

Fifth: What is the ruling on the one who dies before knowing the command of directing one's face towards the *Ka'bah* and thus he/she did not perform prayer towards it?

As for the first question; namely, was the direction towards *Al-Aqsa* Mosque during the performance of prayer due to Allah's

Above all, Sheikh Al-Muti`y was known for his broad knowledge in the field of the *Usul* (The principles of the Islamic Law). His knowledge reached a degree that even the prominent scholars would request for his advice and opinion in that which might be problematic for them. That is, such scholars would derive answers for their problems from the deep well of knowledge of that Sheikh."

When Sheikh Al-Muti`y was appointed as a judge in The Religious Court, he passed a judgment on a case according to what he was convinced of. Thereupon, the person whom the decision was in his favor, and who was an emir of great rank, came to the Sheikh offering him a check of a huge sum of money as a means of thanking the Sheikh for his decision on the case. But Sheikh Al-Muti`y threw the check in the face of that emir. Refusing such a present is considered a situation rare to be met nowadays.

There was one more situation of the Sheikh worthy of admiration. When the Egyptian Revolution broke out, there was great debates and conflicts at Al-Azhar. That is why the British Government sent lord Milner to reach a compromise with the citizens without their leaders who were detained. Therefore, Sheikh Al-Muti`y passed a *fatwa* prohibiting any kind of contact with Milner's Committee. That *fatwa* spread among the people, so they refused to deal with that Committee. Upon hearing such news, the popular leader, Sa`d Zaghloul, and all of his followers were very excited and so he sent a telegram for the Sheikh writing, "Your *fatwa* is worthy of the greatest *Mufti* of Islam."

When Sheikh Al-Muti`y died, Ustaz Ahmad Hassan Az-Zayat wrote, "On the 8th of this month (October 1935), Allah's mercy adopted the great scholar Al-Muti`y, the late *Mufti* of Egypt. He was the seal of a group of prominent scholars known for their simplicity in viewing the principles and their deepness in practicing *Fiqh* (i.e., Islamic jurisprudence). Besides, he might be the best one among his generation who would know about the *Fiqh* of Abu Hanifah (one of the Imams establishing the Four Schools of the Islamic *Fiqh*)."

As for the announcement of the death of Sheikh Al-Muti`y spread in Al-Azhar, the great Philosopher Muhammad Farid Wajdy (who was by then, the editor in chief of Al-Azhar magazine) said, "The house of the Sheikh was a resort for those requesting legal opinions as well as those seeking religious knowledge. Moreover, the Sheikh would not ever withhold a legal opinion from anyone; even if the requester would be far away, for, in such a case, he would post it to him. Thus, his fame exceeded Egypt to the outside Islamic world. Accordingly, questions, covering all the legal fields, would be sent for him demanding his sound legal opinion. Each of those questions would require many exhausting reviews, however, he would never save any of his efforts in searching for satisfying answers for them. Besides, he used to write those answers and post them by himself. Amongst the things distinguishing Sheikh Al-Muti`y was that he hired some of his students to write and deliver his *fatwas*. Furthermore, he would pay their salaries monthly in addition to the costs of the sent books and mail.

Muhammad Bekhit Al-Muti`y
One of Al-Azhar's Great Scholars in the Field of *Fatwa*[1]

By: Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy

After the death of *Al-Ustaz* Al-Imam Muhammad Abdou in 1909, Sheikh Muhammad Bekhit Al-Muti`y took over *Al-Fatawah* Department for about thirty years. At that time, the period following the 1st World War, attack and criticism increased against Islam's principles and history due to fascination in the deceptive brilliance of Europe. When Sheikh Al-Muti`y began to reveal the reality of those lies, malicious criticism poured upon him violently. This is because he was not belonging to the political party of those purposeful attackers. Though the grand Sheikh was surrounded by criticism, he did not give up his way owing to the fact that his opinions were substantiated with hard, irrefutable evidence and the entire Islamic nation, Arab and foreign, would request for his legal opinions as regards what might come up of new matters.

Moreover, Sheikh Al-Muti`y used to receive letters from all over the world written by those who would request for his legal opinions on some confusing matters. In this regard, Sheikh Al-Muti`y would realize that abstaining or being remiss in giving *fatwas* is considered remissness in the religion of Allah. Thus, he prepared some of the young scholars to help him in writing the legal opinions when he would become unable to do so. For that reason, he appointed three of his students – the *fatwa* may take six pages.

---

[1] *Fatwah* in Islam means giving legal opinions on matters, especially legal ones.

There is one more example represented in one gentleman who used to be a priest; namely, Dr. Ibrahim Khalil who dedicated his life, along with his wide knowledge and experiments, to call others to hurry to embrace Islam, may Allah grant him success and support him in his continuous struggle.

Contrarily, Odonees, the priest who named himself Ahmad Sa'eed after claiming to be a Muslim. That man has not left any occasion without attacking or criticizing Islam and showing his enmity towards it. In a recent seminar called *'Towards a new cultural method of communication from the challenges of the present to the horizons of the future'* held in Cairo, in July 2003, he attacked the Qur'an sarcastically and forgot or meant to forget that the constitution in Egypt, the country of Al-Azhar, states that the main religion of the country is Islam and that attacking or despising it is a punishable crime. I wish he had read or understood what was written by Dr. Ibrahim Khalil in his book entitled *'Why did my friend convert to Islam?'* page 144, subtitled *'To whoever wants to call against Islam'*. Dr. Khalil said, "Can an ant reach the sky? Or can a rat demolish an established mount? If Satan continues to insinuate you to attack the Qur'an and Islam, will you then show respect to science, reason, and logic, even for the first time in your life? In other words, can you bring just one *Surah* like those of the Qur'an, if you sincerely believe in your continuous attack against Islam? When you make sure that you cannot, then you will be exactly, as one Arab poet said:

Leave writing, you are of the pen not worthy
Even if your face with ink is dropping

AL-AZHAR MAGAZINE

Sha,ban 1424 A. H.

ENGLISH SECTION

October. 2003

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

Ahmad Sa'eed (the so-called Muslim Odonees!!)

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Many of the non-Muslims have converted to Islam showing their great conviction and true belief in Islam. Such converters are truly sincere in their faith and they are willing to defend it. Every day, we hear about persons embrace Islam; even at the present, regardless of the increase of malicious criticism and attacks against such a sublime religion.

Of the latest converters to Islam, as came in the news, are two officers of the American army occupying Iraq. After uttering the *Shahada,*[1] one of the two officers began to cry vehemently. When he was asked about the reason, he replied, "I cry because my late parents did not enjoy the blessing of Islam like I do." This is the true sincerity that touches feelings and makes one believes that humanity still exists; namely, there are people still able to differentiate between the falsehood and guidance and can find and feel the blessing and joy in righteousness. I cannot count those who have converted to Islam at our modern age; the age of technology, globalization and cultural advance.

One of the most living examples is the great philosopher, Rogé Jarody, who called himself Raja' Jarody after embracing Islam. That learned man has searched for the truth for more than fifty years. He has dedicated himself totally to study deeply all religions and creeds. Finally, he found Islam, which represented what he was looking for; so he immediately embraced it without hesitation. Moreover, he has fought many battles for the sake of advocating and supporting the Muslims' issues. Further, he has been put to trials many times.

[1] *Shahada:* Two declarations of faith, in which one says, "I testify that there is no god but Allah and Muhammad is His Messenger."

الفهـــرس

مجمع البحوث الإسلامية

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
فى مطلع كل شهر عربى

● ● ●

رئيس التحرير
أ. د. محمد رجب البيومى

نائب رئيس التحرير
الطاهر محمد الطاهر الحامدى

مدير التحرير
عادل رفاعى خفاجة

سكرتير التحرير
أحمد السيد تقى الدين

الاشتراك السنوى

● داخـــل مصـــر	١٨ جنيها مصريا
● الدول العربيـــة	٥٠ دولارا أمريكيا
● أوروبـــا وأمريـــكا	٨٥ دولارا أمريكيا
● اليابان وشرق آسيا	١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
☎ ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم
مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / مصر
ت: ٢٦٣٨٥٩٩

الفهرس

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
فى مطلع كل شهر عربى

● ● ●

رئيس التحرير
أ.د. محمد رجب البيومى

نائب رئيس التحرير
الطاهر محمد الطاهر الحامدى

مدير التحرير
عادل رفاعى خفاجة

سكرتير التحرير
أحمد السيد تقى الدين

الاشتراك السنوى

داخل مصر	١٨ جنيها مصريا
الدول العربية	٥٠ دولارا أمريكيا
أوربا وأمريكا	٨٥ دولارا أمريكيا
اليابان وشرق آسيا	١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
☎ ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم
مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / الأزهر
ت: ٢٦٣٨٥٩٩

رمضان ١٤٢٤هـ - نوفمبر ٢٠٠٣م - الجزء التاسع - السنة السادسة والسبعون

افتتاحية العدد

كيف يستقبلون رمضان ؟

ماذا تظن حين تقرأ هذه العبارة «بمناسبة شهر رمضان المعظم».. إنك تقرؤها في الصحف وتسمعها في الإذاعة وتشاهدها في التليفزيون، فتظن أن هذه المناسبة الكريمة تستدعي إقامة مآدب الرحمن في المساجد الكبرى. وفي الميادين العامة عند الفطور، أو تستدعي إقدام المبرّات الخيرية والجمعيات الإسلامية على توزيع الملابس والمآكل والنقود على الفقراء، أو تستدعي تبرع أصحاب المصانع بأجر شهر على العمال، أو تستدعي تخفيض أسعار الكتب الدينية إلى النصف ليستطيع القارئ شراءها دون إجهاد، أو تستدعي الإعلان عن الندوات الدينية في المساجد والنوادي الشهيرة. تظن ذلك كله لأن المناسبة الكريمة تستدعي ذلك وأكثر من ذلك.. وكانت في القديم مصدراً لكل بركة تعود على الفقراء والمعوزين، ولكنك تفاجأ بما يلي:

بمناسبة شهر رمضان المبارك يقدم الكازينو الشهير أمهر الراقصات لقضاء الليل في شتى ألوان البهجة، مع سحور لذيذ شهيّ، وتدوم السهرة إلى أذان الفجر!.. وقد كُتب إعلانٌ كبيرٌ يضم هذه العبارة: «سحور راقص!!..».

بمناسبة شهر رمضان المبارك يقام الحفل الساهر ليلياً حافلاً بكبار المطربين والمطربات، وسيحضر فلان من العراق، وفلانة من المغرب، وفلانة من الجزائر.. للمشاركة إلى جوار الفنانات المصريات، ويمتد السهر إلى أذان الفجر بعد تناول السحور اللذيذ وبه من المشروبات، بعض المحرمات!!.. كيف هذا؟!!..

بمناسبة الشهر الكريم ستقدم الإذاعة مسابقاتها الفنية ذات الجوائز الحافلة، حيث يُسألُ المجتمعون عن أسماء الأفلام وأسماء الممثلين والممثلات. وفي أي مكان صُور فيلم كذا.. ومَن بطلة فيلم كذا.. وماذا كانت ترتدي؟!!... ويدوي التصفيق عند الإجابة العريضة، وتوزع الجوائز عن سخاء!!..

بمناسبة الشهر الكريم ستُعقد مسابقة للأغنية في المساء بالتليفزيون، حيث تُتلى الأغنية، وتُحذف منها كلمة أو كلمتان، وكأن ذلك لُغزٌ خطير، وعلى المتسابق أن يعرف ما يُحذف. فإذا تفضل بالإجابة دوّى التصفيق. ونال الجائزة عن استحقاق!!..

بمناسبة الشهر الكريم ستقدم شركة «كذا» أعظم أنواع السجائر، ثم يُعْرض شريط يمثل فتاة شبه عارية، وفي فمها سيجارة، وبجوارها شاب يبادلها التقاط الأنفاس في وضاعة شائنة، ثم تُكْتب بعد هذا الإغراء الخليع عبارة: «التدخين يضر بالصحة»!!!...

إن عبارة التدخين يضر بالصحة في غرابتها المدهشة، وتناقضها المذهل، تذكرني تماماً بعبارة «بمناسبة شهر رمضان المبارك» التي أشرت إليها من قبل، أليست العبارتان ضرباً من ضروب النفاق المذهل الذي يمثل دوره دون حياء أمام الملايين من المشاهدين!. وأقلُّ طفل يسأل: إذا كان التدخين يضر بالصحة، فلماذا تتكرر إذاعة الإعلانات ذات الإغراء عنه؟!!.. وإذا كان رمضان شهر الصوم والحرمان والتقوى والخشوع، فلماذا تتعدد فيه مظاهر الفسوق؟!!..

إنّ أول ما أفسد معاني الفضيلة في هذا الشهر هو هذا الترف الذي اخْتُصّت به فئة قليلة ليست بشيء من ناحية الكَمّ العددي، إذا قورنت بالجمْع الغفير، هذه الفئة وجدت المال يتدفق في أيديها دون حافز، ولابد أن يظهر أثر هذا الثراء في البذخ المستبشع في اللهو، وقد تعود الأبُ أن يسهر في أماكن المرح غير عابئ بما ينفق، وتعوّد الابن أن يأخذ من أبيه في اليوم الواحد ما يكفي أسرة متواضعة في شهر، وطبيعي أن يكون لرمضان ميزانيته الهائلة مأكلاً ومشرباً وسهراً!. فامتلأت الملاهي بأبناء الذوات، وتنوعت أفانين الإغراء، وبعد أن كان رمضان شهر الاقتصاد والقناعة أصبح شهر الإسراف والشرَه، وماذا يفعل ربُّ الأسرة المسكينة حين يشاهد إعلانات المآكل في التليفزيون فاحشة بأثمانها، وكُلّها بمناسبة شهر رمضان؟!.. ماذا يفعل أمام أسئلة أبنائه وأطفاله؟!!.. لقد جعل يسائل نفسه: أهذا شهر الحرمان؟. أهذا شهر التأديب بالجوع؟. أهذا شهر الإحساس بالمشاركة الوجدانية في تمثل حياة البائسين؟.. لقد أصبح رمضان مما يحسب الحسابُ لمقدمه قبل ثلاثة أشهر!. ثم يجئ عيد الفطر بمتطلباته الضرورية فيكون كارثة أخرى للجمهرة المسكينة.

لقد صار رمضان غريباً في أهله، إذ تبدّل به الحال من النقيض إلى النقيض، كانت مصر في أيام الإسلام الأُولي تحتفل برمضان في المساجد فحسب، إذ تمتلئ بالذاكرين والقانتين، ومضت على هذا السَّنن حتى أتى أحمد بن طولون، فرأى أن يكون شهر رمضان شهر الإحسان، فعمل على إطعام الفقراء في مآدب خاصة تقام للصائمين عند الغروب!. وأصدر منشوراً للحكام في البلاد المختلفة أن يحتفلوا بإطعام الفقراء كل يوم، فأصبح لرمضان معنىً من معاني الخير لدى من يعز عليهم أن يأكلوا ما يشتهون!. وقد فطن ابن طولون، لما يبعثه الترف من مفاسد في النفوس، فكان يطوف أثناء الليل في رمضان بين الأحياء الفقيرة والأحياء الغنية، فيرى عجباً أي عجب!. ما يكاد يلم متنكراً بالأحياء الثرية حتى يشم رائحة الخمور ويسمع من الأغاني الخليعة ما يضيق به، فإذا انتقل إلى الأحياء الفقيرة، وفي رمضان بالذات، أخذ يسمع آيات

القرآن، أو ذوى حلقات الذكر، ثم يفد إلى المساجد متنكراً أيضاً، فيجدها ملأى بذوى الصلاح من المستورين، ويتفقد الأغنياء فلا يكاد يجدهم، فجمع أعوانه من رجال الشرطة وقال: «دعوا بيوت الفقراء لا تراقب فى شىء، وعليكم بأحياء ذوى الثراء، فراقبوا من يخرج بالليل، فإذا حمل مسكراً، أو أداة لهو، فاعتقلوه!.» وعلم الأثرياء بذلك فأخذوا يحتشمون!.

أما مصر الفاطمية فقد احتفلت برمضان احتفالاً باذخاً، لأن ثراء الفاطميين دفعهم إلى هذا البذخ، ولكنه بذخ المآكل فقط، أما دور الخمر، وأماكن اللهو فكانت توصد إيصاداً تاماً قبل حلول الشهر بأيام، وظل الاحتفال الإيمانى برمضان على مر العصور بعيداً عن كل لهو عابث، وغناء فاحش، واجتماع مريب، حتى حان القرن العشرون، فماذا جد؟!..

كان رمضان يجد نفسه تماماً فى القرية والمدينة معاً، قبل أن يظهر التليفزيون، هذا الجهاز الذى طرد رمضان طرداً لا رجعة فيه!. ففى النصف الأول من هذا القرن كان المترفون فى القرية لا يجدون من وسائل اللهو ما يحول دونهم وبين تقوى الله، فهم لا يتميزون عن غير المترفين إلا بجودة الطعام، ونظافة المسكن، لذلك كان رمضان لديهم موسم خير وبركة. وكان من دونهم من الناس يحاولون تقليدهم فى مظاهر البر والإحسان، كل على قدر كسبه، ولكن استقبال رمضان بالفرحة يعم القرية جميعها، فما يكاد يعلن قدوم الشهر حتى تضاء المئذنة بالمصابيح، ليعلم القريب والبعيد أن الصوم يبدأ من الغد، ثم تمضى الفوانيس إلى المسجد لتشارك فى إضاءته، كل مصل يحمل مصباحه، فيتحول المسجد إلى ضحى مشرق، وتلقى الدروس، ويهنئ الناس بعضهم بعضاً، أما الرائع حقاً، ففى موائد الطعام قبيل الغروب، إذ يقدم ذو القدرة مائدته لمن يود أن يفطر، فإذا انتهى الأمر هرع المفطرون إلى المسجد، يستمعون الدرس، ويصلون مع العشاء صلاة التراويح، وهى عشرون ركعة لا تنقص، وفى أثناء الركعات تؤدى الترنيمات الدينية صلاة وسلاماً على رسول الله ﷺ وخلفائه الأربعة - رضى الله عنهم - وترجع المصابيح ثانية إلى المنزل، فتشرق الشمس فى المساء، وهنا تقام السهرات القرآنية، حيث يحرص الكثيرون على توظيف قارئ طيلة الشهر، يتلو آيات الذكر الحكيم، فيما يعرف بسهرة رمضان. ويفد الزائرون إلى هذه السهرات مجاملة لأصحابها، ورداً كريماً لزيارات سبق بها القوم، على حين يمكث الفقراء حتى يحين ميعاد السحور، فيتناولونه فى ترحيب وتأهيل، وكأنهم يؤدون خدمة لصاحب المنزل، إذ يشرفونه بتناول السحور، ويسود المجتمع القروى جو روحى خالص، تتصافى فيه النفوس فتزول أسباب الخصام حين تعقد مجالس الصلح عن رغبة متبادلة، فنحن فى شهر كريم، ويجىء العيد المبارك، فيكون تتويجاً لما تقدم من المبرات، حيث تنحر الذبائح، وتفرق الزكاة على من ينتظرونها فى شوق..

وهذا فى الريف.. أما فى المدن، وأكبر مظهر لها مدينة القاهرة، فإن رمضان لا يبدو فى بهائه الروحى بمكان منها كما يبدو فى القاهرة الفاطمية، حيث مسجد الحسين - رضى الله عنه

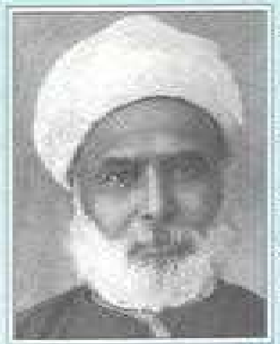

محمد طلعت حرب

- إذ يزدحم الميدان على سعته بالزوار ممن يخففون أثقال الطعام بجولات متئدة فى الحى الحسينى وما يتبعه من خان الخليلى وأزقته المتقاربة ذات الحوانيت المتلاصقة الحافلة بالتحف والآثار، ومقهى الفيشاوى، حينئذ، هو منتدى الصفوة وغير الصفوة من السامرين، وقد أتى عليه حين من الدهر كان أول كعبة للقصاد فى رمضان، يأتيه القاهريون من مختلف الطبقات، فللوزراء حلقات تمتد إلى وقت السحور، وللصحافيين حلقات، ولأبناء الجامعات من أزهرية ومدنية وفود تتحلق من الأساتذة والطلاب، ولم يفت نبهاء الممثلين أن يشاركوا فى الكرنفال الثابت غير المتنقل، فكان نجيب الريحانى وسليمان نجيب وعلى الكسار ويوسف وهبى، ممن يحرصون على الحضور الباكر قبل أن تمتلئ المقاعد، وتاريخ هذا المقهى عريق، لأنه شهد قبل هؤلاء عبده الحامولى ومحمد عثمان، وقد كتب الأستاذ خليل مطران مقالاً تحت عنوان: «عبده الحامولى يؤذن الفجر على مئذنة الحسين» قال فيه: إن جمهور أصدقائه بالمقهى طلبوا منه أن يصعد إلى المئذنة، ويلقى بعض التسابيح، فاستجاب، وأبدع مطران ما شاء فى وصف الابتداء والتدرج منه إلى ما يليه حتى قال: «رجل فى أعلى المنارة لا يبدو منه إلا شبح ضئيل، وهو الذى من أجله توافدت هذه الجماهير المتزاحمة كأنهم فقراء ينتظرون من محسن علوى تنزيل الأقوات، وتوزيع ما يتمنون من الصدقات، لسان تتصل به نياط آلاف من القلوب، لتهتز بحكم نبراته أشهى الاهتزازات، ولتحلق على أجنحة مصعدة إلى السموات، نسمة تخرجها شفتان، فتقتسمها أرواح لا تحصى، وتتخذ منها غذاء من جوع ورياً من ظمأ».

ليقارن القارئ بين ما وصف به مطران عبده الحامولى فى إنشاده الساحر بليالى رمضان على مئذنة الحسين، وبين ما يذاع فى هذا الشهر الكريم من الأغانى الخليعة فى الكازينوهات الهابطة، بل وفى محطات الإذاعة من مرئية ومسموعة، ليعلم أن الفن الجميل لا ينفر منه أحد، إنما يكون النفور من هذا الغناء المتراكب الذى نسمعه، ونزداد غيظاً حين نسمع من يقرظه وكأنه من ألحان السماء!.

نعود إلى حديث الأثرياء، فى العهد الذى نتحدث عنه، فنذكر أنهم ليسوا سواء فى الاتجاه السلوكى، فمنهم ذو الهمة العالية، والمروءة الحافزة، وهؤلاء يستقبلون رمضان استقبال المؤمن الواثق بربه، العارف بمزايا الصوم الخلقية، وثمرته النفسية، وأثره الاجتماعى لو تم على وجهه الصحيح، ولا نجد اسماً أنصع ولا أروع ولا أعز من اسم الزعيم الاقتصادى الأكبر محمد طلعت حرب، إذ كان يستقبل رمضان الكريم بتوزيع زكاة المال

على العائلات التى درس أحوالها. واطمأن إلى مساعدتها الواجبة، ثم بإقامة سهرات ليلية فى منزله يدعو فيها إخوانه الاقتصاديين إلى مدارسة أبواب من التفسير والحديث النبوى الشريف، مع نفر من كبار العلماء، نذكر منهم الشيخ حسين والى، أحد أعضاء هيئة كبار العلماء بالأزهر ورئيس لجنة الفتوى، وقد لا يعلم الكثيرون أن طلعت حرب باشا نشأ نشأة أدبية. إذ كان



الإمام محمد عبده



أحمد حسن الزيات

صاحب قلم جبّار يصول كل مصال فى قضايا الفكر المعاصر، وقد كتب بالفرنسية رداً حاسماً على مُفتريات المسيو هانوتو وزير الخارجية الفرنسية على الإسلام، فكان سنداً للإمام محمد عبده فى ردّه المنشور باللغة العربية. كما ألف كتابين حول قضية المرأة والحجاب، حين نشر الأستاذ قاسم أمين كتابه عن تحرير المرأة، وقد كانا زميلين فى فصل واحد بمدرسة الإدارة والحقوق. وتعارفا عن خبرة مُتكافئة، وتقدير متبادل، وخُطبه الاقتصادية فى مطلع كل عام كانت نموذجاً من نماذج الأسلوب العلمى الرفيع. أقولُ هذا لأؤكد جدوى سهراته الرمضانية القيّمة، ونزعته الإيمانية السعيدة التى جعلته يحفر الصخر الصلب بأظافره، حتى بنى مجد مصر الاقتصادى!. ولا أدرى لماذا لم يكن بسلوكه المثالى قُدوة لذوى الثراء، وقد رأوا أمامهم أكبر مثال يضع الشهر المبارك موضعه الصحيح، على حين نجد فى الجهة المضادة بعض الوزراء المرموقين إذ ذاك يحتفلون بالشهر المبارك احتفالاً مضحكاً تحدث عنه الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات فى الجزء الأول من وحى الرسالة حديثاً قد يطول اختيارنا منه بعض الشىء، وهذا كسب للقارئ إذ يسعد بنفحات من الأدب الرفيع لا يجد نظيراً لها الآن. قال الزيات ببعض التصرف:

«باشا يتبوأ منصباً من مناصب الدولة الرفيعة بعد حياة كادحة تبتدئ من القرية الفقيرة والوظيفة الخاملة، وتنتهى إلى هذا الجاه العريض، والثراء الضخم، وهو وزوجته من عهد، وابناه وبناته الثلاث من عهد، ولابد للأسرة أن تصوم بحكم النشأة وسلطان العادة، ولابد لهذا الصوم الجافى أن ترق حواشيه إذا ما نزل على الأسرة، فيجتمع مجلس الأسرة يومياً لينظر فى مقترحات البطون على إدارة المطبخ، فهذه تقترح، وهذا يعترض، والباشا يدير النقاش من إدارة موقفه، فيعدل أو يكمل حتى ينتهى النقاش بثبت حافل بالمشهيات والمقليات والحشوات والفطائر مما لا تجد بعضه فى مطعم كبير، ولكن لونين من ألوان الطعام لا يصيبهما التغير، لوناً

من الأرانب المطبوخة فى النبيذ يحبه الباشا، ولوناً من الشرائح الوردية مطعمة بفصوص من شحم الخنزير تُحبه الآنسة الكبرى.

وبعد وصف أنيق لحالة الباشا طيلة اليوم يقول الأستاذ الزيات: «يقبل الباشا على المائدة ينضد الأكواب ويسكب أمام كل آكل الشراب الذى تعوّده، ويرتب الألوان مع الغلام على أصول مقررة فى الفن، ويخرج إلى الردهة فيلقى النظرة الأخيرة على الشمس الغاربة، ويعود فيرى الأسرة بجنسيها لم تفرغ من الإعداد للسهرة الراقصة، فالحُلَلُ والحُلَى تُختار، والشعور ترجل، والحواجب تدقق، والخطوات واللفتات والبسمات تتكرر أمام المرايا بإتقان، حتى إذا نطق مدفع الإفطار من المذياع أهرعوا إلى المائدة إهراع جنود الإطفاء للسيارة، ثم يقبلون على هذه الآكال إقبال الشره الفاره، فلو رأيتهم حسبتهم صاموا العام كله ليفطروا فى رمضان.

أذنت العشاء فصلاها الباشا وقد أخذت الأسرة زينتها التامة الكاشفة، واجتمعت فى البهو الفسيح الفخم تستقبل أسراب السيدات والأوانس ومعهن أبناؤهن وإخوتهن من الأيفاع والشواب، فيعزف البيان، ويحقق العود، وتشدو الكواعب، ويدور الرقص على نمطيه الشرقى والغربى، فتلتف الأيدى على الخصور، وتلتصق الصدور بالصدور، وتمتزج أنفاس الكحول بأنفاس العطور، ويقف رمضان المسكين من هذه الريبة وقفة شيخ من شيوخ الدين وقعت به الأقدار إلى ماخور».

هذان طرازان مختلفان.. طراز طلعت حرب والباشا الكبير (ميم)!.

لقد وصف الزيات حفلاً مسائياً فى منزل خاص، لم تقع عليه عين غير عيون من شهدوه، ولم يكن يدرى أن جهاز التليفزيون فيما بعد سينقل صورة مكبرة من هذه الاحتفالات يومياً فى شتى القنوات بمناسبة شهر رمضان المعظم، وكنت أسمع من الذين يجيزون إذاعة هذه الحفلات الراقصة على هذا النحو المبتذل أن طبيعة العصر تقتضى ذلك، وما لم يكن جائزاً من قبل، لابد أن يجوز حتى نلحق بالعالم، فليتهم يعلمون أن سهرات رمضان بالإذاعة الإيرانية نالت الجائزة الأولى فى المسابقات العالمية، وهى بعيدة عن مظاهر الخلاعة والمجون، إذ قدّر المُحكمون قيمة الالتزام الخُلقى، وهذا ما ندعو إليه مُلحين.

د/ محمد رجب البيومى

تفسير سورة البقرة

قال تعالى:

﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ
يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا
الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ
فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ
وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ
فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ
وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ
﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ
الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ
لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ
فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم
بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾

الآيات: ٢٧٠ : ٢٧٤

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

النفقة: هى العطاء العاجل فى باب من أبواب الخير. أما النذر: فهو التزام قربة من القربات أو صدقة من الصدقات بأن يقول: لله على نذر أن أفعل كذا من أنواع البر. أو إن شفى الله مريضى فسأفعل كذا.

والمعنى: وما أنفقتم - أيها المؤمنون - من نفقة عاجلة قليلة أو كثيرة، أو التزمتم بنفقة مستقبلة وعاهدتم الله - تعالى - على القيام بها. فإنه - سبحانه - يعلم كل شىء، ويعلم ما صاحب نياتكم من إخلاص أو رياء، ويعلم ما أنفقتموه أهو من جيد أموالكم أم من رديئها، وسيجازى المحسن بإحسانه والمسىء بإساءته. فالآية الكريمة بيان لحكم كلى شامل لجميع أفراد النفقات إثر بيان حكم ما كان منها فى سبيل الله - تعالى -

و ﴿ وَمَآ ﴾ فى قوله: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم ﴾ شرطية أو موصولة والفاء فى قوله:

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ﴾ رابطة لجواب الشرط إذا اعتبرنا ما شرطية، ومزيدة فى الخبر إذا اعتبرناها موصولة و ﴿ مِّن ﴾ فى قوله:

﴿ مِّن نَّفَقَةٍ ﴾ بيانية أو زائدة.

وقوله: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ﴾ كناية عن الجزاء عليه، لأن علم الله - تعالى - بالكائنات لا يشك فيه السامعون، فأريد لازم معناه وهو الجزاء. وإنما كان لازما له لأن القادر لا يصده عن الجزاء إلا عدم العلم بما يفعله المحسن أو المسىء.

وهذه الجملة الكريمة مع إيجازها قد أفادت الوعد العظيم للمطيعين والوعيد الشديد للمتمردين، لأن الإنسان إذا أيقن أن الله - تعالى - لا تخفى عليه خافية من شئون خلقه، فإن هذا اليقين سيحمله على الطاعة والإخلاص، وسيحضه على المسارعة فى الخيرات، خصوصاً وأن الجملة قد صدرت بإن المؤكدة، وتليت بلفظ الجلالة الدال على الاستحقاق الكامل للألوهية.

قال بعضهم: وإنما قال - سبحانه -:

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ﴾ ولم يقل يعلمها لوجهين:

الأول: أن الضمير عائد إلى الأخير - وهو النذر -، كما فى قوله - تعالى -:

﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا ﴾

والثانى: أن الكناية عادت إلى ما فى قوله:

﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ ﴾ لأنها اسم كقوله:

﴿ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ
وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ﴾[1] [2].

---

(١) البقرة (٢٣١).

(٢) تفسير الفخر الرازى جـ٧ ص٧٤.

وقوله:

﴿ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ وعيد شديد للخارجين على طاعة الله أى: ليس للظالمين أى نصير أو مغيث يمنع عقوبة الله عنهم.

والمراد بالظالمين: الواضعون للأشياء فى غير موضعها التى يجب أن توضع فيها، والتاركون لما أمرهم الله به، فيندرج فيهم الذين يبطلون صدقاتهم بالمن والأذى والرياء والذين يتصدقون بالردىء من أموالهم، والذين ينفقون أموالهم فى الوجوه التى نهى الله عنها، والذين لم يوفوا بنذورهم التى عاهدوا الله على الوفاء بها كما يندرج فيهم كل من ارتكب ما نهى الله عنه أو أهمل فيما كلفه الله به.

ثم بين - سبحانه - أن الصدقة متى صدرت عن المسلم بالطريقة التى دعت إليها تعاليم الإسلام فإنها تكون مرجوة القبول عند الله - تعالى - سواء أفعلها المسلم فى السر أم فى العلن، فقال - تعالى -:

﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

الصدقات: جمع صدقة وهى ما يخرجه المسلم من ماله على جهة القربة، وتشمل الفرض والتطوع، وهى مأخوذة من الصدق بمعنى صدق النية وتخليصها من كل ما نهى الله عنه، وسمى - سبحانه - ما يخرجه المسلم من ماله صدقة لأن المال بها يزكو وينمو ويطهر.

والفاء فى قوله: ﴿ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ واقعة فى جواب الشرط، و «نعما» أصلها نعم ما، فأدغمت إحدى الميمين فى الأخرى، ونعم فعل ماض، وما نكرة تامة بمعنى شىء، وهى منصوبة على أنها تمييز، والفاعل ضمير مستتر فى نعم.

والمعنى: إن تبدو صدقاتكم - أيها المؤمنون - وتظهروها فنعم شيئاً أبداؤها وإعلانها، لأنه يرفع التهمة ويدعو أهل الخير إلى الاقتداء بهذا الفعل الحسن.

وجاء التعبير بمدح العلنين صدقتهم بقوله «فنعما هى» للإشارة إلى أن المسلم متى دفع صدقته لمستحقيها بنية خالصة، فإنه يكون ممدوحاً من الله - تعالى - وممدوحاً من الناس الذين شاهدوا عمله الصالح.

هذه صدقة الجهر إذا خلصت من الرياء أما صدقة السر فقد أثنى الله على فاعلها بقوله:

﴿ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾

أى: وإن تخفوا الصدقات وتعطوها للفقراء سراً، دون أن يراكم أحد من الناس، فعملكم هذا خير لكم عند الله لأنكم بإخفائكم للصدقة ودفعها للفقير سراً تكونون قد ابتعدتم عن الرياء، وسترتم حال هذا الفقير المحتاج.

وقوله:

﴿ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ ﴾

أى أنه - سبحانه - يستر السيئات التى يرتكبها الشخص، ويخفيها ولا يظهرها عند إثابته إياه على فعله الحسن لأن ما فعله من حسنات مسح ما فعله من سيئات فهو كقوله - تعالى -:

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴾

و ﴿ مِّن ﴾ فى قوله:

﴿ مِّن سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ بيانية بمعنى أن الصدقات تكفر السيئات لأن المسلم إذا بذل ماله فى سبيل الله بصدق وإخلاص، كان أهلا لمثوبة الله ومغفرته، ويجوز أن تكون للتبعيض أى يكفر عنكم بعض سيئاتكم بمقدار ما قدمتم من صدقات لأن الصدقات لا تكفر جميع السيئات.

ثم ختم - سبحانه - الآية بقوله:

﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ أى أن الله - تعالى - عليم علماً دقيقاً بكل ما تعملونه أيها المؤمنون، فعليكم أن تخلصوا له أعمالكم، وأن تراقبوه فى سركم وجهركم، وأن تسارعوا فى عمل الخيرات التى ترفع درجاتكم عند خالقكم.

وبذلك نرى أن الآية الكريمة قد مدحت صدقتى الجهر والسر متى كان المتصدق متبعاً آداب الإسلام وتوجيهاته، ومبتعداً عن كل ما يبطل الصدقات، ويحبط الأعمال.

ثم ختمت السورة حديثها عن النفقة والمنفقين ببيان حسن عاقبة من يبذل ماله فى سبيل الله، وبيان صفات بعض المستحقين للصدقة، وببيان أن هداية البشر إنما هى بيد الله - تعالى - وحده.

قال القرطبى ما ملخصه: قوله - تعالى -:

﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ﴾ هذا الكلام متصل بذكر الصدقات، فكأنه بين فيه جواز الصدقة على المشركين، روى سعيد بن جبير مرسلا عن النبى ﷺ فى سبب نزول هذه الآية أن المسلمين كانوا يتصدقون على فقراء أهل الذمة، فلما كثر فقراء المسلمين قال رسول الله ﷺ: «لا تتصدقوا إلا على أهل دينكم». فنزلت هذه الآية مبيحة للصدقة على من ليس من دين الإسلام. وروى عن ابن عباس أنه قال: كان ناس من الأنصار لهم قرابات من بنى قريظة والنضير كانوا لا يتصدقون عليهم رغبة منهم فى أن يسلموا إذا احتاجوا فنزلت الآية بسبب أولئك. ثم قال: قال علماؤنا: هذه الصدقة التى أبيحت لهم حسب ما تضمنته هذه الآثار هى صدقة التطوع، وأما المفروضة فلا يجزىء دفعها لكافر، لقوله ﷺ: «أمرت أن آخذ الصدقة من أغنيائكم وأردها فى فقرائكم»[٢].

(٢) تفسير القرطبى جـ٣ ص٣٣٧.

والمعنى: ليس عليك يا محمد هداية من خالفك فى دينك. ولكن الله - تعالى - يهدى من يشاء هدايته إلى نور الإيمان، وطريق الحق. وما دام الأمر كذلك فعليك وعلى أتباعك أن تعاملوا غيركم بما يوجبه عليكم إيمانكم من سماحة فى الخلق، وعطف على المحتاجين حتى ولو كانوا من المخالفين لكم فى الدين.

وعلى هذا المعنى الذى يؤيده سبب النزول يكون الضمير فى قوله: ﴿ هُدَاهُمْ ﴾ يعود على غير المسلمين.

ومن المفسرين من يرى أن الضمير فى قوله: ﴿ هُدَاهُمْ ﴾ يعود إلى المسلمين المخاطبين فى الآيات السابقة، فيكون المعنى: لا يجب عليك أيها الرسول الكريم أن تجعل المسلمين جميعاً مهديين إلى الإتيان بما أمروا به ومنتهين عما نهوا عنه من ترك المن والأذى والرياء فى صدقتهم، ولكن الله وحده هو الذى يهدى من يشاء هدايته إلى الاستجابة لتوجيهات هذا الدين الحنيف.

قال الآلوسى: وعلى هذا الرأى تكون الجملة معترضة جىء بها على طريق تلوين الخطاب وتوجيهه إلى سيد المخاطبين ﷺ مع الالتفات إلى الغيبة فيما بين الخطابات المتعلقة بأولئك المكلفين مبالغة فى حملهم على الامتثال.. ثم قال: «والذى يستدعيه سبب النزول رجوع الضمير ﴿ هُدَاهُمْ ﴾ إلى الكفار، وحينئذ لا التفات، وإنما هناك تلوين الخطاب فقط.....»(٤).

ثم حض - سبحانه - المؤمنين على الإنفاق فى وجوه الخير فقال:

﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ﴾.

أى: ما تقدمونه من مال فى وجوه البر - أيها المؤمنون - فإن نفعه سيعود عليكم بالسعادة فى الدنيا، وبالثواب الجزيل فى الآخرة، فكونوا أسخياء فى الإحسان إلى الفقراء، وابتعدوا عن وسوسة الشيطان الذى ﴿ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ﴾.

و﴿ مَا ﴾ شرطية جازمة لتنفقوا، وهى منتصبة به على المفعولية، و﴿ مِنْ ﴾ للتبعيض وهى متعلقة بمحذوف وقع صفة لفعل الشرط والتقدير: أى شىء تنفقوا كائنا من المال فهو لأنفسكم لا ينتفع به فى الآخرة غيرها.

قال الفخر الرازى ما ملخصه: وقوله - تعالى -:

﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ﴾

يحتمل وجوها.

الأول: أن يكون المعنى: ولستم فى صدقتكم على أقاربكم من المشركين

(٤) تفسير الآلوسى جـ٣ ص٤٥ بتصرف وتلخيص.

تقصدون إلا وجه الله. فقد علم الله هذا من قلوبكم، فأنفقوا عليهم إذا كنتم إنما تبغون بذلك وجه الله فى صلة رحم وسد خلة مضطر، وليس عليكم اهتداؤهم حتى يمنعكم ذلك من الإنفاق عليهم.

الثانى: أن هذا وإن كان ظاهره خبراً إلا أن معناه نهى أى: ولا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله.

الثالث: أن قوله: ﴿ وَمَا تُنفِقُونَ ﴾ أى ولا تكونوا منفقين مستحقين الاسم الذى يفيد المدح حتى تبتغوا بذلك وجه الله. وفى ذكر الوجه تشريف عظيم لأنك إذا قلت: فعلت هذا الشىء لوجه زيد فهو أشرف فى الذكر من قولك: فعلته له لأن وجه الشىء أشرف ما فيه، ثم كثر حتى صار يعبر عن الشرف بهذا اللفظ، وأيضاً فإن قولك: فعلت هذا الفعل لوجهه يدل على أنك فعلت الفعل له فقط وليس لغيره فيه شركة(٥).

ثم ختم - سبحانه - الآية بقوله:

﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾

أى: أن ما تنفقونه من خير - أيها المؤمنون ستعود عليكم ثماره ومنافعه فى الدنيا والآخرة، أما فى الدنيا فإنكم بسبب هذا الإنفاق تزكو أموالكم، وتحسن سيرتكم بين الناس، وأما فى الآخرة فإنكم تنالون من خالقكم ورازقكم أجزل الثواب، وأفضل الدرجات.

وقوله:

﴿ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ أى لا تنقصون شيئا مما وعدكم الله به على نفقتكم فى سبيله.

قال الجمل: «وهاتان الجملتان أى قوله - تعالى -:

﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ ﴾.

وقوله: ﴿ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ تأكيد للجملة الشرطية الأولى وهى قوله:

﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ﴾.

وقوله: ﴿ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ جملة من مبتدأ وخبر فى محل نصب على الحال من الضمير فى ﴿ إِلَيْكُمْ ﴾ فالعامل فيها: ﴿ يُوَفَّ ﴾ وهى تشبه الحال المؤكدة لأن معناها مفهوم من قوله:

﴿ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ ﴾ لأنهم إذا وفوا حقوقهم لم يظلموا. ويجوز أن تكون مستأنفة لا محل لها من الإعراب أخبرهم فيها أنه لا يقع لهم ظلم فيندرج فيه توفية أجورهم بسبب إنفاقهم فى طاعة الله - تعالى - اندراجا أوليا»(٦).

هذا، والذى يتدبر هذه الآية الكريمة يراها من أجمع الآيات التى وردت فى الحض على بذل المال فى وجوه الخير، فقد كرر فيها

(٥) تفسير الفخر الرازى جـ٧ ص٨٣.

(٦) حاشية الجمل على الجلالين جـ١ ص٢٥٥ بتصرف يسير.

فعل ﴿ تُنفِقُونَ ﴾ ثلاث مرات لمزيد من الاهتمام بمدلوله، وجيء به مرتين بصيغة الشرط عند قصد بيان الملازمة بين الإنفاق والثواب، وجاءت كل جملة منها مستقلة ببعض الأحكام لكى يسهل حفظها وتأملها فتجرى على الألسنة مجرى الأمثال وتتناقلها الأمم والأجيال.

ثم بعد هذا التحريض الحكيم على بذل الأموال فى وجوه الخير، خص - سبحانه - بالذكر طائفة من المؤمنين هى أولى الناس بالعون والمساعدة، ووصف هذه الطائفة بست صفات من شأنها أن تحمل العقلاء على المسارعة فى إكرام أفرادها وسد حاجتهم.

استمع إلى القرآن الكريم وهو يصور حالة هذه الطائفة من المؤمنين تصويرا كريما نبيلا يستجيش المشاعر، ويحرك القلوب لمساعدة هذه الطائفة المتعففة فيقول:

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾

لقد وصفهم الله - تعالى - أولا بالفقراء، أى الذين هم فى حاجة إلى العون والمساعدة لفقرهم واحتياجهم إلى ضرورات الحياة.

وقوله: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ ﴾ متعلق بمحذوف يفهم من الكلام السابق والتقدير: اجعلوا نفقتكم وصدقتكم للفقراء لأن الكلام السابق موضوعه للإنفاق فى سبيل الله، وما يتعلق بذلك من آداب وفوائد.

والجملة استئناف بيانى، فكأنهم لما أمروا بالصدقات سألوا لمن هى؟ فأجيبوا بأنها لهؤلاء الذين ذكرت الآية صفاتهم.

ومن فوائد الحذف هنا للمتعلق: تعليم المؤمنين الأدب فى عطائهم للفقراء بأن لا يصرحوا لهم بأن ما يعطونه إياهم هو صدقة حتى لا يشعروهم بالمذلة والضعف، وأيضا ففى هذا الحذف لون من الإيجاز البليغ الذى قل فيه اللفظ مع الوفاء بحق المعنى.

قال القرطبى: «والمراد بهؤلاء الفقراء، فقراء المهاجرين من قريش وغيرهم ثم تتناول الآية كل من دخل تحت صفتهم غابر الدهر. وإنما خص فقراء المهاجرين بالذكر، لأنه لم يكن هناك سواهم، وهم أهل الصفة[٧] وكانوا نحوا من أربعمائة رجل، وذلك أنهم كانوا يأتون فقراء وما لهم أهل ولا مال فبنيت لهم صفة فى المسجد النبوى بالمدينة فقيل لهم: «أهل الصفة»[٨].

(٧) الصفة- بضم الصاد وتشديد الفاء - اسم لموضع بناه النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد النبوى بالمدينة ليأوى إليه فقراء المهاجرين الذين تركوا أموالهم بمكة وهاجروا إلى المدينة لإعلاء كلمة الله.

(٨) تفسير القرطبى جـ٣ ص٣٢٩.

أما الصفة الثانية من صفات هؤلاء الذين هم أولى الناس بالعون والمساعدة فهى قوله - تعالى -:

﴿ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾.

والإحصار فى اللغة هو أن يعرض للرجل ما يحول بينه وبين ما يريده بسبب مرض أو شيخوخة أو عدو أو ذهاب نفقة أو ما يجرى مجرى هذه الأشياء.

والمعنى: اجعلوا الكثير مما تنفقونه - أيها المؤمنون - لهؤلاء الفقراء الذين أحصروا أنفسهم ووقفوها على الطاعات المتنوعة التى من أعظمها الجهاد فى سبيل الله، أو الذين منعوا من الكسب بسبب مرضهم أو شيخوختهم، أو غير ذلك من الأسباب التى جعلتهم فى حالة شديدة من الفاقة والاحتياج.

وعبر فى الجملة الكريمة بـ«أحصروا» بالبناء للمجهول، للإشعار بأن فقرهم لم يكن بسبب تكاسلهم وإهمالهم فى مباشرة الأسباب، وإنما كان لأسباب خارجة عن إرادتهم.

وقوله: ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ تكريم وتشريف لهم، أى أن ما نزل بهم من فقر واحتياج كان بسبب إيثارهم إعلاء كلمة الله على أى شىء آخر، ففى سبيل الله هاجروا، وفى سبيل الله تركوا أموالهم فصاروا فقراء، وفى سبيل الله وقفوا أنفسهم على الجهاد، وفى سبيل الله أصابهم ما أصابهم وهم يطلبون أداء ما كلفهم - سبحانه - بأدائه.

أما الصفة الثالثة من صفاتهم فقال فيها:

﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ ﴾

والضرب فى الأرض هو السير فيها للتكسب والتجارة وغيرهما.

أى أنهم عاجزون عن السير فى الأرض لتحصيل رزقهم بسبب اشتغالهم بالجهاد، أو بسبب ضعفهم وقلة ذات يدهم.

والصفة الرابعة من صفاتهم هى قوله - تعالى -:

﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾

والتعفف: ترك الشىء والتنزه عن طلبه، بقهر النفس والتغلب عليها. يقال عف عن الشىء يعف إذا كف عنه. والحسبان بمعنى الظن.

أى يظنهم الجاهل بحالهم، أو الذى لا فراسة عنده، يظنهم أغنياء من أجل تجملهم وتعففهم عن السؤال، أما صاحب الفراسة الصادقة، والبصيرة النافذة؛ فإنه يرحمهم ويعطف عليهم لأنه يعرف ما لا يعرفه غيره.

و ﴿ مِنَ ﴾ فى قوله: ﴿ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾ للتعليل، أو لابتداء الغاية لأن التعفف مبدأ هذا الحسبان.

أما الصفة الخامسة من صفاتهم فهى قوله - تعالى -:

﴿ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ ﴾ والسيما

والسيماء: العلامة التى يعرف بها الشىء، وأصلها من الوسم بمعنى العلامة.

والمعنى: تعرف فقرهم وحاجتهم - أيها الرسول الكريم أو أيها المؤمن العاقل - بما ترى فى هيئتهم من آثار تشهد بقلة ذات يدهم.

«قال الإمام الرازى ما ملخصه: قال مجاهد: «سيماهم» التخشع والتواضع. أى - تعرفهم بتخشعهم وتواضعهم - وقال السدى: - تعرفهم بسيماهم - أى بأثر الجهد من الفقر والحاجة. وقال الضحاك: أى بصفرة ألوانهم ورثاثة ثيابهم... ثم قال - رحمه الله -: وعندى أن كل ذلك فيه نظر والمراد شىء آخر هو أن لعباد الله المخلصين هيبة ووقعاً فى قلوب الخلق، وكل من رآهم تأثر منهم وتواضع لهم، وذلك له إدراكات روحانية، لا علامات جسمانية. ألا ترى أن الأسد إذا مر هابته سائر السباع بطباعها لا بالتجربة، لأن الظاهر أن تلك التجربة ما وقعت، والبازى إذا طار تهرب منه الطيور الضعيفة وكل ذلك إدراكات روحانية لا جسمانية فكذا هنا...»[9].

وقد ذكر - سبحانه - فى الجملة السابقة أن الجاهل بحالهم يظنهم أغنياء من أجل تعففهم عن السؤال، وذكر هنا أنهم يعرفون بسيماهم، وذلك للإشعار بأن أنظار الناس تختلف باختلاف فراستهم ونفاذ بصيرتهم، فأصحاب الأنظار التى تأخذ الأمور بظاهرها يظنونهم أغنياء، أما أصحاب البصيرة المستنيرة، والحس المرهف، والفراسة الصائبة، فإنهم يدركون ما عليه أولئك القوم من احتياج، بسبب مامنحهم الله من فكر صائب ونظر نافذ، وفى الحديث الشريف: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»[10].

أما الصفة السادسة من صفاتهم فهى قوله - تعالى -:

﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾

والإلحاف - كما يقول صاحب الكشاف: هو الإلحاح بأن لا يفارق - السائل المسئول - إلا بشىء يعطاه. من قولهم: لحفنى من فضل لحافه أى أعطانى من فضل ما عنده. ومعناه: أنهم إن سألوا سألوا بتلطف ولم يلحفوا. وقيل هو نفى للسؤال والإلحاف»[11].

والذى عليه المحققون من العلماء أن النفى منصب على السؤال وعلى الإلحاف أى أنهم لا يسألون أصلا تعففاً منهم، لأنهم لو كانوا يسألون ما ظنهم الجاهل أغنياء من التعفف، ولو كانوا يسألون ما كانوا متعففين، ولو كانوا يسألون ما احتاج صاحب البصيرة النافذة إلى معرفة حالهم عن طريق التفرس فى سماتهم لأن سؤالهم كان يغنيه عن ذلك.

وإنما جاء النفى بهذه الطريقة التى يوهم ظاهرها أن النفى متجه إلى الإلحاف وحده،

(9) تفسير الفخر الرازى جـ7 ص86.

(10) تفسير ابن كثير جـ1 ص324.

(11) تفسير الكشاف جـ1 ص328.

للموازنة بينهم وبين غيرهم، فإن غيرهم إذا كان يسأل الناس إلحافاً فهم لا يسألون مطلقاً لا بإلحاف ولا بدونه، والنفى بهذه الطريقة فيه تعريض للملحفين وثناء على المتعففين. ولذا قال بعضهم: وإذا علم أنهم لا يسألون البتة فقد علم أنهم لا يسألون الناس إلحافاً والمراد التنبيه على سوء طريقة من يسأل الناس إلحافاً، ومثاله إذا حضر عندك رجلان أحدهما عاقل وقور قليل الكلام، والآخر طياش مهذار سفيه، فإذا أردت أن تمدح أحدهما وتعرض بذم الآخر قلت: فلان رجل عاقل وقور لا يخوض فى الترهات ولا يشرع فى السفاهات، ولم يكن غرضك من قولك لا يخوض فى الترهات وصفه بذلك لأن ما تقدم من الأوصاف الحسنة يغنى عن ذلك، بل غرضك التنبيه على مذمة الثانى. فالأمر هنا كذلك لأن قوله:

﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ بعد قوله: ﴿ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ ﴾

الغرض منه بيان مباينة أحد الجنسين عن الآخر فى استيجاب المدح والتعظيم»[12].

هذا وقد وردت أحاديث متعددة تمدح المتعففين عن السؤال، وتذم الملحفين فيه ومن ذلك ما جاء فى الصحيحين عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس المسكين الذى ترده اللقمة واللقمتان ولا التمرة والتمرتان وإنما المسكين الذى يتعفف.. اقرؤا إن شئتم:

﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾».

وروى مسلم فى صحيحه عن ابن عمر - رضى الله عنهما - أن النبى ﷺ قال: (لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس فى وجهه مزعة لحم).

وروى مسلم - أيضاً - فى صحيحه عن عوف بن مالك قال: كنا تسعة أو ثمانية أو سبعة عند رسول الله ﷺ فقال: «ألا تبايعون رسول الله؟ فقلنا علام نبايعك؟ قال: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا. والصلوات الخمس، وتطيعوا ولا تسألوا الناس. فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فلا يسأل أحداً أن يناوله إياه».

والخلاصة أن السؤال إنما يجوز عند الضرورة، وأنه لا يصح لمؤمن أن يسأل الناس وعنده ما يكفيه، لأن السؤال ذل يربأ بنفسه عنه كل من يحافظ على مروءته وكرامته وشرفه.

وقوله:

﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾

تحريض للمؤمن على البذل والسخاء، وترقية لنفسه على الشعور بمراقبة الله - تعالى - وعلى محبة فعل الخير.

(12) تفسير الفخر الرازى جـ7 ص87.

أى: وما تنفقوا من خير سواء أكان النفق قليلا أم كثيراً سراً أم علناً فإن الله يعلمه وسيجازيكم عليه بأجزل الثواب، وأعظم العطاء.

ثم ختم - سبحانه - الحديث عن النفقة والمنفقين بقوله:

﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

وقوله:

﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾

استئناف المقصود منه مدح أولئك الذين يعممون صدقاتهم فى كل الأزمان وفى كل الأحوال فهم يتصدقون على المحتاجين فى الليل وفى النهار، فى الغدو وفى الآصال، فى السر وفى العلن، فى كل وقت وفى كل حال، لأنهم لقوة إيمانهم، وصفاء نفوسهم يحرصون كل الحرص على كل ما يرضى الله تعالى.

وقد بين الله - تعالى - فى ثلاث جمل حسن عاقبتهم، وعظيم ثوابهم فقال فى الجملة الأولى:

﴿ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾.

أى فلهم أجرهم الجزيل عند خالقهم ومربيهم ورازقهم.

والجملة الكريمة خبر لقوله:

﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ ﴾ ودخلت الفاء فى الخبر لأن الموصول فى معنى الشرط فتدخل الفاء فى خبره جوازاً، وللدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها أى أن استحقاق الأجر متسبب عن الإنفاق فى سبيل الله.

وقال فى الجملة الثانية:

﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ أى: لا خوف عليهم من أى عذاب لأنهم فى مأمن من عذاب الله بسبب ما قدموا من عمل صالح.

وقال فى الجملة الثالثة:

﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ أى لا يصيبهم ما يؤدى بهم إلى الحزن والهم والغم، لأنهم دائما فى اطمئنان يدفع عنهم الهموم والأحزان وقد روى المفسرون فى سبب نزول هذه الآية روايات منها أن على بن أبى طالب كان يملك أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سراً، وبدرهم علانية فقال النبى ﷺ: «وما حملك على ذلك؟ فقال: أريد أن أكون أهلا لما وعدنى ربى. فقال ﷺ: لك ذلك، فأنزل الله هذه الآية[13].

(13) تفسير الفخر الرازى جـ7 ص88.

والحق أن هذه الرواية وغيرها لا تمنع عمومها، فهى تنطبق على كل من بذل ماله فى سبيل الله فى عموم الأوقات والأحوال.

أما بعد: فهذه أربع عشرة آية بدأت من قوله - تعالى -:

﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ ﴾[14].

وانتهت بقوله - تعالى -:

﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾

والذى يقرأ هذه الآيات الكريمة بتدبر وتعقل يراها قد حضت الناس على الإنفاق فى سبيل الله بأبلغ الأساليب، وأحكم التوجيهات، وأفضل الوسائل، كما يراها بينت أحكام الصدقة وآدابها، والآفات التى تذهب بخيرها وضربت الأمثال لذلك، كما يراها قد بينت أنواعها، وطريقة أدائها، وأولى الناس بها ورسمت صورة كريمة للفقراء المتعففين، وكما بدأت الآيات حديثها بالثناء الجميل على المنفقين فقد ختمته أيضًا بالثناء عليهم وبالعاقبة الحسنى التى أعدها الله لهم.

ولو أن المسلمين أخذوا بتوجيهات هذه الآيات لعمتهم السعادة فى دنياهم، ولنالوا رضا الله ومثوبته فى أخراهم.

وبعد هذه الصورة المشرقة التى ساقها القرآن عن النفقة والمنفقين أتبعها بصورة مضادة لها وهى صورة الربا والمرابين. ومن مظاهر التضاد والتباين بين الصورتين أن الصدقة بذل للمال فى وجوه الخير بدون عوض ينتظره المتصدق، أما الربا فهو إخراج المال فى وجوه الاستغلال لحاجة المحتاج مع ضمان استرداده ومعه زيادة محرمة. وأن الصدقة نتيجتها الرخاء والنماء والطهارة للمال، وشيوع روح المحبة والتعامل والتكامل والاطمئنان بين أفراد المجتمع. أما الربا فنتيجته محق البركة من المال، وشيوع روح التقاطع والتحاسد والتباغض والخوف بين الناس.

***

(14) البقرة [261].

الصوم

للأستاذ الكبير الشيخ إبراهيم الجبالى
عضو جماعة كبار العلماء
وعميد كلية اللغة العربية الأسبق

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به، والصيام جنة، وإذا كان يومُ صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى امرؤ صائم، والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح، وإذا لقى ربه فرح بصومه»(1).

وعنه رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل رمضان فتحت أبواب السماء وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين»(2).

وعنه رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه»(3)، روى الأحاديث الثلاثة البخارى وغيره.

(1، 2، 3) رواه البخارى.

الصيام والصوم فى اللغة معناه الإمساك عن أى شئ، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾(4) أى إمساكاً عن الكلام، ويقولون: خيل صائمة أى ممسكة عن الحركة، وريح صائمة أى راكدة، وصامت الشمس أى استوت فى السماء، إذ يخيل للرائى أنها أمسكت عن الحركة ومعناه فى الشرع: الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع النية، والمفطرات معروفة مفصلة فى كتب الفقه، والجنة بضم الجيم: الستر، ومنه المجن لأن المقاتل يستتر به عن خصمه، والجن لاستتارها عن الأعين، والجنة لأن أشجارها تستر أرضها. وجنّ الليل: أى ستر ما أحاط به والرفث: فحش القول، أو ما يكون منه فى مداعبة النساء والصخب: شدة رفع الصوت حال الغضب ونحوه. وسابه أو قاتله: أى استفزه للسباب والمقاتلة بما يوجهه نحوه من دواعى ذلك. والخلوف: تغير رائحة الفم من هجر الطعام والشراب. والمسك: الطيب المعروف. والفرح: السرور وابتهاج النفس وغبطها.

النوع الإنسانى هو أفضل ما نشاهده من أنواع العالم. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾(5)، ويكفيه شرفاً أن كان منه أفضل الخلق على الإطلاق محمد ﷺ. وما كان فضله وامتيازه على غيره بكبر حجمه وضخامة مادته، وإلا فالجبل أكبر منه وأضخم، ولا بقوة جسمه ومتانة عضلاته، وإلا فالبهائم والسباع أقوى منه وأمتن وإنما فضله بما أودعه الله فيه من تلك اللطيفة الربانية، تلك الروح الملكية، تلك الماهية الإنسانية، ذات القوة العاقلة، والنفس المفكرة، بها كان أفضل تلك الأنواع، بها ميزه الله على جميع الكائنات، بها وبما ضم إليها من هذا البدن الذى خلقه الله فسواه، وما أودع فيه من جوارح وحواس، جعله الله فى الأرض خليفة، وهى منزلة لا يطمع مخلوق من خالقه فى أعظم منها، وحسبك فيها أنها منزلة تشوقت إليها نفوس الملائكة.

وإذ كان الإنسان مفضلاً على غيره بهذه الميزة، كان كل ما يعود عليها بالنمو والتربية والترفيه له دخل عظيم فى تقوية إنسانيته وترسيخ فضيلته وقد جبلت طبيعته فى الغالب على خدمة قواه الجسمية والاهتمام بتنميتها، لأن فائدتها أقرب إلى حسه وأسرع إلى إدراكه، فكان بذلك عرضة للإخلال بالاعتدال اللائق به، ومبعداً عن تجلى المظاهر الملكية التى أودعها الله فيه، ولا سبيل إلى هذا إلا بتعهد تلك الشهوات الجسمية واللذائذ البهيمية بما يوقفها عند حدها، ويمنع طغيانها على الروح الطاهرة التى يجب أن يكون لها السلطان الأقوى والهيمنة التامة على جوارحه. ومن ذا يشك فى أن سبيل ذلك إنما هو الصيام.

(4) مريم (26). (5) الإسراء (70)

إنا جميعاً نعرف أن طغيان التخمة والإفراط فى الملاذ والمشتهيات على القوة العاقلة وتعطيلها عن أداء مايرجى منها هو سبب الخيبة والدمار، والهزيمة فى ميادين الأعمال التى يمتاز بها الإنسان من حيث هو إنسان، وأن الأخلاق الكريمة المهذبة بعيدة عمن جعل نفسه أسير الشهوتين المقرونتين، شهوتى بطنه وفرجه، وأن العقل النير والتفكير السليم والإدراك الصحيح لايتفق والانغماس فى تلك الشهوات السافلة، فما بالك بتقوى الله العظيم ومراقبة جلاله، واستحضار قوته وبطشه، وملاحظة علمه واطلاعه، حتى يستحى المرء من ربه فى خلوته وجلوته، وحتى يحسن معاملته للناس وتربيته لنفسه؟ هل تظن ذلك ينقاد لمن ملكته التخمة وملأته الكظة؟ وهل الأنوار الربانية والإلهامات القدسية يصيب شعاعها نفساً انغمست فى شهواتها واستهترت فى لذائذها؟ وهل تأديب المرء لنفسه وانقيادها بالطوع له وامتثال جوارحه لأحكام الصواب الصادرة من دينه وعقله يرجى ممن جعل أكبر همه ملء بطنه؟ اللهم إن الأمر واضح جد الوضوح.

لقد قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾(٦)

وقال جل شأنه:

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾(٧).

فأباح لنا أن ننال مما وهب لنا مانقيم به أودنا. ولكن لما كان ذلك يقويه ماركب فى أصل خلقتنا من شهوة الغذاء الحافظة لوجود الشخص ومما يحفظ وجود النوع، كان ذلك مظنة لطغيانها، فجاء التشريع الإلهى والهداية الربانية لكبح جماحها على الإطلاق بقوله تعالى:

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾(٨).

ثم بتنظيمها تنظيماً يكسر من حدتها ويخفف على النفس العاقلة بطشها، فشرع الصيام الذى قال الله تعالى فى شأنه فى كتابه العزيز:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(٩).

فانظر الى ترتيب التقوى على الصيام بقوله: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ تجده ناطقاً بما قررناه لك. وهل يمنع المرء من التحلى بحلية التقوى إلا ازدياد قوته البهيمية وطغيانها على قوته العاقلة؟ وهل يحرم الإنسان من النور الإلهى إلا لانطماس بصيرته بغلبة

(٦) المؤمنون (٥١).

(٧) الأعراف (٣٢).

(٨) الأعراف (٣١).

(٩) البقرة (١٨٣).

بهيميته على إنسانيته؟ وأين للمحروم من نعمة النور الربانى بأن يحظى بالتقوى التى مرجعها الأعظم ضبط النفس وإيقافها عند حدها، امتثالاً لأمر مالك ناصيتها، والعالم بخفاياها، والقادر على مجازاتها على ماقدمت من خير أو شر؟ فظهر بذلك ترتيب التقوى فى عمومها على الصيام.

ولعله ظهر لك أيضاً قبس من معنى قوله ﷺ فيما يحكيه عن ربه: (كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به)، ذلك أن الصيام مع كونه تركاً لشئ أو أشياء، أو بعبارة: مع كونه عدماً ونفياً، ليس له فى نفسه صورة تقدر بذاتها، فلا يعلم علمها إلا هو وحده، فهو المجازى عليه بدون تقدير.

أقول: إن الصيام مع هذا تجده مشرقاً للنور الإلهى، ومنبعاً للفيض الربانى، وباباً عظيما للتوفيق، فيترتب عليه من الفوائد الجليلة مايخرج عن التقدير (فهو لى وأنا أجزى به) فيكون اختصاصه تعالى بالصوم مع أنه هو المعبود بكل العبادات وحده لاشريك له، وإخراجه عن التقدير لأمرين: أنه ليس له صورة ظاهرة يترقب العبد تقديرها بعشر أمثالها أو سبعمائة ضعف أو أكثر، وإنما هو إمساك وكف وترك. والثانى: أن له من الآثار المترتبة فى نورانية قلب العباد وضبط جوارحهم وحواسهم وإحرازهم بذلك التقوى مالايقدر أحد على تقديره إلا عالم السر وأخفى، المحيط بكل شئ، والعليم بكل أمر من وجودى وعدمى من أصل وفرع يضاف إلى ذلك أن مايعرض للصائم من مشاق ومتاعب، وكبح شهوات، وردع النفس عن غوايات، أمور لايستطيع ضبطها وحصرها وتقدير قيمتها إلا المطلع على السرائر، الذى يعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور. بل ربما كان من مرت عليه هذه الشئون عاجزاً هو نفسه عن حصرها وإحصائها، فضلاً عن تقديرها.

فترى بهذا تنويهاً عظيماً بفضيلة الصيام، وماأشبهه بأن يستأجر عظيم أجيراً على عمل معروف بأجر خاص يعده بالزيادة فيه إذا هو أتقن عمله ثم يقول له: «واعمل هذا العمل وهو خارج عن حدود الإجارة ودع لى أنا تقديره فإنى أنا الذى أعرف قيمته لاأنت ولاغيرك»، فكم يكون ابتهاج الأجير وإقباله على ذلك العمل برغبة صادقة لاسيما حين يعلم سعة كرم وعطاء مؤجره وحسن تقديره وتمام علمه، وأنه أدرى بما سيتطلبه هذا العمل من العامل نفسه؟ إنه ليخيل للمرء أن هذا الوعد أفخم أو من أعظم ماوجهه الله تعالى من صنوف الوعد، فما أشبه فى عظمته بعظم الهول الذى يتجلى فى الوعيد الوارد فى قوله تعالى:

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴾(١٠)

(١٠) الرحمن (٣١).

وما كان ربك ممن يشغله شأن عن شأن، وإنما هو إبراز العظمة والقدرة والغضب والانتقام في أعظم صورة من الهول والروعة.

قال ﷺ: «والصيام جنة»:

نعم: الصيام جنة من المعاصى بما رفع الصائم عن نفسه من قوة جند الشيطان، وهل للشيطان جند أعظم من امتلاء البطن بالطعام والشراب، فتقوى عوامل الشر، ويسترسل فى اقتناء المشتهيات واقتراف المنهيات؟ «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه»[11] وهو بذلك جنة وساتر من النار والعذاب الأليم، وهو كذلك جنة من الشيطان وتسلطه على النفس. وهذا معنى قوله عليه السلام: «وسلسلت الشياطين».

قال عليه السلام: «فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولايصخب فإن سابه أحد أو خاصمه فليقل إنى امرؤ صائم».

هذا من تفصيل الهدى وإيضاح طريق الامتثال بسهولة. وذلك أن الصائم بما حبس نفسه عن مشتهياتها وقيد حريتها التى ألفتها سيشعر بحرج فى نفسه وضيق فى صدره، وميل إلى التنفيس عن نفسه، حتى يعوضها ماحرمت منه، فهو يتلمس جلب التسلية لها ومايسرى به عنها، فلا يسعفه إلا التحدث فى المشتهيات، والترنم بذكر ماتصبو إليه النفس، وترداد الخواطر السيئة بفتق الذهن لها وتعلق النفوس بها، فقد يجره ذلك إلى مالم يكن له فى حسبان، والخواطر السيئة أول درجات العصيان، فجاء النهى سداً لهذا الباب، ومن جهة أخرى: تنزيهاً للصيام، وتطهيراً لنفس الصائم عن علائق الشهوات، وذكريات اللذات ولو على سبيل المجون والتسلى:

فالحب أول مايكون مجانة
فإذا تمكن صار شغلاً شاغلا

هذا سر قوله: «فلايرفث» وأما قوله: «ولايصخب» فوجهه كذلك أن النفس بهذا الكبح تكون ضعيفة الاحتمال ضائقة الصدر سريعة الانفعال والتهيج، فلأقل السبب تثور ثائرتها ويستحكم غضبها، فينطلق الصوت بالصخب، وتتجلى مظاهر الغضب، فتتساقى كؤساً متبادلة، ويحجل بينهما الشيطان بخطى متعادلة، فلا يلبثان أن يشتبكا، وإذا ماكان باباً لهدايتهما ووسيلة لعلاجهما قد تطرقا منه إلى حيث لاينبغى لهما واستعملا العلاج على وجه يضرهما ولاينفعهما، فجاء التحذير عن ذلك بقوله عليه السلام: «ولايصخب» أى احفظ نفسك من تلك الصيحة التى تملك من أمرها قبل انطلاقها من حنجرتك أكثر مما تملكه منها وقد أفلت زمامها من يدك،

(11) مسند الإمام أحمد ٤/١٣٢.

فربما تلا ذلك الصخب مالا قبل لك بدفعه، ولأنك ماصمت إلا لتهذيب نفسك ورد غوايتها، فلا تقلب الدواء داء، فالغرض من الصوم كسر شره النفس لا إلباسها حلة الطغيان.

وقد توسع فى التفصيل واستوفى أنواع العلاج بوصف ماينبغى أن يلجأ إليه إذا طرأ مايستفزه لذلك بأن يسابه أحد أو يقاتله، فقال: «فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى امرؤ صائم» يقولها لنفسه ليملك زمامها فيردها إلى طاعة ربها، ويقولها لخصمه ليذكره إن كان ممن يتذكر، أو ليقطع عليه طريق الطماعية فى استفزازه إن كان من الطاغين، فإن المساب والمشاتم لايلبث أن يهدأ إذا لم يجد من يجاريه فى طريقه. والمشاهدة أعظم شاهد.

ناشدتك الله ألاترى هاتين الكلمتين على وجازتهما شارحتين العلاج الشافى لما تراه مستحكماً فى نفوس الصائمين فى كل حين: من الميل إلى التلهى، والتسلى بأنواع التسليات بحجة الصيام، ومن استعذاب المجون وأحاديث اللهو بقصد التسلية، ومن الغضب والصخب، حتى ليقال عادة لمن احتد: «أأنت صائم!».

يالله! كأن ماشرع لتهذيب النفوس وكبح جماحها وإضعاف قوتى الشهوة والغضب عن محاربتها صار بالحياد عن التعليم الإلهى والإرشاد النبوى باباً لتطرق ذلك ...

الأ... يقولها ... بلسانه كما ذكر...

وبقولنا فى شرح ... معناه استفزه بسبه إلى ان... ماتوهم من أن المسابة والمقاتلة ... لاتتحقق إلا من الجانبين فيقتضى أن يكو... كل منهما قد سب الآخر، ووجه الدفع أن المفاعلة وإن كان أصلها كذلك إلا أنهم نصوا على أنها تسند لبادئها نسبة الفاعلية، لأنه لما تسبب فيها كان كأنه هو القائم بنصيب الطرفين منها. فالساب هنا باستفزازه للمسبوب كأنه أوجد المسابة أى نصيبه منها وهو فتح بابها، وإن كان الآخر قد أفسد عليه قصده وسد عليه طريقه. وبعد: ففى هذا الجواب عند المسابة مايذكر الصائم بفائدة صومه، وينبهه على ثمرتها ليجنيها وينتفع بها.

قال ﷺ: «والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك».

أعظم وجه تقع عليه العبادة أن يقبل عليها صاحبها مغتبطا بها شاكراً نعمة ربه بهدايته إليها وتوفيقه لها، ولايخشى على العبادة من شئ أكبر من تأذى صاحبها

وما كان ربك ممن يشغله شأن عن شأن، وإنما هو إبراز العظمة والقدرة والغضب والانتقام فى أعظم صورة من الهول والروعة.

قال ﷺ : «والصيام جنة»:

نعم: الصيام جنة من المعاصى بما رفع الصائم عن نفسه من قوة جند الشيطان، وهل للشيطان جند أعظم من امتلاء البطن بالطعام والشراب، فتقوى عوامل الشر، ويسترسل فى اقتناء المشتهيات واقتراف المنهيات؟ «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه»[١١] وهو بذلك جنة وساتر من النار والعذاب الأليم، وهو كذلك جنة من الشيطان وتسلطه على النفس. وهذا معنى قوله عليه السلام: «وسلسلت الشياطين».

قال عليه السلام: «فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو خاصمه فليقل إنى امرؤ صائم».

هذا من تفصيل الهدى وإيضاح طريق الامتثال بسهولة. وذلك أن الصائم بما حبس نفسه عن مشتهياتها وقيد حريتها التى ألفتها سيشعر بحرج فى نفسه وضيق فى صدره، وميل إلى التنفيس عن نفسه، حتى يعوضها ماحرمت منه، فهو يتلمس جلب التسلية لها ومايسرى به عنها، فلا يسعفه إلا التحدث فى المشتهيات، والترنم بذكر ماتصبو إليه النفس، وتزداد الخواطر السيئة بفتق الذهن لها وتعلق النفوس بها، فقد يجره ذلك إلى مالم يكن له فى حسبان. والخواطر السيئة أول درجات العصيان، فجاء النهى سداً لهذا الباب، ومن جهة أخرى: تنزيهاً للصيام، وتطهيراً لنفس الصائم عن علائق الشهوات، وذكريات اللذات ولو على سبيل المجون والتسلى:

فالحب أول مايكون مجانة
فإذا تمكن صار شغلاً شاغلا

هذا سر قوله: «فلا يرفث» وأما قوله: «ولا يصخب» فوجهه كذلك أن النفس بهذا الكبح تكون ضعيفة الاحتمال ضائقة الصدر سريعة الانفعال والتهيج، فلأقل السبب تثور ثائرتها ويستحكم غضبها، فينطلق الصوت بالصخب، وتتجلى مظاهر الغضب، فتتساقى كؤساً متبادلة، ويحجل بينهما الشيطان بخطى متعادلة، فلا يلبثان أن يشتبكا، وإذا ماكان باباً لهدايتهما ووسيلة لعلاجهما قد تطرقا منه إلى حيث لا ينبغى لهما واستعملا العلاج على وجه يضرهما ولا ينفعهما، فجاء التحذير عن ذلك بقوله عليه السلام: «ولا يصخب» أى احفظ نفسك من تلك الصيحة التى تملك من أمرها قبل انطلاقها من حنجرتك أكثر مما تملكه منها وقد أفلت زمامها من يدك،

(١١) مسند الإمام أحمد ٤/١٣٢.

فربما تلا ذلك الصخب مالا قبل لك بدفعه، ولأنك ماصمت إلا لتهذيب نفسك ورد غوايتها، فلا تقلب الدواء داء، فالغرض من الصوم كسر شره النفس لا إلباسها حلة الطغيان.

وقد توسع فى التفصيل واستوفى أنواع العلاج بوصف ماينبغى أن يلجأ إليه إذا طرأ مايستفزه لذلك بأن يسابه أحد أو يقاتله. فقال: «فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى امرؤ صائم» يقولها لنفسه ليملك زمامها فيردها إلى طاعة ربها، ويقولها لخصمه ليذكره إن كان ممن يتذكر، أو ليقطع عليه طريق الطماعية فى استفزازه إن كان من الطاغين، فإن المساب والمشاتم لا يلبث أن يهدأ إذا لم يجد من يجاريه فى طريقه. والمشاهدة أعظم شاهد.

ناشدتك الله ألا ترى هاتين الكلمتين على وجازتهما شارحتين العلاج الشافى لما تراه مستحكماً فى نفوس الصائمين فى كل حين: من الميل إلى التلهى، والتسلى بأنواع التسليات بحجة الصيام، ومن استعذاب المجون وأحاديث اللهو بقصد التسلية، ومن الغضب والصخب، حتى ليقال عادة لمن احتد: «أأنت صائم؟!».

يالله! كأن ماشرع لتهذيب النفوس وكبح جماحها وإضعاف قوتى الشهوة والغضب عن محاربتها صار بالحياد عن التعليم الإلهى والإرشاد النبوى باباً لتطرق ذلك إليها فالحمد لله على ما علمنا وهدانا إلى صراطه المستقيم.

وقد ورد فى بعض الروايات: «فليقل إنى صائم إنى صائم» وفائدة التكرار الاستعانة على كبح النفس ورد الخصم، أو يقولها مرة لنفسه فى قلبه ومرة لخصمه بلسانه كما ذكره بعض شراح الحديث.

ويقولنا فى شرح كلمتى سابه وقاتله: معناه استفزه بسبه إلى أن يسبه، يندفع ماتوهم من أن المسابة والمقاتلة مفاعلة لاتتحقق إلا من الجانبين فيقتضى أن يكون كل منهما قد سب الآخر، ووجه الدفع أن المفاعلة وإن كان أصلها كذلك إلا أنهم نصوا على أنها تسند لبادئها نسبة الفاعلية، لأنه لما تسبب فيها كان كأنه هو القائم بنصيب الطرفين منها. فالساب هنا باستفزازه للمسبوب كأنه أوجد المسابة أى نصيبه منها وهو فتح بابها، وإن كان الآخر قد أفسد عليه قصده وسد عليه طريقه. وبعد: ففى هذا الجواب عند المسابة مايذكر الصائم بفائدة صومه، وينبهه على ثمرتها ليجنبها وينتفع بها.

قال ﷺ : «والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك».

أعظم وجه تقع عليه العبادة أن يقبل عليها صاحبها مغتبطاً بها شاكراً نعمة ربه بهدايته إليها وتوفيقه لها، ولا يخشى على العبادة من شئ أكبر من تأذى صاحبها

منهما وتبرمه بها. ولما كان ترك الطعام والشراب مما يؤدى غالباً إلى تغيير رائحة الفم، فيشم المرء ذلك من نفسه، ويعلم أن غيره قد يشمه منه فيتأثر ويتبرم، أزال المولى تبارك وتعالى عنه هذا الشعور، شعور السأم والكراهية، بهذا المثل الذى هو فى غاية الحسن. ومعنى أنه أطيب عند الله من ريح المسك مع أنه جل شأنه متعال عن أن يلتذ برائحة طيبة أو يتألم لرائحة كريهة: إن ذلك يقع منه موقع الرضا والقبول، ويقرب صاحبه إلى مرضاته، كما يكون من أحدكم تقريب المسك من أنفه لطيب رائحته. فهو من باب التمثيل والكناية عن الرضا. وقيل إن ذلك يكون فى الآخرة: تكون أفواه المؤمنين الصائمين ذات رائحة ذكية عطرة طيبة أطيب من ريح المسك. وقيل إن هذا بالنسبة لاستطابة الملائكة. واستشهد القائلون بأنه فى الآخرة بقوله: عند الله، فقد عرفت هذه الكلمة فى بيان أحوال الآخرة كقوله تعالى:

﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾(١٢)

فإن معناه فى الآخرة واستشهد القائلون بأن ذلك فى الدنيا بقوله فى بعض الروايات: «حين يمسى» ولعمرى لم لا يكون كل ذلك مشمولاً لمعنى الحديث؟ فهذا الخلوف مرضى عند الله فى الدنيا مثاب عليه بتطييب أفواه أصحابه فى الآخرة، تحبه الملائكة وتثنى على صاحبه. وفضل الله واسع فلا يحجر.

قال ﷺ: «للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح، وإذا لقى ربه فرح بصومه».

هذا من تصبير النفس على ما لعلها تتكره منه. وقد قرن الفرحتين على بعد مابينهما فى القدر لينبه بمشاهدة الأولى فى العاجل على تحقق الثانية فى الآجل. ولكن ماعند الله خير وأبقى.

نسأله تعالى أن يوفقنا لطاعته، وأن يرزقنا حسن مثوبته، فالكل منه وإليه، ولا اعتماد لنا إلا عليه. وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم.

***

(١٢) الحج (٤٧).

رمضان والقرآن

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عيطة

الصوم ركن من أركان الاسلام، لا يتم إسلام المرء إلا به. قال عليه الصلاة والسلام: «بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله. وإقام الصلاة. وإيتاء الزكاة. وصوم رمضان. وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا».(١)

افترض الله ـ عز وجل ـ على عباده المؤمنين، صيام شهر رمضان من كل عام. لأن الصيام يقرب العبد من ربه ـ تبارك وتعالى ـ ويجعله يترك لذات الدنيا وشهواتها، ممثلة فى المطعم والشراب، وسائر ما أحله له من النساء.. ابتغاء مرضاته سبحانه.

ولقد أخبر الحق ـ تبارك وتعالى ـ أنه كان قد افترض على الأمم السابقة ولم يجعله خاصا لأمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم.

جاء فى «مفاتيح الغيب» للإمام الفخر الرازى: أن الله فرض صيام رمضان على اليهود والنصارى. أما اليهود، فإنها تركت هذا الشهر، وصامت يوما من السنة، وزعموا أنه يوم غرق فيه فرعون، وكذبوا فى ذلك..

لأن ذلك اليوم يوم عاشوراء، على لسان رسول الله ﷺ أما النصارى فصاموا رمضان، فصادفوا فيه الحر الشديد. فحولوه إلى وقت لا يتغير ثم قالوا عند التحويل: نزيد فيه فزادوا عشرا، ثم بعد زمان اشتكى ملكهم فنذر سبعا فزادوه، ثم جاء بعد ذلك ملك آخر فقال: ما بال هذه الثلاثة فأتمه خمسين يوما، وهذا معنى قوله تعالى:

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾(٢).

وهذا مروى عن الحسن(٣).

فالصوم فريضة قديمة، قدم الرسالات السماوية قاطبة، وقد خاطب الله هذه الأمة المحمدية بهذا النداء العزيز:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾(٤) تمهيدا

(١) البخارى (٩/١).
(٢) التوبة (٣١).
(٣) جـ ٣ ص ٥٥.
(٤) البقرة (١٠٤).

للإعلان عن فريضة الصوم عليهم من قبله - تبارك وتعالى - ليؤكد على حقيقة أن هذه العبادة، ذات الطبيعة الخاصة، لا يعشقها إلا القلبُ المؤمنُ بالله رب العالمين، الذى ملأه الإيمان، ووصل مابينه وبين الله برباط المحبة الصادقة، التى لا يلتفت المرء معها إلى الدنيا، ومابها من علائق، فأصبح هو شغله الشاغل وطعامه الذى يقتات به، وشرابه الذى ترتوى به روحه فى بيداء الحياة المحرقة.

«إن الله - سبحانه - يعلم أن التكليف أمر تحتاج النفس البشرية فيه إلى عون ودفع واستجاشة لتنهض به، وتستجيب له، مهما يكن فيه من حكمة ونفع؟ حتى تقتنع به».

«ومن ثم يبدأ التكليف بذلك النداء الحبيب إلى المؤمنين، المذكر لهم بحقيقتهم الأصيلة، ثم يقرر لهم - بعد ندائهم ذلك النداء - أن الصوم فريضة قديمة على المؤمنين بالله فى كل دين، وأن الغاية الأولى، هى إعداد قلوبهم للتقوى والشفافية والحساسية والخشية من الله»(٥).

فإذا كانت سائر العبادات أفعالاً: بدنية أو مالية.. فإن الصوم ينفرد عنها بأنه ترك.. ماتشتهيه النفس من المطاعم والمشارب والمناكح، التى حلال فى سائر الأزمان، ليكون ذلك توطئة للنفس، وتعويداً لها على ترك ماحرم عليها من سائر المعاصى، التى أمر الإنسان بتركها، كل أيام حياته التى يحياها مثل: الغيبة والنميمة وقول الزور، والكذب، والنظر إلى المحرمات عامة، فالصوم إنما يدفع المؤمن إلى تطهير نفسه وجسمه من كل شائبة تغضب الله - تبارك وتعالى - ويقربه من عالم الملائكة، الذين لا يأكلون ولا يشربون ولايتناكحون. فالمؤمن، الصائم نهاره، القائم ليله، يكون فى أقرب حالات الشبه بالملائكة. «وهكذا تبرز الغاية الكبيرة من الصوم.. إنها التقوى.. فالتقوى هى التى تستيقظ فى القلوب، وهى تؤدى هذه الفريضة، طاعة لله، وإيثارا لرضاه.. والتقوى هى التى تحرس هذه القلوب من إفساد الصوم بالمعصية، ولو تلك التى تهجس فى البال.. والمخاطبون بهذا القرآن يعلمون مقام التوبة عند الله ووزنها فى ميزانه، فهى غاية تتطلع إليها أرواحهم. وهذا الصوم أداة من أدواتها، وطريق موصل إليها: ومن ثم يرفعها السياق أمام عيونهم هدفاً وضيئاً يتجهون إليه عن طريق الصيام:

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٦).

وإذا ذكر الصيام، ومابه من قيمة تربوية كبيرة، تنقل الفرد المؤمن بربه - تبارك

(٤) سيد قطب فى ظلال القرآن ص ١٦٨.

(٥) سيد قطب فى ظلال القرآن ص١٦٨.

(٦) البقرة (٢١).

وتعالى - من دنيا الشهوات والنزوات إلى عالم الرحمات والبركات.. ذكر معه نزول الرحمة العظمى التى ادخرها الله - عز وجل - لهذه الأمة، وكانت أعظم المنن التى تفضل الله بها عليها.. «القرآن الكريم»؟ حتى كانت أفضل وسيلة تحبب الله بها إلى عباده المؤمنين، ودليلاً أكيداً على رحمته العامة الشاملة حيث قال:

﴿الرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾(٨).

من أجل هذا، كان شهر رمضان الذى جعله الله - تبارك وتعالى - الوعاء الزمنى، لأداء هذه الفريضة العظيمة.. فريضة الصيام. فتنزل القرآن الكريم، كتاب الإنسانية، الخالد.. قال تعالى فى محكم كتابه:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾(٩).

وكان نزوله فى ليلة مباركة كريمة هى ليلة القدر التى تتيه على الزمان كله بهذين الوصفين اللذين لم تحظ بهما ليلة غيرها من ليالى العام كله وهما «الليلة المباركة» و«ليلة القدر»:

قال تعالى:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(١٠).

وقال عز من قائل:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾(١١).

وقد استغرق نزول هذا القرآن ثلاثا وعشرين سنة؟ حيث كان يتنزل منجما حسب الوقائع والأحداث.. وهو فى هذه الخاصية، يختلف عن الكتب السماوية الأخرى، لأن كلا منها نزل دفعة واحدة، وقد اقتضت حكمة الله - تبارك وتعالى - هذه المدة الطويلة، التى استغرقها نزول القرآن، ليكون ذلك توطئة لاستيعاب ماجاء فيه من تشريعات وأحكام وآداب، وحتى يتمكن الصحابة وفى مقدمتهم كتاب الوحى - رضوان الله عليهم أجمعين - من تدوين كل ما يتنزل من السماء أولاً بأول، مع حفظه والعمل به؟ حتى إن بعض الصحابة، حينما كان يحفظ بعض الآيات التى تنزل على الرسول ﷺ لايبحث عن غيرها، حتى يعمل

(٨) الرحمن (١: ٤).

(٩) البقرة ١٨٥.

(١٠) الدخان الآيات من ٣: ٦.

(١١) القدر

بها، وتصير جزءاً لا يتجزأ من حياته العملية، وعنوانا لآدابه وأخلاقه ومعاملاته:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ۝ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾(١٢)

وقد انقسمت آيات هذا القرآن من حيث أهدافها العامة، وأسباب نزولها إلى قسمين: القسم الأول هو ما نزل فى العهد المكى، وهو العهد الذى امتد من يوم بعثته الشريفة ﷺ إلى يوم هجرته المباركة. وقد استمرت هذه المدة ثلاثة عشر عاماً نزل فيها من السور (٨٦) سورة تبدأ بأول سورة العلق، وتنتهى بآخر سورة المطففين وقد سميت سور هذا القسم بالسور المكية، وقد ركزت فى مجملها على قضايا العقيدة وما حولها من قضايا الموت والبعث والحساب والثواب والعقاب.. وعدد آيات ذلك العهد تبلغ (٤٥٦٢) آية.

أما القسم الثانى، فهو السور المدنية، وهى السور التى نزلت بعد هجرته واستمر نزولها حتى آخر حياته الشريفة ﷺ وقد استمر نزولها عشر سنوات. ويبلغ عدد سورها (٢٨) سورة تبدأ بسورة البقرة وتنتهى بسورة النصر، أما عدد آيات ذلك العهد (١٦٧٤) آية(١٣) وقد ركزت سور هذه الفترة على قضايا المجتمع والأسرة والبيع والشراء وسائر المعاملات والميراث. إلخ ومع هذا التباين فى أهداف وقضايا آيات العهدين المكى والمدنى، فإن القرآن الكريم «لم يفرط فى مجمله فى شىء، وتناول كل مايخطر على بال الإنسان من قضايا عقائدية واجتماعية وفكرية واقتصادية، تقدم أكمل الحلول لبناء مجتمع الإنسان على أسس سليمة، كما عرض الحياة الآخرة وحبب إليها، مخاطبا العقل والوجدان بأبلغ وأجمل بيان»(١٤).

«وهو كتاب السماء إلى الأرض، مستقرا ومستودعاً. وقد جاء بالإعجاز الأبدى الذى يشهد على الدهر ويشهد الدهر عليه، فما من جهة من الكلام وفنونه إلا وأنت واجد إليها متوجهاً فيه، ومامن عصر إلا وهو متقلب صفحة منه حتى لتنتهى الدنيا عند خاتمته فإذا هى خلاء «من الجنة والناس».

«ولقد أراد الله ألا تضعف قوة هذا الكتاب، وألا يكون فى أمره على تقادم الزمن خضع أو تطامن، فجاءت هذه القوة فيه بأسبابها المختلفة على مقدار ما أراد،

(١٢) الفرقان ٣٢: ٣٣.

(١٣) تذكر القارىء أن ترتيب السور فى النزول يختلف عن ترتيبها فى التلاوة، كما أن هناك تداخلاً بين ترتيب الآيات المكية والآيات المدنية.

(١٤) د. محمد عبدالقادر حاتم – الإعلام فى القرآن الكريم ص-١٠٠.

وهى قوة الخلود الأرضى. التى خرج بها القرآن مخرج الشذوذ الطبيعى. فلا سبيل عليه ليد الزمن وحوادثه مما تبليه أو تستجده، إنما هو روح من أمر الله – تعالى –، هو نزله وهو يحفظه، وقد قال سبحانه:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(١٥)

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾(١٦)

ولقد نزل القرآن بلغة العرب:

﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾(١٧)

﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(١٨)

وهو مؤلف من الحروف ذاتها التى يؤلفون منها كلامهم. ولقد شاءت إرادة الله ذلك، ليكون حجة عليهم من جانب، لأنه فى متناول أفهامهم، وقد تلقوه من السماء، وعهد إليهم بنشره ونشر فيه من أحكام على العالمين وفى كل عصر إلى يوم القيامة.. هذا من جانب. ومن جانب آخر، ليكون الاتحاد فى أصل المادة بين هذا الكتاب وبين كلامهم بابا من أوسع أبواب التحدى، الذى أسفر عن عجزهم التام عن أن يأتوا بقرآن مثله، أو أن يأتوا بعشر سور من مثله، أو حتى بمثل أقصر سورة منه.

﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾(١٩)

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾(٢٠).

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾(٢١).

﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾(٢٢)

إن معجزات الأنبياء– عليهم السلام – لتنقسم إلى معجزات حسية، ومعجزات عقلية وهذا الاختلاف فى طبيعة المعجزة، وطريقة عملها «هو ما اقتضته دواعى الحكمة التى جاءت المعجزات من أجلها، ذلك أن الناس يختلفون باختلاف أزمنتهم وأمكنتهم. وإذا كانت غاية المعجزة أن يرى الناس فيها صدق الرسول، وقيام الدليل على صحة دعواه، فكان لابد أن تكون هذه المعجزة جارية مع تفكير من

(١٥) الحجر ٩.

(١٦) إبراهيم ٤٧ والفقرة من كتاب «إعجاز القرآن» للرافعى ص ٣٢.

(١٧) الشعراء ١٩٢ – ١٩٥.

(١٨) يوسف ١، ٢.

(١٩) الطور ٣٤.

(٢٠) هود ١٣.

(٢١) البقرة ٢٣.

(٢٢) الإسراء ٨٨.

تلقاهم وتتحداهم، آخذة بعقولهم وقلوبهم، فيما يدور فى هذه العقول، وما يختلج فى تلك القلوب، وبهذا تستولى على كيان الناس، وتخرس ألسنتهم، وتقوم عليهم الحجة كاملة، فإما أن يؤمنوا، وإما أن ينتظروا الهلاك الماحق، الذى لايبقى ولايذر».

«ومن هنا، كانت تلك المهلكات التى وقعت بهؤلاء الأقوام، الذين كذبوا رسل الله، الذين جاءوا بتلك المعجزات المادية الواقعة فى مرأى العين، والتى لايختلف عليها اثنان فى حين أنه لم يعجل الله ـ تعالى ـ بهلاك من ووجهوا بالمعجزة العقلية وهى القرآن الكريم. لأن هذه المعجزة تحتاج إلى تدبر وتأمل، وطول نظر، ولهذا كانت فى صحبة دائمة للناس، ينظرون فيها بعقولهم، ويرددون النظر فيها حالاً بعد حال، حتى تتكشف لهم وجوه الإعجاز منها».

«ثم إن هذه المعجزة القرآنية، لاتقع من الناس موقعاً واحداً، لاختلاف مداركهم، وتباين مستوى تفكيرهم، وأنه إذا كان فى الناس من ينكشف له الحق منها لأول نظرة فى وجهها، ومع أى آية تسمعها أذنه، فإن كثيراً من الناس لايهتدى إلى مواقع الحق من تلك الكلمات إلا بعد زمن، قد يقصر وقد يطول. ولهذا كان من حكمة العلى القدير، أن يفسح الوقت للناظرين فى المعجزة القرآنية، وألا يأخذهم بالعذاب فى هذه الدنيا، حتى تتاح لهم الفرصة لمواجهة تلك المعجزة إلى آخر يوم من أيام حياتهم فى هذه الدنيا»[٢٣].

هذا هو الصيام وهذا هو القرآن اللذان يشفعان لصاحبهما يوم القيامة. يقول الصيام:

«أى ربّ. منعته الطعام والشراب فشفعنى فيه، ويقول القرآن: أى ربّ منعته النوم فشفعنى فيه. قال فيشفعان»[٢٤] صدق رسول الله ﷺ.

***

(٢٣) د. أحمد جمال العمرى - مفهوم الإعجاز القرآنى حتى القرن السادس الهجرى ص ٣٢، ٣٣.

(٢٤) مسند أحمد (١٧٤/٢)

شهر الانتصارات

غَزوَة بَدر الكُبرى

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

إن هذا الشهر المبارك العظيم شهر رمضان هو شهر الانتصارات، وشهر النصر والفتح، الشهر الذى من الله فيه على الأمة الإسلامية بانتصارها على أعدائها فى كل معركة خاضتها أمتنا الإسلامية قديماً وحديثاً منذ عصر النبوة وإلى عصرنا الحاضر. ونلاحظ أنه ما من معركة من المعارك، وما من غزوة من الغزوات خاضها المسلمون فى هذا الشهر المبارك إلا ونصرهم الله على أعدائهم، ولعل فى هذا بياناً لأمتنا الإسلامية لقيمة هذا الشهر ومنزلته العظيمة عند الله سبحانه وتعالى حتى تعرف له قدره ومكانته، وحتى تعد له عدته.

وإذا نظرنا إلى انتصارات المسلمين فيما سلف فحسبنا أن نلقى نظرة على أول لقاء مسلح بين جند الحق وجند الباطل فى شهر رمضان فى يوم الفرقان اليوم الذى التقى فيه الجمعان فى غزوة بدر الكبرى، وإذا نظرنا إلى تخطيط النبى ﷺ، وإلى استشارته لأصحابه، وإلى استغاثته بربه، ونظرنا إلى وحدة المسلمين والتفافهم حوله وصدقهم فيما عاهدوا الله عليه، نرى دروساً باهرة، يأخذها كل مؤمن صادق، وكل قائد يريد النصر، وكل أمة تجاهد من أجل إحقاق الحق، ويبهرنا فى هذا اليوم العظيم مبدأ الشورى، ذلكم المبدأ العظيم الذى أخذ به سيدنا المصطفى ﷺ، ومع أنه نبى ورسول ومع أنه ملهم ويوحى إليه، ولكنه يأخذ رأى أصحابه، ولا يكرههم على الحرب إكراهاً، ولكن يستشيرهم ويستطلع آراءهم، فيسمع من أبى بكر القول الحسن، ويسمع من عمر القول الحسن، ويسمع من المهاجرين ما يريدون أن يشيروا به عليه، فيقول له المقداد ابن عمرو يا رسول الله: إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، لكن نقول لك: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون[١] وحين يقول

(١) أخرجه البخارى فى كتاب التفسير سورة المائدة باب قوله تعالى: ﴿فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾.

لهم: أشيروا على أيها الناس فيلتفت الأنصار ويقول قائلهم: لو خضت بنا البحر لخضناه معك ما تخلف منا أحد، إنا لصدق في الحرب صبر عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر على بركة الله يا رسول الله.

ويقول الآخر: يا رسول الله حارب من شئت وسالم من شئت وخذ من أموالنا ما شئت واترك لنا ما شئت، فوالذي نفسك بيده ما تأخذه منا أحب إلينا مما تبقيه لنا. فاطمأن ﷺ باستشارته لأصحابه على سلامة الجبهة الداخلية، اطمأن على محبة أصحابه واقتناعهم بالخروج بهذا اللقاء وعندما نزل في ذلك المكان جاء الحباب بن المنذر ليقول له: يا رسول الله أهذا منزل أنزلكه الله؟ أهذا عن الوحي؟ إن كان كذلك فلا كلام لنا، ولا نتقدم ولا نتأخر عنه، أم هو الحرب والرأي والمكيدة؟ فقال ﷺ: «بل الحرب والرأي والمكيدة»، فقال الحباب: أرى أن لا ننزل في هذا المكان ولكن انزل إلى أقرب ماء إلى القوم حتى نغور الآبار عنه ونشرب ولا يشربون. فأخذ الرسول ﷺ برأي الحباب بن المنذر.

وهنا ندرك الحكمة العالية والأدب الرفيع لأصحاب رسول الله ﷺ، ما كان أحد منهم ليقول برأيه في أمر نزل فيه الوحي لأنه لا اجتهاد مع النص، ولذلك قال الحباب بن المنذر أهذا منزل أنزلكه الله، إن كان الله الذي أنزلك هنا، إن كان هذا عن وحي، حتى ولو كان يرى أن الأفضل أن ينزل في غيره فلا كلام له، لا اجتهاد مع النص، أما إذا كان للرأي فيه مجال فإننا نبدي آراءنا الصائبة وما نراه أفضل، ونراه عليه الصلاة والسلام ينزل عن رأيه ويأخذ برأي الحباب، أي احترام لمبدأ الشورى كهذا الاحترام؟ أي احترام لأهل التخصص في كل علم وفي كل فن وفي كل خبرة كما احترمها النبي الموحى إليه ﷺ، على هذا النحو من الأخذ بمبدأ الشورى والأخذ بالأسباب وتجهيز الجيش وتوحيد الصفوف أعد للأمر عدته، ومع كل هذا ما كان النبي ﷺ ليتكل على الأسباب، ولا على الأخذ بهذه المبادئ التي اجتهد فيها واجتهد أصحابه معه، وإنما راح يجمع إلى جانب الأخذ بالأسباب: التوجه بالدعاء إلى الله رب العالمين، راح يستغيث ربه ويرفع أكف الضراعة إلى خالقه ويقول: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض، اللهم وعدك الذي وعدتني حتى سقط رداؤه وناوله أبوبكر الرداء وسواه»، وقال له: يا رسول الله: كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك(٢).

ولكنه عليه الصلاة والسلام يدعو الله سبحانه وتعالى كما قال القرآن الكريم:

(٢) – أخرجه البخاري في باب المغازي باب قوله [إذ تستغيثون ربكم] وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر.

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾(٣).

وظل عليه الصلاة والسلام يدعو ويستغيث إلى أن رأى ملائكة السماء تتنزل وقال لأبي بكر: أبشر يا أبا بكر هاأنذا أرى جبريل عليه السلام آخذا بعنان فرسه عليه أداة الحرب ليحارب في صفوف المسلمين(٤)، أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين، وهنا يجمع بين الأخذ في الأسباب وبين التوجه إلى الله تعالى بالدعاء، وبين الأخذ بمبدأ الشورى واستطلاع آراء أهل الخبرة وتجهيز الجيش وتوحيد الصفوف وبين الدعاء والاستغاثة.

والله سبحانه وتعالى يقوي الفئة المؤمنة التي بلغت في خشوعها لله، وفي إخباتها وإنابتها وصدقها في التوكل على الله حتى بلغت درجة الذلة لله كما عبر القرآن الكريم:

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾(٥).

لقد بلغوا في خشوعهم وخضوعهم وهم قلة وأعداؤهم أكثر من ثلاثة أمثالهم ولكن الله سبحانه يريد أن تقع هذه الواقعة، يريد أن تحدث هذه الغزوة الأولى في الإسلام، يريد أن يتجرأ كل فريق على الآخر، ويرى رب العزة سبحانه وتعالى سيدنا محمدا ﷺ وهو نائم هذه الرؤيا أن أعداءهم الذين هم أكثر من ثلاثة أمثال المؤمنين أصبحوا عددا قليلا، لماذا؟ حتى يقذف في قلبه اليقين والطمأنينة والأمل في الله تعالى.

يقول تعالى:

﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾(٦).

ويرى سبحانه وتعالى المؤمنين أن عدد أعدائهم أصبح قليلاً ليتجرأ المؤمنون كما يرى الكافرين أن أعداد المؤمنين أصبحت قليلة، لماذا؟ حتى لا يفر المشركون وتكون الواقعة، إنه يريد أن تحدث المعركة ليحق الله الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين، فأطلع كل فريق وأراه أن عدد الآخر قليل حتى يتجرأ الفريقان وتكون الواقعة ويتم النصر من عند الله، فيقول سبحانه وتعالى:

﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾(٧).

(٣) سورة الأنفال آية (٩).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب شهود الملائكة بدراً.

(٥) سورة آل عمران آية (١٢٣).

(٦) – سورة الأنفال آية (٤٣).

(٧) – سورة الأنفال آية (٤٤).

أما حين تبدأ المعركة، وحين يلتقي الجمعان، وحين استجاب الله استغاثة نبيه ﷺ، وحين تنزلت ملائكة الله في صفوف المؤمنين فإن الكافرين ينظرون إلى عدد المؤمنين فيرون العدد الذى كان أقل من ثلث عددهم أصبح أكثر منهم، بل أصبح عدد المؤمنين مثلي عدد أعدائهم، كما يقول جل شأنه:

﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾[8].

يرونهم مثليهم رأى العين، ليس وهما وإنما يرونهم مثليهم رأى العين، وهذا من فضل الله سبحانه وتعالى على المؤمنين، ومن استجابة الله تعالى لاستغاثة نبيه عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، والذى ضرب أروع الأمثلة للقيادة الماهرة التي تأخذ بآراء الناس وتستشيرهم وتأخذ برأى أهل الخبرة، ويجعل من نفسه قدوة لهم، يتعب حين يتعبون، ويكون أقربهم إلى العدو، حتى إنهم كانوا وليس معهم سوى سبعين بعيرا يتناوب كل ثلاثة بعيرا واحدا، فكان أبولبابة وعلى بن أبي طالب ورسول الله ﷺ يتناوبون هم الثلاثة على بعير واحد، فلما جاءت نوبة النبي ﷺ ليأخذ حصته من المشي، قال أبولبابة وعلي: لا يا رسول الله، واستشارا أن يبقى راكبا وأن يمشيا هما، فرفض النبي ﷺ وقال لهم: «ما أنتما بأقوى على المشي مني ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما»[9].

انظروا إلى الأدب العالي والتواضع الجم والذوق الرفيع ومعاملة القائد والنبي الرسول ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم.

تبهرنا دروس يوم الفرقان، ويبهرنا عطاؤه وهو يمد الحياة بدروس باهرة في وحدة الصف وفي محبة الجند لقائدهم، وفي محبة المؤمنين لحبيبهم وشفيعهم ﷺ حتى إنه ﷺ وهو يوحد الصفوف وينظمها ليجعلها كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، حين برز سواد بن غزية عن الصف سواه بقضيب في يده وضربه في صدره ليعتدل، وحين بدأت ساعة المعركة ونادى فيهم النبي ﷺ، «من كان له حق فليتحلل صاحبه منه قبل أن يلقى أحدنا ربه وفي عنقه حق لأخيه المسلم»، حتى في الشهادة يا رسول الله، نعم: الشهيد يغفر له كل ذنب إلا الدين، الشهيد إذا كان عليه حق لأخيه لا يغفر له وما عدا ذلك يغفره الله كما جاء في الحديث الصحيح: «يغفر للشهيد كل

(8) – آل عمران (13).

(9) أخرجه أحمد.

ذنب إلا الدين»[10] فقال: من كان له حق عند أخيه إما أن يأخذه الآن، وإما أن يسامحه فوقف سواد بن غزية وقال: لي حق عندك يا رسول الله. قال: «وما حقك» قال وأنت تنظم الصفوف ضربتني فأوجعتني وقد بعثك الله رؤوفاً رحيما. فقال النبي ﷺ: «تقدم وخذ حقك قبل أن نلقى الله». قال الرجل: كنت كاشفاً عن صدرى، فكشف النبي ﷺ عن صدره، فاستقبل الرجل صدره الشريف ويضع جبهته عليه ويقبله فيقول له الرسول ﷺ «ما الذى دعاك إلى هذا؟» قال يا رسول الله نحن مقبلون على الموت والشهادة في سبيل الله أردت أن يكون آخر عهدى بالدنيا أن يمس جسدى جسد رسول الله ﷺ، «فدعا له بخير».

إنه الحب الصادق لسيدنا المصطفى ﷺ، إنه الإيمان الأكيد الذى ربط هذه القلوب المؤمنة، إنه الإيمان الصادق والحب الأكيد والإنابة والصلة القوية بالله التي كانت من أكبر الأسباب ليجرى الله تعالى لهم الخوارق في هذه الغزوة، ويجرى الله تعالى المعجزات لرسوله ﷺ في هذه الغزوة فحين كانوا قد نزلوا في أرض سبخة تسوخ فيها الأقدام، لا تصلح للحرب ولا للجرى، وحين أصاب أحدهم جنابة ويريد أن يتطهر فلا يجد الماء أو كاد الظمأ يقتل بعضهم ويبحث عن الماء، وراح الشيطان يعبث بقلوب البعض ويقول: أيعدكم محمد النصر وأحدكم أحدث فلا يجد الماء الذى يتطهر به والآخر كاد يقتله الظمأ فلا يجد ما يروى ظمأه، وكاد الشيطان يلعب برجزه في صدورهم فإذا بالسماء يرسلها الله مطرا مدرارا فتتجمد الأرض التي كانت سبخة وتثبت وتجمدت تحت أقدامهم بينما تصبح وحلا تحت أقدام أعدائهم، فإذا بالماء يتكون أكواماً أكواما فيتطهر من كان محدثا ويشرب من كان ظامئا وإذا بالنعاس يغشى الله به الفئة المؤمنة ليذهب من صدورهم الفزع ويلقى في قلوبهم الأمان:

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾[11].

صنع الله لهم الخوارق، لماذا؟ لأنهم وثقوا صلتهم بالله، واصطلحوا على الله، وصفت قلوبهم لله، وكانوا إخوة متحابين متعاونين، نبذوا الفرقة والاختلاف من صدورهم، ونبذوا الشحناء والبغضاء من قلوبهم، وتوحدوا خلف قيادة مؤمنة، توحدوا خلف

(10) – أخرجه مسلم كتاب الإمارة باب [من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين].

(11) – الأنفال (11).

رسولهم وشفيعهم ﷺ، فصنع الله له الخوارق بأن أجرى الله من كراماته للصالحين فيهم حتى رأينا واحدا كعكاشة بن محصن حين انكسر سيفه، يروى ابن هشام فى سيرته يقول: قاتل عكاشة بن محصن يوم بدر بسيفه حتى انقطع فى يده فأتى رسول الله ﷺ فأعطاه جزلا من حطب، فقال: قاتل بهذا يا عكاشة، فلما أخذه من رسول الله ﷺ هزه، فعاد سيفا فى يده طويل القامة، شديد المتن، أبيض الحديدة، فقاتل به حتى فتح الله تعالى على المسلمين، وكان ذلك السيف يسمى: العون، لأنه كان عونا من الله تعالى للفئة المؤمنة التى أجرى الله لها خوارق العادات وأجرى لرسولها المعجزات، وأجرى لأصحابه الكرامات، لماذا؟ لأنهم وثقوا صلتهم بالله قيوم السماوات والأرض.

وقد يقول قائلا: وأين نحن من أهل بدر الذين قال الرسول ﷺ فى شأنهم: «لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفر الله لكم[١٢]»، أين نحن من أصحابه ﷺ؟ وقد يقول قائل: أين عصرنا من عصرهم؟ وأجيب على الفور قائلاً: إنه المنهج الربانى إذا طبقناه فى أى زمان وفى أى مكان يحققه الله، فإن المبدأ القرآنى الذى لا نشك فيه يقول:

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾[١٣]

المبدأ القرآنى يقول:

﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ ﴾[١٤].

وقد رأيتم بأعينكم ورأينا جميعا وكل من حضر معركة العاشر من رمضان رأى خوارق العادات التى أجراها الله فى هذه الحرب حين خضناها ونحن واثقون أنها حرب فى سبيل الله، وأنها كانت من أجل الحق والدفاع عن الوطن الإسلامى فأجرى الله تعالى فيها خوارق العادات وكرامات لأوليائه الصالحين، فقد قرأنا فى وثائقها الأكيدة وحدثنا من قاداتها وأبنائها ورأينا كيف كان العون عندما انقطع الماء لدى الجيش الثالث ففجر الله عيونا من الأرض تسقى الجيش الظمآن فى ذلك الوقت، رأينا إمام المسلمين وشيخ الأزهر السابق الدكتور عبدالحليم محمود - رحمه الله رحمة واسعة - كيف وقف على منبر الأزهر يومها غداة المعركة يعبئ الجيوش باسم الإسلام ويناشد الأمة الإسلامية عن بكرة أبيها ويحدثهم حديث الصادق الذى لا يكذب أهله ويقول: حدثنى عالم من أولياء الله فأبشروا بما أحدثكم به، رأى رؤيا صالحة «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة»[١٥]. وأخبرنى أن النبى ﷺ عبر

(١٢) - أخرجه البخارى كتاب المغازى باب فضل من شهد بدراً.

(١٣) - سورة الحج آية (٤٠).

(١٤) - محمد آية (٧).

(١٥) - البخارى كتاب التعبير باب [الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة] ومسلم فى كتاب [الرؤيا]



ووقف مع جنود المسلمين وأن النصر قادم بإذن الله، وقال: أخبر بذلك السيد الرئيس وأعلنها الناس، وقد كان فعلاً خوض المعركة، وكان فعلاً النصر والعون وخوارق العادات التى حدثت حين ثبنا إلى رشدنا وتبنا إلى ربنا وتجمعت صفوفنا وكان شعارنا الله أكبر الله أكبر.

وإنا نضرع إلى الله العلى الكبير أن يمن على كل الأقليات الإسلامية فى كل مكان وأن ينصرها نصر عزيز مقتدر، فإنهم مستضعفون ولا جاه ولا نصرة إلا بك يارب العالمين.

وإذا كان رمضان بما يحمله لنا من عطاء ومن ذكريات للنصر فى بدر وفى غزوة الفتح وأخيراً فى العاشر من رمضان، يعطينا دروسا باهرة إننا حين نخلص ونكون إخوة متحابين لا يعادى بعضنا بعضاً، ولا نتفرق ولانتشر ذم، إذا أصبحنا مخلصين متحابين وصفت قلوبنا سيمن الله علينا بفتح ونصر من عنده فما الذى بقى علينا، كل منا يتساءل: ماذا نصنع للأقليات الإسلامية وما الذى فى أيدينا لنفعله؟ وأجيبك يا أخى على الفور، فى يدك شىء كثير، لا أقول لك المال فحسب بل فى يدك شىء يسير جداً أن تدعو إلى وحدة الصف، أن تنبذ الخلافات، أن تناهض أى عدوان على أمن هذه الأمة واستقرارها، فلو كنا فى أمن واستقرار ما تشاغلت أنظمة البلاد الإسلامية بداخلها وأمنها الداخلى وما يحدث فيها من انفجارات وإرهاب وترويع وخلافات ونزاعات، لم هذا؟ والقرآن الكريم يقول:

﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(١٦).

نهانا عن التنازع ومن عجب أن أعداءنا يتوحدون ويتربصون بنا ونحن نعادى بعضنا بعضاً ونتنازع فيما بيننا، لم لا نتوحد؟ لم لا نتحاب ونتواد؟

إننا حين نتوحد ونتحاب ونتواد ولا تحدث بيننا فرقة ولا خلاف ولا تنازع سوف تقوى الجبهة الداخلية فى كل بلد عربى وفى كل دولة إسلامية وحين تأمن وتقوى الجبهة الداخلية فى كل دولة عربية سوف تقوى البلاد وتتفرغ من جهة ثانية لتؤدى دورها فى الأمن القومى ورسالتها التى برأها الله سبحانه وتعالى إياها لتناهض بها أعداء الله.

ولقد سمعت من بعض المتخصصين فى علوم الاقتصاد حديثاً فى مؤتمر من المؤتمرات بالأرقام الحسابية بأن الدول العربية والإسلامية تملك أكبر قوة ضاربة من الموارد البشرية والبترولية والنقدية ومن كل شىء وأنهم لو توحدوا لكانوا أكبر قوة ضاربة على ظهر الأرض، وما احتجنا إلى شرق أو غرب، لكن المخزى أن بعض الدول تتفرق وتتشرذم ويعادى بعضها بعضاً وتلتهم دولة إسلامية دولة أخرى، وتعادى دولة دولة، أخرى



ويتخاصم المسلمون فى الدولة الواحدة ويتفرقون، وما هكذا يكون المسلمون وإنما قال الله تعالى:

﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾(١٧) وقال:

﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ ﴾.

فإلى وحدة صادقة فى هذا الشهر المبارك، إلى صفاء للقلوب، إلى توحيد للصف، إلى توبة وإنابة خالصة لله، عله يفتح علينا بركات من السماء والأرض.

---

(١٦) - الأنفال (٤٦).

(١٧) - آل عمران (١٠٣).

من وحى رمضان

ثورة الإسلام فى بدر

للشاعر الكبير الأستاذ/ محمود حسن إسماعيل

خفق العرش بالنشيد المطهر ... فدع الشعر والأغانى .. وكبّر !

وإذا شئت نغمة .. فدع الرو ... ح جلالاً من شرفة الغيب تنظر

وتهيأ للو ... حى يأتيك بالشع ... ر كسكاب ديمة تتفجر

وتلفت لمربع الجن فى البيـ ... ـد تر الجن غيرة يتفطر

فاحك للجاحدين يا شاعر الخلـ ... ـد أساه ! وصف مناحة (عبقر) !

هكذا قال لى صدى ملهم الوحـ ... ـى، فأصغيت لحظة كالمخدر

وانتظرت الإلهام حتى إذا ما ... رن بى هاتف الخيال المسحّر؛

رجفت فى الجنان كالزعزع القصـ ... ـاف، تغلى بجانبى وتزأر

من فجاج الغيوب هاجت صباحاً ... ثورة فى الرمال هبت تزمجر

قيل: (بدر) ! فزلزلت هدأة النا ... ى وكاد النشيد بالدم يقطر..

أقبلت كالعجاج فى هبوة الحر ... ب (قريش) على الحياض تنفر

كل ذى سخنة كغاشية الليـ ... ـل، وهول يرتاع منه الغضنفر

﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(١٦).

نهانا عن التنازع ومن عجب أن أعداءنا يتوحدون ويتربصون بنا ونحن نعادى بعضنا بعضاً ونتنازع فيما بيننا، لم لا نتوحد؟ لم لا نتحاب ونتواد؟

إننا حين نتوحد ونتحاب ونتواد ولا تحدث بيننا فرقة ولا خلاف ولا تنازع سوف تقوى الجبهة الداخلية فى كل بلد عربى وفى كل دولة إسلامية وحين تأمن وتقوى الجبهة الداخلية فى كل دولة عربية سوف تقوى البلاد وتتفرغ من جهة ثانية لتؤدى دورها فى الأمن القومى ورسالتها التى بوأها الله سبحانه وتعالى إياها لتناهض بها أعداء الله.

ولقد سمعت من بعض المتخصصين فى علوم الاقتصاد حديثاً فى مؤتمر من المؤتمرات بالأرقام الحسابية بأن الدول العربية والإسلامية تملك أكبر قوة ضاربة من الموارد البشرية والبترولية والنقدية ومن كل شىء وأنهم لو توحدوا لكانوا أكبر قوة ضاربة على ظهر الأرض، وما احتجنا إلى شرق أو غرب، لكن المخزى أن بعض الدول تتفرق وتتشرذم ويعادى بعضها بعضاً وتلتهم دولة إسلامية دولة أخرى، وتتعادى دولة دولة، أخرى



ويتخاصم المسلمون فى الدولة الواحدة ويتفرقون، وما هكذا يكون المسلمون وإنما قال الله تعالى:

﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾(١٧)

وقال:

﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ ﴾.

فإلى وحدة صادقة فى هذا الشهر المبارك، إلى صفاء للقلوب، إلى توحيد للصف، إلى توبة وإنابة خالصة لله، عله يفتح علينا بركات من السماء والأرض.

---

(١٦) - الأنفال (٤٦).

(١٧) - آل عمران (١٠٣).

من وحى رمضان

ثورة الإسلام فى بدر

للشاعر الكبير الأستاذ/ محمود حسن إسماعيل

خفق العرش بالنشيد المطهر ... فدع الشعر والأغانى .. وكبر!

وإذا شئت نغمة .. فدع الرو- ... ح جلالاً- من شرفة الغيب تنظر

وتهيأ للو حى يأتيك بالشعـ ... ر كسيكاب ديمة تتفجر

وتلفت لمربع الجن فى البيـ ... ـد تر الجن غيرة يتفطر

فابك للجاحدين يا شاعر الخلـ ... ـد أساه! وصف مناحة (عبقر)!

هكذا قال لى صدى ملهم الوحـ ... ـى، فأصغيت لحظة كالمخدر

وانتظرت الإلهام حتى إذا ما ... رن بى هاتف الخيال المستتر،

رجفت فى الجنان كالزعزع القصـ ... ـاف، تغلى بجانبى وتزأر

من فجاج الغيوب هاجت صياحاً ... ثورة فى الرمال هبت تزمجر

قيل: (بدر)! فزلزلت هدأة النا- ... ى وكاد النشيد بالدم يقطر..

أقبلت كالعجاج فى هبوة الحر ... ب (قريش) على الحياض تنفر

كل ذى سحنة كغاشية الليـ ... ـل، وهول يرتاع منه الغضنفر

يتنزّى بسيفه من ضلال   هو أعمى لديه ! والسيف مبصر !!
سلّه من قرابه وهو خزيا   ن لأىٌ من الرجال يشهر
لو مضى يستشيره ساعة الرو   ع لرداه كالحطام المبعثر
عجبًا للحديد يهدى إلى الحـ   ق ! وهاديه كالضرير المحيّر

***

حشدوا موكب المنايا ! وخفّوا   لضياء الإله غاوين فجر
يتراءون كالصواعق فى الرمـ   ـل ، ووجه الضحى من الروع أغبر
كالشياطين جلجلت فى دجى الليـ   ـل ، وهاجت فى البيد تعوى وتصفر
أرزمت فوقهم سيوف ! وربعت   من تناديهم أضاة ومغفر
زلزلوا راسى الجبال ! وراحت   منهم البيد تقشعر وتذعر
ومضى الشرك بينهم مزعج الهيـ   ـجة ، طيشان كاللظى المتسعر
جمع الهول كله فى يديه   ومضى بالحمام فى الهول يزفر
إن يكن كبره أجن البلايا   لنبى الإسلام .. فالله أكبر !

***

سجد (اللات)[1] مؤمنًا ! وجثا (العز   ى) يناجى (مناة) : يا صاح أبشر !
هل فى ساحنا وميض من النو   ر غريب التلماح ، خافى التصور
ذرة أرعد الصفا ! وأحال الصـ   ـخر روحًا يكاد فى الرمل يخطر
لا من الشمس فيضه فلكم شعـ   ـت علينا فلم تروع أو تبهره

(١) اللات والعزى ومناة ـ أصنام عبدها كفار (قريش) وهذا تصوير لنور الإسلام حينما هلّ فى محاريب عبدة الأصنام من المشركين!

لا من النجم لمحه .. فلكم لا   ح كتيب الضياء ! وهتان أصفر !
قد نسخنا به ! ومن غابر الدهـ   ـر نسخنا البلى ولم تتغير !
ألهونا .. وعفروا - وهم الصيـ   ـد - علاهم على ثرانا المعفر
سر بنا يا (مناة) نخشع جلالاً   لسنا النور .. علّه اليوم يغفر !
عجبًا ! خرت المحاريب والأصنـ   ـام دكًا .. والعبد مازال يكفر !!

***

وعلى التل خاشع فى عريش   قدسى الظلال ! زاك ! منور
كاد من طيبه الجريد المحنى   من ذبول البلى يميس ويزهر
هالة تسكب الجلال وتندى   بوميض الهدى يفيق ويسحر
لو رمت كاسف البصيرة أعمى   عاد منها مبلج القلب أحور
فيمًا ! ما أراه إنسًا .. فأنى   أتحدى به بنان المصور !
باسط كفه إلى الله .. يدعو :   رب ! حم القضا لدينك .. فانصر !
إن أجنادى البواسل قل ..   وخميس العدو كالموج يزخر ..
خفقة من كرى تجلت عليه   مال من طهرها الرداء المحبر
وإذا الوحى بارق متهلل   من سماء الغيوب هنًا وبشر
فانتضى سيفه ! وهب على الغا   رة بالسرمد القوى مؤزر
ينفح القوم بالحصا ، فتدوى   أسلات الإسلام فى كل منحر
وجنود السماء من كل فج   غيب للعيان ! فى القلب حضر !
تشعل النار فى قلوب المذاكى   وتؤج الرجال نارًا تسعر
قوة من جوانب العرش هبت   ذاب من بأسها الحديد المشهر

***

وَ(بِلالٌ) يَلْقَى (أُمَيَّةَ) غَضْبَا   نَ .. فَيَشْفِي الغَلِيلَ منه وَيشارْ
أَمسِ .. كَمْ حُمِّلَ الصُّخُورَ الذَّوَاكِي   مِن لَهِيبِ الرَّمْضَاءِ تَغْلِي وَتَسْعَرْ
ضَجَّ مِن هَوْلِهَا الأَذَانُ ! وَكَادَتْ   تَتَهَاوَى لَهَا أَوَاسِي المنبرْ
وَهُوَ اليَوْمَ قَاذِفٌ صَخْرَةَ المَوْ-   تِ .. عَلَيْهِ تَهْوِي ... فَتُرْدِي .. وَتَقْبُرْ
وَ(أَبُو جَهْلٍ) جَنْدَلَتْهُ قَنَاةٌ   فَهَوَى تَحتَ جَنْدَلِ البِيدِ يَزْخَرْ
وَقَفَ الكُفْرُ فَوْقَهُ يَنْدُبُ الكُفْـ   ـرَ ! وَيَهْذِي عَلَى الرُّفَاتِ وَيَهْذِرْ
يَا عَدُوَّ الإِسْلامِ ! خُذْهَا مِنَ الإِسْـ   ـلامِ .. رَدَتْكَ كَالقَنَا المتكسِّرْ
لَكَأَنِّي بِعَظْمِكَ الآنَ يَعْطَشُ-   وَيَغْلِي مِنَ الأَسَى وَالتَّحَسُّرْ
وَشَظَايَا اللِّسَانِ نَدْمَانَةٌ كَا-   دَتْ لِنُورِ الهُدَى حَنِينًا تُكَبِّرْ

***

تَمَرَاتٌ فِي كَفِّ أَعْزَلَ ، جَوْعَا-   نَ ، هَضِيمٍ بَيْنَ الوَغَى مُتَعَثِّرْ
عَرَبِيٌّ مِنْ شِيعَةِ اللهِ وَانْ   عَنْ صِرَاعِ الهَيْجَاءِ -حُزْنًا- تَأَخَّرْ
حِينَمَا شَاهَدَ النَّبِيَّ تَلَظَّتْ   جَمْرَةُ النَّصْرِ فِي حَشَاهُ المُفَتَّرْ
هَكَذَا نَجْدَةُ السَّمَاءِ أَحَالَتْ   وَاهِنَ الجِسْمِ كَالعَتِيِّ المُدَمِّرْ؟!
فَإِذَا النَّصْرُ صَيْحَةٌ هَزَّتِ الدُّنْـ   ـيَا ! وَرَاعَتْ بُرُوجَ (كِسْرَى) وَ(قَيْصَرْ)
وَإِذَا (بَدْرٌ) خَفْقَةٌ فِي لِسَانِ الشَّـ   ـرْقِ يُزْهَى عَلَى صَدَاهَا وَيَفْخَرْ

***

رَمَضَان ودروس في التربية والسلوك

للأستاذ الدكتور/ محمد فتحي فرج بيومي (*)

لم يجمع شهر من شهور العام مثلما جمع رمضان من الفضائل ونعوت الخير، فهو شهر الصيام، وشهر القيام، وشهر القرآن، وشهر الجود، وشهر الرحمة والمغفرة والعتق من النار، وهو شهر الصبر، وشهر النصر، وشهر المواساة والفضل وزيادة الرزق، حتى إن بعض السلف قال: «إن رمضان في الأيام كالنبي محمد ﷺ في الأنام»[1].

وجماع ذلك أن رمضان مدرسة إيمانية يتربع المسلم على مائدة مناهجها المفيدة طيلة شهر كامل، فإذا انتظم فيها المسلم فاز وربح، أما إذا قصَّر وانصرف عنها فقد خاب وخسر.

ومن المناسب الآن بعد هذا الإجمال أن نعرج، في عُجالة، على بعض ما أسلفنا من مناهج هذه المدرسة الإيمانية، لعل في ذلك بعض الفائدة.

شهر الصوم

عرف الإنسان الصيام من قديم الزمان، فقد اتخذه المُتدين وسيلة لإرضاء الرب، كما مارسه الوثني والكافر طريقاً لتهذيب النفس، وترويض البدن، وعلى ذلك فقد كان الصيام شائعاً في الجنس البشري منذ أول ظهور الإنسان على الأرض[2]، وقد أشرنا في مقال سابق إلى أن الصيام ظاهرة فطرية، وفسيولوجية، تمر بها معظم الكائنات الحيَّة بشكل اختياري، مهما

(*) الكاتب أستاذ علم وظائف الأعضاء، ووكيل كلية العلوم - جامعة المنوفية.

(١) حسن عبدالوهاب (١٩٦٠): رمضان، دار القلم، مصر، ص٦.

(٢) محمود السعيد الطنطاوي (١٩٨٤): مجلة منبر الإسلام، العدد رقم٩، السنة ٤٢ ص٩٨.

توافر الغذاء فى الطبيعة من حولها، وليس مقصوراً على الإنسان فقط[3]. أما فى شريعة الإسلام فهو ركن من أركان الدين مفروض فى شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن، وقد أوضحت الآيات القرآنية، التى فرضت الصيام، الحكمة السامية من فرضية هذا الركن العظيم.

فالغاية النهائية للصوم كما علّمنا القرآن الكريم هى التقوى، يقول الله ـ تعالى:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

(البقرة: آية ١٨٣)

فهو ليس رياضة جسمانية الهدف منها إنقاص الوزن وتعذيب النفس وقهرها ليسهل قيادها، أو رياضة روحية بالمعنى الذى تمارس به بعض الطقوس الهندية بهدف زيادة التركيز أو الترقى أو غيره من أغراض دنيوية، إنما الصوم عبادة لله من أجل العبادات، فهو سر بين العبد وربه، والله ـ تبارك وتعالى ـ هو الذى يجزى به، وإنما تأتى كافة المنافع الأخرى تبعاً لذلك أو زيادة على ذلك ويتفق هذا مع المعنى القرآنى:

﴿ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

(البقرة: آية ١٨٤)

شهر الصبر

عن سلْمان الفارسى ـ رضى الله عنه ـ قال: خطبنا رسول الله ﷺ آخر يوم من شهر شعبان فقال: «أيها الناس، قد أظلكم شهر عظيم، شهر مبارك، فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعاً، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، هو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة..». أخرجه ابن خذيمة فى صحيحه[4].

فالصوم يؤصّل فى المسلم فضيلة الصبر وقوة التحمل، ومن ثم يجعله أكثر قدرة على ضبط انفعالاته وردود أفعاله، وإكسابه مناعة ضد المعصية بشتى أنواعها، فيقوى بذلك على مقاومة شياطين الإنس وشياطين الجن، ونوازع النفس، ولعل تلك بعض ثمار:

﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: آية ١٨٣).

ولذلك تواترت أحاديث النبى ﷺ لتحفز هذا وتحض عليه وتؤكده، حتى يخلص صيام المسلم من كل شائبة، يقول النبى ﷺ فى هذا الصدد: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه» ـ رواه الشيخان؛ وقوله ﷺ: «الصوم جنّة، فإذا كان صوم يوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو شاتمه أو قاتله فليقل: إنى امرؤ صائم» ـ رواه الشيخان.

(٣) أ. د. محمد فتحى فرج بيومى (٢٠٠٢): مجلة منبر الإسلام، العدد رقم ٩، السنة ٦٢ ص ٦٢.

(٤) طه عبدالله العفيفى (١٩٨٤): من خطب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وخلفائه الراشدين ـ رضى الله عنهم ـ دار التراث العربى للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ص ٤٦.

وإذا كان صيام المرء على هذه الصورة الزكية النقية فمن كرم الله وفضله أن يعده بالغفران والرضوان، يقول النبى ﷺ: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً فقد غفر له ما تقدم من ذنبه» ـ رواه الشيخان.

أما الحديث القدسى التالى فهو نيشان على صدر الصائم الحق، حيث جاء على هذا النحو: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به، والصوم جنّة» ـ رواه الشيخان.

وقد يعن لنا أن نتساءل: لماذا كان للصبر الذى ينميه فينا رمضان ويؤصله، هذا الدور الكبير وتلك المكانة العالية؟.. من رحمة الله ـ تعالى ـ بنا أنه ـ تبارك وتعالى ـ أوجد لكل داء دواء، والصبر، الذى أمرنا به تارة[5]، وجاء ثمرة من ثمار صوم رمضان تارة أخرى، هو دواء لأدواء كثيرة، بل إنه الدواء الذى يكفل الوقاية من الوقوع فريسة للأدواء والأمراض الاجتماعية والنفسية والخلقية، وهو أيضاً «فيتامين» الطاعات المختلفة، يعين عليها، ويكفل للإنسان النصر فى مواجهة الشيطان، ولذلك يقول النبى ﷺ: «الصوم نصف الصبر، والصبر نصف الإيمان»[6]، وبهذا فإن تعود المسلم عليه يضمن له نصف المسافة إلى منتهى الإيمان، ورمضان بذلك فرصة عظيمة للتدريب والتمرين والتعود على هذه الخصلة النبيلة، والقيمة الإيمانية العالية.

والمؤمن الكيّس لابد أن يُعمل فكره، فيفطن إلى أمور لا يدركها غيره، فالمؤمن يرى بنور الله ولديه من الشفافية وقوة الحدس والفراسة ما يجعله ذا نظرة ثاقبة، تخترق القشور لتصل إلى اللُّباب، وجواهر الأشياء، وعلى هذا النحو فهو إذا نظر إلى صبره واحتماله الجوع والعطش، وغيره مما أحل الله فى غير نهار رمضان، أفلا يكون الأولى له أن يصبر على ترك العادات الضارة فى رمضان وغيره من شهور العام؟.

ومن تلك العادات السيئة القاتلة للإنسان: التدخين، وتعاطى المخدرات على اختلاف أنواعها من منشطات، ومهبطات، ومهدئات، ومنومات.. وغيرها مما يسبب الإدمان والإذعان.. ومن بين العادات الضارة بالصحة: العشوائية فى تناول الطعام، والإسراف فيه، واختلال نوم الإنسان، والمبالغة فى السهر فى غير طائل، وبالجملة: فقدان النظام والالتزام فى حياة المسلم.. وهنا أتذكر قول بعض الفقهاء: «إن ترك المعاصى مقدم على فعل الطاعات».. وكلاهما بالقطع يحتاج إلى جلد وصبر، ومن ثم فقد فرض الله علينا الصوم للصبر، والإمساك، فغض البصر، وكف الأذى، وإمساك اللسان، وحفظ الفرج، وكظم الغيظ، وإيثار الغير، والنهى عن المنكر.. كلها خصال تحتاج إلى معاناة وصبر.. ولعل ذلك ما

(٥) الصبر، كما جاء فى معجم ألفاظ القرآن الكريم، وهو حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، وقد وردت مادة «صبر» ومشتقاتها فى القرآن الكريم ١٠٣ مرة.

(٦) سنن ابن ماجة (٦/٥٥٥).

حدا بعض السلف إلى تصنيف الصوم إلى درجات.. فهناك صوم العموم: وهو كفّ البطن والفرج عن قضاء الشهوة.. وهناك صوم الخصوص: ويتضمن إلى جانب الصنف الأول: كفّ السمع والبصر واللسان واليد والرجل، وسائر الجوارح عن الآثام.. أما الصنف الثالث والأخير، فيتضمن ما ذكر في الصنفين الأولين، إضافة إلى صوم القلب، وكفه عما سوى الله - عز وجل - بالكلية.

وإذا كان ترك المعاصي والإمساك عنها يحتاج إلى صبر، كذلك فإن المداومة على العبادات، وفعل الطاعات، يحتاج أيضاً إلى صبر، حتى أن الله - تبارك وتعالى - قال في وصف المحافظة على الصلوات:

﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ
وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾

(البقرة: آية ٤٥)

والله - تعالى - يعطي لكل حسنة جزاءها ويضاعف لمن شاء حتى إذا ذكر جزاء الصابرين قال:

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

(الزمر: ١٠)

الصوم يوقظ الضمير

إذا كانت الغاية من الصوم، كما بيّن القرآن الكريم على ما أسلفنا: هي التقوى، فإن الذي يتقي الله يستحضر مراقبته في سره وعلانيته، أمام الناس، وبعيداً عن أعينهم، فإذا كان الإنسان يؤدي العبادات الأخرى على مرآى من الناس، بل إن بعض هذه العبادات يفضل أن يكون جماعياً كالصلاة، بل إن الجماعة شرط لصحة صلاة الجمعة، وبعض العبادات الأخرى لا يصح ولا يتم ركنه الأعظم إلا في اجتماع كل المؤدين على صعيد واحد كالوقوف في عرفة، الركن الأعظم في الحج، ولكن الصيام أمانة بين الله وعبده، وقد قال الله - تعالى - في كتابه العزيز:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾

(النساء: آية ٥٨)

فالصيام سر بين العبد وربه، إذ يستطيع البعض أن يتظاهر بالصيام أمام الناس، ثم إذا خلا إلى نفسه يستطيع أن يتناول ما شاء من طعام وشراب، أو يزاول ما شاء من ألوان الشهوات. ومن أجل ذلك كان الصيام الحق باعثاً على يقظة الضمير ومراقبة الله - تعالى - والخوف منه في السر والعلن، فإذا ما اعتاد المرء على هذا منذ الصغر، عاماً بعد عام، أورثه ذلك ضميراً حياً يقظاً يكون حارثاً على كل ما يأتيه من أفعال وأقوال، فيتحرى بذلك الحق والصدق، وينأى بنفسه عن الباطل والزور، بل ويربي فيه قوة الإرادة وينمي فيه ضبط النفس، وقد تقدم ذكرنا للحديث النبوي الشريف: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه أو شرابه».

وعلى ذلك فالدين، قبل القانون، هو حصانة ووقاية للفرد والمجتمع من أي نزوع نحو الجرائم، والمفاسد والشرور، ولربما نستطيع أن نستشف هذه المعاني وغيرها من الحديث النبوي الشريف: «إذا جاء رمضان، فُتحتْ أبواب الجنّة، وغُلّقتْ أبواب النار، وصُفّدتْ الشياطين» - رواه الشيخان. فللصوم أثر عظيم في الفرد والمجتمع، غير أن هذا الأثر لا يظهر بوضوح إلا إذا أدرك المسلمون جوهر الصوم وحقيقته، كما أدركها السلف الصالح، فإن فعلوا نجوا ونجحوا وتقدموا وأفلحوا، والمسلمون في هذا العصر بالذات أحوج ما يكونون إلى ذلك، فهل من مجيب؟.

رمضان شهر الانتصارات

كُلّما أهلّ علينا هلال رمضان من كل عام هجري، تداعت إلى ذاكرة المسلمين ذكريات انتصاراتهم قديماً وحديثاً في معاركهم مع أعدائهم. إذ أن معظم هذه الانتصارات قد حدثت في شهر رمضان، وليس هذا بغريب أو عجيب، فالصبر الذي هو ثمرة الصيام، هو أيضاً من أسباب النصر، وقد قيل: «الصبر مع النصر» ذلك أن انتصار الإنسان على ذاته وإسلام وجهه لله في كل حركة وسكنة، متصبراً عما يحبه ويهواه، رغبة فيما عند الله، كل ذلك يكون مدعاة لانتصاره عند مواجهته لأعدائه، والواقع يؤيد ذلك ويصدقه، فمعظم المعارك التي خاضها المسلمون في رمضان كان النصر فيها حليفهم، بدءاً بمعركة بدر إلى معركة العاشر من رمضان. وربما لم تكن صُدفَة أن يُشرَع صوم رمضان في السنة الثانية للهجرة، وهي نفس السنة التي أذن الله للمسلمين فيها بالقتال، وأن يخوض المسلمون فيها أول معركة، فرّق الله فيها بين الحق والباطل، يوم الفرقان، يوم التقى الجمعان في رمضان، في مواجهة عُرفتْ بمعركة بدر الكبرى، وذلك غداة السابع عشر من رمضان في السنة الثانية للهجرة المباركة. أما فتحُ مكة فقد تم أيضاً في رمضان من العام الثامن للهجرة، وهو الفتح العظيم الذي تحطمت فيه الأصنام وثبت به الحق والصواب، وزهق الباطل، وتبخر السراب. وفي رمضان من العام الخامس عشر للهجرة المباركة فقد انتصر المسلمون على جحافل الشرك المجوسي في بلاد فارس. أما فتح الأندلس بقيادة القائد المسلم طارق بن زياد، فقد تم أيضاً في رمضان من العام ٩٢ هجرية. وقد انتصر المسلمون أيضاً في رمضان سنة ٦٥٨ هجرية في موقعة عين جالوت على جحافل التتار، وفي رمضان سنة ٦٧٥ هجرية هزَم المسلمون بقيادة الظاهر بيبرس جيوش الصليبيين وطردوهم شر طردة. أما آخر انتصارات المسلمين على أعدائهم فقد وقعت في العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ هجرية، الموافق السادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣م. نذكر ذلك للتاريخ ولكي يستقر في وجدان شبابنا أن في التمسك بدينه وقيمه وتقاليده العربية وتربيته الإسلامية النصر والسلامة بإذن الله - تعالى.

مواقف إسلامية

المسلم الصائم:

من دنيا الراتعين إلى أفق الراكعين

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

يقولون: ما أقدر العقول على التفكير.. وما أقدر الألسنة على التعبير.. ثم تبوء الجوارح بعد ذلك بعبء التقصير.

ويعني ذلك: مسئولية الإنسان عن جوارحه.. التي تؤول إليها تركة العقول.. والألسنة.. هذا الميراث السهل الميسور.. والذى يتقاضى الجوارح أن تترجمه إلى عمل صالح

عجز الجوارح

يقرر البصراء بطبيعة الإنسان أن جوارحه عاجزة عن القيام بوظائفها كاملة، فالأذن.. لم تسمع كل الأصوات، والعين.. لم تر كل المرئيات، ولم يشم الإنسان كل المشمومات.. والعقل.. والقلب أيضا. ومعنى ذلك: لأن الإنسان.. على ما هو فيه من بحبوحة الحضارة إلا أنه حتى الآن.. لم يستثمر كل جوارحه.. أن طاقته محدودة.. ولابد له من مدد ينجيه مما هو فيه.. حتى يلامس الخلود مع عمره المحدود.

وذلك ما يتكفل به الصيام..

وإذن فليس من المصادفة أن تكون انتصارات المسلمين الحاسمة في رمضان في: بدر، وفتح مكة، وفتح الأندلس، والقادسية، وعين جالوت، والعاشر من رمضان.

هذه الانتصارات التي بقي بها الإنسان حيا حتى بعد أن ووري التراب: إن الله يعطي الشهيد الذى يموت في سبيله، جنة عرضها السموات والأرض، يعطيه حياة مدتها لا تحيط بها الأرقام، لأنها لا نهاية لها، حياة.. ما فيها إلا السعادة، وكل لذيذ مشتهى.

هذا جزاء من يقاتل في سبيل الله - وهو الباقي - فماذا تعطيه القومية، وتعطي التقدمية، وتعطي الوطنية من يموت في سبيلها؟!

هل عندها ما تعطيه؟!! بل قولوا: ما هي؟!!

طريق الوصول

لكن طريق الوصول رهن بالجهد المبذول.. إن سلعة الله غالية.. إنها الجنة.. ولاينال الهدف الغالي.. إلا بالمهر الغالي وهو:

التقوى:

﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1]

للمتقين: الذين يتقون غضب الله سبحانه.. بالاستغفار.. ويطلبون جنته بالطاعة.. فأمرهم دائر على هذين المحورين: يرجون رحمته.. ويخافون عذابه.. رغبا في الثواب.. ورهبا من العقاب..

إنهم يتذكرونه - عز وجل - بصفات جلاله.. فاستغفروه.. متجاوزين خطة الضعف هذه.. مستأنفين السير من جديد:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾[2].

وهكذا يقول الواقع الماثل:

إن الأرجوحة عندما تصل إلى النقطة الأدنى في منحنى هبوطها.. فليس أمامها من سبيل إلا الصعود!

وهكذا الصائمون المتقون: من نقطة الهبوط.. يبدأ الصعود:

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾[3]

وإذا كان هناك في الناس سمار الليالي.. لا ينامون بالليل.. فإنما هو اللهو واللعب..

---

(١) آل عمران (١٣٣).

(٢) الأعراف (٢٠١).

(٣) الذاريات (١٥: ١٩).

أما هؤلاء.. فيسهرون ضارعين وجلين في العين.. غيرة.. وفي الفؤاد رهبة.. حين يقعون تحت وطأة النفس اللوامة.. التي تؤرقهم حتى تتجافى جنوبهم عن المضاجع.. وبينما غيرهم صرعى النفس الأمارة التي تأكل فضائلهم.. فإن المتقين مدفوعين بالنفس اللوامة التي أقسم الله - تعالى - بها.. ولم يقسم بالنفس المطمئنة.. لا بالنفس الأمارة.

ما هو الحل إذن؟

إن الحل الإسلامي هو كما يقول الأدباء: على المسلم أن يفتح مع إمكاناته الروحية حسابا جاريا. جاريا بالعطاء.. لا يتوقف أبدا إن حكم العقل يتبدل.. والقلب.. يميل مع الهوى.. وخلايا الجسم تحترق.. والجوارح.. عاجزة عن تصور هذا الكون المتراحب.. - فضلا عما وراءه - وإذن.. فقد حان الوقت.. للتزود للرحلة الطويلة.. بالطاقة الإيمانية الدافعة.

وللصيام دوره الفعال في تدبير هذه الطاقة.

الصيام.. ومقومات السعادة

يقرر البصراء: أن عناصر المادة كامنة في «الصيام». الصيام الذي نتوخى به تحصيل ملكة التقوى.. والتقوى تعني: سلامة الجسم.. بالجوع.. وسلامة النفس.. بالإيمان.. وما يثمره من أمان. الإيمان الذي يمنح المتقي ثقة بالنفس.. ثم بمحاولة تنميتها.. وتحقيق كفاءتها عن طريق أعمال مفيدة.. تشبع حاجات الآخرين بالقدر المناسب.. فرارا من الملل والفراغ.. وإذا كانت التقوى عطاء ماديا ونفسيا.. فإنها تعني إسعاد الآخرين.. وتعني أيضا وفرة أسباب السعادة من حولنا.

نعمة الجوع

ولقد كان الجوع واحدا من مصادر الطاقة.. بقدر ما كان الشبع في مقدمة ما يفسد على الأمة خططها.. من حيث كان ترفا يخدر في الإنسان أحاسيسه.. فلا يشعر بما حوله.. ولا بمن حوله: إنه - بالشبع - يكون ذلك الفارغ الملول.. الذي لا يشغل باله إلا بالتوافه التي مكنه الفراغ من رؤيتها.. فرضي بها.. رافضا أن ينزل إلى نهر الحياة الجاري.. ليعاني لذة المقاومة.. وليستمتع مع المتقين السابحين بالجهد المبذول لا بالقلب الملول.

ولقد كان الجوع قدر الرسول ﷺ.. ثم قدر أصحابه معه.. ومن بعده.. ففرضوا إرادتهم على الحياة.

أخرج مسلم والترمذي عن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - قال: ألستم في طعام وشراب ما شئتم؟ لقد رأيت نبيكم ﷺ ما يجد من الدَّقَل ما يملأ به بطنه» «والدَّقَل: رديء التمر».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يصلي جالسا

فقلت: يارسول الله: أراك تصلي جالسا.. فما أصابك؟

قال: الجوع يا أبا هريرة.

فبكيت.

فقال: لا تبك يا أبا هريرة، فإن شدة الحساب يوم القيامة لا تصيب الجائع إذا احتسب في دار الدنيا»[4].

ولقد جاع المقداد. وجاع أبو هريرة. وجاعت أسماء.. بل جاع كل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. حتى لتكاد أبصارهم وأسماعهم لتذهب من الجهد حتى كان الرجل من أصحاب النبي ﷺ يأتي عليه ثلاثة أيام لا يجد شيئا يأكله فيأخذ الجلدة فيشويها، فيأكلها. فإذا لم يجد شيئا.. أخذ حجرا فشد صلبه»[5].

رواد على الطريق

لقد كان هناك على الطريق رواد علموا إن الحرام.. محدود. وأن الحلال.. ممدود. وبلا قيود.. فقرروا إيثار الممدود.. على المحدود، الباقي.. على الفاني!

لقد علموا أن الشقة بعيدة.. والعقبة صعبة المرتقى.. والشيطان الرجيم قاعد للمسلم بكل سبيل.. وكان من فضل الله عليهم. أن قيّد الشياطين في رمضان فكف بأس العدو الخارجي. فكان أن قاموا بأداء دورهم في كف بأس العدو الداخلي: النفس الأمارة وذلك بالجوع.

نعمة الجوع

كان الفضيل بن عياض يقول: إلهي: أجعتني وأجعت عيالي.. وتركتني في ظلمة الليالي.. بلا مصباح.. وإنما تفعل ذلك بأوليائك.. فبأي منزلة نلت هذا منك؟!!

ومن أجل ذلك كانت نعمة الجوع.. مما يتنافس فيه المتنافسون.

قال أبو سليمان الداراني: الجوع عند الله في خزائنه.. لا يعطيه إلا من أحبه!!

ومن الذين أحبهم الله - تعالى - «فتح الموصلي» والذي كان الجوع عنده منزلة عظمى.. منّ الله تعالى به عليه.. دون غيره من المترفين، ومن خبره أنه كان إذا اشتد مرضه وجوعه يقول:

إلهي ابتليتني بالمرض والجوع، وكذلك تفعل بأوليائك! فبأي عمل أؤدي شكر ما أنعمت به عليّ؟!

ولأن الجوع بهذه المثابة.. ولما يرجوه الصائم من ثواب جزيل.. فقد كان مما يتنافس فيه المتنافسون.. ليكون على الوجه الأمثل.. ورصيدا مذخورا لمن اصطبر عليه.

كان أبو موسى الأشعري.. يتوخى اليوم الشديد الحرارة الذي يكاد الإنسان ينسلخ منه.. فيصومه.

ولم يكن «أبو موسى» - رضي الله عنه - وحده على الطريق.. ولكن.. كان معه رجال

(٤) كنز العمال (١٤/٤).
(٥) الترغيب (١٧٩/٥).

صدقوا ما عاهدوا الله عليه: سار.. عامر بن عبد قيس إلى معاوية من البصرة إلى الشام. وكان معاوية يسأله أن يرفع إليه حوائجه.. فيأبى.. فلما أكثر عليه قال:

حاجتي أن ترد عليّ من حرّ البصرة، لعل الصوم يشتد عليّ شيئا فإنه يخف عليّ في بلادكم!!

والمرأة.. على الطريق

وحتى المرأة المؤمنة، لقد كانت مع الرجال.. ماضية العزيمة.. سائرة على نفس الطريق، كانت بعض الصالحات تتوخى أشد الأيام حراً.. فتصومه.. فيقال لها في ذلك.. فتقول:

إن سعر الشيء إذا رخص.. اشتراه كل أحد!!

وهكذا كانت هذه الكوكبة من فرط رضاها بقدر الله - تعالى - ومن قوة استمتاعها بطاعته.. تخاف ألا تنال جزاء عمل لم تجد فيه مشقة أو معاناة!!

من الصبر.. إلى الرضا

إن المريض الحكيم.. يستقبل الدواء المر.. بشوق عظيم.. ما دام ذلك هو السبيل إلى تحقيق الأمل. وكذلك يجب أن يكون المسلم فإذا كانت هناك قلوب معلقة بالدنيا.. وقلوب بالصبر متعلقة بالله تعالى. فإن هذه الكوكبة المؤمنة.. لا تكتفي بجناح واحد.. وإنما تجعل من الرضا جناحا مع جناح الصبر.. حتى تحط رحالها هناك في جنات عدن.. مع الخالدين

إن هؤلاء الصالحين من عباد الله.. كانوا ينظرون إلى «الفرائض» على أنها الثوابت التي يتحقق بها وجود الأمة. وأن هذه النوافل إنما هي هدية العبد إلى ربه سبحانه.. فكان يطيّب هديته وكذلك كانوا يفعلون.

كانت عائشة - رضي الله عنها - تطيب الصدقة قبل أن تضعها في كف الفقير إيمانا منها بأنها تقع في يد الله - عز وجل - قبل أن تقع في يد الإنسان.

وكذلك كان هؤلاء الصالحون الذين قد يعيشون بيننا.. بأجسامهم.. ولكنهم هناك في الملأ الأعلى بقلوبهم، نراهم بالبصر لحما ودما.. ونراهم «بالبصيرة» هناك في السماء.

ونحن مدعوون إلى ترسم خطاهم.. بالمحاولة.. وعلى مراحل.. فالله عز وجل يقول:

﴿ اصْبِرُوا وَصَابِرُوا ﴾[6].

وإذا كان في الطريق عقبات.. فالله سبحانه وتعالى معنا:

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[7].

---

(6) آل عمران (٢٠٠).

(7) البقرة (١٥٣).

مثل عليا

وإذا كانوا يقولون: إن التربية هي نقل الفضائل من الجيل الراشد.. إلى الجيل الناشيء.. فنحن مدعوون إلى نقل فضيلة الصوم من خير جيل عرفته الحياة.. فلعلنا واجدون في تاريخ الصالحين من أمتنا من دروس الأخلاق.. ما لا يباع في الأسواق!!

الصوم من التضحية إلى التسلية

ما مضى.. كان صيام التضحية.. فماذا عن صيام التسلية اليوم؟!:

قبيل رمضان يتفنن المسلمون في اقتناء كل ما يهوّن عليهم صيام رمضان.. أي كل ما يعينهم على تناسي لذعة الجوع.. ويحرمهم من تذوق متعة الصيام!

ومن أجل ذلك شاع بين الناس قولهم: سلِّ صيامك؟!

أي: حاول أن تتناسى أنك صائم.. حتى لا تشعر بالزمن يمضي بطيئا.. متثاقل الخطى..

وتلك محاولة لسرقة الصيام.. وإضاعة مكاسبه!! حتى هذا الكم الهائل من مسلسلات الإعلام وأغانيه.. كله.. كله يصب في «بحر» رمضان.. إرادة التخفيف من إحساس المسلم بنعمة الجوع!

أجل.. نعمة الجوع الذي صار في حس العارفين من مراقي الكمال إلى الآفاق العليا.. حتى تنافس فيه المتنافسون.. وكان لابد أن يحصد المسلم اليوم: من جنس ما زرع.

إن رمضان فرصة المسلم

ألا وإن استثمار الوقت أمارة عقل الرجل.. وبلوغ رشده.. وإذا كنا نحجر على من يسيء تصريف ماله - والمال ما تجوز عودته - فكيف بمن يبذّر وقته تبذيرا.. وهو مما لا يعود إلى يوم القيامة؟! فكل لحظة تمر من عمرنا.. فهي جزء انهدم من كياننا.. ثم لا يعود ذلك المهدوم!

رمضان في حياة الأمة

لقد كان رمضان هو الوعاء الزمني الذي تمت فيه انتصارات المسلمين التي غيرت مجرى التاريخ.. مؤكدة أن الطاقة الإيمانية في قلب الصائم.. هي أقوى أسلحة النصر على الإطلاق:

أ- في بدر الكبرى.. تراجعت معاني: العدد والعدة في مقاييس الانتصار.. لتكون العقيدة هي الفيصل في حسم المعركة لحساب الحق، وأن المستقبل لهذا الدين الذي أكرم الله عز وجل البشرية به.

ب- فتح مكة: والتي كانت فتحا للقلوب.. قبل أن تكون غزوا للقوالب.. لقد تحطمت الأصنام.. وذهبت في الجو رمادا.. وراحت دولتها.. ولن تعود.

ثم تتابعت انتصارات الصائمين.. وبالذات في رمضان.

غفلة المسلمين اليوم

فى هجمة الأحداث العظمى.. نحتاج إلى جهد مضاعف.. يكافىء هذه الأحداث.. كما نحتاج إلى إرادة تكون أصلب عودا.. لنواجه بها تلك الأحداث..

وهذا ما فعله الصالحون من أمتنا.. والذين استقبلوا الصيام بهذه الصابرة الظافرة: بقيمة التضحية لا بالتسلية!

أما نحن: فنستقبله بما يخدر الإرادة.. ويضعف المقاومة؟!

وبينما الصائمون.. زمان.. جاءتهم موعظة من ربهم فانتهوا.. وزُفّت إليهم عرائس القيم.. فكانوا بها خالدين.. إذا بنا اليوم نختار الأسهل.. ويوشك صيامنا أن يكون خيطا من الدخان تبدده رياح هوج.. أو قطعة من الليل المظلم.. يمحوها نور الصباح!

ألا إن مفتاح السعادة فى أيدينا.. لكن الفالحين يديرونه.. لتفتح لهم أبواب الجنة.. بينما غيرهم يفتحون به أبواب الجحيم!

وإذا أنت أمام صورتين متقابلتين.. يبرزهما الواقع بين يديك.. لتزداد إحداهما وسامة.. وتزداد الأخرى كدراً وقبحا وربما تحملنا المقارنة على إيثار الجمال والكمال فيما نمارس من أعمال!

إن الصلة بين الفريقين.. أشد انقطاعا.. والهوة أعظم اتساعا: يتناكرون فى المعانى.. ويتنافرون فى المبانى.

وقد جاء رمضان.. ليكون فرصة العمر.. التى تجعلنا على كلمة سواء، ونحن مأمورون باغتنام هذه الفرصة التى تعدنا لنكون خير أمة أخرجت للناس.. بما تحمله من بركات حسية.. ومعنوية.

شهر الجمع والطرح

ألا إن رمضان هدية الله - تعالى - لعباده:

أ- التطوع فيه يساوى الفريضة

ب- والفريضة.. تساوى سبعين فريضة

جـ- وفيه ليلة: من قامها إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه.

إنه بحق كما قيل: شهر الجمع وشهر الطرح: جمع الحسنات وطرح السيئات. فإذا تصورت عمرك المديد.. وكم من السيئات فعلت. فتصور فرصة صيام رمضان لتدرك ضخامة رصيدك من الحسنات التى يضيفها الصوم إلى حسابك!! ومن بركات رمضان: الصحة (صوموا.. تصحوا) لكننا بالإسراف.. والترف.. نحرم أنفسنا من هذه العافية.. التى تحين فرصتها.. ولكننا نتركها تفلت من بين أيدينا. وقد لا تعود!!

أما بعد: فإن صوم رمضان يرفعنا من دنيا الراتعين.. إلى أفق الراكعين!

وإذا كانت خطة المسلم اليومية فى مأكله ومشربه هكذا: «ثلث» للطعام.. وثلث للشراب.. وثلث.. للنفس.. فإن ذلك يعنى حفظ توازنه..

وإلا.. فلو أنه أسرف فى الطعام أو الشراب لحدث الآتى:

كانت هذه الزيادة على حساب «النَّفس» فتضيق نفسه.. ثم يكون المرض.. ثم الموت فى نهاية المطاف!!

خطبة الجمعة

رمضان شهر البطولات (*)

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى

الحمد لله عز وجل، جعل الدين نوراً وهداية، وجعل التقوى قوة ووقاية:

﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾(١).

أشهد أن لا إله إلا الله، منه المبدأ وإليه المآب، ﴿ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾(٢)، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، قدر نعمة ربه فشكر، وجاهد فى سبيله فاحتمل وصبر، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، وأتباعه وأحبابه:

﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾(٣)

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام..

تعارف الكثير من الناس على أن يتخذوا من رمضان شهراً للتراخى والكسل، والتخفف من الجد فى العمل، مع أن رمضان فى تاريخ الإسلام شهر جد وجهاد واجتهاد، بل نستطيع أن نسميه شهر الأبطال والبطولات، والبطولات ألوان وأنماط، فهناك بطولة الصراع فى الميدان، وبطولة اليقين والإيمان، وبطولة التأبى على الشهوات وبطولة الترفع عن خسيس الملذات؛ ولرمضان من كل هذه البطولات حظه الوافر فى الماضى والحاضر، ففى شهر رمضان أنزل الله

(*) ٢٩ شعبان سنة ١٣٨٧هـ - أول ديسمبر سنة ١٩٦٧م.

(١) البقرة (١٩٧).

(٢) الشورى (٥٣).

(٣) الزمر (١٨).

القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، فاتصلت الأرض بالسماء، فتعلم الناس التطلع إلى السمو والعلاء، وشدت أنوار الملأ الأعلى أبصار الملأ الأدنى من الناس نحو رفيع القمم ونبيل المثل، ليؤثروا الرفيق الأعلى على الحياة الدنيا، وما عند الله خير وأبقى، ومازال شهر رمضان على توالى الأزمان شهراً للقرآن، يقبل على المسلمين كل عام، فيعكفون على كتاب ربهم أكثر من ذى قبل، فيرونه يقص عليهم أروع مواقف البطولة، وأصدق قصص الكفاح والجهاد، التى وقعت من المرسلين والأنبياء، والصديقين والشهداء، فيتأملون كل هذا، فيوحى إليهم بخير القدوة وأفضل الأسوة:

﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٤)

وفى السابع عشر من رمضان كانت غزوة بدر الكبرى، وهى أول معركة وقعت فى الإسلام بين الحق والباطل، وبين الإيمان والكفران، وثبت فيها القلة المؤمنة أمام الكثرة الباغية، فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله، وماضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين، بل زانوا أشهر الصيام بأفضل ماتزان به الأيام، فكانوا رجالا مؤمنين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلا، وسمى القرآن المجيد يوم غزوة بدر «يوم الفرقان» لأن الله ـ جل جلاله ـ فرق فيه بين الحق والباطل، وتجلت البطولة الإسلامية المؤمنة من أولئك البدريين الغر الميامين، فارتفعوا إلى مستوى من الصدق والدفاع عن الحق يجعلهم أصلاً للاستمساك بالعروة الوثقى على الدوام، والتزام صراط ربهم بعزم لايلين وإرادة لاتهون، ولعل هذا هو السر فى أن يقول الرسول عنهم: «لعل الله اطلع على أهل بدر فقال لهم: اعملوا ماشئتم فإنى قد غفرت لكم».

وفى العشرين من رمضان كان «فتح مكة»، وفتح مكة لون من ألوان البطولة الحكيمة البصيرة، التى استطاع بها المؤمنون، وعلى رأسهم سيد الخلق محمد ﷺ، أن ينتصفوا لأنفسهم، وأن يستردوا ما أخذ منهم، وأن يعودوا إلى موطنهم «مكة» التى أخرجوا منها ظلماً وعدواناً، وطهر رسول الله بلد الله الحرام من الشرك والكفران، بعد أن طهر بيته الحرام من الأصنام والأوثان، وأخذ يردد: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا، ووقف نبى الله على باب الكعبة وهتف بأعلى صوته:

---

(٤) المائدة (١٥ - ١٦)

«لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده».

واقبل التنزيل الإلهى المجيد، يزكى هذا الفتح المبين وهذا النصر العظيم الذى تحقق فى بلد الله الحرام، وعند بيته الحرام، وفى رمضان شهر الصيام والقيام، فقال:

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾(٥)

وفى شهر رمضان سنة ٦٥٩هـ انتصر المسلمون على التتار فى موقعة «عين جالوت» وخطب قطز سلطان مصر المؤمن وقائد الجيش المجاهد، يوم النصر ـ وكان يوم جمعة، فكان مما قاله: «وما يدريكم لعل دعوات إخوانكم على المنابر فى الساعة التى حملتم فيها على عدوكم من هذا اليوم العظيم كانت أمضى على عدوكم من السيوف التى ضربتم بها....».

وفى شهر رمضان بطولة نفسية، فهو شهر لتدريب الصائم على امتلاك زمام نفسه، يقودها نحو الهدى، ويصدها عن مراتع الهوى، وليست هناك بطولة معنوية كبطولة الإنسان فى إحكامه بشأن نفسه حتى يقيمها على الصراط، فلا تدعوه إلى مايشينه أو يعيبه، ومن هنا قال القرآن الكريم:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾(٦)

وقال سيد الأنام محمد عليه الصلاة والسلام لأصحابه، وهو عائد معهم من إحدى الغزوات: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر. قالوا: وما الجهاد الأكبر يارسول الله، قال: جهاد النفس» وجهاد النفس يحتاج إلى مناضلة وفعالية، وإلى مقاومة ومصابرة، وفى الصوم صبر على طاعة الله بالبعد عن الشهوات، وصبر على ما يحدث فيه للصائم من ألم الحرمان، وصبر على إحياء المشاعر الكريمة والأحاسيس النبيلة اللائقة بمكانة الصوم وجلاله، ولذلك ورد فى الحديث أن رمضان شهر الصبر، كما ورد أن الصوم نصف الصبر.

ولأن الصوم فيه هذه المغالبة المخلصة، والمقاومة التى لا نفاق فيها ولا رياء، جعله الله بينه وبين عبده، ووكل ثوابه إلى عميم فضله وعظيم ثوابه، فقال فى الحديث القدسى: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به، يدع شهوته وطعامه من

---

(٥) سورة النصر.

(٦) الشمس (٧ - ١٠).

أجلى»(١٠). واحتمال هذا الحرمان الاختيارى برضا وقبول طراز كريم من البطولة النفسية، والمجاهدة المعنوية التى تؤيد جوانب المجاهدة الحسية، وتغرس شجرة الإيمان باسقة فى نفس الإنسان.

ولذلك يقول بعض الأئمة: «إذا اشتد توقان النفس إلى ما تشتهيه مع قدرتها عليه، ثم تركته لله - عز وجل - فى موضع لايطلع عليه إلا الله كان ذلك دليلاً على صحة الإيمان، فإن الصائم يعلم أن له رباً يطلع عليه فى خلوته، وقد حرم عليه أن يتناول شهواته المجبول على الميل إليها فى الخلق، فأطاع ربه، وامتثل أمره، واجتنب نهيه، خوفاً من عقابه، ورغبة فى ثوابه، فشكر الله - تعالى - له ذلك، واختص لنفسه عمله هذا من بين سائر أعماله».

ويزداد هذا المعنى وضوحاً واتلاقاً حين نتذكر أن المجاهدة فى رمضان لاتقتصر على ترك المفطرات الحسية، فإن الأخيار من عباد الله يعرفون فى الصوم كيف يصومون عن سيئات معنوية وخلقية ونفسية عديدة، ولذلك قال جابر: «إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم، ودع أذى الجار، وليكن عليك وقار وسكينة، يوم صومك ويوم فطرك سواء». وفى ذلك يقول القائل الحكيم أيضاً:

إذا لم يكن فى السمع منى تصاون
وفى بصرى غض، وفى منطقى صمت

فحظى إذن من صومى الجوع والظما
فإن قلت إنى صمت يومى فما صمت

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام..

رمضان هو شهر الجهاد من كل جانب، فيه جهاد للمعدة بالحمية والجوع، وجهاد للأعضاء بالعمل السالم أو الجهد القاوم، وما أبرك النضال فى مواسم الطاعات ومواطن البركات، وجهاد للعقل بالمزيد من العلم والمعرفة فى شهر نزل فيه كتاب كل علم وكل معرفة، وجهاد للقلب بإحياء عواطف الخير والطهر والبر فيه، وجهاد للنفس بسحق شهواتها وتصعد رغباتها، وجهاد للروح بسبحها فى آفاق السنا والسناء خلال شهر أيامه صيام وطاعة، ولياليه قيام وعبادة، فما أجدر أبناء الإسلام وأتباع محمد عليه الصلاة والسلام بأن يتخذوا من رمضان دورة تدريبية إلهية حازمة صارمة يكون فيها إيقاظ قوى كامل شامل لكل معانى الجهاد والاستعداد:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾(٢).

***

(٢) العنكبوت (٦٩).

مناجاة فى ذكرى ليلة القدر

يَا رَبَّاهُ

للأستاذ الدكتور / صابر عبد الدايم يونس

سألتُكَ يا ربَّاهُ فى ليلةِ القَدْرِ … وفى يَدِكَ الأقدارُ يا خالقى تَجْرى

سألتُكَ عفواً عن خطايا وَذِلَّةٍ … فما كُنْتُ معصوماً ولا فى يَدى أمْرى

فَعَفْوُكَ للحَيْرانِ مأوى وجُنَّةٌ … ومَنْ رامَ وَجْهَ الله ما عاشَ فى الأَسْرِ

***

هى اللَّيلةُ الغَرَّاءُ أشْرقَ قَدْرُها … وما ليلةٌ هذى، ولكنْ سَنًا يَسْرى

فَفى رَوْضةِ الأزمانِ يَعْبَقُ ذِكْرُها … وفى كُلِّ وادٍ فَضْلُها مَنْبَعُ الخَيْرِ

فلوْ لمْ تكنْ دنيا الورى غيرها .. كَفَى … بها الخيرُ فيَّاضٌ ولا وجْهَ للشرِّ

فما العُمْرُ بالأيامِ تمضى عديدةً … مُرورُ سَحابٍ أوْ هُراءٌ من الفكْرِ

فيا رُبَّ ساعاتٍ لها فَضْلُ أعْصُرٍ … كَفَضْلِ عُيونِ الماءِ فى شاسعِ القَفْرِ

***

إذا الطَّرفُ فى الآفاقِ سَرَّحْتُ خاشعاً … وأبْصَرْتُ أبوابَ السَّماءِ بلا سِتْرِ

أرى الروحَ فى الآفاقِ تَسْبَحُ مثلما … يَسيرُ شُعاعُ الهَدْىِ فى مَسْلكِ الفكْرِ

على الأرض جسمي قد تركتُ مُحلِّقا   بروحي .. بأفلاك السماء مع البدرِ
سبحتُ كأني في بحارِ هدايةٍ   وحولي أمواجٌ من الحقِّ والبِرِّ
وبالأفقِ جبريلٌ يقودُ ملائكا   أتوا ملءَ أيديهم غيوثٌ من الخيرِ
تلقَّوا دعاءَ التائبين .. وقدَّموا   إلى الله أغلى ما أرادوا من العُمْرِ
وما خيَّب الرحمن من كان قاصداً   حماهُ .. وما ردَّ المُنيبَ بلا أجرِ
إذا سال الرحمنَ عبدٌ أجابهُ   ويكشفُ ليلَ السوءِ عن قلبِ مُضطرِ
ولو أنَّ كلَّ الإنسِ من عهدِ آدمٍ   ولو أنَّ كلَّ الجنِّ منه إلى الحشرِ
تداعوا جميعاً في صعيدٍ مُوحَّدٍ   ونادَوا: إلهَ الكونِ فيضاً من البِرِّ
لأعطاهمُ: كلٌّ وما كان طالباً   وعادوا .. ولحنُ الحمدِ في قلبهم يسري
وما يَنقصُ الإعطاءُ من مُلكِ خالقٍ   كمثلِ مَخيطٍ ليس يُنقصُ من بحرِ

***

أيا ليلةً غرّاءَ فيها تفتَّحتْ   نوافذُ غفرانٍ .. وأخرى من اليُسرِ
أيا واحةً للتائبين .. أريجُها   أتى من جنانِ الله ملآنَ بالبِشْرِ
وأنتِ .. إذا ما الشمسُ تدخلُ خِدرَها   سلامٌ وإيمانٌ إلى مطلعِ الفجرِ
.. ولا غروَ فالرحمن يَهمي عطاؤهُ   ودعوةُ من يدعو .. يُجيبُ على الفورِ
ينادي: عبادي من أتاني قبلتُه   وإني لغفّارُ الذنوبِ مدى العُمْرِ
فمن رام رزقاً فهو في خيرِ قصدِه   ومن رام: عفواً فاق من سكرةِ الوزرِ
ونوَّرتُ بالصفحِ المنيرِ صحائفاً   لقد سُوِّدت من سوءِ فعلٍ ومن شرِّ
فمن جاءني والأرضُ ملءُ ذنوبه   غفرتُ له ما كان في السرِّ والجهرِ
وإني .. حبيبُ المهتدين مكافئٌ   تقرَّبتُ باعاً إذ تُقرِّبُ بالشبرِ

وبُشرى لمن كان الإلهُ حبيبَه   سيرفلُ في أثوابِ عزَّته الخضرِ
أيا ليلةً غرّاءَ فيها تفتَّحتْ   نوافذُ غفرانٍ وأخرى من اليُسرِ
بها الروحُ للمختارِ جاءَ براحِه   شذاً آيِ رحمنٍ تضوَّعُ بالطُّهرِ
وقال له: اقرأ: قال: ما أنا قارئٌ   فقال: له اقرأ باسم ربك: في بِشرِ
خواطرُ فتّاحٍ وآياتُ قادرٍ   لها الكونُ قد أصغى وأذعنَ للأمرِ
أرى المدحَ ذمّاً إن أردتُ مديحَها   فقد خصَّها القهّارُ بالعزِّ والقدرِ
ولكن هي الآياتُ كالشهدِ صافياً   قطفنا ثمارَ الحقِّ منها بلا عُسرِ
لها سطرَ الأعداءُ أسمى شهادةٍ   وفي فيئها عاشوا بروضٍ من السِّحرِ
وقد أنكرَ الأعداءُ إعجازَ قدرِها   وذاك من الحقدِ الدفينِ مع الكفرِ
وإن كان ربُّ الكونِ للعبدِ هادياً   سينشرُ نورَ الهدى في واحةِ الصدرِ
إلهي: ذرفتُ الدمعَ أرجو مثوبةً   وصفحاً عن الزلّاتِ في ليلةِ القدرِ
سألتُك يا ربّاه تفريجَ كُربةٍ   وجنّاتِ عدنٍ في مناراتِها أسري
وهذَّبتُ أعمالي ابتغاءَ مثوبةٍ   وبالحقِّ يا ربّاه وصَّيتُ والصبرِ
وخالفتُ نفسي إذ طويلاً سجنتُها   وأحكمتُ بابَ السجنِ خوفاً من الخسرِ
وتشهدُ يا ربّاه ما كنتُ مؤذياً   لنفسٍ، ولو ألقيتُ في ساحةِ الضُّرِّ
وما كنتُ غيرَ الخيرِ أعرفُ شيمةً   ولا غيرَ نورِ الحقِّ أحفظُ في صدري
سألتُك يا ربي بقاءً لأمتي   وتنشرَ فوقَ القدسِ ألويةَ النصرِ
سألتُك يا ربّاهُ للدينِ عزَّةً   وحسنَ اقتداءٍ بالنبيِّ مدى الدهرِ
فتوِّجْ إلهي بالسعادةِ موطني   وأطلِعْ على أيامهِ غُرَّةَ الفجرِ

***

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾

النحل: ١٢٥

التطرّف ومَوقف الإسلام منه

٢

لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف

رئيس لجنة الحوار بالأزهر الشريف

تعرضنا فى المقال السابق للتطرف، وقدمنا أمثلة له فى الشرق والغرب، ثم أوضحنا أن الإسلام دين الوسطية والاعتدال فى العبادات.. ونواصل حديثنا فى هذا المقال لنبين أن الإسلام دين الوسطية والاعتدال فى جميع جوانب الحياة، وأنه دين ينبذ التطرف ويدعو لعلاجه.

الوسطية فى تناول الطعام والشراب والإنفاق

إن وسطية الإسلام وحرصه على الاعتدال تناولت جميع جوانب الحياة، حتى فى استعمالات الإنسان اليومية التى لاغنى له عنها فى استعمالها كل يوم، بل التى يستعملها فى اليوم الواحد عدة مرات.

فمعلوم أن الإنسان يحتاج إلى الطعام والشراب فى حياته اليومية كى يستطيع أن يعيش، ومعلوم أيضا من الناحية الصحية أن الإسراف فى تناول الطعام والشراب فيه ضرر على الإنسان حيث يكون ذلك سببا فى إصابته بكثير من الأمراض المختلفة. كما أن عدم تناول الطعام والشراب بالقدر الذى يحتاجه جسم الإنسان فيه ضرر أيضا على الإنسان حيث يكون ذلك سببا فى إصابته بكثير من الأمراض أيضا.

وقد عالج الإسلام هذا الموضوع بحكمة بالغة محافظة على صحة الإنسان، فدعا الإنسان إلى الاعتدال والوسطية فى تناول الطعام والشراب، يقول الله -تعالى-:

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾(١)

ويقول الرسول ﷺ: «ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه. فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»(٢)، وتجشأ رجل عند رسول الله ﷺ فقال: «كُف عنا جشاءك. فإن أكثرهم شبعا فى الدنيا أطولهم جوعا يوم القيامة».

ومما يدل على أن الوسط فى تصرفات الإنسان، وفى أحوال معيشته هو المطلوب، أن السخاء محمود شرعا، وهو وسط بين التبذير والتقتير، وقد أثنى الله -عز وجل- عليه، فقال -سبحانه-:

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾(٣).

وقال -جل شأنه-:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾(٤).

وقال تعالى:

﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾(٥).

وقال رسول الله ﷺ: «خير الأمور أوسطها».

الوسطية فى الحب والكره

الحب الشديد لإنسان أو لغيره يعمى العين عن النظر إلى مساوئه، ويصم الأذن عن سماع العذل فيه، فلا يراه إلا حسنا. وربما كان فيه أكبر ضرر. فقد يفضى إليه بكل أسراره، ويحدث أن ينقلب عدوا له فى يوم من الأيام، فيكون أدرى وأقوى على إلحاق الضرر به لعلمه بكل أسراره.

كما أن البغض الشديد لإنسان أو لغيره يغلق القلب عن إقامة علاقة حسنة معه، ويحجب العقل عن التفكير فى إصلاح هذه العلاقة، فلا يراه إلا سيئا، وربما كان فيه نفع وخير إذا لم يبالغ فى العداوة، فقد يحدث فى حال العداوة أن يتفوه بألفاظ جارحة فى عرضه وشرفه، أو يفعل أشياء تلحق به ضررا لايعالج، وفى تلك الحالة يصدق قول الشاعر:

إن القلوب إذا تنافر ودها
مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

ولم يغفل الإسلام عن الدعوة إلى

(١) الأعراف (٣١).
(٢) الترمذى ٤/٥٩٠.
(٣) الفرقان (٦٧).
(٤) الإسراء (٢٩).
(٥) الفتح (٢٩).

الوسطية والاعتدال فى الحب والكره. وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على مدى حرص الإسلام على الوسطية والاعتدال فى كل أمور الحياة، فعن أبى هريرة -رضى الله عنه- عن النبى ﷺ قال: «أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما، وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما»(٦).

الوسطية فى الفكر والرأى

كرم الله -سبحانه وتعالى- الإنسان، وميزه وفضله على كثير من مخلوقاته بالعقل والتفكر.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾(٧).

والعقل زينة المرء، وباب المعرفة، ومدخل الفضائل، وتاج المجالس، وقلادة المحاسن، وهادى الضال، ومرشد الحيران، به يسمو المرء فى أهله، ويعلو به قدره.

ويروى أن الله -عز وجل- لما خلق العقل قال له: أقبل! فأقبل، ثم قال له: أدبر! فأدبر. فقال: وعزتى وجلالى، ما خلقت خلقا أحب إلىَّ منك، ولا وضعتك إلا فى أحب الخلق إلىَّ، ولما خلق الحمق قال له: أقبل! فأدبر، ثم قال له: أدبر! فأقبل. فقال: وعزتى وجلالى، ما خلقت خلقا أبغض إلىَّ منك، ولا وضعتك إلا فى أبغض الخلق إلىَّ(٨).

والعقل نور فى القلب نفرق به بين الحق والباطل، وبالعقل عرف الحلال والحرام، وعرفت شرائع الإسلام ومواقع الأحكام، وجعله الله نورا فى قلوب عباده يهديهم إلى الهدى، ويصدهم عن الردى.

ومادام الأمر كذلك فإن استعمال العقل مطلوب فى التفكير والرأى، واستعمال العقل فى التفكير والرأى يتطلب الاعتدال وعدم التطرف، فلايكون الإنسان متهورا فى تفكيره، جامحا فى آرائه، متشططا فيما يبدى من أحكام، كما لا يكون خاضعا لرأى غيره مستعينا به دون أن يعمل تفكيره فتلك نقيصة، كما أن الشطط نقيصة.. ولكن التوازن هو الحميد.

والإسلام حث على استعمال العقل، وقصر الفكر السوى على أصحاب العقول السليمة، ومن جلالة قدر العقل أن الله -تعالى- لم يخاطب إلا ذوى العقول، فقال -عز وجل-:

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾(٩).

---

(٦) مصنف ابن أبى شيبة ٧/١٧٩، وكنز العمال حديث رقم ٤٢٣٠.

(٧) الإسراء (٧٠).

(٨) سنن الترمذى ٤/ ٣٦٠.

(٩) الرعد (١٩).

وقال -تعالى-:

﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾(١٠) أى: عاقلا.

وقال سبحانه:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾(١١).

أى لمن كان له عقل.

وإذا كان الاختلاف بين البشر وقعا فعلا، والتطرف فى الفكر والمنهج والسلوك بين البشر حقيقة لاشك فيها لأنه وجد فى كل العصور والأزمان منذ أن خلق الله الإنسان:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾(١٢).

وإذا كانت آثار التطرف خطيرة على الفرد والمجتمع والدولة.. فإن الأمر يحتاج إلى وقفة موضوعية عقلانية مع التطرف لعلاجه، أو على الأقل للحد من آثاره السلبية.

وعلاج التطرف ليس بالأمر الهين السهل اليسير، فهو يحتاج إلى حكمة وحنكة، وإلى صبر وجهاد، وإلى مشقة ونفس طويل... كما أن علاج التطرف لا يأتى بالقهر والقوة والعنف والسطوة، وسن القوانين وتعميم الأحكام... بل يأتى بمقارعة الحجة بالحجة، مع استقامة الدليل والبرهان، والتحلى بالصبر والثبات مع المخالفين، وتجنب الانفعال والغضب، وتحمل الغلظة والاندفاع فى الخطاب.

وهذا ما حدث فعلا فى عهد الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز -رضى الله عنه- مع الخوارج، وقد كانوا أقوى الفئات المتطرفة حجة، وأمضاهم سلاحا، وأعنفهم خصومة، وأشرسهم لقاء، وأشدهم رغبة فى سفك الدماء واستحلال الأعداء.

وقد رأى الخليفة العادل الفكر الحكيم عمر بن عبدالعزيز **أنه لاسبيل إلى إقناعهم وعودتهم إلى الحق والصواب والطريق المستقيم إلا بالمناقشة والحوار، وإقامة الدليل القاطع، والبرهان الساطع.**

فكتب إلى غيلان القدرى -وهو أحد زعمائهم المفكرين وقادتهم البارزين- يدعوه إلى المناقشة والحوار للوصول إلى الحق.

ودارت المناقشة فى صراحة ووضوح، كل طرف يعرض فكرته وأدلته من غير مصادرة أو تهديد، أو التلويح أو التلميح من الحاكم باستعمال القوة... وأدت المناقشة فى النهاية إلى سكون الحركات الثورية فى عهد الخليفة -العادل الحكيم- عمر بن عبدالعزيز.

---

(١٠) يس (٧٠).

(١١) ق (٣٧).

(١٢) هود (١١٨، ١١٩).

وكان من أبرز ما دار النقاش حوله مع غيلان مسألة القدر.. إذ قال عمر لغيلان: أى دليل لكم على ما تقولون؟ فقال غيلان: هو قول الله -عز وجل-:

﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ﴿١﴾ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا ﴿٢﴾ إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا﴾(١٣)

فقال له عمر: لم تقرأ السورة جميعها، ولو قرأتها إلى آخرها لعرفت الصواب من الخطأ. فظل غيلان يقرأ حتى أتى إلى قوله تعالى:

﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما﴾(١٤)

فقال له عمر: هل عرفت أن مشيئة الله فوق كل شىء؟ قال: نعم، واقتنع غيلان بما قال عمر، وظل الأمن وارفا فى عهده، وقال غيلان لعمر: لقد أتيتك ضالا فهديتنى، وجاهلا فعلمتنى.

أما المهلب بن أبى صفرة فقد طالت حروبه مع الخوارج، ورأى أن الحرب لن تحل المشاكل، ولن تحسم القضايا، ولن تنهى المعارك، فجعل يرسل إلى الخوارج من يحاورهم فى مسائل الدين ليقنعوهم بالحجة والدليل على بُعدهم عن الجادة، وعلى خطأ مسلكهم، ومنهج طريقهم مع من يخالف فكرهم. وقد كانت آيات القرآن الكريم مجال النقاش.

وحين رأى قطرى بن الفجاءة -آخر زعماء الأزارقة- أعنف فرق الخوارج، وأشدهم إقبالا على سفك الدماء. وكان شاعرا -حين رأى أن الجدل العلمى المؤيد بالدليل مع الذين يتحدثون بلسان المهلب بن أبى صفرة سينقض حجته ويفرق أتباعه، ويضعف قوته، أخذ يبحث من بين رجاله عن علماء يردون أقوال خصومهم بالدليل -وكانت الحرب تقف أياما حتى ينتهى النقاش والأخذ والرد- وأخيرا كانت الغلبة للأقوى حجة، والأسطع دليلا وبرهانا.

ومعنى ذلك كله أن السلاح الباتر فى معركة التطرف هو الحوار والمناقشة بالدليل العقلى، والبرهان القوى، والإقناع بالحجة البالغة، وأن البطش والتنكيل، والاعتقال والسجن، والقتل والتشريد، كل ذلك لا يفيد فى علاج التطرف ولا يقضى عليه، بل يزيد النار اشتعالا، والتطرف انتشارا..

وإذا كان الحوار والنقاش هو المنهج السليم فى علاج التطرف، والقضاء على آثاره السلبية التى تهدد الأمن والأمان، وتوقف معدلات نمو المجتمع وتقدمه... فليس معنى ذلك أن علاج التطرف مقصور على الحوار وحده، وأن الحوار يحقق آمال وطموحات المصلحين.

---

(١٣) الإنسان (١، ٢، ٣).

(١٤) الإنسان (٣٠).

أقول بكل صراحة ووضوح: إن الحوار وحده لا يكفى.. بل لابد أن تتعاون معه بكل صدق وجدية وسائل أخرى هامة فى علاج التطرف، ويجب أن تؤدى دورها ومهمتها فى المساهمة بفاعلية فى علاج التطرف لما لها من أثر فعال فى توجيه الفكر، وتوجيه السلوك، وغرس القيم والأخلاق الفاضلة... وأن هذه الوسائل إذا لم تتعاون مع الحوار بصدق، ولم تؤد دورها على الوجه الذى ينبغى منها فإنها ستهدم كل ما يبنيه الحوار من علاج للتطرف.. بل على العكس ستكون عوامل قوية ومؤثرة فى نشر التطرف.

فمن الحقائق المسلم بها أن البيئة تؤثر فى السلوك الإنسانى، بل إن الرأى الراجح أنها أقوى تأثيرا من عامل الوراثة فى تكوين الخلق، وفى توجيه الإنسان إلى مستقبله، وفى تحديد أسلوب علاقته ومعاملته مع غيره.

والمقصود بالبيئة كل ما يحيط بالإنسان منذ ولادته إلى أن يموت: البيت الذى يعيش فيه، والحى الذى يقع فيه بيته، والمدرسة التى يتلقى علومه فيها، والأتراب والأصدقاء الذين يصطفيهم ويندمج معهم، والكتب والصحف والمجلات التى يطالعها والإذاعات التى يسمعها، والأفلام السينمائية والبرامج التليفزيونية التى يشاهدها، والمناظر المختلفة التى يراها إلى غير ذلك من أمور.

كما أن العوامل الجغرافية، والاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، والأوضاع المحلية والعالمية، كل ذلك له دخل كبير فى حياة الإنسان، وفى صياغة أفكاره ومشاعره، ومنهج حياته، وأسلوب معاملاته مع الآخرين، ونظرته إلى المجتمع الذى يعيش فيه، وأسلوب التعامل معه.

من ذلك يتضح ويستبين أن عوامل البيئة -التى أشرت إليها- لها دخل كبير وتأثير قوى فى تكوين فكر الإنسان، وفى توجيه سلوكه. إذن لابد أن تراعى كل هذه العوامل المؤثرة عند علاج التطرف، وأن نعمل جاهدين على أن تؤدى دورها الإيجابى فى المساهمة مع الحوار فى العلاج، وأن نستخدمها الاستخدام الأمثل فى تحقيق هذا الغرض المنشود.

صحيح أن هذه العوامل ليست على مستوى واحد فى التأثير، وليست على درجة واحدة من القوة فى التوجيه.. ولذا سأشير إلى أشدها تأثيرا فى فكر الإنسان، وأقواها نفوذا فى توجيه سلوكه فى العدد القادم بمشيئة الله.

براءة القرآن من الاختلاف والتناقض

للأستاذ الدكتور
عبد العظيم المطعنى

٣

نواصل الحديث عن براءة القرآن من الاختلاف والتناقض، القادحين فى كونه ليس وحيا من عند الله، كما يقول الذين فى قلوبهم زيغ ويتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله.

ونبدأ فى هذه الحلقة (الأخيرة) بنموذج ساقوه من سورة البقرة، حيث ذكروا بعض الآيات على أن بينها اختلافا يغض من شأن القرآن، ويمهد للقول بأنه ليس من الله، لأن كلامه منزه عن هذا الاختلاف، وذلك التناقض.

الآية الأولى:

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾(١).

فهذه الآية يقرر القرآن فيها التساوى بين جميع الرسل فى العقيدة الإسلامية، دون تفضيل لأحدهم على الآخرين.

ويؤكد معنى هذه الآية آيات أخرى منها:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(٢).

ثم يذكرون قوله تعالى:

﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ ﴾(٣).

وموضع الشبهة عندهم هو كيف قال:

﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ وكيف أثنى على الذين لم

(١) البقرة [٢٨٥].
(٢) النساء [١٥٢].
(٣) البقرة [٢٥٣].

يفرقوا بين أحد منهم ثم يثبت ـ هنا ـ التفاضل بينهم ورفع درجات بعضهم؟

أليس هذا تناقضا واختلافا لا يجوز أن يقع فى القرآن لو كان ـ فعلا ـ هو وحيا من عند الله؟ هذا مبلغ علمهم، أو مظهر من مظاهر جهلهم الفاضح الذى أوقعهم فى هذه الحماقات.

●●●

وما قالوه خطأ محض، لأن المراد بنفى التفريق بين الرسل فى آية البقرة [٢٨٥] هو الإيمان بهم جميعا أنهم مرسلون من عند الله، فلا نصدق بعضا منهم ولا نكذب بعضا(٤).

أو المراد لا نؤمن ببعض(٥) ونكفر ببعض. فهم كلهم صادقون.

هذا هو وجه عدم التفرقة بين رسل الله الكرام.

أما التفضيل بينهم، كما فى آية البقرة [٢٥٣] فهو فعل الله ـ عز وجل ـ ولا دخل للمؤمنين فيه. وهذا أظهر ما يكون لأن الله قال فيها:

﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ ﴾(٦)

فالله ـ كما ترى ـ أسند التفضيل إليه لا إلى المؤمنين، كما أسند الرفع درجات إليه هو.

أما المؤمنون فلا يملكون من ذلك شيئا ومع هذا فإن علماء المسلمين قالوا: ينبغى ألا نذكر من هو المفضل ومن هو غير المفضل لأن المعنى ورد فى القرآن مجملا(٧).

أما الرفع درجات فإن الذى ذكره العلماء فيه هو أن المراد من المرفوعين درجات هم أولو العزم من الرسل، وهم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ثم محمد ﷺ، وقد قال الله فيهم:

﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَـٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾(٨).

على أن أولى العزم من الرسل فيهم تفاوت بينهم فى الدرجات، وبخاصة رسولنا الكريم، ورفعه الله بأمور:

- كونه آخر النبيين.
- كونه أكثر الرسل اتباعا.
- عموم رسالته.

(٤) تفسير البيضاوى [١٤٦/١].
(٥) المحرر الوجيز [٢٩٨/٢].
(٦) البقرة [٢٥٣].
(٧) المحرر الوجيز [٢٧٦/٢].
(٨) الأحقاف [٣٥] وانظر المحرر الوجيز [٢٧٦/٢].

● اختصاص الشفاعة العظمى به.

وغير ذلك كثير.

ومما يتقدم يتبين بكل وضوح أن الآيتين اللتين استدل بهما على وجود اختلاف وتناقض بين ما تدلان عليه هما خاليتان مما توهموه. بريئتان كل البراءة من أى تعارض أو تنافر فى دلالتيهما:

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾(٩).

●●●

ومن الآيات التى أثير حولها الجدل قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾(١٠).

النظر فى هذه الآية يتراءى فيه أن صدرها:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾.

يتناقض مع عجزها:

﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾.

على أساس أن صدر الآية خطاب لبنى آدم، وأن هذا يقتضى أن خلقا من بنى آدم كان لهم وجود فى الحياة حين صدر هذا الخطاب عن الله، وأن هذا الخطاب صدر بعد خلق آدم وإنجابه جيلا أو أجيالا من ذريته وأن عَجُز الآية وهو:

﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾.

وأمر الله الملائكة بالسجود لآدم كان فى بداية خلقه، قبل أن ينجب شيئا من الذرية فكيف يتفق هذا؟ أيصح أن يخاطب الولد قبل أن ينجبه أبوه؟

هذا شىء لا يقبله العقل. فهو تناقض فى حكم العقل، وفى حكم العلم، وفى حكم الواقع المحسوس فى دنيا الناس؟

هذا ما يقوله الذين فى قلوبهم زيغ، وعلى أبصارهم غشاوة.

وقد وجه المفسرون القدماء هذا اللبس على وجه يصح، فقالوا إن معناه:

«خلقنا أباكم آدم طينا غير مصور، ثم صورناه، نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره»(١١).

وقد خرج البلاغيون إجراء خطاب بنى آدم والمراد آدم نفسه، فأجرى عليهم وصفه من الخلق والتصوير، لأن آدم ـ عليه السلام ـ سبب فى وجودهم لأنه أباهم، وإحلال السبب محل المسبب والمسبب محل السبب أسلوب بلاغى سائغ فى البيان العربى وهو ما يسمى بالمجاز المرسل.

(٩) الكهف (٥).
(١٠) الأعراف (١١).
(١١) تفسير البيضاوى [١/٢٣٢] وانظر المحرر الوجيز [٧/١٦ - ١٧].

أقول: وسره البلاغى أن هذا المعنى من الخلق والتصوير، وعداوة إبليس أمور تعم البشرية كلها، فهى قضية عامة ولا تناقض فى نظم الآية لعطف ما هو سابق (أمر الله الملائكة بالسجود لآدم) على لاحق (خلق بنى آدم وتصويره) وهو أمر مستمر إلى قيام الساعة.

أقول لا تناقض فى هذا، لأن القرآن الحكيم لما عطف السابق على اللاحق ضمن النظم قرائن تزيل اللبس الظاهرى فى نظم الآية، وهى قرينة الزمن الذى وقعت فيه هذه الأحداث الثلاثة.

خلق بنى آدم.

تصويرهم فى بطون أمهاتهم.

الأمر الإلهى للملائكة بالسجود لآدم.

هذه قرينة واضحة قوية تجلى المعنى، وتصرف إرادة الظاهر المتبادر إلى الذهن.

ثم قرينة العقل، الذى يمنع وجود الابن قبل أبيه.

ثم إن هذه الأحداث وردت فى غير هذه الآية متوافقة مع النسق التاريخى الذى لا لبس فيه.

وهذا الأسلوب الذى لا يراد ظاهره كثير فى القرآن الحكيم. فليرح الطاعنون فى صدق القرآن وصحته، وكونه كلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

فليريحوا أنفسهم، لأن من يبحث عن عيب أو خطأ أو تناقض، ليس بواجد فيه مما يبحث عنه شيئا.

إنما هو كما يقول أهل الحكمة: «كمن يبحث عن قبعة سوداء فى غرفة مظلمة لا وجود لها»، أى لا وجود للقبعة السوداء فى تلك الغرفة المظلمة ولن ينال إلا الحسرة والكمد.

وكذلك يرون أن اختلافا وتناقضا حصل بالنفى والإثبات لشىء واحد فى قوله تعالى:

﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾(١٢)

وقوله تعالى:

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(١٣).

وقوله: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾(١٤).

فى آية الرحمن ورد النفى صريحا أن أحدا من الإنس والجن لا يسأل عن ذنبه يوم القيامة.

وفى آيات الحجر والصافات الخبر مؤكدا بأن كل العباد سيسألهم الله عن سيئاتهم

(١٢) الرحمن (٣٩).
(١٣) الصافات (٢٤).
(١٤) الحجر (٩٢، ٩٣).

وما كانوا يعملون فى الحياة الدنيا ورد هذا الخبر مؤكدا بالقسم ولام التوكيد:

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ ﴾.

وفى الصافات ورد الخبر مؤكدا بـ«إن»، «إنهم» ثم إسمية الجملة ومعلوم أن فى نفى الشىء وإثباته اختلافا وتناقضا يبطل المراد من الكلام.

فلا يدرى أحد: هل المراد هو النفى أم المراد هو الإثبات؟ وأيهما هو الصحيح؟ ووجود هذا التناقض الصريح ينفى عن القرآن أنه وحى صادق من عند الله؟

●●●

منشأ هذا الهذيان أنهم حسبوا أن كلا من المثبت والمنفى شىء واحد، لتشابه العبارة فيهما، وهى: السؤال.

وهذا جهل مركب، لأن السؤال المثبت غير السؤال المنفى لو كانوا يفقهون، فالسؤال المثبت هو السؤال عن كل ما عمله العبد فى الحياة الدنيا من سيئات وشرور. هذا هو الحق الذى ضلوا عنه إن كانوا صادقين مع أنفسهم.

أما السؤال المنفى فهو سؤال الناس بعضهم بعضا عما حدث لهم أمام الله ـ عز وجل ـ ساعة الحساب، أعنى سؤال الفقه الذى يعقبه نفع من السائل للمسئول، كما يحدث بين الناس فى الدنيا، فيما يتبادلونه من مجاملات، فإذا كانت لأحدهم مشكلة، قال له صاحبه: ماذا فعلت فى كذا وكذا، ثم يعينه إن كان بيده عون.

ويوم القيامة يختلف حيث تزول علاقات الود بين الناس، حتى بين الرجل وأمه وأبيه وزوجته وبنيه وصديقه. كلهم يشغل بنفسه ويذهل عن الآخرين.

﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۝ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ۝ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾(١٥).

هذا هو تفكك العلاقات فى الأسرة الواحدة وقد كانت هذه العلاقات موسومة بالقوة فى الحياة الدنيا. ناشئة عن أعمق العواطف وأرق الأحاسيس وأرهف المشاعر أما تفكك العلاقات خارج نطاق الأسرة كالأصدقاء والجيران ومعارف الرجل فيكفى فى موتها وزوالها قوله جل شأنه:

﴿ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴾(١٦).

قال عز وجل:

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾(١٧).

---

(١٥) عبس (٣٤ – ٣٧).

(١٦) المعارج (١٠).

(١٧) المؤمنون (١٠١).

هذا هو الناموس الإلهى الذى يقضى على العلاقات البشرية – مهما كانت – بين الناس يوم يقوم الحساب.

وهكذا ترى أن السؤالين المثبت والمنفى وإن كانت مادتهما اللغوية واحدة، فهما مختلفان فى المعنى، فإثبات أحدهما لا يناقض نفى الآخر، ونفى أحدهما لا يخالف إثبات الآخر لأنهما خطان متوازيان لا يتزاحمان مهما مددتهما.

فالقرآن لا يعرف التناقض لا فى هذا الموضع، ولا فى غيره. ومثيرو هذه الشبهة إما جهلاء بلغة القرآن وبيانه. وإما معاندون وهم يعرفون الحق ثم يعدلون عنه لحاجة فى نفس يعقوب.

وفى كلتا الحالتين فقد أقمنا الحجة، لله عليهم وهذا غاية ما نرجوه.

●●●

ومثل ما تقدم هرفوا حول قول الله – عز وجل –:

﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ۝ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾(١٨)

وقوله تعالى:

﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ۝ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾(١٩)

قالوا: إن بين هذه الآيات تناقضا، لأن ﴿ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾ حلت محل: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾ فى التى تقدمت عليها. وهذه الآيات الأربع تتحدث عن أهل الجنة.

وهذا منهم جهل شنيع، لأنهم لم يهتدوا إلى الفروق بين المقامين اللذين ورد فيهما الاختلاف بين «قليل» و«ثلة» فالمقام فى الأول مقام «السابقون السابقون» إما إلى عمل الطاعات عموما، وإما إلى الدخول فى الإسلام.

فهؤلاء أعلى المراتب عند الله ـ عز وجل ـ من سبق منهم، ومن لحق بهم فى درجاتهم من غيرهم.

وهؤلاء السابقون هم المقربون عند الله ـ عز وجل ـ وداخل الجنة منهم أكثر وأسعد حظا من غيرهم. لأن مرتبتهم عند الله أعلى المراتب من الأزواج الثلاثة التى نص الله عليها فى قوله:

﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾(٢٠). أى أصنافا حين تبعثون يوم القيامة.

- السابقون المقربون.
- أصحاب اليمين.
- أصحاب الشمال.

---

(١٨) الواقعة (١٣ – ١٤).

(١٩) الواقعة (٣٩ – ٤٠).

(٢٠) الواقعة (٧).

وأعلى المراتب فى الجنة يدخلها كثير من الأولين وهم السابقون المقربون.

وقليل من أصحاب اليمين. فإن لهم فى الجنة منازل أدنى من منازل المقـربين. هذه مقام الآية الأولى..

﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾.

أما مقام الآية الثانية:

﴿ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ فهو مقام الحديث عن أصحاب ﴿ ٱلْيَمِينِ ﴾ وهم أدنى منزلة من السابقين المقربين وهؤلاء يشاركهم خلق كثير من الصالحين.

ممن جاء بعدهم، لذلك قيل:

﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾

الذين جاءوا بعدهم فى الزمن.

والخلاصة:

إن الذين يشاركون السابقين المقربين كثير من الأولين من أهل القرون الثلاثة التى هى خير القرون كما جاء فى الحديث الصحيح[٢١] ثم قليل من الذين جاءوا بعدهم، الذين عبر القرآن عنهم:

بـ﴿ ٱلْآخِرِينَ ﴾.

أما ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴾ فإن من يشاركهم فى الطاعات خلق كثيرون من الأقرب منهم زمنا، الذين سماهم القرآن

بـ﴿ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾.

وخلق كثيرون من الأبعد عنهم زمنا، لأن طاعاتهم يسر من طاعات «المقربين».

اختلف المقام فاختلفت المصائر. فلا تناقض فى القرآن، وإنما التناقض فى أفهام الذين توهموه.

وبهذا نكون قد قدمنا نماذج من جهالات خصوم الإسلام وكشفنا ما فيها من زيغ، ولم نستقص وإنما أردنا مجرد التنبيه على سلامة القرآن من كل المآخذ والعيوب، التى ينسبها إليه الطاعنون فى كونه وحيا من عند الله قديما وحديثا. وليقس ما لم نقله على ما قلناه وفوق كل ذى علم عليم.

***

(٢١) رواه الشيخان وغيرهم.

شبهات زائفة تكشفها الحقائق الدامغة



عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

٣

٥- وبتلك السذاجة والسطحية نظرت هذه السيدة إلى قضية عدم اعتداد الإسلام بشهادة امرأة واحدة، ورأت فيه انتقاصاً من المرأة، وعززت تلك الرؤية بزعمها أن المحكمة لم تعتد بشهادتها - وهى ناظرة الثانوية - وأخذت بشهادة ابن أخيها الصبى الذى لم يبلغ من العمر ستة عشر عاماً.

والسذاجة فى النظر هنا ترجع إلى أن السيدة جعلتها قضية ذكورة وأنوثة، حتى لكأن خالق الإنسان بنوعيه يتبرأ من نوع الأنثى أو يحقره حين عادل شهادة امرأتين بشهادة رجل فى قوله تعالى:

﴿ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾[١].

(١) البقرة (٢٨٢).

ولو أن هذه السيدة أكملت تلاوة الآية الكريمة لوجدت أن المولى ـ سبحانه وتعالى ـ نبه إلى أن ذلك ليس لأمر يمس ذاتية المرأة، أو يحط من قدرها وكرامتها، بل لعوارض فطرية ـ هو أعلم بها منا جميعا ـ قد تحول بينها ـ إذا كانت منفردة ـ وبين أداء الشهادة على الوجه الكامل الدقيق، وذلك قوله تعالى:

﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ﴾(٢).

أي خشية أن تنسى إحداهما جزءاً من الشهادة، أو تغفل عنه، فتذكرها الأخرى، وتكمل شهادتها؛ فالله ـ سبحانه وتعالى ـ خالق الذكر والأنثى من نفس واحدة يعلم ما تقوم عليه فطرة الأنثى واستعداداتها التكوينية من شواغل تلهيها عن متابعة الواقع، وعوارض موسمية تصيبها في بعض الأيام من كل شهر بما يفقدها التوازن والانسجام النفسي والذاتي، كما يحدث لها مع مقدم الحيض، وفي أثنائه، وفي أعقابه من اضطرابات.

وأعتقد أن واحدة من الإناث لا تختلف معي في أن ما يعرض لها ـ مع مقدم الحيض، وفي أثنائه، وفي أعقابه، وفي أثناء الحمل وتوابعه ـ من اضطرابات يصيب قدرتها الذهنية والتذكرية.

ولا يشفع لواحدة في هذا مكانتها العلمية، ولا محصلاتها الثقافية والفكرية، ولا مركزها الإداري والقيادي؛ لأنها الفطرة التي لا تتبدل ولا تختزل.

﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾(٣).

أما أن تأخذ المحكمة بشهادة الصبي ابن ستة عشر عاماً، فهذا يرجع إلى تقدير القاضي، دون موازنة بين الصبي والسيدة، على الرغم من أن شهادة الصبيان لا يعتد بها لقوله تعالى:

﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ﴾(٤).

فمادام صبياً لم يبلغ مبلغ الرجال فشهادته لا يعتد بها.

فما ترى فيه هذه السيدة ومثيلاتها انتقاصاً من المرأة، إن هو في الحقيقة إلا التزام بالعدالة، ودفعٌ إليها من العليم الخبير الذي قال في حضِّ المؤمنين على العدل:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(٥).

---

(٢) البقرة (٢٨٢).

(٣) الروم (٣٠).

(٤) البقرة (٢٨٢).

(٥) المائدة (٨).

ومن هذا المنطلق.. فإن شريعة الإسلام ـ لداعي الضرورة ـ تعتد بشهادة النساء منفردات فيما لا يطلع عليه الرجال غالباً، مثل الشهادة على الرضاع، والولادة، ومع هذا لم نجد من الرجال من يعد ذلك انتقاصاً منه، ولا إهانة له.

٦- وتتساءل السيدة عن السر في إلقاء حمل الفتنة دائماً على المرأة، فيفرض الإسلام عليها أن تتغطى من رأسها إلى قدمها لعدم إثارة الرجل، مع أن المسيحية توقع المسئولية على الرجل والمرأة بالتساوي؛ لأن الرجل رقيب على نفسه.

والسيدة ـ بهذا ـ تخلط الأمور؛ لأنها تأثرت ـ في تساؤلاتها ـ بمآخذ مصنوعة، مفتراة، افتعلت بقصد تشويه صورة الإسلام في أعين السُّذَّج، وجعل جمالياته قُبحاً، وتقديم فضائله في صورة رذائل منفرة؛ فالإسلام لا يختلف عن أي دين سماوي قيم في تحميل كل مسئول عواقب مسئولياته؛ كما نبه إليه عز شأنه في قوله:

﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴾(٦).

وقوله: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٧).

فالمسئولية تعني تحمل الإنسان جزاء ما يعمل.

أما إيجاب العفة وما تتطلبه من أسباب، فمفروض على الرجال، كما هو مفروض على النساء، كما يوضحه قوله تعالى:

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾(٨).

وقوله تعالى:

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾(٩).

وأما فرض تغطية المثيرات التي يدفع كشفها إلى انتهاك الحدود، والوقوع في الرذيلة.. فذلك أمر آخر ينظر فيه العليم الخبير إلى من جعلته الفطرة مصدر الإثارة، وإلى موضع التأثير والتأثر في هذا المصدر.. حتى يكون هو ـ على وجه التخصيص ـ محور فرض الحفظ والحماية.

ولا ريب في أن فطرة الخلق اقتضت أن تكون الأنثى ـ في شتى المخلوقات المتناسلة من حيوانات ونباتات وحشرات ـ هي مصدر

---

(٦) النجم (٣٦ : ٤١).

(٧) النحل (٩٧).

(٨) النور (٣٠).

(٩) النور (٣١).

تلك الإثارة، ومشتمل معظم المثيرات والرغبات، بما أحلها الخالق - جل وعلا - من وسائل تكوينية، كما يؤكده الواقع الماثل، وما كشفه العلم الحيوى، وكما يقرره الخالق العظيم - جل وعلا - فى قوله:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ ﴾(١٠)

وأعتقد أن تلك السيدة تدرك ما تصنعه الأنثى بنفسها، وما تحاول أن تضفيه على مثيراتها الطبيعية من منبهات إلى تلك المثيرات حتى تجتذب إليها من الرجال من قد يحاول التعفف عن النظر إليها، طلباً للنجاة من الوقوع فى الخطأ الذى لا تُحمد عواقبه.

لهذا... اقتضت شريعة الله أن تحفظ المرأة من جسمها ما يثير الفتنة، وما يطمع الرجل فى أن ينتهكه منها، ويستبيحه، فقال جل شأنه:

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(١١)

فإذا كنا نتلقى إرشادات الوقاية من المرض عن المصادر الطبية المتخصصة دون تردد، أو تساؤل عن الأسباب والعلل، فالأولى بنا أن نتلقى إرشادات الوقاية - من فتنة الإثارة، والوقوع فى فوضى الإشباع الجنسى المتحللة من النظم والقوانين - عن الخالق العليم البصير.

فليس الأمر أيتها السيدة أمر انحياز للمرأة أو للرجل، بل إن الأمر أخطر مما خدعك فيه افتراءات المبشرين.

الإسلامية.. لا ذكورية ولا أنثوية

فشريعة الإسلام التى كرمت بنى آدم على السواء، دون تفريق أو تمييز ذكر أو أنثى كما فى قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾(١٢).

هذه الشريعة حين تتحدث عن الذكر والأنثى - لا تتحدث عنهما من ناحية التميز الجنسى لأحدهما على الآخر، ولكن من ناحية الدور الوظيفى لكل منهما، الذى يكمل بعضه بعضاً، حيث يصرح القرآن الكريم بأن خالقهما واحد، وأن أصلهما واحد، كما فى قوله تعالى:

(١٠) آل عمران (١٤). (١١) النور (٣١). (١٢) الإسراء (٧٠).

﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴾(١٣)

وأن توحدهما مقصود لتوحد أنسالهما، كما فى قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(١٤)

فالأكرم هو الأتقى، وليس الذكر بخصوصه، وليس الأنثى بخصوصها.

ويؤكد المولى سبحانه على تساويهما فى قوله عز شأنه:

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾(١٥).

فالجميع - على التساوى - خلق الله تعالى، والجميع مخلوقون من نفس واحدة، أفرز منها زوجها، الذى ينشأ عنه وجود الزوجين.

فأين من هذه التسوية ما جاء فى رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس: «ولكن أريد أن تعلموا أن رأس كل رجل هو المسيح، وأما رأس المرأة فهو الرجل ورأس المسيح هو الله. كل رجل يصلى أو يتنبأ وله على رأسه شىء يشين رأسه، وأما كل امرأة تصلى أو تتنبأ ورأسها غير مغطى فتشين رأسها؛ لأنها والمحلوقة شىء واحد بعينه؛ إذ المرأة إن كانت لا تتغطى فليقص شعرها، وإن كان قبيحاً بالمرأة أن تقص أو تحلق فلتتغطَّ، فإن الرجل لا ينبغى أن يغطى رأسه لكونه صورة الله ومجده، وأما المرأة فهى مجد الرجل؛ لأن الرجل ليس من المرأة، بل المرأة من الرجل، ولأن الرجل لم يخلق من أجل المرأة، بل المرأة من أجل الرجل؛ لهذا ينبغى للمرأة أن يكون لها سلطان على رأسها من أجل الملائكة» (الإصحاح الحادى عشر).

فشريعة الإسلام التزمت الصالح العام فى كل ما قررته من أحكام، فلم يمل ميزانها ناحية جنس على حساب جنس؛ لأن الذى شرَعها هو رب الجميع، فاطرهم وباريهم، وهو العالم بما تنطوى عليه نفوسهم، وما تميل إليه حاجاتهم فى شتى مراحل الحياة، ومتقلبات الزمان، ومختلف البيئات؛ فما تبيحه فهو لصالح الجميع، وما تفرضه فهو لصالح الجميع، وما تحرمه وتنهى عنه فهو لصالح الجميع.. فى كل مكان وزمان، وما تخُص به طرفا ليس للتكريم ولا للتمييز، ولكن للمعاونة على أداء وظيفته الحيوية.

فلا يصح أن توصف شريعة الإسلام بما توصف به الشرائع الوضعية التى أفرزها فرد أو جماعة فى زمان معين، ومكان معين؛ لأن المخلوق يُشرِع ما يُشرع وهو خاضع لمؤثرات بيئية؛ فمَن تغلب عليه سلطة الذكر يسود ما

(١٣) النجم (٤٥، ٤٦). (١٤) الحجرات (١٣).
(١٥) الأعراف (١٨٩).

يفرزه من تشريع روح الذكر، فيُغفل كثيراً من حقوق الأنثى ومصالحها، وكذلك من تغلب عليه سُلطة الأنثى يسود ما يفرزه من تشريع روح الأنثى، فيُغفل كثيراً من حقوق الذكر ومصالحه. أما من يخضع لفلسفة «البراجماتية» فإن قصد المنفعة يقوده للخبط العشوائي، فنرى في تشريعه الجنوح يمنة، ثم يعود إلى الجنوح يسرة.

انتشار الإسلام..
بين الواقع وافتراء المبشرين

وتُردِّدُ السيدة تلك الفرية التي صنعها المبشرون، وروجوا لها بشتى الوسائل، حتى استولت على ألباب كثيرين من السُّذَّج، فتقول ـ موازنة بين الإسلام والمسيحية: «القرآن يحث على الغزوات، وقتل البشر لمجرد عدم انتمائهم إلى الإسلام، حتى انتشر الإسلام بحد السيف. أما المسيحية فتدعو إلى التسامح والمحبة، حتى إن بطرس الرسول عندما حاول رفع سيفه للدفاع عن المسيح قبل صلبه منعه المسيح ودعاه إلى التسامح.

وأقول لتلك السيدة ابتداء: ليتك قبل ترديد هذه الأكاذيب أو الشُّبهات راجعت بعض ما كتبه المنصفون من مفكري الغرب والشرق المسيحيين في ذلك الموضوع، حتى تقفي بنفسك ـ وأنت ناظرة الثانوية ـ على الحقيقة في تسلسلها وتتابعها مع ابتداء الدعوة إلى الإسلام إلى أن انتشر في كل مكان. ولعل من أحدث ما قُدِّم في هذا الشأن بالعربية كتاب «انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء» للأستاذ الدكتور «نبيل لوقا بباوي».

فالدعوة إلى الإسلام ابتدأت في مكة في ظل القهر القرشي الوثني الرافض لها، وظلت هكذا ثلاثة عشر عاماً، لم يتوقف خلالها القرشيون عن محاولات القهر، وإنزال أقسى ألوان التعذيب بمن يعتنق الإسلام، بما في ذلك ما بذل من وسائل الإغراء لصرف محمد ﷺ عن دعوته، أو التخفيف من رفض الوثنية.. ولكن شيئاً من ذلك لم يؤثر في انتشار الإسلام، واختراقه بيوت كثير من زعماء قريش، مما ألجأ القرشيين إلى دفع كثير ممن أسلم إلى الهجرة للحبشة، ثم الهجرة الشاملة ليثرب ـ على ما هو معروف ومشهور ـ فأين كان السيف الإسلامي في انتشار الإسلام؟!.. وأين كان الحث القرآني على القتال والغزو لهؤلاء المقهورين؟!..

والدعوة الإسلامية في مرحلتها الثانية في المدينة بعد الهجرة ـ ابتدأت وجودها بالسعي إلى نشر الإسلام بين مسلمي مكة المهاجرين ومسلمي المدينة الناصرين، حيث وثق العلاقة بين المهاجرين والأنصار بعقد التآخي بينهما، ووثق العلاقة بين المسلمين عموما واليهود بعقد الأمان معهم الذي نص على تأمين اليهود على حياتهم، ودينهم، وأموالهم، وعلى تساويهم مع المسلمين في المصالح العامة، والتمتع بما للمسلمين من حقوق إذا لم يشاءوا اعتناق الإسلام.

وما كان تعرض المسلمين لقافلة التجارة القرشية الذي أدى إلى معركة «بدر» ثم معركة «أحد» بدافع نشر الإسلام، ولكن الواقع التاريخي يؤكد أن ذلك حدث لاسترداد بعض الأموال التي نهبها مشركو مكة من المسلمين قبل هجرتهم وبعدها. فقريش في المعركة هي المهاجمة والساعية للحرب، والمسلمون كانوا في موقع الدفاع، حيث أذن لهم القرآن أن يدفعوا عن أنفسهم العدوان بعد أن توالى عليهم، فنزل قوله تعالى:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾(١٦).

وما كان يهود المدينة ليقبلوا رؤية الإسلام في صمت، فلجأوا إلى إغراء قريش بالعودة لمحاربة المسلمين، مع تعديل في الخطة يضمن لهم النصر، وذلك بأن يتحالفوا مع قبائل العرب، ويقوموا جميعاً بالانقضاض على المسلمين في المدينة، ووعدهم اليهود بالتعاون معهم، حتى يطبقوا على المسلمين من كل جانب، فزحف جيش ضخم من مختلف قبائل العرب، يؤازره في المدينة يهود بني قينقاع، والنضير، وقريظة الذين نقضوا عهدهم مع محمد، أملاً في أن تكون معركة فاصلة يُقضَى بها على محمد ﷺ والإسلام، ولم يبذل محمد وصحبه إزاء ذلك سوى حفر خندق ضخم يحمي المدينة من الجهة الشمالية من هجوم الأحزاب، وآزره عون الله ـ تعالى ـ بإرسال عاصفة على جيوش الأحزاب اقتلعت خيامهم، وألقت الرعب في قلوبهم، ومزقت شملهم، فعادوا أدراجهم.

وهكذا... كان الحال في جميع الحروب التي خاضها المسلمون... لم تكن فيها معركة واحدة من أجل نشر الإسلام أو الإكراه على الدخول فيه، وإنما كانت دفعاً لعدوان واقع على المسلمين، أو لمواجهة تمرد على الحكومة المركزية في المدينة، كتلك الحرب التي أطلق عليها «حرب الردَّة»؛ فهي إنما كانت حرباً ضد متمردين في أطراف الدولة الإسلامية، وما صنعه أبوبكر ـ رضي الله عنه ـ معهم لم يكن لإكراههم على الإسلام، وإنما كان لدرء تمردهم، كما تصنع اليوم أي حكومة مركزية مع من يتمردون عليها، أو يخرجون على النظام العام فيها... ولو كان المجال متسعاً لعرضنا لبدايات جميع الحروب التي نشبت ومازالت تنشب بين المسلمين وغيرهم.

فأين ـ في هذا وأمثاله ـ اعتماد محمد في نشر الإسلام على السيف؟!.. وأين تجدين حث القرآن على القتال والقتل في مثل قوله ـ عز وجل ـ:

---

(١٦) الحج (٣٩ ، ٤٠).

﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾(١٧).

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾(١٨)

وقوله سبحانه ـ وتعالى ـ:

﴿ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ﴾(١٩).

فما خاض المسلمون ميادين القتال عن رغبة فى القتال مطلقاً، وإنما كانت رغبتهم دائماً أن يقدموا أنفسهم تضحية من أجل دفع العدوان على الإسلام والمسلمين، كما يقرره الواقع التاريخى، ويوضحه قوله ـ تعالى ـ:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٢٠).

وأعود فأسائل تلك السيدة: أين ما تدعو إليه المسيحية من التسامح المطلق، والمحبة حتى للمعتدين.. مما جاء على لسان السيد المسيح عليه السلام: «لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاماً على الأرض.. ما جئت لألقى سلاماً، بل سيفاً» (متى: ١٠ / ٢٤)، وقوله:

«جئت لألقى ناراً على الأرض، فماذا أريد لو اضطرمت أتظنون أنى جئت لأعطى سلاماً على الأرض. كلا. أقول لكم: بل انقساماً»

لوقا: ١٢ / ٤٩ ـ ٥١)

ولماذا أمر السيد المسيح تلاميذه ببيع ثيابهم واشتراء السيوف فى قوله: «لكن الآن من له كيس فليأخذه، ومزود كذلك، ومن ليس له فليبع ثوبه ويشتر سيفاً»؟!..

(لوقا: ٢٢ / ٣٥ ـ ٣٦)

ولماذا طمأنه تلاميذه قبل مغادرة الجليل إلى أن معهم سيفين؟. «فقالوا يارب هو ذا هنا سيفان. فقال لهم: يكفى»؟!.

(لوقا: ٢٢ / ٣٨)

وكيف ساغ ـ مع هذا التسامح المطلق، والاستسلام الدائم للمعتدى دون دفاع ـ أن يحمل أحد تلاميذ المسيح سيفاً، ويستله ويضرب به عبد رئيس الكهنة، على ما جاء فى إنجيل متى: «وإذا واحد من الذين مع يسوع مد يده، واستل سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه»؟!.. (متى: ٢٦ / ٥١).

وما تقولين فى قوله: «أما أعدائى أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامى»؟!.. (لوقا: ١٩ / ٢٧).

---

(١٧) الأنفال (٦١).

(١٨) البقرة (١٩٠).

(١٩) البقرة (١٩١).

(٢٠) البقرة (٢١٦).

والجزية.. عنوان على سماحة الإسلام وعدالتـــــه

وتردد تلك السيدة مزاعم بعض المستشرقين قصار النظر أولئك الذين انساقوا وراء أهوائهم المضللة، فلم يروا حقيقة الجزية فى صورتها الوضيئة.. فتعيب على الإسلام فرض الجزية على غير المسلمين الذين يعيشون تحت حكم إسلامى، فى حين لا يطالب المسلم الذى يحيا فى دولة مسيحية بأية مبالغ، ويتم احترام ديانته وطقوسها بدون تدخل أو اضطهاد.

ولا شك فى أن هذه المزاعم ـ وما بُنى عليها ـ يسودها المغالطات، والافتراءات، والتضليل.

لأن الإسلام لم يفرض الجزية على غير المسلم عقاباً له، ولا إهانة، ولكنه ـ محافظة من الإسلام على كرامة غير المسلم المعاهد ـ فرضها ضريبة للمشاركة فى نفقات الجيوش الإسلامية التى تلزمها المعاهدة بالدفاع عن غير المسلمين، حيث توجب عقود الأمان أن يلتزم المسلمون بتأمين أهل الكتاب على أنفسهم، وأموالهم، وعباداتهم، وشئونهم الخاصة.

فليس من المعقول أن تدافع الجيوش الإسلامية عمن تعاهدهم ويعيشون فى كنفها، دون إسهام منهم فى نفقات تلك الجيوش.

وليس من العدالة، ولا من السماحة أن يجبر غير المسلم على الانضمام إلى الجيش الإسلامى الذى يتحرك لأهداف إسلامية.

يضاف إلى هذا... أن المسلم مُلْزَمٌ ـ كذلك ـ بأداء فريضة الزكاة وهى حصة مالية معينة ومتنوعة يلزم كل مسلم ـ لتمويل النفقات العامة فى الدولة الإسلامية، تشبه ما يسمى «الضرائب» فى العصر الحديث.

ولا أدل على سماحة الإسلام وعدالته من أن قيمة الجزية لم تكن ثابتة فى كل الأحوال، ولكنها تختلف باختلاف القدرات المالية والأحوال العُمْرية لمن تُفْرض عليهم.

فالجزية التى فرضت على أهل «جرباء»، و«أذرح» مثلاً كانت مائة دينار، بينما على أهل «آيلة» ثلاثمائة دينار، وذلك مراعاة للاستطاعة المالية لكُلٍ.

وتختلف الجزية باختلاف القدرة القتالية، فقد خص الإسلام بفرض الجزية على من يستطيع المشاركة فى الحرب، وأعفى منها من لا يستطيع؛ فلا جزية على الطفل، ولا على المرأة، ولا على الشيخ المسن، ولا على المريض، ولا على الراهب فى صومعته.

ثم إن غير المسلم إذا اشترك بإرادته الخالصة مع جيوش المسلمين فى الحرب تسقط عنه الجزية.. كما نص على ذلك

في عقود الأمان التي أبرمها الرسول ﷺ وخلفاؤه ـ رضي الله عنهم ـ من بعده.

كما إن المسلمين إذا لم يستطيعوا توفير الأمان لغير المسلمين، وكفالة الحماية لهم أُسقطت عنهم الجزية، كما نص على ذلك في العقد الذي كتبه خالد ابن الوليد في كل معاهداته، حيث ينص فيه: «إن حميناكم فلنا الجزية، وإلا فلا»، حتى إن أبا عبيدة بن الجراح قائد المسلمين في حرب الروم بالشام أمر نوابه برد الجزية لمن أخذت منهم عندما أبلغوه أنهم غير قادرين على صد قوات الروم، والدفاع عن ساكني البلاد من أهل الذمة، ولم يقف عند ذلك الحد، بل أمرهم أن يعلنوا ذلك.

وعلى العكس مما رددته السيدة من أن المسلم الذي يحيا في دولة مسيحية لا يُطالب بأية مبالغ، ويتم احترام ديانته وطقوسها بدون تدخل أو اضطهاد..

فإن الواقع الماثل يؤكد كذب هذا الزعم كلية، فأي مسلم يحيا في أي دولة مسيحية يُطالب بكل ما يطالب به المسيحي من أموال والتزامات عينية ومعنوية، حتى إنه يُجبر على الاشتراك في الجيش، ويؤدي مدة التجنيد الإجباري، حتى قد يفرض عليه أن يذهب لحرب المسلمين في أثناء الغزوات الاستعمارية التي تكاد تعاني منها كل الدول الإسلامية اليوم، كما حدث في غزو أمريكا لأفغانستان وللعراق، وكما حدث قبل ذلك بقليل في حرب والبوسنة والهرسك، وكما حدث من قبل من الجيوش الانجليزية في مصر، والجيوش الفرنسية في الجزائر. ولا ننسى الحرج الذي أصاب أحد الجنود المسلمين في الجيش الأمريكي أثناء حرب العراق، حين سُئل عن مشاعره وهو يحارب إخوانه المسلمين، في حديث مصور بثته القنوات الفضائية.

يُضاف إلى هذا أن تلك السيدة غفلتْ أو أغفلت عن عمد ما تعانيه الفتاة المسلمة في كثير من الدول المسيحية بسبب التزامها في ملابسها بأحكام دينها تحت سمع وبصر العالم المسيحي المتسامح!!!... ومنظمات حقوق الإنسان!!!!.... من تعسف في حياتها العامة والخاصة، يصل إلى منعها من الانتظام في دراستها، حتى تضطر إلى اللجوء للقضاء.

فأين يا سيدتي هذا الاحترام الذي تكفُله الدولة المسيحية للمسلم والمسلمة؟!!..

«يتبع»



في محيط الدعوة

ثقافة الداعية المعاصر

للدكتور / حمدي فتوح والي

الدعوة إلى الله شرف لايرقى إليه إلا الكاملون، ولا يتأهل للوصول إليه إلا العاملون المخلصون؛ فهي مهمة الرسل، الذين هم خيرة الله من عباده، وسفراؤه إلى خلقه، وهي مهمة خلفاء الرسل وورثتهم من العلماء العاملين، والربانيين الصادقين. وهي أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله تعالى

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾(1).

والداعية رجل صفت نفسه، ورق قلبه، وخشعت جوارحه، ولان فؤاده، فهو دائم التلقي من ربه، شديد التوجه إليه، عظيم الرجاء فيه يرجو رحمته ويخشى عذابه، وهو بين الخوف والرجاء دائم الأمل في وجهه أن يقبل منه عمله، وأن يبارك له سعيه، وأن يفتح له قلوب الصالحين من عباده، ولسان حاله يردد:

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾(2)

راجيا أن يسلكه ربه في مقام المصلحين الذين قال فيهم:

﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾(3).

والداعية الذي نقصده شيء غير الخطيب، فإذا كان الخطيب خطيبا وكفى فالداعية مؤمن بفكرة، يدعو الناس إليها بالكتابة والخطابة والحديث العادي، والعمل الجدي، في سيرته الخاصة والعامة وبكل ما يستطيع من وسائل الدعاية، فهو كاتب وخطيب ومحدث وقدوة يؤثر في الناس بعمله وشخصه.

(1) فصلت (33). (2) البقرة (127). (3) الأعراف (170).

والداعية أيضا طبيب اجتماعي يعالج أمراض النفوس، ويصلح أحوال المجتمع الفاسدة، فهو ناقد بصير، يقف حياته على الإصلاح إلى ما شاء الله، وهو رفيق وصديق، وأخ للغنى والفقير، والكبير والصغير، ومن هذه الصفات تشيع المحبة في قلبه، وتتدفق الرحمة من عينيه، وتجرى المواساة على لسانه ويديه، وهذا ضرورى جداً للداعية.. ودعوته فيض من مواهب الروح والجنان، لا من صفات البلاغة وملكات اللسان، والداعية قائد في محيطه، وسياسى في بيئته، وزعيم لفكرته ومن يتبعه في ناحيته، وكل هذا لا تنهض الخطابة وحدها بحقوقه، فلابد له من التأثير النفسانى، والهيمنة الروحية، والاتصال بالله، واستعانة العقل بما حصل من تجارب التاريخ، وأحوال الناس»(٤).

والداعية رجل يعيش هموم أمته، شاعراً في نفسه أنه المسئول وحده عن أمنها واستقرارها، وحراسة عقيدتها وصيانة كيانها، إنه يشعر أن كل خطر عليها هو خطر عليه، وكل بأس يصيبها فإنه نازل به، إنه منها بمنزلة الراعى الشفوق على غنمه، والأب الحانى على بنيه.

ولقد قرأت افتتاحية العدد قبل الماضى من مجلة الأزهر – فرأيت كيف يكون الداعية مهموما بأمته، غيوراً على عقيدتها، مشفقا على مستقبلها، وحريصا على أمنها واستقرارها فهو يرى ببصيرته ما تعجز بصائر الكثيرين عن رؤيته، ويدرك بخبرته وفطانته ما يحاول الخبثاء الماكرون تمريره بحذقهم ومرانهم، وكثرة إتقانهم لفنون الدس والتمويه والتضليل والخداع. فعلمت أن الداعية ينبغى أن يكون بصيراً بأحوال أصحاب الأقلام، فطنا لأساليبهم، واعيا لما تضمره النفوس الملتاثة من خبث وما تضمره من كيد، يخفى على البسطاء والعوام ويدركه ذوى البصائر والأفهام.

وهذا الصنف من المشككين والمرجفين قديم قدم الدعوة ذاتها ومن أجل ذلك خاطب الله نبيه بقوله:

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾(٥)

ولايكفى في الداعية أن يكون مؤمنا بدعوته مخلصا لفكرته، مهموماً بآلام أمته، بل لابد مع ذلك أن يكون واعيا بثقافة عصره، متسلحا بسلاح خصمه، قادراً على رصد أساليبه وخططه، لاسيما وقد ازدهرت في زماننا اليوم علوم حديثة نشأت في ظل الحضارة المادية الأوروبية. ونمت في بيئات دنيوية وإلحادية، غاية همها امتاع الجسد، ورهافة البدن ونعومة العيش.

والحضارة الغربية في دراستها المتعددة لهذه العلوم لم تشأ أن تربط بينها وبين الخلق الكريم والتصور الإيماني السليم «ولهذا كان الداعية المعاصر مضطرا تمام الاضطرار إلى أن يلم بهذه العلوم، كي يقنع هذه العقول

(٤) تذكرة الدعاة، البهي الخولي، ص٦، مكتبة الفلاح ١٩٧٩.

(٥) محمد (٣٠).

المتشككة، فإذا اقتصر على الكتب الدينية وحدها جوبه بما لايستطيع الثبات أمامه من اعتراضات، وأصبح داعية السذج من العوام. وهؤلاء مؤمنون أصلا بفطرهم السليمة، لايحتاجون إلى جهد جبار في الدعوة إلى الرشاد. وهو بمعاودة إرشادهم لايضيف أرضا جديدة للإسلام، وإن كان عمله لايخلو من نفع واضح في تأكيد العقيدة وتثبيت القلوب على الإيمان ولكن الأهم من ذلك كله، أن يرتقى بنظره إلى الخاصة ممن درسوا علوم العصر فتعرضوا لزعازع الشك، ومنهم من أراح نفسه حين استكان إلى الإلحاد جهلا وقصورا، ومن لم يسلك هذا السبيل قد صار في مهب العواصف لايدرى أين يتجه، فإيمانه الموروث يدعوه إلى الثبات والصمود وزعازع العلوم المعاصرة تهب عليه من كل سبيل فتزعزع الرواسخ من قواعد هذا الإيمان. ولابد من أن يتجه الداعية إلى دراسة هذه العلوم، ليميز الخبيث من الطيب ويجذب إليه نفوسا تريد أن تنكمش وسائل الإرشاد فتضل السبيل»(٦).

وهذا ما يؤكده الشيخ محمد الغزالى – رحمه الله – فيقول منكراً على المسلمين جهلهم بواقعهم، وانشغالهم بأمور صغيرة، واهتمامات حقيرة: «ترى ماذا يشغل فقهاءنا ومفكرينا، إذا كانت حياة الدين كله في مهب العواصف؟! وما هي القضايا الأهم التى تشد انتباههم ويبدأون فيها ويعيدون؟ وإذا كان المسلمون حملة دعوة عالمية فهل درسوا العالم حولهم، وعرفوا ما يسوده من ملل ونحل؟ وهل عرفوا العدو والصديق؟.

وإذا قيل لهم في كتابهم عن المتربصين بهم:

﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾(٧).

فهل فتحوا أعينهم على مكامن الخطر، واتخذوا أسباب الحيطة»(٨).

وبجانب إيمان الداعية بدعوته، وحرصه الشديد على انتشار فكرته ينبغى ألا ينسى أن مفاتيح القلوب ليست بيده، وإنما القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء، وأن يعلم أن بيانه القوى، وفؤاده الزكى وعزمه الفتى، كل ذلك لايكفى لفتح قلب أوغل في الباطل وأمعن في الضلال. وأن يتذكر دائما قول الخالق سبحانه:

﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾(٩).

وينبغى ألا يستوحش من الطريق إذا رأى قلة السالكين، ولايفت في عضده إعراض المعرضين وليتذكر قول ربه لنبيه:

(٦) مجلة الأزهر، افتتاحية عدد رجب ١٤٣٢ هـ.

(٧) البقرة (٢١٧).

(٨) هموم داعية، الشيخ محمد الغزالي ص ٤٩.

(٩) البقرة (٢٧٢).

﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾[10]

وليعلم أن الله سائله عن بذل الجهد وإحسان العمل وإخلاص النية ودقة الالتزام بدين الله رب العالمين، ولن يسأله عن إعراض المعرضين وقلة المهتدين فقد عذره سبحانه وتعالى بقوله:

﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ۝ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾[11].

وعلى الداعية أن يتذكر دائماً أنه مبلغ عن ربه فيتأدب بأدبه فيطهر باطنه من الحقد والحسد والعجب والكبر والظلم والعقوق، ويطهر لسانه من الغيبة والنميمة والكذب وقول الزور. لأنه إن فعل شيئا من ذلك كان أهلا لأن ينفض الناس عنه، ويزهدون في الجلوس إليه أو القرب منه وقد علمنا ربنا سبحانه وتعالى أن نجاح الداعية في دعوته موقوف على إيمانه بها والتزامه بمبادئها وأخلاقها في قوله سبحانه على لسان نبيه:

﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾[12]

وإذا علم الداعية أنه يبلغ عن الله عز وجل فيجب عليه أن يكون أمينا في نقله عن ربه متحريا في نقله عن نبيه ﷺ وليحذر أن يتعمد الكذب على رسول الله ﷺ حتى لو ظن أن كذبه سيجلب نفعاً أو يدفع ضرراً فإن الكذب على رسول ليس من المواضع التي يرخص فيها الكذب لقوله ﷺ: «ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[13].

وليحذر الداعية من الانزلاق وراء إغراء الحكاوى والقصص التي تعجب السامعين وتجذب العوام، وليست من الحقيقة في شيء، بل غالبا ما تأتي هذه القصص أقرب إلى الخرافة وأبعد عن الواقع وأدعى إلى الرفض والسخرية وعدم التصديق. ومثل هذه القصص الساذجة تنزل بقدر الداعية والدعوة وتعطى لأعداء الدين فرصة ليشككوا فيه ويسخروا منه ويتطاولوا عليه، متخذين من تلك الإسرائيليات سلاحاً يهزون به الراسخ من العقائد والثابت الصحيح من قواعد الدين.

وعلى الداعية الذى من الله عليه باستكمال جوانب الدعوة إيمانا وأخلاقا وثقافة، أن يوطن نفسه على تحمل ما يقع له في طريق الدعوة من أذى وأن يحتسب ذلك كله عند الله، وأن يعلم أن مهر الجنة غال.

ومن يخطب الحسناء لم يغلها المهر.

وليتذكر دائما قول نبينا ﷺ: «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات»[14].

---

(10) يوسف (103).
(11) النمل (80، 81).
(12) هود (88).
(13) البخاري 38/1.
(14) مسند الإمام أحمد 2/260، 308.

قراءة إيمانية في كتاب الكون والحياة

للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا

قال تعالى:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ فصلت (53)

أ) من آيات الله في الآفاق

دورة حياة النجوم

توصل العلم الحديث إلى معرفة دورة حياة النجوم في مراحل تطورها المختلفة من خلال الأرصاد والدراسات العلمية التي أجراها الباحثون بمساعدة تقنيات الفضاء والمراصد المتقدمة، ومثلما يحدث لأي كائن حي، فإن النجوم تولد وتشيخ ثم تموت في الفضاء الكوني. وتقضي أكثر النظريات العلمية قبولاً عن نشأة الكون بأن النجوم تتكون بطريقة واحدة من سحابة غازية أساسها غاز الهيدروجين وغبار نجمي موجود في الفضاء بنسب مختلفة. وتأخذ السحابة النجمية أثناء تحركها شكلاً كرويا، ثم تبدأ في الانكماش تدريجيا نتيجة لقوة التجاذب والضغط والحركة، وتتركز الأتربة والغازات في اتجاه المركز. وباستمرار عملية الانكماش تبدأ درجة الحرارة في الارتفاع تدريجيا بدءا من المركز، وتستهلك الحرارة الناتجة من هذه العملية في تسخين الطبقات التالية حول المركز حتى يتم تسخين معظم طبقات السحابة الغازية وينبعث فائض الطاقة الحرارية خارجها. وعندما تتكون مثل هذه السحابة في البداية يكون قطرها حوالي ١٥٠٠٠ مليون كيلو متر (أي حوالي ضعف حجم المجموعة الشمسية حاليا)، وتسمى (السحابة النجمية المعتمة). وقد رصد الفلكيون العديد من هذه السحابات المعتمة داخل مجرة الطريق اللبني التي تنتمي إليها مجموعتنا الشمسية. ويعتقد العلماء أن كلاً من هذه السحب النجمية المعتمة تعتبر «نواة» لنجم جديد (أو نجوم جديدة) في طور التكوين.

وباستمرار عملية انكماش السحابة وارتفاع درجة حرارتها تبدأ في الوميض نتيجة الانبعاث الحراري، ويبدأ لونها في الاحمرار قليلاً، وعندما تصل درجة حرارة المركز إلى حوالي ١٠ ملايين درجة، تبدأ التفاعلات النووية، فيتحول غاز الهيدروجين إلى غاز الهليوم، ويصحب هذه العملية (المعروفة باسم الاندماج النووي) انطلاق طاقة هائلة تعمل على رفع درجة الحرارة وتماسك السحابة وانكماشها ولمعان سطحها. ويستمر هذا التفاعل إلى أن يحدث شيء من الاتزان بين الطاقة الناتجة من التفاعلات وبين الضغوط الواقعة على السحابة الغازية. والوصول إلى هذه الحالة من الاتزان يحتاج لفترة زمنية تقدر بملايين السنين. وتُقدَّر الفترة الزمنية اللازمة لميلاد نجم في مثل حجم الشمس بحوالي ٥٠٠ مليون سنة. أما الزمن الكافي لإتمام عملية احتراق الهيدروجين به فيقدَّر بفترة تتراوح بين ١٠ و ١٥ بليون (ألف مليون) سنة.

ويزخر الكون بالعديد من أنواع النجوم ذات الأعمار المختلفة من مراحل تطورها، فهناك ما يسمى «النجوم الزرقاء» و«العمالقة الحمراء» و«الأقزام البيضاء»، وغيرها. وقد أمكن التعرف على أنواع النجوم وتوزيعها بعد مشوار طويل من البحوث والأرصاد الفلكية للتجمعات النجمية التي يحوي كل منها نجومًا ذات عمر واحد تقريبًا، وتعرف باسم «الحشود النجمية» Clusters.

أما إذا اعتبرنا حال النجوم من حيث كتلتها فإننا نجد أن فترة شبابها تطول أو تقصر في تناسب عكسي مع الكتلة، بمعنى أن عمر النجم يكون قصيرًا كلما كانت كتلته كبيرة نظرًا لتعاظم جاذبيته التي تنهكه فيحرق كميات هائلة من «هيدروجينه» في زمن قصير. وتقدر فترة شباب الشمس بنحو عشرة بلايين سنة، وبالنسبة لنجم عملاق تزيد كتلته بمقدار ٢٥ ضعفاً قدر كتلة الشمس فإن فترة شبابه لا تتعدى سبعة ملايين سنة. ويقف العلم عاجزاً عن تفسير ما يسميه العلماء «بالسكتة الفلكية» التي تحدث بالانفجار المفاجئ للنجوم العملاقة التي تعمّر ملايين السنين، ناهيك عن تفسير عملية «احتضار» بعض أنواع النجوم التي تستمر آلاف السنين قبل أن يموت النجم نهائياً، بمعنى أنه يصل إلى درجة من الخمود في تفاعلاته الداخلية والتقلص في مكوناته المادية تجعله في عداد «الموتى»، ولقد اكتشف بالفعل أمثال هذه النجوم «الميتة» وأمكن التعرف عليها، كما أن هناك نجوما مازالت تتكون في الوقت الحالي، ونجومًا أخرى كثيرة قد عاشت حياتها، فسبحان الخالق القادر على إعادة الخلق للأحياء والكائنات، والقائل في محكم التنزيل:

﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

(يس ٨١ - ٨٣)

أقــدار الأنهــار

قال تعالى:

﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (١٧) ﴾

(سورة الرعد: ١٧)

تدلنا هذه الآية القرآنية الكريمة على أن الله - سبحانه وتعالى - قد أنزل من السماء مطرًا فأخذ كل وادٍ في الأرض بحسب قدره واتساعه، فهذا كبير وسع قدرًا أكبر من الماء، وهذا صغير وسع من الماء بقدر، وجاء على وجه الماء الذي سال في هذه الأودية زبد عالٍ عليه، وكان من حمولة السيل ما يُسبك في النار من حلية: ذهب وفضة ونحاس طلبًا للزينة، أو ما يُجعل منه متاعًا.

وتشير الآية الكريمة في قوله تعالى:

﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾ إلى ما يعرف في العلم برتبة الأنهار Stream Orders، حيث تصب الأنهار الصغيرة في الأنهار الكبيرة، وبذلك توجد أنهار رئيسية وروافد لهذه الأنهار، والنهر ذو الرتبة الأولى لا يتبعه روافد، والنهر ذو الرتبة الثانية ينشأ من التقاء نهرين من أنهار الرتبة الأولى، وهكذا تتحدد بقية الرتب وفقًا لعدد مستويات الروافد التي تصب في النهر.

وتحتوي معظم أنهار العالم الكبيرة على ما يقرب من ١٢٠ جزءاً من المليون من الأيونات الذائبة Dissolved ions، أي أن كل لتر من ماء الأنهار يحتوي على ١ / ١٠ جرام من المواد الذائبة، وتحمل أغلب أنهار العالم الجزء الأكبر من حمولتها في هيئة مواد معلقة، أما حمولة القاع Bed Load فتوجد على هيئة رواسب قابلة للتدحرج أو الانزلاق.

ومما لا شك فيه أن معظم حمولة الأنهار، سواء كانت معلقة أو حتى ذائبة، بالإضافة إلى حمولة القاع، مصيرها أن تستقر على القاع بعملية الترسيب، مكونة الرواسب المختلفة التي تتماسك بعد ترسيبها وتتكون منها الصخور الرسوبية. وتلك الحمولة المستقرة تتحدث عنها الآية الكريمة في قوله تعالى:

﴿ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾.

ويحدثنا العلم الحديث عن هذه الرواسب فيصنفها إلى ما يسمى «برواسب المكث» Placer deposits، وما يسمى «برواسب أو صخور رسوبية» Sedimentary rocks. أما رواسب المكث فيتركز فيها الذهب ومعه كثير من المعادن الثقيلة مثل الفضة والجارنيت والفلورايت وغيرها. وفي الولايات المتحدة الأمريكية يستخرج الذهب بنسبة ٥ - ١٠٪ من الإنتاج من رواسب المكث. وأما الرواسب النوعية فتتكون مثل رواسب المكث في قاع النهر أو على شاطئ

البحر. وتكون الرواسب بصفة عامة الأراضى الخصبة فى دلتا الأنهار وقد تحوى ثروات الغاز الطبيعى كمصدر مهم من ثروات الطاقة. ويتسع مدلول قوله تعالى «ما ينفع الناس» ليشمل رواسب الرمل المستخدمة فى صناعة الزجاجيات، ومواد البناء، وخلايا الطاقة الشمسية، وكذا رواسب الطين المستخدمة فى صناعة الخزفيات والأسمنت وغيرها.

ومن بديع صنع الله - تعالى - أن تشق الأنهار مجاريها ذات الجوانب الحارة فى سلاسل الجبال فى تحدٍّ عجيب. وعادة ما ينشأ النهر فى الأرض الممهدة ذات الانحدار اللطيف التى تغطى سلسلة الجبال المدفونة تحت سطحها، أى أنه يركب فوقها. وينحت النهر رواسب الأرض ويكوّن أخدودًا فى السلسلة الجبلية. إنها يد القدرة الإلهية التى أوحت إلى النهر ومكنته من تحدى الجبال الراسيات. وكثير من السبل فى الجبال ما هى إلا أودية جافة، وصدق الله العظيم حيث يقول:

﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾

(سورة الأنبياء : ٣١)

ب) من آيات الله فى النفس

الجوع والشبع

قضى الله - تعالى - على الإنسان احتياجه للطعام منذ خلقته الأولى فى الجنة إلى حياته الأخرى، ومن ثم كان حاله مستمرًا بين الجوع والشبع. وذكر القرآن الجوع فى مواضع عدة، لكل منها دلالته فى سياق الموضوع. من ذلك ما جاء فى سياق امتنان الله سبحانه وتعالى على قريش بأنه أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف. فأجدر بهم أن يكونوا شاكرين لهاتين النعمتين من نعم الله، عابدين إياه، وهو صاحب البيت الذى أكرمهم بإقامته فى أرضهم. قال تعالى:

﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾

(سورة قريش : ٣، ٤)

والإنسان من الكائنات التى تتغذى بغيرها، وذلك تمييزًا له عن الكائنات ذاتية الاغتذاء، أى التى تبنى غذاءها بنفسها كالنبات. والمعدة هى موضع اختزان الطعام لتنظيم هضمه، فضلا عن دورها المهم فى عملية الهضم ذاتها، وإن كان الذين يبتلون باستئصال معدهم جراحيا يستطيعون الحياة بدونها فى ظروف خاصة. وتقوم المعدة بتفتيت الطعام آليا إكمالاً لما لا تستطيع الأسنان عمله، ثم تصب عصارتها الهاضمة عليه، وتمزج هذا الخليط مزجا جيداً، ثم يمرر هذا المزيج إلى الأمعاء قليلاً قليلاً حتى يتم هضمه.

وحيث إن الجوع والشبع مرتبطان مباشرة بالهضم فى المعدة، بدءا من

التهيؤ لتناول الطعام ووضعه فى الفم، حيث تنشأ رسائل عصبية من الدماغ عند رؤية الطعام أو شم رائحته، بل حتى أحيانا لمجرد التفكير فيه. وهذه الرسائل العصبية تهيىء المعدة لاستقبال الطعام. وبعد استقرار الطعام فى المعدة تبدأ تموجاتها العضلية لتقليب ما فيها وخلطه، وفى أول الأمر تكون هذه التموجات بطيئة وضعيفة، ولكنها ما تلبث أن تزداد قوة، فلا يمضى نحو ساعة حتى يصبح الطعام دائرا فيها كما تقلّب الملابس فى الغسالة الكهربائية. وتعرِّض الطعام لحموضة المعدة الشديدة يفكك الخلايا النباتية والأنسجة الحيوانية، ويهيؤها لفعل إنزيم «الببسين» الهاضم للبروتينات، هذا فضلا عن أنه يقتل معظم الكائنات الدقيقة الضارة التى تدخل مع الطعام. وفى النهاية تصبح محتويات المعدة مزيجا لزجا كالحساء الكثيف، شديد الحموضة، وعندئذ يقل إفراز «الجاسترين» الحافز لإفراز المعدة فيقل إفراز الحمض والأنزيمات، وتبدأ عضلة «البواب» فى نهاية المعدة فى إمرار الطعام إلى الأمعاء بمقادير قليلة وعلى فترات متباعدة، وتتم المعدة إفراغ محتوياتها فى بضع ساعات، باختلاف الأشخاص والظروف وطبيعة الطعام، وبعد ذلك يبدأ الشعور بالجوع فى الازدياد بمرور الوقت.

وقد حذرنا رسول الله ﷺ ألا نأكل حتى نجوع، فلا ندخل طعاماً على طعام لم يهضم بعد، وهو توجيه صحى نبوى حكيم. والمعدة الفارغة تكون أكثر ترحيباً بالطعام المبتلع وأقدر على هضمه وتمثيله لإطلاق الطاقة الضرورية لبناء الجسم ونموه وتجديد أنسجته.

والإنسان كثيراً ما يخالف فطرته السوية، فيأكل من الطعام أكثر مما يحتاج إليه، بل أكثر مما يطيقه، وذلك بالتفنن فى إعداد الوجبات وتناول المشهيات، فيكون لذلك أوخم العواقب.

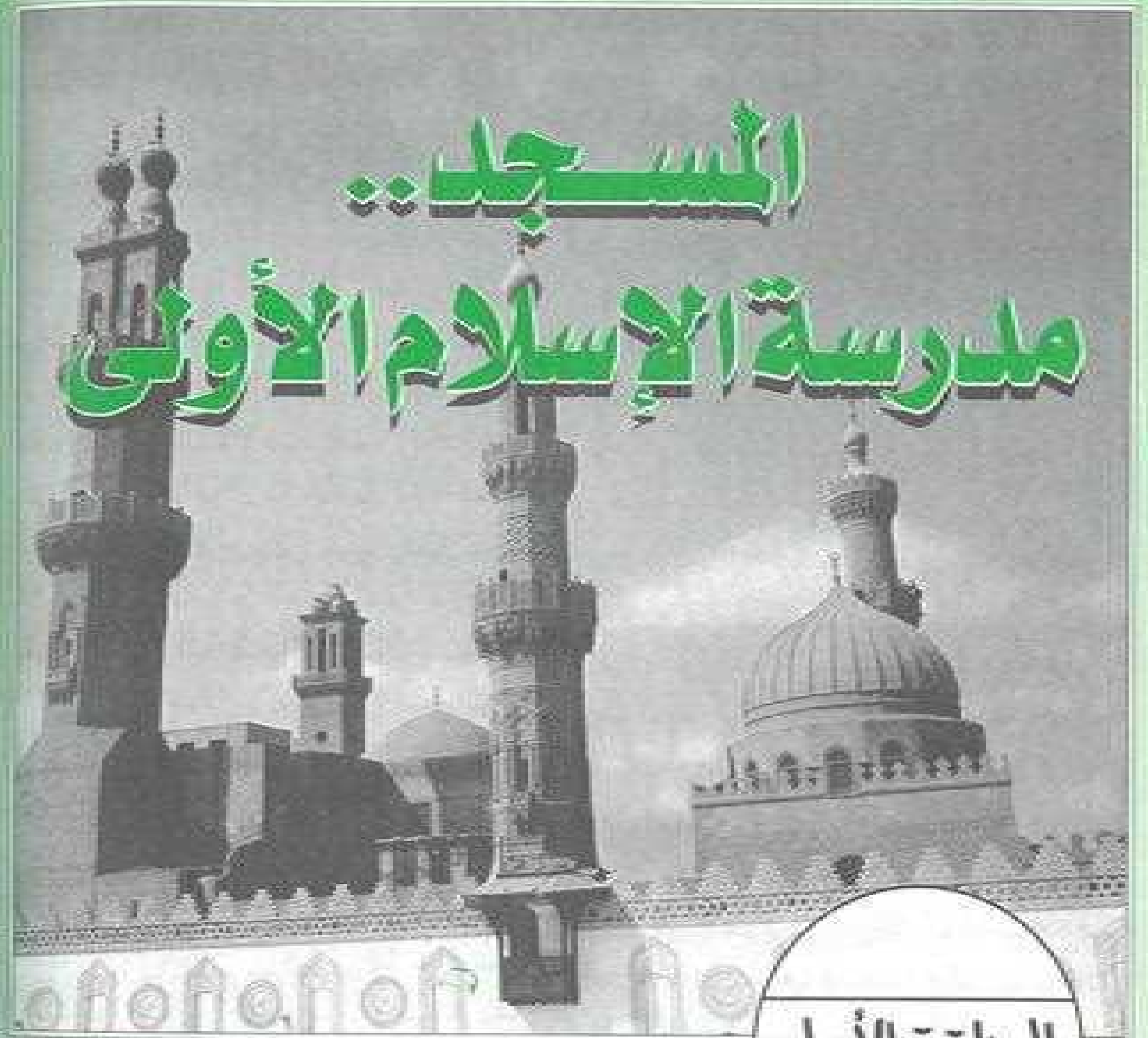
ولعل فى هذا ما ينبهنا إلى حكمة الإسلام، من توزيع صوم الفرض (شهر رمضان المعظم) والنوافل توزيعا منتظما على مدار العام، فيضمن للجسم حالة دائمة من الحيوية والنشاط والتعود المستمر، ويفيد المسلم من مزايا الصوم الصحية، فضلاً عن مزاياه التعبدية والروحية. مصداقًا لقوله تعالى:

﴿ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

(البقرة : ١٨٤)

***

المسجد.. مدرسة الإسلام الأولى



الحلقة الأولى

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

ليس فى الإسلام وحده يلوح دور العلم بارزاً وخطيراً، ففى كل قوانين الأرض والسماء يقف العلم فى صدارة الصدارة، قابضاً على زمام التطور، حارساً لاندفاع الحياة، مفجراً لطاقات الوجود.. ولكنه فى الإسلام وحده يلوح علماً ملتزماً بشرف الحركة، وإنسانية الإبداع، لأنه يستمد عناصر بقائه ونمائه جميعاً (تحت راية الإسلام) من مضمون الحركة الإسلامية الفاتحة، بكل ما تحمل هذه

الحركة فى أطوائها للعالم من قيم الحق والخير والجمال.. فلا يكون غريباً إذن أن تتوجه الحركة العلمية المسلمة بكاملها إلى الذود عن حياض الحق، والقتال تحت راية الخير، وامتشاق السيف فى وجه القبح دفاعاً عن حضارة الجمال.

فإذا كان للعلم كل هذا الدور الخطير فى حياة الإسلام كحركة شمولية، وفى حياة المسلمين كدعاة لعالمية الحب والذكاء والإيمان، فما هى الضمانات الباقية التى تكفل له النمو، وتساعده على التطور، وتحْذُو خطواته على طريق الإبداع؟

هل المعمل؟ والمختبر، وغرف التشريح؟ وأقبية التجريب؟ وقياسات القوى المادية؟ هى ضمان البقاء والتطور والإبداع للعلم (من المنظور الإسلامى)؟؟ هذه كلها بالتأكيد وسائل الحركة العلمية فى تطوير ذاتها ومساراتها، وهى وسائل حضارية تستتبع وسائل أرقى منها وأشمل، والمجتمع الإسلامى مطالب على كل مستوياته أن يجيدها وأن يكدح فى سبيل احتوائها، حتى لا يقع على أرض الصراع فاقداً قدرته على الحركة، قابلاً لمزيد من التراجعات التى شوهت تاريخه المعاصر، وحاصرته فى وضعية حضارية خزيانة الأسارير!!

ولكن هذه المنجزات الحضارية ليست بالتأكيد أيضاً هى كل ضمانات استمرار الحركة العلمية الإسلامية فى طريقها القاصد، واندفاعها إلى غاياتها العقائدية والإنسانية فى غير تلعثم أو انكفاء، ربما لسبب بسيط وبديهى: هو أن العلم التجريبى يحتاج فى حركة تطوره وتكامله إلى قلب ينبض داخله، حتى لا ينجرف بقوة الدفع الذاتى إلى تدمير كل شىء: الحضارة.. والإنسان.. والحياة.. وهذا هو ما تضع الحركة الإسلامية كل شروطها عليه!!

إن العلم الإسلامى -وعفواً للذين يرون فى العلم لغة عالمية لا مسلم فيها ولا بوذى- يضع الجانب العقائدى منه شروطه على الجانب التجريبى، ليس بمعنى أنه يحد من قدرته على الخلق، وليس بمعنى أنه يذوده عن التجريب فى شىء، وليس بمعنى أنه يحكمه بمنطق الأمر والطاعة.. ولكنه يضع شروطه عليه.. بمعنى أنه يعطى حركته الهائلة محتواها العقائدى الحامل لهموم الإنسان وأشواقه وطموحاته، ويوجه طاقاته الهائلة كذلك إلى تطوير الحياة وإضاءة جوانبها بمشاعل الحب والوفرة والأمن والاقتدار.. إن الذين يسخرون من مصطلح (العلم الإسلامى) يستطيعون أن يروا ماذا فعلت القنبلة الذرية فى ناجازاكى وهيروشيما، ويستطيعون أن يروا ماذا يفعل النابالم الإسرائيلى بالجماهير العربية المطالبة بحق الحياة.. ولعلهم لا يتورطون فيسألون: أما فعل النابالم العربى بالزحوف الإسرائيلية مثل ذلك وأفدح؟؟ إن طبيعة موقف كل من الفريقين تحدد حتمية من منهما

يستحق أن يوجه إلى عينيه النابالم، وإلى صدره الرصاص.. إن الزحف الإسرائيلى قادم وهو يحمل راية الاقتلاع.. بينما تقاتل الجموع العربية من أجل الأرض والعرض والبقاء.. فأيهما ينبغى إذن أن يضرب وأن يقص جناحاه؟.. إن العلم العقائدى هو الذى يضرب القاتل، ولكن العلم الملحد هو الذى يقاتل المضروب!!

وما دام ذلك كذلك.. ما دام العلم التجريبى - فى الإسلام - محكوما بشروط العلم العقائدى، فما هى ملامح هذا العلم العقائدى الحاكم؟ وما هى المحاضن الأولى التى شب فى أكنافها وترعرع؟ هل هناك (أكاديمية) إسلامية ترعى هذا العلم؟ وهل هناك متخصصون فى كل تفريعاته واتجاهاته يعملون على الحفاظ على مواريثهم العلمية، ويقومون بجانب من جوانب الإضافة والإخصاب؟

أؤكد هنا.. أن المسجد قد لعب هذا الدور الخطير، فكان أكاديمية الإسلام الكبرى فى كل مرحلة من مراحل الزمن، وفى كل طور من أطوار التاريخ، فى رحابه درج العلم يافعا وفتيا، وعلى حصيره الساذج انبثقت ثورات علمية وفكرية ودينية غيرت ملامح الفكر، وشكلت اتجاهاته وسماته، ومن فوق منبره جلجلت صيحات نفذت بعمقها العميق إلى كل مجال من مجالات العلم فى شتى الأصقاع والبقاع.

ولقد كان المسجد - وما يزال - نقطة ارتكاز الحركة العلمية ونقطة انطلاقها معاً.. فهو ليس مثابة يهرع إليها الراكعون الساجدون ثم لا شىء.. إنه معبد ومعهد، محراب وجامعة، مصحف وكتاب.. إنه يعكس طبيعة الإسلام الجامعة كدين ودولة، كمادة وروح، فإذا ارتكزت الحركة العلمية فى وجودها عليه أو انطلقت منه، فإن ذلك ينبثق من طبيعة كون العلم فى الإسلام حركة تحقق وجودها فى الخارج وليس مجرد افتراضات رياضية بحتة لا تترك بصماتها على وجه الواقع الحى، كما أن الظاهرة العبادية فى الإسلام حركة تخرج من مجال القول إلى مجالات العمل، أو فلنقل إنها تخرج بالقول لتحيله دائماً إلى عمل.. من هنا يتلاءم مفهوم العلم والإيمان فى الإسلام، وتبقى المعادلة دائما صوابية وغير مرتطمة بجدر العبث أو حوائط الغباء!!

وإذا كانت هناك مدارس قد أنشئت قديماً إلى جوار هذه المساجد، وتلقفت الشعلة منها لتضيئها وتحميها، فإن ذلك لا يطامن من دور المسجد العلمى، ولا ينقص من خطورة رسالته.. على النقيض.. فإن كل هذه المدارس والمعاهد والمنشآت التى قامت إلى جوار المسجد كانت جداول مترقرقة نعم.. ولكنها كانت تستمد حياتها من الرافد الكبير (المسجد).. والذى يقرأ تاريخ الجامع الأزهر مثلا، يعرف أن الأيوبيين حين وفدوا على القاهرة، وحاولوا أن يطامنوا من دور هذه القلعة الدينية العلمية الشامخة، أنشأوا إلى جواره مدارس كثيرة، وأغدقوا عليها من حوله كل البذل وفاحش العطاء، فماذا كانت النتيجة؟ لقد حجبوا بأكفهم الصغيرة بعض ضوء الشمس عن مساحات هزيلة.. وبقى المدرسون، والمعلمون، والقراء، والمحفظون، الذين يتولون العمل فى هذه المدارس الجانبية، ينزعون عن خلفية أزهرية بحتة، لأنهم من الأزهر تخرجوا، أو على شيوخه حضروا، أو من كتبه تكونت ثقافتهم العلمية.. على أنه لم يمض طويل وقت حتى تسلم الأزهر الزمام من جديد، وانطلق بكل طاقة شيوخه وتلاميذه يوسع من رقعة الضوء الثقافى، ويؤكد فى الأجيال قيم التراث الإسلامى النظيف.

كان المسجد إذن مثابة العبادة والتعليم، فكان بحق نقطة ارتكاز الحركة العلمية ونقطة انطلاقها معا.. وكان إلى جوار ذلك موئلا لاحتواء الروح الأكاديمية فى نظرتها الشمولية إلى كل ألوان المعارف دون وضع القيود على نوعية منها مهما كانت وضعية هذه النوعية جموحا وتطرفا.. إن نظرة المسجد للعلم لم تكن أبدا نظرة جاهلة ضيقة تكبل مفاهيمه فى إطار لونى معين وتبعد عن رحابه كل ما عداه، لقد أدرك أن العلم وحدة لا تتجزأ، وأن من الخير للفكرة الدينية أن تفتح صدرها لكل أنماط الثقافات، وأن تتقبل حتى آراء المتطرفين ومذاهب الغالين، ربما ليتسنى لها أن تقف على كل الاتجاهات فتغربلها غربلة واعية فتبقى منها على الأنفع وتنفى ما عداه.

إن النظرة الإسلامية للدراسة العلمية فى المساجد كانت رحبة متسامحة فتحت صدرها للعلوم - كل العلوم - ولم تقف هيابة حيال لون من ألوانها المتعددة.. وكانت فلسفة النظرة الإسلامية فى إفساحها كل المجالات لكل ألوان العلوم والمعارف على اختلاف شكولها وأنماطها قائمة على اقتناع أولى: وهو أن دينا كالإسلام يقوم على تلبية كل الاحتياجات العاطفية والحياتية والمثالية لا يجبن عن مقابلة علم من العلوم الكونية أو علوم ما وراء الطبيعة، لأن هذه العلوم إن لم تؤيد الحقيقة الدينية الخالدة، فإنها على الأقل لا تقف فى وجهها ولا تناقضها من هنا أو من هناك!!

كان هذا هو الاقتناع الأولى الذى فتح المسجد فى ظلاله أذرعته لكل ألوان العلوم الكونية والإنسانية والميتافيزيقية، وطوع كثيراً منها لمقولاته العقائدية الصلبة، وأضفى على كثير منها دماثة الجدل وعقلانية الحوار، بدلا من العرامة المفتعلة التى كانت تخوض بها معارك الجدل بينها وبين الإسلام فى كثير من المعارضات.

أما ما هى هذه العلوم؟

وأما ما هى توعية احتكاكها بالفكر العقائدى؟

وأما من هم أعلام هذه المواقف العلمية المتحررة؟

فربما احتاج ذلك إلى تأمل خاص نرتفع به عن مخاضة جدل لا يجدى، أو وهدة تعصب يوبق، أو مراغة إسفاف هو من عقيدتنا بعيد بعيد إلى حد الانقطاع، وربما لو أفلحنا فى قبض أيدينا على تعقل الأشياء دون جلبة أو تعصب نكون قد أفلحنا فى شىء رائع إلى درجة الإعجاز!!

المسجد.. وواقعية النظرة العلمية

لو أن العلم - الذى يرعى حركته المسجد - كان تفسيراً للقرآن الكريم، أو تجميعاً للحديث النبوى، أو غربلة لتاريخ هذه الأمة، أو ترهباً فى صومعة الأدب نثره ونظمه، أو عكوفاً على قواعد اللغة وقوانينها، أو جرياً لاهثاً وراء فلسفة من الفلسفات، أو محاولة جادة للوقوف على قوانين الرياضة والطب والكيمياء.. لو أن العلم - الذى يرعى حركته المسجد - كان واحداً من هؤلاء فقط لكانت مواجهته ميسورة، ألا أن الحقيقة التاريخية تؤكد لنا أن العلم هو هذه الأشياء جميعها وأشياء أخرى غيرها تتناول كل مفردات الواقع البشرى بالتحليل والتعليل ومحاولة الاحتواء.. ومن هنا كانت فداحة المسئولية الملقاة على عاتق من يواجه، أو يحاول جاهداً أن يضىء منادح السبل ويمهد أعطاف الطريق لمن يواجه قضية المسجد فى واقعية نظرته الموضوعية إلى طبيعة العلم.

نعم.. ليس هناك من يستطيع أن ينكر أن الإسلام بشهادة قرآنه دين علم قبل كل شىء، وأن أولى كلماته:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾(١).

وأن هناك آيات أخرى إلى جوار هذه الآيات تؤيدها وتزكيها، بل إن هناك من أحاديث الرسول العظيم محمد، التى تمجد العلم، وتؤيد الثقافة، وتحفز خطوات الجموع المسلمة على طريق الحضارات، ما ينهض دليلاً واضحاً على صميمية هذه القضية، وعلى أن حرص القرآن، ورسول الإسلام، على تنشئة جيل علمى صاعد يمتد فى أجيال التاريخ المتعاقبة فيثرى حياتها، ويخصب وجودها، ويطور مفاهيمها الحياتية على ضوء من إيمانه الخلاق، كان حرصا رائعا موصولا.

ولكن المشكلة هنا تتمثل فى جانب آخر من جوانب القضية، هو جانب دفع المسجد للحركة العلمية فى اتجاه التطبيق العملى النظيف لكل ما جاء فى القرآن من مثل وشعارات، أو قضايا ومشكلات، أو سلوك تنظيمى لحياة الفرد وحياة الجماعات.

(١) سورة العلق.

هل كان المجتمع الإسلامى انعكاساً علمياً لهذه النظريات؟ أم أنه عاش حياته الطويلة العريضة التى تتمطى فى أربعة عشر قرنا من الزمان، يتغنى بالمثل، ويتعبد بالشعارات، ويهفو فى حركة مجذوبة إلى ما فوق، فى الوقت الذى تبدو فيه حياته المادية، وواقعه الحركى، شبحا، لا روح فيه، وطبلا فارغا أجوف، إن راعك منه الطنينُ الهادرُ المتلاحقُ، أدْمَى مقلتيك فراغُه الموهون؟

هل دفع المسجد بكل الشعارات الإسلامية إلى صميم الواقع العملى، أم أنه عرّى هذه الشعارات عن مضمونها الواقعى وعرّى هذا الواقع كذلك عن مضمونه العقائدى؟؟ هذا هو السؤال.

قد يقال: وما قيمة هذا الواقع العملى فى تقييم الحقائق؟؟ إن قصارى الدين - أى دين - أن يرسم ويخطط ويدعو، وليست مهمته أبداً أن يحيل الشعارات إلى حركة واقعية معاشة؟؟

ولكن المسجد رفض منذ البدء هذه المقولة، وأكد أن الحقائق التى لا تتمثل فى عمل، والشعارات التى لا تتحيل إلى واقع حركىّ، تكون بالضرورة واحدة من اثنتين: إما أنها أشياء فوق طاقة البشر وفوق طاقة التطبيق العملى، ومن هنا تفقد فعاليتها كمبادىء مشروعة لكى تعاش.. وإما أنها شعارات زائفة تعوق - إذا طبقت - زحف الأمم، وتمزق - إذا نفذت - وجه الحضارات.. وتعالت الحقائق الدينية الكبرى أن تكون واحدة من هاتين، فإن الذى أبدعها ليس بشراً معصوباً، ولا إنسانا قد يصيب وقد يخطىء، ولكنها ثمرة من ثمار الإبداع الإلهى الشامل الخلاق، الذى يساوق فى خلقه المُعجزين الشرائع والمؤمنين بها وبين العقائد ومن يعشيون عليها.

ولقد عكس المجتمع الإسلامى فى عصوره المتألقة مضمون هذه القضية فى علاقته بواقع التطور الحضارى، فتمثل المسلمون آيات القرآن، وأحاديث الرسول، وحولوا بها جميعا مسار الحضارة الإنسانية من منطلق العبودية والجهالة وظلامية العلاقات، إلى التحرر والفكر وإنسانية العلاقات.. والمتصفح العجلان لتاريخ الإسلام لا يستطيع أن يتنكر لهذه الحقائق الساطعة، إلا إذا كان مدخول القلب، أو مدخول العقيدة، أو مدخولهما معا..

فحينما بعث النبى ﷺ فى بيئة أمية جاهلة، ماذا كان موقفه من الأميين والجاهلين على السواء؟؟ أليس كان معلما يهدى بالحكمة، ويجادل بالحجة، ويفحم بالمنطق والدليل؟ أليس كان أستاذاً يفتح مغاليق العقول، ويطور مفاهيم البشر، ويصنع مستقبل الحضارات؟ أليس كان

داعية التحرر الفكرى فى عالم تعبّد طويل لأنماط من الخرافات والوثنيات؟ أليس كان رائد الكفاح ضد الجهل، وضد التقوقع، وضد الانغلاق فى إطار ضبابى الحدود؟

نعم.. لقد كان كل أولئك، وكان شيئا آخر غير ذلك كله.. كان قلبا إنسانيا نبيلا يأسى لجهل الجاهلين، ويود من أعماقه لو يقودهم قاطبة إلى شواطىء الهدى، وعوالم العرفان.. ونعتقد أننا لسنا فى حاجة إلى أن نستطرد مع أحاديثه الهائلة الهامسة والمجلجلة، التى تمثل ثورته العارمة على الجهل، وأشواقه العليا إلى الغد العلمى النظيف، فهى أكثر من أن تُحصى، وألمع من أن تعرّف.

ولكننا نستطيع أن نتأمل موقف المسلمين البطولى من هذه الشعارات الإسلامية البيضاء، إن الناظر إلى وجه التاريخ الإسلامى فى فجره الأول ليروعه حقا أن شعبا من الناس كان يحيا هذه الحياة البطولية المناضلة، ويستطيع هذا السلوك الملتزم الشريف، لقد كانت الجماهير المسلمة شعارات آدمية، وكانت مثلا إنسانية إذا صح أن يقال، كانوا إسلاما نابضا حيا يمشى على الأرض، ويتحرك بين الناس، فيملأ الآفاق العريضة عدلا، ونداوة، وسلاما.

حتى النبى.. لم يكن ليكتفى بالقول العارى من العمل، فنحن نراه يجلس فى المسجد، يتحلق من حوله أصحابه والمسلمون، وهو بينهم يفيض عليهم من بيانه الرائع، وعلمه الثر، وهديه الفاهم العميق.. حتى إذا جد الجد، ونادى منادى الجهاد، انطلق فى طليعة الصفوف يناضل ويقاتل ويؤهب المجاهدين.

ولم يكن هذا النبى القائد ليقر العلم الناضب بلا عمل، أو ليبارك القول بلا تخطيط فلقد كان حريصا على أن تتمثل الشعارات التى يقولها، والمثل التى ينادى بها، فى حركة عملية ذاتية تنتظم صفوف الفرد وسلوك الجماعات، حتى لا تتسع الهوات، أو تتراحب الأبوان، بين ما يتواثب على الشفاه من كلمات، وما تحققه الأيدى والجوارح من أعمال.

لقد كان ينهى أصحابه عن (الجدل) لأنه شقشقة لسانية تضع أصحابها على خطوط الانسحاب من واقع (الجدل الحياتىّ) إلى واقع (الجدل الكلامىّ).. ومتى انصرفت الجماهير عن (الفعل) إلى (الثرثرة) فقد حقروا للحياة وهادها الساحقة، وجفّفوا فى أنهارها الجارية كل أمواج المياه.

لقد قاتل المسلمون بالكلمة.. أجل.. ولكنهم لم يقاتلوا بالكلمة الذابلة التى تدور فى فراغات الخيال.. لقد كان قائدهم.. أو إمامهم.. أو شاعرهم.. ينتفض الكلمات المليئة باحتمالات الفعل البطولى، والكلمات الدافعة إلى معانقة الحياة فى الموت، والكلمات الفاصلة بين أن يكون على الأرض كفر أو إيمان.. بكل ما يعنى ذلك من مصاولة البطولة للجبن، ومن معاركة الحياة للموت، ومن ظفر الإيمان بالإلحاد!!

وفى أطوار النهوض الفكرى كان المسجد مناطا لعقْد الألوية، وتعبئة الجماهير، وإعداد الخطط، وتجييش الجيوش.. وكان ذلك رمزاً حضارياً لاستعداد الكلمة المسلمة أن تلبس خوذة القتال، وأن تسابق إلى أرض المعركة، إذا تعرض السلام الذى تخلقه، والحب الذى تعشقه، والقيم التى تدعو إليها، لما يتهدد حياتها بالخطر، ويتوعد إيقاعها بالذبول!!

وإذا كان المسجد قد أطلق من رحابه ومن فوق مآذنه صيحات كثير من الثورات التى غيرت وجه التاريخ، فإنه لم يقبع فى محدودية إطلاق الصيحات والثورات، وإنما أعطى من شيوخه رعيلاً قائدا بعد رعيل.. كانت الحياة تمثل بالنسبة لهم كلمة حقٍ تقال، أو موقف رفض يتحقق أو استشهاداً يحجم تاريخ الاستشهاد على مر العصور.. وإذا كانت الأمة الإسلامية تحتفظ بذاكرتها جيدا، فهى بلا جدال تضع فى تلافيف هذه الذاكرة أروع مواقف البذل والتضحية والفداء لطائفة من أولئك الأعلام الذين خرجهم حصير المسجد فتلقفهم خلود التاريخ!!

وإذن.. فالمسجد بواقعية نظرته إلى العلم.. كان متوائما مع طبيعته وطبيعة الفكر الإسلامى الأصيل.. ودائما كان المسجد بارا بهذه القضية فأولاها رعَيه وولاءه، وعاشت الكلمة بين جدرانه صديقة للفعل، والحرف فى تعاليمه زميلا للسيف، والحضارة من خلاله بناء ناهضا على قوة المادة وقوة الروح.

وإذا كان المسجد فى عصوره المتأخرة قد تخلى عن بعض دوره فى إعطاء الفكر قوة الفعل، وإعطاء الفعل بصيرة الفكر، فإنه مطالب بأن يستعيد مجده الأول، وأن يرفض أن تستحيل خطبه ومواعظه ودروسه وحلقاته وشيوخه إلى أبواق تُصدى ولا شىء غير الصدى، وتتشنج ولا شىء غير التشنج، إن البديل الوحيد لهذه الوضعية المأساوية أن يعيد المسجد فهم المعادلة من جديد، وأن يقرأ تواريخ المساجد الأولى، وأن يطيل تأمل الدور الذى نهض به أشياخها على مر العصور.. إن ذلك وحده هو بداية انطلاق المسجد المعاصر إلى رسالته الحقيقية، والعودة به إلى فهم طبيعة الكلمة الفعل، التى تتحرك فتتحرك بها كل الأشياء المحيطة.. أما أن يظل قابضا على قناعة الصمت، دائرا فى إطار عشوائية الحركة، هاربا من قدر الالتحام بكل قضايا عصره المائر، مزاحما فقط بين مواكب الخطباء الحماسيين.. فإنه بذلك يكون قد تخلى عن أروع أدواره الحقيقية، وأسقط من يده الراية بلا مبررٍ من منطق فاهم، وبلا ضرورة من حتمية حضارية معقولة الإيقاع!!

طرائف .. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

ظننتك ساهرا

دخلت امرأة عجوز على السلطان سليمان القانونى تشكو إليه جنوده الذين سرقوا ماشيتها بينما كانت نائمة، فقال لها السلطان: كان عليك أن تسهرى على ماشيتك لا تنامى.

فأجابت العجوز: ظننتك ساهرا علينا يامولاى فنمت مطمئنة البال.

تنبيه على خطأ

سأل الحجاج بن يوسف الثقفى «الشعبى» كم عطاؤك؟ قال ألفين.

فقال الحجاج: ويحك كم عطاؤك

قال: ألفان.

قال الحجاج: كيف لحنت أولا؟

فقال «الشعبى»: لحن الأمير فلحنت ثم أعرب الأمير فأعربت، وما يليق بى أن يلحن الأمير وأعرب أنا.

شهر رمضان والطاعة

روى عن الحسن بن أبى الحسن البصرى أنه مر بقوم يضحكون ـ وهم فى شهر رمضان ـ فقال: إن الله ـ عز وجل ـ جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه، يستبقون فيه لطاعته، فسبق قوم ففازوا، وتخلف أقوام فخابوا، فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب فى اليوم الذى فاز فيه السابقون، وخاب فيه المبطلون، أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن بإحسانه والمسىء بإساءته.

ويقول الإمام الغزالى فى التعليق على هذا: أى كان سرور المقبول يشغله عن اللعب، وحسرة المردود تسد عليه باب الضحك.

الرزق.. رزقان

طالب، ومطلوب، فمن طلب الدنيا طلبه الموت حتى يخرجه عنها، ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفى رزقه منها.

الصائم المفطر

قال بعض العلماء: كم من صائم مفطر، وكم من مفطر صائم، والمفطر الصائم هو الذى يحفظ جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب، والصائم المفطر هو الذى يجوع ويعطش ويطلق جوارحه.

الصوم عدة

قيل للأحنف بن قيس: إنك شيخ كبير، وإن الصيام يضعفك، فأجاب الأحنف: إنى أعده لسفر طويل، والصبر على طاعة الله ـ سبحانه ـ أهون من الصبر على عذابه.

بين أبى العيناء وشاعرة

عرضت على المتوكل جارية شاعرة، فأمر أبو العيناء الشاعر ليختبرها، فقال أبو العيناء للشاعرة: أتقولين الشعر كما يقولون؟ فقالت الجارية: نعم وأجيده، فقال أبو العيناء: إليك شطرا واحدا من بيت واحد فأكمليه:

الحمد لله كثيرا، فقالت الجارية:

حيث أنشاك ضريرا.

حقا

قال الشاعر:

عليك إذا ضاقت أمورك والتوت
بصبر فإن الضيق مفتاحه الصبر
ولا تشكون إلا إلى الله وحده
فمن عنده تأتى الفوائد والصبر

العمل بالعلم

● قال مالك بن دينار: العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلب كما يزل الماء عن الصفا (الصفا هو الحجر الأملس).

● وقال حكيم: لولا العمل لم يطلب العلم، ولولا العلم لم يطلب العمل.

● وقال الشاعر:

ولم يحمدوا من عالم غير عامل
ولم يحمدوا من عامل غير عالم

دعاء

«اللهم بنورك اهتديت، وبفضلك استغنيت، وبنعمتك أصبحت وأمسيت، هذه ذنوبى بين يديك، أستغفرك وأتوب إليك.

حقوق المعوقين فى الكتاب والسنة

للأستاذ الدكتور / مصطفى رجب

أشاد كتاب غربيون كثيرون منذ عام ١٩٥٠، وحتى اليوم، بأن نظرة الإسلام لذوى الحاجات الخاصة (المعوقين) سبقت جميع التشريعات الغربية والشرقية الحديثة التى زعمت أنها تسعى لتأمين حقوق تلك الفئة من فئات المجتمع.

ويدفعنا هذا إلى محاولة البحث عما تضمنته الشريعة الغراء من حقوق لذوى الحاجات الخاصة، ممثلة فى الكتاب والسنة اللذين يغطيان كل جوانب حياة الإنسان، من حيث هو إنسان، تشريعاً وتأديباً. والمتدبر لآى الذكر الحكيم، والأحاديث النبوية الشريفة يجد أنهما اختصا المعوقين بعدد من التشريعات التى تكفل لهم كثيراً من حقوقهم، ومنها:

١- الحق فى التعليم:

كان عند رسول الله ﷺ رجل من كبار المشركين، والنبى محتفٍ به، مقبل عليه، وجاء «ابن أم مكتوم» -وهو صحابى كفيف- فجلس فى مجلس النبى ﷺ وهو يقول: أرشدنى. والرسول عليه الصلاة والسلام مُعرِضٌ عنه، منشغل بالمشرك، يقول له: أترى بما أقول بأساً؟ فيقول: لا. وابن أم مكتوم يواصل إلحاحه: أرشدنى.

هذا ما روته السيدة عائشة -رضى الله عنها- عن سبب نزول العتاب الإلهى الشديد للنبى ﷺ، فى قوله تعالى:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۝ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ۝ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ۝ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ۝ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ۝ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ۝ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾[1].

هذه الآيات الكريمة وما ورد فى تفسيرها دليلٌ قاطع على مراعاة الإسلام لحقوق المعوقين فى التعليم والإرشاد.

ويسير معها على تأكيد هذا الحق نفسه -الحق فى التعليم- ما رواه الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده بسنده عن أبى ذر الغفارى -رضى الله عنه- أنه سأل رسول الله ﷺ عن أنواع الصدقة لمن لا يملك مالاً، فأجابه الرسول الكريم ﷺ بقوله: (إن من أبواب الصدقة: التكبير، وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله وأستغفر الله، وتأمر بالمعروف: صدقة، وتنهى عن المنكر: صدقة، وتعزل الشوكة عن طريق الناس، والعظم والحجر، وتهدى الأعمى وتسمع الأصم والأبكم حتى يفقه، وتدلّ المستدل على حاجة له قد علمت مكانها، وتسعى بشدة ساقيك إلى اللهفان المستغيث، وترفع بشدة ذراعيك مع الضعيف. كلّ ذلك من أبواب الصدقة منك على نفسك)[2].

فقوله عليه السلام: (تسمع الأصم والأبكم حتى يفقه) يدلّ على ضرورة تعليم المعوقين بأية وسيلة كانت من وسائل الإفهام والتعليم. يظهر ذلك من استخدام الحرف (حتى) الذى وضع فى اللغة لبيان الغاية. أى: يجب بذل الجهد بكل أنواعه لتحقيق الغاية المنشودة وهى: التفقيه والتعليم.

٢- الحق فى العمل:

يظنّ بعض قصار النظر أن الإسلام حين أعفى الأعمى والأعرج والمريض من المشاركة فى الجهاد، فإنما قصد بذلك إلى عزل فئات هؤلاء المعوقين عن كل نشاط اجتماعى، وهذا غير صحيح، فقد ثبت فى الصحيح أن رسول الله ﷺ عيّن ابن أم مكتوم -الأعمى- مؤذناً مع بلال بن رباح -رضى الله عن كليهما- فقد أخرج البخارى بسنده فى صحيحه قول النبى ﷺ فى شهر رمضان: (إن بلالاً يؤذن بليل، فكلوا واشربوا حتى ينادى ابن أم مكتوم)[3].

بل وأكثر من ذلك، فقد استخلفه رسول الله ﷺ على المدينة فى بعض أسفاره على نحو ما نراه فى (فتح البارى: ٢ / ٩٩) قال ابن حجر: «وشهد القادسية فى خلافة عمر واستشهد بها...» وكان دوره فى تلك المعركة حمل الراية لعدم قدرته على المنازلة بالسلاح.

فكلّ هذا يؤكد حق المعوّق فى الحصول على وظيفة تناسب قدراته بما يحقق له الاندماج مع مجتمعه وتخفيف حدة الشعور بالنقص لديه.

وقد ورد فى القرآن الكريم ما يشير إلى أن إعفاء المعوّقين من القتال لا يعنى إعفاءهم من أى أدوار اجتماعية، بل عليهم واجب النصح للأمة -وهو ميسور بالنسبة لهم- لتتحقق لهم الفاعلية فى مجتمعاتهم ويكون لهم وظيفة علمية وخلقية تناسب قدراتهم فذلك حيث يقول تعالى:

﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4]

(١) عبس (١ : ١٠).

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده (١٦٨/٥).

(٣) البخارى (١/٦٠٦).

(٤) التوبة (٩١).

٣- الحق فى الرعاية الاجتماعية:

إذا كان الإسلام قد كفل لذوى الحاجات الخاصة حقَّ التعليم، وحقَّ العمل ـ كما أسلفنا ـ فإن كفالة هذين الحقين إنما تكون جزءا من منظومة أكبر من الحقوق تستهدف فى النهاية إدماج المعوقين فى مجتمعهم بحيث لا يشعر الواحد منهم أنه عبء على غيره، فتصيبه العقد النفسية وينزوى وينطوى ويكتئب، وقد يتحول ـ مع تزايد العقد النفسية ـ إلى طاقة مدمِّرة تؤذى نفسه وغيره.

ولذلك شدَّد رسول الله ﷺ على الحكام وأولى الأمر أن يهتمّوا بحاجات الفقراء والضعفاء [ومنهم المعوقين]. فقد أخرج الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده [٥ / ٣٨] عن معاذ بن جبل ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: (من ولى من أمر الناس شيئاً فاحتجب عن أولى الضَّعفة والحاجة، احتجب الله عنه يوم القيامة).

وقد ورد فى قصص الخلفاء الراشدين مواقف كثيرة تدلّ على رعايتهم ـ رضى الله عنهم ـ للضعفاء والمرضى والمعوقين، حتى لو كانوا من غير المسلمين، لأنهم جزء من المجتمع وفى رعايتهم صيانة للمجتمع ولهم.

٤- الحق فى الرعاية النفسية:

وإذا كان الإسلام قد اهتم برعاية المعوقين اجتماعياً، فإنه لم يغفل ما هم بحاجة إليه من رعاية نفسية. فقد كان بعض المسلمين فى العهد الأول يتحرجون من الأكل مع العميان والمرضى، وذكروا لذلك أسباباً:

ـ فقيل: إنهم كانوا يتقززون من الأكل مع العميان ويستقذرونهم.

ـ وقيل: إن الأعرج لا يستطيع المزاحمة والمدافعة مع غيره حتى يصل إلى ما يريد من الطعام.

ـ وقيل: إن الأعمى لا يبصر كيف يصل إلى أطايب الطعام.

ـ أو إن الأعمى يخجل من مراقبة المبصرين إياه إذا أكل معهم، فقد يخطئ أو يسقط بعض طعامه على ملابسه.. إلخ.

وتيسيراً على أولئك وهؤلاء نزل قوله تعالى:

﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ﴾(٥).

ونقل الإمام الطبرى ـ رحمه الله ـ عن السلف فى تفسير هذه الآية (١٨ / ١٨٦) أنها نزلت ترخيصا للمسلمين فى الأكل مع

(٥) النور (٦١).

ذوى العاهات كالعميان وغيرهم «من أجل أنهم امتنعوا أن يأكلوا معهم خشية أن يكونوا قد أتوا بأكلهم معهم من طعامهم شيئا مما نهاهم الله عنه». أى أنهم ربما كانوا يتخوفون من أن يظلم بعضهم بعضاً دون قصد. فكان تحرجهم من الأكل الجماعى تورعاً عن الظلم. فكان فى نزول هذه الآية توسعة على الناس فى أمور الطعام والشراب بين الأهل والأصدقاء. ولا شك فى أن ذلك منوط بالرضا المتبادل بين الأعراف المختلفة، والرغبة فى تخفيف حدة التكلف فى علاقات القرابة والجيرة والصداقة، وتقوية صلات الأخوة الإسلامية.

وهذه الآية حجة فى أهمية تحقيق الأمن النفسى بالنسبة للمعوقين، لأنهم إذا عاشوا حياة طبيعية مع إخوانهم طابت نفوسهم ولم يعد لعاهاتهم تأثير كريه فى نفسياتهم.

٥- الحق فى إعفائهم مما لا يطيقون:

كفل الإسلام لذوى الحاجات الخاصة الحق فى الإعفاء من كل ما لا طاقة لهم به ـ لظروفهم الخاصة ـ فقد رفع الله ـ تعالى ـ عنهم الجهاد بقوله سبحانه:

﴿ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾(٦).

وقد أجمع المفسرون على أن هذه الآية خاصة بإعفائهم من الجهاد، لما يحتاجه من قوة الجسد، والحواسّ وسلامتها من الآفات التى تعوق حرية الحركة وسرعتها، وهما مما يتطلب الجهاد آنذاك. ولكن هذا الإعفاء من الجهاد ارتبط بتأكيد حق هؤلاء المُعفَيْن فى الثواب. فقد روى الإمام البخارى بسنده فى صحيحه (٢ / ١٤٤) عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان فى غزوة من غزواته ـ قيل إنها تبوك ـ ذكر لأصحابه وهم فى طريق الغزوة أن المعوقين الذين لم تمكنهم ظروفهم من المشاركة وبقوا فى المدينة، مشاركون للمجاهدين فى الأجر والثواب، فقال عليه السلام: (إن أقواماً بالمدينة خلفنا، ما سلكنا شعباً ولا وادياً إلا وهم معنا فيه حبسهم العذر).

وفى هذا السياق أطلق القرآن الكريم على فئة المعوقين تعبير ﴿ أُولِي الضَّرَرِ ﴾(٧) أى: الذين قعدت بهم ظروفهم الخاصة عن الجهاد فاضطروا اضطرارا للتخلف فذلك حيث يقول جل شأنه:

﴿ لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(٨).

وقد حكى الصحابى الجليل زيد بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ قصة نزول هذه الآية كما شاهدها، فقال: «كنت قاعدا جنب النبى ﷺ يوماً، إذ أوحى إليه، وغشيته السكينة،

(٦) الفتح (١٧).

(٧، ٨) النساء (٩٥).

ورفع فخذه على فخذى حين غشيته السكينة، فلا والله ما وجدت شيئا قط أثقل من فخذ رسول الله، ثم سرى عنه فقال: اكتب يا زيد، فأخذت كتفا [أداة للكتابة عليها] فقال: اكتب:

﴿ لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ ﴾[9].

فكتبت ذلك فى كتف، فقال حين سمعها ابن أم مكتوم، وكان رجلاً أعمى، فقام حين سمع فضيلة المجاهدين فقال: يا رسول الله فكيف بمن لا يستطيع الجهاد ممن هو أعمى أو أشباه ذلك؟.

قال زيد: فوالله ما مضى كلامه حتى غشيت النبى السكينة فوقعت فخذه على فخذى فوجدت من ثقلها كما وجدت فى المرة الأولى، ثم سرى عنه، فقال: اقرأ، فقرأت عليه:

﴿ لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ ﴾.

فقال النبى: ﴿ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ ﴾ قال زيد: فألحقتها، فوالله لكأنى أنظر إلى ملحقها عند صدع كان فى الكتف[10].

ومما يتصل بتقدير الشرع الإسلامى الحنيف لظروف المعوقين الخاصة وإعفائهم مما لا طاقة لهم به ما أخرجه الإمام مالك فى [الموطأ: ١ / ١٧٢] أن رجلاً أعمى اسمه عتبان بن مالك، كان يؤم قومه للصلاة على عهد رسول الله ﷺ، وذات يوم كان النبى ﷺ يزوره فى بيته، فقال له عتبان: يا رسول الله إنها تكون الظلمة والمطر والسيل، وأنا رجل ضرير البصر، فصلِّ يا رسول الله فى بيتى فى مكان أتخذه مصلى، فقال النبى ﷺ: (أين تحب أن أصلى؟) فأشار إلى مكان فى البيت، فصلى فيه رسول الله ﷺ ففى هذا الحديث دلالة على:

ـ حب النبى ﷺ لصحابته وتقديره لظروفهم.

ـ تفقده إياهم بالزيارة حين يطلبون ذلك.

ـ تلبية رغباتهم فى التبرك به عليه الصلاة والسلام.

ـ إسقاط صلاة المسجد (الجماعة) فى حالة الضرورة كالمطر والسيل.

ـ تقدير ظروف الأعمى الذى لا يجد قائداً، لأنه لو كان له قائد لما شكى للرسول ﷺ لما قبل عذره.

أفلا يحق للتربويين المعاصرين الذين يبحثون الآن عن حقوق المعوقين أن يعودوا إلى مثل هذا التراث الثرى فينهلوا منه؟!.

---

(٩) النساء (٩٥).

(١٠) مسند أحمد (٤/٢٨٢).

من المثل الشارح فى القرآن الكريم

رجلان

للأستاذ/ محمد مصطفى البسيونى

إن من أجدى ما اكتشفه التربويون المحدثون والمعاصرون من أساليب التعليم ووسائل العرض والإيضاح مايعرف «بالمثل الشارح» الذى يعين المعلم على التوضيح، ويعين المتلقى على التفكير والفهم والاستيعاب، ومن ثمة أصبح «المثل الشارح» يتصدر فى مجال التعليم «الوسائل المعينة» أو مايطلق عليه المعنيون بالتدريس اليوم «وسائط التدريس».

واصطناع «المثل الشارح» فى عرض الموضوع وتبسيطه يحتاج إلى مهارة واقتدار لدى المعلم ذى الحنكة الواعية والخبرة الذكية والتجربة الأصيلة، فليس كل من ادعى أنه يسوق «مثلاً» معلماً قديراً، ومثل المربى القدير فى اختيار «المثل الشارح» الذى يتناسب مع أهداف الدرس ومقومات شخصية الطالب كمثل الطبيب النطاسى الذى يختار من بين الأدوية دواء تتفاعل مكوناته مع طبيعة الداء ثقة فى الله وأملاً فى الشفاء.

ومن ثمة كان التأمل العميق فى عناية القرآن الكريم بالأمثال التى تقرب إلى العقل البشرى والوعى الإنسانى مايزخر به الذكر الحكيم من قضايا إيمانية، ومواقف سلوكية، ولمحات نفسية، وإشراقات روحية وغير ذلك مما لايحيط به الأفق المخلوق المحدود أمام الآفاق الرحبة اللامحدودة التى يتجلى فيها العلم الإلهى المعجز الذى جعل المولى -عز وجل- طريقه تقوى الله ـ جل وعلا ـ:

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾

«البقرة- ٢٨٢»

والخطاب القرآنى للإنسان مشفوعاً بالأمثال إنما هو ضرب من رحمة الله ـ سبحانه ـ بالخلق الذين هم دائماً فى أشد الحاجة إلى تقريب العلم البشرى الناقص

إلى العلم الكونى الكامل حتى يعى الإنسان ماشاء الله له من مجالات المعرفة والعلم مما يعينه على أداء رسالته التى حددها له البارئ ـ سبحانه ـ فى عمران الأرض وارتقاء الحياة، وإذا وعى الإنسان ذلك كان مسئولاً كل المسئولية عما وعى، وكان معداً للسؤال يوم البعث عن مدى ماأداه من هذه المسئولية حيث ترتبط المسئولية بالجزاء إما بالثواب وإما بالعقاب.

ولعل هذا يقربنا من الآية القرآنية الخالدة:

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾

«المؤمنون- ١١٥»

فالمثل القرآنى إذن مثل تربوى وتعليمى ومرشد- وكفاه أنه مثل قرآنى- يكرم الإنسان بترقية مستواه الفكرى إلى إشراقات الحكمة الإلهية ليفهم الدرس، ويعى القصة ويتدبر مايراد منه وما يراد له فى الدنيا والآخرة وقد أكد المولى عز وجل أهمية الأمثال فى القرآن الكريم حين قال:

﴿ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾

«إبراهيم- ٢٥»

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾

«الكهف- ٥٤»

وغير ذلك من الآيات البينات التى تدور حول المثل والأمثال.

وفى هذا المعرض تسوق عبرة قرآنية معبرة من خلال مثل حكيم محكم يصدق على صنفين من البشر وهما دائما- رغم أنهما متقابلان- إلا أنهما لايكادان يفترقان عبر الزمان والمكان ذلكم هو مثل الإيمان والكفران، الإيمان بما يتحلى به من مقومات التواضع والامتثال والعرفان، والكفران بما يلطخه من ملوثات التكبر والغطرسة والنكران.

إنهما رجلان قد تجد نمطهما اليوم فيمن حولك من أقارب وزملاء، وقد تقرأ عن أمثالهما فى روايات السير والتاريخ.

وهذه هى عبقرية المثل عندما يخاطب العقل بالتعميم والتجريد ثم يصدق على الجزئيات الحسية التى تراها تتحرك حولك فى الزمان والمكان.

وهكذا المثل الشارح بين الإدراك الحسى والإدراك العقلى يستلهم الحق ويبسط الحقيقة أمام كل من ألقى السمع وهو شهيد.

عندما ضاق كفار مكة ذرعاً بالدين الحق والنبى الحق حيث لم يستطيعوا تبرير عنادهم وإلحادهم أخذتهم العزة بالإثم وتمادوا فى كبريائهم الكاذب وترفعهم المخادع، فطلبوا إلى النبى ﷺ أن يجعل لهم معه مجلسا غير مجلس بسطاء القوم وفقرائهم إذ لايجوز- فى فكرهم المريض- أن يجمعهم مجلس واحد مع هؤلاء البسطاء

والفقراء، ولاشك فى أنه كان من بين هؤلاء المتكبرين المتغطرسين- على بعض الأقوال- الوليد بن المغيرة الذى كشف القرآن الكريم عن شخصيته المنحرفة فى سورة القلم حين وصفه بصفات عدد فيها مثالبه ومعايبه فهو:

﴿ حَلَّافٍ ﴾ على الكذب، ﴿ مَّهِينٍ ﴾ حقير الرأى ﴿ هَمَّازٍ ﴾ طعان للناس ﴿ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ يثير الأحقاد بين الناس، ﴿ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ ﴾ يحول بين الناس وإرادتهم الخيرة، ﴿ مُعْتَدٍ ﴾ كافر مضيع للحقوق، ﴿ أَثِيمٍ ﴾ كثير الذنوب ﴿ عُتُلٍّ ﴾ شره فظ ﴿ زَنِيمٍ ﴾ مشهور فى قومه باللؤم والشر

(من الآيات ١٠، ١١، ١٢ من سورة القلم)

وكنت ترى بجانب هؤلاء فى مكة قوماً كانوا لايزالون يتنسمون أريج الحنيفية السمحاء كلما صافحت أبصارهم البيت العتيق، وكلما عانقت بصائرهم القيم الإبراهيمية النقية التى بقيت صامدة ولكنها صامتة بين الأعراق الأصيلة خلقاً قويماً وسلوكاً مستقيماً يشهد للعقيدة الحقة بأنها لاتفنى ولاتموت لأنها مستمدة من دين الحى الذى لايموت.

ومع هذا الصراع القلق بين أناس ظاهرين على باطلهم وآخرين مستترين على حقهم جاء القرآن الكريم ليضرب لهم- ثم للناس جميعاً فى كل مكان وزمان- الأمثال:

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾

«العنكبوت- ٤٣»

وكان أمثال «الوليد» من أساطين الكفر والعناد كثيرين ومنهم «عيينة» و«الأقرع» اللذان قالا لرسول الله ﷺ «نحن سادات العرب وأرباب الأموال فنح عنا سلمان وخبابا وصهيباً» وهم بسطاء القوم، وذلك احتقارا لهم وتكبرا عليهم وحسدا من عند أنفسهم أنهم على رقة حالهم كانوا من السابقين إلى اعتناق دين الله الحنيف.

ومن ثمة كان التوجيه الإلهى الحكيم للنبى الكريم ﷺ إزاء موقف هؤلاء المعاندين المكابرين المتعالين على بنى قومهم البسطاء المؤمنين الصادقين. حيث ساق الحق فى قرآنه المجيد ذلك المثل مطمئناً نبيه الحبيب: أن ماتراه من قومك ليس بدعاً من السلوك البشرى، وما عليك يامحمد إذا لمست فيهم هذه الروح المتعالية المتجبرة إلا أن تطمئن أتباعك من المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه، والذين تكاد قلوبهم المؤمنة المحبة تتفطر حسرة على ذويهم من الكفرة الفجرة، فتسوق إليهم مثل هذين الرجلين الذين التقيا فى حلبة الابتلاء البشرى، أحدهما سلاحه المال والبنون

والعشيرة ليس إلا، وسلاح الآخر الإيمان المطلق بالله ـ عز وجل ـ وإرادته الحكيمة ومشيئته المقتدرة التي يستشعرها المؤمن بفطرته كلما نظر إلى نفسه فأدرك كيف تحول التراب من لدن آدم إلى نطفة تتخلق من طور إلى طور حتى صار رجلاً يعمل عقله ويحرك لسانه ويصطنع أطرافه في السعي في جنبات الحياة تدفعه إلى ذلك كله طاقة لاتحسها جوارحه ولكن تستشعرها وتعيها تلك الروح التي نفخها الله من قديم في آدم ـ عليه السلام ـ ولم تزل تسري بين بني البشر تمدهم بالحركة والحياة وكأنها تدعو الآدمي من أعماقه: لقد تحولت بمشيئة الله من تراب الأرض إلى كائن مكرم الذات سوي الصورة، متسق البنيان. ألا يجدر بك أن تعيد الجميل إلى هذه الأرض التي خرجت منها فتعمرها وتسير فيها بالخير حتى تحقق الرسالة التي خلقك الله من أجلها بالخليفة الله في الأرض؟

لاشك في أن ذلك كان حديث أحد الرجلين إلى نفسه، ذلك الرجل المؤمن الذي لم يبخل بهذه الخواطر على رفيقه المشحون بالتيه والكبر والخيلاء أن آتاه الملك فجعل له جنتين من أعناب[1] وكان موقف التفاسير من الرجلين موقفاً يتقارب حيناً ويتباعد حيناً آخر فمن قائل أنهما أخوان من بني مخزوم كما قيل أنهما المذكوران في سورة الصافات في قوله تعالى:

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾

«الصافات- ٥١»

(ابن عباس رضي الله عنهما، والبيضاوي والنيسابوري).

ولقد جاء هذا المثل الشارح في سياق منظومة معجزة يتفق بعضها مع بضع وتتسق أجزاؤها في كلٍ عضويّ حكيم. فقد بدأت «سورة الكهف» وهي مكية بمواجهة أهل مكة في جبروتهم وكبريائهم وعتوهم وذلك بعرض المعجزات حينا، وذكر البراهين حيناً آخر، والتحدث بالبديهيات حينا ثالثاً، وهكذا حتى تجلى المثل القرآني المعجز في مكانه المحكم:

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ۝ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴾

«الكهف- ٣٢، ٣٣»

(١) والأعناب هنا جمع الجمع إذ الواحد عنبة والجمع عنب، وقد يظن ظان أن العنب نوع واحد كالذي نعرفه في الحدائق والأسواق ولكن العنب أعناب منه مايؤكل طازجاً أو مجففاً ومنه نبات عشبي من فصيلة الباذنجانيات، ومنه ما تستعمل أوراقه وأزهاره البيضاء في الطب ومنه ما هو من فصيلة القرعيات ويستفاد منه في الطب أيضاً، وغير ذلك كثير، ومن ثم جاء التعبير القرآن عن العنب بصيغة الجمع تأكيداً لعلم الخالق سبحانه بخلقه، وحفزاً للإنسان على البحث والاكتشاف.

ولاشك في أن أصحاب الفطرة الدقيقة الرقيقة حين يشاهدون هذه اللوحة بأرواحهم وقلوبهم تأخذهم نشوة الجمال، وروعة الجلال واكتمال الكمال حيث لايبدع هذه الصورة القرآنية المتكاملة إلا خلق بديع، وهذا التكوين الجمالي الأخاذ ترتبط به نعمة حياتية مادية إذ بينما أنت تسبح في تأملك العميق لهذا الجمال والجلال إذا بالقرآن الكريم يبادر إلى ذكر العائد الذي أنعم به الله ـ عز وجل ـ على صاحب هاتين الجنتين فيقول: ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ ﴾.

«من الآية ٣٤- الكهف»

لقد أحاطت النعمة بالرجل من كل جانب حتى تاهت نفسه، وانتفخ كيانه، وعميت بصيرته، وأذهلته النعمة عن المنعم فدعا صاحبه المؤمن إلى جنته، ولعله ظن أن صاحبه هذا عندما يرى الجنة سيستولي عليه الحقد والحسد والحسرة. ولكن هيهات.. أخذ الرجل يتبهنس كالأسد ويختال كالطاووس وهو يستعرض جنته أمام صاحبه ولم يذكر فضل الله عليه لحظة، ولكنه ذكر نفسه في «نرجسية» قاتلة وأنانية مغرورة، فهو ينظر إلى صاحبه نظرة علو واستعلاء ولسانه يردد:

﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾

«من الآية ٣٤- الكهف»

ولاشك هنا أن روح الشيطان التي سرت يوماً في دماء «قارون» وأمثاله قد تسللت إلى عروقه فأغلقت منافذ قلبه دون الحق والخير، وكما قيض الحق لقارون من يصيح في وجهه:

﴿ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾

«القصص- ٧٧»

كذلك نطق الحق على لسان الصاحب الطيب ليقول لصاحبه ذلك العتل السفيه:

﴿ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴾

«الكهف- ٣٧»

وكان لابد لهذا الرجل الصالح أن يشرح موقفه الإيماني حتى لايتهمه الكافر بأنه يحقد عليه فقال:

﴿ لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾

«الكهف- ٣٨»

فلست أشرك به مالاً أو نفراً أو سلطاناً، وكم كان الأجدر بك ياصاحبي أن يلفتك الفضل الذي أنت فيه إلى التفضل عليك، تلك هي طبيعة الأشياء أن تذكرك الصنعة الرائعة بالصانع القدير:

﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾

«الكهف- ٣٩»

نعم كان ينبغي يا صاحبي عندما تشاهد هذه الجنان والأنهار، والنخيل

والثمار أن تعى دون تردد أن هذه هى مشيئة الله سبحانه الذى لاقوة إلا بقوته ولاشئ إلا بمعونته وإرادته، ولانعمة إلا بفضله.

ثم يستأنف الرجل الشاكر الحديث إلى صاحبه الكافر ولعله هنا يقسم نبرة صوته بينه وبين صاحبه وكأنه فى دعاء ومناجاة:

﴿ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ ﴾

«الكهف- ٤٠»

ثم ينبه صاحب الجنة أن الله ـ سبحانه ـ قادر على أن يبيد هذه الجنة التى لم يعرف صاحبها قدر خالقها:

﴿ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ۝ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴾

«الكهف- ٤٠، ٤١»

وكما خسف الله بقارون وداره الأرض سلط جنوده على جنة الكافر العنيد:

﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾

«الكهف ٤٢»

وأنى له العرفان بعد النكران وما أشبهه هنا بفرعون عندما أوشك على الغرق وهو يقول:

﴿ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ﴾

«يونس- ٩٠»

كذلك رد المولى ـ عز وجل ـ عليه الرد الإلهى الذى لارد بعده:

﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴾

«الكهف- ٤٣»

فهل نفعه المال الكثير أو النفر الوفير؟

وإننا لنخال ذلك الصاحب المتكبر المتجبر حين كان يعرض عن صاحبه وينأى عنه بجانبه، ويصعر له خده، يحدثه بلسان يحركه العتو واللامبالاة، بل لعله كان يتقدمه بخطوات وهو يتحدث إليه مشيراً إلى زروعه وثماره التى يخترقها النهر الروى، والتى تحوطها النخيل الباسقات التى تحمى هذا النبت اليافع من عصف الرياح وعاديات المساء والصباح، وصاحبه المؤمن يسير على جانب منه متخلفاً عنه خطوات مشفقاً عليه منصتاً إليه والكافر يقول كما لو كان يناجى نفسه أو يتحدث إلى الشيطان: إننى لا أعتقد أن هذه الجنان يمكن تزول أو تحول، إنها تعانق الأرض وتعانقها الأرض فى تشبث مكين وترابط متين، كما أن هذا الزرع الضارب بجذوره فى أعماق الأرض، وهذا النهر المنساب فى ثقة وخيلاء يتلوى يميناً ويساراً كأنما يصافح الثمار وكأنه يودعها إلى لقاء.. لا أعتقد ياصاحبى أن هذا كله ينهار بناؤه بما تدعيه من يوم موعود أو ساعة حتمية الحدوث.

الأزهر

ويتمادى الضليل فى غيه مردداً: وحتى إذا جاءت مثل هذه الساعة التى تدعيها فلا شك فى أن الرب الذى تتحدث عنه سيعطينى أفضل من هذه الجنان وأكثر من هذه العترة والأولاد لأن عزيز الدنيا لاشك أنه سيكون فى الآخرة أعز وأقوى.

وكأننا بصاحبه المؤمن يستمع مقالته وينظر إليه فى إشفاق.. ولكن الرد المفحم على هذه المعانى المريضة الظالمة جاء من لدن مالك الملك ـ سبحانه ـ الذى يمهل الظالم حتى إذا أخذه لم يفلته فإذا بجنتيه تصيران أثراً بعد عين، شجراً يتحطم، ونهراً يجف، وثماراً تذوى، وأخذ الرجل ينظر إلى أرضه الخربة الجرداء وهو يقلب كفيه نادماً حيث لاينفع الندم.

وكأننا بهذا المثل القرآنى المفحم ينادى: أتحسبون يا أهل مكة ويا أرباب العناد والفساد والأموال أن يكون مثلكم كهذا المثل؟ حيث لاينفع المال والبنون والجاه فكل هذا زينة الحياة الدنيا، وبقية الله خير.

ولئن سيق هذا المثل لمجابهة أهل مكة من الكفرة والمشركين وعبدة الدرهم والدينار فما أحرانا فى هذا العصر، وفى كل عصر أن نتأمله فنتمثله ونتدبره وننتفع به، ونعيد النظر فى حياتنا التى أراد الله ـ عز وجل ـ أن تكون وسطاً بين الإفراط والتفريط فأحلناها نحن إلى صراع حول المادة بعيداً عن الجادة.

إن الله ـ عز وجل ـ لايريدنا أن نكره المال أو نعزف عنه، ولكن يريده لنا قياماً للحياة وقواماً للعيش لامدعاة للكبر والغطرسة والفجور، وإلا حق علينا قول ربنا ـ عز وجل ـ:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ۝ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾

«إبراهيم- ٢٨- ٢٩»

وإن الله عز وجل- وهو مالك الملك- ليستخلف ماله من يجيد توظيفه فى نفع البشر وعمران الأرض، أما من لايجيد هذا الاستخلاف فإن الله عندها يسلبه إياه ليعطيه للذين يقول عنهم القرآن:

﴿ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾

«الأنبياء ١٠٥»

وعندئذ لايلومن الأحمق إلا نفسه، حيث لالوم ولا عتاب، ولكن جزاء وحساب، فإما ثواب وإما عقاب.

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

***

قصة العدد

احتيال ناجح

للأستاذ الدكتور عبد اللطيف الحديدي

ذهب عيينة بن حصن سيد بني غطفان إلى صديقه العباس بن مرداس، ولم يكونا قد أسلما بعد فقال عيينة للعباس: سأنتقم للقبائل من يوم الخندق ففغر العباس فاه مندهشا وقال لعيينة: ماذا تقول يا رجل، لقد اجتمعت سبع قبائل مع قريش يوم الخندق حتى ملأت جنودها الفضاء، وأحيطت المدينة بهم من كل مكان إذ نقض بنو قريظة عهدهم مع محمد فأصبح بين شطرى الرحى وتحقق الجميع أن الإسلام قد انتهى ثم جاءت الصاعقة الكبرى فاندحرت القبائل وهربت قريش وبكى أبوسفيان فتجئ أنت فتقول سأنتقم للقبائل من يوم الخندق وليس معك أحد!

قال عيينة بل معى: لقد جاءت الأنباء إلى خيبر أن محمدا سيقدم إليها فى هذا الحر ولا يدرى أن حصون خيبر جميعها مليئة بالسلاح، لأن اليهود منذ رحلوا عن المدينة وهم يستعدون للثأر من المسلمين وقد تدرب رجال خيبر بقيادة مرحب فى جيش الروم حتى حذقوا أفانين القتال وهم بعد فى بلدهم وبين حصونهم المانعة من كل خطر، إذ أوصدوا الأبواب وتدرعوا بالجدران، والزاد وافر، والماء يجرى من الجبال إليهم ولو مكثوا سنوات ما شعروا بخطر الجوع! أما جيش محمد فسيقطع الصحراء إلى خيبر واللظى مشتعل بالنهار وبالليل، فلا يصل إليها إلا وقد أنهكت القوى وقتل العطش نصف الجيش على الأقل، ثم لا عهد لأهل يثرب بمناخ خيبر الذى يرسل الحمى لكل طارئ غريب، لقد وقع محمد فى الفخ، ولن يعود إلى المدينة بعد هذا النزال.

قال العباس: وما دخلك أنت فى هذه المعركة والموقعة بين محمد واليهود!؟

فرد عيينة يقول: لقد كتب يهود خيبر إلىّ أن أسرع لمساعدتهم بجيوش غطفان، ولى نصف أثمار خيبر، وبعد انتصارهم يكون لى كل الأسلاب يتنازلون عنها لغطفان.

قال العباس: قلبى يحدثنى أنك واهم يا عيينة يا ابن حصن، إنى أعتقد أن هذا الرجل مؤيد بنصر الله فقد انتصر فى كل معركة خاضها، حتى يوم أحد الذى قيل أنه انهزم فيه! لقد كان منتصراً لأنه قتل من قريش أضعاف أضعاف من قتلٍ من المسلمين، ثم هرب أبوسفيان مذعوراً دون أن يدرك ثمار النصر ولو كان ذا قوة لأتم الموقعة ورجع إلى حمراء الأسد التى اجتمع فيها المسلمون ليعيدوا الكرة ولكنه الجبان الرعديد.

تبسم عيينة كالمستهزئ وقال: لو علمت ما أعلم من حقد اليهود على محمد ومن امتلاء الحصون بالسلاح الرومى الذى لا يقهر وقد اشتروه، مضحين بالمال وهو أعز شئ لديهم، لو علمت هذا لعلمت أن الوضع غير الوضع وأن الحر سيهلك المسلمين قبل المعركة فيمهد للانتصار السريع.

قال العباس: أنا فى شك مما تقول، وأنا على موعد مع قريش بمكة لاجتلاب بعض العروض التجارية، وربما مررت عليك بعد المعركة فى طريقى لتتحفنى بما نلت من الغنيمة!

افترق الرجلان وحديث عيينة يغلى فى صدر العباس بن مرداس، وقد رأى من مصلحته التجارية أن يذيع فى مكة ما علم من ذهاب الجيش الإسلامى إلى خيبر ومن استعداد اليهود بأقوى سلاح وبأمنع الحصون ومن معونة القبائل لخيبر وعلى رأس الوافدين سيد غطفان عيينة بن حصن، وقد نزل الخبر برداً وسلاماً على قلوب المشركين فاجتمعوا حول الكعبة يتحدثون عن الهزيمة المنتظرة، ويرددون قول العباس عن قوة خيبر وضعف الجيش القادم من يثرب، ويقولون لقد حانت ساعة المسلمين.

ولكن نفراً من بنى هاشم قد عارضوا القوم حتى كادت معركة تقوم، ثم قام صفوان بن أمية يقول من يراهننى على هزيمة المسلمين، فقام حويطب بن عبدالعزى من بنى هاشم يقول أنا أراهنك على نصر المسلمين، فانعقد الرهان على مائة بعير يدفعها صفوان إن انتصر المسلمون، ويدفعها حويطب إن انتصرت خيبر وشغلت مكة بحديث الرهان، فأخذوا يتحدثون مع كل قادم عما يعلم من أمر القتال، وبنو هاشم يودون لمحمد النصر وصفوان وشيعته مطمئنون لكلام العباس، ويتأكدون من الهزيمة الماحقة، وقد جاء الخبر للعباس بن عبدالمطلب عم رسول الله فقال يا قوم: أنا معتقد أن ابن أخى لابد أن ينتصر لأنه مؤيد من الله وسترون ما سيكون!

كانت المعركة عنيفة بين المسلمين واليهود إذ كان الأعداء يعتصمون بالحصون الشاهقة، وكل حصن يتضمن مجموعات من المنازل، من حولها سور يمتد إلى الحصن الذى يليه، والأبراج العالية، وقد تحصن

اليهود بها ووقفوا على الأسوار يرمون المسلمين بالسهام وفيها السهم المسموم.

وأدرك الحباب بن المنذر الخطر الذى يواجه المسلمين من هذه السهام المسمومة، فكان المستشار الأمين كعهده فى يوم بدر، إذ حضر إلى رسول الله، وأشار عليه أن يبتعد المسلمون إلى مكان لا تبلغه السهام حتى لا يفنى العدد الكثير من الشهداء ونظر الحباب إلى أرض المعركة فوجد جانبا منخفضا بعيدا عن المرمى، فهرع إليه المقاتلون مسرعين، وظن اليهود أن المسلمين ينسحبون إلى المدينة، فأمنوا على أرواحهم وخرجوا من الحصون فتلقفتهم سيوف المسلمين، ودارت المعركة الرهيبة، ورجع من رجع من اليهود إلى الحصون يحتمون بها من جديد، وقد أوصدوا كل باب بعد أن هلك منهم الكثير وأخذ المسلمون فى حصار القوم على بعد من مرمى السهام، حتى انقضت سبعة أيام دون عمل حاسم، فلما كانت الليلة الثامنة، قال رسول الله ﷺ سأعطى الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبانه فبات كل مسلم يتمنى أن يكون هذا الرجل حتى قال عمر بن الخطاب ما تمنيت الإمارة إلا ليلة إذ، فلما كان الغد دعا رسول الله على بن أبى طالب وأعطاه الراية فتقدم إلى حصن «ناعم» ودعا للبراز فنزل قائد اليهود مرحب ومعه سيفان لاسيف واحد، ولامتان لا لامة واحدة ترهيبا وإزعاجا لعلى.

ثم استند إلى باب الحصن ليحميه من الخلف ولم يهتم على بل تقدم مؤثرا الشهادة، ولكن الله ضمن له الفوز فقتل مرحبا، وتشجع المسلمون فاقتحموا الحصن بعد أن نزع على بابه، ودارت معركة رهيبة أبدى فيها على والحباب بن المنذر أحسن البلاء، وتوالت المواقع حتى سقطت جميع الحصون فآثر اليهود السلامة وتقدموا يبتغون الصلح، على أن يزرعوا الأرض فهم أدرى بشئونها وأن يعطوا المسلمين نصف ثمارهم، وتم النصر الحاسم، ورجع الجيش مؤيدا بالنصر حافلا بالغنائم والأسلاب!

وإذ ذاك بعد الانتصار الحاسم قدم عيينة ابن حصن إلى رسول الله يطلب نصيبه من الغنائم وقال: إنه لم يشأ أن ينصر اليهود حفظا وتأييدا للمسلمين، ولو دخل المعركة لتغير وجه الأمر، فقال له رسول الله: أنت كاذب! إنك فزعت وجبنت ولولا جبنك لقدمت إلى مناصرة الأعداء ورجع عيينة خائبا يتألم!

جلس رسول الله فى صحبه يشكر ربه أن أتاح له النصر مع تعذر أسبابه ومشقة نواله، فتقدم إليه الحجاج بن علاط السلمى، وكان قد أسلم قبل المعركة، وانخرط فى الجيش الإسلامى مكافحا مناضلا فرحب به خير الخلق وبسط له من وجهه ولسانه فقال الحجاج: استأذنك يا رسول الله فى أمر فإن وافقت كانت الخيرة لى، وإن رفضت فأنا طوع رأيك وأمرك.

فأجاب الرسول الكريم: قل يا حجاج ما بنفسك فأنا لك سميع!

قال الحجاج: يا رسول الله، لم يعلم أحد من كفار مكة بإسلامى، ولى بها أموال كثيرة، وديون على الناس، ولى زوج شرسة تضمر السوء لكل من أسلم، فإن أذنت أن أذهب إلى قريش فأخبرها بأن خيبر قد انتصرت، وأن المسلمين رجعوا دون شئ، ثم أجمع المال من المدينين، وآخذ ما بيد زوجتى من ذهبى وفضتى مدعيا أنى سألحق بغنائم خيبر لأشتريها، وأرجع بها إلى مكة! لو أذنت لى أن أفعل ذلك كان فيه الخير لى، وأنا أحق بما لى أن أتركه فى أيدى المشركين.

تبين الرسول الصدق فى قول الحجاج فهش له، وأذن له أن يقول ما شاء ففرح الحجاج، وعزم على أن يستقر بالمدينة مع المسلمين بعد أن يحوز ما لدى الناس من دين بمكة بهذا الاحتيال وسرعان ما توجه إلى مكة وكان القوم على أحر الجمر ينتظرون أى قادم من خيبر يخبرهم بما كان من أمر محمد مع اليهود، فهم فى الدروب القريبة من سير الرحلات، وعلى أفواه السكك ينظرون فى أوجه الرائحين والغادين فلما طلع عليهم الحجاج وهم لا يدرون شيئا عن إسلامه ويحسبون أنه معهم فى دين واحد، هتفوا به جميعا!

ما وراءك يا حجاج؟

فصاح الرجل: أبشروا يا أهل مكة أبشروا يا رجال قريش لقد هزم المسلمون هزيمة نكراء ووقع محمد أسيرا لدى اليهود!

تجمع القوم حوله، وصاحوا فرحين فَصِّلْ ما أجملته يا حجاج، فنحن على شوق لمعرفة ما كان ولا تختزل القول، بل أفرغ جميع ما لديك!

قال الحجاج: ذهب المسلمون إلى خيبر فى حالة من الضعف لا تسمح بالمقام فضلا عن الجهاد وكان اليهود قد علموا بإقدامهم من قبل فأعدوا السهام المسمومة فأخذت تصرع المئين خلف المئين، وحين تيقنوا من هزيمتهم فتحوا الحصون، وانطلقوا إليهم بالسيوف يتقدمهم مرحب الباسل الصنديد! وقد قتل أكثر المهاجرين ووقع محمد أسيرا فى أيديهم وأقسموا ليذهبوا به إلى مكة ليسلموه إليكم فتأخذوا ثأركم منه، وسيكون بين أيديكم عن قريب.

وانطلق يكرر هذا الادعاء، ويدعو المدينين إلى قضاء حقه ليذهب إلى خيبر كى يشترى ما يروقه من الغنائم ويرجع بها إلى قريش، ثم ختم الجولة بذهابه إلى منزله، حيث تلقى زوجه، وعلى وجهه بشائر الابتهاج وطلب أن تهيئ كل ما بالمنزل من الذهب والفضة، ليكون الكسب القادم موفورا ووعدها بالثراء الطائل وكانت مشركة ذات حقد على المسلمين شرسة الطبع، فسرت بما سمعت ولم تبق إلا قليلا أو كثيرا إلا جمعته مضافا إلى ما جمعه من القوم فكان شيئا كثيرا بشرها بالخير والإسعاد.

وجاء حديث الحجاج إلى العباس عم رسول الله، فشعر بألم لم يلبث أن زال إذ عاوده الشك فى كل ما قال الرجل، وعرف بفراسته أن الحجاج يريد أن يجمع المال

بأيسر السبل فادعى ما ادعى، وفى تريث متئد أرسل غلامه إليه، ورجاه أن يسعى إلى منزله مستخفيا ليقطع الشك باليقين وعرف الحجاج أن عم رسول الله يستدعيه، ولا مناص من تلبية دعوته، فأسر للغلام بأن النصر للمسلمين وأنه سيوضح ذلك عند اللقاء، ولم يطق الغلام صبرا على احتمال النبأ السار، فعجل به إلى سيده وهنا لم يتمالك العباس أن أعتقه فرحا بما جاء.

وأزفت ساعة اللقاء فقال العباس للحجاج الله أرأف بمحمد والمسلمين أن يحدث ما جئت به، ولله على عتق عشر رقاب إن كان النصر لمحمد.

فقال الحجاج: أعتقهم الآن فقد احتلت لأجمع مالى بعد أن أسلمت، ولى امرأة شرسة لن تترك معى درهما لو علمت بإسلامى، لقد تركت رسول الله، وقد جرت السهام بنصره، ففتح خيبر، وأعرس بابنة سيد القوم صفية بنت يحيى، وغنم من الأموال مالا يحصيه العدد، ولكن اكتم الأمر حتى أرحل وأقضى يومين، ثم أذعه ولا تعجل قبل يومين كيلا يلحقنى القوم فى الطريق.

وما فات الزمن المحدد حتى لبس العباس أجمل ملبس، وحمل عصاه، وتخلق بالطيب والعطر، ثم أقبل على دار الحجاج، فقالت له زوجته شامتة: لايحزنك الله، لقد شق علينا ما بلغنا من أمر ابن أخيك.

فقال العباس: لن نحزن أبدا، فقد تم النصر على يده ورجع إلى المدينة مثقلا بالغنائم، واصطفى بنت الرئيس زوجة لنفسه وقد أسلم زوجك، وأخذ ماله، وإن كانت لك رغبة فى الإسلام فألحقى به فى المدينة. فوجمت وقالت فى فزع: ومن أخبرك يا ابن العم؟

قال: زوجك نفسه، كان عندى قبل أن يرحل.

ثم تركها وتوجه إلى الكعبة فى أجمل لباس، وأكمل زينة، وعصاه فى يده فصاح به أحد السفهاء، علام الزينة يا أبا الفضل، وابن أخيك أسير اليوم وقتيل الغد؟

فصاح العباس: إلىّ أيها القوم، لقد زارنى الحجاج، وأعلن إسلامه، واحتال كى يأخذ ماله بما حدث، أما الذى لا شك فيه فإن رسول الله قد انتصر على خيبر وقتل أشراف اليهود وعاد ظافرا منصورا.

هاج القوم وهب حويطب بن عبدالعزى إلى صفوان يطلب الرهان فوجم كأنه طعن بمدية وحار المكبون فيما سمعوه، وذهبوا إلى الدرب الذى يسكن فيه العباس فسألوا: هل رأى أحد منهم الحجاج يدخل منزل العباس؟

فقالوا: نعم، وقد ودعه العباس سعيدا مغتبطا، وعانقه، وغلامه يطير من الفرح، ويقول أعتقنى سيدى. ثم ذهبوا إلى زوج الحجاج فوجدوها تولول، وقالت: أخذ كل ما فى المنزل وما كانت هذه عادته كان يأخذ شيئا ويترك شيئا، إن حديث العباس صحيح.

وبعد يوم واحد جاءت الأنباء الصادقة من المدينة فغرقت مكة فى ظلام بهيم!

مفهوم القوة فى الإسلام

بقلم اللواء الدكتور/ محمود خليل

تلتصق القوة بالوجود الإنسانى فهى معبرة عن بعض حاجاته فى بعض الأحيان ومترجمة لبعض سلوكياته فى بعضها الآخر ومفسرة لبعض علاقاته وتفاعلاته فى بعضها الثالث ولذلك لم يكن غريبا أن يحتل مفهوم القوة مكانة خاصة فى تحليل علم الاجتماع السياسى وأن تختلف رؤى دراسية فى تحديد معناها وطبيعتها واختلاف طبائع هذه الرؤى فى تعريف القوة حسب التوجهات الأيديولوجية للمفكرين، وفى عصرنا الحالى يعتبر مفهوم القوة من وجهة نظر الفكر الغربى هى النموذج السائد لتعريف القوة ولذلك فنحن نحاول أن نقدم مفهوم القوة فى الفكر الإسلامى من القرآن والسنة لنبين الفرق بين مفهوم القوة الغاشمة العدائية فى الفكر الغربى التى تبيح استخدام كافة الوسائل المتاحة لتحقيق الهدف المطلوب وبين قوة الحق والعدل فى الإسلام التى تحكمها قواعد وأخلاقيات.. فإذا كان تعريف القوة فى الفكر الغربى هى القدرة على التأثير على الطرف الآخر ماديا ومعنويا لتوجيه سلوكه بما يخدم مصالح صاحب القوة.. ولذلك فإن القوة فى الفكر الغربى تنقسم إلى شقين:

أولا: القوة المادية: وهى القوة المتداركة من قبل جميع العوام وهى القوة العسكرية والاقتصادية والسياسية ولذلك فإذا كان البعض يتصور أن القوة العسكرية هى قوة الدولة فيتضح من تعريف القوة فى الفكر الغربى أن القوة العسكرية هى أحد الأركان الأساسية للقوة ولكنها ليست القوة ذاتها.

ثانيا: القوة المعنوية: وهى القوة الأقوى والأخطر التى تقوم على الغزو الفكرى للآخر والتى تنبع من الهيمنة الثقافية والفكرية واحتلال عقل الآخر مثل فرض النموذج الأمريكى الليبرالى والثقافة الأمريكية على العالم (أمركة العالم) وبهذا فإن مفهوم القوة فى الفكر الغربى ينبع من أساس استخدام جميع الإمكانات المتاحة ماديا ومعنويا لإخضاع الآخرين سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو الثقافية أو حتى العسكرية بالتهديد بالأسلحة المتقدمة كالسلاح النووى أو حتى التلاعب بالبورصات لانهيار السوق العالمى وعقد الصفقات السوداء لتحقيق امتلاك القوة الاقتصادية كأهداف كبرى.. فالقوة

فى الفكر الغربي قوة غاشمة لاتعرف أخلاقا أو مبادئ، فهي قوة وضعية من صنع الفكر الإنساني الأناني.. أما القوة فى الإسلام فهي قوة محددة بقواعد وأخلاقيات لأنها قوة نابعة من القانون الإلهي الذى لايعرف الخطأ فهي قوة حق وعدل.. ونبدأ من مفهوم القوة في اللغة فمفهوم القوة مشتقاته فى اللغة لها أكثر من معنى، ومنها عدم اللين وعدم الضعف والجد والغلبة والطاقة والنشاط والنمو والحركة والتمكن والقدرة. والمتأمل في هذه المعاني يجد أنها تحمل معنى عاماً جامعاً للقوة وهى أداء الشيء بتمكن وبلا عجز أو كلل:

﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ ﴾[1] بيد أن هذا يصير بلا قيمة إن لم يستمد طاقته وفعاليته من الله - سبحانه وتعالى - ذلك أن:

﴿ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾[2] وأنه:

﴿ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾[3] ولذلك نسب الله التمكين إلى ذاته العليا:

﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾[4].

وقوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ
وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ﴾[5].

فلذلك لا قيمة للقوة مالم تكن تدور فى فلك الحق. فالقوة في ميزان الإسلام ثمة اعتراف بأنها ابتداء وانتهاء من الله وإليه لأنه الوحيد القادر على تدبير شئون خلقه بما يشاء الله فإن الله - سبحانه وتعالى - حين يصرف القوة في عباده إنما يصرفها عطاء واستخلافاً وعدلاً - نفعاً أو ضراً، هداية أو غواية، فقر أو غنى، إطعاماً أو تجويعاً:

﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ
لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[6].

وهكذا تتضاءل كل القوى أمام قوته - سبحانه وتعالى - فى موقف ذل وعبودية وهى تعلم أن القوة منه وإليه ولذلك فإن القوة التى يمتلكها الإنسان إنما هى قوة استخلاف من الله مقامة على ميثاق من الله - سبحانه وتعالى - وبين من حاز هذه القوة وهو المستخلف بموجب هذا الميثاق وفق حدود الله الشرعية:

﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ
(20) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (21) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ
بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾[7].

---

(1) البقرة (63). (2) البقرة (165). (3) الكهف (39).
(4) الحج (41). (5) الأعراف (10). (6) الشورى (12).
(7) الرعد (20-22).

أما الحال الآخر فهو نقض الميثاق بما يصاحبه من مظاهر عدم الالتزام الإيماني:

﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا
أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ
وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾[8].

وبذلك أوضح الله -عز وجل- مصير كلا الفريقين فالفريق الذى يؤتيه الله القوة من مال وجاه ويحافظ عليها ويجعلها تدور فى فلك الحق فهذا مصيره عقبى الدار وهى الجنة والفريق الذى يؤتيه الله القوة فيستخدمها فى الهلاك والدمار وإخضاع الآخرين له فمصيره سوء الدار أى جهنم والعياذ بالله، ومما يجدر أن نذكره فى هذا الشأن أن القوة فى الإسلام قوة ردعية لا عدائية وذلك لأن القوة فى الإسلام لاتتعارض مع الرفق وقد جاء فى الحديث «اللهم من ولى من أمر أمتى شيئا فشق عليهم فشق عليه، ومن ولى من أمر أمتى شيئا فرفق بهم فارفق به» وكذلك قوله تعالى:

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ
وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾[9].

فطلب القوة جاء من أجل إرهاب وردع أعداء الله وليس البغى على البشرية ولم ينتقم رسول الله ﷺ لنفسه وإنما اذا انتهكت حرمات الله، كما جاءت القوة فى الإسلام ليكون عفو وسماحة الإسلام آتيا من قوة وإلا كان تهاوناً وتفريطا واستسلاما وبذلك يضمن الإسلام إشاعة جو من الألفة والتماسك داخل المجتمع المسلم الذى تحميه قوة الحق والعدل والعفو.. والقوة فى الإسلام تستلزم الإعداد تحقيقا للقانون الإلهى فى أمور الدنيا وهو الأخذ بالأسباب ولذلك نطق الأمر الإلهي:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ
بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ
وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[10]

والواقع أن الإعداد المأمور به فى الآية الكريمة يضيف لنا أمراً فى غاية الأهمية وهو أن القوة فى الإسلام ليست حركة هوجاء أو طاقة تعمد إلى التخبط وسوء التدبير وإلا كانت هباء لا قيمة له فالقوة فى الإسلام على العكس يجب أن يغلب على إعدادها طابع الدقة والتدبير وكل مايخدم الإعداد على وجه النافع، وعلى المستحوذين على القوة أن يكونوا واعين بها أمام التحديات التى قد تحاول الانحراف بهم عن الخط الإيماني، ولذلك يكمل الأمر بإعداد القوة بأمر آخر لايقل أهمية عن الإعداد وهو التزام الحذر:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ
فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا ﴾[11].

---

(8) الرعد (25). (9) الأعراف (199).
(10) الأنفال (60). (11) النساء (71).

كما أن القوة لاينبغي أن تكون وليدة الموقف الذي قد يتطلبها لأن إعدادها من لوازم فعاليتها فالإعداد بطبيعته مرحلة سابقة على التنفيذ والاستعمال ولا يجب على الكيان المسلم أن يؤخذ على غرة أو أن يهاجم من قبل أعدائه بلا إعداد منه ولذلك أشاد الرسول ﷺ في حديثه «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفى كل خير احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أنى فعلت كذا وكذا - ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان»(١٢) إنما أراد أن يغرس في المسلمين جميعاً روح التنافس بين القوى ليزداد قوة وبين الضعيف ليتخلص من ضعفه ويقوى ليكون المسلمون في استعداد دائم للرد على أية مواقف قد يمتحنون فيها في عقيدتهم وهويتهم ووجودهم الحضارى.. وجدير بالذكر أن مفهوم القوة في الإسلام تحكمه عدة قواعد وشروط تجعلها قوة مشروعة فالقوة في الإسلام يجب أن تكون انضباطاً وليس انفلاتاً ولعله ليس من الإعداد في شيء عدم ضبط النفس والتسرع عند أول تحد يواجهه المجتمع المسلم وإلا صار صرعة وغضباً، والرسول ﷺ قال: «ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب»(١٣) كما يجب أن يكون تحصيلها على حساب عقيدة وخلق الإسلام فلا عبرة إذاً بمصادر يُجبر المسلم من خلالها ومن ثم أمته على تقديم أية تنازلات على حساب عقيدته وقيمه ومبادئه.

وأخيراً: ينبغى التأكيد على أن التوسط أو التوازن هو طابع إعداد القوة فى الإسلام فلا تزيد القوة عن حدها ولا تكون قوة استفزازية كما يجب عدم تبديد القوة وهذا يعنى أن استخدام القوة - على أية صورة وقد أعدت سلفاً - يلزمه مرحلة سابقة وهى مرحلة أمن إعداد هذه القوة بكل ما يندرج تحت ذلك من حفظ أسرار عملية الإعداد وإجراءاتها، كما يجب أن تجمع القوة كل الكيانات المختلفة وتشمل جميع جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والخُلقية والروحية والعلمية حتى تتحقق القوة الجمعية ذلك المفهوم الذى عرفه الإسلام قبل أن يستوعبه الغرب الآن، بل يمكن القول أن مفهوم القوة الجمعية قد ابتكره الفكر السياسى الإسلامى وقد أخذه الفكر الغربى وطبقه بنجاح نتيجة احتكاك أوروبا بالفتوحات الإسلامية فإن لم تكتمل هذه القوة الجمعية التى تناولها الإسلام - قبل أربعة عشر قرناً - اختل ميزان إعداد القوة واختل توازن المجتمع المسلم وماانهض تشريع الإسلام إلا ليقيم العدل والميزان بالقسط بين البشرية كافة.

(١٢) رواه مسلم.
(١٣) مسند أحمد.

سوريا فى عيون يهودية

للدكتور / محمد محسن عبد الخالق

إن محور الشر الذي يتشدق به بوش الإبن في كل محفل دولى، ليس إلا محور خير له وللصهيونية، حتى وإن وصلوا إليه على أشلاء من فيه.

فقد عشنا دمار أفغانستان ولم نعش إعماره، وعشنا دمار العراق ولا ندرى متى نعيش إعماره، والتلويح الآن لسوريا وإيران.

وفى محاولة منا لإلقاء الضوء على سوريا من منظور يهودى باعتبارها تمثل العمق الإستراتيجى لاسرائيل بالاضافة إلى احتلالها لهضبة الجولان مصدر الماء والأمن لإسرائيل، وجزء من حلمها الأبدى «إسرائيل الكبرى» التى تمتد من النيل إلى الفرات.

وقد تعمدت المراجع العبرية تشويه الحقائق فيما يتعلق بوضع اليهود فى البلاد الإسلامية عموما، وفى حديثهم عن يهود سوريا يقول «ديفيد سيطون» بأن يهود دمشق كانوا كبشا للفداء بعد إعلان قرار التقسيم، وكذلك بعد حرب ١٩٦٧.. الخ.

وإذا حاولنا أن نفند هذه المزاعم لاحتجنا لصفحات عديدة لايتسع لها المقام الآن ولكن الملاحظ هو إظهار صورة العرب على أنهم سفاكو دماء لليهود بخاصة، وأن هذا التعطش العربى للدماء اليهودية يزداد من حين لآخر طبقا للظروف السياسية.

أما ما لفت نظرى فى كلامه وكلام غيره من المؤرخين اليهود، هو أن كلا منهم يحكى عشرات من الحوادث المؤسفة التى وقعت لليهود طوال وجودهم بين العرب ولم يذكر لنا أى منهم حادثة واحدة قام بها يهودى ضد العرب. علماً بأنهم زاولوا أحط أنواع الجرائم، التى تقع تحت طائلة قانون أية دولة فى العالم من تجسس ووشاية ونفاق وإضرار بالأمن العام.

والتاريخ يغص بما كان يقوم به اليهود من حوادث مؤسفة، وقد اشتهرت بعضها فى الأوساط العالمية، وكان لها أصداء سيئة مثل اغتيال الطفل هنرى عبدالنور فى دمشق ومقتل الراهب توماس في دمشق، والجرائم الفردية كثيرة.

وتذكر المراجع العبرية أن الطائفة اليهودية في سوريا هى من أقدم الطوائف اليهودية فى العالم، وهى قضية خلافية بين المؤرخين.

ويقول «ديفيد سيطون»: منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام على التوالى يقام في سوريا الاستيطان

اليهودى، وأن دمشق مرتبطة بتاريخ اليهود فى كل الأجيال منذ إبراهيم وحتى داود «عليهما السلام»..، ويؤكد كلامه بأن هناك عديدا من الكتب التى كتبت من حوالى ألف عام، وهناك معبد صغير فى قرية «جوبر» القريبة من دمشق، ترجع التقاليد التوراتية بأنه بنى منذ أيام «إلياهو النبى»[١] الذى اختفى فى المغارة الصغيرة الموجودة بجوار المعبد حين قال له الرب: «اذهب راجعا في طريقك إلى برية دمشق»[٢].

وللمعبد قداسة خاصة يؤمه اليهود من كل صوب. ويقول بيتون: إن اليهود فى سوريا منذ القدم،، وأنه في القرن الأول الميلادى كان يعيش في دمشق وحدها طائفة يهودية كبيرة تقدر بعشرة آلاف نسمة وأن معبد جوبر يحضر إليه اليهود من دمشق وما حولها مساء كل سبت مع نسائهم وأولادهم ويبيتون فيه، لأنهم كانوا يعتقدون أن به بركة إطالة العمر[٣].

ويضيف سيطون قائلا: «أما سكان القرية الموجود بها المعبد فقد كانوا يتصرفون بأدب بالغ تجاه الضيوف اليهود، لأنه طبقا للتقاليد الدينية الإسلامية التى بين أيديهم فقد كانوا يهوداً فرض عليهم الإسلام»[٤].

ولى هنا تعقيب بسيط، فإذا عاملهم المسلمون بالحسنى فلأنهم يهود قد فرض عليهم الإسلام - كما يزعمون - وإذا طبقوا عليهم قوانين أهل الذمة، فإنه إجحاف ويصبح المسلمون هم ألد أعداء اليهود.

ويقول فيليب حتى:

وعلى وجه العموم فقد تعم يهود سوريا بالحياة داخل إطار المجتمع الإسلامى وذلك منذ الفتح العربى لسوريا، فقد سمح لهم بالحفاظ على ممتلكاتهم وعقائدهم وإدارة شئونهم الداخلية وقد شمل الإسلام أهل الذمة بالأمان وصانهم بالعهود والمواثيق، وقد أتاح نبى المسلمين لليهود هذا الوضع السمح على اعتبار أنهم من أهل الكتاب[٥].

وقد عمل اليهود فى سوريا بالتجارة والحرف معاً، فقد زاولوا أعمالا عديدة منها سك العملة، أعمال الذهب والفضة، أعمال النجارة، النسيج، صياغة وغزل الحرير حيث كان لأصحاب هذه الصناعة منزلة خاصة فى دمشق[٦].

وقد سيطر اليهود في بداية القرن التاسع عشر علي الاقتصاد،، ونجح المرابون اليهود فى التدخل فى شئون الدولة، فكانوا

(١) سيطون. دافيد: (كهيلوت يهودى سفره فهمزراح بعولام بيمينو) جماعات يهود أسبانيا والشرق فى العالم فى عصرنا. القدس ١٩٧٤ ص ٤٥ (مصدر عبرى)

(٢) ملوك أول ١٩ - ١٥

(٣) beaton, f. : the jews in the East 1959, p. 296

(٤) سيطون: مصدر سابق ص ٤٦.

(٥) حتى. فيليب (دكتور): تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين - جـ ٢ ترجمة د. كمال اليازجى - دار الثقافة - بيروت ١٩٥٩ ص ١٠٤.

(٦) سيطون: مصدر سابق - ص ٥٠

يقرضون بعض الولاة ويرفعون سعر الفائدة ويقصرون فترة السداد بهدف تحقيق مآربهم[٧].

وقد حقق اليهود فى سوريا مكاسب عديدة وعاشوا هانئين واكتسبوا لغة العرب وتعلموا أنماط حياتهم

● أما رجال الدين القلائل الربيون، والمرتليون فقد إستمروا فى تعليم وصقل اللغة العبرية وذلك من التوراة التى بين أيديهم والتى حرصوا على شرائها لأولادهم، أما بقية اليهود الموجودين فى سوريا فقد تعلموا الصلاة والقصائد الغنائية التى كانت تردد فى أيام الأعياد شفويا، وكانوا تقريبا لا يفهمون معناها[٨].

كما برع اليهود فى دمشق في مزاولة الأعمال التى طالما كسبوا بها عيشهم وكانت هذه الأعمال محرمة في الإسلام كحانات الخمر ودور المقامرة واللهو التى لم تكن دائما من النوع البرىء.

وإذا استعرضنا دوافع الهجرة اليهودية من سوريا إلى فلسطين سنلاحظ أننا أمام ثلاثة دوافع رئيسية:

١ - دافع دينى: ويشاركهم فيه يهود المشرق العربى عموماً وهو رؤية ما يزعمونه أرض الميعاد..... الخ.

٢ - دافع اقتصادى: معظم يهود سوريا كانوا أصحاب حرف، وعندما قل الطلب على الصناعات اليدوية، هاجروا بحثا عن مناطق أخرى يحسنون فيها وضعهم الاقتصادى[٩].

٣ - دافع سياسى: قامت به الصهيونية ونظمت هجرة غير شرعية، مما دعا الحكومة السورية بعد عام ١٩٤٨ إلى إصدار بيان بدعوة كل اليهود الذين غادروا سوريا خلال السنة الماضية إلى العودة إلى أماكن إقامتهم، إلا أن إسرائيل استمرت فى سياسة تشجيع الهجرة غير المشروعة.

وعندما هاجر يهود سوريا إلى فلسطين، وجدوا أنفسهم فى أسفل السلم الاجتماعى، شأنهم شأن يهود المشرق العرب جميعا الذين هاجروا من أنحاء شتى من الوطن العربى. وندموا على الأيام الخوالى التى عاشوها فى سوريا. وعرفوا أنهم غادروها للأبد، تاركين لأبنائهم وأحفادهم قصصاً مشوهة وكاذبة من نسج خيالهم المريض، عما لاقوه على أيدى العرب ليأججوا ناراً أشعلوها فى خيال أبنائهم ليطالبوا بما يزعمونه من أموال تركها أجدادهم.

(٧) ناجى سليمان: زحف الطاعون. دار النبراس. دمشق ١٩٨٠ ص ٢٣٢.

(٨) سيطون. مصدر سابق ص ٤٦.

(٩) كوهين. حاييم: (هيهوديم بارتسوت مزراح هتيخون بيمينو) اليهود فى بلاد الشرق الأوسط فى العصر الحديث. الجامعة العبرية بالقدس ١٩٧٢ - ص ٩٨.

أسطورة أرض إسرائيل الكاملة

للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

تعتبر أرض إسرائيل الكاملة إحدى الأساطير التى تُروج لها أبواق الدعاية الصهيونية، لتضليل الرأى العام، وتزييف الحقائق التاريخية لفلسطين العربية، التى تزعم إسرائيل أنها أرض الآباء اليهود الأوائل منذ أن أقام داود وسُليمان فيها مملكة عبرية مترامية الأطراف فى القرن العاشر قبل الميلاد، مُتناسية أن هذه المملكة كانت مساحتها محدودة، فقد بلغت جبال الكرمل شمالاً، والخليل جنوباً. ولم تستمر إلا ٨٠ عاماً من (١٠١٠ ق.م - ٩٣٠ق.م) وكانت تحت النفوذ المصرى. أما الساحل من شمال يافا إلى جنوب غزة، فكان تحت السيادة الفلسطينية، وكان شمال عكا مع ساحل لبنان خاضعاً للحكم الفينيقى. ويذكر المحللون السياسيون الإسرائيليون أن «مناحم أوسيشكين» كان فى طليعة من طرح فكرة «أرض إسرائيل الكاملة»، عندما دعا، فى حديثه أمام مؤتمر السلام عام ١٩١٩، إلى استرداد الأرض التى وعد بها الرب بنى إسرائيل، وارتكز خطابه فى هذا المؤتمر على ثلاثة أركان: الأول الإيمان بحق اليهود التاريخى فى أرض فلسطين.

والثانى أن ثمة رابطة دينية تجمع بين يهود العالم.

والثالث الإيمان بحق اليهود فى تقرير مصيرهم. وفى عام ١٩٢١ انعقد المؤتمر الصهيونى الثانى عشر، وطالب المشاركون فيه بضم شرق الأردن إلى المناطق الخاضعة للانتداب البريطانى، بوصفها جزءاً لا يتجزأ من أرض إسرائيل الكاملة، وقد أكدت الحركة الصهيونية فى ذلك الوقت أن ضفتى نهر الأردن الشرقية والغربية تمثلان كتلة تاريخية وجغرافية واقتصادية واحدة لا يمكن التفريط فيها.

وفى المؤتمر السابع عشر عام ١٩٣١ تحدث الزعيم الصهيونى «زئيف جابوتنسكى» قائلاً: «إن الحدود التاريخية لأرض إسرائيل هى الحدود التاريخية لمملكة داود».

واللافت للنظر، فإن الدولة العبرية فى مفهوم «جابوتنسكى» هى دولة تضم أغلبية يهودية تعيش على ضفتى نهر الأردن، يتم فيها المحافظة على حقوق الأقلية العربية، ويمكن لها أن تقيم فى أرض إسرائيل كأقلية قومية. وجابوتنسكى بهذا المفهوم المغلوط يُحوّل الأغلبية العربية فى فلسطين إلى أقلية دخيلة، ويعتبر الأقلية اليهودية، وكأنها أغلبية صاحبة الأرض، وهو بذلك يرتكب أكبر عملية تزييف لتاريخ فلسطين العربية.

وفى هذا السياق وصف «إبراهام شيترن» مؤسس منظمة شيترن الإرهابية حدود هذه الدولة العبرية فى إحدى مقالاته عام ١٩٤١ بقوله: «إن حدود هذه الدولة تمتد من نهر مصر إلى نهر الفرات، وإذا كان لنا الحق فى هذه المنطقة، سنحتلها بقوة السيف، ولن نضيع هذا الحق إلى الأبد». وترى التفسيرات اليهودية للوعد الإلهى الذى منحه الرب لسيدنا إبراهيم الوارد فى سفر التكوين (١٥ : ١٨): «لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات»، أن المقصود بالحد الغربى لأرض إسرائيل ليس هو نهر مصر، إنما هو وادى العريش فى سيناء، أما الحدود الشرقية فهى تضم وادى الأردن بأكمله، والبحر الميت، والمرتفعات الشرقية حتى مشارف مدينة عمّان، بينما ترى معظم التفسيرات اليهودية أن الحدود الشمالية لأرض إسرائيل الدينية فى سوريا ولبنان، ومرتفعات الجولان، ونهر اليرموك، وجبل الشيخ، ومدينتى صور وصيدا، والقسم الجنوبى من نهر الليطانى.

ونجد تفسيرات يهودية أخرى تمتد بهذه الحدود الشمالية لتصل بها إلى نهر الفرات، أما الحدود الجنوبية لأرض إسرائيل فتمتد عند مدينتى بئر سبع والنقب، فى حين تشير بعض التفسيرات أنها تمتد حتى خليج العقبة.

ومن جانب آخر فإنه عقب حرب يونيو ١٩٦٧ أخذ الانتصار العسكرى الإسرائيلى بُعداً دينياً، فنجد «شلومو جورين» كبير حاخامات الجيش الإسرائيلى يقف أمام حائط المبكى رافعاً بيده اليمنى التوراة، وبيده اليسرى البوق مُتحدثاً للجنود الإسرائيليين قائلاً: «لقد تحقق حُلم كافة الأجيال، لقد خلصتم اليوم يا أبطال الجيش الإسرائيلى مدينة الرب، والهيكل، وحائط المبكى، لقد نفذتم اليوم القسم «لو نسيتك يا قدس، فلتنسنى يمينى» لقد حققت ذراع الرب هذا الخلاص التاريخى، تبارك الرب إلهنا الذى أحيانا، وجعلنا نعيش هذه اللحظة، لقد أكدتم حق الشعب فى هذه المدينة. إن هذه المدينة ستصبح عاصمة إسرائيل الأبدية». وانطلاقاً من أيديولوجية أرض إسرائيل الكاملة أصدر الحاخام «شلومو جورين» فتوى طالب فيها بإعدام

عرفات، وهو نفس الموقف الذى تقفه حكومة شارون الآن بقرارها الذى اتخذته بطرد عرفات من مناطق السلطة الفلسطينية لتكريس الاحتلال الإسرائيلى فى الضفة الغربية والقطاع، باعتبارهما جزءاً من أرض إسرائيل الكاملة. ولم يقف الأمر عند إعدام وطرد عرفات، بل طالب الحاخام «شلومو جورين» الجنود الإسرائيليين بعدم تنفيذ أوامر إخلاء المستوطنات، وهو ما يطالب به اليمين الدينى والصهيونى فى ظل حكومة شارون الحالية.

والجدير بالذكر أن علم إسرائيل الذى اختاره «مجلس دورة إسرائيل» فى ٢٨ أكتوبر ١٩٤٨ ليكون رمزاً للدولة الصهيونية الوليدة يجسد فى الواقع أحلام الدولة اليهودية التوسعية فى أرض إسرائيل الكاملة، فهو يحتوى على اللون الأبيض الذى يمثل فى نظر «هرتزل» الحياة الجديدة الصافية، وخطين عريضين باللون الأزرق السماوى يرمزان إلى نهرى النيل والفرات، تتوسطهما النجمة السداسية المتساوية الأضلاع، والمعروفة بـ«نجمة داود» باللون الأزرق السماوى كذلك.

وقد اختلفت التفاسير والآراء حول نجمة داود، ولكن هناك من يعتقدون أن شكلها يُظْهِر نظام رحلات قبائل إسرائيل فى الصحراء، وتجمعهم بجوار خيمة الاحتفال عند خروجهم من مصر، فحَسَبَ ما ترويه التوراة، انقسم الإثنا عشر سبطاً إسرائيلياً إلى أربعة معسكرات، وكل معسكر كان حاملاً لعلم، بما يرمز للسبط أو القبيلة التى تقود المسيرة، والتى انضم إليها سبطان آخران، وهكذا كان شكل الترحال، وذلك التصور هو الأقرب لتفسير الشكل الذى عليه نجمة داود، حيث تنقسم إلى اثنى عشر مثلثا متساوى الأضلاع فى حين يتوسطها الخيمة الاحتفالية والتى عسكر حولها الأسباط. يضاف إلى علم الدولة «وجود لوحة معلقة على باب الكنيست الإسرائيلى ترمز إلى إسرائيل الكبرى» أو أرض إسرائيل الكاملة، وتشمل كل فلسطين، وكل لبنان أو الجنوب اللبنانى حتى نهر الليطانى، وجنوب سوريا، وشرق الأردن، وثلاثة أرباع العراق، ونهر النيل حتى وادى العريش وسيناء. وقد سبق «بن جوريون» عام ١٩٣٧ أن قدم تقريراً لمؤتمر المجلس الصهيونى العالمى بزيوريخ رسم فيه «حدود إسرائيل» التوراتية، وتضم خمس مناطق، هى جنوب لبنان حتى نهر الليطانى، وجنوب سوريا، وشرق الأردن، وفلسطين من النهر إلى البحر، وسيناء. وفى هذا المقام زعم «بن جوريون» عام ١٩٥٦ فى حديث له أمام الكنيست قائلاً: «إن سيناء كانت تشكل جزءاً من مملكة داود وإسرائيل»، كما أعلن الزعيم الصهيونى أيضاً عقب حرب يونيو

١٩٦٧.. «إن حَدَّىْ أرض الميعاد هما نهر الفرات ونهر مصر».

وتأكيداً لأطماع إسرائيل التوسعية، فى تحقيق أرض إسرائيل الكاملة يقول «بن جوريون» فى إحدى خطبه: «انظروا فى إعلان الاستقلال الأمريكى، ليس فيه أية إشارة لحدود إقليمية، ونحن كذلك غير ملزمين لتحديد حدود الدولة».. واعتبر أنصار «أرض إسرائيل الكاملة» من اليمين الدينى والصهيونى وعلى رأسهم «إسحاق شامير» أن التنازل عن سيناء والضفة الغربية بموجب اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل عام ١٩٧٩. واتفاق أوسلو عام ١٩٩٣، يُعَدُّ تنازلاً عن حق اليهود التاريخى فى أية قطعة من الأرض، فيقول «إسحاق شامير»: «إنه ليس من الجائز أن يتنازل اليهود عن أى جزء من أراضيهم التاريخية، وأن اتفاق أوسلو هو دمار للمشروع الصهيونى، وأن حكومة «رابين» تقود الدولة إلى كارثة». كما انتقد أنصار فكرة أرض إسرائيل الكاملة اتفاق أوسلو عام ١٩٩٣ بصفة خاصة بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية، فأعلن الحاخام «افراهام شابيرا» كبير الحاخامات الأسبق فى اجتماع حضره «آرييل شارون» عندما كان عضواً فى الكنيست فى ذلك الوقت انتقاده بقوله: «إن حكومة «إسحاق رابين» لا تملك صلاحية التوقيع على أى اتفاق لأن الأرض ليست من أملاك الحكومة، وإنما ملك لكل إسرائيلى، ومن ثم فإن مشروع الحكم الذاتى الفلسطينى لا تجيزه الشريعة، وأن التوراة تأمرنا بالاحتفاظ بالأرض وعدم تسليمها للأغيار». ويعتقد البعض من مؤيدى فكرة أرض إسرائيل الكاملة أن هذه الفكرة تفوق فى أهميتها فكرة تأسيس الدولة، فهم يعتبرون أن هذه الدولة وسيلة لتحقيق إسرائيل الكبرى، ويترتب على ذلك الدعوة إلى تكثيف الاستيطان اليهودى فى الضفة الغربية وقطاع غزة، وفرض السيادة اليهودية على فلسطين برمَّتها، وإنكار حق الشعب الفلسطينى فى إقامة دولته المستقلة على جزء من أرضه المحتلة. ويذكر أحد المحللين السياسيين أن اليمين المتشدد فى إسرائيل يرى أن عدم سيطرة الدولة على القدس وجبل الهيكل «الحرم القدسى الشريف»، والخليل، وبيت لحم، وقبر راحيل يُعَدُّ انتقاصاً من سيادة الدولة، فيقول الشاعر الإسرائيلى «أورى تسفى جرينبرج» معبراً عن ضرورة السيطرة على جبل الهيكل «الحرم القدسى» والقدس فى إحدى قصائده:

لقد ختنتم جبلكم «الحرم القدسى» الذى يُعد أسمى جبال الكون.

والأقدس من كل جبال العالم.

ولن تصبحوا أمة كسائر الأمم بدون هذا الجبل.

وإن إسرائيل بدون هذا الجبل ليست إسرائيل.

.. ولا شك أن هذه القصيدة تكشف صراحة أطماع الكيان الإسرائيلى فى الحرم القدسى الشريف، ومحاولة دولة الكيان الصهيونى المستمرة للسيطرة عليه، لفرض السيادة اليهودية على هذا المقدس الإسلامى العربى الذى تزعم إسرائيل من آن لآخر أن هيكل سليمان كان قد أقيم مكانه فى النصف الأول من القرن العاشر قبل الميلاد، على الرغم من أن كثيراً من الأثريين يذكرون أن هذا الهيكل «المعبد» كان خارج السور المحيط بالحرم القدسى، وليس بداخله كما يزعم اليهود.

وفى إطار تمسك اليمين الإسرائيلى بمفهوم أرض إسرائيل الكاملة لا يفوتنى فى الختام أن أبين الآثار السلبية التى يطرحها هذا المفهوم على خريطة الطريق، حيث نجد القيادة السياسية اليمينية وعلى رأسها شارون تركز اعتراضها على ما جاء بخريطة الطريق على ثلاثة أمور رئيسية:

الأول رفض إسرائيل للنص الوارد فى الخطة حول حق اللاجئين فى العودة، فالإسرائيليون يعتقدون أن تنفيذ هذا الحق، يعنى زوال دولة إسرائيل.

والأمر الثانى يتعلق بموضوع إقامة دولة فلسطينية بحلول عام ٢٠٠٥، وهى الغاية النهائية لخريطة الطريق. فالإسرائيليون يطالبون باستبدال النص الذى يتحدث عن دولة فلسطينية مؤقتة ذات طابع سيادى، بالنص على إضافة قيود على هذه السيادة، منها أن تكون دولة منزوعة السلاح، وعدم قيام هذه الدولة إلا بعد إجراء مفاوضات مباشرة بين الجانبين الفلسطينى والإسرائيلى، وليس فى أعقاب «حوار وتفاهم» كما هو وارد فى نص خطة الطريق، ومطالبة إسرائيل بالنص على عدم إلزامها بالسماح بتواصل جغرافى يسمح بتسهيل إقامة دولة فلسطينية.

والأمر الثالث يتعلق بالمستعمرات اليهودية، إن إسرائيل ترفض النص الذى يدعو إلى التفكيك الفورى للمستعمرات غير القانونية التى أقيمت فى عهد شارون، وترفض أيضاً تجميد عمليات البناء فى هذه المستعمرات، كما تراوغ بالتأكيد على عدم إمكانها تجميد الاستيطان إلا فى أعقاب هدوء أمنى طويل وشامل.

والواقع أن هذه الاعتراضات الإسرائيلية ما هى إلا دعاوى باطلة، ومزاعم زائفة، تهدف إسرائيل من ورائها إلى التهرب من التزاماتها الواردة فى خطة الطريق بوضع المزيد من العقبات أمام إقامة دولة فلسطينية مستقلة، والتى تتعارض مع أسطورة أرض إسرائيل الكاملة، التى تطمع إلى تحقيقها فى غفلة من الزمن.

تأملات فى ذكرى حرب العاشر من رمضان

للأستاذ
أحمد السيد تقى الدين



ستبقى ذكرى الانتصار العظيم الذى منّ الله به علينا فى العاشر من رمضان خالدة ملء السمع والبصر.. إنه نصر تحقق بمعجزة إلهية بكل المقاييس.

أجل ستبقى ذكرى هذا النصر خالدة كثالث انتصار فى التاريخ يحققه المسلمون على اليهود بعد غزوتى قريظة وخيبر، ولئن كان النصر فى قريظة وخيبر كاملا غير منقوص، فذلك لأن القائد كان خير البشر عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم، إذ مكن الله نبيه الكريم من استئصال شأفة اليهود من جزيرة العرب بأسرها ولكن صبرا فإن المعركة لم تنته.

ولكن لم يكن من الطبيعى ولا من المنطقى أن تظل مصر وحدها فى حالة قتال عسكرى مباشر ودائم بعد أن أنهكت الحروب مواردها الاقتصادية وأورثتها أزمات طاحنة تحملناها وحدنا، برغم أن الحرب تخص الأمة الإسلامية بأسرها.

فى حين جنت الدول البترولية أرباح الحرب وحدها بمئات البلايين من الدولارات تكدست فى خزائنهم وضاقت فأودعوها فى البنوك الأوروبية والأمريكية تساهم فى دعم

اقتصاديات الغرب ذى الميول الصهيونية!!

يقول كمال حسن علي:

«لقد أعطى العرب لمصر فى الفترة من ١٩٧٣ وحتى نوفمبر ١٩٧٧ ما قيمته خمسة مليارات من الدولارات منها ملياران كوديعة بربح ٧٪ من خلال بنك مورجان وما قيمته (٣) مليارات دولار أسلحة.

فى حين دفعوا لحرب الخليج خمسين مليار دولار فى الوقت الذى يقول فيه بعضهم عن مصر إنها برميل بلا قاع!

لقد تكلفت الضربة الأولى للطيران والمدفعية والتى جهزت لعبور سيناء (٤٠٠) مليون جنيه استرلينى وهى تكلفة الدقائق الست والخمسين الأولى من الحرب فكم ياترى تكون تكلفة الحرب كلها وكم تكون تكلفة الحروب الثلاث السابقة؟!»[١]

ومن هنا كان قرار السادات بتعديل أسلوب الحرب فكانت الزيارة القنبلة التى لم يستوعبها الكثيرون وذهب اليهود يفكرون فى أسلوب الرد على هذه القنبلة التى لم يحسبوا لها حسابا، والتى نسفت كل ادعاءاتهم ولو جزئيا بأنها تعيش وسط شعوب تكرهها، فها هو رئيس أكبر دولة عربية يأتى إليهم مادا يده بالسلام، وبالتالى فلم يكن هناك بد من الانسحاب الصاغر من سيناء ولكنهم أضمروا فى نفوسهم العمل على التخلص من هذا الرجل الذى أجبرهم على هذا الانسحاب المذل.

هذا الانسحاب الذى تناوله كمال حسن على فى مذكراته بقوله: وفى يوم الجمعة ٢٥/٥/١٩٧٩ أتمت إسرائيل انسحابها من مدينة العريش، وفى اليوم التالى حضر السادات بالزى العسكرى وسط حشود من أبناء الشعب المصرى من كل الطوائف ومن مختلف أنحاء الجمهورية، ورفع السادات العلم فوق المدينة المحررة وسط مشاعر جياشة باستعادة قطعة غالية من أرض الوطن.

وأقيم احتفال بهذه المناسبة بحضور رئيس إسرائيل (اسحق نافون) الذى بدأ يلقى كلمة استهلها بقوله: (ها نحن قد سلمناكم العريش) ليثور السادات ثورة عارمة، ورد فى حدة: «ماهذا ما هذا.. أنا لا أقبل أن يقول أحد سلمناكم العريش، لقد التقى على أرض العريش اليوم معوقو حرب أكتوبر من الجانبين المصرى والإسرائيلى، كشاهد على أننا لم نستلم العريش ولكننا استعدناها بالقتال المرير، وبالدم الغالى الذى أهدر فى سيناء».[٢]

لقد أبت كرامة الرجل ان يتخيل رئيس إسرائيل ولو للحظة واحدة أنه يسلم العريش عن طيب خاطر لمصر، بينما الواقع أنه لاخيار له فى تسليمها، وأن خطوات الجندى المصرى

(١) محاربون ومفاوضون ص٧٤، ٧٥.

(٢) محاربون ومفاوضون ص٢٤٣، ٢٤٤.



المنتصرة فى أكتوبر هى التى أعادت سيناء.

وعندما بدأت إسرائيل إخلاء مستوطنة ياميت الواقعة قرب مدينة رفح رفض المستوطنون الإخلاء، ولكن الحكومة الإسرائيلية قررت إخلاءهم بالقوة، وتم ذلك بالفعل باستخدام ٢٠ ألف جندى إسرائيلى وأقفاص حديدية حملت بداخلها قطعان المستوطنين الذين بدوا كما لو كانوا قطعان خنازير متوحشة.





وعلى الرغم من أن الحكومة المصرية عرضت على حكومة إسرائيل مبلغ ٥٠ مليون دولار ثمنا لمنشآت مستوطنة ياميت، وكان ذلك ثمنا مغريا جدا، حيث لن تستطيع إسرائيل نقل المستوطنة ولكن وزير الدفاع الإسرائيلى فى ذلك الوقت (إريل شارون) رفض العرض، وقرر تدمير ياميت، وإزالة جميع وسائل وصور الحياة من عليها، حيث قامت القوات الإسرائيلية بتدمير المستوطنة تماما، ومعها (٢٤) بئرا للمياه!!

فهل هذه أفعال منتصرين أم منهزمين؟! وبينما كانت مصر تواصل مسيرتها الظافرة فى استعادة أرضها شبرا شبرا دون تفريط، وقف أدعياء البطولة ممن لا يفقهون

ولايعلمون عن العسكرية أكثر من الزى العسكرى الفاخر الموشى بالخيوط الذهبية والمرصع بالنياشين البراقة!! وقف هؤلاء يتهمون مصر ويتطاولون على رئيسها بنعوت هم الأقرب إليها وللأسف صادفت هوى لدى بعض من ضعاف العقول، بل وضعاف الإيمان. فكانت الجريمة النكراء التى ارتكبت بحق بطل مصر المجاهد العظيم محمد أنور السادات.

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾

(الشعراء ـ ٢٢٧)

﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا
وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾

(الانفطار ـ ١٩)

ولعمرى فمثل هذه الجريمة إنما خططت لها عقول صهيونية حاقدة ونفذتها بأيد أعمى الجهل بحقائق الدين بصائرها، فانساقت كقطعان أبقار متوحشة ترعاها عصابات الصهيونية لتأكل الأخضر واليابس وتعيث فى الأرض فسادا معلنة عن ميلاد فرقة جديدة مارقة عن الدين معيدة إلى الأذهان عصر الخوارج بخوارج جدد أساءوا إلى الإسلام أبلغ إساءة وكانوا وسيلة فعالة فى يد الصهيونية العالمية لضرب الإسلام والمسلمين.



واستشهد السادات، ولكن معركة العاشر من رمضان لم تنته، وهيهات لها أن تنتهى، فإن هذه المعركة كانت بداية بعث هذا الشعب العظيم، فقد تسلم الراية بطل من أبطال هذه المعركة المجيدة تسلمها مبارك قائد القوات الجوية فى تلك الحرب ليواصل المعركة، معركة إعادة بناء مصر بسواعد أبناء مصر وبموارد أرض مصر متصديا لما يراد بمصر ويحاك ضدها من تآمر.

فى حين سقط الآخرون بضمائرهم الخربة وأحقادهم الدفينة، بعد أن أهدروا ثروات الأمة ومقدراتها فى نزاعات وحروب لا طائل من ورائها منساقين لمخطط صهيونى يهدف إلى تركيع الأمة الإسلامية، بل ومحو الإسلام من الوجود.

بين الصحف و المجلات

إعداد

أ/ محمود الفشنى

أ/ عبدالموجود أمين

ليلة النصف من شعبان

● وفى جريدة الأخبار كتب الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم مقالا بعنوان: «ليلة النصف من شعبان.. ورد على الشبهات»..

لا يصح لأحد أن يتسرع بالحكم على بعض الأحاديث النبوية بالضعف أو عدم القبول قبل أن يكون قد أحاط علما بكل ما يتصل بالموضوع من روايات وأحاديث أخرى غير التى وصلت إليه، وليس له أن يحكم حكما نهائيا بأقوال سبقت إليه دون التحرى والتدقيق، والبحث والتحقيق لأن الذى يرد الأحاديث المقبولة حسنة أو صحيحة كالذى يدخل فى الحديث ما ليس منه كلاهما كذب على رسول الله ﷺ، وقد قال صلوات الله وسلامه عليه: «من كذب علىّ عمدا متعمدا فليتبوأ مقعده من النار».

وكان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله إذا سئل عما ورد فى مسنده من الأحاديث الضعيفة مع علمه بأنها ضعيفة كان يقول: «خشيت أن تثبت صحتها من طرق أخرى فأكون قد رددت حديثا من أحاديث رسول الله ﷺ».

وقد ورد فى شأن ليلة النصف من شهر شعبان أحاديث مقبولة حسنة وصحيحة، كما ورد أحاديث ضعيفة، فتمسك البعض بالضعيف وحكم فى باقى الأحاديث بها، وظن أن كل ما يتصل بهذه الليلة هو من قبيل الضعيف وهو كلام غير صحيح، وتسرع بالحكم دون مبرر.

ولذا فقد رأيت أن أورد هنا بعض الأحاديث الحسنة المقبولة المعمول بها والتى تكون حجة - بدرجتها - فى إثبات الأحكام وحتى لا تحدث بلبلة بين الناس فيما

سمعوه أو قرأوه من كلام عام يرفع الثقة بالليلة وما فيها من خير وما لها من فضائل.

عن عليّ - كرم الله وجهه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها، وصوموا نهارها، فإن الله - تعالى - ينزل فيها إلى سماء الدنيا، فيقول: ألا من مستغفر فأغفر له، ألا من مسترزق فأرزقه؟ ألا من مبتل فأعافيه، ألا كذا ألا كذا حتى يطلع الفجر!».

وهذا الحديث رواه ابن ماجة والدراقطني بإسناد حسن، وما دام الإسناد لا مطعن فيه وهو حسن أي يعمل به ويكون حجة فإن ما اشتمل عليه الحديث، يدل على فضل ليلة النصف من شهر شعبان، وأنه يستحب قيام ليلها وصيام نهارها وهاتان العبادتان - القيام والصيام - من أفضل العبادات المطلوبة فى كل زمان، ولكن طلبها فى الأيام المباركة التى تشتمل على نفحات الله - تعالى - يكون آكد.

كما أفاد هذ الحديث أن الله - تعالى - يتجلى على عباده ويناديهم ليحقق لهم ما يرجونه، وليجيب دعاء من يدعونه، فهو يغفر ذنوب المستغفرين، ويرزق المحتاجين، ويعافى أهل البلاء وهكذا.

ويقدم فضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم عددا من الأحاديث فى شأن ليلة النصف من شعبان ثم يختتم قائلا:

وأما ما يتعلق بشأن الدعاء الوارد فيها المشهور: «اللهم يا ذا المن ولا يمن عليه».. فقد أخرجه الإمام أبوبكر بن أبى شيبة فى المصنف وأخرجه أيضا ابن أبى الدنيا فى «الدعاء» عن ابن مسعود - رضى الله عنه - والناظر إلى قول عبدالله بن عمر - رضى الله عنهما: «ما دعا عبد قط بهذه الدعوات إلا وسع الله فى معيشته».

كما رواه بن جرير وابن المنذر والطبرانى عن ابن مسعود - رضى الله عنه - والناظر إلى قول عبدالله بن عمر - رضى الله عنهما: «ما دعا عبد قط».. يرى أن مثل هذا القول من صحابى لا يمكن أن يصدر فيه عن نفسه، بل إنه لا يكون إلا بتوقيف نبوى، إذ ليس من شأن صحابى ولا غيره أن يخبر بجزاء وعمل غيبى إلا إذا كان معه علم عن رسول الله ﷺ.

وهناك زيادة فى الدعاء زادها بعض العلماء والمحدثين ورد فيها بعض كلمات أثارت الخلاف، فلا داعى من هذه الكلمة التى أثارت الخلاف وهى: «التى يفرق فيها كل أمر حكيم ويبرم».

إذا النص القرآنى يدل على أن هذا الوصف خاص بليلة القدر.

غضب

● ومما كتبه الأستاذ إبراهيم نافع فى جريدة (الأهرام) بتاريخ ١٥ / ١٠ / ٢٠٠٣:

«هناك غضب حقيقى فى العالم الإسلامى فى البداية كان مكتوماً لكنه الآن صار معلناً؛ ففى ماليزيا قال رئيس وزرائها الأسطورى المفكر مهاتير محمد إنه من الظلم أن يتهم الإسلام بالإرهاب بسبب بعض الجماعات الدينية التى أرادت اختطاف الإسلام لنفسها.

ومهاتير محمد الذى سوف يعتزل السياسة، يغادرها حزينا على الأوضاع التى آل إليها حال المسلمين بعد الحادى عشر من سبتمبر، ويرى أن

سياسة الغرب هى التى صنعت هذا الحال بسبب انحيازها للاحتلال الإسرائيلى فى فلسطين وغيرها من البلاد الإسلامية واستضافت ماليزيا قمة الدول الإسلامية التى سيطر على أجوائها ما يجرى من جرائم فى فلسطين واحتلال العراق واعتداء إسرائيل على سوريا. وللمصادفات أن تكون الدول الثلاث دولاً عربية.

أما الدول الاسلامية الاخرى فليست بأحسن حال سواء فى إيران أو أفغانستان ولكننا نحن العرب والمسلمين علينا أن نبعث رسالة تقول فيها إنه آن الأوان ليتخلص الغرب وساسته من الصورة التى تخيلوها عن الشرق لأنها صورة موروثة من زمن حروب الفرنجة وبعدها حروب القوى الاستعمارية وذلك كله من خلال مؤتمر ماليزيا وعلينا أن نقول أخيراً: إذا كانت لدينا جماعات متعصبة فإنه لايجوز أن نحاسب جميعاً على أننا مؤمنون بأفكار هذه الجماعات وأن التخلص من التعصب لايجيء عبر الحروب على ثقافات ومعتقدات الشعوب.

وإذا كانت أوروبا قد خاضت حربين عالميتين، راح ضحيتهما مائة مليون قتيل وجريح فى غضون أقل من خمسين عاماً فإن هذا الأمر لم يحدث مطلقاً بين شعوب الشرق.

مواقف

وكتب الأستاذ / أنيس منصور فى عموده اليومى بالأهرام يوم ٢٧ / ٩ / ٢٠٠٣ يقول:

هل الإسلام هو الذى يدفع المؤمنين به إلى العنف؟ هل هى المسيحية؟ هل اليهودية؟ إن أبناء الأديان الثلاثة قد وضعوا أيديهم على الزناد يطلقون النار: مدافع وصواريخ وقنابل بشرية وطائرات.. إنهم المسلمون فى أفغانستان والشيشان، والمسيحيون والملحدون الروس واليهود فى إسرائيل. وهم جميعا فى حالة حرب.. ولكن من الذى يعتدى على من؟ إن الذين يدافعون عن أرضهم هم المعتدى عليهم، وهم المسلمون. فهم يحررون أرضهم من الاحتلال فى فلسطين، وفى الشيشان، وفى أفغانستان، وفى العراق.

وذكر عدة أمثلة عن التعصب الدينى لدى أبناء الديانات ثم قال:

أما الشيء العجيب الذى أدهش المستشرق الألمانى المسلم مراد هوفمان فهو الموقف السلبى للأمة الإسلامية. كيف يرون ويسمعون ويسكتون؟ كيف يملكون كل هذه الأموال، والآبار، والشبكات، والفضائيات، ولايبرئون دينهم الحنيف من هذه الأكاذيب؟!

الواجب على المسلمين أن يذهبوا إلى خصوم الإسلام بنفس الطريقة: بالتليفزيون، والإذاعة، والكتب. وباللغة التى يفهمها الغرب.

إن رجلين استطاعا ذلك هما: الرئيس عزت بيجوفيتش رئيس البوسنة، والسفير الألمانى مراد هوفمان، فما كتبه بيجوفيتش عن الإسلام تحفة وعظمة عقلية.. لقد كتب للغرب بلغتهم بمنطقهم بأسلوبهم العلمى.. لاخطب، ولامواعظ، ولاخرافات.. وكذلك السفير هوفمان الذى تناول قضايا الإسلام، وجوهره بالحجة، والفلسفة، والوضوح.

أنباء العالم الإسلامى



للأستاذ / محمد الشرقاوى

وقاحة أمريكية

أدلى النائب الجديد لمساعد وزير الدفاع الأمريكى لشئون الاستخبارات بتصريحات «وقحة» لصحيفة «لوس انجلوس تايمز» الأمريكية.

وقال المدعو «وليام جيرى بويكن»: إن المسلمين يعبدون الشيطان وأن ما يسمى بالحرب ضد الإرهاب هو فى الحقيقة صدام بين «عبدة الشيطان» والقيم اليهودية المسيحية.

وذكرت الصحيفة الأمريكية أن الجنرال الأمريكى أدلى بتصريحاته هذه وهو يرتدى زيه العسكرى أمام اجتماع دينى وقال إن المسلمين يكرهون الولايات المتحدة لأنها دولة مسيحية وجذورنا يهودية مسيحية وعدونا الشيطان.

من جانبه رفض وزير الدفاع الأمريكى «دونالد رامسفيلد» التعليق على تصريحات الجنرال الأمريكى.

وقال: إننا نعلم جميعاً أن هذا الجنرال صاحب سجل حافل بالإنجازات فى خدمة الولايات المتحدة وأن ما يقوله المسئولون المدنيون ما هو إلا تعبير عن آرائهم الخاصة.

كان الجنرال الأمريكى قد أكد فى خطاب له من قبل أن الله اختار «جورج بوش» ليكون رئيساً للولايات المتحدة وأن الله وضعه فى البيت الأبيض ليكون المنقذ لكل الأمريكيين.

قناة فضائية تشن هجوماً على المسلمين

امتداداً للحملة الغربية الشرسة ضد الإسلام بدأت قناة فضائية غربية تبث باللغة العربية حملة افتراءات جديدة وتستعين فيها بمن

يدعون أنهم كانوا مسلمين!

وفى إحدى الحلقات التى بثتها هذه القناة «المشبوهة» قالت المذيعة لضيفها: إنها وهى صغيرة وعندما كانت مسلمة كانت تشعر بالخوف من الله لأن المسلمين يصفون الله بالجبار والقهار والمنتقم والمذل. ويدعون أن هذه هى أسماؤه!!

وأكدت أنها عندما تركت الإسلام اكتشفت أن المسلمين يضعون الله فى هذه الصورة المخيفة لأنهم يميلون إلى العنف بينما حقيقة الله غير ذلك تماماً فهو السلام والمحبة والخير!!!

وتأتى هذه الحملة الجديدة لتؤكد استمرار حملة الحقد والكراهية ضد الإسلام والمسلمين.

طعن مسلمة أمريكية فى فرجينيا

طالب مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية «كير» مكتب التحقيقات الفيدرالى بالتدخل فى التحقيق حول تعرض سيدة مسلمة للطعن فى شمال ولاية «فرجينيا» الأمريكية كانت السيدة البالغة من العمر «٤٧» عاماً والتى اعتنقت الإسلام وتخلت عن اليهودية قد تعرضت لهجوم من قبل شاب أبيض وصفها بأنها (خنزيرة إرهابية) وطعنها فى ظهرها ونقلت إلى المستشفى.

وأدان «نهاد عوض» المدير العام لمجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية الحادث ووصفه بأنه يعبر عن موجة الهجمات المعادية للإسلام والمسلمين فى الولايات المتحدة الأمريكية.

حراس جوانتانامو يعتنقون الإسلام

أكد كبير القارضين الجزائريين فى قضية تحرير «١٨٠» من أسرى القاعدة فى جوانتانامو شرق كوبا أن عدداً من الجنود الأمريكيين المكلفين بحراسة ما يقرب من «٦٦٠» أسيراً قد اعتنقوا الإسلام نتيجة مخالطتهم للأسرى خلال العامين الماضيين.

ومما يذكر أن أى جهة أمريكية لم تعلق على هذه الأنباء مما يثبت صحتها.

دعوة فى هولندا لإغلاق المساجد

طالب حزب الشعب من أجل الحرية والديمقراطية ـ وهو من أحزاب اليمين الهولندى ـ بإيجاد مادة فى القانون تسمح بإغلاق المساجد فى هولندا. والتى تشكل ـ على حد زعمهم ـ خطراً يهدد المجتمع.

وقالت صحيفة «تراو» الهولندية: إن الدعوة أطلقها برلمانى من الحزب يدعى «ويل ديرس» خلال مناقشات شهدها البرلمان حول ـ ما يسمونهم المتطرفين الأصوليين ـ وأشارت الصحيفة إلى أن الدعوة وجدت ترحيباً ومساندة من حزب «بيم فورتاين» (اليمينى المتطرف) وحزب الخضر اليسارى.

نلاحظ أن الحزب الذى أطلق الدعوة يسمى حزب الشعب من أجل الحرية والديمقراطية.

وكان من المفترض أن يسمى حزب اللا حرية واللا ديمقراطية ويتضح لنا أن ديمقراطية الغرب تطبق على جميع الناس إلا المسلمين والإسلام.. لذا فهى ديمقراطية زائفة.

من أخبار مجمع البحوث الإسلامية

إصدارات

- قامت الإدارة العامة للمطبوعات بمجمع البحوث الإسلامية مؤخراً بإصدار عدة كتب لنشر الوعي الديني والقيم الإسلامية الخالدة.

وهذه الكتب هي:

١ - (هذا هو الإسلام) في جزءين لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف.

٢ - (موقف المسلم من الفتن في ضوء الكتاب والسنة) لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر.

٣ - (الإسلام وتجديد الوعي) للأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم الفيومي.

صرح بذلك فضيلة الشيخ / فؤاد عبود الشريف مدير عام الإدارة العامة للمطبوعات بالمجمع.

بدء سفر علماء الأزهر إلى دول العالم في رمضان

وافق فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر على إيفاد كل من السادة أصحاب الفضيلة وكيل الأزهر الشريف، والأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، ورئيس قطاع المعاهد الأزهرية، ومدير عام التعليم الإعدادي بقطاع المعاهد الأزهرية إلى سلطنة عمان للقيام بواجب الدعوة ونشر الثقافة الإسلامية خلال شهر رمضان المبارك.

كما وافق فضيلته على إيفاد فضيلة الشيخ الأمين العام المساعد للدعوة والإعلام الديني بالأزهر إلى جمعية أدمنتون الإسلامية، بدولة كندا.

كما وافق فضيلته على إيفاد فضيلة وكيل قطاع المعاهد الأزهرية لشئون المناطق إلى «الجمعية الإسلامية كورساو الأنتيل الهولندي، بدولة فنزويلا.

كذلك وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على إيفاد عدد «٣٤» عالماً من علماء الأزهر إلى مختلف دول العالم للقيام بواجب الدعوة ونشر الثقافة الإسلامية خلال شهر رمضان المبارك على نفقة الأزهر الشريف، وهذه الدول هي:

أمريكا - كندا - هولندا - رومانيا - البرازيل - استراليا - أسبانيا - سويسرا - فنزويلا - المالديف.

صرح بذلك فضيلة الشيخ / توفيق رواش الأمين العام المساعد للبعوث الإسلامية بالأزهر الشريف.

ترقيات

وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على قيام السيد / توفيق شفيق أبوبكر رواش مدير عام شئون المبعوثين والإيفاد بمجمع البحوث الإسلامية بعمل وظيفة الأمين المساعد للبعوث الإسلامية بالمجمع وذلك بصفة مؤقتة إلى حين شغل هذه الوظيفة بمن تتوافر فيه شروطها - وذلك بالإضافة إلى عمله الأصلي كمدير عام شئون المبعوثين والإيفاد.

أليس منكم رجل رشيد

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي

الله سبحانه وتعالى يخلق ما يشاء ويختار، فهو سبحانه الذي يختار ويحكم ويقضي لاراد لاختياره ولا معقب لحكمه ولا قضاء بعد قضائه.

خلق الله - سبحانه وتعالى - الزمان فاختار منه ما شاء وفضله، وخلق المكان واختار أمكنة وفضلها على سائر الأمكنة.

كما خلق البشر واختار منهم من شاء فضلهم واصطفاهم وخلق الملائكة فاختار منهم من شاء فضلهم واصطفاهم وصدق الله حيث يقول:

﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾(١).

وخلق الله أفعالاً وأقوالاً وأموالاً تعبد عباده بأفعال معينة وأقوال معينة وأموال مخصوصة، ميزها وميز بها طهرها وطهر بها تعبد بالأفعال والأقوال والأموال عباده فامتثل أمر الله وأقامها وحافظ عليها كل سعيد موفق للخيرات وأبى وعصى كل شقي نكد مطرود من رحمة الله.

ولقد تعبدنا الله بصلاة وزكاة وصوم وحج. اختار الصلاة وأهداها لرسوله ﷺ من فوق سبع سموات بلا واسطة ولذلك يروى أن أحد الفقهاء سأل صوفيا تصور أنه لا يحكم الصلاة قال له «كأنه يريد أن يعجزه».. ما حكم من سهى في صلاته؟ قال الصوفي - الذي يمارس الصلاة خشوعاً وخضوعاً وقربا كأنه يناجي الله ويكلمه - قال: عندنا أم عندكم؟

فقال الفقيه - وقد أسقط في يده: عندكم

فقال الصوفي: عبد غفل عن خدمة سيدة فحقه أن يقتل، كما اختار الله سبحانه وتعالى - الزكاة وجعلها طهرة لعباده وتزكية حيث قال:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾(٢).

ويروى أيضاً أن فقيها سأل صوفيا: كم نصاب الزكاة؟

(١) الحج (٧٥).

(٢) التوبة (١٠٣).

فقال الصوفى: عندنا أم عندكم.

فقال الفقيه: عندكم.

فقال الصوفى: العبد وما ملكت يداه لسيده ثم قرأ قوله تعالى:

﴿ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾(٣)

فأنت مستخلف فيما بين يديك والملك لله، واختار الله الصوم حيث قال فى الحديث الصحيح «الصوم لى وأنا أجزى به»، والصوم جنة وحماية وحرز كما قال الحبيب: «الصوم جنة»، فاختار الله ـ سبحانه وتعالى ـ الصوم إعلاء لمكانته وشأنه فطوبى لعبد قدم لله ما يحب ويرضى حتى يلقى جزاءه الرضى والرضوان كيف يجرؤ إنسان على تشويه ما هو خالص لله ـ تعالى ـ فيدنسه برجس وعصيان ولماذا يعمد عبد إلى هذه الجنة وهذا الستر والحماية فيخرقه بيده.

بعض الأشقياء لا يكفيهم أن يشوهوا سمو الصوم وجماله، لا يرضى نفوسهم الشريرة أن يخرقوا الجنة ويهتكوا الستر بل إنهم يحرضون الغير على العدوان والتشويه.

إنها أجهزة الإعلام مرئية ومقروءة ومسموعة تحرض وتعمل على تشويه رمضان وإفساده تحشد طاقات الشر والتشويه طوال عام كامل وتنقض على شهر رمضان فإليهم أوجه النداء فأقول: اتقوا الله فى أمتكم وراقبوا الله فيما تعملون واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله.

يامن تحيلون الشهر الكريم إلى عبث ولهو رخيص وسهر مبتذل مفتون اتقوا الله فى أنفسكم واعلموا انكم سوف تسألون عما تعلمون وما الله بغافل عما تعملون.

أتوجه للعاملين فى وسائل الإعلام وأرجو أن يتذكروا يوما يقف فيه الواحد منهم بين يدى الله ـ تعالى ـ وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان ويسأله عما قدم ويا سوء ما قدم.

فهل يتقى الله فينا رجال الإعلام ويحافظون على الشهر الكريم وخصوصا العاملين فى التليفزيون، ولن ينفعهم دفاع «أن السموات مفتوحة والتيارات قادمة من كل اتجاه» فكل نفس بما كسبت رهينة.

اسأل الله لهم الهداية حتى لا يفسدوا على الأمة صيامها ولا يحرضوها على الفساد وسيندمون غداً ولات ساعة مندم، يا قوم أليس منكم رجل رشيد؟

أقبل على صاحبى متعجباً متسائلاً يقول: كنت أتوقع منك أن تتحدث عن فضائل رمضان وما أعده الله للصائمين القائمين؟ قلت على الفور: أنا لا أنكر أهمية ما ذكرت وضرورته للمسلم ومع هذا فأنا موقن انه لا يوجد مسلم لا يعرف فضائل رمضان أو انه لم يسمع من داعية من الدعاة عما أعده الله للصائمين فلقد أدى الدعاة دورهم كاملا فى البيان

(٣) الحديد (٧).

والتعريف حتى أكاد أخشى أن تصبح أحاديث الصيام كأنها تقال لتزجية الفراغ، حتى الأسئلة المكررة المعادة، لكن لا بأس، والمصيبة ان أجهزة الاعلام، وخصوصاً التليفزيون، يقدم أحاديث الصيام أو كل ما يتعلق بالدين كأنه سوءة مقحمة بين ما أعده بإحكام وإغراء عابث واستجداء رخيص يفسد أكثر مما يقوم فرأيت أن أتوجه لأبالسة العصر أن يراقبوا الله فينا، كما أتوجه للمسلم الصائم اسأل الله أن يحجزه وصومه عن الاستسلام الضعيف لنزواته وأهوائه،

وقال صاحبى: أحسب انك أحسنت وآمل أن يفيء القوم إلى رشدهم ويستبينوا الهدى اليوم حيث لا ينفع غدا، ولعلهم جميعا الذين يروجون للهو والذين ينقادون لهم - لعلهم جميعا يقرءون قوله تعالى:

﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ ۖ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ (٢١) وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ﴾(٤):

وليتهم يقرءون قوله تعالى:

﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ﴾(٥).

فيكون الرد الالهى:

﴿ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾(٦).

قال صاحبى: جزاك الله خيراً ثم أردف قائلا: لقد عجبت من مقال فى مجلة الأزهر عن ليلة النصف من شعبان لفضيلة الشيخ عبدالرحمن الجزيرى كيف أعدتم نشره وهو يخالف رأيكم فى ليلة النصف من شعبان والاحتفال بها وترديد دعاء مخصوص قلت على الفور: اننى أحسب ان من أكبر أسباب التخلف التى نعانيها هو هذا التعصب المقيت والتشيع الذى يلغى العقل ويرفض الحوار وأحسبك أن توطن نفسك وتروض عقلك على قبول الاختلاف ورحابة الصدر واتساع الأفق فلعل الصواب فيما يراه غيرك لا فيما تراه أنت فإن احتكار الرأى مهلكة ولن ترتقى أمة إلا بأن تتسع دائرة الحوار فيها، أما الرأى الواحد والفكر الواحد فهو الاستبداد المهلك للأمم والجماعات، وكم

(٤) إبراهيم (٢١ : ٢٢).

(٥) الأعراف (٣٨).

(٦) الأعراف (٣٨).

عانينا من الاستبداد وأظنك توافقني على هذا الرأى على ان ما قاله الشيخ الجزيرى فيه نظر وهو يقبله لا محالة- رحمه الله- فإننا لو تأملنا الدعاء الوارد - رغم أسانيده المعتبرة - من جهة العقل والنقل نجده مقبولا ومستساغا ولا غضاضة فيه.

فى ضوء المسلمات من جهة العقيدة فخلص نفسك من كل هوى وتشيع لجماعة أو حزب ثم تأمل معى كلمات الدعاء التى تثيرون حولها الزوابع ألسنا نقول: «اللهم ان كنت كتبتنى عندك فى أم الكتاب شقياً أو محروماً أو مطروداً أو مقتراً على فى الرزق فامح اللهم بفضلك شقاوتى وحرمانى وطردى واقتار رزقى» بالله قل لى ما الذى يغضبك ويجعلك ترفض هذا، ألم يقل النبى ﷺ: «من أراد أن ينسأ له فى أجله ويوسع له فى رزقه فليصل رحمه» أليس هذا محوا واثباتا فلو ان رجلاً كتب الله عليه ضيق رزقه أليس من حقه أن يتطلع إلى سعة رزقه؟ بل أليس من واجبه أن يسعى إلى ذلك حثيثا موفقا يحدوه الأمل؟ اسمح لى أن أرى فى حديث رسول الله ﷺ السابق ذكره - حثا وتحريضا على البر بالوالدين وان الجزاء سعة الرزق وبلا تشنج أو عصبية أو هوى تأمل فى المحو والاثبات.

عبد يطلب من سيده أى حرج فى هذا؟ مع الإيمان واليقين ان الله سبحانه وتعالى هو الذى يمحو وهو الذى يثبت، ثم تأمل معى بلا تشنج أو هوى قول رسول الله ﷺ «إن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها إلا السعى على الرزق»[٧].. أليس فى هذا محوا واثباتا؟ ثم أرجو أن تفتح مغاليق قلبك وتخبت لآيات الله تعالى تتلى عليك اسمع قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٨].

أليس فى هذا أكثر من مجرد المحو والإثبات، أليس فى هذه الآيات ما يدلك على أنه ليس ثمة محو شقاوة فقط وحرمان فقط وإقتار رزق فقط وسيئات فقط بل ان فضل الله أعظم وأكبر من إنكار المنكرين وعناد المعاندين أليس فى هذا بفضل الله وحده تبديل وتحويل للحسنات والسيئات؟ ان الأمر كله لله هو الذى يثبت وهو الذى يمحو؟ فعلام تعترضون!

قال رسول الله ﷺ: «الدعاء مخ العبادة» وقال الله سبحانه وتعالى:

(٧) رواه الإمام أحمد.

(٨) الفرقان (٦٨ : ٧٠).

﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٩] أليس من حق المريض بمقتضى هذه النصوص الصريحة أن يلجأ إلى الله بطلب الشفاء والعافية أليس فى الاستجابة محواً للمرض واثباتا للصحة؟ اللهم اهدنا فيمن هديت.

وتعالى معى إلى تفسير القرطبى فى الجزء التاسع عند قوله تعالى:

﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[١٠].

أنقله لك بنصه.

(قال القشيرى: وقيل السعادة والشقاوة والخلق والخُلق والرزق لا تتغير [أى هذه الأشياء المذكورة] فالآية فيما عدا هذه الأشياء).

يعلق القرطبى على ذلك ويقول وفى هذا القول نوع تحكم - وأنا أقول فيه مخالفة لصريح الأحاديث السابقة فى وسائل توسعة الرزق ثم يضيف القرطبى قائلاً: «قلت مثل هذا لا يدرك بالرأى والاجتهاد فإن صح فالقول به يجب ويوقف عنده، وإلا فتكون الآية عامة فى جميع الأشياء وهو الأظهر» والله أعلم.

ثم يقول «وهذا يروى معناه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وابن مسعود وأبى وائل وكعب الأحبار وغيرهم وهو قول الكلبى وعن أبى عثمان النهدى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يطوف بالبيت وهو يبكى ويقول «اللهم ان كنت كتبتنى فى أهل السعادة فأثبتنى فيها وإن كنت كتبتنى فى أهل الشقاوة والذنب فامحنى وأثبتنى فى أهل السعادة والمغفرة فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب» انتهى وراجع ابن كثير عند تفسير الآية ثم قلت لصاحبى: أما قول الشيخ الجزيرى رضى الله عنه ان قضاء الله تعالى الذى انتهى إليه علمه لا يمكن أن يغير مطلقا وإلا انقلب العلم جهلاً.. إلى آخر ما قال فإن ذلك تصور غير مقبول وغير وارد فى الحديث أصلاً وإلا فما معنى قوله ﷺ: «من أراد أن ينسأ له فى أجله... الحديث» ثم كيف نفسر فرض الصلاة خمسين ثم رجوعه ﷺ بمشورة من سيدنا موسى إلى حيث سمع النداء حتى صارت خمسا ان الله سبحانه وتعالى هو الذى يغير وهو الذى يمحو وهو الذى يثبت وهذا فيما نرى وجه الدعاء والاستجابة وإلا فلا معنى للدعاء مطلقاً، ثم قلت لصاحبى: أرجو أن تتبين موضع النقاش والرأى فليست المصادرة إلا نوعاً من الاستبداد البغيض الذى يأباه الدين والعلم والله يهدينا إلى سواء السبيل.

(٩) غافر (٦٠).

(١٠) الرعد (٣٩).

﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
علـى جمعـة
مفتى جمهورية مصر العربية

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

● اطلعنا على الطلب المقدم من / مجلة الأزهر القيد برقم ١٨٥٩ لسنة ٢٠٠٣ المتضمن:

أولاً: وفاة رجل عن زوجة وأولاد ذكورا وإناثا منهم صغارا يحتاجون للمساعدة فهل يجوز إخراج مساعدة لهم من التركة قبل توزيعها؟

ثانياً: ما حكم دفع الزكاة للمتسولين والمدخنين ومرتادى المقاهى؟

ثالثاً: وفاة امرأة وتركت أبناء أخوة وأخوات متوفين كما تركت وصية بنصف الميراث لأعمال الخير فما نصيب كل منهم؟

رابعاً: ما حكم الدين فى شخص كلما توضأ أو اغتسل وفرغ من ذلك جاءه الشك.

خامساً: شاب لم يتزوج ووقع فى جريمة الزنا ويريد أن يتطهر من هذا الذنب.

وتطلب المجلة بيان الحكم الشرعى فى هذه الأسئلة؟

●● الجواب:

أولاً: بوفاة هذا الرجل عن المذكورين فقط يكون لزوجته ثمن تركته فرضا لوجود الفرع الوارث ولأولاده الباقى بعد الثمن للذكر منهم ضعف الأنثى تعصيبا لعدم وجود صاحب فرض آخر.

أما مساعدة الصغار من أولاد هذا الرجل بشىء من التركة قبل توزيعها فلا مانع من ذلك إذا وافق جميع الورثة على مساعدتهم بشىء من التركة أما فى حالة عدم الموافقة فليس لهؤلاء الصغار إلا نصيبهم الشرعى.

ثانياً: الزكاة ركن من أركان الإسلام ولها مصارف محددة معلومة وردت فى قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

التوبة: ٦٠

والفقراء هم أول مصرف من هذه المصارف وعلى ذلك فلا مانع من أداء الزكاة للمتسولين والمدخنين ومرتادى المقاهى إذا كانوا من الفقراء. أما إذا كانوا غير فقراء فلا يجوز لهم الزكاة.

ثالثاً: الوصية تكون فى حدود ثلث التركة بغير موافقة الورثة أما إذا زادت عن الثلث فلابد من موافقة الورثة على الزيادة.

وبناء على ذلك فبوفاة هذه المرأة عن المذكورين فقط وقد أوصت بنصف تركتها لأعمال الخير. ففى هذه الحالة إذا كانت الوصية مكتوبة وموثقة تنفذ فى حدود ثلث التركة أما إذا وافق الورثة على الزيادة عن الثلث فإنها تصح فى الزيادة وتنفذ كما وردت عن المتوفاة. أما إذا اعترض الورثة على الزيادة فلا تنفذ إلا فى الثلث فقط. أما إذا كانت الوصية غير مكتوبة ولا موثقة فتحتاج إلى موافقة الورثة وإقرارهم فإن أقروها نفذت وإن اعترضوا لم تنفذ.

والباقى بعد الوصية فى حالة إقرارهم بها تكون للذكور من أولاد الأخوة الذكور بالسوية بينهم تعصيبا لعدم وجود صاحب فرض ولا عاصب أقرب.

ولا شىء للإناث من أولاد الأخوة الذكور ولا لأولاد الأخوات ذكوراً وإناثاً لكونهم جميعاً من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات.

رابعاً: إذا وقع الشك فى الوضوء والاغتسال فعلى المتوضىء أو المغتسل أن يعيد الوضوء أو الغسل أما إذا كان الشك ملازماً له فى كل مرة فيجب عليه أن يتنبه لنفسه أثناء الوضوء أو الغسل ولا يلتفت إلى الشك ولا يعول عليه.

خامساً: على هذا الشاب أن يتوب ويندم ويستغفر الله - سبحانه وتعالى - على ما وقع منه وأن يعزم بقلبه على عدم العودة مرة أخرى لمثل هذا الذنب وأن يتقرب إلى الله - تعالى - بفعل الطاعات.

ومما ذكر يعلم الجواب عما جاء بالسؤال.

والله سبحانه وتعالى أعلم

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم
عادل رفاعي خفاجة

رمضان شهر الرحمة

كثيراً ما تمر بنا فترات محددة ومميزة تختلف عن بقية أيام العمر.. قد تكون تلك الفترات فترات تدريبية أو تعليمية.. وبرغم قصر مدتها مقارنة ببقية أيام حياتنا إلا أنها تترك في النفس ذكريات، وتظل ملامحها عالقة بالذاكرة، تنتدر بحلوها، ولا نبرح نذكر ما استفدناه من تلك التجربة كلما هب نسيم يذكرنا بتلك الأيام الخوالي، وتلك طبيعة مركوزة في النفس البشرية.

وها قد أظلنا شهر عظيم جليل.. هو بمثابة دورة تدريبية تثقيفية أراده الله لنا ليشحذ المؤمن فيه طاقاته فيخرج منه أكثر قوة على مجابهة صعاب الحياة بنفس راضية مطمئنة.

فماذا يحمل لنا ذلك الشهر الكريم، وما يجب علينا أن نأخذ منه؟

ما من شك أن ثمرة صوم هذا الشهر الفضيل.. هي التقوى لقول الحق تبارك وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1]

ثم، أليست الرحمة هي أبهى صور التقوى؟! وهل رمضان إلا عنوان الرحمة لقول النبي ﷺ: «إذا كان رمضان فتحت أبواب الرحمة»[2].

وإذا كانت الرحمة قد ارتبطت في شهر رمضان بمساعدة الفقراء والمحتاجين ومد موائد الرحمن لهم، أليس في مواساة المحزونين رحمة؟ وفي مساعدة المرضى رحمة، أليس في عيادة المرضى رحمة؟! وفي صلة الرحم رحمة؟!

(١) البقرة/ ١٨٣.

(٢) صحيح مسلم/ كتاب الصيام باب فضل شهر رمضان/ حديث رقم ١٧٩٤.

إن كل ذلك من مواساة وتعاطف وتزاور يلفه رداء الرحمة التي أمرنا أن نتخلق بها، لقول رسولنا الكريم:

«الراحمون يرحمهم الرحمن.....»[3].

أليس العفو عن المسيء صورة من صور الرحمة نلمسها في قول رسول الله ﷺ:

«إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل ولا يؤذي أحداً فإن جهل عليه أحدٌ أو آذاه فليقل إني صائم»[4].

وإذا كان ديننا الإسلامي الحنيف يأمرنا بالتحلم، ويربينا على الصفح والتسامح والتراحم.

ألا يجدر بنا أن نأخذ من رمضان زاداً لما بعده؟

وقد قال ﷺ: «.... فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم»[5].

ومن المظاهر اللافتة في شهر رمضان الدالة على الرحمة تناول الطعام على موائد الرحمن التي يتنافس فيها الكثير من الموسرين التماساً لرضا الرحمن.

وهذا المظهر الطيب الذي يشهد له القاصي والداني بفضل الله إنما يدل على صفاء النفس والروح بقدر صفاء المعاملة وبقدر ما يظهر في هذه الموائد من تعاطف أساسه الرحمة.

وإذا تعكر هذا الجو الصافي في بعض حالاته، فإنما من قلة لا يحسنون المعاملة مع الفقراء، ولا يحتاجون إلا إلى صديق يهمس في آذانهم أنهم إنما يقدمون للفقراء حقهم المعلوم الذي كتبه الله لهم، وأن سوء المعاملة يتنافى مع الرحمة، وأنه لا يجب أن نجرح كرامة الفقراء في مقابل سد رمقهم.

وعلينا - إن أردنا أن نعي درس رمضان المبارك - أن نعمل على استدامة مظاهر الرحمة تلك لا نرجو من ورائها غير وجه الله الذي يعلم السر وأخفى القائل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾[6]

وفي صلة الرحم يقول الرسول ﷺ:

«الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء والرَّحم شُجْنةٌ من الرحمن من وصلها وصَلَتْه ومن قطعتها بتَّتْه»[7].

من هنا كان الامتثال لحديث رسول الله طلباً للرحمة الموعودة والصلة المرجوة.

فلا يزال رمضان يعمل على ترابط المجتمع وذلك في حرص الكثير على الإفطار داخل الأسرة وتبادل الزيارات بين أفراد العائلات مما يؤدي إلى هذا الترابط المحمود.

(٣) مسند الإمام أحمد ج٢/ ١٦٠ حديث ٦٢٠٦.

(٤) مسند الإمام أحمد ٢/ ٥٩١.

(٥) صحيح مسلم ٢/ ٩٧٥.

(٦) البقرة/ ٢٦٤.

(٧) مسند الإمام أحمد ج ٢/ ١٦٠ - حديث ٦٢٠٦.

وكم هو جميل أن نسعى جميعاً للإبقاء على هذا الترابط باستدامة الزيارات المنتظمة بين الأهل على قدر الاستطاعة.

ومن فضل الله علينا أن فرض زكاة الفطر فى هذا الشهر الكريم رحمة بالفقراء خاصة،

ومن عميم فضله أن جعل تلاوة القرآن والإنصات إليه موجباً للرحمة، حيث قال جل شأنه:

﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[8].

وبعد: فإن رمضان ما جاء إلا ليعلمنا الرحمة ويحضنا على أن تخالط الرحمة سلوكنا وأعمالنا واضعين نصب أعيننا حديث رسولنا الكريم الرحمة المهداه حيث يقول: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم؟!»[9].

ألا إن الفائزين من حملوا أنفسهم على سلوك الصائمين بعد انقضاء رمضان.

اللهم اجعلنا ممن صاموا وقاموا وتخلقوا بأخلاق الصائمين طاعة لك ورغبة فى رضاك... آمين.

ع. خ

والى رسائل القراء

استقبال شهر رمضان

فضيلة الشيخ محمد محمود حمودة ـ وكيل معهد كرداسة ـ يستقبل رمضان بهذه الكلمات الطيبة يقول:

كان سلفنا الصالح يدعون الله ـ تعالى ـ ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبل منهم، فهل تتصورون إذاً ـ يا قوم ـ مبلغ فرحهم بقدومه، وسرورهم فى أوقاته، واستقبالهم، وإمضائهم لساعاته.

تصوروا استقبال الضيف الكريم يقدم إلى أحبائه بعد غيبته أحد عشر شهراً، ومعه الهدايا الفاخرة، والعطايا النفيسة الوافرة: قال رسولنا ﷺ: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان فتحت

(8) الأعراف/ 204

(9) صحيح البخارى/ كتاب الجهاد والسير/ باب من استعان بالضعفاء والصالحين فى الحرب.

أبواب الجنان، فلم يغلق منها باب واحد الشهر كله، وغلقت أبواب النار، فلم يفتح منها باب الشهر كله وغلت عتاة الجن (أخرجه البخارى).

وقال صلوات الله وسلامه عليه: أتاكم رمضان شهر بركة، يغشاكم الله فيه، فينزل الرحمة، ويحط الخطايا، ويستجيب فيه الدعاء، ينظر الله ـ تعالى ـ إلى تنافسكم فيه، ويباهى بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيراً فإن الشقى من حرم فيه رحمة الله ـ عز وجل (أخرجه الطبرانى).

وقال ﷺ: «إن فى الجنة باباً يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد» (أخرجه البخارى ومسلم)

فرح بذلك سلفنا الصالح، فصاموا رمضان وقاموه، وفيه قصدوا الخير، واستغفروا وتابوا، وطمعوا فى العتق من النار، ساعين لغفران الذنوب، وتفريج الكروب: بكثرة الصدقات، ولقوا المسلمين بما يحبون ويفرحون، وقد قال ﷺ: «من لقى أخاه المسلم بما يحب ليسره بذلك سره الله ـ عز وجل ـ يوم القيامة» (الطبرانى فى الصغير).

كن كسلفك الصالح: اعزم عزماً أكيداً على أن تصوم هذا الشهر، فبالصوم يشرق النور فى القلب فينشرح الصدر للعبادة، وتحصل الرغبة فيها قال تعالى: فى ثمرة الصوم:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

(البقرة/ 183)

ولكن أى صوم هذا؟ أهو صوم عموم الناس الذى هو ترك الطعام والشراب والإمساك عن سائر المفطرات: لا: إنه ـ مع ذلك ـ الصيام الذى بينه بقوله «من لم يدع قول الزور والعمل به ـ فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه».

تقبل الله منا ومنكم وهدانا لما يحب ويرضى.

فضائل القرآن الكريم كما بينتها السنة المطهرة

أما القارئ الأستاذ/ محمد عباس محمد فيكتب من الطائف فى شهر القرآن عن فضائل القرآن يقول: فضل القرآن لا يدانيه فضل، ومكانته لا تسمو إليها مكانة، ومهما حاولت استقصاء فضائله ما استطعت، ولو استطعت ما اتسعت لذلك صحف الأرض كلها: وما عسانا أن نقول فى فضائل كتاب أنقذ الله به أمة من ضلالة، كتاب ختم الله به الكتب، وأنزله على نبى خُتم به الأنبياء، ودين خُتمت به الأديان، كتاب فُتحت به أمصار، ونهل من منهله العلماء، وخشعت لهيمنته الأبصار، وذلت له القلوب، وقام بتلاوته العابدون والراكعون والساجدون.

لهذا نكتفى فى هذه الكلمة ببيان بعض فضائله كما وضحتها أحاديث النبى ﷺ:

١ ـ أن حملة القرآن الكريم هم أهل الله وخاصته: قال ﷺ: «إن لله أهلين من الناس. قالوا: يا رسول الله، من هم؟ قال هم أهل القرآن، أهل الله وخاصته» رواه ابن ماجة.

٢ ـ أن القرآن يشفع لصاحبه يوم القيامة: لقوله ﷺ: «اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه» رواه مسلم.

٣ ـ أن حافظه أولى الناس بالإمامة: لقوله ﷺ: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة. فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة. فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سناً..» رواه مسلم.

٤ ـ أن حامله مكرم، وتكريمه من إجلال الله (تعالى): فقد قال ﷺ: «إن من إجلال الله إكرام ذى الشيبة المسلم. رواه أبو داود.

٥ ـ أن حفظه وتعلمه خير من متاع الدنيا: فعن عقبة بن عامر (رضى الله عنه) قال: خرج رسول الله ﷺ ونحن فى الصفة فقال: أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق فيأتى منه بناقتين كوماوين فى غير إثم أو قطع رحم؟ فقلنا: يا رسول الله، نحب ذلك. قال: أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيسلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله (عز وجل) خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل» رواه مسلم.

٦ ـ أن حفظه سبب لرفعة الدرجات فى الجنة: فعن أبى هريرة (رضى الله عنه) عن النبى ﷺ قال: يجىء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول: يارب حلّه فيلبس تاج الكرامة، رواه الترمذى.

أنفاس الصائمين

أما القارئ الشيخ / عبدالهادي محمد أحمد ـ وكيل مدرسة منشأة الجمال ـ بالفيوم فيقول:

إن من أعظم ما يمن به الله ـ تبارك وتعالى ـ على المؤمن فى رمضان أن يجعل له الأنفاس التى تخرج من فمه أطيب عنده من ريح المسك. لقول النبى ﷺ فيما رواه أبو الشيخ والديلمى عن أنس: «إن للصائم فرحتين: فرحة حين يفطر، وفرحة يوم القيامة، وخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، يلقون بالموائد والأباريق، مختمة بالمسك، فيقال لهم: كلوا فقد جعتم، واشربوا فقد عطشتم، ذروا الناس واستريحوا، فقد عييتم إذ استراح الناس، فيأكلون ويشربون ويستريحون والناس معلقون فى الحساب فى عناء وظمأ». فانظر أخى المسلم إلى ما يكون عليه فم الصائم عند الله. وكيف تكون مكافأته يوم القيامة لتحمله فى الدنيا عناء الصوم ورائحة فمه وكيف تبدل هذه الرائحة يوم القيامة وهو يلقى الموائد والأباريق المختمة بالمسك.

فاللهم تقبل صيامنا وانصر أمتنا الإسلامية على أعدائها آمين يارب العالمين.

الشيخ عبداللطيف السبكى من كبار علماء الأزهر

الأستاذ الفاضل الأديب / فرج مجاهد عبدالوهاب يتحفنا بهذه الكلمة عن الشيخ السبكى فيقول: بدأ نبوغه العلمى حين تخرج عام ١٩٢٥ وحصل على شهادة العالمية بالأزهر وأظهر اقتدارا فى بحوثه الدينية مما لفت إليه المسئولين بالأزهر فكان موضع اصطفائهم عند اختيار من يتولون الردود على الشبهات التى تصل إلى الأزهر من الناس وقد أسند إليه الإمام الأكبر محمد الظواهرى مع باقة من العلماء مهمة الرد على كتاب «الهداية والعرفان فى تفسير القرآن» للشيخ الدمنهورى والذى أحدث لغطاً كبيراً، وكان رد اللجنة رادعاً ومفسراً وحصل بعد ذلك على عضوية هيئة كبار العلماء وهى أعلى مكانة علمية فى الأزهر الشريف، وكان يقوم بإلقاء محاضراته العلمية بتضلع كبير.

وقد اختاره الإمام الأكبر الشيخ المراغى رئيساً للجنة الفتوى بالأزهر وقد قام مع عالمين فاضلين من زملائه بكتابة تاريخ التشريع الإسلامى على نحو ما كتب الشيخ الخضرى.

وقد اهتم الشيخ السبكى بالبحث العلمى فى المسائل الفقهية، وكان هذا منهجه فى التدريس لطلابه مشجعاً إياهم على البحث العلمى دون التزام بالكتب المقررة، فتعمد فى بحثه الأول الخاص بتوثيق المعاملات المالية بين الشريعة والقانون وكان هذا ضرباً جديداً من البحث المقارن بين الفقه التشريعى والقانون الوضعى وأوضح الفرق بين عقود الالتزام وعقود التأمينات والتوثيق وأشار إلى قدم عهد العقود منذ عهد إبراهيم ـ عليه السلام ـ ماراً بما تلاه من عهود. وقد جمعت البحوث والمقارنات والتفسيرات المتنوعة فى مجموعة كتب للشيخ السبكى منها «رياض القرآن» و«نفحات القرآن» و«فى ظلال الكعبة» و«الهجرة النبوية» و«كتاب الوحى».

وقد ارتفع بأسلوبه الأدبى إلى مستوى ممتاز فكان كاتباً موهوبا. وقد شغل عدة مناصب كبيرة كأستاذ بكلية الشريعة ثم عميداً لها ورئيساً للجنة إحياء التراث الإسلامى بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية. ولجنة التعريف بالإسلام، والموسوعة الإسلامية. وقد كرمه الرئيس مبارك عام ١٩٩٤ ومنحه نوط الامتياز لما كان له من إسهامات مشهودة فى الارتقاء بالفكر الإسلامى وسعيه الدائب لتطوير وسائل البحث الفقهى ومواكبة الارتقاء للتطورات العصرية المرتبطة بالأحكام الشرعية. وقد أصدر له مشروع القراءة للجميع مؤخرا كتاب «نفحات القرآن الكريم».

فرج مجاهد عبدالوهاب - شربين ـ دقهلية
عضو اتحاد الكتاب

من إبداعات القراء:

قطر من الوجد

بعد طول انقطاع يعود الشاعر محمد سليم الدسوقي لينشر الشذى والعبير

رأيتك والفجر في شرفتي ... وطل الصباح على صحوتي
ومنعرج الظل في الخافقات ... يذوب كما العطر في الوردة
وينشطر الخفق في نجمتين ... تجاوزتا في السنا فرحتي
وتشدو الحياة كما قد شدوت ... ورفعت الوجد سبابتي
ووحدت الله رب الوجود ... ورب التفرد والوحدة
رأيتك حلماً جميلاً بصدري ... يزغرد أيان يَنداح عمري
يرش النعيم المقيم حلالا ... على الخلد، والخلد مشكاة صبري
ويأتي المساء، ويمضي المساء ... ويأوي الدعاء إلى مستقري
تبيت البلابل نشوى تغني ... تهلل لله مكنون سري
وتحمدك الله في كل لحظ ... ولفظ يجلجل ثغراً لثغر!!

نعتذر للسادة القراء لعدم نشر رسائلهم كاملة، وذلك حرصاً من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من القراء. وتود أن تشير إلى أن للمجلة الحق في اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها. كما نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم ونواصل نشرها تباعاً بمشيئة الله تعالى.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسي

تجديد الخطاب الديني.. وكيف يكون؟!

- افتتح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الموسم الثقافي السابع للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمسجد النور بالعباسية بمحاضرة عنوانها «تجديد الخطاب الديني وكيف يكون؟»، وقد دعا فضيلته إلى ضرورة أن يتسلح المسلمون بالمعرفة والعلم لكي يكونوا قادرين على مجابهة كل ما يتعرضون له من هجوم، وأن يتكاتفوا لكي يردوا كل ما حولهم من شبهات لمواجهة التحديات العالمية، وشدد على ضرورة توحد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وأن يكونوا قادرين على التكيف مع العالم الحديث الذي نعيش فيه، وقال فضيلته: إننا نعيش زمنا انتشرت فيه الفتن، مما يستدعي تجمع العلماء ليقولوا كلمة الحق، وليبينوا للناس ما ينبغي عليهم نحو خالقهم ودينهم وأنفسهم.

وأكد فضيلته على أن الخطاب الديني هو أشرف خطاب لأنه خطاب المولى عز وجل للرسل الذين جاءوا جميعا برسالة واحدة هي الإسلام وإخلاص العبادة لله الواحد القهار، مشيرا إلى ضرورة أن يتمسك الدعاة بأسلوب الموعظة الحسنة، والحوار في مواجهة من يرمون الإسلام بتهم باطلة، أو يشككون في أمور الدين الحنيف، وقال فضيلته: إن مقومات خطابنا الديني نابعة من كتاب الله - تعالى - ومن سنة رسول الله ﷺ، فالقرآن بلفظه ومعناه من عند الله، والسنة النبوية المطهرة من عند الله بمعناها، ولفظها بإلهام من الرسول ﷺ، وأيضا يكون الخطاب مواكبا للأحداث وهو الذي يعبر عنه بالتجديد نتيجة لمتغيرات العصر، وأيضا يكون الخطاب بالحديث عما ينفع الناس وأن

يكون قائما على الصدق والتوسط والاعتدال، وطالب الدعاة أن يتسموا بالتواضع لأن من تواضع لله رفعه، وقال فضيلته: إنه لا صحة لما تردد فى الفترة الأخيرة من أن هناك ضغوطا على المؤسسات الدينية فى مصر لتطوير الخطاب الدينى، لأن مصر لا تقبل أبدا أن يتدخل أحد فى أمور دينها، وقال: إن التباكى على ما وصل إليه حال الأمة الإسلامية لم يعد مجديا ولن يزيدها إلا تأخرا، ولن ينصلح حال الأمة الإسلامية وتسترد مجدها وعزتها إلا بقوة الإيمان والإدارة، والعمل الجاد وتوحيد الصفوف من أجل تحقيق آمال الأمة، وطالب شيخ الأزهر الشريف الأئمة والدعاة أن يطوروا أنفسهم ويحرصوا على التزود بالمعارف المختلفة ويتعايشوا مع المجتمع ويتفاعلوا مع قضاياه ومشكلاته المعاصرة ليؤدوا رسالتهم التى تعد أشرف الرسالات الإنسانية للنهوض بالمجتمع وتقدمه، وطالب الدعاة والعلماء بالتيسير على المسلمين فى فهم أمور دينهم انطلاقا من أن الإسلام دين يسر لا عسر، وأن يركزوا على القضايا التى تهم المسلمين فى حياتهم والتخلى عن الموضوعات والقضايا الهامشية، والقصص الخرافية التى لا فائدة منها، وأن يكونوا قدوة فى القول والعمل والإخلاص فى أداء الواجب، والحرص على الصالح العام، وأكد فضيلته على أن تجديد الخطاب الدينى أصبح ضرورة ملحة تفرضها التطورات المتلاحقة التى يشهدها العالم وتستلزم من المسلمين مواكبتها لمسايرة ركب الحضارة المعاصرة، حتى لا يتخلفوا عن ركب الحضارة، وقال فضيلته: إن الأمة الإسلامية سيتحقق لها النجاح والتقدم والرقى والكلمة العليا، عندما تأخذ بالأسباب والتى تتمثل فى إرساء القيم النبيلة، وأن المستقبل للأمم التى تعتنق الفضائل وتتجنب الرذائل، ويسودها العدل والشورى وهى حقائق سجلها القرآن الكريم واضحة، وأن لله سبحانه وتعالى سننا كونية لا تختلف باختلاف الناس ولا عقائدهم ولا أصولهم وتتمثل فى قوله تعالى:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾(1)

وأكد على أن كلمة المسلمين ستعلوا عندما يفهمون دينهم فهما سليما ويعرفون أن الشريعة الإسلامية تمد يدها بالسلام لكل من يمد يده بالسلام إليها.

وقال فضيلة الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف: إن تجديد الخطاب الدينى قضية إسلامية أصيلة وليست دخيلة على الإسلام لأن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، والتجديد سنة الحياة، والإسلام بتعاليمه السمحة فيه من

(1) الزلزلة (7 ـ 8).

اليسر ورفع الحرج ما يلبى متطلبات كل عصر، وقال فضيلته أنه كوزير فى الحكومة لم يتلق أية تعليمات من داخل مصر أو خارجها خاصة بالخطاب الدينى فى أسلوب أو مضمون الدعوة وقال إن التجديد لا يعنى المساس بالثوابت الدينية الأصيلة التى لا خلاف عليها، فثوابت الإسلام لا يستطيع أحد تغييرها والتجديد إنما يأتى فى المتغيرات وليس فى الثوابت، والمقصود بتطوير الخطاب الدينى فى الظروف الراهنة، أن يكون فعالا فى الأخذ بيد المجتمع وتمهيد الطرق أمامه نحو النهوض والتقدم، وأوضح أن مصر دائما وفية لقضايا الأمة الإسلامية وأداء دورها الحضارى فى خدمة السلام العالمى للبشرية كلها، وأكد على أن الأمل معقود على علماء الأمة، ومفكريها فى المشاركة الجادة كل فى موقعه من أجل إيقاظ الوعى وحفز وشحذ الهمم والعزائم واستنفار الطاقات الكامنة لدى أبناء الأمة للتخطيط لمستقبلها بعقل رشيد وفكر مستنير، والمسلمين فى حاجة إلى أن يتجاوبوا مع متطلبات العصر من أجل أن تصل إلى بر الأمان، وقال إن طريق الإصلاح يبدأ بالتعرف على العيوب وذلك بالنقد الذاتى والدراسة المتأنية لكل الجوانب السلبية فى مجتمعاتنا الإسلامية، والانطلاق إلى آفاق رحبة من العمل الجاد الذى يخرج الأمة مما تعانيه، ولابد من رصد الإمكانات المادية والبشرية ورصد العوائق ومعرفة ذلك كله يهىء السبيل الى الانطلاق واستشراف آفاق المستقبل.

الإمام الأكبر يشهد حفل تكريم حفظة القرآن الكريم

حضر فضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر الشريف الحفل الذى أقامته الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم بالمملكة العربية السعودية بالتعاون مع مكتب هيئة الإغاثة الاسلامية العالمية بالقاهرة إحدى لجان المجلس الاسلامى العالمى للدعوة والإغاثة الذى يرأسه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وبه الآن أكثر من خمس وثمانين هيئة، وقد قامت هيئة الاغاثة بتنظيم حفل لتوزيع جوائز مسابقة (حسن الشربتلى) على مائتين من حفظة القرآن الكريم بنين وبنات وقيمة الجوائز مائة ألف جنيه، وتحدث فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف قائلا: بأن مصر حريصة على تكريم حفظة القرآن الكريم ويخصص الأزهر خمسة عشر مليونا من الجنيهات سنويا كجوائز على الحافظين والحافظات لكتاب الله تعالى كما يوزع أيضا على المحفظين أنفسهم، وشدد على أنه لن يلتحق بجامعة الأزهر الشريف أى طالب لم يتم حفظ القرآن الكريم كاملا بانتهاء المرحلة الثانوية، والطالب فى القسم الابتدائى يحفظ ثمانية عشر جزءا من القرآن، وفى القسم الاعدادى يحفظ سبعة أجزاء من القرآن الكريم، وفى القسم الثانى يحفظ خمسة أجزاء من القرآن الكريم وليس هناك أى تهاون على الإطلاق إلى جانب دراسة المواد الاخرى الشرعية والعربية والمواد الثقافية وأشار إلى أن

دور الأزهر الشريف الأساسى والرئيسى هو حفظ القرآن الكريم لأنه رسالة عظيمة، ذلك أن خريجى الأزهر الشريف هم الذين يعتلون المنابر ويخطبون الجمعة ويوجهون الناس، لذلك فالداعية مطالب بحفظ القرآن الكريم والالتزام به فى مادته التوجيهية الصحيحة وقال اننا اتخذنا فى الأزهر شعاراً هو (ليس بأزهرى من لم يحفظ القرآن الكريم) وأكد على أن الأزهر الشريف صديق وشقيق لكل الدول العربية والاسلامية التى تهتم بتحفيظ القرآن الكريم وعلى رأسها المملكة العربية السعودية، وقدم الشكر الجزيل للسيد الفاضل / عبدالرحمن حسن الشربتلى رئيس مؤسسة الشربتلى الخيرية على حرصه وحرص والده رحمه الله على رعايتهم لحفظة كتاب الله ـ تعالى ـ وتوزيع الجوائز السخية عليهم، ونصح الطلاب والطالبات المكرمين على المداومة والحرص على الحفظ والتلاوة وتوخى القراءة الصحيحة للقرآن الكريم وتمنى لهم مستقبلاً زاهراً بحفظهم ومحافظتهم على كتاب الله ـ عز وجل.

الإمام الأكبر:

الإكراه على العقائد لا يأتى بمؤمنين صادقين

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف وفد لجنة حقوق الانسان بالبرلمان الألمانى (البوند ستاج) المكون من أربعة عشر عضوا برئاسة السيدة كريستا نيكلس، ودار الحديث حول حقوق الإنسان وحقوق المرأة بصفة خاصة فى الشريعة الاسلامية، وأوضح فضيلته بأننا فى مصر فيما يتعلق بالحقوق والواجبات، لا فرق بين مسلم وغير مسلم، وأن كل من يحمل الجنسية المصرية يتساوى فى الحقوق والواجبات، أما العقائد فإن لكل إنسان عقيدته، ولا إكراه على العقائد والإكراه على العقائد لا يأتى بمؤمنين صادقين وإنما يأتى بمنافقين كذابين، وهناك مساواة فى كثير من الأمور بين الرجل والمرأة ونحن فى الأزهر الشريف نعلم الذكور والإناث على السواء، وعدد الإناث يقارب عدد الذكور.

وحول سؤال عن تولى المرأة فى منصب قاض، وهل للأزهر تحفظ على ذلك، أوضح فضيلته أنه منذ أيام قليلة تولت امرأة فاضلة منصب قاض بالمحكمة الدستورية العليا، والأزهر سعيد بهذا التعيين، ففى تلك الوظيفة لا فرق بين الرجال والنساء، وشريعة الاسلام ساوت بين الرجل والمرأة فى التعليم.

وحول سؤال عن حق المرأة فى التملك (حق الملكية) أوضح فضيلته أن للمرأة فى مصر الحق فى الملكية مثلها مثل الرجل تماما فهى تتمتع بكافة الحقوق.

وحول موضوع ختان الإناث أوضح فضيلته بأن الختان عادة فى بعض أقاليم مصر، ولكن الذى يحدد ذلك ويقرره هو الطبيب المعالج وطبقا للأسباب التى يراها، ونحن فى مصر دولة مؤسسات، ولكل مؤسسة تخصصها.

وفى نهاية اللقاء شكرت رئيسة الوفد فضيلته على هذه الإيضاحات التى بنيت الرؤية السليمة لبعض الأمور، وتمنت أن تصل هذه الآراء والمعارف والتوضيحات لكل أرجاء العالم، حضر اللقاء فضيلة الدكتور محمود إمبابى وكيل الأزهر الشريف.

الإمام الأكبر:

أتمنى أن يكثر فى العالم عدد العقلاء حتى يحل السلام

ـ استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الوفد اليابانى من بعثة التبادل الثقافى والحوار بين اليابان والشرق الأوسط ممثلا للحكومة اليابانية برئاسة السيد/ ماسا يوكى ياماؤتشى الأستاذ بجامعة طوكيو، والسيد/ ونيموتو الرئيس الشرفى لاتحاد عمال اليابان، ودار الحديث حول الأحداث التى تتعرض لها منطقة الشرق الأوسط من عنف وتفجيرات وبخاصة فى دولة فلسطين، وإمكانية إيجاد الحلول السلمية لذلك، وقد أوضح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف، بأننا نؤيد الحلول السلمية والمفاوضات بين الطرفين وأن مصر رئيسا وحكومة وشعبا تنادى دائما بجلوس الطرفين على مائدة المفاوضات للوصول إلى حل سلمى والسيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية شخصيا يبذل فى هذا المضمار جهدا غير عادى، لأن العنف يولد العنف، والقتل يولد القتل، وأعرب فضيلته عن تأييده لدولة اليابان على موقفها الرامى للسلام، وقد شكر الوفد فضيلة شيخ الأزهر الشريف على ما سمعه من آراء حكيمة.

وأوضح فضيلة شيخ الأزهر أن المسلمين قلوبهم مفتوحة لدراسة كل العقائد، مؤكدا على أن العقائد لا تباع ولا تشترى، ولا إكراه عليها، وأن لكل إنسان عقيدته، والذى يحاسب على العقائد هو الله الخالق ـ عز وجل ـ مؤكدا على أننا فى مصر مسلمين ومسيحيين نعيش سويا نتمتع بكافة الحقوق وتؤدى ما علينا من واجبات، مشيرا إلى أن هناك قيما سائدة بين العقائد يجب أن نعتنقها، مثل الخير والصدق والعدل ومساعدة المحتاج ونصرة المظلوم وإحقاق الحق، وإبطال الباطل، وعدم اغتصاب الأرض، وعدم قتل النفس، وهى قيم يجب أن تسود العالم بغض النظر عن الديانات، والمشاكل وجدت منذ بدء الخليقة ولكن تختلف نسبتها من قرن إلى قرن، وأنانية الإنسان وطموحه، وعدم اقتناعه بحقه بل يريد أخذ حقوق الآخرين كل ذلك من أسباب وجود المشاكل، وأتمنى أن يكثر فى العالم عدد العقلاء، ويقل عدد السفهاء حتى يحل السلام محل الشر.

information technology. Moreover, it has succeeded in inventing the means of producing mass destruction weapons. On the other hand, it failed in achieving peace and tranquility for its people. Yet, the mindful among the Westerners still try to stop such an uncontrollable trend, but they cannot.

One of those who felt the wickedness of the Western civilization is Dr. Alexis Carrel. In his book '*Man, The Unknown*', Alexis Carrel says, "It seems that the Western civilization cannot produce men with creativity, innovation or fearlessness. We can perceive intellectual and ethical deterioration even with those who are supposed to lead and guide nations. Moreover, the Western civilization did not realize any of the great expectations of humanity. Furthermore, it failed in raising up men having the intelligence and intrepidity that would guide civilization through the dangerous way. Our knowledge about how to make man enjoy his life is more limited than our knowledge about materialistic matters. Humanity is the victim of such deterioration."

The Austrian scholar who embraced Islam, Muhammad Asad, depicts the Western civilization under the leadership of the USA and Europe which aim to impose their futile system on the entire world. He says, "There is no doubt that there are some individuals still live and think according to a religious method and do their best in order to apply their creeds in conformity with the spirit of their civilization; but they are rare. The majority of people in Europe, whether they are democrats or fascists, capitalists or communists, or manual workers or intellectualists, do not follow but one religion; namely, worshipping money. The inescapable results are conflicts and wars due to opposition in views and interests. With regard to the cultural aspect, the result is the existence of a type of people whose ethical philosophy becomes confined in the practical benefit and worldly gains."

Muslims should regain their consciousness quickly, for they have reached a very deteriorated state. They have the most sublime method and system; Islam. In this regard,

the Prince of Poets, Ahmad Shawqy, commented on such a declining condition saying:

O Muhammad, your people, east and west
Are slumbering in their deep sleepiness
Their faith is of two lights; Qur'an and Sunnah
Then why should they stay in darkness?

Despite the deteriorated condition of the Islamic Nation, there is still some hope; there are sleepless people tending to the interests of their nations. Such people rely on their Lord Who says:

﴿Surely We indeed vindicate Our Messengers and the ones who have believed in the present life, and upon the Day when the (noble) Witnesses rise up.﴾

[Ghafir (The Forgiver):51]

Views on the Western Civilization

Dr. Hamdy Fatouh Waly

The tree of the human civilization began to sway as it was before the birth of the man (i.e., the Prophet Muhammad) who united the whole world. Humanity is now in dire need of Muhammad's Message to apply it again. In other words, Islam has become a human necessity for all mankind in addition to its being a legal creed. This goes back to what has befallen humanity of tragedies and disasters resulting from the materialistic Western civilization. Humanity has paid the expensive price through wars, epidemics, famines, and conflicts.

One of our contemporary thinkers has described the cruel materialistic Western civilization saying: The mindful should not be inclined by the trend attracting humanity today. When one contemplates the current circumstances and conditions, one will see the poor humanity stumbling and moving confusedly in its concepts, systems, and attitudes. Besides, one will see the cruel civilization killing humans and turning them into machines for the aim of increasing the production. Nevertheless, you may find some people defending such civilization under the pretext of evolution, progress and renovation." This is the Western civilization in the eyes of Sayyid Qutb after his visit to the USA in the late forties of the last century.

You may ask yourself, "What kind of good or benefit can be gained from such a civilization?" This is the civilization that wanted to make man happy but turned him unhappy; wanted to ease life for him but made it more difficult; and wanted to subject everything to him but turned man himself into its slave. Instead of subjecting production to serve him, he became the loyal servant doing his best to serve his master '*Production*'. Here, the role of Islam comes to the surface, as humanity has become in pressing need of it.

On one hand, the Western civilization has achieved many significant victories and successes in the space world, communications, transportation, computer and

Second: The sick and those on a journey. They are allowed to break Fast and make up for the days in which they have broken Fast in some other days. In this relation, Allah, the All-Merciful, says:

﴿... So, whosoever of you is sick or on a journey, then a (fixed) number of other days...﴾

[Al-Baqarah (The Cow): 184]

Moreover, the pregnant, breastfeeding, menstruating, or confined woman is included in this group and have the same ruling.

Third: Those who cannot observe Fast without facing difficulty due to whatever reasons, such as senility, chronic diseases, and the suchlike. Therefore, it is permissible for them to break Fast; instead, they may feed poor persons. In this regard, Allah, the Ever-Merciful, says:

﴿... and against the ones who can afford it, there should be a ransom of food for an indigent man...﴾

[Al-Baqarah (The Cow): 184]

The verse refers to those who may observe Fast with difficulty.

Degrees of Fast:

The wisdom behind the legislation of Fast

Abstention from eating and drinking is not the aim behind the legislation of Fast. Rather, there are so many objectives targeted by Fast including guarding one's behaviors and patience by which the Fasting person gains pure intention and strong determination so that he/she can observe difficulties and obstacles. This is in addition to many other benefits that one may get through fasting.

Fasting in the Islamic *Shari`ah*
By: Councilor Muhammad Ezzat At-Tahtawy

Fasting is a natural disposition known for most creatures, not only man. Every living organism, in a certain period of its life, resorts to fasting. For example, we find that some animals, such as camels, snakes and some species of lizards, observe fasting for some periods of their lives. Moreover, fasting is an old act of worship stated in the previous religions. Besides, the Ancient Egyptians would observe fasting; the Greeks and Roman imitated them.

The religion of the Jews, Torah, obligates fasting on a day called" *Indulgence*". If they observe fasting in any other days, fasting will be supererogatory. In this regard, the interpreters of the Qur'an say that Moses, may the peace of Allah be upon him, observed fasting for forty days after which the Torah was revealed upon him and Allah talked to him. This is stated in the verse that reads:

﴿And We appointed with Musa (Moses) thirty nights and We perfected them with ten, so the fixed time of his Lord was perfect for forty nights.﴾

[Al-A`raf (The Battlements):142]

The same matter can be witnessed in the Gospel.

Fasting in Islam is an obligatory act of worship

Fasting, from among the other pillars of Islam, is distinguished by being an act of worship attributed to Allah, Exalted be He. This is due to the statement of the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, in which he says (as the Words of his Lord), *"Every good deed is rewarded by its ten-folds up to seven hundred folds, except Fasting, for it belongs to Me and I grant whatever reward I wish." (Related by Abu Hurairah)*

Hence, Fasting is regarded as a Divine obligation ordained by Allah, the One Who has the right to obligate upon His servants whatever He desires. On this occasion, Allah, the Al-Mighty, says:

﴿O you who have believed, prescribed for you is the Fast, as it was prescribed for (the ones) who were even before you, that possibly you would be pious.﴾

[Al-Baqarah (The Cow): 183]

Accordingly, Fast is obligated upon every adult, percipient, resident Muslim, except for those who are not commanded to observe it, such as the menstruating or the confined woman, as well as those permitted to break the Fast, such as the one on a journey and the sick.

The Manner of Observing Fast:

Fast involves abstention from eating, drinking and having sexual intercourse, from the break of dawn to sunset. In addition, one has to believe in Fast and assigning it to only Allah, Glorified and Exalted be He. Allah says:

﴿... and eat and drink until the white thread becomes evident to you from the black thread at dawn; thereafter complete the Fast to the night...﴾

[Al-Baqarah (The Cow): 187]

Ease of Fast in the Islamic Creed:

Islam does not place any difficulty upon Muslims, as Allah says:

﴿Allah wills for you ease, and He does not will difficulty for you...﴾ [Al-Baqarah (The Cow): 185]

Consequently, there are three groups:

First: The healthy resident who are able to observe Fast without suffering any harm or difficulty. Such people have to observe Fast in the month of Ramadan and whoever breaks Fast in it is thus invoking Allah's wrath.

the vast emptiness surrounding women's friends; that is, time passes without solving any of the problems facing women to the extent proving the inefficiency of such leaders. Nowadays, women have jobs, can earn money, work and manage things along with man. Hence, lots of problems began to rise as regards the financial demands; is the husband, alone, responsible for most of such demands or may the wife help him? They agreed that the wife should share her husband in expenditures; however, can she save some money for herself? Another issue came to the surface; namely, does she have the right to give some of her own money to her father or brother in times of need?

Such matters have been the topic of extensive disputes that have led, many times, to divorce. Have such leaders as well as those men stimulating them discussed that subject? Have they set some rules to regulate such matters so that they may prevent separation? Or does such a matter represent no importance to them, as it does not even cross their minds? In some of the Islamic countries, women have been obligated to go out searching for jobs. Have the women's leaders searched for a practical solution regarding the children left at homes without their mothers?

The experiment has proved that women need many leaves due to physical and psychological issues. Have such leaders studied those issues in order to justify the needs of women in a way that does not affect the running of business and thus help those in charge to overcome obstacles? There are some of the crucial matters that face woman and stand in her way. Thus, the leaders of woman associations should be attentive regarding such matters. Nevertheless, such so-called leaders would not discuss those matters; that is, sessions are held in clubs and fancy

places under the pretext of studying suggestions. Besides, they would attack the men of religion, on many occasions, and consider them as their enemies.

I have read in newspapers about two issues called for by women; namely, forbidding polygamy and submitting every case of divorce before the judge, without letting the husband enjoy the full decision. Naturally, lots of discussions may take place around these two issues to clarify what is already clarified. As for the issue of forbidding polygamy, if it is applied, having a second wife, accordingly, will not be allowed. The result will be allowing men to have mistresses as witnessed clearly in the European Community. What is honorable for the woman; to be a second legal wife respected by people or a mistress humiliated and abased by them?

Concerning the other issue regarding the submission of every case of divorce before the judge, it is sufficient to contemplate the Words of Allah in which He says:

﴿And in case you fear discord between the two, then send forth a judge from his family and a judge from her family; in case they (both) are willing to act righteously, Allah would cause them to reach an agreement among themselves; surely Allah has been Ever-Knowing Ever-Cognizant.﴾

[An-Nisa' (Women): 35]

The verse states that the role of the two judges is to try to reconcile between the two spouses as regards any discord that may arise between them in a kind of secrecy and privacy. Contrarily, if every divorce case is to be submitted before court, all secrets and scandals of the family will be made public. This is what the men of religion try to avoid; how can they be regarded as woman's enemy?

Muslims gained victory due to the withdrawal of the Romans and their allies from their positions, for they came to realize the mightiness of the Islamic army in addition to the high morale of the Muslim soldiers.

Further, the Battle of Al-Qadisiyah took place between Muslims and Persians in 14 A.H. (635 AD). In that battle, the Persian armies had a sweeping defeat at the hands of Muslims. Moreover, in the month of Ramadan 92 A.H. (711 AD), Muslims crossed the sea from Africa to Europe under the leadership of the great leader Tariq Ibn Ziyad. The great army of Muslims defeated the Qouts who reached one hundred thousand soldiers in number. Allah, Exalted be He, enabled Muslims to open Andalucia (Spain).

In Ramadan 583 A.H. (1178 AD), Salahud-Din Al-Ayuouby led the Muslim army in the Battle of Hitteen. Muslims defeated the Crusade Army and drove them out of Palestine and Jerusalem after an occupation lasted for about eighty-eight years.

Furthermore, on the 25th of Ramadan 658 A.H. (1260 AD), Muslims under the leadership of Adh-Dhaher Biepers, the leader of the Muslim army during the rule of Sultan Qutuz, eliminated the Tartars army under the leadership of Holako in the decisive battle of Ain Galout. Muslims stopped the cruel attack of Tartars against the Arab and Islamic world. Not to mention the great victory of 10th of Ramadan 1393 A.H. (6 Oct. 1973). In that war, Arabs gained victory over Israel. The Egyptian forces crossed the Suez Canal in the south assisted by the Syrian forces in the north.

To conclude, will there be any returning to such victories in this era, in which Muslims' homes are occupied and their religious values are abased (i.e., their voice became low while the voice of falsehood became very loud)? Yes, they can accomplish victories, for the solution lies in their hands. And Allah is the One Whose help is to be sought.

Men of Religion and Women's Issues

By: Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy

We have read about 'Woman's Community' as well as the news of '*her*' international meetings where all the different delegations have been invited to discuss issues. Many countries have sent their representatives to attend those meetings and festivals. Besides, newspapers have published the decrees and suggestions coming out of those meetings.

Moreover, 'Women Seminars' have been held to look into the achieved gains. Such meetings and decisions are not new anymore; however, the new thing is that the purposeful have seized the opportunity to declare in the newspapers, in some of the Islamic communities, that woman has achieved victory over her enemies; the claimed defeated enemy is men of religion. Is it true that men of religion represent woman's bitter enemy who tries to imprison her in darkness and interprets the religious texts in a way that make her a slave having no freedom, or feeling of security? Rather, such light-minded people exert their effort to achieve nothing but mixing the right with falsehood? Things have turned upside down. In this regard, the poet says:

Since matters turned upside down

We would walk on heads instead of feet

We will not resort to imaginary examples to distort the truth; rather, we will state clear perceptible facts so as to let people know the real enemy of woman as well as her real friend?

I want to address women's leaders and whoever stimulates them of men and ask them questions to uncover

AL-AZHAR MAGAZINE
Ramadan 1424 A. H.

ENGLISH SECTION
November. 2003

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

Ramadan and the Great Victories

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

The fasting person abstains from the things that break the Fast in response for Allah's command and none, but Allah, knows the reality and validity of one's abstention; whether one's intention is good or not. Fast involves many benefits such as the wakefulness of the fasting person's conscience as Fast prevents him from committing hidden evils as well as manifest ones. In addition to controlling one's desires and instincts for a whole month, Fast makes the individual experiences the conditions of the poor and the needy. This may make the fasting person feels for them and shows kindness towards them so that he/she may help easing their lives and relieving them from neediness and suffering. These are some of the fruitages harvested from Ramadan's Fast.

As for the sweeping victories and the magnificent glories that took place in the month of Ramadan, they are topped by the great Battle of Badr .It took place on the 17th of Ramadan 2 A.H. (624 AD). That year witnessed the first clash of the Right with the Wrong, and Faith with Disbelief. In that battle, Allah granted Muslims victory against the disbelievers despite the fact that Muslims were few in number unlike their enemies.

On the 21st of Ramadan, 8 A.H. (630 AD), Mecca was opened in a great event in which the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, showed the highest example of mercy, forgiveness and forbearance. This is due to the fact that he said to those who belied, denied and disbelieved in him and stood against the call of Islam, "*Go, you are free.*"

Besides, the Battle of Tabouk took place in the month of Ramadan 9 A.H. (631 AD). It was between Muslims and the Romans. The Battle of Tabouk is considered the first expansion for Muslims outside the Arab Peninsula as well as the first step to prove the universality of Islam. In that battle,

الفهـرس

مجمع البحوث الإسلامية

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي

● ● ●

رئيس التحرير
أ.د. محمد رجب البيومي

نائب رئيس التحرير
الطاهر محمد الطاهر الحامدي

مدير التحرير
عادل رفاعي خفاجة

سكرتير التحرير
أحمد السيد تقي الدين

الاشتراك السنوي

● داخل مصر	١٨ جنيها مصريا
● الدول العربية	٥٠ دولارا أمريكيا
● أوربا وأمريكا	٨٥ دولارا أمريكيا
● اليابان وشرق آسيا	١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
☎ ٥٧٨٦١٠٠.. - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم
مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر
ت: ٢٦٣٨٥٩٩

شوال ١٤٢٤هـ - ديسمبر ٢٠٠٣م - الجزء العاشر - السنة السادسة والسبعون

الفهرس

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
فى مطلع كل شهر عربى

• • •

رئيس التحرير
أ.د. محمد رجب البيومى

نائب رئيس التحرير
الطاهر محمد الطاهر الحامدى

مدير التحرير
عادل رفاعى خفاجة

سكرتير التحرير
أحمد السيد تقى الدين

الاشتراك السنوى

- داخل مصر ١٨ جنيها مصريا
- الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا
- أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا
- اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
☎ ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم
مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر
ت: ٢٦٣٨٥٩٩

شوال ١٤٢٤هـ - ديسمبر ٢٠٠٣م - الجزء العاشر - السنة السادسة والسبعون

افتتاحية العدد

نظرات نقدية

من قال لا أدرى..

لكل علم رجاله المتخصصون فى دراسته، فالطب لا يخوضُ فى مسائله غير الطبيب، والقانون لا يلج حديثه غير القانونى، والهندسةُ لا يناقش أمورها غير المهندس، فإذا ألمَّ غير متخصص ببعض ما لا يمت إلى دراسته، سأل فى تهيب وحذر وانتظر الجواب الصائب مذعنا لما يشير به أولو العلم دون معارضة أو لجاج..

تجدُ ذلك فى كل علم من علوم الحياة إلا الفقه الإسلامى فقد كان من مآسيه، أنْ يخوض فى مسائله كل متكلم من غير المتخصصين فأنت تجد كاتب المقالة الاجتماعية وصاحب التعليقات الإذاعية ومحرر اليوميات الصحفية يحمل الدين ما لا قبل له به من الآراء، فيفسر الآية القرآنية على غير وجهها، ويميل بالحديث النبوى منحرفا عن دلالته، ويقتطع شذورا يقتطفها دون بصر، من آيات الكتاب لتكون دعامة لزعمه.. فإذا قلت لهؤلاء: يا قوم إنكم تهرفون بما لا تعرفون، وإن للدين علماءه المتخصصين يصدرون عن أمره ويتهيلون من حوضه فى يقظة ووعى، إذا قلت ذلك مخلصا لله، ولكتابه المبين صاح بك الصائحون من هؤلاء: كلنا رجال الدين، ليس فى الإسلام أناسٌ يحتكرون الحديث عن الإسلام..!!

ونحن نعرف أنه ليس فى الإسلام رجال دين بالمعنى الذى كان ولا يزال مشتهراً لدى الكنيسة، إذ كان رجل الكنيسة قديما يأخذ مكانه الدينى ليحل ويحرم، وليصدر صكوك الغفران، وليكون واسطة بين الإنسان وخالقه، وليجلس أمامه المذنب على كرسى الاعتراف يفيض له بذنوبه وآثامه واعدا بالرحمة أو موعدا بالعذاب.. ليس فى الإسلام رجال دين يدورون فى هذا النطاق.. فهو دين التوحيد الخالص من الشوائب المنزه عن

الظنون، ولكن للإسلام علماءُ دين قد درسوا كتابه وفهموا أسراره؛ وفقهوا أحكامه وهُم وحدهم مصدر الإفتاء، وليس لكاتب غير متخصص فى دراسة الشريعة، أن يكون أحد هؤلاء، لأنه أصبح بطريقة ما كاتبا فى مجلة أسبوعية، أو محررا فى صحيفة يومية أو معلقا فى إذاعة عامة فله - فى زعمه - أن يتحدث عما لا يعرف من قضايا التشريع، مستنداً إلى قشوره السطحية، ومحرفا الكلام عن وجهه.

فإذا تعرضت له بالنقد، وحكمت عليه أن يترك مجالاً لم يتهيأ له، صاح بك فى تنمر مستكبر ليس فى الإسلام رجل دين!

إنك لتقرأ لهؤلاء وتسمع عنهم ما يغيظ ويحنق، وإنهم ليتطاولون إلى القضايا الدقيقة فيلوكون القول بألسنة مرنة، وفيهم من يتجاوز الفروع الفقهية المحدودة إلى القواعد الأصولية الكلية التى لا يقف على أبعادها غير الراسخين من الفحول، فيتحدث عن المصالح المرسلة والاستحسان وسد الذرائع، والضرورات المبيحة للمحرمات، وهو - شهد الله لا يروى من ذلك غير ألفاظ عائمة لا تستقر على مدلول دقيق، وقد رأيت أحدهم يتبجح بقوله إن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قد تخطى النص القرآنى، إذ عطل حد السرقة فى عام الرمادة، فلنا أن نتجاوز النص عند الضرورة، وعمر الفاروق برىء مما يهرف به هذا المتعالم الجهول، ولحد السرقة قواعد يعرفها الفقهاء، ولم يخرج عمر عن نطاقها بحال، ولكنه الفهم الطائش بل الاقتيات الساقط، يلتقط من الموائد المغرضة فيبالغ فى أمره ويفسر وفق الهوى لا الحق ويصير بعد ذلك فى نظر هؤلاء المفتونين حكما إسلاميا يرجع إلى الصدر الأول من أئمة السلف وخلفاء المسلمين!..

وإذا ذهبت تسأل عن سبب هذا الأفق الخرف فى الحكم، والعمى الأكمه فى الرأى والشلل الجامد فى النظر، وما إلى ذلك، فإنك واجده فى التهجم على الإفتاء دون تقدير للعاقبة، أو تعظيم للتبعة، وإلا فكيف اجترأ كُتاب اليوميات وأصحاب التعليقات على الإفتاء فى مسائل التشريع كأنهم فقهاء أصوليون..؟

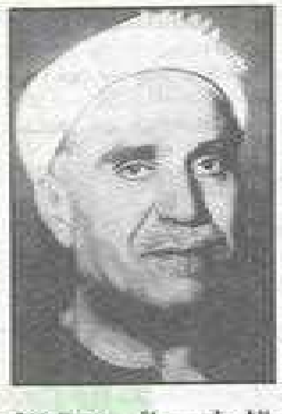
لقد كان الصحابة - رضى الله عنهم - ومن تبعهم بإحسان، يتهيبون الإفتاء مع رسوخ أقدامهم، وسعة أذهانهم، فيحيل بعضهم على بعض، خشية الزلل، حتى قال ابن ليلى: لقد أدركت فى هذا المسجد - مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة - مائة وعشرين من الأنصار ما منهم أحدٌ يحدث إلا ود أن أخاه قد كفاه الحديث ولا يُسأل عن فُتيا إلا ود أن غيره قد كفاه، وحتى روى عن الإمام الشعبى أنه كان إذا سُئل عن مسألة فقهية أحال على زميل يشاركه البصر، فيحيل الآخر على غيره، وتدور الإحالات حتى ترجع المسألة إلى الشعبى

بعد طول طواف، فلا يجد بُداً من الإفتاء، وما ذلك كله إلا خوف الخطأ فى الإجابة، مع أن المجتهد الحقيقى فى الإسلام له أجر واحد إذا أخطأ وأجران إذا أصاب.. ولعل ثقة الفقيه من هؤلاء الأجلاء بزملائه كانت مما يدفعه إلى الإحالة عليهم، بمعنى أن إماماً كالشعبى ما كان ليحيل على غيره إذا تطلب إنسان حكم الله فيما لا يعرفه سواه، وقد ولَّد هذا الحذر فى بعض النفوس المؤمنة خشيةً ورهبة كانتا موضع العجب، حتى قال بعض كبار الأئمة: (لولا الخوف من الله أن يضيع العلم بالسكوت، لما أفتيتُ أحداً فتوى يكون له منها الهناء، وعلىَّ وحدى شديد الوزر إذا أخطأت الرأى)..

فإذا تركنا الشعبى وزملاءه إلى من وليهم بعد ذلك من أئمة الإسلام فإننا نجد عالم المدينة مالك بن أنس – رضى الله عنه – يهتف بكلمته المأثورة: (من قال لا أدرى فقد أفتى)، وهى كلمةٌ تحملنا على أن نقف لديها متأملين، لأن الإمام مالكاً كان حاضر البديهة واضح الحجة عظيم الدراسة ومثله فى جلال علمه وطول تجربته وكثرة معاناته لا يعوزه أن يجد الرد السريع على أكثر ما يوجه إليه من الأسئلة المتفرعة فى مسائل الفقه والتشريع، ولكنه كان يمسك عن الإجابة فى بعض الأحايين ليضرب المثل الملموس على وجوب التثبت ودقة التحرى، إذ وجد فى عصره أناساً يهجمون على الفتوى السريعة فى كل مسألة تعن، ويرون فى سرعة الإجابة من التطاول والمباهاة مالا يليق برجل العلم، وقد يكون فيهم من تزل قدمه فيخطىء فى الرد حين يظن بنفسه السداد، رأى الإمام مالك ذلك وآلمه فآثر أن يقول قولته: (من قال لا أدرى فقد أفتى) لينهى هؤلاء المتسرعين عن الخبط الطائش دون تريث واطمئنان وليعظم لديهم مكانة العلم والدين، ونحن فى عصر يشتد احتياجه إلى تدبر قول الإمام مالك والوقوف طويلاً أمامه موقف العظة والانتفاع، فقد طمَّ الأمر فى الفتوى الدينية حتى انتقل من الجرائد والمجلات إلى المجالس العامة! وإلى صحف التسلية الخاصة بالفكاهات.

أجل لقد انتقل الأمر من حملة الأقلام إلى رُواة الأفاكيه وأصحاب الثرثرة والاجترار، فقد تكون فى مجلس عام أكثره عاميون، وأقله علماء، ثم يتشقق الحديث لينتهى إلى سؤال فى أمر دينى، فتجد المتسرع فى الإجابة من غير ذوى الاختصاص، فإن عارضه من أراد أن يرشده إلى الحق سمعت ما لا يرضيك من أنواع المغالطة رداً على رد، وكأن المسألة غلبةٌ واستعلاء، وظهور وادعاء، وليست مسألة دين وإسلام..

وإذا كنا نؤاخذ هؤلاء المتهجمين على الفتوى دون استعداد مؤاخذة اللائم المتشدد فإننا نؤاخذ من يميلون إلى الاستماع إليهم والترحيب بما يهرفون به من أراجيف.



الشيخ مصطفى عبد الرازق

ولو كان لدينا جمهور مستنير لأشاح عن هؤلاء إشاحة تُجبرهم على السكوت، ولكنهم يقولون ويجدون من يستمع، فيحسبون أنفسهم على شىء والله يعلم أنهم أدعياء، فمن الواجب أن يكون لدينا رأى عام يُنكر التهجم والافتيات ويجابه الأدعاء والمدعين ليلزم كلٌّ حده المعقول..

أعرف جيداً أن ذوى العقول البصيرة ممن يُقدرون فضيلة التحرى المتثبت، والاطمئنان المتئد يحاولون جاهدين أن يضربوا المثل الرائع فى هذا المضمار فيزيدوا فى عيون المنصفين مهابة ووقاراً لا ينتهيان عند حد، وأضرب المثل لذلك بفقيد الأدب والعلم والدين أستاذنا الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق – رحمه الله – فقد كان شيخ الأزهر الأسبق وأستاذ الفلسفة الإسلامية من قبل بالجامعة المصرية فى أرقى عصورها الزاهرة وكانت ندواته العلمية بمنزلة المرموق مورداً صافياً لتمحيص الحقائق، وتشريح الآراء، والرجل الكبير – رحمه الله – يستمع إلى ما يدور مكتفياً بالنظر الهادئ والابتسام الوقور، وقد يُطلب منه الإجابة عن سؤال فى مادة تخصصه التى درسها عشرين عاماً بكلية الآداب، فيعد بالإجابة فى الأسبوع المقبل بعد الاطلاع، وكثير من هذه الأسئلة المرجأة مما تسهُل عليه الإفاضة فى إيضاحه دون مراجعة إذ كان مادة درسه فى الأعوام المتتالية وقد هضمه العلامة المتضلع فهو به جد خبير لا مراء، ولكنه يُرجىء عن عمد ثم يفى بالإجابة فى مجلس الأسبوع المقبل!..

هكذا عُرف، وأحسبه بذلك يقول للمتسرعين فى ندوته بلسان الحال: لستُ معكم فى هجومكم على إجابة كل سؤال، وقد زاد الشيخ الأكبر بمسلكه هذا عظمةً واحتراماً لدى المنصفين، وكان موضع الثقة فيما يدلى به من رأى، بل إن تواضعه العلمى فى بحوثه الجامعية كان يدفعه إلى الاكتفاء بالنصوص الهادفة من كُتب السلف مع الإحالة إلى مصادرها دون أن يحاول إبداء براعة مصطنعة فى التخريج والتحليل إذا لم تدع الضرورة فكان بذلك وجيهاً عند الله وعند الناس.

إن الداء قديم!.. ومثلُ هؤلاء المندفعين لم يكد يخلو منهم مكان، وقد كان الخليل بن أحمد الفراهيدى عبقرىَّ هذه الأمة، أدرى بهم فقد استعرض خلطاءه من المتحدثين استعراض المتأمل الفاحص ثم قال قولته الذائعة: (الناسُ أربعة: فرجلٌ يدرى ويعلم أنه يدرى، فذلك هو العالم فيُسأل، ورجلٌ لا يدرى ويعلم أنه لا يدرى فذلك هو

الجاهل فيتعلم، ورجلٌ يدرى ولا يدرى أنه يدرى فذلك هو الغافل فينَبِّه، ورجلٌ لا يدرى ويدرى أنه يدرى فذلك هو الأحمق فيُجْتنب) وقد أجاد الرجل فى تقسيمه حقاً إجادة لا تُستغرب من مثله، وإذا كان لنا من تعقيب على تقسيمه الصائب فإنا نرى أن الرجل الذى يدرى ويعلم أنه يدرى، وكـذلك الرجل الذى لايدرى ويعلم أنه لا يدرى، إنما يسلكان مسلكهما الطبيعى، بين الناس، فهما معاً على نهج معتدل لا يميل إلى الالتواء، أما من يدرى ويعلم أنه لا يدرى فهو المتواضع المُمعن فى تواضعه إلى حد يتنكر معه ما حصّل من علم وجمع من فضل، وأمثاله لا يخفون على النابهين، فهم مطمح الأنظار مهما تنقبوا بألف نقاب ويشتد بك العجب حين تقرنهم بمن لا يدرون ويعلمون أنهم يدرون فيهجمون على الإجابة فى كل مسألة تُقال ويتصدرون للرد دون حياء ولهم فى ذلك تطاولٌ يدعوا إلى الغثيان.. وما أكثر هذا الطراز الشائن بيننا اليوم، وهو طراز يحتاج إلى أن يعلم أن الصمت فى موضعه زين لأهله، وأن الله يُبغض كل ثرثار، كما عليه أن يلم ببسائط علوم النفس والتربية والاجتماع ليعرف أن للناس أفكاراً وموازين، وأنه بتهجمه لا يزن جناح بعوضة عند المنصفين، وإذا خدع البسطاء فى مجلس واحد، فسيتضّح عواره لا محالة فى مجالس عدة حتى ليُرجم علانيةً بمثل قول الشاعر:

جـهلت ومـا تدرى بأنك جـاهل

ومَـن لـى بـأنْ تـدرى بـأنـك لا تـدرى

وفى الأدب العربى طرائف ضاحكة عن أناس يتصدّرون للإجابة عن كل سؤال فيقعدون فى حرج قاتل حين يواجهون بجهالتهم الفاضحة، وفيهم من لا تمنعه مرارةُ التجربة السابقة عن معاودتها مرات متعاقبة حتى يشتهر بالادعاء الغبى، والجهل المأفون ولو تأملها قليـلا لعرف دلائل مـا يرى من بسمـات التهكم وضحكات السخرية والاستخفاف!.. وهى مسألة خلقية قبل أن تكون مسألة علم وادعاء!.. وفيها من العبرة البالغة ما يجعلنا نطيل الوقوف أمام قول مالك – رضى الله عنه: (من قال لا أدرى فقد أفتى) حيث هدى إلى الرأى الصائب من أقرب طريق.

د. / محمد رجب البيومى

تفسير سورة البقرة

قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي
يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ
مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ
مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ
فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (275) يَمْحَقُ
اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (276)
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (277) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (278) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا
فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ
أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (279) وَإِنْ كَانَ
ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ
إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (280) وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى
اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (281) ﴾

الآيات: ٢٧٥ / ٢٨١

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾

استئناف قصد به الترهيب من تعاطى الربا، بعد الترغيب فى بذل الصدقة لمستحقيها.

ولم يعطف على ما قبله لما بينهما من تضاد، لأن الصدقة ـ كما يقول الفخر الرازى ـ عبارة عن تنقيص المال ـ فى الظاهر ـ بسبب أمر الله بذلك، والربا عبارة عن طلب الزيادة على المال مع نهى الله عنه فكانا متضادين.

والأكل فى الحقيقة ابتلاع الطعام، ثم أطلق على الانتفاع بالشىء وأخذه بحرص وهو المراد هنا وعبر عن التعامل بالربا بالأكل، لأن معظم مكاسب الناس تنفق فى الأكل.

والربا فى اللغة: الزيادة مطلقا، يقال: ربا الشىء يربو إذا زاد ونما، ومنه قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾[1].

أى: زادت.

وهو فى الشرع: ـ كما قال الآلوسى ـ عبارة عن فضل مال لايقابله عوض فى معاوضة مال بمال.

وقوله: ﴿ يَتَخَبَّطُهُ ﴾: من التخبط بمعنى الخبط وهو الضرب على غير استواء واتساق يقال: خبطته أخبطه خبطاً أى ضربته ضربا متواليا على أنحاء مختلفة ويقال: تخبط البعير الأرض إذا ضربها بقوائمه ويقال للذى يتصرف فى أمر ولايهتدى فيه يخبط خبط عشواء قال زهير بن أبى سلمى فى معلقته:

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب
تمته ومن تخطى يعمر فيهرم

و ﴿ ٱلْمَسِّ ﴾: الخبل والجنون يقال: مس الرجل فهو ممسوس إذا أصابه الجنون وأصل المس اللمس باليد، ثم استعير للجنون، لأن الشيطان يمس الإنسان فيجنه.

والمعنى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾

أى يتعاملون به أخذا وإعطاء ﴿ لَا يَقُومُونَ ﴾ يوم القيامة للقاء الله إلا قياما كقيام المتخبط المصروع المجنون حال صرعه وجنونه، وتخبط الشيطان له، وذلك لأنه يقوم قياما منكرا مفزعا بسبب أخذه الربا الذى حرم الله أخذه.

فالآية الكريمة تصور المرابى بتلك الصورة المرعبة المفزعة، التى تحمل كل عاقل على الابتعاد عن كل معاملة يشم منها رائحة الربا.

(1) الحج (5).

وهنا تحب أن نوضح أمرين:

أما الأمر الأول: فهو أن جمهور المفسرين يرون أن هذا القيام المفزع للمرابين يكون يوم القيامة حين يبعثون من قبورهم كما أشرنا إلى ذلك.

قال الآلوسى: وقيام المرابى يوم القيامة كذلك مما نطقت به الآثار، فقد أخرج الطبرانى عن عوف ابن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إياك والذنوب التى لاتغفر، الغلول فمن غل شيئا أتى به يوم القيامة، وأكل الربا فمن أكل الربا بعث يوم القيامة مجنونا يتخبط، ثم قرأ الآية، وهو مما لايحيله العقل ولايمنعه، ولعل الله ـ تعالى ـ جعل ذلك علامة له يعرف بها يوم الجمع الأعظم عقوبة له.. ثم قال وقال ابن عطية: المراد تشبيه المرابى فى حرصه وتحركه فى اكتسابه فى الدنيا بالمتخبط المصروع كما يقال لمن يسرع بحركات مختلفة: قد جن ولايخفى أنه مصادمة لما عليه سلف الأمة ولما روى عن رسول الله ﷺ من غير داع سوى الاستبعاد الذى لايعتبر فى مثل هذه المقامات »[2].

والذى نراه أنه لامانع من أن تكون الآية تصور حال المرابين فى الدنيا والآخرة، فهم فى الدنيا فى قلق مستمر، وانزعاج دائم، واضطراب ظاهر بسبب جشعهم وشرههم فى جمع المال، ووساوسهم التى لاتكاد تفارقهم وهم يفكرون فى مصير أموالهم........ ومن يتتبع أحوال بعض المتعاملين بالربا يراهم أشبه بالمجانين فى أقوالهم وحركاتهم أما فى الآخرة فقد توعدهم الله ـ تعالى ـ بالعقاب الشديد، والعذاب الأليم.

وقد رجح الإمام الرازى أن الآية الكريمة تصور حال المرابى فى الدنيا والآخرة فقال ما ملخصه: «إن الشيطان يدعو إلى طلب اللذات والشهوات والاشتغال بغير الله، ومن كان كذلك كان فى أمر الدنيا متخبطا.. وآكل الربا بلاشك أنه يكون مفرطا فى حب الدنيا متهالكا فيها، فإذا مات على ذلك الحب صار ذلك حجابا بينه وبين الله ـ تعالى ـ، فالخبط الذى كان حاصلا له فى الدنيا بسبب حب المال أورثه الخبط فى الآخرة وأوقعه فى ذل الحجاب، وهذا التأويل أقرب عندى من غيره»[3].

وأما الأمر الثانى: فهو أن جمهور المفسرين يرون أيضا أن التشبيه فى الآية الكريمة على الحقيقة، بمعنى أن الآية تشبه حال المرابين بحال المجنون الذى مسه الشيطان، لأن الشيطان قد يمس الإنسان فيصيبه بالصرع والجنون.

ولكن الزمخشرى ومن تابعه يتكرون ذلك، ويرون أن كون الصرع أو الجنون من الشيطان باطل لأنه لايقدر على ذلك، فقد قال الزمخشرى فى تفسيره: وتخبط الشيطان من زعمات العرب، يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع والمس الجنون ورجل ممسوس ـ

(2) تفسير الآلوسى جـ3 ص49.

(3) تفسير الفخر الرازى جـ7 ص96.

أى مجنون ـ وهذا أيضا من زعماتهم، وأن الجنى يمسه فيختلط عقله، وكذلك جن الرجل معناه ضربته الجن، ورأيتهم لهم فى الجن قصص وأخبار وعجائب، وإنكار ذلك عندهم كإنكار المشاهدات»[4].

ومن العلماء الذين تصدوا للرد على الزمخشرى ومن تابعه الإمام القرطبى فقد قال: «وفى هذه الآية دليل على فساد إنكار من أنكر الصرع من جهة الجن وزعم أنه من فعل الطبائع، وأن الشيطان لايسلك فى الإنسان ولايكون منه مس وقد روى النسائى عن أبى اليسر قال: كان رسول الله ﷺ يدعو فيقول: «اللهم إنى أعوذ بك من التردى والغرق والهدم والحريق، وأعوذ بك من أن يتخبطنى الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت فى سبيلك مدبرا وأعوذ بك أن أموت لديغا»[5].

وقال الشيخ أحمد بن المنير: ومعنى قول الزمخشرى أن تخبط الشيطان من زعمات العرب، أى من كذباتهم وزخارفهم التى لاحقيقة لها، كما يقال فى الغول والعنقاء ونحو ذلك وهذا القول من تخبط ـ الشيطان بالقدرية ـ أى المعتزلة ـ فى زعماتهم المردودة بقواطع الشرع، ثم قال: واعتقاد السلف وأهل السنة أن هذه أمور على حقائقها واقعة كما أخبر الشارع عنها، والقدرية ينكرون كثيرا ما يزعمونه مخالفا لقواعدهم.. ومن ذلك السحر، وخبطة الشيطان، ومعظم أحوال الجن وإن اعترفوا بشىء من ذلك فعلى غير الوجه الذى يعترف به أهل السنة وينبىء عنه ظاهر الشرع فى خبط طويل لهم»[6] والذى نراه أن ما عليه جمهور العلماء من أن التشبيه على الحقيقة هو الحق، لأن الشيطان قد يمس الإنسان فيصيبه بالجنون، ولأنه لايسوغ لنا أن نؤول القرآن بغير ظاهره بسبب انجاه دليل عليه.

وقوله: ﴿ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ متعلق بيقومون أى لايقومون من المس الذى حل بهم بسبب أكلهم الربا إلا كما يقوم المصروع من جنونه.

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴾

بيان لزعمهم الباطل الذى سوغ لهم التعامل بالربا، ورد عليه بما يهدمه.

واسم الإشارة ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ يعود إلى الأكل أو إلى العقاب الذى نزل بهم والمعنى: ذلك الأكل الذى استحلوه عن طريق الربا، أو ذلك العذاب الذى حل بهم والذى من مظاهره قيامهم المتخبط، سببه قولهم إن البيع الذى أحله الله يشابه الربا الذى نتعامل به فى أن كلا منهما معاوضة.

(4) تفسير الكشاف للزمخشرى جـ1 ص320.

(5) تفسير القرطبى جـ3 ص355.

(6) الانتصاف على الكشاف لابن المنير جـ1 ص320 من الكشاف.

قال صاحب الكشاف: فإن قلت: هلا قيل إنما الربا مثل البيع لأن الكلام فى الربا لافى البيع، فوجب أن يقال إنهم شبهوا الربا بالبيع فاستحلوه وكانت شبهتهم أنهم قالوا: لو اشترى الرجل الشىء الذى لايساوى إلا درهما بدرهمين جاز، فكذلك إذا باع درهما بدرهمين؟ قلت: جىء به عن طريق المبالغة وهو أنه قد بلغ من اعتقادهم فى حل الربا أنهم جعلوه أصلا وقانونا فى الحل حتى شبهوا به البيع»[7].

وقوله:

﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴾ جملة مستأنفة، وهى رد من الله ـ تعالى ـ عليهم، وإنكار لتسويتهم الربا بالبيع.

قال الآلوسى: وحاصل هذا الرد من الله ـ تعالى ـ عليهم: أن ما ذكرتم ـ من أن الربا مثل البيع ـ قياس فاسد الوضع لأنه معارض للنص فهو من عمل الشيطان، على أن بين البابين فرقا، وهو أن من باع ثوبا يساوى درهما بدرهمين فقد جعل الثوب مقابلا لدرهمين فلاشىء منهما إلا وهو فى مقابلة شىء من الثوب، أما إذا باع درهما بدرهمين فقد أخذ الدرهم الزائد بدون عوض، ولايمكن جعل الإمهال عوضا إذ الإمهال ليس بمال فى مقابلة المال»[8].

وقوله:

﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾

تفريع على الوعيد السابق فى قوله:

﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴾ إلخ.

والمجىء بمعنى العلم والبلاغ، والموعظة: ما يعظ الله ـ تعالى ـ به عباده عن طريق زجرهم وتخويفهم وتذكيرهم بسوء عاقبة المخالفين لأوامره.

أى فمن بلغه نهى الله ـ تعالى ـ عن الربا، فامتثل وأطاع وابتعد عما نهاه الله عنه.

﴿ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ ﴾ أى فله ما تقدم قبضه من مال الربا قبل التحريم وليس له ما تقدم الاتفاق عليه ولم يقبضه.. لأن الله ـ تعالى ـ يقول بعد ذلك:

﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ ﴾.

وقوله:

﴿ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ أى أمر هذا المرابى الذى تعامل بالربا قبل التحريم واجتنبه بعده، أمره مفوض إلى الله ـ تعالى ـ فهو الذى يعامله بما يقتضيه فضله وعفوه وكرمه.

قال ابن كثير: قوله:

﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾.. إلخ أى من

(7) تفسير الكشاف جـ1 ص321.

(8) تفسير الآلوسى جـ3 ص50.

بلغه نهى الله عن الربا فانتهى حال وصول الشرع إليه فله ما سلف من المعاملة لقوله:

﴿ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ﴾ وكما قال النبى ﷺ يوم فتح مكة: «وكل ربا فى الجاهلية موضوع تحت قدمى هاتين وأول ربا أضع ربا عمى العباس»، ولم يأمرهم برد الزيادات المأخوذة فى حال الجاهلية بل عفا عما سلف كما قال ـ تعالى ـ:

﴿ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ أى فله ما كان قد أكل من الربا قبل التحريم»[٩].

و «من» فى قوله: ﴿ فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ ﴾ شرطية وهو الظاهر، ويحتمل أن تكون موصولة وعلى التقديرين فهى فى محل رفع بالابتداء وقوله: ﴿ فَلَهُ مَا سَلَفَ ﴾ هو الجزاء أو الخبر، و ﴿ مَوْعِظَةٌ ﴾ فاعل جاء وسقطت التاء من الفعل للفصل بينه وبين الفاعل أو تكون الموعظة هنا بمعنى الوعظ فهى فى معنى المذكر.

وقوله: ﴿ مِّن رَّبِّهِ ﴾ جار ومجرور متعلق بجاءه، أو بمحذوف وقع صفة لموعظة وفى قوله: ﴿ مِّن رَّبِّهِ ﴾ تفخيم لشأن الموعظة، وإغراء بالامتثال والطاعة لأنها صادرة من الله ـ تعالى ـ المربى لعباده.

وفى هذه الجملة الكريمة بيان لمظهر من مظاهر السماحة فيما شرعه الله لعباده لأنه ـ سبحانه ـ لم يعاقب المرابين على ما مضى من أمرهم قبل وجود الأمر والنهى، ولم يجعل تشريعه بأثر رجعى بل جعله للمستقبل، إذ الإسلام يجب ما قبله فما أكله المرابى قبل تحريم الربا فلاعقاب عليه فيه وهو ملك له، إلا أنه ليس له أن يتعامل به بعد التحريم، وإذا تعامل به فلن تقبل توبته حتى يتخلص من هذا المال الناتج عنه الربا.

ولقد توعد الله ـ تعالى ـ من يعود إلى التعامل بالربا بعد أن حرمه الله ـ تعالى ـ فقال:

﴿ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

أى ومن عاد إلى التعامل بالربا بعد أن نهى الله عنه فأولئك العائدون هم أصحاب النار الملازمون لها، والماكثون فيها بسبب تعديهم لما نهى الله عنه.

وفى هذه الجملة الكريمة تأكيد للعقاب النازل بأولئك العائدين بوجوه من المؤكدات منها: التعبير فيها بأولئك التى تدل على البعيد فهم بعيدون عن رحمة الله، والتعبير بالجملة الإسمية التى تفيد الدوام والاستمرار والتعبير، بكلمة أصحاب الدالة على الملازمة والمصاحبة، وبكلمة ﴿ خَالِدُونَ ﴾ التى تدل على طول المكث.

(٩) تفسير ابن كثير جـ١ ص٣٢٧.

ثم بين ـ سبحانه ـ سوء عاقبة المرابين، وحسن عاقبة المتصدقين فقال:

﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾.

والمحق: النقصان والإزالة للشىء حالا بعد حال، ومنه محاق القمر، أى انتقاصه فى الرؤية شيئا فشيئا حتى لايرى، فكأنه زال وذهب ولم يبق منه شىء.

أى أن: المال الذى يدخله الربا يمحقه الله، ويذهب بركته، أما المال الذى يبذل منه صاحبه فى سبيل الله فإنه ـ سبحانه ـ يباركه وينميه ويزيده لصاحبه.

قال الإمام الرازى عند تفسيره لهذه الآية ما ملخصه: اعلم أنه لما كان الداعى إلى التعامل بالربا تحصيل المزيد من الخيرات، والصارف عن الصدقات الاحتراز عن نقصان المال، لما كان الأمر كذلك بين ـ سبحانه ـ أن الربا، وإن كان زيادة فى الحال إلا أنه نقصان فى الحقيقة، وأن الصدقة وإن كانت نقصانا فى الصورة إلا أنها زيادة فى المعنى، واللائق بالعاقل أن لايلتفت إلى ما يقضى به الطبع والحس والدواعى والصوارف، بل يعول على ما أمر به الشرع.

ثم قال: واعلم أن محق الربا وإرباء الصدقات يحتمل أن يكون فى الدنيا وأن يكون فى الآخرة أما محق الربا فى الدنيا فمن وجوه:

أحدها: أن الغالب فى المرابى وإن كثر ماله أن تؤول عاقبته إلى الفقر، وتزول البركة عنه، ففى الحديث: الربا وإن كثر فإلى قل.

وثانيها: إن لم ينقص ماله فإن عاقبته الذم والنقص وسقوط العدالة وزوال الأمانة.

وثالثها: إن الفقراء يلعنونه ويبغضونه بسبب أخذه لأموالهم.

ورابعها: أن الأطماع تتوجه إليه من كل ظالم وطماع بسبب اشتهاره أنه قد جمع ماله من الربا ويقولون: إن ذلك المال ليس له فى الحقيقة فلايترك فى يده.

وأما أن الربا سبب للمحق فى الآخرة فلوجوه منها أن الله ـ تعالى ـ لايقبل منه صدقة ولاجهاد ولاصلة رحم ـ كما قال ابن عباس ـ ومنها أن مال الدنيا لايبقى عند الموت بل الباقى هو العقاب وذلك هو الخسران الأكبر.

وأما إرباء الصدقات فى الدنيا فمن وجوه: منها: أن من كان لله كان الله له، و من أحسن إلى عباد الله أحسن الله إليه وزاده من فضله، ومنها أن يزداد كل يوم فى ذكره الجميل وميل القلوب إليه، ومنها أن الفقراء يدعون له بالدعوات الصالحة وتنقطع عنه الأطماع.

وأما إرباؤها فى الآخرة فقد روى مسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ـ تعالى ـ يقبل الصدقات ويأخذها بيمينه فيربيها كما يربى أحدكم مهره، أو فلوه حتى إن اللقمة لتصير مثل أحد»[١٠].

(١٠) تفسير الفخر الرازى جـ٧ ص١٠٢.

ففى هذه الجملة الكريمة بشارة عظيمة للمتصدقين، وتهديد شديد للمرابين ثم ختم ـ سبحانه ـ الآية بقوله:

﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾.

و ﴿ كَفَّارٍ ﴾ فعيل بمعنى فاعل فهى صيغة مبالغة من آثم، والأثيم هو المكثر من ارتكاب الآثام المبطىء عن فعل الخيرات.

أى: أن الله ـ تعالى ـ لايرضى عن كل من كان شأنه الستر لنعمه والجحود لها والتمادى فى ارتكاب المنكرات، والابتعاد عن فعل الخيرات.

وقد جمع ـ سبحانه ـ بين الوصفين للإشارة إلى أن إيمان المرابين ناقص إن لم يستحلوه وهم كفار إن استحلوه، وهم فى الحالتين آثمون معاقبون، بعيدون عن محبة الله ورضاه وسيعاقب ـ سبحانه ـ الناقصين فى إيمانهم، والكافرين به بما يستحقون من عقوبات.

فالجملة الكريمة تهديد شديد لمن استحلوا الربا، أو فعلوه مع عدم استحلالهم له وبعد هذا التهديد الشديد للمتعاملين بالربا، ساق ـ سبحانه ـ آية فيها أحسن البشارات للمؤمنين الصادقين فقال ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى إيمانا كاملا بكل ما أمر الله به ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ أى الأعمال الصالحة التى تصلح بها نفوسهم والتى من جملتها الإحسان إلى المحتاجين، والابتعاد عن الربا والمرابين:

﴿ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾ بالطريقة التى أمر الله بها، بأن يؤدوها فى أوقاتها بخشوع واطمئنان ﴿ وَآتَوُا الزَّكَاةَ ﴾ أى أعطوها لمستحقيها بإخلاص وطيب نفس.

هؤلاء الذى اتصفوا بكل هذه الصفات الفاضلة ﴿ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ أى لهم ثوابهم الكامل عند خالقهم ورازقهم ومربيهم.

و ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ يوم الفزع الأكبر ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ لأى سبب من الأسباب، لأن ما هم فيه من أمان واطمئنان ورضوان من الله ـ تعالى ـ يجعلهم فى فرح دائم وفى سرور مقيم.

ثم ينتقل القرآن إلى أسلوب الخطاب المباشر للمؤمنين فيأمرهم بتقوى الله وينهاهم عن التعامل بالربا فيقول:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ أى اخشوه وصونوا أنفسكم عن الأعمال والأقوال التى تفضى بكم إلى عقابه.

وقوله: ﴿ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾ أى: اتركوا ما بقى فى ذمم الذين عاملتموهم بالربا ولاتأخذوا منهم إلا رءوس أموالكم فحسب، فهذا مقابل لقوله ـ تعالى ـ قبل ذلك:

﴿ فَلَهُ مَا سَلَفَ ﴾ أى ما سلف قبضه من الربا قبل نزول الآية فهو لكم، وما لم تقبضوه فأنتم مأمورون بتركه.

وقوله: ﴿ مِنَ الرِّبَا ﴾ متعلق بمحذوف على أنه حال من فاعل ﴿ بَقِيَ ﴾ أى اتركوا الذى بقى حال كونه بعض الربا، ومن للتبعيض أو متعلق ببقى.

و ﴿ وَذَرُوا ﴾ فعل أمر ـ بوزن علوا ـ مبنى على حذف النون والواو فاعل، وأصله ﴿ وَذَرُوا ﴾ فحذفت فاؤه، والماضى منه وذر.

وقوله:

﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ حث لهم على ترك الربا أى إن كنتم مؤمنين حق الإيمان فامتثلوا أمر الله وذروا ما بقى من الربا مما زاد على رءوس أموالكم.

قال ابن كثير: نزل هذا السياق فى بنى عمرو بن عمير بن ثقيف، وبنى المغيرة من بنى مخزوم كان بينهم ربا فى الجاهلية فلما جاء الإسلام ودخلوا فيه، طلبت ثقيف أن تأخذه منهم فتشاوروا وقالت بنو المغيرة: لانؤدى فى الإسلام، فكتب فى ذلك عتاب ابن أسيد نائب مكة إلى رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية، فكتب بها رسول الله ﷺ إليه فقالوا نتوب إلى الله ونذر ما بقى من الربا فتركوه كلهم وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لكل من استمر على تعاطى الربا بعد الإنذار[١١] ثم هدد الله ـ تعالى ـ كل من يتعامل بالربا تهديدا عنيفا فقال:

﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾

أى: فإن لم تتركوا الربا وأخذتم منه شيئا بعد نهيكم عن ذلك فكونوا على علم ويقين بحرب كائنة من الله ـ تعالى ـ ورسوله، ومن حاربه الله ورسوله لايفلح أبدا.

وقوله: ﴿ فَأْذَنُوا ﴾ من أذن بالشىء يأذن إذا علمه وقرىء «فآذنوا» من آذنه الأمر وآذنه به: أعلمه إياه: أى أعلموا من لم ينته عن الربا بحرب من الله ورسوله.

وتنكير «حرب» للتهويل والتعظيم أى فكونوا على علم ويقين من أن حربا عظيمة ستنزل عليكم من الله ورسوله.

قال بعضهم: والمراد المبالغة فى التهديد دون نفس الحرب وقال آخرون: المراد نفس الحرب بمعنى أن الإصرار على عمل الربا إن كان من شخص وقدر عليه الإمام قبض عليه وأجرى فيه حكم الله من الحبس والتعزير إلى أن تظهر منه التوبة وإن وقع ممن يكون له عسكر وشوكة، حاربه الإمام كما يحارب الفئة الباغية، وكما حارب أبوبكر الصديق مانعى الزكاة وقال ابن عباس: من تعامل بالربا يستتاب فإن تاب فيها وإلا ضرب عنقه[١٢].

(١١) تفسير ابن كثير جـ١ ص-٣٢ بتصرف يسير.

(١٢) تفسير الفخر الرازى جـ٧ ص٩٦-١٠.

ثم بين ـ سبحانه ـ ما يجب عليهم عند توبتهم عن التعامل بالربا، فقال:

﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾

أى: وإن تبتم عن التعامل بالربا الذى يوجب الحرب عليكم من الله ورسوله، فلكم رءوس أموالكم أى أصولها بأن تأخذوها ولاتأخذوا سواها وبذلك لاتكونون ظالمين لغرمائكم، ولاتكونون ظالمين لكم، لأن من أخذ رأس ماله بدون زيادة كان مقسطا ومتفضلا، ومن دفع ما عليه بدون إنقاص منه كان صادقا فى معاملته.

ثم أمر الله ـ تعالى ـ الدائنين أن يصبروا على المدينين الذين لايجدون ما يؤدون منه ديونهم فقال ـ تعالى ـ:

﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾

والعسرة: اسم من الإعسار وهو تعذر الموجود من المال يقال: أعسر الرجل إذا صار إلى حال العسرة وهى الحالة التى يتعسر فيها وجود المال.

والنظرة: اسم من الإنظار بمعنى الإمهال يقال: نظره وانتظره وتنظره، تأنى عليه وأمهله فى الطلب.

والميسرة: مفعلة من اليسر الذى هو ضد الإعسار يقال: أيسر الرجل فهو موسر إذا اغتنى وكثر ماله وحسنت حاله.

والمعنى: إن وجد مدين معسر فأمهلوه فى أداء دينه إلى الوقت الذى يتمكن فيه من سداد ما عليه من ديون، ولاتكونوا كأهل الجاهلية الذين كان الواحد منهم إذا كان له دين على شخص وحل موعد الدين طالبه بشدة وقال له: إما أن تقضى وأما أن تربى أى تدفع زيادة على أصل الدين.

و ﴿ كَانَ ﴾ هنا الظاهر أنها تامة بمعنى وجد أو حدث، فتكتفى بفاعلها كسائر الأفعال: وقيل يجوز أن تكون ناقصة واسمها ضمير مستكين فيها يعود إلى المدين وإن لم يذكر وذلك على قراءة «ذا عسرة» بالنصب

وقوله: ﴿ فَنَظِرَةٌ ﴾ الفاء جواب الشرط ونظرة خبر لمبتدأ محذوف أى فالأمر أو فالواجب أو مبتدأ محذوف الخبر أى فعليكم نظرة.

ثم حبب ـ سبحانه ـ إلى عباده التصدق بكل أو ببعض ما لهم من ديون على المدينين المعسرين فقال ـ تعالى ـ:

﴿ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

أى: وأن تتركوا للمعسر كل أو بعض ما لكم عليه من ديون وتتصدقوا بها عليه، فإن فعلكم هذا يكون أكثر ثوابا لكم من الإنظار.

وجواب الشرط فى قوله:

﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ محذوف أى إن كنتم تعلمون أن هذا التصدق خير لكم فلا تتباطئوا فى فعله، بل سارعوا إلى تنفيذه فإن التصدق بالدين على المعسر ثوابه جزيل عند الله ـ تعالى ـ.

وقد أورد بعض المفسرين جملة من الأحاديث النبوية التى تحض على إمهال المعسر، والتجاوز عما عليه من ديون.

ومن ذلك ما أخرجه مسلم فى صحيحه عن أبى قتادة أن رسول الله ﷺ قال: «من نفس عن غريمه أو محا عنه كان فى ظل العرش يوم القيامة».

وروى الطبرانى عن أسعد بن زرارة أن رسول الله ﷺ قال: «من سره أن يظله الله يوم لا ظل إلا ظله فلييسر على معسر أو ليضع عنه».

وروى الإمام أحمد عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من أراد أن تستجاب دعوته وأن تكشف كربته فليفرج عن معسر»[١٣].

ثم ساق ـ سبحانه ـ فى ختام حديثه على الربا آية كريمة ذكر الناس فيها بزوال الدنيا وفناء ما فيها من أموال، وبالاستعداد للآخرة وما فيها من حساب فقال ـ تعالى ـ:

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

أى: واحذروا أيها المؤمنون يوما عظيما فى أهواله وشدائده، وهو يوم القيامة الذى تعودون فيه إلى خالقكم فيحاسبكم على أعمالكم ثم يجازى ـ سبحانه ـ كل نفس بما كسبت من خير أو شر بمقتضى عدله وفضله، ولايظلم ربك احدا.

فالآية الكريمة تعقيب حكيم يتناسب كل التناسب مع جو المعاملات والأخذ والعطاء، حتى يبتعد الناس عن كل معاملة لم يأذن بها الله ـ تعالى ـ.

قال الآلوسى: أخرج غير واحد عن ابن عباس أن هذه الآية هى آخر ما نزل على رسول الله ﷺ من القرآن واختلف فى مدة بقائه بعدها فقيل: تسع ليال وقيل: سبعة أيام وقيل: واحد وعشرين يوما وروى أنه قال: اجعلوها بين آيات الربا وآية الدين..»[١٤].

هذا والمتدبر فى هذه الآيات التى وردت فى موضع الربا، يراها قد نفرت منه تنفيرا شديدا وتوعدت متعاطيه بأشد العقوبات، وشبهت الذين يأكلونه بتشبيهات تفزع منها النفوس، وتشمئز منها القلوب، وحضت المؤمنين على أن يلتزموا فى معاملاتهم ما شرعه الله لهم، وأن يتسامحوا مع المعسرين ويتصدقوا عليهم بما يستطيعون التصدق به.

وقد تكلم الفقهاء[١٥] وبعض المفسرين عن الربا وأقسامه وحكمة تحريمه كلاما مستفيضا، قال بعضهم: الربا قسمان: ربا النسيئة، وربا الفضل.

---

(١٣) تفسير ابن كثير جـ١ ص٣٣١.

(١٤) تفسير الآلوسى جـ٣ صفحة ٥٤.

(١٥) راجع على سبيل المثال تفسير القرطبى جـ٣ صفحة ٣٤٧ وتفسير المنار جـ٣ صفحة ١٠٦.

فربا النسيئة : هو الذى كان معروفا بين العرب فى الجاهلية ، وهو أنهم كانوا يدفعون المال على أن يأخذوه فى موعد معين ، فإذا حل الأجل طولب المدين برأس المال كاملا ، فإن تعذر الأداء زادوا فى الحق وفى الأجل .

وربا الفضل أن يباع درهم بدرهمين ، أو دينار بدينارين ، أو رطل من العسل برطلين أو كيلة من الشعير بكيلتين .

وكان ابن عباس فى أول الأمر لايحرم إلا ربا النسيئة وكان يجوز ربا الفضل اعتمادا على ما روى من أن النبى ﷺ قال : «إنما الربا فى النسيئة» ولكن لما تواتر عنده الخبر بأن النبى ﷺ قال : الحنطة بالحنطة مثلا بمثل يدا بيد» رجع عن قوله لأن قوله ﷺ : «إنما الربا ففى النسيئة» محمول على اختلاف الجنس فإن النسيئة حينئذ تحرم ويباح التفاضل كبيع الحنطة بالشعير تحرم فيه النسيئة ويباح التفاضل .

ولذلك وقع الاتفاق على تحريم الربا فى القسمين : أما ربا النسيئة فقد ثبت تحريمه بالقرآن كما فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ .

وأما ربا الفضل فقد ثبت تحريمه بالحديث الصحيح الذى رواه عبادة بن الصامت أن النبى ﷺ : قال : «الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل ، سواء بسواء ، يدا بيد ، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كانت يدا بيد» .

وقد اشتهرت رواية هذا الحديث حتى صارت مسلمة عند الجميع وجمهور العلماء على أن الحرمة ليست مقصورة على هذه الأشياء الستة ، بل تتعداها إلى غيرها مما يتحد معها فى العلة وقد فسر بعضهم هذه العلة باتحاد الجنس والقدر ....»(16) .

ومن الحكم التى ذكرت فى أسباب تحريم الربا : أنه يقتضى أخذ مال الغير بدون عوض ويؤدى إلى امتناع أصحاب الأموال عن تحمل المشاق فى الكسب والتجارة والصناعة وإلى استغلال حاجة المحتاج أسوأ استغلال وكل ذلك يفضى إلى إشاعة روح التباغض والتخاصم والتحاسد بين أفراد المجتمع ـ كما سبق أن أشرنا ـ .

ومن الأحاديث الشريفة التى وردت فى التحذير من تعاطى الربا ما رواه الشيخان عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : اجتنبوا السبع الموبقات ـ أى المهلكات ـ قالوا : يا رسول الله وما هن ؟ قال : الشرك بالله والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات» .

وأخرج مسلم فى صحيحه عن جابر بن عبد الله قال : لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه» .

(16) تفسير آيات الأحكام ـ بتصرف وتلخيص للشيخ محمد على السايس جـ1 صفحة 161

السنة

شجاعة المسلمين الأولين فى قتال الأعداء

لفضيلة الأستاذ/ عبدالرحمن الجزيرى
عضو جماعة كبار العلماء

إعداد الشيخ / على حامد عبدالرحيم

عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : «غاب عمى أنس بن النضر عن قتال بدر ، فقال : يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين ، لئن الله أشهدنى قتال المشركين ليرين الله ما أصنع ! فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون ، قال : اللهم إنى أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ، يعنى أصحابه ، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء ، يعنى المشركين . ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ ، فقال : يا سعد بن معاذ : الجنة ورب النضر ! إنى أجد ريحها من دون أحد . قال سعد : فما استطعت يا رسول الله ما صنع . قال أنس : فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف ، أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم ، ووجدناه قد قتل ، وقد مثل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه . قال أنس : كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفى أشباهه :

﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾(1) رواه البخارى .

(1) الأحزاب : 23 .

مختار من مجلة الأزهر المجلد 12 ، رمضان 1358 هـ

يتعلق بهذا الحديث أمور:

«١» معناه.

«٢» حب التضحية وآثاره في المسلمين الأولين.

«٣» بيان أن التمسك بالسنن الطبيعية التي سنها الله ـ تعالى ـ أمر لازم لابد منه.

«١» معنى الحديث: هو أن أنس بن النضر عم أنس بن مالك راوى هذا الحديث، لم يشهد قتال بدر، وهو أول قتال وقع للنبى ﷺ مع مشركي مكة ورءوسهم. فكان أنس بن النضر يعد ذلك خسارة عظيمة أصابته في حياته، وكان يتمنى أن يهيىء الله له فرصة أخرى تمكنه من الجهاد في سبيل الله ليستعيض بها عما فاته من حضور قتال بدر. وقد عبر عن هذا المعنى بقوله: «يا رسول الله: غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع». وهذه العبارة تنطوى على معنيين عظيمين: أحدهما: أن هذا الرجل العظيم قطع على نفسه عهدا لله ولرسوله أن يقوم بجهاد المشركين بكل ما يستطيع من بأس وقوة عند أول فرصة يشهد فيها قتال المشركين. ثانيهما: أنه وقف في عهده عند الحد الذى يستطيع أن يفعله بدون غرور أو تهور. ومع هذا فإن عبارته تدل على عزم ثابت وإرادة جازمة لا تردد فيها، فهو يقول لرسول الله ﷺ: إذا التقيت بالمشركين في ميدان القتال فلابد من أن أفعل كل ما في وسعي من التنكيل بهم، والقيام بما يجب عليّ من نصرة الله ورسوله.

وقد استجاب الله له أمنيته، فأشهده معركة أحد بعد ذلك، ولكن من سوء الحظ أن المسلمين في هذه المعركة قد انهزموا بعد أن انتصروا في أول أمرهم، لمخالفتهم أمر رسول الله عليه الصلاة والسلام، كما سنبينه بعد. فلما رآهم أنس بن النضر وهم منهزمون لم تنثن عزيمته، ولم ينكث بعهده الذى قطعه لرسول الله، فعزم على منازلة الأعداء، والنيل منهم بكل ما يستطيع من حول وطول، وهو موقن بأنه صائر إلى الفناء لا محالة، وأنه سيلقى حتفه بلا ريب، ولكنه لم يبال بكل هذا ما دام فيه بر بعهده ومرضاة لربه، ووفاء لأمته ونصرة لعقيدته، بل قد تبدل في نظره الحال فرأى في إقدامه على الموت سعادة خالدة، ولذة محسة، ولذا قال لسعد بن معاذ وهو في هزيمته: «يا سعد: الجنة، إني أجد ريحها من دون أحد»، وأقسم له على ذلك برب النضر، ويريد بالنضر أباه، أو ابنه، لأنه كان له ولد اسمه النضر. وهذه العبارة التي قالها أنس بن النضر لسعد ابن معاذ تدل على إيمان أنس الجازم بأن الموت في سبيل الله يفضى لا محالة إلى رضوان الله ـ عز وجل ـ والتمتع بنعيم الجنة الخالد الذى لا يفنى، كما وعد الله به الشهداء الذين يقاتلون في سبيل الله، فيقتلون ويُقتلون. على أن بعض الناظرين يقول: إن صدق إيمان أنس قد ذهب به إلى الإحساس بنعيم الجنة فعلا، فصار يشم رائحة نعيم الجنة حقيقة حال جهاده. وعلى كل حال فإن هذا الرجل

العظيم كان أحسن قدوة للمسلمين في التضحية، وبذل النفس في سبيل الله، والوفاء بالعهد، بل هو مثل كامل لقوة اليقين، والصبر على المكاره، والجزم بأن نعيم الحياة الدنيا زائل مهما طال أمده، فالمؤمن حقا هو الذى يعمل للحياة الباقية الدائمة، والنعيم الخالد الذى لا يفنى.

ذلك هو اعتقاد أنس بن النضر ـ رضى الله عنه ـ وتلك حالته النفسية التي دفعته إلى أن يخاطر بنفسه لينال من الأعداء بقدر ما يستطيع كي يفى لرسول الله ﷺ بعهده، وليس هو وحده الذى كانت تتجلى فيه هذه الروح العظيمة، روح الإخلاص والتضحية، بل كان معظم أصحاب الرسول على هذا الحال، فكانوا لا يبالون بمفارقة الحياة ولذاتها، بل كان كثير منهم يحتقرها ويهجرها عمدا، وكان كثير منهم يتمنى الموت في سبيل الله كي يظفر بما تشتاق إليه نفسه من مرضاة الله ـ عز وجل ـ والاستمتاع بالنعيم الخالد الذى لا تشوبه متاعب الحياة الدنيا وآلامها، وكانوا يقولون:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾[٢].

وها نحن أولاء قد بعنا أنفسنا لله ـ تعالى ـ بهذا الثمن الغالي ولم نقبضه بعد، فمتى تهيء لنا الفرص للاستمتاع بقبضه؟ وهذه العقيدة الجليلة هي التي كانت تدفعهم الى منازلة الأعداء الأقوياء بدون مبالاة، فكانوا لا يتهيبون عدوا ولا يخشون فناء، ومن أجل ذلك كتب الله لهم الفوز على أعدائهم من المشركين وغيرهم من الأمم التي كانت أكثر منهم عددا، وأقوى منهم سلطانا، بل كانوا لا يحسبون إلى جانبها شيئا ما، وذلك جزاء العاملين المخلصين.

ومن لطيف ما نقل عن أنس بن النضر هذا الحديث قوله: «اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعنى أصحابه، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء، يعنى المشركين» فإن هذه العبارة تدل على أن هذا الرجل العظيم ضابط لعاطفته، حافظ للسانه في كل ما يقول ويفعل، فلم يروعه هول الموقف، ولم تستفزه هزيمة أصحابه إلى الخروج عن التؤدة والبر، فاعتذر إلى الله ـ تعالى ـ عن هزيمة أصحابه المؤمنين لمخالفتهم أمر رسول الله ﷺ، والخروج عن السنن الإلهية التي أمر باتباعها؛ وبرئ إلى الله من صنيع المشركين واستمساكهم بالباطل، وطغيانهم على الحق الواضح الذى فيه سعادتهم وسعادة المجتمع الإنساني، فقال في هذا الموقف الحرج الدقيق: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعنى أصحابه من المسلمين الذين انهزموا في وقت كان يمكنهم أن ينتصروا فيه نصرا مبينا لو لم يخالفوا أمر الرسول؛ وأبرأ اليك مما فعل هؤلاء، يعنى المشركين الذين يحاربون الله ورسوله ومن والاهما من المؤمنين.

(٢) التوبة «١١١».

فانظر إلى هذا الأدب الجم، وهذه المكارم العالية، والغيرة على حقوق الصحبة فى الله حتى عند شذوذ الأصحاب وخروجهم عما هم مكلفون به من الثبات للأعداء والصبر على مقارعة الأهوال. فإن هذا الرجل العظيم يعتذر إلى الله عنهم فيما أتوه من مخالفة. وانظر إلى عبارته التى قالها لأعدائه فى أحرج المواقف وأدقها، فلم يسب ولم يقذف، ولكنه تبرأ منهم إلى الله - عز وجل - خالقهم لإمعانهم فى محاربة الحق الذى هو فى الواقع سعادة لهم وللمجتمع الإنسانى، فقال: وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء، يعنى المشركين. ثم هجم على أعدائه وهو يضرب فيهم ذات اليمين وذات الشمال، وسعد بن معاذ ينظر إليه ويعجب من تنكيله بالمشركين المنصورين، حتى قال لرسول الله ﷺ: فما استطعت يا رسول الله أن أحصى ما صنع أنس بالمشركين.

وقد يقال: إن عمل أنس هذا مخاطرة قد لا يقرها الدين الإسلامى، لأن الله - تعالى - قال:

﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾(٣)

والجواب أن معنى قوله - تعالى -:

﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾.

لا تهملوا وسائل الدفاع عن دينكم ووطنكم، ولا تضنوا بالإنفاق فى سبيل الله فيتمكن منكم العدو ويهلككم بالتسلط عليكم مادياً وأدبياً. ويؤيد هذا المعنى قوله - تعالى - فى صدر الآية:

﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾(٤)

فإن الشح وعدم الإنفاق على كل ما يلزم لقتال الأعداء يوجب للتهلكة لا محالة.

ولذا فرض الدين الإسلامى على المسلمين الاستعداد لقتال الأعداء بكل الوسائل الممكنة، قال تعالى:

﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾(٥).

ومن هذا تعلم أن عمل أنس - رضى الله عنه - وأمثاله لا يتسبب عنه تهلكة الأمم، بل حياتها، لأن العدو الذى يرى رجلا واحدا يضرب فيه ذات اليمين وذات اليسار وقت هزيمة قومه، لابد أن يشعر بوجل وخوف مما عساه أن يكون فى القوم كثير من أمثال هذا، وذلك هو الواقع، لأن المشركين كانوا يعلمون أن انتصارهم هذا مؤقت، وأن المؤمنين لابد أن تعود إليهم شجاعتهم، ولابد أن يرتبوا صفوفهم بعد هذا، ثم يصمدون لهم، ولهذا وقفوا عند هذا الحد ولم يستطيعوا أن يتقدموا إلى ديار القوم. ثم كانت للمسلمين الغلبة التامة عليهم بعد

(٣) (٤) البقرة، ١٩٥.

(٥) الأنفال، ٦٠.

ذلك، فأبادوا الشرك من شبه جزيرة العرب جميعها، وأصبحوا من أقوى الأمم بطشاً، وأعظمهم شأناً.

(٢) مما لا شك فيه أن قلوب المسلمين فى عهد النبى ﷺ كانت تنطوى على الغيرة الشديدة على دينهم وكرامتهم. فكانوا لا يدخرون وسعا فى الذود عن الواجب وتأييد الحق مهما كلفهم ذلك من التضحية فى الأموال والأنفس، بل كانت الضحايا التى يبذلونها فى ذلك السبيل لا تؤثر فى أنفسهم أدنى أثر، فلم تهن لهم عزيمة فى أى موقف من المواقف، ولم تضعف لهم إرادة، ولم تفتر لهم قوة؛ بل كانوا يستعذبون الموت وبذل الأموال فى سبيل الله. وذلك كان من أجل أمانيهم وأكبر لذاتهم. ولهذا لم تزلزلهم الكوارث، ولم تفزعهم العواصف، فنصروا دين الله القويم المشتمل على الأمر بالمعروف والعدل والإحسان وصلة الأرحام، والنهى عن الفاحشة والمنكر والبغى؛ وحاربوا لإعلاء كلمته فأعلى الله قدرهم، ودانت لهم رقاب أعدائهم، وخضعت لشوكتهم الجبابرة، وأصبحوا سادة أهل الدنيا، ولهم فى الآخرة أحسن الجزاء.

ذلك كان شأن المسلمين الأولين، وعلى رأسهم رسول الله ﷺ الذى يقول: «والذى نفسى بيده لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عنى، ولا أجد ما أحملهم عليه، ما تخلفت عن سرية تغزو فى سبيل الله، ثم أحيا، ثم أقتل، ثم أحيا، ثم أقتل، ثم أحيا، ثم أقتل». رواه البخارى. ومعنى هذا الحديث أن النبى ﷺ يتمنى أمرين: أحدهما أن يذهب مقاتلاً مع كل جماعة سواء كانوا قليلين أو كثيرين، لأن السرية من الجيش أكبر عددها أربعمائة. ثانيهما: أن يقتل فى سبيل الله شهيداً ثم يحيا بعد ذلك ويقاتل فى سبيل الله فيقتل شهيداً، ثم يحيا فيقتل إلخ.. ولا يمنعه عن الذهاب مع كل جيش إلا ضرورة تخلفه مع قوم من أصحابه لا يستطيعون الغزو ولا تطيب أنفسهم بمفارقته، وليس عنده من معدات الحرب يومئذ ما يكفى لحملهم وتجهيزهم. فكان لا يخرج إلا فى المواقع الكبيرة التى تستلزم خروجه.

ذلك كان شأن المسلمين الأولين فى مقارعة الأهوال ومصارعة المبطلين، ومازالوا على هذه الحال حتى مكن الله لهم من عدوهم فبددوا شمله، وقضوا عليه، وأصبحت كلمة الله هى العليا.

ولقد كان الله عليما بما تكنه قلوبهم من الشجاعة، وحب التضحية فى سبيل الحق، ففرض عليهم يومئذ أن يقوم الواحد منهم بإزاء عشرة من المقاتلين المشركين، بحيث لا يجوز له أن ينهزم إلا إذا زاد العدد على ذلك، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾(٦).

ومعنى هذا أن الله ـ تعالى ـ العليم بأحوال خلقه وما يناسب كل حالة بحسب اختلاف الظروف والأحوال، شرع لكل حالة ما يناسبها. فالمسلمون فى أول أمرهم كان عددهم قليلاً لا يكاد يذكر بجانب أعدائهم الكثيرين الذين يصدون عن سبيل الله بكل ما لديهم من حول وقوة، فكان المناسب لهذه الحالة أن يكون لدى المسلمين من القوة المعنوية ما يضاعف العزيمة والثبات، وتحصيل جميع الوسائل الممكنة التى تجعل الواحد منهم مقام عشرة من أعدائهم. ولما كان هذا شاقاً فى العادة ويكاد يكون غير ممكن، هون الله عليهم الأمر فقال لهم: إن الكافرين قوم لا يفقهون، لأنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يدركون معنى الفضائل الإنسانية، فجدير بالمؤمنين ألا يخافوا بأسهم، وأن يسوقوهم أمامهم كما تساق الحيوانات التى لا تعقل، ومع هذا فقد وعدهم الله بأنهم إن امتثلوا وأطاعوا الله ورسوله فإنه ينصرهم على أعدائهم. ويؤخذ ذلك من قوله تعالى:

﴿ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾(٧) فإن معنى هذا: إذا ثبت الواحد منهم لعشرة فإن الله ينصره عليهم، ويغلبهم.

هذا هو الذى كان يناسب المسلمين فى أول أمرهم، وقد تلقوا ذلك الأمر بالطاعة وبذل أقصى ما يستطيعون بذله من تنفيذه، فكان الله ـ تعالى ـ دائما معهم ينصرهم على أعدائهم كلما اشتبكوا معهم فى قتال، فلما كثر المسلمون خفف الله عنهم، وفرض عليهم أن يثبت الواحد منهم لاثنين من أعدائهم فقط، فقال لهم:

﴿ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾(٨)

ومعنى هذا أنكم وأنتم فى قلة كنتم أقوى منكم وأنتم فى كثرة، لأنكم فى الحالة الأولى كنتم تعتمدون على القوة المعنوية وحدها فلا تهابون خصمكم مهما كان كثير العدد. أما فى الحالة الثانية فقد أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا، فلهذا تغير تعلق علم الله بتغير أحوالكم، وتعلق بحالة الضعف العارضة لكم، فشرع لكم ما يناسبكم. على أنكم على أى حال

(٦) (٧) (٨) الأنفال ٦٥، ٦٦.

تمتازون بميزة لن تفارقكم أبداً، وهى الإيمان بالله ورسوله، فلم تكونوا كغيركم مهما كان عددكم، فليكن الواحد منكم كاثنين من الكافرين.

هذا كان حال المسلمين الأولين الذى مرنوا عليه، فأصبح لازماً لهم لا يفارقهم فى معركة من المعارك، ولا ينفك عنهم فى شأن من الشئون الحربية، فأصبح حب التضحية ملكة لهم. وكان من آثار ذلك أن هزموا جميع أعدائهم، وأصبحوا سادة الدنيا.

(٣) من يقرأ سيرة النبى ﷺ وأصحابه فى حروبهم مع المشركين والظالمين، لا يسعه إلا أن يجزم بأن الله ـ تعالى ـ كان يؤيدهم بجنود خارجة عن قوتهم، كما وقع فى معركة بدر وفى معركة الأحزاب وغيرهما، وذلك لأن المسلمين يومئذ لم تكن لديهم القوة الكافية لمقاومة أعدائهم الذين يريدون القضاء عليهم بكل الوسائل. ومع هذا فإن الله ـ سبحانه ـ أمر المسلمين بالتمسك بكل وسائل القوة الممكنة، ليكونوا مثالاً لمن يأتى بعدهم من المؤمنين، لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد أقام هذا العالم على نظام دقيق محكم، فجعل لكل شىء سبباً لا يخرقه إلا عند الضرورة الملحة، كما هو الحال فى معجزات المرسلين. أما ما وراء ذلك فإن الله ـ تعالى ـ قد أمر عباده المؤمنين بأن يحتاطوا لجميع الطوارئ، وأن يعدوا لأعدائهم ما استطاعوا من قوة.

وقد ضرب الله ـ تعالى ـ للأمم الإسلامية مثلاً فى عهد رسول الله ﷺ فى معركة أحد التى قتل فيها أنس بن النضر المذكور معنا فى الحديث. وملخص الحادثة: أن النبى ﷺ قاد الجيش يومئذ بنفسه وقسمه إلى قسمين: قسم يحمى ظهور المحاربين المسلمين فلا يبرحون مكانهم، وقسم يهاجم المشركين ويقاتلهم. وأمر القسم الأول بألا يترك موقفه حتى ولو انهزم المسلمون. فانتصر المسلمون على المشركين بالقسم المحارب، وفر المشركون أمامهم، فلما رآهم القسم الذى وقف ليحمى ظهور إخوانه المسلمين قد انهزموا، ورأى إخوانه المسلمين منتصرين، تغلب عليه حب المشاركة فى اقتسام الغنائم، وترك موقفه الذى يحمى ظهور إخوانه، فكر عليهم المشركون المنهزمون من وراء ظهورهم، وأخذوا يضربونهم، فانهزموا وفروا، ولم يؤيدهم الله ـ تعالى ـ فى هذه الحالة، لأنهم خالفوا أمر الله ـ تعالى ـ وخالفوا السنن الطبيعية التى ينبغى الاستمساك بها دائما. فكان ذلك درساً قاسياً لهم ولمن يأتى بعدهم من المسلمين الذين أهملوا سنن الله ـ تعالى ـ واستمسكوا بما لا يقره الدين؟.

استتباب الأمن ثمرة الإيمان والعمل الصالح

للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم

لقد وعد الله سبحانه- وتعالى- رسوله عليه الصلاة والسلام أن يجعل أمته خلفاء الأرض، وأئمة الناس، وجعل صلاح البلاد بهم، كما وعد بأن يبدلهم من بعد خوفهم أمنا، وقد حقق الله- سبحانه وتعالى- ذلك كما قال جل شأنه:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[1].

ولقد تحقق هذا الوعد من الله- تعالى- لرسوله عليه الصلاة والسلام فلم ينتقل الرسول صلوات الله وسلامه عليه إلى جوار ربه حتى فتح الله عليه مكة وخيبر وسائر جزيرة العرب.

ولقد كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وأصحابه بمكة، مكثوا نحوا من عشر سنين يدعون إلى الله وحده، وإلى عبادته وحده لا شريك له سرا، وهم خائفون لا يؤمرون بالقتال، حتى أمرهم الله -تعالى- بالهجرة إلى المدينة وأمرهم بالقتال، وكانوا خائفين يمسون في السلاح ويصبحون في السلاح، فصبروا على ذلك ما شاء الله- تعالى -لهم أن يصبروا، فقال رجل من الصحابة: يارسول الله، أبد الدهر نحن خائفون هكذا؟ أما يأتي علينا يوم نأمن فيه، ونضع عنا السلاح؟ فقال رسول الله ﷺ: «لن تصبروا إلا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا ليست فيه حديدة»، وأنزل الله هذه الآية الكريمة، فأظهر الله نبيه على جزيرة العرب فأمنوا ووضعوا السلاح.

(١) النور ٥٥.

ثم إن الله- سبحانه وتعالى -لما قبض رسوله عليه الصلاة والسلام كانوا كذلك آمنين في عهد أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان -رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

ولقد وعد رسول الله صلوات الله عليه المسلمين بنعمة الأمان حين قال لعدى بن حاتم، حين وفد عليه: «أتعرف الحيرة؟ قال: لم أعرفها ولكن سمعت بها، قال: فوالذى نفسى بيده ليتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد، ولتفتحن كنوز كسرى بن هرمز، قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: نعم؟ وليبذلن المال حتى لا يقبله أحد، قال عدى بن حاتم: فهذه الظعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت في غير جوار أحد.

ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز، والذى نفسى بيده لتكونن الثالثة، لأن رسول الله ﷺ قد قالها»[2].

وهكذا حدث الأمن كما وعد رسوله صلوات الله وسلامه عليه، وجاء ثمرة مترتبة على الإيمان بالله، وتوثيق الصلة به وعمل الصالحات.

والأمن كما هو نعمة في الدنيا دعا بها الأنبياء والمرسلون، كما في دعوة إبراهيم -عليه السلام-:

﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴾[3].

وكما في الآية السابقة:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ فهو أيضا من نعم الله -سبحانه وتعالى -في الآخرة ينعم بها عباده المؤمنون المخلصون كما قال تعالى:

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾[4] وكما قال جل شأنه:

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[5].

ولما نزلت هذه الآية الكريمة، قال رسول الله ﷺ: (قيل لي أنت منهم) وقال صلوات الله وسلامه عليه: «من أعطى فشكر ومنع فصبر وظلم فغفر» وسكت فقالوا: يارسول الله ما له؟ قال:

﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾.

وكما أن الأمن ثمرة الإيمان والعمل

(٢) أخرجه أحمد.

(٣) إبراهيم ٣٥.

(٤) الدخان ٥١.

(٥) الأنعام ٨٢.

الصالح فهو أيضا سمة المؤمن الصادق في إيمانه فإذا صدق إيمان الفرد وإذا صدق أيضا إيمان الجماعة عاشوا حياتهم آمنين لا يخافون ولا يفزعون ولا يخيفون أحدا، ولا يروعون الناس، بل إن الناس يلجأون للمؤمنين الصادقين ويأمنونهم على دمائهم وأموالهم.

ولقد وضح رسول الله صلوات الله وسلامه عليه سمة من سمات المؤمن وهي أن يأمنه الناس فقال صلوات الله وسلامه عليه: (والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم)[٦].

وتركيزا على (الأمن) كعلامة مميزة للمجتمع المؤمن وسمة ملازمة للمؤمنين نرى أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ينظر إلى من يرجى منه الخير ولا يخاف أحد منه ويؤمن الشر من جانبه بأن هذا الإنسان هو خير الناس، فيقول صلوات الله وسلامة عليه: (خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره)[٧].

وقد أنكر الإسلام استخدام السلاح في غير موضعه، وبغير وجه حق يروى عن الحسن: أن رجلاً شهر سيفه على رجل، فجعل يقرقعه فبلغ ذلك أبا موسى الأشعرى فقال: مازالت الملائكة تلعنه حتى غمده أو أغمده. وحرم الإسلام قتال الإنسان لأخيه الإنسان وترويعه بأى حال من الأحوال، وتوعد الإسلام المسلمين المتقاتلين بالنار، لخروجهما على دعوة الإسلام للأمن والأمان، والاستقرار والاطمئنان.

عن أبي بكرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إذا التقى المسلمان بسيفيهما فقتل أحدهما صاحبه، فالقاتل والمقتول في النار، قيل: يارسول الله هذا في القاتل فما بال المقتول؟ قال: (إنه كان حريصا على قتل صاحبه)[٨].

ويوضح رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أن المؤمن هو الذى يأمنه الناس ولا يخافونه ولا يخونونه بل يأمنونه على دمائهم وأموالهم فيقول صلوات الله وسلامه عليه: (والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم)[٩].

ولقد وضح الرسول صلوات الله وسلامه عليه أن طريق الدعوة الإسلامية طريق وادعة آمنة، ومهما اعترضها من عقبات فإن الله -تعالى- متم نوره، وسوف يؤمن طريقها، فقال صلوات الله

(٦) رواه الترمذي.

(٧) رواه الترمذي.

(٨) رواه البخاري.

(٩) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه.

وسلامه عليه خباب بن الأرت. (وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله)[١٠].

ويقص علينا القرآن الكريم أروع صور الأمن والأمان التي هيأها الله -سبحانه وتعالى- للمؤمنين والمخلصين في أعمالهم، وأنه سبحانه قد مكن للناس حرما آمنا في مكة المكرمة ولكن فريقا من المشركين المقيمين هناك تذرعوا بأسباب واهية وتعللوا بعلل لا أساس لها من الصحة فقد احتجوا لعدم اتباع الهدى بأنهم يخافون على أنفسهم ولا يأمنون من أعدائهم، فهم يخشون إن اتبعوا رسول الله ﷺ أن يتخطفهم المشركون الذين يجاورونهم فرد الله -سبحانه وتعالى- عليهم تلك العلة الواهية، ووضح لهم أنه جعل لهم حرما آمنا ورزقهم من كل شيء فكيف نسوا أنه حرم آمن لهم في وقتهم الحاضر وكيف لا يكون أمنا لهم وسلاما لهم بعد أن يدخلوا في دين الله. قال تعالى:

﴿ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[١١].

والأمن والرخاء نعمتان من أجل النعم الإلهية يهبهما الله -سبحانه وتعالى- لعباده المؤمنين المخلصين، وهو سبحانه حين أمر بعبادته ذكر عباده بهاتين النعمتين فقال للقرشيين:

﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾[١٢].

وإذا كان الأمن والرخاء نعمتين كريمتين للمؤمنين فإنه يقابلهما نقمتان شديدتان يصلتهما الله -تعالى- على الكافرين والجاحدين وهما: الخوف والجوع:

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾[١٣].

***

(١٠) رواه البخاري.

(١١) سورة القصص (٥٧).

(١٢) سور قريش (٣، ٤).

(١٣) سورة النحل (١١٢).

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾

النحل: ١٢٥

التطرف وموقف الإسلام منه (٣)

لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف
رئيس لجنة الحوار بالأزهر الشريف

سبق أن أوضحنا أن الإسلام دين الوسطية والاعتدال ليس فى العبادات فقط، بل فى جميع جوانب الحياة، وأنه يرفض التطرف ويحث على علاجه، ونعرض فى هذا المقال دور العوامل التى لها أكبر الأثر فى تكوين فكر الإنسان وسلوكه.

١ - الأسرة:

فالأسرة هى أول ما تتأثر بها حواس الطفل - عند بدء أداء وظائفها - فهى تتأثر بكلام أفرادها، وتصرفاتهم، وسلوكهم، وأسلوب معاملاتهم، ومنهج تفكيرهم.. فهى التى تحدد لغته الأصلية التى ينطق بها، بل هى التى تحدد عقيدته الدينية التى سيؤمن بها مستقبلاً.. فعن أبى هريرة - رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه..). هذه الأسرة يجب أن تؤدى دورها وتتحمل مسئوليتها فى تربية النشئ تربية سليمة، وفى غرس القيم والأخلاق الفاضلة فيه، وفى تعوده على اتباع أسلوب الحوار والمناقشة فى مخاطبة غيره، ولاسيما عند الاختلاف فى الرأى وفى وجهات النظر، وعند قضاء المصالح وتحقيق الرغبات والطلبات.

كما يجب على الأسرة أن تعمل على أن ترسخ لدى الطفل مبدأ قبول الطرف الآخر والعيش معه فى أمن وسلام وتعاون وحب وإخاء، بصرف النظر عن الاختلاف فى العقيدة، أو الاختلاف فى الفكر.. الخ.

فإذا أدت الأسرة دورها هذا بنجاح - بالتعاون مع العوامل الأخرى - ضمن المجتمع نشأ ناضج الفكر، سليم الفهم، واسع الأفق، رحب الصدر، يرفض التطرف والعنف، ويؤمن بالتعاون والإخاء، والعيش فى أمن وأمان مع الآخرين.. أما إذا تقاعست الأسرة عن أداء وظيفتها، وكانت سلبية فى تنفيذ دورها ومهمتها فلن يجنى المجتمع إلا نشأ فاسداً، ومجتمعاً طالحا.

٢ - المؤسسات التعليمية على اختلاف أنواعها ومناهجها ومراحلها الدراسية:

هذه المؤسسات التعليمية هى التى تأخذ الطفل صغيراً منذ التحاقه بها فتشكل عقليته، وتربى فيه النوازع والاتجاهات والأفكار التى تبثها فيه المناهج الدراسية، ويتأثر بسلوك مدرسيه الذين هم القدوة له، والذى يرى فى تصرفاتهم وأسلوب معاملاتهم ومنهج فكرهم المثل الأعلى له. لاسيما وأن الطفل أثناء تدرجه فى مراحل التعليم المختلفة يقضى غالباً فى تلك المؤسسات التعليمية خلال تعليمه زمناً أكبر من الزمن الذى يقضيه بين أسرته. كما أنه يختلط بزملائه وأصدقائه وأترابه وأقرانه ويقضى معهم وقتاً أكبر من الوقت الذى يقضيه مع أفراد أسرته.

فإذا غرست تلك المؤسسات التعليمية فى النشئ منذ صغره فكر تقبل الآخرين وحبهم، والإيمان بالتعايش والتعاون معهم، والعمل سوياً على تقدم المجتمع ورفعة شأنه، وتعلم مبدأ الحوار والمناقشة مع الآخرين بهدف الوصول إلى الحق والصواب، بصرف النظر على يد من عرف الحق، وتأصل فيه مبدأ احترام مشاعر الآخرين وعدم إيذائهم، كان ذلك من العوامل الإيجابية فى علاج التطرف.

٣ - الإعلام بجميع وسائله وأنواعه «المرئى والمسموع والمقروء»:

هذا الإعلام له سطوته المؤثرة وخطورته البالغة فى تشكيل فكر الشباب، وتحديد أسلوب ومنهج حياة المواطن.. ونحن نلمس فى مجتمعنا قدرة الأغانى الخليعة والصور العارية على استثارة الغرائز الدنيا عند الفرد، ونلمس قدرة الكتابات المنحرفة على الاعوجاج بحياة الناشئة الغضة، ونلمس قدرة الغزو الثقافى على المحو والإثبات فى حضارتنا الموروثة، ونلمس فشل دعاة الدين القويم فى صنع شئ مؤثر مفيد فى تقويم الخلق واعتدال السلوك.. لأن تملك رجال الدين للآذان نصف ساعة أو تزيد قليلاً فى اليوم

لايجدى فتيلاً أمام صفوف المؤثرات التى تطفح بها البيئة ووسائل الإعلام ليلاً ونهاراً والتى تجعل جهود المرشدين كمن يحاول إصلاح مياه المحيط ببضعة أطنان من السكر!! كما نرى ونشاهد تأثير كثير من المسلسلات التليفزيونية والأفلام السينمائية التى تؤيد وتدعو إلى النزعات الشاذة، بل وتنمى فى المشاهد والسامع والقارئ التمرد على القيم والأخلاق، وتشجعه على الانحراف والتطرف حين يكون بطل المسلسل أو الفيلم أو القصة - ولا أدرى كيف يسمونه بطلاً؟؟ - متهوراً مندفعاً أنانياً يخالف التقاليد والأعراف، ويسلك سبل الغواية والشر والاعتداء على الآخرين لتحقيق نزواته وشهواته واقتناص وسلب حقوق غيره.. أليس ذلك عوناً على ارتكاب الجرائم واعتناق التطرف وهدماً لكل سبل الإصلاح؟؟

٤- الشورى:

الإسلام- دين ودولة- جاء بأعظم وسيلة، وأقوى دعامة، وأنجح أسلوب لنظام الحكم الديمقراطى للدولة، ألا وهو نظام الشورى فى الإسلام فنظام الشورى مظهر من مظاهر الحرية المدنية فى الإسلام.

والشورى فى شكلها ومضمونها وصميمها هى: عدم استبداد أحد برأيه، والتشاور فى اتخاذ القرار المناسب للموضوع المطروح للبحث والمناقشة بناء على رأى الإجماع أو الأغلبية، فللرعية حق الشورى وعلى الحاكم أن يأخذ بما تنتهى الشورى إليه، وأساس ذلك هو قول الله تعالى:

﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾[٢]، والرسول عليه الصلاة والسلام- وهو المعصوم- أمره الله جل وعلا بالشورى فقال جل شأنه:

﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾[٣].. وهذا ماكان يصنعه رسول الله ﷺ مع أصحابه، إذ كان يأخذ الآراء- فيما لم ينزل فيه وحى- قبل أن يقوم بأمر حاسم فيه.. وكان ينزل على رأى بعض الصحابة ويأخذ به متى استبان أنه الأفضل «وكتب السيرة فيها الأمثلة الكثيرة على ذلك».

وإحساس الفرد فى المجتمع أنه مشارك فى صنع القرار الذى يشرع نظام الحكم فى الدولة يعمق انتماءه لوطنه، ويجعله حريصاً على تقدمه ورفع مستواه، وإعلاء قدره وشأنه، وتوفير أسباب الأمن والأمان والاستقرار له، وبذل كل رخيص وغال فى سبيل حمايته والدفاع عنه، وفى الوقت نفسه يجعله متفاعلاً مع مواطنيه فى الفكر العام لمجتمعه، ويعطيه حصانة قوية ضد الأفكار الدخيلة التى تهدد أمن مجتمعه.

(٢) الشورى (٣٨).

(٣) آل عمران (١٥٩).

وليست للشورى صورة خاصة لاتتعداها.. فكل عمل أو نظام يتيح أخذ رأى الأفراد بحرية كاملة فهو من صميم الشورى، سواء أكان مجلساً نيابياً، أم مجلساً اجتماعياً لأهل الحل والعقد من حصفاء القوم المشهود لهم بالورع والتقوى والعلم والخبرة.

٥- القضاء على البطالة وتحقيق العدل:

هل يتصور أن يطلب من جائع أن يكون مصلحاً اجتماعياً؟ وهل يعقل أن يكلف محروم من إشباع غرائزه الفطرية أن يكون واعظاً دينياً؟ إن من يطمع فى تحقيق ذلك كمن يحاول أن يكتب بالقلم على صفحة الماء، أو من يحاول أن يجرى سفينة فى البيداء!!

إن من مستنقعات التطرف المساعدة على توالده ونموه وتكاثره انتشار البطالة، وتفشى ظاهرة المحسوبية والوساطة، فالبطالة شر مستطير إذا انتشرت فى مجتمع أهلكته ودمرته وكانت كالنار تسرى فى الهشيم فلا تبقى منه على أثر.

ماذا ننتظر من شاب أتم دراسته المتوسطة أو الجامعية ولايجد مجالاً لعمل يتكسب منه ويعتمد فيه على نفسه ويكون أسرة؟؟ ثم يتقدم به العمر إلى مابعد سن الثلاثين بكثير، وهو لايزال عالة على أبويه أو على أهله أو على أقربائه؟؟

مما لاجدال فيه أنه سيكون ساخطاً على مجتمعه، ناقماً على من فيه، كارهاً لنظامه، لاسيما وأنه يرى أبناء الحكام وأقرباء الصفوة من علية القوم أماكن العمل لهم محجوزة ومقصورة عليهم وبأعلى أجور فى الدخل، بينما السواد الأعظم من هؤلاء الخريجين ينظرون إليهم فى حسرة ويتطلعون إليهم فى مرارة!!

إن هؤلاء الشباب وهم يعانون من حالة الإحباط واليأس ونظرة التشاؤم والقنوط يقعون فريسة سهلة لفكر التطرف والإرهاب.. فيستجيبون بكل يسر وسهولة لإغواءات وإغراءات التطرف.. خاصة وأن قادة التطرف يعرفون جيداً نقاط الضعف فيهم.. فيكفى أن يعرض عليهم مسكن خال، وزوجة حاضرة- فالمعاناة واقعة على الشباب والشابات معاً- ومبلغ من المال لابأس به.. والمقابل لذلك اعتناق فكر، أو تنفيذ عملية لاتعدو وضع مواد ناسفة فى مطعم أو متجر أو ناد أو مصنع، أو فى وسيلة من وسائل المواصلات.. ما أرخص المقابل فى لحظات يأس؟ وما أهون المقابل فى حالة إحباط؟

خاتمة:

بعد أن اتضح أن التطرف ظاهرة خطيرة تهدد كيان أى مجتمع تظهر فيه، وتنشر الرعب والخوف والفزع بين أرجائه، وتقضى على الأمن والأمان والاستقرار فيه، نقول:

١- إن الإسلام هو دين الوسطية والاعتدال والتوازن فى جميع مجالات الحياة.

٢ـ إن الإسلام يرفض التطرف وينبذه فى جميع صوره وأشكاله وألوانه.

٣ـ إن علاج التطرف ليس بالأمر السهل اليسير الهين، وأنه يحتاج إلى حكمة وكياسة بالغة فى علاجه، وإلى تحمل المشقة، وإلى التحلى بالصبر والنفس الطويل.

٤ـ إن محاولة علاج التطرف بالقهر والقوة، والعنف والسطوة والبطش والتنكيل والقتل والتشريد والاعتقال والسجن، وسن القوانين والأحكام لن يقضى على التطرف بل يزيده قوة وفتنة، واشتعالاً وانتشاراً.

٥ـ إن أنجح علاج للقضاء على التطرف **هو الحوار والمناقشة بالدليل العقلى، والبرهان القوى، والإقناع بالحجة البالغة.**

٦ـ غير أن الحوار وحده لايكفى لعلاج التطرف والقضاء عليه، بل لابد من أن تتعاون معه عوامل أخرى: بيئية واجتماعية وسياسية واقتصادية.. لها تأثيرها الفعال فى توجيه الفكر وتوجيه السلوك، وإن كانت ليست على درجة واحدة فى القوة والتأثير منها:

(أ) الأسرة.

(ب) المؤسسات التعليمية على اختلاف أنواعها ومراحلها ومناهجها الدراسية.

(جـ) الإعلام بجميع وسائله وأنواعه «المرئى والمسموع والمقروء».

(د) نظام الشورى فى الحكم.

(هـ) القضاء على البطالة.

٧ـ إذا لم تتعاون هذه العوامل المؤثرة بجدية وصدق مع الحوار فى علاج التطرف فإنها ستكون عوامل هدم لكل ما يبنيه الحوار من علاج للتطرف، بل على العكس ستكون عوامل قوية فى نشر التطرف وإشعال ناره.

٨ـ إن الحاجة ملحة إلى ضرورة تأليف الكتب السهلة المبسطة يتحدث فيها العلماء والكتاب لعامة الشعب - لا للعلماء والمتخصصين - يوضحون فيها سماحة الدين ويسره، ومنهج أسلوبه فى التعامل مع الآخرين عند الاختلاف فى الرأى والفكر، وخطر التطرف وضرره، وبعده عن الجادة والصواب وتعاليم الدين.. ثم توزع هذه الكتب بأثمان زهيدة تسمح باقتنائها للقراء محدودى الدخل.. على أن يقوم بتأليف هذه الكتب العلماء المشهود لهم بالنزاهة وسداد الرأى والفكر المستنير، لأن ثقة القارئ فى الكاتب تدفعه إلى الإقبال على قراءة مايكتب والاقتناع برأيه.

هدانا الله ووفقنا إلى ما فيه الخير فى الدنيا والآخرة

والله ولى التوفيق

***



شبهات زائفة تكشفها الحقائق الدامغة

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

٤

وعلى طريق الانتقائية المغرضة الذى سارت عليه تلك السيدة فى تعرفها على الإسلام.. لاحظت أن وصف الجنة فى الإسلام يركز على الشق الجنسى من معاشرة الحور والغلمان، وأنهار من خمر ولبن، ورأت أنها أمور حسية دنيوية تتنافى وسمو مكانة الجنة، بينما يتحول الناس فى المسيحية إلى ملائكة فى الملكوت الأعظم.

ولو أن تلك السيدة رجعت إلى الأصول الإسلامية ـ القرآن والسُّنَّة النبويَّة ـ لعلمت أن ملاحظتها مضللة، وأن رؤيتها خاطئة.

أولاً: لأن الحديث عن الجنة ـ الذى ورد فى القرآن الكريم فى أكثر من مائتى موقع ـ يؤكد فساد ما لاحظته من أن الإسلام يركز فى وصف الجنة على الشق الجنسى من معاشرة الحور والغلمان؛ فالوصف القرآنى الذى تضمن الحديث عن الحور لم يتطرق إلى المعاشرة الجنسية ـ كما توهمت تلك السيدة ـ فضلاً عن أنه لم يرد إلا فى أربع مرات من أكثر من مائتى مرة، حيث يقول تعالى:

﴿ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ .

(الدخان : ٥٤)

ويقول :

﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾

(الطور : ٢٠)

ويقول :

﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾

(الرحمن : ٧٠-٧٢)

ويقول :

﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

(الواقعة : ٢٢-٢٤)

فأين هذا التركيز ، وأين تلك المعاشرة الجنسية التي ركز القرآن عليها وصف الجنة ؟ ! . .

والوصف القرآني للجنة الذي تضمن الحديث عن الولدان والغلمان لا يحمل أي إيماءة إلى تلك المعاشرة الجنسية . . فضلاً عن أنه لم يرد إلا في ثلاث صور من بين أكثر من مائتي صورة ، وفيها يقول الله تعالى :

﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾

(الطور : ٢٤)

ويقول :

﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾

(الواقعة : ١٧-١٨)

ويقول :

﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾

(الإنسان : ١٩)

فأين ما لاحظته السيدة من التركيز على الشق الجنسي - ومعاشرة الحور والغلمان ؟ ! . . إنها مثل ملاحظة من قرأ قوله تعالى :

﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴾ (الماعون : ٤)

فانطلق يردد : انظروا . . القرآن يتوعد المصلين بالعذاب . وما ذلك إلا لأنه انتقى من السياق هذه الآية الكريمة ، ولم يكمل ، لأنه لو أكمل لوجد أن القرآن إنما يتوعد المصلين :

﴿ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾

(الماعون : ٥-٧)

كذلك صنعت السيدة ؛ فانتقت من أوصاف الجنة ما يوحي بالتركيز على الشق الجنسي ، وأغفلت نحو قوله تعالى :

﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾

(يس : ٢٦-٢٧)

وقوله : ﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

(الأنعام : ١٢٧)

وقوله : ﴿ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾

(الفرقان : ٧٥-٧٦)

ثانياً : لأن الحديث عن الجنة الذي ورد في القرآن الكريم في أكثر من مائتي مرة يؤكد فساد ما لاحظته تلك السيدة من أن الإسلام يركز في وصف الجنة على وجود أنهار من خمر ولبن . . أقول : إن الوصف القرآني الذي تحدث عن أنهار من خمر ولبن لم يرد إلا مرة واحدة ، وجاء على طريق التمثيل المُقرِّب والموضح ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾

(محمد : ١٥)

ولو أن تلك السيدة تروّتْ في رؤيتها ، واستصحبت العقل المحايد ، لرأت أن الاعتماد على الأمور الحسية في تقريب الذهنيات وتوضيح الغيبيات ، هو من أهم ما يجب أن يحرص عليه المُبيِّن في بيانه ، خصوصاً حين يتعلق البيان بإيجاب التعفّف عن مُتع الحياة الدنيا المتمكنة من نفوس المخلوقين التي نبه إليها القُرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾

(آل عمران : ١٤)

فإذا دعى هذا الإنسان إلى السيطرة على هذه المغروزات في تكوينه الدنيوي فلابد من تضمين هذه الدعوة ما يغري بالتعفف عن تلك المتع الدنيوية ، ويمكنه من انتزاع نفسه من سطوتها ، حتى يتأكد نجاحه في ذلك الجهد ، دون حدوث أية آثار جانبية يهتز بها أمنه الذاتي في الدنيا ، كما صرح به القرآن الكريم عقب هذه الآية السابقة فقال : ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾

(آل عمران : ١٥)

ولو رجعت تلك السيدة إلى ما توصل إليه الإنسان حديثاً فيما يتصل بأغوار النفس البشرية لعرفت أن التوسل إلى الزهد في مغريات الدنيا بالقهر قد يكون فوق مقدور كثير من البشر ، وأن صمود الكيان المقهور أمام تلك المغروزات الفطرية وإغراءاتها غير مضمون ، ما لم يصحبه أمل في تعويضه

بديل يشبه ولكنه خير منه يناله في حياة أخرى أرحب وأدوم.

وهذا هو الذي توسل به القرآن الكريم في دفع الإنسان إلى التحكم في مغروزاته الفطرية، حيث قدم البديل الأخروي في هيئة تشبه الدنيوي مع مزجه بما يلائم الملكوت الأعظم في الآخرة، كما يتضح من قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (9) دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

(يونس: ٩-١٠)

وقوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (22) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (23) سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾

(الرعد: ٢٢-٢٤)

وقوله عز وجل:

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (73) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾

(الزمر: ٧٣-٧٤)

وهو نفس ما توسل به سائر الرسل، ومن بينهم السيد المسيح في قوله: «وكل من ترك بيوتاً أو إخوة أو أخوات أو أباً أو أماً أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً من أجل أسمي يأخذ مائة ضعف، ويرث الحياة الأبدية»

(متى: ١٩/ ٢٩)

وقوله: «الحق أقول لكم إني لا أشرب بعد من نتاج الكرمة إلى ذلك اليوم حينما أشربه جديداً في ملكوت الله».

(مرقس: ١٤/ ٢٦)

وقوله: فلا تطلبوا أنتم ما تأكلون وما تشربون فلا تقلقوا، فإن هذه كلها تطلبها أمم العالم، وأما أنتم فأبوكم يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه، بل اطلبوا ملكوت الله، وهذه كلها تزاد لكم»

(لوقا: ١٢/ ٢٩-٣٠)

ففي أي من هذه العبارات المسيحية يتحول الناس إلى ملائكة في الملكوت الأعظم؟!..

وماذا ترى هذه السيدة في تلك الوعود الصادرة من السيد المسيح بأخذ مائة ضعف في الحياة الأبدية مما تركه في الدنيا من بيوت وإخوة وأخوات وآباء وأمهات وزوجات، وأولاد، وحقول؟!..

وماذا ترى في طمأنته تلاميذه إلى أنه سوف يعوض عما حرمه من خمر الدنيا بما سوف يشربه من خمر أخرى جديدة في ملكوت الله؟!..

واضطراب يثير الخوف من مصادر الأمان

وعند قراءة أسماء الله الـ ٩٩ تجد تلك السيدة أن بينها أسماء تبعث على الخوف والرهبة، مثل أسماء: «المنتقم- الجبار- المتعالي- الضار» في حين أن إله المسيحيين رقيق لدرجة أنه ضحى بابنه الوحيد افتداء للبشر من خطيئة آدم، في حين يضحي المسلمون بكبش لا حول له ولا قوة.

وهنا يزداد تعجبنا ودهشتنا وحيرتنا من تصوير تلك السيدة للإله، حتى يخيل إلينا أننا أمام فتاة في سن المراهقة بنزوعها الرومانسي ـ تصف الشاب الذي تريده زوجاً أو صديقاً، أو أننا أمام فتاة من العصر الروماني الوثني الذي أطلق اسم إله على كل قوة من القوى الحيوية، فهذا إله المطر، وذاك إله الحرب، وذلك إله الحب، ورابع إله الإخصاب.. إلخ.... فانطلقت مع المنطلقين في عقد المقارنة بين هذا الإله وذاك. أو أننا أمام فتاة عربية في جاهليتها، راحت تفاخر الأخريات بمميزات إله قبيلتها؛ فهذه تفخر باللات، وتلك تتيه بالعزى، وثالثة تتيه بمناة.

ومثار الدهشة في كل ذلك.. أنه صادر من سيدة حصلت من التعليم ما هيأها لأن تكون ناظرة مدرسة ثانوية تعيش في القرن الحادي والعشرين، وفي أمريكا زعيمة العالم الحديث!!!!..

ولو أن تلك السيدة انتزعت نفسها من سطوة الانتقائية، وهيمنة المبشرين... لوجدت أن ما أثاره الخوف والرهبة في نفسها إن هي إلا أربعة أسماء من بين تسعة وتسعين اسماً مفعمة بالرحمة، والسلام، واللطف، والكرم، والجود، والعلم، والغنى، والسعة... إلى غير ذلك.. ولوجدت أن لهذه الأسماء الأربعة مجالها، كما أن لكل اسم من بقية الأسماء مجاله، وأن الإله ـ بهذا وذاك ـ يكون الإله الكامل، الكمال الذي تتحقق به الألوهية له؛ فالألوهية الكاملة تعني الهيمنة الشاملة على سائر المخلوقات، وتعني القدرة الكاملة على تلبية حاجات كل فرد من أفراد الكون جميعه ـ وليس في الأرض وحدها ـ وتعني القدرة على رعاية الجميع، وحفظ النظام الكوني في أبعاده الزمانية والمكانية، من غير تعارض أو خلل... إلى غير ذلك مما يُناط بالإله الواحد الأحد.

ولو أن تلك السيدة راجعت نفسها قبل أن تطلق لسانها بما أطلقته، وبحثت عمن يخاف من انتقام الإله العادل الرءوف الرحيم... إذن لتبيّنت أن اسم المنتقم لا يُفزع إلا العاصي أو الخائن، أو الظالم المعتدي على حرمات الآخرين، أما مثل تلك السيدة ـ في براءتها ورقة مشاعرها ـ فلا سبب يثير في نفسها الخوف من هذا الإله... بل على العكس: الشواهد كلها تقرر أن اسم المنتقم يشيع في نفوس الأبرياء الأمن والراحة، والاستقرار؛ لاطمئنانهم أنهم في حماية إله عادل قوي قادر على الانتقام ممن يعتدي عليهم، ويظلمهم، ويجور عليهم، ويتجاوز حدوده البشرية معهم.

ولو أن تلك السيدة راجعت أصول اللغة العربية لتتعرف على معنى «الجبار» لما أثار هذا الاسم في نفسها ما أثاره من خوف ورهبة، فأصل كلمة «جبار» ـ وهو الجبر ـ يعني: الإصلاح، وكفاية الحاجة، والتقويم. يقال: جبر العظم، يعني: أصلح شأنه، وجبر الفقير واليتيم: كفاه الحاجة، وجبر ما فقده: عوّضه، وجبره على الأمر: قهره عليه وألزمه به؛ فأي معنى من هذه المعاني لا يصح أن يوصف به الإله قيوم السماوات والأرض؟!.. وأي معنى من هذه المعاني يثير في نفس السيدة الخوف ويثير الرهبة؟!..

ثم أو لم تتنبه تلك السيدة إلى أن السيد المسيح كان ـ بما يقدمه للمرضى من علاج وللفقراء من عون ـ جباراً؟!..

ولو أن تلك السيدة تفكرت في وصف «المتعالي» قبل أن تعلن عن خوفها ورهبتها من اتصاف الإله به، لعلمت أن التعالي من الإله الخالق المهيمن، ليس مثل التعالي من زميلتها أو جارتها المخلوقة مثلها؛ لأن جميع المخلوقين في معرض الضعف والاحتياج دائماً، والتعالي من أحدهم سبيل إلى الطغيان والظلم واحتقار الغير. أما التعالي من الإله فيعني التبرؤ من أي سبب للضعف أو العجز أو الغفلة، ولذلك فتعالي الإله يشيع في نفس المخلوقين الأمان والطمأنينة والسكينة والثقة... إلى غير ذلك... وليس كما توهمت السيدة ـ يبعث الخوف ويثير الرهبة!!!!....

ولو أن السيدة تروّت ـ قبل أن تصدر مقارنتها بين إله المسلمين، وإله المسيحيين ـ ورجعت النظر... لوجدت أن تلك المقارنة لا تعني إلا تشويه الإله في المسيحية، بما لا يتفق مع المقررات المسيحية المأثورة التي تنسب إلى الإله آثار هذه الصفات، كما ترى في عبارات السيد المسيح في كثير من المواطن مثل قوله:

«.. ولكن ويل لكم أيها الأغنياء لأنكم قد نلتم عزاءكم. ويل لكم أيها الشباعى، لأنكم ستجوعون، ويل لكم أيها الضاحكون الآن، لأنكم ستحزنون وتبكون»

(لوقا: ٦/ ٢٠ـ٢٦)

وقوله: «خافوا من الذين بعدما يقتل.. له سلطان أن يلقى في جهنم. نعم أقول لكم: من هذا خافوا»

(لوقا: ١١/ ٥)

وقوله: «كل من اعترف بي قدام الناس يعترف به ابن الإنسان قدام ملائكة الله، ومن أنكرني قدام الناس ينكر قدام ملائكة الله، وكل من قال كلمة على ابن الإنسان يغفر له، وأما من جدّف على الروح القدس فلا يغفر له»

(لوقا: ١٢/ ٨ـ١١)

ما كان لله أن يتخذ من ولد

والآن أسائل تلك السيدة: بأي عقل من عقول القرن الحادي والعشرين ـ ذي التقدم الحضاري والفكري والعلمي الهائل ـ تقبل أن يبلغ الإله من الضعف لدرجة الاحتياج إلى الابن، كما يحتاجه كل مخلوق ليحقق به وفيه طموحاته التي لم يستطع تحقيقها وحده، أو ليطمئن إلى وجود سند له يستعين به عندما يبلغ به العمر مرحلة الضعف والوهن؛ وليضمه لنفسه الامتداد الوجودي بما يؤديه دور الابن لأبيه؟!..

وأسائلها كذلك ـ: إن لم يكن لغاية من تلكم الغايات كان له ابن، فلم اتخذ هذا الابن؟!.. وأين الكمال الإلهي من هذا؟!.. وأين من إلهها هذا الإله الكامل الذي وصفه القرآن في قوله:

﴿ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾

(النساء: ١٧١)

ثم أسائلها: أين العدالة الإلهية ـ بل أين العدالة البشرية المحدودة ـ في تحميل الأبناء، وأبناء الأبناء.. على مدى آلاف السنين وزر ذنب ارتكبه أبوهم، ثم تاب منه وأناب؟!.. وأين العدالة في تقديم أب ابنه ليعتدي عليه آخرون من أبناء آدم، كي يخلص سائر أبناء آدم من خطيئة آدم؟!.. وكيف يسيغ العقل أن يكون التخليص من خطيئة بتكرار الخطيئة هكذا؟!..

ومع هذا التناقض المتراكم.. كيف ترى فيه تلك السيدة رقة من إله المسيحيين تثير إعجابها.. والأمر من مبتدئه لا يخرج عن الظلم والقسوة والحمق، وضيق الأفق؟!..

ولا أملك إلا أن أسأل النقاد المسرحيين عن رأيهم في ذلك التخطيط العام لهذا المشهد الكوميدي: إله يعصاه عبده، فيحمّل ذرية هذا العبد على امتداد الزمان ـ وزر تلك المعصية، ثم بعد مرور عدد من آلاف السنين تحركه الشفقة على هؤلاء الأحفاد فينجب ابناً، ينزله إلى الأرض ليتعرض لسخط طائفة من هؤلاء الأحفاد وثورتهم عليه، حتى يندفعوا إلى صلبه، فيتخلص بذلك سائر الأحفاد مما حملوه من جريرة أبيهم آدم؟!..

وأسائلها عن العلاقة بين التضحية عند المسلمين، والتضحية في الزعم المسيحي؟!!..

فالتضحية عند المسلمين جاءت بديلاً عن ذبح إبراهيم عليه السلام ابنه، حين صدر له أمر ربه بذبحه، اختباراً لاستجابة الأب واستجابة الابن لهذا الأمر، وكشف استعدادهما لطاعة الله في البأساء والضراء، حتى لا يطعن فيها طاعن.. فلما وضحت استجابتهما أهداهما الله سبحانه كبشاً ليذبح فداءً لذبح الابن البار.

أما التضحية في الزعم المسيحي فليس فيها اختبار، وإنما هي تضحية من الإله بابنه ليخلص أبناء المخطئ من خطيئة أبيهم.

فأين هذه العدالة التي تنسب افتراء إلى المسيحية من العدالة القرآنية التي يقررها القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾

(الأنعام: ١٦٤)

وقوله تعالى:

﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ۝٣٧ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۝٣٨ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾

(النجم: ٣٦-٤٠)

كما أسائلها: من الذى ضَحَّى؟!.. أهو الإله.. ضحى بابنه ليتخلص البشر من خطيئة آدم كما قلت فى الأول؟!.. أم هو السيد المسيح نفسه هو الذى ضحى بنفسه لتطهير البشرية من خطيئة آدم، كما قلت فى النهاية؟!..

التفاخر بالآباء.. من مآثر الجاهلية

وتحت سطوة الهوى المُضل.. تنجرف تلك السيدة إلى أعماق الجاهلية المظلمة، وتنطلق مع إحدى قيمه، فتقارن بين السيد المسيح وبين الرسول محمد (صلوات الله وسلامه عليهما) ليس فى سلوكهما، ولا فيما بُعثا به، ولكن فى أصل كل منهما، فقالت: إن المسيح ولد من أطهر نساء العالم بدون أب، فى حين ولد الرسول محمد ﷺ من أبوين لم يكن لهما دين أصلاً.

ولا أدرى كيف صدرت من تلك السيدة مثل هذه المقارنة الغريبة، فالمفاضلة بالأصول من بقايا الجاهلية البائدة، بل إن كثيراً من الجاهليين كانوا يأنفون من التردى إلى هاويتها، مجردة من رعاية الفعال الصادرة من الإنسان التى تناط بها الموازنة والتقدير.

ولو سلمنا جدلاً لتلك السيدة ـ بأن أبوى محمد ﷺ لم يكن لهما دين أصلاً، فهل يؤثر ذلك فى قيمة ما أُرسل به؟!..

وإذا كان الأمر على ما ترى، فما رأيها فى أبى الأنبياء سيدنا إبراهيم (عليه السلام) ابن آزر صانع التماثيل المُتخذة آلهة، والمُدافع عنها، بل والمعادى ابنه بسبب دينه الوثنى... أليست أم المسيح من أبناء هذا الوثنى؟!.. وهل يتحمل إبراهيم وأبناؤه فى تتابعهم وزر وثنية أبيهم فيوصمون بالنقص من أجل ذلك؟!.. أم نستثنى من تلك السلسلة مريم لأنها أم المسيح؟!.. أم نطبق هذه الرؤية على محمد ﷺ وحده؟!..

وما رأى السيدة فى ابن نوح (عليه السلام).. ترى هل تشفع له فى معصيته بُنُوته لنوح؛ إذ لم يستجب لأمر أبيه حين دعاه إلى ركوب السفينة معه وآوى مع الكافرين إلى الجبل ليحتمى به من الماء؟!.. أو ليس ولداً لواحد من أعظم الرسل مكانة؟!..

إن الجدل قد يسوقنا إلى ما لا يقبله المسلم، فنقول لها: أى الرجلين أفضل؛ الصالح امتداداً لصلاح أمه وتدينها، أم الصالح الذى تفرَّد بالصلاح والتدين من بين أبوين لم يكن لهما دين أصلاً؟!..

لا ريب فى أن المنطق العقلى يقرر ما لا ترضاه تلك السيدة... وهو أفضلية محمد ﷺ.

ولكننا بمنطق القرآن ـ لا بمنطق العقل المحدود ـ نقول: إننا نؤمن بأن المسيح عبدالله ورسوله، بعثه الله، وآتاه الإنجيل مصدقاً لما بين يديه من التوراة، وأن محمداً عبد الله ورسوله ﷺ بعثه الله تعالى بالقرآن الكريم مصدقاً لما بين يديه من الكتب ومهيمناً عليها، فكلا الرسولين أنعم الله تعالى - عليه بالرسالة، وكرمه بما كان عليه من سلوك، فصلوات الله - تعالى - وسلامه عليهما وعلى جميع المرسلين.

وللزواج وظيفة أسمى من التمتع بالحياة

ولا تقف تلك السيدة ـ فى مقارنتها ـ عند حد الحرص على تفضيل السيد المسيح بسبب مولده من أطهر نساء العالمين، ولكنها تضيف إلى ذلك السعى إلى تفضيل المسيح لأنه ضحى بنفسه لتطهير البشر من خطيئة آدم، أما الرسول محمد ﷺ فكان يتمتع بحياته، وتزوج عدداً كبيراً من النساء.

والسيدة ـ فى مقارنتها تلك ـ تسلك طريقها الذى سلكته فى جميع المقارنات السابقة، وهو طريق الانتقاء والاختزال، حيث انتقت شريحة من حياة الرسول محمد ﷺ، وقطعتها عن سائر الشرائح، لتبرز منها ما أرادت أن تبرزه، وهو أن محمداً ﷺ استمتع بحياته، وكأن حياته كانت فارغة إلا من البيت وما يضم من زوجات!.

ولو أن تلك السيدة قصدت الإنصاف، والتعرف على الحقيقة لنظرت إلى حياة الرسول محمد ﷺ فى مجموعها لتتعرف على مكان الزواج منها، وما كانت تلك النظرة لتكلفها جهداً ولا مشقة؛ إذ كان يكفيها أن ترجع النظر فى ملابسات زواجه، وعلاقته بالرسالة.

إذن لعرفت أنه تزوج من خديجة قبل مبعثه بخمسة عشر عاماً، ولم يضم إليها زوجة أخرى مدة حياتها، حتى ماتت فى السنة العاشرة من البعثة، حيث بلغ ﷺ سن الخمسين؛ فافتقد بموتها خير معوان له فى استمراره على طريق الدعوة، وصموده أمام معانديه.

وما أحدثه من زواج بعد الخمسين كان موظفاً فى خدمة الرسالة وما تتطلبه من بث مبادئ، وتوطيد علاقات، وفرض تشريعات؛ فزواجه من عائشة بنت أبى بكر، وحفصة بنت عمر كان لتوطيد العلاقة بهذين البيتين، دون حرج، أو انتهاك لحرمة. وزواجه من سودة بنت زمعة بعد وفاة زوجها فى مكة، وزواجه من زينب بنت خزيمة بعد استشهاد زوجها فى بدر، وزواجه من أم سلمة بعد وفاة زوجها، وزواجه من أم حبيبة بنت أبى سفيان، كان بعد ارتداد زوجها فى مهاجرهما فى الحبشة، وزواجه من ميمونة بنت الحارث الهلالية بعد وفاة زوجها.. كل هذه الزيجات ـ كما يتضح

من أحوال الزوجات - كان لتوفير الحماية، والعائل للنساء المسلمات بعد فقد الزوج أو ارتداده عن الإسلام، ولتنبيه الصحابة إلى ذلك الواجب الاجتماعي، وبث روح التكافل.

وكان زواجه من زينب بنت جحش بعد طلاقها من ابنه بالتبني زيد بن حارثة كان لفرض تشريع جديد على العرب يبيح زواج الرجل بامرأة ابنه بالتبني، بعد أن حرم الإسلام مبدأ التبني من أساسه. وفي ذلك نزل القرآن موضحاً الغاية منه، فبعد أن ألغى التبني في قوله:

﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ④ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ﴾

(الأحزاب: ٤-٥)

قال تعالى:

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾

(الأحزاب: ٣٧)

وزواجه من جويرية بنت الحارث، وصفية بنت حيي بعد مقتل زوجها، وسقوط حصنه، ووقوعها في الأسر، وزواجه من مارية القبطية هدية المقوقس له بعد تحريرها... كل هذه الزيجات كانت لتكريمهن، وحفظ مكانتهن... ولولا محدودية المجال لفصّلنا القول في ذلك بما يزيده إيضاحاً وتبياناً.

ولو تذكرت السيدة أن هذه الزيجات جميعها كانت بعد أن تجاوز محمد ﷺ سن الخمسين، وبعد أن تضاعفت أعباء الرسالة عليه، وتألبت عليه الخصوم في محاولة لإيقاف المد الإسلامي... إذن لعرفت أن هذه الزيجات ما كانت طلباً لمتع الحياة كما زعمت. وكان يكفيها في هذا الصدد أن تقف بصدق أمام قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ㉘ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

(الأحزاب: ٢٨-٢٩)

فلو وقفت تلك السيدة أمام هاتين الآيتين بالنظر الخالص من الغرض لعرفت أن زواج النبي محمد ﷺ لم يكن لغاية المتعة الدنيوية كما توهمت.

وبعد.. فأرجو أن أكون بذلك قد أعنت تلك السيدة وغيرها على ألا تكون ممن اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم، وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة.. حتى لا تكون ممن عناهم «توماس كارلايل» في قوله: «قد دربوا على أن يكرهوا محمداً».

مواقف إسلامية

شبابنا بين الحديث "عنهم" والحديث "إليهم"

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

كان لعكاف بن وداعة الهلالي من مظاهر الصحة ما يرشحه للزواج لكنه لم يكن متزوجا ومن أجل ذلك يسأله ﷺ يوما:

ألك زوجة يا عكاف؟ قال: لا.. قال: ولا جارية؟ قال: لا. قال: وأنت موسر. قال: وأنا موسر بخير. قال ﷺ: أنت إذن من إخوان الشياطين، لو كنت من النصارى.. كنت من رهبانهم، إن سنتنا: شراركم عزابكم. وأراذل موتاكم عزابكم. أبالشيطان تمرسون:

ما للشيطان سلاح أبلغ في الصالحين من النساء إلا المتزوجون أولئك المطهرون المبرؤون من الخنا. ويحك يا عكاف إنهن صواحب أيوب وداود ويوسف وكرفس. قال له بشر بن عطية: من كرفس يا رسول الله؟ قال: رجل كان يعبد الله بساحل من سواحل البحر ثلاثمائة عام: يصوم النهار ويقوم الليل ثم إنه كفر بالله بسبب امرأة عشقها وترك ما كان عليه من عبادة ثم استدركه الله ببعض ما كان منه فتاب عليه. ويحك يا عكاف: تزوج.. وإلا فأنت من المذبذبين قال: زوجني يا رسول الله قال: زوجتك «كريمة» بنت كلثوم الحميري. (رواه أحمد وأبو يعلى في مسنده).

يقول «السعدي الشيرازي»

عندما يكون أصل الجوهر قابلا.. يكون للتربية فيه أثر لا يستطيع أي صيقل أن يجود الحديد الرديء الجوهر.. لا تغسل الكلب في البحار السبعة.. لأنه إذا ابتل يكون أنجس: حمار عيسى إن يحملوه إلى

مكة.. يعود وهو ما يزال حمارا ويعني ذلك: ضرورة أن يكون المتلقي أهلا للتلقي وإلا.. فإن المربي الماهر قد يملك المفتاح الدقيق للشخصية الإنسانية والقادر به على الإبحار في أعماقها واستخراج ما فيها من أسرار.. ولكن القلب يغشاه من الصدأ ما غشي.. فلا يستجيب المتلقي للدرس.. ولا يستسلم للتوجيه.

فإذا وجد المربي الحصيف.. والطالب المتأهل.. تمت عملية التربية بنجاح:

ذلك بأن الناس كالكنوز المدفونة أحيانا.. يقضي عليها بالدفن الأبدي.. وأحيانا يعثر عليها.. فتكون مصدر ثراء ورخاء.

وفي قصته ﷺ مع «عكاف».. ندرك إلى أي حد كان الرسول ﷺ ذلك المربي الذكي.. والذي استطاع بحكمته أن ينقذ الفتى المسلم من نفسه التي غلبته فأرادته عزبا.. فأعانه المربي العظيم على تلك النفس العازفة عن الزواج.. فلم تعجزه هربا.. في موقف لا يحجبه ظلام السنين.. ولا تطويه حوادث الزمان.. في زوايا النسيان.

القضية بلغة العصر

إنها مشكلة «العنوسة»، وهي: أن تظل الفتاة في بيت أبيها.. بلا زواج.. حتى تخرج من عداد الأبكار.. حين تتجاوز فتاة السن.. ولما تعجز.. والفتى.. كذلك.

ولقد حاول المصلحون رصد هذه الظاهرة.. ثم ملاحقتها بالعلاج.. قبل أن تصبح عورة اجتماعية.

وفي أمة شرقية اليوم نبتت عادة وأد البنات.. عن طريق فحص الجنين في بطن الحامل.. فإن كان أنثى أجهضت بلا رحمة.. فأذاقها الله تعالى لباس «العنوسة».. عنوسة الرجال الذين زاد عددهم على عدد النساء.. فكان حاصل الطرح جيشا من الشباب الحائر.. والذى صار أمره على ما قيل:

لا تعجبن من هالك.. كيف ثوى

بل فاعجبن من سالم: كيف نجا؟!

وفي موقف اليوم علاج حاسم «وثوري» لمشكلة العنوسة في شخص «عكاف» رضي الله عنه، إنه فتى يغيب في زحام فتيان مثله، الناس جميعا. ينظرون إليه.. والرسول ﷺ.. ينظر إليه، ولكنه رأى ما لا يراه الناس! فإذا كان المتسرعون ينظرون إلى الحياة والأحياء بعيون «الراقدين» فإن الرسول ﷺ يرى ما لا يرون: لقد آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب.. آتاه الله عز وجل جوامع الكلم.. وجوامع الفعل معا، بالسنة التي كانت فصل الخطاب: ثم بالسيرة التي جاءت بهذا الجنى المستطاب.

لقد رأى في أعماق الشباب بحوراً متلاطمة الأمواج من الآراء والأحكام والرؤى.. التي تلزم المصلحين كلمة التقوى، ونحن - الشيوخ - مطالبون أن نغوص في هذه الأعماق. لندرك أغوارها.

لا تكفي النظرة العجلى إلى أوراق الشجر.. إلى الفروع.. بل لابد من أن نتأمل

الجذور التي تمد الأشجار بعناصر الحياة.. إنه إذا غاب الأساس.. تصارع الناس:

وعندما يتصارعون تغيب لغة التفاهم.. تهدم جسور التواصل.. تتداخل المفاهيم.. وتثور الأهواء..

ثم يحاول البعض أن يباعد بين القضبان.. أو يضيقها.. وعلى أي حال.. فلن يمر القطار.. وسيبقى الناس حيارى!!

وقد يحلو لبعض الناس أن يتحدث «عن» الشباب، يتحدث عنهم.. وهم غائبون في قضية هي قضيتهم! ولكن الرسول ﷺ يتحدث إلى الشباب.. يتحدث إليه فيجعلهم طرفا في قضيتهم المصيرية.. ليشتركوا معه في صنع القرار.. وذلك من خلال واحد منهم هو.. «عكاف» الذي بدا من حاله أنه أضرب عن الزواج مع قدرته عليه بل ربما كبر عليه أربعا: وكان لابد أن يتدخل ﷺ كالنسيم العليل عن طريق هذا الحوار الهادئ والذي استقبله عكاف.. ثم تقبله وذلك ما نفصله فيما يلي.

بالحوار.. وليس الانبهار

كان الحوار سبيله ﷺ إلى قلب «عكاف» الشاب العازف عن الزواج. الحوار.. وليس الانبهار، لم يطل على المدعو بشخصية ساحقة. تدمر فيه إرادة التعبير عن مشاعره.. ولكنه فتح «ملف» الحوار الهادئ حتى يستطيع الفتى أن يعبر بهدوء عن مكنون صدره. إن موانع الزواج في تقدير الفتى قد تكون اجتماعية الصبغة وهي: العادات والتقاليد. وقد تكون هناك موانع نفسية ضاغطة.. وإذن.. فلابد من إزاحة هذه الحواجز الخارجية والداخلية.. لابد من نسف هذه الجسور.. وتحطيم هذه القيود.. حتى نرى خصومنا.. ويروننا.. ويسمعوننا ونسمعهم. ولا يتم ذلك إلا عن طريق الحوار الذي جعله ﷺ طريق الوصول إلى تحقيق المأمول.. فكان هذا الحوار الذي دار بين الداعية والمدعو.. فحقق من النتائج ما تصبو إليه نفوسنا.

وهكذا يجب أن يكون الداعية الراغب في هداية الناس، إنه يقيم جسور المودة بينه وبين المدعو.. حين يسأله عن حاله.. وأحيانا يحته.. لكنه لا يجرح، وقد ينقد أحيانا فيلذع. ولكن قلبه مسكون بالتسامح، إنه يضع «المرايا» المستقيمة.. حتى يرى الناس فيها أنفسهم.. ويفتح النوافذ المغلقة.. حتى يطلوا منها على الحياة من حولهم. ألا وإن الفكرة على لسانه.. وفي أوانها.. لهي أقوى من الجيش.. وهكذا كان ﷺ.

ولاحظ من إيجابية الموقف أن الرسول ﷺ يعلم المربين كيف يتحدثون.. إلى الشباب.. كفاحا: مواجهة.. حتى يكونوا طرفا في قضية القضايا في حياتهم وهي: الزواج.. وما يترتب عليه من اعتدال المزاج.. واستواء المنهاج.. وصولا إلى ضبط طاقة الشباب.. حتى تمضي على سواء الصراط.. بلا تفريط وبلا إفراط.

إن استدبار المشكلة أو ترحيلها هو ما يسمونه.. ثقافة الصمت.. أو الجلوس على كراسى المتفرجين.. هذا المسلك السلبى.. من شأنه أن يزيد المشكلة تعقيداً.

كما وأن مجاملة المنحرف بالتدليل.. كمجاملة المريض بتأخير إنجاز العملية الجراحية.. من حيث كان التأخير نذير الموت.. بعدما كان فى الإمكان إنقاذ ما يمكن إنقاذه.

إن «العانس» كما تقول اللغة هى: الفتاة السمينة.. أو الفتى السمين.. المكتمل الخلق..

وإذ يفسرها العرف الاجتماعى.. بالسقوط من قائمة المتزوجين.. فإن الإسلام يمسك بهذه الطاقة وهى على حافة الهاوية.. حتى لا تتردى فيها.

كان الخطاب شديد اللهجة.. لماذا؟

كثير من الشباب يتخبط بين شتى الفكر.. والمذاهب.. فإذا قرر العودة إلى الصواب لم يجد من الرواد من يدله على الطريق..

ولكن الفتى «عكاف» وجد الرائد الذى لا يكذب أهله.. والذى انتشله من حيرته.. عن طريق هذا الحوار الذى انتهى بزواجه ممن لم تخطر له من قبل على بال.

المنطق الصارم

ولكن خطاب الرسول ﷺ كان شديد اللهجة: وذلك قوله: «أنت إذن: من إخوان الشياطين» ولم تكن هذه لهجته ﷺ فى مواجهة الخطائين:

وكان ذلك لأسباب:

أولاً: كان عكاف على هذا النحو طاقة معطلة.. لا تقوم بدورها فى إعمار الحياة.

ثانياً: وعلى فرض أنه صالح مصلح مأمون الانحراف.. لكن الشيطان الرجيم لا ييأس من التحرش به. وإيقاعه فى حبائله.. ومنها: النساء بما لهن من فتنة.. وإغراء.

ثالثاً: وقد نجح الشيطان المريد فعلا فورّط واحداً من الصالحين فى الخطيئة وهو: «يوسف كرفس» ويوشك «عكاف» لو استمر عزبا أن يصل إلى نفس النهاية الأليمة.

رابعاً: ثم إن هناك فى زوايا البيوت فتاة صالحة قانتة.. يمكن بالزواج أن تبنى مع مثل «عكاف» عشاً جميلاً.. يكون محضنا للأجيال.

خامساً: إذا طلقّ «عكاف» فكرة الزوج.. وكبّر عليها أربعا.. فسوف يكون بهذا الإضراب سنة سيئة عليه وزرها.. ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.

سادساً: إذا كان مطل الغنى ظلما.. كما أشار الحديث الشريف.. فإن «مطل» الفتى القادر على الزواج أشد ظلما.. حين «يطلّق» «فكرة الزواج» لما يترتب على ذلك من تدمير طاقاته بالحرمان.. قبل أن يدمر طاقات فتاة كان من الممكن أن تكوّن معه

عشاً جميلاً يكون محضنا آمنا لأطفالنا.. وهم غدنا المرتقب.

وربما قلده آخرون فى العزوف عن الزواج تقليدا سوف يكون مقدمة لانحرافات كان من الممكن تلافيها بالزواج: ذلك الحصن الأمن.

وقد يكون الفتى ملكا يمشى على الأرض.. ولكن هذه الأرض لا تخلو من شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا:

غرورا ينتهى بممارسة الفاحشة التى قد يتورط فيها.. لما قرر البقاء فى العراء.. بلا زوجة تحميه..

يعينه على ذلك طبيعة الرجولة التى قد تزين للذكر أن يفعل ما يريد:

دروس من الطبيعة

وأنت واجد فى عالم الأسماك ما يؤيد ذلك: ففى عالم الأسماك.. ماذا ترى؟:

ترى الذكر هو الأكثر حركة.. والأكثر انطلاقا.

وهو الذى يتضخم طولا وعرضا.. ويطلق أصواتا وألوانا. تلفت انتباه الأنثى إليه.

من أجل ذلك.. يتدخل الرسول ﷺ بحكمته.. ليخرج هذه الطاقة المعطلة من مكانها.. لتأخذ سمتها بهدوء.. وتبصر محققة بإذن الله غاية وجودها.

ويتدخل الرسول بهذا الخطاب الشديد اللهجة.. والذى لا يجعل من «عكاف» مجرد «أخ» للشيطان.. بل هو واحد من إخوانه.. من مدرسته.. التى تملى له.. وتزين الفاحشة.. وليس هو مجرد مارق ترجى عودته إلى الحق من قريب. بل عن يمينه.. وعن شماله.. ومن ورائه.. وقدامه (شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) كما أشرنا آنفا.

مدرسة الأزكياء

لقد كان عكاف يعيش خارج زمنه بهذا الإعراض عن الزواج.. بل خارج المدرسة الإيمانية التى كان يعايشها.. ومن هذه المدرسة: عبدالله بن مسعود.. والإمام أحمد رضى الله عنهما، ومن قبلهما عمر رضى الله عنه والذى قال:

(إنى لأكره نفسى على الجماع. رجاء أن يُخرج الله نسمة تسبحه وتذكره)

وكأن بهذا الفهم المستنير تفسيرا عمليا لقوله عز وجل:

﴿.. وقدموا لأنفسكم﴾(١) أى: اطلبوا بالزواج الولد.. وبالذات: الولد الصالح.

وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول:

(١) البقرة: ٢٢٣.

(لو لم يبق من عمرى إلا عشرة أيام.. أحببت أن أتزوج.. حتى لا ألقى الله عزبا)

بل لقد تزوج الإمام أحمد رضى الله عنه فى اليوم الثانى من وفاة امرأته وقال: أكره أن أبيت عزبا[٢].

وهكذا كانت مدرسة الرسول ﷺ كانت على يقين من أن الزواج سنة.. ومن رغب عن سنته ﷺ.. فليس منه فى شىء وقد بلغت هذه الرغبة ذلك الحد.. فرارا من عقبى العزوبة وأصارها.

مسئولية الدولة عن مشكلة.. الإضراب عن الزواج

بعض الناس يواجه أحداث الحياة بالانفعال الغاضب.إنه ينفق مدخراته من الطاقة.. بلا «إيداعات» من الخارج.. فإذا كان هذا اللون من الناس قائدا.. فسوف يسقط فى مرحلة من مراحل الطريق.. لأنه جعل قصارى جهده فى التصدى للحدث ألا يكون «فاعلا» وإنما هو مجرد «رد الفعل» ومن ثم لا يستطيع أن يدير الأزمة الطارئة بالخطة الحكيمة.. والتصرف الرشيد. لأن سرعة الإيقاع مانعة من التمكن.. ثم يفلت زمام المبادرة من يده.. بعدما فشل فى صنع.. مفتاح الموقف.. والذى به تعالج الأبواب المغلقة.. والشخصيات الغامضة.

ومن الأحداث.. مشكلة «العنوسة»:

وفى مصر الآن أكثر من تسعة ملايين فتى وفتاة.. تجاوزوا سن الخامسة والعشرين. ولم يتزوجوا.. جيش من العوانس.. أو طابور يمتد مع الزمن.. ونحن مطالبون.. بالعود الحميد إلى ماضينا المجيد.. نتلمس فيه العبرة..

والموقف هنا: مبادرة راشدة من الرسول ﷺ للقضاء على ظاهرة «العنوسة» فى شخص «عكاف» الفتى الذى توفرت له عناصر الزواج لكنه لم يفعل و أوشكت شرايين حياته أن تتصلب!

وإذا كان هناك من الفتيات من عنّسها أهلها.. فحبسوها عن الزواج حتى جازت فتاء السن ولما تعجز.. فما هو عذر «عكاف» إذا وقد اختفت كل الموانع من حياته.. ومع ذلك فقد آثر أن يعيش عزبا؟!

قبل أن تتعقد المشكلة

وعلى رغم أن الفتى هنا كان واحداً يغيب فى زحام الحياة.. لكن الرسول ﷺ يراه.. ثم يحاوره.. فى محاولة لمعرفة الأسباب.. ثم اقتراح العلاج مؤكدا بهذه اللفتة البصيرة مسئولية الدولة عن طاقة الشباب.. التى تجب حمايتها من الضياع.. ثم حماية المجتمع نفسه من آصار إهمالها.

وأحيانا يكون حماسنا لحل المشكلات «موسمياً».. نعلن عن عزمنا على حلها بكل ما نملك من حول.. وسرعان ما يفتر هذا الحول.. فلا نتصدى لها حتى بفاتر من القول!!

---

(٢) مورد الظمآن جـ ٣/ ٢٤.

ثم تتعقد المشكلة.. وتظل هناك قابعة فى الظل الخافت لا يراها أحد! فى الوقت الذى يسرى سمها فى دمائنا.. ولكن سنة الرسول ﷺ فى هذا الموقف شاهدة بضرورة التصدى للمشكلة وفى بداية مراحلها.. بما يكافئها من صرامة ترفض أنصاف الحلول.

ولاحظ أنه ﷺ.. لا يسأل الناس عن «عكاف» وإنما يسأله هو شخصيا.. فلعل له عذرا وأنت تلوم.. وقد ينقسم الناس فى الحكم له أو عليه: إلى متحامل أو مجامل.

ولكنه ﷺ لايتحدث عن الشباب.. وإنما يؤثر أن يتحدث إليهم وفى حوار هادىء.. من شأنه أن يبطل مفعول «الألغام» المبثة فى ساحة الحوار!

ويسأله أولا.. ألك زوجة؟ ولا حتى جارية؟

فلما أجاب بالنفى.. مع إثبات يساره.. وقدرته على الزواج.. كان لابد من الجواب الحاسم.. على ما فيه من مرارة.. لأنه هو الجواب فى مثل هذه الحال.. ولا جواب سواه.

إن الموقف لا يتحمل المجاملة.. لأنها عندئذ على حساب الحق.. فالشباب.. والفراغ.. والمال: كلها مفسدة للشباب أى مفسدة!

ولقد استقبل.. «عكاف» الجواب بالرضا والتسليم: اقتناعا بما يقول الرسول.. ثم هيبة منه ﷺ.. على ما يقول الشاعر:

يأبى الجواب فما يراجع هيبة
والسائلون نواكس الأذقان
هدْى التقىّ وعز سلطان التُقى
فهو المطاع وليس ذا سلطان

فإذا كان الموجه هو الرائد الذى لا يكذب أهله.. فقد صار له من الهيبة ما يُحس. ولا يوصف.

إنه هيبة القيادة الإلهية: فالرسول ﷺ أكبر من «عكاف» سنا.. ومقاما.. ولكنه يقترب منه.. فيختزل المسافة بينهما فإذا المحكوم جزء من الحاكم.. والحاكم جزء من المحكوم.

المحكوم: الذى يمنحه حبه واحترامه معا..

أما حبه ﷺ للمحكوم.. فأمر مفروغ منه.. فهو جاهز دائما.. مهما كان موقع المحكوم فى سلم المجتمع.

ومهما كان المنطق شديد اللهجة.. فإنه مقبول.. وعلى العين والرأس..

وإذا كنا بالقلب قد ننكر قرار الطبيب.. فإننا بالعقل نحبه.. لأن القرار فى النهاية جالب لمصلحتنا.

والموقف فى جانب من جوانبه دعوة إلى القادرين من الأغنياء أن يجعلوا فى زكاتهم قدرا يعينون الشباب على الزواج.. ذلك بأن كثيرا من الأغنياء - مشكورين - يتنافسون فى بناء المساجد ودور العلم.

ويبقى أن يعمروا هذه المساجد.. وهذه الدور بشباب سوىّ.. له بيت يأوى إليه.. وزوجة تحميه من الانحراف.. وبها يتسلح بالعفاف.. ليكونوا بهذا التنافس أخوة للمؤمنين فإن لم يفعلوا.. كان لهم من خطاب «عكاف» نصيب؟!

التربية الإيمانية في القرآن الكريم مناهجها وأهدافها

للأستاذ الدكتور / عبد العظيم المطعني

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾.

الملك (١٤)

إن كل صانع أعلم بصناعته، والإنسان صنع الله فهو وحده أعلم بما يصلحه وما يفسده، وهو وحده أعلم بكل أحواله وبما دقت وخفيت:

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾.

البقرة (٢٢٠)

الله الذى خلق كل شىء، وخلق الإنسان. جعل فيه جانبين متحاورين فى فطرته:

- جانب إيمانى معنوى.
- وجانب مادى حسى.

وخلق لكل من هذين الجانبين غذاء يرعاه وينميه. وإن شئت فقل:

- جانب الروح.
- وجانب الجسم.

الإنسان صُنع الله وحده، وهو أعلم به من نفسه التى بين جنبيه. هو أعلم بما يصلحه، وما يفسده:

ما يصلحه فى دينه وقلبه وعقله وخلقه، وما يصلحه لأمر آخرته، وما يقربه من رضوان الله، ويسمو به إلى مصاف الأبرار والمقربين وهو أعلم بما يصلحه لشئون الدنيا، التى هى مزرعة للآخرة وبما يصلح جسمه وقواه التى بها يكون قادراً لأداء رسالته التى من أجلها خلقه الله، وهى عمارة الكون وإخلاص العبادة والولاء لله وحده.

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾

الذاريات (٥٦ ـ ٥٨)

نعم هو أعلم بما يصلحه فى شئونه كلها، وهو أعلم بما يفسده فى شئونه كلها، والإيمان بهذا العلم مسلم بداهة، لتوافق دليل النقل وحكم العقل عليه:

وغذاء الجسم يمده بالبقاء والسلامة من الأمراض والعلل.

وغذاؤه ماء أنزله الله من السماء، وجعل فيه للإنسان منافع شتى، ثم سلكه ينابيع فى الأرض ليكون فى خدمة الإنسان أين يكون.

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

البقرة (٢٢)

وغذاء الجسم لما كان الميل إليه وتناوله غريزة فى طبيعة الإنسان، يحتاج إليه كلما أحس بالخواء أو العطش، لا ترى فى القرآن إلحاحاً على تناوله، فليس فيه أمر به على سبيل الوجوب، بل كل ما ورد من الأمر به هو للإباحة فحسب، لأن الشهوات الغريزية الميالة إليه قامت فقام الأمر الوجوبى، لأن الإنسان ـ بطبعه ـ حريص كل الحرص على الانتفاع به.

فالله ـ عز وجل ـ اكتفى بخلقها ووفرتها بين أيدى الناس، ثم تركها للعرض والطلب، لكنه نهى عن الضار منها بسلامة الناس، فى المأكول والمشروب فيها.

فحرم أكل الميتة والدم المسفوح من بهيمة الأنعام بعد ذبحها أو نحرها.

لأن الميتة يكون لحمها فاسداً يضر بآكليه، والدم المسفوح دم كله سموم قاتلة، وهذا هو السر فى تحريم أكل الميتة، لأن هذا الدم يظل بكل ما فيه من سموم، يظل قاراً فى لحم الميتة أما المزكاة زكاة شرعية فيخرج منها هذا الدم بتدبير من عند الله عقب الذبح أو النحر مباشرة.

وكذلك لحوم الخنازير، حرم الله أكلها بسبب ما فى لحومها من ضرر يفسد جسم الإنسان.

هذا بعض ما حرم الله أكله من المطعومات أما المشروبات فتأتى على رأس المحرمات منها الخمر، لأنها أم الخبائث وتدعو إلى الموبقات وتفسد الجهاز العصبى، كما أنها تصيب الكبد بالعلل القاتلة.

هذا كله عناية من الله بحفظ سلامة الأجسام لأنها إذا تعرضت إلى هذه «المتلفات» عجزت عن العمل عجزاً كلياً أو بعضياً. والعقل السليم لا يكون إلا فى الجسم السليم. ومن صح بدنه صح فكره وعمله.

غذاء الجانب الإيمانى

أما غذاء الجانب الإيمانى، أو الروحى فشىء مختلف تماماً عن غذاء الجسم:

هو شىء مختلف فى حقيقته ومصدره وشىء مختلف فى طبيعته، وشىء مختلف من حيث وروده فى القرآن الكريم:

مختلف فى حقيقته، لأنه ليس طعاماً يؤكل ويستهلك فى حقبة من الزمن، يستحيل خلالها إلى كائن آخر قذر، تقزز منه النفوس وتنفر عنه الطباع.

ولا هو سائل يشرب، فتعتريه آفات التغيير كما حدث فى مثيله الطعام، وفى حقارتهما قال ﷺ:

«ضَرب ابن آدم وطعامه مثلاً للدنيا، وإن قذحه وملحه، فانظر إلى ما يصير».

ومختلف في مصدره، فغذاء الجسم مصدره الأرض، وغذاء الروح مصدره السماء إنه وحي الله الأمين. الذي أبى الله إلا أن يسميه روحاً كما جاء في قوله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

الشورى (٥٢)

وما أعظم الفروق بين ما مصدره الأرض وما مصدره السماء.

وهو غذاء لا يستهلك ولا يتعفن ولا تعتريه عوامل التغيير.

ولا تترتب عليه تخمة ولا ثقل ولا علل ولا أمراض لأنه نور لطيف يهدى للتي هي أحسن.

ومختلف من حيث وروده في القرآن، فغذاء الجسم، أو ما مصدره مع صلته بغذاء الروح لأنه يحمل سمتين من سمات القدرة والإرادة الإلهية ـ كما قال ابن رشد في كتابه: «فصل المقال في ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال» يحمل سمتين هما:

● الاختراع، يعني أن الله خلق عناصره من العدم المحض، لم يقلد فيه أحداً، ولا لأحد عليه قدرة.

● والعناية: يعني أن الله خلقه موافقاً لاحتياجات الناس ومنافعهم، لم يخلق شيئاً منه عبثاً وإنما خلقه لمنافع الخلق كما قال سبحانه:

﴿مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ عبس (٣٢).

هذا الغذاء المادي للجسم إذا قورن بالغذاء الإيماني الروحي، أو التربية الإيمانية الروحية من حيث ذكره في القرآن نجد البون شاسعاً بين ذكر كل منهما في القرآن. فالغذاء المادي الجسمي لا يحتل مساحة واسعة في كتاب الله، بينما الغذاء التربوي الإيماني لم تخل من ذكره سورة حتى قصار السور.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن القرآن يخضع حديثه عن الغذاء المادي الجسمي على دلائل الإيمان، وعلى التذكير بفضل الله على عباده ليكون ذلك من العوامل المساعدة على تحقق التربية الإيمانية عند الناس.

أنظر معي إلى قول الحق جل في علاه:

﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٢) فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾

عبس (٢٤ ـ ٣٧)

بعد أن لفت الأذهان إلى أفانين النعم، مشيراً إلى أثر قدرة الله فيها. ثم قصر هذه النعم على المتاع العاجل في الحياة الدنيا، عاد فذكر شيئاً من أهوال الآخرة، وأنها لشدتها

تزرع في النفوس الأنانية، وقطع كل ما كان بينهم من علاقات كانت في الدنيا حميمة، حتى بين أقرب القرابات.

يعني أن القرآن وظف الحديث عن النعم العاجلة «غذاء الجسم المادي» في مجالين:

الأول: من حيث أنها نعم لمصالح الناس في هذه الحياة الدنيا.

الثاني: من حيث أنها عناصر فعالة في مجال التربية الإيمانية التي هي المقصود الأعظم من وحي الله إلى الناس.

أما التربية الإيمانية

فالقرآن كله منهج تربوي إيماني روحي، بلغ اهتمامه في هذا الجانب شأواً عظيماً، ذلك لأن كثيراً من حقائق الإيمان، إما مكفور بها، وإما مزهود فيها، وإما منصرف عنها مستهان بها، فهي موضع ضياع عند قطاعات واسعة من الناس.

ولأنها أمور غيبية غير مدركة بالحواس الخمس بعضها آجل لا عاجل كانت موضع جدل وأخذ ورد عند كثير من الناس.

وجاءت العلمانية، أو الفلسفة الوضعية في مطلع العصر الحديث، وأوهمت الناس بأن مالا يدرك بالحواس الخمس وهم لا وجود له. ذهب هذا المذهب «أوجست كونت» فكان من دعاة الإلحاد في العصر الحديث.. ثم تولد عن هذا الفكر الضال النظام الشيوعي القائم على قاعدة: «لا إله والحياة مادة».

الخطوة الأولى في التربية الإيمانية الروحية

ومن حكمة الله البالغة، أن مهد للتربية الإيمانية الروحية، القائمة على كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» بخطوة تمهيدية لتمكين هذه التربية وإخلاص القلب والعقل لها.

وهذه الخطوة تتكون من عدة شعب، تؤدي إلى حقيقة واحدة، هي:

تحرير الإنسان من الخوف من غير الله، وإلغاء كل من عداه من الخلق. سواء كان ملكاً أو إنساناً أو شيطاناً. لأن هذا التحرير يخلص الإنسان لربه: عبادة، وولاء ورجاء ورهبة. أما الشُعب التي تحقق هذا «الإخلاص» فمنها:

● لا نافع ولا ضار إلا الله، ولا يمكن لمخلوق مهما كان أن ينفع أو يضر غيره بغير ما قدر الله له، أو كتب عليه.

وفي ذلك جاء قول الحق تبارك وتعالى:

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾

التوبة (٥١)

فحظ الإنسان من الخير والابتلاء أمر محسوم في علم الله، ولا يملك أحد تغييره أو تبديله، فعلام نخاف أو نرجو غير الله؟

● تأمين الآجال (الأعمار) فلن تموت نفس إلا بإذن الله، فإن لم يأذن الله فلا موت وإن تظاهر عليه أهل الأرض جميعاً.

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا ﴾

آل عمران (١٤٥)

وإذا جاء أجل نفس نفذ فى الحال، لا يستطيع أحد دفع الموت عنها مهما أوتى من قوة:

﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ﴾.

المنافقون (١١)

● ضمان الرزق: من أساسيات الحياة حصول الإنسان على رزقه، ولم يخلق الله أحداً، إلا وضمن له رزقه، ولم يجعل رزق أحد على أحد:

﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾

هود (٦)

● نسبة كل ما يصيب الإنسان من خير أو غيره إلى الله عز وجل:

﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾

الحديد (٢٢)

هذه الشعب سيقت كما قلنا لتحرير الإنسان من الخوف أو الرجاء من غير الله، فكل من على وجه الأرض ليس بقادر على أن ينفع غيره أو يضره إلا بما كتب الله له أو عليه.

فالنافع والضار هو الله، ونفعه وضره يجريهما وفق مقتضى الحكم الإلهية.

وحين تتمكن هذه العقيدة فى قلب الإنسان ووجدانه يتحرر من الخوف والرجاء من كل من عدا الله تثمر فيه التربية الإيمانية الروحية، بدون أية عقد أو عوائق، لأنه لا يوالى إلا الله، ولا يرجو إلا الله، ولا يخشى أحداً إلا الله.

من مناهج التربية الإيمانية فى القرآن

بعدما تقدم، ومن أبرزه كيف حرر القرآن الإنسان من الخوف والرجاء من غير الله، وأبعد عنه كل الشواغل التى تحد من إقباله على الله بأذن صاغية، وعين باصرة، وعقل فاقه، وقلب صاف، بعد هذا جاءت المناسبة للحديث عن المناهج القرآنية التى رسخها القرآن فى التربية الإيمانية الروحية، التى لم تخل منها سورة من سورة القرآن الكريم.

ونتحدث - هنا - عنها على الوجوه الآتية:

أولاً: الدعوة إلى التأمل فى ملكوت الله:

وإذا تأملنا هذا المنهج وجدناه نوعين كبيرين:

(أ) مشاهد قصيرة نوعاً ما.

(ب) مشاهد طويلة نوعاً ما.

ومن المشاهد القصيرة نوعاً ما، المشاهد الآتية:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

آل عمران (١٩٠ - ١٩١)

هذا مشهد قصير فى كلماته، طويل فى مغزاه، يقرر الله فيه آيات وأمارات دالة على عظمة الله وقدرته هى:

● خلق السموات والأرض.

● اختلاف الليل والنهار.

وهى آيات يؤدى التأمل فيها إلى تجلية عناصر الإيمان بالله وبعظم قدره.

فالسموات قائمة محكمة، رفعها الله بغير أعمدة تمسكها القدرة الإلهية الفائقة.

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾

الرعد (٢)

﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

غافر (٥٧)

فى السموات آيات داعية لا لمجرد الإيمان بالله فحسب بل تستقطب كل مشاعره نحو الله - عز وجل -. وإذا أردنا الاختصار قلنا فى السموات معجزتان إيمانيتان:

● إحكام الصنع.

● رفعها بلا روافع مادية.

أما الأرض، ونحن ملاصقون لها نعرف الكثير من أسرارها، فقد أشار الله إلى بعض ما فيها من آيات ناطقات بالحق. كما قال عز وجل:

﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾.

الذاريات (٢٠)

والأرض مهد للراحة والأمن كمهد الطفل الذى يعده، له أبواه فى أول عهده بالحياة:

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾

طه (٥٣)

والأرض واحة خضراء فيها للروح متعة وللجسم غذاء مختلف الحجوم والطعوم والألوان:

﴿ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

الرحمن (١٠ - ١٣)

بيد أن آية واحدة أخرى فيها لفت قوى للتربية الإيمانية الروحية فى القرآن هى قوله تعالى:

﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

الرعد (٤)

هذا دليل واقعى عملى من دلائل التربية الإيمانية الروحية، أو هو غذاء رفيع القيمة فى مجال التربية الإيمانية الروحية، لأن المشهد الذى تعرضه الآية مشهد حيوى مادى محسوس حيث تزرع بعض الأشجار والنباتات فى بقاع متجاورة من الأرض، وطبيعة الأرض واحدة والماء الذى يرويها طبيعته واحدة، فكان من الحرى أن يكون نباتها ذا شكل واحد فى ذاته وفى ثماره:

فمن الذى جعل لكل نوع من الأشجار والزروع والنباتات ذوات أشكال وألوان وأطوال مختلفة ومن الذى ميز ثمارها بما هو عليه من حجم أو لون أو طعم؟

إنه الله - عز وجل - يخلق ما يشاء وهو على كل شىء قدير.

هذا بعض ما يسفر عنه التأمل فى خلق السموات والأرض لكل ذى عقل سليم.

أما اختلاف الليل والنهار، فكان المتبادر منه إلى الذهن وقت نزول القرآن فى عصر النبوة هو الآتى:

● الإظلام والاضاءة.

● السكون والحركة.

● التفاوت فى الطول والقصر بالتدريج، فيما عدا يومين فى العام الواحد يتساويان فيه فيما عرف بـ«الاعتداليين».

وكان هذا كافيا فى ترشيح الاختلاف بين الليل والنهار عنصرا حيويا ترتكز عليه التربية الإيمانية الروحية فى كون الله الفسيح، وأن التأمل فيهما يسلم القلوب والعقول لإيمان راسخ رسوخ الجبال، لمن ألقى السمع وهو شهيد. أو قيام الحجة لله على من أعرض وعاند.

ويتابع القرآن آيتى الليل والنهار فى معارض زاخرة بالعبرة والاتعاظ:

فالسكون الليلى ليس مجرد سكون، بل هو لتجديد النشاط ليواصل الإنسان بعد أقساط الراحة التى نالها ليلا سعيه الدءوب نهارا لتعمير الأرض، واستثمار الطاقات المطمورة فى بطونها يقول القرآن الكريم:

﴿ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾

القصص (٧٣)

وقبل هذه الآية مباشرة يمهد القرآن لها بآيتين حافلتين ببراهين التربية الإيمانية الروحية، ويضع الإنسان أمام حجج قاهرة للباطل مهما كان أنصاره:

﴿ قل أرءيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون (٧١) قل أرءيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ﴾

القصص (٧١ - ٧٢)

لقد وضع القرآن بهاتين الآيتين الإنسان أمام ضعفه، وقرره بعجزه أمام قدرة الله التى

لا تعجز عن شىء. وسد أمامه طرق المراوغة ليحل فى عقله وقلبه الإيمان رضى أم كره، ولكل منهما ثمن وجزاء عند الله يوم يقوم الناس لرب العالمين.

●●●

وفى العصر الحديث تكشفت للناس أسرار علمية مذهلة، حيث عرفت الأسباب الإلهية فى تكوين ظاهرتى الليل والنهار، واعتبرت هذه الاكتشافات نجاحا عظيما للازدهار العلمى المعاصر، ولم يدر أحد أن القرآن سبق إلى الإشارة إليها قبل أكثر من عشرة قرون.

حيث أثبت القرآن فى عبارات ذكية أن الأرض التى كان يراها الناس جامدة ثابتة لا تتحرك، أثبت أن لها حركة سريعة حول نفسها ينتج عنها الليل والنهار، وحركة بطيئة حول الشمس ينتج عنها الفصول الأربعة:

الصيف، والربيع، والخريف، والشتاء، لا أن الشمس هى التى تتحرك فيحدث الليل والنهار.

قال عز وجل:

﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شىء إنه خبير بما تفعلون ﴾

النمل (٨٨)

ليست هذه الآية تصويرا لحالة الجبال يوم القيامة وإن وردت فى سياق الحديث عنه، لأن الجبال ستنسف فى ذلك اليوم قبل القيام من القبور:

﴿ ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا (١٠٥) فيذرها قاعا صفصفا (١٠٦) لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ﴾

طه (١٠٥ : ١٠٧)

والكاشف عن حركة الأرض السريعة فى هذه الآية هو التشبيه فى:

﴿ وهى تمر مر السحاب ﴾ حيث شبه حركة الجبال بحركة السحاب.

ووجه الشبه فى هذا التشبيه أمران:

الأول: السرعة.

الثانى: أن حركة السحاب ليست ذاتية، لأن الذى يحرك السحاب هو: الرياح.

فدل ذلك على أن حركة الجبال ليست ذاتية وإنما هى ناتجة عن حركة الجسم الذى يحملها، وهو الأرض فتأمل هذه اللمحة البيانية المعجزة.

هذا دليل قرآنى قطعى الدلالة على أن الأرض هى التى تتحرك.

ودليل قرآنى ثان على حركة الأرض، ذكره الله تعالى فى كتابه العزيز فيما يأتى:

﴿ وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم ﴾

النحل (١٥)

﴿ وجعلنا فى الأرض رواسى أن تميد بهم ﴾

الأنبياء (٣١)

﴿ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾

لقمان (١٠)

الشاهد في هذه الآيات الثلاث التزام القرآن بكلمة ﴿ تَمِيدَ ﴾ دون غيرها، حيث لم يذكر لفظاً آخر غيرها، لأنه لا يصلح للدلالة على المعنى المراد في الآيات الثلاث إلا هذا الفعل ﴿ تَمِيدَ ﴾ ومعناه تضطرب في غير نظام.

إن في التزام القرآن التعبير بـ﴿ تَمِيدَ ﴾ دلالة قطعية على أن الأرض متحركة وإن لم يشعر من فوقها بحركتها.

فما وجه هذه الدلالة يا ترى؟

وجه الدلالة أن تميد معناها تضطرب، وقد أجمع العلماء على أن الاضطراب لا يوصف به إلا الجسم المتحرك. فهو ناتج عن حركة أولية في الجسم، ومحال أن يضطرب جسم قار في مكانه خال من الحركة.. فالسيارات وهي متوقفة، عن الحركة محال أن تضطرب فإذا تحركت أصبحت محلاً للاضطراب إذا توفرت له أسبابه الخارجية، وكثيراً ما تسير سيراً مضطرباً أو منتظماً إذا لم يعترها خلل في المحرك أو في غيره وانتفاء الاضطراب يستلزم وجود الحركة المنتظمة، أما الاضطراب فيستلزم حركة منتظمة سابقة عليه قبل أن يحدث هو.

لذلك نفى القرآن في الآيات الثلاث حدوث اضطراب في حركة الأرض، لأن حركتها محكمة منتظمة في غاية الإتقان والانتظام، لدرجة أن أحداً لا يشعر بها. لذلك عقب الله على هذه المعجزة بقوله:

﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾.

ولعلك أدركت أن الله لم يقل: إن تتحرك بكم. لأنها متحركة فلا يصح نفي حركتها، وهذا فيه إعجازان:

- لغوي في اختيار كلمة ﴿ تَمِيدَ ﴾.
- وعلمي في سبق العلم الحديث في معرفة حركة الأرض بعد أكثر من عشرة قرون من نزول القرآن وإثباته حركة منتظمة للأرض.

فانظر هذه الإيماءات القرآنية في التربية الإيمانية الروحية، القاهرة لكل الثقافات المتمردة المعادية للإيمان.

إن هذه المعجزات تقذف الإيمان قذفاً في القلوب وتقهر أنصار الباطل وتفحمهم بالحق الذي يكاد يرى - رأى العين - إشعاعات هذه التراكيب.

المشاهد الطويلة نوعًا ما

من المشاهد الطويلة نوعًا ما، التي رشحها القرآن الكريم للتأمل باعتباره عنصراً من عناصر التربية الإيمانية الروحية، الآيات الآتية:

﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾

الواقعة (٥٨ - ٧٣)

هذا المقطع من الآيات ساقه القرآن خطاباً للناس من أجل غايتين عظيمتين:

الأولى: بيان آثار قدرة الله الفائقة التي لا تعجز عن شيء إيجاداً وإعداماً.

وبيان عجز الناس الذين لا حول لهم من أنفسهم ولا قوة.

الثانية: تهيئة كل مدركات الإنسان لقبول حقائق الإيمان ومقتضياته، وقد تضافرت كل الدواعي إليه. ومن أعرض فقد قامت لله عليه الحجة. فلا يلومن إلا نفسه.

وقد بدأ هذا المشهد القرآني المثير بهذا الاستفهام «أرأيتم» ثم تكرر بعد ذلك مرات، مع صور للاستفهام بالهمزة ﴿ أأنتم ﴾ وبـ﴿ أم ﴾ وكلها استفهامات مجازية، لا تحتاج إلى جواب، لأن أجوبتها مفهومة من السياق. ومعاني هذه الاستفهامات كلها تدور حول إلزام المخاطبين إلزاماً إقناعياً لا جبرياً بالمعاني الإيمانية التي سيق من أجلها الكلام.

والاستفهام «أرأيتم» وما كان على شاكلته يرى المفسرون والبلاغيون أنه بمعنى «أخبرني» إن كان المخاطب فرداً، وبمعنى «أخبروني» إن كان المخاطب جمعاً.

لكن هذا لا يطرد في كل صوره سواء كان في القرآن أو في غير القرآن من الكلام البليغ.

لذلك عدلنا عنه وهدينا إلى معنى آخر مطرد في جميع الصور، وأليق بالمقام وأبلغ منه في البيان الرفيع.

ذلك المعنى الذي ارتضيناه من صيغة: «أرأيت» ونظيراتها هو أن المراد منها استحضار صورة المستفهم عنه في الذهن لكي يجري الحديث عنه وهو حاضر لا غائب.

وعلى هذا يكون معنى:

﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴾ أي استحضروا في أذهانكم عملية «الإخصاب» وهي قذف المني في الرحم. ثم هل أنتم الذين تخلقون بشراً داخل الأرحام أم نحن الذي نتولى تخليقه خلقاً من بعد خلق حتى ننشئه بشراً سوياً كامل التكوين؟

إن المخاطبين لابد أن يقروا طوعًا أو كرهًا أن الله هو الخالق لا هم. وهذا هو طريق

الإيمان والتربية الروحية. ومن أعرض فعلى نفسه جنى جناية لا تغفر.

ثم يستطرد البيان القرآنى فيذكر بأن لله فى عباده تصرفات أخرى:

● تقدير الموت عليهم لا محالة، لأنه هو الذى أنشأهم أول مرة، ومن قدر على الإيجاد قدر على الإعدام عقلاً وواقعاً.

ثم ينتقل بهم إلى تذكيرهم بالبذر يضعونه فى الأرض ويدعوهم إلى استحضار هذه العملية فى الذهن ليقول لهم: أأنتم الذين تتولون إنباته واستخراجه من الأرض أم نحن الذين نتولى ذلك؟

وليس لدى المخاطبين جواب إلا التسليم بعجزهم والتسليم بنفوذ وقدرة الله وفق علمه وإرادته.

وهذا طريق من طرق الإيمان الإقناعى الملزم سواء اعترفوا أم لم يعترفوا. فمن آمن فقد اهتدى ومن كفر فعليه كفره، وحجة الله عليه قائمة.

وحتى بعد إنبات النبات فمن يمنع الله من تبويره وتدميره؟ لا أحد. بل تملكهم الأحزان والتحسر على عجزهم.

ثم يقول لهم استحضروا صورة الماء الذى هو قوام حياتكم، واسألوا أنفسكم أأنتم الذين أنزلتموه من مصادره العليا أم الله - عز وجل - تحد ساخر قاهر يولد الإحساس القوى بالضعف والعجز التام عند المخاطبين، ولا مناص لهم من الاعتراف فى طوايا أنفسهم آمنوا أو كفروا ثم هذا الماء الجارى بين أيديهم الله قادر على أن يحيله «دخاناً» لا يقدرون منه على شىء فأين - إذن - هم ذاهبون؟

إنها براهين ساطعة تبعث اليقين فى العقول والنور الإيمانى فى القلوب، كما تنشر الشمس الضياء فى ربوع الكون.

ثم يدعوهم أن يستحضروا صورة النار وما فيها لهم من منافع فى شعورهم ليجرى الحديث عنها وهى ماثلة أمامهم، ليقول لهم: أأنتم أوجدتم هذه النار من العدم أم نحن؟

والجواب معروف، هو الإقرار بأن الله وحده هو الذى أوجدها كما أوجد غيرها من مخلوقات لا تحصى عدداً، ولا يحيط بها علم غير علم الله إن هذا المقطع من الآيات لوحة إيمانية زاخرة بالدلائل والعبر، فيها للعقول إقناع وللقلوب إمتاع، وللأذواق المرهفة نزهة وللعواطف نشوة. وعلى المعاندين حجة، قاطعة للأعذار.

﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

المائدة (١٥ - ١٦)

هذا ما تيسر ذكره فى المنهج الأول من مناهج التربية الإيمانية الروحية فى القرآن وسيأتى الحديث عن منهج ثان من مناهج التربية الإيمانية فى القرآن. وهو: «التربية عن طريق التذكير بالنعم فى القرآن الكريم».

التربية الإسلامية فى سير التابعين

للأستاذ الدكتور
مصطفى رجب

طاووس بن كيسان نموذجا

تعانى الكتابات التربوية العربية المعاصرة من الاستلاب الثقافى الحزين، فكل من سافر للغرب من التربويين العرب يعود واحدا من اثنين: إما متمسكا بدينه وتراثه ولا يزيده ما رآه هناك من مباذل إلا يقينا، وآخر يعود مهتزا يائسا ناقما ضعيف الثقة بنفسه ومن ثم بدينه وتاريخه لجهله بهما.

وقد رأينا أن نضع أمام هذا الفريق وذاك قبسا من التربية الإسلامية من خلال سير أعلامها من التابعين الذين لا ينالون شيئا من اهتمام هؤلاء وأولئك.

وعالم اليمن وفقيهها وشيخها ومفتيها طاووس بن كيسان أحد أجلاء الفقهاء من التابعين الذين تحملوا أمانة نقل العلم عن الصحابة إلى البلاد المختلفة والأجيال التالية التى لم تحظ بلقاء الصحابة رضوان الله تعالى عليهم.

وتكاد كلمة أهل العلم تجتمع على أن طاووسا - رحمه الله - كان ثقة حجة فيما رواه عن عدد كبير من الصحابة قد يصل إلى سبعين صحابيا من أشهرهم السيدة عائشة (وقد اختلف فى سماعه منها) وزيد بن ثابت، وأبوهريرة، وزيد بن أرقم، وابن عباس الذى صحبه مدة طويلة ونقل كثيرا من علمه وجابر بن عبدالله، وسراقة بن مالك، وعبدالله بن عمر بن الخطاب، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وغيرهم.

وقد حظى طاووس بثقة عبدالله بن عباس رضى الله عنه فلازمه طويلا وروى كثيرا من أحاديثه، حتى بلغ إعجاب ابن عباس به أنه كان يقول عنه - فيما رواه عطاء بن أبى رباح التابعى -: «إنى لأظن طاووسا من أهل الجنة».

وقد تلقى العلم على يدى طاووس عدد كبير من أقرانه وعلماء عصره من التابعين أمثال عطاء بن أبى رباح ومجاهد بن جبر، وابن شهاب الزهرى وغيرهم من أعلام فقهاء التابعين.

من هو طاووس؟:

كان طاووس بن كيسان رحمه الله من أصل فارسى من أولئك الرجال الذين شرفوا بالإسلام نسبا، واسمه طاووس بن كيسان بن الهمدانى (بالولاء) الفارسى (الأصل) وكان أبوه من الفرس الذين بعث بهم كسرى لإخضاع اليمن لسلطانه فأقام بها، وأمه فارسية كذلك، وكنيته: أبوعبدالرحمن، ويبدو أنه ولد فى أثناء حكم عثمان بن عفان رضى الله عنه، وأما وفاته فقد اختلف فيها بين المؤرخين، فقيل إنه مات سنة إحدى ومائة للهجرة، وقيل سنة ست ومائة وقيل سنة أربع عشرة ومائة وقيل غير ذلك والقول الأشهر هو أن وفاته كانت سنة ست ومائة، ولكن جميع من أرخوا له متفقون على أن وفاته كانت بمكة ـ بمنى أو مزدلفة ـ فى التروية. وكان ممن حمل نعشه عبدالله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم، إجلالا لقدره، فمازال يحمله حتى بلغ القبر، وصلى على جنازته الخليفة هشام بن عبدالملك الذى تصادف وجوده فى موسم الحج فى تلك السنة، وكانت الصلاة عليه بين الركن والمقام وعمره يومئذاك بضع وسبعون سنة.

ورعه وتقواه

كان طاووس بن كيسان من خيار التابعين وزهادهم، وقد بلغ من الورع والتقوى مبلغا عظيما يعكسه قول إبراهيم بن ميسرة: (ما رأيت أحدا الشريف والوضيع عنده بمنزلة واحدة إلا طاووسا)، وقد خولت له هذه المنزلة الرفيعة من التقوى أن يكون له عند ابن عباس رضى الله عنه مكانة خاصة.

فقد سئل عبيد الله بن أبى يزيد وهو أحد قرنائه فقيل له: مع من كنت تدخل على ابن عباس؟ قال: مع عطاء بن أبى رباح وأصحابه، فقال السائل: وطاووس؟ فقال عبدالله: أيهات (أى هيهات) ذلك كان يدخل مع الخواص!!

وقد بلغ من تقوى طاووس وورعه أنه كان يعد الحديث حرفا حرفا خشية أن يزيد فيه أو ينقص منه، ولذلك كان يقول لحبيب بن أبى ثابت ـ أحد تلاميذه ـ: «إذا حدثتك الحديث فأثبتُّه لك فلا تسألن عنه أحدا» وكثيرا ما كان طاووس يدعو ربه فيقول: «اللهم احرمنى كثرة المال والولد وارزقنى الإيمان والعمل» وقد اتفق من أرخوا له على أنه حج أربعين حجة. وروى عنه ابنه الذى صحبه فى بعض رحلات حجه نادرة عجيبة تدل على شدة تقواه فقال: كان سيرنا إلى مكة مع أبى شهرا، فإذا رجعنا سار بنا شهرين فكنا نراجعه فى ذلك ـ يعنى فى إطالة مدة السفر فى العودة من الحج ـ فكان يقول: «بلغنى أن

الرجل لايزال فى سبيل الله حتى يأتى بيته» كما رووا عنه رضى الله عنه أنه كان مستجاب الدعوة: ولا غرو فمن كان فى مثل درجته من العلم والتقوى جدير بأن يكون مستجاب الدعوة.

شخصيته ومواقفه

شهد أقران طاووس له بأنه كان لا يفرق بين شريف ووضيع فى الحق كما ذكرنا فيما سبق، وما كان له أن يكون بهذه الصفة لولا ما توفر فى شخصيته من علائم القوة ومقومات الإرادة التى تستمد يقينها وثباتها من إيمانها بالله عز وجل واعتزازها بقدرته المطلقة وسيرها على نهجه السديد.

وقد انعكست قوة شخصية طاووس رحمه الله فى مواقفه المختلفة مع الحكام والأمراء وذوى السلطان الذين كانوا يقدرونه ويهابونه ويحترمون تدينه وصدقه فى الحق، ويثقون فى أمانة نصحه، فقد روى ابن خلكان عن طاووس أنه كتب إلى عمر بن عبدالعزيز لما ولى الخلافة يقول: (إن أردت أن يكون عملك خيرا، فاستعمل أهل الخير) فقال عمر: «كفى بها موعظة».

وقد كان طاووس بن كيسان لما يعلمه فى نفسه من حدة، وما يعلمه فى تدينه من شدة، ميالا إلى اعتزال الحكام وكان إذا سئل عن تفضيله الجلوس فى بيته يقول (خيف الأئمة وفساد الناس) إلا أن ذلك لم يمنعه إذا دعا داع أن يقول كلمة الحق، أن يتخذ لنفسه موقف العزة النابعة من قوة الإيمان، ومن آرائه السديدة فى هذا المضمار قوله (إقرار ببعض الظلم خير من القيام فيه) وقوله (لم يجهد البلاء من لم يتول اليتامى أو يكون قاضيا بين الناس فى أفعالهم أو أميرا على رقابهم).

ولذلك كان يتجنب هدايا الحكام والتودد إليهم فقد روى أن أحد ولاة عصره (محمد ابن يوسف أخو الحجاج، أبو أيوب بن يحيى) بعث إليه بسبعمائة أو خمسمائة دينار وقيل لرسول الوالى على سبيل الإغراء: إن الأمير سيكسوك ويحسن إليك إذا أفلحت فى إقناع طاووس بقبول هذه الهدية، فخرج الرسول بالهدية حتى وصل إلى طاووس فقال له: يا أبا عبدالرحمن، هذه نفقة بعث بها الأمير إليك، فقال طاووس: مالى بها حاجة، فحاول الرسول إقناعه بأخذها فلم يفلح، فانتهز لحظة غفل عنه طاووس خلالها، فألقى بالصرة التى بها الدنانير فى كوة (فتحة) فى الباب ثم ذهب وادعى للأمير أن طاووسا أخذ الهدية، فلبثوا حينا ثم بلغهم عن طاووس شىء يكرهونه فقال الأمير: ابعثوا إليه فليبعث إلينا بمالنا، فجاءه الرسول، فقال: المال الذى بعث به إليك الأمير فلان، قال طاووس: ما قبضت منه شيئا، فرجع الرسول فأخبرهم فعرفوا أنه صادق، واستدعوا الرسول الأول فأرسلوه إلى طاووس فقال له: المال الذى جئتك به يا أبا عبدالرحمن؟ فقال له: هل قبضت منك

شيئا؟ قال: لا. فقال له هل تدرى أين وضعته؟ قال: نعم فى تلك الكوة. قال فانظر حيث وضعته. قيل فمد يده فإذا هو بالصرة وقد نسجت عليها العنكبوت خيوطها، فأخذها وعاد بها إليهم.

وروى ابن خلكان موقفا من مواقف طاووس الشهيرة مع هشام بن عبدالملك حين قدم هشام حاجا إلى بيت الله الحرام. فلما دخل الحرم قال: ائتونى برجل من الصحابة. فقيل: يا أمير المؤمنين قد تفانوا. قال: فمن التابعين. فأتى بطاووس اليمانى. فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم بإمرة المؤمنين ولم يكنه وجلس إلى جانبه بغير إذنه وقال: كيف أنت يا هشام؟ فغضب من ذلك غضبا شديدا حتى همّ بقتله. فقيل: يا أمير المؤمنين أنت فى حرم الله وحرم رسول الله ﷺ، لا يمكن ذلك. فقال له: يا طاووس، ما حملك على ما صنعت؟ قال: وما صنعت؟ فاشتد غضبه له وغيظه وقال: خلعت نعليك بحاشية بساطى ولم تسلّم علىّ بإمرة المؤمنين ولم تكننى وجلست بإزائى بغير إذنى وقلت: يا هشام كيف أنت؟ قال: أما خلع نعلى بحاشية بساطك فإنى أخلعهما بين يدى رب العزة كل يوم خمس مرات فلا يعاتبنى ولا يغضب على. وأما ما قلت: لم تسلّم بإمرة المؤمنين فليس كل المؤمنين راضين بإمرتك فخفت أن أكون كاذبا. وأما ما قلت: لم تكننى فإن الله عز وجل سمّى أنبياءه، قال يا داوود يا يحيى يا عيسى، وكنّى أعداءه فقال:

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ «المسد: ١».

وأما قولك: جلست بإزائى، فإنى سمعت أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول: إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام، فقال له: عظنى. قال: إنى سمعت أمير المؤمنين رضى الله عنه يقول: إن فى جهنم حيّات كالقلال وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لا يعدل فى رعيته، ثم قام وخرج.

قصص طاووس التربوية

وقد عرف عن طاووس رحمه الله أنه كان يقدم بعض مواعظه فى قالب قصصى لما يعرفه - بعمق إدراكه وقوة بصيرته - من أثر كبير للقصة فى نفوس السامعين. فقد روى ابنه عنه أنه كان يقول: (إذا غدا الإنسان ابتدره الشيطان فإذا أتى المنزل فسلم نكص الشيطان وقال لا مقيل فإذا أتى بغدائه فذكر اسم الله قال الشيطان لا غداء ولا مقيل فإذا دخل ولم يسلم قال الشيطان مقيل فإذا أتى بغدائه ولم يذكر الله قال الشيطان مقيل وغداء والعشاء مثل ذلك).

ومن قصصه أيضا أنه قال (كان رجل من بنى إسرائيل وكان ربما داوى المجانين وكانت امرأة جميلة فأخذها الجنون فجىء بها إليه فتركت عنده فأعجبته فوقع عليها فحملت

منه فجاءه الشيطان فقال إن علم بها افتضحت فاقتلها وادفنها فى بيتك فقتلها ودفنها فجاء أهلها بعد ذلك بزمان يسألونه عنها قال ماتت فلم يتهموه لصلاحه ورضاه فجاءهم الشيطان فقال إنها لم تمت ولكن وقع عليها فحملت فقتلها ودفنها فى بيته فى مكان كذا وكذا فجاء أهلها فقالوا ما نتهمك ولكن أخبرنا أين دفنتها ومن كان معك فنبشوا بيته فوجدوها حيث دفنها فأخذ فسجن فجاءه الشيطان فقال إن كنت تريد أن أخرجك مما أنت فيه فاكفر بالله فأطاع الشيطان فكفر بالله فقتل فتبرأ منه الشيطان حينئذ قال طاووس ولا أعلم إلا أن هذه الآية نزلت فيه

﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ ﴾ «الحشر: ١٦».

ومن ذلك ما رواه عنه ابنه فقال «يجاء يوم القيامة بالمال وصاحبه فيتحاجان فيقول صاحب المال للمال أليس جمعتك فى يوم كذا فى ساعة كذا فيقول المال قد قضيت بى حاجة كذا وأنفقتنى فى كذا فيقول صاحب المال إن هذا الذى تعدد على حبال أوثق بها فيقول المال أنا الذى حلت بينك وبين أن تصنع فى ما أمرك الله به».

ففى هذه القصص تبدو شخصية العالم المعلم والداعية المربى واضحة لما يشيعه القصص من أثر نفسى عميق، وما يتخلل استعماله من تركيز للانتباه وحفز للهمم. وما يخلفه فى النفس من عبرة وتأثر.

أفكاره التربوية

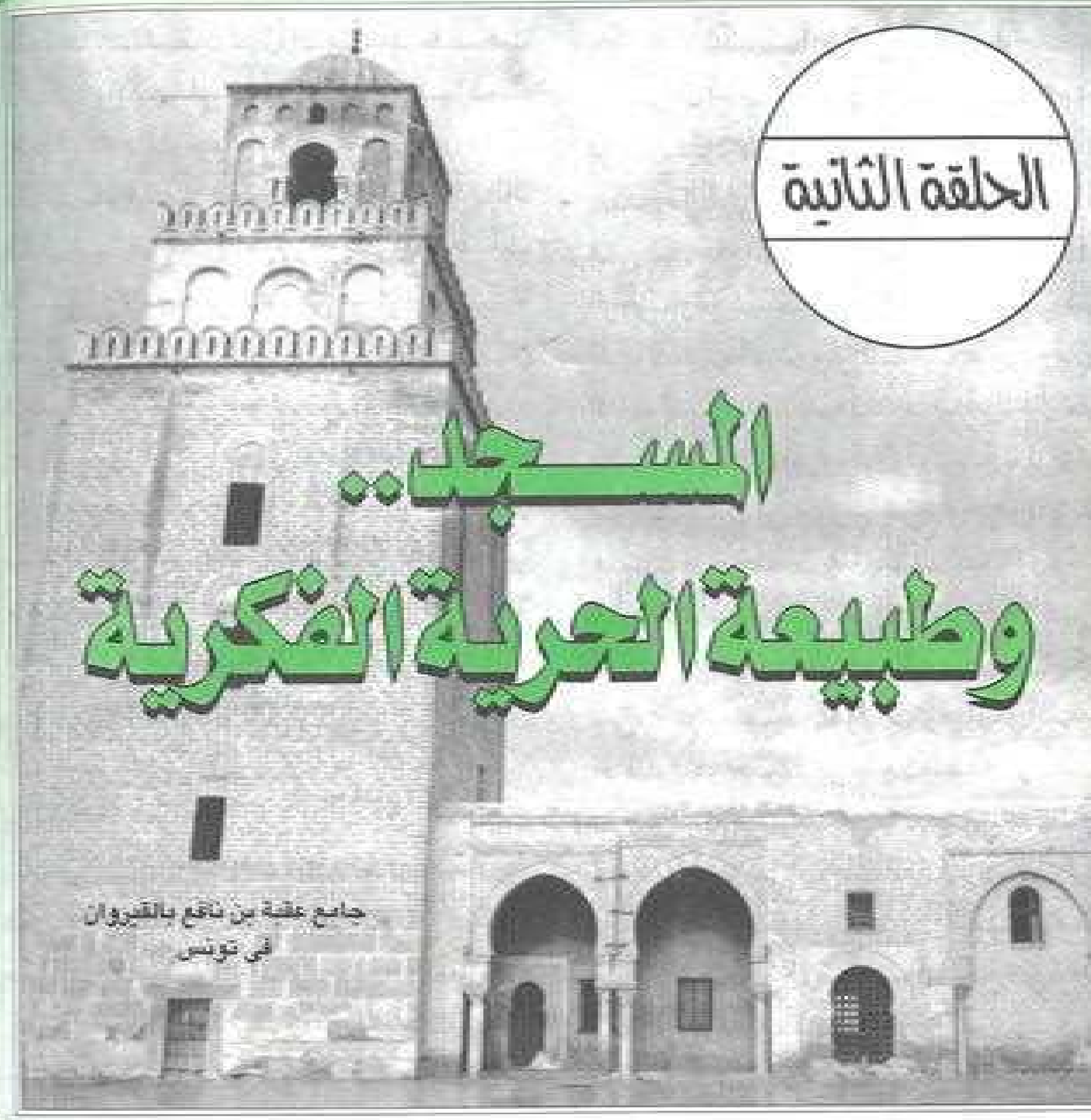
على أن الجانب التربوى فى شخصية طاووس بن كيسان لا يقف عند حدود القصص، وإنما يتعدى ذلك إلى مواقف تعليمية، أو أقوال جامعة. فمن ذلك ما روى عن رجل أتاه ليسأله مسألة قال الرجل - وهو عبدالله الشامى - فخرج علىّ شيخ كبير فظننت أنه طاووس قلت أنت طاووس قال لا أنا ابنه قلت إن كنت ابنه فقد خرف أبوك قال تقول ذاك إن العالم لا يخرف قال فاستأذن لى عليه فدخلت فقال لى طاووس سل وأوجز وإن شئت علمتك في مجلسك هذا القرآن والتوراة والإنجيل قال قلت إن علمتنى القرآن والتوراة والإنجيل لا أسألك عن شىء. قال خف الله مخافة لا يكون شىء أخوف عندك منه وارجه رجاء هو أشد من خوفك إياه وأحب للناس ما تحب لنفسك.

ومن آرائه التربوية الجامعة للفضائل ما نصح به ابنه فقال (يا بنى صاحب العقلاء تنسب إليهم وإن لم تكن منهم ولا تصاحب الجهال تنسب إليهم وإن لم تكن منهم واعلم أن لكل شىء غايته وغاية المرء حسن عقله).

ومن أقواله (ما تعلمت من علم فتعلمه لنفسك فإن الناس قد ذهبت منهم الأمانة). وهذا القول منسوب إليه ولكنى أشك في صحة نسبته إليه. فقد روى عنه أنه قال لأبى نجيح قرينه وتلميذه: (من قال واتقى الله خير ممن صمت واتقى الله) وهذا القول الأخير أصح سندا إلي طاووس، وهو الأليق بطبيعة شخصيته. وإن صح عنه القول الأول فلعله يقصد به علما معينا أو لعله قاله في ظروف خاصة... والله أعلم.

الحلقة الثانية

المسجد.. وطبيعة الحرية الفكرية



جامع عقبة بن نافع بالقيروان في تونس

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

حين نستعرض الألوان العلمية التي كانت تدرس في المسجد الإسلامي نرى أن المسجد قد احتضن كثيرا من أنواع العلوم، وأضاف إليها إضافات شبهية خصبية: فالفقه الديني العبادي.. والفقه السياسي التشريعي.. وتفسير القرآن وفلسفته.. وتقعيد اللغة والنحو.. ودراسة الحديث جمعا وشرحا.. وتاريخ الأدب نظما ونثرا.. وتأليف علم الكلام.. والتاريخ..

وتخطيط البلدان.. والرياضيات.. والطب.. والكيمياء.. والطبيعة.. كل هذه العلوم وجدت في المسجد أكاديمية رحبة الآفاق، فنمت في ظلالها وترعرعت، وبسطت ظلها الفينان على كل ما حولها ومن حولها.

وطبيعي أن هذه العلوم قد أخذت مكانها في المسجد على التدريج وليس طفرة واحدة، شأن كل جامعة أو أكاديمية، إنها تبدأ من محدودية معينة، ثم تأخذ في الانسياح والاندياح والتطور حتى تبلغ غاياتها مما تريد.. وهكذا فعل المسجد الإسلامي، فلقد احتضن في أول نشأته علوما معينة كالحديث والتفسير.. ثم تناول في آماده المتطورة ما جدّ في عصره من علوم، وما استحدث في زمانه من نظريات.

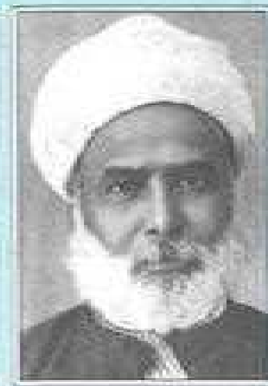
ولم تكن المساجد ذات صبغة واحدة تكرر نفسها.. أو بمعنى آخر لم تكن العلوم التي تدرس في مسجد كمسجد المدينة مثلا، كالعلوم التي تدرس في مسجد كمسجد الكوفة.. فلقد اشتهر الأول برواية الحديث وجانب من التفسير، واشتهر الأخير بالنحو وعلوم اللغة.. ربما لأن مسجد المدينة كان موئلا لكثير من الصحابة والتابعين الذين توفروا على دراسة القرآن ودراسة الحديث بما لديهم من وعي إيمانيّ كامل بحقيقة الثروة التي ينطوي عليها القرآن الكريم، وأحاديث الرسول العظيم، بينما كان مسجد الكوفة مثابة النحاة واللغويين، وبخاصة حينما انتقل إلى الكوفة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وشجع العلماء والباحثين على دراسة هذه العلوم والتعمق في قضاياها، ونستطيع أن نقول ذلك بالنسبة إلى مساجد كثيرة.. وتلك مأثرة أخرى من مآثر المسجد، فلو كان كل مسجد صورة مكرورة لكل مسجد، لكلّ ذلك المنهج العلمي الذي يدرسه، والمادة الفكرية التي يكبّ عليها، ولكنه عمل منذ بواكير نشأته على التخصص، سواء في شكل مساجد تدرس نوعية معينة من العلوم.. أو في شكل حلقات متخصصة في المسجد الواحد تدرس هي الأخرى نوعيات معينة من العلوم.

ويمتاز المسجد عن الأكاديميات الزمنية بكونه جامعة مفتوحة الأبواب، غير موصودة في وجه أي من الناس يقصدها ويتوجه إليها.. إنها دائما ممدودة الذراعين لكل راغب وطارق، ودائما ترتسم على شفتيها بسمة استقبال وإهلالة ترحيب. وليست كذلك المعاهد والجامعات والأكاديميات بكل ما يُثقل ظهورها من المراسم والقواعد واللوائح والقوانين والطقوس.. إن المسجد يتطلب حفنة من الماء تتوضأ بها جوارحك، فإذا أنت طالب منتسب ومنتظم.. تتلقى ليس في الحلقة وحدها، وإنما في الخطبة، والدرس،

والموعظة.. فإذا أنست من نفسك القدرة على العطاء انتقلت من صفوف المتلقين إلى صف القائلين، دون عنت من امتحان عشوائى، أو إجازة إلا من الكرام الحميمين.

إن الروح العلمى الذى ميز التلقى والعطاء فى المسجد عنه فيما عداه من معاهد أو مدارس أو جامعات، هو الذى منحه هذه الحرية العلمية المنطلقة، بكل ما فى كلمة الحرية من رحابة وائتلاق.. لقد كانت هناك فئات متعددة من المذاهب، واتجاهات متقابلة من الآراء، حتى ليحسب النظر العابر - لتراحب مدى الخلاف بين هذه الطائفة أو تلك - إنهما قطبان متعاديان لايمكن أن يلتقيا إلا ليفترقا.. ولكن النظرة الفاهمة المتأملة المستأنية فى تاريخ التعليم فى المسجد، أو فى ما انبثق عنه من تعليم مدرسى تابع له، تقفنا على حقيقة الروح العلمى المتحرر الذى كان يسود هذا اللون من ألوان النقاش والجدل وتلقى الثقافات.

يقول الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده فى كتابه: الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية: (إن التعليم عند المسلمين كان غريبا أمره، يكاد يكون خفيا سره، مسجد أو مدرسة تابعة لمسجد، يجلس فيها للتدريس الفقيه، والمتكلم، والمحدّث، والنحوى، والمتأدب، والفيلسوف، والفلكى، والمهندس.. ينتقل الطالب من بين يدى الفقيه ليجلس بين يدى الفيلسوف. ومن مجلس الحديث إلى مجلس الأدب.. وإذا وقعت مذاكرة بينهم فى مسألة من المسائل أخذت الحرية مأخذها فى الإقناع والإلزام، وسقطت قيمة الغلو فى التعبير، وأخذ التسامح بينهم مأخذه..



الإمام محمد عبده

كان عمرو بن عبيد رئيس المعتزلة وأشدهم صلابة فى أصول مذهبة، ومع ذلك فهو من مشايخ الإمام البخارى صاحب الصحيح، وكانت له منزلة عند المنصور تعلو كل ذى منزلة عنده، حتى قال له يوما وهو خارج من بين يديه: «رميتُ لكل الناس حَباً فلقطوا إلا إياك يا عمرو بن عبيد» فانظر كيف كان لإمام من أئمة أهل السنة أن يصل سنده فى الحديث برئيس من رؤساء المعتزلة ولا يرى فى ذلك بأسا؟» ص ١٣٠ - ١٣١.

إن المسجد بهذه الحرية الفكرية الرائعة قد حقق لونا من الروح الجامعى الأكاديمى المتسامح مازلنا ونحن فى القرن الواحد والعشرين ننشدها أو ننشد بعضها فى مدارس العلم وجامعاته فنجدها مرة هنا، وتخطئها مرات ومرات هناك.

هذه الحرية الفكرية الرائعة ذاعت ليس فى أوساط العلماء فحسب، ولكنها انتقلت إلى الخلفاء والأئمة والوزراء وقادة الفكر الدينى، فحركتهم جميعا فى اتجاه التسامح الخصب، وجمعت بين جميعهم على كلمة سواء، هى أن يكون الخلاف والائتلاف فى سبيل الإيمان الأنقى، ولا شئ غير ذلك على الإطلاق.

يقول الإمام محمد عبده مفتونا بروعة هذه الحرية، ومتجولا فى أبهائها:

آخذ بيد القارئ الآن وأرجع إلى ما مضى من الزمان، وأقف به وقفة بين يدى خلفاء بنى أمية، والأئمة من بنى العباس، ووزرائهم.. والفقهاء، والمتكلمون، والمحدثون، والأئمة المجتهدون من حولهم، والأدباء، والمؤرخون، والأطباء، والفلكيون، والرياضيون، والجغرافيون، والطبيعيون، وسائر أهل النظر من كل قبيل، مطيفون بهم، وكل مقبل على عمله، فإذا فرغ عامل من العمل أقبل على أخيه ووضع يده فى يده، يصافح الفقيه المتكلم، والمحدث الطبيب، والمجتهد الرياضى والحكيم.. وكل يرى فى صاحبه عونا على ما يشتغل هو به، وهكذا أدخل بيتا من بيوت العلم فأجد جميع هؤلاء سواء فى ذلك البيت، يتحادثون، ويتباحثون، والإمام البخارى حافظ السنة بين يدى عمران بن حطان الخارجى، يأخذ عنه الحديث، وعمرو بن عبيد رئيس المعتزلة بين يدى الحسن البصرى شيخ الفقه من التابعين يتلقى عنه، وقد سئل الحسن عنه فقال للسائل: «لقد سألت عن رجل كأن الملائكة أدبته، وكأن الأنبياء ربته، إن قام بأمر قعد به، وإن قعد بأمر قام به، وإن أمر بشئ كان ألزم الناس له، وإن نهى عن شئ كان أترك الناس له، ما رأيت ظاهرا أشبه بباطن منه، ولا باطنا أشبه بظاهر منه».. بل أرفع بصرى فأجد الإمام أبا حنيفة أمام الإمام زيد بن على صاحب مذهب الزيدية من الشيعة يتعلم منه أصول العقائد والفقه، ولا يجد أحدهما من الآخر إلا ما يجد صاحب الرأى فى حادثة ممن ينازعه فيها اجتهادا فى بيان المصلحة، وهما من بيت واحد.. أمر به بين تلك الصفوف التى كانت تختلف وجهتها فى الطلب وغايتها واحدة، وهى العلم، وعقيدة كل واحد منهم، أن فكر ساعة خير من عبادة ستين سنة، كما ورد فى بعض الأحاديث). (ص١٩٢-١٩٣).

هذه هى حقيقة الحرية الفكرية كما ينشدها العالم المتحضر، نراها ولدت فى رحاب المسجد الإسلامى، وبسقت فروعها وطالت حتى حطمت كل ما أمامها من سدود أو قيود، وانطلقت إلى غاياتها النبيلة فأثمرت هذا المد الفكرى العظيم الذى اكتساحت أضواؤه فى ربوع العالم من قديم، فشيدت حضارات، وساندت مدنيات، وخلقت موجة عارمة من الوعى العلمى الأكيد الذى عاشت عليه أجيال متلاحقة فى عمر هذه البشرية، ومازالت تعيش، إلا أن عجلة التاريخ المسرع العجلان، وما أثخن جسم الأمة الإسلامية

من جراحات وخطوب، قد باعد بين الجداول الدافقة وبين رافدها، فخيل إلينا أن الجدول يمتص حياته من شاطئيه، عندما توارى الرافد الواهب وراء جبال الضباب.

وينبغي - في النهاية - أن نفرق دائما بين العلم التجريبي الذى هو مناط الخبرة والممارسة والتجريب، وبين العلم النظرى الذى يحرس مسيرة هذا العلم التجريبي بما يقعد له من قيم، وما يؤصل له من أخلاقيات.. إن رحلتنا كانت مع ملامح العلم النظرى، ومع الحرية الفكرية التى واكبت مشرقه، ومع محاضنه الأولى (المساجد) فى احتوائها لمختلف الآراء والاتجاهات والأفكار، فإن نكن قد أفلحنا فى إلقاء بصيص، مجرد بصيص، على هذه الرحلة التاريخية الممتعة، نكون بذلك قد حققنا بعضاً من أمل يداعب خيال كل مسلم عاشق للحرية، مفتون بمساواة الآراء للآراء.

وقد كنا نود أن نلم بتاريخية أبرز المساجد الإسلامية التى أعطت للحركة العلمية عمرها كله: كالمسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجد قباء، والمسجد النبوى، ومسجد الكوفة، ومسجد البصرة، وجامع عمرو بمصر، والجامع الأموى بدمشق، وجامع الزيتونة بتونس، والمسجد الجامع بالقيروان، وجامع المنصور ببغداد، والجامع الأعظم بقرطبة، وجامع القرويين بفاس، والجامع الأزهر بالقاهرة.

إلا أن الاسترسال فى رصد تاريخية هذه المساجد قد يخرج بنا عن نطاق هذه السطور، إلى مدى متراحب ممتد.. ومن يدرى فقد نعود إلى ممارسة هذا الفعل، لنضئ جانبا من هذه القضية هو التاريخ، ونحدد جانبا آخر هو الدور العلمى والعقائدى.. وما أروع ما قامت به هذه المساجد من دور وتاريخ!!

المسجد.. وتطوير المجتمع المعاصر

كان المسجد الإسلامي - وينبغي أن يظل - قلب هذه الأمة النابض، وروحها الخالق، وعقلها الكبير.. وكانت أخطر الثورات العلمية، والاجتماعية، والروحية، تولد فى رحابه، وتترعرع بين جنباته وكانت منابره العظيمة، ومنائره الشاهقة، تشهد صراعات جيلية رهيبة، ولكنها أبدا لم تذب فى طوفانها الزاحف، ولم تنصهر فى أتونها المتضرم، وإنما وقفت شامخة باذخة أبية، تدفع السيل الداهم، وتذود العدو المهاجم، وتضئ منادح الليل العريض، وإن جرّح الصراع الدامى وجهها ويديها بين الحين والحين.

ولكن هناك حقيقة ثابتة تطل بوجهها السافر من ركام التاريخ الطويل.. هى أن المسجد أصدق مرآة تنعكس عليها صور المجتمعات فى عصور انحطاطها المظلمة، وأطوار نهوضها الجبار، ففى طور النهوض العلمى والاجتماعى يترجم المسجد فى

حلقاته ودروسه وخطبه عن مفاهيم هذا النهوض، ويقوم بدوره القيادى فى تعبئة المشاعر، وإلهاب العواطف، وإثراء الأحاسيس.. وفى الطور المقابل - طور التجميد والانحطاط - تبدو هذه الأضواء النابعة من قلب المسجد شاحبة أو ذابلة، أو نحيلة صفراء!!

ومن هنا.. نستطيع أن نفهم لماذا قامت بعض المساجد التاريخية بدورها الإيجابى الجليل فى عصر دون عصر، وفى طور من أطوار حياتها دون طور، إنها لم تتخل يوما عن رسالتها.. أبدا.. ولكنها ككل إطار مضئ شفاف تعكس ما يعيش فى داخلها من حركة أو جمود، إنها تنهض بنهوض مجتمعها الصاعد، وتتخلف بتخلف مجتمعها القاعد المشلول!!

ولقد فطن الاستعمار إلى خطورة المسجد، وإلى ضخامة العبء الذى ينهض به فى توعية الجماعات، وتحرير الجماهير، فنشر حوله سياجا حديديا من الطراد والاضطهاد، وجفف كل الأنباع والروافد التى تصب الحركة فى شريانه، وتبتعث الحياة بين جدرانه، فتهالك دور المسجد أو كاد، واستحالت مواعظه ودروسه وخطبه إلى لون من ألوان الترديد الباهت لأنماط من المفاهيم الجامدة التى لا تخدم غرضا نبيلا، ولا تحقق غاية هادفة، ولا تطور حقيقة من حقائق الزحف الحضارى الصاعد المأمول.

وفى غمار هذه المحنة القاسية التى ألمت بالمسجد، زحفت إلى منابره دواوين ابن نباته وأضرابه من المحرفين وأنصاف القارئين.. وكانت محنة ضارية عانى من ويلاتها المجتمع الإسلامى الذى عاش على خوائه الروحى كل هذه الحقبة الهائلة، فوقع إنسانه على الأرض مستعبدا، ووقعت أوطانه على الوحل أسيرة فى يد الأعداء.

وكان على الجماهير المسلمة أن ترفض هذه الوضعية الباهتة، وأن تنتفض على هذه الرجعية الفكرية الرهيبة التى شلت انطلاقنا العقلى، وكبلت زحفنا الحضارى، وقعدت بمفاهيمنا الروحية فى قطاع معتم يحيا بأنماطه وليل انحطاطه وراء جدران الخرافة.

كان على الجماهير المسلمة أن تنتفض على هذا الأسلوب المتزمت الجامد المكرور الذى ألف الوعظ المسجدى فى خطبه المحفوظة، وقوالبه الميتة، وأن تحيل التوجيه الدينى خلقا آخر، وأن تنزل المسجد إلى أرض المعركة يحمس ويدفع ويوجه، لا عن طرق الاستثارة العاطفية المعصومة، وإنما عن طريق الفهم الباحث فى أعماق النفوس، وزوايا العقول.. وكان إمام المسجد هو بداية البداية!!

إن المسجد حين يستحيل إلى جامعة رحيبة تحتضن ميلاد الفكر الجديد، وتشكل معالم المد الحضارى الزاحف، فإنه يتطلب فى إمامه أن يكون إنسانا مثقفا ناهضا لا يحيا وراء أقنعة الترهيب والترغيب، ولا

يعيش عالة على كتب سوداوية المزاج أو صفراء اللون، إن ترجمت عن مشاعر الأحياء يوما فليست بمستطيعة أن تترجم عن مشاعرنا نحن اليوم كجيل من الأحياء الآخرين، لأن لنا مفاهيم غير مفاهيم السابقين، وعصرا غير عصر الغاربين، مما يستحيل معه أن تكون صورة الماضى صورة للحاضر، أو أن يكون إنسان القرن الغابر هو إنسان القرن العشرين.

إن الخطيب فى المسجد مطالب اليوم بأن لا يلقن الناس أن الهروب من الحياة هو كل فضيلة البشر، أو أن الصبر الصابر البليد على الجوع والعرى هو كل سمات المؤمنين، أو أن الدنيا رهق من الأوهاق القابضة على أعناق الملايين والباسل هو من استطاع أن يجد طريقه إلى الخلاص الهارب من إساره.. أبدا لم يعد الخطيب فى المسجد مطالبا بالدوران فى هذه القوالب الميتة، ولكنه مطالب بأن يكون داعية من دعاة الحركة، وقائدا من قادة الفكر، ورائدا يرتاد بالملايين آفاق العالم المجهول لتستحيل الحياة إلى جنة خضراء، تزهر بالأمل، وتضج بالعمل، وتحتشد فى إيمان عميق باسل لانتفاضة ثائرة نحو غد أرغد ومستقبل رائع مشرق.

إن حلقات الدروس - هى الأخرى - ينبغى أن تكون مصدرا من مصادر الإشعاع الفكرى الذى يضىء الطريق للملايين، وبؤرة غنية من بؤر الوعى الدينى الهادف المتحرر الذى يفضح ليل الجهالة، ويمزق أسداف الخرافة، ويضىء فى كل الزوايا شمعة أو شمعات، إن هذه الدروس بما تشتمل عليه من تفسير، وحديث، وفقه، وعقائد، وتاريخ، واجتماع، وبما تحرص عليه من تلوين كل ذلك بلون واقعى مرتبط بواقع الجماهير، حتى تحس هذه الجماهير بأن الدين فلسفة هادفة تزاملها فى رحلة الوجود.. إلى جانب خطبة الجمعة التى تتناول كل أسبوع مشكلة من مشكلات الناس، أو قضية من قضايا البشر، أو أصلا من أصول العقيدة والفكر والأخلاق.. تستطيع فى ثقة واثقة أن تمهد للوعى، وتؤهب للانتفاض، وتواكب رحلة التاريخ فى سيرها الراكض العجلان.

ولا ينبغى أن ينسى المسجد أن من أخص خصائص رسالته تحفيظ الناشئة المسلمة كتاب الله الكريم، وبث المكتبات الحاشدة فى كل مسجد من مساجد القرى أو مساجد المدن، حتى يصبح لهذه المكتبات الإسلامية روادها الدائمون من شباب وشيوخ، وحتى تربط بفكر المكتبة الإسلامية المعاصرة بين الدين والواقع الجدلى، فتتحرك الحياة المسلمة على ضوء من الثقافة الشمولية، وفى إطار من حركة التاريخ الحى، وليس فى الظلام الخابط، أو هوة الفراغ المخيف!!

ولا نستطيع أن نهمل فى هذا الصدد ضرورة إعداد الأئمة إعدادا ثقافيا وعقائديا

حتى يقفوا على كل جديد فى ميادين العلم والفكر، وحتى تتاح لهم خبرات عميقة بعوالم النفس البشرية التى يتوفرون على التصعيد بها، وقيادتها فى أمانة إلى مدارج الخلود.. إن إعداد الأئمة على هذا النحو إنما هو إعداد لقوى التوجيه الهائلة فى المجتمع، ولقوى الكبح المطلوبة لكل تهور اجتماعى مريض!!

وإذا كانت الأمة الإسلامية باحثة بكل ما فيها من دفقات شعورية ووجدانية وعقلية عن ركائز صامدة، ودعائم واطدة، وأغوار بعيدة «للوحدة الإسلامية» فإن المسجد يشكل هذه الركائز ويمثل هذه الأبعاد.. أليست الوحدة الإسلامية بناء سامقا ضخما ينهض على أسس من العقيدة الموحدة، والتاريخ النضالى المشترك، واللغة العربية الباقية؟؟ نعم هذه هى الجذور الأولى.. فأين كان ميلادها الأول؟ وأين كانت مهودها الدافئة؟ أين كان مدرج شبابها العملاق؟.. إن العقيدة الإسلامية، والتاريخ الإسلامى، واللغة العربية، كلهم درجوا فى حجر المسجد الإسلامى وترعرعوا، حتى أصبحوا شبابا مكتمل الساعد والعقل والروح.

درجت العقيدة منذ يومها الأول فى هذا الرحاب وتعهدها النبى وأتباع النبى من بعده حتى بسقت فروعها وطالت، ودرج التاريخ فى هذا الحرم وتعهده الرواة والقصاص فى كل بلد من بلاد الإسلام حتى يومنا هذا، ودرجت اللغة العربية فى هذا الحمى بيانا معجزا فى قرآن الله، وأدبا نابضا فى سنة نبيه، ولهجة رائعة فى خطب الخطباء، ودروس الفقهاء، وشعر الشاعرين.

أفيبقى بعد ذلك شك فى أن المسجد الإسلامى هو أصل هذه الوحدة الواسعة العريضة التى نستطيع أن نفتح نوافذها المطلة على آفاق أبعد وأرحب يذوب فيها العربى وغير العربى فلا يبقى لواحد منهم وطن سوى وطن الإسلام، ولا جنس سوى جنس العقيدة، وحينئذ يهتف مع الشاعر القديم:

أبى الإسلام لا أب لى سواه
إذا افتخروا بقيس أو تميم

هذه بعض رسالة المسجد فى تطوير المجتمع المعاصر، فهل سيمكن المسجد من أداء رسالته، أم ترانا بقوة الدفع الذاتى إلى الوراء سنحيل المسجد إلى مجرد محراب يرفضنا حين نسجد فيه، لأننا سلبناه أروع أقماره المضيئة، وأخلد أدواره فى دفع حركة التطور وتمكين الجماهير من تحقيق وجودها فى الوجود؟

إن الأمل مصباح لا ينضب زيته، وتربة لا تكف عن العطاء، وإسلامنا قادر حتى فى أحلك الأطوار على أن يضىء كل مصابيح الأمل، وأن يفجر حتى فى الصخر كل فصول العطاء والبقاء!!

خطبة الجمعة

من آداب الإسلام

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصي

لك الحمد يا مصدر الكمال وواهب الجمال، أنت الذى تقسم المعايش والعطايا بين عبادك، فمنهم شقي وسعيد. وفيهم قريب وبعيد، والآخرة عند ربك للمتقين. نشهد أن لا إله إلا أنت تحصي القليل والكثير، وتحاسب على الفتيل والقطمير ﴿ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾[1] ونشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبدك ورسولك. خير من تأدب وأدب وقوم وهذب، فصدق فيه قولك الكريم:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2] فصلواتك اللهم وتحياتك ورحماتك وبركاتك عليه وعلى آله وصحبه، وجماعته وحزبه، أولئك الذين أشرقت أرواحهم بنور ربهم، فهدوا به فى أحلك الظلمات وأحرج الشبهات:

﴿ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[3].

---

(١) الأنبياء (٤٧). (٢) القلم (٤).

(٣) النور (٣٥).

يا أتباع محمد عليه السلام...

سأتعمد اليوم أن أترك خلفي ما تعارفتم على أنه من جلائل الأمور ومشاغل الصدور، فلن أتحدث عن هذه المشكلة ولا عن تلك المعضلة. مما يقلق المضاجع وتهتم له المجامع. ولكن سأتحدث إليكم عن أمر تحسبونه هينا وهو عند الله عظيم. ذلكم هو استخفاف الكثير منا بالكرامة الإنسانية والحرمة البشرية حين يسخر من صاحب العاهة أو يهزأ بمن نالته آفة، فيبدو فى صورة المعترض على الله، المتغطرس المتكبر على من سواه. وذلك داء يصيب الساخر فيجعله محطا لنقمة العزيز الجبار. مستحقاً للعنة وسوء القرار. وخذوا لذلك مثلا من بين مئات الأمثال:

شاهدت رجلاً متعالياً على خلق الله يؤنب رجلاً مكفوف البصر على خطأ ارتكبه، فسمعته يقول له ثائراً ساخراً «لا لوم عليك فإنك أعمى»! وكأنما جمع الرجل فى كلمة «أعمى» هذه كل صفات الإهانة والتحقير فنزلت على كاهل الرجل المكفوف صخرة حاطمة.. وكثيراً ما تسمع من لا خلاق لهم من الآدميين يقولون لمثل هذا المكفوف ساخرين «حقيقة إن كل ذى عاهة جبار» إلى غير ذلك من عبارات السخرية والاحتقار.

إن هذا أولا سوء أدب مع الخالق والمخلوق فلو أراد الله- سبحانه- لجعل الساخر البصر مكان المسخور منه الأعمى، فكان الواجب حينئذ على المرء أن يتذكر نعمة الله عليه ومقدار عطائه له، وأن يأسى ويأسف لحرمان المحروم مما تمتع به هو، وأن يسأل له من فضل الله وعوضه ما يجزيه خير الجزاء عما أصيب به من نقص فى جانب من جوانب خلقته، بدل أن يهزأ به ويسخر منه ويتندر عليه فيستوجب بذلك لنفسه المقت والغضب، ولذلك قال عبدالله ابن مسعود- رضى الله عنه: «إن البلاء موكل بالمنطق، ولو سخرت من كلب لخشيت أن أصير كلباً»!. وليس وراء هذا التحفظ والتحرز من عبدالله غاية لتباعد عن رذيلة الاستهزاء!

ولست أدرى والله لماذا يسخر الساخر مثلا من الأعمى؟ لئن كان الأعمى قد ولد مكفوف البصر فذلك سابق القضاء وحكم القدر، والسخرية مما سبق فى علم الله وجرى بحكمته وهداه محاربة له وتطاول عليه، ومن يفعل ذلك فقد باء بسخط من الله وعذاب شديد، وإن كان المكفوف قد فقد بصره فى حادث أو جهاد أو كسب رزق أو تحصيل علم فذلك شرف له، ومنزلة عليا تنتظره عند ربه، ليسعد يوم لقائه برؤية جلاله، والاقتباس من نوره والذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، ولذلك روى عن أنس- رضى الله عنه -عن النبى صلوات الله عليه عن جبريل عن رب العزة والجبروت، قال: «ياجبريل، ما ثواب

عبدى إذا أخذت كريمتيه (أى عينيه) إلا النظر إلى وجهى والجوار فى دارى!)[4]. قال أنس: فلقد رأيت أصحاب النبى ﷺ يبكون حوله يريدون أن تذهب أبصارهم (وذلك اشتياقا منهم إلى التمتع برؤية ربهم وهى نهاية النعيم فى جنات الخلود).. وحتى لو فقد المكفوف بصره فى معصية لكان مستحقاً للرحمة والرثاء بدل التطاول والاستهزاء. فرب معصية أورثت ذلا وانكساراً خير من طاعة أورثت عزا واستكباراً، ورأفتك بالمفرط المكسور عون له على أن ينجبر ويستقيم. وأما سخريتك منه فتحريض له على العناد والإبعاد فى مهاوى الفساد. لقد شرب رجل الخمر على عهد النبى ﷺ فضربوه حدا وتأديباً، فقال له بعض الصحابة: أخزاك الله!. فغضب النبى من ذلك وهتف: لا تقولوا هذا، لا تعينوا الشيطان عليه!.

قد يكون الرجل المكفوف البصر المزدرى فى أعين الناس كريماً عند الله رفيع المكانة لديه قريب المنزلة إليه لتفتح قلبه وإن ذهب نور عينيه، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور، فها هو ذا الصحابى الجليل عبدالله بن أم مكتوم يقبل على الرسول وهو مشغول بتذكير الزعماء الصناديد من قريش وهدايتهم إلى الله حتى يتابعهم سواهم، فلا يجهد الرسول فرصة عاجلة لينفرد بها بهذا المكفوف الساعى، فينزل الله -تعالى- سورة كتابه، يعاتب بها نبيه على إهمال ذلك الكفيف، فيقول -عز من قائل- معاتباً ومعرضاً ومورياً:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾[5]

ولا يصف القرآن الكريم ابن أم مكتوم هنا إلا بوصف «الأعمى» فى صراحة وجهر، وكأنه يريد أن يقول إن هذا الوصف الذى قوبل صاحبه بالإهمال أو الإمهال كان هو نفسه جديراً بأن يقابل بالرأفة والرحمة والاحتفال، وصلوات الله وسلامه على من أدبه ربه فأحسن تأديبه، وبعثه متمما لمكارم الأخلاق، وجعله على خلق عظيم، ولذلك كان الرسول إذا رآه بعد ذلك اهتم به وقال له: «مرحباً بمن عاتبنى فيه ربى، هل لك من حاجة؟»، وجعله خليفة وراءه على المدينة عدة مرات مع أنه كفيف لأن العبرة بجمال النفوس وطهارة القلوب وسعة العقول، ولذلك

---

(4) أخرجه البخارى.

(5) عبس [1-11].

كف بصر عبدالله ابن عباس فكان يقول:

إن يأخذ الله من عينى نورهما
فـفى لسانى وقلبى منهما نور
قلبى ذكى، وعقلى غير ذى دخل
وفى فمى صارم كالسيف مشهور

على أن ضياع البصر اليوم من الإنسان، وبقاءه فى الحياة بين هؤلاء الأحياء بدون عينيه يعتبر منحة لا محنة، إذ يستريح المرء بهذا من مطالعة كثير من المخازى ومشاهدة عديد من المآسى، ويعف نفسه عن معاينة تلك المفاسد المكشوفة والمحارم المتوفرة، فقد أصبحنا فى زمن وبيل عليل تترامى صوره وحوادثه أقذاء فى عيون الناظرين تغشيها وتدميها، ولقد كان الشاعر القديم يتطلع إلى دنياه فلا يرى فيها من أناسها من يستحق التأمل فيه أو الاعتماد عليه، ولذلك جعل يقول:

ما أكثر الناس، لا بل ما أقلهم
الله يعلم أنى لم أقل فندا
إنى لأفتح عينى حين أفتحها
على كثير ولكن لا أرى أحداً

فكيف لو تأخر الزمن بهذا الشاعر حتى أدرك زماناً تعيش فيه بأبصارنا، ونحن نتمنى أن نفقدها لنستريح من خزى ما نرى ونشاهد؟ ماذا كان يقول لو أدركنا زماناً كذا الزمان أهون ما يوصف به أهلوه قول القائل:

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم
والمنكرون لكل فعل منكر
وبقيت فى خلف يزكى بعضهم
بعضاً ليدفع معور عن معور

وتاريخ المسلمين الطويل العريض يفيض بمفاخر العظماء الأبطال المكفوفين الذين لم تحل هذه العاهة بينهم وبين أن يكونوا فى طليعة الأئمة من الفقهاء العلماء الأدباء الشعراء وها هو ذا شوقى يخاطب ملكاً مصرياً فى شأن من يضمهم الأزهر المعمور من مكفوفى الشيوخ والشباب فيقول له مشيداً بهم مفاخراً بشأنهم:

نظراً وإحساناً إلى عميانه
وكن المسيح مداوياً ومجبرا
والله ما تدرى لعل كفيفهم
يوماً يكون أبا العلاء المبصرا
لو تشتريه بنصف ملكك لم تجد
غبناً وجل المشترى والمشترى

وحتى لو قصر الكفيف أو تقاصر عما يسبق إليه غيره من أعمال ومهام، لما كان ذلك مجوزا لنا أن نشتط معه فى الحساب، أو نغلظ له فى الخطاب، لأن الحق - تبارك وتعالى -قد جعل عاهته وما شابهها مسوغا للمعذرة وسبباً لعدم الحرج حيثما يجب أن لا يعتذر غيرهم من الناس فقال القرآن الكريم:

﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾[6].

ومن هنا كان واجباً على ذى الخلق الشريف أن يحسن التصرف والخطاب مع ذى الكفيف، وأن يتجنب معه ما يثير فى نفسه ألم الحسرة على فقدان ما فقد من نعمة يتمتع بها سواه، ولقد أعجبت بأدب شاب جلس يقرأ علينا قصيدة يصف فيها صاحبها مدينة خربتها إغارات الأعداء، وكان فينا رجل كفيف حساس، وكان فى وسط القصيدة هذا البيت:

مشى الموت فيها «ضرير» الخطا
ينقل فى كل بيت قدم

فلما وصل الشاب إلى هذا البيت تخطاه ولم يقرأه، وكنت أعلم بوجوده فيها فلما انفردت به سألته عن سبب تخطيه له، وأنا أريد أن أؤكد ظناً كريماً جال بخاطرى عن تصرفه. فقال: لقد تحت كلمة «ضرير» فى البيت قبل أن أنطق به، فخشيت أن تجرح إحساس «فلان» فتخطيته! فشكرت له صنيعه، وتمنيت لو أن مثل هذا الشعور الرقيق يسرى فى صفوف الجميع!!

يا أتباع محمد عليه السلام...

سخرية القوى بنقص الضعيف ليست من شيم الرجل الأصيل، والتذكير بالعورات أو التندر بالعاهات ليس من طبع المسلم النبيل، والمرء يفقد إنسانيته أول ما يفقد حين يسمح لنفسه الأمارة بالسوء أن تستطيل بالاستهزاء أو الاستخفاف على رجل امتحنه الله وابتلاه لحكمة يعلمها ولا تعلمها؛ بعلة مزمنة أو عاهة دائمة، وما كانت مكانات الرجال لتقاس يوماً بالأجسام أو الأشكال، ولكنها تقاس بالأخلاق والأعمال، فطهروا ألسنتكم من خنا القول وفحش التعبير، وانطلقوا تحت لواء الله إلى دنيا عريضة من مكارم الطباع ومحاسن الشيم وفضائل الآداب:

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾[7]

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾[8].

قال عليه الصلاة والسلام: بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه.

وقال عليه السلام فيما يرويه عن ربه: إذا أخذت كريمتى عبدى فى الدنيا لم يكن له جزاء عندى إلا الجنة.

---

(٦) النور (٦١). (٧) المائدة (٨٨). (٨) النحل (١٢٨).



من الأدب القرآنى الحكيم

كلمتان

للأستاذ/ محمد مصطفى البسيونى

فى مقتبل حياتنا العملية حيث كنا لم نزل فى (شرخ الشباب) كما يقولون كان لى زميل فى العمل قتلته كلمة، أحالت زوجته إلى أرملة، وأبناءه إلى يتامى، وأبويه الشيخين إلى تعيسين يكادان يسألان الناس إلحافاً، ولك أن تتصور إن أردت، أو تتخيل إن استطعت مستقبل تلك الأسرة التى تاهت فى زحمة الحياة بلا يد تعول أو قلب يحنو.

دخل مدير العمل الذى يعمل فيه فقيدنا وهو يرغى ويزبد بلا سبب معروف، وكأن الشيطان يسوقه سوقاً أو كأن هناك - خارج العمل - من أهانه أو أساء إليه فداخلته نزعة الانتقام من برىء يعمل فى صمت. ثم صاح فى وجه مرءوسه الهادىء الوديع بكلمة نابية لا تكتب ولا تقال وليس وراءها ذنب مقبول، أو عذر معقول فما كان من الموظف الهادىء الوديع الذى عرف بين أقرانه بدماثة الخلق وأمانة العمل، إلا أن سقط فوق مكتبه صريعاً، وقد فسر الطب ذلك الموت المفاجىء بأنه ناشىء عن صدمة عصبية شديدة الوطأة عطلت القلب والمخ جميعاً.

وفى المقابل كان لنا زميل فى العمل أكره على وظيفته إكراهاً لأنه كان يطمح لوظيفة أخرى تتفق مع تطلعاته الشبابية وأمنياته العذاب. وأثناء زيارة أحد الرؤساء للعمل أحس ذلك الرئيس - بخبرته الواسعة وحدسه الشفاف وروحه المحبة - أن هذا الموظف لا يميل إلى هذا العمل، وأنه يؤديه على مضض فأخذ يشرح له بدايات حياته الشخصية العملية وكيف كان لا يميل إلى عمله فى أول الأمر ثم بشىء من قوة الإرادة وصدق العزيمة والتجاوب مع متطلبات العمل نجح فى عمله، ولما كان النجاح يولد النجاح -

كما يقول علماء النفس ـ فقد بدأت سلسلة نجاحاته حلقة حلقة حتى أحب عمله بل عشقه ودرج فى سلم الترقى إلى أن أصبح فى عمله ذاك القيادى المرموق، وقد نجح ذلك الرئيس الرائد الواعى المستنير فى اجتذاب اهتمام صاحبنا اليائس الراقض حتى غرس فى أعماقه الأمل، فأحب العمل حتى أصبح فيما بعد قيادياً ناجحاً يذكر رئيسه السابق بالخير، ويحلو له دائماً أن يعرض قصته معه على مرءوسيه فى برامج التدريب المهنية، ويدعو الله له بالرحمة والغفران جزاء أثره الطيب فى حياته ومستقبله، بل أصبح صاحبنا ينهج نهج رئيسه ذاك ويسير مساره فى التعامل مع مرءوسيه حتى أحاطوه بالحب والتقدير والإعجاب.

وهكذا نرى أنفسنا أمام موقفين متقابلين بنى كل منهما على كلمة، فأما الموقف الأول فقد تشعب عن كلمة شريرة قاتلة تحمل معاول الهدم والانهيار وتشيع السوء والدمار، وكفاها بغضاً ونكراً أنها أدت إلى قتل نفس بغير النفس.

وأما الموقف الثانى فقد تشعب عن كلمة خيرة تعمل على البناء والارتقاء، وتشيع الخير والنماء وحسبها توفيقاً ونجاحاً أنها ساعدت على إشاعة الأمل وحب العمل بين القانطين.

فأى الكلمتين تسير بين الناس بالخير والعمران المكين، وأيهما تؤدى إلى الخسران المبين؟

وأيهما تستجيب لحكمة الله - عز وجل - فى خلافة الإنسان فى الأرض، وأيهما تسير فى ركب الشيطان المريد الذى آلى على نفسه أن يقعد لابن آدم الصراط المستقيم؟

﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[1].

تلك مواقف ميدانية يعرف الناس منها نماذج وأماثيل، ولقد ذكرت هذين المثلين المتضادين من أمثلة المواقف البشرية والمعاملات الإنسانية وأنا أتأمل قول المولى - سبحانه - فى قرآنه المجيد:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾[2]

وهكذا يلفتنا سبحانه وتعالى إلى أنماط متفاوتة فى علاقاتنا البشرية فى الحياة العملية والسلوكيات اليومية التى تدعمها كلمة، وتوهنها كلمة، يلفتنا سبحانه إلى

(1) الأعراف (16).

(2) إبراهيم (24: 26).

ذلك فى توجيه المبدع، وعلم الخالق، وبيان الحكيم.

وانظر إلى تشبيه الكلمة بالشجرة، إذ أن الكلمة عندما تخرج من فم صاحبها تتفرع وتتشعب وتسير بين الناس يتناولونها بالتأويل، ويتبادلونها بالتحليل، فهى كالشجرة التى تتفرع إلى فروع، والفروع إلى فروع وهكذا.

ثم تأمل الفرق بين الشجرة الطيبة والشجرة الخبيثة وكيف تقوم الشجرة الطيبة على جذور متينة راسخة فى أعماق الأرض لا تعصف بها الأعاصير ولا تلعب بها الأنواء، إنما هى تقف فى ثقة وكبرياء ـ بلا تكبر ـ تفيض على الناس بما يشتهونه بدءاً من الظل الظليل إلى الزهر الجميل ثم الثمر الشهى النافع الذى ينقل عناصر الأرض إلى مكونات الإنسان فيتناولها هنيئاً بمنظرها السار، مريئاً بتفاعلها مع مقومات النمو وأسباب الحياة.

بينما الشجرة الخبيثة ليس لها أصول تستند إليها ولا جذور تمدها بمقومات العيش والثمار، فهى لعمرك شجرة (زائفة) لا تستفيد من العناصر الحيوية فى الأرض ولا تفيد غيرها بالظلال أو الثمار، وهى خبيثة لأنها تظهر على غير حقيقتها كما أنها لا تقوم بمهمة الشجرة وإنما تتظاهر بالشكل دون الجوهر[3].

فما أشبه الكلمة الخبيثة بها حيث تسير بين الناس بالزيف الذى يحسبه الساذج حقيقة فلا يلبث أن يقع فى حبائله، وبالخداع الذى يظنه الجاهل حقاً، وتشتجر فروعها بالكذب، والنفاق، والرياء، والغيبة، والنميمة، والخيانة، والغش، وغير ذلك مما يعمل على الهدم والدمار فى الأفراد والأسر والجماعات بوجه عام.

وصدق الله الحكيم العليم الذى شبه الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة وشبه الكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة، فأنت ترى أن الكلمة الطيبة فيها كل خصائص الشجرة الطيبة وهى «النخلة» فيما روى عن النبى ﷺ بينما الكلمة الخبيثة تحمل صفات الشجرة الخبيثة وهى التى يروى أنها «الحنظلة» كما ورد فى الحديث الشريف.

وهى أمور تدعو إلى التأمل الدقيق، والتفكر العميق حتى يكون لها صداها فى حياتنا العملية، فحاشا للقرآن الكريم أن يكون قد أنزل إلينا من اللوح المحفوظ لكى نتناوله بمجرد التغنى والتنغيم، والصياح الأبله العقيم، ولم يكرمنا به المولى - سبحانه - لكى نقرأه فقط على شواهد القبور أو نتفنن فى نقشه على لوحات ذات

(3) اجتثت: أى استؤصلت وأخذت جثتها بالكلية (البيضاوى).

أطر، تعلق على جدران البيوت والحوانيت، أو المركبات، أو يودع مغلقاً دون افتتاح ببعض الأماكن بدعوى التيمن والبركة. إن القرآن لم ينزل لهذا ولكن ليكون نبراساً هادياً ودواء شافياً للكيان البشرى فى عباداتنا ومعاملاتنا حتى ينعكس هذا على معاملاتنا اليومية وذلك حين نعرف أنه ما من يوم ينشق فجره إلا نادى مناد كل صباح قائلاً: يا ابن آدم، أنا يوم جديد، وعلى عملك شهيد فاغتنمنى فإننى لا أعود.

نحن إذن مطالبون مع مطلع كل صباح بالعمل القرآنى الرشيد ميداناً استجابة لقول المولى سبحانه:

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[4].

ولا عمل بغير فكر ولا فكر بغير كلام، ومن هنا كان لابد لنا أن نتحرى الطيب فى كلامنا حتى ينم هذا عن فكرنا السليم وعملنا القويم.

ومسئوليتنا نحو تربية الناشئة فى هذا المضمار مسئولية عظيمة وجسيمة، إذ ليست مهمة الأسرة حشو بطون الأبناء بالطعام، وليست مهمة دور العلم حشو أدمغة الدارسين بالمعلومات وليست مهمة مؤسسات التنشئة الأخرى حشو كيانات الجماهير بما لا يجدى فى تنمية الناشئة وفق القيم الدافعة إلى الحق والخير.

ولكن هذه الروافد التربوية ينبغى أن تكون جادة وفعالة فى الأخذ بيد الأجيال إلى البناء الإيجابى المنشود للفرد والجماعة فى إطار من الأخلاق والسلوكيات الحميدة التى ينشدها الدين والمجتمع جميعاً.

وعندما كنت أشارك - بحكم عملى - فى المسئولية التربوية كنت أقول دائما للزملاء والأبناء من المربين: إننى أعتقد جازماً أن المعلم هو من أوائل من يسأل يوم القيامة لأنه لا يعالج جسما فقط ولا يرعى عقلاً فحسب ولا يهذب وجداناً ليس إلا، ولكنه يبنى شخصية الناشىء كلها التى تتفاعل فيها هذه المقومات الجسمية والعقلية والوجدانية والاجتماعية فى منظومة عضوية يأخذ بعضها برقاب بعض - كما يقولون - حتى تصبح الشخصية كياناً سوياً يؤثر ويتأثر، ويفعل وينفعل نحو هدف سام محدد دون تشتت أو ضياع، ودون تمزق أو صراع.

ومن أبرز ما يعين الناشىء على اصطناع الكلمة الطيبة هى القدوة الطيبة التى تقول ما تفعل وتفعل ما تقول حتى لاتفقد مصداقيتها أمام المتلقى.

(4) الأنعام (153).

وصدق الله عز وجل من قائل:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[5]

وينبغى أن نتأمل كلمة ﴿ كَبُرَ مَقْتًا ﴾ هذه وألا نمر عليها (مر اللئام) فما أبسط ما نعى منها أن تعارض القول مع الفعل لا يتفق مع العقيدة الصادقة إذ يريد الله - عز وجل - فى الخليقة بشراً جديرين بربوبيته سبحانه، خليقين بألوهيته جل وعلا.

وغنى عن البيان أن المصطفى ﷺ كان نعم القدوة التى وصفها الله - سبحانه - بأنها: ﴿ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[6] وقل ما شئت من معانى الخير والبر والكمال التى تحملها كلمة ﴿ حَسَنَةٌ ﴾ هذه، إنها تعنى سيرة النبى ﷺ كلها فى سلوكه مع نفسه ومع الناس ومع الله من إيمان تقى، وروح رضى، وفكر ذكى، وخلق زكى، ولسان نقى، وغير ذلك مما يجل على الوصف، ويدق عن الإدراك، فأنى تأملت فى جوانب شخصيته المحمدية المطهرة وجدت موطناً عظيماً من مواطن القدوة العملية الميدانية السلوكية اليومية التى لا يشوبها الغموض ولا يلفها التهويم أو التعتيم، وحاشاه وهو ذو الخلق العظيم الذى أراد بمشيئة الحق أن يضىء للإنسان آفاق فطرته الشفافة الفعالة الإيجابية التى فطر الله الناس عليها، والتى ينبغى أن يعيها تمام الوعى أتباعه وأحبابه ومريدوه حتى لا تجرفهم السلبية الهدامة فى عصور تهرول على غير هدى فى مهاوى الانجراف والانحراف.

إن النبى ﷺ لا يرضيه أن نتغنى بخلقه العظيم، وقدوته الحسنة، بينما نحن فى واد آخر بعيد كل البعد عن التأسى بخلقه والاقتداء بسنته التى لا تنطق عن الهوى.

وعندما نتحدث عن الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة لا ننسى ما يصادفنا فى كثير من مناحى الحياة العملية من كلمات تلوكها الألسن فى البيوت وتصيح بها الحناجر فى مقار العمل، بل وفى الطريق العام الذى يحضنا الرسول الكريم ﷺ على احترام آدابه فينبهنا - عليه السلام - إلى أن للطريق علينا حقوقاً يجب أن نرعاها، فإذا بنا نسىء إلى هذا الطريق بما يخرج من الأفواه من كلمات بذيئة وسباب فاجر مرذول، حتى ازدادت الطرقات تلوثاً على تلوثها. وفى هذا السياق ينبغى أن نقول إن الذى نعانى منه فى

(5) الصف (2، 3).

(6) الممتحنة (4).

أجوائنا وبيئتنا الطبيعية ليس (تلوثا) وإلا كان هذا (التلوث) أمراً ذاتياً فى هذه البيئة أو الأجواء وإنما هو (تلويث) لأنه من صنع أيدينا، فالله - سبحانه - قد خلق للإنسان البيئة نظيفة نقية مسخرة لنفعه وليس لضره، والإنسان هو الذى بدل نعمة الله كفراً فأحل قومه دار البوار.

إن الوصايا القرآنية والمحمدية هى الطريق المستقيم الوحيد الذى يأخذ بيد الفرد والجماعة والأمة إلى خير الدنيا والآخرة.

ومن هذه الوصايا الخالدة الرائدة ما يتعلق بترويض اللسان، وانتقاء الكلمات «إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقى لها بالا يهوى بها فى نار جهنم» رواه مالك فى «الموطأ» عنه ﷺ.. وطبعاً هذه الكلمة الخبيثة التى ينتظرها جحيم الآخرة قد فعلت الأفاعيل بصاحبها - وبالناس - وهو لم يزل على قيد الحياة.

ومما يذكر لأصحاب (المنطق) قولهم إن الكلمة المنطوقة فى الواقع هى تعبير عن فكرة سبقت فى العقل (فاللغة هى الفكر المنطوق) كما يقولون، ومن هنا كان كلام المرء تعبيراً عن فكره، وترجمة لشخصيته، ولعل هذا هو ما أدى إلى الحكمة البليغة التى تقول «إن المرء مخبوء تحت لسانه».

وبعد، أفلا يجدر بكل منا أن يستشعر خطورة الكلمة تخرج من فمه فلا يستطيع التقامها مرة أخرى، فتسير بين الناس مشيرة إليه، ومتحدثة عنه، وتحسن إليه أو تسيء، قبل أن تحسن أو تسيء إلى الآخرين، وصدق رسول الله ﷺ وهو القائل فيما رواه مسلم «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت».

ثم ألا يجدر بكل منا أن يتقى الله - عز وجل - فى تنشئة الأجيال على سلامة التفكير وحسن التعبير.

جعلنا الله من الذين قال فيهم القرآن الكريم:

﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾[٢].

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

***

(٢) الحج (٢٤).

التاريخ والسنن الإلهية.. علوم محققة

للدكتور/ عبد الحليم عويس

- لكى يكون ثمة إعجاز، لابد أن يكون التعامل مع حقائق، سواء كانت هذه الحقائق موضوعية علمية، أم قيمية، أم جمالية.

- وفى حقل التاريخ والحضارة لابد أن يقوم الأمر على «حقائق موضوعية» تجعلنا نقف فوق أرضية «علمية» «ثابتة».. ومن هنا كان الإيمان «بعلمية التاريخ والحضارة» وخضوعهما لقوانين، هو الطريق لتحقيق التقدم فى «علم التاريخ والحضارة»..

- لقد قال بيورى، المؤرخ الانجليزى J.B.Bury (١٨٦١-١٩٢٧م): «إن التاريخ علم لا أكثر، ولا أقل»!.

وإذا كان التعريف المقبول عند «أكتن» هو «اجتماع طائفة كبيرة من الوقائع المتشابهة، بحيث تنشأ عن اجتماعها وحدة عامة على هيئة مبدأ وقانون، يمكننا على وجه اليقين من التنبؤ بحدوث وقائع مشابهة للوقائع المذكورة فى ظروف معينة».

فإننا فى ضوء هذا نستطيع القول: إن التاريخ هو علم بيقين، كما قال بيورى.

ويعلق المؤرخ الدكتور محمد فتحى عثمان على هذا الفهم للتاريخ - كعلم - بقوله:

على أن العلم، وإن كان دائب البحث وراء القوانين العامة دائم الحرص على أن يوهب هبة التنبؤ، فإنه قد يعجز عن بلوغ هدفه، ثم لا تنزع منه صفته، ولم تصل المتيورولوجيا «علم ظواهر الجو» غالباً إلى تعميمات - وخاصة بالنسبة لجو انجلترا، لأن القوانين التى بمقتضاها يقع التعاقب بين ضوء الشمس وهبوب العاصفة لم تُستكشف بعد، ولأن التنبؤات تُخطئ من حيث النسب الصحيحة بحسب حظها من الدقة، ومع ذلك فما من أحد ينكر أن المتيورولوجيا علم[١].

وعلى هذا الأساس انتهى المستشرق هرنشو إلى تعريف العلم تعريفاً جامعاً مانعاً ميسراً - فى رأيه - بأنه: «المعرفة المنظمة، المبوبة، المقننة» وأنه بالتالى يكفى فى إسناد صفة العلم إلى أى موضوع، أن يمضى الإنسان فى دراسته، يتوخى الحقيقة ويتحرى الفهم الذكى لما يتصل بحقيقة موضوعه من حقائق، ويتجرد

(١) د. محمد فتحى عثمان: المدخل إلى التاريخ الإسلامى ص ٣٠، ٣١ ط دار النفائس الطبعة الأولى ١٤٠٨/١/٨هـ ١٩٨٨م بيروت.

عن الهوى، ثم يرد بقدر الإمكان كل ما يعلم إلى المقومات الثلاثة: التنظيم، والتبويب، والتقنين، وبعد هذه الحيثيات يصدر هرنشو حكمه: «فإذا تقرر ذلك، فليس ثمة مسوغ لأن نتعجل بإسقاط التاريخ، أو أي موضوع آخر من عداد العلوم».

ويدعم هرنشو مذهبه الذى استراح إليه فى تحديد مدلول العلم بطائفة من الأقوال؛ منها ما يقوله توماس هكسلى فى عبارته: «إننى أقصد بالعلم كل معرفة تقوم على الدليل والاستنباط»، وما يقوله ألكسندر هل ALex.Hill: «كل معرفة معقولة فهى علم». «العلم معرفة روعيت فيها الأوضاع الصحيحة»، وما يقوله كارل بيرسن Karl Pearson: «وظيفة العلم تنحصر فى تقسيم الوقائع، ومعرفة تتابعها، وأهميتها النسبية» وما يقوله تجارت F.J.Teggart: «العلم مجرد البحث المنظم للتصرفات التى تبدو فى الظواهر الطبيعية».

والتاريخ يفيد «البحث» ـ كما يشير أصل معنى اللفظ فى اليونانية، أو «التعلم بوساطة البحث، أو «المعرفة عن طريق البحث» وبهذا يكون علماً.

لكن الدكتور محمد فتحى عثمان ـ تعليقاً على هذه الآراء يتساءل:

ولكن «التاريخ» من أى العلوم هو؟.

إنه ليس كالفلك، علم معاينة مباشرة..

ـ ولا كالكيمياء، علم اختبار وتجربة....

ـ لكنه علم نقد وتحقيق.

.. ومن جانب آخر يرى الأستاذ هرنشو أن أقرب العلوم الطبيعية شبهاً بالتاريخ هو «الجيولوجيا»،... فالجيولوجى يجد مادته الأساسية فيما سلم من نفايات الطبيعة من أدلة قليلة تثبت التطورات الجيولوجية القديمة. ويعتمد المؤرخ فى معرفة الوقائع الماضية على آثار أو سجلات أو تقاليد سلمت مصادفة واتفاقاً من عوادى الزمن، قيمتها فى دلالتها على الماضى، لا فى ذاتها. وهذه الدلالة ليست مباشرة، ولكنها تكون من خلال فكر الباحث، لأن الوقائع والآثار مغمورة فى محيط من الآراء والإرادات والانفعالات التى كانت تلك الوقائع والآثار معبرة عنها أو أثراً لها، وهذه كلها خارجة عن متناول المعاينة المباشرة حتى بالنسبة لمن كانوا شهود العيان، وعلى المؤرخ أن يقوم «بالجراحة النفسية والعقلية» ليستشرف هذه العوامل الخفية[٢].

لكن الدكتور محمد فتحى عثمان يرفض القرابة بين التاريخ الإنسانى والجيولوجيا قائلا: «إن تشبيه التاريخ بالجيولوجيا، تشبيه مع الفارق....»[٣].

(٢) هرنشو: علم التاريخ: ترجمة عبدالحميد العبادى ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر: القاهرة ـ الفصل الأول ص ١-١٣، وانظر د. فتحى عثمان المرجع السابق ص ٣٢.

(٣) د. محمد فتحى عثمان المرجع السابق ص ٣٢.

ومعذرة للأستاذ هرنشو، فالصخور الصلدة التى تعمل فيها عوامل الطبيعة بالالتواء والانكسار والخفض والرفع، والتعرية والنحت... إلخ، شواهد «محايدة» لأنها سلمت من أيدى الإنسان، وأهواء الإنسان!!.

أهواء الإنسان لم تصنعها، وأهواء الإنسان الذى يدرسها بعيدة عنها، ليست هناك بينه وبين الجرانيت والبازلت صداقة أو عداوة.

لكن وثائق التاريخ صنعتها يد إنسان، ويدرسها عقل إنسان.

«إن الجيولوجيا مادتها الصخر.. والصخر لا يكذب، وليست له مصلحة فى الكذب، لكن التاريخ مادته «الإنسان»... وكفى»[٤].

ـ ولعلَّ أستاذنا الدكتور فتحى عثمان يقصد من «المادة الإنسانية» أنها مادة مركبة تتنازعها التيارات، ولا يمكن ضبط إيقاعاتها، لكننا نؤمن بأن هذه الحرية للإنسان لا تعنى خضوعه لقوانين وثوابت... ولهذا يمكن أن يخضع للعلم.

ـ وثمة رؤية أخرى جديرة بالتقدير فى إطلاق مصطلح «علم» على التاريخ، بل وعلى أكثر العلوم الإنسانية فقد كتب شارل سنيوبوس المؤرخ الفرنسى، فى رسالة له عام ١٩٤١ يقول:

«التاريخ علمٌ ما فى ذلك ريب، لأننا نستطيع أن نطلق كلمة علم على كل من الوقائع، فهو علم الوقائع التى تتصل بالأحياء من الناس فى مجتمع خلال توالى الأزمنة فى «الماضى» ويدخل فى عداد العلوم الوصفية، وهى تختلف عن العلوم العامة اختلافاً بيِّناً، فالعلوم العامة «الميكانيكا، الفيزياء، الكيمياء، علم الأحياء...» تعمل لاكتشاف قوانين، أعنى متوالية ثابتة من الظواهر التى هى من «نوع واحد» ضاربة صفحاً عن الأحوال الواقعية الزمانية والمكانية الأخرى لأن هدفها التنبؤ بما سيكون فى أحوال معلومة. أما العلوم الوصفية فتسعى لمعرفة وقائع جزئية، فتبحث كيف تتوزع، إما فى المكان وحده: «علم الكون وعلم الجغرافيا، علم المعادن، علم النبات، علم الحيوان»، أو فى المكان وتوالى الأزمنة معاً: «الجيولوجيا، علم العصور التاريخية العتيقة» وإلى هذا النوع الأخير ينتسب التاريخ أيضاً، لكن له وضعا نسيجا وحده، فبينما جميع العلوم لا تعمل إلا فى نوع واحد من الظواهر، نجد التاريخ يجب أن يدرس فى آن واحد وقائع مادية تُعرف بالحواس «أحوال مادية وأفعال بنى الإنسان»، ووقائع من طبيعة نفسانية «عواطف، أفكار، دوافع» لا يدركها إلا الشعور، ولا سبيل إلى الانصراف عنها لأنها توحى للناس بسلوكهم وتقود أفعالهم»[٥].

(٤) د. محمد فتحى عثمان المرجع السابق ص ٣٣.

(٥) نفس المرجع السابق ص ٦٣ ـ ٦٤.

وهذه الأقوال ـ مع تقديرنا لها ـ لا تنفى العلمية بحجة خصوصية علم التاريخ كعلم يعمل فى محيط المعنويات والماديات، والنفس، والفكر، والعقل، والمادة، والشعور، واللاشعور، وإلا فنحن سنحطم علمية كثير من العلوم الاجتماعية والسلوكية... التى تكاد مناهجها تقترب من العلمية الطبيعية!!.

والحق أن الحديث حول «علمية» كثير من الدراسات الإنسانية يتعرض لاختلاف شديد... ولايزال كثير من العلماء يعارضون فى «علمية» علم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم الاقتصاد.. اعتماداً على أقوال شبيهة بالأقوال السابقة فى التاريخ!!.

ـ وإذا كان هذا الخلاف قائماً حول هذه العلوم التى قطعت شوطاً بعيداً فى بناء أركانها وقواعدها، فإننا يجب أن نتوقع خلافاً كبيراً حول «تفسير التاريخ» الذى يقوم على رؤية أقرب إلى الافتراضية، ويلتزم بنوع من التعميمية يصعب التأكد منها، على النحو الذى نستطيع به أن نتأكد من التعميمية فى قوانين الطبيعة.

لكننا ـ فى الحقيقة ـ نجد أنفسنا، فى قضية تفسير التاريخ، تتكئ على أمرين مهمين:

أولهما: أن تفسير التاريخ يخضع بقدر كبير للبناء الفلسفى كله، ذلك الذى ينتظم بقية العلوم، كفلسفة علم الطبيعة، وفلسفة الفكر، ولا نعتقد أنه من السهولة إخراج كل «الفلسفات» من ميدان العلوم، مع أن هذه «الفلسفة» فى إطاريها «الكونى والبشرى» قد قدمت الكثير من الخدمات للإنسانية، بل إنها وراء التقدم الذى انتهت إليه الحضارة المعاصرة، ولا سيما فى المجال الطبيعى.

والآخر: أن تفسير التاريخ، وإن كان رؤية ذات اتصال بالجوانب الشخصية والخلفيات الثقافية، إلا أنها تتكئ على الواقعات التاريخية المتشابهة، فهى تقوم بما تقوم به بقية العلوم.

فابن خلدون ـ قبل أن يصدر أحكامه ـ قدم شرائح متعددة من التجارب التاريخية، استقى منها قوانينه العمرانية ـ وإذا كان البعض يأخذ على ابن خلدون أنه أخذ أمثلته من شعوب المغرب والأندلس، دون أن يمد الطرف قليلاً، إلى غير بيئته وعصره ـ فإن مفسرى التاريخ الأوروبى كثيراً ما قصروا نماذجهم على التاريخ الأوروبى بأجنحته الثلاثة: «اليونانى والرومانى والحديث» فالاستقراء التاريخى الكامل غير ممكن. ولئن كان الانتقاء عملاً معيباً فى المنهج العلمى عموماً؟. لأنه يؤدى إلى نتائج سيئة؛ فإن هذا يعتبر عيباً فى المنهج أو فى الاستقراء، لكنه لا يحول دون العلمية أو على الأقل دون دفع حركة البحث الاستقرائى إلى مزيد من التنوع والشمول؛ وصولاً إلى العلمية.

***



حمد الجاسر
محققاً للتراث العلمى (*)

للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا

الشيخ حمد الجاسر، علامة الجزيرة العربية (١٣٢٨ ـ ١٤٢١هـ/ ١٩١٠ ـ ٢٠٠٠م)، غنى عن كل تعريف، وتقصر أى كلمات عن أن توفيه حقه من الإشادة والتكريم لقاء ما قدم من أعمال علمية وأدبية متميزة، تمثل ذاكرة مهمة لتاريخ شبه الجزيرة والخليج العربى، فقد عمل فى ميادين معرفية كثيرة وترك بصمته بجدارة كأديب ومؤرخ ومحقق.. وعادة ما يحار المرء أمام البحر الزاخر.. من أى الشواطئ يأتيه؟..

لهذا سأكتفى هنا بالحديث عن واحد فقط من تحقيقات الشيخ حمد، لعله من أهم ما حقق من كتب التراث العلمى العربى، إن لم يكن أهمها على الإطلاق، ذلكم هو كتاب «الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء» تأليف لسان اليمن الحسن بن أحمد الهمدانى (٢٨٠ ـ ٣٤٥هـ تقريباً)، الطبعة الأولى (الرياض: ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م).

وكان اهتمامى بلسان اليمن ومؤلفاته العلمية قد بدأ مع بداية إعارتى للعمل بجامعة صنعاء عام ١٩٨٠م، وأتيح لى أن أشارك فى الندوة العلمية العالمية التى نظمتها جامعة صنعاء فى الفترة من ١٩ ـ ٢٥ أكتوبر ١٩٨١م بمناسبة الذكرى الألفية للهمدانى، وجذب انتباهى ـ بحكم تخصصى فى العلوم الطبيعية ـ بحث مهم للمستشرق السويدى «كريستوفر تول» Christopher Toll بعنوان

(*) شارك الكاتب بجزء من هذه الدراسة فى الاحتفالية الثقافية حول «علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر» بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة مساء يوم الثلاثاء الموافق ١٦/٩/٢٠٠٣م، وفى الندوة العالمية التى نظمتها جامعة الملك سعود بالرياض يومى ٣٠ سبتمبر وأول أكتوبر ٢٠٠٣م حول «حمد الجاسر وجهوده العلمية».

«الهمداني كعالم» Al-Hamdani as a scholar. وبلغ إعجابي بالهمداني كعالم أنني لقبته بـ«لسان اليمن وعقله أيضاً»، وذلك في إحدى المقالات التي نشرتها خلال فترة الندوة بجريدة «الثورة» اليمنية حول «دور العرب في تقدم العلوم والتكنولوجيا».

وكان من بين مؤلفات الهمداني التي تعرضت أكثر من غيرها لجوانب مختلفة من العلوم الطبيعية «كتاب الجوهرتين» الذي قام بتحقيقه وترجمته إلى الألمانية عام ١٩٦٨م، طبعة جامعة أوبسالا، الدكتور كريستوفر تول بعد أن عثر على إحدى النسخ الأصلية للمخطوطة في إحدى المكتبات الأوروبية.

القيمة العلمية لكتاب الجوهرتين

يحتوى كتاب الجوهرتين على سبعة وخمسين باباً تضمنت معلومات قيمة عن مناجم الذهب والفضة ومواقعها وأسمائها في بلاد العرب والأعاجم، والتي اندرس معظمها من أذهان الناس نتيجة لتقادم العهد. وقد ساعدت هذه المعلومات في عمليات المسح الجيوفيزيائي التي تجرى منذ سنوات في أرض اليمن لمعرفة موارده المعدنية والبترولية، وتم اكتشاف العديد من المناجم الهامة لخامات الفضة والزنك والحديد والرصاص وغيرها.

وفي هذا الكتاب سعى المؤلف، عن قصد ومنهجية، إلى تأسيس علم تعدين الذهب والفضة، فلم يترك مسألة تتعلق بهما لغويا أو تاريخيا أو دينيا، أو علميا وفلسفيا، أو عمليا وتقنيا، إلا توقف عندها طويلاً وأسهب في شرحها والتعريف بها، مستعيناً بالأدوات والآلات كلما وجد إلى ذلك سبيلا، وموضحاً بالرسوم والأشكال تفاصيل الأواني والتنور، وعلامات العيار وأوضاعه، وصحة الوزن ومعرفة التقسيم.

وأهم ما يميز الهمداني في هذا الكتاب أنه كان باحثا دقيق الملاحظة وصائب النقد، يستوعب كل آراء سابقيه ومعاصريه، ولا يأخذ منها إلا ما يعتمد على المشاهدة والتجربة ويوافق العقل، فقد عارض نظرية أرسطو عن تكوين الفلزات والمعادن النفيسة، ونظرية الزئبق والكبريت. وكان له تصور خاص عن الحركة والتفاعل في أعماق القشرة الأرضية بعيداً عن المؤثرات الفلكية للكواكب والأجرام حسب تصور الفلسفات القديمة. وقد أفرد عدة فصول لمعالجة موضوع المواد المتفاعلة في باطن الأرض وما ينتج عنها من بخارات (غازات) وبراكين وزلازل، وتفنيد أخطاء الفلاسفة السابقين حول أسباب نشوء المواد المعدنية وتكوينها وكيفية تفاعلها واستخراجها. وامتد اهتمام الهمداني في مجال التعدين إلى صناعة السبائك ومعالجة المعادن الأخرى غير الذهب والفضة، كمعالجة الحديد الخام والحصول على الفولاذ اللازم لصناعة السيوف وبعض أنواع الأسلحة.

وخصص الهمداني من كتابه هذا جزءاً كبيراً لمعالجة عمليات استخراج الذهب والفضة وتنقيتها من الشوائب، وشرح خطوات هذه العمليات من جميع النواحي النظرية والعملية والتقنية، ابتداء من الحصول على الخام من منجمه، وانتهاء بصب قوالب الذهب أو الفضة الخالصتين، وأيضاً استخدامها في صناعة الحلي وترصيع التيجان وتزيين صفحات القرآن الكريم، ولأغراض الطلاء وغيرها.

وتعرض الهمداني لمجال الكيمياء الطبية، فخصص باباً في كتابه لبيان منافع الذهب والفضة وما يتولد منهما في فنون الطب. وتطرق إلى ذكر معلومات قيمة عن علاقة الكيمياء بالطب وتأثير الأبخرة المنبعثة أثناء عمليات الطبخ والتعدين على مختلف أجزاء الجسم، ولم يفته أن يوضح طرق العلاج أو الوقاية منها.

ويحتوى كتاب الجوهرتين على عدة نصوص تؤكد سبق الهمداني في تاريخ العلم إلى القول بكروية الأرض وجاذبيتها وحركتها الدائرية، وإلى حدوث المد والجزر بتأثير جاذبية القمر. وحاول تفسير ظاهرة الزلزال، بعيداً عن الأساطير والخرافات، فتحدث عن «الطاقة الزلزالية» في باطن الأرض، ولكنه يسميها «الرياح المحتقنة» أو «المحبوسة»، ويصف ما ينتج عنها من هزات متفاوتة الشدة، يصحبها أحياناً حدوث خسف[1] على نطاق واسع. كما نجد الكثير من سمات الأسلوب العلمي والتعبير عن الأشياء والكميات بمقاديرها، توخياً للدقة في الوزن والقياس، وتمسكاً بالأمانة في عرض شروط التجارب وتدوين ما يصل إليه من نتائج ومعلومات، ونراه قد توصل من خلال ذلك إلى بعض التعميمات غير المسبوقة، مثال ذلك قوله عن الوزن النوعي للمواد بأن الزئبق أثقل الأشياء السائلة، وأن الحصاة من الياقوت الأحمر تزيد في الوزن على ما سواها في الجسم من ألوان الياقوت الأخرى.

وكذلك حقق الهمداني في كتاب الجوهرتين خطوة هامة غير مسبوقة في مجال «فلسفة العلم والتقنية»، وذلك عندما ربط بين مصطلحات علمية من الفلك والهندسة وعلم العدد وتقنية المواد لتعليل تدوير الدينار والدرهم.

كما تظهر دقة العالم المجرب من الشرح التفصيلي لطريقة تحديد مركز السكة على الصحة كيلا تميل دائرة الدينار في الحديد، فتميل في الطبع.

والكتاب على هذا النحو يعتبر إضافة قيمة لأمهات كتب التراث العلمي

(١) «الخسف» الذي ذكره الهمداني هو المقابل للمصطلح الأجنبي الحديث Taphrogenesis ويعني الحركات التي تحدث رأسيا إلى أسفل على نطاق واسع ويصاحبها تصدع كبير الزاوية (انظر معجم الجيولوجيا، مجمع اللغة العربية، مصر).

الإسلامي، وكان لظهوره فضل كبير في إلقاء مزيد من الضوء على سيرة الحسن بن أحمد الهمداني والتعرف عليه كعالم موسوعي ملك ناصية العلم والتقنية مثلما كان مؤرخا ولغويا ورجل فكر وسياسة وأدب.

الكتاب منشوراً بتحقيق حمد الجاسر

كتبت عن كتاب الجوهرتين في سلسلة مقالات بمجلة الأزهر الغراء عن «أمهات الكتب العلمية في التراث الإسلامي»، وذكرت أن حمد الجاسر كان أول من وصف مخطوطة الهمداني عن «الجوهرتين العتيقتين»، وذلك في مجلة المجمع العلمي العربي - سابقاً - المجلد ٢٦ الجزء الرابع بتاريخ تشرين الأول ١٩٥١م الموافق للمحرم ١٣٧١هـ. كما أشرت إلى النسخة المنشورة بتحقيق وترجمة كريستوفر تول عام ١٩٦٨م، وإلى ظهور الطبعة العربية الأولى للكتاب بعد ذلك من إعداد وتحقيق محمد محمد الشعيبي الذي قدم لها بتاريخ عام ١٩٨٣م ولم تحدد سنة أو جهة النشر.

وجاءتني رسالة كريمة من الشيخ حمد الجاسر بعد اطلاعه على الجزء الأول من مقالنا عن كتاب الجوهرتين في عدد ربيع الأول ١٤٢٠هـ - يوليو ١٩٩٩م من مجلة الأزهر، هذا نصها:

الأستاذ الكريم الدكتور أحمد فؤاد باشا

رعاه الله

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد - فقد اطلعت على مقالكم عن كتاب «الجوهرتين» ورأيتكم - وفقكم الله - أشرتم إلى وصفي للمخطوطة رقم (كريستوفر تل) بنشرها وهي مخطوطة (ابسالا) التي وصفتها وأشرتم إلى مطبوعة لا قيمة لها نشرت في اليمن وفاتكم الإشارة إلى أمرين:

أولهما: أنني نقدت طبعة (تل) في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٣٧١ المجلد الـ ٢٦) ص٥٣٣ / ٥٤٤[٢]

الأمر الثاني: أنني حققت الكتاب ونشرته مضيفاً إليه بحث عن التعدين والمعادن في جزيرة العرب، وقد رغبت من أخي الدكتور عائض الردادي أن يتفضل بإرسال نسخة منه إليكم لعدم معرفة عنوانكم، حيث أرسلت هذا الكتاب إلى مجلة «الأزهر» ولا أدري هل يصل أم لا؟

هذا ما أحببت لفت النظر إليه.

مع أطيب تحياتي

إمضاء

أخوكم

حمد الجاسر

(٢) هكذا في الخطاب، ولكن ملاحظات الشيخ حمد حول مطبوعة «تول» الأولى نشرت في مجلة «مجمع اللغة العربية» بدمشق - المجمع العلمي العربي (المجلد الرابع والأربعين ص٥٤٤/ ٥٦٨). وربما اختلط الأمر على الشيخ رحمه الله فذكر المرجع الأول سهواً.

وقد تسلمت - بكل الشكر والتقدير - رسالته الكريمة والنسخة التي تفضل مشكوراً بإرسالها من الكتاب في طبعته الأولى (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م) بتحقيقه مضيفاً إليه دراسة إضافية عن التعدين والمعادن في جزيرة العرب، وموضحاً الكثير من غوامضه، استناداً إلى ما وصل إليه من مخطوطات، وهي:

١ - مصورة مخطوطة مكتبة جامعة أوبسالا في السويد، وهي موجودة في دار الكتب المصرية، وتاريخ كتابة هذه النسخة سنة ٨٩٨هـ، ويظهر أن هذا هو تاريخ النسخ.

٢ - مصورة مخطوطة خزانة جامعة توبنجن في ألمانيا، وتاريخ كتابة هذه النسخة سنة ٩٦٦هـ، وهي منقولة عن المخطوطة السويدية.

٣ - نسخة مكتبة الأمبروزيانا في مدينة ميلان في إيطاليا، وهي في الواقع قطعة من الكتاب، وتاريخ النسخ سنة ١٣١٤هـ.

٤ - مطبوعتا كريستوفر تول.

٥ - مخطوطة القاضي محمد بن علي الأكوع، والتي نسخها عن مطبوعة «تول» وزينها بحواش مفيدة.

ولقد اطلعت على هذه المطبوعة القيمة بتحقيق الشيخ حمد الجاسر، وأفدت كثيراً مما جاء فيها من شروح وتعليقات تشهد على ثقافته الواسعة وعلمه الغزير، وتمكنه الواثق من فن التحقيق، والاعتناء به دراسة وتحليلاً، وتقديماً، وتعليقاً، ومقابلة، وضبط نصوص، بل إن ما يفرده الشيخ حمد ويخصصه للدراسة، والتحليل، والإثراء المعرفي الواسع في مقدمات تحقيقاته يتفوق على ما سواه، ويجعل تحقيقاته لا تقل أهمية، ومنهجية، واستيفاء بمتطلباتها العلمية عن تلك الدراسات الأكاديمية التي تقدم لنيل درجات علمية من أعرق الجامعات، ويكفي دليلاً على ذلك أن كتاب الجوهرتين الذي حققه الشيخ حمد الجاسر يقع في ٤٩٣ صفحة من القطع المتوسط منها ١٥٧ صفحة فقط هي كل المتن و٣٣٦ صفحة لمقدمة الكتاب والتعليقات والإضافات والشروح والفهارس المفصلة.

وكان من أهم ما أوضحه الجاسر أن الهمداني أورد نصاً في كتاب الجوهرتين يدل على أنه قام بتأليفه بعد الخمسين من سني عمره، إذ ذكر في «باب معرفة استخراج ما ينشفه الزاج والملح من ردىء الذهب وقشته، وصفه مطحن الذهب» أن الدنانير الحبابية التي بدىء بسكها في اليمن سنة اثنتين وثلاثين ومائتين مضى على التعامل بها (حتى وقت تأليف الكتاب) ثمان وتسعون سنة (٢٣٢ + ٩٨ = ٣٣٠)، أي أنه ألف الكتاب سنة ثلاثين وثلاثمائة، ومعروف أن الهمداني ولد سنة ٢٨٠هـ، وذلك من خلال نصوص وردت في كتاب «المقالة العاشرة» من كتابه «سرائر الحكمة».

منهج الجاسر في التحقيق

١ - معروف عن الشيخ حمد حبه للعلم وإجلاله للعلماء، خاصة أولئك الذين سبقوه من علماء الجزيرة العربية لقاء ما تركوه من كنوز معرفية غالية، فهو يثنى كثيراً على كتاب الجوهرتين ومؤلفه، ويقرر في مقدمة التحقيق أنه ظل ما يقرب من أربعين عاماً، منذ اطلع على مصورة مخطوطة هذا الكتاب القيم، حريصا على نشره، دؤوباً في البحث عن أصل صحيح يمكن الاعتماد عليه عند تحقيقه، فالغاية - فيما يعتقد - من تحقيق أى كتاب إبرازه للقارىء بالصورة التى رسمها المؤلف، أو بأقرب صورة مماثلة لها بقدر الأمكان.

ولهذا فإنه يقول في تقديم الكتاب.. «... فقد حافظت ما استطعت على نصوص النسخة التى اعتبرتها أصلاً، ورأيتها كاملة، وأضفت إلى الأصل - ملحقاً به من الإيضاحات ما رأيت في إضافته فائدة للقارىء لكي يستعين به على فهم النص، مع استعصاء كلمات كثيرة على فهمي، أوردتها كما هي، كما أوردت في حواشي الأصل الاختلاف بين الأصل وبين ما ورد في مطبوعة الأستاذ كريستوفر تل الثانية، وإن كنت لا أتفق معه على كثير مما خالف فيه الأصل، ولا يمنع هذا من الاعتراف بأنه بذل جهداً ليس باليسير في فك كثير من مغلقات كتابة الأصل، واستطاع تصحيح كثير من أخطائه، واستفاد مما نشرته من ملاحظات عن مطبوعته الأولى في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق وإن لم يشر إلى ذلك».

٢ - لما كان الاهتمام البالغ بتحديد المواضع وضبط الأسماء من أهم سمات منهج الجاسر في التحقيق منذ أوائل أربعينيات القرن الماضي، فلا تكاد تخلو كلمة أو بحث من البحوث التى كتبها من التفاتة إلى تحديد موضع أو تصحيح نطقه أو إزالة لبس يتصل به.. ولما كان ذلك كذلك.. فإنه بعد أن أوشك أن ينتهي من إعداد الكتاب للنشر قام برحلة إلى صنعاء في ٨ ذى القعدة سنة ١٤٠٦هـ (١٥/ ٦/ ١٩٨٦م) يقول عنها: لعل من بواعثها أنني توقعت أن أجد بين الإخوة في هذه البلاد من أستعين به في فهم بعض الكلمات اليمنية الواردة في الكتاب مما استغلق عليَّ فهمه، ومنها أسماء الموازين الواردة في (باب صحة الوزن ومعرفة التقسيم)، ومع أنه لم يتم لي ما توقعت إلا أنني استفدت كثيرا من الأخوين الكريمين الباحث المحقق الأستاذ عبدالله محمد الحبشي والأستاذ الدكتور يوسف محمد عبدالله.

من ناحية أخرى، وجد الجاسر في كتاب الجوهرتين كلمات وأسماء آلات ذات صلة بالتعدين، استقاها الهمداني من أهل عصره من ذوى الصناعة في اليمن، وأغلبهم من الفرس مما لم يجده فيما اطلع عليه من كتب اللغة، ومن هذه الأسماء أو الكلمات ما وردت في المخطوطات بصورة تقرأ على عدة أوجه لإهمالها من الأعجام. يقول الجاسر: «وقد حاولت إبرازها كما وردت عندما لا أستطيع إدراك الوجه الصحيح منها، وكثير منها غير عربي.. وقد حاولت الاستعانة بأحد الإخوة الذين يحسنون اللغة الفارسية، وهو الأستاذ أحمد الواساني - الملحق الثقافي في

السفارة الإيرانية في بيروت...، وبقيت صورة المخطوطة عنده أياما، ولكنه بعد أن أرجعها إليَّ قال لي: إن الكلمات الفارسية الواردة في الكتاب خلاف اللغة الفارسية المستعملة الآن، ولهذا لم يستطع معرفة أكثرها.

٣ - جريا على عادته في الإثراء المعرفي لتحقيقاته، استشعر الجاسر حاجة القارىء إلى إيضاح بعض جمل وردت في كتاب الجوهرتين، فوضع لذلك حواشي موجزة، يقول عنها: «.. ولكي لا أثقل بكثرتها رأيت أن ألحقها بآخر الكتاب مرتبة حسب صفحات المخطوطة السويدية، وأن ألحق بالكتاب فهارس مفصلة لأسماء المعادن، وأسماء آلات الصياغة وأدويتها، وذكر الأعلام عامة، للأشخاص والجماعات والمواضع وغيرها. وقد أبسط القول في الكلام على المعادن أو ماله صلة بها من الآلات لأن كثيرا من قراء هذا الكتاب قد لا تكون صلتهم بكتب المعادن بالدرجة التى تمكنهم من فهم بعض عباراتها، وإن لم أكن خبيرا بشيء مما له صلة بالموضوع». ثم يقول: «موضوع الكتاب عن التعدين، وعن المعادن في بلاد العرب، وهذا مما لم يستوف الهمداني الكلام فيه، ولهذا ألحقت بالكتاب بياناً يحوى ما عرفت من أسماء المعادن القديمة في بلاد العرب، كما تحدثت في المقدمة عن التعدين حديثا موجزاً».

وحرصا من الجاسر على استيفاء كل عناصر التحقيق الجيد، فإنه حاول استكمال الرسوم التى أهملها النساخ.

٤ - لا يمكن إغفال الجانب الأخلاقي في منهج التحقيق عند الجاسر، فقد وهبه الله صفات ذاتية فريدة أهلته لأن يصل إلى ما وصل إليه من معرفة موسوعية عظيمة، وأحلته المكانة الرفيعة في نفوس الباحثين بخاصة، والقراء بعامة. ويأتي في مقدمة هذه الصفات صبره اللا محدود على البحث، والجلد المتناهي في سبيل الوصول إلى الهدف، والدليل على ذلك ما ذكرناه من مثابرته عشرات السنين على تحقيق كتاب الجوهرتين من نسخة أصلية، أو قريبة من الأصل، وما تحمله من مشاق الترحال للتحقق من دقة المواضع وصحة الأسماء.

وعندما عرضت عليه وزارة الإعلام اليمنية في عام ١٩٨٠م استعدادها للقيام بطبع كتاب الجوهرتين بعد أن يقوم بتحقيقه، وكان قد علم من مؤرخ اليمن الأستاذ القاضي محمد بن علي الأكوع أنه يعنى بتحقيقه، كتب إلى وزارة الإعلام اليمنية بذلك، قائلاً في أدب جم: إن الأستاذ الأكوع أولى وأقدر مني على تحقيق الكتاب، وخاصة أن فيه عبارات وكلمات وأسماء استقاها المؤلف من بيئته (اليمن)، وإذن فابن هذه البيئة أقدر من غيره على فهم ما ورد في هذا الكتاب».

لكنه لم ير للصديق الكريم الأستاذ القاضي الأكوع - وقد مضى زمن - ما يدل على اتجاهه لنشر الكتاب، فعقد العزم على المضي قدماً في إعداده كتابه للنشر، ويقول في تبرير ذلك: «إن التعاون في نشر كتاب من الكتب قد يبرزه بصورة خير من الصورة التى ينفرد بها واحد، وإن كان من الخير توحيد الجهد،

واهتمام كل ناشر بما لم يقم به غيره، إلا أنني وقد حرصت منذ اطلعت على هذا الكتاب أن أجمع معلومات هي وإن كانت يسيرة إلا أنني أعتقد أن المعنيين به وبأمثاله قد يستفيدون منها. وهذا ما دفعني إلى إعداده للنشر».

وقابل القاضي الأكوع الذي قدم له مخطوطته التي نسخها بقلمه وأعدها للنشر، وحثه على أن يتولى ذلك.

وأخيراً يقول علامة الجزيرة بتواضع شديد: «ولا أدعي بأنني سآتي بشيء جديد، حول قيامي بنشر هذا الكتاب، غير أن جهداً صرفته حياله لم أرد أن أحرم القراء من ثمرته على ما هي عليه».

رؤية نقدية

لقد حاولنا إلقاء بعض الضوء على نصيب التراث العلمي من فكر حمد الجاسر وتحقيقاته، ولعله اتخذ من كتاب الجوهرتين للهمداني نموذجاً يدعو من خلاله إلى ضرورة التركيز على إحياء أمهات الكتب العلمية في التراث الإسلامي بلغة العصر وأسلوبه ومصطلحاته، لكي تتاح الفرصة أمام جموع الباحثين للقيام بدراسات تأصيلية توضح ما خفي من تراث المسلمين من نظريات وآراء وأفكار ذات قيمة معرفية أو منهجية في تاريخ العلم والحضارة، وتكشف عن المفاهيم التي تشكل أساساً لكثير من المباحث العلمية الدقيقة التي تعامل اليوم كعلوم تخصصية مستقلة، نظرا لاتساع دائرة البحث في موضوعاتها. إن مثل هذه الدراسات التأصيلية التي تدعو إليها أهل الاختصاص في مختلف العلوم، من شأنها أن تعود بالعلوم التخصصية المعاصرة إلى جذورها في المجتمع الذي كان شاهداً على ميلادها. وتتعرف على طبيعة الظروف التي سمحت للمفاهيم والأفكار الوليدة أن تنمو وتزدهر وتصبح بعد ذلك فروعاً في شجرة المعرفة، وروافد لا غنى عنها لتغذية الحضارة الإنسانية.

وهنا تتطلب أمانة العرض في هذه الدراسة أن أبدي بعض الملاحظات التي أراها بالغة الأهمية، مع كل التقدير للجهد الكبير الذي بذله علامة الجزيرة العربية في تحقيق كتاب الجوهرتين للهمداني:

أولاً: موضوع كتاب الجوهرتين علمي بالدرجة الأولى، ومن ثم فإن ما به من مصطلحات علمية يحتاج إلى شرح وتدقيق يصعبان على غير المتخصص.

على سبيل المثال: ورد في صفحة ١٥ب من نسخة «تول» مصطلح «الكواكب المتحيرة»، وعدّ له الجاسر في نسخته إلى «الكواكب المتميزة»، والأول هو الأصح كما عرفه قدماء الفلكيين، فتحير الكواكب: مسيرها ورجوعها وظهورها واستتارها، كالحال في كوكب الزهرة، يكون حينا كوكب صبح، وحينا كوكب مساء. والكواكب المتحيرة هي التي تظهر في السماء كأنها تسبق الشمس والقمر مرة، ويسبقها القمر والشمس مرة، وأشهرها الزهرة والمريخ، وأبرزها في رأي العين الزهرة. وكان أمر هذه الكواكب أكثر ما شغل بال فلاسفة الأغريق وعلماء الحضارة العربية الإسلامية.

وإذا ما علمنا أن كلا من كريستوفر تول وحمد الجاسر - صاحبي أهم تحقيقين ظهرا لكتاب الجوهرتين - ليسا من المتخصصين في العلوم الطبيعية، فإن هذا يفسر لنا عدم تعرضهما لتدقيق وشرح الكثير من الكلمات والمصطلحات المتعلقة بعلم الهيئة والأنواء (الفلك والأرصاد)، على نحو ما جاء في المتن عن قسوم الكواكب والبروج من الجواهر، ومطالع الأجرام السماوية وغروبها، ومنازل الشمس والقمر أثناء مرورهما ظاهرياً في فلك البروج، وتسامت البروج على مواقع البلدان، وتكوين الذهب والفضة من معدنيهما، أو المصطلحات المتعلقة بعلم الكيمياء، على نحو ما جاء بشأن المواد الكيميائية المستخدمة في معالجة الفلزين وتنقيتهما، أو المصطلحات المتعلقة بفنون الطب، على نحو ما جاء حول منافع الذهب والفضة والوقاية مما يصيب من بخارهما، أو غير ذلك من مصطلحات فيزيائية وجيولوجية وفلسفية يستعصى فهمها على غير المتخصصين.

ثانياً: استعان الشيخ حمد، رحمه الله، في إيضاحه لمعاني بعض الكلمات الواردة في كتاب الجوهرتين بمؤلفات التيفاشي والبيروني وغيرهما لتعريف المعادن، لكني أرى أن الأمر يحتاج إلى بيان الأسماء الحديثة لهذه المعادن، بالإضافة إلى صيغها الكيميائية وخصائصها الفيزيائية قدر الإمكان. فالأسرب - مثلاً - هو الرصاص، والفيروزج هو التركواز (فوسفات النحاس والألومنيوم المائية)، والزنجفر هو كبريتوز الزئبق الأحمر، والإثمد هو حجر الكحل (الجالينا أو كبريتيد الأنتيمون)، وهكذا.

ثالثاً: من بواكير ما حقق الجاسر من كتب التراث العربي كتاب «البرق اليماني في الفتح العثماني» تأليف قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي (٩٩٠هـ/ ١٥٨٥م، ط١ الرياض: دار اليمامة ١٣٨٧هـ/ ١٩٧٧م).

وهو يقول في رسم منهج تحقيقه لهذا الكتاب: «ولكن احتاجت بعض المخطوطات اللغوية والأدبية القديمة إلى بعض الشروح والإيضاحات لبعض جملها، تضاف في هوامشها، فإن مثل هذا بالنسبة للكتب التي تسرد الحوادث، أو تسجل بعض المعلومات العامة، يعتبر خارجاً عن منهج التحقيق».

لكن الجاسر عدل عن هذا المنهج الذي رسمه لنفسه عندما زود تحقيقه لكتاب الجوهرتين بفهارس للشعر والأمثال والكتب والصحف والمجلات، مع أن الكتاب ليس أصلاً قديماً، أو مصدرا من مصادر اللغة والأدب بحيث يقدم للباحث جديداً فيهما، ووضع فهارس أو شروح من هذا القبيل قليل الجدوى.

رابعاً: أوضح الجاسر نفسه أنه لم يجد ضالته عند كل من لجأ إليهم لاستيضاح ما استغلق عليه فهمه من كلمات يمنية أو

فارسية قديمة. وهو يقول في مقدمة الكتاب الذي حققه بمنتهى الأمانة العلمية: «إنني لواثق الثقة كلها بأنني لم أقدمه على وجهه الصحيح من جميع جهاته لتعسر فهم كثير من نصوصه على، ولكن هذا هو غاية جهدي، وعسى أن يجود الزمن بأصل صحيح لهذا الكتاب تكون الاستفادة منه أوفى وأكمل».

خاتمة:

الكتاب المحقق على هذا النحو الذي أوضحناه لايزال بحاجة إلى المزيد من القراءة الفاحصة من جانب المتخصصين في مجال العلوم الطبيعية، وقد دفعني هذا إلى إعادة تحقيق كتاب الجوهرتين والتقديم له بدراسة وافية عن الاتجاه العلمي والفلسفي عند الهمداني، وذلك استنادا إلى المقابلة بين نصوص ثلاث مطبوعات، إحداها مطبوعة العلامة حمد الجاسر - رحمه الله - باعتبارها أوفى نسخة متاحة من الكتاب يمكن الاعتماد عليها بصورة رئيسية. وقد سبق أن دعوت في مقالنا - المذكور آنفاً - بمجلة الأزهر - وأكرر اليوم نفس الدعوة - إلى توسيع دائرة نشر كتاب الجوهرتين ليكون في متناول أهل الاختصاص من الباحثين المعتنين بالكشف عما في تراثنا الإسلامي من كنوز ثمينة لاتزال تحتفظ بقيمتها إلى اليوم.

هذا، والله من وراء القصد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أهم المراجع

١ - الحسن بن أحمد الهمداني، كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين الصفراء والبيضاء، تحقيق حمد الجاسر، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٧٨م.

٢ - حمد الجاسر، دراسة لحياته مع بيليوجرافية شاملة لأعماله المنشورة، إعداد: إدارة التكشيف والاستخلاص، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض ١٤١٥هـ - ١٩٩٦م.

٣ - حمد الجاسر ذاكرة خصبة لقرن كامل، ملف مجلة العربي، عدد ٥٠٥، رمضان ١٤٢١هـ - ديسمبر ٢٠٠٠م.

٤ - د. أحمد فؤاد باشا، التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة، القاهرة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

٥ - د. أحمد فؤاد باشا، أساسيات العلوم المعاصرة في التراث الإسلامي - دراسات تأصيلية، دار الهداية، القاهرة ١٤١٨هـ - ١٩٨٧م.

٦ - د. أحمد فؤاد باشا، الاتجاه العلمي عند الهمداني، مجلة المسلم المعاصر، العدد ٥٧، ١٩٩٠م.

٧ - د. أحمد فؤاد باشا، التراث العلمي الإسلامي شيء من الماضي أم زاد للآتي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٨ - أعمال الندوة العلمية العالمية بمناسبة الذكرى الألفية للهمداني، جامعة صنعاء، ١٩ - ٢٥ أكتوبر ١٩٨١م.

حب الصالحين ومجالستهم

للأستاذ الدكتور/ عبدالمنعم أحمد يونس

رآني صاحبي أحمل حقيبتي، وأنطلق، فقال لي: إلى أين أيها الشيخ؟ فقلت له: ذاهب إلى حضور مجلس علم احتفاء بذكرى بعض الصالحين، فقال لي: لقد خالفت أيها الشيخ ما نهى عنه رسول الله ﷺ في قوله: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى»[1] فقلت له، وهل نهى رسول الله ﷺ عن زيارة أهل الخير ومجالستهم وصحبتهم ومحبتهم، وطلب الدعاء منهم وزيارة المواضع الفاضلة؟

إن رسول الله ﷺ عندما نهى عن شد الرحال - كان يقصد كما - أعلم - إلى تعظيم حرمة هذه الأماكن الثلاثة، وجعل الأمة الإسلامية تقدرها حق قدرها، فهي أماكن لها قداستها العظيمة، وهل هناك مكان أفضل من المسجد الحرام، ذلك المكان الذي اتصلت فيه السماء بالأرض، ونزل فيه الدين على الدنيا، وخرجت منه أعظم دعوة في الوجود، وتربى في كنفه أعظم قادة العالم، وهداة الأمم، وسادة الدنيا من أصحاب رسول الله ﷺ إنه المكان الذي قال الله فيه:

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[2].

وهل هناك مكان يرقى إلى ذلك المكان الذي يضم رفات أعظم مخلوق، وأشرف مولود محمد ﷺ الذي قال الله في شأنه:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾[3].

ثم تأتي حرمة المكان الثالث، ذلك المكان الذي أسرى برسول الله إليه إنه بيت المقدس الذي قال الله فيه:

---

(١) سنن ابن ماجة (١/٤٥٢) رقم ١٤٠٩، ١٤١٠، كتاب إقامة الصلاة، باب: ماجاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس.

(٢) آل عمران [٩٦].   (٣) الفتح [٢٩].

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾(٤).

هذه الأماكن لا يشك أحد في حرمتها وقداستها، وفي بذل النفس والنفيس في سبيل زيارتها والحفاظ عليها، فالمسلمون في كل جيل وقبيل مطالبون بذلك، لكن رسول الله ﷺ طلب منا أن نزور أهل الخير، وأن نجالس أهل الصلاح، وأن نعمل على صحبتهم ومحبتهم، وطلب الدعاء منهم، وزيارة المواضع الفاضلة.

وقد أتت سنة رسول الله ﷺ تلح على ذلك، لكن قبل أن أسوق الأحاديث التي وردت في ذلك أسوق ذلك الخبر الذي ورد في أسد الغابة عند ترجمته لحياة سيدنا بلال ابن رباح - رضي الله عنه - يقول ذلك الخبر: رأى سيدنا بلال النبيَّ ﷺ في منامه وهو يقول له: ما هذه الجفوة يا بلال؟ أما آن لك أن تزورنا؟ وقد كان بلال بن رباح ترك المدينة بعد انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى على قول، أو بعد موت أبي بكر - رضي الله عنه - على قول آخر للجهاد في سبيل الله، وأقام بالشام، فركب بلال إلى المدينة، فأتى مقام رسول الله ﷺ وجعل يبكي عنده، ويتمرغ عليه، فأقبل الحسن والحسين، فجعل يضمهما ويقبلهما فقالا له: نشتهي أن تؤذن في السحر كما كنت تؤذن على عهد رسول الله ﷺ فعلا بلال سطح المسجد، فلما قال «الله أكبر» ارتجت المدينة، فلما قال: «أشهد أن لا إله إلا الله» زادت رجتها، فلما قال: «أشهد أن محمداً رسول الله» خرج النساء من خدورهن، فما رُؤي يوم أكثر باكياً من ذلك اليوم»(٥).

أسوق هذا الخبر لأقول لك: إن صحابة رسول الله ﷺ كانوا يزورون قبر رسول الله ﷺ؛ لأنهم لم يروا بأساً من زيارته - بعد أن تعمق الإيمان في قلوبهم، ولو أنهم تأكدوا من نهي رسول الله ﷺ عن ذلك ما فعلوه، بل إنهم رأوه ﷺ في حياته كان يذهب إلى مسجد قباء بصفة دورية في يوم السبت من كل أسبوع، وكان يشد رحله إليه، وكان يزوره ماشياً وراكباً، فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: «كان النبي ﷺ يزور قباء راكباً وماشياً فيصلي فيه ركعتين» متفق عليه، وفي رواية كان النبي ﷺ يأتي مسجد قباء كل سبت راكباً وماشياً، وكان ابن عمر يفعله.

يقول شارح كتاب رياض الصالحين: «إن زيارة المواضع الفاضلة يأتي فضلها بكونها مساجد، أو بكونها مأثورات عن النبي ﷺ، أو عن أحد من الصحابة، أو عن متعبدات الأولياء الصالحين، فالمكان بالمكين»(٦).

(٤) الإسراء (١).
(٥) عز الدين بن الأثير أسد الغابة جـ١، ص٢٤٤.
(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين جـ٢، ص٢٢٦.

وهو يعني بمتعبدات الصالحين والأولياء الأماكن التي كان يتعبد فيها هؤلاء الأولياء والصالحون.

وطلب زيارة أهل الخير، ومجالستهم، وصحبتهم أمر دعا إليه القرآن الكريم قال تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ۝ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ۝ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴾(٧).

إلى قوله تعالى:

﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾(٨)

ونحن جميعاً نعلم أن سيدنا موسى، وهو كليم الله - سبحانه وتعالى - أُمر من الله سبحانه وتعالى - أن يلتمس العلم من العبد الصالح، وقد وردت أخبار كثيرة في ذلك، لكنني لا أريد أن أدخل في تلك الأخبار الكثيرة التي رواها المفسرون، فقط أريد أن التمس المغزى من سياق هذه القصة، فقد أمر سيدنا موسى على تفقد المكان الذي سيلتقي فيه والعبد الصالح، والتقيا، وكانت الدروس التي خرج بها سيدنا موسى من صحبة العبد الصالح، ومجالسته، وتعلمه منه، فهل كان موسى وهو كليم الله أقلَّ شأناً من العبد الصالح؟ كلا إنه من أولي العزم من الرسل، لكن الله - سبحانه وتعالى - أراد أن يعلمنا أننا ينبغي علينا أن نقدر أهل الصلاح، وأن نلتمس منهم الدعاء، وأن نطلب العلم من أهل العلم منهم، وأن نجعلهم يدعون لنا - كما حدث أن رسول الله ﷺ طلب من سيدنا عمر بن الخطاب أن يدعو له.. فعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه قال: استأذنت رسول الله ﷺ في العمرة فأذن لي، وقال: لا تنسنا يا أخي من دعائك» حديث صحيح رواه أبو داود والترمذي.

فهل كان عمر بن الخطاب أقرب إلى الله سبحانه وتعالى - من رسول الله ﷺ؟ العقل والمنطق يقولان لا، لكنه ﷺ أراد أن يعطينا درساً في تقدير صحابته لأن هؤلاء الصحابة تربوا في مدرسة رسول الله ﷺ الذي قال فيهم: «لو أنفق أحدهم أحداً ذهباً ما بلغ مد أحدكم ولا نصيفه»(٩).

وعمر بن الخطاب له فضل كبير، يروى البخاري عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قوله: «لقد كان فيما قبلكم من الأمم مُحدثون «أي ملهمون» فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر» رواه البخاري.

وعمر بن الخطاب صاحب الكرامات الرائعة التي تحدث عنها الرواة كثيراً كان يلتمس الدعاء من أويس القرني؛ لأنه سمع

(٧) الكهف (٦٠ : ٦٢).
(٨) الكهف (٦٦ : ٦٦).
(٩) مسند الإمام أحمد (٣/١١، ٥٤، ٥٤، ٧٢).

رسول الله ﷺ يقول: «يأتي عليكم أويس ابن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد، ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم له والدة هو بها بار. لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل» قال له عمر فاستغفر لى فاستغفر له» رواه مسلم.

ولا أريد أن أغادر الحديث عن صحابة رسول الله ﷺ: حتى أسوق للقارىء قصة عاصم بن ثابت «حمىّ الدّبر»، فبعد غزوة بدر فى سنة ثلاث من الهجرة - قدم على رسول الله ﷺ جماعة من قبيلة عضل والقارة - يطلبون من رسول الله ﷺ أن يرسل معهم - بعض أصحابه يقرئونهم القرآن، ويعلمونهم شرائع الإسلام، ويفقهونهم فى الدين فأرسل معهم رسول الله ﷺ عشرة من أصحابه، وأمّر عليهم عاصم ابن ثابت بن الأفلح فانطلقوا إلى هدفهم، ومعهم هؤلاء القوم، ولكنهم عندما اقتربوا من مكة ذُكروا لحىّ من هذيل وهم بنو لحيان، أى وشى بهم من معهم من قبيلة عضل والقارة، فتبعهم بنو لحيان فى قريب من مائة رام، وعندما لحقوا بهم قالوا: لكم العهد والميثاق إلا تزلتم إلينا لا نقتل منكم رجلا، وكان عاصم ومن معه تحصنوا بجبل، فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل فى جوار مشرك اللهم فأخبر عنا رسولك، فقاتلوهم فرموهم؛ حتى قتلوا عاصما فى سبعة نفر، وبقى الثلاثة.

لكن الأمر لم يتوقف عند ذلك، فقد أراد القوم أخذ رؤوس هؤلاء القتلى؛ حتى يبيعوهم من قريش، وعندما جاءوا إلى رأس عاصم حدث أمر لم يتوقعوه، ذلك أن الله - سبحانه وتعالى - أرسل على عاصم كتيبة من الدّبر (النحل) منعت المشركين من الاقتراب منه، فقالوا ننتظر حتى إذا جاء الليل نامت الدبر، فبعث الله مطرا. وعبارة ابن هشام تقول: «فبعث الله الوادى، أى جاء السيل فاحتمل عاصما، فذهب به، فلم يجدوه».

إن هؤلاء المشركين أرادوا أخذ رأس عاصم ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد التى كانت قد نذرت حين بلغها أن عاصما قد قتل ابنها، وقال له يوم بدر: خذها وأنا ابن الأفلح «لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن فيها الخمر، فلما أرادت هذيل أخذ رأسه حدث ما حدث.

ولذلك الأمر قصة رواها لنا سيدنا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال ابن هشام - كان عمر بن الخطاب يقول حين بلغه أن الدبر منعت عاصم بن ثابت: يحفظ الله العبد المؤمن، كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك، ولا يمس مشركا أبدا فى حياته، فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منهم فى حياته.

إن هذا الخبر الذى رواه ابن هشام عن سيدنا عمر بن الخطاب يدعونا إلى أن نأخذ الدرس والعبرة، فالله - سبحانه وتعالى - يتولى عباده الصالحين فى حياتهم، وبعد وفاتهم، كما تولى أمر عاصم بن ثابت الذى نذر أن لا يمس مشركا ولا يمسه مشرك، قد يكون ذلك الأمر نذرا من عاصم فى حياته،

لكن الله - سبحانه وتعالى - منع عاصما، وأنفذ نذره حتى بعد مماته، فأرسل على جسد عاصم جندا من جنده تمثل فى الدبر، فحمت عاصما أن لا يمسه مشرك، وأن لا تتمكن سلافة بنت سعد بن شهيد من أن تنفذ نذرها، وتمس رأس عاصم كما زعمت أنها إن ظفرت به لتشربن فيها الخمر:

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾[10].

إننى أسوق ذلك؛ حتى أجعل القارىء يقف على ما حبا به الله بعض الصالحين من أولى الفضل، وحتى يعلم القارىء أن مجالس العلم، ومصاحبة الصالحين أمر حثنا عليه الرسول ﷺ؛ لأن هذه المجالس خالصة لله - سبحانه وتعالى - ليس فيها غيبة، ولا نميمة، وليس فيها غرض من أغراض الدنيا، وإنما يدفعنا إليها حب هؤلاء القوم، فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»[11] والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾[11].

ورسول الله ﷺ فى رواية أبى موسى الأشعرى قال: «المرء مع من أحب» متفق عليه وفى رواية قال: قيل للنبى ﷺ الرجل يحب القوم، ولما يلحق بهم؟ قالوا «المرء مع من أحب».

هل بعد كل ذلك يا أخى تقول لى إنك خالفت نهى رسول الله ﷺ فى قوله: «لا تشد الرحال»..؟

إننى أدعوك يا أخى كى تحضر معى مجلساً من هذه المجالس. فإنك لن تجد فيها إلا قرآنا يتلى أو أحاديث تقدم، أو سرداً لحياة الصالحين من الصحابة ومن أولياء الله الذين كانت حياتهم عامرة بذكر الله، وبالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وبعضهم كان يوظف علمه للأخذ بيد العباد وإلى معرفة رب العباد، فكانوا شموساً تضىء للناس حياتهم، وتخرجهم من وهدة الجهل إلى نور الهدى والإيمان.

والله من وراء القصد يهدينا إلى كل خير.

---

(١٠) المدثر (٣١).

(١١) سنن أبى داود، كتاب الأدب باب: من يؤمر أن يجالس، ج ٤، ص ١٦٨، رقم ٤٨٣٣.

(١١) الزخرف (٦٧).

هل يموت العطر؟!

شعر/ السيد الصديق حافظ

عالم أزهرى من الذين قال فيهم «شوقى» «وأنتم لعمر الله أعصاب القرى»، علم الأجداد والأحفاد أمور دينهم على مدى سبعين سنة. كان الإمام والخطيب والمدرس والمأذون والمفتى والمرشد والمصلح بين الناس، وكان يجمع بين الظرف والجلال والعلم والحلم، والصبر والرفق ونظافة المظهر ونقاء الجوهر - رحمه الله.

كما ترحل الشمس نحو المغيب ... رحلت! ومازلت ملء القلوب!
وسوف تظل حديث المروج ... وذكرى الأريج ونفح الطيوب!
وسيرة شيخ جليل نبيل ... من الظرف قد نال أوفى نصيب!(1)
نقى الإهاب نظيف الثياب ... مهيب الجناب محب حبيب!
عطير الرحاب مطير السحاب ... كثير الصحاب حسيب نسيب!

***

معلمنا كنت تبنى العقول ... وكنت الإمام وكنت الخطيب!

(1) فضيلة الشيخ عبدالغنى عمارة، يرحمه الله توفى أواخر شعبان الماضى عن عمر يناهز التسعين وكان يعرف مكان جلوسه فى المسجد ببقاء العطر فيه حتى يعود إليه.

وكنت الموثق أعراسنا ... وكنت المواسى عند الخطوب!
تعين على الحق لم تدخر ... ومالك فى مالهم من نصيب!
إذا قيل من..؟ قلت إنى لها! ... فما كنت تتقن فن الهروب!
وصدرك أفق وكون رحيب ... ولم تك بالمستفز الغضوب!
ومستودع السر لم يطلع ... عليه سوى عالم بالغيوب!

***

وتخرج للخمس صافى الجلال ... ونفسك صافية كالحليب!
يصلى وراءك شيخ الشيوخ ... بروح المحب وقلب المنيب!(2)
وبناء «مصر» الوزير الشريف ... ومنشى مدائنها من قريب!(3)
وجمع غفير وخلق كثير ... يضم القريب بجنب الغريب!
فتدعو لنا وبنا ربنا ... عسى أن يتوب ويمحى الذنوب!

***

إذا فتنة شبها ذو هوى ... تبادرها قبل بدء الشبوب!(4)
تصب ذنوبا على جمرها ... وتغرق شيطانها فى ذنوب!(5)
ويارب شاك أتى بائسا ... فأشكيته وسترت العيوب!(6)
ومن فارق الذنب حصنته ... بعطف الأبوة حتى يتوب!
قفونا خطاك لنهدى هداك ... ونورك يسبقنا فى الدروب!(7)
ففى ذمة الله شيخى الحبيب ... فذكراك حاضرة لن تغيب!

(2) شيخ الشيوخ - هو فضيلة الشيخ رزق خليل حبه شيخ القارئ المصرية مد الله فى عمره وهو من أبناء كفر سليمان البحرى.

(3) بناء مصر - هو السيد الوزير حسب الله الكفراوى وهو من أبناء القرية كذلك أطال الله عمره.

(4) الشبوب - الاشتعال. (5) تصب ذنوبا - الذنوب بفتح الذال الدلو المملئة.

(6) أشكيته - أزلت سبب شكواه وطيبت خاطره. (7) قفونا - قفا يقفو تبع يتبع أى اقتدينا بك.

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

التوكل على الله

قيل إن التوكل على الله من أعلى المقامات لوجهين:

أحدهما: محبة الله للعبد:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾(١).

والثاني: الضمان في كنف الرحمن:

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾(٢).

عقاب الغيبة

مرَّ داود الطائي يوماً بموضع، فوقع مغشيا عليه، فحُمل إلى منزله، فلما أفاق سئل عن ذلك. فقال: ذكرت أني اغتبت رجلا في هذا الموضع، فذكرت مطالبته لي بين يدي الله - تعالى -..

إصلاح الأموال حفظ للكرامة

● قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: أصلحوا أموالكم التي رزقكم الله، فإن إقلالاً في رفق خير من إكثار في خرق.

● وقال أيضا: لايقل مع الإصلاح شيء كما لا يكثر مع الإفساد شيء.

● ويروى هذا المعنى عن المتلمس إذ قال:

حفظ المال خير من فناه
وسير في البلاد بغير زاد

قليل المال تصلحه فيبقى
ولايبقى الكثير مع الفساد

● وقال حكيم: إن في صلاح الأموال: سلامة الدين، وجمال الوجه، وبقاء العز، وصون العرض.

● وقال عبدالله بن عباس: اطلبوا الغنى بإصلاح ما في أيديكم، فإن الفقر مجمع العيوب.

(١) سورة آل عمران الآية رقم ١٥٩.

(٢) سورة الطلاق الآية رقم ٣.

يظلمني.. وأرحمه

قال أحد الشعراء:

إني وهبت لظالمي ظلمي
وغفرت ذاك له على علمي

ورأيته أسدى إليَّ يدا
لما أبان بجهله حلمي

مازال يظلمني وأرحمه
حتى رثيت له من الظلم

حقا

● لا تؤدي التوبة أحدا إلى النار، ولا الإصرار على الذنوب أحدا إلى الجنة.

● من العلم أن تعلم إنك لا تعلم بما لا تعلم.

● من علامات اللئيم المخادع أن يكون حسن القول سيىء الفعل، بعيد الغضب، قريب الحسد، حمولا للفحش، مجازيا بالحقد، متوسعا فيما ليس له، ضيقا فيما يملك.

● من أفضل البر: الصدق في الغضب، والجود في العسرة، والعفو عند المقدرة.

● اصحب ذوي الفضل وأهل الدين، فالمرء منسوب إلى القرين.

لاتتعجل بالحكم

قال الشعبي: كنت جالسا عند شريح القاضي، إذ دخلت امرأة تبكي بكاء شديدا، وتشكو زوجها، وكان غائباً، فقلت: أصلحك الله، ما أراها إلا مظلومة، قال: وما أعلمك؟ قلت: لبكائها، قال: لا تقطع بظلمها، فإن إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يبكون وهم ظالمون.

أنا عبدك

قيل إن الفضل بن الربيع وزير الخليفة الرشيد، شهد عند أبي يوسف فرد شهادته؟ فعاتبه الخليفة وقال: لم رددت شهادته قال: لأني سمعته يوما يقول للخليفة: «أنا عبدك»، فإن كان صادقا فلا شهادة للعبد، وإن كان كاذبا فكذلك، لأنه إذا لم يبال في مجلسك بالكذب فلا يبالي في مجلسي، فعذره الخليفة، وإنما رده القاضي أبويوسف لما في كلام هذا الوزير من إذلال نفسه، وطاعته لأجل الدنيا.

دعاء

اللهم اجعلنا ممن يأخذ الكتاب باليمين.

واجعلنا يوم الفزع الأكبر آمنين.

قصة العدد

الزائرُ الليلى

للكاتب الألبانى / وهبى إسماعيل حقى

كان الجو غاية فى الاعتدال ؛ فقد كان الفصل خريفاً ، وكانت الليلة فى أخريات الشهر العربى ، يشتد ظلامها ، وتتلألأ نجومها كلما تقدم بها الوقت ، ولما ارتفع صوت المؤذن فوق منارة الحرم النبوى هرع الناس من كل صوب وحدب ، تلبية للنداء ، وإجابة للداعى ، وانتظموا فى صفوف مستقيمة كاد المسجد يضيق بها على عظيم سعته ، وعقب الفراغ من الصلاة توجهوا إلى الله تعالى بقلوب انطوت على الخير ، يضرعون إليه أن يحفظ للإسلام مجده ، ويبقى رايته خفاقة بالرحمة والعدل ، ثم انصرف منهم من تلجئه الضرورة إلى الانصراف ، وجلس من بقى يستمع إلى آي الذكر الحكيم كما جرت بذلك عادتهم ، ولما فرغ القارىء التف الناس حول رجل يشع فى وجهه نور العلم ، وتتلألأ منه أضواء الهداية ، فأخذ يحدثهم فى أمور الدين ، ويبصرهم بما يصلحهم فى الدنيا والآخرة ، ويبين لهم نهج الرسول الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - فى كل الأمور ، ولما انتهى الدرس تصافح الناس وتفرقوا إلى بيوتهم ، فأخذوا مضاجعهم ينشدون الراحة ، ويتأهبون لتلبية الدعوة لصلاة الفجر ، ولم يمض كبير وقت حتى أطبق السكون ، وشمل جميع سكان المدينة ، وغط القوم فى نوم عميق ، ولم يكن هناك يقظان غير واحد أخذ يتنقل فى الشوارع والأزقة ، والحارات والدروب ، ذلك هو عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، خرج - كعادته فى كل ليلة - ليتفقد أحوال الرعية ، وليستطلع أخبار هؤلاء الذين وقع عليه اختيارهم ليكون راعيا لهم ، ولما كان بظاهر المدينة ، والسماء صافية الأديم ، تتلألأ فيها النجوم ليهتدى بها الضال ، ويسترشد بها التائه ، سبح به الخيال إلى عظيم قدرة الله ، ووافر نعمه التى لا يدركها عقل ولا يبلغ مداها فكر ، فأبعد عن العمران قليلا ، فتراءى له فى الصحراء نار مشتعلة ، فأخذ طريقه إليها رجاء أن يكون أصحابها فى حاجة إلى عونه ، فوصل بعد وقت ليس باليسير ؛ فإذا بخيمة قد نصبت فى الصحراء ، جلس أمامها رجل من أهل البادية يستبين فيها الرائى ما تنطوى عليه نفسه من ألم ، وما يعتلج فى قلبه من هم ، فألقى عليه عمر السلام مرة ومرة وثالثة ، ولكن الرجل لم يكن يحس بشىء مما حوله ، فلما رفع عمر بالتحية صوته فى المرة الرابعة فك الرجل حبوته ، والتفت إلى مصدر الصوت ، والشرر يتطاير من عينيه ، وقال فى صوت يكاد يختنق من شدة الغضب مشيراً بإحدى يديه : إليك عنى أيها الرجل ! فليس عندى ما أتصدق به عليك ! !.

لم يغضب عمر لهذه الإهانة ، وتلمس للرجل المعاذير فى ظنه إياه سائلا أو عابر سبيل ، وقال له فى رقة ولطف : أى شىء يا أخى جعل للهم طريقه إلى قلبك ؟ فإنى أطالع فى وجهك سطور الألم وآيات التعذيب ، فصاح الرجل بقوة : لا تزعجنى ، ولا تثر غضبى ، واغرب من وجهى وإلا كان لى معك شأن آخر ، ولكن عمر لم يبرح مكانه لأنه يرى أن واجبه يقضى عليه أن يتعرف الأسباب التى وصلت بهذا الأعرابى إلى هذه النتيجة المحزنة ، والحال المؤلمة ، فأعاد عليه نفس السؤال ، فما كان من الأعرابى إلا أن هب واقفا ودلف إلى الخيمة ، وعاد بيده سيف مصلت ، وقال وهو يهزه هزا عنيفاً : انى أنذرك أيها الرجل للمرة الأخيرة إن لم تبرح هذا المكان فى الحال ، فإنى سأطيح برأسك وأريح الناس منك ومن أمثالك من قطاع الطرق الذين يقلقون الراحة ويذهبون بالأمن .. فقال عمر بصوت كله رقة وعطف : لا ! إننى يا سيدى لست من قطاع الطريق ، ولا أنا سائل ولا ابن سبيل ، إننى من سكان المدينة ، وقد كنت بظاهرها فرأيت هذه النار فبدا لى أن أجىء إلى هنا لأسألكم ان كنتم فى حاجة إلى شىء .. فقال الأعرابى فى هدوء متكلف : أحقا أنت من سكان المدينة ؟ ماذا تمتهن إذاً ؟

- انى أكسب عيشى من عملى للآخرين .. ومملوك من أنت الآن ؟ - إننى مملوك المسلمين جميعاً ، أعمل لسعادتهم وتهيئة أسباب الراحة لهم - ولماذا جئت إلى هنا فى هذا الوقت من هذا الليل ؟ وماذا تريد منى الآن ؟

- جئت إلى هنا لأنى أعرف أن مثلك فى مثل هذا القفر شديد الحاجة إلى من يساعده .. وأريد أن تخبرنى ماذا أستطيع أن أقدمه لك ليخف عنك ما تعانيه من هم ، وما تحسه من ألم .. وقبل أن يتم عمر قوله انبعث من جوف الخيمة صياح وأنين موجع ، فعلم عمر أن فى الأمر شيئا فقال لصاحبه :

- من مصدر هذا الصوت ؟ وماذا يشكو ؟ -

(*) نقلاً عن: مجلة الثقافة العدد (٣١٤) بتاريخ ٢٦/١١/١٩٤٦.

مصدره زوجي ؛ إنها تمخض وليس معها أحد ، ولست أملك ما أستقدم به قابلة من المدينة تعاونها في حالها تلك ، وإني أرجو أن تضم صوتك إلى صوتي لتسأل الله تعالى أن يخفف عنها ألم الوضع في هذه البرية الموحشة ، وأن يكتب لها السلامة.

– هون عليك يا أخي ، ولا تنزعج ، فإني عائد إلى المدينة ، وعما قليل ستكون بجانب زوجك قابلة ماهرة ، طيبة النفس ، رحيمة القلب .. ثم التفت صوب المدينة وهم بالسير ، لكن الأعرابي استوقفه وقال له : – انتظر ! انتظر ! لسنا نريد قابلة ، لأنه ليس لدينا ما نعطيه لها.

– لا تشغل بذلك بالك يا أخي ، فإن القابلة التي أستقدمها تقوم بعملها دون مقابل .. كان الوقت قبيل منتصف الليل حين رجع عمر إلى بيته ووجد زوجه يقظى تنتظر أوبته ، فلما رأته بادي الهم ابتدرته بالسؤال عما وراءه ، فقص عليها ما رأى وقال لها : هل لك في مساعدة هذين المحتاجين ؟ فقالت له : ليس أحب إلى من ذلك ، إني على أتم استعداد فهيا بنا ، فقال لها : عليك إذاً أن تحملي كل ما تحتاج إليه المرأة في مثل هذه الحال ، وأن تأخذي شيئا من الطعام معك .. وسأعد الراحلة لتحملنا وتحمل ما معنا من متاع.

فقالت له : إن كل ما لدينا هو طعام العشاء ، وهو يتألف من قليل من الدقيق وبعض الزيت وشيء من لبن الماعز ، وإن نحن حملناه معنا بتنا على الطوى .. – هلا يوجد عندك غيره ؟ فقد لا يفي بحاجتهما.

– ليس والله في البيت شيء يؤكل بعد ذلك ، فهلا تناول منه ما تتبلغ به ، فإنك لم تأكل شيئا ؟

– ولن آكل ، فأعدي جميع ما عندنا ، فإني أعتقد انهما لم يتناولا شيئا منذ رحلا في صباح يومهما الباكر .. – إذاً فاشرب اللبن ..

– لا ! فقد تحتاج إليه المرأة المسكينة ، أسرعي في تجهيز المتاع ، وخذي معك قنديلا صغيرا ، وقدرا من الماء.

***

تحرك الركب صوب الخيمة ، مسرعا ، ولم يمض إلا قليل من الوقت حتى بلغ غايته ، فحيا عمر صاحبه واستأذنه أن يسمح لزوجه بدخول بيته لتساعد ربته ، فقال له البدوي : أتسمحني في ذلك ، وبيتي تشرف بزيارتها ، وزوجي في مسيس الحاجة إلى معاونتها ؟ إن عملك هذا يا صاح جديد بالتقدير ، خليق بالشكر ، وإني عاجز عن مكافأتك .

– الأمر يا أخي أقل من أن يشكر عليه ، ثم وضع أمامه شيئا من الزاد وطلب إليه أن يتناول عشاءه ، وكانت حاجة الرجل إلى الطعام شديدة ، فدعا عمر إلى مشاركته فلما اعتذر التهمه في نهم وشهية شديدين ، أما زائر الليل فقد هيأ موقداً ، وأشعل النار

ووضع القدر فوقها ، وصب فيها بعض الماء وشيئا من الزيت ، ووضع عليهما الدقيق ، وأخذ يحركها ، ولما فرغ الرجل من طعامه دنا من مجلسه أمام النار وأخذا يتسامران ، وقد بدأ البدوي الحديث قائلاً :

– أمن مواليد المدينة أنت ؟

– لا ، إن مكة الكرمة مسقط رأسي .

– ومتى تركت مكة ؟ ولماذا ؟

– تركتها منذ زمن بعيد ، وجئت إلى المدينة مع سيدي .

– ومازلت في حوزة سيدك ؟ أم تركك حراً ؟

– إنه عهد إليّ خدمة جميع المسلمين ، وتركني حراً .

– وهل شهدت الرسول الكريم ؟

– نعم ، كان لي هذا الشرف ، وإني أحمد الله تعالي على ذلك .

– أوقد صحبته ؟

– نعم صحبته زمنا ليس باليسير .

– يا لها من صحبة سعيدة ، إنك تستطيع إذاً أن تحدثني كيف كان يعيش النبي صلوات الله وسلامه عليه ، وبماذا كان يوصي .

– كان ﷺ يحيا حياة الدعة والبساطة ، يلبس مما يلبس عامة الناس ، ويأكل مما يأكلون ، مع شدة عنايته بالنظافة ، وأكثر ما كان يباشر عمله بيده ، فكان يقم البيت ، ويخصف النعل ، ويرقع الثوب ، ويحلب الشاة والماعز ، ويسقي الناضح ، وكان يعلمنا أن خير الناس وأشرفهم من يأكل من كسب يده ، ويوصينا أن نساعد المحتاج والضعيف ، وأن نعطف على الفقراء والمعوزين .. كان دائم الرضا طلق المحيا ، لم يعرف التشاؤم سبيله إلى قلبه ، ولا العبوس طريقه إلى وجهه .. كان يقول الناس أمام الله سواء ، «لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى» ، «إن أكرمكم عند الله أتقاكم» .. لم تلمس فيه – على طول عهدنا به – أنفة الحاكم ، ولا شموخ الرئيس ، كان بيننا كأحدنا ، لم يستأثر برأي ، ولم ينفرد بأمر ، يشاورنا في الصغير والكبير ، والجليل والحقير ، وقد يأخذ برأي أدنانا ، كان ﷺ مثلاً حياً للتواضع ، لما دنا أجله ، وحانت وفاته أعلن في الناس : أن من كان له عليه دين ، أو له عنده قصاص فإنه على استعداد لقضاء الدين ، وتحمل القصاص .. وأنت ترى الآن أن حياته كانت خالية من التكلف ، وأن أعماله كانت تشريعاً ينهج الناس نهجه .

– لكنك لم تحدثني عما كان يقوم به من عبادة ، وما يؤديه من فروض .

– إنه كان يقول : «قرة عيني في الصلاة» ، وكان يعلمنا أن العبادة كلها ، تطهير للنفس ، وتنقية للروح ، وتصفية للقلب ، لا خير فيها إذا لم يخرج منها الإنسان رقيق القلب ، عطوفا على اليتامى ،

رحيما بالضعفاء، محباً للخير، نافراً من الشر، كما كان يعلمنا أن الدين معناه: حب الله، وخدمة الناس.. وفى تلك اللحظة اشتد الصياح والأنين داخل الخيمة.

- وكان قد لفها السكون، وشملها الهدوء، منذ قدوم القابلة، فانتصب البدوى قائماً، وأخذ يقطع المسافة - أمام الخيمة - ذهوبا وجيئة، ثم خفت الصوت بعد قليل وعاد الرجل إلى مجلسه بجانب الطارق الغريب أمام النار، واستأنف الحديث قائلا:

- إنك لابد تعرف عمر أيضاً، إنهم يقولون إنه فظ غليظ القلب.

- نعم إننى أعرفه، وتلك صفات معيبة.

- إننى فى حيرة من الأمر، لا أستطيع أن أفسر اجتماع المسلمين على اختياره لهم أميراً، وهم يعرفون فيه تلك الأخلاق.

- قد يكون ذلك لأنهم لم يجدوا خيراً منه خادما لهم.

- كيف تقول إنه خادم لهم؟ وماذا تريد بهذا؟

إن فى يد الأمير حياة الجميع. أليست فى يديه خزائن أموال المسلمين.

فى هذا الوقت نادت القابلة ـ ولم تكن سوى زوج عمر ـ يا أمير المؤمنين! بشر صاحبك بغلام.

ارتاع الرجل عندما سمع كلمة يا أمير المؤمنين، واستولت عليه الدهشة وتولته الحيرة عندما علم أنه بين يدى عمر الفظ الغليظ القلب الذى كان يستنكر آنفاً تأمره على الناس. فقال له والخوف يكاد يعقل لسانه: اعذرنى يا أمير المؤمنين فإنى لم أتأدب فى معاملتكم، وأسأت لقائكم.

- لا عليك يا صديقى، أقر الله بالمولود عينيك إنما نحن سواسية. ليس أمام الله حاكم ولا محكوم، ولا أمير ولا حقير، وإن الله يحب من يحب خلائقه. على أنى لم أقم إلا ببعض ما يجب لمن اختارونى لهم أميراً، وتصبونى عليهم خليفة وإن الإسلام لا يعرف إلا أن يكون الأمير خادماً للأمة، راعياً لشئونها.

ثم حمل القدر بين يديه ـ وكان الطعام قد تم نضجه ـ ووضعه أمام الخيمة ونادى زوجه إليه وقال لها:

- أطعميها قبل أن يبرد فهى فى حاجة إلى الطعام الآن.

ثم رجع إلى مكانه بجوار الرجل يسامره حتى أطعمت زوجه المرأة وهيأت لها أسباب الراحة.

ثم إن عمر ودع الرجل وودعت زوجه بدورها المرأة، وقفلا راجعين إلى المدينة فبلغاها والمؤذن ينادى لصلاة الفجر.

ما أشبه الليلة بالبارحة

عَصرُ الرَّشِيدِ

حسبي الله ونعم الوكيل

للشاعر الكبير/ إيليا أبى ماضى





ننشر هذه القصيدة التى قالها الشاعر الكبير إيليا أبو ماضى عندما احتل الإنجليز العراق بعد الحرب العالمية الأولى وارتكبوا من الفظائع ما يرتكبه الأمريكيون الآن وكأن التاريخ يعيد نفسه من جديد.

كَمْ بَيْنَ طَيَّاتِ العُصُورِ الخَالِيَةْ ... عِظَةٌ لأبناءِ الدهورِ الآتِيَهْ

عِبَرُ اللَّيالى كاللَّيالى جَمَّةٌ ... لكنَّما النَّزْرُ القلوبُ الواعِيَهْ

الدَّهرُ يُفنِينا ونَحْسَبُ أنَّهُ ... يُفْنِى بِنا أيَّامَهُ ولَيالِيَهْ

فإذا مشى فينا الفناء فراعنا ... خلق الخيال لنا الحياة الثانية

إن الحياة قصيدة، أبياتها ... أعمارنا، والموت فيها القافية

كم تعشق الدنيا وتكرصدها ... أنسيت أن الخلق طبع الغانية؟

وتود لو يبقى عليك نعيمها ... أجهلت أن عليك رد العارية؟

خل الغرور بما لديك فإنما ... دنياك زائلة ونفسك فانية

إن الألى وطئت نعالهم السهى ... وطئت جباههم نعال الماشية

لو أن حيا خالد فوق الثرى ... ما مات «هرون» وزال «معاوية»

أو كان عز دائما ما أصبحت ... «بغداد» في عدد الطلول البالية

أخنت عليها الحادثات، فدورها ... خرب تعاودها الرياح السافية

يأوى إليها البوم غير مروع ... من كل نعاب أحم الخافية

نزل القضاء فما حماها سورها ... وآمالها رد الجيوش الغازية

واجتاح مجتاح العروش ملوكها ... فكأنهم أعجاز نخل خاوية

أين القصور الشاهقات وأهلها؟ ... باد الجميع، فما لهم من باقية

درست معالمها وغيرها البلى ... ولقد ترى حلل المحاسن كاسية

أيام لا دوح المعارف ذابل ... ذاو، ولا دور الصناعة خالية

أيام لا لغة «الكتاب» غريبة ... فيها ولا همم الأعارب وانية

أيام كان العلم يغبط أهله ... أهل الثراء، ذور البرد الضافية

أيام كان لكل حسن شاعر ... كلف به ولكل شعر راوية

أيام «دجلة» مطمئن هادئ ... جذلان يهزأ بالبحور الطامية

«النيل» خادمه الأمين، وعبده ... «نهر الفرات»، وكل عين جارية

تهوى الكواكب أنها حصباؤه ... أو أنها شجر عليه حانية

وتود كل سحابة مرت به ... لو أنه سحب عليها هامية

وترى الغزالة طيفها عند الضحى ... في سطحه فتبيت عطشى راوية

أيام كان الشرق مرهوب الحمى ... يكسو الجلال سهوله وروابيه

أيام تحسدها العواصم مثلما ... حسد العواطل أختهن الحالية

ولطالما كانت تعز بعزها ... «مصر» ويحمى ذكرها «أنطاكية»

***

أيام «هرون» يدير شؤونها ... يا عصر «هرون» عليك سلامية

ملك أدال من الجهالة علمه ... وأذل صارمه الملوك العاتية

ومشت تطوف في البلاد هباته ... تغشى حواضرها وتغشى البادية

ملأ البلاد عوارفا ومعارفا ... والأرض عدلا والنفوس رفاهية

فتحضر البادون في أيامه ... واستأنست حتى الوحوش الضارية

وتسربلت «بغداد» ثوب مهابة ... ليست تراه أو «تراه» ثانية

هاتيك أيام تلاشت مثلما ... تمحو من الرق الحروف الماحية

لم يبق إلا ذكرها يا حسنها ... ذكرى تهش لها العظام البالية

لو أن هذا الدهر سفر كنت يا ... عصر الحضارة متنه والحاشية

عصر لئن جاء البشير بعوده ... فلأخلعن على البشير شبابيه!..

***

إيه «أبا المأمون» ذكرك آبد ... في الأرض مثل الشامخات الراسية

باق على مر العصور بقاؤها ... وكذاك ذكر ذوى النفوس السامية

إن لم يكن لك من مثال بيننا ... فلأن روحك كل حين دانيه

هي في الخمائل زهرة فياحة ... هي في الكواكب شمسها المتلاليه

إني لأعجب كيف مت وفي الورى ... حي وكيف طوتك هذي الطاويه

ومن الزمان يهد ما شيدته ... ويح الزمان أما تهيب بانيه؟

تشكو إليك اليوم نفسي شجوها ... فلأنت مفزع كل نفس شاكيه

أتراك تعلم أن دارك بدلت ... من صوت «إسحق» بصوت الناعيه؟

أتراك تعلم أن ما أثلته ... قد ضيعته الأنفس المتلاهيه

يا ويح هذا الشرق بعدك إنه ... للضعف بات على شفير الهاويه

ما كان يقنع بالنجوم وسائدا ... واليوم يقنع أهله بالعافيه

مسترسلون إلى الذهول كأنما ... سحروا أو اصطرعوا بنت الخابيه

مستسلمون إلى القضاء كأنما ... أخذوا ولما يؤخذوا بالغاشيه

المجد إدراك النفيس، وعندهم ... ما المجد إلا شادن أو شاديه

يهوى الحياة الناس طوع نفوسهم ... وهم يريدون الحياة كما هيه

صغرت نفوسهم فبات عزيزهم ... يخشى الجبان كما يخاف الطاغيه

حملوا المغارم ساكتين كأنما ... كبرت على أحناكهم لا الناهيه

لم تسمع الدنيا بقوم قبلهم ... ماتوا وما برحوا الديار الفانيه

الله لو حرصوا على أمجادهم ... فلتلك عنوان الشعوب الراقيه

ملك «العلوج» أمورهم ومتاعهم ... حتى سوامهم وحتى الآنيه

وا خجلة العربي من أجداده ... صارت عبيدهم الطغام مواليه!..

***

أبني العطارفة الجبابرة الألى ... وطئوا «اللوار» ودوخوا «إسبانيه»

من حولكم وأمامكم تاريخهم ... فاستخبروه فذاك أصدق راويه

قادوا الجيوش فكل سبل ضيق ... ورموا المعاقل فهي أرض داحيه

وسطوا فأسقطت العروش ملوكها ... رعبا وأجفلت الصروح العاليه

ومشوا على هام النجوم فلم تزل ... في الليل من وجل تحدق ساهيه

وردت خيولهم المجرة شزبا ... والشهب من حول المجرة صاديه

أعطاهم صرف الزمان زمامه ... أمنوا وما أمن الزمان دواهيه

لا أستفزكم لمثل فتوحهم ... لكن إلى حفظ البقايا الباقيه

أتذل آناف الملوك جدودكم ... وتسومكم خسفا رعاة الماشيه؟

كم تصبرون على الهوان كأنكم ... في غبطة والذل نار حاميه

يا للرجال! أما علمتم أنكم ... إن لم تثوروا، أمة متلاشيه؟

***

«دار السلام» تحية من شاعر ... حشدت مدامعه عليك قوافيه

فأراق ماء شؤونه ولو انه ... في الغاديات أراق ماء الغاديه

لو كان مجدك مستردا بالبكا ... قطرت محاجره الدماء القانيه

فعليك تذهب كل نفس حسرة ... ولمثل خطبك تستعار الباكيه

***

نحو غد مشرق

للدكتور
حمدى فتوح والى



عجزوا عن مجابهة الرجال فلجأوا إلى مطاردة الأطفال والتهمة: البحث عن غد مشرق

لم يعد يخفى على أحد، أن القوة الوحيدة التى تنفرد اليوم بحكم الأرض، أصبحت تعطى نفسها دور الإله القادر على كل شيء، وأنها فى ظل القيادة الملتاثة بالفكر الصهيونى المدمر، أصبحت تتوجه بالأرض كلها نحو الخراب والدمار.

إنهم يعيشون حالة البطر والنسيان، ويجنون ثمرة الإمهال لا الإهمال ويتمتعون بما فتح الله عليهم من أبواب كل شيء.. استدراجا لحالهم، وشدة غضب عليهم، ومكرا بهم.. فهم اليوم يفرحون بما أتوا، ويباهون الدنيا بما ملكوا، ويدلون على أهل الأرض بقوتهم وبغيهم، ولسان حالهم يقول «من أشد منا قوة»، وكأنى أسمع قول ربى سبحانه يهددهم ويطمئننا بقوله:

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾(١).

(١) فصلت آية ١٥.

إننى أنتظر واثقا مشهد الأخذ الإلهى العظيم، الذى أعده الله للمتجبرين، وتوعد بها الكافرين المارقين، وإذا كنت لا أدرى متى سيقع ولا كيف يكون، فإن الذى أدريه يقينا هو أنه سيكون أليما شديدا.

﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾(٢).

ولقد علمنا نبينا صلوات الله وسلامه عليه «أن الله يملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»(٣).

وأعلم من ثوابت الله فى خلقه، إنه أقام الكون على نواميس ثابتة وقوانين راسخة بها ينتصر للضعيف من القوى، وللمظلوم من الظالم وللمقهور من المستبد الغشوم..

﴿ وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾(٤).

ولهذا كان من أسمائه العزيز القهار ليشفى قلوب المقهورين بقهر المتجبرين، وقطع دابر الكافرين:

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾(٥).

إن الإبقاء على هؤلاء المتجبرين فى الأرض رغم جحودهم وبغيهم، واستكبارهم فى الأرض بغير الحق إنما هو شأن إلهى يجريه بحكمته ويمضيه على أهل الأرض بإرادته وقدرته.. وما كانت أمريكا وحلفاؤها وأهل الأرض جميعا ليعجزوا الله فى أرضه:

﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾(٦)

﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾(٧).

فليفعل المتكبرون فى الأرض ما شاءوا، من إعانة الظالمين المجرمين، والتنكيل بعباد الله المستضعفين، فإنهم لن يستطيعوا أن يغيروا قدراً من قدره، أو يغيروا شيئا من أمره:

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾(٨).

(٢) هود (١٠٢).
(٣) تخريج
(٤) الأنعام (١٢٩).
(٥) البقرة (٢٥١).
(٦) العنكبوت (٢٢).
(٧) النور (٥٧).
(٨) يس (٨٢).

إننا على يقين من عدل الله ورحمته، وندرك من بديع سننه سنة الابتلاء والاختبار.. ونعلم أن الله سبحانه وتعالى ليس بينه وبين أحد من خلقه نسب، وأن أحدا لم يكبر في ميزانه إلا بتقواه.. ويوم عاهدنا أهل الكتاب من قبلنا فغدروا وأتمنهم فخانوا، وأنزل إليهم الشرائع فعطلوها واستحفظهم الآيات فحرفوها وبدلوها، وأنزل عليهم غضبه، وصب عليهم نقمته، وسلط عليهم من يسومهم سوء العذاب.. ولم ينفعهم ادعاؤهم الكاذب أنهم أبناء الله وأحباؤه.. وكان حكمه القاطع وأمره النافذ:

﴿ قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين ﴾(٩)

وعندما حقت عليهم كلمة الله، فأزال دولتهم، وكسر شوكتهم واستبدل بهم قوما آخرين من عباده.. كان هذا البديل القادم من أعظم خلق الله أدبا، وأكثرهم تقى، وأشدهم خشية وأصدقهم يقينا، وأعمقهم دينا، وأكملهم إيمانا «لم يزل القرآن يسمو بنفوسهم، ويزكي جمرة قلوبهم، ولم تزل مجالس الرسول ﷺ تزيدهم رسوخا في الدين، وعزوفا عن الشهوات، وتفانيا في سبيل المرضاة، وحنينا إلى الجنة، وحرصا على العلم، وفقها في الدين، ومحاسبة للنفس، يطيعون الرسول في المنشط والمكره، وينفرون في سبيل الله خفافا وثقالا.

قد خرجوا مع الرسول للقتال سبعا وعشرين مرة في عشر سنين وخرجوا بأمره لقتال العدو أكثر من مائة مرة.. فهان عليهم التخلي عن الدنيا وهانت عليهم زينة أولادهم ونسائهم في نفوسهم.. ونزلت الآيات بكثير مما لم يألفوه ولم يتعودوه.

وبكل ما يشق على النفس إتيانه في المال والنفس والولد والعشيرة فنشطوا وخفوا لامتثال أمرها.. لا يشاقون الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى، ولا يجدون في أنفسهم حرجا مما قضى، ولا يكون لهم الخيرة من بعد ما أمر أو نهى.. حدثوا الرسول عما اختانوا به أنفسهم، وعرضوا أجسادهم للعذاب الشديد إذا فرطت منهم زلة استوجبت الحد.. نزل تحريم الخمر والكئوس المتدفقة على راحاتهم، فحال أمر الله بينهما وبين الشفاه المتلمظة، والأكباد المتقدة، وكسرت دنان الخمر في سكك المدينة.. حتى إذا خرج حظ الشيطان من نفوسهم، بل خرج حظ نفوسهم من نفوسهم، وأنصفوا من أنفسهم إنصافهم من غيرهم، وطأ الله لهم أكناف الأرض، وأصبحوا عصمة للبشرية ووقاية للعالم ودعاة إلى دين الله، واستخلفهم الرسول ﷺ في دعوته ولحق بالرفيق الأعلى قرير العين من أمته ورسالته.

وظل هذا النموذج الإيماني المبارك يندفع في الأرض فاتحا يكلؤه الله برعايته ويمده بقوته، حتى إذا فتحت عليهم المدائن، ودانت لهم الرقاب، وألقت الأرض بين أيديهم بكنوزها انشغلوا

(٩) سورة المائدة آية ٦٨.

بزهرتها، وافتتنوا بنضرتها، وتحولت من أيديهم إلى قلوبهم فتنازعوها، وتبرجت لهم فتنافسوها حتى إذا دب فيهم داء الأمم من قبلهم، فقسد أمراؤهم، وجهل أبناؤهم، وعجز علماؤهم، واستبد حكامهم.. وصارت ولاية المسلمين مغنما، وصارت الزكاة وتبعات الجهاد مغرما.

عند ذلك لم يبق للمسلمين شيء من أسباب السيادة ولا مقومات الاستخلاف والتمكين، وحقت عليهم سنن الله التي أجراها على من قبلهم فأسقط هيبتهم وكسر شوكتهم، وأزال دولتهم، وسلط عليهم عدوا من غيرهم فاستباح أرضهم ونهب أموالهم وسفك دماءهم.. وأوهن قوتهم، وسلبهم عزتهم وصدق فيهم قول نبيهم صلوات الله وسلامه عليه: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما يتداعى الأكلة إلى قصعتهم، فقال قائل، ومن قلة نحن يومئذ؟ قال ﷺ «بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن، قال قائل يارسول الله وما الوهن.. قال «حب الدنيا وكراهية الموت»(١٠).

إن الأمة الإسلامية تدفع اليوم ثمن تفريطها في دينها، وتضييعها لشريعتها وتعطيلها لمنهج ربها وسنة نبيها.. وإن مايقع لها اليوم على أيدي أعدائها من ابتلاء واختبار إنما هو تمحيص لصفها، وتنقية لشوائبها وتصفية من أدعيائها والخائنين لها:

﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ﴾(١١).

إن ما يقع لأمتنا اليوم مخاض عسير ولابد للمخاض من آلام.. وأن ما تدفعه الأمة اليوم من دماء ذكية وأرواح طاهرة، وما تواجهه من حصد للشباب وهدم للبيوت.. وحرق للزروع، وهتك للحرمات والمقدسات كل ذلك بمثابة وصل لتيار الإيمان ليسري في الأبدان فيحييها، وفي الأرواح فيشعلها، وفي المشاعر فيلهبها لتمد موكب الإيمان بأهله من المؤمنين الصادقين.. الذين تصنعهم بعين الله.. وتكلؤهم عينه.. ليكونوا بديلا لمن غير وبدل وأعطى الدنية في دينه، ونسي ربه وأطاع هواه.. من الذين قال الله فيهم:

﴿ وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾(١٢).

أما هذا الغرس الإيماني المبارك، الذي ولد من رحم المحنة صافيا نقيا، فهم الذين استكملوا صفات جند الله الصادقين المخلصين في قوله تعالى:

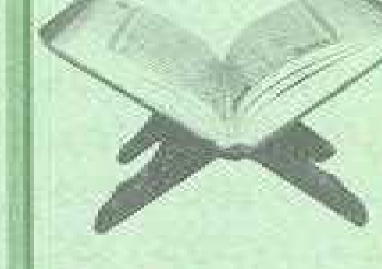
﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾(١٣).

(١٠)

(١١) سورة محمد ٣١.

(١٢) سورة محمد ٣٨.

(١٣) المائدة ٥٤.



من حديث القرآن عن اليهود

حربنا معهم حرب عقيدة..!!

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عطية

قال الله تعالى فى سورة «المائدة»: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟
ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٥٧)
وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَّا يَعْقِلُونَ (٥٨) قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا
بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ (٥٩) قُلْ
هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ
عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ
مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ (٦٠) وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا
وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ
(٦١) وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ
ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٦٢) لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ
وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟
يَصْنَعُونَ ﴾

(سورة المائدة ٥٧ - ٦٣)

هذه الآيات البينات وردت فى سورة «المائدة» ضمن كوكبة كريمة من الآيات المباركات تتحدث جميعها عن أهل الكتاب عامة، وإن كانت قد أعطت اليهود مزيداً من الاهتمام، نظراً للمزيد من الإساءة التى نالت الإسلام والمسلمين على أيديهم. حيث أفاضت الآيات فى وصفهم وخروجهم عن تعاليم دينهم الصحيح، الذى أنزله الله على موسى -عليه السلام-، وما تحتوى عليه كتبهم السماوية بعد أن حرفوها، وكتموا ما بها من صفات هذا النبى العربى التى وجدوها عندهم فى التوراة.. وكانوا فى عدائهم للإسلام وأهله أشد خطراً من المشركين، حيث استهزأوا بالدين الإسلامى وبالمسلمين، حينما كانوا يرونهم يؤدون شعائر دينهم الحنيف. وبخاصة شعيرة الصلاة عندما ينادى لها «الله أكبر. الله أكبر... حى على الصلاة، حى على الفلاح...».

قال الكلبى: «كان إذا أذن المؤذن وقام المسلمون إلى الصلاة قالت اليهود: قد قاموا لا قاموا؛ وكانوا يضحكون إذا ركع المسلمون وسجدوا وقالوا فى حق الأذان: لقد ابتدعت شيئاً لم تسمع به فيما مضى من الأمم، فمن أين لك صياح مثل صياح العير؟ فما أقبحه من صوت.. وما أسمجه من أمر. وقيل: إنهم كانوا إذا أذن المؤذن للصلاة تضاحكوا فيما بينهم وتغامزوا على طريق السخف والمجون، تجهيلا لأهلها، وتنفيراً للناس عنها وعن الداعى إليها»[1].

جاءت هذه الآيات البينات، وما قبلها وما بعدها لتحذر المسلمين من أهل الكتاب عامة واليهود خاصة، وهى تؤكد على حقيقة أن معركتنا معهم، إنما هى معركة العقيدة، وأنهم لايزالون يحيكون المؤامرات ويدبرون الحيل ضد هذا الدين وأهله؛ بغية الخلاص منه. ولذا كانت هذه التحذيرات القرآنية، التى تنبه المسلمين دائماً إلى ألا يركنوا إلى اليهود، ولا إلى النصارى الذين يوالونهم، ويسيرون على دربهم فى عدائهم للإسلام والمسلمين، بألا يتخذوا منهم أولياء. فالولاية الحقة لا تكون إلا على أساس من العقيدة الصحيحة، التى لا يشوبها شرك، ولا تركن إلى ضلال؛ ولذا كانت هذه التحذيرات المتكررة: فمنها قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ
وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾[2].

وهو نص صريح فى التحذير من موالاتهم والركون إليهم، لما يترتب على ذلك من سوء العاقبة، ولذا قال عقبها: «ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين».

(١) القرطبى ص٢٢٦٦ ط دار الشعب.

(٢) المائدة (٥١).

ومنها هذا الوعيد الشديد لأولئك الذين يتخذون منهم أولياء من المسلمين، ويبرمون معهم المعاهدات والاتفاقيات، وهو ما يسمى اليوم بالتعاون العسكرى أو السياسى أو الاقتصادى.. إلخ وتصمهم بالردة عن الإسلام؛ حيث إن الإسلام دين الصراحة والوضوح فلا يقبل الانتماء إليه بالكلمات المعسولة، التى تكذبها الأفعال، والتى تتحول نتائجها إلى طلقات نارية توجه صوب صدور المسلمين. يصف القرآن هؤلاء بأنهم مرتدون، ويتوعدهم بأن يقضى الله عليهم، ويأتى بأناس غيرهم يحظون بشرف حبهم لله تعالى، وحب الله لهم، ويحظون بشرف حمل الأمانة وأدائها كاملة غير منقوصة.. قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾(٣).

فالولاية الحقة لا تكون إلا لله ولرسوله وللمؤمنين، وهى رديف الإيمان الصحيح، ولذا كانت ولاية أعداء الله وأعداء دينه الحق رديف الكفر بالله عز وجل، ولذا عبر القرآن الكريم عن هذا النوع من الولاية بأنه ردة عن هذا الدين، وتوعد أصحابها بسوء العاقبة.

ومنها هذا النداء الثالث الذى ورد فى هذه الآيات البينات، ليكرر فيه التحذير من كيد هؤلاء اليهود ومن ولايتهم، التى لا يليق بالمسلمين أن يقعوا فى شراكها، لأنهم يسخرون من المسلمين ومن أدائهم لهذا الركن الركين، وهو الصلاة، التى تفرق بيننا وبينهم. قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٥٧) وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾(٤).

هؤلاء هم اليهود والنصارى الذين يوالونهم ويتحالفون معهم ضد الإسلام والمسلمين: فهكذا كانوا على عهد رسول الله ﷺ وقد مرت الإشارة إلى ذلك فى حديث الكلبى.. وهكذا كانوا فى العصر الوسيط.. وهكذا كانوا فى عصرنا الحاضر: فهؤلاء هم اليهود والنصارى «الذين شنوا الحرب الصليبية خلال مائتى عام، وهم الذين ارتكبوا فظائع الأندلس، وهم الذين شردوا العرب المسلمين فى فلسطين، وأحلوا اليهود محلهم، متعاونين فى ذلك مع الإلحاد والمادية..» (سيد قطب فى ظلال القرآن).

وفى معاركنا الراهنة معهم، هناك الكثير والكثير من الوقائع، التى تدل على

(٣) المائدة (٥٤).

(٤) المائدة (٥٧، ٥٨).

أن حربنا معهم لاتزال حرب عقيدة ـ وعقيدة فقط ـ مهما وضعوا لها من العناوين، أو انتحلوا لها من العلل والأسباب والشعارات الزائفة.. فلقد عشنا أحداثا كثيرة، كانت سهامهم فيها موجهة إلى الإسلام فى صميمه:

فهم الذين ارتكبوا مذبحة دير ياسين ضد المسلمين وكذلك مذبحة صابرا وشاتيلا.. وهم الذين قاموا بعدوان ١٩٥٦، ١٩٦٧، وأحرقوا المسجد الأقصى عام ١٩٦٩م مسرى رسول الله ﷺ ومعراجه، الذى يرى فيه المسلمون عنوان مجد الإسلام وشرفه وعزته، لما يحمل من دلالات عروجه ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى السماء، وإمامته لأنبياء الله تبارك وتعالى، وفيهم بطبيعة الحال نبيهم موسى ـ عليه السلام ـ وما يتبع هذا وذاك من هيمنة الإسلام على جميع الرسالات السماوية.

وإن المتتبع لأحوال اليهود اليوم، وما يقومون به من الكيد للإسلام والمسلمين ومحاولة الإيقاع بهم فى شراك الفتن والمؤامرات، وتأليب كافة الشعوب وقوى الشرك والبغى عليهم، وما يقومون به من هدم للمساجد على رؤوس مرتاديها ومنعهم المسلمين الفلسطينيين من أداء الصلاة فى المسجد الأقصى.. ثم ما قاموا به مؤخراً من إلصاق تهمة الحادى عشر من سبتمبر بالإسلام والمسلمين، ليصموا هذا الدين العف السمح بالإرهاب.. إن المتتبع لهذا كله ليرى مصداق ما جاء فى هذه الآيات وغيرها، وكأن القرآن لايزال يتنزل اليوم آية بعد آية، وسورة بعد سورة فى وصف هؤلاء الناس وما تنطوى عليه قلوبهم من الحقد على الإسلام والكيد الأثيم لأهله.

إن تاريخ اليهود وحاضرهم، ليؤكدان حقيقة كبرى يجب أن يتنبه لها المسلمون وألا تغيب عن أذهانهم لحظة واحدة من ليل أو نهار. هذه الحقيقة هى أن معركتنا معهم لا تقوم إلا على عدائهم لعقيدة المسلمين، وأنهم على مر التاريخ ـ ماضيه وحاضره ـ يحاولون جاهدين طمس معالم هذا الدين والقضاء عليه وعلى كل من يرفع به رأساً، أو يقيم له شعيرة، وأنهم يسخرون كل أموالهم وقواهم السياسية والعسكرية والاقتصادية لتحقيق هذا الهدف الكبير، ولذا نراهم يتحالفون مع كل قوة يرون فيها العداء للإسلام، وبخاصة الصليبية المتعصبة والشيوعية الملحدة؛ وفى سبيل ذلك نراهم يحاولون فى كل عصر استغلال القوة التى يرونها مسيطرة على مقاليد السياسة والاقتصاد فى العالم: فتارة نراهم يرتمون فى أحضان الشيوعية الملحدة؛ حتى إن الاتحاد السوفيتى السابق كان أول من أعلن اعترافه بدولة إسرائيل فور قيامها عام ١٩٤٨م.

وقبل ذلك نراهم يتحازون إلى بريطانيا وقت أن كان لها السيطرة التامة على الشطر الأكبر من الكرة الأرضية؛ حتى قيل يومها: انها الإمبراطورية التى لا تغيب عنها الشمس. انحاز لها اليهود حتى حصلوا على وعد بلفور المشئوم بإنشاء دولة إسرائيل على أرض فلسطين المسلمة.

وفى هذه المرحلة التى يعيشها العالم اليوم، نراهم الابن المدلل للولايات المتحدة الأمريكية، ذات السطوة الكبرى والوحيدة فى عالم اليوم.. ولا ندرى ما سوف تأتى به الغداة، بعد أن تزول أمريكا ويأذن نجمها بالأفول، كما أفل نجم الاتحاد السوفيتى السابق، وإنا لنراه قريبا إن شاء الله تعالى..!!

فاليهود لا يرضون للمسلمين البقاء على دين الإسلام، ولا يقبلون أن يستمروا على إيمانهم بالله تعالى، وما ذلك إلا لأنهم كفروا بالله وبرسوله، وفسقوا عن شرع الله الذى جاءهم به موسى عليه السلام، حيث كان من مقتضى إيمانهم الصحيح بما ورد فى التوراة التى قال الله فيها:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾(٥).

كان من مقتضى هذا الإيمان أن يتبعوا الرسول النبى الأمى الذى ورد ذكره فيه وهم يعرفونه بصفاته كما يعرفون أبناءهم. فقد روى أن عمر بن الخطاب قال لعبد الله بن سلام ـ وكان من زعماء اليهود وأكرمه الله بالإسلام ـ: أتعرف محمداً ﷺ كما تعرف ابنك؟ قال: نعم، وأكثر.. بعث الله أمينه فى سمائه إلى أمينه فى أرضه بنعته فعرفته، وابنى لا أدرى ما كان من أمه..!! قال الحق تبارك وتعالى:

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾(٦).

لكنهم جحدوه وأنكروا معرفتهم به، وحينما سألهم المشركون عن أى الفريقين أفضل؟ قالوا كذباً وبهتاناً: أنتم أهدى من محمد وأصحابه، وهم يعرفون أين يكون الحق..!! قال الله عز وجل فى هذا:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾(٧)

وسيظلون هكذا إلى يوم القيامة.. قال الحق تباركت أسماؤه:

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾(٨)

(٥) المائدة (٤٤).
(٦) البقرة (١٤٦).
(٧) النساء (٥١، ٥٢).
(٨) البقرة (١٢٠).

وهو حكم أبدى، لا يقبل التبديل أو التغيير، لأنه صادر من لدن حكيم خبير، يدرك طبيعة هؤلاء اليهود، وما جبلت عليه نفوسهم من الحقد والغدر، إلى يوم يبعثون.

هؤلاء اليهود، الذين لا يُرجى منهم خير، ولا يُنتظر من صحبتهم وولائهم فضلة من بر؛ لأن حربنا معهم قائمة على أساس العقيدة.. هؤلاء اليهود للتاريخ معهم سابقة، ولله معهم وفى شأنهم دوافع، سبق أن دفعهم بها؛ مما يؤكد على أنهم سيظلون هكذا، حتى آخر الزمان. فهم الذين سبقت عليهم لعنة الله واستحقوا غضبه، فلا يهدأون فى قابل الأيام لحظة واحدة، ولا ينعمون إلى جانب رحمة الله وفضله ورضوانه، وهم الذين سبق فيهم سخط الله؛ حتى جعل منهم القردة والخنازير، تحقيرا لهم وإذلالا لماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم، وهم الذين أذلوا أنفسهم بعبادتهم لشياطينهم من الإنس والجن، وانسياقهم وراءهم حيث اقتادوهم إلى أسوأ مصير وإن المتتبع المنصف لكل مراحل تاريخهم، والمحلل الواعى لحاضرهم، ليرى أنهم فى أسوأ مكان فى تاريخ الشعوب قاطبة:

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾(٩).

والله العليم الخبير بنواياهم، وما انطوت عليه من الضغينة ونكث العهود، لم يظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون:

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾(١٠).

إذن هؤلاء اليهود، لا خير فيهم البتة، ولا تعايش بين المسلمين وبينهم، فيما سمى مؤخراً «التعايش السلمى»، لأن هذا التعايش إذا حدث من جانب المسلمين، فإنه لن يحدث من جانب اليهود.. ولقد أثبتت التجارب البعيدة والقريبة، أنهم أكثر شعوب الأرض نكثاً للعهود، وإخلافا للوعود. حدث ذلك فى عهد رسول الله ﷺ وسوابق بنى قريظة وبنى النضير وبنى قينقاع وخيبر شاهد على ذلك. وفى العصر الحديث، كم من العهود أبرمت بينهم وبين المسلمين، ولكنهم فى كل مرة كانوا هم البادئين بنقض العهود والضرب بها عرض الحائط. «ولقد علم الله ـ سبحانه ـ أن الخير لابد أن يلقى النقمة من الشر، وأن الحق لابد أن يواجه العداء من الباطل، وأن الاستقامة لابد أن تثير غيظ القاق، وأن الالتزام لابد أن يجر حقد المنحرفين».

«وعلم الله ـ سبحانه ـ أن لابد للخير والحق والاستقامة والالتزام، أن تدفع عن

(٩) المائدة (٦٠).
(١٠) البقرة (٦٥).

نفسها. وأن تخوض المعركة الحتمية مع الشر والباطل والفسق والانحراف وأنها معركة لا خيار فيها، ولا يملك الحق ألا يخوضها في وجه الباطل، لأن الباطل سيهاجمه، ولا يملك الخير أن يتجنبها لأن الشر لابد سيحاول سحقه».

«وغفلة - أي غفلة - أن يظن أصحاب الحق والخير والاستقامة والالتزام أنهم متروكون من الباطل والشر والفسق والانحراف، وأنهم يملكون تجنب المعركة، وأنه يمكن أن تقوم هناك مصالحة أو مهادنة. وخير لهم أن يستعدوا للمعركة المحتومة بالوعي والعدة، من أن يستسلموا للوهم والخديعة. وهم يومئذ مأكولون مأكولون»[11].

ومن طبيعة هؤلاء اليهود التي كشف القرآن الكريم النقاب عنها، أنهم جبلوا على الخديعة والمراوغة. فهم - عندما تشتد عليهم وطأة الحق، ويرون أنهم هالكون لا محالة - يظهرون المسالمة والموادعة؛ كسباً للوقت وليستدروا عطف الحق ويستميلوا قلوب الشعوب، فإذا اطمأنت قلوبهم وأمنوا الهلاك الماحق، تراهم يظهرون العداء السافر، وينقضون العهود والمواثيق؛ وما ذلك إلا لأن قلوبهم منطوية على الغش والخديعة.

﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾[12].

ومن طبيعتهم التي تأصلت فيهم، وأصبحت - في كل عصر وفي كل مكان - سمة ثابتة فيهم، أنهم وراء كل شر، وأنهم يحيكون المؤامرات الخسيسة ضد الشعوب الآمنة:

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[13].

هؤلاء اليهود، لن يرجى منهم خير مدى الحياة، لما يتميزون به من الإجماع على كراهية الإسلام والمسلمين، دون أن يكون هناك من يصدهم عن ذلك، أو ينهاهم عن إيذاء الشعوب. فحتى أحبارهم يزيفون لهم عداوة المسلمين للإيقاع بهم في المعارك التي تستنزف قواهم، وتهلك منهم الحرث والنسل كما يستحلون دماءهم وأموالهم. قال الحق تبارك وتعالى:

﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[14].

---

(11) تفسير الظلال ص٩٣٦.

(12) المائدة (٦١).

(13) المائدة (٦٢).

(14) المائدة (٦٣).

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ۝ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾[15].

تلك هي حقيقة اليهود، وحقيقة المعركة التي تخوضها الأمة المسلمة ضدهم حسبما قررت السماء، وحسبما سبق في علم الله اللطيف الخبير، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. فهل بعد كلام الله كلام؟! وهل بعد حكم الله حكم؟!

﴿فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾[16].

ليس معنى هذا ألا نساير دعوة السلام وحقن الدماء، التي يطلقها بعض المخلصين، ويبذلون الجهد والعرق والدم رخيصاً في سبيل تحقيقها. وإنما نسايرهم في ذلك، ونسلك معهم كل طريق يحتمل أن يؤدي إلى ذلك قال الله في محكم كتابه:

﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾[17].

على أنه لا ينبغي أن يفاجئنا العدو بانتقاضاته المتوقعة، وإنما يجب أن نكون على استعداد دائم:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[18].

وقديماً قيل: إذا أردت السلام فكن مستعداً للحرب.

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[19].

***

---

(15) المائدة (٧٨ - ٨٠).

(16) يونس (٣٢).

(17) الأنفال (٦١، ٦٢).

(18) الأنفال (٦٠).

(19) الشعراء (٢٢٧).

الصراع الديني في إسرائيل

للأستاذ/ صلاح عبدالرحيم محمد

تُعرف الشريعة اليهودية «الهالاخاه» بأنها منظومة قوانين الدين اليهودي من أوامر ونواه، وترتكز في المقام الأول على أساس القانون التوراتي الذي يشتمل على ٦١٣ أمراً ونهياً، تنقسم إلى ٢٤٨ أمراً «افعل» و٣٦٥ نهى «لا تفعل». وفي ضوء ذلك يجب على كل يهودي متدين أن يلتزم بالأوامر والنواهي التي وردت في التوراة، ويلتزم الحاخامات والقُضاة في نفس الوقت بمسئولية الرد على أية استفسارات، وأسئلة تتعلق بأي التباس في قضايا الشريعة المتصلة بأمور الحياة الدينية من صلوات، وأدعية، ونصوص دينية، ومحرمات، وواجبات مرتبطة بالحفاظ على مراسم أيام السبت والأعياد، وأصول الملبس والمأكل والمشرب..

وجدير بالذكر أن المؤسسة الدينية في إسرائيل تشمل حاخاميتين،

الأولى: حاخامية أشكنازية برئاسة الحاخام «يونا مستجر» وهي تمثل اليهود الغربيين..

والثانية: حاخامية سفاردية برئاسة الحاخام «عامر» وهي تمثل اليهود الشرقيين، ويرأس هاتين الحاخاميتين، الحاخامية الرئيسية، التي طبقاً لقانونها يشغل أحد الحاخامين السابقين منصب رئيس مجلس الحاخامية الرئيسية بينما الحاخام الآخر، فيشغل منصب رئيس المحكمة الربانية العليا. وفي الوقت الراهن يتولى الحاخام الأكبر «يونا مستجر» رئاسة مجلس الحاخامية الرئيسية، التي تهيمن على كافة التيارات الدينية في إسرائيل، كما يشغل الآن الحاخام الأكبر «عامر» منصب رئيس المحكمة الربانية العليا، ويعتبر المنهج الديني الأشكينازي هو المسيطر حالياً على الحياة الدينية في إسرائيل. ولا شك أن هذا التنظيم الذي يشكل المؤسسة الدينية، بهذه الصورة، بشقيه الأشكينازي والسفاردي يعكس عمق الصراع الديني بين اليهود الغربيين «الأشكينازم» واليهود الشرقيين «السفارديم»،

ويرجع تاريخ هذا الصراع الديني إلى فترة سابقة على إعلان قيام الكيان الإسرائيلي في فلسطين العربية. فقد انقسم حاخامات اليهود فيما بينهم إلى فريقين:

الأول: فريق أشكينازي يعيش في أوروبا، ويتبع ما وضعه الحاخام «يوسف كارو» من تعاليم في كتابه «شولحان أروخ» الذي يعني كتاب «المائدة المجهزة» بعد أن قام الحاخام «إسيرليس» بإدخال بعض التعديلات عليه.

والفريق الثاني: هو فريق سفاردي يعيش في المجتمعات العربية والإسلامية، ويتبع ما جاء في كتاب الحاخام «يوسف كارو» «شولحان أروخ» من تعاليم دينية بدون أية تعديلات، والذي وضعه أثناء إقامته في صفد بفلسطين في القرن السادس عشر.

وقد كان المذهب الديني السفاردي هو المذهب السائد على الفريقين، السفاردي «اليهود الشرقيون»، والأشكيناز «اليهود الغربيون»، في فلسطين، واللافت للنظر أن الطائفتين الأشكينازية والسفاردية عاشتا في ظل الحكم الإسلامي التركي يمثلهما الحاخام الأكبر السفاردي، الذي تولى إدارة الشئون الدينية لليهود أشكينازيم أو سفارديم حسب المنهج السفاردي، حيث كان اليهود الغربيون «الأشكيناز» أقلية في فلسطين. وفي إطار المشروع الصهيوني رفض الأشكيناز المتدينون ـ خاصة بعد زيادة عددهم مع تصاعد الهجرة اليهودية إلى فلسطين ـ الاعتراف بسلطة الحاخام الأكبر السفاردي، مما أدى إلى انقسام المجتمع اليهودي إلى طائفتين:

طائفة أشكينازية، تتبع منهجا أشكينازيا دينيا يقوم على أحكام الشريعة اليهودية، كما جاءت في شرح الحاخام «موشي أسيرليس».

وطائفة سفاردية تتبع منهجا سفارديا يقوم على أحكام الشريعة اليهودية، كما دونها الحاخام «يوسف كارو» في كتابه «شولحان أروخ».. ومنذ عام ١٩١١ تقاسم الحاخام «عوزيل» السفاردي والحاخام الأشكينازي «إفراهام يتسحاق هاكوهين كوك» تصريف أمور اليهود الدينية، غير أن الحاخام «كوك» استغل الانتصار الذي أحرزه الإنجليز على الدولة العثمانية، في الحرب العالمية الأولى، وطالب سلطات الانتداب البريطاني، بالاعتراف به حاخاماً أكبر ليهود فلسطين أشكينازاً وسفارداً على السواء.

ولم يأت عام ١٩٢١ حتى أعطته السلطات الانتدابية الضوء الأخضر لإقامة الحاخامية الدينية الكبرى في فلسطين،

وفقاً للمنهج الاشكينازي الديني، ومن ثم حرص حاخامات الطائفة الاشكينازية على تهميش المنهج السفاردي الديني بمنع تدريسه في مختلف مدارس إسرائيل الدينية، منتزعين بذلك الهيمنة التي كانت لليهود السفارديم منذ قدوم الحاخام «يوسف كارو»، فلسطين في القرن السادس عشر ومن هنا بدأ الصراع الديني اليهودي يشتعل أواره بين المنهجين الدينيين الاشكينازي والسفاردي أيهما يمكن أن يهيمن على الحياة الدينية في إسرائيل؟..

وجدير بالذكر أن ثمة تيارات دينية ثلاثة في إسرائيل تتصارع فيما بينهما:

الأول التيار الأرثوذكسي الذي يشكل أقلية في أوساط المتدينين، وينقسم بدوره إلى فرق عديدة لا يجمعها سوى التناحر والفرقة. ويمثل التيار الحريدي «المتشددون دينياً» الاتجاه الأكثر تطرفاً في أوساط اليهود الأرثوذكس في إسرائيل، ويضم هذا التيار أتباع الحسيدية[١]، وبعض الطوائف اليهودية الشرقية التي ترجع بأصولها إلى بلدان شمال أفريقية. ويقيم أبناء التيار الحريدي في حي «مائة شعاريم» أي مائة باب في القدس ومنطقة بني باراك على أطراف تل أبيب الشمالية، ويمثل هذا التيار «حركة ناطوري كارتا»[٢] التي لا تعترف بدولة إسرائيل ويحرص اليهود الأرثوذكس في إسرائيل على المشاركة في الأحزاب الدينية مثل:

حزب «أجودات إسرائيل» أي «جمعية إسرائيل» الذي يمثل اليهود الغربيين الاشكيناز؛

وحزب «شاس» الديني الحريدي «المتشدد» ويمثل اليهود الشرقيين «السفارديم» ويضم في صفوفه أتباع الحركة «الحسيدية»؛

والحزب الديني القومي «المفدال» الذي يمثل الصهيونية الدينية، ويؤيده سكان المستعمرات اليهودية، الذين يرفضون الانسحاب من الضفة الغربية وغزة.

وحزب «ميماد» الديني «المعتدل دينياً» الذي ينظر إلى الصهيونية على أنها حركة سياسية تاريخية ليست له أية علاقة بالفكرة المسيحانية[٣].

---

(١) تنادي الحركة الحسيدية باحتقار التلمود أو حتى الاطلاع عليه، ويجتمعون للصلاة فرادى، بينما اليهودية الأرثوذكسية تشترط لصحة الصلاة اجتماع عشرة أفراد، وتواجه الحسيدية معارضة عنيفة من اليهودية الأرثوذكسية.

(٢) أي حراس المدينة.

(٣) الفكرة المسيحانية تعني انتظار المسيح اليهودي في آخر الزمان، لجمع شمل يهود العالم من شتاتهم إلى فلسطين، وإقامة دولة يهودية لهم على أرضها، تكون القدس عاصمة لها، ويؤمن بهذه الفكرة المتشددون اليهود «الحريديم»، مثل جماعة «ناطوري كارتا».

والتيار الثاني، تيار اليهودية الإصلاحية، وتعني «اليهودية المعدلة» لإدخال بعض التعديلات على الديانة اليهودية، مثل تأخير سن التزام اليهودي بتعاليم الشريعة اليهودية، فقد طالب «يسرائيل يعقوبسون» بتأخير سن الإلزام إلى سن السادسة عشرة، وذلك بخلاف ما تفرضه التقاليد اليهودية بإلزام كل من يبلغ الثالثة عشرة من عمره، باتباع تعاليم الديانة اليهودية. ويحاول أتباع هذا المذهب الإصلاحي التوفيق بين اليهودية السلفية «الأرثوذكسية» وبين مطالب الحياة العصرية، فيرى بعض أتباع اليهودية الإصلاحية أنه من الممكن تجاوز بعض الشرائع المتعلقة بضرورة وضع قبعة على الرأس، وبتحريم بعض الأطعمة، وبقداسة يوم السبت، بل سمحت الحركة الإصلاحية للمرأة بشغل أي منصب قيادي في الطائفة اليهودية، كما أنها أباحت مؤخراً «الزواج المختلط».

والتيار الثالث، هو تيار اليهودية المحافظة الذي يسعى إلى الحد من غلو المذهب الإصلاحي للحفاظ على التقاليد اليهودية. ولقد اتخذت لها شعار «دمج التوراة مع العلمانية»، واكتفت بإدخال بعض التعديلات على طرق حياة اليهودي، فسمحت لليهود بارتداء ملابس غير ملابس اليهود، والتحدث بلغة الدولة التي يقيمون فيها. وتعتبر الكلية الحاخامية الأمريكية بنيويورك هي المعقل الرئيسي لتأهيل، وإعداد، وتخريج، الحاخامات المحافظين.

وقد أقيمت كليات حاخامية فرعية تابعة للكلية الحاخامية الأمريكية في لوس أنجلوس، وبيونس أيرس، والقدس، كما شهدت اليهودية المحافظة مؤخراً بعض التغييرات الجوهرية لدعم حقوق المرأة اليهودية، فسُمح للمرأة بمشاركة الرجل بتأدية الصلاة معاً في المعبد كما سُمح لها في عام ١٩٥٤، بحمل التوراة في المعبد، وقيادة الطائفة اليهودية، وارتداء شال الصلاة، ووضع قبعة الصلاة على رأسها، وتم في عام ١٩٨٤ السماح للمرأة بالدراسة والتدريس في المعابد المتخصصة في تأهيل وتخريج الحاخامات. وتعرف الطوائف اليهودية المحافظة في إسرائيل باسم «الطوائف التقليدية». وتذكر الإحصاءات الرسمية الإسرائيلية أن اليهود الأرثوذكس، الملتزمين بالفرائض والشرائع الدينية يمثلون نحو ٢٠٪ من جملة عدد اليهود في إسرائيل، بينما يلتزم حوالي ٦٠٪ من اليهود بقسم من الفرائض والشعائر الدينية، ويطلق عليهم «متدينون تقليديون» في حين يشكل اليهود غير المتدينين «العلمانيين» حوالي ٢٠٪ من اليهود في إسرائيل.

ومن المؤشرات المهمة في هذا السياق يلاحظ المحللون السياسيون الإسرائيليون أن

٣٠٪ من أطفال إسرائيل يلتحقون بالتعليم الدينى، وهذا يدل على أن غالبية المجتمع اليهودى فى إسرائيل، هم يهود علمانيون، ولذلك يشتد الصراع فيما بين المتدينين أنفسهم فى تصوراتهم، ومواقفهم من دولة إسرائيل، فيرى قسم منهم أن إعلان قيام إسرائيل، منذ عام ١٩٤٨ يمثل خطوة تمهيدية تعجل بقدوم المسيح الذى يخلص يهود العالم من عذاب الشتات، وهؤلاء اليهود يشاركون فى شتى شئون الحياة فى المجتمع الإسرائيلى، بينما يعتقد المتشددون دينياً أن السيادة الكاملة على أرض إسرائيل لا يمكن أن تتحقق لليهود إلا بعد قدوم المسيح المخلص، فى حين يرى جزء منهم أن دولة إسرائيل كافرة، وغير شرعية، لأنها قامت بمشيئة البشر، وليست بمشيئة الله على يد المسيح، ولذا يلزم مقاطعتها، أما بقية اليهود المتدينين فترى أن مقاطعة دولة إسرائيل ليست كافية، بل يجب مقاومتها، ويعتقدون ضرورة غسل إسرائيل، وتطهيرها من شرور الصهيونية بتطبيق الشريعة اليهودية كما جاءت فى التوراة، وهؤلاء يمثلون الأصولية اليهودية.

ومن جهة أخرى نجد قضية هامة مختلف حولها من جانب النخبة الدينية الإسرائيلية، وتشغل أيضاً الصفوة السياسية الحاكمة فى إسرائيل وهى قضية «من هو اليهودى؟»، وهى تمثل أخطر أبعاد الصراع الدينى والسياسى، وكيف عصفت بكثير من الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة وزلزلت كيانها، وهنا يبرز على الساحة الدينية والسياسية تساؤل: هل إسرائيل دولة لليهود؟ أم دولة من اليهود؟ فمن وجهة النظر الصهيونية العلمانية أن اليهودى من ولد من أم يهودية، أما من وجهة نظر المتشددين دينياً «الحريديم»، فاليهودى هو من ثبت نسبه لثلاثة أجداد يهود. ولعل هذه الإشكالية التى تشعل الصراع الدينى فى إسرائيل أكدت المؤسسة الإسرائيلية الحاكمة على العلمانية فى إطار يهودى. وفى هذا السياق جرى استطلاع للرأى عام ١٩٩٦ أيد فيه ٥٠٪ من اليهود «اليهودية كهوية»، ووضعوها فوق الهوية الإسرائيلية، فيعتبر ذلك مؤشراً على فاعلية التيارات الدينية فى إسرائيل، مما يكون له آثار سلبية على حق عودة اللاجئين الفلسطينيين، والحقوق المدنية لعرب ١٩٤٨، وقبول التنازل عن أية أراضٍ مقدسة فى القدس أو أى جزء آخر من أرض فلسطين فى أية مفاوضات مقبلة. لذا فإن قضية الهوية اليهودية ستكون، بالتأكيد محل صراع لا تخبو جذوته بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل خاصة فى ظل الحكومات اليمينية المتشددة، مثل حكومة شارون الحالية.

ومن جانب آخر ظهر على الساحة السياسية فى إسرائيل تأثير القوى الدينية فى صراعها مع القوى اليسارية فى

انتخابات ٦/٢/٢٠٠١ على رئاسة الحكومة، عندما استغل «شارون» مقترحات «إيهود باراك»، فيما تعرف «بالثورة المدنية» والخاصة بتقليص سلطة الأحزاب الدينية على المجتمع الإسرائيلى، فى الحصول على معظم أصوات القطاع الدينى، وبسبب تلك المقترحات، فشل باراك فى مغازلة القوى الدينية لكسب ثقتها، حتى أن حزب «ميماد» الدينى سعى فى مفاوضة الحزب الدينى القومى «المفدال» لتكوين كتلة دينية موحدة لمواجهة الثورة العلمانية التى دعا إليها «باراك»، والتى تتضمن توحيد المناهج الدراسية فى المدارس «بما يعنى التقليل من أهمية التعليم الدينى» وفرض الخدمة العامة على من تمتعوا بالإعفاء من الخدمة العسكرية من المتدينين «الحريديم» أو الذين لا يؤدونها من المدنيين، وإلغاء وزارة الشئون الدينية، والسماح بتشغيل المواصلات العامة والطيران أيام السبت الذى يقدسه المتدينون، ويحرمون فيه العمل، لذلك عندما قدم باراك استقالة حكومته، وبدأ الإعداد لانتخابات جديدة فى السادس من فبراير ٢٠٠١ لرئاسة الحكومة، صممت الأحزاب الدينية على تأييد «شارون»، وسعت إلى تعبئة أنصارها ومؤيديها لانتخابه بدلاً من «باراك»، وبالفعل صوت أكثر من ٩٠٪ من المعسكر الدينى لصالح شارون، حتى صار رئيساً للحكومة الإسرائيلية لأول مرة فى تاريخ إسرائيل. ويرجع تنامى النفوذ الدينى فى المجتمع الإسرائيلى إلى أن الدين اليهودى يشكل أحد أهم عناصر القومية اليهودية، يضاف إلى ذلك تصاعد نسبة المتدينين الذين يتمسكون بتعاليم اليهودية. غير أن نمو المشاعر الدينية، وتعاظم نفوذ المؤسسات الدينية، ورجال الدين اليهود يثيران العديد من المشكلات التى تتعلق بالطوائف الدينية المختلفة، حيث تحرص هذه المؤسسات على إسقاط صفة اليهودى عن عدد من الجماعات العرقية اليهودية مثل: اليهود السود، ويهود الفلاشا المهاجرين من أثيوبيا، خصوصاً بعد نجاح الأحزاب الدينية فى استصدار قانون يربط قانون «من هو اليهودى» بقانون العودة والجنسية واستخدامه فى إسقاط جنسية من يثبت أنه ليس يهودياً.

وفى الختام يمكن القول: إن المجتمع الإسرائيلى، بخليطه المتنافر، من متدينين أرثوذكس، وإصلاحيين، ومحافظين، وحريديم، وحسيديين يهود، مقابل علمانيين، ويهود شرقيين، وغربيين.. لا يمكن أن يهدأ فيه الصراع بحكم ما يتميز به هذا المجتمع من تباين بشرى متناقض حتى بين أبناء الطائفة اليهودية الواحدة، وربما يؤدى ذلك إلى انهياره من الداخل.

من نعم الله الخفية

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

نعم الله على الإنسان لا تعد ولا تحصى، وإن كان هناك من تصانيف يمكن أن تضعها فى إطاره فلن يكون إلا ما أشار إليه البارى فى قوله:

﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾(١)

والنعم الظاهرة كالمال والآل والولد والصحة ومن قبل ذلك ومن بعد نعمة الإيمان به سبحانه يتحدث إلينا فيها ويفيض المتحدثون الذين أوتوا من روائع البيان والبصيرة المنيرة ما يجرى على ألسنتهم كلاما يفوق فى عذوبته الماء الزلال وفى حلاوته السحر الحلال وفى رونقه وبهائه لآلىء المرجان يذكرون به الناسى وينبهون الغافل حتى يقوما ببعض واجب الشكر للمنعم المتفضل، ومن ثم فلن أخوض عباب هذا البحر أو أركب لجته، لكنى أحدثك أخى المسلم عن نوع آخر من النعم الباطنة التى لا يلتفت إليها كثير من الناس على الرغم من أنها لا تقل أهمية عن النعم الظاهرة إن لم تفقها فى بعض الأحيان وذلك لأهميتها للإنسان وما تؤدى من دور جوهرى لا غنى لابن آدم عنه بحال.

فمن هذه النعم الخفية ذات الأثر الفعال فى حياتنا تلك المخلوقات التى لا تقع تحت حصر، وهى مخلوقات مكروسكوبية شديدة الدقة تقوم بالزحف علينا وحولنا وفى داخلنا من جميع الجهات دون أن ندرى أنها أنواع من البكتريا لا تراها العين المجردة إذ تحتاج إلى مجاهر فائقة القدرة لاستكشافها وهى مخلوقات ضرورية لصحتك أيها الإنسان ألبسك الله تاج الصحة والعافية وجعله سابغا موفورا وفى واقع الأمر فإن جسمك يحوى دون أن تحس أو تشعر الكثير والكثير من تلك المخلوقات العجيبة التى تمثل دون أدنى مبالغة ١٠٪ من جسم الإنسان.

والسؤال الذى يطرح نفسه هو.. ما فائدة تلك المخلوقات للإنسان؟ إن تلك المخلوقات الطيبة المتناثرة على البشرة تقف بالمرصاد لأعدائها وأعدائك من المخلوقات الضارة فتمنعها منعا باتا من دخول الجسم ليس هذا فقط بل إنها

(١) لقمان (٢٠).

تقوم بوظيفة أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها ألا وهى تصنيع مواد كيماوية تقتل وتبيد ما يضر الإنسان من مثل فطر «السلونيلا» الذى يسبب حمى التيفود وقانا الله وإياكم كل الموبقات وأسبل علينا ستره الجميل.

إذن فالسؤال المهم الآن يقول.. كيف يمكن للإنسان أن يساعد تلك الكائنات على القيام بوظائفها خير قيام؟ والجواب أن ذلك يتمثل فى أمر هو أبسط وأيسر مما تتصور فقط بأن تتحاشى وتبتعد عن استعمال كل المنظفات المضادة للبكتريا والتى يمكن أن تفنى بلا رحمة تلك الكائنات الدقيقة التى تعمل بدأب وجد على حمايتك والمحافظة على صحتك بأمر الله، إن الابتعاد عن العادات الإسلامية من الغسل والوضوء وكل ما أمر به الخالق يمهد السبيل لغزاة آخرين من الكائنات الضارة التى من أمثلتها ذلك الفطر المسبب للدودة الحلقية والحكة وغيرها مما نسأل المولى - تعالى - أن يجنبنا إياه، فالتزامنا أوامر الله منوط به سعادتنا فى الدنيا والآخرة.

ثم دعنى أحدثك عن كائنات موجودة بالوجه هى فى تكوينها تستدعى فى الإنسان إيمانه الفطرى الذى يهتف مشيدا بقدرة القوى المتين، فتلك الكائنات مخلوقات أشبه شىء بالديدان لكل منهما ثمانية أرجل دقيقة ويحمل كل فرد منا ما يقارب ٨٠ ألفا من تلك الكائنات تقبع فى هدوء واطمئنان فى أماكن لا تخطر لك ببال إنها تتخذ من حاجبيك والشعر الموجود فى أنفك وبصيلاته مسكنا، ولتلك الكائنات مهمتان لا غناء لإنسان عن كليهما فأولى المهام هى المحافظة على جهازك المناعى سليما معافى، وما أدراك ما جهازك المناعى؟ إنه الجهاز المسئول عن صحتك من ألفها إلى يائها فادعو الله وتضرع إليه معى أن يحفظ لك جهازك المناعى فى أحسن حال، والمهمة الثانية لكائنات الوجه المفيدة هى إزالة خلايا الجلد الميتة من البشرة، ولذا فأنت مطالب دائما وأبدا بالابتعاد قدر المستطاع عن كل ما يضر بك من عادات غير إسلامية فديننا الحنيف كفل لنا العيش الهنىء إن استمسكنا بأهداب الشرع وتشبثنا بحبل الله المتين الذى أكد لنا أهمية الماء فى حياتنا وأنه أصل الحياة، وأننا كلما تحاشينا الإغراق فى الأشياء المصنعة فلم نفرط فى استخدامها وكان استخدامها عند الضرورة القصوى فقط كان ذلك أجدى وأنفع لنا فإن من نعم الله التى لا يكاد يقدرها أحد قدرها توفيقه للعبد فى التزام الصراط المستقيم وذلك بالتحصن فى حماه جل فى علاه فحين يفعل الإنسان ذلك يهنأ فى الحياة قرير العين وقد صدق فيه قول الشاعر المتلمس رضا الله حين قال:

وإذا العناية لاحظتك عيونها
نم فالمخاطر كلهن أمان

فاللهم عرفنا نعمك وأفضها علينا وابتدرنا بها وخصنا بالنصيب الأوفر منها ومتعنا بها ظاهرة وباطنة ووفقنا لشكرها لنكون أهلا للمزيد فأنت واهب النعم وأنت الذى توفق من أحببت لشكر نعمك.

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

يقول الله -تعالى-:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

[البقرة آية رقم ١٨٣]

فهدف الصوم وغايته هو تقوى الله. فهل وصلنا إلى هذه الغاية السامية؟

بل كيف تحقق السير إلى التقوى؟ وحتى تصل إلى غايتك من سيرك فلابد أن تحكم البداية لأنك إذا لم تحكم البداية فلن تصل إلى الهدف الذى ترجوه.

وكيف نتبين أننا على صواب فى السير أم أننا على خطأ؟

بل كيف نتبين الخطأ من الصواب؟

فى سياحة داخل كتب القوم- وهم رجال هذا الميدان وسادة الموقف- وخلال هذا الشهر الكريم نتلمس الخطى إلى غايتنا المنشودة (التقوى) فما هى الخطوة الأولى التى يجب أن نخطوها وكيف يكون البدء فى الإعداد للوقوف بين يديه -سبحانه وتعالى-.

يقول الحارث المحاسبى -رضى الله عنه- فى كتابه القيم (الرعاية لحقوق الله): فليكن أول ما تبدأ به من العدة لذلك المقام، تقوى الله -عز وجل- فى السر والعلانية ليأمن قلبك فى ذلك المقام مع قلوب المتقين حين ينجز الله لهم ما وعدهم من الأمن والغبطة والسرور. لأن التقوى أول منزلة العابدين واحذر من الغرور فلا تكن مخدوعاً بعبادتك. فكم من متقشف فى لباسه متذلل فى نفسه، آخذ من حطام الدنيا اليسير وكم من مصل وصائم وغاز وحاج وباك وداع ومظهر للزهادة فى الدنيا والرفض لها، غير صادق ولا مخلص وليس على صلاح حقيقى.

لكن كيف يعرف الإنسان أنه على صواب أم خطأ وكيف يتبين خطأه من صوابه، وإذا ما أراد إنسان من هؤلاء أن يزن أعماله بموازين الدين، واستيقظ فؤاده فأراد أن يعرف أين هو من المخلصين؟ فعليه أن يرجع إلى نفسه ويعرض أيامه التى خلت من عمره فى عبادته وينظر: هل أتى عليه يوم منها حفظ فيه جوارحه وقلبه عما كره الله؟ وهل سلم من العجب والكبر والحسد والشماتة وسوء الظن؟؟ ولعله بعد هذا العرض يتواضع ويبدأ فى إصلاح أمره.

وكما أن أول المراتب التقوى للإقامة بين يدى الله فإن الإنابة إليه -تعالى- والندم على ما اقترفه الإنسان من الذنوب هى أول شرائط التقوى.

يقول المحاسبى فى كتابة: «الوصايا» ألا فراقبوا الله إخوانى، وتطهروا من السيئات بالإنابة منها، والندم عليها.

فإن الإنابة أبلغ فى رضوان الله، وأطهر لكم، وأمحق للذنوب من الحسنات مع التلوث فى السيئات».

فإنه بلغنا، أن بعض أهل العلم قال: أفضل العبادات أداء الفرائض، واجتناب المحارم. وبلغنا عن بعضهم أنه قال: «بلغنى أنه يلتقى الرجلان أحدهما أكثر صوما وصلاة، مستقيم منيب إلى الله -تعالى- مراقب، فهو أكرمهما على الله. قالوا: وكيف يكون ذلك؟ قال: يكون أورعهما عن محارم الله»، أى أكثرهما بعدا عن محارم الله، فهذا فضل ما بين الرجلين. وقال بعض أهل العلم: «من سره أن يسبق الدائب المجتهد، فليكف عن الذنوب جهده».

يا قوم: فتقربوا إلى الله بالتقوى ومجانبة الآثام، فإن المجانب للحرام أحظى عند الله وأعلا من المتعبدين.

قال الله تعالى:

﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

[سورة التوبة آية ١٠٢]

فاجعلوا أعظم الرغبة فى الورع عن [محارم] الله، وترك الخلاف عليه، فإن أكرمكم عند الله أتقاكم، وإنما يتقبل الله من المتقين. جعلنا الله وإياكم كذلك.

ورمضان شهر القرآن فيه نزلت أول سورة منه وفى ليله ونهاره يهرع الصائم إلى كتاب الله يلتمس الهدى والقربة من الله -تعالى- فطوبى للحال المرتحل وهو الذى ما أن ينتهى من قراءة المصحف حتى يبدأ من جديد. كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ فى رحاب القرآن الكريم ومع كتاب «دروس قرآنية» للعارف بالله الشيخ / عبدالجواد محمد الدومى -طيب الله ثراه- وهى مجموعة دروس ألقاها فى أحد مساجد القاهرة عام ١٩٣٥ جلس شاب من محبى الشيخ ومريديه يسجل بقلمه الدر الذى ينساب من فم الشيخ، فكان مما سجل هذا الكتاب - الذى أشرنا إليه سابقا - من ما نقتطف به من رحيق الشيخ - رضى الله عنه - قوله:

قال النبى ﷺ: «إن جبريل جاء إلىّ فقال اقرأ. قلت ما أنا بقارىء» [حديث بدء الوحى].

والحاصل أن النبى ﷺ يعلم أنه جبريل

وأنه مرسل من الله، فلم لايمتثل لأمر ربه؟ مع أن ما حصل منه ليلة الإسراء هو عكس ذلك لأن جبريل لما قال له إنزل فصلِّ، بادر بالامتثال فصلى، ولكنه هنا قال: ما أنا بقارىء.. وتكرر النفى من جانب المصطفى ﷺ ثلاث مرات.. ومن جانب جبريل فإنه يعلم أن النبى ﷺ أمى لا يقرأ ولا يكتب.. فهل يكلفه بالمحال وهو أن يقرأ مع أنه يعلم أنه أمى؟!

جبريل قال له اقرأ، فهل أعطاه مكتوباً يقرأه؟

روى بعض المحدثين أن جبريل جاءه بنمط من ديباج مكتوب فقال: اقرأ.. إذا فهناك كتابة: وبقاء الأمر على ظاهره يبعث فى النفس شيئاً: الرسول ﷺ يعلم أنه جبريل وأنه مرسل من عند الله. وجبريل يأتى بنمط من ديباج مكتوب ثم يقول له: اقرأ مع أنه يعلم أنه أمى إذا فلابد للمسألة من سر؟ كون الرسول ﷺ أمياً أعظم فتنة لأن هذا جعل كثيراً من الناس يخوضون فى ذلك مخالفة العادة أن من لم يتعلم القراءة والكتابة لايستطيع أن يقرأ فكيف يقرأ النبى ﷺ؟ والذى يخوض فى هذا الموضوع لا يعلم أن الله -تعالى- وهو القادر الذى خلق الإنسان من علق والذى علم بالقلم قادر على أن يعلم الرسول الأمى بغير قلم. ومن جهة أخرى بعث النبى أمياً لكى يوصد الباب عن المشركين لأنه لو كان يقرأ مثل الذين يقرأون منهم لقالوا: إنه كان يسافر تظاهراً بالتجارة وهو يتعلم من الرهبان والكهنة فيقولون:

﴿ أَكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾

[سورة الفرقان آية ٥]

لكن لو عرف أنه أمى لا يقرأ ولا يكتب وإن ذهب معهم إلى الشام فهو لايفترق عنهم ومع ذلك جاء بكتاب تحداهم بالفصاحة مع أن الفصاحة شيمتهم وميزتهم بل تحداهم بأن يأتوا بسورة واحدة من مثله. كل ذلك وهو أمى لايقرأ ولايكتب. إذاً فكون النبى أمياً سد الباب على المشركين وتعلم القراءة والكتابة سبباً للقراءة وأعظم فتنة فى العالم هى الأسباب ولذلك يقول سادتنا الصوفية بحق: «الأسباب هى الباب وهى الحجاب». الأسباب دينية أو دنيوية من تناولها امتثالا لأمر الله -تعالى- وسلك لكل غاية طريقها وعمل أسبابها. لأن الله أمر بها معتقداً أن التأثير لله وحده فى كل شيء فإنها تكون بالنسبة لها باباً يدخل منه إلى حضرة الله -سبحانه وتعالى-. وأن من وقف مع الأسباب والمقارنة الظاهرة فرأى أنه إن لم يأكل لايشبع وإن لم يشرب لا يرتوى. فرأى أن الطعام والماء قد أثر فى الشبع والرى ورأى أن مزاولة الكتب هى التى أوجدت العلم؛ فإن الأسباب بالنسبة

لهذا الشخص تكون هى الحجاب الذي يحجبه عن الحق وتؤدى به هذه العقيدة فى تأثير الأسباب إلى الكفر والعياذ بالله؛ فإن من يعتقد أن الأسباب هى التى توجد المسببات فهو كافر بإجماع علماء المسلمين. وكذلك من يقول إن الأسباب تؤثر بطبيعتها فهو كافر بالإجماع. يقول الشيخ/ الدردير - رضى الله عنه-:

ومن يقل بالطبع أو بالعلة
فذاك كفر عند أهل الملة
ومن يقل بالقوة المودعة
فذاك بدعى فلا تلتفت

لذلك اقتضت الحكمة الإلهية أن يشير القرآن الكريم إلى هذا الأصل فى أول آية والقرآن كله والتكاليف كلها مبنية على هذه النقطة ولا ينبغى أن يفهم غير هذا ولايجوز غير هذا.

فالنقطة الرئيسية وبيت القصيد هى الأسباب.

وقف عند الأسباب قومٌ فكفروا وأهملها قومٌ ولم يفعلوها لادعاء الولاية فتزندقوا إنما الحق أن تزاولها بأعضائك امتثالاً لأمر الله -تعالى-:

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾

[آية ١٠ سورة الجمعة]

معتقداً أن التأثير لله لا شريك له.. ومن فضل الله -تعالى- أنه أمر بمزاولة الأسباب وفعلها ولكنه وضع علامة تراها البصائر فإن هذا الوادى واسع إن لم يكن فيه فنار يضل سالكه ومثال ذلك قول الله -تعالى-:

﴿ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ ولكن هل الرزق من ذلك؟ قال: لا. لأنه قال فى آية أخرى:

﴿ وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦ ﴾.

[آية ١٥ سورة الملك]

فالرزق من الله وبالله. لما كان الأمر كذلك بدأ الوحى بهذا الأصل ليبينه للعباد. فالرسول مع أنه أمى فإنه سيوضح وسيتلو عليكم البيان لكى يظهر المراد.

● وإلى لقاء آخر نرتشف فيه من رحيق شيخى هذا النبع الكريم المبارك

ملاحظة:

وردت لى رسالتان.. الأولى من الشيخ/ جمال البنا- واعظ بالجيزة، والثانية من الشيخ/ .... واعظ بالجمعية الشرعية وسجين القناطر.. اسأل الله أن يتيح من الوقت ومن مساحة المجلة مايسمح بنشرهما أو التعليق عليهما.

والله الموفق والمستعان.

على عزت بيجوفيتش بطل فقدناه

للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين



إنه الرجل حين عز الرجال.. إنه البطل حيث اندثرت معانى البطولة والتضحية والفداء. ولولا التآمر الدولى البغيض الذى وقف بالمرصاد للدولة الإسلامية الوليدة، لولا هذا فقط لأعاد على عزت بيجوفيتش سيرة صقر قريش عبدالرحمن الداخل. ذلك البطل الذى فر من الشام وحيداً منفرداً ليعبر البحر المتوسط ويؤسس للإسلام دولة كان لها مجد وتاريخ.

تعالوا بنا نقلب فى صفحات تاريخ هذا البطل الذى فقدناه، إنه البطل حيث اندثرت معانى البطولة، إنه الرجل فى زمن عز فيه الرجال.

ولد فى الثامن من سبتمبر سنة ١٩٢٥ فى مدينة (بوسانسكى ساماتش) شمال البوسنة فى أسرة مسلمة بسيطة ملتزمة ومتمسكة بتعاليم دينها اهتمت بتربية ابنها وتعليمه وتثقيفه حتى التحق بالجامعة لدراسة القانون.

ولكن على عزت بيجوفيتش لم يكن ذلك الرجل الذى يعيش فى محيط أسرته الضيق بعيداً عن هموم نظرائه من مسلمى يوجوسلافيا الذين رزحوا لفترة ليست قليلة تحت نير حكم شيوعى طاغ مستبد تمثل فى واحد من أعتى طغاة العصر (جوزيف بروز تيتو) رئيس جمهورية الاتحاد اليوغسلافى.

وعكف بيجوفيتش على دراسة أحوال الإسلام والمسلمين فى الاتحاد اليوغسلافى بوجه عام، وفى البوسنة بوجه خاص، وانخرط فى حركة قومية للشبيبة المسلمة، وكانت حركة ذات نشاط سرى سرعان ما انكشف، إذ لم يقبل الحكم البوليسى هذا النشاط، فداهمت الشرطة منزل الفتى واقتادته مقيداً بالأصفاد ليمثل أمام محكمة وجهت إليه تهمة (الانخراط فى أنشطة مناهضة للنظام الشيوعى القائم فى الاتحاد اليوغسلافى) وحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات ذاق خلالها مع أبناء وطنه - البوسنة- الهوان والذل حتى أطلق سراحه أواخر سنة ١٩٤٨، ليعاود دراسته بالجامعة حتى أتمها.

وكان طبيعيا أن يتجه بعد تخرجه إلى العمل بمهنة المحاماة، خاصة بعد أن ذاق بنفسه طعم الظلم الشديد المرارة.. ولكن سنوات السجن لم تكسر عزيمته إذ عكف على دراسة أحوال المسلمين فى الاتحاد اليوغوسلافى وساءه أن يجد المسلمين اليوغسلاف فى معظمهم منقسمين إلى فريقين: فريق لا يبالى بما آل إليه حال الإسلام والمسلمين فى البوسنة لأنه ولد فى بيئة يهيمن عليها الحكم الشيوعى البغيض الذى كان حريصا على محو الهوية الإسلامية فى نفوس المسلمين منذ نعومة أظافرهم وعلى مدار سنى حياتهم. وفريق آخر كان قد بدأ ينمو فى نهاية الستينيات من القرن العشرين وينادى بضرورة استعادة حقوق المسلمين المسلوبة وتوعية شباب المسلمين بمبادىء دينهم التى كادت تصبح مجرد تراث مدون فى كتب التاريخ.

ولم يسلم الأمر من موجة عنف وغلو اتسم بها سلوك الفريق الثانى.

ولذلك أصدر على عزت بيجوفيتش المحامى كتابه الشهير عام ١٩٧٠ (البيان الإسلامى) الذى ركز فيه على أهمية الدعوة إلى سبيل المسلم وفق المنهج القرآنى النورانى دون غلو أو تطرف:

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾

(النحل ١٢٥)

ونبه على ضرورة وأهمية التعايش الخلاق المثمر بين جميع طوائف المجتمع فى إطار:

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾.

(الكافرون ٦)

وبصدور (البيان الإسلامى) أصبح على عزت بيجوفيتش زعيما لمسلمى يوغوسلافيا، إذ لم يتجرأ سواه على الجهر علناً بالمطالبة بحقوق المسلمين فى أن يجاهروا بأنهم مسلمون وأن يؤدوا شعائرهم الدينية فى أمن واطمئنان وأن يحصلوا على كامل حقوقهم فى حياة آمنة مستقرة، وترافع مدافعا عن حقوق عشرات بل مئات الأسر المسلمة التى عانت تمييزاً عرقياً فاضحاً من قبل نظام الحكم الشيوعى الذى مالبث أن أعاد اعتقال الرجل ثانية سنة ١٩٨٣ عقاباً له على تأليفه لكتاب (الإسلام بين الشرق والغرب) الذى طالب فيه بحق المسلمين فى أن تكون لهم دولة يعيشون فى كنفها يمارسون فيها حياتهم بأمن واطمئنان دون خوف من ملاحقة أو اعتقال أو أى شكل من أشكال التنكيل. وصدر ضد الرجل حكما جائرا بالسجن مدة أربعة عشر عاما أمضى منها فى السجن خمس سنوات حيث أطلق سراحه عام ١٩٨٨ فى إطار عفو عام عن السجناء بعد سقوط حكم الحزب الشيوعى الذى كان عقده قد انفرط بعد موت أعتى عتاة الطغيان فى القرن العشرين (جوزيف بروز تيتو).

ولكن يوغوسلافيا كانت تسير نحو منحى آخر، إذ تولى الحكم طاغية صربى متعصب قرر أن يكون خليفة (تيتو) وأن يكون زعيما لصربيا الكبرى، والكبرى لأنه لم يكتف بإقليمى صربيا والجبل الأسود، ولكنه قرر أن يضم إلى إمبراطوريته كرواتيا، والبوسنة والهرسك وبدأ بكرواتيا.

وكان طبيعيا أن يتوجس الرجل شرا من هذا الطاغية الجديد، فأسس حزبا جماهيريا هو (حزب التحرك الديمقراطى)، وفاز فى أول انتخابات حرة تشهدها البوسنة والهرسك، وأصبح رئيسا لأول جمهورية إسلامية فى قلب أوروبا سنة ١٩٩٢، فاستشاط الوحش الصربى غضبا، فأوقف معاركه التى كان يخوضها على جبهة كرواتيا التى حظيت بمساندة أوروبية قوية وفعالة، وحول آلته العسكرية المدمرة تجاه هؤلاء الذين لم يجدوا لهم نصيرا فى القارة الأوروبية.

فقد رفضت أوروبا بالإجماع وبشكل غير معلن إنشاء جمهورية إسلامية فى قلب أوروبا، حيث نظروا جميعاً إلى الإسلام على أنه الخطر الذى سيكون عليهم مواجهته بعد سقوط الشيوعية.

ولكن بيجوفيتش لم يستسلم وقاتل بضراوة وكان فى مقدمة الصفوف المدافعة عن الإسلام والمسلمين، ولم تملك أوروبا -المتواطئة- إلا أن تبدى إعجابها بالصمود البطولى، ولكنه اعجاب مالبث أن تحول إلى خوف إن لم يكن رعباً، ذلك أن حرب

الإبادة الجماعية التى قادها الطاغية الصربى الدموى (سلوبودان ميليسوفيتش) لم تفت فى عضد المسلمين، ولم تكسر عزيمتهم وإنما زادتهم صلابة، وبدأت الأقليات المسلمة فى مختلف دول أوروبا فى تشكيل كتائب متطوعين للحرب فى صفوف مجاهدى البوسنة، كما بدأوا فى جمع تبرعات لشراء الطعام والسلاح لهم، وبدا أن هذه الحرب لن تنتهى أبداً، بل أبدت أوروبا مخاوفها من أن تنتهى الحرب بحصول المسلمين على استقلالهم وإنشاء دولتهم بقوة السلاح، بشكل قد يعيد إلى الأذهان عصر دولة الأندلس. عندها تدخلت أوروبا وتدخلت الولايات المتحدة وتدخل حلف الأطلنطى لإنهاء القتال بالقوة فى شكل بدا وكأنه تدخل لمصلحة المسلمين فى الظاهر -وهو مالم ولن يكون- وانتهى الأمر بتوقيع اتفاق (دايتون) للسلام فى نوفمبر ١٩٩٥ الذى وقعه بيجوفيتش على كره منه، وسط معارضة قوية من أغلب رجاله الذين احترموا قراره والتزموا به، لأنهم يعرفون زعيمهم حق المعرفة، يعرفون من هو على عزت بيجوفيتش، قال الرجل وهو يوقع الاتفاق: «انه ليس سلاما عادلا، ولكنه أفضل من استمرار الحرب».

ووفقا للاتفاق وضعت أسس تشكيل رئاسة وحكومة ثلاثية الأطراف تضم: المسلمين والصرب والكروات فى البوسنة. وفاز بيجوفيتش عام ١٩٩٦ بمنصب ممثل المسلمين فى الرئاسة البوسنية الجماعية، وتكرر الفوز فى انتخابات أخرى أجريت عام ١٩٩٨.

ولكن، وبسبب مشاكل صحية، أعلن على عزت بيجوفيتش فى يونيه ٢٠٠٠ انسحابه من الرئاسة الجماعية.

وكان من مواقفه المشرفة جدا رفضه الكامل لمسلك عدد من زعماء حزبه (حزب التحرك الديمقراطى) الذين عملوا على عرقلة ومنع عودة السكان غير المسلمين إلى العاصمة البوسنية سرايفو.

وأخيراً أسلم بطلنا الروح فى ١٩ أكتوبر عام ٢٠٠٣ عن سبعة وثمانين عاما ليشيعه شعبه بأحر الدموع، كيف لا، وهو الرجل الذى قال «لا» فى زمن عز فيه الرجال.

إنه رجل صدق فيه قول الله تعالى:

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾

(الاحزاب ٢٣)

بين الصحف و المجلات

إعداد

أ/ محمود الفشنى

أ/ عبدالموجود أمين

العولمة فى المفهوم الإسلامى

● فى جريدة الأهرام فى عددها الصادر فى ٨/١١/٢٠٠٣ أجرى عبدالوهاب حامد حوارا مع رئيس الشئون الدينية فى تركيا عن العولمة فى المفهوم الإسلامى جاء فيه:

إن العولمة التى نريدها هدفها دعم التناصر الإنسانى وليس عولمة التنافس والتناحر لأنها فى نظر الإسلام لها مفهوم إنسانى وأخلاقى فى القيم الإسلامية بصرف النظر عن الأطروحات الموجودة فى المفهوم الغربى والإعلام العلمانى.

فالعولمة فى المفهوم الإسلامى تدعو إلى التكافل بين الإنسان وأخيه الإنسان والتعاون على الخير وإلغاء كل مظاهر التمييز العنصرى ومقاومة كل دعوة إلى إقليمية ضيقة أو قومية متفرقة أو عصبية جاهلية، حيث يضع الإسلام معياراً واضحاً للتمييز والتفاضل القائم على أساس العمل النافع وفعل الخير والتنافس فيه والتضامن بين الأغنياء والفقراء والتعاون بين الشعوب والقوميات لكى تكون كلمة الله هى العليا.

وقال: إن المسلمين مطالبون بالإصغاء إلى دعوات العولمة، ولكن من منظور إسلامى، لأن الانزواء لن يفيدنا فى شىء، لأننا نتطلع إلى المستقبل ونستشرف آفاقه ونحاول تحديد ملامحه.

ثم أشار إلى أن المسلمين يمثلون نسبة كبيرة من سكان العالم، حيث يشمل الوطن الإسلامى أقاليم كثيرة، وإن المسلمين مطالبون بتدبر معنى العولمة ودراسة غاياتها ووسائلها وأدواتها.

الإرهاب فى السعودية.. مَن المستفيد ؟!..

● فى جريدة عقيدتى فى ١١/١١/٢٠٠٣ تحت هذا العنوان قال مجدى سالم:

على طريقة السينما الأمريكية يضرب الإرهابيون فى منطقة أخرى وضد أهداف أخرى بعيدة تماماً عما توقعته المخابرات الأمريكية ونكتشف فى النهاية أن أهداف الإرهاب كانت محددة.. معتمرون.. ومسلمون آمنون يقيمون فى أحد أحياء مدينة الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية.. وليس من بينهم أمريكى واحد.

والسؤال الذى يلح منذ فترات طويلة كلما دقت أجهزة المخابرات الأمريكية ناقوس الخطر محذرة من عمليات إرهابية محتملة.. لماذا؟.. ودائماً لا تحدث هذه العمليات وتكون التحذيرات كاذبة عندما يكون الهدف فى الغرب وفى أمريكا نفسها.. ولماذا تنجح هذه العمليات وتفشل محاولات إحباطها عندما تكون فى السعودية أو غيرها من دول الشرق الأوسط؟!

والتحذيرات.. والعمليات الإرهابية.. والنتائج المترتبة عليها سواء عدد الضحايا.. والفوضى التى تعقبها.. وغيرها من الأمور، ألا يدفعنا للتساؤل هل استطاعت أجهزة المخابرات المختلفة التغلغل داخل بعض التنظيمات الإرهابية، بحيث تتمكن من معرفة نواياها وخططها.. ثم تترك ما تريد أن يتم من هذه الخطط بما يخدم أغراضها.. وتقوم بإجهاض ومنع خطط أخرى أم أن درجة التغلغل وصلت إلى مدى أبعد من ذلك وأصبحت هذه الأجهزة هى التى تضع الخطط لتقوم الجماعات الإرهابية بتنفيذها..

نحن نتساءل عن المستفيد من أى عمل إجرامى لنصل إلى الجانى، ومن المستفيد من إشاعة الفوضى فى المملكة العربية السعودية وجعلها هدفاً للعمليات الإرهابية؟!..

فى كلتا الحالتين لا أجد أمامى سوى أمريكا وإسرائيل، وإذا كانت أجهزة المخابرات تعلن أن هدف الإرهاب هو ضرب الاستقرار فى السعودية، فهى صادقة فى ذلك، ولكن هل هذا الإرهاب قادم من تنظيم القاعدة أو غيره.. أم قادم من واشنطن ومن مجلس الشيوخ الأمريكى، وبالتحديد من رموز الصهيونية بداخله، ومن نفس الإدارة الأمريكية التى تصف نُظم الحكم فى الشرق الأوسط بأنها غير ديمقراطية، وتعلن على لسان رئيسها نيّة أمريكا تغيير هذه النظم، أليس هذا هو الإرهاب بعينه؟!..

التجديد سنة الحياة

● تحت هذا العنوان كتب د. محمود حمدى زقزوق فى الأهرام بتاريخ ٢٨/١٠/٢٠٠٣ قال:

إن قرون التخلف الفكرى والتراجع الحضارى التى مرت بالأمة الإسلامية رسّخت فى أذهان الكثيرين مذهبيات فقهية جامدة

تتمسك بحرفية النصوص الفقهية دون إفساح أى مجال لإعمال العقل الإنسانى، الأمر الذى جعل التخلف الفكرى والتقليد الممقوت يضرب بأطنابه فى عقول الأمة الإسلامية مما جعلها اليوم فى مؤخرة الأمم.

وقد أشار الشيخ محمد عبده إلى ضرورة إعمال العقل فيما أثر عن السابقين بقوله:

«لا ينبغى للإنسان أن يذل فكره لشىء سوى الحق، والذليل للحق عزيز، ويجب على كل طالب أن يسترشد بمن تقدمه سواء كانوا أحياء أم أمواتاً، ولكن عليه أن يستعمل فكره فيما يؤثر عنهم. فإن وجده صحيحاً أخذ به، وإن وجده فاسداً تركه».

.. ومما قاله أيضاً إنه لا يعيب على أصحاب المذاهب الفقهية وما تركوه من تراث فكرى واجتهادات قيّمة ولو قدر لهم أن يبعثوا مرة أخرى لوجدناهم أول من يقوم بالتجديد فيما سبق أن خلفوه من فقه يلبى حاجات الناس فى أزمانهم.

ويختتم مقاله بقوله: «إن سُنة الحياة هى التجديد، ولا يجوز لنا أن نعزل الفقه عن الحياة، فالفقه أصلاً جاء ليواجه متطلبات الحياة المتجددة. ومن هنا تأتى ضرورة استمرار الاجتهاد مع الرجوع إلى الأصول والوعى بالمقاصد والغايات، فهى الحاكمة، ولا يجوز قلب الحقائق وجعل الفروع حاكمة على المقاصد والغايات.

إن الدين للحياة بجميع أبعادها، جاءت به الرسل من عند الله لمصالح العباد فى دنياهم وأخراهم، وكما قال أئمتنا السابقون: «حيثما توجد المصلحة فثمّ شرع الله».

والمصلحة التى يقصدها الإسلام ليست المصلحة الشخصية وليست الهوى والغرض، وإنما هى المصلحة الحقيقية التى تحقق الخير للمجموع».

لماذا يكرهوننا؟!!..

● كتب د. السيد أحمد طرخان فى جريدة «الأهرام» الصادرة يوم ٢٠٠٣/١١/٣ بقوله:

برز هذا التساؤل بقوة عقب أحداث ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١ من جانب الأمريكيين والمقصود به العرب والمسلمون.. وبدلاً من البحث الهادئ المتعمق غير المنحاز لفهم الأسباب الحقيقية لهذه الكراهية التى يتساءلون عنها والعمل على تلافيها، ازدادت السياسة الأمريكية شراسة وحمقاً ضد العرب والمسلمين، وضد ثقافتهم وحضارتهم، بل وضد الإسلام.

وذكر أيضاً أقوالهم وتصريحاتهم تحت شعار مكافحة الإرهاب وغزو أفغانستان والعراق وتمهيدهم لغزو سوريا وإيران وبعض الدول العربية الأخرى لصالح إسرائيل وليس لصالح الشعب الأمريكى.

وذكر أيضاً التعصب الأعمى لإسرائيل وهجوم الغرب وأمريكا على محاضير محمد رئيس وزراء ماليزيا لمجرد أنه انتقد وقال كلمة حق فى المؤتمر الإسلامى وفسرتها أمريكا والغرب على أنه عداء للسامية، فانصبت على رأسه اللعنات.

واستشهد الكاتب بمقالة كتبها استيفن بنروز رئيس الجامعة الأمريكية ببيروت فى مجلة المختار عام ١٩٥٦ يتحدث فيها عن غش الإدارة الأمريكية للعرب فيقول: «يجب أن نكف عن الغش فى اللعب، وبهذا فقط نكسب من جديد ما كدنا نفقده وهو ثقة العالم العربى».

إذاً فعدم الثقة ليس بجديد على المنطقة، بل من قديم منذ قرار تقسيم فلسطين ومن قبل مبدأ الرئيس ولسن فى حق تقرير المصير الذى لم يعمل به.. ويختم الكاتب الأمريكى مقاله بقوله:

١- يجب على الولايات المتحدة أن ترسم سياسة عادلة ودائمة نحو الشرق الأوسط وأن تتولى بنفسها قيادة هذه السياسة دون مراعاة لظروف سياستها الداخلية وأصوات الصهيونيين فى الانتخابات.

٢- يجب أن تمثل السياسة الأمريكية تقاليدها الديمقراطية، وأن تتجه اتجاهاً إنسانياً فى مشروعاتها نحو الشرق الأوسط.

٣- يجب أن تركز السياسة الأمريكية على فهم حقيقى لنفسية العرب لأنها لو فهمتهم، فستكون هى بدورها مفهومة منهم، فلتكف عن الغش فى اللعب، وبهذا فقط نكسب من جديد ما كدنا نفقده.. وهو ثقة وتعاون العالم العربى.

وليس هناك من تعليق رغم مرور ما يقرب من ٤٧ عاماً على هذا المقال سوى القول: «وشهد شاهد من أهلها».

إسرائيل تحارب فى العراق

● تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ محمد عصمت فى جريدة «الوفد» الصادرة فى ٢٠٠٣/١١/١٤ بقوله:

مع تصاعد عمليات المقاومة العراقية خلال الأسابيع الماضية بدأت بصمات الموساد الإسرائيلى تظهر على ردود أفعال قوات الاحتلال وأصبحت الأساليب التى تطبقها القوات الإسرائيلية فى ملاحقة المقاومة الفلسطينية تطبق حرفياً ضد المقاومة العراقية لدرجة أن العديد من المواطنين العراقيين يفكرون أن جنوداً إسرائيليين يقومون بمداهمة البيوت فى المناطق السنية وفى الموصل بحثاً عن عناصر المقاومة، وأنهم يقدمون لقوات الاحتلال الأمريكى خبرتهم التى اكتسبوها فى فلسطين.

كما أكد العراقيون أنهم سمعوا جنود الاحتلال يتكلمون اللغة العبرية فى منطقة الخالدة، كما يوجه العراقيون أصابع الاتهام للموساد الإسرائيلى فى عمليات التفجيرات والاغتيالات وزرع الفتنة..

وكل ذلك لمساعدتهم فى تحقيق أطماعهم فى بترول العراق بمد خط الوصل إلى ميناء حيفا بدلاً من البترول الروسى وكذلك لتحقيق الهدف الدينى الذى يداعب اليمين المتطرف فى إعادة الحياة للمعابد والمدارس اليهودية المنتشرة فى العراق والتى تضم رفات النبى حزقيال «ذو الكفل»، وعزرا.. وعدد من أوليائهم.. ويختتم مقاله قائلاً: إن المقاومة العراقية ستضطر إلى دخول جبهة جديدة فى معاركها من أجل التحرير.

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم
عادل رفاعى خفاجة

المساواة فى الإسلام

حرص الإسلام على إرساء مبدأ (المساواة بين الناس) وجعل التقوى أساس المفاضلة بينهم وهو ما نلمسه بوضوح فى قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[1].

وهذا قول رسولنا الكريم يبين أن الناس سواسية كأسنان المشط، لا فرق بين أبيضهم وأسودهم ولا بين غنيهم وفقيرهم ولا بين حاكم ومحكوم لأنهم جميعاً يشتركون فى أصل النشأة والتكوين، يقول رسول الله ﷺ «أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربى على أعجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى أبلغت؟ قالوا: بلغ رسول الله ﷺ»[2]

فالتفاضل لابد أن يكون أساسه الأعمال الصالحة من صوم وزكاة وحج ومعاونة ذى الحاجة وإغاثة الملهوف لا أن يكون مرده إلى عرق أو عنصر لأن الإسلام لا يعترف بالطبقية ولا العنصرية ولا يسمح باستعلاء فئة على فئة أخرى باسم اللون أو العنصر أو الجاه وهو ما نراه بوضوح فى موقف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حين أتاه الشاب المصرى يشكو ابن عمرو بن العاص والى مصر فأرسل عمر إلى عمرو أن يحضر هو وابنه إلى المدينة فلما حضرا أعطى عمر درته للمصرى وأمره أن يضرب ابن عمرو فظل يضربه حتى اكتفى وهو يقول له اضرب ابن الأكرمين ثم

(١) الحجرات (١٣). (٢) مسند أحمد ج ٥ ص: ٤١١ حديث ٢٣٥٣٦.

قال قولته الشهيرة يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً[3].

ولعل فى هذه الحادثة ما جعل عمر بن الخطاب يوصى من يأتى بعده أن لا يحملوا أقاربهم على رقاب الناس فقد «دخل على عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين نزل به الموت عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وعبدالرحمن بن عوف والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص رضى الله عنهم فنظر إليهم عمر ساعة (فتكلم فى أمر من يخلفه) ثم قال: ... فإن كنت على شىء من أمر الناس يا عثمان فلا تحملن بنى أبى معيط على رقاب الناس وإن كنت على شىء من أمر الناس يا عبد الرحمن فلا تحملن أقاربك على رقاب الناس وإن كنت على شىء يا على فلا تحملن بنى هاشم على رقاب الناس»[4] إن ما فعله عمر إنما تعلمه من أفعال الرسول الكريم الذى كان القدوة للأمة الإسلامية فى المساواة كيف تكون!! أليس هو ﷺ القائل: (أيها الناس إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله! لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)[5].

ولأن ما نادى به النبى إنما جاء من عند الله خالق الجميع فقد كانت تعاليمه ﷺ تسوى بين الجميع لا فرق بين المسلمين وغيرهم، إلا ما يخص شئون دينهم وعقيدتهم تمشيا مع مبدأ حرية العقيدة.

ولم يقف الأمر عند حد المساواة بل حذر من ظلمهم أو تحميلهم بأعباء فوق طاقتهم فيقول ﷺ: (ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة)[6].

لقد فهم الصحابة عن رسول الله هذا المنهج الربانى فتراهم يسارعون إلى مرضاة الله ورسوله ببذل أقصى الوسع فى تنفيذ تلك التعاليم السمحة التى تقضى بالمساواة بين الجميع فهذا علىٌّ - كرم الله وجهه - يحضر مجلس قضاء عمر حين اختصمه يهودى ويناديه عمر بقوله: «قف يا أبا الحسن - ليقف بجانب اليهودى - ويتغير وجه علىٍّ، مما دعا عمر إلى القول: أكرهت أن تسوى بينك وبين خصمك فى مجلس القضاء؟ فقال

(٣) عمر بن الخطاب فى عيون مفكرى العصر للأستاذ/ منير عتيبة ص١٨٥ مطبعة الجمهورية (بتصرف).
(٤) سنن البيهقى الكبرى، ج: ٨ ص: ١٥١.
(٥) البخارى ج٣ ص١٢٨٢ حديث رقم ٣٢٨٨.
(٦) سنن أبى داود ج٣ ص١٧٠ حديث رقم ٣٠٥٢.

لا، ولكننى كرهت منك أن عظمتنى فى الخطاب وناديتنى بكنيتى، إنه سلوك آل بيت النبوة، الذى تشبع وتشرب من أخلاق النبى ﷺ، فى فهم معنى المساواة.

ولم يكن ذلك السلوك القويم للإمام على كرم الله وجهه والفاروق عمر، وكثير من الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - إلا سيراً على هدى الرسول الأعظم الذى ضرب القدوة فى المساواة بين الحاكم والرعية حين خرج يوماً عاصباً رأسه بعصابة حمراء متكئا على الفضل فقال الصلاة جامعة فاجتمع الناس فصعد المنبر وقال: أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو وقد دنا منى حقوق من بين أظهركم فمن شتمت له عرضاً فهذا عرضى فليستقد[7] منه ومن ضربت له ظهرا فهذا ظهرى فليستقد منه ومن أخذت له مالا فهذا مالى فليأخذ منه ولا يقولن أحدكم إنى أتخوف الشحناء من رسول الله ﷺ ألا وإنها ليست من طبيعتى ولا من خلقى وإن أحبكم إلى من أخذ حقا إن كان له أو حللنى فلقيت ربى وأنا طيب النفس[8].

أبعد ذلك نتلمس العدل والمساواة فى غير سيرة المصطفى ﷺ؟

لقد بعدنا عن تعاليم ديننا الحنيف لجهلنا بمراميه وغاياته النبيلة؛ فظلمنا أنفسنا ظلما كبيراً وتنكبنا الطريق وبدأ الظامئون المتغربون منا تشرئب أعناقهم إلى سراب المدنية الغربية يبتغون منها الرى ولكن هيهات للظمآن أن يرتوى من سراب.

لقد ظن هؤلاء المتغربون أن المساواة لا تكون إلا فى المساواة بين الرجل والمرأة مساواة مطلقة وهو ما نعرض له فى عدد قادم بمشيئة الله تعالى.

ع خ

والى رسائل القراء

(٧) استقدت الحاكم: أى سألته أن يُقيدنى أى طلبت أخذ الحق قصاصاً وراجع النهاية فى غريب الأثر ص؛ ص١٩٩.

(٨) مصنف عبدالرزاق ج ٩ ص: ٤٦٩.

عيد الأمة

القارئ د. محمد العطار كفر الشيخ: يدعو إلى نبذ أسباب الفرقة والخلاف حتى نشهد يوم العيد الحقيقى للأمة الإسلامية يقول:

قال تعالى:

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾

سورة التوبة .. الآية (٣٢)

إن ما يجرى حولنا من أحداث يجعلنا نوقن بأن الأحداث التى تقع أمام أعيننا لابد من استيعابها لإيقاظ الأمة من حالة التفرقة وضعف الإيمان - ولن ترتفع الأمة ويعلو شأنها إلا بترسيخ الإيمان الخالص لله تعالى.

والإسلام حريص أتم الحرص على تماسك وصلابة المجتمع الإسلامى، لأنه يريده مجتمعا عزيزا قويا بعزة أفراده وتماسكهم.

قال تعالى:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

سورة آل عمران .. الآية (١١٠)

ولقد حفظ الرسول ﷺ - للمسلم كرامته، فعن حذيفة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغى للمؤمن أن يذل نفسه، قالوا: وكيف يذل نفسه يا رسول الله؟ قال: أن يتعرض من البلاء لما لا يطيق».

والله تعالى يقول:

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

سورة المنافقون .. الآية (٨)

ومن هنا يفرض الإسلام على المسلم ان يحتفظ دائما بعزة نفسه، وألا يفرط فى كرامته، ولا يرضى بالهوان فإن رضى بالهوان فقد انحرف عن طريق الإيمان فيقول الرسول ﷺ: «من أعطى الذلة من نفسه طائعا غير مكره فليس منا». أخرجه الطبرانى.

فما أعظم الإسلام الذى جعل الكفاح من أجل تحقيق أمن الحياة وسلامها سلاحا وجعل نضال الإنسان من أجل عمارة الأرض وتقدم الحياة عبادة لله رب العالمين.

إن عيدنا الحقيقى يوم تقر أعيننا بعودة المسجد الأقصى الأسير، ويوم نرى مسلمى الشيشان وكشمير وفلسطين والعراق قد تحررت أرضهم وعلت عليها مرة أخرى راية التوحيد، ويوم نرى المسلمين فى كل انحاء العالم توحدت كلمتهم وأصبح لهم كلمة مسموعة فى هذا العالم الذى لا يسمع فيه إلا للأقوياء.

من أعلامنا المنسيين

الدكتور عبدالرازق محيى الدين

أما الأديب فرج مجاهد عبدالوهاب قارئ المجلة الدائم - شربين - دقهلية فمازال يواصل حديث الوفاء، يقول:

قال عنه الدكتور إبراهيم مدكور يوم استقباله بمجمع اللغة العربية: (.. عربي صميم تملأ العروبة قلبه، وتجرى فى دمه، استمدها من أصول عالية، وغذاها بغذاء سليم.. وباع الدكتور عبدالرازق محيى الدين فى البحث والدرس طويل، وجلده عظيم، وصبره جميل، وكتاباه «أبوحيان التوحيدى» و«أدب المرتضى» آية فى ذلك، وعندى أن كتابه الأول فى قمة إنتاجه..).

ذلكم هو العالم الأديب العراقي عبدالرازق محيى الدين الذى ولد فى مدينة النجف بالعراق الحبيبة سنة ١٩٠١م وتلقى تعليمه الأولى والثانوى فى مساجد النجف ودرس علوم العربية، والفقه وأصوله، وعلم الكلام والمنطق، ثم انتقل إلى القاهرة والتحق بدار العلوم فحصل على الليسانس سنة ١٩٣٧ فكان أحد الصفوة فى الرعيل الأول من أبناء الرافدين.

عاد إلى العراق فعمل فى دار المعلمين العالية وانتسب فى نفس الوقت فى قسم الدراسات العليا بآداب القاهرة فحصل على درجتى الماجستير والدكتوراة وعين فى كلية التربية فى بغداد، وترقى بعد ذلك حتى وصل الى ان اصبح عميدا للكلية.

كان من المساهمين فى بناء جامعة بغداد، وعمل نائبا لمديرها، واختير لعضوية المجمع العلمى العراقى، ثم انتخب رئيسا له سنة ١٩٦٧، ثم اختير وزيرا للوحدة المصرية العراقية، وانتخب عضوا عاملا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة «مجمع الخالدين» سنة ١٩٦٨.

كان للدكتور محيى نشاط علمى متعدد الجوانب، وكان يتسم بالطابع القومى كما كان حريصا على توعية تلاميذه وبث الروح القومية فيهم.

وله تحقيقات: جزء من المقابسات لأبى حيان التوحيدى، وجزء من كتاب «البصائر والذخائر» و«الوجيز فى تفسير القرآن العزيز» لعلى بن الحسين العاملى.

ومن بحوثه فى مجمع الخالدين: «بحث فى فنون الشعر.. المعارضة والمجاراة» فى مؤتمر الدورة ٣٨ و«الشعر الحر ومكانه من الشعر العربى» ضمن أبحاث مؤتمر الدورة رقم ٤٢ وله أيضا بحث بعنوان «مفاهيم بلاغية».

وقد توفى - رحمه الله - فى ١٩٨٣.

من إبداعات القراء:

الليل قارب منتهاه

شعر/ حسن أبو الغيط

الليل قارب منتهاه   ستعود للأصل الحياة
هذا الظلام سينتهى   والصبح يشملنا سناه
ليل نضيق بظلمه   وظلامه ومحتواه
سيزول بعد جنونه   فينا ويكفى ما جناه
هل نحن أم أعداؤنا   لله نحيا فى هداه؟
عند الإله جزاؤنا   هو من يجازى لا سواه
للمؤمنين عليهمو   فضل وجاه أىّ جاه
كم يقتلون حياتنا   دون التفات للحياة
فإذا دفعنا نحن عن   أحيائنا صرنا الجناة
قولوا لكل من ادعى   كذبا يراجع ما ادعاه
بالصدق يفلح من سعى   بالصدق يرتاح السعاة

تعتذر للسادة القراء لعدم نشر رسائلهم كاملة، وذلك حرصا من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من القراء. ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق فى اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها. كما نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم ونواصل نشرها تباعا بمشيئة الله تعالى.



أنباء العالم الإسلامى

للأستاذ / محمد الشرقاوى

محاربة الحجاب حتى فى لبنان

قررت [جومانا الشامى] الموظفة فى أحد المصارف اللبنانية ارتداء الحجاب بعد أدائها العمرة فكانت النتيجة طردها من العمل مما دفعها لتوكيل محامية لإقامة دعوى قضائية إلى مجلس العمل التحكيمى ضد رئيس مجلس إدارة المصرف لطردها من الخدمة تعسفاً بسبب ارتدائها الحجاب.

وأشارت «جومانا الشامى» إلى أن ملفها المهنى لا يحمل أى انتقادات أو مآخذ سلوكية أو مهنية من شأنها أن تبرر عملية الطرد كما أن نظام المصرف الداخلى للموظفين لا يفرض شروطا معينة فى الهندام أو زيا موحدا.

وأوضحت أنها قامت فى مطلع شهر سبتمبر الماضى بأداء العمرة وعادت ترتدى الحجاب والتحقت بعملها فى حين كان رئيس مجلس إدارة المصرف فى إجازة وبعد أسبوع عاد من إجازته وأصدر قرارا بنقلها من فرع المصرف فى «الحمراء» «غرب بيروت» إلى فرعه فى مدينة «الغبيدى» «ضاحية بيروت الجنوبية» فامتثلت للقرار معتبرة «أن وجود محجبة فى تلك المنطقة ربما يبدو مقبولا أكثر لدى إدارة المصرف».

وأضافت «رغم أنى حرصت على أن أبدو فى مظهر لائق وأنيق فى حجابى ورغم أنى لا أتعامل مباشرة مع الزبائن وإنما أبقى فى قسم العمليات بعيدا عنهم».

ورغم ذلك بعد عشرين يوماً فوجئت بمذكرة استغناء عن خدماتى لأنى لا أبدى نشاطا أو تقدما فى عملى مع العلم أن ترقيتى الأخيرة تعود إلى بضعة أشهر فقط لذلك فإن القرار جاء مناقضا لسيرتى المهنية فى المصرف.

وقالت المحامية التى وكلتها الموظفة «إن رئيس مجلس إدارة المصرف أراد إعطاء درس للمدعية ولأى موظفة فى المصرف تسول لها نفسها ارتداء الحجاب»!!

الشرق الأوسط

٢٠٠٣/١١/٧

فى تركيا:

تلاوة القرآن الكريم بالتركية بدلا من العربية

فى سابقة هى الأولى والأغرب من نوعها على الإطلاق وفى شهر رمضان الكريم بدأت تلاوة القرآن الكريم فى جامع [مدينة طرابسون] شمال تركيا باللغة التركية بدلا من اللغة العربية.

وأكد «نورى جونتش» مفتى طرابلسون، و«إبراهيم حقى أوغلو» إمام مسجد «باساركية» أنهما أجريا استطلاع رأى على مواطنى مدينة طرابسون حول قراءة القرآن الكريم باللغة التركية أو بالعربية وكانت النتيجة أن ٩٩٪ منهم يفضلون القراءة بالتركية لأنهم لا يفهمون معنى الآيات القرآنية باللغة العربية.

وقال مفتى طرابسون: إنه تم فى ضوء ذلك اتخاذ قرار بتلاوة القرآن باللغة التركية بدلا من اللغة العربية.

- ألم يعلم هؤلاء بأن القرآن الكريم نزل بلسان عربى مبين؟

- ولكن - كم بتركيا من المضحكات ولكنه ضحك كالبكا!!

الأحرار

٢٠٠٣/١١/١

قطع تمويل المدارس الإسلامية فى هولندا

ناقش البرلمان الهولندى مؤخرا قطع التمويل عن المدارس الإسلامية هناك بدعوى أن هذه المدارس تدعو إلى تعاليم ضد حقوق الشواذ جنسيا، وحقوق المرأة وضد الأوروبيين بصفة عامة، وكذلك استخدام تلك المدارس للغة العربية فقط.

ومن المثير للدهشة أن التى طالبت بمناقشة هذا الموضوع فى البرلمان الهولندى هى النائبة [هيرس على] الصومالية الأصل - المسلمة الديانة - للأسف!!

الشرق الأوسط

٢٠٠٣/١١/٧

اليهود حولوا ساحة الحرم الإبراهيمى إلى ملهى

ذكرت مؤسسة الأقصى لرعاية المقدسات الإسلامية فى فلسطين أن إسرائيل حولت الحرم الإبراهيمى فى الخليل إلى مكان للرقص والمجون.

وقال بيان للمؤسسة إن «حلم المستوطنين اليهود في الإرث العربي الإسلامي أضحى حقيقة» وطالبت مؤسسة الأقصى بمواجهة الواقع الذي يفرضه الاحتلال الإسرائيلي بتغيير الوقائع الجغرافية والديموجرافية في الخليل وسواها من المدن والبلدات الفلسطينية، حيث تجاوزت الممارسات الصهيونية كل حد وبات المستوطنون يتدخلون في شئون الأقصى ويعملون على تغيير معالمه، وتشمل الاعتداءات أيضا الإغلاق اليومي للمسجد ورفع سجاده وسكب المواد الحارقة على المصلين ومحاولات متكررة لإحراق المنبر وإدخال الكلاب فيه ومنع رفع الأذان وضرب المصلين، والتنكيل بالمواطنين، وتناول الخمور في المسجد، وتنظيم حفلات الأعراس والزواج والرقص.

وقالت المؤسسة إن عشرات المنازل الفلسطينية أصبحت خالية وأخرى يتهددها خطر الإخلاء وبات الوصول إلى الحرم متعذرا إلا بعبور العديد من الحواجز والبوابات الإلكترونية والأزقة الضيقة.

وعلى صعيد متصل نظمت سلطات الاحتلال الإسرائيلي زيارة استفزازية إلى قبر «يوسف الصديق» في مدينة نابلس شارك فيها ٥٠٠ من غلاة اليمين اليهودي من أنصار الحاخام «بريتسلاف» الذين سبق أن تسللوا إلى القبر مرات كثيرة وبنوا مظلة في ساحة القبر وأدوا صلوات بمناسبة عيد يسمونه «المظلة».

الأحرار

٢٠٠٣/١٠/٢٤

قمر صناعي مصري لخدمة أهداف الدعوة الإسلامية

بدأت مصر أولى خطوات تصنيع قمر صناعي تمهيدا لإطلاقه لخدمة أهداف الدعوة الإسلامية في ظل عالم الفضائيات والسماوات المفتوحة. وأبلغت الحكومة البرلمان عن توقيع دار الإفتاء المصرية بروتوكولا خاصا مع مركز دراسات واستشارات علوم الفضاء في جامعة القاهرة لتصنيع القمر الجديد.

وقدمت دار الإفتاء «ربع مليون دولار» كدفعة أولى من تكلفة تصنيع القمر التي تبلغ «ستة ملايين دولار» وكان قد تم جمعها من المساهمات والتبرعات التي تلقتها دار الإفتاء المصرية منذ أن أعلن «الدكتور نصر فريد واصل» مفتي الديار السابق المشروع وفتح باب التبرع له وكشفت مديرة المركز ومسئولة القمر الصناعي أنه سيتم الإعلان قريبا وعلى المستوى الدولي عن كراسة شروط خاصة بتصنيع القمر وفي نفس الوقت تم توجيه الدعوة إلى منظمة المؤتمر الإسلامي لدعم المشروع من خلال تحديد حصة مشاركة لكل دولة عضو حتى يتم الانتهاء من تصنيع القمر الصناعي بالسرعة المطلوبة.

الشرق الأوسط

٢٠٠٣/١٠/٣١

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسي
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

المسابقة العالمية للقرآن الكريم

افتتحت بقاعة الإمام محمد عبده بجامعة الأزهر الشريف المسابقة العالمية الحادية عشرة للقرآن الكريم التي تنظمها وزارة الأوقاف بالاشتراك مع الأزهر الشريف تحت رعاية السيد الرئيس محمد حسني مبارك ويشارك فيها حفظة من سبعين دولة ومنظمة إسلامية وتبلغ جوائزها أكثر من مليون جنيه .. وقال السيد الأستاذ الدكتور رئيس مجلس الوزراء: إن اهتمام مصر بالقرآن الكريم لا يقف عند حد وأن ما توليه للقرآن الكريم يدل فعلاً وليس قولاً على أنها حامية هذا القرآن والمدافعة عنه والحافظة له والعاملة بكل الوسائل على نشره وانتشاره، وأنها بلد الأزهر الشريف الذي ينشر في نفس الوقت الإسلام الحنيف السمح المعتدل ومبادئه السليمة.



وأضاف: إن الأزهر سيظل ما بقيت الدنيا حافظاً للغة العربية السليمة كما حافظ عليها لأكثر من ألف عام، وسيظل كعبة العلم المستنير للمسلمين جميعاً، يتعلمون فيه العلم الديني القائم على الوسطية والاعتدال والذي يعترف بكل العلوم بجانب العلوم الدينية ويخرج أجيالاً متعاقبة من محبي الأمن والأمان والسلام ليس للمسلمين وحدهم ولكن للبشرية جميعها، وأكد على أن الإسلام ركز منذ بدايته على العلم بكل

تخصصاته لذلك كان الأزهر الشريف وجامعته أول جامعة إسلامية تحتضن علوم القرآن الكريم وكذلك علوم الدنيا النافعة التى تحقق الخير للجميع.

وأكد على أن القرآن الكريم كان وسيظل ولايزال وحتى آخر الزمان مشعل هداية للإنسانية، كلها.

وقال فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف: إن الله - تعالى - أنزل القرآن الكريم لمقاصد كثيرة منها كونه كتاب هداية وتمتاز هدايته بميزات عديدة أهمها أنه كتاب من عند الله - تعالى - وليس من البشر، وأن رسالته عامة، والأزهر الشريف وجميع المؤسسات الإسلامية فى مصر وحدة واحدة تتفاعل جيعها مع مؤسسات الدولة بل وفى خارج مصر، من أجل الاهتمام بالقرآن الكريم وانتشاره وتوضيح مقاصده للدنيا كلها، والأزهر الشريف اعتمد فى موازنته السنوية مبلغ خمسة عشر مليوناً من الجنيهات لنشر الوعى القرآنى وجوائز للحافظين وللمحفظين.

وقال فضيلة الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف: إنه من منطلق مسئولية مصر التاريخية إزاء عالمها الإسلامى بوصفها بلد الأزهر الشريف قلعة الإسلام الحصينة تقيم وزارة الأوقاف بالتنسيق مع مشيخة الأزهر الشريف المسابقة العالمية الحادية عشرة للقرآن الكريم، وستظل مصر بعون الله إلى آخر الزمان معنية كل العناية بكتاب الله ونشر تعاليمه فى ربوع العالم الإسلامى واحتضان أبناء المسلمين الراغبين فى دراسة العلوم الإسلامية من جميع بقاع الأرض وكانت مصر أول دولة إسلامية تنشىء محطة إذاعة للقرآن الكريم منذ عشرات السنين، وستظل مصر كالعهد بها دائماً حامية لتراثها الإسلامى راعية للقرآن الكريم، فقد شرفها الله بأن أنزل فى شأنها قرآنا يتلى، ويتعبد المسلمون به فى كل مكان، وجعل أرضها آمنة تفتح صدرها لكل من يلوذ بها.

والمسابقة العالمية فى حفظ القرآن الكريم تعبير عن حرص مصر الدائم على الحفاظ على كتاب الله الذى أنزل على رسوله الكريم فى ليلة مباركة هى ليلة خير من ألف شهر، ليكون هذا القرآن هدى للناس ورحمة للعالمين وشفاء لما فى الصدور، وقد حث الوحي الإلهى فى أول مانزل منه على رسوله ﷺ على القراءة والإشادة بالعلم الذى علمه الله للإنسان والإشارة إلى القلم الذى هو وسيلة تدوين العلم. كما جعل من الإنسان محور الاهتمام بوصفه خليفة الله فى الأرض ووجهه إلى دراسة هذا الكون وفهم أسراره، وجعله صالحا للحياة الإنسانية بإعماره على المستوين المادى والمعنوى، وفى ذلك تحفيز للمسلمين ليعملوا عقولهم فى البحث والتنقيب عن سنن الله فى الكون واكتشاف أسراره.

حضر حفل الافتتاح عدد من السادة الوزراء وفضيلة د / على جمعه مفتى الجمهورية والسادة السفراء وعلماء الأزهر والأوقاف والمتسابقون وعدد من القيادات الشعبية والتنفيذية.

ملتقى الفكر الإسلامى

حضر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف افتتاح ملتقى الفكر الإسلامى الذى تقيمه وزارة الأوقاف بالاشتراك مع الأزهر الشريف بميدان الإمام الحسين - رضى الله عنه - فى شهر رمضان من كل عام وأكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على ضرورة التقاء المسلمين جميعاً على كلمة واحدة ورأى واحد إزاء كل ما يواجههم مجتمعين أو يواجه كل قطر أو شعب من شعوب الأمة الإسلامية، لأن الإسلام الذى ندين به جميعاً هو الذى أمرنا بذلك.

وقال: إن وحدة المسلمين يجب ألا تكون على باطل بل لابد أن تكون على الصدق والبر والتقوى والإخلاص فى العمل لأن هذه الصفات هى الهدف الأسمى من أى عبادة إسلامية شرعها الله وفرضها على عباده المتقين ومنها الصلاة والصيام والحج إلى آخر ماهنالك من عبادات.

وقال: إن من ثمار العبادات التى كلفنا الله - تعالى - بها وكلف بها الأمم السابقة، أنها تطهر القلوب، وتزكى النفوس وتجعل الإنسان على صلة بخالقه ـ عز وجل ـ وعندما يؤدى العبادات على الوجه الأكمل يكون قريباً من الله ويجعل له من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً، وأداء فريضة الصوم بإخلاص وخشوع وقوة يؤدى إلى صيانة النفس من كل مالايليق.

وطالب المسلمين بأداء العبادات كما كلفهم بها خالقهم عز وجل وألا يتعاملوا مع القشور تاركين الأصل والهدف، وأن يكون العلم النافع منهج حياتهم وهدفهم من أجل بناء وطنهم وأمتهم بدلاً من ضياع الوقت فى الجدل العقيم.

وقال: إن التمسك بتعاليم القرآن الكريم هو أساس القوة العلمية والخلقية والعملية والإنتاجية.

وقال: إن شهر رمضان فرصة للتصالح مع الله ومع النفس، حيث إن شهر رمضان على رأس الشهور الفاضلة حيث اختصه الله بنزول القرآن الكريم فيه وهو فرصة للتقرب إلى الله بالتقوى التى تزكى النفوس وتطهر المشاعر وتحقق التوازن بين حاجات الروح والجسد، وهو شهر البر وصلة الأرحام فعلى المسلم أن يجعل من هذا الشهر نقطة تحول فى حياته نحو الأفضل حتى يكون جديراً بالتسابه إلى خير أمة أخرجت للناس.

وفى ذكرى الاحتفال بنصر العاشر من رمضان قال فضيلته: إن ذكرى انتصار العاشر من رمضان التى نحتفل بها تشعر كل مصرى بل كل عربى ومسلم بالافتخار والنشوة والسمو، فى هذا اليوم كان كل

أبناء القوات المسلحة، خرجوا يهتفون الله أكبر وكانوا وراء قيادة رشيدة عاقلة حكيمة أخذت تعد العدة وتخطط فى ثبات وعن علم ودراية فى المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية، وما نجاح سلاح الطيران المصرى وقيادته يومئذ إلا نموذج حى على قدرة المصريين على استيعاب أى تكنولوجيا مهما بلغت قوة تعقيداتها، وقدرتهم على المناورة والخداع حيث جاء النصر، وخسائرنا من الطيران دون الحد الأدنى بكثير.

وقال فضيلته: إن للذكريات قيمتها فى حياة الشعوب والأمم ومن شأنها أن تبعث العظات والعبر فى النفوس، والحياة معركة بين الحق والباطل والظلم والعدل، لذا فإن النصر يعد هدفاً ومنهجاً كما حدث فى العاشر من رمضان منذ ٣١ عاماً ووجب الاحتفال به دائماً وتذكر دواعيه وأسبابه والتركيز على أسباب النصر لتستفيد منها الأجيال، والقتال لم يشرعه الله – تعالى – للظلم والقهر أو الاستعباد واغتصاب الأرض والعرض، ولكن شرعه من أجل الدفاع عن الحق وعن الأرض وعن الدين وعن العرض وعن الكرامة الإنسانية، وهكذا كانت حرب العاشر من رمضان عام ١٣٩٢ من الهجرة فقد هبّت مصر من خلال أبنائها البواسل من القوات المسلحة وكل المصريين لتدك صروح الظالمين، وتزلزل الأرض من تحت أقدامهم، وكانت صيحة (الله أكبر) لها أثر عظيم فى نفس المجاهدين الذين خرجوا دفاعاً عن أوطانهم ودينهم بكل عزيمة صادقة وإخلاص بعد أن هيأت لهم قيادتهم الحكيمة وسائل النصر وأخذوا بالأسباب وأعدوا العدة فكانت النتيجة نصر من الله وفتح قريب وإعلاء كلمة الحق والنصر المبين.

ووجه فضيلته التحية إلى روح السيد الرئيس الراحل محمد أنور السادات وإلى شهداء مصر من أبناء القوات المسلحة والشرطة والمواطنين، كما حيا السيد الرئيس محمد حسنى مبارك الذى كان له فضل الضربة الجوية الأولى التى زلزلت أركان العدو وجعلته فى ذهول وكانت مفتاح النصر، كما سعى شباب مصر والأمة الإسلامية لتدارس نصر العاشر من رمضان وقراءة تاريخ مصر جيداً، ودعا الله أن يديم على مصر وعلى شقيقاتها من الدول وعلى الأمة الإسلامية كلها نعمة الاستقرار والأمان والسلام.

وفى ذكرى غزوة بدر الكبرى قال فضيلته: إن هذه الغزوة سماها القرآن الكريم بيوم الفرقان وهى أول معركة بين أنصار الحق وأحزاب الباطل وقد ساق الله – تعالى – للمؤمنين قبلها وخلالها بشارات متعددة كانت كلها تشير إلى أن النصر سيكون للرسول ﷺ ولأصحابه فقد سجل القرآن ذلك فى عدد من سوره وفى كثير من آياته الغزوات التى انتصر فيها المسلمون على الكفار ففى سورة آل عمران نطالع أحداث غزوتى بدر وبنى قينقاع، وفى سورة الحشر نتعرف على غزوتى بنى النضير وغزوة الأحزاب وبنى قريظة، وفى سورة التوبة نطالع أحداث غزوة تبوك، وصلح الحديبية فى سورة الفتح، والله – سبحانه وتعالى – أورد ذكر هذه الغزوات فى كتابه الحكيم لتكون عبرة وعظة للمؤمنين على مر العصور مصداقاً لقوله تعالى:

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(1)

ومن الإشارات التى أكدت أن النصر فى غزوة بدر سيكون للمؤمنين أن الله – تعالى – أنزل المطر ليبشرهم وليثبت به أقدامهم فى المعركة ويأتى بعد ذلك نزول الملائكة لتثبيت المؤمنين كما فى قوله تعالى:

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾(2).

ومن هذه الإشارات رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب حيث رأت فى منامها أن النصر سيكون فى هذه الغزوة للمؤمنين، ومن الدروس التى نأخذها من هذه الغزوة: درس العدالة والمساواة التى طبقها الرسول ﷺ قبل أن يطبقها على غيره حيث وقف ينظم الصفوف فرأى أحد الصحابة، بارزاً عن الصف فلكزه بقضيب فى يده على بطنه فقال الصحابى: لقد أوجعتنى وأنا لا أرضى حتى أقتص منك، وهنا كشف النبى بطنه وقال بكل تواضع: اقتص ياسواد (اسم الصحابى) فما كان من الصحابى إلا أن اعتنق جسد النبى وأخذ يقبله.

درس آخر قبل أن تبدأ المعركة استشار الرسول ﷺ أصحابه لأنه لا خاب من استشار، وقد كان النبى ﷺ وهو المؤيد بالوحى يستشير أصحابه، وقد تكلم أبو بكر فأحسن وتكلم عمر فأجاد ووقف المقداد بن عمرو فقال: يارسول الله امض لما أمرك الله فوالله لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته، لخضناه معك ماتخلف منا رجل واحد إلخ.

درس ثالث وهو أن العقيدة الدينية متى استقرت فى القلب، وخالطت بشاشتها القلوب، هان فى سبيلها كل شىء، ففى غزوة بدر، قاتل الآباء الأبناء، وقاتل الأخ أخاه، وقاتل القريب قريبه، وقاتل الصديق صديقه، ونزل فى هؤلاء الشجعان الأخيار قوله تعالى:

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(3)

---

(1) الذاريات (55).
(2) الأنفال (12).
(3) المجادلة (22).

أصدر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر القرار رقم (١٤٤١) لسنة ٢٠٠٣ ونص على:

اعتبارا من تاريخ صدور هذا القرار يعين فى الوظائف القيادية الموضحة قرين اسم كل منهم بالدرجة العالية بالأزهر الشريف لمدة سنة أو حتى بلوغ السن القانونية المقررة لترك الخدمة أيهما أقرب وذلك لكل من:

١- فضيلة الشيخ/ محمد عبدالمجيد بكر الخزرجى - رئيس الإدارة المركزية للتفتيش المالى والإدارى.

٢- فضيلة الشيخ/ عبدالرءوف محمود محمد أحمد - وكيل قطاع المعاهد لشئون المناطق.

٣- فضيلة الشيخ/ محمد شوقى محمود محمد السبكى - رئيس الإدارة المركزية لمكتبة الأزهر.

٤- فضيلة الشيخ/ الطاهر محمد أحمد الطاهر الحامدى - رئيس الإدارة المركزية لأمانة اللجنة العليا وشئون الدعوة الإسلامية.

٥- السيد الأستاذ/ عبدالمنعم حافظ مأمون فودة - رئيس الإدارة المركزية المشرف على مدينة البعوث الإسلامية.

٦- فضيلة الشيخ/ محمد الشافعى محمد الطحان - رئيس الإدارة المركزية لمنطقة كفر الشيخ الأزهرية.

٧- فضيلة الشيخ/ معاطى محمد معاطى عامر - رئيس الإدارة المركزية لمنطقة الجيزة الأزهرية.

٨- فضيلة الشيخ/ جاب الله عبدالله معاذ شيمى - رئيس الإدارة المركزية لمنطقة المنيا الأزهرية.

٩- فضيلة الشيخ/ حسن عبدالمعطى مبارك هلالى - رئيس الإدارة المركزية لمنطقة أسوان الأزهرية.

١٠- فضيلة الشيخ/ محمد معوض موسى عباس - رئيس الإدارة المركزية لمنطقة الفيوم الأزهرية.

١١- فضيلة الشيخ/ محمد ربيع محمد محمد رخا - رئيس الإدارة المركزية لمنطقة دمياط الأزهرية.

١٢- فضيلة الشيخ/ أحمد عبدالعزيز عبدالقادر - رئيس الإدارة المركزية لشئون الطلاب والامتحانات والخريجين.

١٣- فضيلة الشيخ/ جعفر أحمد جعفر الشناوى - رئيس الإدارة المركزية للمكتبات والمعامل والوسائل التعليمية والكتب الدراسية.



محمد الخزرجى



شوقى السبكى



عبدالمنعم فوده

Shari`ah (Islamic Law). Second, the ability to deduct rulings in accordance with such a way of understanding.

There is a kind of disagreement among scholars as regards the means of *Ijtihad* and how reliable they are. This matter results in their disagreement in many rulings and opinions. However, such a disagreement does not undermine the high rank of such scholars or belittle them, because that disagreement is based on scientific principles, and testifies as well to their great carefulness to get the reward of the *Mujtahid* who realizes sound rulings.

In addition, the disagreement among scholars regarding the means of *Ijtihad* and what is reliable and what is not made them divide the sources of rulings into "agreed upon" sources and "disagreed upon" ones. The agreed upon sources involve the Legal Text and after it comes some sources considered and applied by the majority of scholars; namely, Scholarly Consensus and *Qiyas* (Analogy). Yet, whenever they mention the sources considered by the majority of scholars, they say that such sources include the Book (the Qur'an), the *Sunnah*, Consensus and *Qiyas*. Nevertheless, this is regarded as inaccurate saying due to the unquestionable fact that the Legal Text is the indisputable source unlike Consensus and *Qiyas* for some *faqihs* (scholars of Jurisprudence) refuse to consider them among the juristic sources, despite the fact that most *faqihs* consider them. For this reason, I see that such sources should be classified as follows:

First: The sources unanimously agreed upon and they involve the irrefutable Legal Text (the Holy Qur'an and the Sunnah).

Second: The sources agreed upon among scholars and they are the scholarly Consensus and *Qiyas*.

Third: The sources disagreed upon and they involve the other sources including *Istihsan, Maslahah Mursalah, Istishab, `Urf* (Custom), *etc.*

[*]Means of *Ijtihad*[1] in the Islamic *Fiqh*[2]
By Dr. Muhammad Ad-Disouqy.

The science of the principles of ***Fiqh*** is considered the method or the basis on which the structure of the ***fiqh*** (relating to Islamic Jurisprudence) research is established. This is the science that organizes the rules of ***Ijtihad*** and presents the general principles of deducting rulings.

The first book to reach our hands based on the subject of ***Ijtihad*** was the book entitled "***Ar-Risalah***" (The Message) compiled by Imam Ash-Shafi`i[3] 204 A.H.

After Ash-Shafi`i, the compilations dealing with the principles of ***Fiqh*** spread and varied in methodologies. Yet all of them have been aiming for one thing; namely, reaching the basic principles of deducting the rulings, whether through presenting the rules apart from the branches at most times, or through inducing the branches and deriving the rules from them.

There is no disagreement among ***faqihs*** (scholars of Islamic Jurisprudence) and scholars of principles as to that the Legal Texts, the Noble Qur'an and the ***Sunnah*** (the Prophetic Tradition), represent the primary source of the rulings. They also agree that ***Ijtihad*** is not an independent method working separately from the Legal Text; rather, ***Ijtihad*** is regarded as a means of perceiving and applying it. Moreover, they agree that ***Ijtihad*** is a means of reaching the soul and purposes of legislation with the intention of realizing a ruling not tackled by the Legal Text in a manifest or direct method.

In support of this view we can state the ***hadith*** (Prophetic Saying) related by Mu`adh Ibn Jabal (May Allah be Pleased

[*] An article published (in Arabic) at Al-Azhar Magazine.
[1] *Ijtihad*: It refers to the method of exercising personal reasoning on problematic matters and issues that do not have direct or manifest rulings in the Legal Text (the Qur'an and the Prophetic *Sunnah*).
[2] *Fiqh*: It refers to the Islamic Jurisprudence.
[3] Ash-Shafi`i: One of the Four Great Imams of *Fiqh* (Abu Hanifah, Malik, Ash-shafi`i and Ahmad Ibn Hanbal), who founded the four schools of *Fiqh* named after them.

with him) that when the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) sent him to Yemen, he said to him, "*If some matter took place, with what will you judge?" Mu`adh replied, "I shall judge according to Allah's Book." Thereupon, the Prophet asked him again, "And if you could not find it in the Book of Allah, what will you do then?" Mu`adh answered, "Then I shall judge according to the Sunnah of Allah's Messenger." The Prophet asked him for the third time, "And if you could not find it in the Sunnah of Allah's Messenger, what will you do?" Mu`adh replied, "Then I shall apply my reason sparing no effort." Upon hearing that, the Prophet patted on his chest and said, "All praise be to Allah Who has guided the messenger of Allah's Messenger to what pleases Allah and His Messenger."*

The aforesaid ***hadith*** indicates that the sources of rulings – during the Prophet era - involve the Noble Qur'an, the ***Sunnah*** (the Prophetic Tradition) and ***Ijtihad*** (which, as mentioned above, revolves in the orbit of the Legal Text and in no way deviates from it).

With regard to the above-mentioned, ***Ijtihad*** is of two kinds: Individual ***Ijtihad*** and Collective ***Ijtihad***. As for the first kind, namely, the Individual ***Ijtihad***, it refers to every ***Ijtihad*** in which not all the ***Mujtahids*** (scholars of ***Ijtihad***) are resolved on the same opinion with regard to the issue at hand. Concerning the second kind, namely, the Collective ***Ijtihad***, it refers to the ***Ijtihad*** in which all the ***Mujtahids*** agree on one opinion regarding the tackled issue.

Furthermore, each of the two kinds of ***Ijtihad*** has its own means. The Individual ***Ijtihad*** depends on ***Qiyas*** (Islamic Analogy), ***Istihsan*** (Islamic Preference), ***Maslahah Mursalah*** (Public Interest), ***Istishab*** (applying the rulings issued with regard to previous matters to newly tackled ones) in addition to other means. On the other side, the Collective ***Ijtihad*** depends on the juristic scholarly consensus.

It is worth mentioning that Ash-Shafi`i defined the degrees of ***Ijtihad***. First, understanding the aims and goals of the

However, there are many readers who do not know anything about Sheikh Al-Jibaly. This goes back to the fact that Sheikh Al-Jibaly wronged himself, as he did not collect his scientific works in published books, despite the fact that they were widely spreading for more than thirty years through torrents of papers and magazines. Over time, such great works and contributions become wiped by the wind of forgetfulness, so the second generation comes knowing nothing about the heritage of its masters and predecessors. Had it not been for some works being reserved in successive issues of Al-Azhar Magazine for the first ten years, I would not have been able to refer to the contributions of Sheikh Al-Jibaly. Those issues contain a variety of subjects such as Interpretation, *Hadith* (Prophetic Tradition), life history of the Prophet, *Fatwas* (legal opinions), Sociology, Principles of *Fiqh* (Islamic Jurisprudence), as well as family matters.

As for his personal life, Sheikh Al-Jibaly grew among an honorable family in Al-Behirah. His father was one of the notable and his grandfather was a well-known scholar. Al-Jibaly joined Al-Azhar and was known for his talent and great interest in education. He got his high degree in 1904. The great *Ustaz* Muhammad Moustafa Al-Maraghy was one of Al-Jibaly's colleagues. When they graduated, they were appointed at Al-Azhar as instructors. Then, Al-Jibaly was transferred to teach in the Alexandrian Institute, which was established to prepare qualified students able to adhere to the modern techniques in the scientific and moral formation. Due to his contribution, Al-Jibaly was chosen to be the Institute supervisor. Therefore, he took upon himself the responsibility of raising qualified students with distinct reasoning.

Sheikh Al-Jibaly used to deliver the Friday sermon at the Institute mosque; so he would tackle contemporary issues in a simple way. When the 1st World War broke out, Al-Jibaly was forced to abstain from delivering his weekly sermon. However, when the war ended, he resumed his activity so as to be in support of the Egyptian Revolution under the leadership of Saad Zhaghlul.

I had the honor to meet Al-Jibaly in the Faculty of Arabic Language when he was its Sheikh. I remember an anecdote, which I mentioned in Al-Manhal and Al-Hilal Magazines. Sheikh Al-Jibaly

would not allow nonattendance except with an acceptable excuse. He used to ask those who would come asking his permission (for a leave) a scientific question in the presence of the teachers present at his office, and if the student answered, he would accept his demand. One day, I went to him asking for a one-day leave to see my father when he arrives at the railway station. He ordered me to sit and asked me to parse a (very difficult) line of poetry. Fortunately, I was acquainted with that line, so I said to him, "Ok, I will answer you sir as regards parsing, but may you tell me who said it, its occasion and who was the prominent grammarian who parsed it incorrectly?" The Sheik's face shone with light and asked me, "Do you know the one who parsed that line incorrectly?" I replied, "He is Ibn Hisham in his book '*Al-Mughny* (i.e., The Sufficient).'" Thereupon, the Sheikh smiled and said, "Then it is easy for you to answer the question. But you asked me about the poet and the occasion and I do not know anything about them. Indeed, you asked me a difficult question. You may go my son to meet your father, as I withhold only the students not the scholars."

I noticed that Sheikh Al-Jibaly would frequently commence his articles with a verse of the Noble Qur'an and which would be the topic of his speech; this was the case whether they are religious, social, or educational articles. This attitude refers to the massive influence of the Noble Qur'an on his feelings and thoughts. In the commemoration ceremony of the deceased King Ghazi held in Baghdad, Sheikh Al-Jibaly was chosen to represent Al-Azhar and he began his speech with the statement of Allah, Exalted be He, in which He says:

[And this present life is in no way anything except a diversion and a play thing] [Al-Ankabout (The Spider): 64]

Then, Al-Jibaly started talking about the four stages that man goes through; namely, the womb, worldly life, grave and resurrection. He concluded his speech by stressing that only man's deeds in the second stage are to be considered the standard of estimation and evaluation in the third and fourth stages. Hence, politicians and those in authority should remember those two stages and always put them before their eyes. Then Al-Jibaly ended his words by invoking Allah to grant the deceased the best of rewards.

whatever Israel wishes. Moreover, both the European and American armies began to wage wars on behalf of Israel..." As soon as the media broadcast that declaration, America as well as Israel launched a hostile campaign against him. Further, the USA hastened to stop the 1-million dollar subsidy granted to Malaysia as training expenses. Immediately, Israel accused Dr. Muhathir of being anti-Semitic.

Instead of condemning Israel and giving up supporting it blindly, the American Administration accuses the world especially the Islamic countries of distorting and showing hatred toward the USA. How could it forget that it used the "Vito" twice in one month to abort the issuing of two decrees by the Security Council: The first related to demanding Israel to stop threatening the Palestinian President, Yassir Arafat, and the second related to demanding Israel to immediately stop the building of the separating wall. When those two decrees were discussed by the General Assembly, they gained the approval of the whole world except the USA and Israel. Thereupon, how could the USA expect that others receive its troops in Afghanistan and Iraq with roses instead of increasing resistance against them?!

With regard to the abovementioned issue, Ustaz Muhammad Hassan Al-Alfy, editor-in-chief of Nahdat Misr (Renaissance of Egypt) Newspaper, wrote an article answering the denunciatory question of the present American Administration; namely, why does the world, especially Muslims, hate us? He wrote saying, "The only way before the USA to restore its previous position and respect is to get rid of the evil group in the White House through the coming elections. This is the best way to improve its image before the world. Moreover, President Bush is facing a sever criticism inside America itself, as the decision-making group in America is nothing but a group working for achieving the Israeli interests."

The Dignified Sheikh Ibrahim Al-Jibaly
One of Al-Azhar's Great Scholars

Dr: Muhammad Rajab Al-Bioumy

I call Al-Jibaly "the Great Scholar" and there is no exaggeration in that. This is due to the fact that he studied the scholastic and legal sciences with great carefulness the same as an examiner specialist. Therefore, he was well-versed in them despite their different materials. When asked about any issue relating to the science of principles or theology, Al-Jibaly would answer immediately as if he had just finished reading about such an issue and become knowledgeable about it.

It is widely known that most of those who study such sciences deeply may state whatever they know in a very rough method. However, *Ustaz* Al-Jibaly was granted the talent of being able to convey whatever he knew in a very clear method. This is because Al-Jibaly inherited such a great interest in the clarity of method from his master, Sheikh Muhammad Abdou. So, Al-Jibaly's distinct method was considered one of his manifest talents that could be seen in his writings, lectures and lasting papers in the interpretation of the Ever-Glorious Qur'an – all of such works testify to his competent, attractive, simple method felt by all his readers.

One of the strangest things was that a reader sent a letter to Mr. Ahmad Bahgat asking him to let those in authority commemorate the name of one of the singers and call his name on the street named after Sheikh Ibrahim Al-Jibaly's name. The reason behind this is that such a reader does not know Sheikh Al-Jibaly and does not want to call his name on a street. Mr. Bahgat published that letter, which caused extreme anger to lots of readers who sent numerous letters denying that Sheikh Al-Jibaly be an unknown man. The reason is that he was one of the prominent members of the Great Scholars Society at Al-Azhar, a prominent member of the Egyptian Senate, and the Dean of the Faculty of Arabic Language. How could such a reader come and demand replacing Al-Jibaly's name with that of another person who will have no value if compared to Sheikh Al-Jibaly!

AL-AZHAR MAGAZINE
Shawwal 1424 A. H.

ENGLISH SECTION
December. 2003

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾
الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

Courage in the Blind Power Age

By Dr. Ibrahim Al-Assil,

The American Administration occupying Iraq feels confused and perplexed due to the increasing resistance against its troops. This is because the Iraqi resistance began to go after the employees of the International Humanitarian Organizations through attacking the employees of both the UN and the Red Cross working in Baghdad. Such fierce attacks resulted in the killing of some of their employees topped by the UN representative in Iraq, Sergio Vieira de Mello; the matter that obligated the UN to draw its employees back from Iraq. Moreover, police stations, established by the American Administration, along with their troops did not feel safe from such attacks. Furthermore, the Iraqi resistance attacked Ar-Rashid Hotel with rockets more than once; however, General Paul Wolfwitz, deputy of the American Defense Secretary, escaped inevitable death in the last attack on the Hotel which he chose as a safe place.

Thus, the frustrated American Administration is now looking around seeking the assistance of the other countries including, of course, the Arab ones to help it get out of that fix it caused itself, despite the fact that it has paid no attention to the warnings of its friends from launching such a war against Iraq.

To clarify stances, the declarations made by President Mohammed Hosny Moubarak clearly state that Egypt will not send any of its troops to Iraq. Also, Egypt will not allow any Arab be killed by another Arab without any mistake committed. President Moubarak also declared that Egypt would by no means send troops to Iraq even under the umbrella of the UN. Then, the declaration made by Dr.Mahathir Muhammad, the Malaysian Prime Minister, in the last session of the Islamic Conference came to surprise the world. He said, "Europe killed about six million Jews in the holocaust out of massive hatred, then Europe along with America bowed their necks to Israel and consented to be under the Israeli leadership, and they would do

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾

التقاء مبارك وخاتمى

خطوة جادة لها ما بعدها



الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾

إلتقاء مبارك وخاتمى

خطوة جادة لها ما بعدها



يسير السيد الرئيس حسني مبارك في خضم التيارات السياسية على هدى وبصيرة، لذلك كانت مواقفه المتعددة في هذه الأزمات الحالكة التي تتخبط فيها الأمة الإسلامية تمثل موقف الربان الذي يصارع الموج ليصل إلى شاطىء النجاة ومن هذه المواقف التي صادفت ارتياح العالم الإسلامي جميعه لقاؤه الخطير مع سماحة السيد علي خاتمي رئيس الدولة الإسلامية بإيران، حيث لمس الزعيمان الكبيران نبض العالم الإسلامي في هذه الأزمات، وعرفا قيمة التعاون الجاد بين الدول الإسلامية في مهب الأعاصير، ولكليهما نظرته الفاحصة، وإخلاصه المتقد وشعوره بالجراح الناغرة في الصدور، وقد أدى اللقاء إلى تفاهم تام سيعقبه - إن شاء الله - ما نشتهي من الثمار عن قريب.

لقد بدأت إيران من قبل خطوة حميدة، فدعت الأزهر الشريف إلى إحياء ماقام به المصلح الكبير الإمام محمود شلتوت من التقريب بين المذاهب الإسلامية في الفقه، ومن بينها الفقه الشيعي حيث كان صوته أعلى الأصوات في هذا المجال متابعاً مادعا إليه الأئمة: محمد مصطفى المراغي وعبدالمجيد سليم ومصطفى عبدالرازق من قبل، وأنّ أمراً يجمع عليه هؤلاء الكبار فقها ودراية وألمعية لجدير أن يُسكت من تحدثه نفسه بإثارة بعض أوجه الخلاف بين السنّة والشيعة جرياً وراء اتجاهات استعمارية تتجه إلى قطع الوشائج الملتحمة بين الدول الإسلامية، ولكنّ الواقع الخطير الذي يعيشه العالم الإسلامي يُلجم هؤلاء! فماذا عسى أن يقولوا اليوم في التقاء دولتين كبيرتين تتزعمان العالم الإسلامي أمام الفجور الإسرائيلي، والطغيان الأمريكي، وقد تجاوزا كل حد بحيث أصبحت أمريكا تابعاً خاضعاً لشهوات إسرائيل، واتّخذت من الفيتو سلاحاً لدعم الباطل دُون حياء فإذا حاول الزعيمان الكبيران أن يُكثفا الجهود المُخلصة لإنقاذ المسلمين من هذا الطغيان فتلك خطوة حقيقية في سبيل النجاح المرتقب بإذن الله.

إن التقارب بين مصر وإيران الذي نُباركه الآن هو أساسٌ وطيد للوحدة الإسلامية المَنْشُودة والوحدة الإسلامية أملٌ عزيز دَعَا إليه جمال الدين الأفغاني

في ظُروف مشابهة لما تعانيه البلاد الإسلامية اليوم من أهوال، فقد كان الاستعمار الغربي لعهد جمال الدين يبسط سلطانه على أكثر بلاد الإسلام مُحاولاً أن يجعل تقدمه المادي سبيلاً للطعن في الإسلام، فانطلقت ذيوله تعلن أن الإسلام هو السبب الأول في التخلف الحضاري، ووجدوا من البلهاء من يُصغون إلى أقوالهم في غفلة مؤلمة وما أشبه اليوم بالأمس حيث أخذ دُعاة العولمة ينتقصون شريعة الإسلام في المؤتمرات السكانية التي ظهر خداعها للعيان، ثم جاء احتلال أمريكا للعراق كاشفاً النقاب عن النيات المدخولة، والطمع الشره في ثروات البلاد! وقد أثبتت الوقائع أن جنود إسرائيل يأخذون موقعهم الإجرامي في اغتيال أبناء العراق، وكان السكوت الإسلامي عن هذه المخازي موضع تساؤل أليم، لذلك نرجو أن يكون التواصل التام بين إيران ومصر، مقدمة لنصر مأمول بإذن الله، وأرجو من الذين لايزالون يتصيّدون بعض الخلافات الفقهية بين المذهبين السني والشيعي أن يرجعوا إلى ما سجّله كبار علماء الأزهر ممن يعملون على جمع الكلمة، ووحدة الصف أمام العدو الغاشم، وكان الأستاذ الكبير الشيخ محمد محمد المدني في طليعة هؤلاء البررة من ذوي النظر الثاقب والإخلاص الأكيد وقد جمّع في سطور معدودة خُلاصة لما يُذاع ثم شفعها بالرد الحاسم، ونحن ننقل ماقاله بمجلة الأزهر الصادرة في جمادى الآخرة سنة ١٣٧٩هـ ليقرأه من لايزال يصدق كل إرجاف.

يقول الأستاذ محمد محمد المدني - رحمه الله - ببعض التصرف:

نرى بعض الناس: يقول كيف تدخلون فقه الشيعة في الأزهر، مع أنّ هذا المذهب هو مذهب الذين يعتقدون أنّ جبريل إنما بُعث بالرسالة إلى علي فأخطأه ونزل بها على محمد، وأن عليا قد حلّ فيه جزء من الإله».

وهؤلاء نقول لهم: «إن الشيعة تُطلق على عشرات المذاهب التي تُنسب إلى الإسلام حقاً، أو باطلاً وبعض هذه المذاهب ضالٌ منحرف عن الأصول الإسلامية وبعضها مُهتد مستمسك بما يجب الإيمان به مَثَلُه في ذلك كمثل مذاهب أهل



السنة وإنْ خالفهم فى بعض الفروع الفقهية، أو النظريات أو المسائل التى هى من قبيل المعارف الكلامية، والفريقُ الأول من المُسمين باسم الشيعة وهم الضلال المنحرفون لايعدّون من أهل الإسلام وإن ادّعوه، لأن العبرة فى ثبوت الإسلام إنما هى بالإيمان بأصول العقائد الإسلامية، وعدم إنكار ماهو معلوم من الدين بالضرورة وهم ليسوا كذلك، وليسوا منا ولسنا منهم، وقد انقرضوا ولم يُعد لهم أثر فى العالم الرسلامى، وهم كفار خارجون على ملة الإسلام، ملعونون من أهل السنة ومن الشيعة معاً.

أما الشيعة الذين نُقرر إدْخال فقهم، فهُمُ الزيديَّة، ولا يكادُون يختلفون عن أهل السنة فى شىء، ومثلهم الشيعة الإمامية الإثنا عشرية، وقد لُقبوا بالإمامية وهم يسكنون إيران والعراق وسوريا ولبنان والباكستان والهند، وغيرها من البلاد الإسلامية، ويؤمنون بأصول الإسلام كلها، ولا يستطيع أحد من أهل القبلة أن يحكم بكفرهم، وكل ما بينَهُم وبين السنة من خلاف إنما هو وراء الأصول

التى يجب الإيمان بها لتحقق مفهوم الإسلام، وينسب فقههم إلى أئمتهم من أهل البيت النبوى واشتهر باسم الفقه الجعفرى نسبة إلى أحد هؤلاء الأئمة وهو جعفر الصادق، وهؤلاء الشيعة الإمامية يلعنون أهل المذاهب المنْسُوبة إلى الشيعة من الغُلاة فى شأن على، ويتبرأون منهم، ولهم كتبهم فى العقائد والفقة والأصول، وأسرار الشريعة والتصوف وعلوم اللغة العربية، وقد نبغ منهم كثير من الفقهاء وأهل الحديث والرواية والأدباء والمتكلمين. ولهم أثر واضح فى ثراء الفقه الإسلامى لقد هتف جمال الدين بالوحدة ودعا إليها فى جريدة العروة ووجد من المسلمين من شاركه فى هذا الاتجاه وكانت تركيا المريضة أضعف من أن تقف فى وجه المد الاستعمارى بل أضعف من أن تحمى نفسها من شراسة أوروبا التى أحكمت الحلقات حول عنقها فأدت بها إلى الاختناق! ونحن لا نقول الآن بالوحدة السياسية، ولكن نقول بوحدة الصف أمام شراسة الأعداء.

إذ أن هذا الوضع الأليم الذى نعيشه الآن لا سبيل إلى الخروج من وطأته إلا بالتكاتف والالتئام، وإيران ومصر هما أمل المسلمين فى اجتماع الشمل ووحدة الصف، وقد تلاقت القلوب فى البلدين على الآمال والآلام، وعبَّر رئيساهما بلقائهما المخلص عن الشعور السائد فى الأمتين، وليس لنا إلا أن ندعو بلاد الإسلام فى الشرق والغرب إلى تأييد كل دعوة إلى الاتحاد السريع، إذ هو معجزة الإنقاذ.

المحرر

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي

داخل العدد

ذو القعدة ١٤٢٤هـ - يناير ٢٠٠٤م

الجزء الحادي عشر - السنة السادسة والسبعون

المراسلات باسم
مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / الأزهر / القاهرة
ت: ٢٦٣٨٥٩٩

افتتاحية العدد

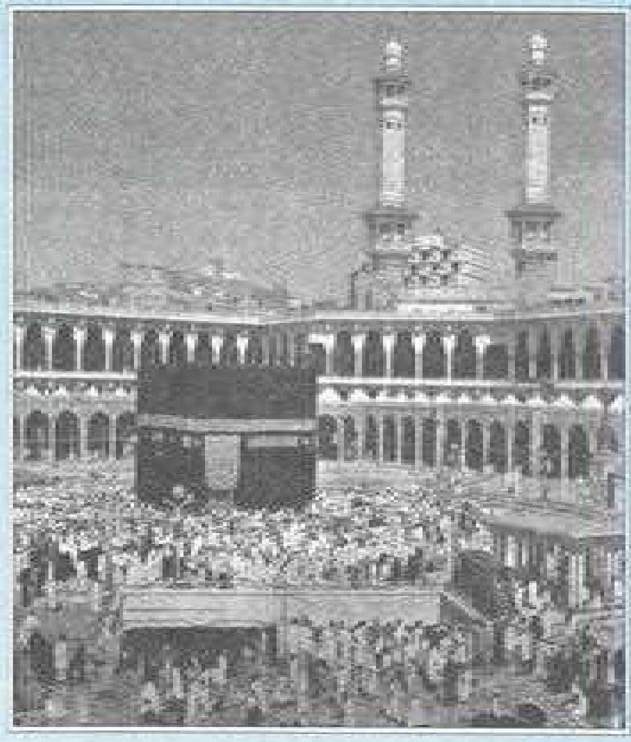
الحج فى مرآة كاتب هندى كبير

١

ظهرت مؤلفات كثيرة عن الحج، منها ما يُقدم الشعائر فى أسلوبها الفقهى المتعارف، فلا يكاد يضيف شيئا، ومنها ما يتحدث عن الرحلة المباركة حديثا ذاتيا، يقترب من الموضوع ويبتعد كما يشاء التعبير المسترسل، ولن تنكر أى جهد يبذله مؤلف مخلص، فحسبه أنه اجتهد وكدّ، حتى قدم نتاجه للقارئ فى صدق وإخلاص.

ولكن كتاب «حقيقة الحج» الذى نحاول أن نسلط الضوء على بعض معانيه الجديدة، جاء ذا طابع منفرد، لأن كاتبه المؤمن الغيور قد خضع لتفكير غائص متعمق، فهو يسبر الأغوار الخافية ليكشف ما استتر فيها عن العيون، كما أن شعلة الإيمان فى صدره قد أمدته بحرارة تُذكى المشاعر، وتوقظ فى حسّ القارئ المؤمن آمالاً جميلة يسره كل السرور أن تصبح حقائق واقعة، بل إنها لتدفع من لم يحج إلى بيت الله، أن يطير بروحه خافقة فوق ما يتصوره فى البلد الأمين من مقدسات، مشوقا إلى أن يأتى اليوم القريب ليرى هذه الأماكن بعينيه بعد أن تصورها بشوقه، وإذا استطاع كتاب «حقيقة الحج» أن يبلغ هذا المبلغ من النفوس، فقد وُفق مؤلفه كل التوفيق.

أما المؤلف فهو الكاتب الكبير الأستاذ «وحيد الدين خان» صاحب مجلة «الرسالة» الهندية. ذات السبق الظافر فى تجلية حقائق الإسلام، وقد نُقل إلى العربية كتابه الشهير «الإسلام يتحدى» فكُررت طبعاته، ونزل من القلوب أجمل موقع، لأن أفكار الكاتب المؤمن تشفّ عن سريرة صافية تعهدها فى الشاعر الأكبر محمد إقبال، وأنا أعتقد أن شاعر الإسلام الأكبر كان المنارة الأولى التى أضاءت عقول المفكرين من أبناء دينه، فهم على آثاره ينهجون. والأستاذ «وحيد الدين خان» أحد هؤلاء الذين واصلوا المسيرة الثقافية فى عزم وتصميم وهى مسيرة تحدوها العزيمة الصادقة، ولا تكتفى بالعلم المجرد، وأعجب العجب أن يكون إخواننا فى الهند أقدر على التأثير من كثير ممّن يرتضعون الإسلام من تراثه العربى، إذ يقفون عند الترديد المحايد، دون أن يقتدوا بكتاب الله فى نصاعة التعبير، وقوة التصوير، وأقول الكثير لأنّ المؤلفات الإسلامية قد كثرت فى العربية كثرة نشيطة، ولكنّ القليل



منها هو السابق المجلّى، وكنا نطمع أن يكون الجميع من المؤلفين سابقين مبرزين، وقد ترجم الكتاب إلى العربية الأستاذ الفاضل «ظفر الإسلام خان»، وقدم له بتمهيد كاشف مضىء، فشارك المؤلف فى تأدية رسالته على نحو متسع فيّاح، فلهما معا الشكر الجزيل.

وبدءا أقول: إن كل المعلومات التشريعية والتاريخية والجغرافية والاجتماعية التى قررها المؤلف شائعة مشتهرة. ولكنه وُفق كل التوفيق فى تفسيرها وتحليلها، فجاءت تشع بالطرافة، دون احتيال فى التعليل أو اعتساف فى التأويل، بل مسايرا لمنهج متزن يربط الأسباب بالنتائج، ولعلّ فى صنيعه الطريف ما يدفع المتحدثين فى أمثال هذه المباحث إلى سلوك نهجه التحليلى. وبذلك لا تفقد هذه الموضوعات جدتها الطريفة مع التناول المتتابع. ومن نعمة الله على أصحاب الأقلام المستنيرة أنهم بحمد الله فى كل مجال حيوى موضعا للإضافة المبتكرة، وهؤلاء هم الذين يجذبون القارىء بما يبدعون.

إبراهيم عليه السلام

تعلم أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ هو الذى رفع القواعد من البيت مع ابنه إسماعيل، ونذكر فى هذا المجال آيات شتى منها قول الله ـ عز وجل:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦) وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ البقرة (١٢٦ : ١٢٩).

أجل تعلم هذه الآية الكريمة، ونعلم ما قيل في تفسيرها ومناسبتها. ولكننا نقرأ البحث التحليلي لدعوة إبراهيم في كتاب «حقيقة الحج» فنجد فيها كثيراً مما لا نعلم، وما نعلمه نجده جاء في سياق رائع يضعه موضعه السديد. فالأستاذ وحيد الدين خان يقول في بساطة محببة لنا[٢]:

«كان إبراهيم ـ عليه السلام ـ قد وُلد في العراق القديم، وكان العراق بلداً متحضراً في ذلك العصر، وكان آزر والد إبراهيم وجدّ إسماعيل من كبار المسئولين في الحكومة العراقية، إلا أنهما لم يحتملا نظام العراق القائم على الشرك، مع أن طُرق الترقي كانت مفتوحة أمام إبراهيم وإسماعيل. فهجرا ذلك البلد الخصيب، لكي يعبدا الله الواحد الأحد وتوجها إلى الصحراء العربية الجدباء، إذ ليس فيها شيء يحول بين الخالق ومخلوقه، وهنالك قاما ببناء بيت الله، ليكون مركزاً عالمياً لعبادة الله الأحد»[٣].

وهنا وضع الله ـ تعالى ـ خطة لكي ينشأ نسلٌ جديد من البشر بعيداً عن مؤثرات بيئة الشرك وكان أنسب شيء لهذا مكانٌ غير مأهول، والإنسان الأول المطلوب لإنشاء نسل جديد في هذه المنطقة الصحراوية هو من يكون مستعداً له، مُدركاً أنه قد يدفع حياته ثمن العيش به. وكان إبراهيم ـ عليه السلام ـ قد دعا الله بأن يُظْهر رسولاً من نسل إسماعيل، وقد وُلد رسول الله ﷺ نتيجة لهذا الدعاء، ولكن الفاصل بين الدعاء وتحققه ألفان وخمسمائة سنة، لأن نسلاً جديداً كان يُعدّ خلال هذه المدة يعسكر بعيداً عن تسلسل الشرك ويكون مستعداً نتيجة التربية الصحراوية لكي يقف إلى جانب الرسول ويساعده على تكميل رسالته. ولهذا السبب سُمِّيتْ هذه المجموعة «خير أمة» وهي أغرب أمة في التاريخ، وصحيح أن جزءاً منها قد عادى الرسول في بداية الأمر، ولكنها وقفت أخيراً بجانبه عندما فهمت الأمر وأدركت الحقيقة».

.. وهذا كلام واضح، الربط بين الدعوة الحنيفية الأولى التي صدع بها إبراهيم ـ عليه السلام ـ وبين الدعوة الحنيفية الأخيرة التي نادى بها رسول الله ﷺ وهو ربط قد يجد اعتراضاً ممَّن يظن أن انتشار الشرك بمكة قبل البعثة النبوية، مما يقطع الصلة بين خاتم الأنبياء وجدّه إبراهيم، ولكن نجاح الرسول في تصحيح المسار بمكة يؤكد أن الشرك مهما طال زمنه كان أمراً عارضاً، وأنَّ دعوة إبراهيم قد استجيبت حين استفحل الشرّ فحقت الكلمة على الشرك برسالة محمد ﷺ وهذا هو سر الارتباط!.

يقول الأستاذ وحيد الدين خان في تأكيد ذلك:[٤].

«وهذا النسل الذي نشأ بمكة قد داخلته فيما بعد بعض مؤثرات الشرك فوقف أفراد من هذا النسل موقف المعاداة من الرسول ﷺ ولكن معاداتهم كانت تعود إلى الجهل، فلما أدركوا أن محمداً رسول الله ﷺ تحولت عداوتهم إلى قبول وتحولوا إلى أصحاب له بكل ما لديهم من نشاط»

(٢) حقيقة الحج: ص ٧٢. (٣) حقيقة الحج ص ٢٨ ـ ببعض التصرف والتلخيص.

(٤) حقيقة الحج: ص ٣٠.

وقد أحسن المؤلف الربط بين ما صنع إبراهيم عليه السلام في عهده الأول، وما شرعه الإسلام من شعائر خاصة بالحج إلى بيت الله الحرام فقال بعد ذلك:[٥].

«ومناسك الحج المختلفة هي مراحل هذا المشروع الإلهي التي يعيدها الحاج بصورة رمزيّة» فالحاج يفارق وطنه متجهاً إلى الحجاز كما كان إبراهيم ـ عليه السلام ـ قد خرج من العراق متجهاً إلى الحجاز، ويتخلى الحاج عن ملابسه العادية. ويلف حول جسده رداءين، وهذا اللباس مماثل للباس الذي كان إبراهيم وإسماعيل يرتديانه، وعندما يصل الحاج إلى مكة، ويطوف حول الكعبة فهو يُقلد الطواف الذي قام به إبراهيم وإسماعيل توثيقاً للعهد الإلهي، وعندما يسعى الحاج سبع مرات بين الصفا والمروة فهو يُقلد سعي هاجر بحثاً عن الماء في الصحراء، وعندما يتوجه الحاج إلى الجمرات فيرمي الشيطان بالحجارة فهو يكرر عمل إسماعيل ـ عليه السلام ـ الذي رَمَى الشيطان بالجمرات حين حاول أن يُغويه، ثم يجتمع كل الحجاج بميدان عرفات. وهذا هو الشكل النهائي لكلمات «لبيك اللهم لبيك» التي يرددها كل حاج، وهي كلها وقائع وقعتْ لإبراهيم وأسرته خلال تنفيذ الخطة الإلهية التي سبق ذكرها».

أما مكانة الحجاز تبعاً لذلك فقد أفصح عنها الكاتب حين قرر أن إبراهيم حين لم يُسْمَع صوته في مناطق العراق والشام ومصر، وكلها بلاد زارها إبراهيم. أسْكَن أسرته بأمر الله بمكة وبنى بها الكعبة لتكون مركزاً دائماً للهداية الإلهية، وهذا يعني أن الحجاز كما كان مركز الدعوة الإسلامية في حياة الرسول ﷺ فكذلك سيصبح الحجاز مركز إحياء الدين الإلهي، حين يختفي أثره من حياة الناس. فالحج مكان العبادة الإلهية، كما هو مركز الدعوة إلى دين الله، وتجديده، وقد فتحت الحركة العلمية كثيراً من الإمكانات الجديدة، وبها يُستخدم مؤتمر الحج العالمي لأجل التخطيط للدعوة الإسلامية على مستوى أعظم من أي وقت مضى، فجعل منهج الفكر الإسلامي هو النهج الفكري الغالب على العالم كله، كما كان في العصور الماضية، وهو المعنى الذي يعبر عنه القرآن بكلمات «إظهار الدين» ولا يتحقق هذا الهدف إلا بإحياء أهمية الحج مرة أخرى.

النظـــرة الشــاملة

سقْت ما ذكره المؤلف عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ وصلته بالدعوة المحمدية، وامتداد نظرته إلى الوضع الراهن بهذا العصر كي يكون الحجاز مناراً ليقظة الإسلام الحديثة، كما كان من قبل؛ سقْتُ ذلك كله في عبارات أكثرها مما قال المؤلف «وما تركته من قوله ينبئ عنه ما ذكرته» لأدلَّ على النظرة الشاملة لمؤلف يعتقد أن الإسلام دين الحق منذ ظهر وحي الله، وأن إبراهيم قد اختار الكعبة في عهده البعيد ثقة منه في أن الله سيجيب دعوته في المستقبل حين

(٥) حقيقة الحج: ص ٣٧.

يبعث فى هذا المكان رسولاً يتلو على الناس آيات ربه ويُعلمهم الكتاب والحكمة، وإذنْ فقد كان الأذان بالحج منذ عهد إبراهيم إلى الآن تذكيراً بالدعوة الربانية، وبعثاً تجديديا لعقائدها الكريمة، والمسلمون الآن حين يفدون إلى بيت الله عليهم أن يدركوا هذه الحقيقة، فإذا امتلأت نفوسهم من منازل الوحى رحلوا عازمين على النهوض بأعباء الدولة الإسلامية كى ينقذوا أنفسهم من الإغراء الحضارى الذى يتربص بهم كل مرصد، وهنا يكون الحج بمفهومه التاريخى والدينى طوق النجاة.. وقد يُسطرُ الكاتب الكبير خواطر خاصة به لا تكون مجال اتفاق عام، وله أن يعبر عن خواطره كما ارتسمت فى وجدانه المؤمن، وقارئه ذو حق فى مخالفته حين يلمس لديه ما يدعو إلى هذه المخالفة، لأنها لا تكون فى أصل ثابت من الأصول المقررة، ولكنها تنحصر فى استعمال مجاز غير مألوف، أو مبالغةٍ فى تشخيص داء يراه مستعصياً ونراه قريب العلاج!. ولكلٍ وجهة هو موليها..

أما الرد على من ينكرون عاطفة التدين من الماديين، فقد أبدع الكاتب فى تقدهم القائم منه على أصول من قواعد العلم الحديث مستنداً إلى ما يعتمدون عليه من مصادر الفكر الغربى المعاصر من ناحية، وإلى هواتفه الوجدانية الشريفة من ناحية أخرى حين يهتف قائلا[٦]: «لو أنصت الإنسان إلى طبيعته، فإنه سيرتد إلى الله، فهو سيشعر به فى نبضات قلبه، فهذه الفطرة (لا شعور) الإنسان والإسلام ينقل الإنسان من هذا اللاشعور إلى مستوى الشعور، ولكن الإنسان مخلوق من نوع معين، فلا تكفيه المعرفة الغيبية، بل هو يريد أن يكتشف (وجود) الله بصورة حسيّة، فيدركه إدراكاً محسوساً، ولكنّ العائق هنا هو أنّ الإنسان لا يمكنه أن يدرك ربه إدراكاً محسوساً حقيقياً قبل الآخرة! فعاطفة العبودية لله وحده كامنة فى فطرة الإنسان، وما الشركُ وعبادة الأصنام إلا إساءة لهذه العاطفة الفطرية، أما عقيدة التوحيد فتُوَجه هذه العاطفة الفكرية وجهة صحيحة، وهكذا مراسم الحج، لأنه إصلاح لخطأ بشرى، فرسالة الحج تصيح بالناس: لا تحاولوا أن تهبطوا بالله إلى مستوى التماثيل، ولكن يمكنكم أن تجدوه على مستوى آثاره، فالزموا الشعائر الدينية التى فرضها الإسلام فى العبادات، ومن بينها فريضة الحج ذات العظة والاعتبار لتستشعروا برد اليقين».

د. / محمد رجب البيومى

---

(٦) حقيقة الحج: ص ٥٢.

تفسير سورة البقرة

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى
فَاكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ
كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ
الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ۚ
فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ
أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ۚ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ
مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ
مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ
إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ۚ وَلَا تَسْأَمُوا
أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ
عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا ۖ إِلَّا أَن تَكُونَ
تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ
وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ۗ وَاتَّقُوا
اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٨٢)﴾

الآية: ٢٨٢

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال ابن كثير : قوله - تعالى - :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ ﴾

هذا إرشاد منه - تعالى - لعباده المؤمنين إذا تعاملوا بمعاملات مؤجلة أن يكتبوها ليكون ذلك أحفظ لمقدارها وميقاتها وأضبط للشاهد فيها، وقد نبه على ذلك فى آخر الآية حيث قال:

﴿ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ ﴾

وروى البخارى عن ابن عباس أنه قال: أشهد أن السلف المضمون إلى أجل مسمى قد أحله الله وأذن فيه ثم قرأ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم ﴾ .

الآية. وثبت فى الصحيحين عن ابن عباس قال: قدم النبى ﷺ المدينة وهم يسلفون فى الثمار السنة والسنتين والثلاث فقال رسول الله ﷺ: «من أسلف فليسلف فى كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم»(١).

ومعنى ﴿ تَدَايَنتُم ﴾: تعاملتم بالدين وداين بعضكم بعضا، وحقيقة الدين - كما يقول القرطبى -: «عبارة عن كل معاملة كان أحد العوضين فيها نقدا والآخر فى الذمة نسيئة، فإن العين عند العرب ما كان حاضرا، والدين ما كان غائبا»(٢).

والأجل فى اللغة هو الوقت المضروب لانقضاء الأمد، وأجل الإنسان هو الوقت المحدد لانقضاء عمره، وأجل الدين هو الوقت المعين لأدائه فى المستقبل. وأصله من التأخير، يقال: أجل الشىء يأجل إذا تأخر والآجل نقيض العاجل.

والمعنى: يأيها الذين آمنوا إذا عامل بعضكم بعضا بالدين إلى وقت معين فاكتبوا هذا الدين، لأن فى هذه الكتابة حفظا له، وضبطا لمقداره، ومنعا للتنازع من أن يقع بينكم.

قال صاحب الكشاف: فإن قلت: هلا قيل: إذا تداينتم إلى أجل مسمى، وأى حاجة إلى ذكر الدين؟ قلت: ذكر - لفظ الدين - ليرجع الضمير إليه فى قوله: ﴿ فَٱكۡتُبُوهُۚ ﴾ إذ لو لم يذكر لوجب أن يقال: فاكتبوا الدين، فلم يكن النظم بذلك الحسن، ولأنه أبين لتنويع الدين إلى مؤجل وحال. فإن قلت: ما فائدة قوله: ﴿ مُّسَمّٗى ﴾ قلت: ليعلم أن من حق الأجل أن يكون معلوما

(١) تفسير ابن كثير جـ١ صفحة ٣٣٤.

(٢) تفسير القرطبى جـ٣ صفحة ٣٧٧.

كالتوقيت بالسنة والأشهر والأيام، ولو قال: إلى الحصاد أو الدياس أو رجوع الحاج لم يجز لعدم التسمية»(٣).

وجمهور العلماء على أن الأمر فى قوله: ﴿ فَٱكۡتُبُوهُۚ ﴾ للندب، ولأن الله - تعالى - قد قال بعد ذلك:

﴿ فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ ﴾

ولأن النبى ﷺ لم يلزم الدائنين بكتابة ديونهم، ولا المدينين بأن يكتبوها.

وقال الظاهرية: إن الأمر هنا للوجوب، ومن لم يفعل ذلك كان آثما، لأن الأصل فى الأمر أنه للوجوب.

وقوله:

﴿ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ ﴾ بيان لكيفية الكتابة المأمور بها وتعيين من يتولاها عقب الأمر بها على سبيل الإجمال.

أى: عليكم أيها المؤمنون إذا تعاملتم بالدين إلى أجل معين أن تكتبوا هذا الدين، وليتول الكتابة بينكم شخص يجيدها وعنده فقهها وعلمها، بأن يكون على معرفة بشروط العقود وتوثيقها، وما يكون من الشروط موافقا لشريعة الإسلام وما يكون منها غير موافق، وعلى هذا الكاتب أن يلتزم الحق مع الدائن والمدين فى كتابته، لأن الله - تعالى - يقول:

﴿ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ ﴾(٤).

فالجملة الكريمة تحض المتعاملين بالدين أن يختاروا لكتابته شخصا تتوفر فيه إجادة الكتابة، والخبرة بشروط العقود وتوثيقها، كما تتوفر فيه الاستقامة وتحرى الحق.

ومفعول ﴿ لِيَكۡتُبۡ ﴾ محذوف ثقة بانفهامه أى وليكتب بينكم الكتابة كاتب بالعدل. والتقييد بالظرف بينكم للإيذان بأنه ينبغى للكاتب ألا يسمح لنفسه بأن ينفرد به أحد المتعاقدين، لأن فى هذا الانفراد تهمة يجب أن يربأ بنفسه عنها.

والجار والمجرور وهو ﴿ بِٱلۡعَدۡلِ ﴾ متعلق بمحذوف صفة لكاتب أى: وليكن المتصدى للكتابة من شأنه أن يكتب بالسوية من غير ميل إلى أحد الجانبين، أو متعلق بالفعل يكتب. أى: وليكتب بالحق.

ثم نهى الله - تعالى - من كان قادرا على الكتابة عن الامتناع عنها متى دعى إليها فقال:

﴿ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ ﴾

أى: ولا يمتنع كاتب من أن يكتب

(٣) تفسير الكشاف جـ١ صفحة ٣٢٥.

(٤) المائدة (٨).

للمتداينين ديونهما بالطريقة التى علمه الله إياها أن يتحرى العدل والحق فى كتابته، وأن يلتزم فيها ما تقتضيه أحكام الشريعة الإسلامية.

فالكاف فى قوله - تعالى -:

﴿ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ﴾ نعت لمصدر محذوف والتقدير: فليكتب كتابة مثل ما علمه الله - تعالى - بمعنى أن يلتزم الحق والعدل فيها.

ويجوز أن تكون الكاف للتعليل فيكون المعنى: لا يمتنع عن الكتابة لأنه كما علمه الله إياها ويسرها له ونفعه بها، فعليه أن ينفع غيره بها، فهو كقوله - تعالى -:

﴿ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ ﴾[5]

وفى الحديث الشريف «إن من الصدقة أن تعين صانعا أو تصنع لأخرق»، وفى حديث آخر: «من كتم علما يعلمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة»[6].

وقوله: ﴿ فَلۡيَكۡتُبۡ ﴾ تفريع على قوله ﴿ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ ﴾ أى: فليكتب الكتابة التى علمه الله إياها فهو توكيد للأمر المستفاد من قوله:

﴿ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ ﴾، ويجوز أن يكون توكيدا للأمر الصريح فى قوله:

﴿ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ ﴾

قال القرطبى: واختلف الناس فى وجوب الكتابة على الكاتب والشهادة على الشاهد. فقال الطبرى: واجب على الكاتب إذا أمر أن يكتب. وقال الحسن: ذلك واجب عليه فى الموضع الذى لا يقدر فيه على كاتب غيره فيضر صاحب الدين إن امتنع، فإن كان كذلك فهو فريضة، وإن قدر على كاتب غيره فهو فى سعة إذا قام بها غيره»[7].

وإلى هنا تكون الآية الكريمة قد قررت مبدأ الكتابة فى الدين، وبينت كيفية الكتابة، وأشارت إلى إجادة الكاتب لها، ونهته عن الامتناع عنها إذا دعى إليها. ثم انتقلت الآية بعد ذلك إلى بيان من يتولى الإملاء فقال - تعالى -:

﴿ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِى عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ ﴾

والإملال معناه الإملاء. فهما لغتان معناهما واحد. وقد جاء القرآن باللغتين قال - تعالى -:

﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِىَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا ﴾[8].

أى: وعلى المدين الذى عليه الدين وقد

(5) القصص (77).

(6) تفسير ابن كثير جـ1 صفحة 335.

(7) تفسير القرطبى جـ3 صفحة 385.

(8) الفرقان (5).

التزم بأدائه أن يمل على الكاتب هذا الدين، وذلك ليكون إملاؤه إقرارا به وبالحقوق التى عليه الوفاء بها. وعليه كذلك أن يراقب الله - تعالى - فى إملائه فلا ينقص من الدين الذى عليه شيئا، لأن هذا الإنقاص ظلم حرمه الله - تعالى -.

وقد أمر الله - تعالى - بأن يكون الذى يملى على الكاتب هو المدين لأنه هو المكلف بأداء مضمون الكتابة، ولأنه بإملائه يكون قد أقر على نفسه بما عليه، ولأنه لو أفلس الدائن فربما يزيد فى الدين، أو يملى شيئا ليس محل اتفاق بينه وبين المدين، ولأن المدين فى الغالب فى موقف ضعيف فأعطاه الله - تعالى - حق الإملاء على الكاتب حتى لا يغبن من الدائن.

فأنت ترى أن الله - تعالى - قد مكن المدين من الإملاء على الكاتب حتى تكون الكتابة تحت سمعه وبصره وباختياره، ولكنه فى الوقت نفسه أوجب عليه أمرين: تقوى الله وعدم الإنقاص من الدين الذين عليه، وإن ذلك لتشريع عادل حكيم لا ظلم فيه لا للدائن ولا للمدين.

ثم بين - سبحانه - الحكم فيما إذا كان الذى عليه الدين لا يحسن الإملاء فقال - تعالى -:

﴿ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ ﴾ وهو المدين ﴿ سَفِيهًا ﴾ أى جاهلا بالإملاء أو ناقص العقل، أو متلافا مبذرا لا يحسن تدبير أمره.

﴿ أَوۡ ضَعِيفًا ﴾ بأن يكون صبيا أو شيخا تقدمت به الشيخوخة.

﴿ أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ ﴾ بأن يكون عييا أو أخرس أو لا خبرة له بإملاء أمثال هذه المكاتبات.

﴿ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ ﴾ أى فعلى ولى أمره أو من يهمه شأنه ولا يرضى له أن يضيع حقه أن يتولى الإملاء متحريا الحق والعدل فيما يكلف به.

وبعد هذا البيان الحكيم عن الكتابة وأحكامها فى شأن الديون، انتقل القرآن إلى الحديث عن الإشهاد فقال - تعالى -:

﴿ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ ﴾

أى: اطلبوا شاهدين عدلين من الرجال ليشهدوا على ما يجرى بينكم من معاملات مؤجلة، لأن هذا الإشهاد يعطى الديون والكتابة توثيقا وتثبيتا. والسين والتاء فى قوله: ﴿ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ ﴾ للطلب.

قال الآلوسى: «وفى اختيار صيغة المبالغة فى "شهيدين" للإيماء إلى من تكررت منه الشهادة، فهو عالم بها مقتدر على أدائها وكأن فيه رمزا إلى العدالة، لأنه لا يتكرر ذلك من الشخص عند الحكام إلا وهو مقبول عندهم ولعله لم يقل رجلين لذلك.

والأمر للندب أو للوجوب على الخلاف على ذلك»[9].

وقوله: ﴿ مِن رِّجَالِكُمْ ﴾ متعلق بقوله: ﴿ وَٱسْتَشْهِدُواْ ﴾ ومن لابتداء الغاية ويجوز أن يكون متعلقا بمحذوف صفة لشهيدين ومن للتبعيض، أى من رجالكم المسلمين الأحرار فإن الكلام فى معاملتهم.

ثم بين - سبحانه - الحكم إذا لم يتيسر شاهدان من الرجال فقال:

﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾

وقوله: ﴿ مِمَّن تَرْضَوْنَ ﴾ متعلق بمحذوف على أنه صفة لرجل وامرأتان، أى فإن لم يتيسر رجلان للشهادة فليشهد رجل وامرأتان كائنون مرضيون عندكم بعدالتهم.

وهذا الوصف وإن كان فى جميع الشهود إلا أنه ذكر هنا للتشديد فى اعتباره، لأن اتصاف النساء به قد لا يتوفر كثيرا.

وقوله: ﴿ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾ متعلق بمحذوف حال من الضمير المفعول المقدر فى ﴿ تَرْضَوْنَ ﴾ العائد إلى الموصول: أى فليشهد رجل وامرأتان ممن ترضونهم حال كونهم من بعض الشهداء لعلمكم بعدالتهم، وثقتكم بهم.

وقوله - تعالى -: ﴿ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾ أدق فى الدلالة على صدق الشهادة من العدالة، لأن الإنسان العدل قد يكون مرضيا فى دينه وخلقه ولكنه قد يتأثر بالمشاهد المؤثرة فتخونه ذاكرته فى وقت الحاجة إليها، أو قد يكون ممن يمنعه منصبه وجاهه ومقامه فى الناس من الكذب إلا أنه قد يرتكب بعض المعاصى، فجاء - سبحانه - بهذه الجملة الحكيمة لكى يقول للناس. اختاروا الشهداء من الذين يرتضى قولهم، ويقيمون الشهادة على وجهها الحق بدون التأثر بأى نوع من أنواع المؤثرات.

هذا، وشهادة النساء مع الرجال تجوز عند الحنفية فى الأموال والطلاق والنكاح والرجعة وكل شىء إلا الحدود والقصاص، وعند المالكية تجوز فى الأموال وتوابعها خاصة، ولا تقبل فى أحكام الأبدان مثل الحدود والقصاص والنكاح والطلاق والرجعة.

ثم بين - سبحانه - العلة فى أن المرأتين تقومان مقام الرجل فى الشهادة فقال:

(9) تفسير الآلوسى جـ3 صفحة 57.

﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾

قال القرطبى: معنى تضل تنسى، والضلال عن الشهادة إنما هو نسيان جزء منها وذكر جزء، ويبقى المرء حيران بين ذلك ضالا»[10].

والمعنى: جعلنا المرأتين بدل رجل واحد فى الشهادة، خشية أن تنسى إحداهما فتذكر كل واحدة منهما الأخرى. إذ المرأة لقوة عاطفتها، وشدة انفعالها بالحوادث، قد تتوهم ما لم تر، فكان من الحكمة أن يكون مع المرأة أخرى فى الشهادة بحيث يتذكران الحق فيما بينهما.

والعلة فى الحقيقة هى التذكير، ولكن الضلال لما كان سببا فى التذكير، نزل منزلة العلة، وذلك كأن تقول: أعددت السلاح خشية أن يجىء العدو فأدفعه، فإن العلة هى الدفاع عن النفس، ولكن لما كان مجىء العدو سببا فيه نزل منزلته.

وكما أمر الله - تعالى - الكتاب فى أول الآية بعدم الامتناع عن الكتابة أمر الشهود أيضا بعدم الامتناع عن الشهادة فقال - تعالى -: ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ﴾ أى: ولا يمتنع الشهود عن أداء الشهادة وتحملها متى دعوا إليها، لأن الامتناع عن تحمل الشهادة وأدائها قد يؤدى إلى ضياع الحقوق، والله - تعالى - قد شرع الشهادة لإحقاق الحق، ونشر العدل بين الناس، فعلى من اشتهروا بالعدالة ووثق الناس بهم أن يؤدوا الشهادة كما أمرهم الله - تعالى -.

ثم أمر - سبحانه - بكتابة الدين سواء أكبر الدين أم صغر فقال:

﴿ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ﴾

السأم: الضجر والملل. يقال: سئمت الشىء أسأمه سأما أى مللته وضجرته.

والمعنى: وعليكم أيها المؤمنون أن لا تملوا من كتابة الدين إلى الوقت المحدد له سواء أكان هذا الدين كبيرا أم صغيرا، لأن الكتابة فى الحالتين أدعى إلى حفظ الحقوق وصيانتها، وإلى عدم تشوب التنازع أو التخاصم بينكم، ولأن الدين قد يكون صغيرا فى نظر الغنى المليء، إلا أنه كبير فى نظر الفقير المعسر، ولأن التهاون فى شأن الدين الصغير قد يؤدى إلى التهاون فى شأن الدين الكبير، لذا وجب عليكم أن تنقادوا لشرع الله وأن تكتبوا ما بينكم من ديون.

والضمير فى قوله: ﴿ أَن تَكْتُبُوهُ ﴾ يعود إلى الدين أو إلى الحق، وقوله: ﴿ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا ﴾ حالان من الضمير. أى لا تسأموا أن تكتبوه على كل حال قليلا أو كثيرا، وقدم الصغير على الكبير اهتماما به وانتقالا من الأدنى إلى الأعلى.

(10) تفسير القرطبى جـ3 صفحة 397.

ثم بين – سبحانه – ثلاث فوائد تعود عليهم إذا ما امتثلوا ما أمرهم الله – تعالى – به، فقال: ﴿ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ﴾.

واسم الإشارة ﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾ يعود إلى كل ما سبق ذكره فى الآية من الكتابة والإشهاد ومن عدم الامتناع عنهما، ومن تحرى الحق والعدل.

و ﴿ أَقْسَطُ ﴾ بمعنى أعدل. يقال: أقسط فلان فى الحكم يقسط إقساطا إذا عدل فهو مقسط.

قال – تعالى –: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾، ويقال: هو قاسط إذا جار وظلم. قال – تعالى –: ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾(11)

أى: ذلكم الذى شرعناه لكم فى أمر الديون من الكتابة والإشهاد وغيرهما أعدل فى علم الله – تعالى –، وكل ما كان كذلك فهو الأعدل والأفضل والأحكم فى ذاته، لأنه – سبحانه – هو الأعلم بما فيه مصلحتكم فاستجيبوا له، وتلك هى الفائدة الأولى.

أما الفائدة الثانية فهى قوله – سبحانه –: ﴿ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ ﴾ ومعنى ﴿ وَأَقْوَمُ ﴾ أبلغ فى الاستقامة التى هى ضد الاعوجاج.

أى: أثبت لها وأعون على إقامتها وأدائها.

وأما الفائدة الثالثة فهى قوله: ﴿ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا ﴾ أى: أقرب إلى زوال الشك والريبة. أى أن الأوامر والنواهى السابقة إذا نفذت على وجهها كان تنفيذها أعدل فى علم الله – تعالى – وأعون على إقامة الشهادة إذ بها يتم الاعتماد على الحفظ، وأقرب إلى عدم الشك فى جنس الدين وقدره وأجله، وإذا توفرت هذه الفوائد الثلاث فى المعاملات ساد الوفاق والتعاون بين الناس، أما إذا فقدت فإن الثقة تزول من بينهم، ويحل محلها النزاع والشقاق.

ثم أباح – سبحانه – فى التجارة الحاضرة عدم الكتابة فقال: ﴿ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ﴾.

والتجارة الحاضرة التى تدور بين التجار: هى التى يجرى فيه التقابض فى المجلس أو التى يتأخر فيها الأداء زمنا يسيرا، وسميت حاضرة، لأن المبيع والثمن كلاهما حاضر.

والمعنى: أن الله – تعالى – يأمركم بكتابة الديون وبالإشهاد عليها إلا أنه – سبحانه – رحمة بكم أباح لكم عدم الكتابة فى التجارة الحاضرة التى

(11) الجن (15).

تكثرون إدارتها والتعامل فيها، لأنه لو كلفكم بذلك لشق الأمر عليكم، وهو – سبحانه –: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾(12)

ولأن أمثال هذه التجارات التى يحصل فيها التقابض ويكثر تكرارها، لا يتوقع فيها التنازع أو النسيان.

والاستثناء هنا منقطع لأنه ليس هناك دين حتى يكتب، وليست التجارة الحاضرة من جنس التعامل بالديون فكأنه قيل: إذا تداينتم فتكاتبوا وأشهدوا لكن التجارة الحاضرة التى يجرى فيها التقابض لا جناح عليكم فى عدم كتابتها.

وقيل: الاستثناء متصل والجملة المستثناة فى وضع نصب لأنه استثناء من الجنس، لأنه أمر بالكتابة فى كل معاملة واستثنى منها التجارة الحاضرة والتقدير: آمركم بالكتابة والإشهاد فى كل معاملة إلا فى حال حضور التجارة فلا بأس من ترك الكتابة.

و ﴿ تِجَارَةً ﴾ قرأها الجمهور بالرفع على أنها اسم تكون، والخبر جملة ﴿ تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ ﴾ أو على أنها فاعل تكون إذا اعتبرناها تامة.

وقرأها عاصم بالنصب على أنها خبر تكون واسمها ضمير مستتر فيها يعود على التجارة. أى: إلا أن تكون التجارة تجارة حاضرة.

وقوله – تعالى –: ﴿ وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ أمر منه – سبحانه – بالإشهاد عند البيع، وهذا الأمر للإرشاد والتعليم عند جمهور العلماء، ويرى الظاهرية أنه للوجوب.

قال صاحب الكشاف: هذا أمر بالإشهاد على التبايع مطلقا ناجزا أو كالئا – أى مؤجلا – لأنه أحوط وأبعد مما عسى يقع من الاختلاف. ويجوز أن يراد: وأشهدوا إذا تبايعتم هذا التبايع، يعنى التجارة الحاضرة على أن الإشهاد كاف فيه دون الكتابة، وعن الضحاك: هى عزيمة من الله ولو على باقة بقل (13).

ثم نهى – سبحانه – عن المضارة فقال: ﴿ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾.

والمضارة: إدخال الضرر. والفعل ﴿ يُضَارَّ ﴾ يحتمل أن يكون مبنيا للفاعل، وأن أصله «لا يضارر» – بكسر الراء – ويحتمل أن يكون مبنيا للمفعول، وأن أصله لا يضارر بفتح الراء الأولى.

والمعنى على الأول: نهى الكاتب والشاهد عن أن ينزلا ضررا بأحد المتعاقدين، بأن يبخس الكاتب أحدهما، أو يشهد بغير الحق.

(12) الحج (78).
(13) تفسير الكشاف جـ1 صفحة 327.

والمعنى على الثانى: وهو الظاهر - نهى الدائن والمدين عن أن ينزل أحدهما ضررا بالكاتب أو الشاهد لحملهما على كتابة غير الحق أو قول غير الحق، فإنهما أمينان، والإضرار بهما قد يحملهما على الخيانة وفى ذلك ضياع للأمانة وذهاب للثقة، ولذا قال - تعالى - بعد ذلك:

﴿ وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم ﴾

أى: وإن تفعلوا ما نهيتم عنه أو تخالفوا ما أمرتم به، فإنكم بذلك تكونون قد خرجتم عن طاعة الله، وتلبستم بمعصية، وصرتم أهلا لعقوبته، فعليكم أن تقفوا عند حدود الله حتى تتحقق لكم السعادة فى دينكم ودنياكم.

ثم ختم - سبحانه - الآية الكريمة بالأمر بخشيته، وبتذكيرهم بنعمه فقال:

﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شىء عليم ﴾

أى: واتقوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، فهو - سبحانه - الذى يعلمكم ما يصلح لكم أمر دنياكم وما يصلح لكم أمر دينكم متى اتقيتموه واستجبتم له، وهو - سبحانه - بكل شىء عليم لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء.

وبعد: فهذه هى آية الدين التى هى أطول آية فى القرآن، تقرؤها فتراها قد اشتملت على أدق التشريعات، وأحكم التوجيهات، وأنجع الإرشادات التى تهدى إلى حفظ الحقوق وضبطها وتوثيقها بمختلف الوسائل.

تقرؤها فترى الدقة العجيبة فى الصياغة بأن وضع كل لفظ فى مكانه المناسب، وترى الطلاوة فى التعبير، والعذوبة فى الألفاظ بحيث لا تطغى دقة الصياغة على جمال العرض.

وترى الوفاء الكامل، لكل الجوانب التشريعية والاحترام التام من كل المؤثرات التى قد تؤثر على سلامة التعاقد، والإرشاد الجامع إلى كل ما يضمن وصول الحق والعدل إلى جميع الأطراف بدون محاباة أو غبن.

وترى قبل ذلك وبعد ذلك كيف يسوق القرآن تشريعاته بطريقة تغرس فى النفوس الخوف من الله - تعالى - والمراقبة له، والاستجابة لأوامره، لا كطريقة البشر فى قوانينهم التى صاغوها فى قوالب صماء من الألفاظ لا تشعر معها بتأثير فى النفس، ولا باهتزاز فى القلب.

ولو لم يكن فى شريعة الله سوى هذا التأثير الذى تشعر به النفوس النقية الصافية عند تدبرها لكفاها ذلك دليلا على سموها وفضلها وعلى أنها من صنع الله - تعالى - ولو أن المسلمين أخذوا بها وبتوجيهاتها فى سائر شئونهم لظفروا بالسعادتين: الدينية والدنيوية.

عن الأسلوب القرآنى

للأستاذ الدكتور/ سعد أحمد العزب

نقصد هنا من مصطلح (الأسلوب): تلك الطريقة الفنية التى عالج بها القرآن الكريم مضامينه وقضاياه، واستوى بها على الأوج من بلاغة الوصف، وبلاغة السرد، وبلاغة التصوير، وبلاغة الإعجاز.

وقد آثرنا - فى التحدث عن أسلوب القرآن - أن نخلى بين طائفة من القدماء والمحدثين وبين تناول هذه القضية البالغة الجلال، وأن تكون هذه الطائفة ممثلة إلى مدى بعيد لاتجاهات أجيال العلماء الذين خاضوا فى هذا الصدد، على نحو هائل من العمق، وذكاء الاجتهاد، وشمول الرؤية، ومحاولة التأصيل والتنظير.. ولعل الباقلانى وعبدالقاهر فى القديم، وطه حسين وسيد قطب فى الحديث يمثلون معا أروع ما قيل من هذه الوجهة، على تفاوت فى التناول، واختلاف فى منظور الرؤية، وتباين فى تجسيد المقولات.

وقد يقتصر دورنا فى إيراد آراء هؤلاء على سلسلة قضاياها، ووضعها فى مناطها الصوابى، حتى تكتمل الرؤية المنهجية لهذه القضية الخطيرة.. وربما يمتد هذا الدور قليلا ليصبح مدخلا إلى شىء أو إضاءة لشىء، وهذا طموح نأمل أن نكون منه على قريب.

ولقد يطامن من قيمة كل فعل فى هذا المجال، حجم ما بذل علماؤنا فى القديم والحديث معا من معاناة وبذل، وحجم ما استشعروا - مع كل هذا البذل وهذه المعاناة - من تهيب أمام حقائق البيان الإلهى فى القرآن، مما يؤكد أن القضية أولا وقبل كل شىء قضية قصور آدمى يحاول أن يفهم عن الكمال الإلهى المطلق، مجرد محاولة، قد تفلح مرة، وقد تبوء بالإحباط مرات ومرات.

كان (الباقلانى) واحدا من طلائع الذين تأملوا الظاهرة الأسلوبية فى القرآن الكريم فى كتابه (إعجاز القرآن) وعارضها فى كل

مجلى من مجاليها بفم ما أبدع الشعراء والأدباء شعرا ونثرا على السواء، ليصل من ذلك كله إلى حقيقة تفرد الأسلوب القرآنى فى نظمه وتأليفه وبلاغته جملة، وتفردا، واتساقا، وتلوينا، وتأصيلا، وانسيابا، غير جار فى ذلك على أنساق الشعر وقوانينه الخاصة، أو على أنساق السجع فى موالاة الكلام على وزن واحد وإنما هو أسلوب بذاته يقف وحده على ربوة الإعجاز البيانى فى شكله ومضمونه، وفى الحركة الجدلية المساوقة بين الشكل والمضمون، فلا يند تعبير فى آية عن احتواء معناه الشمولى، ولا يضر معنى فى سياق داخل قصور تعبير تعجز عن أدائه الكلمات.

يقول الباقلانى: (وأنت تتبين فى كل ماتصرف فيه من الأنواع أنه على سمت شريف، ومركب منيف، يسهر إذا أخذ فى النوع الربّى، والأمر الشرعى، والكلام الإلهى، الدال على أنه يصدر عن عزة الملكوت، وشرف الجبروت، وما لا يبلغ الوهم مواقعه: من حكمة وأحكام، واحتجاج وتقرير، واستشهاد وتقريع، وإعذار وإنذار، وتبشير وتحذير، وتنبيه وتلويح، وإشباع وتصريح، وإشارة ودلالة، وتعليم أخلاق زكية، وأسباب رضية، وسياسات جامعة، ومواعظ نافعة، وأوامر صادعة، وقصص مفيدة، وثناء على الله – عز وجل – بما هو أهله، وأوصاف كما يستحقه، وتحميد كما يستوجبه، وإخبار عن كائنات فى التأتى صدقت، وأحاديث عن المؤتنف تحققت، ونواه زاجرة عن القبائح والفواحش، وإباحة الطيبات، وتحريم المضار والخبائث، وحث على الجميل والإحسان.



الدكتور طه حسين

تجد فيه الحكمة وفصل الخطاب، مجلوة عليك فى منظر بهيج، ونظم أنيق، ومعرض رشيق، غير متعاص على الأسماع، ولا متلو على الأفهام، ولا مستكره فى اللفظ، ولا مستوحش فى المنظر. غريب فى الجنس، غير غريب فى القبيل، ممتلىء ماء ونضارة، ولطفا وغضارة، يسرى فى القلب كما يسرى السرور، ويمر إلى مواقعه كما يمر السهم، ويضىء كما يضىء الفجر، ويزخر كما يزخر البحر، طموح العباب، جموح على المتناول المنتاب، كالروح فى البدن، والنور المستطير فى الأفق والغيث الشامل، والضياء الباهر:

﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾(١).

(١) فصلت (٤٢).

من توهم أن الشعر يلحظ شأوه بان ضلاله، ووضح جهله، إذ الشعر سمت قد تناولته الألسن، وتداولته القلوب، وانثالت عليه الهواجس، وضرب الشيطان فيه بسهمه، وأخذ منه بحظه. وما دونه من كلامهم فهو أدنى محلا، وأقرب مأخذا، وأسهل مطلبا.(٢)

قد لا تجد فى هذا النص سوى روح الانبهار بإعجاز الأسلوب فى القرآن الكريم، وقد يظن ظان أن هذه كانت سبيل الباقلانى إلى إثبات الإعجاز البيانى فى هذا الأسلوب: مجرد التعبير عن حس الانبهار ثم لا شىء. ولكن الحقيقة من ذلك كله على النقيض، فقد قدم الباقلانى بين يدى هذا السياق المبهور بروعة الأسلوب القرآنى قضايا نقدية، ومقولات فلسفية، وموازنات فنية، أدانت كلها من الأساليب البشرية للأسلوب الإلهى، وقطعت بغلبة النص القرآنى على غيره من كافة النصوص بما لا يقاس، وكانت النتيجة المنطقية بعد ذلك أن تأخذ الباقلانى روح الانبهار بإعجاز البيان القرآنى. الذى تحدى بلغة هى لغة القوم، وبتراكيب هى تراكيب العربية المستعملة، ومع ذلك فقد اصطنع لونا من الدماثة الأسلوبية المعجزة التى لا تميل إلى تقعر مفتعل، ولا إلى مماطلات فارغة، ولا إلى تعقيد بليد. وإنما هو السهل الممتنع الذى ينفذ إلى أغراضه فى رشاقة ووثاقة واندفاع وتساوق، يرق فى مواطن الرحمة، ويجيش فى مواطن القسوة، ويسترسل فى مواطن القص، ويتوفز فى مواطن الوعيد، ويفيض فى مواطن الوعد، ويقتضب فى مواطن الحكمة، ليشكل بذلك كله عالما إبداعيا متفردا يضع القرون أمام حقائق إعجازه فى حصار المحدودية، ومحدودية الحصار!!

وإذا كان الباقلانى وغير الباقلانى قد أشار إلى قضية (النظم) وعلاقتها بالإعجاز الأسلوبى فى القرآن الكريم، فإن (عبدالقاهر الجرجانى) وحده قد اتخذ من هذه القضية، قضية النظم، محورا لدراسته لظاهرة الإعجاز فى الأسلوب القرآنى بكامله.

وليس من السهل أن نتناول فكر الجرجانى فى قضية النظم فى مثل هذا اللمح الخاطف السريع، فقد وقف عليها الرجل كتابا من أروع ما كتب هو أو غيره فى هذا الصدد، هو كتابه: (دلائل الإعجاز). ولم يكتف بذلك، فأشار إليها إشارات شارحة أو مكملة أو ممهدة فى (أسرار البلاغة). و(الرسالة الشافية)، فجعل منها – فيما نعتقد – أول نظرية عربية نقدية متكاملة، يلح على تضوىء أبعادها وزواياها ذهن عربى مشرق كذهن عبدالقاهر، فى هذه المرحلة التى كان كل شىء فيها يوشك أن يميل إلى الركاكة والنثر والتسطيح.

(٢) الباقلانى، إعجاز القرآن ص ٣٠١، ٣٠٢.

ونظرية النظم كما شرحها عبدالقاهر فى (دلائل الإعجاز) تعنينا هنا من وجهة كونها كانت تعبيرا علميا عن رأى صاحبها فى إعجاز القرآن الكريم، وكون هذا الإعجاز ناهضا ليس على غير (النظم) أى (الأسلوب) القرآنى، فى مواجهة كل الأساليب والأشكال الفنية التى تفتقت عنها عبقرية العقل العربى فى أروع ما قدم من إبداعات.. وكان عبدالقاهر موفقا فى تهديه إلى شرح نظريته فى النظم من خلال منهج استقصائى جدلى وطيد، فقد تتبع بذهنه الثاقب، وحسه النقدى الرهيب، مختلف أساليب البيان العربى شعرا ونثرا، وحدد ظواهرها الفنية شكلا ومضمونا على نحو فاهم عميق، ثم استطرد إلى طبائع التركيب من تقديم وتأخير، وتعريف وتنكير، وحذف وإثبات، وفصل ووصل، وحقيقة ومجاز، وغير أولئك من حقائق التركيب فى الجملة العربية والسياق البيانى، ليصل من وراء ذلك كله إلى أن إعجاز القرآن الكريم ناهض على أساس من طريقة النظم، أى طريقة التعبير بشكل أسلوبى معين يضع العلاقات وضعا معجزا لم يسبق إليه، ولن يلحق فيه، مع التسليم البدهى بأن مفردات الظاهرة الأسلوبية فى القرآن الكريم من أحرف وكلمات هى مفردات الظاهرة الأسلوبية فى كلام العرب، ولكن طريقة (النظم)، أى نوعية العلاقات النحوية التى تربط الكلمات والجمل، هى التى تفرق بشكل حاسم بين شكل وشكل، وبين أسلوب وأسلوب.

أى أن عبد القاهر بنى فلسفته الأسلوبية - استلهاما من وضعية الإعجاز الأسلوبى فى القرآن - على أن حقائق البيان تكمن فى طريقة استعمال اللغة وليس فى اللغة نفسها، وهذا هو المعنى الحقيقى للأسلوب لأن الإعجاز لو كان كامنا فى اللغة - كمفردات - لأمكن لكل من له إلمام بقاموسها أن يجتازه بلا تردد، وما هكذا يمكن أن يكون صواب الحكم فى قضية التعبير، لأن أرتالا هائلة من حفظة اللغة متنا وتركيبا ظلوا على مستوى بشرى فى التعبير ربما لا يرتفع إلى بعض ما ارتفع إليه غيرهم من الموهوبين الذين قد لا يملكون مثل ما يملكون هم من كم لغوى، ولكنهم يمارسون عملية الإبداع الفنى.. فكيف بهم حيال القرآن الكريم وهو صورة الإبداع الإلهى فى نسقه المعجز الذى تحدى به كل أعصار البشر والتاريخ؟ إن فلسفة الأسلوب - كما يراها عبدالقاهر - تنهض على نوع من الغوص فى شرايين المعنى وبحار التركيب، وليس على مجرد الحشد التراكمى للكلمات، أو الإلحاق العشوائى للتراكيب.

يقول عبد القاهر: «واعلم أن السبب فى أن لم يقع النظر منهم موقعه، أنهم حين قالوا: تطلب المزية، ظنوا أن موضعها اللفظ بناء على أن النظم نظم الألفاظ، وأنه يلحقها دون المعانى، وحين ظنوا أن موضعها ذلك واعتقدوه، وقفوا على اللفظ، وجعلوا لا يرمون بأوهامهم إلى

شىء سواه، إلا أنهم على ذلك لم يستطيعوا أن ينطقوا فى تصحيح هذا الذى ظنوه بحرف، بل لم يتكلموا بشىء إلا كان ذلك نقضا وإبطالا لأن يكون اللفظ، من حيث هو لفظ، موضعا للمزية، وإلا رأيتهم قد اعترفوا من حيث لم يدروا بأن ليس للمزية التى طلبوها موضع ومكان تكون فيه إلا معانى النحو وأحكامه وذلك أنهم قالوا: إن الفصاحة لا تظهر فى أفراد الكلمات وإنما تظهر بالضم على طريقة مخصوصة، فقولهم «بالضم» لا يصح أن يراد به النطق باللفظة بعد اللفظة من غير اتصال يكون بين معنييهما، لأنه لو جاز أن يكون مجرد ضم اللفظ إلى اللفظ تأثير فى الفصاحة لكان ينبغى إذا قيل: «ضحك. خرج» أن يحدث من ضم «خرج» إلى «ضحك» فصاحة، وإذا بطل ذلك لم يبق إلا أن يكون المعنى فى ضم الكلمة إلى الكلمة توخى معنى من معانى النحو فيما بينهما، وقولهم: على طريقة مخصوصة: يوجب ذلك أيضا، وذلك أنه لا يكون للطريقة - إذا أنت أردت مجرد اللفظ - معنى، وهذا سبيل كل ما قالوه إذا أنت تأملته، تراهم فى الجميع قد دفعوا إلى جعل المزية فى معانى النحو وأحكامه من حيث لم يشعروا، وذلك لأنه أمر ضرورى لا يمكن الخروج منه». (٣)

هذه لمحة مما شرح به عبدالقاهر نظريته الفريدة فى النظم، ولو أننا استطردنا وراء تفريعاته وشروحه ومنطقه الجدلى الذى يفترض القضايا ويورد الردود عليها، تأكيدا لاتجاهه، وإضاءة لجوانب نظريته، لخرج بها هذا إلى نوع التوسع ينبغى أن يوقف عليه جهد بكامله، عمرا بكامله، وما إلى ذلك كله قد أردنا، فقد كان هدفنا منذ البدء أن نضع ملامح لرؤية قديمة ورؤية معاصرة فى درس أسلوب القرآن وبيان إعجازه الخالد من حيث هو منحى تعبيرى نسخ ما قبله وما بعده من كل الأساليب البيانية، ووقف بكل امتلائه يتحدى أضلاع الزمن المثلثة بماضيه وحاضره ومستقبله، أن تشارف ما استقر عليه من ذروة عالية، أو تدانى ما احتازه من قيم جمالية خالدة المنبع والقرار... وقد أعطانا الباقلانى وعبدالقاهر صورة من الرؤية القديمة لفلسفة الظاهرة الأسلوبية فى القرآن الكريم، بشكل يعكس طبيعة النظر النقدى فى هذه المرحلة الباكرة إلى خصائص النص وقيم الجمال فى الأسلوب.. وربما لو استطردنا إلى تأمل (رؤية معاصرة) حيال هذه القضايا، لظهر لنا إلى أى مدى يرفد السابق اللاحق، ويستدرك اللاحق على السابق، لتتكامل فى النهاية نظرة أو نظرية فى النقد، ويتأصل اتجاه فى درس الخصائص الشكلية، والقيم الفنية، والظواهر الجمالية.

---

(٣) عبدالقاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص ٣٦١ - ٣٦٢.

السنن والحكم النبوية

فريضة العمرة[*]

للأستاذ الكبير / فكرى ياسين

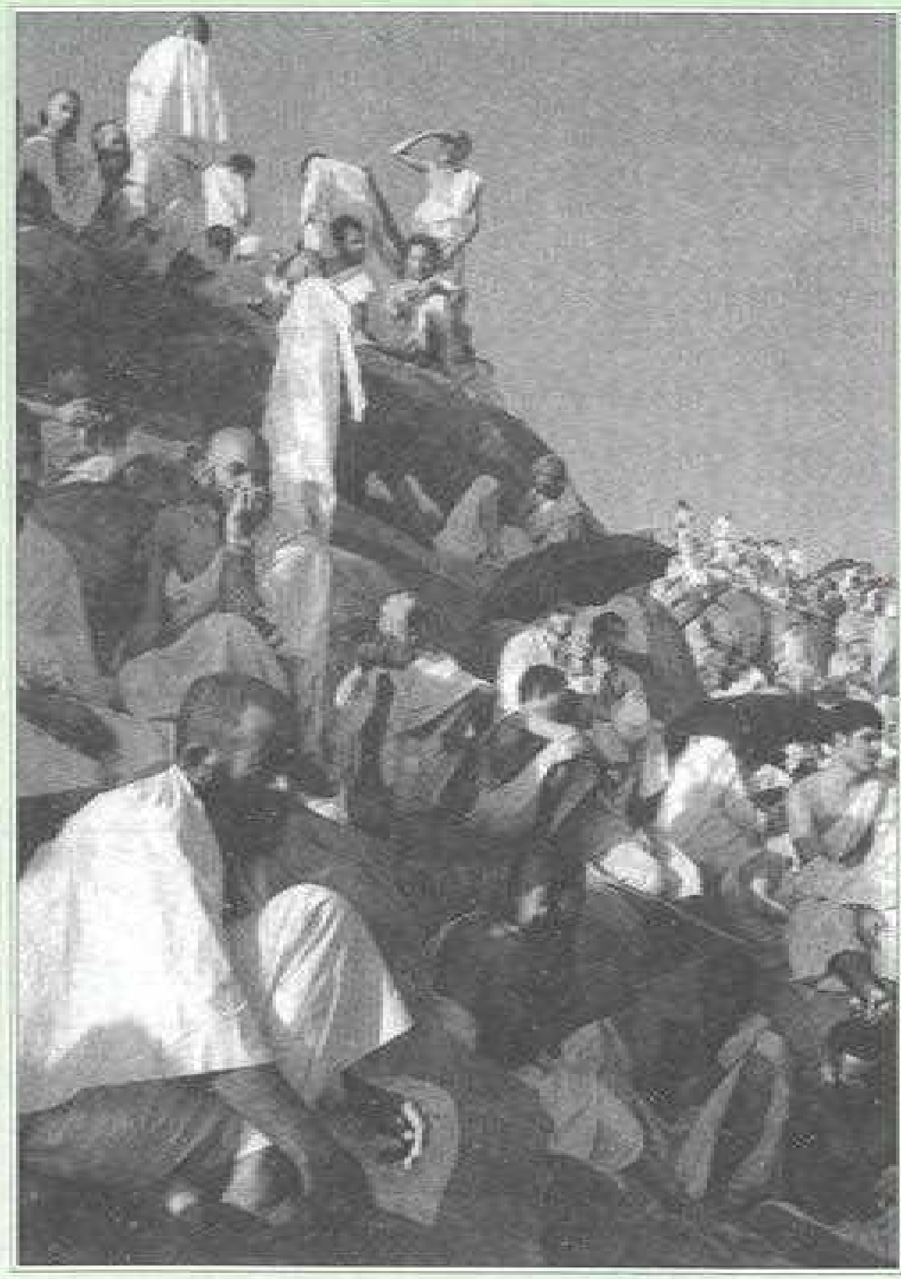
إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

أخرج أحمد ومسلم والنسائي عن أبي هريرة قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس، قد فرض الله عليكم الحج. فحجوا». فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال النبي ﷺ: «لو قلت نعم، لوجبت، ولما استطعتم».

الحج عبادة قديمة موجودة فى الشرائع السابقة، حتى لقد قيل: إن آدم ـ عليه السلام ـ حج عدة مرات، وإن جبريل أخبره بأن الملائكة كانوا يطوفون قبله بالبيت؛ وادّعى ابن إسحاق أن الله ـ تعالى ـ لم يبعث نبياً بعد إبراهيم إلا حجَّ، وادّعى غيره أنه ما من نبى إلا حج. وكان الحج معلوما عند العرب، مشهوراً لديهم، فلما جاء الإسلام خوطبوا بما علموا، وألزموا بما عرفوا.

(*) مجلة لواء الإسلام (أغسطس سنة ١٩٥٠).

وقد عرض الحديث الذى معنا إلى بيان حكمين هامين من أحكام الحج: الحكم الأول: يتعلق بفرضيته، والحكم الثانى يتعلق بكميته، من حيث إنه يجب كل عام، أو يجب مرة واحدة فى العمر فأما فرضيته، فإنه ينطوى فيها الكلامُ على دليل ثبوته، ووقت وجوبه، وشروطه، وهل هو واجب على الفور، أو على التراخى؟.



فالتحقيق أن الحج قد ثبت فرضيته بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾[1] فإن معناها أنه حق واجب لله فى رقاب الناس لا ينفكون عن عهدته إلا بالأداء، وهى

(١) آل عمران (٩٧).

الآية التى خطب النبى ﷺ بعد نزولها الخطبة المشار إليها فى الحديث. وأما آية:

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾[2] فإنه ليس فيها ما يدل على ابتداء فرض الحج، وإنما فيها الأمر بإتمامه وإتمام العمرة إذا شرع فيهما، وهذا لا يقتضى وجوب الابتداء.

وقد وردت كذلك أحاديث متعددة بأن الحج أحد أركان الإسلام ودعائمه وقواعده، وأجمع المسلمون على ذلك إجماعاً ضرورياً.

ومما يدل على شدة تأكد الحج وعظم المطالبة به قولُ الله تعالى:

﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾[3].

عقب قوله:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾[4]

فإن فى الآية الكريمة فنونا من الأمارات والقرائن، وأنواعا من الاعتبارات اللفظية والمعنوية الدالة على كمال الاعتناء به، والتشديد فى طلبه، وفى مقدمة ذلك تسمية ترك الحج كفراً، تغليظا على تاركه وتصويراً للذنبه فى صورة شنيعة. ومثل الآية فى هذا الاتجاه قوله ﷺ: «من مات ولم يحج حجة الإسلام، لم يمنعه مرض حابس، أو سلطان جائر، أو حاجة ظاهرة، فليمت على أى حالة شاء يهوديا أو نصرانياً، وقول عمر بن الخطاب - رضى الله عنه: لقد هممت أن أبعث رجالا إلى هذه الأمصار، فلينظروا كل من له جِدَة[5] فلم يحج، فيضربوا عليهم الجزية، ماهم بمسلمين ماهم بمسلمين!»، فإن الغرض من الآية والحديث والأثر هو التغليظ والتشديد، والتخويف، والترهيب.

ويصح أن يكون الكفر فى الآية باقيا على ظاهره، بناء على ما رُوى من أن الآية لما نزلت قام رجل من هذيل، فقال: يا رسول الله من تركه كفر؟ ففسره له بقوله: «من تركه لا يخاف عقوبته، ومن حج لا يرجو ثوابه، فهو ذاك»؛ ولما رُوى أنه لما نزلت آية:

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[6]

قال اليهود: فنحن مسلمون. فقال لهم النبى ﷺ: «إن الله فرض على المسلمين حج البيت» فقالوا: لم يكتب علينا، وأبوا أن يحجوا، فنزلت آية:

﴿ وَمَن كَفَرَ ﴾؛ ولما قيل أيضا من أنه لما نزلت آية الحج جمع رسول الله ﷺ أهل الملل من مشركى العرب والنصارى والصابئين، وقال

---

(2) البقرة (196).

(3) آل عمران (97).

(4) آل عمران (97).

(5) الجدة: الغنى واليسار.

(6) آل عمران (85).

لهم: «إن الله قد فرض الحج، فحجوا البيت»، فلم يقبله إلا المسلمون، وكفر به غيرهم، وقالوا: لا نؤمن به، ولا نصلى إليه، ولانستقبله. فأنزل الله سبحانه:

﴿ وَمَن كَفَرَ ﴾، الآية: وبذلك تكون الآية والآثار محمولة على من استحلَّ ترك الحج، أو على من لم ير حج البيت براً، ولا تركه مأثما.

وقد أنكر الحج بعض أصحاب المزاعم الفاسدة، وقالوا: إن فيه تجريد الثياب وذلك يخالف الحياء، والسعى وهو يناقض الوقار، ورمى الجمار لغير مرمى وذلك يضاد العقل، وإن هذه كلها أفعال باطلة، لا يُعرف لها حكمة ولا علة.. وقد غفل هؤلاء عن إدراك حقيقة العبودية لله تعالى، وغاب عنهم الأصل الذى يقوم عليه التكليف، وهو أنه ليس من شرط المولى مع العبد أن يفهم المقصود بجميع ما يأمره به، ولا أن يطلع على فائدة تكليفه، وإنما يتعيَّن عليه الامتثال، ويلزمه الانقياد من غير طلب فائدة، ولا سؤال عن مقصود.

واختلف فى وقت ابتداء افتراض الحج، فقيل: قبل الهجرة، وهو قول شاذ، وقيل: بعدها وهو القول المعروف، ثم اختلف فى سنته، فالجمهور على أنها سنة ست، لأنها نزل فيها قوله تعالى: «وأتموا الحج والعمرة لله»، وهذا ينبىء على أن المراد بالإتمام ابتداء الفرض، أما على أن المراد بالإتمام الإكمال بعد الشروع. فهذا يقتضى تقدم فرضه قبل ذلك، وحكى النووى فى الروضة، والماوردى فى الأحكام السلطانية: أن افتراض الحج كان فى السنة التاسعة؛ ورجح ابن القيم فى الهدى أنه كان فى أواخر سنة تسع، أو عشر، فقال: «والصحيح أن الحج فُرض فى أواخر سنة تسع، وأن آية فرضه هى:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾

وهى نزلت عام الوفود أواخر سنة تسع، وأنه ﷺ لم يؤخر الحج بعد فرضه عاماً واحداً، وهذا هو اللائق بهديه وحاله ﷺ، وليس بيد من ادّعى تقدم فرض الحج سنة ست أو سبع أو ثمان، أو تسع دليل واحد، وغاية ما احتج به من قال فرض سنة ست قوله تعالى:

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾، وهى نزلت بالحديبية سنة ست، وهذا ليس فيه ابتداء لفرض الحج، وإنما فيه الأمر بإتمامه إذا شرع فيه، فأين هذا من وجوب ابتدائه»؟ وقد تقدم شىء من هذا.

والحج فرض عين على كل مكلف حر مسلم مستطيع. والاستطاعة لها حدود وقيود معروفة فى كل مذهب، ومبسوطة فى كتب الفقه.

وذهبت طائفة إلى أن وقت الحج موسَّع فيه، وأنه واجب على التراخى لا على

الفور، لأنه وظيفة العمر، فكان العمر فيه كالوقت في الصلاة، فكما أنها تجوز في آخر وقتها، يجوز الحج كذلك في آخر العمر من أشهر الحج؛ ولإجماع العلماء على ترك تفسيق القادر على الحج إذا أخره العام والعامين ونحوهما، وعلى أن من يحج بعد أعوام من حين استطاعته يعد مؤدياً للحج الواجب عليه في وقته؛ ولأنه ﷺ قد حج سنة عشر، وافتراض الحج كان سنة ست أو خمس.

وذهبت طائفة أخرى إلى أنه واجب على الفور، لقوله ﷺ: «من أراد الحج فليتعجّل، فإنه قد يمرض المريض، وتضل الراحلة، وتعرض الحاجة»، وقوله: «تعجّلوا إلى الحج؛ فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له»؛ ولأن الحج يختص بوقت خاص من كل عام وهو أشهر الحج، الموت في سنة واحدة مشتملة على الفصول الأربعة المتضادة المزاج غير نادر، فيتضيق الوقت احتياطا. وقد أجابوا عن أنه ﷺ حج في السنة العاشرة مع فرض الحج في سنة ست أو خمس، بأن وقت افتراض الحج مختلف فيه؛ ومن جملة الأقوال أنه فرض في سنة عشر فلا تأخير، ولو سُلم أنه فرض قبل العاشرة، فتراخيه ﷺ إنما كان لعذر، وهو كراهة الاختلاط في الحج بأهل الشرك، لأنهم كانوا يحجون ويطوفون بالبيت عُراة، فلمّا طهر الله البيت الحرام منهم حج ﷺ، فتراخيه كان لوجود العذر، ومحل النزاع إنما هو في التراخي مع عدم العذر.

على أنهم قد أجمعوا على أن التعجيل بالحج أفضل، والمبادرة إليه أكمل، خوفا مما قد يطرأ على الإنسان من موانع وأعذار تحول بينه وبين أداء هذه الفريضة، كما يشير إليه قوله ﷺ: «حجوا قبل ألا تحجوا».

وأما الحكم الثاني من الحكمين اللذين عرض لهما الحديث، فهو أن الحج هل يجب تكرره، أو يجب مرة واحدة في العمر؟

فقال بعض الناس: إنه يجب في كل عام، وقال غيرهم: إنه يجب في كل أربعة أعوام، وقال آخرون: إنه يجب في كل خمسة أعوام. وقد رووا في ذلك آثارا أسندوها إلى النبي ﷺ، وهي آثار باطلة لا تصح، والإجماع منعقد على خلافها، فقد أجمعوا على أنه لا يجب الحج في عمر الإنسان إلا مرة واحدة، إلا أن ينذر، فيجب الوفاء بالنذر بشرطه. وقد ساقوا على ذلك عدة أدلة:

منها أن الآية التي ثبتت بها فرضية الحج وهي قوله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾

لا تفيد التكرار:

ومنها أن سبب الحج هو البيت الحرام والبيت لا يتكرر، فلا يتكرر الوجوب.

ومنها ما ثبت من أنه ﷺ قال له أصحابه: يا رسول الله، أحجنا لعامنا هذا، أم للأبد؟، فقال: «لا، بل للأبد».

ومنها ما يدل عليه الحديث الذي معنا، وهو أن الخطاب إذا توجه على المكلفين بفرض، فإنه يكفي منه فعل مرة، ولا يقتضي التكرار؛ وذلك أن قوله ﷺ في الحديث: «فحجوا»، وإن أمكن أن يراد به التكرار، ينبغي أن يكتفي بما يصدق عليه اللفظ، وهو المرة الواحدة فإنها مفهومة من اللفظ قطعاً، وما زاد عليه مشكوك فيه، فيعرض عنه، لاسيما إذا كان في هذه الزيادة من المشقة والحرج ما يتنافى ومبدأ السهولة واليسر الذي تجلى في الشريعة الإسلامية، وفي أحكامها السمحة.

وكذلك ردّه ﷺ على السائل نستطيع أن نأخذ منه أن الحج فرض مرة واحدة في العمر، لأنه لما توجه إليه بالسؤال سكت عنه طويلاً، فلما كرر عليه مراراً، أجابه بقوله: «لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم» فذكر كلمة «لو» في الجواب، وهي تفيد امتناع الإجابة بنعم، وإذا امتنعت «نعم» ثبت نقيضها وهو «لا»، فكأنه قال في الجواب لما قيل له أكل عام يا رسول الله: لا، بل هو مرة واحدة.

وقد جاء في الجواب أيضا التصريح بنفي الاستطاعة، فإن المقصود من قوله: «لما استطعتم» أنه لو فرض الله عليكم الحج كل عام كما يسأل السائل، لما أطقتم أن تفعلوا ذلك، ولكان هذا مخالفاً لحكمة الله ـ تعالى ـ في تكليف الناس بما يطيقون، وإسقاط تكليفهم بما لا طاقة لهم به. قال تعالى:

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾، وقال:

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾(٧)

علي أن هذا الحديث قد روى من طريق آخر مفسراً وموضحا ومبيناً فيه الرجل الذي أبهم، ومنصوصاً فيه علي المرة الواحدة، فقد أخرج أحمد، والدار قطني، والحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين، عن ابن عباس قال: «خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس كُتب عليكم الحج» فقام الأقرع بن حابس فقال: أفي كل عام يا رسول الله؟ فقال: «لو قلتها لوجبت، ولو وجبت لم تعملوا بها، ولم تستطيعوا أن تعملوا بها؛ الحج مرة، فما زاد فهو تطوع».

فهذه الرواية نص صريح في أن الحج فُرض مرة واحدة في العمر، وفيها الكفاية.

---

(٧) الحج (٧٨).

فريضة الحج بين الفرائض

لفضيلة الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومى

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبى بعده، وبعد:

فإن الله (سبحانه وتعالى) - برحمته الواسعة، وحكمته البالغة - بنى الإسلام على خمس دعائم، كل دعامة منها أساس ثابت لسعادة الدنيا، وحسن ثواب الآخرة، وعماد قويم لإصلاح المجتمع، وإسعاد بنيه، ولقد روى البخارى ومسلم عن ابن عمر (رضى الله عنهما) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت».

فالدعامة الأولى الشهادتان، وهما تتضمنان أسس سعادة الإنسان، وصلاح شئونه فى معاشه ومعاده، فأما شهادة أن لا إله إلا الله فتتحقق باعتقاد القلب، واعتراف اللسان بأن الله موجود، وأنه واحد لا شريك له، وهذه الشهادة هى عماد كل دين إلهى. قال تعالى:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

آل عمران (٦٤)

وأما شهادة أن محمداً ﷺ عبده ورسوله فتتحقق بإيمان القلب، وإقرار اللسان - بأن محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب القرشى عبدُالله ورسوله، وما كان ابناً لله، ولا ملكا من ملائكته، وما جاء بشىء من تلقاء نفسه:

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ النجم (٤).

قال تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾

الكهف (١١٠)

والدعامة الثانية إقامة الصلاة، وتتحقق بأداء الصلوات الخمس فى مواقيتها، مستكملة الأركان، مستوفاة الشرائط، بأن يؤديها المصلى فى خشوع وخضوع؛ لأن روح الصلاة خشوعها، وبها يتذكر العبد ربه، ويستحضر عظمته وسلطانه ومراقبته، ومن راقب الله وقف عند حدوده، وانتهى عما حرم، قال تعالى:

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ۚ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴾

هود (١١٤)

وقال:

﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾

العنكبوت (٤٥)

الدعامة الثالثة إيتاء الزكاة، ولله فيها حكمة بالغة؛ فقد جمعت بين إنصاف الأغنياء، والرحمة بالفقراء؛ حيث تجب فى المال النامى، وبنسب محدودة، لا ترهق الغنى ولا تعجزه، ولكنها تسعف الفقير وترفعه عن ذل الحاجة، وهوان المسألة، وإذا أديت على النحو الذى فرضه الله (عز وجل) دون بخل أو شح - سعد المجتمع، ونعم بالرخاء، روى الطبرانى عن على بن أبى طالب (رضى الله عنه) أن النبى ﷺ قال: «إن الله فرض على أغنياء المسلمين فى أموالهم بقدر الذى يسع فقراءهم، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا أو عروا إلا بما يصنع أغنياؤهم، ألا وإن الله يحاسبهم حسابا شديدا، ويعذبهم عذابا أليماً» . . .

وعند ذلك لا يحقد فقير على غنى، ولا يطمع محروم فى غير ماله، والزكاة حق ثابت للفقراء والمحتاجين، وليست منة من الأغنياء والموسرين، فرب العالمين يقول:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾

التوبة (١٠٣)

ويقول:

﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾.

الذاريات (١٩)

ويقول:

﴿ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾

المعارج (٢٤، ٢٥)

الدعامة الرابعة صوم رمضان، وفيه زكاة للأبدان، وإشعار للمترفين بآلام البؤساء والمحتاجين؛ ليقدروا نعمة الله عليهم، فيعطفوا على المحرومين، وهو فريضة قديمة قدم الأديان، فرضه الله على المكلفين من عباده؛ ليهذب به نفوسهم، ويصح به أجسامهم، ويقوم به أخلاقهم، ويشف به أرواحهم، وليصل بهم فى النهاية إلى تقوى الله التى هى غاية الصوم وثمرته، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

البقرة (١٨٣)

الدعامة الخامسة حج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً، وذلك بقصد البيت الحرام بمكة مرة في العمر؛ للطواف بالكعبة، والسعي بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفة إلى آخر مناسك الحج.

فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال ﷺ: «يا أيها الناس، قد فرض الله عليكم الحج فحجوا» ـ فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت ﷺ، حتى قالها ثلاثاً، فقال ﷺ: «لو قلت: نعم ـ لوجبت، ولما استطعتم»، ثم قال: «ذروني ما تركتكم؛ فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه» ـ رواه الشيخان.

فعلى كل مسلم ذكر أو أنثى، عاقل، حرٍّ، مستطيع، عالم بوجوبه ـ أن يؤدى هذه الفريضة مرّة في العمر، وإن زاد فتطوّع؛ لما ورد في الأثر: (الحج مرة، فمن زاد فتطوّع)؛ لأنّ الله الذى خلق الأرض وما عليها من زروع وأشجار، وأنهار وبحار، وتلال وجبال ووديان ـ اختار فيها بقعة طاهرة تشرئب إليها الأعناق، وتشخص إليها الأبصار، وتهفو إليها الأفئدة، وتتعلق بها الآمال، وهى مكة، البلد الطيب المبارك الذى بارك الله فيه، وبارك حوله، وأشاد به في محكم كتابه، قال تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾

البقرة (١٢٦)

هذا ولما كانت المساجد بيوت الله في الأرض، يذكر فيها اسمه، ويعلو فيها ذكره، وتنشر فيها دعوته ـ اختار لها مسجداً جامعاً يكون لسائر المساجد إماماً تشدّ إليه الرحال، وتشخص إليه الأبصار، رغبة في تكحّل الأعين برؤيته؛ وتمتعاً بتقليب النظر في جنبات أقدم مسجد أقيم لله على الأرض؛ المسجد الحرام، الذى قال الله فيه:

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٩٦ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

آل عمران (٩٦، ٩٧)

فلا ينبغي لمسلم متّعه الله بالصحة، ووسع له في العطاء أن يتكاسل أو يقصّر في أداء هذه الفريضة، فقد روى الترمذى والبيهقى عن على رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من ملك زاداً وراحلة تبلغه إلى بيت الله الحرام فلم يحج ـ فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً، وذلك أن الله يقول:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾

ويؤيده الحديث الذى رواه البيهقى في

عن أبي أمامة (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ قال: (من لم تحبسه حاجة ظاهرة، أو مرض حابس، أو سلطان جائر ـ فليمت إن شاء يهودياً، وإن شاء نصرانياً).

فإن أدّى هذه الفريضة من استوفى الشروط فقد أسقط الفريضة، ولا يجب عليه التكرار، وقد لبى المسلمون نداء رسول الله ودعوته لهم لأداء فريضة الحج، فهم يحجون في كل عام من كل بقاع الدنيا، وأقطار الأرض، على اختلاف الأجناس والألوان واللغات، لا يمنعهم بُعد الديار، أو تحول دون وصولهم مشقة الأسفار، ولسان حالهم يقول:

زر من هويت وإن شطت بك الدار
وحال من دونهم حجب وأستار
لا يمنعنك بعد عن زيارتهم
إن المحب لمن يهواه زوار

فمع مواكب الحجاج، مع وفد الله، وضيوف الرحمن، وقد شمّروا عن ساعد الجدّ، وتركوا الأهل والولد، وبذلوا المال والجهد، وتحملوا الصعاب والمشاقّ، وقطعوا الصحارى والقفار، واجتازوا الأنهار والبحار، وخلعوا ملابسهم العادية، ولبسوا ملابس الإحرام، لبسوا الإزار والرداء، ومتخلين عن كلّ مظهر من مظاهر النعمة والثراء، متجردين من كلّ أثر للتيه والخيلاء، مستعدين للوقوف بين يدى الله في بيته الحرام، وقد طرحوا الدنيا وزخرفها جانباً، وأقبلوا على الله، طالبين عفوه ورضاه، فما أبهى هذا الوفد في هذا اللباس! وما أروع صورتهم في هذا الصفاء، وذاك النقاء! الجميع أمام الله سواء، لا فرق بين غني وفقير، ولا بين وزير وغفير، ولا بين قويّ وضعيف، ولا بين حاكم ومحكوم، ولا بين قائد وجنديّ، لقد ذابت الفوارق، وانمحت الطبقية.

لك الدين يا ربّ الحجيج جمعتهم
لبيت طهور الساح والشرفات
أرى الناس أصنافاً، ومن كل بقعة
إليك انتهوا من غربة وشتات
تساووا فلا أنساب فيها تفاوت
لديك، ولا الأقدار مختلفات
ويا رب، هل تغني عن العبد حجة
وفي العمر ما فيه من الهفوات؟!

إنك لتدرك أمام قوة هذه الصورة مقدار قوة الإيمان عندما يملأ قلب صاحبه، ويشعّ نوره على جوارحه، إنه يسيطر سيطرة تامة على جميع تصرفاته، فينطلق صاحبه يعمل لتحقيق مطالب الإيمان، وهو غير ملتفت لمتاع زائل، أو زهرة فانية، ولا يثنيه عن غايته قوة مهما عظمت، أو تضحية مهما غلت وعزّت، وكيف لا؟ وهم يمتثلون أوامر الله، ويؤدون فريضة من فرائضه التى بها كمال الدين، وتمام النعمة، قال تعالى:

﴿ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

(المائدة ٣)

ولقد روى الطبرانى عن جابر - رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «إن هذا البيت دعامة من دعائم الإسلام، فمن حج البيت أو اعتمر فهو ضامن على الله، فإن مات أدخله الجنة، وإن ردّه إلى أهله ردّه بأجر وغنيمة».. ثم إن الحجاج والعمار وفد الله وضيوفه، قال ﷺ: «الحجاج والعمار وفد الله، إن دعوه أجابهم، وإن استغفروه غفر لهم» ـ أخرجه النسائى وابن ماجة وابن خزيمة وابن حبان.

فتعالوا بنا ـ إخوة الإسلام ـ لنتعرف على ثمرات هذه الفريضة، ونستظهر بعض الثواب الذى أعدّه الله (عز وجل) لمن أدى مناسك الحج، روى البزار والطبرانى عن عبدالله بن عمر (رضى الله عنهما) قال: «كنت جالساً مع النبى ﷺ فى مسجد، فأتاه رجل من الأنصار ورجل من ثقيف، فسلما، ثم قالا: يا رسول، جئنا نسألك؟ فقال: إن شئتما أحدثكما بما جئتما تسألان عنه ـ فعلت، وإن شئتما أن أمسك وتسألانى ـ فعلت، فقالا: أخبرنا يا رسول الله. فقال الثقفى للأنصارى: سل، فقال: أخبرنى يا رسول الله، فقال: «جئتنى تسألنى عن مخرجك من بيتك تؤم (أى: تقصد) البيت الحرام، وما لك فيه، وعن وقوفك عشية عرفة، وما لك فيه، وعن رميك الجمار، وما لك فيه، وعن نحرك، وما لك مع الإفاضة؟ فقال: والذى بعثك بالحق، لعن هذا جئت أسألك. قال: «فإنك إذا خرجت من بيتك تؤم البيت الحرام، لا تضع ناقتك خفاً، ولا ترفعه إلا كتب الله به حسنة، ومحا عنك خطيئة.

وأما ركعتاك بعد الطواف كعتق رقبة من بنى إسماعيل.

وأما طوافك بالصفا والمروة كعتق سبعين رقبة.

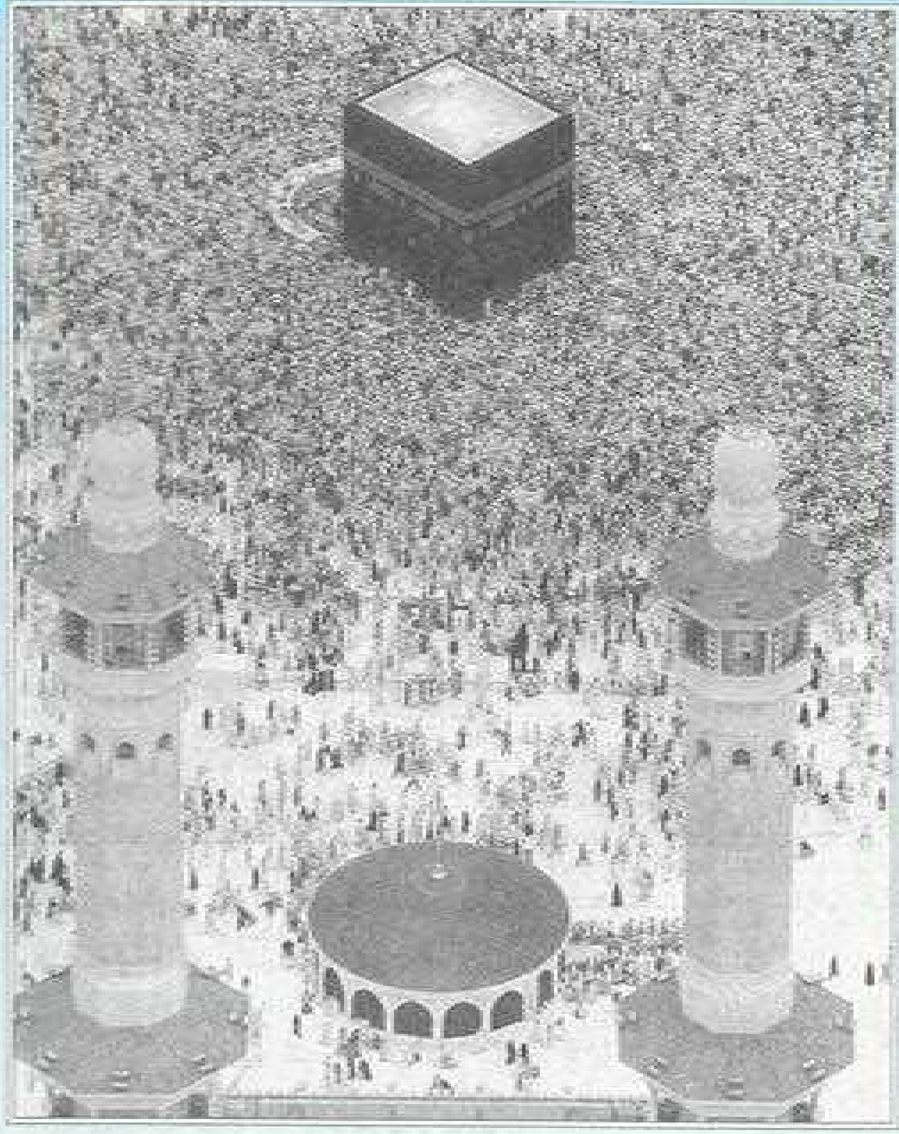
وأما وقوفك عشية عرفة فإن الله يهبط إلى سماء الدنيا فيباهى بكم الملائكة. يقول: عبادى جاءونى شعثاً من كل فج عميق يرجون جنتى، فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل، أو كقطر المطر، أو كزبد البحر ـ لغفرتها، أفيضوا عبادى مغفوراً لكم، ولمن شفعتم لهم.

وأما رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها تكفير كبيرة من الموبقات.

وأما نحرك فمدخور لك عند ربك.

وأما حلاقة رأسك فلك بكل شعرة حلقتها حسنة، ويمحى عنك بها خطيئة.

وأما طوافك بالبيت، فإنك تطوف ولا ذنب لك، يأتى ملك حتى يضع يديه بين كتفيك، فيقول: اعمل فيما تستقبل فقد



غفر لك ما مضى».

هذا هو الحج، وتلك بعض ثمراته وغاياته، ويكفى الحجاج فضلا وشرفا أنهم وفد الله وضيوفه، وأنه يباهى بهم ملائكته، وأنهم يغفر لهم، وأنهم يشفعون لغيرهم.

روى أحمد والطبرانى بإسناد حسن عن جابر - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ أنه قال: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة، قيل: وما برّه؟ قال: إطعام الطعام، وطيب الكلام».. وروى البيهقى فى شعب الإيمان عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «من خرج حاجاً أو معتمراً أو غازياً مخلصاً لله، ثم مات فى طريقه كتب الله له أجر الغازى والحاج والمعتمر».

وفق الله لأداء هذه الفريضة كل الراغبين فيها، والحريصين على أدائها، والله ولى ذلك والقادر عليه.

***

خطبة الجمعة

الحجّ خاتمة الأركان

لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصي

الحمد لله -عز وجل- رسم الطريق ويسر التوفيق:

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾(١) أحمده سبحانه، وأشهد أن لا إله إلا الله، واهب الهدى، ورازق الرضى: هو أهل التقوى وأهل المغفرة، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، القائل له ربه: ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴾(٢) فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى ذريته وآله، وصحبه ورجاله، والمهتدين بأعماله وأقواله:

﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(٣).

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام!..

أنزل الله دينه العظيم ليكون تزكية للحياة ونورا للأحياء، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور، ولقد بنى الله العلي الكبير دينه على خمسة أركان، يتم بها البنيان، ويسعد بها الإنسان، وبدايتها شهادة التوحيد: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وختام هذه الأركان حج بيت الله الحرام، ولذلك قال سيد الخلق: «بني الاسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه

١- هود (٨٨).
٢- الأعلى (٨).
٣- البقرة (٥).



سبيلا»، ونلاحظ أيها الاخوة أن مجموع هذه القواعد يعمر حياة الإنسان ويصاحبه في الليل والنهار، والصباح والمساء، على امتداد اللحظات والأيام والأسابيع والشهور والأعوام، بل تصاحبه العمر كله، منذ أن يفقه الحياة إلى أن يلقى الله:

﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾(٤).

ونلاحظ معاً أيها الاخوة أن من هذه القواعد ما يجب تذكره وتدبره واستحضاره في القلب والعقل في كل ساعة من ساعات الحياة، بل في كل لحظة من لحظات العمر، بل مع كل خفقة من خفقات القلب إن استطعنا إلى ذلك سبيلا، ألا وهو شهادة أن لا إله إلا الله، محمد رسول الله:

﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾(٥)

﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾(٦)

ومن هذه الأركان ما نقوم به كل يوم عدة مرات، ونعود إليه كلما مرت علينا من الحياة ساعات، وهي فرائض الصلوات، التي نؤديها يوميا خمس مرات، في الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء، والقرآن الجليل يقول: «إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا» ويقول: «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين» فالصلاة فريضة يومية متكررة، كلما مر بضع ساعات هرعنا إلى محراب الصلاة، لنستغرق في المناجاة، وفي الحديث مع الله خالق الحياة، بعد أن نقطع العلاقة المادية إلى حين مع شهوات هذه الحياة.

٤- النمل (٨٨).
٥- الزمر (٦٦).
٦- الأنعام (٩١).

ومن هذه القواعد ركن نستطيع أن نسميه بالفريضة الموسمية، يتكرر فى كل موسم من مواسم العام، وهو الزكاة بمختلف أنواعها، ففى زكاة الزروع نؤديها كلما حل موسم الحصاد، ولذلك يقول الكريم عن الزرع:

﴿ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾(٧) فإذا مر العام، أو كما يقول الفقهاء: حال الحول، وجب إخراج زكاة المال المدخر إذا بلغ النصاب المطلوب، والحق يقول:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾(٨) ويقول:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾(٩).

ومن هذه القواعد ما نؤديه فى شهر واحد معين من كل عام فريضة من الله والله عليم حكيم، ذلكم هو الصوم الذى يقول فى شأنه التنزيل الحكيم:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٨٣ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ﴾(١٠).

ثم حدد القرآن تلك الأيام بقوله:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾(١١).

ومن هذه القواعد أخيرا فريضة تؤدى مرة واحدة فى العمر كله مهما طال أو امتد، وهى فريضة الحج الذى يقول عنه القرآن المجيد:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾(١٢)

ولأن الحج يؤدى كفريضة مرة واحدة فى العمر كله جعله الله خاتمة لقواعد الإسلام الخمس، ففرضه على الناس وشرعه بعد أن شرع الفرائض الأخرى، ولأمر ما وحكمة يعلمها الله- سبحانه - حج الرسول حجته الواحدة - حجة الوداع - قبل وفاته، صلوات الله عليه وسلامه عليه بقليل، واشتراط الإسلام فى وجوب الحج على المسلم شرط الاستطاعة فقال:

﴿ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ وهذه الاستطاعة فيما يفهم المتدبر المتبصر تتسع وتنفسح حتى تشمل الاستطاعة الصحية والاستطاعة المالية والاستطاعة الذهنية، بحيث يفهم من يقوم بالحج كيف يحج ولم يحج، وبحيث يعقل ما يؤدى فى مناسك الحج، لأن بعض الناس يؤدون هذه المناسك أداء صوريا تقليديا

٧- الأنعام (١٤١).

٨- الأعلى (١٤).

٩- الليل (٥:٧).

١٠- البقرة (١٨٣)، (١٨٤).

١١- البقرة (١٨٥).

١٢- آل عمران (٩٧).

لا يعقلون منه قليلا ولا كثيرا، ومثل هؤلاء يحتاجون إلى تفقه فى الدين، ومن يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين كما قال الصادق المصدوق عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام.

ولعل السر فى اشتراط القرآن شرط الاستطاعة فى أداء فريضة الحج، هو أنه يريد أداءها من صاحبها بإتقان وإحسان واقتداء، لأنها فريضة تؤدى مرة واحدة فى العمر كله، ولأنها ستكون تاجا لبقية الفرائض التى سبقت، وتمام الإحسان فى العبادة هو كما قال سيد الخلق: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

والعجيب أن قواعد الإسلام هذه مرتبة فى الحديث النبوى الذى سمعناه ترتيبا يتناسب مع مقدار الزمن الذى تتكرر فيه كل قاعدة، فقاعدة شهادة التوحيد تأتى أولا، لأنها تصاحب الإنسان دائما فى حياته، فمع كل نفس داخل أو خارج من الإنسان يتذكر أن ربه هو:

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾(١٣)

وأن محمدا رحمة الله لعباده دائما:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾(١٤).

ثم تأتى الثانية، وهى الفريضة اليومية التى تصاحب الإنسان كل يوم مرات، ثم تأتى الزكاة وهى تتكرر فى كل موسم من مواسم الحصاد، أو عند تمام العام، ثم يأتى الصوم وهو فريضة سنوية لا تكون إلا فى شهر واحد من السنة هو رمضان، ثم تختتم القواعد بقاعدة الحج الذى لا يفرض إلا مرة واحدة فى العمر كله:

﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾(١٥).

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام:

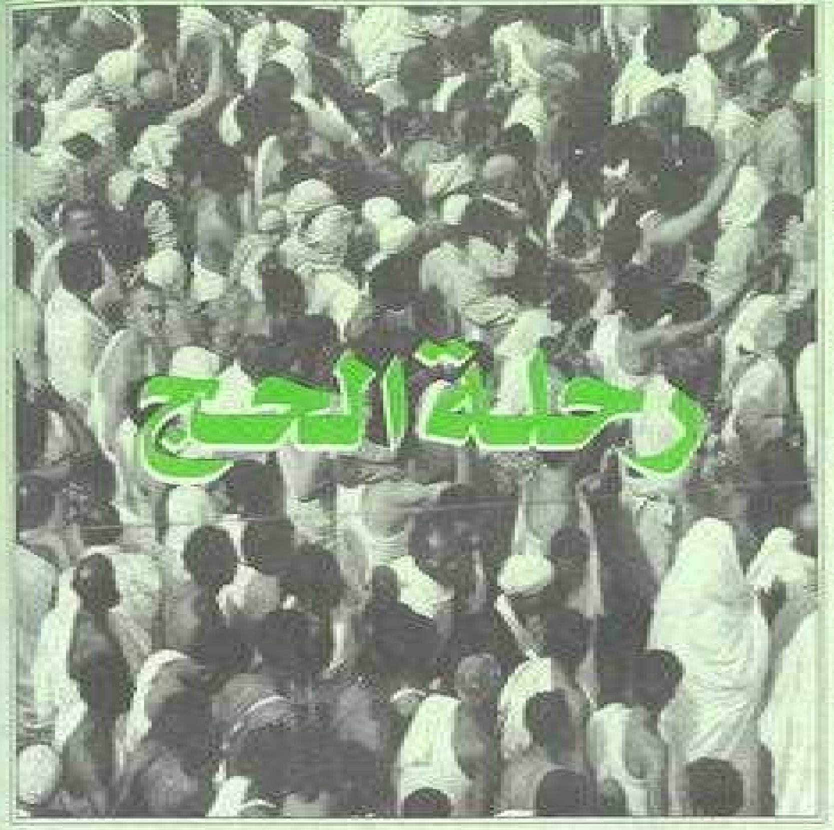
دين الله، هو نور الحياة، هو روح الأحياء، هو صوت السماء، هو الدواء والغذاء والشفاء والضياء، صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون.

***

١٣- البقرة (٢٥٥).

١٤- الأنبياء (١٠٧).

١٥- النمل (٨٨).



هذه قصيدة تجمع بين العلم والأدب إذ تحدث فيها الإمام الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين عن مناسك الحج فى أسلوب تعليمى لم تصب بجفاف المتون بل اتضحت منه الأساليب البيانية فأشبعت رغبة العالم والأديب معاً وقد رأينا نشرها. لتذكر القارئ بشعائر الحج، وتمتعه بنفحات عند القبر الشريف.

(المحرر)

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين - رحمه الله

بمناسبة سفره إلى الأقطار الحجازية لأداء فريضة الحج فى هذا العام ١٣٥١

وقد نشرت بعدد ربيع الثانى سنة ١٣٥٢هـ

أمجد لا ينال القاطنين   ودع الصحبَ وحيّا الظاعنين
شام فى وجهته يمنا ولو   زجر الطير لمرت باليمين
لا تلوما فى النوى من هاجه   للنوى لاعجُ شوق فى الكنين
شاقه البيت وقبر المصطفى   وربوع الخلفاء الراشدين
سار شوطاً وهو لا يدرى أفى   حلُم أم فى زمان لا يخون
ذكر الخضر وموسى إذ أتى   مجمع البحرين مرتاد السفين

ركب الطائف[1] يطوى البحر فى   جذل والبحرُ كالشيخ الرزين
وإذا هبت جنوب طرّدت   ما يلاقيه الندامى من شجون
هم سكارى ما احتست آذانهم   حكمةَ القرآن فى نطق رصين
ودنوا من رابغ فاستبقوا   يذكرون الله جهراً محرمين
فى بياض ناصع تحسبهم   بادئ الرأى زهوراً فى الغصون
رست الطائف فى جدة لا   برحت جدة فى حصن حصين
رحلوا فى جنح ليل وأتوا   مكة الغراء من نحو الحجون
فى رضا الله خُطاً خاضوا بها   فى حصا يغبطه الدر المصون
دخلوا بيتاً حراماً يستوى   فيه ذو التاج ومغبرّ الجبين
شاهدوا الكعبة وهْناً[2] فجرت   عبرات البِشْر من بعض الجفون
مقلة الدنيا فإن أبصرتها   فى سواد فعيون الغيد جون
لثموا من ركنها الأيمن ما   لثمته شفتا طه الأمين
هى بيت الله إن طافوا بها   وهم أضياف رب العالمين
وردوا زمزم يشفون بها   ظمأ الأكباد حيناً بعد حين
لو شفا عمرو بن كلثوم بها   غلة عاف خمور الأندرين
صعدوا المروة من بعد الصفا   وسعوا لله سبعاً راجلين
وقفوا فى عرفات موقفاً   يطرح الآثام من ماضى السنين
إن دهراً طاف ساقيه بما   تشتهى أنفسهم غير ضنين
هبطوا «جمعاً»[3] وقد ساد الدجى   وحدوا منها المطايا مصبحين

(١) الطائف: اسم الباخرة التى نقلتنا من السويس إلى جدة.
(٢) الوهن: نحو من نصف الليل.
(٣) جمع: المزدلفة.

هل درى «المشعر»[٤] – إذ عاجوا به – أنهم جند إمام المرسلين
نزلوا خيف منى حيث رموا بالحصا سبعا على وجه اللعين
وأتوا أم القرى فاطوفوا ثم عادوا لمنى فى العائدين
ركعوا فى مسجد الخيف وهل أحرزوا فيه ثواب الخاشعين؟
وقضوا حق منى وارتحلوا بعد أن أذن بالعصر أذين[٥]
سل ثبيراً[٦] ماله ظل بها ملتقى الرحل وقد بان القطين
أفلا يحمل ما نحمله لربا طيبة من شوق مكين
دع ثبيراً قاسى القلب فهل تلفح الأشواق صخراً فيلين
هذه مكة ما للشمس فى صفرة تحكى بها وجه الحزين
أتربنا والنوى قد أزفت كيف تصفر وجوه النازحين
بلدة عظمى وفى آثارها أنفع الذكرى لقوم يعقلون
شب فى بطحائها خير الورى وشبا[٧] فى أفقها أسمح دين
إن عزمنا النأى عنها فالضرورا ت قد تُثنى خدينا[٨] عن خدين

***

حادىَ السيارة انهض نغتنم فرصة نرقبها منذ سنين
خضْ بها البيد إلى سلع فلى حاجةٌ فى أرض سلع وشئون
بين ليل مثل أحداق المها ونهارٍ مثل نور الياسمين

***

أحمد الإدلاج والتأويب[٩] إذ أربانى خير ما تهوى العيون

---

(٤) المشعر الحرام.
(٥) الأذين: المؤذن.
(٦) جبل بمنى.
(٧) شبا: علا، واضاء.
(٨) الخدين: الصاحب.
(٩) التأويب: السير فى النهار.

أمتعا طرفى بمرأى روضة أودعوا تربتها خير دفين
روضة يصبو إليها كل من عرف الحق وبالحق يدين
شادها الهادى على أس التقى وتلا القرآن فيها جبرئين
حرم كم سقيت حصباؤه فى دجى الليل دموع القانتين
فاسألوا المحراب عن بدر الهدى إذ هو يسجد فى ماء وطين
معهد الحكمة لا ينبت فى دوحه إلا الدعاة المصلحون
مدرس للحرب لم يرم العدا قط إلا بالكماة الفاتحين
ثكنة للجند والقضب إذا لم يكن بُدٌّ من الحرب الزبون
حجرات ملئت طهراً أما عمرتها أمهات المؤمنين
لُقِّنت فيها حقوق أنقذت ربة المنزل من أسر يشين

***

هاأنا ذا فى مقام مؤنس كسنا البدر مهيب كالعرين
فسلاماً فى حضور بعد ما كان يزجيه على البعد حنين

***

جئتَ يامختار والعالم فى ليل جهل وضلال ومجون
فمحوت الهزل بالجد كما ذُدت ليلى الغىْ عن صبح اليقين
وأقمت العلم صرحاً شامخاً وصرعت الجهل طعناً فى الوتين
سُسْتَ أقواماً فساسوا أمماً بيد الإنصاف فى حزم ولين
وقضوا فيها بشرع قيم فأروها كيف يقضى العادلون

***

دينك الوضاء ثارت حوله غبرة من شبهات المبطلين

من يدٍ ترميه في رأد الضحى … ويدٍ ترميه من خلف الدجون

ولهم في كل وادٍ قلم … ولسان لاصطياد الغافلين

كم أزاغوا عن عفاف وهدى … من بنات طاهرات وبنين

***

لم يرعنا يا أبا القاسم من … جولة الغي دويٌّ وطنين

إن في الشرق شباباً أيقنوا … أنك الداعي إلى الحق المبين

وقفوا يرمون أعداء الهدى … بنبال قوسها العلم المتين

يعشقون البذل في الخير إذا … عشق المال طغام موسرون

وإلى الحضرة ما حُمّلته … من تحيات شباب ناهضين

***

أيُّ وِرد لم يكدر صفوه … صَدَرٌ ما الدهر إلا منجنون[10]

أزمع الركب رحيلا لم يكن … منه بُدٌّ والضرورات فنون

فوقفنا لوداع والأسى … يلذع الآماق بالدمع السخين

أفلا نأسى على عهد أتى … وتولى وهو مقطوع القرين

بهيج كالورد حلاه الندى … بجمان[11] صيغ من ماء معين

***

يا حمى ودعته والشمس قد … ودّعت والتحقت بالراحلين

هل لنا عود كعود الشمس من … قبل أن يعرفنا عنك المنون؟

وسلاماً كلما رتلته … قالت الدنيا ومن فيها «آمين»

---

(١٠) المنجنون: الدولاب التي يستقى عليها.

(١١) الجمان: اللؤلؤ.

وفد الله.. وحسنات الحرم

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي

ما من مسلم سبق له الحج أو لم يسبق له الحج إلا ويهفو قلبه إلى الأماكن المقدسة كلما أهل شهر ذو الحجة أو كلما جرى الحديث والاستعداد.

والحج ركن من أركان الإسلام يجب على كل مستطيع أداؤه وقد تكلم الفقهاء - رضي الله عنهم وجزاهم الله عنا خيراً - في الاستطاعة وقالوا إنها لا تقتصر على النفقة بل قالوا إنها تتسع لتشمل الصحة والأمن، أمن الطريق والأمن على العيال أثناء الغياب حتى إن بعض الفقهاء قال إنه يجب على الفور إذا تحققت الاستطاعة، يعني إنه لو لم يكن عنده مال يحج به ثم وسع الله عليه فلا ينتظر إلى عام قادم بل يجب عليه الحج من عامه فلو أخره فإنه يأثم، وليس ذلك تزيدا من الفقهاء - فإن فقهاء الإسلام لم يصدروا فيما يقولون عن هوى ورغبة في اللجاج أو طموح إلى استعلاء أو مكانة عند الناس.

إنما مرادهم الله - تعالى - وحده ولا شيء غيره يجدونه في الخلوة ويأنسون به عن كل مؤنس فليس ثمة مؤنس سواه.

يروى أن الإمام الجنيد كثيرا ما كان يقول - في حضرة شيخه السري السقطي - عزلتي أنسي.

فقال له شيخه: كم تقول عزلتي أنسي! - أي إنك تكثر القول بذلك فرحا فخورا - ثم قال: والله لو أن نصف الناس أقبلوا عليَّ ما فرحت بهم، ولو أن نصفهم الآخر انصرف عني ما استوحشت لبعدهم، أقول كأني بالسري السقطي لم ير الناس بعد!

قال صاحبي في لهجة لا تخلو من تهكم وسخرية - مالي أحس بأن حديثك عن الحج بدأ يتسرب منك؟

قلت: لا، ثم واصلت حديثي وأنا أنظر أبعد من محدثي قائلا له: أنا أعني من وراءك وأقصد من خلفك الذين اتخذوا إلاههم الحداثة وعبدوا صنما سموه الإبداع! اتهمونا بالتخلف مع أنهم لم يتقدموا في دنيا الناس خطوة، رموا الفقهاء بالجمود مع أنهم لم يلينوا إلا في كل ختل وهراء، لم يخترعوا آلة تحسن الحياة، وتيسر دنيا الكادحين! وكل ما فعلوه لهو ومتعة.

إن أصحاب الأفكار المفلسة والتقدم المزعوم والتخريب المقصود كل حياتهم

مهرجانات وحفلات، يعمدون في عناد غريب وإصرار مقصود لتشويه حياتنا والعبث بمقدساتنا، فأنت ترى كثيرا من ألوان اللهو والعبث، فيه كثير من الإفراط والإسراف يباركونه ويعملون به، ثم تراهم يرجعون أزماتنا إلى ما ينفق في رحلات الحج والعمرة، ورغم أنهم يضخمون الأرقام ويبالغون فيما يدونونه من بيانات، إلا أننا - جدلا - نسلم لهم بكل ما قالوه أو أوردوه من بيانات ونقول لهم: معرضين عن كلامهم: إن الله - سبحانه وتعالى - وعدنا فصدقناه ووعدكم الشيطان فصدقتموه! أما آن لكم أن تفيئوا إلى وعد الله حيث يقول:

﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(1)

من تصدق ومن تتبع؟ يا حجاج بيت الله أنتم وفد الله وزوار بيت الله - سبحانه وتعالى - أفضل من يكرم زواره، هلموا إلى الله ويا أيها الحاج أبذل مالك في سبيل حج بيت الله وزيارة نبيه ﷺ وأنت موقن بأن الله مخلف عليك ما أنفقت في رحلتك وسوف ترجع مغفورا لك إن شاء الله - تعالى - شريطة أن تغرس في حنايا قلبك الثقة في عفو الله ومغفرته وألا يتطرق الشك إلى قلبك لحظة، فعفو الله ومغفرته نعم سابغة على كل من حضر وشهد عرفة، يقول الحبيب ﷺ (أعظم الناس ذنبا من وقف في عرفات وظن أن الله لا يغفر له، فلا تكن أنت أعظم الناس ذنبا وثق في عفو الله ومغفرته).

ياكبير الذنب عفو الله من ذنبك أكبر

فإذا أسبغ عليك نعمة الصحة ووسع عليك في المال فلا تتوان ولا تتأخر واستخدم عافيتك في طاعة ربك وأنفق مالك في رضاه، وفي الحديث القدسي يقول الله - تعالى: (إن عبدا صححت له بدنه ووسعت له رزقه تمضي عليه خمسة أعوام لم يزرني فقد جفاني)، فلا تكن جافيا فلا تبخل على طاعة الله بما أفاء الله به عليك من صحة ومال فإنه يخلفه عليك إن أنت أنفقته في طاعته ورضاه وإن بخلت به في طاعة الله سوف تنفقه في معصيته ويكون عليك وبالا، يقول المصطفى ﷺ (ما من عبد يضن بنفقة ينفقها فيما يرضى الله - تعالى - إلا أنفق أضعافها فيما يسخط الله، وما من عبد يدع الحج لحاجة من حوائج الدنيا إلا رأى المخلفين(2) من ذريته قبل أن يقضي تلك الحاجة وما من عبد يدع المشي في حاجة أخيه المسلم قضيت أم لم تقض إلا ابتلى بمعونة من يأثم عليه ولا يأجر فيه)(3)

(1) البقرة (٢٦٨).

(2) الفاسدين والمرضى من ذريته.

(3) الترغيب والترهيب جـ٢ صـ١١٦.

قال صاحبي وقد بدت عليه الرغبة في الاستزادة: حدثتنا عن النفقة وكيف أن الله - سبحانه وتعالى - يخلفها على عباده وعن المغفرة وكيف أنها محققة وإني أرغب أن أعرف من هم وفد الله - تعالى - وما حسنات الحرم؟

قلت لصاحبي: أظنك قد عرفت أيضاً أن الذي يضن بالنفقة على الحج وعلى طاعة الله - تعالى - أن الله قد توعده بأنه سوف ينفق أضعافها في معصية الله وأنها سوف تنفق رغماً عنه على الفاسدين و المرضى من ذريته.

أما عن وفد الله وزواره فأنت تريد أن تعرف من هم وأن تعرف ما أعده الله لهم وقد سأل داوود - عليه السلام - من قبلك الله - سبحانه وتعالى - هذا السؤال وأجابه الله وأخبرنا بالسؤال وعرفنا الجواب رسول الله ﷺ «فعن أبي ذر عن سهل بن سعد - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: إن داوود - عليه السلام - قال: إلهي ما للعباد إن هم زاروك في بيتك؟

قال: لكل زائر حق على المزور يا داوود، إن لهم عليَّ أن أعافيهم في الدنيا وأغفر لهم إذا لقيتهم».

فبقدومك على الله - سبحانه وتعالى - زائرا بيته أوجبت لنفسك حقاً أن يلبسك ثوب العافية في الدنيا وأن يغفر لك عندما يلقاك في والآخرة وكل ما أنت مطالب به هو الثقة في وعد الله فما لم يتحقق لك مما وعد الله به فإنما هو راجع لك أنت.

فأخلص النية وثق بوعد الله، فإنه يستجاب للمرء ما لم يعجل، وسئل النبي ﷺ عن معنى «لم يعجل» فقال: أن يقول العبد دعوت فلم يستجب لي، فلا تكن من القانطين فادع الله وأنت موقن بالإجابة. وكما روى ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال الغازي في سبيل الله و الحاج والمعتمر وفد الله دعاهم فاجابوه وسألوه فأعطاهم»(4).

قلت لصاحبي أحسب أنك الآن مشوق لأن تعرف ما حسنات الحرم وأنا مستجيب لك ومحقق لك رغبتك لعل ذلك يغرس في نفسك الثقة والاطمئنان إلى ما أعده الله لك فالنفقة يخلفها الله والعافية يسبغها الله والمغفرة يمن بها الله فلا تتردد وامض إلى لقاء الله.

فعن زاذان رضي الله عنه قال: مرض ابن عباس مرضا شديدا فدعى ولده فجمعهم فقال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج من مكة ماشيا حتى يرجع إلى مكة كتب الله له بكل سبع مائة حسنة كل حسنة مثل حسنات الحرم» قيل له.. وما حسنات الحرم قال: «بكل حسنة مائة ألف حسنة»(5) والله أعلم.

(4) الترغيب والترهيب جـ٢ صـ١١٤.

(5) المصدر السابق جـ٢ صـ١١٤.

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾

النحل: ١٢٥

الإسلام دين الحوار

١

لفضيلة الشيخ / فوزي الزفزاف

رئيس لجنة الحوار بالأزهر الشريف

إن أى إنسان يقترب من الإسلام يعرف يقينا أنه دين الحوار وأن القرآن الكريم اعتمد أسلوب الحوار أسلوبا للتفكير؛ ليصل الإنسان فى النهاية إلى عقيدة راسخة لاتتذبذب بعد أن رسخها الحوار.

ثم إن الحوار يعد أفضل وسيلة لتطهير المجتمعات من التعصب، ونبذ أحادية الفكر.

وترى إلى جانب ذلك أن القرآن يدعو إلى تبنى الأسلوب اللين وعدم الاستفزاز فى الحوار، وهو ماتراه بوضوح فى أمر الله ـ تعالى ـ لموسى وهارون بأن يذهبا لمخاطبة فرعون:

فنجده سبحانه وتعالى يقول:

﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾

طه (٤٣ : ٤٤)

هكذا يجب أن يكون الحوار، بحكمته اللين، ويبتغى المتحاورون الوصول إلى الهداية وخشية الله ـ تعالى ـ.

الاتجاه العالمى لنشر وتعميم الحوار

بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، وشاهد العالم ماخلفته من خراب ودمار شامل، ومأراح ضحيتها من ملايين البشر، وماتركته من مأساة كبرى تتمثل فى مشوهى الحرب من العسكريين والمدنيين لاسيما بعد استخدام الأسلحة الذرية.

اكتشفت الشعوب أن الصراعات والحروب والتلاحم بالقتال لايحل المشاكل ولاينهى الخلافات ولايحسم القضايا، بل على العكس إن الصراعات والحروب تولد العداوة والبغضاء والكرهية، وتدفع الشعوب المقهورة المغلوبة إلى المطالبة بأخذ الثأر، وإلى محاربة المحتل المغتصب، فتستأنف الحروب من جديد وتسقط الضحايا ويعم الخراب والدمار.. وهكذا يستمر مسلسل الحروب.

لذلك ظهرت فكرة الحوار بوجه عام، وأخذت فى النمو والتطور، وأصبحت مظهرا من مظاهر حياتنا المعاصرة تدفع إليها الرغبة الملحة فى تحسين العلاقات بين الشعوب على مستوى العلاقات الخارجية، وبين الجماعات والأفراد على مستوى العلاقات الداخلية للشعب الواحد، كى يعيش الجميع فى سلام، وتنعم البشرية بالأمن والأمان والاستقرار، وبذلك توجه موارد الشعوب وطاقاتها إلى التنمية فيعم الخير وتتحقق الرفاهية..

ولم يقتصر الحوار على مجال معين من مجالات حياتنا، بل شمل مجالات كثيرة متعددة ومتنوعة:

فعلى الصعيد السياسى ظهر الحوار السياسى لحل المشاكل السياسية بين الدول التى لم تفلح الحروب المتكررة فى حلها..

وعلى الصعيد الاقتصادى ظهر الحوار الاقتصادى لعلاج المشاكل الاقتصادية والتجارية بين الشعوب، وتحقيق تعاون بين الدول يكسر حدة الاحتكار، ويضع قواعد وأسس عادلة لتبادل المنافع بين الدول والشعوب، وتضييق الفجوة السحيقة بين الدول الغنية والدول الفقيرة، وينعم الجميع برخاء اقتصادى..

كما نشأ الحوار الدينى بين أتباع الديانات، وأصبح ظاهرة عالمية له مؤسساته ولجانه، ونال اهتمام العالم كله على جميع المستويات، ولقى تشجيعا وتأييدا من كل المؤسسات، باعتباره وسيلة فعالة للتفاهم والتقارب بين أتباع الديانات.

وإن كانت جذور الحوار الدينى تضرب فى أعماق التاريخ إلى أبعد من ذلك بكثير.. فقد بدأ الحوار الدينى فى عهد الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ بعد الهجرة من مكة إلى يثرب.

الإسلام والحوار

إذا كان الحوار الدينى قد أصبح ظاهرة عالمية له مؤسساته ولجانه، ونال هذا الاهتمام العالمى فإننا نجد أن الحوار من أبرز الأساليب الحكيمة والبليغة التى استعملها القرآن الكريم [1] فى إقامة الأدلة على وحدانية الله ـ تعالى ـ، وعلى صدق الرسل الكرام فيما يبلغون عن خالقهم: أسلوب الحوار والجدال والمناقشة من أجل الوصول إلى الحق، عن اقتناع عقلى، وارتياح نفسى، واطمئنان وجدانى، يجعل صاحبه يعيش

(١) راجع: أدب الحوار فى الإسلام لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر.

حياته وهو ثابت على ما آمن به ثباتا لا ينازعه ريب، ولا يخالطه شك، ولا يحوم حوله وهم، ولعل من الأدلة على ذلك: أن مادة «القول» وما اشتق منها كقال، ويقول، وقل، وقالوا، ويقولون، وقولوا... إلخ.

هذه المادة التى تدل على التحاور والجدال والمناقشة والمراجعة بين الناس فى أمور معينة، تكررت فى القرآن الكريم أكثر من ألف وسبعمائة مرة.

فمثلا لفظ «قال» قد تكرر أكثر من خمسمائة مرة، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

سورة البقرة (٢٥٨)

ولفظ «قالوا» قد تكرر فى القرآن الكريم أكثر من ثلاثمائة مرة، ومن ذلك قوله سبحانه:

﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

سورة البقرة (٨٠)

ولفظ «يقول» قد تكرر فى القرآن الكريم ثمان وستين مرة، ومن ذلك قوله عز وجل:

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾

سورة المائدة (١٠٩)

ولفظ «قل» تكرر فى القرآن الكريم أكثر من ثلاثمائة مرة، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾

سورة الأنعام (١٩)

ويمتاز أسلوب الحوار والجدال فى القرآن الكريم باتساع دائرته، ووضوح قضاياه، وشموله لما لا يحصى من المسائل..

فهناك محاورات بين الخالق - عز وجل - وبين مخلوقاته من الرسل الكرام، ومن الملائكة المقربين، ومن الشيطان الرجيم..

وهناك حوار يدور حول وحدانية الله - تعالى -، وحول القرآن الكريم، أو حول اليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب...

وهناك حوار بين الرسل وأقوامهم، أو بين الأخيار والأشرار، أو بين الأخيار فيما بينهم، أو بين الأشرار فيما بينهم...

وهناك حوار مع أهل الكتاب، أو مع المنافقين، أو مع المقلدين لسابقيهم أو لزعمائهم فى الباطل، أو مع السائلين للرسول ﷺ.

وهناك حوار يتعلق بشخصية النبى ﷺ، أو برسالته، أو بما أحل الله - تعالى - أو حرمه من الأطعمة أو الأشربة أو غيرهما،...

والمتتبع لسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام يجد أن الرسول ﷺ قد تأسى بالقرآن الكريم فى أسلوب الحوار، والتزم منهجه فى مناقشاته ومحاوراته مع أصحابه وأتباعه الذين آمنوا به وصدقوه، أو مع خصومه الذين كفروا به وناصبوه العداء... كما أن أصحابه - رضوان الله عليهم - وأتباعه الأخيار قد نهجوا نهجه، واتبعوا طريقه، والتزموا أسلوبه، امتثالا لقوله تعالى:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾

سورة الأحزاب (٢١)

وهكذا نرى بكل وضوح أن الحوار هو لغة الإسلام وأن الإسلام يربى أبناءه ويعلمهم استعمال الحوار عند التخاطب والتفاهم بعضهم، مع بعض، أو مع الآخرين... وأن الحوار هو الوسيلة الأولى لدى المسلمين عند مناقشة الموضوعات والقضايا التى تثار بينهم بعضهم مع بعض، أو بينهم وبين غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى، أو بينهم وبين غيرهم من إخوانهم فى الإنسانية على وجه عام.

التعليم الإسلامى والالتزام بأسلوب الحوار

سن الإسلام للناس ضروب الهداية والإصلاح، ونظام تعامل الناس بعضهم مع بعض، فى جميع مجالات الحياة، وأحوالها، وأزمانها، ولما كان الإنسان مدنيا بطبعه، والحوار بين الناس هو وسيلة التفاهم المثلى بينهم حين يختلفون وحين يتفقون، راعى الإسلام كل المراعاة مايجب على الإنسان فى حواره مع أخيه فى موضوع يتعلق بنظام الحياة، سواء أكان موضوع الحوار دينيا أم سياسيا أم اجتماعيا... الخ حتى ولو كان الحوار سمرا فى ليالى الراحة والمؤانسة.

ومعلوم أن التعليم هو الذى يشكل عقلية الإنسان ويوجه نظره إلى طبيعة فهمه للأمور، ويحدد منهجه فى الحياة وأسلوب معاملته مع غيره.. لذلك اعتنى التعليم الإسلامى عناية خاصة بتوجيه المسلم إلى الالتزام بأسلوب الحوار مع الآخرين وخاصة فيما يتعلق بالحوار الدينى.. والنصوص القرآنية وأحاديث الرسول الكريم ﷺ صريحة فى توجيه المسلم فى هذا الشأن...

يقول الله عز وجل:

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾

سورة هود (١١٨، ١١٩)

ويقول عز وجل:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

سورة الحجرات (١٣)

فإذا نظرنا إلى الآية الأولى نجدها تقرر أن الله ـ عز وجل ـ لم يشأ أن يجعل الناس أمة واحدة، ولكن مشيئته اقتضت أن يكون العالم من أمم شتى مختلفة لاتزال تختلف وتتعارض، ليميز الله الخبيث من الطيب، ولايزال الناس مابقيت الدنيا مختلفين في: عقائدهم وأفكارهم، وفي اتجاهاتهم ومقاصدهم، وفي سلوكهم ومناهجهم، وفي آمالهم وطموحاتهم.. الخ إلا الذين أصابتهم رحمة الله فاهتدوا إلى طريق الحق، فإنهم لم يختلفوا في أصل من أصول الدين الحنيف، بل عرفوا الخير والهدى والرشاد فاتبعوه.

فالإسلام في هذه الآية الكريمة أقر في صراحة ووضوح مبدأ الاختلاف بين البشر، وأكد على أن هذا الاختلاف هو إرادة الله ومشيئته والمسلم مطالب بالإيمان والتسليم المطلق لإرادة الله ومشيئته... ومن بين أوجه الاختلاف بين البشر الاختلاف في العقيدة الدينية، ومعنى ذلك أن الإسلام طلب من المسلمين التعامل مع غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى وهم على عقيدتهم الدينية التي تخالف عقيدة الإسلام، بل وأكثر من ذلك طلب الإسلام من المسلمين التعايش الإيجابي الفعال معهم، ولاسيما مع أصحاب الديانات السماوية يقول الله تعالى:

﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾

سورة الممتحنة (٨)

وقد بلغ هذا التعايش الفعال قمته عندما أباح الإسلام للمسلم أكل طعام أهل الكتاب وجعله حلالا له، بل وإلى إباحة الزواج من نسائهم، وأباح كذلك طعام المسلمين لأهل الكتاب وجعله حلالا لهم، يقول الله تعالى:

﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾

سورة المائدة (٥)

وإذا نظرنا إلى الآية الثانية نجد أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ مع اختلاف الأمم وكونها شعوبا وقبائل متفرقة ـ فإنه أوجب على الشعوب والقبائل أن تتعارف، ولكي تتعارف فلابد أن يكون بينها من الحوار والجدال النافع مايقرب وسائل الاتفاق، لتكون النتيجة هي التعارف المؤدي إلى الوئام وإقامة السلام وتحقيق التعاون وانتشار الحب على وجه وطيد.. ويلاحظ في هذا التعارف ضرورة أن يكون مبنيا على العدل والحق

والتقوى، فأكرم الشعوب هي أتقاها، ومعنى التقوى تنفيذ ما أمر الله به من العدل والإنصاف ورعاية الحقوق.

فالتعليم الإسلامي إذن يدعو المسلمين ـ في منهجه إلى الحوار، ويربي المسلمين على التعود عليه والتمسك به.. ويخطئ من يظن أن التعليم الإسلامي ينحصر في العلوم الشرعية وحدها، مع إضافة علوم اللغة العربية لها وهذا فهم قاصر، لأن التعليم الإسلامي يشمل أمور الحياة جميعها، والتاريخ يدون في سجل العلماء كثيرا من علماء المسلمين: كابن سيناء، والفارابي، والرازي، والخوارزمي، وابن النفيس، وابن الهيثم.. وغيرهم وغيرهم ممن لا أستطيع إحصاء عددهم ممن كانوا أئمة في العلوم الفلسفية والطبيعية والرياضية والتجريبية، حتى إن مدرجات في أعظم كليات الغرب قد سميت بأسمائهم لعظم مابذلوه من فكر واكتشافات في هذه المجالات...

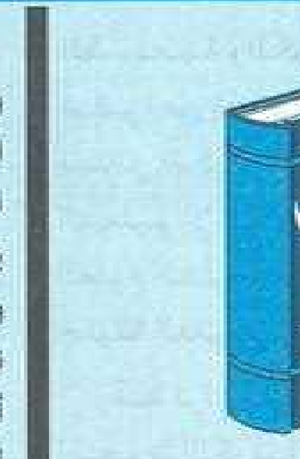
فالتعليم الإسلامي يؤهل المسلم للحوار في جميع مجالات الحياة، لا سيما في ظل المكتشفات العلمية الحديثة ... وفي القرآن الكريم من المعارف العلمية الطبيعية والكونية ماعده العلماء عنصرا من عناصر التحقيق العلمي في مسائل الكون.. إذن فقصر بعض الناس التعليم الإسلامي ـ في فهمهم ـ على العلوم الشرعية وحدها تجاهل واضح لحقيقة العلم في الإسلام.

وقد ترك علماء الإسلام في حقل البحوث الكونية والرياضية والفلكية والطبيعية والطبية والسياسية ثروة هائلة في هذه المجالات بما يعد لدى المنصفين من أهل الفكر والعلم مفخرة للإسلام. وأنه دين حضارة صالح لكل زمان ومكان، وأنه يجعل من المحاور المسلم إنسانا مستنيرا يجد العصر بثقافة تتمازج مع المعاصرة الحديثة في اتجاهاتها الصحيحة... وإذ وجدت فروق مافي بعض المسائل فهي فروق طبيعية تندرج تحت قول الله تعالى:

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾

والحوار يأتي بثماره الطيبة إذا كان وفق منهج علمي، وهو ما نتناوله في العدد القادم بمشيئة الله تعالى.

***



حوار لا مواجهة

تأليف

الدكتور أحمد كمال أبو المجد

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

من يتصل بالإسلام مفتوح القلب والعقل، عن التعصب الأعمى، والهوى المضل.. يدرك أنه دين يؤسس معتنقيه على التحاور الهادف، والجدل البناء، الذى يقوده العقل البصير، والوجدان الحى ويظلله الود الإنسانى الوارف الذى يبث نسمات الأخوة الإنسانية فى نفس كل فرد، أيا كان موطنه، وأيا كان جنسه، وأيا كان لونه. فالجميع بعضهم لبعض ذوو رحم، إذ هم جميعاً أبناء لأب واحد وأم واحده.. «كلكم لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربى على أعجمى، ولا لأعجمى على عربى، ولا لأبيض على أحمر، ولا لأحمر على أبيض إلا بالتقوى». فالعمل الصالح هو المرجح الوحيد الذى به يتميز إنسان من إنسان، فلم يكن عبثاً ولا ترفا تكرار ذلك المعنى فى القرآن الكريم، مثل قوله تعالى:

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾

[الروم: ٢٠]

فلا يحق لواحد - مهما بلغ من السلطان والسطوة والقوة - أن يغفل عن أن بشريته نعمة من الله عليه، وأنه - فى تلك البشرية - وغيره سواء، فليس لواحد فضل على آخر بسبب الأصل والمنشأ، لأن الأصل والمنشأ واحد. وما هذا الانتشار فى الأرض إلا وسيلة من وسائل التمكين للقيام بدور الخلافة الذى خلق الله من أجله آدم، كما ينبه إليه قوله جل شأنه:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾

[البقرة: ٣٠]

ولا يحق لواحد أن تخدعه بيئته أو لونه، فيظن أن لشىء من ذلك أثراً فى تميزه، فما التشعيب إلا لتوطيد العلاقة، وإتمام التعاون لأداء دور الاستخلاف، كما يوضحه قوله عز وجل:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

[الحجرات: ١٣]

والقرآن الكريم - فى تقرير ذلك - لم يقف عند حدود إرساء هذا المبدأ نظرياً، ولكنه تجاوز النظرية إلى السلوك العملى، فاتحاً أمام الإنسان كل منفذ يقوده إلى التحاور، ويصرفه تماماً عن التصادم وما يؤدى إليه من صراع وعنف وجمود.

ولا ريب فى أن المنفذ الأوسع والأعظم الذى يلزم الإنسان بالتحاور وينأى به عن التصادم.. هو العقل الإنسانى الذى ناط به الخالق جل وعلا أسباب التقدم والترقى، وأقام عليه مسار العلم والمعرفة، ومنحه القدرة على قيادة الإنسان فى طريق التعارف والتلاقى، مهما تعددت الشعوب والقبائل، ومهما تناءت المواطن والمناشى، ولذلك حرص القرآن الكريم على أن يبرز دور العقل فى كل مناسبة، وأن يعلى من شأنه، فحض الإنسان على استصحاب العقل فى كل ما يأتى وكل ما يدع، وفتح أمامه كل الأسباب التى توصله إلى المعرفة أيا كانت تلك المعرفة، فأمر الإنسان بالنظر فيما يحيط به من الكونيات:

﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾

[يونس: ١٠١]

وحضه على النظر فيما يشاركه الحياة على الأرض فى نحو قوله:

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾

[الغاشية: ١٧ - ٢٠]

بل حضه على النظر فى نفسه وما تنطوى عليه من أسرار فقال:

﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾.

[الذاريات: ٢١]

وأغراه بالسعى إلى اقتحام ما وراء الظواهر الكونية فى مثل قوله:

﴿ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ ﴾

[الرحمن: ٣٣]

والقرآن الكريم يعنى بتوطئة الأرض أمام من يتصدى للمحاورة من الطرفين، فيسقط

عن نفسهما مشاعر القهر ومشاعر الضعف، فليس الحق ملكاً لأحدهما مسبقاً، وليس أحدهما الأضعف مسبقاً وإلا فقد الحوار قيمته وأهميته - كما يفترض الجانب الذى يستشعر القوة غالباً، فيقول ولا يسمح بتعقيب على قوله، بل إن القرآن الكريم ليأمر الرسول ﷺ أن يعلن محاوريه بأن غايتنا يجب أن تكون السعى إلى الحقيقة، فيقول لمخالفيه:

﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾

[سبأ: ٢٤]

من سمات الحوار الإسلامى

على هذا.. يؤسس القرآن الكريم للمسلمين قواعد الحوار الجاد الهادف، وليس حوار من يعلن - فى صلف وغطرسة مستبدة -: «من ليس معى فهو عدوى».

والقرآن الكريم - إلى هذا وذاك - يرسم خطة الحوار للرسول ﷺ، تدريباً له على ذلك، وإعداداً لكافة المسلمين للالتزام به فى حياتهم وفى تعاملهم مع الآخرين كما نراه فى قوله جل شأنه:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران: ٦٤]

فالحوار إذا لم ينته بتسليم أحد المتحاورين واقتناعه، فيجب أن لا يقود إلى صراع ومواجهة، بل على كل أن يعلن عن رأيه وتمسكه به، دون أن يرتب عليه أى أمر آخر، أيا كان موضوع الخلاف، حتى لو كان موضوعه العقيدة، على ما حسمه القرآن الكريم فى قوله تعالى:

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾

[سورة الكافرون]

ولم يكتف القرآن الكريم بالأمر بتوظيف العقل والحض على استعماله، ولكنه دعم هذا وذاك بتقديم أمثلة من التحاور الجاد المثمر، الخالى من كل شوائب الصراع، حتى فيما يتصل بالعقيدة، كما نراه فى نحو قوله تعالى:

﴿ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾

أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾

[النمل: ٥٩ : ٦٤]

ومثل هذا فى القرآن كثير، فالإسلام - بطبيعته - يرفض أن يؤدى الخلاف إلى الصراع أو المواجهة العنيفة، إذ الزمن كفيل بإذابة - ركام الجهل والضلال، والسعى الدءوب مع العقل كفيل بتبديد كل أسباب الشك والغفلة.

ولقد التزم الرسول ﷺ وأصحابه بهذا النهج الحوارى فى علاقاتهم بالآخرين من أهل الكتاب والوثنيين، فأخضعوا حوارهم لأمر الله - تعالى - فى قوله:

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾

[النحل: ١٢٥]

وقوله عز شأنه:

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾

[العنكبوت: ٤٦]

وكان من ثمار هذا الالتزام الحوارى ذلك الإقبال على الدخول فى الإسلام من مشرق الأرض ومغربها الذى لم يلحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى حتى أدرك بوادره، على ما أشار إليه المولى جل شأنه فى قوله:

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾

[سورة النصر]

ولقد ظل جمهور المسلمين على هذا الالتزام، وتواصل الإقبال على الدخول فى الإسلام إلى يومنا هذا، ولم يشذ عن هذا الالتزام إلا فئات قليلة - إذا قورنت بجمهور المسلمين - هى التى وقعت فى المحظور، فتنكبت نهج الإسلام فى حواره، على ما نرى اليوم من بعض قيادات الطوائف الإسلامية التى اضطرت - تحت وطأة المستعمرين الغربيين ومعاونيهم من الحكام والقيادات السياسية والدينية - إلى الانحراف بعيداً عن مركز الوسطية الإسلامية، على تباين درجات هذا الانحراف والتطرف.

وعلى الرغم من أن جمهور المسلمين يمثلون أضعاف أضعاف تلك الفئات المتطرفة.. ضخم خصوم الإسلام من الأمريكيين الغزاة ومن الأوروبيين المستعمرين، وممن واطأهم من المسلمين وسار فى كنفهم - عن قصد - من قيمة تلك الفئات المنتسبة للإسلام ليظهروا أن الإسلام دين البطش والقهر، وأن المسلمين لا يملكون سوى العنف ليقهروا به خصومهم، إذ لا يملكون من القدرة العقلية ما يتمكنون به من محاوره الآخرين، فأحقادهم وجهلهم.. يدفعانهم إلى الحقد على

المتحضرين من أبناء الغرب، وبدلا من السعي للوصول إلى ما وصل إليه الغربيون يحاولون تدمير ما حققته تلك الحضارة الغربية، متوهمين أنهم بتلك المزاعم والمفتريات يقيمون سياجا حصينا يخفى عن جمهور الغربيين حقيقة الإسلام، وسلم المسلمين، ليمنعوا إقبال شباب الغرب على الدخول في الإسلام.

والدكتور أحمد كمال أبوالمجد في كتابه «حوار لا مواجهة» أراد: أن يوقف المسلمين على تلك الحقيقة، حتى لا يستهويهم شعارات الغربيين والمالئين، فيصيبهم اليأس، أو يخامر رءوسهم الشك في حقيقة الإسلام.

وأن يكشف لغير المسلمين أسباب ما تجلجل به وسائل إعلامهم مما يشوه صورة المسلمين، ويطمس معالم الإسلام.

وأن هؤلاء المتزمتين والمتشنجين، وأصحاب الصدور الحرجة، والعقول المعطلة، الذين يرفعون شعار الصحوة الإسلامية.. هؤلاء لا يمثلون إلا أنفسهم فقط، إذ هم قلة علا صوتها - أو أعلى صوتها - حتى يظن الآخرون أن هؤلاء هم المسلمون وأن ما ينطقون به هو الإسلام.

أما الأستاذ الدكتور أحمد كمال أبوالمجد فواحد من أعلام الدعوة الإسلامية في مصر الذين هيأهم العمل في مجال الدعوة الإسلامية - مع العمل الجامعي والعمل العام في مجال الوزارة - لأن يذيع وينتشر بمحاضراته وكتاباته الرصينة، وحواراته الملتزمة الخصبة.



د. أحمد كمال أبو المجد

وأما كتاب «حوار لا مواجهة» فقد صدرت الطبعة الأولى منه سنة ١٩٨٦ عن دار الشروق بمصر، وصدرت الطبعة الثانية منه سنة ٢٠٠٢ من دار الشروق، ضمن مشروع مكتبة الأسرة «سلسلة الأعمال الفكرية»، والكتاب في طبعته الثانية يشغل ثنتين وثلاثمائة صفحة من القطع المتوسط، تضم مقدمة، وتمهيدا، وخمسة فصول.

خصوصية الحوار الديني

ففي الفصل الأول «ضرورة الحوار» رصد الدكتور أبوالمجد ما آل إليه واقع العرب والمسلمين - في حوارهم - من احتداد، حوّل الحوار إلى مبارزات تسعى إلى تحقيق الانتصار بأي وسيلة، فلا مانع لديهم من تزييف الواقع، ولا مانع كذلك من اتهام الآخر بالمروق من الدين.

على الرغم من أن وضوح النصوص الإسلامية التي تحث على النظر، وتدعو إلى الاجتهاد في البحث عن الحق والصواب تفسح المجال لاختلاف الآراء، فوحدة الحقيقة الدينية لا تنفي تعدد زواياها، ولا تمنع اختلاف العقول في تفسيرها، وخير شاهد

على ذلك ما قدمه أسلافنا في مجال التفسير، وأصول الدين، وأصول الفقه، من كل ما يبدد خوف علمائنا المعاصرين من تفسير القرآن، ومن التصدي لتمحيص أسانيد بعض الأحاديث النبوية وتفسيرها، ويقضي على الخوف من محاولة التجديد في بعض ما انتهى إليه علماء أصول الفقه.. إلى غير ذلك من الأنشطة العقلية فيما لم يقطع به نص صريح من الوحي، الشامل للقرآن الكريم والهدى النبوي الشريف.

ومن هنا.. نعيد إلى الحوار حول الدين ما خلفه لنا أسلافنا من مثل عليا في الالتزام بعفة اللسان والقلم، والحرص على صون كرامة من يحاوره، وإحسان الظن به وبنواياه.

ومن هنا.. يعود المحاور المسلم إلى الالتزام بأدب الحوار الإسلامي وسماحته، متجاوزا ما شاب الحوار في هذه المرحلة من التخويف والإرهاب وما تولد عن ذلك من تردد وإحجام.

وعودة المحاور إلى هذا الالتزام لابد معها من أن يتعرف على ما يواجه من تيارات متباينة في المجتمع الإسلامي، حتى يهيئ لكل تيار ما يناسبه من منهج الحوار، وحتى لا يفاجأ بما قد يستصحبه كل تيار من متناقضات تخرج بالمحاور عن المسار المعتدل.. ومن أبرز هذه التيارات:

«أ» التيار المحافظ الذي يرى أن السلفية تعني الالتزام بما انتهى إليه السلف من آراء ومواقف وأحكام، وأن تجاوز هذا الالتزام هو تجاوز للإسلام نفسه.

«ب» التيار الصوفي الذي يرى أن إقبال المسلمين على الدنيا وتزاحمهم مع الآخرين على ثمرات الأرض هو أساس الفساد، وأن البديل لذلك هو الإيغال في العبادة والزهد، والتهوين من قيمة العقل.

«جـ» التيار المتحرر من قيود التراث الإسلامي، والمنطلق إلى ما يراه تحررا من قيود هذا التراث، والساعي إلى الاحتذاء بالغربيين في كل شيء.

«د» الحركات التي تتصور أن الاستيلاء على السلطة السياسية بغية إقامة حكومة مسلمة.. فيه نهاية لمشكلات المسلمين، ويتوسلون إلى ذلك بضروب من المناورات السياسية الحزبية التي قد تقود إلى الانقلابات.

«هـ» الجمهرة من الشباب المسلم.. الذي يؤمن بعقيدة الإسلام، ويدرك أهمية الإسلام للحياة.. ولكن تناحر التيارات الأخرى وتصارعها يوقعهم في حيرة تعجزهم عن تحديد الاتجاه، فلا تملك إلا أن تتحول إلى موجة عارمة من التمرد على استمرار تلك المعارك بين أصحاب هذه التيارات، متشوقة إلى وجود الطريق الذي يحفظ عليهم قيم الإسلام، ويطلق طاقاته وقدراته على العطاء والإبداع، والحوار الإسلامي الجاد المتحرر من الخوف.

في الطريق إلى الحوار الإسلامي

ويرى الدكتور أبوالمجد أن تحرير هذا الشباب المسلم من إرهاب المرهبين، ولمز اللامزين، يفرض علينا أن نوضح أمورا سبعة يكتمل بتوضيحها معالم التيار الإسلامي الذي تمور به صدور جيل بأكمله من الشباب، ويخشى من إعلانه.

١- أول هذه الأمور: الحاجة الماسة إلى إطلاق العقول الإسلامية في طريق الاجتهاد، لمواكبة حركة الزمن، وما تتطلبه من حركة تشريعية مستمرة.. وذلك كله من منطلق خلود الإسلام، وصلاحية شريعته لكل زمان ومكان، ومن منطلق ما كان عليه سلف الأمة من عدم تحرج من الاجتهاد إزاء ما يعرض لهم من مستجدات الحياة، مما لا نص صريحا يقطع بحكمه، على ما أبداه معاذ بن جبل - رضي الله عنه - حين ولاه الرسول ﷺ قضاء اليمن.

٢- ثانيها: توضيح الفارق بين عموم الرسالة وشموليتها، وبين التجارب الذاتية الروحية، فعلى الرغم من أن التصوف جزء من تراث الإسلام.. يجب التأكيد على أنه من خصوصيات السلوك، فلا يصح أن يفرض تعميمه على جماهير المسلمين، لما في ذلك من التعارض مع عمومية الرسالة، وتيسير القرآن للذكر، ومخاطبته أولي الألباب.

٣- ثالثها: الحاجة إلى فرز التراث، لنعرف ما يعد إسلاما لا يستغني المجتهد عن التعرف عليه كالشريعة التي تقدمها الأصول الإسلامية، وما يعد من أحوال الناس وآرائهم وأفكارهم، كالتشريع الذي قدمه الفقهاء والأئمة المجتهدون، وتوضيح الفرق بينهما، وضرورة الالتزام بالأول في نطاق النص الصريح القطعي.

٤- رابعها: التأكيد على أن شمولية النظام الإسلامي لا تعني بالضرورة اشتماله على تفصيل كل شيء مما يتصل بالأحكام التفصيلية لبناء الدولة، ودقائق النظام الاقتصادي لها، فقد تحول هذه التفاصيل لتهتدي إليها عقول المجتهدين وفق المصالح ومتطلبات الحياة، وهذا يعني أن التجربة الإنسانية لا ترفض لمجرد أنها تمت في أرض غير إسلامية، أو تحت راية غير إسلامية.

٥- خامسها: التأكيد على أن الإسلام الحق دين سمح لا يفرض على المسلم العزلة، وكراهية الناس والدنيا، كما يتوهم كثير من الجماعات التي تبذل جهدا جبارا في تجميع الشباب على هذه الجهالات المدمرة، وتستخدمهم وقودا للوثات في العقول، أو أمراض في الصدور تنتهي بهم إلى كراهية الناس، وكراهية الحياة.

٦- سادسها: التأكيد على أن الإسلام الصحيح لا يعادي الجديد مادام ملتزما بعدم الخروج عن إطار الإسلام، فالمسلمون لا يملكون أن ينسحبوا من ساحة الصراع الاجتماعي والسياسي الدائر حولهم بين قوى القهر والاستغلال.. وقوى التقدم

والعدل، ولكن عليهم أن يحافظوا - مع ذلك - على وسطيتهم الإسلامية، فلا يحملهم رفضهم للمادية الملحدة على أن يؤازروا خصومها حتى فيما يعارض روح الإسلام ومبادئه وجوهر دعوته، على ما هو حادث في حياتنا المعاصرة، حيث وقف كثير من المسلمين إلى جانب الظالمين على حساب المظلومين.

٧- سابعها: توضيح أن هذه المواجهة التي بدأناها تشمل الفكر، وتشمل الحركات والمؤسسات العاملة في حقل الإسلام، أو العاملة باسم الإسلام، فلا يجوز أن نترك هذه الجماعات والمؤسسات في هذا الشتات العجيب.. يحارب بعضها بعضا، بل يجب أن تلتقي كلها.. بعد طرح هذه القضايا الخلافية بعيداً عن حمى تبادل الاتهام بالكفر والزيغ والضلال - تظللهم سماحة الإسلام وخصوبة حضارته ورحابة قاعدته الذهبية: «من اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد».

مع المسلمين المفتونين بحضارة الغرب

والدكتور أبوالمجد يلفت النظر إلى ما اندفع إليه أولئك الجامدون، من الوقوف في وجه كل صوت يدعو إلى التجديد، مؤكدين أن هذه الدعوة مدخل لإسقاط الالتزام بشريعة الإسلام، وباب شر ينفذ منه الحريصون على تمييع حقيقة الإسلام، غافلين - أو متغافلين - عن أن الجمود والعقم أخطر على الإسلام والمسلمين، مما يحتمل أن يؤدي إليه التجديد وتحمل تبعات الاجتهاد، فالإسلام هو كلمة الله المنزلة في كتبه، والموحاة إلى رسله بالخير الخالص، والحق الكامل، واليقين المطلق، ولهذا فإن حديثنا عن الإسلام ليس - بأي حال - دعوة إلى التغيير في الإسلام، وإنما هو حديث موجه إلى فكر المسلمين وسلوكهم. فالتجديد في الإسلام لايعني الخروج عن دائرته، والانفلات من أحكامه، لأن هناك خيطاً رفيعاً يفصل بين التجديد في الإسلام والخروج منه.. وهذا الخيط الرفيع له وجهان، أحدهما عقلي فني، والآخر نفسي.

أما الوجه العقلي فإنه يفرض أموراً أبرزها:

١- التحقق من قطعية ورود النص أو الدليل الذي يراد استمداد الحكم منه.

٢- تحديد مايعد تشريعا وما لايعد تشريعا من أقوال النبي ﷺ.

٣- تحديد ما يمكن أن يتغير من الأحكام بتغير الزمان.

٤- مدى اعتبار «المصلحة» دليلاً شرعياً يتم النصوص أو يعارض بعضها.

٥- الاهتمام بضبط أصول التفسير وقواعده، إذ ضبط التفسير مدخل هام لوضع الحدود الفاصلة بين التفسير الذي تحتمله النصوص، والتأويل الذي يلوي ذراع النصوص، ويحملها ما لاتحتمل استجابة للهوى، فيدخل في نطاق «تحريف الكلم عن مواضعه».

وأما الوجه النفسي من جانبي الخيط الذي يفصل بين التجديد في الإسلام والخروج منه فناشيء من أن المسلم - وقد رضي الإسلام دينا - ينبغي عليه أن يكون راغبا بقلبه وعقله لتقبل أحكامه الثابتة، والالتزام بها، مطمئنا إلى أن هذا الالتزام ييسر له السعادة في أموره كلها، ويوفر له من أسبابها ما لايوفره نظام آخر.

ولكن المسلمين - وقد أصابهم الضعف السياسي والعسكري في العصر الحديث - وجهوا بالحضارة الغربية الأوروبية التي أذهلتهم عن التأني والنظر البصير، فاستقر في وعي الكثيرين أن الحضارة الغربية مرحلة أكثر تقدما من كل ما عرفته البشرية، وأن الاتجاه إليها تحرك نحو الأفضل ولو أن هذه الكثرة تماسكت نفسياً، واستبصرت الأمر في واقع الحياة هنا وهناك لتبينوا:

أن الحداثة والتقدم المادي لايمكن أن يكونا وحدهما معياراً للتقدم أو التأخر الإنساني، إذ يكفيهم النظر إلى الواقع المشحون بالحرب والقتل والتدمير ليتأكدوا أن هذا التقدم المادي لم يخلصهم من حماقة الحرب التي صاحبت التاريخ الإنساني كله.

ولتبينوا: أن الحضارة الغربية تمر بأزمة خانقة، ففي ظل هذا التقدم المادي الهائل يفقد الإنسان أمنه واطمئنانه، كما يفقد تناسق مكوناته النفسية، واستقرار حياته اليومية، مع نفسه، وأسرته، والناس جميعا.

ثم لتبينوا أن ما أصابهم من هزيمة نفسية أفقدتهم التوازن إنما أصابهم من رؤية تاريخية خاطئة، تفترض دوام السيادة الحضارية للغرب، على الرغم من تناقض هذا الافتراض مع قانون «مداولة الأيام بين الناس» الذي يؤكده المسار التاريخي في جميع مراحله.

من هنا.. يتبين أن الضمان لبناء حركة التجديد في نطاقها السليم يفرض على المسلمين أن يستردوا الموقف النفسي إزاء الحضارات الأخرى، وأن يلتزموا بتلك الانطلاقة العقلية البصيرة.

مع المسلمين الرافضين

والدكتور أبوالمجد - إذ يرى أن الافتتان الجارف بالحضارة الغربية كان الوجه الأول للعُملة التي سُكّت في ظل الضعف السياسي والعسكري للمسلمين - يرى أن ما يطلق عليه التطرف هو الوجه الثاني لتلك العملة، فكلا الأمرين تطرف قائم على المغالاة وفقدان التوازن.

وكما قدم الدكتور ما ارتآه علاجاً يفيق هؤلاء المفتونين.. أخذ في معالجة أولئك الرافضين، مبتدئا بتشخيص واقعهم المتمثل في:

١- لجوئهم إلى انتقاء آيات قرآنية، وأحاديث نبوية معينة، والتمسك المطلق بحرفيتها، دون التفات للمقاصد العامة للإسلام، ودون ملاحظة لوظيفة الواجبات الدينية وأهدافها، ودون تمييز بين القاعدة العامة والاستثناء المرتبط بسببه.. بل ودون التفات لأسباب النزول، أو معرفة بأصول الاستدلال اللغوي والفقهي.

٢- تسليمهم بالحق المطلق لزعمائهم في الاجتهاد، واستخفافهم - في الوقت نفسه - بآراء الأئمة المجتهدين، مما قادهم إلى التورط في أمور تخالف الشريعة مخالفة صريحة، كما تخالف المعقول.

٣- طاعتهم المطلقة لأمير الجماعة، دون التفات إلى مقدار علمه بأحكام الشريعة، أو درايته بأساليب العمل الجماعي والسياسي أو التزامه بالتقوى في سلوكه.

٤- اعتزالهم المجتمع لتجنب المنكرات الشائعة فيه، ولتكوين مجتمع خاص بهم، تطبق فيه مبادىء الإسلام كما يراها زعماؤهم.

ويرى الدكتور أن هذا المسلك انتهى بهم إلى أفكار رئيسية برزت في فكرة - أو شعار - «الحاكمية لله وحده»، وفكرة «تكفير مرتكب المعصية» والتحديد الفاسد للمقصود بالجماعة التي دعا الرسول ﷺ إلى عدم الخروج عليها، حتى رأى بعضهم أن جماعته - ولو كانت عشرة أفراد فقط - هي جماعة المسلمين.

ومن هذا التشخيص يدلف الدكتور أبوالمجد إلى العلاج بتصحيح الفكر، وتقويم المعوج على المدى القريب باستنهاض العلماء والمثقفين ليطرحوا المجاملة جانبا، وليتصدوا لتوضيح مواطن الانحراف والخلل في منهج تلك الجماعات وفي أفكارها، وتصحيح الفكر - كذلك - وتقويم المعوج على المدى الطويل، بإعادة النظر في مناهج التعليم - وخصوصاً التعليم الديني - وبإعادة النظر في الواقع الاجتماعي بالعمل لتحقيق العدالة الاجتماعية ثوابا وعقابا، والقضاء على مناخ السخط الاجتماعي والإحساس بالإحباط إزاء الصور المستفزة المعلنة. وبالعودة إلى التربية السياسية القائمة على احترام الحقوق والحريات، وإفساح المجال للرأي الآخر، فإن المجتمع السياسي الذي تتعايش فيه الأفكار المختلفة لايتيح للمتطرفين - أياً كان تطرفهم - فرصة الاختلاء بأنفسهم، واعتزال الحياة، فالذي يجد له مكانا في صناعة قرارات المجتمع لايقبل بأي حال أن يفر إلى اغتراب يفرضه على نفسه!

***

التاريخ الحضارى ودحضه للعنصرية الأوروبية

للدكتور
عبدالحليم عويس

لا تقف العلوم ولا التصنيفات الحضارية مع الدعاوى الأوروبية بالتفرد أو التميز أو المركزية المحورية.. إلى غير ذلك من الدعاوى الكذوب!!

ولا يستطيع علم الجغرافيا أن يقول لنا:

إن أوروبا تساوى العالم المسكون.. فنسبة أوروبا - أرضاً وبشراً - إلى الكرة الأرضية نسبة مئوية متواضعة..

ولا يستطيع علم التاريخ الحضارى أن يزعم - مهما بلغت تميزات المتميزين - أن أوروبا... اليونانية والرومانية، ثم الحديثة، كانت هى التاريخ، وهى الحضارة، ولا شيء معها. بل على العكس، فعندما كان اليونان يتفلسفون كان المصريون يصنعون أضخم المعابد، ويتعاملون مع الطبيعة بكثير من التفلسف الدينى، وفى الوقت نفسه كانت هناك حضارات صينية وهندية وبابلية وأشورية وكلدانية..

- وسواء كانت الحضارات الكبرى ثلاثا وعشرين أو أكثر [1] فالذى لاشك فيه أن أوروبا لم تكن يوماً ما وحدها، ولم تكن الأمم الأخرى مجردة من الحضارة، بل إن حضارات كثيرة قد تفوقت لعشرات القرون على أوروبا.. قبل ظهورها على مسرح التاريخ مع بروز الظاهرة الاستعمارية الحديثة.

- ويؤيد لنا المحققون من علماء الحضارات - من خلال دراساتهم الموضوعية والعلمية - أن قدرا كبير من التواصل والتشارك الإنسانى كان موجودا فى معظم مراحل التاريخ الحضارى، وهم يثبتون لنا - مع ذلك - أن كل حضاراتنا المعاصرة تعود لأصول مشتركة فى الأجناس والاجتماع واللغويات.

(١) حسب تصنيف أرنولد توينبى

- فالتاريخ اللغوى الذى يؤكد بدوره التواصل الجنسى والاجتماعى يثبت أن اللغات اللاتينية واليونانية والفارسية ولغات أهل شمال الهند تتشابه فيما بينها فى التركيب والنحو والصرف.

- ويقرر علماء اللغات أن هذا التشابه يرجع إلى الأصل الآرى أو الهندى الأوروبى الواحد ومادام الأمر كذلك فمن المؤكد أنه كان هناك جنس أصيل آرى يسكن المناطق الممتدة من شمال الهند إلى شمال أوروبا، ثم تفرع وامتد شرقا وغربا وشمالا فى الأراضى التى سادها الأتراك فيما بعد. وهذا الجنس الآرى أو الهندى الأوروبى هو الجنس الموهوب الذى ساد أهل المعمورة بامتيازه الأدبى والذهنى، وأخرج عباقرة مثل زرادشت وبوذا، وأطلع العبقرية الفنية عند الإغريق، والعبقرية السياسية عند الرومان، وأخرج آخر الأمر أهل الغرب الأوروبى. وهذا الجنس الشريف النبيل - فى رأيهم - هو الذى صنع كل ما هو عظيم فى حضارة البشر. [2] [وهذا الاستنتاج الأخير هو نقطة الوهم العنصرية الأوروبية]

- وقد تناول الألمان [هذا الوهم] ومازالوا يحورون فيه حتى استبدلوا مصطلح الجنس الهندى الأوروبى بمصطلح الهندى الجرمانى، وجعلوا الموضع الذى تربت فيه أحسن فصائل هذا الجنس «بوميرانيا» هى مهد بروسيا وملكها.

- وبلغ الهوس بوهم امتياز الجنس الآرى أو الهندى الأوروبى أو الهندى الجرمانى أن مؤلفا إنجليزيا يسمى «هيوستون ستيوارت تشيمبرلين» افتن بمواهب الجنس الألمانى فكتب عن الجنس الآرى أو الهندى الجرمانى كتابا جعل عنوانه: أسس القرن التاسع عشر The Foundation of The Nineteenth Century ضم فيه دانتى وعيسى بن مريم - عليه السلام - إلى الآريين، أى الهنود الجرمانيين. [3]

- ثم يجيء «أرنولد توينبى» ليهدم هذه النظرية من أساسها بطريقته الفذة فى نقد القضايا بميزان الإحصاء الذى لا يخطيء، فيقول: إن علماء الأجناس يقسمون الجنس الأبيض إلى أقسام، على أساس نماذجهم الخلقية، فمنهم ذوو الرءوس الطويلة، وذوو الرءوس المستديرة، وفيهم البيض وفيهم السمر، إلى آخر هذه التنوعات.

- وينتهى الأمر «بأرنولد توينبى» إلى تقسيم الجنس الأبيض الى ثلاث فصائل هى: «النوردية» Nordie، و«الألبية» ALpin، والبحرية المتوسطة [4].

(٢) حسين مؤنس: الحضارة، دراسة فى أصول وعوامل قيامها وتطورها، عالم المعرفة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، الطبعة الثانية جمادى الأولى ١٤١٩هـ سبتمبر ١٩٩٨م ص٤٧.

(٣) حسين مؤنس: المصدر السابق ص ٤٧، ٤٨.

(٤) حسين مؤنس: المصدر السابق ص٤٨.

- وكل فرع من هذه الفروع أسهم في إبداع عدد من الحضارات المتشابكة أو المتقاربة.

- فأما النورديون، أي الشماليين فقد أسهموا في أربع حضارات وربما خمس هي: الهندية والهيلينية (أي الإغريقية) والغربية والروسية القائمة على المسيحية الأرثوذكسية وربما الحيثية.

- وساهم الألبيون في سبع حضارات - وربما تسع - هي: السومرية والحيثية والهيلينية والغربية والروسية، وأصلها الذي انطلقت منه وهي الحضارة المسيحية الأرثوذكسية والحضارة الإيرانية، وربما المصرية والميناوية.

وساهم الجنس البحري المتوسطي في عشر هي: المصرية والسومرية والميناوية والسريانية والهيلينية والإغريقية والمسيحية الأرثوذكسية والإيرانية والعربية والبابلية.(*)

●●●

- وإذا كنا نستطيع أن نخرج بشيء إيجابي من ذلك الإحصاء، فإننا سنخرج بأن نصف حضاراتنا قامت بمشاركات من أكثر من جنس واحد.

فكل من الحضارتين الغربية واليونانية ساهمت في إقامة صرحها ثلاثة أجناس، وإذا نحن قسمنا الجنسين الأصفر والأسمر إلى فصائل فرعية، كما فعلنا مع الجنس الأبيض لأمكننا أن نخرج من ذلك بالقول بأن كل حضاراتنا قامت بمساهمات أجناس مختلفة، وأننا لا نجد جنسا منفردا قام وحده ببناء حضارة كاملة.

- وهذا من شأنه دحض النظريات العنصرية الأوروبية من أساسها..

- هذا - أولا.

- وأما - ثانيا - فإن هذا الاحصاء الدقيق يدحض القول بأن الجنس الأبيض ينفرد وحده بصنع الحضارات أو معظمها، ويؤكد أنه وهم لا يقوم على أساس علمي. وأن نظرية تميز جنس على جنس إنما هي نظرية تشويه وتزييف لحقيقة بناء التاريخ الحضاري.. بل إننا عند الحساب الدقيق نجد أن الجنس الأبيض لم يسهم بأكثر مما أسهم به غيره!!

***

(*) حسين مؤنس: المصدر السابق ص ٤٨، ٤٩. وانظر: عزيز السيد جاسم: تأملات في الحضارة والاغتراب. ص١٨ وما بعدها. نشر: وزارة الثقافة والإعلام. ط١/ ١٩٨٦، بغداد.

الفكر الإسلامي المعاصر وتيار التقابل الصراعي في المجتمع الإسلامي

للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومي


جمال الدين الأفغاني

من القضايا التي شغلت بال الباحثين والمفكرين العرب «الفكر العربي الإسلامي».. ازدهاره في الماضي، وتعثره في الحاضر. فلا جدال في أن ازدهاره في فجر الإسلام وضحاه قام على عدة عوامل: القرآن والسُنة والاجتهاد ثم انفتاحه على الثقافات السائدة في عصره.

أما في العصور الحديثة فإن هناك التحديات الثقافية والفكرية التي يواجهها العرب والمسلمون منذ الماضي ولم تزل تطل برأسها، حتى بات أثرها واضحا على الفكر الإسلامي الحديث، واشتد وقع تأثيرها عما حدث في الماضي؛ أما الانفتاح في الحاضر فلقد غلبه منطق الغلبة متعاليا على منطق الحكمة ومواثيق الأمم المتحدة وذلك لانقسام العالم بين سيد ومسود وغالب ومغلوب ثم الطامة ازدياد شطط العولمة، معتمدة على جبروت مالديها من أسلحة.

وإن أيا منهم مهتم بشئون الفكر الإسلامي الحديث، سيلحظ طغيان النزعة الاحتجاجية، والاتجاه السجالي الجدلي الذي يطبع غالب نتاج كتبه ورسائله. فالفكر الإسلامي الحديث، في مضمونه الثقافي، وتعبيره الفكري والحضاري، رد فعل معلن ومضمر، على حضور «الفكرة الغربية» في حياتنا المعاصرة، على شتى الصُعد، وهو محاولة شاملة لإضعاف شأنها، وتفتيتها ومحاصرتها والقضاء عليها. هذه النشأة الملتبسة، جعلت المفكرين والإصلاحيين الإسلاميين يحبسونه في خانة رد الفعل، ولا يطلقون حركته فهذا جمال الدين الأفغاني يرد على الدهريين، وعلى رينان، ومحمد عبده

يساجل هانوتو وفرح أنطون[1].

من قضية رد الفعل الثقافي الإسلامي على فعل الهجمة الغربية الشرسة رتب عليها صاحب كتاب الحوارات: «العولمة والممانعة الإسلامية حوارات في النهضة والحداثة» بعض النتائج هي في الغالب إسقاطات منه لا تسلم له بها المقدمات التي ساقها، وتلك الإسقاطات هي كما يقول: «فالفكر الإسلامي الحديث فكر أيديولوجي محض أو هكذا نشأ، ثم أخذ يعلل عدم قدرته على التفاعل الأصيل والحيوي بثلاثة أسباب هي:

١ ـ ليس هناك حركة كشف علمي يستند إليها، بوصفها خلفية منهجية.

٢ ـ ولا رواق فلسفي يحكم بناء نسقه النظري.

٣ ـ كما أنه من حيث الرافد يلي عصوراً من الانحطاط، مرت بها الثقافة العربية ـ الإسلامية فجاء في بعض جوانبه، استمراراً لمناحيها التقليدية.

ثم رتب على إسقاطاته بعض النتائج التي تدين حركة تطور الفكر العربي وهي كما يقول: هذه الأسباب مجتمعة حدت من قدرته على الفعل، وأضعفت لديه روح التوثب والنهوض والإبداع.

ثم نراه يخالف ما أسنده إلى الفكر الإسلامي من ضعف الأسباب التي ذكرها سابقاً التي لخصها في كون «الإسلام أيديولوجي» وأسند ضعفه إلى شأن عام عبر عنه بقوله: وإنه ليس بدعاً في جموده وضعفه، إنما شأن الفكر الإسلامي الحديث في



الشيخ/ مصطفى عبدالرازق



الشيخ/ عبدالعزيز جاويش

هذا، شأن الاتجاهات الفكرية الأخرى، «أي اتجاهات يعني...» التي لا يمكن أن تعزل زمن تشكل ماهياتها المعرفية ومناهجها النظرية، عن وضعية التأخر التاريخي، فنهوض أفكارها وتطورها وحداثتها، لم تكن نتيجة معاناة وتململ داخلي، بل كانت استلهاماً من معطى ثقافي خارجي، هو ثقافة الغرب وفكره».

لذلك لا نشايع الأستاذ على العميم فيما ذهب إليه من أن مرحلة الردود التي أشار إليها تنطوي على ضعف ثقافي، إنما هي في نظرنا إبراز للأصالة والثقافة وتفاعل حتى مع الآخر وتمهيد للصحوة الثقافية وما أشار إليه الباحث من أسباب هي في الواقع تمثل مراحل تاريخية طارئة عارضة أما عن تأسيس الفكر الإسلامي المعاصر فهو مرحلة سابقة على الرد والنقد وهذا ما التفت إليه أخيراً مثل الإمام الشيخ مصطفى عبدالرازق في زيادته في كتابه: «التمهيد في الفلسفة الإسلامية»، والشيخ عبدالعزيز جاويش في كتاب: «الإسلام دين الفطرة».

(١) العلمانية والممانعة الإسلامية من ص ١٠ على عميم وهو مجموعة حوارات في النهضة والحداثة، أجرى الحوار الأستاذ على العميم مع مجموعة من الفكرين ذوي مشارب ثقافية مختلفة، وهو في جملته مرآة بصرية.

وإذا كان الإسلاميون، طوال العقود الماضية، منشغلين بنقد ونقض الطروحات العلمانية، على مختلف توجهاتها، فإن النقد العلماني للأفكار الإسلامية: سلفيها وإصلاحيها وأصوليها جاء متأخراً، بعد أن كانت شبه مهملة، دراسة وتأملاً، ونقداً حجاجاً، من قبل الدارسين والباحثين والمفكرين الذين ينتسبون إلى دائرة التفكير العلماني، وهو نقد كان في بدايته نقداً «خارجيا» ثم تطور إلى نقد يستبطن آليات هذا الفكر من «الداخل».

نذكر مثالاً ذكره عبدالله النفيسي وهو من المفكرين الإسلاميين المحدثين من المعنيين بالحداثة ومثاله ولا شك يدخل في إطار الملق الثقافي بين تيارين متقابلين متصارعين على مدار التاريخ الماركسي، وهو كما يقول ينبغي التفريق هنا بين سعيين:

سعي الماركسيين الخلّص، للبحث في الإسلام عن مضامين فكرية وعقائدية، تتيح لهم الانبثاث في أوساط المسلمين، رافعين شعارات إسلامية، وملتزمين ضمناً بنظريته المادية الإلحادية.

وسعي الإسلاميين الخلّص للبحث عن مضامين وأبعاد اجتماعية، في دعوة الإسلام: «توزيع الثروة ـ العدالة الاجتماعية ـ الشورى السياسية وغير ذلك» لنشرها من جهة، ولتطويق المسعى الماركسي من جهة أخرى. السعي الأول هو المستنبت وأما الثاني فهو الأصيل[2].

من هنا، يعلق عبدالله النفيسي تعليقاً يدخل في صميم النوايا والأهداف بقوله: لا أطمئن كثيراً للمقولة، لا لأنها فكر جديد، فهي ليست كذلك، ولا لأني أؤمن بنظرية المؤامرة وصلاحيتها في تفسير الأفكار ونشوئها، ولكن لأن لدىّ معلومات مؤكدة تطعن في المقولة من حيث إن المقولة هدفها شق صف الحركة الإسلامية، والدعوة الإسلامية، وأن أصحابها لا يتعاطفون مع قضية الإسلام.

يقول النفيسي: مضيفاً على حركة النقد العلمي للطرح الإسلامي المعنى الإيجابي مهما بدا المعنى ضئيلاً مهما كان مصدره ـ فإنه يمكن الاستفادة منه، بل وتوظيفه لصالح الحركة الإسلامية، كل ذلك يعتمد على فهمنا له، وحسن تعاملنا معه، طبعاً هناك نقد المشفق، والمراقب الموضوعي، والشامت، والكاره، والمتصيد، فلكل نقد دوافعه ومنطلقاته وأهدافه، ومع ذلك اعتقد بأن النقد الذي يوجه للطرح الإسلامي ـ أياً كان مصدره ـ ممكن الاستفادة منه ومن وجوه شتى وكان من الممكن للصحوة الإسلامية أن تفيد من النقد ولكن عزوفها عن الاهتمام بشئون الفكر المنهجي، وإهمالها مسألة التأصيل النظري فوت عليها ذلك الاهتمام

(٢) العلمانية والممانعة الإسلامية محاورات النهضة والحداثة ص ٣٣.

ولعدم الاهتمام بالتحليل النقدى للصحوة الإسلامية جعل بعض الباحثين يؤكد أن إهمالها لدراسة النقد الذى وجه لها هو الذى أضعفها وليست كما يقال: إن الظروف السياسية، التى عاشتها الحركة الإسلامية، من حسن البنا إلى سيد قطب، كانت مسئولة عن تراجع الفكر الإسلامى، وجنوحه للتصلب والتشدد فإن القهر السياسى اشتد عنته على كل الأمة وليست الحركة الإسلامية هى الفيصل السياسى والعقائدى الوحيد فقد نال الشيوعيون ما نال الإسلاميين.

إنما فيما نرى أن تشدد الخطاب الأصولى وتصلبه، وقابليته للانزلاق للعنف كان وراء كل التيارات الدموية وهو ليس الخطاب الإسلامى العام.

ولكننا لا نعفى مسئولية الواقع سياسياً واجتماعياً واقتصادياً، وهذا هو الثاوى خلف الرؤى والتحليلات. ولكن جون[3] اسبوزيتو يرى أن الفشل السياسى وراء إضعاف الفكر الإسلامى يقول باختصار يمكن القول: إن الأسباب هى الفشل السياسى، لأكثر من تجربة فى المجتمعات الإسلامية.. وهنا تبرز قضايا الشرعية، والمشاركة السياسية، والقضايا الاجتماعية والاقتصادية: كالفقر وسوء توزيع الثروة. إضافة للأسباب الدينية والثقافية. وتأثير الحضارة الغربية، وتجربة التغريب.



الشيخ/ حسن البنا

فـفـشـل القـومـيـة العربية، وفشل عدة أشكال من الأنظمة القومية العلمانية، أبرز قضية أساسية: وهى قضية الذاتية التى، تجد التعبير عنها، من خلال إعادة التأكيد: على أن الإسلام: هو المصدر الرئيسى للهوية والأيديولوجيا. والدعوة للعمل بالإسلام، من الناحية الاجتماعية والإسلامية.

أما ما يقال عن الإسلام من مزاعم بأنه تهديد وإرهاب. دعوى مزعومة لا يؤيدها الإسلام ولا حضارته، إنما هى الظروف التاريخية الاستثنائية لواقع الدولة الإسلامية وما يجرى فيها من محاولات كبت الناس، أو كتم أصواتهم بالقمع، هو المسئول عن دفعهم إلى مزيد من التطرف أى رد فعل وخلق دوامة عنف، وعنف مضاد فهى تيارات عنف الإسلام منها براء.

ولقد برئ الإسلام من الذين يسخرون الإسلام لأغراضهم السياسية. وهناك فرق بين أتباع الإسلام ومن يسخرون الإسلام لأغراضهم السياسية.

(٣) العلمانية والممانعة الإسلامية محاورات النهضة والحداثة ص ٣٢.

سياسة تغريب المسلمين فى شرق إفريقيا

للأستاذ الدكتور
عبدالله نجيب محمد(*)

التغريب بمعناه العام هو عمليات مقصودة، يقوم بها أفراد أو مؤسسات أو دولة أو عدة دول بهدف تحويل أفراد أو مجتمع ما عن ثقافتهم الأصلية، وإكسابهم ثقافة الغرب وأساليبه فى التفكير والسلوك، باستخدام وسائل مختلفة أهمها اللغة والتعليم، والنتيجة هى الانتقال إلى معايير وقيم ثقافية مغايرة، والتخلى عن مجموع الحقائق الاجتماعية التى يشترك فيها جميع أفراد المجتمع [1].

هذا وقد بدأت السيطرة الاستعمارية تطرق أبواب القارة الافريقية منذ القرن السادس عشر على أيدى البرتغاليين، وتسارعت مع أوائل القرن التاسع عشر حتى شملت معظم أرجاء القارة.

فرضت القوى الاستعمارية على معظم الدول الأفريقية التوجه نحو ثقافة المستعمر ولغة المستعمر، وظلت هذه السياسة حتى بعد خروج الاستعمار، متمثلة فى لغات رسمية أجنبية؛ وكان لهذه السياسة المعروفة باسم التغريب أو التطبيع الثقافى، كان لها على المدى البعيد آثار بالغة الخطورة، فقد هدفت هذه السياسة إلى انتزاع روح القارة ومعنى وجودها أصلاً، ومحو الشخصية الافريقية [2].

تطورت أولويات الغرب منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر، فعملوا على نشر المسيحية بين أبناء القارة، وبخاصة فى المناطق الداخلية البعيدة عن السواحل فى شرق افريقيا، مما أدى إلى حرمان جماعات المسلمين من الهجرة واتخاذ مواطن جديدة، بل وحدّ فى كثير من الأحيان نطاق انتشار وامتداد نفوذ الدين الإسلامى، وعمل المستعمرون على عزل الإسلام فى المنطقة الساحلية.

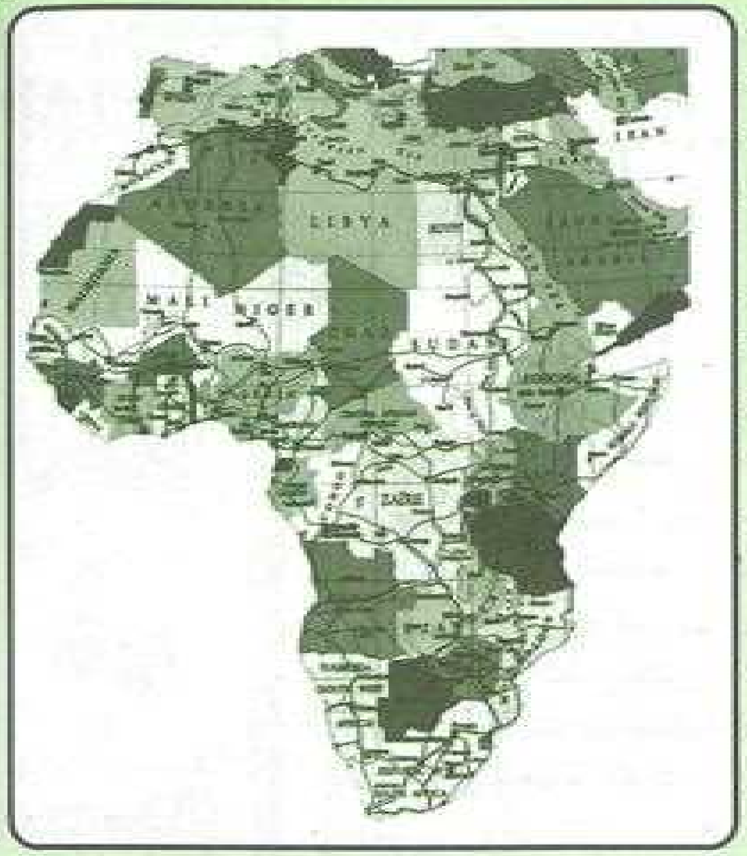
وكان الناس يسيرون سيراً حثيثاً نحو التخلى عن العشائرية والقبلية إلى الدولة السواحيلية التى امتدت عملياً من جنوب الصومال إلى شمال موزمبيق، إلا أن

(*) الكاتب: أستاذ متفرغ بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية جامعة القاهرة، وممثل جمهورية مصر العربية فى المجلس الاقتصادى والاجتماعى والثقافى بتجمع دول الساحل والصحراء.

(١) راجع: حسن سعفان، علم الإنسان، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٨٠، ص ١٤.

(٢) راجع الثامن بابا كيتا: قضايا إفريقية، التحديات الحالية والمستقبلية، الجزء الأول، القمة، مطبعة التقدم ١٩٩٢.

السياسة الاستعمارية قطعت مسيرة التطور إلى هذه الغاية وعمدت إلى التفريق بين السكان، وقسمت المنطقة إلى عدة دول هى كينيا وتنزانيا وأوغندا.



ورغم تحقق الاستقلال لهذه الدول، إلا أن مشكلات مادية وروحية مازالت تقف عقبة أمام الوحدة الوطنية ومازال الغرب والتعليم الغربى يخلق الافريقى الذى ينظر إلى الأشياء من خلال ما تعلمه من قيم الغرب الثقافية.

ومما زاد الأمر تعقيداً أن النخب الحاكمة، ومعظمهم من العسكريين، كانت غالبا من الطبقة التى تثقفت بثقافة غربية، ومن ثم وقفت موقف المعارضة أمام طموحات وآمال ورغبات القطاعات العريضة من شعوبها، وحاولت فرض آرائها وأساليبها وثقافتها.

فى ظل هذه الظروف ازداد التأثير الغربى والتدخلات الغربية لتحقيق أهداف التغريب الثقافى، واعتمد الغرب فى ذلك على وسائل مؤثرة وشديدة التأثير، منها: التعليم والخدمات الصحية والمساعدات والإغراءات المادية.

كل هذا يدعمه السيطرة الاقتصادية الغربية، بل والنفوذ السياسى ومحاولات الغرب المستمرة لتأخير الاندماج الوطنى وخلق الحروب المحلية واصطناعها.

فى المجال الدينى حاول المبشرون القضاء على الأديان التقليدية، والوقوف فى وجه الإسلام ونلاحظ أن الدافع الدينى كان فى مقدمة الدوافع التى دفعت البرتغال للقيام بنشاطها الكشفى فى أفريقيا بغرض مطاردة المسلمين وتعقبهم بعد طردهم من شبه جزيرة أيبريا ولجوئهم إلى ثغور شمال أفريقيا، وكذلك الوصول إلى أثيوبيا المملكة المسيحية الأفريقية، وذلك بهدف التعاون معها لتطويق المسلمين، وانتزاع التجارة من أيديهم. كذلك قامت ألمانيا بجهود

فى مجال التبشير وبخاصة[3] بعد ثورة (الماجى ماجى) فى تنجانيقا التى حاول فيها السكان التخلص من الاستعمار الألمانى ثم عاودت المسيحية جهودها فى شرق أفريقيا بعد أن سيطر الإنجليز على زنجبار سنة ١٨٤٠م، وقام المبشرون بالاستقرار فى عدد من المناطق الساحلية، وترجم الكتاب المقدس إلى السواحلية، واتجهت جهودهم خاصة إلى نشر المسيحية فيما يلى الساحل، وتأسست بعثة كاثوليكية عام ١٨٦٠م على الساحل، واستقر آخرون فى تنجانيقا «تنزانيا الآن»، وفى كينيا، وتطرقوا إلى أوغندة عام ١٨٧٤م بعد اكتشاف منطقة البحيرات العظمى، وساهم البلجيك والإنجليز والأمريكيون فى إرسال بعثات متعددة إلى المنطقة.

وكان من بين أهداف التبشير أن يمحق ثقافات الشعوب أو يحورها إلى ثقافة غربية هزيلة ممسوخة لا ترقى بالشعوب إلى مستواه، وإنما تجعلها أكثر قبولاً وخضوعا للتوجيه وفرض الإرادة.

كانت اللغة السواحلية قد تطورت على مدى عدة أجيال وانتشرت فى مناطق شاسعة، حيث حملها التجار ورجال العلم والثقافة حيث حلوا، فانتقلت معهم إلى أواسط القارة فى شمال تنجانيقا وبوروندى وزامبيا وبعض المناطق فى زيمبابوى وفى أوغندا؛ بالإضافة إلى الصومال وجزر القمر وجزيرة مدغشقر وأصبحت هذه اللغة الإسلامية لغة التعامل فى شرق إفريقيا، إلا أن المستعمرين قد عمدوا إلى إزالة شكلها العربى باستبدال حروفها العربية بالحرف اللاتينى، وفى مرحلة تالية عمدوا إلى نشر الإنجليزية واستخدامها فى التعليم والإدارة كبديل عن السواحلية.

وكرد فعل لهذه السياسة، بدأ الناس يشعرون بضرورة العمل على استعادة الشخصية القومية والهوية والذاتية الثقافية، وبدأ الأدب فى كل أغراضه يقوم بدور فاعل فى هذا المجال.

قام الأفارقة من غير المسلمين بمقاومة التغريب فى آدابهم وأشعارهم فيما سمى الحركة الوطنية الزنجية، من ذلك على سبيل المثال قصة «أوكول بيتيك»، «أغنية لاوينو»[4] التى تجد فيها إمرأة شابة تلقَّى زوجها «أوكول» تعليما غربياً، فتحول بيتهم إلى مسرح للصدام بين الثقافة الإفريقية التقليدية التى تمثلها «لاوينو» والثقافة الحديثة التى يمثلها «أوكول». أوكول يلقى سلسلة من الاتهامات على زوجته متهماً إياها بأنها لا تستطيع أن تؤدى الرقصات الأجنبية مثل الرومبا والسامبا، وهى تصفف شعرها

(٣) راجع: John, Iliffe, (The Age of Improvement and Diffraction in a History of Tanganyika) Heinemann, London, 1971. P.13.

(٤) مجلة لوتس، يوليو ١٩٧١.

بطريقة عتيقة، وليس لها اسم مسيحي، ولاوينو تتوسل إلى زوجها أن يفهمها ويحترم ثقافتها الافريقية وتحاول أن تجعله يقدر جمال الرقصات التقليدية وطريقة تصفيف شعرها، وأن اسمها له معنى، أما الأسماء المسيحية فتفتقر إلى هذا النوع من المعنى، تقول لاوينو:

قرأ زوجي الكثير من كتب البيض

قرأ في شتى المجالات، وقرأ بعمق

إنه يضاهي البيض في عمله

ولكن القراءة قتلته

عزلته عن شعبه

فغدا كجزع شجرة

بلا جذور

ويقدم «جوزيف بورجا» في قصة «الكوخ المهجور»[*] صورة أخرى، يصور فيها المرأة الإفريقية المقلدة للثقافة والقيم وأساليب الحياة الأوروبية، فرجل يسأل إمرأة تسمى «باسيا» عن سبب رفضها له، وبدون أن ينتظر إجابتها، يخبرها أنه يفضل ثقافته ويكره تزييفها بقيم غربية مثل تلك التي أفسدتها.

كذلك قام كتاب الروايات بتصوير حياة الناس وثقافتهم الأصيلة وعرضية الآخر الأوروبي، وعيوب الثقافة الغربية التي تدفع إلى شهوة المال والنهم والمتع الحرام، وقد عرف الجميع على سيمفونية هذه الملحمة تأكيداً للذات واسترجاعاً واسترداداً لها، فهي ترسم الواقع الافريقي كما يراه الإفريقي من الداخل ولكن الحاضر أخذ يلقي بثقله على الرواية السواحيلية في فترة متأخرة، فجعل الأدب السواحيلي يصور الوطن الرازح تحت عبء القهر والفساد الذي مارسه الحكام المتأثرون بالثقافة الغربية، الرازحون تحت عبء المادية وشهوة المال والنهم إلى المتع الحسية.

لقد سعى الاستعمار إلى قطع صلات الإفريقيين بماضيهم وتقاليدهم، مما أدى إلى خلق نوع من الخلل الثقافي، حيث أرغم الافريقيون على تعلم لغة جديدة واعتناق دين جديد وأساليب فكرية جديدة وكان التعليم الاستعماري في لحمته وسداه وسيلة للغزو والقهر وقطع الصلة بين الماضي والحاضر مما أدى إلى خلق نوع من الانفصام في الشخصية والهوية الوطنية مازالت آثاره قائمة حتى الآن.

أما المسلمون السواحيليون، فقد ظلوا يشعرون أن ثقافتهم أرقى وأسمى مما جاء به الغربيون، ولكنهم واجهوا مشكلات من قبيل العلمانية والفصل بين الدين والدولة وإهمال الشريعة الإسلامية، والفساد الذي استشرى بين الشباب والشابات، والنزعة المادية والفردية وافتقاد التكافل الاجتماعي وغير ذلك، وهو ما قام الأدباء بالتعبير عنه في إنتاجهم الأدبي على جميع الأصعدة، مع الدعوة في الوقت نفسه إلى التمسك بتعاليم الإسلام وأصوله ومبادئه.

(*) راجع: كلود فوتيه. إفريقيا للإفريقيين. د أحمد كمال يونس. دار المعارف. المكتبة الإفريقية ١٩٧٨ ص ٧٧.

خطوات هادئة

أزمة الحضارة الغربية

للدكتور/ حمدي فتوح والي

إن الرجل الأوروبي يدرك أن قيم الحق والعدل والكرامة ليست من حقوق الإنسان لأنه إنسان، بل لأنه يحمل سلاحاً يعطيه هذا الحق، وإن لم يعطه ممن حوله، فإنه سيطلبه بقوته وقهره. ولعل هذا يفسر لنا السر في حرص الإنسان الغربي على تملك السلاح وتطويره بصورة جنونية لأنه يشعر بأنه سيفقد الكرامة والعدل والحق، إذا ملك غيره مثلما يملك أو أكثر. فإذا استحضر هذه الصورة وأدرك أن غيره سيسبقه فقد السيطرة على نفسه وأصيب بما يشبه الجنون. وما نراه من أفعال أمريكا اليوم – وحرصها على تملك أقوى الأسلحة مع إصرارها على تجريد العالم كله من سلاحه. هو التطبيق العملي لمفهوم الحضارة الغربية: التي لا تعرف الإنسان إلا قويا ظالماً، أو ضعيفا مظلوماً. أما أن تعرفه أخاً أو صديقا، أو شريكا في صناعة مستقبل الأرض فهذا ما لم يخطر لأبناء الحضارة الغربية على بال.

ومن يقرأ المقالة الشهيرة التي كتبها الكاتب الأمريكي المعروف «هنتنجتون» بعنوان «صدام

> **إن العالم اليوم في حاجة إلى حضارة تنتج إنساناً يشعر إذا مشى بين الناس بأنه آمن. ليس لأنه يحمل سلاحاً لا يحمل غيره مثله، بل لأن له مفهوماً عن السلاح والإنسان مخالفاً للمفهوم الذي كان للحضارة الغربية التي آذنت شمسها بالمغيب.**
>
> **إن الحضارة الغربية لا تعرف سبيلا لسيادة الأرض إلا بإخضاع الإنسان لإرادتها، وقهره لقوتها. فالغربي لا يمكن أن يتصور العيش إلا قوياً ظالماً، أو ضعيفا مظلوماً؛ لأن فلسفته الحضارية التي نشأ في ظلها ووضع لبانها قامت على أساس من هذا الفهم.. فهم تنازع البقاء، أو البقاء للأقوى.**

الحضارات، والتي يؤكد من خلالها مفهوم تنازع البقاء، وحتمية الصراع، يدرك طبيعة التفكير لدى رجال الإدارة الأمريكية، ويعرف نوعية الثقافة التي تغذي في عقولهم معنى الهيمنة والتسلط والاستعلاء والغرور لأن الفلسفة الغربية لا تعرف الآخر إلا مخاصماً عنيداً، أو تابعا ذليلاً. ولهذا لم يكن غريبا - نتيجة هذا الفهم الخاطئ وتلك التصورات المجنونة - أن يوقع أبناء تلك الحضارة المنحرفة بالبشرية حربين عالميتين في أقل من أربعين عاماً، دفعت البشرية ثمنها عشرات الملايين من الأرواح، ورأينا الضمير الأمريكي لا يتورع عن إطلاق قنبلتيه الذريتين على مدينتين من أكبر مدن اليابان، ليحيلهما إلى جحيم، ويحول أجساد ساكنيها إلى وقود لتلك النار، بضغطة على «ذر» في حالة غضب أهوج يغذيه حقد أثيم. وما يقع اليوم من قصف مواكب الأفراح في أفغانستان وقتل المئات تحت أنقاض مصنع الأدوية في السودان ودفن المئات من النساء والأطفال والشيوخ تحت جدران البيوت في ليبيا وفي العراق. كل ذلك يجعلنا نتساءل: هل بهذه العقلية الوحشية يمكن أن يحكم العالم؟ وهل يؤتمن هؤلاء على مصير الأرض وحياة الناس؟!

وهذه التساؤلات تدفعني إلى سؤال آخر من نوع جديد: فأقول: هل كان بالإمكان أن يقع ذلك من قلب عرف ربه، وأدرك هيبته، وقدّره قدره، واستشعر جوعه إليه ووقوفه بين يديه، ليسأله عما جنت يداه؟

لقد قارنت بين حال هؤلاء القوم وبين حضارة الإسلام وشعرت بقلبي يكاد يقفز من بين جنبي إجلالاً وحباً وإعجاباً وشوقاً. وأنا أرى رسول الله ﷺ يثبت واقفا إجلالاً واحتراماً عند مرور جنازة - وعندما يخبره أحد أصحابه بأنها لرجل يهودي. يقول ﷺ: «أليست نفساً».

إن للنفس في الحضارة الإسلامية قداسة لا تدانيها قداسة الكعبة، التي هي حرم الله وقبلة المسلمين. بل إن رحمة الإسلام لا تقف عند حرمة النفس البشرية وإنما تتعداها إلى نفوس الحيوانات والطيور والدواب. فهذه امرأة تدخل النار في هرة حبستها، لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض.

وكما كان تعذيب «قطة» سبباً في استحقاق نار جهنم، كان سقي كلب سببا في دخول صاحبه الجنة. إنها روعة الإسلام ورحمته التي استحق بها أن يكون خير شريعة عرفتها البشرية، وخير منهج عرفه الناس.

ومع وضوح الصورة من خلال المقارنة ونصاعة القضية، فإن العجب يشتد عندما تلمس براعة الإعلام الغربي وقدرته على قلب الحقائق، وتبادل الأدوار، فينعت الإسلام بالإرهاب والوحشية وسفك الدماء. مستغلا براعته وأجهزته في إخفاء فعله وتبرير

جرائمه. ورصد دفاع الضحية وجعله هجوما. غير شاعر بألم النفس أو وخز الضمير.

إن أزمة الحضارة الغربية تكمن في إلحادها وإقصائها للدين فمما لا شك فيه أن دين أوروبا اليوم، الذي يملك عليها القلب والمشاعر، ويحكم على الروح، هو المادية لا النصرانية، كما يعلم ذلك كل من عرف النفسية الأوروبية، واتصل بالأوروبيين عن كثب لا عن كتب، بل وعن كتب أيضا ولم ينخدع بالمظاهر الدينية التي تزيد في أبهة الدولة، والتي يجد فيها الشعب ترويحا للنفس وتنوعاً، ولم ينخدع بزيارتهم للكنائس أو حضورهم في تقاليدها[1].

وهذا ما يؤكده واحد منهم عاش بينهم، وراقب أمورهم، واستبطن سبب الداء الذي تمكن منهم، فحولهم إلى قطيع يركض بلا هدف كما تركض القطعان.

يقول المؤرخ الإنجليزي: «أرنولد توينبي»:

«إن أزمة الحضارة في الغرب هي «الدين»، ولا يمكن إنقاذ تدهورها إلا بالدين، ذلك أنها مصابة بالخواء الروحي، الذي يحول الإنسان إلى قزم مشوه يفتقد عناصر وجوده الإنساني، ويعيش الحد الأدنى من حياته، وهو حد وجوده المادي فحسب. مما يصيبه بأمراض السأم الروتينية، وفقدان الهدف من كل ما يأتي من أفعال. خواء روحي يحول المجتمع إلى قطيع يركض بلا هدف، كما تركض القطعان، دونما تفحص لمعنى مسيرته الهوجاء، كما يضطر المدركون أحيانا إلى إعلان انشقاقهم عليه»، وهو بجملته الأخيرة يشير إلى إعلان كثير من مفكري الغرب لمعارضتهم لأسلوب الحضارة الغربية، واستنكارهم لمسلكها الشائن المخيف في طريقة التعامل مع أهل الأرض فيقول هذا المؤرخ نفسه معلناً كراهيته لهذه الحضارة ومسجلاً عليها بعض فظائعها التي لمسها بنفسه ولمسها معه أهل الأرض جميعا:

«إن لديّ سبباً هائلاً لكراهية الغرب، فمنذ شببت عن الطوق (وأنا الآن في الخامسة والسبعين)[2] اشتبك الغرب في حربين عالميتين، وأخرج للدنيا مذاهب الفاشية والشيوعية، والاشتراكية، والقومية. كما أخرج موسوليني وهتلر ومكارثي - وهذه الكبائر الغربية تجعلني أنا الغربي أشعر بالقلق وعدم الأمان.

لقد اقترف رفاقي الغربيون من أهل ألمانيا جرائم كثيرة فكيف أضمن أن مواطني الإنجليز، لا يمكن أن يقترفوا مثل هذه الجرائم.. بل إننا اقترفنا بالفعل جريمة قتل

(١) أبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ٢٥٧.

(٢) كتب ذلك في نهاية العقد الخامس من القرن الماضي.

بضعة آلاف من المدنيين العزل فى بورسعيد سنة ١٩٥٦م فما الذى يمكن أن أتعفف عن اقترافه بعد هذه الجريمة النكراء»(٣).

وإذا كان هذا الرجل قد ملك الجرأة ليعلن كراهيته لهذه الحضارة الشيطانية الخرقاء، فاكتفى بنقدها وإبراز عيوبها فإن رجلاً آخر من أهل الغرب كان أشد منه جرأة وأرجح عقلاً عندما تخطى مجرد النقد إلى إعلان انضمامه إلى الحضارة الأعظم والأقوم، والتى تنزهت عن الظلم والهوى، لأنها حضارة تستمد مبادئها من الوحى، وتصوغ أحكامها من لدن حكيم خبير. إنه المفكر النمساوى «ليوبولد فايس» الذى اهتدى إلى الإسلام وصار اسمه «محمد أسد» وكتب خلاصة رأيه فى كتاب أسماه «الإسلام على مفترق الطرق» وفيه يقول:

«ليس هناك خطأ أفدح من أن نعتقد أن المدنية الغربية الحديثة نتاج النصرانية، إن الأسس الفكرية الحقيقية فى الغرب يجب أن تطلب فى فهم الرومانيين القدماء للحياة على أنها قضية منفعة خالية من كل استشراف مطلق.

ويمكن التعبير عنها كمايلى: بما أننا لا نعرف شيئاً معيناً - من طرق الاختبار العلمى، والتقدير فى الحساب - لا عن أصل الحياة الإنسانية، ولا عن مصيرها بعد الموت، فإن من الخير لنا أن نحصر قوانا فى إمكاننا المادى والفكرى من غير أن نسمح لأنفسنا أن نتقيد بالأخلاق الدينية والقضايا الأدبية المبنية على دعاوى تتحدى الأدلة العلمية، إلى أن يقول: «وخلاصة القول أن المدنية الأوروبية قائمة فى أساسها على المدنية الرومانية الوثنية، وهى لم تأخذ من النصرانية التى اعتنقتها لأسباب سياسية قاهرة سوى الطلاء الخارجى فحسب، ثم إن المدنية الأوروبية لا تزال فى واقعها وثنية مادية لا تؤمن بغير القوة».

ومن هنا ندرك أن رئيس أمريكا لا يمثل النصرانية ولا ينطلق فى عداوته من مبادئها. وأن إعلانه فى وقت ما بأنها حرب صليبية جديدة. هو نوع من الدجل الرخيص لأن النصرانية الحقة هى والإسلام يخرجان من مشكاة واحدة هى مشكاة الوحى الإلهى. أما أهواء «بوش» ورجال إدارته فهى امتداد للوثنية الرومانية بكل عنفها وقسوتها وشراستها. أما إن أصر على تسميتها صليبية ليستميل بها نصارى الشرق - فإنها نصرانية صهيونية سياسية جاحدة لا تنتسب إلى المسيح، ولا تنطلق من المسيحية، ولا تقيم شيئاً من مبادئها ولاتلتزم أحكامها. ولهؤلاء الأدعياء الكاذبين من شياطين الأرض فى أمريكا وإسرائيل ممن يلعبون بمشاعر السذج، ويتاجرون بورقة الأديان السماوية تتوجه

(٣) أنور الجندى، صفحات مضيئة من تراث الإسلام، ص ٣٥٥.

بقول الخالق الحكيم، الذى يعلم بواطنهم ويفضح أسرارهم:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾(٤)

فهل يقيم اليهود والنصارى اليوم شيئاً من أحكام كتبهم كما نزلت من عند ربهم؟ وهل ما يزال للدين فى حياتهم أدنى أثر؟ وسأترك الإجابة عن هذا السؤال للفيلسوف الإنجليزى «جود» رئيس قسم الفلسفة وعلم النفس بجامعة لندن الذى يقول فى كتابه: (Guide to Modern wickedness): «سألت عشرين طالباً وطالبة كلهم فى أوائل العقد الثانى من أعمارهم. كم منهم مسيحى بأى معنى من معانى الكلمة. فلم يجب بـ«نعم» إلا ثلاثة فقط، وقال سبعة منهم: إنهم لم يفكروا فى هذه المسألة أبداً، أما العشرة الباقية فقد صرحوا بأنه معادون للمسيحية».

وإذا علمنا أن هذا الاستفتاء الذى أجراه الرجل كان فى بداية القرن الماضى - قبل أن يغرق شباب الغرب وفتياته فى مستنقع الجنس والشذوذ والمخدرات، وقبل أن تصرعهم أفلام العنف، ومشاهد الرعب، وشبكات الدعارة وعبادة الشيطان - فماذا سيكون الحال اليوم!!؟.

إن حالة الغرب اليوم مع الدين يلخصها الصحفى الأمريكى المشهور Jhon. Gunther فى كتابه: «داخل أوروبا» (Inside Europe) بقوله: «إن الإنجليز إنما يعبدون بنك إنجلترا ستة أيام فى الأسبوع، ويتوجهون فى اليوم السابع إلى الكنيسة».

تلك هى حالة القوم مع خالقهم: قلوب قاسية، وأفئدة خاوية، ونفوس كظة جافية، فماذا يرجى من قوم هذه حالهم وتلك طباعهم!.

إن ما يفعله شياطين الغرب فى الأرض اليوم هو الثمرة الطبيعية المتوقعة من قلوب حرمت من النور، وخلت من الإيمان وأقفرت من اليقين، ويئست من الآخرة «كما يئس الكفار من أصحاب القبور».

***

(٤) المائدة (٦٨)

الدين المعاملة

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

الإسلام هو دين المعاملة الحسنة، كما هو دين العبادة الحسنة، فليس الدين عبادة فحسب، وإنما إلى جانب ما شرعه الله - تعالى - من عبادات نتقرب بها إليه، شرع المعاملات التي يتعامل بها الناس بعضهم مع بعض، ودعاهم إلى التواصل والتعارف.

قال سبحانه:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ الحجرات (١٣)

وحدد الرسول صلوات الله وسلامه عليه كمال المروءة وحسن المعاملة في قوله: «من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم فهو من كملت مروءته، وظهرت عدالته، ووجبت أخوته، وحرمت غيبته» الكفاية للخطيب البغدادي.

ومن إقرار المعاملة الحسنة التأكيد على الأمانة، والتحذير من الخيانة، وخطورة الغش الذي يحطم المعاملات بين الناس سواء كان الغش بين الرعية بعضها مع بعض أم بين الحكام ورعاياهم أم بين الأفراد أو الجماعات أو الدول بعضها مع بعض، ولما كان الغش قد يؤدي إلى القتال والعدوان أعقب الرسول ﷺ التحذير منه بالتحذير من حمل السلاح على الأمة حيث قال صلوات الله وسلامه عليه: «من غشنا فليس منا ومن حمل علينا السلاح فليس منا» رواه مسلم. وعندما مر رسول الله ﷺ على صبرة من طعام وأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً، فقال: ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال: أصابته السماء يا رسول الله، قال: «هلاّ جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا».

وإقراراً للمعاملات الحسنة بين الناس تتابعت وصايا القرآن الكريم والسنة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام في بيان هذه المعاملات وشرحها وتأكيد الدعوة إليها وأخذ الأئمة والفقهاء يستنبطون من الكتاب والسنة تحديد مفاهيم المعاملات وأحكامها وتفصيلاتها حتى كانت الثروة الفقهية الكبرى التي تمثلت في الفقه الإسلامي من عبادات ومعاملات وعلاقات إنسانية وأخرى اجتماعية وعلاقات دولية، وتحدد معاملة الأفراد من بيع وشراء ووكالة وشركة وقراض وإجارة وإعارة إلخ تلك المعاملات الفقهية التي تمثل أثمن ثروة من كنوز الفكر الإسلامي

المعطاء. وحماية لحقوق الإنسان، وتأكيدا على الدعوة لحسن المعاملات، دعا الإسلام إلى نصرة المظلوم ودفع الظالم عن ظلمه فقال رسول الله ﷺ: «أنصر أخاك ظالما أو مظلوما قال: أنصره مظلوما، فكيف أنصره ظالما؟ قال: تحجزه عن ظلمه فذلك نصره» رواه البخاري.

وأكد على ضرورة الوقوف بجانب المظلوم حتى ينتصر وبجانب الظالم حتى يرتدع وينزجر، بل وضح الرسول ﷺ أن من وقف دون أن يدفع الظالم عن ظلمه وقعت عليه اللعنة حيث قال: «لا يقفن أحدكم موقفا يضرب فيه رجل ظلما فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه» رواه الطبراني.

ويؤكد الإسلام على تنقية البيئة الإسلامية من الرذائل التي تقضي على المعاملات بين الناس فيقول صلوات الله وسلامه عليه: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تحسسوا، ولا تنافسوا ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم الله تعالى، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام ماله ودمه وعرضه، إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسادكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم، التقوى ها هنا، التقوى ها هنا، التقوى ها هنا ويشير إلى صدره، ألا لا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث» رواه مسلم.

وفي سبيل التأكيد على حسن المعاملة، قرر الإسلام المحافظة على حقوق الإنسان، فحرم العدوان على النفس الإنسانية بغير حق، كما حرم الترويع والإرهاب، بل حتى مجرد الإشارة بما يرهب الناس حرمه الإسلام، فقال صلوات الله وسلامه عليه: «من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهي وإن كان أخاه لأبيه وأمه» رواه مسلم. ويوضح الإسلام خطورة الإرهاب، وأن صاحبه في غضب الله: وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يشر أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدري أحدكم لعلّ الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار» رواه البخاري ومسلم.

بل مجرد تخويف الإنسان لأخيه حرمه الإسلام، وكان الوعيد لمن أخاف مؤمنا، عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أخاف مؤمنا كان حقا على الله ألا يؤمّنه من أفزاع يوم القيامة» رواه الطبراني

وإذا كنا نؤكد على حسن معاملة الأفراد والمجتمعات بعضها مع بعض، فإن من أهم ما يجب أن نؤكد عليه حسن معاملة الدول بعضها بعض، فإن للعلاقات الدولية والمعاملات بينها أهميتها الكبرى فقد دعا الإسلام إلى السلام قال سبحانه:

﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾. الأنفال (٦١)

كما دعا إلى الوفاء بالعهود فقال تعالى:

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ النحل (٩١)

﴿ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين

● أطلعنا على الطلب المقدم من مجمع البحوث الإسلامية (مجلة الأزهر) - المقيد برقم ٢٠٢٠ لسنة ٢٠٠٣ م المتضمن: سؤال المهندس محمد محمد مرسى وهبة من القناطر الخيرية - محطة بحوث البساتين، حيث يطلب - بيان الحكم الشرعى للأسئلة الآتية:

يقول الله عز وجل:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

(الجمعة: ٩)

(١) استفسار أول:

● عن مطلع الآية الكريمة: ﴿ إِذَا نُودِيَ ﴾ ومطلع أحاديث كثيرة توحى بالآتى:

● إنه إذا صعد الإمام المنبر.

● أنه إذا أذن المؤذن لصلاة الجمعة فإن ملائكة تسجيل المصلين بباب المسجد تطوى سجلاتها.

● وأنه لا صلاة لمن دخل متأخراً بعد الآذان (أى لا جمعة).

● أريد من سيادتكم مضمون النص القرآنى ونص الأحاديث حول الفارق الزمنى بين من يسمع الآذان ثم يذهب إلى المسجد فيجد الإمام قد صعد المنبر كيف يكون موقف المصلى من صلاة الجمعة؟

(٢) استفسار ثان:

● بعض المساجد تؤذن يوم الجمعة مرة واحدة.

● بعض المساجد تؤذن مرتين مما يعطى الفرصة للمصلى أن يذهب إلى المسجد

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
علـى جمعـة
مفتى جمهورية مصر العربية

ويتخطى بذلك الاستفسار الأول جزئيا طبقا لبعد المسافة بين بيته والمسجد.

(٣) استفسار ثالث:

● ما هو المسموح به أثناء الخطبة للمصلى المستمع للخطبة خاصة وأن الحديث فى مضمونه (إذا صعد الإمام المنبر فلا حركة ولا كلام) (وأن من مس الحصى فقد لغا).

● فى نهاية رسالتى أرجو من سيادتكم توضيح المعالم والحقائق حول مؤتمر الجمعة الذى يجمع بين المصلين يوما فى الأسبوع بين المباح وغير المباح داخل مقر المؤتمر وكيفية احترام توقيت الدخول إلى هذا المؤتمر وتوضيح وإلقاء الضوء حول:

● إذا نودى.

● إذا صعد الإمام .

● من يمد يده بالسلام أثناء الخطبة.

ورد من محمد عطوة أحمد - الحادقة - الفيوم السؤالان التاليان:

● السؤال الأول: نذرت لله إذا قضيت حاجتى أن أصلى كذا ركعة.. ولكنى فوجئت بأحد المشايخ يؤكد لى أن النذر بدعة فما مدى صحة هذا الكلام؟

● السؤال الثانى: ما حكم الإسلام فى حفظ الأموال فى مكتب البريد تحديدا؟

●● الجواب:

أولاً:

١- من ذهب إلى المسجد فوجد الإمام صعد المنبر فصلاته صحيحة مادام أنه صلى مع الإمام ولكن من الأفضل أن يذهب إلى المسجد مبكرا قبل صعود الإمام على المنبر حتى يكون ثوابه كاملا إن شاء الله وقد صح فى الحديث الترغيب فى التبكير يوم الجمعة: عن أبى هريرة -رضى الله عنه- أن النبى ﷺ قال: «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فى الساعة الأولى فكأنما قرب

بدنه، ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فإذا خرج الإمام وصعد المنبر حضرت الملائكة يستمعون الذكر. «رواه البخارى ومسلم».

٢- اتفق جمهور الفقهاء على أن الكلام أثناء الخطبة حرام حتى ولو كان أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر - عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كالحمار يحمل أسفارا والذى يقول أنصت لا جمعة له. أى لا ثواب له فى جمعته».

وعن عبدالله بن عمرو أن النبى ﷺ قال: «يحضر الجمعة ثلاثة نفر، فرجل حضرها وهو يلغو فهو حظه منها، ورجل حضرها يدعو فهو رجل دعا الله إن شاء الله أعطاه وإن شاء منعه، ورجل حضرها بإنصات وسكون ولم يتخط رقبة مسلم ولم يؤذ أحدا فهى كفارة إلى الجمعة التى تليها. وزيادة ثلاثة أيام وذلك أن الله - عز وجل - يقول:

﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾

رواه أحمد وأبوداود

وقد رخص بعض الفقهاء فى رد السلام وتشميت العاطس والأولى على من دخل المسجد والخطيب يخطب أو كان الناس فى مجلس علم ألا يلقى عليهم السلام ويجلس حيث انتهى به المجلس.

ثانيا: الأذان منصوص عليه فى كتاب الله. قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

الجمعة (٩)

ولكن العلماء قد اختلفوا فى المعتبر الذى يحرم عنده البيع ويجب السعى إلى الجمعة فكان الإمام الطحاوى يقول هو الأذان عند المنبر بعد خروج الإمام، فإنه هو الأصل الذى كان متبعا على عهد رسول الله ﷺ. لما روى عن السائب بن يزيد قال: كان الأذان للجمعة على عهد رسول الله ﷺ حين يخرج فيستوى على المنبر، وهكذا فى عهد أبى بكر وعمر - رضى الله عنهما - ثم أحدث الناس الأذان على الزوراء فى عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه - فكان الحسن بن زياد يقول: المعتبر هو الأذان على المنارة، لأنه لو انتظر الأذان عند المنبر يفوته أداء السنة وسماع الخطبة وربما تفوته صلاة الجمعة إذا كان بيته بعيدا عن المسجد وعلى أية حال فالأذان هو إعلام الناس بدخول وقت الصلاة وهو صحيح وجائز،

سواء كان على المنارة أو بين يدى الإمام وننصح المسلمين بأن يبتعدوا عن الجدال والنزاع حول هذه الأمور.

ثالثا: ردا على ما ورد من السيد/ محمد عطوة أحمد.

١- النذر صحيح ويجب الوفاء به وهو مشروع وليس بدعة.

٢- فقد اختلف الفقهاء منذ ظهور البنوك فى العصر الحديث فى تصوير شأنها طبقا لاختلاف أهل القانون والاقتصاد فى ذلك التصوير فيما إذا كانت العلاقة بين العملاء والبنك هى علاقة القرض كما ذهب إليه القانونيون أو هى علاقة الاستثمار كما ذهب إليه الاقتصاديون والاختلاف فى التصوير ينبنى عليه اختلاف فى تكييف الواقعة حيث إن من كيفها قرضا عده عقد قرض جر نفعا فكان الحكم بناء على ذلك أنه من الربا المحرم، ثم اختلفت الفتوى فرأى بعضهم أن هذا من قبيل الضرورات التى يجوز للمسلم عند الاضطرار إليها أن يفعلها بناء على قاعدة «الضرورات تبيح المحظورات» أخذا من عموم قوله تعالى:

﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾

البقرة: ١٧٣

ورأى بعضهم أنه ليس من باب الضرورة حيث إن الضرورة تعرف شرعا بأنها ما لم يتناولها الإنسان هلك أو قرب على الهلاك وبعض هؤلاء رأى الجواز من قاعدة الحاجة تنزل منزلة الضرورة عامة كانت أو خاصة ومن سلك فى التكييف مسلك الاستثمار فبعضهم عدها من قبيل المضاربة الفاسدة التى يمكن أن تصحح بإجارة وبعضهم ذهب إلى أنها معاملة جديدة وعقد جديد غير مسمى فى الفقه الإسلامى الموروث فاجتهد فيه اجتهادا جديدا كما اجتهد فقهاء سمرقند فى عقد بيع الوفاء باعتباره عقدا جديدا وكما اجتهد شيخ الإسلام أبوالسعود فى عقد المعاملة وحكم بحلها كما حكم الأولون بحل الوفاء وذلك لمراعاة مصالح الناس ولشدة الحاجة إليها ولاستقامة أحوال السوق بها ولترتب معاش الخلق عليها ولمناسبتها بمقتضيات العصر من تطور المواصلات والاتصالات والتقنيات الحديثة وزيادة السكان وضعف الروابط الاجتماعية وتطور علوم المحاسبة وإمساك الدفاتر واستقلال الشخصية الاعتبارية عن الشخصية الطبيعية وغير ذلك كثير.

فالحاصل أن الخلاف قد وقع فى تصور مسألة التعامل فى البنوك ومع البنوك وفى تكييفها وفى الحكم عليها وفى الإفتاء بشأنها والقواعد المقررة شرعا:-

أولاً: إنه إنما ينكر ترك المتفق على فعله أو فعله المتفق على حرمته ولا ينكر المختلف فيه.

ثانياً: إن الخروج من الخلاف مستحب.

ثالثاً: إنه من ابتلى بشيء من المختلف فيه فليقلد من أجاز.

ومن المعلوم من الدين بالضرورة حرمة الربا حيث وردت حرمته في صريح الكتاب والسنة وأجمعت الأمة على تحريمه قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

البقرة (٢٧٥)

وقال رسول الله ﷺ: «لعن الله آكل الربا ومؤكله وشاهديه وكاتبه» رواه البخارى ومسلم.

ولكن الخلاف حدث فيما إذا كان هذا الحاصل فى واقع البنوك من قبيل الربا المحرم شرعًا أو أنه من قبيل العقود الفاسدة المحرمة شرعًا أيضًا أو أنها من قبيل العقود المستحدثة والحكم فيها الحل إذا حققت مصالح أطرافها ولم تشتمل على ما حرم شرعًا.

وبناء على ما سبق: فإنه يجب على كل مسلم أن يدرك أن الربا قد حرمه الله ـ سبحانه وتعالى ـ وأنه متفق على حرمته ويجب عليه أن يدرك أن أعمال البنوك اختلف فى تصويرها وتكييفها والحكم عليها والإفتاء بشأنها العلم وأنه يجب عليه أن يدرك أن الخروج من الخلاف مستحب ومع ذلك فله أن يقلد من أجاز ولا حرمة عليه حينئذ فى التعامل مع البنك بكافة صوره أخذًا وإعطاء وعملاً وتعاملاً ونحوها.

والله سبحانه وتعالى أعلم

***

ترسل الاستفتاءات إلى العنوان التالى: مجلة الأزهر - مدير التحرير - بريد رابعة العدوية - مدينة نصر

نظرية المجموعة الشمسية أسسها علماء المسلمين

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا

مقدمة:

عرف علم الفلك حتى عصر النهضة الإسلامية باسم «علم الهيئة»، لأنه ارتبط بدراسة تركيب الأفلاك وكمية الكواكب وأقسام البروج وأبعادها وعظمها وحركتها وما يتبع ذلك كله. وكان الإغريق يحاولون وضع تصور لهيئة الكون بعيدا عن تخيلات القدماء، واتبعوا منهجا فلسفيا رياضيا يقوم على التأمل العقلى الخالص فى صياغة «نموذج كوكبى» Plane-tary Model لوصف حركات الأجرام السماوية المرئية بناء على ما عرفوه عن مقادير هذه الأجرام وأبعادها وخواصها الطبيعية، وقادتهم نظرتهم «الميتافيزيقية» إلى طرح تصورات عدة لهيئة العالم. فكان «بطليموس» يتصور الأرض ثابتة فى مركز الكون، وأن الشمس والقمر والكواكب تدور حولها فى مدارات دائرية بحركات منتظمة، وكان يتصور وجود النجوم الثوابت، ولا يعنى ذلك أنها نجوم لا تتحرك، وإنما هى بعيدة جدا عن الشمس وتتحرك فى الفضاء حول الأرض باعتبارها مركز العالم. وقد كان تصور فلاسفة اليونان السابقين عليه والمعاصرين له مخالفا بعض الشيء، فقد نادى «فيثاغورث» بأن الأرض ليست ثابتة فى مركز الكون وإنما تتحرك حول الشمس، ونادى «أرسطاخوس» بأن الشمس والنجوم ثوابت، وأن الأرض تدور حول الشمس وحول نفسها فى وقت واحد. واعتقد «هيباخوس» بأن الأرض ليست فى مركز مدار الشمس، وأخذ أفلاطون وأرسطو بالرأى القائل بأن الأرض فى وسط العالم، وأن النجوم والشمس تدور حولها حركة واحدة، لأن النجوم مثبتة فى أفلاكها، لأن لهذه الأفلاك محركا واحدا، ولما كان أفلاطون وأرسطو ذوى مكانة سامية بين علماء اليونان وفلاسفتها، فقد أخذ الناس بآرائهما الخاطئة فى الفلك وحجبت الآراء القريبة من الصواب لفترة طويلة، وتأخر تقدم علم الفلك التجريبى إلى أن جاء عصر النهضة العلمية الإسلامية الذى عرف علماؤه منهج البحث العلمى السليم القائم على الملاحظة والتجربة والاستقراء، والاستعانة بالمراصد وأجهزة القياس.

شكوك ابن الهيثم على بطليموس

كان كتاب «المجسطي» لبطليموس أهم ما خلفته حضارة الإغريق في علم الفلك وكلمة «المجسطي» تعني باليونانية «التصنيف الكبير في الحساب»، ولعل العرب نحتوا اسمه من لفظين وهو دائرة معارف قديمة في الفلك وحساب المثلثات، فقد شملت موضوعاته: كروية العالم وثبوت الأرض في مركزه، والبروج، وعروض البلدان، وحركة الشمس، والاعتدالين الربيعي والخريفي، والليل والنهار، وحركات القمر وحسابها والخسوف والكسوف، والنجوم الثابتة، والكواكب المتحيرة.

وكان بطليموس متفقا مع القائلين بانتظام الحركة الدائرية للكواكب حول الأرض، بما في ذلك حركة الشمس والقمر، ولكنه لجأ إلى أنواع من الحركة المناقضة لمبدأ الانتظام والدائرية في محاولة لتفسير الحركات الظاهرة للقمر وللكواكب المتحيرة فقال بأن الكواكب في حركاتها حول الأرض لاترسم مدارات دائرية مركزها الأرض، وإنما ترسم دوائر متقاطعة في حركتها، ومعنى الدائرة المتقاطعة هو أن حركة الكواكب تكون دائرة حول مركز فلكها الخاص بها «فلك التدوير» وهذا بدوره يرسم فلكا دائريا مركزه الأرض وحاول بطليموس أن يعطي وصفا هندسيا دقيقا لكل الكواكب وهو يقوم بتلك الدوائر المتقاطعة في حركتها، وبلغ نموذجه الكوكبي في بعض الحالات درجة عالية من التعقيد عندما أدخل ما يسمى بالفلك الحامل «الناقل» Deferant خارج المركز «عن الأرض»، وتصور فلكا آخر معدلا للمسير Equant لا ينطبق مركزه على مركز الأرض ولاعلى مركز الفلك الحامل، وقال: إن الكوكب الدائر في فلك تدويره الخاص به تكون حركته منتظمة أو معتدلة بالقياس إلى هذا الفلك المعدل للمسير، لا بالقياس إلى مركز العالم أو إلى مركز الفلك الخارج «الحامل»، برغم أن الكوكب نفسه، ومركز فلك تدويره، لا يتحركان على هذ الفلك المعدل.

وجاء الحسن بن الهيثم في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) برؤيته النقدية على أساس علمي فاستدرك على بطليموس في مؤلفه المعروف «الشكوك على بطليموس» محددا ستة عشر اعتراضا على «النظرية البطلمية» هي حالات عدم الانتظام في الحركة الكواكبية، ولعل أهم شك لابن الهيثم على بطليموس، من الناحية التاريخية، هو اعتراضه الموجه إلى فكرة مايسمى «الفلك المعدل للمسير» والمهم من الناحية التاريخية أيضا، أن هذه الفكرة أو الحيلة لم تجز على كوبرنيكوس بعد ذلك في عصر النهضة الأوروبية الحديثة، وكانت أحد الأسباب التي قادته إلى نظام المجموعة الشمسية كمانعرفه اليوم.

تقصي الحقائق

في القرن الثالث عشر الميلادي قدم نصير الدين الطوسي (ت ١٢٧٤م) إصلاحا أشمل، منطلقا على الأرجح من تحليلاته

العلمية لشكوك ابن الهيثم المتعلقة بالحركات غير المنتظمة للأفلاك الحاملة للقمر والكواكب، فاقترح آلية تعرف باسم «مزدوجة الطوسي» Al-Tusi's couple لتفسير التناقضات الواضحة بين تراكيب بطليموس النظرية وبين نتائج الأرصاد «العلمية»، وبالإضافة إلى الطوسي، اقترح فلكيون آخرون من مدرسة مراغة نظرية تسمح بتحويل النماذج الخارجة المركز إلى نماذج تداويرية، وكان الأبرز من بين هؤلاء مؤيد الدين العرضي الدمشقي (ت ١٢٦٦م) وابن الشاطر (ت ١٣٧٥م)، وتعزى الأهمية البالغة لهذه النتائج إلى علاقته بنظرية كوبرنيكوس الخاصة بمركزية الشمس تلك النظرية التي عكست المتجه الذي يصل الشمس بالأرض مع إبقاء النماذج الرياضية مصونة على حالها دون أن تمسها، إن تشابه الروايات المتواترة عن نماذج كوبرنيكوس ونماذج فلكيي مراغة هو الذي أثار الاهتمام، وأصبح من المتفق عليه في الأعمال التي قام بها كل من نوجبور Neuge-bauer وسوردلو Swerdlow أن التصور الفلكي الجديد لكوبرنيكوس عن نظام العالم لم يقم على ملاحظات جديدة مفاجئة، ولا على نماذج رياضية لم يتوصل إليها العرب، وإنما كان الأمر نقلة جذرية خالصة فكريا، ونوعا من التحول العقلي أحال المجموعة القديمة من المقدمات إلى مجموعة جديدة من العلاقات وفضلا عن ذلك فإنه لا فرق بين مركزية الشمس للعالم أو مركزية الأرض من الناحية الرياضية البحتة التي كان يعمل عليها الفلكيون العرب فلقد كانوا يعرفون تمام المعرفة أن الظواهر الفلكية التي نراها من الأرض يمكن أن تفسر على أن الأرض ثابتة والشمس متحركة، أو العكس بالعكس.

ومن ناحية أخرى فإن من يرجع إلى أعمال كوبرنيكوس يراه يعمل هيئة أفلاك الكواكب جميعها على افتراض أن الأرض ثابتة، ثم ينقل هيئة تلك الأفلاك النهائية إلى افتراض أن الشمس ثابتة والأرض متحركة، والحقيقة العلمية التي نعرفها اليوم تقول أنه لا الأرض ثابتة ولا الشمس ثابتة في هذا الكون الذي يعج فيه كل شيء بالحركة ولا يعرف السكون، ولذلك يمكن المقابلة بين هيئة الأفلاك التي كان يعمل عليها كوبرنيكوس، والهيئة التي كان يعمل عليها الفلكيون العرب، من أمثل الطوسي والعرضي وابن الشاطر بعد أن حفزتهم شكوك ابن الهيثم إلى إعلان الثورة على النظام البطلمي والبحث عن نظام كوكبي جديد، ونجحوا في وضع نماذج يمكن ترجمتها إلى صيغة فيزيائية لا تجبُّ المبادىء الفلكية المعروفة، أي نماذج تعبر عن الحركة الظاهرية لكوكب باعتبارها محصلة لمجموعة حركات كل منها حركة منتظمة بالنسبة لمركزها الخاص بها، وكان هذا هو ذروة ما أنجزته بحوث العرب في النظرية الفيزيائية لحركة الكواكب وأسفرت مقارنات الباحثين بين النصوص

والرسوم الواردة فى مؤلفات كل من كوبرنيكوس وفلكيى مرصد مراغة، عن أن الشبه بلغ من التطابق (باستثناء مركزية الشمس عند كوبرنيكوس) حدا دعا البعض إلى القول - دون تجاوز الحقيقة - بأن كوبرنيكوس هو أشهر أتباع مدرسة مراغة، إن لم يكن آخرهم، ودعاهم أيضا إلى التساؤل لا عمّا إذا كان كوبرنيكوس قد تعلم نظرية مراغة، بل متى وكيف؟

والإجابة عن التساؤل المطروح تتضح من أدلة فى دراسات انتقال بعض المؤلفات العربية إلى الغرب اللاتينى، فقد تسنى هذا الانتقال بواسطة مصادر بيزنطية وصلت إلى إيطاليا فى القرن الخامس عشر الميلادى، فقد ظهر فى البندقية عام ١٥٣٦م كتاب للمؤلف جيوفانى باتيستا أميكو Giovanni Battista Amico بعنوان:

"De motiblus Carporum Coelestium vixta principia peripatetica sine excentricis st epicyclis"

وفيه يبذل المؤلف جهده من أجل إعادة الحياة إلى علم الفلك منذ المركز بمساعدة نماذج مبنية كلها على استخدام نظرية الطوسى ومزدوجته الموجودة فى كتابه «التذكرة».

وهناك دليل آخر على الانتقال المباشر موجود فى مخطوط بيزنطى إغريقى لترجمة يونانية وضعها - حوالى عام ١٣٠٠م - «شيونيادس» Chioniades عن أصل عربى، وجد طريقه إلى «الفاتيكان» بعيد سقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣م يوجد على إحدى صفحات هذا المخطوط عرض واضح لمزدوجة الطوسى مع نموذج قمرى لابن الشاطر، ويوجد على صفحة أخرى عرض نموذج قمرى للطوسى مع رسم تخطيطى يوضح تعديل مزدوجة الطوسى لهيئة الأجسام الصلبة.

وإذا علمنا أن كوبرنيكوس قد أقام فى إيطاليا لسنوات قليلة، وانتقل إلى روما فى ربيع عام ١٥٠٠م وبقى فيها حوالى سنة قام بإلقاء محاضرات فى الرياضيات الفلكية، فإن ما لدينا من ظن يتحول إلى اعتقاد بأن كوبرنيكوس قد اطلع بالفعل على نظريات العرب الفلكية وأفاد منها فى صياغة نظريته عن مركزية الشمس وهيئة المجموعة الشمسية.

● **أهم المراجع:**

١ - شاخت وبوزرت، تراث الإسلام، عالم المعرفة، الكويت ١٩٨٨.

٢ - توبى أ. هف فجر العلم الحديث، الإسلام - الصين - الغرب، عالم المعرفة الكويت ٢٠٠٠م.

٣ - الحسن بن الهيثم، الشكوك على بطليموس تحقيق د. عبد الحميد صبرة ود. نبيل الشهابى، تصدير د. إبراهيم مدكور، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة، ١٩٩٦م.

مواقف إسلامية

خولة بنت ثعلبة والحمامة الغاضبة

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

يقول الله عز وجل:

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ المجادلة (١)

سبب نزول الآية الكريمة

تقول «خولة بنت ثعلبة الخزرجية»: كنت عند زوجى: وكان شيخا كبيرا، قد ساء خلقه، وضجر، فدخل علىّ يوما.. فراجعته بشىء.. فغضب، وقال: أنت علىّ كظهر أمى. ثم خرج. فجلس فى نادى قومه ساعة. ثم دخل علىّ.. فإذا هو يريدنى.. قالت: فقلت: كلا.. والذى نفسى بيده لا تخلص إلىّ وقد قلت ما قلت.. حتى يحكم الله ورسوله فينا.. قالت: فواثبنى.. فامتنعت منه.. فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف.. فألقيته عنى..

ثم خرجت حتى جئت رسول الله ﷺ فجلست بين يديه. فذكرت له ما لقيت منه فجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه.. قالت: فجعل رسول الله ﷺ يقول: يا «خويلة»، ابن عمك شيخ كبير.. فاتقى الله فيه،

قالت: فو الله ما برحت حتى نزل فيّ القرآن..

فتغشى رسول الله ﷺ ما كان ما يتغشاه.. ثم سرى عنه،

فقال: يا «خويلة»: قد أنزل الله فيك وفي صاحبك ثم قرأ عليّ [قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها..] الآية

تمهيد:

يقولون: إن الجسم الساقط على الأرض بالجاذبية.. لا يناقش فى سببه.. لأن ذلك أمر طبعي.. لكن النقاش إنما يكون: فى طيران الجسم: من أسفل.. إلى أعلى!

ونقول وبنفس القوة: إذا كانت رجولة الرجل معنوان له على تجاوز اللحظات العصيبة.. فإن العجب من المرأة.. والإعجاب بها أيضا.. أن تفوق الرجل أحيانا.. على ما فيها من ضعف.. حين تستعلى على جواذب النفس.. مما يحملنا على اليقين بأن ا لمرأة قادرة بإيمانها أن تكون شيئا مذكورا.. وأن تفرض احترامها على من حولها.. مؤكدة أن «الضعفاء» لهم دورهم المرموق فى تحقيق أهداف الأمة..

على ما يقول ﷺ: [إنما تنصرون وترزقون بضعفائكم].

ولقد كانت خولة ـ رضى الله عنها ـ تلك المرأة الشاهدة بصحة ما نقول ـ على الأقل ـ فى هذا المشهد والذى كان من بركته وعظمته أن يصير على مدار الزمان آيات تتلى.. ويتعبد بتلاوتها..

وفاء ليس وراءه وفاء

وقد نسمع عن الرجل العظيم.. الذى يفضل الموت الزؤام.. بعد أن راح كل ما يبتغى أن يعيش من أجله! ولكننا قد نسمى ذلك انتحارا.. أو هروبا من مواجهة الأحداث الهاجمة.. ولكن العظمة الحق.. والوفاء كل الوفاء.. هو ما صنعته الزوجة الوفية الأبية.. «خولة بنت ثعلبة» رضى الله عنها: لقد رفضت فكرة الموت.. فى الوقت الذى توشك فيه أن تخسر أعز أمانيها: زوجها: أوس بن الصامت ـ رضى الله عنه ـ وأرضاه.. والذى تحبه حبين:

أولاً: أنه زوجها.

وثانياً: لأنه ابن عمها.

ولقد أرادها.. فتأبت.. ثم غالبته.. فغلبته.. بعدما صار شيخا وهن العظم منه، واشتعل الرأس شيبا.. وكان من الممكن أن تعتصم بقوتها فارضة إرادتها على البيت.. ولكن الأمر على ما قيل: إنك تستطيع أن تبنى قصرا من الصواريخ.. ولكنك لن تستطيع السكن فيها!!. وما دمنا قد نثرنا فى البيت

«أشواك» الغضب.. فمن الحكمة ألا تمشى حفاة.. ولنبحث لنا عن وقاية تتفادى بها عثرات الطريق. ومن أجل ذلك قررت الزوجة العظيمة الوفية أن تنفرد بقرار.. فلجأت إلى الرائد الذى لا يكذب أهله.. ﷺ.. فهو غوث اللهفان.. ومورد الظمآن.

أجل.. لقد قررت أن تدق باب الرجاء.. بالتضرع إلى الله.. وقبل أن يخرسها الواقع الصارم.. ينطقها الأمل الحبيب.. فى فرج من الله قريب.

صراحة المدعى وأمانته

ولقد عرضت الزوجة شكواها.. وبالتفصيل.. وبلا حرج.. فلا حياء فى الدين.

ثم كان اختيارها للرسول ﷺ.. قطعة من عقلها وآية رشدها.. لأنه الرؤوف بأمته..

إنها لم تقصد عاذلا.. قد يغلبه هواه.. فينسى القضية.. ثم يحمل لحساب مآربه.. كما قد يحدث اليوم!؟

وإنما قصدت الرؤوف الرحيم.. القادر على لم الشمل، ورأب الصدع.. والوصول بالأسرة إلى الشاطىء الآمن.. لأن القضية فى يد أمينة.. إنه الذى قيل عنه: أتى ﷺ المدينة. فأضاء فيها كل شيء.. ثم مات.. فأظلم فيها كل شيء.. فلما دفناه.. أنكرنا قلوبنا.

ولاحظ أن الزوج لما ظاهر منها.. مكث فى البيت مدة - كما يفيد حرف العطف «ثم» - ولعله أراد أن ينفس عن قلقه.. فلما لم يتسع له البيت.. خرج إلى نادى قومه لعله أن يجد بين رفاقه أنيسا.

أما هى.. فقد تلقت الصفعة.. ثم مازالت فى البيت تندب حظها.. وإذا هو لا يجىء معتذرا عما حدث.. وإنما زاد الطين بلة حين راودها عن نفسها.. فلما طفح الكيل.. كان لابد من عرض القضية لتكون فى اليد الأمينة.

من مظاهر رحمة الرسول ورأفته

أدرك ﷺ عمق المأساة التى لم يشأ أن يتخذ فيها قرارا إلا بوحى من السماء..

أما ما كان عندئذ فهو التلطف بها حين ناداها بصيغة «التصغير» (ياخويلة).. وذلك مرتين.. وكان ذلك محاولة منه ﷺ لإرادة التخفيف من حدة توترها.. ثم تذكيرا لها بشيخوخة زوجها.. وابن عمها فى نفس الوقت.. وما يجب عليها تجاهه من رعاية وصبر جميل..

وجاء الفرج ومن دواعى التماس العذر له أنه - كما يقول الرازى-: [رآها وهى تصلى وكانت حسنة الجسم، وكان بالرجل لم - توقان إلى النساء وكلف بهن - . فلما سلمت، راودها. فأبت. فغضب. وكان به خفة فظاهر منها]

خطورة القضية

ولكن ما مغزى الظهار؟

يقول المفسرون:

(كان الرجل فى الجاهلية يغضب لأمر من امرأته. فيقول: أنت علىّ كظهر أمى..

فتحرم عليه.. ولا تطلق منه.. وتبقى هكذا: لا هى حل له.. فتقوم بينهما الصلات الزوجية.. ولا هى مطلقة منه.. فتجد لها طريقا آخر..

وكان هذا طرفا من العنت الذى تلاقيه المرأة فى الجاهلية).

فلما جاء الإسلام.. ووقعت هذه الحادثة.. بين الله - تعالى - حكمه فيها

.. وإنه لأمر.. إنه لأمر أن يقع مثل هذا الحادث العجيب.. وأن تشعر جماعة من الناس أن الله - تعالى - معها، حاضر شئونها: جليلها وصغيرها، معنىّ بمشكلاتها اليومية، مستجيب لأزماتها العادية وهو الله: الكبير المتعال.. العظيم الجليل.. القهار.. المتكبر، الذى له ملك السموات والأرض وهو الغنى الحميد.. إنها صورة من حياة تلك الجماعة الفريدة فى تلك الفترة العجيبة.

وشعورها بتلك الصلة المباشرة، وانتظارها التوجيه من السماء، فى كل شأن من شئونها.. واستجابة السماء لهذا الانتظار الذى يجعل الجماعة كلها - عيال الله: هو يرعاها، وهى تتطلع إليه تطلع الطفل الصغير.. لأبيه وراعيه[1].

حكم الله.. وحكمة الرسول

أما حكم الله: فهو ما ضمت عليه الآية الكريمة:

﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ﴾[2].

والآيتان الكريمتان دالتان على تكريم النساء، وجبر خاطرهن فى شخص واحدة منهن هى: خولة بنت ثعلبة..

لأن نزول الآيتين الكريمتين يعنى بالدرجة الأولى أن الله - عز وجل - قبل تضرع هذه المرأة.. وسمع شكواها من فوق سبع سماوات.. فهى فى عين الله - تعالى - وليست كماً مهملا.. تحت سقف البيت.. وتحت رحمة سيد البيت.

وعلى كل زوج أن يعلم من الآن أنه إذا دعته قدرته إلى ظلم زوجته.. فليتذكر قدرة الله عليه.. لأن هذه الزوجة ليست وحدها.. وإنما من ورائها القوة التى لا تغلب.. والحصن الذى لا يرام.. والعين التى لا تنام.. وعلى الزوجة من ناحية أخرى.. أن تهدىء من غضبها مادامت القوة الغالبة تعمل لحسابها!. وعليها أن تدرك مع هذا أن الراجى حياة سعيدة على طوال الخط فهو واهم.. متطلب فى الماء جذوة نار!

قالوا الحياة شقاء - قلنا: فأين النعيم
إن الحياة حياة - ففارقوا.. أو أقيموا!

أما حكمة الرسول

(1) فى ظلال القرآن - تفسير: المجادلة.

(2) المجادلة (3، 4).

فقد كان المتوقع أن يستدعى ﷺ الزوج.. لتتم به إجراءات التحقيق.. لكن ذلك لم يحدث.. مكتفيا بشهادة الطرف الحساس فى القضية.. (خولة) رضى الله عنها.. ثقة بها.. ثم اعتمادا على ما كان يعرفه هو شخصيا عنه.. مما ذكرته الزوجة الأمينة التى فصلت ما لها وما عليها بصدق وأمانة... ثم دفاعها عنه فى غيبته دفاعا أنصفته به من نفسها فقال ﷺ: «مريه فليعتق رقبة».

قالت فقلت: والله يا رسول الله ما عنده ما يعتق..

قال: «فليصم شهرين متتابعين».

قالت: فقلت: والله إنه لشيخ كبير ما به من طاقة.

قال: فليطعم ستين مسكينا «وسقا»[3] من تمر.

قالت: فقلت: يارسول الله: ماذاك عنده.

قالت: فقال رسول الله ﷺ: «فإنا سنعينك بعذق[4] من تمر».

قالت: فقلت: يارسول الله: «وأنا سأعينه بعذق آخر

فقال: «قد أصبت. وأحسنت.. فاذهبى فتصدقى به عنه، ثم استوصى بابن عمك خيرا».

قالت: ففعلت.

الزوجة عند حسن الظن بها

وهكذا.. تحملت الزوجة مسئوليتها.. وبلغت بأريحيتها الذروة حين أسهمت فى كفارة الظهار من مالها الخاص.. فأكدت عمق حبها لبعلها.. الذى هو فى نفس الوقت ابن عمها.. ضاربة لمثيلاتها الأمثال فى ضرورة التعاون مع الزوج بالمال خروجا من أزمة طاحنة.. ثم إرادة استئناف حياة جديدة.. لا تنشر ظلها على الزوج وحده.. وإنما ستنعم هى معه.. ومعهما زغب الحواصل الذين حمتهم بمروءتها من الجوع.. ومن التشرد!

أين منا هاتيك النساء

ليس هناك إنسان لا يزوره الحظ السعيد.. ولو مرة واحدة فى حياته.. فإذا لم يجد الإنسان مستعدا لاستقباله.. فإنه قد يدخل الدار.. لكنه يدخل من الباب.. ليخرج من النافذة!

وقد تتزاحم فرص السعادة على أبوابنا.. وبدل أن نفتح لها الباب على مصاريعه إذا بالأطراف المعنية وقد جرد كل واحد من نفسه عدوا له ينازله: يوسعه شتما وتفنيداً فى الوقت الذى يوسع مواهبه مدحا وتأييدا!.

وقد يحاولون تضليل العامة بأنهم يتبعون السنّة فيما يعملون ويذرون.. ولكن السنة ما فعلته الزوجة العظيمة الكريمة خولة بنت

(3) الوسْق: ستون صاعا وهو: حمل البعير، والوقر: حمل البغل والحمار.

(4) العذق: النخلة بحملها - وبالكسر: الكِبَاسة.

ثعلبة لقد فرضت عليها المعركة فرضا .. ولم تكن مسئولة عن نشوبها ابتداء .. ومع ذلك .. فقد أدركت أن مبادرة الصلح من جانبها .. وإسهامها المادى فى حل المشكلة عائد عليها .. وعلى ذريتها بالفائدة.

ولاحظ أنها لا تعيش مشكلتها الفردية متجاهلة مصلحة الطرف الآخر .. وذلك واضح من «عريضة» شكواها إليه ﷺ والتى تقول فيها:

يارسول الله: إن أوسا تزوجنى وأنا شابة مرغوب فىّ .. فلما خلا سنى، ونثرت بطنى - أى كثر ولدى - جعلنى عليه كأمه، وتركنى إلى غير أحد .. فإن كنت تجد لى رخصة يارسول الله تنعشنى بها .. وإياه .. فحدثنى بها.

وتأمل ذكاءها الذى يصور مستقبل الأولاد المظلم فإن أبقتهم عندها .. عضهم الفقر بنابه .. وإن دفعتهم إليه .. ضاعوا .. ضاعوا .. تعنى: حرموا من حنان أمهم ..

إنهم محتاجون إلى الأمن النفسى .. والأمن الغذائى معا .. ولو تمت الفرقة .. لوقع الأولاد بين شقى الرحى .. ثم تعقدت المشكلة .. وكان من رحمة الله أن سمع سبحانه ضراعتها .. وشكواها .. فى آيات بينات فيها آيات للسائلين ..

الجمال الحق

اعترفت الزوجة هنا بأن زوجها شيخ طاعن فى السن .. وهن العظم منه واشتعل الرأس شيبا .. ثم هو فارغ من الطاقة .. وذلك قولها: (والله .. إنه لشيخ كبير .. ما له من طاقة).

وإنها لتقسم على ذلك: بلفظ الجلالة، مؤكدة أنه محروم «من» كل طاقة.

وإذن فقد تودع منه؟! وفوق ذلك فهو حاد المزاج .. يثور لأتفه الأسباب .. يثور ثورة قد تصل بهما إلى التشابك بالأيدى .. وعلى مرأى ومسمع من الصبيان .. ومن الجيران؟!

ومع ذلك كله فإنها راغبة فيه .. راضية به .. مؤكدة بذلك الحب .. وهذا الرضا معناه أن هناك فى حياة الزوجين ما هو أجمل من متعة الفراش ..

وهو الوفاء فى زمان عز فيه الوفاء! وأنه مهما بلغ ظلم أحبائنا لنا .. فإننا لا نبلغ فى الرد عليهم حدود الانتقام.

وقد تكون هناك للزوجة مسحة من الجمال باقية .. تؤهلها لصاحب جديد .. ولكنها الكاسبة على أى حال .. مهما أوّل المتأولون .. وتقوّل المتقولون.

من دروس التربية

لقد علمتنا المرأة هنا من مبادىء التربية ما كنا نظنه مستوردا وهو:

أهمية الحنان لنمو شخصية الطفل .. كما أشرنا آنفا ..

ويبقى أن نضيف إلى ذلك ما يؤكده الموقف من: أن الغريزة الجنسية: عمياء لا ترى .. صماء لا تسمع .. بدليل أن الزوجة كانت

تصلى .. والجو مشحون بالرهبة والخشية .. ومع ذلك .. ظلت الغريزة الجنسية من جحرها تطلب الإشباع. وكان ذلك درسا فى الاحتياط .. حتى لا نبيح الاختلاط وكيف يباح والموقف هنا شاهد ببطلانه؟؟.

فالرجل شيخ وشيخ كبير: طاعن فى السن .. وزوجته ملك يديه .. ومن شأن ما تملكه أن تزهد فيه ..

ثم إن البيت تحول إلى مسجد .. طهور .. معمور .. ومع ذلك كله فالغريزة متربصة .. لا تفتأ تحاول التحرش «بالحلال» .. فكيف إذا كان هناك شباب .. وفراغ .. وجدة .. و«حرام» يزينه الشيطان ليكون بالوهم أجمل!!؟.

ولكن الزوجة الأبية التقية .. رفضت أن تساوم على كرامتها.

الشجاعة .. هى الفضيلة

لقد كانت للزوجة هنا قضية .. فهبت للدفاع عنها .. فلابد من الحركة ولكن فى الاتجاه الصحيح ..

وكان لابد من شجاعة المواجهة .. المواجهة اللائقة بإنسان يحس بالظلم .. فيحرص على أن يكون إنسانا يواجه الحدث .. ولا يدور حوله .. كبعض الحيوانات التى تختفى وراء أشجار الغابة: حماية من عدوها .. وتربصا به أيضا!

والخير عندئذ أن نحكّ جلودنا بأظفارنا .. فى قضية لم نترك البت فيها للقضاء والقدر .. وإنما نغالبها .. نعالجها .. أيضا .. بالقضاء والقدر!

وكما يقول العقاد:

إن القوة هى الفضيلة، فإذا كانت الحياة هى الصراع بين القوى والضعيف .. فإن الإنسان يفضل القوة ويحبها .. ويحرص على المزيد منها، والناس يكرهون الضعف، ويحتقرون الضعيف أيضا، فالصبر قوة، لأن الإنسان الصابر هو الذى يتغلب على الصعوبات التى ينحنى لها غيره من الناس.

والرحمة قوة، لأنها لا تجىء إلا من إنسان قوى، فالقوى هو الذى يرحم غيره من الضعفاء والقناعة قوة .. لأنها تدل على أن الإنسان قادر على أن يمسك نفسه ويستغنى بما لديه عما لدى الناس.

وكذلك كانت «خولة بنت ثعلبة» .. وهو ما تشير إليه الآيات الكريمة.

من حقوق الأزواج

من حق الزوجة على زوجها:

أن يطعمها مما يطعم وأن يكسوها مما يكتسى ولا يتركها للأحزان تأكل خلاياها .. ثم يذهب هو يتمطى إلى «النادى» مع شلته .. ليتخلص من همومه هناك!

باختصار: فليكن أمرهما شورى .. بلا عنف .. وبلا إكراه.

الأمل الوثيق والشرف العتيق

يقول عز وجل:

﴿ قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير ﴾

كانت عائشة رضى الله عنها تقول:

«الحمد لله الذى وسع سمعه الأصوات: لقد جاءت المجادلة إلى النبى ﷺ تكلمه.. وأنا فى ناحية البيت.. ما أسمع ما تقول.. كان كلام خولة يخفى علىّ.. وسمع الله جدالها»[٥].

من دروس الآيات الكريمة

يقول عز وجل: ﴿ قَدْ سَمِعَ ﴾.. لكن المخاطب وهو الرسول ﷺ - متحقق من صدق ما يسمع.

وإذن.. فالتحقيق هنا مضاف إليه معنى التوقع.

لأنه ﷺ والمجادلة كانا متوقعين أن يسمع الله مجادلتها وشكواها، وينزل فى ذلك ما يفرج عنها.

وذلك هو الأمل الوثيق فى فرج الله.. وهذا الأمل الذى يمتد فى أعماق النفس كلما أشتد الخطب النازل.

وإذا كان قول عائشة -رضى الله عنها- درسا فى «العقيدة» فإن فى موقف «خولة» -رضى الله عنها- درسا فى الأمل.. الذى يجب أن يظل متوهجا لا يخبو مهما اشتد الظلام.

ألا وإن بعض الأزواج ليقول كلاما جميلا.. للاستهلاك المحلى.. ثم يحطم فى نفس الوقت.. القيثارة.. يحطمها باليأس من الفرج.. الذى يدق عليه الباب.. ولكنه بسوء تصرفه.. لا يحاول أن يفتح له!

ولكن «خولة» -رضى الله عنها- ظلت.. مع خطورة الموقف.. ظلت بتوازنها.. فكانت جديرة بهذا الشرف العالى.

أولاً: قد سمع الله -عز وجل- شكواها.

وثانياً: بمخاطبة الله عز وجل لها.. وفى وقت واحد.. مع الرسول الكريم ﷺ.

ولم تكن وحدها الجديرة بهذا التكريم.. وإنما كل امرأة مرشحة لمثله.. لو دفعت نفس الثمن.. فكانت على مستواها: صبرا ووفاء.

من الشكوى إلى الاشتكاء

قد يستبد بك الانفعال.. فيعتريك شعور حزين يلح عليك فيعزلك عن الحياة والأحياء.. فلا تستمتع بشىء وتتصلب شرايينك فلا تجارى زملاءك فى عمل إيجابى.. وأفضل من هذا الموقف السلبى.. أن تشكو.

وقد عبّرت الآية الكريمة عن عمق المرارة فى قلب الزوجة بقولها:

﴿ وَتَشْتَكِي ﴾

وفى الاشتكاء مبالغة.. فوق «الشكوى» ذلك بأنها كانت واقعة تحت ضغوط لم ترحمها. وذلك قولها:

أشكو إليك:

(٥) رواه النسائى وابن ما[جه]

أ- شدة وحدتى

ب- وما يشق علىّ من فراقه.

جـ- ثم شدة فاقتى وشدة حالى.

د- وإن لى صبية..

هـ- صغارا:

إن ضممتهم إليه ضاعوا..

وإن ضممتهم إلىّ.. جاعوا..

من المجادلة.. إلى المحاورة

فى أولى مراحل الصراع.. تكون الأعصاب أكثر توترا.. من حيث كانت أشباح الخصام تلاحقك فى كل مكان.. ومن ثم يكون «الجدال» هو أصدق تعبير عن هذه المرحلة الساخنة، لأن فى الجدال قوة.. وفيه مغالبة.. وقد جاء ذكر الجدال أولا.. لهذا السبب.. من حيث كانت الزوجة ماتزال مندمجة فى الموقف.. متأثرة بما قيل.. وبما فُعل..[٦]

فلما رأت الرسول ﷺ.. ثم استمعت إليه.. حدث التحول الكبير، فهدأت أعصابها، ثم أعرضت عن الجدال بشدته.. إلى «الحوار» برقته!! لنتأكد بذلك درسا من دروس الدعوة هو: توقف الداعية حين يكون المدعو متوترا.. فى انتظار هدوء البحر الهائج.. ليلد بحيرة ساجية..

«خولة» رضى الله عنها فى الخالدين

ولقد بقيت ذكراها فوق النسيان وتالت بما فعلت أفضل ما يليق بأهل الإيمان:

روى ابن أبى حاتم والبيهقى فى «الأسماء والصفات»: إنها لقيت عمر رضى الله عنه.. وهو يسير مع الناس.. فاستوقفته.. فوقف لها، ودنا منها، ووضع يده على منكبيها!! حتى قضت حاجتها!!.. وما انصرفت.

فقال له رجل: يا أمير المؤمنين، حبست رجال قريش على هذه العجوز؟!!

قال: ويحك!! أتدرى من هذه؟

قال: لا..

قال: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات.. هذه خولة بنت ثعلبة.

والله لو لم تنصرف حتى أتى الليل.. ما انصرفت، حتى تقضى حاجتها،.. إلا إلى الصلاة».

يقول الفاروق ذلك بعد أن أغلظت له فى القول.. وبعد أن بدأها هو بالسلام:

لقد قالت له: هيا ياعمر! عهدتك.. وأنت تسمى «عميرا» فى سوق عكاظ.. ترع الصبيان بعصاك. فلم تذهب الأيام.. حتى سُميت «عمر» ثم لم تذهب الأيام.. حتى سميت أمير المؤمنين. فاتق الله فى الرعية!! واعلم: أنه من خاف الوعيد.. قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت.. خشى الفوت.

فلما قال الجارود - بعد ما سمع من قسوة النصيحة: أكثرت على أمير المؤمنين أيتها المرأة.. فقال عمر -رضى الله عنه- وعنها: دعها[٧].

رحم الله امرءا أهدى إلىّ عيوبى!!

(٦) الفكرة ليست لى -وإنما هى لمن نسيت اسمه من المفسرين- وليس لى إلا مجرد الصياغة.

(٧) رواه خليد بن دعلج عن قتادة.

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

الذكر والأنثى

كان المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - يقول:

النساء والرجال أنواع:

رجل مذكر وامرأة مؤنثة فهو قوام عليها

ورجل مؤنث وامرأة مذكرة فهي قوامة عليه.

ورجل مذكر وامرأة مذكرة فهما كالوعلين ينتطحان.

ورجل مؤنث وامرأة مؤنثة، فهما لا يأتيان بخير ولا يفلحان.

حقا

● اتقوا ظنون المؤمنين، فإن الله جعل الحق على ألسنتهم.

● أقل ما يلزمكم لله أن لا تستعينوا بنعمه على معاصيه.

● مرارة الدنيا حلاوة الآخرة، وحلاوة الدنيا مرارة الآخرة.

● كل وعاء يضيق بما جعل فيه إلا وعاء العلم فإنه يتسع.

● من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه.

● الحدة ضرب من الجنون لأن صاحبها يندم، فإن لم يندم فجنونه مستحكم.

● الثناء بأكثر من الاستحقاق ملق، والتقصير عن الاستحقاق عيٌ أو حسد.

السفيه والحليم

شتم سفيه حليما وهو ساكت، فقال: إياك أعني، فقال: وعنك أغضي

قال الشاعر:

شاتمني عبد بني مسمع ... فصنت عنه النفس والعرضا

ولم أجبه لاحتقاري له ... من ذا يعض الكلب إن عضا

الموعظة في آيات

قال ابن عباس - رضي الله عنه - الموعظة في ثلاث آيات من كتاب الله تعالى -:

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[1]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[2]

﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾[3]

مرآة وقطعة سكر

قام أحد الأزواج بطرد الذباب من البيت، ولما تضايق من إخراجه كله راح يقتل ما تبقى منه، وبعد أن فرغ من مهمته، سألته زوجته ساخرة: «كم ذبابة قتلت؟» أجاب «ثمانية» أربع إناث، وأربعة ذكورا! فقالت له: ولكن كيف استطعت أن تميز الإناث؟ أجاب كانت الأربع الإناث واقفة على المرآة؛ بينما الأربعة الأخرى كانت مرتكزة على قطعة من السكر.

***

حفظ اللسان

كان بهرامُ جالسا ذات ليلة تحت شجرة فسَمعَ منها صوت طائر فرماه فأصابه وقال: ما أحسن حفظ اللسان بالطائر والإنسان، لو حفظ هذا لسانَهُ لما هلك.

حقيقة

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي:

يبقى الثناء وتذهب الأموال ... ولكل دهر دولة ورجال

لا نرضى من رجل حلاوة قوله ... حتى يصدق ما يقول فعال

دعاء

إلهي لست للفردوس أهلا ... ولا أقوى على نار الجحيم

فهب لي توبة واغفر ذنوبي ... فإنك غافر الذنب العظيم

---

(١) البقرة (٤٤).

(٢) الصف (٢).

(٣) هود (٨٨).

قصة العدد

مصرع شاعر

للأستاذ الدكتور عبد اللطيف الحديدي

نزل الفرزدق الكوفة متأكداً أنه سيلقى من روعة الاستقبال وحلاوة اللقاء ما عهده من قبل حين كان يزور المدينة فيجد الأصابع تشير إليه، فإذا دخل المسجد تحلق حوله الكوفيون ينثرون ورود الثناء على شعره، ويذكرون مساجلاته مع جرير والأخطل ويعلنون أن السبق في مجال النقائض كان من حظه، ولكنه اليوم يجد القوم غير القوم، فليس بالكوفة من يهش لاستقباله، ولا من يرد عليه السلام في اهتمام، ويتبع شخصه أنى سار، ثم توجه إلى المسجد فإذا الفتور هو الفتور، حتى حدث نفسه بأن وشاية قام بها عدو حسود جعلت الكوفيين يعرضون عنه، حتى إذا اطمأن به المقام رأى فتى يحدق في وجهه فاستدناه قائلاً: أتعرفني يا فتى؟.

فابتسم الفتى وقال: كيف لا أعرف الفرزدق وقد زارنا من قبل.

فقال الفرزدق: أرأيت مجلسي هنا في المسجد الجامع من قبل؟.

فقال الفتى: مرتين لا مرة واحدة.

فقال الفرزدق: وهل شهدت اجتماع الناس من حولي من قبل؟.

فقال الفتى: نعم.

فتأوه الفرزدق تأويهة تدل على تأثره البالغ ثم سأله: فما بالهم لا ينهضون لتحيتي الآن؟.

فقال الفتى: إنه الحسن البصري.

فتعجب الفرزدق وقال دهشاً: وما للحسن البصري ومالي؟. بل ما للحسن وأهل الكوفة؟.

فقال الفتى: لقد زارنا منذ شهر وعقد مجلساً علمياً في المسجد وتحلق حوله الناس وسأل سائل عن من يحبه الحسن من الشعراء أهو الفرزدق أم جرير أم الأخطل؟. فقال الحسن: كلهم نابحون سخفاء لا ينطقون بالحق بل يلجون في الباطل ويتطمون القبائح المندية في النقائض وكأنهم ذئاب تعوى أو حمير تنهق، فسأل بعض الحاضرين: ومن تؤثر من شعراء اليوم؟. فقال الحسن شاعركم الكميت بن زيد، إنه يتحدث عن عقيدة ويرتفع إلى معان كريمة، ويحب السادة المطهرين من أبناء رسول الله ﷺ، هو شاعركم المفضل فاحفظوا شعره ولا تتركوه لهؤلاء السفهاء، وكان الكميت في مجلس الحسن وهو لا يعرفه شخصاً فتقدم إليه وقبل يده، فقال الحسن: يا كميت لقد جاءتني قصائدك الهاشمية فشفت صدري ونقعت غليلي، وستأتي يوم القيامة وكتابك بيمينك، وسيأتي شعراء النقائض ووجوههم مجللة بالقطران فالزم نهجك يا بني، فإن العاقبة للمتقين. فأشرق وجه الكميت بالنور وجلس لا يدري بماذا يرد على سيد التابعين الحسن البصري، ولكن الحسن قال له: هل لديك من جديد يا كميت؟. أنشد فروح القدس يؤيدك، قم وأسمع الناس ولا تخف غير الله فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين، فأنشده قصيدة جديدة يقول فيها:

ألا هل عم في رأيه متأول
وهل مدبر بعد الإساءة مقبل

كلام النبيين الهداة كلامنا
وأفعال أهل الجاهلية نفعل

رضينا بدنيا لا نريد فراقها
على أننا فيها نموت ونقتل

فتلك الملوك السوء قد طال ملكهم
فحتام حتام العناء المطول

رضوا بفعال السوء من أمر دينهم
فقد أيتموا أهل الرشاد وأثكلوا

تحل دماء المسلمين لديهم
ويحرم طلع النخلة المتهدل

فيا رب هل إلا بك النصر يرتجى
عليهم وهل إلا عليك المعول

وهنا شخص الفرزدق للفتى وقال له: حسبك حسبك، فقد خشيت على نفسي أن يذهب ذاهب إلى والي الكوفة خالد القسري ويقول له إن الفرزدق يسمع شعر الكميت في المسجد الجامع، فيحصل ما لا أحب.

قال الفتى: عجباً يا رجل تخاف أن تسمع شعر الكميت ولم تقله، والكميت ينشر كل يوم عشرات الأبيات في المسجد فيرددها الرواة ولا يخشى أحداً غير الله، ثم تعجب لماذا انصرف الناس عن استقبالك اليوم؟. لقد عرفوا الشاعر الشجاع والشاعر الرعديد.

وقد جالت الخواطر في نفس الفرزدق وتوهم أن الناس سيبلغون خالد القسري أنه سمع شعر الكميت في هجاء بني أمية وإذ ذاك يحاسبه حساباً عسيراً أقله أن يحرم من الجوائز ويمنع من زيارة قصر أمير المؤمنين بدمشق، تلك التي يرجع منها مليء الحقائب بالدراهم والدنانير. ورأى الشاعر الخائف أن يذهب إلى قصر الإمارة ويقابل خالد القسري ويعلمه أنه سمع في المسجد ما يكره من شعر هذا الأسدي العابث الكميت بن زيد، وبذلك يدحض ما قد يحدث من فرية تزحزحه عن الصدر الأول في جماعة الشعراء، إذ يدعى جرير والأخطل والبعيث وعدي ويترك هملاً كالرعاع.

وكان خالد القسري قد علم بمجيء الفرزدق إذ أبلغته عيونه عن مقدمه، وعرف أنه سمع شعر الكميت حين رواه له بعض الناس بالمسجد الجامع وكان خالد يكن للفرزدق كراهية صامتة، إذ أنه هجاه من قبل وتعرض لحياته الخاصة بما لا يليق، فأسرها في نفسه ولم يحاول محاسبته كي لا تشيع الأبيات لدى أهل الكوفة، والفرزدق لايعرف أن الهجاء قد وصل إلى المهجو إذ لم يأته عتاب الأمير.

وكان خالد القسري كان ينتظر مجيئه، فلم يبرح دار الإمارة بعد العصر وصدق ما توقع، فأعلن الحاجب أن الفرزدق يطلب المثول، وأنه أمام الباب فلم ينهض خالد لمقدمه وقال في هدوء: ليدخل. فدخل الشاعر فلم يجد من الترحيب ما كان يأمل واضطر إلى أن يقول شيئاً عما جاء من أجله، فقال: أيها الأمير لم تتركون هؤلاء السفهاء ينشدون الشعر في هجاء أمير المؤمنين، لقد سمعت اليوم شعراً قاله من يسمى الكميت، وقف له شعري، وأخذ الغضب مأخذه مني، وجئت أعلن ذلك فلعلك لم تعلم شيئاً كما أعتقد.

فسكت خالد كالمستاء ثم قال في غيظ: اسمع يا فرزدق، الكميت أشرف منك لأنه يقول ما يعتقد، وليس منافقاً، أما أنت فقد جئت تمدحني وأخذت عطاياي ثم ذهبت إلى المربد فأنشدت قصيدة كاذبة في هجائي، فكنت لئيماً دنيئاً، وقد انحدرت إلى دركات السفالة حين تحدثت عن أهل بيتي ونعالهم أشرف من عمائم ذويك، أخرج لا أعادك الله إلي.

خرج الفرزدق كئيباً كاسف البال، ولكن خالداً قد أدرك تسرعه، وقال في نفسه: من يدري لعل الفرزدق قد يذهب إلى هشام أمير المؤمنين فيذكر له أني تركت الكميت وشيعته من أنصار

العلويين ينشدون قصائد الهجاء في المسجد، وتلك التي لا يتسامح فيها هشام، فيأتي الأمر بعزلي، أو ما هو أكبر من العزل، لابد أن أقوم بعمل وقائي فأعتقل الكميت، ثم أبعث إلى هشام ببعض ما قاله هذا الثائر الأرعن، فأكون قد خرجت من التبعة، ومهما عصفت بالكميت فأنا أولى بالنجاة وقد حذرته من قبل، فما استمع، وجعل ينشد ما يسميه بالهاشميات وهي وبال عليه أي وبال.

وفي الصباح صدر الأمر باعتقال الكميت في سجن خالد بالكوفة وطار البريد إلى دمشق ينبئ الخليفة بما جاهر به هذا الشاعر من العصيان كما يحمل ثلاث قصائد مما نظمه الكميت كلها سب صريح لبني أمية ومدح خالص للإمام علي والإمام الحسين وشيعتهما المخلصة، كان أمير المؤمنين هشام بن عبدالملك يجلس في قصر الخلافة مع خاصته من ذوي الشورى حين وصل إليه خطاب خالد القسري فقرأه وبدت على وجهه ملامح الغضب ونظر إلى أخيه مسلمة بن عبدالملك وقد كان أقرب أفراد أسرته إلى قلبه وأعطاه الخطاب فقرأه مسلمة ثم قال لأخيه، ليس هنا ما يستحق غضب أمير المؤمنين!!.. شاعر أحمق أورد نفسه موارد التهلكة ولا نعرف أن له قبيلة تحميه أو خلفه جماعة تؤازره، وقد أودعه خالد السجن وهو الآن يعض بنان الندم ويأسى على ما قال وإن أحلامه لتعرض له في نومه سوء المصير.

قال هشام: ولماذا لم يقتله خالد وقد جاهر بالعدوان وأعلن الثورة، والكوفة هي الكوفة، معقل الفتن وبركان النار؟

فقال مسلمة: لقد صنع خالد خيراً حين انتظر أمرك، فهو يخشى أن يكون لك رأي خاص في استدعائه إلى دمشق، ومناقشته عن عيان لنعلم من وراءه من الأشرار، فإذا أردت معاقبته فاكتب له بما تريد، ورأى أن تستدعيه مكبلاً بالأغلال لنعرف منه خوافيه، وانطلق الرسول من قصر الخلافة إلى الكوفة حاملاً أمر الخليفة باستدعاء الكميت مخفوراً مكبلاً بالأغلال ومحذراً الوالي من التهاون مع البحث عمن يكون وراء الشاعر من المحرضين ليساقوا معه إلى دمشق مخفورين دون إبطاء، وجاء الرسول إلى مقر الوالي بعد أيام قضاها لاهثاً في الطريق وعلم من دار الإمارة أن الكميت سيذهب إلى دار الخلافة مخفوراً وأن أمير المؤمنين قد هاج هائجه لما سمع من الشعر المحرض على من سماهم ملوك السوء فلا مفر من الإعدام.

ولم يلبث الخبر أن جاء إلى زوجة

الكُمَيْت فصرخَتْ وشقت جيبها وتأكدتْ وقوع الكارثة عن يقين، وكان من زائراتها مَنْ تُخْلِص لها الوُد وتكْشف لها حجاب السر فاستأذنت الحاضرات من المواسيات أن يذهَبْن وقالت لصاحبتها في خَلْوَةٍ هادئة: لَدَىّ اقتراح، أن تذْهبي للكُمَيْت في سجنه، ولن يمنعك السجّان، إذ لا حظر على زيارة النساء، ثم تُلْبسيه ثيابك، فيَخْرج هارباً، ليجد ناقة سريعة تحملُه إلى فضاء الله الفسيح ويتجه إلى دمشق متوارياً عن أنظار من يعرفونه وهناك يسأل عن الأمير مَسْلَمة ابن عبدالملك، ليشفع له، فكم أنقذ هذا الأمير الباسل مِنْ أرواحٍ بشفاعاته المُتكرِرة، ولن يُخيِّب له رجاء.

قالت الزوجة: سأفعل ذلك، ولا أبالى بعاقبة أمرى إذا انكشف السرّ في الصباحِ، ولو قُتِلْت لكُنْت فداء الكُمَيْت، فلا طَعْم للحياة من بعده.

وما قامتْ النساءُ حتى لبَسَت ثيابها وتوجهت إلى السجان فرَقّ لها وسارع بإدخالها ولم تشأ أن تقضى الوقت في حديثٍ لا طائل من ورائه، فكَشَفَتْ لزوجها ما دبّرته من احتيال، وقالت: إن الأمير مَسْلَمة يلسم الجراح وسيُنْقذك كما أنقذ سواك، ووصفت له مكان الراحلة وما أعدت من زادٍ، وتردد الكُمَيْت قليلاً فصرخَتْ في وجهه وقالت: كلانا الآن لا يعرف مصيره وعليك أن تسْعى، وبعد لأى استجاب الشاعر وهو على مثْل موج البحر من القلق والاضطراب، وفي الصباح كُشِفَ الأمر، فهاج الوالى وأمر بالبحث عن الهارب في كل مكان وأودع الزوجة غياهب الاعتقال، ومضتْ الأيام والشاعر تتقاذفه الفلوات والبُلْدان حتى أتى دمشق ذات مساء ،انتظر حتى علم بعودة الأمير مَسْلَمة إلى بيته فاقتحم المنزل باكياً شاكياً وطلب الشفاعة في أمره ولم يكُن يعْرفه الأمير فقال له: كُلّ الأمر يهون إذا لم تكُن أنت الكُمَيْت، فقال في تخاذل: أنا الكُمَيْت، فعضّ مَسْلَمة على شفته وقال: الأمرُ عسير عسير، فأمير المؤمنين مُتحَرِّق إلى الانتقام ولن يُجْدى لديه استشفاعٌ، وأُغْمى على الشاعر فرَشّوا على وجهه الماء حتى أفاق ثم قال مَسْلَمة: إنّ أمير المؤمنين قد فقد ولده معاوية بن هشام وهو يزور قبره كُل صباح، فاذهب معى إلى أولاده الصغار واصْحَبهم إلى قبر معاوية ليشْفعُوا لك عنده وسيقولون لجَدهم استعاذ بقبر أبينا، فلا تُخيِّب رجاءه فيه، وأميرُ المؤمنين رقيق القلب أمام أحفاده، وربّما يأتى الخلاص.

قال الشاعرُ: وقد أعْددتُ قصيدةً أُعْلن فيها توبتى وأمدح أمير المؤمنين بما يذهب

حفيظته وستكون ماحيَةً لما أسلفت من ضلال.

قال مَسْلَمَة: هذا من توفيق الله، وبات الشاعر في منزل مَسْلَمة الذى دبّر الأمر على أحسنِ وجوهه وجاء الصباح فذهب الوالدُ الثاكل إلى قبر ولده وأفزعه أن يرى الصبيان يحْتمون بالقبر ومعهم إنسانٌ غريب، فتساءل في اهتمام عما كان ومَسْلَمةُ عن قُرْب يرى ويسمع فلمَا رآه هشام صاح بمَسْلَمة: ما هذا؟، فقال: ما ترى، لَم يجد الكُمَيْت مُجيراً غير قبر معاوية، وقد تشفَّع به وبصبيانه، فَبهت هشام، على حين وقف الشاعر المُرتجف ينشد:

الآن صِرْتَ إلى أُمَيْة

والأمور لها مصاير

يابن العقائل والأماثل

والجحاجحة الأخاير

من عبد شمس والأكابر

من أُمَيَّة فالأكابر

إنّ الخلافة والإمامة

رغْم ذي حسد وواغر

خضراً مع الشرف الرفيع

إليك بالرفد الوافر

أبنى أُمَيَّة إنكُم

أهل الوسائل والأوامر

أنْتم معادنٌ للخلافة

كابراً من بعد كابر

وإلى القيامَة لا تزال

لشافع فيكُم رواتر

ولم يشأ هشام أن يُغْضب أحْفاده، فأظهر عفوه عن الشاعر وطلب منه أن يرحَل حيث جاء ومعه كتاب العفو، ولكنّه كتب للوالي الجديد يوسف بن عمر أن يحتال لقتْل الشاعر بحيث لا يعلم أحد أن الخليفة هو الآمر، وبينما كان الشاعر مُطْلق السراح غيّر هيّاب فاجأهُ مَنْ اغتاله من المُلَثمين ورمى برأسه في الفضاء، وتبرأ يوسف بن عمر من الجريمة وقال: إنه سيقتصُ من الجُناة إذا اهتدى إليهم، ومضت الأيام دون أن يظهر المجرمون، ولكن أمر الخليفة قد نفذ، وفَهِمَ الناس ذلك دون ارتياب!.

***

الإمام محمد عبده في نظر الأستاذ العقاد

للأستاذ الدكتور/ عبدالمنعم أحمد يونس

١ - كتب العقاد الإسلامية:

لقد كتب العقاد كتاباته عن الإسلام فى الوقت الذى كانت فيه قوى الاستعمار تدعو إلى الإقليمية والطائفية حتى يمكنها تقويض بنيان المجتمع المسلم وفرض هيمنتها على مقدرات الأمة الإسلامية، وكانت تعمل جاهدة على فرض لغتها، وصرف المسلمين عن لغتهم التى نزل بها دستورهم العظيم كتاب الله الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. فإذا بالعقاد يجرد قلمه لطرح قضايا كان يعزف عنها كثير من الأدباء والمفكرين، يكتب العقاد حينئذ: «مطالع النور»، «والمرأة فى القرآن الكريم»، «الإسلام دعوة عالمية» كل ذلك فى الوقت الذى اكتشفت فيه بعض الآثار المصرية، وحاول الاستعمار أن يصرفنا عن تراثنا الإسلامى، وعن هويتنا العربية، وكأنه كان يوهمنا أننا مصريون أولا، وعلينا أن ننصرف إلى التراث المصرى، والآثار الفرعونية القديمة، وقد وهموا!!

إن الباحث فى تراث العقاد لايمكنه أن يغفل هذا التراث الضخم الذى قدمه أستاذ الأجيال عن الإسلام، لايمكنه أن يغفل ماكتبه من كتب: «ما يقال عن الإسلام» - «حقائق الإسلام وأباطيل خصومه» - «الإنسان فى القرآن الكريم» - «الإسلام فى القرن العشرين» - «الديمقراطية فى الإسلام».

والذى ينظر فى كتابه «الله» يجد أنه يعبر عن إنسان صلته بالله قوية، وعقيدته راسخة، فهو يقول فى المقدمة «موضوع هذا الكتاب نشأة العقيدة الإلهية منذ اتخذ الإنسان ربا إلى أن عرف الله الواحد الأحد، واهتدى إلى نزاهة التوحيد».

ثم يقول «وقد بدأنا بأصل الاعتقاد فى الأقوام البدائية، ثم خصصنا عقائد الأقوام التى تقدمت فى عصور الحضارة، ثم عقائد المؤمنين بالكتب السماوية، وشفعنا ذلك

بمذاهب الفلاسفة الأسبقين، ومذاهب الفلاسفة التابعين، وختمناه بمذاهب الفلسفة العصرية والعلم الحديث.

ويختم مقدمة الكتاب بقوله «وإن الله الذى هدى الأمم كافة على هذا النهج البعيد لكفيل أن يهدينا عليه، وأن يوفقنا لسداد النظر فيه، فلا هداية إلا به، ولامعول إلا عليه إنه سميع بصير مجيب»(١).

ولا أجل ولا أعظم من هذه الخاتمة التى ختم العقاد بها مقدمته، إنه يطلب الهداية من الله، والتوفيق لسداد النظر فيه، فلا هداية إلا به، ولامعول إلا عليه أنه سميع بصير مجيب، إننا نهدى هذه الكلمات إلى أولئك الذين يشككون فى عقيدة العقاد، ويضعون علامات استفهام أمامها.

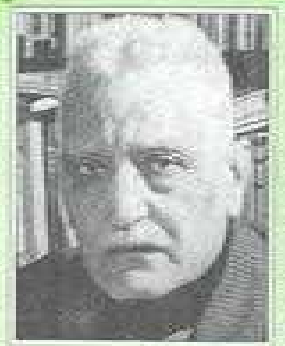
ولا أحب أن أترك هذه الفكرة حتى أقدم كلمة أخيرة، وهى أن الأستاذ العقاد يرى أن القرآن الكريم مصدر لكتابة كل ماكتبه عن الإسلام، بل إنه وضع فى مقدمة كتابه «حياة المسيح» تلك الآيات القرآنية التى ورد فيها حديث عن الشجرة المباركة شجرة الزيتون:

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾. النور (٣٥)

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ ﴾ الأنعام (١٤١)



الإمام محمد عبده



العقاد

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ النحل (١٠)

﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ التين (١).

﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴾. عبس (٢٤)

هذا التوجه من الأستاذ العقاد يجعلنا نتصور منهجه فى إسلامياته، فهو منهج يتخذ من القرآن الكريم ركيزة إلى طرح كل القضايا التى يريد تقريرها، فالقرآن الكريم:

﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ فصلت (٤٢)

العبقريات

ولايستطيع الكاتب عن إسلاميات العقاد أن يتجاوز جانبا فريدا فى كتاباته التى وسمها بالعبقريات والتى لايكتبها إلا

(١) «الله» عباس محمود العقاد ص ٩ ط مكتبة الأسرة ١٩٩٨م.

عبقرى، فالعبقرية صفة لازمة فى شخصيات العقاد، وهى لازمة لكاتبها أيضا والذى ينظر إلى القضايا التى تناولها العقاد، وهو يكتب عبقرياته يجد أنها لاتصدر إلا من رجل ذكى يستطيع أن يضع الأمور فى نصابها.

لقد تناول تلك الشخصيات رجال كثيرون، وحام حولها كتاب عظام، ولكن الذى ينظر إلى ماكتبه العقاد يجد أنه شئ آخر لم يعرض له كل أولئك الرجال، وكأن العقاد يقول لكل من كتب قبله، وكل من يريد الكتابة عن هؤلاء العظماء بعده عليكم أن تبحثوا فى عظمة هؤلاء العظماء، وأن تقدموهم للقارئ تقديما يتفق وما أوتوه من عظمة، وماَمنّ الله به عليهم من فضل.

لقد بدأ العقاد حديثه عن سيدنا عمر بن الخطاب بهذا الحديث الذى قاله أعظم الناس طرا، محمد ﷺ: «لم أر عبقريا يفرى فريه» ثم علق على ذلك بقوله: كلمة قالها النبى عليه السلام فى عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- وهى كلمة لايقولها إلا عظماء، خلقوا لسياسة الأمم، وقيادة الرجال.(٢)

وقد كان سيدنا عمر - كذلك - فهو الرجل الذى قاد دولة الإسلام فى أصعب فتراتها، فترات الفتوحات الإسلامية، وهو الرجل الذى اضطلع بتنظيم الدولة، ودوّن الدواوين، ووضع التاريخ الهجرى، وجعل للأمة الإسلامية كيانا يميزها عن سائر الأمم الأخرى.

٢- الإمام محمد عبده :

فى حديث العقاد عن الرموز الإسلامية أصحاب العبقريات عرض علينا حياة الإمام محمد عبده عبقرى الإصلاح والتعليم، فتناوله من جملة زوايا، أو قل عرض علينا مكونات شخصيته.

العصر الذى عاش فيه - القرية التى احتضنته طفلا - الأزهر الذى ضمه إليه وهو فتى تحدوه آمال الشباب، ثم تحدث عن محور حياته مع السيد جمال الدين الأفغانى، ومع الثورة العرابية، ثم القضية القومية، ثم جهوده مع الأزهر، ومع عباس الثانى، وأخيرا عرض لصفاته، فهو المعلم وهو المصلح الفيلسوف.

إننا نراه فى كل حديثه عن الإمام محمد عبده يميل إلى إعطائه الصورة التى تتناسب معه، والذى يقرأ ما كتبه العقاد فى حديثه عن العصر الذى عاش فيه الإمام محمد عبده، يدرك أن العقاد لم ييمم وجهه نحو الشيخ محمد عبده لأنه كان لصيقا به، أو قريبا منه، وإنما صنع ذلك لما رآه فى هذا الداعية من تفتح على روح العصر، بل ومن سبق لعصره الذى كان فيه أقرانه لا يزالون يعيشون فى عصور الظلام.

يقول العقاد «من هؤلاء الناظرين بأعينهم إلى النور بعد منتصف القرن التاسع عشر، بل

(٢) «عبقرية عمر» عباس العقاد ص ١٠ الطبعة السادسة ١٩٦٠ مكتبة الأنجلو المصرية.

فى الطليعة من اولئك الناظرين البصراء إلى حقائق زمانهم نابغتنا الأزهرى الريفى الذى يعلم علم اليقين، بل آمن إيمان الدين المتين أن التقدم العصرى رهين بعلوم لنا أهملناها، وهجرناها، وعلوم للمعتدين علينا سبقونا إليها، ولم نلحقهم فى غير القليل منها، وهى حقيقة من بديهيات أيامنا هذه بعد منتصف القرن العشرين، ولكن نابغتنا الريفى الأزهرى - محمد عبده - كان يقررها بعد منتصف القرن التاسع عشر، فيجد أمامه من يخاطبهم بمثل ذلك المقال الذى كتبه فى صحيفة الأهرام الأسبوعية، وتحرى فيه أن يكتبه بأسلوب المخضرم بين القديم والحديث(٣).

وينقل العقاد فقرة من مقال الشيخ محمد عبده يقول: «ليت شعرى إذا كان هذا حالنا بالنسبة إلى علوم قد أرضعت ثدى الإسلام، وغذّيت بلبانه، وتربت فى حجره، وتقلدت فى إيوانه منذ زمن يزيد على ألف سنة، فما حالنا بالنسبة إلى علوم جديدة مفيدة هى من لوازم حياتنا فى هذه الأزمان، لا بد لنا من اكتسابها، وبذل المجهود فى طلابها؟ كنا نؤمل أن المبنج يفيق بشم روح النوشادر فى زمان جرى فيه سيل العلوم، حتى عم أنحاء الكرة الأرضية على العموم، وظهر فيه التوازن بينها وبين أحوالنا المهجنة كثروتهم وفاقتنا وعزتهم وذلتنا، وقوتهم وضعفنا، وقدرتهم وعجزنا، وصولتهم وانهزامنا، وغير ذلك من المزايا والرزايا التى لا تعد لكن صمت الآذان، وعميت الأبصار:

﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

البقرة (٧)

والمقال هو سلسلة من مقالات الأستاذ الإمام فى سنة ١٢٩٣هـ والذى ينظر إلى ما كتبه العقاد يرى أنه ركز على صفتين عند الإمام محمد عبده هما الريفى الأزهرى، وكأن القرية عند العقاد لها دور خاص فى تربية من ينتسب إليها، وكذلك الأزهر مصدر الإشعاع والنور فى حياة من ينسب إليه، لذا نراه يفرد للقرية عنوانا خاصا، وكذلك الأزهر.

وفى حديث العقاد وعن القرية والأزهر يسوق لنا حادثة حدثت إبان حكم المماليك، أسوقها فى تلخيص سريع، كى يدرك القارئ دور القرية والأزهر فى العصور الماضية، فقد روى الجبرتى فى الجزء الثانى أن الفلاحين فى قرية من قرى بلبيس شكوا فى شهر ذى الحجة سنة ١٢٠٩ هـ ١٧٩٥ ميلادية إلى الشيخ عبدالله الشرقاوى كبير علماء الأزهر لما لحق بهم من أتباع محمد بك الألفى أمير المماليك المشهور، فأبلغ الشيخ شكواهم إلى كل من مراد بك وإبراهيم بك ليخاطبا الألفى بك فى هذه الشكوى، ويطلبا إليه أن

(٣) «الإمام محمد عبده» العقاد ص ١١ ط نهضة مصر ١٩٦٢.

يكف أتباعه مما يوجبها، وانقضى زمن على هذا البلاغ بغير جدوى فجمع الشيخ الشرقاوى علماء الأزهر، وتشاوروا فى الأمر، وانتهوا إلى إنذار الأمراء جهرة بالمقاومة، واتفقوا على إغلاق أبواب الجامع، ودعوة التجار، وأصحاب الأعمال إلى إغلاق الدكاكين، وحوانيت التجارة وإعلان ماتسميه اليوم بالإضراب العام.

وبخلص الأستاذ العقاد من هذه القصة الطويلة، والتى أذعن المماليك فى نهايتها إلى مطالب رجال الأزهر، وكتبوا وثيقة بذلك أسموها بالحجة الشرعية ـ إلى أن القرية والأزهر كان لهما أثر بالغ فى الوقوف أمام الظلم وفى وضع حد لكل هذه الأعمال التى كان يقوم بها الحكام، وكان الأزهر ورجاله فى مقدمة المنادين برفع الظلم عن المظلومين.

يقول العقاد «ولو أن هذه الوثيقة كتبت فى بعض البلاد الأوروبية لجاءنا خبرها مع ما كتب القوم من علوم السياسة الحديثة بعنوان من تلك العناوين الكبيرة عن حقوق الشعب، أو الدستور الأكبر، أو «الماجناكارتا» وما إليها من مصطلحاتهم التاريخية ولكن العلماء الذين دعوا أمراء العصر إلى توقيع ذلك العهد لم يحسبوا أنهم جاءوا إلى الناس بعهد جديد غير التذكير بعهد كتاب الله، وسنة رسوله التى نسيها أولئك الأمراء، وكتب الموثق «حجة» عليهم بشهادة الرعية وشهادة الأمة التى تأمر بالمعروف من عباده العلماء»(٤).

ويستمر الأستاذ العقاد فى تقديم الإمام محمد عبده عبقرى الإصلاح والتعليم إلى القارئ العربى على أنه واحد من أولئك الذين أسهموا بجهدهم ومالهم فى سبيل الإصلاح، وأنه واحد من علماء الأزهر الذين بذلوا كل ما يستطيعون فى سبيل نهضة الأمة ورفعة شأنها، وكان يؤمن إيمانا راسخا بأن الأمم لا تنهض إلا بالتعليم والتعليم الذى يقفها على ما وصلت إليه الأمم الأخرى، وكان يؤمن بدور الأزهر، ورسالته التى حملها على مدى عشرة قرون، وكان يؤمن، أيضا ـ بأن الأزهر لابد أن يساير ركب الحضارة الحديثة، وعليه أن يأخذ وضعه اللائق به، وأن يؤدى ذلك الدور منطلقا من المسئولية التى تحملها منذ نشأته فهو المكان الذى تهفوا إليه نفوس الأمة الإسلامية والعربية.

إن العقاد يضرب على وتر التدين فى كل كتاباته، وكأنه يؤمن بأن الدين مصدر أساسى فى حياة الإنسان، ولايظن ظان أنه يستطيع التفرد، أو يمكنه التفوق دون أن يستمد ذلك من عقيدة سليمة، وإيمان قوى بأن واهب العقل ومعطى العبقرية هو الله ـ سبحانه وتعالى ـ رحم الله الإمام محمد عبده، وجزاه عن الإسلام والأزهر خير الجزاء.

(٤) «عبقرى الإصلاح والتعليم الإمام محمد عبده» عباس العقاد ص ٦٦، ٦٧ المرجع السابق.



السور الأمنى يواصل خنق وتمزيق المدن الفلسطينية

خريطة جديدة للقدس الشرقية

للأستاذ / صلاح عبدالرحيم محمد

طالعت عدداً من البرامج الانتخابية للأحزاب الإسرائيلية، فلاحظت أنها تتبارى فيما بينها، وتتنافس على الدعوة إلى ضم قدس ٦٧ إلى قدس ٤٨، وتوحيدها، لتكون العاصمة الأبدية لدولة إسرائيل، وأيدتها فى ذلك الحكومات الإسرائيلية التى وصلت إلى سلطة الحكم، ورفعت شعار «أنه لا معنى لإسرائيل بدون القدس»، ومن ثم سعت هذه الحكومات إلى مواصلة عمليات الاستيطان فى كل أنحاء القدس الشرقية للسيطرة عليها من جهة ولتأمين وحدتها بشقيها الشرقى والغربى من جهة أخرى وفى إطار المشاريع الاستيطانية للقدس أقر «إرئيل شارون» خطة استيطانية عندما كان وزيراً للإسكان أطلق عليها «مشروع ست وعشرين بوابة حول القدس» لبناء عدد من الأحياء اليهودية فى قلب الأحياء العربية فى القدس الشرقية، وقدم فى ذلك الوقت طرحٌ بوضع الحى الإسلامى والمسيحى ونصف الحى الأرمنى فى البلدة القديمة تحت السيادة الفلسطينية، والحى اليهودى ونصف الحى الأرمنى تحت السيادة الإسرائيلية، لنشر الأحياء اليهودية فى جميع أنحاء القدس، حتى يكون الفلسطينيون أقلية واليهود أكثرية.

ومنذ احتلال إسرائيل القدس الشرقية فى السابع من يونيه ١٩٦٧ فقد انتهجت السلطات الإسرائيلية أسلوبين لتنفيذ خطط

الاستيطان اليهودي فيها ، الأول هو مصادرة الأراضي العربية للمنفعة العامة ، لذلك فإنها قامت بمصادرة ٣٥٪ من مساحة القدس العربية، وأنشأت عليها ١٥ مستوطنة يهودية تضم ٤٥ ألف وحدة سكنية في إطار مخطط استيطاني ضخم لبناء ٥٦ ألف وحدة سكنية لإسكان ١٨٠ ألف مستوطن يهودي.

والثاني تطبيق قانوني التنظيم والتخطيط فقامت من خلالهما بتحديد ٤٠٪ من أراضي القدس الشرقية «كمناطق خضراء» تمثل احتياطيا استراتيجيا لأية توسعات استيطانية و ٦٪ للطرق و ٥٪ لإعادة التنظيم و ١٤٪ خصصت للفلسطينيين..

ومن ناحية أخرى فإن معظم الأراضي التي يملكها سكان القدس الشرقية صنفتها إسرائيل «أراضي خضراء» لا يمكن البناء عليها بينما ما يملكه اليهود من أراضي فمسموح البناء عليها والهدف من ذلك واضح وهو نشر الاستيطان اليهودي واللافت للنظر أنه منذ اتفاق أوسلو عام ١٩٩٣ حرصت إسرائيل على تنشيط الحركة الاستيطانية حول القدس الشرقية لتطويقها وعزلها عن باقي أجزاء الضفة الغربية ووضعت خطة لتحقيق هذا الهدف من خلال عدد من المهام، وهي:

أولاً: إقامة ثلاثة أحزمة ديموجرافية وأمنية وهي:

حزام مستوطنة جبل أبوغنيم ، ومستوطنة جيلو :

وحزام «جبع ـ عناتا» ويضم مستوطنات آرام ، ومعالية أدوميم ، وعلمون :

وحزام «قلنديا ـ جبع» ويشمل مستوطنات عطروت ، جفعات زئيف، بساغوت ، كوخاف يعكوف.

وثانيًا: ربط الحزام الذي أقيم حول القدس الشرقية بالعمق اليهودي للقدس الغربية عبر النفق الذي جرى شقه تحت جبل المشارف «جبل سكوبس».

وثالثًا: نشر النقاط الاستيطانية اليهودية داخل الأحياء السكنية العربية في القدس الشرقية ويتم في الوقت الراهن اسكان ٢٠٥ وحدات سكنية للمستوطنين اليهود في حي رأس العمود الفلسطيني قرب الحرم القدسي الشريف.

رابعًا: إقامة الحواجز العسكرية لفصل المناطق السكنية الفلسطينية في القدس الشرقية، كما حدث في بيت حنينا

وخامسًا: رصد ١١ مليون دولار لتحديث البنية التحتية للأحياء السكنية اليهودية في المدينة المقدسة ، وربطها بالقدس الغربية .

وسادسًا: إقامة المعابر بين المناطق الفلسطينية ونشر الحواجز ، وبخاصة في الأحياء الشمالية الكثيفة السكان في القدس مثل مخيم شعفاط والزعيم وأيضا في المسالك والطرق الترابية المؤدية لمدن العيزرية وأبوديس والقيام بتحصين الحواجز الرئيسية في مناطق الرام وقلنديا وتعزيزها بالكتل الأسمنتية وأكياس الرمل.

وسابعًا: إغلاق معظم المؤسسات الرسمية الفلسطينية في القدس الشرقية وعلى رأسها «بيت الشرق» الذي كان يعتبر بمثابة وزارة للخارجية الفلسطينية حيث كان يستقبل فيه كبار الشخصيات الدولية.

ثامنًا: سحب الهويات الإسرائيلية التي منحت لسكان القدس الشرقية عقب إعلان ضمها عام ١٩٦٧ وتسليمهم «هويات سلطة» مع إبقائهم تحت بصر السلطات الإسرائيلية وفي هذا السياق قرر وزير الإسكان الإسرائيلي «آفي إيتام» في حكومة شارون الحالية إحياء مشروع استيطاني كبير يلتهم ١٤ ألف «دونم» (١) من الأراضي الواقعة شمالي شرقي القدس الشرقية، ويتضمن بناء ١٥٠٠ وحدة سكنية على مساحة ٣٠ ألف متر مربع، بالإضافة إلى إقامة مركز سياحي، يشمل فنادق ، ومنطقة تجارية ، وأيضا وحدات سكنية يهودية ويذكر أن المرحلة الأولى لهذا المشروع تبدأ ببناء ٤٠٠ وحدة سكنية بين مستعمرة «معاليه أدوميم» ومستعمرة التلة الفرنسية ومن جهة أخرى يربط هذا المشروع الاستيطاني مستعمرة «معاليه أدوميم» الواقعة جنوب شرق القدس ومستعمرة «جفعات زئيف» والتلة الفرنسية ، ويجعل من بلدة «الزعيم» الفلسطينية «جيتو» تطوقه الوحدات السكنية اليهودية من جميع الجهات ، وعلى صعيد آخر صادرت بلدية القدس حوالي ١٠٠ دونم من أراضي «جبل المكبر» في القدس الشرقية لاستكمال شق شارع استيطاني ، يربط مستعمرة «معاليه أدوميم» بمستعمرة «جبل أبوغنيم» كما استحدثت السلطات الإسرائيلية «شبكة طرق طولية جديدة» لخدمة أهداف أمنية وللسيطرة على الضفة الغربية بما فيها القدس ومن أهم هذه الطرق نذكر **أولاً:**

الطريق رقم ٦٠ الذي يشطر الضفة الغربية من الشمال إلى الجنوب ويبدأ من العفولة شمال الخط الأخضر ومرورا بوسط مدن جنين ونابلس ورام الله والقدس الشرقية وبيت لحم والخليل ويقع هذا الطريق في المنطقة «ج» الخاضعة للسيطرة الإسرائيلية.

وثانيًا: الطريق رقم ٨٠ ويخترق صحراء الجليل باتجاه النقب قرب مستعمرة «معاليه أدوميم» ومنها يسير إلى مستعمرة «كرميل» ليصل إلى مستعمرة «سوسيا» عابرا منها إلى الخط الأخضر داخل إسرائيل واللافت للانتباه أن الهدف من إنشاء هذا الطريق هو ربط النقب في الجنوب بالقدس العربية ونابلس وغور الأردن في الشمال تجنبا للمرور عبر القدس وتحاشيا للمرور وسط التجمعات السكانية الفلسطينية في بيت لحم ، والخليل جنوب القدس الشرقية.

وثالثًا: الطريق رقم ٩٠ وهو طريق «أريحا ـ عين جدي» ويبدأ من بيسان إلى الشمال من الخط الأخضر ، مرورا على غور الأردن، وأريحا ، ويواصل مسيره جنوبا حتى «عين جدي» على البحر الميت ، ومنها يمتد على طول الحدود الشرقية لفلسطين حتى مدينة إيلات «أم الرشراش».

وفى إطار الخطط الإسرائيلى لتطويق القدس الشرقية وعزلها عن باقى أجزاء الضفة الغربية يجرى حاليا حصار المدينة المقدسة بثلاث كتل استيطانية يهودية من أجل سلخها عن واقعها العربى والإسلامى الأصيل وطبعها بالطابع اليهودى.

الأولى: هى كتلة «عتسيون» الاستيطانية وتقع جنوب القدس الشرقية وتحاصر بمستعمراتها منطقة بيت لحم وتتكون من مستعمرات «بيتار عيليت» التى يستوطنها اليهود المتدينون أتباع حزب «شاس» الدينى المتطرف، و «كفار عتسيون» و «تكواع» التى تتصل بمستعمرة جبل أبوغنيم عبر طريق «زعترة الالتفافى» وبذلك يتم عزل بيت لحم، جنوب القدس، وإغلاق المدخل الجنوبى للقدس الشرقية والثانية: هى «كتلة معاليه أدوميم» الاستيطانية وتقع شرق القدس وتتكون من مستعمرات «كيدار» و «معاليه أدوميم» و «ميشور أدوميم» و «كفار أدوميم» وترتبط هذه المستعمرات ببعض عبر العديد من الطرق، كما تضم هذه الكتلة الاستيطانية حوالى ٣٥ ألف مستوطن يهودى منهم ٣٠ ألفاً يسكنون فى مستعمرة «معاليه أدوميم» وحدها وفى هذا السياق يجرى حاليا تنفيذ مشروع E1 بإقامة عدة مناطق صناعية وتجارية وفنادق ووحدات سكنية يهودية لملأ الفراغ الموجود بين مدن «عناتا» و «الزعيم» و «العيزرية» من جهة وتطويق مدن «العيزرية» و «أبوديس» و «الزعيم» و «عناتا» الفلسطينية من جهة أخرى وتشكل هذه الكتلة الاستيطانية شرق القدس فاصلا بين شمال الضفة الغربية وجنوبها، بالإضافة إلى تطويق القدس، ومنع تواصلها مع الأردن.

والكتلة الثالثة: هى «كتلة بنيامين» الاستيطانية وتقع شمال القدس وتتكون من مستعمرات «ألمون» و «أدام» و «شاعر بنيامين» و «كوخاف يعقوف» و «بساغوت» وتحاصر هذه الكتلة الاستيطانية مدينة البيرة وحزما الفلسطينيين وتعمل على خنقهما كما تطوق القرى والبلدان، والمدن الفلسطينية الواقعة فى الشمال الغربى من القدس الشرقية وبذلك يتم عزلها عن القدس والجدير بالذكر فى هذا المقام أنه يجرى على قدم وساق توسيع المستعمرات الواقعة غرب القدس على امتداد الطريق السريع وهو «طريق القدس» تل أبيب الشمالى لإحكام السيطرة الكاملة على القدس وعزلها تماما عن الضفة الغربية واستكمالا لتنفيذ مخطط عزل القدس عن الضفة الغربية فإن ملامح الخريطة الجديدة للقدس الشرقية قد اكتملت من خلال الجدار الفاصل المعروف باسم «غلاف القدس» والذى فرغت إسرائيل من بناء أجزاء منه فى جنوب وشرق، وشمال وغرب القدس، لتقطيع أوصالها ويذكر أن هذا الجدار الذى يبلغ ارتفاعه ٨ أمتار يمر جزء منه شرق مدن العيزرية وأبوديس على الجانب الشرقى من القدس الشرقية، ويمتد حتى مفترق مستعمرة «معالية أدوميم» ويشق كل الأحياء الفلسطينية فى

المدينة إلى شقين كما يقطع أوصال حى «صور باهر» الفلسطينى ويطوق حى «الشيخ سعد» وقرية «السواحرة الغربية الواقعة داخل حدود بلدية القدس بالإضافة إلى أن مئات الآلاف من الفلسطينيين الموجودين خارج الجدار سيصعب عليهم الوصول إلى أعمالهم الموجودة خلف الجدار، خصوصا من ناحية الشرق حيث تقع مستعمرات «معاليه أدوميم» و «جفعات زئيف» و «نوكديم» و «تكواع» التى تحيط بها الأسوار والطرق الالتفافية كما يفصل الجدار العازل القدس الشرقية عن بقية أجزاء الضفة الغربية من جهة ويفصل أيضا بيت لحم عن الضفة الغربية والقدس من جهة أخرى، خاصة بعد قيام السلطات الإسرائيلية بمصادرة ٣٠٠٠ فدان شمال بيت لحم، التى تعتبر الطريق الرئيسى الموصل إلى القدس الشرقية، ومن الأهمية بمكان فإن الجدار بهذه الصورة يجعل الدخول إلى القدس مقتصرا عبر ثلاث بوابات رئيسية:

الأولى: هى بوابة الزعيم شرقا،

والثانية: هى بوابة جبل أبوغنيم «هارحوما» جنوبا،

والثالثة: هى بوابة قلنديا شمالا، ومن جانب آخر فإن ثمة انتقادات داخل إسرائيل من جانب بعض المحللين السياسيين والعسكريين حول مدى جدوى الجدار العازل لتحقيق الأمن للمواطن الإسرائيلى، والسلام مع المواطن الفلسطينى فيقول المحلل السياسى الاسرائيلى «عكيفا الدار»: ها هى إسرائيل تقوم بتركيب الحواجز بين المواطن العربى وابنه، وبين الطالب العربى ومدرسته فهذا الجدار يقوم أساسا بعزل القدس الشرقية عن الضفة الغربية ويفصل بين ٣٠٠ ألف فلسطينى منهم ٢٥٠ ألفا من سكان القدس الشرقية و ٥٠ ألفا من مواطنى الضفة الغربية على الجانب الآخر من الجدار وإن نظرة فاحصة وسريعة تكفى للاقتناع بأن هذا الجدار لا يمت بأية صلة للاحتياجات الأمنية وبالإضافة إلى ذلك يقول أيضا المحلل العسكرى الإسرائيلى «زئيف شيف» بهذا الصدد: إن القدس مدينة مفتوحة الأبواب على مناطق السلطة الفلسطينية، ومن الصعب إغلاقها، ومعنى عزلها عن المناطق هو إغلاق المراكز الدينية والتجارية والطبية فى وجه الفلسطينيين وسيؤدى ذلك إلى اشتباك بين المستوطنين اليهود وعرب القدس، وربما يؤدى أيضا إلى مواجهة دولية وعموما يمكن أن يقال فى الختام إن تطويق القدس الشرقية بالمستعمرات اليهودية والجدار والأسوار والحواجز والطرق الطولية والأحزمة والسواتر الترابية والكتل الأسمنتية يكشف نوايا إسرائيل فى ضم القدس وعزلها عن الضفة الغربية وعدم التخلى عنها وبالتالى رفضها لأية تسوية سياسية عادلة تقر بحق الشعب الفلسطينى فى إقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشرقية ومن هنا فإن السؤال الذى يفرض نفسه بإلحاح عربيا وإسلاميا ودوليا هو: ماذا يفعل قادة العالم العربى والإسلامى فى ظل ما يجرى فى القدس العربية؟

بلفور ٢٠٠٣

للأستاذ / أحمد السيد تقي الدين

مثلت قضية اللاجئين الفلسطينيين واحدة من أعقد مشكلات القضية الفلسطينية، فعلى الرغم من الإجماع الدولي على حق الفلسطينيين الذين أجبروا على ترك ديارهم منذ عام ١٩٤٨ إلا أن الكيان الصهيوني المدعوم بقوة من الولايات المتحدة الأمريكية يرفض بشدة خوفاً من إزدياد عدد السكان الفلسطينيين بشكل يمثل خطورة على كيانه لأن عدد اللاجئين الفلسطينيين المشردين في العالم يزيد على خمسة ملايين.

ومؤخرا شهدت العاصمة السويسرية جنيف توقيع واحدة من أخطر المعاهدات في تاريخ الصراع العربي الصهيوني حيث اجتمع فريق غير رسمي يمثل الفلسطينيين برئاسة الوزير الفلسطيني السابق ياسر عبد ربه، وآخر يمثل الجانب الإسرائيلي برئاسة يوسي بيلين وزير العدل الأسبق، حيث قام الطرفان بتوقيع وثيقة سلام جديدة وصفت بأنها (غير رسمية) وذلك في احتفال دولي وبحضور عدد من الشخصيات العالمية.

تضمنت الوثيقة تصورا لدولة فلسطينية منزوعة السلاح مقامة على ٩٧٪ من أراضي الضفة الغربية وسيادة فلسطينية إسرائيلية مشتركة على مدينة القدس مع امتلاك مطلق من جانب الطيران الإسرائيلي لكافة الأجواء الفلسطينية وتعهد فلسطيني بالسيطرة على الإرهاب ونزع سلاح الفصائل الفلسطينية، واحتفاظ إسرائيل بمعظم مستوطناتها في الضفة الغربية.

غير أن أكثر ما أثار الحفيظة والغضب هو ذلك النص الذي وافق الطرف الفلسطيني في المفاوضات على التوقيع عليه وهو: «التنازل عن حق العودة للاجئين الفلسطينيين». ومما يزيد من خطورة هذا النص هو أن الوثيقة تضمنت كذلك نصا يؤكد على أن الوثيقة في حالة دعمها رسميا تحل محل جميع قرارات الأمم المتحدة ذات الصلة.

هنا وقف المعنيون الفلسطينيون يقولون: (لا) وقف اللاجئون الفلسطينيون يعترضون على أن «يصدر من لا يملك وعدا لمن لا يستحق» للمرة الثانية في تاريخ القضية الفلسطينية ولذلك أطلقوا على الوثيقة اسم (وثيقة وعد بلفور ٢٠٠٣).



وانعقد في العاصمة البريطانية (لندن) مؤتمر ضم مائة شخصية فلسطينية كممثلين عن خمسة ملايين لاجئ فلسطيني وذلك يومي ١٧، ١٨ أكتوبر ٢٠٠٣، حيث طرحوا تساؤلا مؤداه: كيف يبيح عدد من الأشخاص لأنفسهم أن يتنازلوا عن حق العودة نيابة عن اللاجئين متجاهلين التطبيق الفعلي للقرار (١٩٤) الصادر عن الأمم المتحدة الذي يؤكد حق عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم التي طردوا منها؟!

وأصدر المؤتمر بيانه الختامي وجاء فيه:

نحن الفلسطينيين الموقعين أدناه، لقد تم طرد شعبنا الفلسطيني من دياره في فلسطين عام ١٩٤٨ على يد القوات العسكرية الصهيونية والإسرائيلية وأجبر على النزوح من ٥٣١ مدينة وقرية، وصادرت إسرائيل أراضيه التي تبلغ ٩٢٪ من مساحتها الحالية.

إن الشعب الفلسطيني تعرض خلال ٥٥ عاما من التشريد إلى ويلات الحروب والاضطهاد وإنكار الهوية الوطنية والتمييز العنصري، «والتنظيف العرقي» وعاني نفسيا وماديا، وكان ضحية لعملية منظمة ومديرة ومدعومة من الخارج لاقتلاعه من وطنه واستبداله بمهاجرين من جميع أنحاء العالم وفق أكثر القوانين ظلما وعنصرية وهو قانون العودة الإسرائيلي.

كما أن هذا الشعب لا يزال يمثل حتى اليوم أكبر عدد من اللاجئين والمهجَّرين في العالم وأقدمهم في الشتات إذ يبلغ عددهم حوالي ٦ ملايين يمثلون ثلثي الشعب الفلسطيني بأكمله

وبما أنه لم يتمكن حتى الآن من تحقيق حقه الطبيعى فى العودة إلى وطنه وتعويضه عن خسائره برغم الإجماع الدولى المنقطع النظير والمتمثل فى مئات القرارات الصادرة عن هيئة الأمم المتحدة والمجتمع الدولى.

لذلك فإننا نؤكد ما يلى : إن حق اللاجئين والمهجَّرين الفلسطينيين فى العودة إلى ديارهم حق أساسى من حقوق الإنسان، أكده الميثاق العالمى لحقوق الإنسان، والميثاق العالمى للحقوق المدنية والسياسية والميثاق العالمى للحقوق المدنية والسياسية والميثاق الدولى لإزالة كل أشكال التمييز العنصرى واتفاقية جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩ والمواثيق الأوربية والأفريقية والأمريكية لحماية حقوق الانسان والحريات الأساسية.

كما أن حق اللاجئين والمهجرين الفلسطينيين فى العودة إلى ديارهم حق غير قابل للتصرف ولا يسقط بمرور الزمن، وهو حق أكدته الأمم المتحدة بموجب قرارها رقم ١٩٤ الصادر فى ١١ ديسمبر ١٩٤٨ وأعادت تأكيده ١٣ مرة منذ عام ٤٨ وحتى اليوم.

كما أن حق العودة نابع من حركة الملكية الخاصة وعدم زوالها بالاحتلال أو استبدال السيادة وهو الحق الذى طبق على اليهود الأوروبيين الذين استعادوا أملاكهم التى صودرت أثناء الحرب العالمية الثانية دون الرجوع إلى قرار دولى محدد.

كما أن حق العودة حق شخصى فى أصله لا تجوز فيه النيابة أو التمثيل عنه أو التنازل عنه لأى سبب فى أى اتفاق أو معاهدة وهو حق جماعى أيضا.

كما أن حق العودة لا ينتقص أن يتأثر بإقامة دولة فلسطينية بأى شكل.

وبموجب كل ما سبق فإننا نعلن عدم قبولنا لكل ما تتمخض عنه أى مفاوضات من تنازل عن أى جزء من حق اللاجئين المهجرين والنازحين بالعودة منذ عام ١٩٤٨ وتعويضهم ولا نقبل التعويض بديلاً عن حق العودة.

كما أننا نطالب بالتعويض المناسب عن المعاناة النفسية والأضرار المادية وجرائم الحرب التى لحقت باللاجئين خلال ٥١ عاما استنادا إلى قرارات الأمم المتحدة والسوابق القانونية.

ونحن إذ نوقع أدناه أفرادا من سائر فئات الشعب الفلسطينى ومنا اللاجئون الذين يعيش ١٩٪ منهم فى أراضى السلطة الوطنية الفلسطينية والباقى خارجها لنتوجه إلى المدافعين عن حقوق الإنسان والمواطنين الشرفاء والمجتمع الدولى وهيئة الأمم المتحدة وحكومات العالم خصوصا الدول التى كان لها دور فى مأساة الشعب الفلسطينى أن يدعموا بكل الوسائل الممكنة حق الفلسطينيين فى العودة إلى ديارهم بالإضافة إلى التعويض.

إن السلام العادل والشامل فى الشرق الأوسط لن يسود دون تنفيذ حق العودة لأكبر وأهم وأقدم قضية لاجئين فى العالم.

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم
عادل رفاعى خفاجة

المساواة بين الرجل والمرأة فى الإسلام

تناولنا فى العدد الماضى شيئاً عن المساواة في الإسلام وقد تضمن الحديث بعض الأمثلة التي لا تدع مجالاً للجاج ممتر أو حاقد وبقى الحديث عن المساواة بين الرجل والمرأة وهو مجال لا يقل عن سابقه وضوحا فهو جزء منه لا ينفصل ولا يختلف عنه غير أن المستشرقين قد وجدوا فى هذه الناحية ضالتهم المنشودة للنيل من الإسلام إما لجهل بعضهم بمرامى اللغة العربية وعدم الإلمام بدقائقها وإما حسداً من عند البعض الآخر وقد واكب هؤلاء وسار على دربهم مجموعة من المستغربين الذين يرون أن الخير كل الخير فيما بين أيدى الغرب ذاهلين عما بين أيديهم من هدى ربهم.

وتضافرت جهود الفريقين:

فريق أعضاؤه: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ ﴾[1]

وفريق أعضاؤه يبتغون النجاة فى غير كتاب الله، وإلى أولئك وهؤلاء نقول: لقد غاب عنكم أو لعلكم تغافلتم عن العلاقة التكاملية بين الرجل والمرأة التي هى أشبه ما تكون بحاجة الجسم إلى العقل والقلب معا، فلا حياة للجسم بوجود أحدهما دون الآخر، وهكذا حاجة المجتمع للرجل والمرأة.

ومن هنا كان توزيع الأدوار التى تتناسب مع طبيعة تكوين كل منهما.

إن الدين الإسلامى أنصف المرأة وأعطاها من الحقوق مالم تحصل عليه فى ظل أى حضارة سابقة، فقد كان وضع المرأة مزريا مهيناً، حيث كانوا يعتبرونها منبع الشر، وأن روحها أقل رقيا من روح الرجل، فجاء الإسلام ليعلن على لسان نبيه الكريم أن «النساء شقائق الرجال»[2].

---

(١) سورة التوبة (٣٢).

(٢) سنن الترمذى ـ كتاب الطهارة.

أهناك مساواة أفضل من ذلك ؟!

ولنتأمل حديث الرسول ﷺ الذى يقول فيه «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[3] أى كل مكلف فيشمل الذكر والأنثى[4] فقد سوى النبى ﷺ بين الرجل والمرأة فى طلب العلم ولم يكتف النبى ﷺ بمجرد القول، بل كان يقوم من بذلك عملياً، حيث ورد أنه :

جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتك فيه، تعلمنا ما علمك الله، قال : اجتمعن يوم كذا وكذا فى موضع كذا وكذا، فاجتمعن، فأتاهن رسول الله ﷺ فعلمهن مما علمه الله[5].

أليس فى ذلك مساواة بين الرجل والمرأة فى طلب العلم !! وقد ذكرنا طلب العلم على سبيل المثال لا الحصر فقد سوى الإسلام بين الرجل والمرأة فى كل التكاليف الشرعية، ويكفى للمنصف أن يقرأ سورة المجادلة ليعلم موقع المرأة وسمو مكانتها فى الإسلام وكيف استجاب الله لدعائها من فوق سبع سموات.

والأمثلة كثيرة تثبت اهتمام الإسلام بالمرأة ومساواتها مع الرجل باستثناء الجوانب التى ترهق كاهلها أو تخرجها عن طبيعتها التى أرادها لها الله لتكون أساس السكن.

غير أن المستشرقين أثاروا عدة نقاط عدّوها تمييزاً ضد المرأة منها : أن نصيب المرأة فى الميراث على النصف من نصيب الرجل، وأن شهادة الرجل تعدل شهادة امرأتين، وأن القوامة فى يد الرجل دون المرأة.

أما عن المسألة الأولى، فإن ما أوقع المستشرقين ومن دار مدارهم فى ذلك الخطأ أنهم نظروا إلى المسألة من المنظور الجنسى وليس من المنظور الوظيفى الذى يترتب عليه واجبات ومسئوليات «وهو المنظور الإسلامى» فلو كان الفارق الجنسى هو المعتبر فى الميراث لما وجدنا التساوى فى الميراث بين الرجل والمرأة فى أى حالة من حالات الميراث، وهو ما لم يحدث، بل فى بعض الحالات ترث المرأة أكثر من الرجل فمن ذلك أنه :

(١) إذا توفى رجل وترك ابن وأب وأم فإن نصيب كل من الأب والأم السدس «لا فرق بين ذكر وأنثى».

ـ وكذلك إذا ترك ابن وجد وجدة فإن نصيب كل من الجد والجدة السدس، لا فرق بين ذكر وأنثى.

وكذلك إذا توفى رجل وترك أب وبنت.

فإن البنت تأخذ نصف التركة، ويأخذ الأب الباقى وهو نصف التركة أى : «لا فرق بين ذكر وأنثى».

أما إذا توفى رجل وترك أخت شقيقة وأخوين لأب فإن الأخت الشقيقة تأخذ النصف ويأخذ الأخوان النصف الباقى أى يحصل كل واحد منهما على ربع التركة أى نصف ما أخذته الأخت.

(٣) سنن ابن ماجة ـ كتاب المقدمة ـ باب فضل العلم (٤) شرح سنن ابن ماجة للسندى (شرح الحديث السابق)

(٥) صحيح البخارى ـ كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة ـ باب تعليم النبى صلى الله عليه وسلم أمته.

أما فى الحالات التى يكون فيها ميراث الذكر ضعف ميراث الأنثى، فإنما ينظر فيه إلى إعمال مبدأ العدالة ومراعاة المسئولية الملقاة على كاهل الذكور فالأخ الشقيق عليه إعالة شقيقته والإنفاق عليها عند فقد العائل. فعلى ذلك يأخذ ضعف ما تأخذ وفى الغالب فإن ما ينفقه على شقيقته أو شقيقاته أضعاف ما يرثه، وإنما جعل ميراث الرجل ضعف ميراث شقيقته لإثبات حق الإنفاق للشقيقة من مال أخيها وكذلك كل من تلزمه النفقة شرعاً.

وكذلك يكون ميراث الرجل من زوجته ضعف ميراث المرأة من زوجها..

لأن الرجل ملتزم بالإنفاق على أبنائه فى حين نجد المرأة غير ملزمة بالإنفاق على أبنائها !!

وبذلك يتضح أن الميراث فى الإسلام يأخذ بمبدأ المساواة القائمة على العدل وليس مطلق المساواة التى تؤدى إلى الحيف والظلم، وذلك إعمالاً لمبدأ الغنم بالغرم.

أما عن القوامة، فهى صورة من صور الرئاسة أو الإمارة التى لا يستقيم حال الجماعة إلا بها، والقائم على الجماعة أكثرهم عناءً وأكثرهم سهراً على راحتهم وأكثرهم هماً بمشاكل جماعته، والأسرة صورة من صور الجماعة تحتاج إلى من يقوم بمصالحها ويسهر على راحتها ويشقى من أجل الكسب اللازم لبقية أفرادها غير القادرين على العمل.

وقد جعل الله القوامة فى يد الرجل لأنه ـ فى الغالب الأعم ـ هو الأصلح لتوليها، فإذا نازعته المرأة هذه القوامة فإن ذلك لأحد أمرين :

(١) تقصير من الرجل فى المهام المكلف بها مما يؤدى إلى تهديد كيان الأسرة فلا تجد المرأة سبيلا غير تحمل أعباء القوامة.

(٢) نزعة ذكورة تكتنف تصرفات المرأة تتحول معها الحياة داخل الأسرة إلى تطاحن دائم وعراك[6].

أما عن شهادة المرأة فنقول :لقد ورد سبب ذلك واضحا فى كتاب الله العزيز :

﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾[7]

والله سبحانه وتعالى هو الخالق للذكر والأنثى وهو أعلم بما خلق وبما يصلحه :

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[8]

ولكن ماذا نقول فى لجاج المستشرقين ومن سار على دربهم أليس تعضيد المرأة بامرأة أخرى معها يكون لها ردءاً من القيل والقال؟! ثم أليس احتياج المرأة لمرأة أخرى يَعُدّ نوعا من الصعوبة يصرف أبناء المجتمع عن التماس الشهادة فى النساء؟!

أليس فى صعوبة مثول المرأة أمام القضاء تخفيفا من الله ورحمة؟!

(٦) أحيل القارئ إلى استشفاف هذه الصورة فيما كتبه فضيلة الشيخ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم تحت عنوان: الذكر والأنثى ضمن بابه «طرائف ومواقف» المنشور بهذا العدد.

(٧) البقرة/٢٨٢. (٨) الملك/١٤.

ثم ما الفائدة المرجوة التى تسعى المرأة للحصول عليها إذا أصبح مثولها للشهادة سهلاً ميسوراً؟

وطبيعة الناس حب البعد عن الشهادة لما تنطوى عليه من أعباء مالية وبدنية، وخشية من كانت الشهادة ضد مصالحهم ثم خشية ألا يأتوا بالشهادة على وجهها.

لذلك جاء الأمر من الله تعالى:

﴿ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾(٩).

فإذا جاء الأمر من الله تعالى بالتخفيف عن المرأة، فهل ترفض المرأة بحجة أنها بذلك لا تتساوى مع الرجل؟!

نعم لقد أراد الله - تعالى - ألا تتساوى مع الرجل فى هذا العناء - فهل تشكر الله على هذا التكريم أم تصم أذنيها وتغمض عينيها فلا ترى ولا تسمع إلا تلك الشعارات الجوفاء التى تنادى بمساواة مزعومة..

أبعد قول الله تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾(١٠).

يصح أن تطالب إمرأة بمساواتها فى الميراث مع الرجل!!

ثم، هل المرأة المسلمة ترغب حقا فى هذه المساواة المزعومة؟! هل لديها استعداد أن تفقد المميزات التى تتمتع بها من خدمة الرجل لها وتقديره ضعفها، فيعطيها بعضاً من حقوقه بدافع المروءة والشهامة والرجولة؟! هل تضحى المرأة بهذه المكاسب لمجرد أنها تريد أن تسير فى ركب المرأة الغربية؟

لا نعتقد أن وراء النساء اللاتى ينادين بالمساواة التامة بالرجل كثير نساء يناصرنهن، بل على العكس، ربما سئمت المرأة المسلمة من عناء العمل خارج المنزل وبخاصة هؤلاء اللاتى يعملن فى أعمال مرهقة لا تتفق وطبيعة المرأة المرهفة!!

وربما اشتاقت هذه المرهفة إلى يوم تعود فيه لتتبوء مكانها السامق «سيدة للبيت»!!

ولكن أغلب الظن أنها لن تترك العمل على ما فيه من عناء عائدة إلى المنزل إلا إذا أيقنت أنها ستجد فى المنزل رجلاً يعمل بقول النبى محمد ﷺ: استوصوا بالنساء خيرا..(١١).

نسأل الله جميعاً أن يلهمنا حسن الاقتداء برسوله الكريم وأن يلهمنا رشدنا.

ع خ

وإلى رسائل القراء ←

(٩) البقرة/٢٨٢. (١٠) الأحزاب/٣٦. (١١) سنن ابن ماجة - كتاب النكاح - باب حق المرأة على الزوج.

بطالة الشباب.. إلى متى! وإلى أين!

تبدأ رسائل القراء برسالة القارئة عفاف عبدالرءوف المنوفى - رئيس قسم بالتربية والتعليم بكفر الشيخ. وهى لا ترى بأساً أن تترك المرأة عملها فى سبيل توفير فرص العمل للعاطلين من الرجال مما يعود على المرأة بتوفير فرص الزواج. وكم هى رائعة تلك الدعوة لو توافر لها أسباب النجاح.

تقول القارئة:

● خلق الإنسان فى هذا الكون من أجل العبادة وعمارة الأرض:

قال تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

سورة الذاريات (٥٦)

ونعلم أنه فى سعى الإنسان لعمارة الأرض يكون لكل من الذكر والأنثى سعيه المختلف عن الآخر، فسعى الرجل يكون خارج المنزل ليساهم فى تنمية المجتمع وتوفير نفقات الأسرة، وسعى المرأة يكون داخل المنزل للمحافظة على تماسك الأسرة وتربية الأبناء وتلك هى قمة التنمية، فالأسرة هى نواة المجتمع إذا صلحت صلح المجتمع كله. ولنتذكر قول الشاعر:-

الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعبا طيب الأعراق

● ومن الضرورى أن تتعلم المرأة وأن تعمل أيضا ولكن ليس من المحتم أو الضرورى أن يكون عملها خارج المنزل فلديها من الأعمال الجسام داخل المنزل ما يجب التفرغ لها، ومن هذه الأعمال «الحمل - الولادة - الرضاعة - الاعتناء بالصغار» وتلك الأعمال لا يمكن بل ومن المستحيل أن يقوم بها الزوج نيابة عنها، وبعض الناس ينظر إلى تلك الأعمال بإزدراء بينما هى فى حقيقة الأمر تكليف وتشريف من الله سبحانه وتعالى.

● ومن المشاكل التى نتجت بطريق مباشر أو غير مباشر عن خروج المرأة إلى العمل

● (بطالة الشباب - ازدحام المواصلات - انهيار الأسرة - ظاهرة أطفال الشوارع - تأخر سن الزواج - الزواج العرفى - الإدمان - العنف - الاغتصاب - ظاهرة استحضار شغالات أجنبيات لمجالسة الأطفال..).

وكل تلك المشكلات وغيرها من الأهمية والخطورة حيث إن بعضها يفضى إلى البعض الآخر.

- وإذا تكلمنا عن مشكلة بطالة الشباب، فهى كغيرها من المشكلات يمكن

أن تكون سبباً ونتيجة «فى آن واحد» لمشكلات أخرى كثيرة، وعموما فإن خروج المرأة إلى العمل فى وقت لم يكن المجتمع فى حاجة إلى عملها كان له الأثر السلبى والتراكمى عاماً بعد عام فى خلق مشكلة البطالة وتفاقمها حتى تحولت إلى أزمة، وتبع ذلك ظهور انحرافات خلقية خطيرة مما أصبح يهدد أمن المجتمع وجهود التنمية فيه. وقد دفعت تلك الأزمة بالشباب إلى نفق مظلم بات من الصعب خروجهم منه.

● والحل المقترح هو: ـ أن توفر الدولة العمل لشباب الخريجين من الذكور فقط مع رفع رواتبهم وعودة المرأة إلى بيتها.

ـ فلا يعقل بأى حال من الأحوال أن توفر الدولة الوظائف للإناث وتترك الذكور بلا عمل.

ـ ورفع رواتب الخريجين يجب أن يكون بالدرجة التى تؤمن لهم حياة كريمة، فيتمكن الشاب من الإقدام على الزواج وتكوين أسرة فى سن الشباب وليس فى سن الكهولة أو الشيخوخة، بالطبع هذا فى صالح الإناث أيضا وحتى لا يتأخر بهن سن الزواج.

ـ وعودة المرأة إلى بيتها لا يعنى حرمانها من التعليم بل تتعلم وتصل إلى أعلى الدرجات لتكون مؤهلة لحمل تبعات رسالتها، ويكون خروجها للعمل فقط فى حالة احتياج البيت أو المجتمع إلى عملها.

وإذا دعت الضرورة لأن تعمل المرأة لإعالة أسرتها فيقع على عاتق الدولة توفير العمل المناسب لها فورا. وأما إذا دعت الضرورة إلى أن تعمل المرأة فى مجالات معينة مثل «الطب ـ التمريض ـ التدريس ...» لحاجة المجتمع إلى ذلك فيكون بعقد مؤقت يمكن أن يتجدد سنويا بحسب ظروفها، وكذلك يمكن أن تلبى المرأة حاجة المجتمع لها بالعمل فى المجالات التطوعية مثل تقويم «أطفال الشوارع ـ الأحداث ـ أطفال الملاجىء ـ ذوى الاحتياجات الخاصة...».

● وبهذا يمكن حل مشكلة البطالة دون أن ينحسر دور المرأة فى المجتمع، فتقوم بدورها على الوجه الأكمل لبيتها ولمجتمعها، وفى هذه الحالة يتحتم على جميع أجهزة الدولة وبخاصة المجلس القومى للمرأة توفير كل الإمكانات وتقديم كل المساعدات للعمل على إنجاح هذا الدور للمرأة.

● ولنتذكر قول الحق سبحانه:

﴿ وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾

سورة الليل (١ : ٤)

إرضاء الخالق وإن غضب الخلق

أما فضيلة الشيخ محمود حمودة وكيل معهد كرداسة فكتب يقول:

الله ربنا هو القريب منا المحيط بنا المالك لنا، المدبر العليم، بيده وحده ـ العز، والإسعاد، وكل مخلوق فى ظل رحمته، وتحت تصرفه:

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

آل عمران (٢٦)

ذالكم الله، الذى بيده ـ قلوبنا: يصرفها كيف يشاء ـ هو الذى يملك الخير كله، فهل يليق أن نسوى به الناس، فضلا عن أن نرضيهم، ونسخطه فمهما كثر مالهم، وعظم جاههم، واشتدت قواهم فما هم ـ إلا ـ عبيد: كل واحد منهم ـ أن لم يقل بلسان المقال ـ يقول بلسان الحال ـ قول الرسول ﷺ: اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك. ناصيتى بيدك، ماض فىّ حكمك، عدل فىّ قضاؤك.

وقال تعالى:

﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾

آل عمران (٨٣)

وأسلم هنا يعنى: انقاد وخضع فمن أحق بالسعى لمرضاته، ورجاء الخيرات منه؟ الذى يملكها ويعطيها، أم الذى يُملَّكها ويُعطَاها: امتحانا له، فإن شكر ـ أثيب وإن جحد ـ عذب ـ ومن هنا ـ فالمؤمن حقا لا يقول ولا يفعل شيئا إلا ما يعلم أن الله راضٍ عنه، فلا يراه الله حيث نهاه، ولا يفقده حيث أمره كل تصرفاته لله رضى الناس أم سخطوا وهكذا كان الإمام مالك، فلم يغره العطاء، ولم تخفه السلطة، حين أمره الخليفة هارون الرشيد، وقت زيارته للمدينة ـ بالانتقال معه الى بغداد، بعد أن أرسل إليه كيسا به خمسمائة دينار، وقال الإمام لرسول الخليفة: قل للخليفة إن الكيس بخاتمة، وقد قال ﷺ وليأتين على أهل المدينة زمان ينطلق الناس منها إلى الأرياف يلتمسون الرخاء فيجدون رخاء ثم يأتون فيتحملون بأهليهم الى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ـ رواه البزار عن جابر رضى الله عنه.

وكان الحجاج بن يوسف الثقفى الذى اشتهر بالظلم والقتل جالسا فى المسجد الحرام، فرأى رجلا من أهل اليمن يطوف حول الكعبة، فأمر بإحضاره فقال له: أتعرف محمد بن يوسف، وهو أخو الحجاج، وكان واليا على اليمن؟ فقال اليمنى: نعم فقال له الحجاج: ما تقول فيه: فقال اليمنى مرضيا لربه، وإن أسخط الحجاج: إنه أعدى العداة على الله وأحكامه، فقال له

الحجاج: أما علمت أنه أخي؟ فقال الرجل – والإيمان ملء قلبه – نعم، أعلم أنه أخوك، ولكن أما علمت أن الله ربي – أقدر على منع شرك عني، لانتقامك لأخيك – فأكبر الله ذلك اليمني في عين الحجاج فقال له: صدقت وتركه، ينصرف يطوف حول بيت الله، ولسان حاله – يخاطب الله جل جلاله – بأنشودة قلوب الصالحين.

فليتك تحلو والحياة مريرة
وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر
وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين
وكل الذي فوق التراب تراب

الله الله: اعرفوه، واتقوه، وارضوه، ولا ترجوا الخير إلا منه واخشوه وحده قال تعالى:

﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

التوبة (١٣)

من أعلامنا المنسيين:

عبدالعزيز الدريني.. شيخ لغوي متصوف

ومازال نهر الوفاء يتدفق من خلال كلمات القارىء الأديب / فرج مجاهد عبدالوهاب عضو اتحاد الكتاب / شربين يقول:

ولد الشيخ عبدالعزيز الدريني في قرية درين بمحافظة الدقهلية، وعاش في عصر المماليك، أيام السلطان المملوكي والمنصور لاجين، الذي كان يحترم رجال الدين، ويقدر المتصوفين وبلغ تقديره للشيخ عبدالعزيز الدريني أن أقام له مسجدا سماه باسمه بحي الروضة، وكان الشيخ كثير العلم واسع الاطلاع، أخذ العلم عن عدد كبير من العلماء والفقهاء وفي مقدمتهم الإمام أبي الفتح الواسطي.

وتشير المصادر التاريخية إلى كرامات الدريني تلك التي تعددها الكتب القديمة وتسجل ما كتبه بن تغري بردى في كتابه «المنهل الصافي» قائلاً:

«طلب جماعة من فقراء الصوفية كرامة من الشيخ الدريني، فقال لهم: وهل ثمة كرامة أعظم من أن الله تعالى يمسك بنا الأرض ولم يخسفها، وقد استحققنا الخسف»، كما يقول أيضا: «وللشيخ عبدالعزيز الدريني نظم كثير شائع، منه منظومته التي ذكر فيها مشايخه الذين أخذ عنهم العلم والفضل» ويذكر أمثلة عديدة لشعره.

ويعد امتداد المؤسس الصوفية في العراق الإمام أحمد الرفاعي، كما أنه إلى جانب كونه ملما بعلوم الدين فقد كان عالما بأسرار لغتنا العربية، نحوها وصرفها، قواعدها وبلاغتها، وهو أديب مبدع يعده نقاد العرب في هذه الفترة واحدا من الشعراء.

ولقد توفى الشيخ الدريني سنة ٦٩٧ هجرية، ودفن بمسجده بقرية «درين» التي كانت تتبع مركز شربين إداريا وقتها، وهو غير مسجده الموجود بحي الروضة بالقاهرة الذي بناه له السلطان ليصلى فيه بالناس أثناء تواجده في القاهرة، رضى الله عنه.

من جُوده صلى الله عليه وسلم

اقتباساً من كتاب «السيرة النبوية» للدكتور عبدالمقصود نصار والدكتور محمد الطيب النجار

كتب القارىء محمد عبدالغنى اسماعيل من قنا – الشيخية – يقول:

● كان ﷺ حليما جواداً كريماً كان يعطى ما في يده لغيره. وروى عن أنس بن مالك – رضى الله عنه – أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع الرجل إلى قومه وقال: أسلموا فإن محمداً يعطى عطاء من لا يخشى الفقر، وحمل إليه تسعون ألف درهم فوضعت على حصير ثم قام إليها يقسمها ﷺ فما رد سائلاً حتى فرغ منها فجاءه رجل وسأله فقال ﷺ: ما عندى شىء، ولكن ابتع علىَّ –أى اشتر على حسابى– فإذا جاءنا شيء قضيناه، فقال عمر –رضى الله عنه–: ما كلفك الله مالا تقدر عليه؛ فكره النبى ﷺ ذلك فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أنفق ولا تخش من ذى العرش إقلالاً؛ فتبسم ﷺ وعرف البشر في وجهه وقال: «بهذا أمرتُ». وكان ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة، فصلوات الله وسلامه عليك يا سيدى يا رسول الله بقدر ما جاهدت وغزوت لإنقاذ هذا الدين الحنيف وحمداً لله تعالى كثيراً الذى جعلنا الوارثين لهذا الدين الحنيف وجعلنا به خير أمة أخرجت للناس.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تعتذر للسادة القراء لعدم نشر رسائلهم كاملة، وذلك حرصاً من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من القراء. ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق في اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها. كما نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم ونواصل نشرها تباعا بمشيئة الله تعالى.

إضاءة ساطعة

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

هذه كلمات حق وشهادة صدق ومدعاة فخار واعتزاز لنا نحن المسلمين خصوصا وأنها صدرت عن أناس مخالفين لنا فى الدين والعقيدة.

فقد نشرت جريدة «واشنطن بوست» مقالا تناول فيه كاتبه تاريخ طب الفم والأسنان وامتدح رسولنا الكريم محمداً ﷺ لكونه حاز قصب السبق فى هذا المجال المنفرد وهو النبى الأمى العربى.

ويبدأ الكاتب بتصوير حال التعامل مع الفم والأسنان منذ خمسة قرون عندما كان يتولى ذلك الأمر الخطير من ليسوا أهلا له من الحجامين والحلاقين الذين كان يقوم أحدهم بكى المنطقة المصابة من الفم بقضيب حديدى ملتهب بعد غمسه فى زيت مغلى أو إناء مملوء حمضا فإن فشل ذلك العلاج - ولامحالة أنه فاشل - قام ذلك الجاهل بعلاج أنكى وأدهى حيث يملأ تجويف السنة المخلوعة بزبل غراب أسود كل ذلك وهو فى غفلة من أن السنة منهكة متعبة ولن يؤتى جهده أى نفع أو جدوى، وأنت ياأيها المريض المسكين ليس لك من حيلة إلا الابتهال إلي الله أن لاتحدث الكلابات المستخدمة أثرا عكسيا مدمرا للفم واللثة بل ربما ازداد الأمر سوءا وانتزع شيئا من عظام الفك هذا كله طبعا فى غياب البنج أو المخدر الذى لم يكتشف إلا سنة ١٨٤٤ فاحمد الله أنك لم تعش أيام ذلك العصر البائس.

ثم ينتقل الكاتب إلى الحديث عن الفم والأسنان عبر العصور مبتدءا بقدماء المصريين الذين كان الطبيب منهم لايتخصص إلا فى فرع واحد كالعيون أو الأحشاء وكان أحدهم قد اشتهر بتخصصه فى علاج الأسنان وورد اسمه فى النقوش الموجودة على مقابرهم وقد أوضحت أشعة إكس ثم أخذها لجمجمة أحد ملوكهم أنه فقد كل أسنان الفك الأمامى العلوى عندما وهنت لثته وبالإضافة إلى خلع الأسنان كان يتم أيضا ربط الأسنان وتثبيتها بسلك ذهبى حتى تظل سليمة استعدادا لحياة ما بعد الموت كما تقضى بذلك عقيدة قدماء المصريين.

أما الاغريق فقد أوضح الكاتب ماساد حقبتهم من أمور أرساها «أبوقراط» ولا داعى هنا فى الخوض فى تفاصيلها الكثيرة غير أننا نورد ما أوضحه «أبو الطب» من أن العدو اللدود للأسنان هو الأشياء الباردة وأن الصديق الحميم لها الأشياء الدافئة أما

«أرسطو» فقد أشاع خرافة تقول إن عدد أسنان الرجل يفوق عدد أسنان المرأة وبرغم تفوق الرومان فى استخدام الذهب فى علاج الأسنان وعمل ما يعرف بالكبارى إلا إن الجهل استشرى ويوضح ذلك إحدى الخزعبلات التى روج لها «بلينى» أشهر علمائهم حين قال بالنص: «إنه يمكن علاج السنة عن طريق الإمساك بضفدعة شريطة أن يحدث ذلك فى ضوء القمر وهو بدر ثم يتم فتح فم تلك الضفدعة والبصق فيه وأنت تقول ياضفدعة اذهبى وخذى معك ما بسنتى من آلام مبرحة».

ثم يورد الكاتب أجمل ما يمكن أن تسمع أذن حين يقول بالحرف الواحد: «إن الكثير من معرفة أوروبا فى العصور الوسطى بما فى ذلك طب الأسنان انتقل إليها من القدماء عن طريق الدارسين العرب مما أدى إلى حدوث تقدم ذهب إلى غير رجعة بمآس فتاكة حيث إن «أبوالقاسم الزهراوى» الطبيب العربى الحاذق فى القرن العاشر الميلادى والمعروف فى اللاتينية باسم «Albucasis» فطن لأهمية إزالة الجير من الأسنان وأكد على توخى الحذر والحيطة الشديدة فى أثناء خلع الأسنان وخص بالذكر تحديد السنة المراد خلعها لأن موضع الألم فى الأسنان يمكن أن يكون خادعا».

ثم تأتى الإضاءة الساطعة التى تبهر الألباب وتأخذ بمجامع الأفئدة حينما يقول الكاتب: «لقد كان للنبى محمد وتعاليمه العظيمة الأثر الكبير فى العالم الإسلامى - إنه النبى العظيم الذى سبق عصره فى كل ماورد عنه بخصوص الفم والأسنان والمحافظة على صحتهما فالتعاليم الإسلامية الجليلة تفرض على المسلم العناية بالفم كل يوم وذلك فى الوضوء، كما تحثه على استعمال أعواد شجرة الاراك واسمها العلمى «tersica Salvadora» والتى يحوى خشبها «بيكربونات الصوديوم» ومواد قابضة مفيدة للثة وهى فرشاه نباتية ربانية فبعد نقع عود الاراك فى الماء لمدة يوم تقريبا تنفك الياقه الجافة وتلين مكونة ما يشبه الفرشاة ثم يواصل الكاتب شهادة الصدق فيقول: «لقد أوصى محمد ﷺ باستخدام الخلة والسواك والتنظيف الدورى والدلك المنتظم للثة» ويضيف الكاتب فى تعليق أخاذ قائلا «كم كان الأوروبيون فى العصور الوسطى شديدى البطء فى وضع وصايا محمد موضع التطبيق الفعلى».

وبعد عزيزى القارىء، فإن خير ما نشنف به الآذان أن نعطر الدنيا بحديثين من أحاديث المصطفى فى العناية بالفم والأسنان وهما قوله ﷺ:

١ - «السواك مطهرة للفم ومرضاة للرب»[1].

٢ - «لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»[2].

(١)، (٢) أخرجه البخارى.

بين الصحف و المجلات

إعداد

أ/ محمود الفشني

أ/ عبدالموجود أمين

إسلام السلام أين اقتراحه؟؟

كتب الأستاذ محمود مراد بصحيفة الأهرام فى ٣/١٢ قائلاً: كان هناك اقتراح من الأمير عبدالله ولى عهد السعودية طرحه على القمة الإسلامية فى ماليزيا فى سبتمبر الماضى واقترح فيه تشكيل وفد عن القمة على مستوى رفيع يطوف بعدد من البلاد فى أوروبا والولايات المتحدة فى إطار لجنة تسمى «إسلام السلام» لتشرح طبيعة الدين الحنيف وعدم وجود أدنى علاقة له بالإرهاب، بل أنه يحرم الأعمال الإرهابية تحريما كاملا.

ولقد كان الظن أن القمة ستأخذ بهذا الاقتراح وتنفذه فورا وكان التصور أنه عقب القمة ستتخذ الإجراءات وتوضع الدراسات للبدء فى هذه الجولة لتحسين الصورة ولإزالة ومحو هذه التشوهات التى لحقت بالمسلمين فى أنحاء المعمورة.

إننا ندعو إلى هذه المؤسسة التى ينبغى أن تضم مسلمين نابهين ليس فقط من البلاد العربية والإسلامية إنما ايضا من المسلمين الذين عرفوا حقيقة الإسلام فى دول أوربا وأمريكا وغيرها وأدعو عاجلا إلى تشكيل مجموعة عمل تمهيدا لهذا العمل العظيم.

مطلوب تصحيح صورة الإسلام فى المناهج الدراسية الفرنسية

كتب الأستاذ/ وجيه الصقار فى جريدة الأهرام يوم ١٠/١٢/٢٠٠٣ يقول: نظم المركز الثقافى المصرى بباريس برئاسة الدكتور طه عبدالله المستشار الثقافى ندوة حول صورة الإسلام فى مناهج التاريخ الفرنسية وتحدث د. مصطفى الحلوجى الأستاذ بكلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر عن القضايا الإسلامية والحضارة العربية فى المناهج الفرنسية فى مختلف المراحل الدراسية ذاكراً أن الدين الإسلامى والشريعة معروفتان بصورة غير صحيحة تركز على تعدد الزوجات والحجر الاسود والجهاد والميراث والوحى. وقال: إن الجهاد معروف فى تلك المناهج على أنه الحرب المقدسة لنشر الإسلام بالقوة مع أن تعبير الحرب المقدسة صليبى ولايعرفه الإسلام.

وفى الميراث لم يلاحظ مؤلفو تلك المناهج أن الإسلام أتى بثورة إذ أن المرأة قبل الإسلام لم تكن ترث بل كانت تورث كمتاع فمن حق الرجل أن يقتلها أو يبيعها أو يزوجها من يريد.

ويرى د. الحلوجى أن مشكلة المؤلفين الفرنسيين تكمن فى اعتمادهم على استخدام بعض التراجم الخاطئة للقرآن واعتمادهم على مصادر ثانوية وليس أمهات الكتب والتفاسير مع عدم إظهارهم اسباب وظروف نزول هذه الآيات والتطور الذى أتى به الإسلام.

ويختتم كلمته بقوله: لقد أظهروا أن الرسول كان رجل حرب بالرغم من أنه جاء بالإسلام ودين السلام وأن من أسماء الله الحسنى السلام وكذلك ليلة القدر (سلام).

وأن الغزوات التى كان الرسول يقوم بها هى دفاع عن الحق والدين لذلك نهضت الحضارة الإسلامية وازدهرت.

لماذا يا فرنسا

حتى أنت يا فرنسا يا من يسمونك بلد الحريات ويا من كنت مهد الثورة الفرنسية ويا من حملت لواء الحرية زماناً.

هل أثقل كاهلك اللواء فتخليت عنه؟!

أم زاغ بصرك من وقع الدولار ولعبت بعدالتك المصالح؟

أم ماذا جرى يا من كنت بلد الحريات لكل الناس يا من كنت بلد المعرفة والنور لكل الناس لماذا أصبحت تفرقين فى المعاملة؟

هل خفت من شراسة صهيون أم طمعت فى ذهب العم سام؟.

أم ماذا؟! أجيبى إن كنت تزعمين أنك مازلت بلد النور والحرية؟.

أجيبى لماذا تكرهين الفتاة المسلمة على خلع الحجاب؟.

فهل تستطيعين أن تلمسى.. ولو من بعيد الطاقية اليهودية رمز التعصب والعنصرية والعدوان؟.

فى رسالة مفتوحة إلى السفير الفرنسى يجيب الشيخ/ محمود محمد خضر فى الأخبار يوم ٤/ ١٢/ ٢٠٠٣ عن تلك الأسئلة فيقول: أغلب ظنى أن فرنسا كلها بحكومتها وشعبها لا تستطيع أن تجبر يهوديا على خلع غطاء رأسه مع أن تغطية الرأس عند بعض اليهود هو مجرد شعار أو تقليد متوارث ولا أظن أن هناك نصا فى التوراة يفرضه، أما تغطية جسد المرأة المسلمة فيما عدا الوجه والكفين فإنه مفروض بنص صريح واضح من القرآن الكريم وكل من يحاول الخروج عليه يكون عاصيا لله ورسوله يتحمل عاقبة معصيته، وكل الذى يفتى بإباحته سواء كان هذا الذى يفتى رجلاً أو امرأة وينكر فرضيته فإنه يعتبر خارجا عن ملة الإسلام. ويختتم الكاتب كلمته بقوله: إننى أرجو أن تجد كلمتى آذانا صاغية من حكومتكم الموقرة ورئيسكم المبجل الذى يحظى بأكبر قدر من التبجيل لدى عامة المسلمين وأن تظل فرنسا دائما رمزاً عاليا للحرية والعدالة والإخاء والمساواة وأن تظل رايتها دائما عالية خفاقة وتظل سياستكم دائما رمز للعدالة والنزاهة ولا تتسرب إليكم عدوى التمييز والكيل بمكيالين كما يفعل الآخرون.

زيارات لن تجدى

فى باب رأى الأهرام كتب محرر الصحيفة يوم ٧/ ١٢/ ٢٠٠٣ يقول: إن الزيارات المتتابعة للمسئولين الأمريكيين للعراق وأفغانستان تعبر عن القلق فى أوساط الإدارة الأمريكية فى هذين البلدين اللذين تحتلهما القوات العسكرية الأمريكية ويهدد إمكانية تحقيقها الأهداف التى ذهبت لتحقيقها.

والهدف من هذه الزيارات هو أولاً بث الطمأنينة المفتقدة فى صفوف القوات الأمريكية.

الثانى هو طمأنة الرأى العام الأمريكى المقبل على الانتخابات الرئاسية وتجديد عضوية الكونجرس بعد عام.

الثالث أيضا هو بث الطمأنينة ولكن هذه المرة لدى الحكومات والدول الحليفة والصديقة لواشنطن حتى تقبل بإرسال قوات تابعة لها.

ويختتم المحرر كلمته بقوله: لن تستطيع هذه الزيارات أن تخفى الحقيقة فى البلدين فإن الحل الوحيد لإنقاذ أرواح الجميع فى العراق وأفغانستان هو المسارعة بالجلاء ووضع كافة الصلاحيات فى أيدى أبنائهما.

***



أنباء العالم الإسلامى

للأستاذ/ محمد الشرقاوى

من مسلسل الحقد الصهيونى

ـ استمراراً لمسلسل الحقد الصهيونى على الإسلام وأهله قام مدير إحدى المدارس الداخلية الإسرائيلية فى القدس المحتلة بطرد طالبة من المدرسة لاعتناقها الإسلام وارتدائها الحجاب.

ومما يذكر أن هذه الفتاة البالغة من العمر «١٥ عاما» من اليهود الذين هاجروا من «كازاخستان» ـ وأمها يهودية وأبوها مسيحى ـ وكانت هذه الفتاة قد قررت مؤخرا اعتناق الإسلام وارتداء الحجاب.

وعقب ذلك قام مدير المدرسة الداخلية «مزرعة الشبيبة الصهيونية» فى القدس باستدعاء الفتاة وطلب منها نزع الحجاب إلا أنها رفضت ولذا تم إبعادها عن المدرسة. وتقول الفتاة ـ كما جاء فى التقرير الذى يصدره المركز الإعلامى للدراسات الفلسطينية باتحاد الأطباء العرب ـ إن مدير المدرسة استدعاها إلى مكتبة وقال لها: انزعى الحجاب وغيرى منظرك وإلا فلن يكون لك مكان فى المدرسة!!

وقالت معقبة على طلب المدير: لقد شعرت بالإهانة ليس فقط من أجلى بل باسم جميع المسلمين وكل شخص مختلف فى الدولة؟ ولو حدث هذا الأمر فى فرنسا وتم طرد طالب يهودى بسبب وضعه (الكيباه) ـ الطاقية اليهودية ـ لصرخ الجميع بأن هذا ضد السامية.

فصل الجنود الأمريكيين لاعتناقهم الإسلام

كشف محام أمريكي عن قيام وزارة الدفاع الأمريكية بفصل اثنين من جنودها بالعراق لإسلامهما وزواجهما من عراقيتين مشيراً إلى أن الجنديين هما «سان بلاكويل» و«أوبريت داجن».

وقال المحامي الذي يتولى الدفاع عن الجندي «بلاكويل» إن قيادة الجيش الأمريكي أحالت الجنديين إلى مجلس عسكري وتم فصلهما من الخدمة.

حظر إنشاء المدارس الإسلامية في بورما

قضت محكمة «بوذيدوغ» البورمية بالسجن لمدة «٧ سنوات» على «٥ مسلمين» بزعم إنشاء مدرسة إسلامية بدون ترخيص.

وذكرت شبكة «ذي مسلم نيوز» أن سلطات الأمن البورمية ألقت القبض على المسلمين الخمسة وهم يعملون معلمين - وأحالتهم إلى المحكمة التي أصدرت حكمها السابق. وقامت السلطات البورمية بهدم المدرسة على الرغم من أن القائمين عليها قدموا مايفيد حصولهم على ترخيص قبل البدء في إنشاء المدرسة. وتعللت السلطات أن الترخيص كان ينقصه بعض الإجراءات والموافقات.

ويذكر أن المسلمين البورميين يتعرضون لأشد أنواع الاضطهاد من قبل الحكومة البوذية حيث يتعرضون للقتل وتحريق البيوت وعمليات الإجلاء الجماعي مما اضطر نحو «٣٠٠ ألف» منهم للهجرة منذ عام ١٩٩١ تاركين منازلهم إلى المخيمات الحدودية.

وعلى الرغم من مناشدة رابطة العالم الإسلامي للحكومات الإسلامية والمجتمع الدولي منذ عامين أن يمدوا يد العون للمسلمين المضطهدين في بورما بعد عدوان البوذيين على قراهم في «أراكان» بالحرق حيث قتل في هذه الحادثة «٤٥٠ مسلماً» وجرح «١٥٠٠» بالإضافة إلى تشريد الآلاف إلا أن أحداً لم يتحرك.

مصرف أمريكي يغلق حسابات عملائه المسلمين

تلقى «٢٠ شخصاً» وهيئة في منطقة «بوسطن» بولاية «ماساشوستس» الأمريكية خطاباً متطابقاً من مصرف يملكون فيه حسابات بنكية يقول: «نأسف بإفادتكم أننا قررنا أنه ليس من مصلحتنا أن نستمر في علاقتنا المصرفية معكم». ويعتقد أولئك العملاء أنهم شملهم هذا الإجراء فقط لأن أسماءهم إسلامية ولم يعلن «فيلت بنك» التابع لمؤسسة فيلت بوسطن المالية العريقة عن سبب قيامه بهذه الخطوة مع عملائه العشرين وبينهم مسجد ومدرسة إسلامية بمنطقة «روكبري» سوى قوله: إن للمصرف الحق في إنهاء الحسابات في أي وقت ولأي سبب بدون سابق إنذار.

إسرائيل تشجع يهود الأكراد على شراء أراضي العراقيين

- كشفت - مصادر تركية مطلعة - النقاب عن أن «كردستان كريديت بنك» يقوم بتقديم قروض ميسرة ليهود الأكراد الراغبين في شراء ممتلكات المواطنين العرب والتركمان في شمال العراق.

وأشارت المصادر إلى أن تقريراً للمخابرات التركية يؤكد أن شخصيات إسرائيلية قامت عن طريق بنك كردستان ومقره السليمانية بتقديم «٣٠٠ مليون دولار» قروضاً خلال عام واحد لنقل ممتلكات العرب والتركمان الخاصة إلى الأكراد وخاصة اليهود.

وكان «عبدالله جول» وزير الخارجية قد أشار في اجتماع لقيادات حزب العدالة والتنمية الحاكم في أنقرة إلى أن إسرائيل تشترى أراضي في شمال العراق وكشفت أيضا النقاب عن أن تقريراً لوزارة الخارجية التركية كان وراء إصدار «عبدالله جول» هذه التأكيدات حيث يشير التقرير إلى أن «كردستان كريديت بنك» يقدم قروضا لشراء أراض.. ومنازل في شمال العراق وأن هذا البنك يموله ويدعمه رعاة وضامنون إسرائيليون.

وأكدت أن الشرط الوحيد لتقديم البنك هذه القروض هو أن يتم تخصيصها لشراء الأراضي والمنازل المملوكة لمواطنين عرب وتركمان في مدن الموصل وكركوك وأربيل والفالوجا وبعقوبة وصلاح الدين. موضحة أن تسديد قيمة هذه القروض يبدأ بعد خمس سنوات من تسلمها.

في أمريكا: مازالت الإساءة للإسلام مستمرة

أدلى مذيع أمريكي - يقال إنه بارز - ويسمى «بول هارفي» بتصريحات خلال أحد برامجه الإذاعية في الآونة الأخيرة واتهم فيها الدين الإسلامي بأنه «يشجع على القتل».

وذكر «هارفي» في معرض حديثه عن الوضع في العراق: «إذا أضفنا إلى التعطش للدماء ديناً فإنه الإسلام لأنه يشجع على القتل؟ وبات علينا أن نتفهم بشكل تام حقيقة أن الأمريكيين أتوا إلى هذ الحقل الدموي وهم غير مستعدين».

ويقدر عدد مستمعي برامج «هارفي» كل أسبوع بحوالي «٢٤ مليون» شخص وتذاع برامجه على «١٦٠٠» محطة إذاعية في أمريكا وحول العالم.

***

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسي

الإمام الأكبر يستقبل وزير الإعلام الكويتي

استقبل فضيلة الامام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الازهر الشريف معالى الوزير / محمد عبدالله أبوالحسن وزير الإعلام الكويتي يرافقه سيادة السفير / أحمد خالد الكليب سفير دولة الكويت بالقاهرة والسيد المستشار عبدالرحمن الهادى مستشار بيت الزكاة الكويتي بالقاهرة، حيث رحب فضيلته بالسادة الضيوف داعيا المولى -عز وجل- أن يجمع المسلمين دائماً على طاعة الله وعلى محبة رسول الله ﷺ، مؤكدا على أن الأزهر الشريف دائماً فى خدمة المسلمين فى كل مكان وبخاصة دولة الكويت الشقيقة، ومشيراً إلى أن التعاون من شأنه أن يعود بالخير على البلدين وعلى المسلمين، وأن أجهزة الإعلام تتحمل مسئوليات جسيمة، وأهمية عالمية، مكنتها من التحكم فى الموازين الدولية مما يوجب على المسلمين فيها توجيهها للخير وخدمة البشرية، وتدعو الله دائماً أن تتحرى الصدق وأن توجه إلى الخير دائماً، مشيداً بدولة الكويت التى تبنى ولا تخرب وتصلح ولا تفسد، وواجبنا جميعاً أن نقف إلى جانب الحق بإخلاص وطهارة خالصة لوجه الله والحق مصيره أن يعلو مادام القائمين عليه ثابتون عليه، وهذا يحتاج الى الصبر والثبات، وعلينا أن نقف إلى جانب المظلوم حتى ينتصر، وفى وجه الظالم حتى يندحر، وحتى تكون كلمة الله هى العليا.

وقال: إن للحق اتباعاً يدافعون عنه، والأزهر الشريف دائما يتعاون مع جميع الهيئات والوزارات لتحقيق التقدم العلمى والرخاء للأمة الاسلامية، وتعاون مصر وأزهرها الشريف مع دولة الكويت هو تعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، وقد شكر معالى وزير الإعلام الكويتي فضيلته على حسن اللقاء والحفاوة مؤكداً على أن الكويت دائماً فى حاجة إلى الفكر الدينى المستنير الذى يغذى العقول السليمة وطلب الوزير أن يزود الأزهر المركز الاسلامى

بنيويورك بعلماء من الأزهر الشريف، لما لهم من عقل راجح وعلم غزير وطهارة فى العطاء، وأن المركز سيغطى بموارده الثابتة كافة نفقات القائمين عليه بل ويزيد كما قدم الشكر للأزهر الشريف وشيخه الجليل على تعاونه مع دولة الكويت لإرسال العلماء والوعاظ وبخاصة فى شهر رمضان المعظم من كل عام، وطلب مزيدا من التعاون وتعزيزه لأن الكلمة الطيبة هى التى تجمع الشعوب ونحن فى أمس الحاجة الآن إلى التجمع والترابط، لأن التعصب لا يأتى إلا بالخراب وقدم الوزير الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لزيارة دولة الكويت الأمر الذى سيكون له الكثير من مظاهر الراحة والبهجة لحكومة وشعب الكويت وهم يترقبون هذه الزيارة، لما لفضيلتكم من مكانة عالية لدى حكومة وشعب الكويت.

وقد وعد فضيلته بالموافقة على طلب الوزير وعلى الزيارة فى الوقت المناسب.

ويستقبل وفد مؤسسة الدعوة الإسلامية بماليزيا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد مؤسسة الدعوة الإسلامية بماليزيا برئاسة رائد نخعى بن أحمد مدير عام المؤسسة يرافقه وفد جمعية الشبان المسلمين بماليزيا، حيث رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى الأزهر الشريف وقدم الوفد الشكر لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لزيارته لدولة ماليزيا التى أسعدت المسلمين وكانت لها آثار طيبة فى تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة لبعض الناس فى ماليزيا، وقد أجاب فضيلته عن أسئلتهم واستفساراتهم موضحاً ما جاءت به شريعة الإسلام التى تقوم على التسامح والتوسط والاعتدال، وأوجبت على المسلم أن يكون محباً لأخيه المسلم.

وفى الحديث عن رسول الله ﷺ: «المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً»، وهذه هى علاقة المسلم بأخيه المسلم لايعتدى على حقه، وإنما يتعامل معه بالحسنى وباللطف وبالمحبة والمودة وكل تعاون صادق هو من صفات المسلم الحق، والرسول ﷺ يقول «المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايخذله».

كما أكد فضيلته على أن كل من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ ولاينكر أمراً معلوماً من الدين بالضرورة فهو مسلم.

فى لقائه بفضيلة الإمام الأكبر:

رئيس جمهورية مالطا يؤكد أن الإسلام يساء فهمه

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف البروفيسور جو يدودى ماركو رئيس جمهورية مالطا والوفد المرافق يصحبهم رئيس بعثة الشرف السيد الوزير /

حمدى الشايب وزير النقل والمواصلات المصري حيث رحب فضيلته بالسيد الرئيس والمرافقين بالأزهر الشريف، مشيراً إلى أننا فى مصر نكن لدولة مالطا كل احترام وتقدير، لأنها دولة محبة للسلام والخير، وأوضح فضيلته أن شريعة الإسلام تعتبر الناس جميعاً من أب واحد وأم واحدة، وعلينا أن نتعاون معا لخير الإنسانية، وأن العقول الإنسانية السليمة، والشرائع السماوية كلها تنادى بالسلام والأمان والرخاء، وإعطاء كل ذى حق حقه، وحرية العقيدة في شريعة الاسلام مكفولة، وأن لكل إنسان عقيدته، ولا إكراه على العقائد، لأن الذى يحاسب عليها هو الله- عز وجل- ونحن فى مصر نقول إن كل من يحمل الجنسية المصرية يتساوى في الحقوق والواجبات سواء أكان مسلما أم غير مسلم، وهذا ما نسير عليه فى مصر، لأننا نعيش على أرض واحدة، وتظلنا سماء واحدة، ونستنشق من هواء واحد، وتجمعنا المصالح المشتركة، فكل خير يأتى لمصر هو خير للجميع، ونحن نمد يدنا بالسلام الى كل من يمد يده إلينا بالسلام.

ومن جانبه أوضح السيد الرئيس أن الاستقبال الذى قوبل به يعبر عن صدق مشاعر شيخ الأزهر وعلماء الأزهر الشريف، وقال: إننى أول رئيس لدولة مالطا يزور مصر ولهذا كنت مهتما بزيارة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك والسيد رئيس مجلس الوزراء، والسيد رئيس جامعة الدول العربية وفضيلة شيخ الأزهر الشريف لما له من مكانة عالية وعالمية، وحرصت على التأكيد بأن الاسلام هو حقيقة السلام للعالم لأنه دين الحب، ومع الأسف فإن الاسلام الآن يساء فهمه، ولهذا جئت لفضيلتكم لأعبر عن حب الشعب في دولة مالطا برغم صغر هذه الدولة، وأيضا فدولة مالطا هى حلقة وصل بين شمال أفريقيا وأوروبا، وقال: إن لدينا مركزاً إسلامياً ومسجدا ونقدم لهما كل الدعاية، كما تفعلون في مصر، وقد اقترح كاردينال الدولة أن أقوم بدعوة قادة الأديان للتوفيق بين الدولة والأديان المختلفة، ويكون الاجتماع في مالطة وهي أول خطوة بناءة لكى ندعو الله وتصلى لإنجاح هذا العمل، وقد رحب فضيلة شيخ الأزهر بالدعوة موضحاً بأن العالم الآن فى حاجة إلى عدد كبير من العقلاء الذين ينشرون الأمن والأمان، مؤكداً على تعاون الحضارات بحيث تستفيد كل حضارة من الحضارة الأخرى، وتنتفع بها وبذلك يزدهر الخير ويعم السلام والأمان فى ربوع العالم، ونحن على استعداد تام للتعاون مع دولة مالطا فى كل مايعود بالخير والنفع على البلدين، ويعم الخير على الإنسانية.

حضر اللقاء فضيلة الدكتور محمود إمبابى وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ إبراهيم الفيومى أمين عام مجمع البحوث الإسلامية ولفيف من علماء الأزهر الشريف.

الإمام الأكبر يستقبل وفدا من اليونيسيف

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف/ كول جوتان نائب مدير المكتب التنفيذى لليونيسيف والسيدة/ شهيدة الأصفر الممثلة لصندوق الأمم المتحدة لرعاية الطفولة (اليونيسيف) رحب فضيلته بالضيفين فى الأزهر الشريف مؤكداً على أن رعاية الطفولة أمر أوجبته جميع الأديان السماوية والعقول الإنسانية السليمة، فطفل اليوم هو رجل الغد، وطفلة اليوم هى أم الغد وحينما نرعى الصغار نكون قد رعينا الكبار، وعندما ينشأ الطفل فى أسرة تهتم به وتحافظ على صحته ينشأ سوى التفكير، محباً لأهله ولوطنه.. ولأسرته وللناس جميعاً، بخلاف الطفل الذى لم يجد الرعاية والاهتمام، فينشأ وهو حاقد على بيئته التى يعيش فيها، ولا يهتم بها، لأنه لم يجد من يرعاه ويهتم به، وأوضح بأن رعاية الطفولة حقيقة واضحة، والحقائق لا تتغير بتغير الزمان أو المكان، فهى موجودة منذ أن أوجد الله آدم وحواء، وهى من الفطرة الإنسانية، وغير الإنسانية لدى الحيوان. والأمة التى يكثر فيها عدد الجهلاء تقل فيها الرعاية للطفولة، وكلماوجدت الفطرة النقية والعقل السليم وجدت الرعاية الكاملة للطفولة، وأشار إلى ضرورة تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة فى بعض البلدان الإسلامية النائية والتى تعتبر أن التطعيمات الأولية ضد بعض الأمراض مخالفاً للشريعة، ونقول إنه ليس مخالف للشريعة، وعندما يفتى إنسان فيما ليس هو متخصص فيه فهذا لون من الجهل.

ونحن الآن فى عصر التخصص، فما يتعلق بالسياسة يسأل فيه السياسيون، وما يتعلق بالدين يسأل فيه أهل الدين، وإذا أعلنت منظمة الصحة العالمية أن التطعيم مثلاً هو لصالح الشعوب فنحن نستجيب له، وقد شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر موضحاً بأن اليونيسيف تعمل فى جميع البلدان بصرف النظر عن دياناتهم؛ ووجه الشكر لتعاون بعض علماء الأزهر الشريف والأساتذة لتأليفهم كتاب «النهج الإسلامى فى رعاية الطفولة» وقد ترجم إلى الإنجليزية وتستفيد منه اليونيسيف، ونرغب فى أن يضيف الأزهر عليه ما طرأ من مستجدات العصر الحالى الذى نعيشه فى معاملة الأطفال ليستفيد منه العالم، وقد أبدى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف استعداد الأزهر الشريف للمعاونة والمشاركة فى هذا العمل وفى كل ما ينفع المسلمين.

الإمام الأكبر يؤكد:

السلام مطلوب الآن أكثر من أى وقت مضى

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف «وفد معسكر السلام وجمعية السلام وجمعية الناس للناس» وهو مكون من ١٨٠ فرداً من الرجال والنساء والشباب والشابات من الولايات المتحدة

وكندا وغيرهما ويرأس الوفد السيدة/ مارى إيزنهاور حفيدة الرئيس الأمريكى الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية، وهى منظمة دولية غير حكومية أنشأها الرئيس إيزنهاور عام ١٩٥٦ وتمثل ٣٢ دولة، وتعمل على التفاعل المباشر بين الشعوب والأفراد من خلال برامج تبادل الخبرات فى شتى المجالات الحياتية الإجتماعية والمهنية والثقافية، وذلك لخلق دبلوماسية شعبية غير رسمية، وجاءت زيارة الوفد لمصر من خلال التعاون مع حركة السيدة/ سوزان مبارك الدولية للمرأة من أجل السلام، وتعتبر هذه الجمعية من أكبر الجمعيات الدولية العاملة فى مجال التفاهم والحوار الدولى حيث يبلغ عدد أعضائها الآن أكثر من مائة وخمسين ألف عضو ويوجد لها أكثر من ثمانين فرعاً حول العالم، وهدفها خلق أجيال جديدة تؤمن وتعزز فرص الحوار والسلام الدولى للشعوب، من خلال إقامة معسكر السلام تلتقى فيه فكر وثقافات الشباب من شتى بقاع العالم يمثلون الثقافات والجنسيات والأعراف المختلفة حول العالم، وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بالوفد الكبير، فى مصر وأزهرها الشريف، مؤكداً على أن كلمة السلام من أسماء الله عز وجل، ويجب علينا جميعاً أن نكون دعاة سلام ومحبة، فجميع الأديان السماوية والعقول الإنسانية السليمة تدعو للسلام وتؤيده، والسلام هو تحية الإسلام، وهى كلمة كريمة حكيمة عندما يسمعها الإنسان يحبها، والسلام إذا انتشر فى الأسرة وفى المجتمع بل وفى أى دولة من دول العالم، زاد الرخاء والأمان والاطمئنان، فالسلام هو الدعامة التى إذا وجدت فى الأسرة وفى المجتمع وفى الأمة زادها الخير وزادتها السعادة، فلا حياة مستقرة لفرد أيا كان رجلا أو امرأة حاكماً أو محكوماً بدون نعمة السلام، وكما قال أحد الحكماء بأن نعمة السلام أهم من نعمة الصحة، ولا حياة للعالم إلا إذا انتشرت وعمت فيه نعمة السلام، وهنا يعيش العالم فى رخاء، ومن خلال السلام يكون التعاون بين أهل الشرق والغرب والشمال والجنوب، والناس جميعاً كلهم من أب واحد وأم واحدة، والعالم اليوم أصبح كقرية صغيرة فالذى يتحدث فى أى مكان من العالم يسمعه كل الناس، فما يحدث فى أقصى الشرق يسمعه من هو فى أقصى الغرب، وإذا كان السلام مطلوبا منذ أن أوجد الله هذا الكون، فهو فى زماننا الآن مطلوب أكثر من أى وقت مضى، ونحن لسنا مع من يقول بتصادم الحضارات، وإنما مع من يقول بتقارب الحضارات وتعاونها، فكل دولة لها حضارتها، وعلى الدول أن تنتفع بحضارات بعضها، لأن الحضارات عند العقلاء تتكاتف وتتعاون وتتعانق، فأنا أتعلم منك وأنت تتعلم منى، وبهذا يتم التكامل وتسود المحبة والأمان والسلام، والأزهر الشريف يشكر دعاة السلام الذين يتنقلون من مكان إلى مكان لنشر فضيلة السلام، والحب والتعاطف، وأدعو لهم بالتوفيق والسداد، ومن جانبها شكرت السيدة/ مارى إيزنهاور فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على هذا الكلام الطيب والذى غطى كل التساؤلات التى كانت تدور بأذهاننا جميعاً، وقالت: إنها تؤيد كل كلمة قالها فضيلته لأنها غطت كل ما جئنا من أجله وما نقوم به من عمل ومن دعوة للسلام.

وقالت: إننى لا أجد ما أضيفه بل ولا ما أقوله بعد كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الذى أوضح أن الإسلام يسهل ويشجع ويؤيد حوار الحضارات وتعاونها وليس تصادمها، وعلى الشمال والجنوب والشرق والغرب أن يستفيدوا من كل حضارة ومن كل ثقافة ومن علوم الآخر مثلما أوضحتم فضيلتكم، حضر اللقاء فضيلة الشيخ الدكتور/ محمود إمبابى وكيل الأزهر الشريف، والدكتور على السمان نائب رئيس لجنة الحوار بالأزهر الشريف.

الإمام الأكبر:

يجب أن تسلم السلطة للعراقيين ليحكموا أنفسهم

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد السفير/ سيروريك بلاملى سفير انجلترا الجديد بالقاهرة بمناسبة توليه العمل كسفير لبلاده فى القاهرة، وقد رحب فضيلته بالسفير فى مصر وأزهرها الشريف مثنيا على إجادته الحديث باللغة العربية متمنياً له إقامة طيبة، ومؤكداً على أن التعاون من شأنه أن ينشر الخير لبلدينا بل وللإنسانية وقال: إن الله أوجد الناس جميعاً من أب واحد وأم واحدة ليتعارفوا ويتعاونوا على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ولذلك يجب أن نكون جميعاً فى خدمة بعضنا البعض ونحن مع الحق والوقوف إلى جانب المظلوم حتى يأخذ حقه ونقف فى وجه الظالم حتى يندحر، ويجب أن يكون كلام المتخصصين والمسئولين بعيداً عن الظلم، وأوضح أن انجلترا بالنسبة له شخصياً لها وزنها السياسى، وفيما يخص المشكلة العراقية قال فضيلته: بأنه يجب أن تسلم السلطة للعراقيين ليحكموا أنفسهم، وعلى حكومة انجلترا أن تسعى للتعجيل بذلك وفى أقرب وقت ممكن، ومن جانبه شكر السفير فضيلته على حسن الاستقبال الذى لاقاه موضحاً بأنه جاء من أجل تقوية العلاقات، والمصالح المشتركة ومن أجل الحوار وقال إن فضيلة شيخ الأزهر له وزن خاص وله حديث خاص وإنه المرجعية التى تزن الأمور بكل دقة وموضوعية، موضحاً بأن انجلترا لا تريد الاستمرار فى العراق، ولكنها تخشى أنها لو تركت الأمور بدون استقرار ربما تنقلب الأوضاع، وقال إننا نسعى لتسليم العراق لأهلها بكل حكمة واقتدار، وهدفنا هو نقل السلطة لشعب العراق، والعراقيون سيعنون ببلادهم أكثر من زمن صدام رغم أنه يوجد من يعرقل العمل السياسى، فنحن اشتركنا

فى تأسيس المجلس الحاكم بالعراق ونتمنى أن يسود العمل بنظام حتى يستطيع العراق حكم نفسه بنفسه، حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود إمبابى وكيل الأزهر الشريف، وفضيلة الشيخ فوزى الزفزاف رئيس لجنة الحوار بالأزهر الشريف والدكتور/ على السمان نائب رئيس لجنة الحوار بالأزهر الشريف.

● فى المؤتمر الطبى الأول الذى نظمته الجمعية المصرية النرويجية تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وبحضوره، وبحضور الدكتور محمد عوض تاج الدين وزير الصحة والسكان قال فضيلته: إن غاية الأديان السماوية جميعاً هى السمو والرقى بالإنسان عامة وتحقيق النافع له فى مختلف العلوم والمجالات وإن الإسلام يدعو إلى تعاون الحضارات ويرفض الصراع بينها، كما يدعو إلى التسلح بالعلم النافع للبشرية والتطوير فيه والبحث عن مكتشفات علمية حديثة تخدم الإنسان فى مختلف وشتى المجالات، وإن الأمة الإسلامية مطالبة بالبحث العلمى النافع الذى يمكث فى الأرض ويستفيد منه الإنسان خليفة الله فى الأرض فى كل زمن وعصر، وجعل الإسلام العلم والعمل النافع عبادة يأخذ عليه الإنسان الأجر الجزيل من الله- تعالى-.

وقال فضيلته: إن الحضارة الإسلامية كما اهتمت بتدعيم وتطوير العلوم الدينية والشرعية اهتمت أيضاً بالعلوم الأخرى الدنيوية والعلمية حتى يكون لدينا المهندس والطبيب العالم فى أمور الدين والدنيا معاً، مشيراً إلى أن الشريعة الإسلامية اهتمت اهتماماً كبيراً بصحة الإنسان والمحافظة عليها من الأمراض، وقد حثت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الإنسان على ذلك. وتحدث الدكتور أحمد مسعد نائب رئيس جامعة الأزهر لفرع البنات فى كلمته التى ألقاها نيابة عن الأستاذ الدكتور أحمد الطيب رئيس جامعة الأزهر الشريف فقال: إن تاريخ الأزهر جامعاً وجامعة منذ ألف عام أو تزيد حافل بالاهتمام بالتعليم الدينى الشرعى حيث كان التعليم فى الأزهر من خلال عالم «عمود» يتخصص فى علم من العلوم الشرعية ويشرحه لتلاميذه، ومع تقدم العصور واحتياجها للتطوير والتقدم فى مختلف العلوم ومع تطوير الدراسة بالأزهر أنشئت ثلاث كليات شرعية ووصلت الآن إلى أكثر من سبعين كلية فى مختلف التخصصات العلمية والشرعية والعربية وأصبح يدرس فى الأزهر العلوم الطبية والهندسية والرياضية والتربوية والصيدلية وغيرها والجامعة تعيش تطوراً فكرياً فى نظام التعليم فى جميع فروع المعرفة الدينية والدنيوية، وبذلك يتخرج من الجامعة من يستطيع الجمع بين العلم والدين ويكون لدينا الطبيب الداعية والمهندس الداعية، والصيدلى الداعية.

Nevertheless, Maxim Rodinson views that the disagreement between the two parties goes back to accidental matters in the political and cultural history. In other words, those of the studied countries have been scientifically formed according to the old methods of orientalism. Thus, they have generalized their hatred, with regard to the arrogance and injustice of imperialism, to peoples and their heritages.

Rodinson also views that the modern orientalism has good points. That is, it has given rise to the criticism and disagreement regarding the old orientalism and its methods. Moreover, it has described the old orientalism with aimlessness concerning its researches, and that it is unworthy of its scientific title.

Amongst such intellectual partisanships with regard to the issue of how the West sees Islam, Rodinson introduces his point of view aiming at the cultural communication between the West and Islam. His view is based on objective intellectual discussion void of any passivity. In order to guarantee the success of such a discussion (between the West and Islam) in achieving its planned goal, we have to put aside all that may disturb the intellectual atmosphere, such as fanatic way of thinking and convulsive reactions, for they prevent researchers from recognizing the scientific gains left by the fair, objective orientalists.

As for the study of the Islamic system, it is still considered an issue of argument among orientalists. Namely, some orientalists tend to study Islam in a kind way. Such a tendency is witnessed in Europe through some scholars who belong to different spiritual attitudes, including the Christian scholars who apply rationalism. "However," Rodinson says, "There is something in their works that may not be accepted, that is, they try to spread and generalize their view to encompass Islam as well as other religions.

Moreover, performing *Hajj* and *`Umrah* represents a protective means against stumbling in evils or indulging in immoralities. At the same time they are considered a strengthening cure for those of weak souls and determinations against the temptations of life and a means of overcoming them. In addition, they help those who perform them to adhere to the straight path. In this regard, the Prophet says, *"Hajj is the Jihad (striving and fighting in the Cause of Allah) of every weak."* Further, the Muslim desirous to please his Lord hurries to the Sacred House every now and then aiming at recharging his "spiritual energy" and strengthening his human soul so as to be able to stand against the floods of evils and dissensions surrounding him. It is worth mentioning that the growth of the spiritual aspect in man enables him to elevate his soul to the world of ideals where he finds the love of Allah as well as people. As for the great benefit that the one performing *Hajj* or *`Umrah* gets, it is winning the satisfaction of Allah and being admitted to Paradise. Allah the Most High says: { And Allah gives manifold to whomsoever He decides; and Allah is Most Affluent, Ever Knowing.} [Al-Baqarah (The Cow): 261].

In addition to the benefits that go to the ones staying at Mecca, the country and those coming to perform *Hajj* and *`Umrah*, there are social benefits for the societies of those performing *Hajj* and *`Umrah*. This is due to the fact that such societies, like anywhere in the world, suffer from social and moral diseases that threaten their security and economical, social and political stability. That is, *Hajj* and *`Umrah* help in getting rid of such diseases, so that their dangers and threats can be avoided. Hence, good may spread among people. Moreover, when those people who perform *Hajj* and *`Umrah* get rid of such diseases, their incomes increase, which leads accordingly to the increase in the national income from one side and relieves some of the burdens from the country and its commitment toward the poor from the other side. Undoubtedly, relieving the intensity of poverty and social diseases may contribute in relieving the conflicts inside society and which may encourage toward progress and recovery.

---

*Islam and the Orientalists

By: Dr. Muhammad Ibrahim Al-Faioumy

There are two kinds of methods followed by the orientalists; they are contradictory to each other. Moreover, they cause a great argument in the field of orientalism or in the field of the Islamic and Arab studies tackled by them.

There is a kind of orientalists who apply the new intellectual methods that seek objective studies and modern trends of thinking, and handle the Islamic studies in a fair, objective way. On the other hand, there is a totally different kind of orientalists who follow the old intellectual methods that favor the imperialism and treat the Islamic studies in a ,hostile way. This is exactly what causes the gap between the two kinds of the Western orientalism.

There is one more kind that stands between the two contradicting methods (old-method orientalists and new-method orientalists); namely, the entering of the specialized persons belonging to the studied countries, which suffered imperialism and hated it so much, upon the field of the European scientific research for the first time after the liberation of their countries and the travelling of their people to the West for study. Some of those people have been carried away by the lights of Europe, and thus they have tended to it completely forgetting their national cause. Such people have not differentiated between their scientific demand and national one. Therefore, they accepted the methods of orientalism as they are; they have paid no attention to the merits or the demerits of such methods. Some others have been driven by their refusing tendency with regard to imperialism to reject the methods of orientalism, whether they agree with imperialism or stand against it. Further, they have rejected any scientifically acquired matters considering them soiled with the centered, imperialistic mentality of Europe. Due to the pressure of the history of imperialism, there has been a kind of blind resistance between the two parties.

---

* An Article Published (In Arabic) At Al-Azhar Magazine.

*Some of the Benefits of *Hajj*[1] and *`Umrah*[2]

By: Dr. Zainab Salih Al-Ashwah

Pilgrimage is considered one of the miracles granted to the Father of the Prophets, Ibrahim (Abraham), may the peace of Allah be upon him. Due to the command, favor and help of Allah, Ibrahim was able to build the *Ka`bah* that represents the Inviolable House of Allah on earth. Allah had enabled him to invite all mankind to visit that Sacred House, while he was standing in a certain spot and with no need to move to every man on earth to invite him. That is, Ibrahim delivered that invitation from a certain spot; moreover, that invitation was not repeated over the successive centuries. This is due to the statement of Allah in which He says:

{ And announce to mankind the Pilgrimage, and they shall come up (hurriedly) to you on foot and upon every slender (conveyance); they shall definitely come up from every deep ravine} [AL-Hajj (The Pilgrimage): 27].

That is, to call people to perform *Hajj* to the House that We (i.e., Allah) have ordered you to build. It was narrated that Ibrahim said to Allah, "O Lord, how can I inform people and my voice cannot reach them?" Allah, Exalted be He, said to him, "You just call and leave informing to Us (i.e., We will inform them)." Hereupon, Ibrahim stood and called, "O people, Your Lord has taken (established) a House for Himself so perform *Hajj* to it." In this regard, Ibn Kathir says, "It has been mentioned that mountains bowed humbly till the voice (the call) reached everywhere and was heard by those in wombs and was responded to by everything heard it including stones, loams, trees, and whatever decreed by Allah to perform *Hajj* until the Day of Resurrection.

Due to such a momentary call, whether in time or place, all Muslims are in a state of continuous longing to see the *Ka`bah* and

---

* An Article Published (In Arabic) At Al-Azhar Magazine.

[1] *Hajj*: Pilgrimage

[2] *`Umrah*: Lesser Pilgrimage

circumambulate it. They would come to it from every direction and country. Allah, the Almighty, says:

{ Our Lord, surely I have made (some) of my offspring to dwell in a valley that is not under cultivation at your Inviolable House. Our Lord, that they may keep up the prayer, so make heart-sights of mankind yearn towards them and provide them with products, that possibly they would thank (you).} [Ibrahim (Abraham): 37].

According to the Prophet's *hadith*, *Hajj* is one of the Five Pillars of Islam. The Prophet says, *"Islam is based on five pillars: (i) Testifying that there is no god but Allah and that Muhammad is His Messenger; (ii) establishing the Prayer; (iii) giving the Zakah (i.e., charity); (iv) fasting the month of Ramadan; and (v) performing Hajj (by whoever is able to afford it)."* Though *Hajj* is enjoined only on those who can perform it, yet one should not neglect or show remissness toward performing such a sublime act of worship. Allah, Glorified be He, says:

{Therein are clearly evident sings-the station of Ibrahim, and whoseever enters it is secure; and it is (a duty) upon mankind towards Allah (to come) to the House on Pilgrimage, for whomsoever is able to make a way to it. And (as for) him who has disbelieved, then surely Allah is Ever-Sufficient, (dispensing) with the worlds.} [Al-Imran (The Household of Imran): 97].

`Umrah* is considered an act of worship adjacent to *Hajj* and an act of the Prophetic *Sunnah* that should not be neglected by any Muslim who can perform it. With regard to the importance given to the *`Umrah, the Prophet says, *"The `Umrah performed in Ramadan equals Hajj."*

As for *Hajj* and *`Umrah*, they both involve confirmed benefits: spiritual benefit and material benefit. First, the spiritual benefit involves consolidating the relationship between man and the Creator. This can be attained through spiritually drawing near to the Creator and supporting the optimistic aspect of man through the supplications that Allah promised to be accepted at the pure place of *Hajj*. Amongst the great spiritual benefits obtained through *Hajj* and *`Umrah* is that the sins of whoever performs them be forgiven.

recognize the truth and try to hide it using all available means and methods of cunning and deception. Allah, Exalted and Glorified be He, revealed their true faces when He talked about their likes of the previous nations saying:

{And they repudiated them, and their selves had (inner) certitude of them, out if injustice and exaltation. So look into how was the end of the corruptors} [*An-Naml* (The Ant): 14]

The first party may say, "During the Pre-Islamic Ages, the Arabs were corrupt and wicked people. They would fight with each other and seek the help of each other against enemies. They were accustomed to chaos and disorders. In their nomadic harshness, men were subjected to the tribe's master who would drive the members of the tribe and urges them to attack other tribes and spread terror so that he would get a war spoil not exceeding some camels, sheep and slave girls. When Islam came and witnessed such disgraceful state, it brought a hard and strict legislation that would befit such Bedouins. Islam legislated the penalty of 'stoning to death' to prevent adultery spreading among tribes to the degree that lineages were confused. Also, it legislated the penalty of 'cutting the hand of the thief' to avoid disorders resulting from theft and burglary." According to their view, Islam was a temporal legislation that had represented a cure for a deteriorated nomadic nation. In other words, Islam performed its normal role in its time and place, so it represented a reformatory role restricted to a certain time and place; that is, it cannot be generalized.

The other party may say, "The social and religious reformation do not take place in any nation or environment except when there is an atmosphere befitting the reformatory call. At that time, Arabs were starting a progressive renaissance; Mecca was symbolizing the trade center between the East and the West. Besides, Mecca was known for its civilization and prosperity, which prepared it for a fruitful reformatory movement. Moreover, journeys extended to cover Peninsula and its surroundings, which created a kind of renaissance in Mecca (the center of Peninsula)

calling for reformation. So when Muhammad came with Islam, the reasons of victory were already present, so he called for his call in a nation ready to accept and adopt it."

If we study the two views, we will find that there is a kind of contradiction that makes them void. The first view abased the Arabs and belittled them. Further, it could not reach its malicious result, namely, 'The Islamic Law befits only the Bedouins', except by disdaining the Arab Community before Islam. Contrarily, the second view highly valued the very same Arab Community and praised its indications of self-renaissance. This is to reach the result that Muhammad was a social reformer that saw the way paved before him so he made his reformatory call that did not depend on a heavenly support from Allah. Namely, the evil result they wanted to reach is that Muhammad was not a Messenger; rather, he was a reformer.

All Muslims know how much suffering and harm Allah's Messenger, may the blessings and peace of Allah be upon him, tolerated and endured for the sake of the Call. He was thrown by stones and soiled with filth while he was prostrating to Allah. Even his Companions did not escape harm; some of them died because of the severe torture and the others did not become free from suffering except by the money of the honorable people who would buy and release them. Due to persecution and oppression, they were obliged to migrate twice to escape with their religion.

The aspect of truth, with regard to the issue of the Arab Community and the Islamic Call, is manifest and does not require any concealment. To illustrate, the mindful person heads for good, fertile soil and sows it with the best seeds to get the best produce. Similarly, Allah, Exalted be He, has chosen the Arab Nation to be the land of His Message; it represented the good soil reclaimed by Islam that made it able to produce the best of fruits.

their return, the family hastened to contact the officials in Al-Azhar expressing the girl's wish to study Islam deeply. Immediately, Al-Azhar officials responded to the wish of the girl and the family and appointed one of the graduate scholars of the Institute of preparation and orientation, later by the Faculty of Languages and translation having good command of English to teach the girl the Arabic language and the Islamic studies. Further, they assigned a monthly salary and prepared a private dwelling for the girl in one of the best areas of Cairo. But the girl refused and preferred to stay with the Muslim family that treated the girl in a very kind manner; that is, one of its members would accompany her to and fro Al-Azhar.

With regard to the case of the Israeli girl, I suggest that Al-Azhar does the same to that Muslim girl. I think that contacting her is not so difficult; it may be through one of the readers of the magazine or by the help of the Egyptian diplomatic corps. This is in order not to let that girl suffer torment, persecution and severe pressure to turn her away from Islam. May Allah help and support her.

Undoubtedly, taking care of that girl and protecting her will encourage lots of the youth to adopt Islam as a religion. Hereupon, launching wars and attacking Islam at the present time will be the first and most important factor in motivating people, especially the youth seeking the truth, to know the true core of Islam and get acquainted with its pure *Shari`ah* (Islamic Law) and tolerant spirit. This is due to the fact that the unjust propaganda seeks turning people, including Muslims themselves, away from Islam.

Islam And Its Adversaries

By: Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy

It has been destined for the Arab history to be recorded by the non-Arab; that is, even worse, by the severest people in enmity and injustice toward Arabs. Then, it has been destined for those enemies to be of the powerful and influential in both the political and literal fields, which paved the way for their devious, false studies to circulate, and created followers who would love and show loyalty (even to the malicious people) in every field.

Moreover, those enemies have set their falsified writings as examples and models for thorough examination and study. Even the deluded who do not know but Arabic pretend that they have transmitted whatever they translated and transliterated from them (i.e., the enemies and their loyal followers, as such deceived persons believe that they are their faithful examples). Furthermore, such misled persons may even boast their deeds. This is may be motivated by their inferiority complex deeply permeated in their souls, since they are ignorant about their true history. By contrast, those who have been granted true insight and pure intention despise every corrupted and twisted matter.

The purposeful have written about the community of the Pre-Islamic Age and about the influence of Islam on the advance of that community in particular and the advance of the human community in general. Hence, their sick rancor prompts them toward doing injustice and acting abusively. Indeed if they disagree in opinions and proofs, they gather around one goal; namely, to degrade Islam and Arabism together. Their methods are not manifest except for the sighted. To illustrate, some of them may pretend to value Islam highly so that they can attack and accuse Arabism unjustly and falsely. Some others may pretend to appreciate Arabism so that they may belittle the influence of Islam and its achievements. All of them are nothing but sinful and purposeful accusers. This is because they

AL-AZHAR MAGAZINE

Dhul-Qi,dah 1424 A. H.

ENGLISH SECTION

Jinuary. 2004

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

An Israeli Young Girl Embraces Islam

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

News agencies have come up with a piece of news about an Israeli young girl who has embraced Islam at her fifteen. She has not only embraced Islam but she has worn *hijab* (i.e., veil) as well. On the other hand, the headmaster of the school in which that girl receives education hurried to dismiss her from the school. This means that the academic future of that girl is threatened in a country where they hold the flags and mottos of democracy, freedom and consideration of human rights; this is despite the fact that all signs refer to the exact opposite of what they claim. In support of this, a questionnaire has been made in the European countries and the results affirm that Israel is the first country that threatens peace and embraces terrorism.

Moreover, it is known that Israel accumulates mass destruction weapons, including the nuclear ones, and refuses to sign the treaties of non-spread of nuclear weapons and the inspection on its nuclear institutions. It is crystal-clear now that the Muslim Israeli girl is living in an environment full of hatred and persecution; she may be suffering hatred from her own family.

We may go back a little in time; exactly to the sixties when a Christian American girl embraced Islam after studying and comparing religions, and the result was that her family denied and threw her away. At once, a Muslim Egyptian family living in America received her. When that family decided to return home, as the work contract of the father was terminated, they took the girl with them. Upon

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾



الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾



الأزهر

صاحب الجلالة عاهل المملكة المغربية فى ضيافة الأزهر الشريف



فى ظل الظروف التى تمر بها أمتنا العربية والإسلامية، وضرورة بذل كل الجهود الصادقة من أجل هذه الأمة الإسلامية كانت زيارة جلالة الملك محمد السادس ملك المغرب لمصر والأزهر الشريف.

وفى جو مفعم بروح الود والأخوة فى الدين والعروبة كان استقبال فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى لجلالته، وقد وصف فضيلة الإمام الأكبر تلك الزيارة بأنها تمثل لفتة كريمة من جلالة الملك معربا عن ترحيب الأزهر بتلك الزيارة مشيدا بعمق العلاقات التى تربط بين مصر والمغرب وبين المؤسسات الدينية فى كلا البلدين ممثلة فى الأزهر الشريف بمصر، وجامعة القرويين بالمغرب خاصة مع وجود سفراء للأزهر على أرض المغرب الشقيق ممثلين فى أبناء المغرب الذين أنهوا دراستهم بمراحل التعليم المختلفة بالأزهر وعادوا لبلادهم لينقلوا ما تعلموه من علم نافع لأبناء بلدهم.

وقد أهدى فضيلة الإمام الأكبر المصحف الشريف لجلالته مع هدية تذكارية منقوش عليها ترحيب الأزهر بالملك بهذه المناسبة التاريخية، مع كتاب «الأزهر فى ألف عام».

ثم ألقى فضيلة الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى رئيس تحرير مجلة الأزهر وعضو مجمع البحوث الإسلامية قصيدة ترحيب بجلالة الملك:

قصيدة الأزهر

فى الاحتفال بزيارة جلالة الملك محمد السادس

حى بالأزهر المليك المفدى   زاد عزا مع الزمان وسعدا

يسعد الأزهر الشريف بلقياه   ويرجو له صلاحا ورشدا

ذكر الأزهر الشريف بمصر   فسعى نحوه حناناً ووُدا

إن للأزهر الشريف اعتلاقا   بنفوس تراه للدين مَهْدا

قد رأينا محمد السادس اليوم   فلذنا بالله شكرا وحمدا

هو غصن بدوحة لرسول   الله تسمو شأنا وتعظم مجدا

دوحة المصطفى تروق بهاء   ويطيب النسيم منها ويندى

ولها من حجى الإمام على   أفرع تملأ البساتين وردا

ذاك مجد الدنيا تسلسل حتى   شاء فى المغرب ازدهاراً وخُلدا

هاجه قلبه إلى معقل الدين   فغنىْ شوقا ورفرف وجْدا

هو صنو لجامع القرويين   بفاس تدا يؤازر ندا

وبأفقيهما الكواكب تزهو   لست تحصى لها مع الدهر عدا

نحن والمغرب الشقيق تعاهد   نا إخاء، ولن نضيّع عهدا

زارنا العاهل الكريم فلاقينا   ه فى الحمى سلاماً وبردا

وقديما سعى المعز إلينا   فغدونا له عشيرا وجندا

شيد الأزهر الشريف فأضحى   موئلا للهدى مراحاً ومغدى

إنها وحدة يؤازرها الدين   وما عن حمى الأخوة معدى

نحن فى حاجة لها حيث تغدو   فى مهب الكوارث الدهم سدا

ولدينا مبارك يجمع الشمل   ويحمى غاباً ويرأس أُسداً

الزعيم الحكيم لم يطعم النوم   صبورا وليس يألو جهدا

إذ جراح العروبة اليوم شتى   خيم الظلم فوقها واستبدا

نبحتنا الكلاب من كل صقع   لا يظنون حاميا يتصدى

ورعاة الأبقار صاروا ذئابا   يملئون العراق غورا ونجدا

يبتغون البترول ليس سواه   لا يرون الغداة عنه مردا

بدءوا يصرخون من سعير   يستبيح الجسوم شيًا ووقدا

ولنا الله حيث لا يأس إنا   تبصرُ الفجر فى الدجى قد تبدى
كم تداعت على البلاد خطوب   ثم ولى عن الحمى من تعدى
سنة الله لا دوام لحال   نكرع الصاب ثم ننهل شهدا
قد عرفنا صديقنا من عدو   نظهر الود حين يضمر كيدا
أيها العاهل العظيم يحييك   شيوخ يرون فألك سعداً
قادهم شيخهم محمد للمجد   فأولوْه بالمودة ودا
لكأنى أرى العدو كسيحا   يبذل الجهد عاثرا يتردى
عطفةً بالقصيد نحو عليٍ   بطل الحرب حين تعصف رعدا
الإمام الشهيد زين بنى الإسـ   ـلام أنقى الورى سماحا وزهدا
ليس ينمى إليه غير الميامين   شبابا صلب الشباة ومردا
والبتول البتول فاطمة الزهـ   ـراء من كالبتول طهرا ورفدا
حسن والحسين ريحانتاها   أوقدا بى صبابة ليس تهدا
أنت يابن النّبى بالمغرب الزاهـ   ـر من نورها سنى قد تبدى

***



وفى نهاية اللقاء طلب جلالة الملك مصافحة كبار علماء الأزهر أعضاء مجمع البحوث الإسلامية، كما صافح العشرات من أبناء المغرب الدارسين بالأزهر الشريف جامعته ومعاهده، والتقطت لهم ولفضيلة الإمام الأكبر الصور التذكارية. وقد أوصى جلالة الملك الطلاب بالإقبال على تلقى العلم ومداومة التفوق فى دراستهم، وقام بالدعاء لهم بدوام السداد والنجاح ويذكر أن عدد الطلاب الذين يدرسون بالأزهر من المغرب ٦٣ طالبا وطالبة.

* وقد غادر جلالته مشيخة الأزهر بعد قضاء أكثر من الساعة.

حضر اللقاء فضيلة الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق - وزير الأوقاف ورئيس بعثة الشرف وفضيلة الشيخ الدكتور محمود إمبابى - وكيل الأزهر الشريف، وفضيلة الأستاذ الدكتور على جمعة مفتى الجمهورية، وفضيلة الأستاذ الدكتور أحمد الطيب - رئيس جامعة الأزهر، والسادة أصحاب الفضيلة أعضاء مجمع البحوث الإسلامية، والسادة قيادات وعلماء الأزهر الشريف وعدد من طلبة المغرب الدارسين بالأزهر الشريف.

وجدير بالذكر أن جامع القرويين صنو الجامع الأزهر حيث بُنى جامع القرويين كمعهد للعلم فى عام ٨٥٧م لتقام فيه الصلاة بالإضافة إلى إشعاعه الثقافى والدينى الذى يعم أرجاء العالم الإسلامى وقد أصبح جامع القرويين جامعة تشد لها الرحال من جميع أنحاء العالم.

وكما فى جامعة الأزهر حيث تضم العديد من الكليات الشرعية كأصول الدين والشريعة واللغة العربية، فكذلك الحال بجامع القرويين الذى يطلق عليه أيضا جامعة القرويين، وتضم كلية أصول الدين بتطوان، وكلية اللغة العربية بمراكش، وكلية الشريعة بفاس، بالإضافة للعديد من الكليات الحديثة مثل كلية الطب، وهو ما يوضح التماثل والتشابه بين الجامعيتين شكلا ومضمونا وجهاداً فى سبيل إعلاء كلمة التوحيد.

مجمع البحوث الإسلامية

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
فى مطلع كل شهر عربى

• • •

رئيس التحرير
أ.د. محمد رجب البيومى

نائب رئيس التحرير
سيد وفا أبو عجور

مدير التحرير
عادل رفاعى خفاجة

سكرتير التحرير
أحمد السيد تقى الدين

الاشتراك السنوى

- داخل مصر ١٨ جنيها مصريا
- الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا
- أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا
- اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
☎ ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم
مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر
ت: ٢٦٣٨٥٩٩

افتتاحية العدد

الحج في مرآة كاتب هندي كبير

٢

يقول الله عز وجل:

﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝٢٧ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾[١].

لقد تحدث الكاتبون عن تفسير قول الله تعالى: ﴿ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ فجاءوا بما يُفصّل هذه المنافع كما اتضحتْ في تفكيرهم، ولكنْ مؤلف الكتاب «وحيد الدين خان» أتى بالجوهر الخالص من هذه المنافع حيث حصرها في جانبين: الجانب العام للأمة الإسلامية، والجانب الخاص لأفراد هذه الأمة، وذلك كله في نطاق ما جاء به الذكر الحكيم، وما تسلسل من الوقائع عبر التاريخ المديد، فإذا كان الله ـ عز وجل ـ قد قال:

﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ ﴾[٢].

وقال: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾[٣].

فإنّ ذلك يعني أن يكونَ البيت الحرام مركزاً عالمياً للتوحيد، منذ أذّنَ إبراهيم ـ عليه السلام ـ للناس بالحج، يقول المؤلف الكبير:[٤].

---

(١) الحج: ٢٧، ٢٨.
(٢) المائدة: ٩٧.
(٣) البقرة: ١٢٥.
(٤) حقيقة الحج ص ٦٨.



لقد كان النداء الإبراهيمي بدءاً لواقعة مستمرة لا تنقطع، أطلق نداءه في عصره، وأخذه الآخرون من بعده فأسمعوه لمن في عصرهم، وهكذا استمر هذا العمل الجليل جيلاً بعد جيل، وعندما جاء عصر الصحافة والإذاعة انتشر هذا الصوت على مدى أكبر، فجاوز الجبال والبحار حتى تلاشى الخوف من أن يوجد على وجه البسيطة من لم يصله هذا النداء الإبراهيمي».

ومن مواقف النبوة بصدد الإعلام من المسجد الحرام، ذكر المؤلف حدثين هامين، ونسي حدثاً ثالثاً:

أما الحدث الأول، فهو «إعلان البراءة من المشركين في موسم الحج حين كان أبوبكر الصديق أميراً على الحج في السنة التاسعة، وكان معه عليّ بن أبي طالب، وهناك تليت سورة «براءة» وأُعلن للناس ألا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان».

يقول المؤلف: «لقد نزل حكم البراءة من مشركي الجزيرة العربية بالمدينة، إلا أنه أُعلن بمكة في موسم الحج، وهذا دليل على أنّ موسم الحج هو المكان الصحيح، لإعلان كل القرارات الإسلامية الهامة، فالحجّ هو المكان الاجتماعي لكل مسلمي العالم، وهم يجتمعون هنا، وعليهم أن يُعلنوا قراراتهم الكبرى وأن يضعوا الخططَ العالمية للأعمال التي تجب عليهم تنفيذاً لأوامر الله ورسوله».

أما الحدث الثاني: فمُشْتَهرٌ ذائع، هو حدث حجة الوداع حين قدمَ الرسول ﷺ مكة، وقال لأصحابه: «إني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا، بهذا الموقف» ثم أعلن ما يُسمّى الآن بحقوق الإنسان، في الحرية والإخاء والمساواة، وحفظ الأنفس والأموال؛ لقد كانت المدينة مركز الإسلام

السياسي حينئذ، وكان بإمكان الرسول ﷺ كما يقول المؤلف: أن يستقدم الناس إليها ليخطب فيهم بما خطب في حجة الوداع، ولكنه رأى أن تكون مكة وبيتها الحرام وما حولها من مشاعر موضع القرارات الهامة، امتداداً لرسالة الحج كما شرعها الله.

هذان الحدثان الهامان قد أشار إليهما المؤلف باهتمام، وفي رأيي أن حدثاً هاماً كان يجب أن يُشار إليه في هذا المجال، هذا الحدث هو الدعوة الجهرية للإسلام حين قام الرسول ﷺ على الصفا ونادى: يا معشر قريش، فأقبلوا عليه يسألون ما له، فقال: أرأيتم لو أخبرتكم أنّ خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مُصدقيّ؟. فقالوا: نعم، ما جربنا عليك كذبا، فقال: إني نذير لكُم بيْن يدى عذاب شديد، ومن هُنا كان البيت الحرام أول مكان جهر فيه الرسول بدعوته، فهو مكان الإعلام الأول بالإسلام!.

وقد عهدنا كثيراً من الكاتبين يتحدثون عن الحج باعتباره مؤتمراً إسلامياً، ولكننا نرجو أن يكون مؤتمراً إسلامياً عملياً، لأن رؤوس المخلصين من أبناء الإسلام في كل بقاع الأرض يجتمعون في هذا الموسم، ولا شكّ أن أنباء العالم الإسلامي مُتعارفة، تنقلها الإذاعات المختلفة، فإذا اجتمعوا وهم يُحيطون علماً بما يحدث في العالم من أحداث، فعليهم أن يرسموا الخطط وأن يجمعوا الشمل، هذا إذا صحّت العزائم، وخلصت النيات!. وهُنا يكون المسجد الحرام مثابة للناس وأمناً، بالمعنى الشامل المحيط.

هذا بعض الحديث عن الجانب العام للأمة الإسلامية، أما الجانب الخاص بالأفراد، فقد خصّه المؤلف بصفحات وضيئة تنفح بعبير الإيمان، لأن الحج في لُبابه زيارة لله ـ تعالى ـ ففيه بُعْدٌ تام عن المعاصي والآثام، واجتماع الحج تربية عملية على هذا الابتعاد، لأنّ الجو الروحي بملابساته المتسامية يصرف النفس عن هواجس السوء، ويصقل المزاج صقلاً مُشعاً تتلاشى معه عوامل الأنانية والتكالب والخصام، وإذا كان كل اجتماع بشرى يبعثُ على النقاش والشجار استجابة لدوافع نفسية، فإن تحريم الجدَل في الحج يعصف بدواعي هذا الشقاق، ويفتح الطريق إلى الألفة والوئام، لا في أيام الحج وحدها، بل فيما يعقب هذه الأيام بعد العودة، إذ أن أيام التدريب العملي أثناء الحج، يجب أن تترك صداها لدى النفس المطمئنة. وهنا يكون الحج مبروراً بالمعنى الخلقي الرفيع.

وللكاتب الكبير سبحات جيدة في هذا النطاق حين يحدد علاقة المؤمن بربه أثناء الحج وبعده، فيقول:[5] «إن من أهم جوانب الحج أن لقاء العبد بالحقيقة العُليا يشعر بأنه قد خرج من دنياه إلى دنيا

---

(5) حقيقة الحج: ٥٦.

الله، فميدان عرفات منظر عجيب، إذ ترى عباد الله يأتون فوجاً بعد فوج من كل النواحي، وعلى جسد كل واحد منهم لباس بسيط، من نوع واحد، وقد فقد الكل صفته المميزة، وعلى لسان الكل شعار واحد «لبيك اللهم لبيك»، حين نرى هذا المنظر نتذكر الآية القرآنية:

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾[6].

لأن اجتماع عرفات خيرٌ مُقدِّمٌ لاجتماع يوم الحشر بحيث ترى في هذه الدنيا صورة من صور الآخرة».

.. وقد عقد المؤلف موازنة دقيقة بين الصلاة والحج، فذكر أن الإنسان يأتي للمسجد لأداء الصلاة ليبتعد بعض الوقت عن بيئته الخاصة، ويُخلي ذهنه من الأشياء الفانية، حين يتوجه توجُهاً كاملاً إلى الله ـ تعالى ـ ورحلة الحج عملٌ من هذا النوع، فيتم إخراج المرء في أيام الحج من بيئته المحدودة لمدة طويلة لزيارة مختلف المقامات في الحجاز، ولكن الحج انقطاعٌ كُلّيٌ ـ بالنسبة للصلاة ـ عن البيئة الدنيوية لكي يتوجه الإنسان لربه في أقدس مكان، فهناك الكعبة، وهناك آثار النعم السماوية على عباد الله، حيث يتجلّى أمام المرء تاريخ ديني كامل يبتدئ من دعوة إبراهيم، ثم كتب المؤلف تحت عنوان «إنكار الذات» ما يلي ببعض التصرف:

«من ممنوعات الحج استخدام أشياء الزينة واللذة المادية، إذ يبدأ عملُ الحج بالإحرام، ذلك اللباس البسيط، فالإحرام هو أن ترتدى ملابس الفقراء عند زيارة الكعبة، وهذا هو أول الخطوات الرمزية التي تؤكد أن كل البشر سواسية، وأن الأشياء الظاهرية التي يتفاخر بها الناس باطلة عند الله، فالعباد سواسية، وما على الذين يريدون أن يكونوا من أفضل عباد الله، إلا أن يخلعوا عن أنفسهم كل الملابس المزيفة ويرتدوا اللباس الإلهي وحده، وعندما يقف المرء نفسه لهدف ما، فهو لا يجد فرصة للتزين حيث ينسى الملذات الوقتية باحثاً عن الهدف الأعلى».

وإذا كان المؤلف قد كتب مؤلّفهُ بعد رحلة الحج، فإنه لم يكتف بحديثه عن الشعائر دينياً أو الأحداث تاريخياً، بل أفرد جانباً لملاحظاته الخاصة، وهي ملاحظات نقديّة، يقوم بتقريرها مُفكر مخلص يفكر في الصالح العام بعيداً عن الأهواء المغرضة،

---

(6) ياسين: ٥١.

والنوازع المريضة، يقول الكاتب (٧): «لقد أديت فريضة الحج في سبتمبر سنة ١٩٨٢، ورأيت ذات يوم وأنا في بيت الله الحرام، أن أناسا من بلد معين دخلوا المسجد الحرام ليرفعوا شعارات بحياة زعيم بلدهم، فتجمع حولهم كثير من الحجاج، وبدأت بينهم مناقشات خلافية، واستمرت هذه المناقشات فترة طويلة، وجو بيت الله هو جو الذكر والعبادة، ولكن هذه الجهالة حولته إلى جو النزاع السياسي».

وقد أصبح هذا الاتجاه خطيراً في الزمن الحاضر، فتنظر بعض المنظمات والحكومات إلى الحج من زاوية أنه تجمع عدد كبير من المسلمين في وقت واحد ومكان واحد، فتريد استخدامه لأهدافها السياسية المحدودة، ولكن هذا الأسلوب خاطئ تماما وهو يعارض أهداف الحج بصورة كلية، والطريق الصحيح للاستفادة من هذا الاجتماع العالمي هو أن تبعث في الناس روح الدعوة لكي يعودوا إلى بلادهم دعاة دين بدلاً من أن يبشروا بدعايات سلبية ضد بعض المسلمين».

وحديث الكاتب الغيور يغني عن كل تعليق، لأن مسألة الحج في صميمها دعوة إلى الاتحاد لا إلى التفرق، وهذه الدعوة ترتفع فوق مستوى الأشخاص، والسياسات السلبية، وقد جاء الحاج من بلده مستجيباً لنداء ربه، فإذا اختمر في نفسه عملاً يبعث على الشقاق، وجمع حوله من ينهجون نهجه إرضاءً لمنافع شخصية فإنه لا يبطل العبادة وحدها، بل يضيف إلى إبطال حجه جزاء ما اقترف من إحداث الشغب والفوضى والعمل على تقويض الكلمة، ولعل مما يهون الأمر بعض الشيء أن الكثرة الغالبة من الحجاج تعرف أصحاب الدوافع المريضة، فتردهم على أعقابهم مدحورين.

هذه ملاحظة أولى للكاتب الكبير أردفها بملاحظات أخرى نقلها عن مذكرة له خاصة برحلة الحج، قال في إحداها (٨):

«المناظر الربانية التي شاهدتها هناك لا سبيل إلى بيانها، والمناظر البشرية التي رأيتها هناك لا سبيل إلى وصفها كذلك، فقد رأيت الناس مشغولين بتجاذب أطراف الحديث فيما بينهم، أو منهمكين في شراء الحاجات الدنيوية، بينما وجدت البعض الآخر منهم وهو يقوم بإظهار عاطفته الدينية الجياشة، يدفع الآخرين ليخلو له المكان، بينما هذا السلوك لا يجوز أصلاً في الحج، إن الملائكة تنزل هنا لكي يناجيهم البشر، ولكن الناس يناجي بعضهم البعض، والآخرة

(٧) حقيقة الحج: ص ٤٧.
(٨) حقيقة الحج: ص ٦٠.

معروضة هنا للبيع ولكن الناس يتساقطون ليشتروا الدنيا، وحيث كان ينبغي أن يبقى الإنسان في الخلف خشية الله، يتدافع الناس إلى الأمام ليظهروا مهارتهم في سبق الآخرين».

على أني أهمس في أذن الكاتب قائلاً: إن الناس ليسوا سواء، ومن المستحيل أن يجتمعوا على نسق مطرد، ونحمد الله أن المخطئ يمثل الاستثناء، والمصيب يمثل القاعدة، وفي هذا بعض العزاء.

على أني لا أستطيع أن أكتم إعجابي بما قرأته للمؤلف حين صور مشاعره المؤمنة وهو يفارق البيت الحرام بعد انتهاء طواف الوداع إذ يقول (٩):

«قمنا بأداء طواف الوداع مساء ٤ / ١٠ / ١٩٨٢م، وتوجهنا إلى المدينة ليلاً، وكانت كيفية عجيبة تنتابني عندما خرجت من الحرم بعد هذا الطواف، فكنت ألتفت إلى الخلف مرة بعد أخرى لألقي نظرة إلى البيت الحرام، كانت قدماي تسيران إلى الأمام، ولكن قلبي كان مشدوداً إلى الخلف، كنت أشعر أني أخرج من وطني الحقيقي إلى وطن غريب، وكان دخولنا الحرم المدني مؤثراً غاية التأثير، فقد مر أمامي التاريخ الكامل للإسلام ورسول الإسلام ﷺ وخرج الدعاء الآتي من شفتي: يا رب أصلي وأسلم على رسولك، اكتبني في أمة رسولك، واجعلني فيمن سيشفع لهم يوم القيامة، !!».

لقد أعجبت بهذه المشاعر، لا لأنها غريبة نادرة!، بل لأنها صادقة تمام الصدق، والكاتب حين عبر عنها كان يعبر عن مشاعر آلاف آلاف ممن أحسوا هذه المشاعر، فأخذوا يلتفتون إلى الحرم كما أطال التلفت، ثم مضوا إلى غاياتهم وهم يرون الحرم بنور أفئدتهم بعدما عز عليهم أن يروه بأبصارهم، وهكذا يصدق قول الشريف الرضي:

وتلفتت عيني فمذ خفيت
عني الطلول تلفت القلب

هذه خواطر شتى نحو كتاب قيم أدعو القراء إلى مراجعته، لأن أفكاره الصائبة دائمة التحرك والانقضاض، فهي تنتقل من السطور إلى نفس القارئ جياشة متوثبة، فترتفع به عن مستواه إلى أوج رفيع.

د./ محمد رجب البيومي

(٩) حقيقة الحج: ص ٦١.

تفسير سورة البقرة

قال تعالى:

﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ
فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ
اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ
آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ
يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ
وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ
إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ
وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ
اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ
رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ
عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا
تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا
أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

الآيات: ٢٨٣ / ٢٨٦

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

الرهان: جمع رهن بمعنى مرهون من باب إطلاق المصدر على اسم المفعول وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿ فَرُهُنٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ وأصل الرهن فى كلام العرب يدل على الحبس: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾(*) ومعنى الرهن: أن يوضع شىء يناسب قيمة الدين من متاع المدين بيد الدائن توثقة له فى دينه، ليستطيع أن يستوفى حقه من هذا الشىء المرهون عند تعذر الدفع.

والمعنى: وإن كنتم أيها المؤمنون - مسافرين وتداينتم بدين إلى أجل مسمى، ولم تجدوا كاتبا يكتب لكم ديونكم، أو لم تتيسر لكم أسباب الكتابة لأى سبب من الأسباب، فإنه فى هذه الحالة يقوم مقام الكتابة رهان مقبوضة يقبضها صاحب الدين ضمانا لحقه عند تعذر أخذه من الغريم.

وفى التعبير بقوله: ﴿ عَلَىٰ سَفَرٍ ﴾ استعارة تبعية حيث شبه تمكنهم فى السفر بتمكن الراكب من مركوبه. وفيه كذلك إشارة إلى اضطراب الحال، لأن حال المسافر يغلب عليها التنقل وعدم الاستقرار.

وجملة ﴿ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا ﴾ معطوفة على فعل الشرط، أى: وإن كنتم مسافرين ولم تجدوا، كاتبا فتكون فى محل جزم تقديرا. ويجوز أن تكون الواو للحال والجملة بعدها فى محل نصب على الحال.

وقوله: ﴿ فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ خبر لمبتدأ محذوف والتقدير: فالذى يستوثق به رهان مقبوضة أو مبتدأ محذوف الخبر والتقدير: فعليكم رهان مقبوضة.

ومن الأحكام التى أخذها الفقهاء من هذه الآية الكريمة: أن تعليق الرهان على السفر ليس لكون السفر شرطا فى صحة الرهان، فإن التعامل بالرهان مشروع فى حالتى السفر والحضر، وإنما علق هنا على السفر لأنه مظنة تعسر الكتابة لما فيه من التنقل وعدم الاستقرار. وقد ثبت فى الصحيحين عن أنس أن رسول الله ﷺ توفى ودرعه مرهونة عند يهودى على ثلاثين وسقا من شعير رهنها قوتا لأهله»[1].

ومن الواضح أن رسول الله ﷺ عندما رهن درعه لليهودى كان مقيما ولم يكن مسافرا قال القرطبى: ولم يرو عن أحد منع الرهن فى الحضر سوى مجاهد والضحاك وداود متمسكين بالآية، ولا حجة فيها لهم، لأن هذا الكلام وإن خرج مخرج الشرط فالمراد به غالب الأحوال وليس كون الرهن فى الآية فى السفر مما يحظر فى غيره»[2].

كذلك أخذ بعض الفقهاء من قوله: ﴿ فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ أن الرهن لايتم إلا بالقبض. فإذا افترق المتعاقدان من غير قبض كان الرهن غير صحيح بنص الآية وهذا

(*) المدثر (٣٨).
(١) تفسير ابن كثير جـ١ ص٣٣٧.
(٢) تفسير القرطبى جـ٣ ص٤٠٧.

مذهب الأحناف والشافعية، ويرى المالكية والحنابلة أن الرهن يتم من غير القبض، لأن القبض حكم من أحكامه، فمن حق الدائن بعد تمام عقد الرهن أن يطالب بقبض العين المرهونة، فالقبض حكم من أحكام العقد، وليس ركنا من أركانه ولا شرطا لتمامه.

وقوله:

﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴾

تفريع على أحكام الديون السابقة، وحض على أداء الأمانة وعلى حسن المعاملة.

أى: فإن أمن الدائن المدين واعتمد على ذمته ووفائه ولم يوثق الدين بالكتابة والشهود والرهن، فعلى المدين أن يكون عند حسن ظن الدائن به بأن يؤدى ما عليه من ديون فى الموعد المحدد بدون تسويف أو مماطلة، وعليه كذلك أن يتقى الله ربه فى رعاية حقوق غيره فلا يجحدها ولا يتأخر فى أدائها لأن الله العليم بكل شىء سيحاسب كل إنسان بما قدمت يداه.

وعبر - سبحانه - بقوله:

﴿ فَإِنْ أَمِنَ ﴾ دون أو أودع، للإشارة إلى الجانب الذى اعتمد عليه الدائن فى المدين وهو خلق الأمانة، فهو لا يرى فيه إلا جانبا مأمونا لا يتوقع منه شرا أو خيانة، وللتنبيه إلى أن صفة الأمانة والوفاء من الصفات التى يجب أن يتحلى بها المؤمنون جميعا حتى ينالوا السعادة فى دينهم ودنياهم، عبر بقوله:

﴿ فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ ﴾ ولم يقل فليؤد المدين لحضه على الأداء بأحسن أسلوب، لأنه مادام الدائن قد ائتمنه على ما أعطاه من ديون، فعلى هذا الذى اؤتمن وهو المدين أن يكون عند حسن الظن به وأن يرد إليه حقه فى موعده مع شكره على حسن ظنه به.

وقوله: ﴿ أَمَانَتَهُ ﴾ أى دينه والضمير يصح أن يعود إلى الدائن باعتباره مالك الدين، إلى المدين باعتبار أن الدين عليه، وفى إضافتها - أى الأمانة - إلى المدين إشعار له بأنها عبء فى ذمته يجب أن يؤديه حتى يتخلص من تكاليفه، إذ الأمانة عبء ثقيل عند العقلاء الذين يشعرون بالمسئولية نحو أنفسهم ونحو غيرهم.

وجمع - سبحانه - بين صفتى الألوهية والربوبية فى قوله:

﴿ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴾ للمبالغة فى التحذير من الخيانة والمماطلة فإنهما يغضبان الله تعالى - الذى خلق الإنسان ورباه وأسبغ عليه نعمه الظاهرة والباطنة، ولإشعار هذا المدين بأن التقوى هى الوثيقة الكبرى التى لا تعدلها وثيقة أخرى من كتابة أو شهادة أو رهان.

وبذلك نرى لونا من ألوان التدرج الحكيم فى شريعة الله - تعالى - فأنت ترى أن الله - تعالى - قد بين قبل ذلك أن الكتابة فى الديون والإشهاد عليها مطلوبان، فإن تعذرت الكتابة والشهادة لسبب من الأسباب فإنه يترخص حينئذ بالرهن المقبوض.

فإن تعذر على المدين المحتاج أن يدفع للدائن رهنا يكون الاعتماد على الأمانة التى هى صفة من صفات الصادقين.

فياله من تشريع حكيم، بين للناس ما يصلح شأنهم فى دينهم وفى دنياهم.

ثم أمر الله - تعالى - عباده بأن يؤدوا الشهادة على وجهها وألا يكتموها فقال - تعالى:-

﴿ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ﴾

أى: وعليكم - أيها المؤمنون - ألا تمتنعوا عن أدائها إذا دعيتم إليها وألا تخفوها فإن الذى يخفيها ويمتنع عن أدائها يكون معاقبا من الله - تعالى - بسبب ارتكابه لما نهى عنه.

وقد أسند - سبحانه - الإثم إلى القلب خاصة مع أن الإثم يسند إلى الشخص، لأن الإثم فى كتمان الشهادة عمل القلب لا عمل الجوارح، ولأن القلب أساس كل خير وكل شر، ففى الحديث الشريف: «ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب».

قال صاحب الكشاف: فإن قلت: هلا اقتصر على قوله:

﴿ فَإِنَّهُ آثِمٌ ﴾ وما فائدة ذكر القلب والجملة هى الآثمة لا القلب وحده؟ قلت: كتمان الشهادة هو أن يضمرها ولا يتكلم بها. فلما كان إثما مقترنا بالقلب أسند إليه لأن إسناد الفعل إلى الجارحة التى يعمل بها أبلغ، ألا تراك تقول إذا أردت التوكيد: هذا مما أبصرته عينى، ووعاه قلبى. ولأن القلب هو رئيس الأعضاء فكأنه قيل: ومن يكتمها فقد تمكن الإثم من أصل نفسه، وملك أشرف مكان فيه: ولئلا يظن أن كتمان الشهادة من الآثام التى تتعلق باللسان فقط. وليعلم أن القلب أصل متعلقه ومعدن اقترافه، واللسان ترجمان عنه. ولأن أفعال القلوب أعظم من أفعال سائر الجوارح، وهى لها كالأصول التى تتشعب عنها. ألا ترى أن أصل الحسنات والسيئات الإيمان والكفر. وهما من أفعال القلوب فإذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بأنه من معاظم الذنوب.

وقوله: ﴿ آثِمٌ ﴾ خبر إن و ﴿ قَلْبُهُ ﴾ رفع بآثم على الفاعلية كأنه قيل: «فإنه يأثم قلبه. ويجوز أن يرتفع قلبه بالابتداء. وآثم

خبر مقدم. والجملة خبر إن والضمير للشأن(٣).

ثم ختم – سبحانه – الآية بقوله:

﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾.

أى: والله – تعالى – عليم بكل أعمالكم وأقوالكم وسائر شئونكم وسيجازى المحسنين إحسانا، والمسيئين سوءا فعليكم أيها المؤمنون أن تستجيبوا لأوامر الله، وأن تجتنبوا ما نهاكم عنه حتى تكونوا من السعداء.

فالجملة الكريمة تذييل قصد به الوعد الحسن للمؤمنين الصادقين، والوعيد الشديد للعصاة المسيئين، حتى يزداد المؤمنون إيمانا، ويقلع العصاة عن عصيانهم وسيئاتهم.

وبعد هذا البيان الجامع الحكيم لطرق التعامل التى أباحها الله – تعالى – لعباده والتى حرمها عليهم، بين سبحانه – أن ما فى السموات والأرض ملك له، وأنه سيحاسب عباده بما يقتضيه علمه الشامل، وإرادته النافذة.

وما دام الأمر كذلك فعليكم – أيها المؤمنون – أن تبذلوا نهاية جهدكم فى العمل الصالح الذى بين أيديكم إنما هو عارية مستردة، وأن المالك الحقيقى له إنما هو الله رب العالمين، فأنفقوا من هذا المال – الذى هو أمانة بين أيديكم – فى وجوه الخير واجمعوه من طريق حلال، وكونوا من القوم العقلاء الصالحين الذين لم تشغلهم دنياهم عن أخراهم، بل كانوا كما قالوا:

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾(٤).

وقوله – سبحانه:

﴿ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾

بيان لشمول علم الله – تعالى – لما أظهره الإنسان أو أخفاه من أقوال وأعمال، وأنه سيحاسبه على ذلك بما يستحقه من خير أو شر.

والجملة الكريمة صريحة فى أن الله – تعالى – يحاسب العباد على نياتهم وما تكسبه قلوبهم سواء أخفوه أم أظهروه.

وقد بين المحققون من العلماء أن هذه المحاسبة إنما تكون على ما يعزم عليه الإنسان وينويه ويصر على فعله، سواء أنفذ ما اعتزم عليه أم حالت دونه حوائل خارجة عن إرادته: كمن عزم على السرقة واتخذ الوسائل لذلك ولكن لم يستطع التنفيذ لأسباب لم يتمكن معها من السرقة التى أصر عليها.

(٣) تفسير الكشاف جـ١ صفحة ٣٢٩.

(٤) البقرة (٢٠١).

أما الخواطر النفسية التى تجول فى النفس، وتعرض للإنسان دون أن يعزم على تنفيذها، فإنها ليست موضع مؤاخذة، بل إن التغلب عليها، وكفها بعد مكافحتها يجعله أهلا للثواب.

ففى الصحيحين عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله – تعالى –: «إذا هم عبدى بسيئة فلا تكتبوها عليه فإن عملها فاكتبوها سيئة، وإذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة، فإن عملها فاكتبوها عشرا»(٥).

وروى الجماعة فى كتبهم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تجاوز لى عن أمتى ما وسوست به صدورها ما لم تعمل أو تتكلم»(٦).

قال الفخر الرازى: الخواطر الحاصلة فى القلب على قسمين: فمنها ما يوطن الإنسان نفسه عليه ويعزم على إدخاله فى الوجود، ومنها مالا يكون كذلك، بل تكون أمورا خاطرة بالبال مع أن الإنسان يكرهها ولكنه لا يمكنه دفعها عن النفس.

فالقسم الأول يكون مؤاخذا به.

والثانى لا يكون مؤاخذا به، ألا ترى إلى قوله – تعالى –:

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾(٧).

وقال الآلوسى: المؤاخذة على تصميم العزم على إيقاع المعصية فى الأعيان وهو من الكيفيات النفسانية التى تلحق بالملكات، وليس كذلك سائر ما يحدث فى النفس – أى من خواطر لا تصميم ولا عزم معها – قال بعضهم:

مراتب القصد خمس هاجس ذكروا
فخاطر فحديث النفس فاستمعا
يليه هم فعزم كلها رفعت
سوى الأخير ففيه الأخذ قد وقعا(٨)

وقوله – تعالى –:

﴿ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴾

بيان لنتيجة المحاسبة التى تكون من الخالق – عز وجل لعباده.

أى: أنه – سبحانه – بمقتضى علمه الشامل، وإرادته النافذة، يحاسب عباده على ما أسروه وما أعلنوه من أقوال وأعمال، فيغفر بفضله لمن يشاء أن يغفر له، ويعذب بعدله من يشاء أن يعذبه، لا راد لمشيئته ولا معقب لحكمه.

وقوله: ﴿ فَيَغْفِرُ ﴾ ويعذب، قرأه

(٦،٥) تفسير ابن كثير جـ١ صفحة ٣٣٩.

(٧) تفسير الفخر الرازى جـ٧ صفحة ١٢٤. والآية من سورة البقرة رقم (٢٢٥).

(٨) تفسير الآلوسى جـ٣ صفحة ٦٤.

عاصم، وابن عامر، ويعقوب، وأبو جعفر، برفع الراء والباء على الاستئناف أى فهو يغفر وقرأ الباقون بإسكانهما عطفا على جواب الشرط وهو قوله: ﴿ يُحَاسِبْكُم ﴾.

وقوله:

﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ تذييل مقرر لمضمون ما قبله فإن كمال قدرته ـ سبحانه ـ على جميع الأشياء موجب لقدرته على ما سبق ذكره من المحاسبة لعباده، وإثابة من يشاء إثابته وتعذيب من يشاء تعذيبه، فهو القاهر فوق عباده، وهو الحكيم الخبير.

ثم ختم ـ سبحانه ـ سورة البقرة بآيتين كريمتين فى أولاهما أن رسالة النبى ﷺ امتداد للرسالات السماوية السابقة وخاتمة لها ومهيمنة عليها، وبين فى الثانية أنه ـ سبحانه ـ لم يكلف الناس إلا بما فى قدرتهم، وأنهم سيحاسبون على أعمالهم، وأن من شأن الأخيار أن يكثروا من التضرع إليه بخالص الدعاء.

وقوله:

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾

استئناف قصد به الإخبار عن الرسول ﷺ والمؤمنين بما يشرفهم ويعلى من أقدارهم ومنازلهم.

أى: صدق الرسول ﷺ بما أنزل إليه من ربه فى هذه السورة وغيرها من العقائد والأحكام والسنن والبينات والهدايات تصديق إذعان وإقرار واطمئنان، وكذلك المؤمنون الذين صدقوه واتبعوه آمنوا بما آمن به رسولهم وداعيهم إلى الحق ﷺ.

وقد قرن – سبحانه – إيمان المؤمنين بإيمان رسولهم ﷺ تشريفاً لهم وللإشارة إلى أنهم متى صدقوا فى إيمانهم كانت منزلتهم عند الله – تعالى – قريبة من منازل الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام –.

وفى تأخيرهم فى الذكر إشارة إلى تأخر التابع عن المتبوع، وإشارة إلى أن النبى – ﷺ – هو أول من آمن بما أوحى إليه من ربه، وهو أقوى الناس إيماناً، وأصدقهم يقيناً. وأكثرهم استجابة لأوامر الله.

وقوله:

﴿ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾

بيان للإيمان الكامل الذى اعتقدوه وصدقوا به.

أى: كل فريق من هذين الفريقين وهما الرسول والمؤمنون آمن إيمانا تاما بوجود الله – تعالى – ووحدانيته، وكمال صفاته، ووجوب الخضوع والعبادة له، وبوجود الملائكة وأنهم عباد مكرمون

﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾(٩)

(٩) التحريم (٦).

وكما آمنوا بكتب الله التى أنزلها لسعادة البشر، وبرسله الذين أرسلهم لإخراج الناس من الظلمات إلى النور.

ثم بين – سبحانه – أن من صفات هؤلاء الأخيار أنهم لا يفرقون بين رسل الله – تعالى فقال:

﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ أى يقولون لا نفرق فى الإيمان بين رسل الله – تعالى – وإنما نؤمن بهم جميعاً، ونصدق برسالة كل رسول أرسله الله – تعالى – ولا نقول كما قال الضالون:

﴿ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ ﴾(١٠).

ثم حكى – سبحانه – ما قالوه مما يدل على صدق إيمانهم، ونقاء نفوسهم وطهارة قلوبهم فقال: ﴿ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾

أى: وقالوا سمعنا قولك وفهمناه، وامتثلنا أمرك – يا إلهنا – واستقمنا عليه، وصبرنا على تكاليفه بكل رضا واستسلام. «غفرانك ربنا» أى اغفر لنا غفرانك الذى هو من فضل رحمتك ونعمك فأنت ربنا وخالقنا والعليم بأحوالنا وبضعفنا.

فقوله: ﴿ غُفْرَانَكَ ﴾ مصدر منصوب على المفعول المطلق والعامل فيه مقدر، أى: اغفر غفرانك. وقوله: ﴿ وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾

أى: وإليك وحدك المرجع والمآب، ومنك وحدك يكون الحساب والثواب والعقاب:

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾(*).

وبذلك نرى أن هذه الآية الكريمة قد مدحت الرسول ﷺ مدحاً عظيما، ومدحت أتباعه المؤمنين الصادقين لاستجابتهم لأوامر الله ونواهيه، وتضرعهم إليه بخالص الدعاء أن يغفر لهم ما فرط منهم.

ثم بين – سبحانه – بعض مظاهر رحمته بعباده فقال:

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾.

والوسع – كما يقول الزمخشرى –: ما يسع الإنسان، ولا يضيق عليه، ولا يحرج فيه، أى لا يكلفها إلا ما يتسع فيه طوقه، ويتيسر عليه دون مدى الطاقة والمجهود. وهذا إخبار عن عدله. ورحمته كقوله – تعالى

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾(١١).

لأنه كان فى إمكان الإنسان وطاقته أن يصلى أكثر من الخمس، ويصوم أكثر من

(١٠) النساء (١٥٠). (*) الشعراء (٨٨، ٨٩). (١١) البقرة (١٨٥) (١٢) تفسير الكشاف جـ١ صفحة ٣٣٢.

فالجملة الكريمة تحكى لنا بعض مظاهر فضل الله علينا ورحمته بنا، حيث كلفنا بما تسعه قدراتنا، وتستطيعه نفوسنا، وقد حكى القرآن هذا المعنى فى آيات كثيرة، منها قوله- تعالى:

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾(١٣)

وقوله - تعالى-:

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾(١٤).

وإذا كانت بعض التكاليف التى كلفنا الله بها فيها مشقة، فإن هذه المشقة محتملة وفى وسع الإنسان وقدرته وطاقاته، وسيثيبنا الله- تعالى- عليها ثواباً جزيلاً، فهو القائل:

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(١٥)

ثم بين- سبحانه- أن كل نفس ستجازى بما عملت فقال:

﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾

أى لها وحدها صواب ماكسبت من حسنات بسبب أعمالها الصالحة، وعليها وحدها عقاب ما اكتسبت من سيئات بسبب أعمالها القبيحة.

قال صاحب الكشاف: فإن قلت: لم خص الخير بالكسب، والشر بالاكتساب؟ قلت: فى الاكتساب اعتمال، فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهى منجذبة إليه وأمارة به، كانت فى تحصيله أعمل وأجد، فجعلت لذلك مكتسبة فيه، ولما لم تكن كذلك فى باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال»(١٦).

وقال الأستاذ الإمام محمد عبده: «لا شك أن الميل إلى الخير مما أودع فى نفس الإنسان، والإنسان يفعل الخير بطبعه وتكون فيه لذته. ولا يحتاج إلى تكلف فى فعل الخير، لأنه يعلم أن كل أحد يرتاح إليه ويراه بعين الرضا، وأما الشر فإنه يعرض للنفس بأسباب ليست من طبيعتها ولا من مقتضى فطرتها ومهما كان الإنسان شريراً فإنه لا يخفى عليه أن الشر ممقوت عند الناس وصاحبه مهين عندهم.. وهكذا شأن الإنسان عند اقتراف كل شر يشعر فى نفسه بقبحه، ويجد من أعماق سريرته هاتفا يقول له: لا تفعل، ويحاسبه بعد الفعل ويوبخه إلا فى النادر..»(١٧).

وبعد بيان سنة الله - تعالى - فى التكليف وفى الجزاء عليه، ختم - سبحانه

(١٣) الحج (٧٨).
(١٤) النساء (٢٨).
(١٥) الزمر (١٠).
(١٦) تفسير الكشاف جـ١ صفحة ٣٣٢.
(١٧) تفسير المنار جـ٣ صفحة ١٤٦.

- السورة الكريمة بتلك الدعوات الجامعات للسعادة حتى يكثر المؤمنون من التضرع بها فقال - تعالى -:

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾

أى: ربنا يا واسع العفو والمغفرة لا تؤاخذنا أى لا تعاقبنا ﴿ إِنْ نَسِينَا ﴾ أمرك ونهيك ﴿ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ ففعلنا خلاف الصواب جهلا منا بوجهه الشرعى.

فأنت ترى أن هؤلاء الذين اتقوا ربهم، فصفت نفوسهم، وطهرت قلوبهم، وخشعت جوارحهم، يتضرعون إلى الله أن يغفر لهم ما فرط منهم نسيانا أو خطأ، وذلك لأن المؤمن عندما يصل إلى هذه الدرجة من التقوى والصفاء يشعر بأن الله - تعالى - يحاسبه على مالا حساب عليه، ويشعر بأن حسناته - مهما كثرت - فهى قليلة بجانب هفواته وسيئاته، فهو لشدة خشيته من الله يرجح جانب المؤاخذة على جانب العفو فيكثر من الضراعة والدعاء.

وقد أشار صاحب الكشاف إلى هذا المعنى بقوله: فإن قلت: النسيان والخطأ متجاوز عنهما فما معنى الدعاء بترك المؤاخذة بهما؟ قلت:... لأنهم كانوا متقين الله حق تقاته، فما كانت تفرط منهم فرطة إلا على وجه النسيان والخطأ.. فكان وصفهم بالدعاء بذلك إيذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به. كأنه قيل: إن كان النسيان والخطأ مما يؤاخذ به، فما فيهم سبب مؤاخذة إلا الخطأ والنسيان. ويجوز أن يدعو الإنسان بما علم أنه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله لاستدامته والاعتداد بالنعمة فيه»(١٨).

هذا هو الدعاء الأول الذى حكاه القرآن عن المؤمنين الصادقين.

أما الدعاء الثانى فهو قوله - سبحانه -:

﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴾

والإصر فى اللغة: الثقل والشدة. مأخوذ من أصر بمعنى حبس، فكأنه يحبس صاحبه فى مكانه فيمنعه من الحركة.

والمعنى: أن أولئك يضرعون إلى الله - تعالى - ألا يلقى تكاليف وأعباء شديدة، يثقل عليهم حملها ويعجزون عن أدائها، كما كان الحال بالنسبة للذين سبقوهم، فقد كلف الله - تعالى - بنى إسرائيل بتكاليف شاقة ثقيلة بسبب تعنتهم وفسوقهم عن أمره، ومن ذلك تكليفهم بقتل أنفسهم إذا أرادوا أن يتوبوا توبة صادقة، وتحريم بعض الطيبات عليهم بسبب ظلمهم قال - تعالى -:

﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾(١٩).

(١٨) تفسير الكشاف جـ١ صفحة ٣٣٢.
(١٩) النساء (١٦٠).

قال الرازى: والمؤمنون إنما طلبوا هذا التخفيف لأن التشديد مظنة التقصير. والتقصير موجب للعقوبة، ولا طاقة لهم بعذاب الله - تعالى - فلا جرم التمسوا السهولة فى التكاليف (٢٠).

أما الدعاء الثالث فهو قوله - تعالى -:

﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾

الطاقة - كما يقول الراغب -: اسم لمقدار ما يمكن للإنسان أن يفعله بمشقة، وذلك تشبيه بالطوق المحيط، فقوله - تعالى -:

﴿ وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ أى ما يصعب علينا مزاولته، وليس معناه لا تحملنا مالا قدرة لنا به(٢١).

فالطاقة على هذا تكون فيما فعله بأقصى القدرة والقوة.

أى: ونسألك يا ربنا ألا تحملنا ما هو فوق طاقتنا وقدرتنا من المصائب والعقوبات وغير ذلك من الأمور التى لا نستطيعها.

وهذا الدعاء هو تدرج مترتب على الدعاء السابق، فهم هنا يلتمسون منه - سبحانه - ألا ينزل بهم ما هو فوق قدرتهم وطاقتهم من بلايا ومحن، بعد أن التمسوا منه ألا يكلفهم بتكاليف شاقة ثقيلة كما كلف الذين من قبلهم.

ثم حكى القرآن دعاءهم الرابع والخامس والسادس فقال:

﴿ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ ﴾

أى نسألك يا ربنا أن تعفو عنا بأن تمحو عنا ما ألممنا به من ذنوب وتتجاوز عنها، وأن تغفر لنا سيئاتنا بأن تسترها ولا تفضحنا بإظهارها فأنت وحدك الغفار الستار. وأن ترحمنا برحمتك السابقة التى شملت كل شئ، فإننا مع تقصيرنا فى طاعتك نأمل ألا تحرمنا من رحمتك فأنت تراهم قد تضرعوا إلى ربهم أن يعفو عنهم بأن يسقط عنهم العقاب وأن يغفر لهم بأن يستر عليهم ذنوبهم فلا يفضحهم بها، وأن يشملهم بعطفه ورحمته.

وهى دعوات تدل على رقة إحساسهم، ونقاء نفوسهم، وشدة خشيتهم من ربهم، وشعورهم نحوه بالتقصير مهما قدموا من أعمال صالحة.

ثم ختموا دعاءهم بقوله - تعالى -:

﴿ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَٰفِرِينَ ﴾

أى: أنت مولانا وناصرنا وحافظنا ومعيننا وممدنا بالخير والهدى فانصرنا يا ربنا على القوم الكافرين لكى تكون كلمتك هى العليا وكلمة الذين كفروا هى السفلى.

(٢٠) تفسير الفخر الرازى جـ٧ صفحة ١٥٧.
(٢١) مفردات القرآن للراغب الأصفهانى صفحة ٣١٢.

وقولهم: ﴿ أَنتَ مَوْلَىٰنَا ﴾ يدل على نهاية خضوعهم وتذللهم وطاعتهم لله رب العالمين، لأنهم قد اعترفوا بأنه - سبحانه - هو المتولى لكل نعمة يصلون إليها.

قال ابن كثير: وقد ورد فى صحيح مسلم عن النبى ﷺ أن الله - تعالى - قال عقب كل دعوة من هذه الدعوات: قد فعلت.

وروى البخارى والجماعة عن ابن مسعود قال: قال رسول الله - ﷺ -: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه».

وروى الإمام أحمد عن أبى ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطهن نبى قبلى».

وبعد فهذه هى سورة البقرة التى اشتملت على ما يشفى الصدور، ويهدى القلوب، ويصلح النفوس: من توجيهات سامية، وآداب حميدة، وعقائد سليمة، وتشريعات حكيمة، وأمثال هادية، وقصص من شأنه أن يغرس فى النفوس الخلق القويم، وأن يغريها بالاتعاظ والاعتبار حتى تكون ممن رضى الله عنهم ورضوا عنه.

ولقد سبق لنا أن تكلمنا قبل البدء فى تفسيرها عن وقت نزولها، وعن فضلها وعن مقاصدها الإجمالية...

والله نسأل أن ينفعنا بها وبكتابه الكريم، وأن يجعل أقوالنا وأعمالنا خالصة لوجهه، ونافعة لعباده.. اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور أبصارنا وبصائرنا، وجلاء همنا وحزننا، وأعنا على إتمام ما قصدناه بفضلك ورعايتك يا أكرم الأكرمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه ومن سار على طريقته إلى يوم الدين.

***

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾

يوسف: ٣

بطولات نفسية فى رحاب القرآن الكريم

للأستاذ/ محمد مصطفى البسيونى

كثيرا ما تجرى على الألسن والأقلام كلمة (البطولة) إذا تعلقت المناسبة بمعارك الحرب أو بمباريات الرياضة، فتحدث الناس عن البلاء الحسن الذى أبلاه فلان أو فلان فاستحق بجدارة لقب «البطولة» دون منازع - كما يقال- ومن ثمة كان مفهوم هذه الكلمة يدور حول موقف «التفرد» بينما هناك مواقف بطولية غير هذه المواقف المحدودة يغفل الناس عنها لأن من عادات الإنسان الاحتفال بما تحسه جوارحه من مجالى البصر، ومجالات الاستماع وغيرها أكثر مما هو وراء ذلك من الأمور النفسية والعقلية والروحية وهكذا، فهناك مثلا البطولات النفسية التى تتمثل فى مواجهة النفس للمواقف بالسيطرة والاحتمال، وهناك البطولات العقلية التى تتراءى فى جهود المفكرين والفلاسفة والعلماء فى تحدى الظواهر المادية والمعنوية للتعرف على ما يحكمها من سنن وقوانين، وهناك البطولات الروحية التى نعرف شيئا منها عند أصحاب التصوف والمواجيد والمجاهدات.

ونرجو بمعونة الله سبحانه ومشيئته فى هذه السطور أن نستشف بعض البطولات فى الجانب النفسى نراها فى كثير من المواقف ولا سيما تلك التى تضمنها الذكر الحكيم.

وبين يدى هذا الموضوع ينبغى بادىء بدء أن نستوضح «مفهوم» البطولة حتى يتسنى لنا أن نقف على «ما صدقاته» فى الميدان العلمى.

تكاد معظم المعاجم تجمع على أن البطولة هى من مرادفات الشجاعة والاستبسال، ولكن إذا كان هذا هو التعريف (اللفظى) للكلمة فإننا نطمح إلى التعريف (الشيئى) الذى يحلل هذا الشىء الذى نسميه (بطولة) إلى عناصره الأولى حتى يبدو معنى هذه الكلمة واضحا وضوح البديهية التى لا تحتمل التبديل أو التأويل، وربما يحالفنا التوفيق للوصول إلى هذا التعريف الذى يكلف به المناطقة والذى يطلقون عليه (الجامع المانع).

ومن استقرائنا لحالات الشجاعة والاستبسال، وهى الكلمات التى ذكرتها المعاجم مرادفة للبطولة نجد أن (البطولة تتجلى فى هذه الحالات كسمة متفردة فى مواجهة موقف ما بكل ما يملك الفرد من طاقة فعالة، وفدائية خلاقة تنطلق إلى هدف محدد بلا بديل).

ولك أن تطبق هذا المفهوم على ما صدقات البطولات الحربية والرياضية وغيرها لتنطلق بعد ذلك إلى تطبيقه على ما صدقات البطولات النفسية التى وردت فى أكثر من مكان فى آى القرآن المجيد.

فقد ضرب الله -سبحانه وتعالى- أعظم المثل، وقص أحسن القصص فى كتابه المحكم الحكيم عندما تحدث عن البطولات النفسية النادرة، والصور الإنسانية الباهرة، التى ينبغى أن تستمد منها البشرية فى كل زمان ومكان دروسها التربوية النافعة وعبرها الإيمانية الرائعة ومواقفها السلوكية الدافعة التى تحقق لبنى آدم دائما ما أراده الله لهم من تكريم يواكب خلافة الإنسان فى الأرض وعمرانه لها بالعزم الصادق والإيمان العميق.

وإن أكرم ما تكون الإنسانية حقا هو عندما تتسم بالبطولة، وأعظم ما تكون هذه البطولة حينما تتحلى بها النفس، وتتجلى بطولة النفس فى مجاهدة الشهوات، ومغالبة الهوى حتى إننا لنرى النبى ﷺ وهو يصف البطولة النفسية بأنها «الجهاد الأكبر» بينما يصف المعارك الساخنة والحروب الطاحنة بـ «الجهاد الأصغر» فيقول ﷺ «لقد عدنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، جهاد النفس».

ذلك أن أصعب ما يروض المرء هو أن يروض نفسه التى بين جنبيه، وأن أكثر ما يكون الجبن والمراوغة هو فى مواجهة النفس.

نعم لقد ضرب القرآن الكريم الأمثال التربوية وقص على نبيه ﷺ وعلى الناس القصص لهذه البطولات النفسية لتكون مثلا عليا يسعى إليها الإنسان، ويهتدى بها فى كل زمان ومكان.

وناهيك بأمثال من البطولات النفسية تأتيك من لدن من برأ النفس وسواها فألهمها فجورها وتقواها، ويعلم ما توسوس به:

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾

[الملك - ١٤]

﴿ مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ﴾

[المائدة - ٢٨]

ولعل من أولى البطولات النفسية التى عرفتها البشرية هى التى رواها القرآن الكريم فى سياق الحديث عن ابنى آدم، وكيف بدت بطولة «هابيل» فى مواجهة شقيقه «قابيل»، فلقد بدأ قابيل، وقد سيطرت عليه شهواته، واستولت عليه نزواته، فأصبح عبدا لهذه الشهوات وأسيرا لتلك النزوات حين أطلق لنفسه العنان فلم يكبح جماحها، فتملكته دوافع الغيرة والحقد واتجه إلى أخيه هابيل المسالم فى غير جبن والقوى فى غير افتراء، وشرع يلوح له بالتهديد والوعيد:

﴿ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ﴾ [المائدة - ٢٧].

وعلى الجانب الآخر نرى أخاه «هابيل» الذى تجرد من هواه، واحتكم إلى الله، ورضى حكمه الإلهى العادل عندما تقبل قربانه، حتى إذا أحس الشر يتدفق فى نفس أخيه، ورأى الشرر الكثيف يتطاير من عينيه لم يشأ أن ينقاد لدافع الغضب، وهو لعمرك دافع مدمر هدام، أو ينساق مع نزوة التهور والاندفاع، وما كان هابيل ليجبن عن قتال قابيل والفتك به، ولكنه كان حريصا على ألا يهرق دم الأخوة أو يمزق أواصر الرحم، وكان كارها أن يقتل نفسا بغير حق وهو من الأجيال الآدمية المبكرة التى كلفت بعمارة الأرض وخلافة الخالق بها، وإعطاء المثل الأخلاقى الإنسانى للأجيال اللاحقة جيلا بعد جيل.. ولكن هيهات..

وتأمل الذكر الحكيم عندما يعرض هذا الخلق الكريم على لسان هابيل المتعقل النبيل وهو يواجه أخاه المتهور المندفع بلا دليل:

﴿ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾

[المائدة - ٢٨]

أليست هذه هى البطولة النفسية الشامخة التى ينبغى أن تلفت إليها اهتمامات الآباء والأبناء فى مواقف الشدة والفزع حيث ترتكب جريمة القتل لأتفه الأسباب؟! على أننا ينبغى أن نفطن إلى أن المولى سبحانه، وإن كان قد أجرى أمام البشرية هذه التجربة على ابنى آدم للعظة والاعتبار، إلا أن الحكمة الإلهية تدعونا فى مواجهة القوى المعتدية المتسلطة الرعناء إلى أن تنبرى بالدفاع فى غير تجبر واعتداء إذ (ليس القوى بالصرعة ولكنه من ملك نفسه عند الغضب) كما علمنا الرسول الكريم ﷺ

الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه والذى نصح رجلا بقول:

«لا تغضب. لا تغضب»[1].. وكم يجلب الغضب من ندم ووصب.

أبوة وبنوة

ونسير مع القرآن الكريم مسيرة البطولات النفسية لنقف فى انبهار إيمانى عميق أمام الخليل إبراهيم - عليه السلام -، وهو يهم بذبح ولده الحبيب إسماعيل استجابة لأمر -الله سبحانه وتعالى- فى المنام مغالباً فى ذلك دافع الوالدية الغريزى فى نفسه، ضارباً عرض الحائط بنداء الحنو الفطرى المنبعث من أعماق روحه وشغاف قلبه.

ولو لم يكن إبراهيم متحلياً بالبطولة النفسية النادرة إذن لأول تلك الرؤيا تأويلاً يميل مع هواه، ويتفق ومناه، ولأوهم نفسه أن هذه الرؤيا إن هى إلا من أضغاث الأحلام.

ولكنها البطولة النفسية الشماء التى تجلت عند إبراهيم من قبل منذ أن كان فتى يافعاً يدافع عن عقيدته، وينتصر ليقينه، ويواجه قومه العتاة الطغاة فيسفه أحلامهم، ويحطم أصنامهم، ويخوض نيرانهم الموقدة فى ثقة المؤمن، وشجاعة البطل.

ها هو ذا الأب العظيم يواجه نفسه بشجاعته النفسية المعهودة، وها هو ذا يخبر ولده فى عطف حازم وأبوة صارمة:

﴿ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ ﴾

[الصافات - ١٠٢]

ولم يكن الابن الصبى إسماعيل بأضعف من أبيه إيماناً أو أقل منه بطولة، وإنا لنراه - وهو فى مقتبل عمره ومستهل صباه، حيث المستقبل المنتظر الباسم، والشباب الوثاب - يتخلى عن هذا كله، ويرخص أمامه هذا كله، وتصبح الدنيا جميعاً عنده شيئاً تافها لا يساوى جناح بعوضة فى سبيل تصديق الوالد وطاعة السماء، فيجيب فى شجاعة لا تعرف الخور، وبطولة لا يشوبها الاستخذاء:

﴿ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾.

[الصافات - ١٠٢]

وتتجلى قمة البطولة النفسية عند إسماعيل -عليه السلام- فى تعقيبه بعد ذلك

﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾

[الصافات - ١٠٢]

وكأنه بهذا كان يشفع قوله المذعن بأن يربت على كتف أبيه الشيخ مطمئنا له ومعزيا لشيخوخته ومشجعاً لعزيمته.

---

(١) من حديث رواه أبوهريرة رضى الله عنه - عن النبى ﷺ.

ألا إن الصبر على ما تكرهه النفس بطولة، ويا لها من بطولة، بل إن الأخبار لتحدثنا بأن إسماعيل كان يطلب إلى أبيه أن يشيح بوجهه بعيداً عن مرآه عند الذبح حتى لا تأخذه به رأفة الوالد لولده وهو ينفذ أمر الله الرحمن الرحيم.. فسلام على إبراهيم:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾

[مريم - ٤١]

وسلام على إسماعيل:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾

[مريم - ٥٤]

﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

[آل عمران - ٣٤]

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾

ولك أن تقف في هذا السياق أمام بطولة نفسية باهرة جديرة بتأمل الآباء والمربين وتمثل الأبناء والناشئين، فذلكم يوسف الصديق -عليه السلام- الفتى التقي الجميل الصبوح الذي يتسق لديه جمال الوجه وجلال النفس فتتفاعل كلها في كمال المثال البشري الرفيع.

تأتي إليه المرأة ذات الجمال والمال والسلطان، تلك التي ذكرها القرآن الكريم بقوله تعالى:

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ﴾

[يوسف-٢٣]

فأوجز بحكمته باللفظ المحدد المعنى اللامحدود، وأقل ما في هذا المعنى أن هذه المرأة بكفالتها له وسيطرتها عليه تستطيع أن تفعل به ما تريد فإن شاءت أعطته، وإن أرادت منعته، وقد شاءت فعلاً أن تعرض عليه عرضها وتلقي إليه بنفسها ونفيسها وتراوده عن نفسه.

ولو أن يوسف قد أطاع نفسه الشابة إذن لأشبع لواعج المراهقة القلقة ولارتمى بأحضانه الغضة في احضانها البضة خلف جدران محصنة الحراسة مغلقة الأبواب.

ولكن يوسف الصديق «البطل» الذي يتحدث عنه القرآن وتتعجب فتعجب به الأجيال والأزمات يستعصم إذ يتمسك بالعصمة، ويهتف في إباء نادر وشمم عفيف:

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾

[يوسف - ٢٣]

دافعاً عنه إغراء المرأة المهتاجة التي أفقدتها شهوتها الطاغية ما أبدع الخالق لها من حسن وجمال، وما تحيا فيه من منصب ومال حتى صارت أنثى حيوان استولى عليها الشبق الجارف فتجمعت لديها الحياة كلها في مضاجعة فتى قوي جميل. ومهما تلاقت التفاسير حيناً أو تباعدت حيناً آخر حول معنى «الهم» الذي عبر عنه عالم الغيب

سبحانه بقوله:

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾

[يوسف-٢٤]

فإن البطولة النفسية الفذة هي التي جعلت يوسف -عليه السلام- لا يبالي عاقبة رفضه أو نتيجة تحديه لنوازع النفس ونوازع الشيطان(٢).

وإنها البطولة النفسية التي دعته فيما بعد إلى أن يكظم غيظه فيحسن إلى إخوته بعد أن منّ الله عليه، وساقتهم حاجتهم إليه فلم ينتقم منهم - وكان يستطيع - ولكنه في بطولة نفسية رائعة:

﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾

[يوسف-٩٢]

فيذكرنا ببطولة نبينا الكريم محمد ﷺ عندما يلتقي في أعماق مكة المكرمة وبجوار البيت العتيق في جحافل جنده العائدة وكتائب جيشه الزاحفة في عام الفتح، هؤلاء الذين نشروا أفكار السوء ضده وشهروا عليه أسلحتهم ذات يوم، وكان يستطيع أن يزهق هذه الأنفس التي ملأها الحقد عليه في الماضي القريب ويبتر تلك الأيدي التي شهرت عليه وعلى صحابته الأسياف الحمقاء ذات حين ولكنه لم يرد أن يطيع نداء الانتقام، وهو نداء نفسي جارف، فكان بطلاً عظيماً دائماً عندما ضرب لقومه وللعالمين المثل الأعلى للتسامح - عند المقدرة - كسمة من سمات البطولة النفسية، وعندما قال لقومه الذين سعوا إليه يستقبلونه ضارعين خاشعين مسلمين ومسلمين «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

وإن من صور الاتساق الباهر والتكامل الحكيم في القرآن الكريم أن يسند إلى امرأة العزيز اندفاع الشهوة وسيطرة الجنس، ويجعلها هي البادئة بالدعوة الداعرة والإغراء الصارخ، ثم هو في مكان آخر في سورة النور يجعل الزانية قبل الزاني في الآية الكريمة:

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

[النور - ٢]

فيبدأ موقف الزنا بالزانية قبل الزاني.

بينما في موقف السرقة في سورة المائدة

(٢) يقول البيضاوي في تفسيره لسورة يوسف (همت به وهم بها) قصدت مخالطته، وقصد مخالطتها، والمراد بهمه- عليه السلام- ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري، والحقيقي بالمدح من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم.

يبدأ بالسارق فيقول تعالى:

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

[المائدة - ٣٨]

فلله ما أعلم وأحكم !!.

وهذا السياق يحتاج إلى تأمل عميق، ودرس دقيق يرتبط بموضوعات علم النفس، وعلم الاجتماع وغيرها، ويعين على اتخاذ المواقف السلوكية والتوجيهية في دروب الحياة. بل عندما تسرب الأمر من قصر العزيز رأينا أن النسوة في المدينة بطبيعتهن هن اللواتي اهتممن به، وتحدثن فيه، وزدنه إذاعة، وروجنه إشاعة، حتى لم تر امرأة العزيز بدأ من حسم الموقف. وهي أدرى ببنات جنسها وأعلم بدوافعهن وميولهن، فدعتهن إلى لقاء يوسف:

﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾

[يوسف - ٣١]

ولم يقلن إنه يشبه الملك أو أنه ملك في حسنه وروعته، وإنما جعلناه هو نفسه الملك الكريم، فما أبلغ التشبيه الذي ينم عن أبلغ المشاعر والافتتان.

تلك نماذج لبطولات بشرية رائدة منّ الله بها على بني البشر فساقها إلينا من فوق سبع سماوات لتكون لنا على الأرض مشاهد حية للتدبر والاعتبار لا لمجرد الإعجاب والانبهار أو التكرار والاجترار.

ولا ينبغي أن نحتج بظروف العصر ومعطيات الحياة واختلال العلاقات بين الناس فالذي أمدنا بهذه القيم البشرية، وعرض أمامنا هذه الصور البطولية ربٌ واحد لا يتغير بتغير العصر والحياة والظروف، وعلينا أن نطوع نحن أنفسنا لأمر الله وليس العكس إن أردنا إصلاحاً وإحساناً وتوفيقاً في الدين والدنيا والآخرة.

وقد أفلح من اتخذ هذه العبر وتلك الصور للتأسي والمحاكاة لا للحكاية والمراءاة.

والله - من قبل ومن بعد - هو الهادي إلى صراطه المستقيم.

***

السنة

حاجة الناس جميعًا إلى الوحي المحمدي

لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومي
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به، فعلمَ وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به» رواه البخاري في صحيحه / كتاب العلم / باب فضل من علِم وعلّم، ومسلم في صحيحه / كتاب الفضائل / باب بيان مثل ما بعث النبي ﷺ من الهدى والعلم».

التعريف بالراوى

أبو موسى هو عبدالله بن قيس الأشعرىّ، نسبة إلى الأشعر، وهى قبيلة مشهورة باليمن، والأشعر هو مُرّة بن أدر بن زيد بن يشجب، وإنما قيل له الأشعر، لأن أمه ولدته والشعر على بدنه.

قدم أبو موسى - رضى الله عنه - مكة على النبى ﷺ قبل الهجرة، فأسلم، ثم هاجر، وقدم المدينة مع جعفر وأصحاب السفينة بعد خيبر، وأسهم لهم رسول الله ﷺ منها كمن حضرها، وقال: لكم أهل السفينة هجرتان، وكان لأبى موسى ثلاث هجر: إلى مكة، ثم إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، ولاّه ﷺ على زبيد وعدن وساحل اليمن، وكان ﷺ يكرمه ويجله، وقال له: «لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود»، وولاّه الولايات، روى له عن رسول الله ﷺ ثلاثمائة وستون حديثا، توفى بمكة، وقيل بالكوفة سنة اثنتين أو أربع وأربعين عن ستين سنة.

معانى المفردات

مَثَل: المَثَل والمِثْل - كالشّبه والشّبْه - يعبر بهما عن وصف الشىء، وما شابهه فى معنى من المعانى

والهدى: الدلالة الموصّلة إلى المطلوب.

والعلم المراد به: معرفة الأدلة الشرعية.

والغيث: المطر، أمر الخاصّ منه بالخير ويطلق مجازاً على السماء والسحاب والكلأ.

ونقيه: من النقاء، وهى صفة لموصوف محذوف والتقدير: طائفة أو بقعة، يدل عليه قوله - فى مسلم - «طائفة طيبة».

والكلأ: النبات مطلقاً، رطبا كان أو يابسا.

والعشب: الكلأ الرطب و«فى علم النبات»: نبات طرىّ غير متخشب، ساقه خضراء قليلة الاحتمال، وهو من ذكر الخاص بعد العام.

وأجادب: جمع جدب.

يقال: جدب المكان جدبا، أى يبس لاحتباس الماء عنه، وكذا جدُب جدوبة، والأجادب: صلاب الأرض التى تمسك الماء، فلا تشربه سريعا.

وقيعان: جمع قاع، وهو الأرض المستوية الملساء التى لا تنبت.

وفقُه: «بضم القاف»: صار فقيها عالما، و«بكسر القاف»: فهم

الشرح والبيان

لقد كانت حالة الناس قبل مبعثه ﷺ قد وصلت من الفساد إلى النهاية، وبلغت البشرية كلها الدرك الأسفل من الانحطاط، وغشيت العالم كله ظلمات كثيفة من الكفر والجهل والفجور، وغير الناس وبدلوا فى دين الله، وحرفوا الكتب التى أنزلها الله «عز وجل» على رسله:

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾(١).

وعبد الناس - من دون الله - آلهة شتى، وكان العرب إذ ذاك أسوأ الناس حالا، وأشدهم إمعانا فى الجهالة والضلالة، فلقد أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا، وعبدوا العديد من الأصنام والأوثان، التى تضر ولا تنفع، ولا تغنى عن نفسها شيئا.

وفى وسط هذا الظلام الدامس الذى أعمى أبصارهم وبصائرهم وأفقدهم رشدهم واتزانهم - انتشرت بينهم العادات القبيحة، والأخلاق الذميمة، كإتيانهم الفاحشة، وشربهم الخمر، وأكلهم الربا، ووأدهم البنات، واستقسامهم بالأزلام، وطواف بعضهم بالبيت عرايا كما ولدتهم أمهاتهم، إلى غير ذلك وشاء الله أن تشرق شمس الحق والعدل والحرية، شمس العلم والإيمان والهداية، فكان مبعث النبى - ﷺ فى وقت كان العالم فيه فى أشد الحاجة إليه.

فى هذا الحديث النبوى الشريف ضرب النبى ﷺ لما جاء به من الدين مثلا بالغيث العام الذى يأتى الناس فى حال حاجتهم إليه، وكذا كان حال الناس، قبل مبعثه ﷺ فكما أن الغيث يحيى البلد الميت، فكذا علوم الدين تحيى القلب الميت، وصدق - تعالى - إذ يقول:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾(٢).

أى: لما فيه حياتكم، وقد أنشد الشاعر:

أخوك عيسى دعا ميتا فقام له
وأنت أحييت أجيالا من الرمم

ثم شبه السامعين له بالأرض المختلفة التى ينزل بها الغيث، فمنهم العالم العامل المعلم، فهو بمنزلة الأرض الطيبة، شربت الماء، فانتفعت فى نفسها، وأنبتت فنفعت غيرها، ومنهم الجامع للعلم، المستغرق لزمانه فيه، غير أنه لم يعمل بنوافله، أو لم يتفقه فيما جمع، لكنه أداه لغيره، فهو بمنزلة الأرض التى يستقر فيها الماء، فينتفع الناس به، وهو المشار إليه بقول الرسول ﷺ: «نضّر الله إمرءا سمع مقالتى فأداها كما سمعها».

ومنهم من يسمع العلم، فلا يحفظه، ولا يعمل به، ولا ينقله لغيره، فهو بمنزلة الأرض السبخة، أو الملساء، التى لا تقبل الماء، أو تفسده على غيرها، وإنما جمع - فى المثل - بين الطائفتين الأوليين المحمودتين، لاشتراكهما فى الانتفاع بهما، وأفرد الطائفة الثالثة المذمومة، لعدم النفع بها، ويقول ابن حجر العسقلانى

١- التوبة (٣٠).

٢- الأنفال (٢٤).

(فى فتح البارى ١ / ٢١٢ ، ٢١٣) معلقا على ذلك :

«ثم ظهر لى أن فى كل مثل طائفتين، فالأول قد أوضحناه، والثانى: الأولى منه من دخل فى الدين، ولم يسمع العلم، أو سمعه فلم يعمل به، ولم يعلمه، ومثالها من الأرض: السباخ، وأشير إليها بقوله ﷺ: «من لم يرفع بذلك رأسا»، أى: أعرض عنه، فلم ينتفع به، ولا نفع، والثانية منه من لم يدخل فى الدين أصلا، بل بلغه فكفر به، ومثالها من الأرض الصماء الملساء المستوية التى يمر عليها الماء، فلا ينتفع به، وأشير إليها بقوله ﷺ: «ولم يقبل هدى الله الذى جئت به»، أ. هـ.

ونستطيع أن نأخذ من فقه الحديث المثل الذى ضربه الرسول ﷺ حيث شبّه الوحى المنزل عليه من الهدى والعلم بالماء، وكلاهما حياة للقلوب والأرض، فكما أن الأرض تحيا بالماء، فإن القلوب تحيا بالهدى والعلم، والنور والإيمان، وإذا كان الماء نعمة من أجل النعم، حيث تتوقف عليه حياة الأبدان، والزروع والثمار والحيوان، قال تعالى:

﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾[3]، فإن الوحى تتوقف عليه حياة القلوب، وصحة النفوس، قال تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾[4]

وقال:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[5]

ومن ثمّ يتضح لنا بجلاء فضل العلم والعلماء، ولهذا دعا الإسلام أول ما دعا إلى العلم، ويكفى شاهدا على ذلك أن أول آية من كتاب الله نزل بها الوحى على رسول الله ﷺ فيها أمر بالقراءة، وتنويه بشأن العلم والتعلم، قال تعالى:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[6].

وبالعلم ميز الله أبانا آدم على الملائكة، قال تعالى:

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾[7]

٣- الأنبياء (٣٠).

٤- الشورى (٥٢).

٥- يونس (٥٧).

٦- العلق (١ : ٥).

٧- البقرة (٣١ : ٣٢).

ومن ثمّ كان العلم من أجل النعم التى امتن الله بها على الإنسان، قال تعالى:

﴿ الرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾[8].

فالعلم هو الذى يرفع شأن الإنسان، ويعلى قدره، ومن ثم تتابعت الآيات القرآنية تثنى على أهل العلم، قال تعالى:

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[9].

وقال:

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾[10].

وفى هذا إشادة كبيرة بهم، كذلك تتابعت الأحاديث النبوية الشريفة التى توضح فضل العلم وأهله، روى البخارى ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: «من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ويلهمه رشده».

وروى أبوداود الترمذى عن أبى الدرداء - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقا يبتغى فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من فى السماوات ومن فى الأرض، حتى الحيتان فى الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر».

وقد قال ﷺ لعلى - رضى الله عنه -: «فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النّعم».

هذا ولا يخفى على أحد أن الإسلام بدأ بالدعوة إلى تعلم علوم الدين، والتزود بالخبرة فى شئون الحياة، كالحرب والسياسة والاقتصاد والاجتماع، ثم امتدت عناية المسلمين إلى سائر العلوم المدنية، وكان عصر الترجمة، ثم كان عصر التأليف فى كل علم وفن، وبالتالى أيقظ الإسلام العقول، وأخرجها من الظلمات إلى النور، وفتح لها أبواب التفكير، وشجعها على البحث والاختراع، وبذلك كان العلم الإسلامى باعثا من بواعث النهضة الغربية، وعاملا

٨- الرحمن (١ : ٤).

٩- آل عمران (١٨).

١٠- المجادلة (١١).

مهما من عوامل تطورها وتقدمها فى حين توقف المسلمون عند ذلك وأهملوا ما توصلوا إليه، وتركوه لغيرهم، وبالتالى منيت الأمة الإسلامية بالتخلف، فهل آن الأوان أن تدرك الأمة الإسلامية أن عنايتها بتعليم أبنائها، وتثقيف شبابها له الأولوية والصدارة فى قائمة المطلوبات.

قال ابن القيم فى حديثه عن العلماء: «هم فى الأرض بمنزلة النجوم فى السماء، بهم يهتدى الحيران فى الظلماء، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وطاعتهم أفرض من طاعة الآباء والأمهات بنص الكتاب:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾(١١).

قال ابن عباس – رضى الله عنهما –: أولو الأمر هم العلماء.

وكيف لا؟.. والعلم هو الوسيلة إلى معرفة الله وخشيته، قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾(١٢)

وإذا كانت النبوة أشرف رتبة، فلا أشرف من وراثة هذه الرتبة.. وفضل العلم ماثل فى أنه يوصل إلى تقوى الله. قال تعالى:

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾(١٣).

ولابد أن يعمل الإنسان بما علم، لأن العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل، ومن تمام العلم استعماله، ومن تمام العمل استقلاله، وما زهد الناس فى العلم إلا من قلة انتفاع من عمل بما علم، وقد أثر عن علىّ – رضى الله عنه – قوله: «خير من القول فاعله، وخير من الصواب قائله، وخير من العلم حامله».

ومن الطرائف ما حكاه الشعبى، قال: دخلت على الحجاج حين قدم العراق، فسألنى عن اسمى، فأخبرته، ثم قال: يا شعبى، كيف علمك بكتاب الله؟ قلت: عنى يؤخذ، قال: كيف علمك بالفرائض؟ قلت: إلىّ فيها المنتهى، قال: كيف علمك بأنساب الناس؟ قلت: أنا الفيصل فيها، قال: كيف علمك بالشعر؟ قلت: أنا ديوانه، قال: لله أبوك! وفرض لى أموالا، وسودنى على قومى، فدخلت عليه وأنا صعلوك من صعاليك همدان، وخرجت وأنا سيدهم.

١١- النساء (٥٩).

١٢- فاطر (٢٨).

١٣- البقرة (٢٨٢).

لهذا ينبغى أن نطلب المزيد دائما من العلم، قال تعالى:

﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(١٤).

وقال – تعالى – مخاطبا نبيه الكريم، ورسوله العظيم:

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾(١٥).

وقد روى الترمذى أن رسول الله ﷺ قال: «إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالا وعلما، فهو يتقى فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقه، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علما، ولم يرزقه مالا، فهو صادق النية يقول: لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو نيته، فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالا، ولم يرزقه علما، فهو يخبط فى ماله بغير علم، لا يتقى فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقه، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالا، ولا علما، فهو يقول: لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان، فهو نيته، فوزرهما سواء».

أرأيتم أن المال بدون علم ينظمه يخرب ولا يعمر، يهدم ولا يبنى، يفسد ولا يصلح، يشقى ولا يسعد؟ أما المال مع العلم فإنه يعمر، ويسعد، ولهذا أنشد الشاعر:

بالعلم والمال يبنى الناس ملكهم

لم يبن ملك على جهل وإقلال

وقد قال الزبير بن أبى بكر: كتب إلىّ أبى بالعراق: عليك بالعلم، فإنك إن افتقرت كان لك مالا، وإن استغنيت كان لك جمالا..

لهذا ينبغى أن نتسلح بالعلم والإيمان، وأن ننبذ الجهل والضلال، وقد أنشد الشاعر:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا

وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

وخير ما نختم به ما دعا به رسول الله ﷺ حيث كان يقول:

«اللهم انفعنا بما علمتنا، وعلمنا ما ينفعنا، وزدنا علما، والحمد لله على كل حال، ونعوذ بالله من حال أهل النار»، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

***

١٤- الإسراء (٨٥).

١٥- طه (١١٤).

فريضة الحج .. وماتحمله من قيم

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عيطة

بادىء ذى بدء
نحن لا نقصد فى هذه العجالة أن نتحدث عن شروط وجوب الحج، أو عن أركانه وواجباته، وسننه وآدابه؛ فلذلك مجال آخر، يتسع فيه المقام للحديث المفصل فى هذه القضايا الفقهية. فضلا عن أن المكتبة الإسلامية - ولله الحمد والمنة - عامرة بهذا اللون من الكتابة المعاصرة والتراثية.!!

يضاف إلى هذا وذاك، أن من كتب الله لهم أن ينعموا بأداء هذه الفريضة الجليلة فى هذا العام، قد أعدوا أنفسهم فعلا بعد توفيق الله لهم، وأحسب أنهم- عند كتابة هذه السطور- بين من حزم حقائبه، وأعد راحلته، وبين من سافر فعلا إلى الأراضى المقدسة، التى شرفها الله- عز وجل- بحرميه الشريفين.. فهنيئا لهم جميعا بهذه الرحلة الميمونة.

●●●

إن زيارة بيت الله الحرام، فريضة من أجلّ الفرائض، وأعلاها قدرا عند الله- عز وجل. افترضها- سبحانه وتعالي- على عباده منذ بدء الخليقة، أو قبلها؛ حيث اختار الله له هذا المكان المبارك، الذى علم - سبحانه - أزلاً أنه سيكون قبلة ومثابة للناس كافة؛ لأنه فى مواجهة البيت المعمور، الذى فى السماء الرابعة. «روى أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة. قال: قال رسول الله ﷺ :- «أُتِي بى إلى السماء الرابعة، فرُفع لنا البيتُ المعمور؛ فإذا هو حيال الكعبة، لو خرّ خرّ عليها. يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا إليه»[1].

(١) اقرأ تفسير القرطبى ص٣٠، ٦٢، ط دار الشعب.

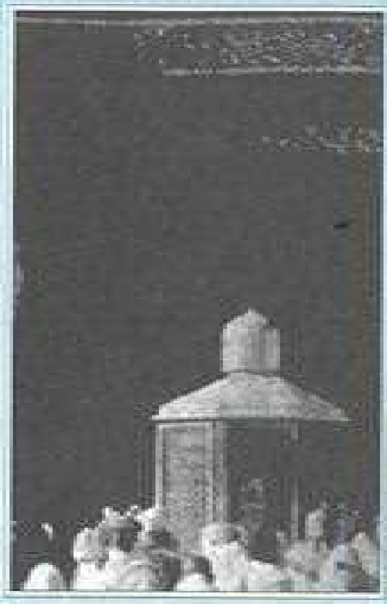
هذا من جانب ومن جانب آخر، ثبت أن هذا البيت الحرام، إنما يقع فى مركز الكرة الأرضية بين الشرق والغرب؛ ليكون المكان الذى تتجه إليه الأنظار والقلوب من كل بقاع العالم، وإلى أن تقوم الساعة.

ولقد شاء الله - عز وجل - أن يتم بناء هذا الحرم الآمن عدة مرات. كان أولها: قبل أن يخلق الله آدم - عليه السلام - فلقد «روى عن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب - رضى الله عنهم - أن رجلا سأله: ما بدء هذا الطواف بهذا البيت؟ لم كان؟ وحيث كان؟ وكيف كان؟ فقال له: أما بدء الطواف بهذا البيت، فإن الله - تعالى - قال للملائكة:

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[2] فقالت الملائكة: أى ربِّ: خليفة من غيرنا ممن يفسد فيها، ويسفك الدماء، ويتحاسدون ويتباغضون ويتباغون؟ أى ربِّ: اجعل ذلك الخليفة منا؛ فنحن لا نفسد، ولا نسفك الدماء، ولا نتباغض، ولا نتحاسد، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، ونطيعك ولا نعصيك. قال الله تعالى:

﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[3]..!!

ثم قالت الرواية:- «فوضع الله- سبحانه



وتعالى- تحت العرش بيتا على أربع أساطين.. ثم قال للملائكة: طوفوا بهذا البيت، فطافت الملائكة بالبيت.. وهو البيت المعمور، الذى ذكر الله- تعالى- يدخله كل يوم وليلة؛ سبعون ألف ملك، ولا يعودون إليه أبدا..!!

«ثم إن الله - تعالى - بعث ملائكة فقال: ابنو لى بيتا فى الأرض بمثله وقدره، فأمر الله- تعالى- من فى الأرض من خلقه، أن يطوفوا بهذا البيت، كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور».

أما المرة الثانية: فقد كانت على عهد آدم - عليه السلام - حيث بناه بأمر من الله- عز وجل- ولقد أورد بعض المفسرين، ومنهم الإمام الطبرى - رضى الله عنه - رأيا يبين فيه أن القواعد التى ورد ذكرها فى قوله تعالى:

(٢، ٣) البقرة (٣٠).

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾[٤]

إنما هى قواعد بيت كان بناه آدم أبو البشر، بأمر الله إياه بذلك، ثم درس مكانه وتعفى أثره بعده، حتى بوأه الله لإبراهيم – عليه السلام – فبناه..

وبعد آدم – عليه السلام – بناه أبناؤه، ثم جاء إبراهيم الخليل – عليه السلام – وقد أمره ربه ببنائه فبناه، ومعه ابنه إسماعيل.

جاء فى تفسير القرطبى: «لما فرغ إبراهيم – عليه السلام – من بناء البيت، وقيل له، أذن فى الناس بالحج. قال: يارب! وما يبلغ صوتى؟ قال: أذن وعلىّ الإبلاغ؛ فصعد إبراهيم خليل الله جبل أبى قُبيس وصاح يا أيها الناس! إن الله قد أمركم بحج هذا البيت ليثيبكم به الجنة، ويجيركم من عذاب النار، فحجوا. فأجابه من كان فى أصلاب الرجال، وأرحام النساء: لبيك اللهم لبيك! فمن أجاب يومئذ حج على قدر الإجابة، إن أجاب مرة فمرة، وإن أجاب مرتين فمرتين، وجرت التلبية على ذلك. قاله ابن عباس وابن جبير».

ثم جاء العمالقة بعد ذلك وبنوه، ثم جرهم.. وظل بناؤه يتجدد مرة بعد مرة إلى أن كان قبل مبعث رسول الله ﷺ بخمس سنوات، عندما بنته قريش حيث «شارك الرسول ﷺ فى نقل الحجارة معهم.. وذات يوم عندما كان ينقل الحجارة على رقبته مع عمه العباس، ضاقت عليه النَّمِرة[٥] التى كانت عليه. فقال العباس: يا ابن أخى، لو حللت إزارك فجعلته على منكبك دون الحجارة، فحلّه فجعله على منكبه. فبينما هو يمشى أمام عمه العباس، انكشفت النمرة التى كانت عليه، فنودى: يا محمد: عورتك. ففزع محمد ﷺ من هذا النداء. فسقط مغشيا عليه، وخر إلى الأرض، وطمحت عيناه إلى السماء، ثم أفاق. فقال: إزارى! إزارى! فشد عليه إزاره، فقال له العباس: ما شأنك؟ فقال: نهيت أن أمشى عُريانا. فكان العباس يكتمها الناس مخافة أن يقولوا: مجنون.. فشد رسول الله ﷺ إزاره وجعل ينقل الحجارة»[٦].

ولقد ظل بناء البيت الحرام يتجدد مرة بعد أخرى إلى أن «تم تركيب بابين جديدين خلال العهد السعودى: الأول، فى عهد الملك عبد العزيز رحمه الله عام ١٣٦٣هـ–١٩٤٤م. والثانى فى عهد الملك خالد– يرحمه الله – عام ١٣٩٧هـ– ١٩٧٧م من الذهب الخالص»[٧].

●●●

(٤) البقرة (١٢٧).

(٥) بردة من الصوف تلبسها الأعراب.

(٦) اقرأ مجلة «الدارة» بحث بعنوان «عمارة الكعبة على مر التاريخ» للدكتور: مهدى رزق الله أحمد. العدد الأول ١٤١٩هـ السنة (٢٤)، واقرأ تفسير القرطبى ص ٣٠، ٤٤ ط دار الشعب.

(٧) مجلة «الدارة» نفس البحث السابق.

إن فريضة الحج تتميز من بين سائر الفرائض فى الإسلام، بأنها تجمع بين العبادة البدنية والعبادة المالية، ومع ذلك منها ما تتبين الحكمة فيه وما لا تتبين، ولقد ذكر القرآن طرفا من الحكمة فى بعض هذه الأركان والواجبات، وسكت عن الباقى، فمما ذكره فى هذا الصدد قوله تعالى فى سورة الحج:

﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ۝ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[٨].

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ۝ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[٩]

﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾[١٠].

وهنا يلوح فى الأفق سؤال، لماذا كانت المراسم التعبدية الظاهرة فى العبادات كلها، وفى الحج بوجه خاص دليلا على الإيمان والتقوى؟

«إن الذى ينظر إلى هذه الأشكال، مجردة من ملابساتها، ومجردة كذلك عن طبيعة النفس البشرية وتأثراتها.. ربما يبدو له أن فى الحرص على هذه الأشكال بذاتها شيئا من التعصّب الضيّق، أو شيئا من التعبد للشكليات! ولكن نظرة أرحب من هذه النظرة، وإدراكا أعمق لطبيعة الفطرة، يكشفان عن حقيقة أخرى لها كل الاعتبار.

«إن فى النفس الإنسانية ميلا فطريا – ناشئا من تكوين الإنسان ذاته، من جسد ظاهر، وروح مغيّب – إلى اتخاذ أشكال ظاهرة للتعبير عن المشاعر المضمرة. فهذه المشاعر المضمرة، لا تهدأ أولا تستقر حتى تتخذ لها شكلا ظاهرا تدركه الحواس؛ وبذلك يتم التعبير عنها. يتم فى الحس كما تم فى النفس، فتهدأ حينئذ وتستريح؛ وتفرغ الشحنة الشعورية تفريغا كاملا؛ وتحس بالتناسق بين الظاهر والباطن؛ وتجد تلبية مريحة لجنوحها إلى الأسرار والمجاهيل، وجنوحها إلى الظواهر والأشكال فى ذات الأوان.

«وعلى هذا الأساس الفطرى، أقام الإسلام شعائره التعبدية كلها – ومنها شعائر الحج بطبيعة الحال – فهى لا تؤدّى بمجرد النية، ولا بمجرد التوجه الروحى، ولكن هذا التوجه يتخذ له شكلا ظاهرا.. ليؤلف بين ظاهر

(٨) الحج (٢٨، ٢٩).

(٩) الحج (٣٢، ٣٣).

(١٠) الحج (٣٦، ٣٧).

النفس وباطنها، وينسق بين طاقاتها، ويستجيب للفطرة جملة بطريقة تتفق مع تصوره الخاص»[١١].

فهذا الحج أقوال وأفعال.. تؤدى فى وقت مخصوص من العام، وفى أماكن مخصوصة من الأرض، وعلى نحو مخصوص من الأداء.. وإن المتأمل فيها جميعها ليجدها تقليبا لصفحات التاريخ: تاريخ العقيدة الصحيحة، التي تربط الكون والإنسان والحياة بالخالق المبدع جل وعلا..؛ بل إنها لتتعدى مجرد التقليب لتلك الصفحات الخالدات، وقراءة ما فيها من خط سير الرسالات، إلى الإحساس الصادق القوى بالمشاركة فى صنع هذا التاريخ الجليل.. إن تاريخ العقيدة منذ أول الرسالات السماوية وحتى آخرها وختامها، متاح لكل من يريد أن يقرأه، ويتعرف عليه صفحة صفحة، وحدثا بعد حدث.. ولكن.. كم من الناس أولئك الذين يشاركون فى صنع هذا التاريخ، وإعادته للحياة مرة أخرى من وراء القرون الخالية، وكأن هذه الأحداث لم تنته بعد وذلك من خلال ما يؤديه الحاج من شعائر وطقوس، هى بعينها أحداث التاريخ الماضى..؟ كم من الناس أولئك الذين تحيا على أيديهم هذه الوقائع، التى تمثل مراسم الإيمان، امتثالا لأمر الله- تبارك وتعالى؟

إن هذا، لم يتح إلا الحجاج بيت الله- تعالى- الذين لبّوا دعوة أبى الأنبياء إبراهيم - عليه السلام - وهم ما يزالون فى أرحام الأمهات وأصلاب الآباء والتقرب لذلك أمثلة فقط مما يقوم به الحاج من أعمال، وما يؤديه من مراسم، تدفع به دفعا للخروج من إطار هذا الزمان الذى يعيش فيه، ليحيا من وراء القرون حياة واقعية؛ حيث كان يعيش خليل الرحمن إبراهيم- عليه السلام- وزوجه هاجر وابنهما إسماعيل عليه السلام.

حينما يقف الحاج فى ساحة الكعبة المشرفة، ويطوف ببدنه وروحه حول هذا البيت العتيق، الذى بناه أبو الأنبياء وابنه إسماعيل - عليهما السلام - .. ذاكرا قول الحق- تبارك وتعالى:

﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴿١٢٧﴾ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا﴾[١٢]

يتذكر هذا، وهو يرى أمام عينيه مقام إبراهيم، ثم يتذكر قول الله:

﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين ﴿٩٦﴾ فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا﴾[١٣]

حينما يقف الحاج هذا الموقف، ويرى ببصره هذه المشاهد، ويحيى بمشاعره هذه

(١١) سيد قطب فى ظلال القرآن ص ١٢٨، ١٢٩، ط الشروق.

(١٢) البقرة (١٢٧، ١٢٨).

(١٣) آل عمران (٩٦، ٩٧).

الأحداث الخالدة، أليس فى هذه الحالة يكون مشاركا فى صنع هذه الأحداث؟! هذه الأحداث التى يقف لها التاريخ مبهور الأنفاس ليجسد هذه الصفحة التى ضمت هذه الوقائع التى لها ما بعدها إلى يوم القيامة؟!

بم يشعر الإنسان الذى يسعى بين الصفا والمروة، وهو المكان الذى كانت تسعى فيه هذه المرأة الصابرة، وهى تبحث عن الماء الذى تطفىء به حرقة الظمأ الذى يشوى كبد وليدها المسكين.. وإذا بالماء ينفجر من تحت أقدامه - عليه السلام - طاهرا نقيا إلى يوم القيامة؟! بم يشعر الإنسان وهو يعيش هذه اللحظات الفريدة مرددا قول الله تبارك وتعالى:

﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾[١٤]

بم يشعر الحاج، حينما يشخص أمام عينيه مشهد هذه المرأة، وقد جاء بها زوجها ومعها وليدها إلى هذا المكان القاحل، وليس معها من الزاد ما يكفيها يوما أو بعض يوم.. ليتركها ذاهبا حيث أمره ربه الحكيم العليم، فتقول له: «آلله أمرك بهذا؟»، فيقول لها: «نعم».. !! فتقول: «إذن فلن يضيعنا» بم يشعر الحاج وهو يستعيد- وفى نفس المكان - شريط هذه الأحداث، ويرى الرجل فى ختام هذا المشهد المهيب واقفا رافعا يديه إلى السماء فى ضراعة وابتهال:

﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾[١٥]

لا شك أنها لحظات يبلغ الإيمان فيها غايته، لتصغر أمام العين كل مطامع الدنيا وشهوات النفس.

ويطول بنا الطريق ولا ينتهى، إذا تتبعنا كل مناسك الحج، لنرى من خلالها، كيف يتم إفراغ هذه الشخصيات الشعورية فى هذه الأشكال الظاهرة والمراسم التعبدية؛ ليتحقق فى الحس والعيان ما ثبت فاستقر فى المشاعر والجنان، وليقع التناسق المنشود بين الظاهر والباطن. فلذلك نكتفى بهذا القدر. والله الهادى إلى سواء السبيل.

***

(١٤) البقرة (١٥٨).

(١٥) إبراهيم (٣٧).



الحج بين الواقع والمأمول

للدكتور / حمدى فتوح والى

منذ انطلق صوت الخيل إبراهيم -عليه السلام- ينادى فى دعاء خاشع:

﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾(١).

منذ انطلق هذا الصوت الجليل المهيب وأفئدة المؤمنين فى جنبات الأرض كلها تهوى حنينا إلى البيت الحرام وتذوب شوقا لرؤية ذلك البيت الكريم. حيث تسكب العبرات وتفيض البركات، وتقال العثرات، وتغفر الزلات. وتضاعف الحسنات وتمحى السيئات.

أذن إبراهيم - عليه السلام - فى الناس بالحج صادعا بأمر ربه، فتجاوبت لندائه قلوب المؤمنين الصادقين قائلة: «لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك، وقام إبراهيم يرفع قواعد البيت، يعاونه ولده إسماعيل.. أيديهما ترفع البناء، وأعينهما تتجه إلى السماء، وقلباهما يلهجان بالدعاء:

(١) سورة إبراهيم آية (٣٧).

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾(٢).

وما تزال ذرية إبراهيم من ولده إسماعيل هى الأمة المسلمة لله رب العالمين. يناديها ربها فتقبل، ويأمرها فتذعن، ويدعوها إليه فتستجيب. وباستجابتها لربها تعلن عن يقين خالص، وإيمان عميق.

وما ظنك برحلة مبعثها الشوق، وحاديها الحب، ومقصدها القرب من رحاب بيت الله الكريم. وحتى يؤذن لك بالدخول إلى حماه والفوز بمعيته ورضاه، فينبغى أن تنخلع من دنياك، وأن تتجرد من هواك وتخلص بكيانك كله لمولاك. حتى لا يبقى لنفسك من نفسك نصيب ثم تغتسل لتزيل عن جسدك أدرانه، ثم تنوى الإحرام، محرما على نفسك ما كان من قبل حلالا، من لبس المخيط ومس الطيب، ومعاشرة النساء ولتكتفى من اللباس بإزار ورداء.

وهذا التجرد الظاهر يسلم إلى تجرد أعمق، وانخلاع أعظم، وهو التجرد من الذنوب والانخلاع عن الآثام. إذا حفظ المرء جوارحه، وصان مشاعره واهبا قلبه لنور الله وما أجدر المشتاق إلى رحاب حبيبه أن يجمع قلبه، ويحدد قصده، وأن يكون على فهم ووعى بأن البيت بيت الله عز وجل فقاصده قصد لله، وزائره زائر له، فيكتمل شوقه بالنظر إلى وجه الله الكريم فى دار القرار، وإذا كانت العين القاصرة الفانية فى دار الدنيا، لا تتهيأ لقبول نور النظر إلى وجه الله عز وجل، فعلى المشتاق الذى قصد بيت الله الكريم أن يكون عالى الهمة عظيم القصد. صادق النية، ليكون من أهل قوله سبحانه:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾(٣).

وليعلم أن من طلب عظيما خاطر بعظيم فليعد عزما صادقا، وقلبا خاشعا، ولسانا ذاكرا، وهمة عالية.

واعلم أنك بعزمك الحج قاصد إلى مفارقة الأهل والأوطان، ومهاجرة الشهوات واللذات. متوجها إلى بيت مولاك. فلتعظم فى نفسك قدر البيت ورب البيت:

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾(٤).

فطهر قلبك من الرياء، ونزه لسانك عن الغيبة والنميمة، ومن سمعك عن اللغو، وأربأ بنفسك عن مواطن الشبهة، وارتفع بهامتك عن سفاسف الأمور، واعلم أن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه،

(٢) سورة البقرة آية (١٢٧، ١٢٨).

(٤) سورة الحج الآية (٣٢).

(٣) سورة القيامة آية (٢٢، ٢٣).

وابتغى به رضاه، وما دمت راغبًا فى قبول زيارتك فنفذ أوامره، واجتنب نواهيه، ورد المظالم لأهلها، وتب إليه، واستشعر الخشية منه، والرجاء فيه، والذل له -والإقبال عليه.

ولا تقبل عليه إقبال العبد العاصى فيردك ولا يقبلك، واقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى ما وراءك لتكون متوجهًا إليه بوجه قلبك كما أنك متوجه إليه بوجه ظاهرك، فإن لم تفعل لم يكن لك من سفرك فى الدنيا إلا النصب، وفى الآخرة إلا الطرد والرد. ولتكتب وصيتك لأهلك وأولادك، وتذكر بسفرك هذا سفر الآخرة واطمع أن يكون هذا السفر تيسيرا لذاك:

﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(٥).

أما زاد الرحلة فاجعله من حلال طيب، واجعل تكاليف حجك من مال لا شبهة فيه، واعلم أن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، ولا تستكثر على خالقك ما انفقته من نفقة الحج، واعلم أن ما قدمته هو الباقى لك عند ربك وما خلفته معدود عليك، وموروث عنك، وربما كان لك أو عليك فلا يكن مال وارثك أحب إليك من مالك، فما لك ما قدمت ومال وارثك ما أخرت، فلا تضن بالهدى مع قدرتك عليه بخلا به، فإن المال مال الله وتذكر قول حبيبك ﷺ يوصى أسماء بنت أبى بكر «لا تحصى فيحصى الله عليك، ولا توكى فيوكى الله عليك»(٦)، (٧).

واعلم أن خير الحج: العج(٨) والثج وتذكر عند هديك ونسكك قول ربك سبحانه:

﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾(٩).

فإذا أحسنت اختيار الزاد، وجعلت تكاليف حجك طيبة طاهرة فتذكر زاد الآخرة، وانصت بأذن قلبك إلى وصية الحبيب -صلوات الله عليه وسلامه لأبى ذر: «يا أبا ذر أحكم السفينة فى البحر فإن البحر عميق، وخذ الزاد كاملا فإن السفر طويل، وأخلص العمل فإن الناقد بصير، وخفف الحمل فإن العقبة كؤود».

فإذا بلغت مكة وظهرت لك أنوارها، وهبت على أردان قلبك نسماتها، وصافحت

(٥) سورة البقرة الآية (١٩٧).

(٦) البخارى ٣/٢٠٧ مسلم فى الزكاة باب ٢٨ رقم ٨٨/ النسائى ٥/٧٤ أحمد ٦/٨٧، ١٠٨.

(٧) الوكاء: هو الخيط الذى يشد على فم صرة المال، وهو كناية عن الشح بالمال.

(٨) العج: رفع الصوت بالتلبية، والثج: إسالة دماء الهدى.

(٩) سورة الحج الآية (٣٧).

عينيك جبالها، فاقرأ مكة السلام واسأل ربك خيرها، وتذكر أنك بحضرة البلد الحرام، فى الشهر الحرام. فإذا وقعت عينيك على البيت الحرام، فاهتز قلبك طربا، ولهج لسانك بالدعاء رغبا ورهبا. فقل: «اللهم زد هذا البيت تعظيما وتشريفا وتكريما ومهابة وبرا وزد من حجه أو اعتمره تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة وبرا».

واجعل دخولك إلى بيت الله من باب السلام، وتذكر أن الله هو السلام. وأن الإسلام دين السلام. وأن المسلمين هم دعاة السلام، ورسالتهم إلى أهل الأرض جميعا هى رسالة السلام، وتذكر من تاريخ آبائك، أنهم ما أشعلوا حربا، أو وجهوا جيشا، أو أعدوا عدة إلا رحمة بالناس وسعيا إلى خيرهم، وإخلاص وجهتهم، وربطهم بربهم، وتحرير رقابهم عندما كان سعي غيرهم إثما وعدوانا، وظلما، وإفسادا فى الأرض، ومكر السيء. ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله.

فإذا بدأت طوافك فتذكر أنك متشبه بملائكة الله المقربين الذين يطوفون حول العرش، واعلم أن الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية، وتذكر أن البيت المعمور فى السموات بإزاء الكعبة، وطواف الملائكة به كطواف الإنس بهذا البيت. وتذكر وأنت تطوف بالبيت قول نبيك ﷺ عندما جاء معتمرا وقد خرجت قريش إلى الجبال والشعاب ينظرون إلى المسلمين فى جمعهم المهيب: «رحم الله امرءا أراهم اليوم من نفسه قوة». وتذكر امره لأصحابه بالاضطباع(١٠)، (١١) والرمل فى الثلاثة الأشواط الأولى، إظهارا للقوة، حتى يقع الرعب فى قلوب الأعداء المتربصين بأمة الإسلام، وتذكر أن مشركى العالم كله، ينظرون إلينا ونحن فى صعيد مكة الطاهر، وأهل الأرض جميعا بحاجة إلينا، حيث لا يملكون منهاجا كمنهاجنا، ولا دينا كديننا ولا كتابا تولى الله حفظه ككتابنا، ولا عاطفة تجمعهم كعاطفة إسلامنا. كما أنهم لا يملكون موارد للرزق كمواردنا ولا مقومات للوحدة والاندماج كمقوماتنا. فإذا شعرت فى حلقك بغصة، وفى نفسك بحسرة، ووجدت فى قلبك لذع الألم ومرارة اليأس، وحرقة الخيبة، وتأنيب الضمير، لما آل إليه أمر أمتنا. فلا تلق باللوم على غيرك، ولا تستمرىء اتهام الناس جميعا إلا نفسك. ولا تتهم أحدا سواك. إنما سائل نفسك ماذا عليك أن تفعل حتى تخرج بأمتك من هذا التيه المزرى، ومن هذا الضياع الأليم وتذكر وأنت ترمى الجمرات ما فعله الشيطان

(١٠) هو كشف الكتف والعضد رغبة فى إظهار القوة والجلد أمام الأعداء.

(١١) السنن الكبرى للبيهقى ٥/٧٣ ـ الدر المنثور ٦/١٣٦.

وأولياؤه بأمتنا. فقد تآمروا على خلافتنا فأسقطوها وعلى شريعتنا فعطلوها، وعلى مناهج دراستنا فأفسدوها وعلى وسائل إعلامنا فزيفوها ووجهوها لإثارة الغرائز وإطلاق الشهوات. فإذا أدركت ذلك وأيقنت أن وراء تلك الحال أيد خفية آثمة لعينة، تتآمر على مستقبل الأمة لتهلكها.

وإذا نظرت إلى الحجيج فى عرفات، وأدهشك ما ترى من كثرة عددهم والتحام صفهم، ووحدة مظهرهم، وتوحد وجهتهم وبكائهم لله رب العالمين. ثم عرفت أن هذا الكم الهائل من البشر ومن خلفهم مليار مسلم أو يزيدون، لا يستطيعون أن يغيظوا عدوا أو يردوا كيدا أو ينصروا صديقا فاعلم أن هذا الحال لن يدوم طويلا، مادام فى الأمة كتاب ربها وسنة نبيها، والعقلاء المخلصون من علمائها.

ألا ليت أمة الإسلام تدرك عظيم فضل الله عليها وهدايته إليها- متمثلة فى فريضة الحج- التى تمثل مؤتمرا سنويا لا يتعب أحد فى إعداده، وتوقيته ونقل أعضائه. وترتيب أماكنهم، وتأمين مآكلهم ومراكبهم وإنما المكان بيت الله الحرام. والزمان شهر الله الحرام، والإقامة فى بلد الله الآمن، والقضية قضية المسلمين جميعا، وجدول الأعمال هو التحدى الغربى المسعور الذى يتربص بالأمة الدوائر. والتحدى اليهودى الذى سفك الدماء وفرق الأشلاء، وهتك الحرمات ودنس المقدسات وتطاول على الله رب العالمين.

إننى لا أجد سببا وحدا- يصلح مبررا لحالة الشقاق تلك- يحول بين الأمة وبين وحدتها، وهى التى استكملت كل مقومات الاتحاد. بينما نجحت أوروبا فى تجميع صفها وتوحيد كلمتها وعملتها وسوقها وتجارتها، كما نجحت أمريكا فى توحيد أكثر من خمسين ولاية تعددت ألوانها ولغاتها وأشكالها، وعقائدها وبرغم ذلك كله لم تجد مانعا يحول بينها وبين وحدتها. حتى غدت فى زمن يسير أعتى قوة على ظهر الأرض. وغدا لسان حالها يقول: «من أشد منا قوة» إن العالم كله شرقيه وغربيه، شماله وجنوبه لا يملك فرصة تجمع مقدس، يحفز إلى حضوره شوق قلبى، ويعلن افتتاحه وختامه أمر إلهى، ويكافأ الحاضرون فيه بجنة عرضها السموات والأرض. ويرجعون بغفران الذنوب، وطهارة القلوب مثل فريضة الحج. إنه مؤتمر يمنع فيه اللغو والفسوق وتبادل التهم، وبذاءات اللسان. كما تتحرر فيه النفوس الضعيفة من سلطان الخوف من البشر. ليت قادة العالم الإسلامى ومفكريه، وعلمائه وأصحاب الرأى فيه، يشدون رحالهم إلى بيت الله فيلتقون فى رحابه إخوانا متحابين، على سرر متقابلين، قد خلت قلوبهم من الغل، وبرئت من الحقد، وطهرت من النفاق وبعدت عن الحسد، وخضعت لله رب العالمين.

خطبة الجمعة

الحج ووحدة الصف والهدف

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى

إعداد الشيخ/ على حامد عبد الرحيم

الحمد كل الحمد لله تبارك وتعالى، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله هو ولى النعمة، ومصدر الرحمة:

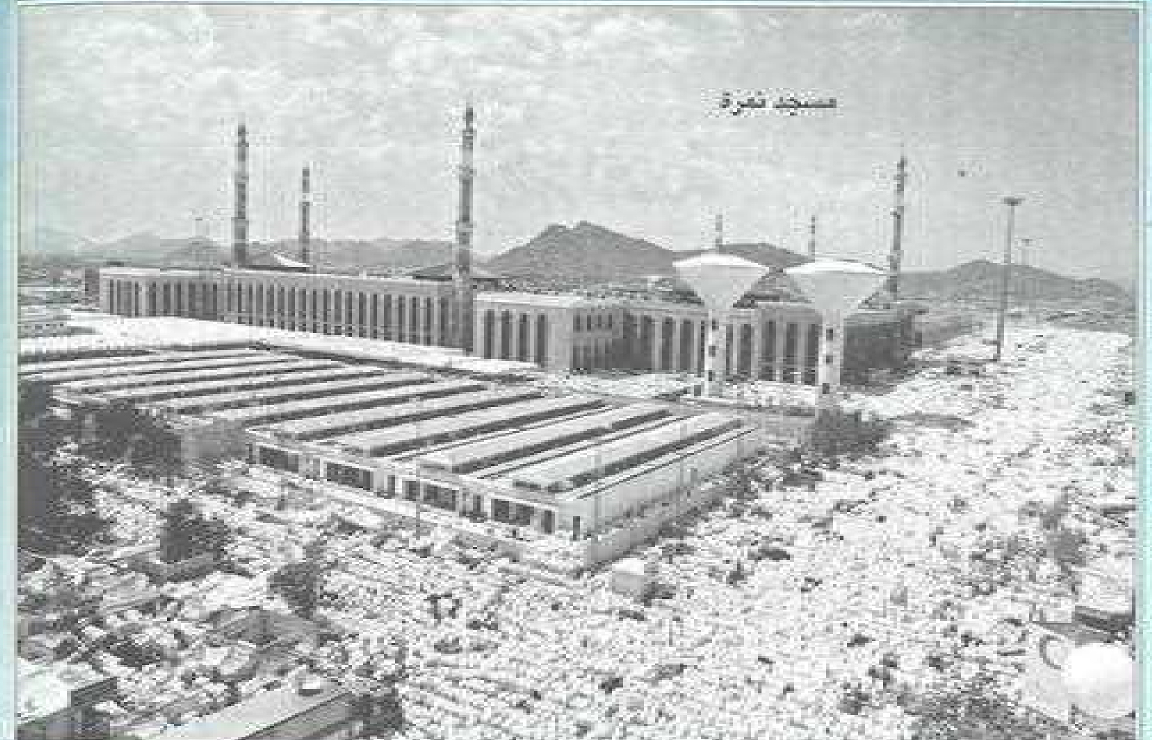
﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1]، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله، نبى الرحمة وقائد الملحمة ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[2]، وأصلى وأسلم على أنبياء الله ورسله، وعلى خاتمهم سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، وأتباعه وأحبابه، ومن دعا بدعوته بإحسان إلى يوم الدين، وأستفتح بالذى هو خير: ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير.

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام..

شرع الله - تبارك وتعالى - الحج إلى بيته الحرام، وجعله فريضة من فرائض الإسلام، وقاعدة من قواعد الدين حيث قال عز شأنه:

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى
بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٩٦ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ
إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ
مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[3].

(١) الأعراف (٥٦). (٢) الأنبياء (١٠٧). (٣) آل عمران (٩٦، ٩٧).



ولقد كان الحج آخر الفرائض الإسلامية التى شرعها الله لعباده المؤمنين، حيث تمت فرضيته سنة ست أو تسع، وقام رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بأداء الحج سنة عشر، أى قبل وفاته بزمن قصير، ولعل الحكمة فى ذلك - والله أعلم بمراده - هو أن يكون الحج مسك الختام لأداء الفرائض، وأن يكون مظهرا من مظاهر اجتماع الأمة وقوتها وتلاحمها، واتحادها فى صفوفها وأهدافها، بعد أن تكون قد هذبت أفرادها، وأصلحت أمورها، ولذلك قال القرآن الكريم فيما قال عن حكمة الحج:

﴿ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾(٤). ولعل أكبر منفعة للحج هو أن يجتمع المسلمون حول بيت الله الحرام ليترجموا عمليا عن وحدتهم وقوتهم واجتماعهم واستجابتهم لخالقهم - جل جلاله - والمسلم يبدأ بأداء الصلاة والمحافظة عليها لتكون تطهيرا لروحه، وتهذيبا لنفسه، وارتباطا بخالقه، ثم يؤدى الصيام ليكون إحياء لروح المراقبة فى صدره، وبعثا لعواطف التراحم والإشفاق بين جوانحه، ثم يؤدى المسلم الزكاة لتكون ترجمة عملية عن التكافل والتضامن بين

(٤) الحج (٢٨).

أبناء الإسلام، وبعد أن تتهذب الأفراد وتتأدب أدبها السامى الإسلامى بالصلاة والصوم والزكاة، تأتى فريضة الحج لتكون عنوانا على ترابط هذه الملايين باسم الله، وعلى بركة الله، وبروح الأخوة فى الله تبارك وتعالى.

والحج هو الفريضة الدينية الكبرى التى تجمع المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها، حيث يلتقى الأبيض والأسود، والقريب والبعيد، والغنى والفقير، والحاكم والمحكوم، متجردين من زينة الدنيا، منصرفين عن شهواتها وشواغلها، مستجيبين لربهم ودعوته، مرددين نشيد الاستجابة والإنابة: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك»، وهناك وحول بيت الله الحرام، وفوق جبل عرفات، وفى منى والمزدلفة، وفى مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام، تلتقى هذه الجموع كلها على كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة، كلمة التوحيد: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وتوحيد الكلمة:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾(٥)

وهناك يزدادون تعارفا وتآلفا، ويؤكدون ما بينهم من أخوة ومودة ومحبة، ويتناصحون ويتشاورون ويتعاونون على ما فيه صلاح أمرهم، واستقامة شئونهم، استجابة لقول بارئهم سبحانه:

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾(٦)

ويلمون شملهم، ليوحدوا أملهم، ويتقنوا عملهم، ويزهقوا روح الشقاق والافتراق من بينهم، ويؤكدوا وحدة الصف ووحدة الهدف معتبرين أصدق الاعتبار بقول ربهم عز من قائل:

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾(٧).

وبعد أن يطهر المسلمون فى الحج جوانحهم ونفوسهم، ويزكوا قلوبهم وعقولهم، يتلاقون فى ذلك المؤتمر الإسلامى الأكبر، ليعرضوا على أنفسهم قضاياهم، ويتدارسوا شئونهم وليكون كل منهم لإخوته فى الله كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، ويتفقوا بنية خالصة وعزيمة راسخة على ما فيه خير الإسلام والمسلمين، فى الدنيا والدين،

(٥) آل عمران (١٠٣).
(٦) المائدة (٢).
(٧) المؤمنون (٥٢).

ليتعاهدوا أمام بيت الله الحرام، وفي المشاعر الطيبة، وعند منزل الوحي ومشرق الرسالة ومطلع النبوة، وحيث بدأ سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام دعوته الإلهية الربانية، وثورته الإصلاحية الإنسانية، على أن يحرروا دارهم، ويغسلوا عارهم، ويأخذوا ثأرهم، بروح الوفاء والفداء، وإرادة الجهاد حتى النصر أو الاستشهاد، ذاكرين أن الإيمان الصادق بالله والاستجابة العملية المخلصة لهداه، والالتجاء الدائم إلى حماه، هو طريق السيادة والقيادة والعزة:

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾(٨)

وهذه العزة هي التي جعلها الله ميراثا للمؤمنين، وفضلا مستمدا من رحمة رب العالمين:

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٩).

ألا ما أجدر المسلمين اليوم بأن يجددوا إيمانهم، ويشدوا عزائمهم، ويتضامنوا فيما بينهم، ويتنهزوا موسم الحج، ليجعلوا منه موسما عمليا للالتقاء على الخير، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر:

﴿ وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾(١٠)

وصدق العلي الكبير:

﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾(١١).

﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(١٢).

***

---

(٨) فاطر (١٠).

(٩) المنافقون (٨).

(١٠) العصر.

(١١) النحل (٩).

(١٢) آل عمران (١٠١).

رحلة الحج في عيون الشعراء

للأستاذ الدكتور/ عبدالمنعم يونس

هناك أمور خفية تدفع المرء دفعا للقيام ببعض الأعمال، قد لا يجد لها تفسيرا في حينها، ولكنه مع مرور الزمن، وتوالي الأيام قد يقف على كثير مما لم يجد له تعليلا إبان حدوثه، وساعة وقوعه.

حدث لي ذلك، وأنا أقوم بأداء فريضة الحج -لأول مرة- منذ زمن ليس بالقريب، ولا بالبعيد، يومها دخلت مكة، وكان الوقت ليلا، فطفنا طواف القدوم، وأدينا أعمال العمرة من سعي بين الصفا والمروة، وحلق، ثم ساعتها حان وقت الفجر، فأديت الصلاة خلف قارئ، لم أكن قد سمعت قراءته من قبل، فإذا بي أحس، وكأنني في عالم آخر يختلف كثيرا عن عالم الإنس، ومن يومها وأنا أسأل نفسي كلما تذكرت ذلك هل كنت أعيش على هذا الكوكب أم كنت أعيش على كوكب آخر؟ وهل كنت يومها أخضع لما يخضع له البشر؟ أم كنت مع مخلوقات علوية أخرى تحلق كما أحلق في أجواء السماء؟

وظللت كذلك: حتى قرأت يوما قصيدة الشاعر محمود غنيم التي قالها من وحي زيارته للأراضي المقدسة حين حج عام ١٩٦٨ فقال محمود غنيم بعنوان في أرض النبوة:

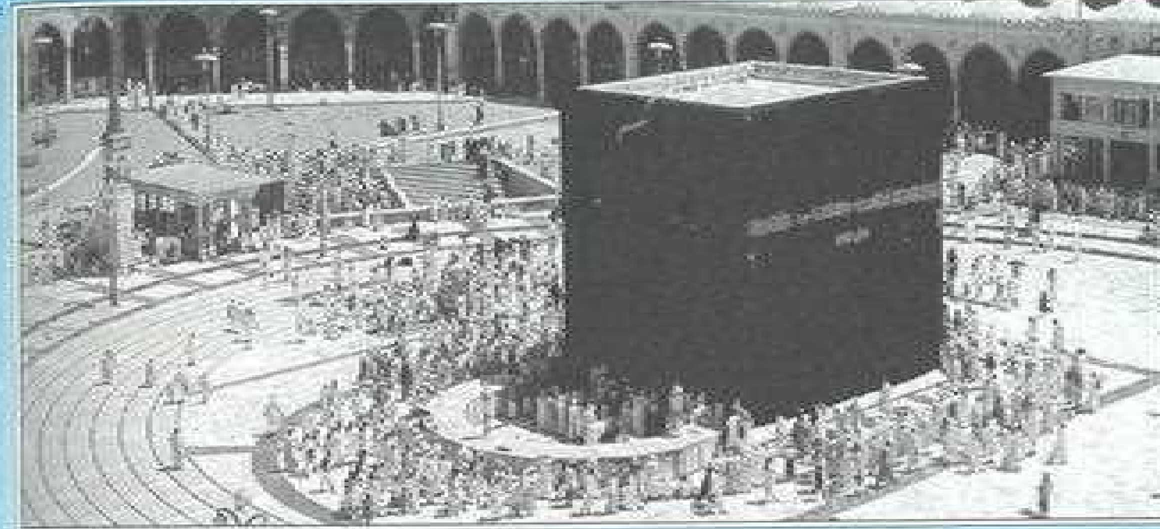
صوت من العالم العلوي ناداني ... لبيك. لبيك لا آن، ولا واني

ما أعذب الصوت! ما أحلاه من نغم ... سمعته بجناني لا بآذاني

وكيف تسمعه أذن، ويحمله ... موج الأثير حروفا وهو روحاني

لبيته بفؤاد ملؤه وجل ... وصيب من دموع العين هتان

كيف الوقوف على باب الرسول وفي ... يدي صحائف زلاتي وعصياني



دار النبوة ذنبي عنك أبعدني

وحسن ظني بربي منك أدناني[1]

فقلت -عندئذ- لماذا لا أضع بين يدى القارىء صورة حية لما قاله الشعراء عند ذهابهم إلى حج بيت الله الحرام تشفى غلة أولئك الذين تعتمل فى قلوبهم هذه الأماكن، وتبعث فى نفوسهم مشاعر قد تملأ عليهم جوانحهم، ولكنهم لايستطيعون التعبير عنها -كما حدث لى- وكما يحدث لكثير من أمثالى، لأن الشعراء يحسون كما نحس، ويشعرون بما نشعر، ولكنهم يختلفون عنا نحن الذين لم نؤت الموهبة التى أوتوها، وكأن الله قسم الحظوظ بين البشر، وجعلهم يؤدون دورهم فى هذه الحياة، كل فى مجاله، أو كما قال الرسول ﷺ «كل ميسر لما خلق له».

لكن شواغل الحياة عاقتنى عن ذلك، فقلت ما لايدرك كله لا يترك كله، فلأضع بين يدى قارىء «مجلة الأزهر» الغراء بعض ما قاله هؤلاء الشعراء عندما وقفوا موقفى الذى وقفته.

١- أول موقف أقدمه لقارئى الكريم موقف سيدنا عبدالله بن رواحة -رضى الله عنه- عندما كان يمسك بزمام ناقة رسول الله ﷺ وقد اجتمع أهل مكة، وغلمانهم ينظرون إلى هذا الموكب المهيب وإلى رسول الله ﷺ وأصحابه الذين صدوهم قبل عام عن دخول

١- محمود غنيم- الأعمال الكاملة- المجلد الأول ص٦٦١، ط -دار الغد العربى- ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

ولد الشاعر محمود غنيم عام ١٩٠٢ بمحافظة المنوفية، وتدرج فى وظائف التدريس، وكان عضوا فى كثير من الجمعيات الأدبية وكان عطاؤه وافرا فى دولة الشعر العربى والإسلامى، وله عدة دواوين، وتوفى ١٩٧٢م.

بيت الله الحرام، وعقدوا معهم صلحا عرف فى التاريخ باسم صلح الحديبية، يشد المنظر سيدنا عبدالله بن رواحة فيقول مرتجزا:

خلوا بنى الكفار عن سبيله

خلوا فكل الخير مع رسوله

يا رب إنى مؤمن بقيله

أعرف حق الله فى قبوله

نحن ضربناكم على تأويله

كما ضربناكم على تنزيله

ضربا يزيل الهام عن مقيله

ويذهل الخليل عن خليله[2]

ولعل القارىء يرى أن الشاعر قد هاله هذا الموكب الذى سار فيه رسول الله ﷺ والمسلمون معه، ورأى المشركين ينظرون ويعجبون من حب المسلمين لرسول الله ﷺ وتفانيهم فى سبيل الدعوة الإسلامية، من أجل ذلك هتف قائلا: «خلوا بنى الكفار عن سبيله، فهو يستحضر عظمة الإسلام، وكأنه يقول: إن هذا المكان ينبغى أن يعظمه كل مسلم، كما عظمه رسول الله ﷺ، بل ينبغى أن يستحضر -عنده- كل الأمجاد التى أرساها المسلمون الأوائل، بل ينظر المسلم هناك كيف نزل الدين على الدنيا، وتجلت السماء على الأرض، وخرج من هذه الرحاب أعظم دين عرفته البشرية، وأعظم رسالة قادت الإنسانية إلى رشدها، ودرج على أفنية هذه الديار أعظم قادة البشر، وخير الرجال بعد رسول الله ﷺ ولأمر ما كان سيدنا عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- يأمر بإخراج الناس من مكة عقب أدائهم فريضة الحج، حتى لا تألف قلوبهم هذا المكان، فتفتر فيهم الرغبة إلى حجه مرات ومرات.

٢- وهناك موقف آخر جدير بالتسجيل فى هذا المقام، وإن كان الحدث ليس خاصا بتعظيم المكان لكنه خاص بمن أرسى دعائم تعظيم هذا المكان، إنه خاص بتعظيم رسول الله ﷺ، وذريته من بعده، فقد جاء فى وفيات الأعيان لابن خلكان، وفى ديوان الفرزدق، أنه لما حج هشام بن عبدالملك فى أيام خلافة أبيه عبدالملك بن مروان.. طاف بالبيت، وجهد أن يصل إلى الحجر ليستلمه، فلم يقدر على ذلك لكثرة الزحام، ولما فرغ من الطواف نصب له منبر فجلس عليه ينظر إلى الناس،

٢- ابن سلام الجمحى: طبقات فحول الشعراء جـ١ ص٢٢٣ تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدنى. والبيت الثانى جاء فى السيرة الحلبية جـ٢ ص٧٨٢. والشاعر الشهيد عبدالله بن رواحة هو أحد الشعراء الثلاثة الذين دافعوا بألسنتهم عن رسول الله وعن الدعوة الإسلامية وقد استشهد فى سرية مؤتة، وكان أحد القواد الثلاثة: زيد بن حارثة، وجعفر بن أبى طالب، وعبدالله بن رواحة انظر كتابنا: الشاعر الشهيد عبدالله بن رواحة

ومعه جماعة من أعيان الشام، وبينما هو كذلك، إذ أقبل على زين العابدين ابن الحسين -رضى الله عنه-، وكان كما قيل من أحسن الناس وجها، وأطيبهم أرجا، فطاف بالبيت، فلما انتهى إلى الحجر الأسود تنحى له الناس، حتى استلم، فقال رجل من أهل الشام: من هذا الذى هابه الناس هذه الهيبة؟ فقال هشام: لا أعرفه، مخافة أن يرغب فيه أهل الشام فيملكونه عليهم، وكان الفرزدق حاضرا، فقال: أنا أعرفه، فقال: من هو يا أبا فراس؟ فقال:

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا التقى النقى الطاهر العلم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله
بجده أنبياء الله قد ختموا
وليس قولك من هذا بضائره
العرب تعرف من أنكرت والعُجم

حتى يقول:

من جده دان فضل الأنبياء له
وفضل أمته دانت له الأمم
ما قال لا قط إلا فى تشهده
لولا التشهد كانت لاءه نعم
مشتقة من رسول الله نبعته
طابت مغارسه والخيم والشيم
من معشر حبهم دين، وبغضهم
كفر، وقربهم منجى ومعتصم[3]

يقول الدكتور زكي مبارك: «إن الفرزدق عندما قال هذه القصيدة غضب عليه هشام بن عبدالملك فحبسه ثم أنفذ له سيدنا على زين العابدين وهو فى الحبس اثنى عشر ألف درهم، فردها وقال: «مدحته لله -تعالى- لا للعطاء» ثم يقول: «والمدح لله هو عين التصوف»، ولا يغض من هذا قبوله العطية بعد ذلك، فقد تلطف زين العابدين، وقال: إنا أهل البيت إذا وهبنا شيئا لا نستعيده»[4].

ولا أريد أن استطرد فى ذكر تلك القصائد التى رصدها قائلوها للحديث عن آل بيت رسول الله ﷺ فذلك له مكان آخر، وإنما أريد أن أنوه إلى أن هذه القصائد التى عرفت باسم المدائح النبوية قالها الشعراء فى مدح رسول الله ﷺ وآل بيته، وهم يستحضرون

٣- انظر وفيات الأعيان ج٢ ص١٤٣، وديوان الفرزدق، وانظر كتاب المدائح النبوية للدكتور زكي مبارك ص٩٢- ٩٦، ط دار الكتاب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة.

٤- نقلا عن وفيات الأعيان جـ٢ ص١٤٢.

عظمة هذه الأمكنة التى عمرت زمنا بحياة رسول الله وأصحابه، والتى يذهب الحجيج إليها يتنسمون عبير هذه الذكريات، ويعودون إلى بلادهم، وقلوبهم مفعمة بحب هذه الأمكنة، ومن درجوا عليها، كما قال القائل:

وما حب الديار شغفن قلبى
ولكن حب من سكن الديارا

لكن هذه الديار مع حبنا لمن سكنها، فنحن نحبها أيضا، لأنها ديار عظمها الله -سبحانه وتعالى-، وطلب منا أن نعظمها، قال تعالى:

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٩٦ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[5]

٣- ولا يستطيع المتحدث عن رحلة الحج فى عيون الشعراء دون الوقوف على ما قاله ابن الفارض فى هذا الصدد:

يا سميرى روِّح بمكة روحى
شاديا إن رغبت فى إسعادى
ذراها سر بى، وطيبى ثراها
وسبيل المسيل وردى وزادى
كان فيها أنسى ومعراج قدسى
ومُقامى فى المقام والفتح باد

وكما هى عادة ابن الفارض فى الشعر الصوفى يبدأ قصائده بالغزل، ولكنه الغزل الصوفى الذى يخاطب فيه محبوبته التى يراها ماثلة أمامه فى تلك الأماكن المقدسة، والتى يبثها أشجانه. يقول فى بداية قصيدة له:

أبرق بدا من جانب الغور لامع
أم ارتفعت عن وجه ليلى البراقع
أنار الغضا ضاءت وسلمى بذى الغضا
أم ابتسمت عما حكته المدامع
أنشر خزامى فاح أم عَرْف حاجر
بأم القرى أم عطر عزة ضائع
ألا ليت شعرى هل سليمى مقيمة
بوادى الحمى حيث المتيم والع[6]

ولعل القارىء لهذه الأبيات يجد صعوبة فى فهم بعض ألفاظها، ولكنه لايجد صعوبة عندما يعلم أن هذه الألفاظ تدل على بعض الأماكن التى كان ابن الفارض يرتادها، وهو بمكة، وعندما غادرها، وعاد إلى مصر حنَّ إليها، فالغور، والغضا، وريح الخزامى، والرائحة التى تأتيه من حاجر أم القرى، ووادى الحمى كلها أماكن شهدت سير الشاعر فيها، وهو يريد العودة إليها مرة أخرى.

٥- آل عمران [٩٦، ٩٧].

٦- ديوان ابن الفارض ص٧١.

لقد تحدث كثير من مؤرخي الأدب عن شعر ابن الفارض، وأنه كان وسيلة من الوسائل التي استخدمها ابن الفارض للوصول إلى مرضاة الله -سبحانه وتعالى-، ولكنه استخدم الرمز في كل هذه الوسائل، فهو يقول في قصيدة له يطرب لها كثير من شداة الأدب:

ما بين معترك الأحداق والمهج
أنا القتيل بلا إثم ولا حرج
ودعت قبل الهوى روحي فما نظرت
عيناى من حسن ذلك المنظر البهج
لله أجفان عين فيك ساهرة
شوقا إليك وقلب بالغرام شج
عذّب بما شئت غير البعد عنك تجد
أوفى محب بما يرضيك مبتهج
وخذ بقية ما أبقيت من رمق
لا خير في الحب إن أبقى على المهج[٧]

وإذا كان ابن الفارض يهيم حبا، وشوقا إلى لقاء الذات العلية، فإنه يقدم لنا صورة رائعة لما يعترف به المؤمن بمُلك الله في ملكوته، فقد استحوذت هذه الأبيات على قلوب الجميع، وذلك لما بلغته من رقة اللفظ، ودقة المعنى، وجمال التصوير، ورشاقة العبارة، وبراعة السبك، وتمام الانسجام، فهو يقول:

تراه إن غاب عني كل جارحة
في كل معنى لطيف رائق بهج
في نغمة العود والناى الرخيم إذا
تألقا بين ألحان من الهزج

٤- وهناك علم من أعلام الشعراء الذين وظفوا شعرهم جله في مدح رسول الله ﷺ ذلكم هو الإمام البوصيري -رحمه الله- فقد جاء في شعره كثير من حنينه إلى الوصول إلى بيت الله الحرام، وزيارة المدينة المنورة التي تضم أعظم مخلوق، وأشرف مولود محمد رسول الله ﷺ والحديث عن حنين البوصيري، ورحلته إلى الحج يأخذ مساحة كبيرة، لكنني أكتفي فقط هنا بلمحات خاطفة، فهو يقول:

متى تجوب رسول الله نحوك بي
تلك الجمال نجيبات مراسيل
فانثني، ويدى بالفوز ظافرة
وثوب ذنبي من الآثام مغسول

إلى أن يقول:

نذرت إن جمعت شملي ببابك أو
شَفَتْ فؤادى به فؤاد شمليل
أبلُّ من طيبة بالدمع طيب ثرى
لغُلتي وغليلي منه تبليل

٧- ديوان ابن الفارض ص٩٠ وانظر الدكتور زكي مبارك: التصوف الإسلامي ص٢١١.

دامت عليك صلاة الله يكفُلها
بين المهيمن إبلاغ وتوصيل

فلما عقد البوصيري العزم على السفر إلى الأماكن المقدسة أنشد قصيدته التي مطلعها يدل على بداية الرحلة. يقول فيها:

سارت العيس يرجّعن الحنينا
ويحاذين من الشوق البرينا
داميات من حَفي أخفافها
تقطع البيد سهولا وحزونا

وعندما وصل إلى المدينة المنورة وقف أمام الضريح النبوي، وأنشد قصيدة مطلعها:

وافاك بالذنب العظيم المذنب
خجلا يُعنِّفُ نفسه ويؤنِّبُ

ثم نظم قصيدة مطلعها:

بمدح المصطفى تحيا القلوب
وتُغتفَر الخطايا والذنوب

ولما فرغ من أداء الفريضة، وهمّ بمغادرة الأراضي الحجازية نظم قصيدة مطلعها:

أزمعوا البين، وشدوا الركابا
فاطلب الصبر، وخل العتابا

ولما عاد من الأراضي الحجازية، واستقر في القاهرة شرع في نظم قصيدة طويلة سماها أم القرى في مدح خير الورى، وهي القصيدة المعروفة بالهمزية:

كيف ترقى رقيك الأنبياء
يا سماءً ما طاولتها سماء

وهكذا يأتي شعر البوصيري حافلا بالكثير من القاصد التي قالها في رحلته إلى هذه الديار واصفا فيه كل ما وقعت عليه عيناه -إن في مكة وإن في المدينة- وكل قصيدة من قصائد البوصيري تحتاج إلى وقفة خاصة.

ثم يأتي بعد ذلك دور الشعراء في العصر الحديث أولئك الذين وظفوا كثيرا من شعرهم للحديث عن رحلة الحج، يتقدمهم: أحمد شوقي، وأحمد محرم، ومحمود غنيم، وغيرهم.. وغيرهم من شعراء العربية.

***

مواقف إسلامية

الأضحية .. وقيمة التضحية

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

تظل قصة الفداء درساً بليغاً في الالتزام بأمر الله - عز وجل - وتنحية الهوى.. وتجاهل نداء الغريزة المُلح.. وكما قيل بحق:

والد.. ووالدة.. وولد، كل يسلم قياده لأمر الله.. وإلى أقصى حد التضحية.. حينما قال إبراهيم لإسماعيل ما قصه - تعالى - علينا:

﴿ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾[1]

إنه حدث خطير: وأى رأى للولد في ذبح نفسه؟!!.. ولكنه التمهيد لأمر الله، فكان موقف الولد لا يقل إكباراً عن موقف الوالد:

﴿ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾[2]

ولم يكن ذلك عرضاً وقبولاً فحسب، بل جاء وقت التنفيذ إلى نقطة الصفر كما يقال:

والكل ماض في سبيل التنفيذ:

(١) الصافات (١٠٢).

(٢) الصافات (١٠٢).

﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾[3].

يا له من موقف يعجز كل بيان عن تصويره، ويخط كل قلم عن تفسيره، ويثقل كل لسان عن تعبيره، شيخ كبير، يحمل سكيناً بيده.. ويتل ولده وضناه بالأخرى! كيف قويت يده على حمل السكين؟!! وقويت عيناه على رؤيتها في يده؟!! وكيف طاوعته يده الأخرى على تلّ ولده على جبينه.

إنها قوة الإيمان.. وسُنّة الالتزام.

وها هو ذا الولد طوع يده، يتصبر لأمر الله، ويستسلم لقضاء الله.

﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾.

والموقف الآن: والد.. بيده السكين. وولد.. ملقى على الجبين. ولم يبق إلا توقف الأنفاس للحظة التنفيذ. ولكنّ رحمة الله أوسع.. والفرج من عنده أقرب:

﴿ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠) ﴾[4]

جزاء الإحسان

لقد كانت عزمة الوالد وولده معاً.. كانت عزمة تتضاءل دون علىّ مكانها الآفاق.. والأفلاك.. وكانت همة وصلت من القوة حداً ليس وراءه وراء.. إنها قمة الإحسان.. يصل إليها الخليل وولده، فكان جزاؤهما من جنس عملهما فقد ذكر فداءه بما جعله سنة باقية، يذكر بها الذكر الجميل، على مر الأيام وتعاقب السنين، وكان ذلك.. بذبح عظيم.. بكبش من الجنة.. عظيم.. عظيم في الجثة، والقدر، والرتبة، وسمين.. لأنه مقبول ومتن به.. ومجعول ديناً إلى آخر الدهر.

﴿ فِي الْآخِرِينَ ﴾ عصىّ على النسيان.

ثم جاء الفرج

أجل.. وافى الفرج.. بعد الشدة.. وظفر الوالد بالأمل.. بعد اليأس.. بعد المحنة البينة الصعوبة.. فلا محنة أصعب منها..

إنقاذ البشرية

وكان هذا الذبح العظيم إنقاذاً للبشرية كلها بعد ذلك.. يقول ابن عباس رضي الله عنه: لو تمت تلك الذبيحة لكانت سُنّة.. وذبح الناس أبناءهم.

من حكم الأضحية

وإذن.. فقد كانت الأضحية سُنّة يشكر البشر بها نجاتهم من الموت في شخص إسماعيل - عليه السلام - فكانت سُنّة باقية.. نجدد بها أثمن اللحظات بركة في عمر الإنسان.

(٣) الصافات (١٠٢).

(٤) الصافات (١٠٤: ١١٠).

وإذا كان ﷺ مأموراً باتباع إبراهيم عليه السلام.

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾(٥).

فهو مأمور باتباعه، ونحن معه.. وفى سُنَّة الذبح: سُنَّة الفداء.. والنجاة من البلاء المبين.

الخطوة الأولى

روى مسلم من حديث أم سلمة - رضى الله عنها: إذا رأيتم هلال ذى الحجة، وأراد أحدكم أن يضحى فليمسك عن شعره وأظفاره. لا يأخذن من شعره ولا من أظفاره شيئاً حتى يضحى.

والحكمة فى ذلك: تشبهاً بالمحرم.. وليدخل بهذا التشبه جو الإحرام من أول يوم.. ثم هو إبقاء على كل أجزاء الجسم.. رجاء أن يعتق الجسم كله من النار.

وهكذا.. إذا قعدت بالناس أقدارهم.. فلم يكونوا هناك فى حمى البيت العتيق.. فليكونوا هناك بقلوبهم.. ليتحقق معنى الوحدة الإسلامية على أوفى معانيه.

من خصائص الأضحية

من شروط الأضحية بصفة عامة: سلامتها من كل عيب ينقص اللحم. وتتضاءل فيه قيمة الجمال:

وفى ذلك يقول ﷺ: «أربعة لا تجزئ فى الأضاحى: العوراء البيِّن عورها. والمريضة البيِّن مرضها. والعرجاء البيِّن ضلعها. والعجفاء التى لا تنقى»(٦).

والمقصود بالتى لا تنقى هو: التى لا مُخ لها، لضعفها وهزالها. أى: لا شحم لها.

فالعوراء الواضحة العور.. يذهب الجمال بذهاب عينها.. ثم هى لا ترعى إلا فى مساحة محدودة من جهة عينها الباصرة فقط. ومن ثم.. تُصاب بالهزال لو بقيت. وكذلك العرجاء.. التى يسبقها القطيع إلى الكلأ البكر، الطيب، ولا يبقى لها إلا النفاية، التى لا تنشئ لحماً، ولا تكسو عظماً. ومثلها المريضة التى يحرمها مرضها من العشب الطيب، وقد تعطش، فلا تقدر على طلب الرى.

وقد ضحى ﷺ بكبشين أملحين أقرنين.. ذبحهما بيده الكريمة.. سمى وكبر.. ووضع رجله الشريفة على «صفحاتهما» أى على صفحة العنق: أى جانبه، ليكون ذلك أثبت له، ثباتاً يتمكن به من الذبيحة.. حتى لا تضطرب.. فتمنعه من إكمال الذبح.. وما يترتب على ذلك من: تعذيبها.. ثم إيذائه هو.. ثم فشل المهمة.

قال علىٌّ رضى الله عنه:

---

(٥) النحل (١٢٣).

(٦) رواه أبو داود والترمذى والنسائى وأحمد.

[إذا اشتريت أضحية.. فاستسمن: فإن أكلت أكلت طيباً.. وإن أطعمت، أطعمت طيباً..](٧).

ومُضياً مع هذا الاتجاه كان الصحابى يفضل أن يضحى بالجذع(٨).. من الضأن.. ولا يضحى بالمعز المسن. إنه لا يكفى أن يكون اللحم وافراً.. فلابد مع ذلك من أن يكون طيباً. أعنى: ناضجاً.. سهل الهضم.. جميل المذاق.

نوع الأضحية

الإبل.. والبقر.. والمعز. فلا تجوز الظباء مثلاً. ثم لماذا الإبل والبقر والمعز؟

لأنها أطيب لحماً.. وأوفر لحماً. وما يترتب على ذلك من التوسعة على عدد أكبر من الفقراء. هذا ما تؤكده السُّنَّة المطهرة، فيستحب فى الأضحية أن تكون أسمن ما عندك. وأحسنه وأعظمه.. لأنها مطيتك إلى الآخرة.. وكلما اقتربت من الكمال.. بلغت المنزل.

وكان ﷺ هو القدوة الحسنة فى هذا الباب: قالت عائشة رضى الله عنها:

«إن رسول الله ﷺ ضحى بكبش أقرن.. فحيل، وهو الذكر القوى»(٩).

ولا تضر العيوب التى لا تؤثر فى اللحم كماً وكيفاً، ككسر القرن مثلاً.

وعند البعض لا تجزئ الجرباء: «نتنة رائحة الفم»، ولا المجنونة: لأنها تدور فى المرعى ولا ترعى إلا قليلاً.. فتهزل.. فتمرض.. والمرض مفسد للحم. والأطيب لحماً أفضل. والأطيب عند الشافعية: الذكر.. والأملح - الأبيض - والأقرن.. أفضل من غيرهما.

من الذبح.. إلى النحر

حاول المغرضون اتهام الإسلام بأن طريقة الذبح فى منهجه.. لا رحمة فيها بالحيوان.. مع أن الأمر عكس ذلك تماماً.. فالذبح أو النحر كلاهما شارة دالة على حضارة الإسلام الذى اتسع معنى الرحمة فيه حتى تجاوز الإنسان إلى مملكة الحيوان.

فالذبح هو: قطع الحلقوم.. والمرىء.. والودجين.

والنحر هو: طعن الإبل فى لبتها «موضع القلادة من العنق، وهو الموضع الذى تصل منه آلة الذبح إلى القلب مباشرة».. فيموت الحيوان بسرعة.. ولا يتعذب.. إلى جانب خروج الدم كله.. حماية للآكلين من أضرار ما يبقى منه فى الذبيحة!.

وفى الذبح: تطرح الشاة على جنبها الأيسر.. مستقبلة القبلة. وقد نحر ﷺ الإبل قائمة. معقولة اليد اليسرى(١٠).

---

(٧) المحلى لابن حزم ج ٣٦١/٧.

(٨) الجذع بفتحتين: ولد الشاة فى السنة الثانية، وولد البقرة فى السنة الثالثة، وللإبل فى السنة الخامسة.

(٩) رواه أبو داود والنسائى.

(١٠) متفق عليه.

وبعنى ذلك أن الاقتصار على تقييد يدها اليسرى فقط.. يتيح للذبيحة فرصة الحركة.. حتى يخرج الدم كله.

ولقد صار هذا جزءاً من منهج الإسلام:

يقول - ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شىء.. فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة.. وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته»(11).

والمقصود براحة الذبيحة: إحداد السكين.. لتكون أسرع وأقطع. ثم تعجيل إمرارها، تفاديا لتعذيبها. ولا يحد السكين بحضرة الذبيحة. ولا يذبح واحدة بحضرة أخرى. ولا يجرها إلى مذبحها جرا.. وليقدها إلى الذبح قودا جميلا.

وقد ورد: إذا ذبح أحدكم فليُجْهِز، أى: ليسرع ذبحها ويتمه. وفى رواية: «.. ولا يقطع رأسها.. ويرمى بها»(12).

وبعد الذبح: يستحب التربص بعد الذبح قدر ما يبرد ويسكن من جميع أعضائه. وتزول الحياة عن جميع جسده. ويُكره أن يُسلخ قبل أن تبرد وتسكن.

الرسول يتابع ويحاسب

روى أن جزارا فتح باباً على شاة ليذبحها، فانفلتت منه.. حتى جاءت النبى ﷺ فاتبعها. فأخذها يسحبها من رجلها.. فقال لها النبى ﷺ: «اصبرى لأمر الله. وأنت يا جزار: فسُقْها سوقاً رفيقا»(13).

وتأمل: كيف كان للشاة شخصية اعتبارية تنال حظها من شرف خطاب النبى ﷺ لها.. لتدرك إلى أى حد يكون اعتبار الإسلام.. الذى هو بناء الله تعالى فى أرضه.. ويا ويل من يُعرِّض بنيانه للخطر.

والتعبير النبوى هنا يؤثر لفظ الموت على «الذبح»: «ويلك.. قدها إلى الموت قودا جميلا».

إن لفظ الذبح لا يعطى معنى الفناء.. الذى يعطيه لفظ «الموت»، لأنها بعد الذبح باقية ينتفع بها.. والمغزى: حتى ولو كنت تقودها إلى الفناء، فإن ذلك لا يسقط حقها فى الرحمة.

متى يكون الذبح

والأفضل الذبح فى النهار.. ويجوز فى الليل مع الكراهة(14)؛ لأن الليل تتعذر فيه التفرقة بين اللحم الطازج الطرى.. وغيره.. ومن ثم يفوت بعض المقصود من الأضحية.

ثم إن الأضحية، شعيرة هى جزء من فرحة العيد.. وإذن فأولى أن تكون فى وضح النهار.. لا فى سجوة الليل.. ابتهاجا بها.. وإشاعة للسرور..

(11) رواه مسلم كتاب الصيد ج13.

(12) فى الترغيب والترهيب برقم 1662.. وفيه كلام.

(13) رواه النسائى والحاكم وصححه.

(14) راجع نيل الأوطار ج 5/136.

ومبالغة فى إشاعة السرور قرر العلماء أنه: يستحب ربطها قبل النحر بأيام.. لما فى ذلك من الاستعداد. والتباهى بالرغبة فيها. كما أن من السُّنَّة أن يقلدها.. لأن ذلك شارة تعظيمها.

قيمة التضحية

وتبدو لك قيمة التضحية من خلال هذه الآداب: فالقادر مكلف أن يختار أضحيته.. لا كيفما اتفق.. وإنما عليه أن يتخيرها.. لتكون فى النهاية صفوة الصفوة.. مما يدل على عمق إيمان المضحى.. الذى لا يسحبها من «عتبة السوق».. وإنما يدخل فى عمقه ليختار اختيارا مكلفاً.

إنه اختيار يستهدف: الجميلة.. بهجة للعين.. الوافرة اللحم.. توسعة على الفقراء.. الطيبة اللحم.. متعة للآكلين..

أما غير القادر فإن الإسلام يسامحه.. شريطة ألا يكون راغباً عنها.. زاهداً فيها.. وإنما هو على ما قيل: «العين بصيرة.. واليد قصيرة». وفى قلبه شوق: فيا ليته كان مع المضحين فيفوز فوزاً عظيماً.

التزامهم بالقرآن

كان الصحابة - رضوان الله عليهم - يلزمون أنفسهم بأدب القرآن عند الذبح:

فالله - عز وجل - يقول:

﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾(15).

وكان ابن عمر - رضى الله عنهما - يقول عند الذبح: «باسم الله.. الله أكبر» يقول ذلك تنفيذا لما جاء فى الآية الكريمة:

﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾(16)

ثم قال - سبحانه -:

﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (36) لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾(17).

فكانوا يذكرون.. ويكبرون.

الأضحية وبشائر النصر

إن فى الأضحية.. وما ضمت عليه من قيمة التضحية ما يبشرنا بنصرنا على عدونا.. بنى إسرائيل، فإن قيمة التضحية المغروسة فى ضمير أمتنا، لهى سلاح النصر الذى هو آت لا ريب فيه.. وفى نفس الوقت فهى نذير هزيمة عدونا الذى أفرغ من هذه القيمة كما تحدثت آيات سورة المائدة فى قول الله - عز وجل -:

(15) الحج (36).

(16) الحج (36).

(17) الحج (36، 37).

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٠ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ۝٢١ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ۝٢٢ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٣ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾[18].

وتأمل من معاني الآيات:

١- التذكير بنعمتي الدنيا والآخرة وهي: الملك. والنبوة.. بعد أن كانوا «صعاليك حيارى».

٢- تكليفهم بدفع زكاة يملكون نصابها هي هذا الملك العريض.

٣- فقدان قيمة التضحية.. بنكوصهم على أعقابهم حتى يخرج الجبارون منها ثم تأتيهم غنيمة باردة.

٤- يؤثرون ذلك مع وجود ما يشجعهم على الدخول:

أ- فهي الأرض المقدسة.

ب- وقد كتبها الله لهم.. وضمن لهم النصر.

جـ- ثم إبراز ما ينفرهم من الهروب.

هـ- ورغم تشجيع رجلين منهم لهم فقد أضافوا إلى الجبن سوء الأدب في قولهم: «اذهب أنت وربك فقاتلا».

ويبقى بعد ذلك أن يستيقن الذين تسلحوا بقيمة التضحية أن المستقبل لهم بإذن الله.. وأن النصر قد يتأخر قليلاً أو طويلاً، ولكنه آت لا ريب فيه.. وعندما ندفع ثمنه الغالي.. وإنا لدافعون.

أما بعد: فقد يلح الإعلام المعادي.. ليكسر في أمتنا إرادتها.. وقد يلوح بما يملك من عدة وعتاد.. في محاولة لضرب الروح المعنوية في قلوبنا.. ولكن هيهات.. لأن الله ـ تعالى ـ يقول:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾[19].

فالله سبحانه وتعالى يمتن على هذه الأمة المؤمنة بأن جعلهم واسطة العقد بين البشر.

.. ونحن اليوم مطالبون بشكر الله - تعالى - على نعمة القيادة والريادة.. لنظل دائماً طليعة الركب الميمون.

***

(١٨) المائدة (٢٠: ٢٤).

(١٩) البقرة (١٤٣).

في ذكرى الحج

تنشر مجلة الأزهر هاتين القصيدتين **للشاعر الكبير الأستاذ أحمد محرم** بمناسبة موسم الحج، إجلالاً للموسم وتخليداً لذكرى الشاعر الكبير رحمه الله.

في رحلة الحج[1]

أَقِيمُوا الرُّكْنَ وَابْنُوا لِلشَّبَابِ ... وَزِيدُوا الصَّرْحَ مِنْ آيِ الْكِتَابِ

بِنَاءُ اللَّهِ يُعْجِزُ كُلَّ بَانٍ ... وَإِنْ رَفَعَ الْقِبَابَ عَلَى الْقِبَابِ

أَقِيمُوا الرُّكْنَ، لَيْسَ لَهُ مُقِيمٌ ... إِذَا مَا الْأَمْرُ آذَنَ بِالذَّهَابِ

إِلَى (الْبَيْتِ الْعَتِيقِ) عَلَى رِكَابٍ ... مِنَ الْهِمَمِ الْمُبَارَكَةِ الرِّكَابِ

عَلَى مَتْنِ السَّحَابِ إِلَيْهِ سِيرُوا ... فَإِنَّ مَكَانَهُ فَوْقَ السَّحَابِ

وَمَنْ مَلَكَ الْجَنَاحَ أَصَابَ فِيهِ ... سَرِيرَ النَّسْرِ أَوْ مُلْكَ الْعُقَابِ[2]

أَزُوَّارَ الْمَنَاسِكِ حَدِّثُونَا ... بِمَا فِيهَا مِنَ الْعَجَبِ الْعُجَابِ

قَضَيْتُمْ حَجَّكُمْ فِيهَا فَضَجَّتْ ... هِضَابُ اللَّهِ مِنْهَا وَالرَّوَابِي

تُكَبِّرُ مِثْلَكُمْ أَنَّى حَلَلْتُمْ ... وَتَجْأَرُ بِالدُّعَاءِ الْمُسْتَجَابِ

(١) القيت في حفل تكريم بعض الحجاج من الشباب.

(٢) طائر من الجوارح قوي المخالب وله منقار أعقف.

شهدتم للحجيج بها شعوباً ... تسيلُ جموعها ملءَ الشعابِ

كأنَّ جوانبَ البطحاءِ منها ... جوانبُ زاخرٍ طامي العُبابِ

طوى الأقوامَ، والأنسابُ شتّى ... دمُ الإسلامِ في النسبِ القُرابِ[3]

فهمْ نفسٌ موحّدةٌ وقلبٌ ... وهُمْ أممٌ تفوتُ مدى الحسابِ

نفوسٌ هاجها للهِ داعٍ ... أهابَ بها إلى تلكَ الرحابِ[4]

وردْنَ حياضَهُ وصدرْنَ عنها[5] ... بملءِ الأرضِ من حُسْنِ الثوابِ

منازلُ إخوةٍ وديارُ أهلٍ ... تلاقَوْا عندها بعدَ اغترابِ

حنينُ المؤمنينَ إلى رُباها ... حنينُ الظاعنينَ[6] إلى الإيابِ

بكيتُ لشجوِ[7] مغتربٍ أراهُ ... منَ الشوقِ المُبرحِ في عذابِ

يبيتُ بليلِ مكتئبٍ حزينٍ ... يُعالجُ لوعةَ القلبِ المُصابِ

إذا ذُكرَ (الحطيمُ)[8] فذو انتفاضٍ ... على طولِ التجلُّدِ، واضطرابِ

ويُصعقُ أو يكادُ إذا تغنّى ... (بزمزمَ)[9] شيّقٌ بينَ الصحابِ

وإنْ قصّوا حديثَ (منى)[10] عليهِ ... تقلّبَ بينَ وجْدٍ وانتحابِ

(٣) القريب.

(٤) أهاب به: دعاها. والرحاب: جمع الرحبة وهي الأرض الواسعة.

(٥) ورد الماء: صار إليه خلاف صدر عنه. والحياض جمع الحوض مجتمع الماء.

(٦) الظاعن الذي سار ورحل عن دياره.

(٧) الشجو الحزن والهمّ.

(٨) جدار حجر الكعبة وقيل ما بين الركن وزمزم والمقام.

(٩) بئر في مكة واقعة في الحرم الشريف جنوبي الكعبة بشرق، يشرب الحجاج من مائها تبركًا.

(١٠) موضع شرقي مكة على الطريق المؤدية منها إلى عرفات يقصدها الحجاج عند الفجر من اليوم الثامن من ذي الحجة فيمكثون فيها إلى طلوع شمس اليوم التالي حيث يقصدون عرفة ثم يعودون بعد غروب الشمس حيث يمكثون بها يوم العيد الأكبر وأيام التشريق.

ويسقيهِ هوى (عرفاتٍ)[11] ساقٍ ... فتلكَ النارُ من هذا الشرابِ

وتأخذُهُ (ليثربَ)[12] راجفاتٌ ... تذوبُ لها قُوى الصُّمِّ الصلابِ

يهيمُ صبابةً، ويذوبُ شوقاً ... وليسَ بهِ منَ البُرحاءِ ما بي

ديارُ اللهِ، شاعَ الوحيُ فيها ... فشاعَ النورُ في دُنيا الضبابِ

طوى الآفاقَ، يمسحُ كلَّ سدٍّ ... ويفتحُ للحقائقِ كلَّ بابِ

هو الدينُ القويمُ، فكيفَ تعمى ... قلوبُ العالمينَ عنِ الصوابِ؟

قضاءُ اللهِ ملءَ الأرضِ يجري ... على الراضينَ فيها والغضابِ

أعزَّ المسلمينَ بهِ ففازوا ... وكانَ قضاؤهم فصلَ الخطابِ

أقاموا الحقَّ واتخذوهُ ردءاً[13] ... لتحريرِ الضمائرِ والرقابِ

فما عبدوا سوى الديّانِ ربّاً ... ولا عرفوا أباً غيرَ الترابِ

هو الدستورُ، لا بُهتانُ قومٍ ... لهم في الحكمِ أخلاقُ الذئابِ

يسوسُ العالمينَ، فلا يُحابي ... منَ النفرِ الضعافِ، ولا يُحابي

إذا أمستْ شعوبُ الأرضِ فوضى ... فبشّرْ كلَّ شعبٍ بالتبابِ[14]

***

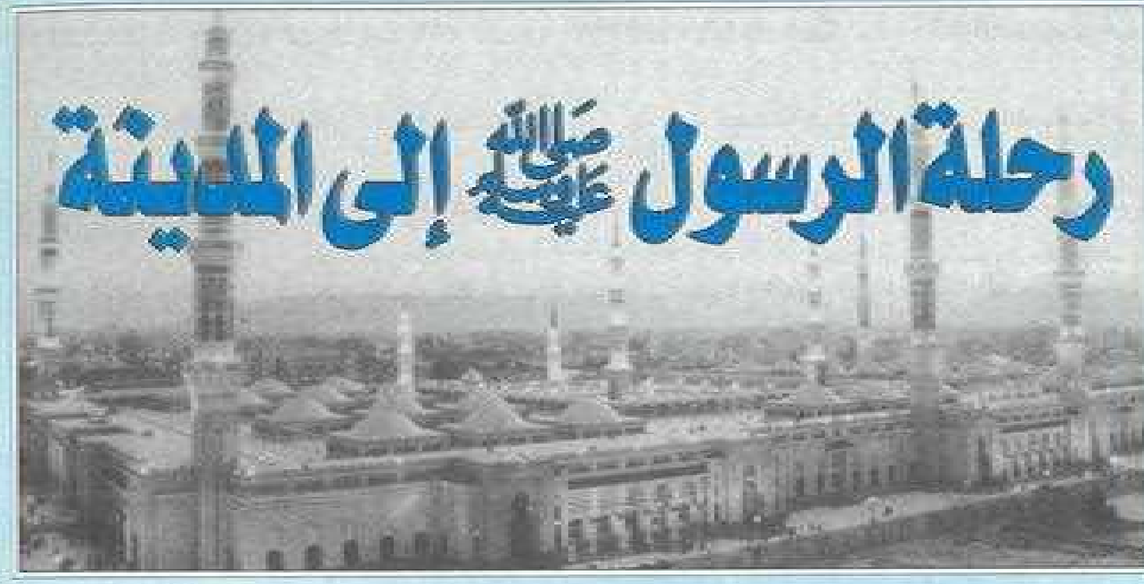
(١١) يقع جنوبي شرقي مكة يقف عنده الحجاج في التاسع من ذي الحجة ليقوموا بأهم منسك من مناسك الحج وفي الحديث «الحج عرفة».

(١٢) المدينة المنوّرة بها المسجد النبوي وبعض المساجد الأثرية، والبقيع الذي يضمّ رفات كبار الصحابة.

(١٣) الردء العون والمعين والناصر.

(١٤) التباب الهلاك.

رحلة الرسول ﷺ إلى المدينة



أقبل ، فتلك ديار يثرب تقبل   يكفيك من أشواقها ما تحمل

طال التَّلوُّم والقلوب خوافقٌ   يهفو إليك بها الحنين الأطول(١)

القوم مذ فارقت مكة أعينٌ   تأبى الكرى، وجوانحٌ تتململ(٢)

يتطلعون إلى الفجاج ، وقولُهُمْ   أفما يطالعنا النبىُّ المرسل؟(٣)

أقبلت فى بيض الثياب مباركاً   يزجى البشائر وجهك المتهلل(٤)

يا طيب ما صنع الزُّبير وطلحةٌ   ولصنعك الأوفى أجلُ وأفضل

(١) التلوم التمكث والانتظار.

(٢) الكرى – النوم. تتململ تترجع من طول الانتظار كانوا يخرجون كل غداة إلى الحرة ينتظرونه صلى الله عليه وسلم حتى يردهم حر الظهيرة.

(٣) الفجاج جمع فج وهو الطريق الواسع.

(٤) هى الثياب التى كساه إياها الزبير وطلحة فى قفولهما من الشام بتجارتهما.

خفَّ الرجال إليك ، يهتف جمعهم   وقلوبهم فرحاً أخفُّ وأعجل

هى فى ركابك، ما بها من حاجة   إلا إليك ، وما لها متحول

هجرت منازلها بيثرب وانتحت   أُخرى بمكة دورها ما تؤهل

وفدان، هذا من ورائك يرتمى   عجلاً ، وهذا من أمامك ينسل(٥)

انظر بنى النَّجار حولك عكّفاً   يردون نورك حين فاض المنهل(٦)

لم ينزلوك على الخؤولة وحدها   كلُّ المواطن للنبوة منزل

نزلوا على الإسلام عندك . إنه   نسبٌ يعمُّ المسلمين ويشمل

***

ما للديار تهزُّها نشواتها ؟   أهى الأناشيد الحسان ترتَّل ؟(٧)

رفّتْ نضارتها . وطاب أريجها   وترددت أنفاسها تتسلسل(٨)

فكأنما فى كل مغنًى روضةٌ   وكأنما فى كل دار بلبل

هُنَّ العذارى المؤمنات أقمنه   عيداً تحييه الملائك من عل

فى موكبٍ للّه أشرق نوره   فيه ، وقام جلاله يتمثَّل

(٥) ينسل يسرع.

(٦) كان معه فى قدومه من قباء إلى المدينة ملأ من بنى النجار متقلدين سيوفهم، وهؤلاء غير الذين لقوه واحتفلوا بمقدمه. ويردون من ورد الماء إذا قصده للشرب.

(٧) فرح النساء والعذارى كما فرح الرجال بمقدمه، ومما قيل فى ذلك:

تحن جوار من بنى النجار   يا حبذا محمد من جار

(٨) رفت برقت وتلألأت.

جمع النبيين الكرام فآخذٌ ... بيد الإمام وعائذٌ يتوسل(٩)

يمشى به الرّوح الأمين مسلّمًا ... وجبينه بفم النبى مقبّل

إيه بنى النجار إنّ محمّدًا ... لأشدُّ حُبًّا للتى هى أجمل(١٠)

خلّوا سبيل الله ، ما لرسوله ... عمّا أعدّ من المنازل معدل

ذهبت مطيّته ، فقيل لها ، قفى ... هذا مناخك ، لست ممّن يجهل

النّاس فى طلب الحياة . وها هنا ... سرٌّ لها خافٍ ، وكنزٌ مقفل

أعطى أبا أيوب رحلك . واحمدى ... من أمر ربّك ما يجىء ويفعل

ودعى الزّمام لأسعد بن زُرارة ... فاليه بعد الله أمرك يوكل(١١)

لمّا حملت الحقّ أجمع والهدى ... أمسى بحبل الله حبلك يوصل

يتنافس الأنصار فيك ، وما دروا ... لمن المفاز ، وأيُّهمْ هو أول

هى كيمياءُ الحقّ لولا أنّها ... تهدى العقول لخلتها لا تعقل

دنيا من العجب العجاب . ودولةٌ ... يهوى النُّضار بها ، ويعلو الجندل(١٢)

---

(٩) عائذ: لاجئ.

(١٠) كان صلى الله عليه وسلم كلما مر فى طريقه إلى المدينة بقوم سألوه أن ينزل فيهم فيقول: خلوا سبيلها - يعنى ناقته القصواء - فإنها مأمورة، فلما بلغ دار عدى بن النجار قال له بنوه: نحن أخوالك. لا تجاوزنا؛ فقال: خلوا سبيلها. فذهبت حتى بركت عند دار بنى مالك بن النجار بمقربة من باب أبى أيوب الأنصارى - رضى الله عنه - وذلك فى محل المسجد، واستأذن أبو أيوب النبى فى حمل رحلها إلى داره فأذن له - ونزل رسول الله ومعه زيد بن حارثة - رضى الله عنه - على أبى أيوب، وقال: المرء مع رحله. فمكث عنده حتى تم بناء المسجد.

(١١) أخذ أسعد بن زرارة - رضى الله عنه - ناقة النبى إلى داره.

(١٢) النضار: الذهب والجندل: الصخر.

أرأيت أهل الكهف لولا سرُّها ... هل كان يكرم كلبُهم ويُبجَل؟(١٣)

شكرًا أبا أيوب فزت بنعمة ... فيها لنفسك ما تريد وتسأل

ما مثلُ رفدك فى المواطن كلها ... رفدٌ يضاعف ، أو عطاءٌ يجزل(١٤)

لله دارك من محلّة مؤمن ... نزل الحمى فيها ، وحلَّ المعقل

نزل النبىُّ بها ، فحلَّ فناءها ... مجدٌ يقيم ، وسؤددٌ ما يرحل

مجدُ النبوّة فى ضيافة ماجد ... سمح القرى ، يسدى الجزيل ويبذل(١٥)

وسعت جفان المُطعمين جفانه ... كرمًا ، فما يأبى ، ولا هى تبخل(١٦)

أضفى على السّعدين بُرْد سماحة ... فاهتزّ جودُهما ، وأقبل يرفل(١٧)

جذلان محتفلًا ، يقرّب منهما ... لله ما يرضى وما يتقبّل

جعل القرى سببًا إلى رضوانه ... والبرُّ والايمان فيما يجعل

***

---

(١٣) جاءت قصتهم فى سورة الكهف من القرآن الكريم. ويبجل: يعظم.

(١٤) الرفد العطاء، والصلة، والجزل الكثير.

(١٥) القرى ما يقدم للضيف. الجزيل الكثير.

(١٦) كان المسلمون يتنافسون فى حمل الجفان إلى دار أبى أيوب كرامة للرسول الكريم ومساهمة منهم فى شرف ضيافته. وكانت توافيه جفنة سعد بن عبادة. وجفنة أسعد بن زرارة - رضى الله عنهما - كل يوم، وكانت جفنة سعد بعد ذلك تدور معه صلى الله عليه وسلم فى بيوت أزواجه رضى الله عنهن.

(١٧) هما سعد وأسعد على قاعدة التغليب.

﴿ فَسْئَلُوٓا أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين،

اطلعنا على الطلب المقدم من/ مجلة الأزهر المقيد برقم ٢٢٠٧ لسنة ٢٠٠٣ والمتضمن مجموعة من الأسئلة وبياناتها وبيان أجوبتها كالتالى:

● السؤال الأول:

رجل نذر نذراً ذبيحة ماعز ولكنه لاحظ أن ثمنه لو باعه سيشترى به لحماً أكثر لإطعام الفقراء فهل يحل له ذلك وهل يأكل هو وأهله من هذه اللحوم؟

●● الجواب:

المقرر شرعاً أنه يجب الوفاء بالنذر متى كان لله ويبتغى به الناذر وجه الله وكان طاعة لله عملاً بقوله تعالى:

﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴾

(الإنسان ٧)

ولا يجوز تحويل النذر من الذبح إلى شراء اللحم لأن الناذر قد أوجبه على نفسه فوجب الوفاء به وهو ما قدره لنفسه، ولا يجوز للناذر أن يأكل من نذره ولا أهل بيته وإنما يجب عليه أن يوزعه جميعه على فقراء المسلمين.

والله سبحانه وتعالى أعلم

● السؤال الثانى:

رجل أقسم على زوجته بالنص «أنت طالق ثلاثاً» وهى المرة الأولى الذى يفعل ذلك فماذا يفعل وهل عليه كفارة يمين بعد ردها فى العدة؟

●● الجواب:

بقول الزوج لزوجته فى المرة الأولى «أنت طالق ثلاثاً» فهذا اللفظ من قبيل الطلاق الصريح المنجز الذى يلحق الزوجة بمجرد التلفظ به بدون الحاجة إلى نية، فيقع عليها طلقة واحدة أولى رجعية لأن الطلاق المتعدد

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

على جمعة

مفتى جمهورية مصر العربية

لفظاً أو إشارة لا يقع إلا واحدة عملاً بالقانون رقم ٢٥ لسنة ٢٩ المأخوذة أحكامه من أقوال بعض فقهاء المسلمين وحيث إنه راجعها خلال فترة العدة فتكون الحياة الزوجية قد عادت بينهما.

ولا كفارة على الزوج فى هذا اليمين.

والله سبحانه وتعالى أعلم

● السؤال الثالث:

هل على أصحاب العمارات والمساكن المؤجرة زكاة مال إذا كان دخلهم أقل من النصاب أو يكاد بالكاد أن يكفيهم فى حياتهم.

●● الجواب:

من المقرر شرعاً أن زكاة المال ركن من أركان الإسلام الخمسة وفرض عين على كل مسلم توافرت فيه شروط وجوب الزكاة وأهمها أن يبلغ المال المملوك النصاب الشرعى وأن تكون ذمة مالكه خالية من الدين وأن يمضى عليه سنة قمرية.

والنصاب الشرعى هو ما يعادل قيمته بالنقود الحالية ٨٥ جراما من الذهب عيار ٢١.

وبناء على ذلك إذا تحققت هذه الشروط فى ما تدره هذه العمارات على أصحابها فيجب فيها الزكاة بواقع ٢,٥٪، أما إذا كان إيراد هذه العمارات غير فائض عن حاجة أصحابه وبالتالى لا تتوفر فيه الشروط المنوه عنها سابقاً فلا زكاة عليها.

والله سبحانه وتعالى أعلم

● السؤال الرابع:

هل قروض الشباب من الصندوق الاجتماعى حلال أم حرام؟

●● الجواب:

المقرر شرعاً أن كل قرض جر نفعاً فهو ربا فإذا كان المقترض مضطراً لأخذ هذا القرض فلا مانع عملاً بالقاعدة الشرعية الضرورات تبيح المحظورات أما إذا كان المقترض غير مضطر لأخذ القرض فلا يجوز له أخذ القرض.

والله سبحانه وتعالى أعلم

● **السؤال الخامس:**

يقول السائل «أبي صاحب مخزن فراشة للأفراح والمآتم وهناك بعض الأخطاء التى قد تحدث عفوياً أو بقصد وأخص منها التالي: قد يطلب أحد الزبائن عدداً معيناً من الكراسي وليكن مثلاً ٥٠٠ كرسي ولعدم توافر الكراسي نرسل ٤٠٠ كرسي ونحاسبه على ٥٠٠ كرسي إذن هناك حساب مدفوع مقابل كراسي لم ترسل»، فما حكم الدين في هذه الزيادة في الحساب وإن كانت حراما فما وضعي أو موقفي من هذه الأموال علما بأني نصحت أبي بأن هذه الأموال ليست من حقنا ويجب أن ترد لأصحابها ولكنه لا يستجيب لي.

●● **الجواب:**

إذا كان الحال كما ورد بالسؤال فلا يجوز لوالد السائل أن يأخذ إيجار الكراسي التي لم يرسلها للمستأجر لأنه في هذه الحالة يأخذ أموال الناس بغير وجه حق، وعلى السائل أن ينصح والده ملتزما بآداب النصيحة بأن يمتنع عن هذا الفعل وأن يرد هذه الأموال إلى أصحابها.

والله سبحانه وتعالى أعلم

● **السؤال السادس:**

أعطى رجل لأخيه مبلغاً من المال للتجارة وعندما توفى هذا الرجل سألت زوجته أخاه هل عندك حساب أم لا؟ هنا احتار الأخ لأن هذا المبلغ لا يعلم به أحد غير أخيه المتوفى وهذه الزوجة فقط وكان ينوى أن يتصدق به على روح أخيه المتوفى لكن البعض نصحوه بأن هذا المبلغ من حق الورثة وهم الزوجة وأخ شقيق وأخت شقيقة وعندما عرض هذا الموضوع على الزوجة قالت له إنه لي وحدى فقد وهبه أخوك لي قبل الوفاة بعشرة أيام أثناء مرضه.

وهو يسأل في حيرة «هل لو أعطيتها المبلغ كاملاً دون باقي الورثة هل أحاسب عليه ويكون عليّ وزر أم سيكون الوزر عليها فقط، أم أقسم المبلغ على الورثة حسب الأنصبة علماً بأن الهبة ليست مكتوبة أو يعلم عنها أحد سوى شهادة الزوجة لنفسها فقط.

●● **الجواب:**

إذا كان الحال كما ورد بالسؤال فإذا صدق الورثة هذه الزوجة فيما تدعى من أن زوجها قد وهبها هذا المال قبل وفاته فلا مانع أن تأخذ هذا المال لنفسها.

أما إذا اعترض الورثة على قولها فيعتبر هذا المال تركة للجميع ويقسم بقسمة الميراث الشرعية. ومما ذكر يعلم الجواب عما جاء بالأسئلة.

والله سبحانه وتعالى أعلم

***

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾

النحل: ١٢٥

المنهج العلمى للحوار فى الإسلام

لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف

رئيس لجنة الحوار بالأزهر الشريف

«« إذا كان الحوار هو وسيلة التعارف الذى أمر الله به الشعوب والقبائل، وبالتعبير الحديث أمر الله به الدول والممالك فى شتى بقاع العالم... فما هو المنهج العلمى للحوار فى الإسلام؟ »»

لنرجع إلى كتاب الله - عز وجل - لنتعرف على هذا المنهج الإسلامي، فسنجد أن القرآن الكريم يقول محددا أسلوب الحوار ومنهجه في نقاط واضحة حاسمة لا تقبل التأويل، وقد لخصت تلخيصا تاما وافيا في هذه الآية الكريمة:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾

النحل ١٢٥

فأول ما يجب الاتصاف به في الحوار الديني هو: الحكمة.

والحكمة في القرآن الكريم جاءت مشتملة على معان عدة، منها: الرشاد والعدل والتفقه في الدين والالتزام بالموضوعية وقبول الحق والتسليم به و غير ذلك... وكلها أمور لابد من الالتزام بها لمن يتصدى للحوار.

فلابد للمحاور أن يكتمل له الرشد، وهو العقل، إذ لا يجوز أن يتصدى للحوار إنسان غير راشد لا يدرك طبيعة الموضوع الذى يتحاور فيه.

وأن يكون عادلا فلا تأخذه شهوة التغلب والسيطرة والتعصب للرأى أو الفكر، أو التقليد الأعمى العقيم، أو الانقياد إلى الهوى والرغبة فى تحقيق منافع شخصية، أو الطموح إلى الشهرة... إلى غير ذلك من الأسباب التى تجعله يخالف الحق الصريح الذى يلوح له ويظهر أمامه، وتجعل الحوار لا فائدة منه، بل على العكس تكون النتيجة أن يزداد الخلاف، وتتسع الفجوة بين المتحاورين، وتتباعد المسافات، وتنشأ الصراعات، وتحدث المصادمات.

ولكن لو تجرد أطراف الحوار من التعصب للرأى، واحترم كل طرف رأى الطرف الآخر، وتم إفساح المجال أمام كل طرف كى يعبر عن وجهة نظره دون مصادرة لقوله، أو توجيه إساءة له، مع الرغبة الأكيدة الصادقة لكل طرف فى الوصول إلى الحقيقة، والتزم الجميع بالحكمة التى تقول: «رأيى صواب يحتمل الخطأ، ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب، ونتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه» لنجح الحوار وتحققت غايته.

ثم لابد من التفقه والعلم بأمور الدين، إذ لا تكفى الحماسة وحدها لتحقيق الحوار العادل الذى يعتمد على الأدلة القوية، والبراهين الناصعة، والمعلومات الوافية عن الموضوع، والإلمام الكامل بها... وأن يقدم كل طرف الدليل القوى، والبرهان الناصع الذى يؤيد رأيه... حتى إذا ما اتضحت الحقيقة، واستبان الصواب كان ذلك مبنيا على علم مدعم بالأدلة والبراهين الساطعة من غير أن يقلل من شأن أى طرف، وهذا هو منطق العقلاء.

وأيضا لابد من الالتزام بموضوع الحوار، وعدم الخروج عنه عند المناقشةوتبادل الآراء فيه بين المتحاورين.. فكثيرا ما نرى عند مناقشة موضوع معين محدد تعمد بعض الأطراف المتحاورة الخروج عن الموضوع والدخول فى موضوعات فرعية جانبية لا علاقة لها بالموضوع الأصلى، فتتوه الحقيقة، ويتشتت الفكر، وتتشعب المسائل، وبدلا من أن يكون القصد هو الوصول إلى حل مشكلة معينة محددة هى موضوع الحوار، إذ بنا نغوص فى مستنقع من المشكلات ظهرت فجأة ولم تكن فى الحسبان، بعد أن اختلطت الأوراق وتداخلت الموضوعات.

كما يتعين أن يكون لدى أطراف الحوار النية الخالصة، والرغبة الأكيدة فى الوصول إلى الحقيقة ومعرفة الصواب فى الموضوع محل الحوار، وفى قبول الحق والتسليم به متى ثبت بالدليل الواضح، والبرهان الساطع، والحجة القوية السليمة، حتى ولو كان إظهار الحق على يد الطرف الآخر.

يقول الإمام الغزالى ـ عند الحديث عن الآداب التى يجب أن يتحلى بها المتناظران والمتحاوران فى مسألة معينة ـ يقول[١]: أن يكون فى طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه، ويرى رفيقه معينا لا خصما، ويشكره إذا عرّفه الخطأ وأظهر له الحق، كما لو أخذ طريقا فى طلب ضالته فنبهه صاحبه على ضالته فى طريق آخر، فإنه كان يشكره ولا يذمه، ويكرمه ويفرح به، فهكذا كانت مشاورات الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ حتى إن امرأة ردّت على عمر ـ رضى الله عنه ـ ونبهته على الحق وهو فى خطبته على ملأ من الناس فقال: أصابت امرأة وأخطأ رجل «أى عمر»، وسأل رجل عليا ـ رضى الله عنه ـ فأجابه، فقال: ليس كذلك يا أمير المؤمنين ولكن كذا وكذا، فقال: أصبت - وأخطأتُ وفوق كل ذى علم عليم.

هذا كله يؤخذ من قول الله عز وجل: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ ﴾. وقد تكون الحكمة واضحة، ولكن وضوحها يصطدم ببعض النفوس التى لاتخضع للحق، ولكنها تسلك سبيل المراوغة والتضليل فى حوارها، وتلك حالة تتقززّ منها النفس، وتنفر منها الطباع السليمة... لأن الإنسان إذا وجد من يحاوره عدولا عن الحق إلى المراوغة والتعمية يتأذى نفسيا، ويضيق صدره، ولكن عليه فى هذه الحالة أن يضبط شعوره، ويكظم غيظه.

فلا يقابل المراوغة بالمراوغة، ولا يقابل الكيد بالكيد، ولا يواجه التضليل بالتضليل، ولكن يحاول إرشاد هذه النفوس إلى الحق والصواب بالتى هى أحسن.

يقول الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ: «ما ناظرت أحدا قط فأحببت أن يخطىء، وما كلمتُ أحدا قط وأنا أبالى أن يُظهر الله الحق على لسانى أو على لسانه، وما أوردتُ الحق والحجة على أحد فقبلها منى إلا هبْته واعتقدت محبته، ولا كابرنى أحد على الحق إلا سقط من عينى ورفضته، ووددت لو انتفع الناس بعلمى دون أن ينسب إلىّ منه شىء».

أما الأمر الثانى: فهو الموعظة الحسنة، وهى فى صميم معناها تدل على النصيحة الخالصة، والنصيحة الخالصة تصادف موضع القبول إذا صدرت عن إخلاص لا تشوبه شائبة، وصاحب الموعظة الحسنة إذا كان ناصحا أمينا فإنه يجذب إليه من يحاوره إذ يلمس فيه اتباعه طريق

(١) إحياء علوم الدين ص١ ص٧٦، طبعة دار الحديث، القاهرة.

الصواب، فيحوز ثقته العلمية والخلقية، وحتى حاز المحاور ثقة مناظره فإنه يستمع إليه باهتمام، ويمكن بعد ذلك أن يؤدى النقاش إلى التفاهم والاتفاق... أما إذا لم يحز المحاور ثقة صاحبه فإنه يشعر بنفور منه مهما كانت أدلته واضحة البرهان، ويظل ملتمسا وجوه الجدال فيما يقول، لذلك كانت الموعظة الحسنة ذات نفع وأثر فى الإقناع، ولن تكون الموعظة حسنة فى القول وحده، بل لابد من السلوك المستقيم، لأن هذا السلوك العملى من أقوى دلائل الإقناع.

ولكى تكون الموعظة حسنة وتؤتى ثمارها الطيبة، وتحقق ما قصدته الآية الكريمة:

﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾

يجب أن تتوفر فى الواعظ عدة أمور منها:

أن يترفق الواعظ بمن يعظه ويرشده إلى الحق والصواب، كترفق الوالد على بنيه، قال رسول الله ﷺ: «إنما أنا لكم مثل الوالد لولده»[٢].

وأن يتقرب الواعظ بعمله إلى الله، فيجعله خالصا لوجهه -تعالى- وأن يحتسب أجره عند الله، فلا يطلب الدنيا بعمله ولا يجعلها أكبر همه. وأن يحافظ الواعظ على مشاعر وأحاسيس وكرامة من يعظه، ويكون كلامه بطريق التلميح والتعريض لا بطريق التصريح والتوبيخ..

وأن يراعى الواعظ قدر فهم من يعظه، وقدرة استيعابه لما يلقى عليه مقتديا برسول الله ﷺ حيث يقول: «نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم»[٣]، ولذلك قيل: «كل لكل عبد بمعيار عقله، وزن له بميزان فهمه حتى تسلم منه وينتفع بك، وإلا وقع الإنكار لتفاوت المعيار».

وأن يكون الواعظ عاملا بعلمه، فلا يكذب قوله فعله، لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار، وأرباب الأبصار أكثر، قال الله تعالى:

﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾

آية ٤٤ سورة البقرة

أما الأمر الثالث: فهو المجادلة بالتى هى أحسن، والمجادلة بالتى هى أحسن هى ثمرة من ثمار الحكمة والموعظة الحسنة، لأن الذى يحاول الحوار بالتى هى أحسن لابد وأن يكون حكيما فى قوله وفعله، ولابد أن يكون ناصحا أمينا، ولابد وأن

---

(٢) أخرجه أبوداود، والنسائي، وابن ماجه، وابن حيان، من حديث أبي هريرة.

(٣) من حديث أبي بكر بن الشخير.

يكون قد اكتملت فيه مقومات الداعية الناجح... وقد أكد الله عز وجل هذا المعنى فى قوله:

﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن﴾

العنكبوت: ٤٦

فهذه الآية الكريمة تدعو المؤمنين إلى الالتزام باستعمال الطريقة الحسنى فى مجادلة أهل الكتاب، وأن يكون الحوار بأسلوب لين كريم يحافظ على العلاقة الطيبة والمودة القائمة، وذلك لأن الذى يدافع عن عقيدته الدينية غالبا يكون متحمسا لرأيه كل التحمس، وقد يلجأ تحت تأثير هذا التحمس إلى الغلظة فى القول، والحدة فى الأسلوب... فيضطر منازعه إذا كان ضيق الصدر إلى مقابلة الغلظة بالغلظة، والحدة بالحدة، وهذا يفسد الحوار، وتنقطع أسباب المجادلة التى تؤدى إلى معرفة الحق والصواب..

والنفس البشرية هى النفس البشرية فى كل زمان ومكان، لذلك حذر الله- عز وجل- من الغلو فى الجدل الناشز،

وضرب أمثلة لهؤلاء الذين يظهرون الانصياع إلى الحق ظاهرا وهم فى الباطن مفسدون فاسدون، يقول الله تعالى:

﴿ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام ﴿٢٠٤﴾ وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ﴿٢٠٥﴾ وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد﴾

سورة البقرة: ٢٠٤-٢٠٦

وقد روى الترمذى عن رسول الله ﷺ قوله: «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم»، والألد هو الدائم الخصومة، وهو الذى لا يميل إلى الحق متى اتضح وجهه، ولكنه يظل يمارى ويجادل بالباطل، لأنه لا يريد فى الحوار أن تظهر الحقيقة، بل يريد الغلبة والسيطرة، ومنهم من يريد بذر الشقاق والخلاف وإشعال الضغائن.. وهؤلاء هم الذين يكرههم الإسلام ويقول الله عنهم:

﴿وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل﴾

***

كتاب الشهر

حوار لا مواجهة

تأليف

الدكتور/ أحمد كمال أبو المجد

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين



د. أحمد كمال أبو المجد

إذا كان الدكتور أحمد كمال أبو المجد فى كتابه (حوار لا مواجهة) أراد بإيقاف المسلمين على حقيقة الحوار الإسلامى .. أن يحميهم من استهواء الشعارات الغربية التى تشكك فى حقيقة الإسلام .. فإنه ـ كذلك ـ أراد أن يقى المسلمين الوقوع فيما وقع فيه بعضهم ـ تحت ضغط ظروف معينة، أو بجهل منهم بحقيقة الإسلام ـ فتوهموا أن الإسلام يعنى العنف مع الآخرين فى كل شىء، والتجهم الدائم، والقسوة التى لا تعرف اللين، واجتناب اليسر فى شتى شئون الحياة. وأراد أيضا أن يبرىء من هوى منهم فى هذا الحضيض المبير، وأن ينتشلهم من الدرك الذى هووا إليه، فأساءوا إلى الإسلام أبلغ الإساءة، مثلما أساءوا هم إلى أنفسهم ومن معهم من عامة المسلمين، فشغلوا أنفسهم، وشغلوا غيرهم عن التوجه الجاد ـ داخل الإطار الإسلامى الخالص ـ إلى اقتحام عقبات التقدم والتفوق فى العصر الحديث، وانصرفوا ـ فى مواجهات متصارعة ـ عن تسنم ما يليق بالمسلم الخالص من مكان ومكانة من هذا العالم؛ فهو يمزج ـ فى دراسته ـ بين التشخيص المتشعب العميق للعلة، وتقديم الدواء الناجع للعلاج مما أصاب المسلمين، وإلى تقديم المصل الواقى من إصابة الصحيح!

الأزهر

ما وراء انقطاع الحوار..؟

والدكتور ـ فى رصده أحوال الكثرة من الشباب الذين يرفعون شعارات الإسلام، ويعملون له ـ يلاحظ: أن هؤلاء الشباب انجرفوا إلى غربة عن مجتمعهم، قادتهم إلى جفوة مظلمة بينهم وبين جميع حكوماتهم، تحولت إلى صراع مادى ومعنوى، وأوقعتهم فى عدة مآس خطيرة، فرضها الواقع عليهم، أو فرضوها هم على أنفسهم.. من أبرزها:

١ ـ انفرادهم بتعريفات خاصة لعدد من المصطلحات الدينية ـ مثل الإيمان، والكفر، والجاهلية، والطاغوت ـ وجعلوا من هذه التعريفات ميزانا يصرون على وزن كل الناس بها، دون اهتمام بما يضمه التراث الإسلامى من تعريفات أخرى، مما دفع بهم إلى الانفصال السياسى، وتوكيد الذات فى مواجهة الآخرين.

٢ ـ تكفيرهم المجتمعات المعاصرة، ووصفها بالجاهلية، حتى صاروا يكفرون من لم يكفر من يعادون، ملتزمين بما أفرزه فكر الخوارج، من غير حجة حاسمة، ولا دليل بين.

٣ ـ قصر تفسيرهم معنى الجماعة على تفسير الخوارج، وبلغ بهم الشطط فى تضييق معنى الجماعة إلى درجة استباحوا معها قتل المسلم لأى شبهة.

٤ ـ اندفاعهم فى الخشونة والعنف إلى الدرجة التى أوجبت عليهم مقاطعة المجتمع الذى يعيشون فيه بكل ما فيه من مؤسسات، حتى تنادوا باعتزال المجتمع اعتزالا ماديا، ولو إلى الكهوف والجبال، متوهمين أن هذا الاعتزال إن هو إلا هجرة كهجرة الرسول ﷺ وأصحابه.

ومن هنا.. وقف الدكتور على واحد من أخطر أسباب انفصام المسلم من أخيه المسلم.

وفى هذا الصدد.. رأى انقطاع الحوار بين العرب بعضهم مع بعض ـ وليس بين الشباب الإسلامى وحده ـ على الرغم من حاجتهم الماسة إلى الاجتماع الملتئم ليواجهوا ـ يدا واحدة ـ أطماع الآخرين فيهم وفى ثروات بلادهم، وسعيهم الدائب للهيمنة على مقدراتهم.. ومع التأمل الفاحص، وجد الدكتور أن هذه الفرقة العربية ناشئة عن:

أ ـ الاهتمام المستغرق من كل حاكم عربى بالإصلاح الداخلى، والاندفاع إلى دعم كيانها المستقل الوليد، بما صرفهم تماما عن البعد القومى، على الرغم من أن هذا البعد تؤكده المصالح العامة والخاصة.

ب ـ اتفاق كثير من الساسة والقادة العرب على أنفسهم من عواقب الحوار، الذى أصبح ـ فى تصورهم ـ مدخلا إلى مزيد من الخلافات.

وخلص الدكتور من ذلك إلى تقرير حقيقتين، هما: أن مستقبل العرب لا يمكن تأمينه فى غيبة تخطيط استراتيجى، يجب أن يبدأ بغير إبطاء، وأن إدارة الحوار حول هذه

الموضوعات كلها ينطوى على مخاطر جسيمة، إذا لم يكن هناك اتفاق على منهج موضوعى للحوار.

وهذا يعنى.. أن البداية الطبيعية لاستئناف الحوار تحتاج إلى:

أولاً: أن تتبنى جامعة الدول العربية الدعوة إلى مؤتمرات علمية، تضم المتخصصين للوصول إلى الاستراتيجية العربية تجاه موقف الغرب من الدول الكبرى، والاستراتيجية العربية فى مواجهة الكيان الصهيونى، والتخطيط المتكامل بعيد المدى لقضية التنمية.

ثانياً: أن يضاعف الكتاب والمثقفون عنايتهم بضبط قواعد الحوار وآدابه، وأن يهجروا - إلى غير رجعة - أسلوب الإثارة، وحملات التجريح التى يتوهم بعضهم أنها تقوى نظاما على حساب نظام، أو تعين حاكما عربيا على حاكم عربى آخر، بعيدا عن أساليب التدليس الإعلامى التى لم تعد سرا على أحد.

ثالثا: أن يتجدد لدى الساسة والقادة الالتفات إلى أهمية الدور المنوط بهم.. وأهمية التقائهم فى فترات متقاربة ومنتظمة.

مكان الشريعة الإسلامية من العصر الحديث

وفى الفصل الثانى (العقل وتطبيق الشريعة الإسلامية) يرصد الدكتور - فى مواجهة الشريعة الإسلامية - إطارين مختلفين متباعدين، ينبعث منهما الجدل.

أحدهما: يبدأ من قبول النصوص الشرعية بدون تحفظ وينتهى إليها.

وثانيهما: يبدأ بعيداً عن النصوص الشرعية للنظر فى مصالح الناس كما يتصورها الناس.

ومع هذا التباين الواضح بين الإطارين، يحرص أكثر المشاركين فى الحوار الدائر على عدم الإفصاح عن انتمائهم، ويكتفون بتخطئة بعضهم بعضا، اعتقادا من كل طرف أنه وحده الذى يملك الحقيقة الكاملة.

ويرى الدكتور: أن التردى فى التقدير بدون انفعال يقودنا إلى الالتقاء عند نقطة الاتفاق والتوازن التى تعين الطرفين على وضع الجهد المبذول فى موضعه الصحيح، ولكى يصلوا إلى نقطة الاتفاق تلك.. عليهم أن يتذكروا أمورا أربعة:

١ - أن من الخطأ الفادح محاولة الفصل بين حكم تشريعى، وبين أصوله الحضارية والفكرية، فلا يصح أن تعزل بعض أحكام الشريعة الإسلامية عن نظرية الإسلام الشاملة للحر[illegible] والصالح داخل الجماعة، فالتشديد فى [illegible]اقبة السارق بقطع يده مثلا، ليس من أجل المال وحده، وإنما هو من أجل حماية قيمة اجتماعية مهمة، تتمثل فى حماية أمن الناس فى أنفسهم ومساكنهم وأموالهم، ولهذا لم تشرع تلك العقوبة المشددة فى جريمة (غصب المال)، وقصرت على تسور المعتدى حدود الحرز الذى يحيط به المالك ملكه.

٢ - أن الشريعة غير الفقه، فالشريعة هى مجموع أحكام الله - تعالى - الثابتة عنه وعن النبى ﷺ، ومصدرها الكتاب والسنة - وهذه يجب على المسلم طاعتها - أما الفقه فهو ثمرة الجهد المبذول من العلماء للنظر فى الشريعة، استخلاصا لأحكامها، وتفسيرا لنصوصها، وقياسا على تلك النصوص فيما لم يرد فيه نص، ولذلك.. فليس واجبا على المسلم طاعته، فالذين اجتهدوا فى ذلك مثلنا تماما، متى توافرت لنا شروط الاجتهاد والنظر.

٣ - أن مجال الاجتهاد فى التشريع مجال واسع وكبير، لأن ما لم تتناوله النصوص القطعية كثير، بالقياس إلى ما تناولته - وهذا دليل الحكمة والكمال فى الشريعة، لأنه - سبحانه وتعالى - كما أودع ناموس الحركة فى الكون والمجتمع - أودع نعمة العقل فى الرءوس، ليلاقى ناموس الحركة بمثلها، فيتوافق التطور فى الحياة، مع التطور فى الأحكام، حتى تتحقق مقاصد الشريعة وحمايتها.

٤ - أن الواقع الاجتماعى هو السند المادى لكل نشاط تشريعى فقهى، مما يلزم عليه وجوب اتجاه جزء كبير من الاجتهاد إلى رصد الظواهر الاجتماعية، وفهمها، وتحليلها، وتصور الحلول التشريعية المختلفة التى تتعامل معها، والتى تقبلها الشريعة الإسلامية وتتسع لها.

العلماء ومستحدثات العصر

ويقدم الدكتور صورة حية لما يعانيه المسلمون إزاء ما يواجهونه فى حياتهم اليومية، مما لم يعرض كثير منه للأجيال السابقة من المسلمين، فيتركهم فى حيرة بين أمرين متعارضين، لا يقبلهما عقل مؤمن، ولا يرضى عنهما الله؛ فهم إما أن يرفضوا كل هذا الجديد، إيثاراً للسلامة، فيظلوا جامدين أمام الحياة المتحركة، وإما أن يقبلوا كل جديد على علاته، فينخلعوا عن كثير مما جاء به الإسلام فى سبيل تحركهم مع الحياة، وفى كلا الأمرين تصادم مع شرع الله وسننه الكونية، التى لا يمكن بأى حال أن تتصادم، ولا يمكن أن ينشأ عنها تصادم.

وهذا يعنى: أن المسلك الذى لا يقبل السوى بديلا عنه - حتى يزول واحد من أبرز أسباب الصراع والحيرة - هو أن يتصدى العلماء لكل موقف جديد ليقيسوه على مبادىء الإسلام ونصوصه، ومقاصده العامة، باذلين جهدهم فى فهم تلك المبادىء، وتفسير النصوص، وفى فهم الواقع الجديد والمواقف المستحدثة ليقيسوها على تلك المبادىء والنصوص، وفى السعى الجاد - مع الجماعة ككل - إلى اكتشاف المصالح والمفاسد التى تتحقق أو التى تفوت بقبول الجديد من الأوضاع، والنظم، وأشكال الحياة؛ مثل المعاملات البنكية والائتمانية والتأمينية، وتنظيم النسل، ونقل الأعضاء والتبرع بها أو بيعها، وغير ذلك، مثلما

صنع أسلافنا مع ما صادفوا من مستحدثات.

وحتى يتجنب علماؤنا ما قد يخشونه من الاختلاف الحاد.. يرى الدكتور أن عليهم أن يقتحموا تلك العقبة بالاتفاق على أسلوب واضح فى معاملة المخالفين، وفى منهج البحث، وذلك باستكمال أدوات الاجتهاد، والاتفاق على قواعد الاختلاف بين العلماء ومنهجه، لأن القضية قضية الجيل الذى ينتظر كلماتهم الهادية، ليقيم حياته على أمر الله.

ولعل أخطر القضايا الخلافية التى يرصدها الدكتور أبو المجد.. هى قضايا (الحكم فى الإسلام) حيث يمارى بعض المسلمين فى جمع الرسول ﷺ بين الرسالة والحكم السياسى، ويصرون على أنه لم يكن سوى نبى رسول، ولم يكن ملكا، مسقطين من حسابهم البعد التاريخى الذى يؤكد أن النبى ﷺ كان فعلا رئيسا حاكما بأمر الله - تعالى - كما كان نبيا رسولا.

بين الشورى الإسلامية والديمقراطية الغربية

ويلحظ الدكتور أن قضايا أخرى تنبثق عن قضية (الحكم فى الإسلام)، وأن جميع تلك القضايا يثير أمام علماء المسلمين ومفكريهم سلاسل من الخلافات، لابد من حسمها على طريق الحوار الجاد الواعى المتوازن، حتى يخلص هذا الحوار من الشطط والانحراف.

ويحرص - فى سبيل ذلك - على تقديم رؤيته الوسطية التى تقرر: أن الشورى، والعدل، ومساءلة الحكام مبادىء ثابتة، لا تسقط بإسقاط المجتهدين، وأن على المجتهدين أن يضعوا القوالب والصيغ التى تستطيع تلك المبادىء من خلالها أن تؤتى أكلها، فى إطار الظروف الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية التى يخضع المسلمون لتأثيرها، كما تخضع سائر الأمم.. خصوصا أن الإسلام - فى أمور السياسة والحكم - قد اكتفى بتقرير مبادئها ليلزم الأمة بها، حيث لا حجة لأحد فى تركها، ولكنه - سبحانه وتعالى - ترك تفصيل تنفيذ هذه المبادىء للمسلمين، حتى يكونوا فى سعة من أمرهم، كى يختاروا ما يناسب كل بيئة، ويحقق مصالح المسلمين فيها.

وهنا.. يفرض على علماء المسلمين، ومفكريهم، ومسئوليهم أن يتحاوروا ليتفقوا على حكم (الاستشارة) أواجب أم مندوب، وليتفقوا على تحديد المستشير، وعلى المجال الذى يستشار فيه، ومدى إلزام الشورى للمستشير، ومن هم أهل الشورى الذين يستشارون.

كما أن هذا يعنى: أن قضية الشورى كلها تحتاج إلى رؤية جديدة، تحافظ على البقاء داخل الإطار الإسلامى، وترعى المناسبات البيئية، ومن هنا.. يستطيع علماء المسلمين أن يتجاوزوا جميع الآفات التى قد تعترضهم، إذا ما توجهوا للتلاؤم مع (الديموقراطيات) وغيرها من نظم الحكم المستحدثة، غير غافلين عن أبرز الفروق بين

الشورى الإسلامية، والديموقراطيات الغربية، وهو أن سلطة الأمة فى الديمقراطيات الغربية سلطة مطلقة فى جميع الأحوال بينما هى فى التصور الإسلامى مطلقة فى نطاق، ومقيدة فى نطاق آخر، فحيثما وجد النص التشريعى القطعى فلا موضع لاجتهاد فردى أو جماعى، إلا أن يكون اجتهادا فى التطبيق، والتفسير، وفى كيفية إنزال حكم القاعدة الملزمة على الوقائع المتجددة، والظروف المتغيرة.

السلطة والنظام القانونى فى الإسلام

ويرى الدكتور أبو المجد: أن الخلاف الممتد حول (طبيعة الحكومة الإسلامية) يرجع إلى الخلط بين (سند السلطة)، و(طبيعة النظام القانونى)، وحتى نتجاوز هذا الخلط.. كان علينا قبل أن نبدأ أى حوار أن نتفق على أن سند شرعية السلطة فى المجتمع المسلم هو (رضا المحكومين)، وأن الحكومة الإسلامية - لهذا - حكومة مدنية، وليست دينية.

وأن نتفق على أن النظام القانونى الذى يخضع له المجتمع المسلم، هو نظام قانونى (إلهى المصدر)؛ لأن مصادره العليا والأساسية مصادر دينية ترجع إلى الوحى.

ويرى الدكتور أن اتفاقنا على هذه الأمور يعفينا من معارك دائرة، تسبب فيها عدم وضوح الرؤية لهاتين القضيتين؛ فمع وضوح هذه الرؤية.. لا مجال لفتح ملف ما يسمى (العلمانية) التى تحارب الحكومة الدينية؛ لأن الإسلام - فى أساسه - لا يقيم حكومة دينية، وبالتالى.. فإن الحكومة الإسلامية لا تمس المساواة بين أتباع الأديان المختلفة فى الحقوق الشخصية، والمدنية، والسياسية التى تقررها القاعدة الإسلامية: (لهم ما لنا وعليهم ما علينا).

ويرى أن الذى يرفضه الإسلام من (العلمانية) هو علمانية المجتمع - بما تفرضه من عزلة بين الدين وتنظيم أمور المجتمع - لأنها تناقض طبيعته؛ إذ الإيمان بالغيب فيه يتعلق بالسمعيات المغيبة.. فهو بالتالى لا يتعارض مع المنهج العلمى التجريبى فى أمور الدنيا، ولأن ما تعده تلك العلمانية حلا سعيدا لمشكلة الاغتراب الثقافى - التى قد تعانى منها بعض الأقليات الدينية فى الوطن العربى - لا يحقق هذا الحل؛ لأنها - عند التأمل - تخلق من المشكلات والصعاب أكثر مما تحل، كما إنها تستعير - لحل مشكلة الاغتراب المزعومة - صيغة قائمة على فروض مرتبطة بتاريخ الصراع بين الكنيسة والدولة فى أوروبا، وتحاول فرضها على مجتمع لا يعرف تاريخه صراعا مشابها؛ فهى تفتح ملف الطائفية ولا تغلقه.

وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا

وفى الفصل الثالث (العروبة والإسلام) يتناول الدكتور علاقة الإسلام - فى عالميته - بالعروبة والقومية العربية - فى تحددها - فينبه ابتداء إلى أن علاقة الإسلام بالعروبة

علاقة تلازمية، وليست موجهة لأية قوميات أخرى، وأن التناقض بين الإسلام والعروبة أمر مفتعل، لا يصح أن يكون مثار حوار، ولا محور صراع.

فالقومية العربية ـ بمعنى الانتماء العربى المجرد عن العنصرية ـ ليست مذهباً، ولا فلسفة، وإنما هى واقع اجتماعى ونفسى، ذات جذور تاريخية، وهذه القومية الانتمائية لا علاقة لها بالقومية العربية التى تتجاوز الانتماء إلى التمذهب السياسى.

كذلك.. فإن الإسلام هو النظام الشامل الذى يقيم حياة الناس على أساس من الأصول الاعتقادية والفكرية والتنظيمية التى جاء بها الأنبياء والرسل عن ربهم، والتى ختمها هو وفصلها. وهذا يعنى: أن الإسلام ليس حركة سياسية تسعى إلى تنظيم المسلمين فى رابطة سياسية واحدة، تأخذ شكل الدولة الواحدة، كما هو حال بعض دعاة الجامعة الإسلامية؛ فعالمية الإسلام ـ كما يرى الدكتور ـ لا تقتضى ـ بالضرورة ـ وحدة الدولة الإسلامية.

ومن هذا الضبط للمصطلحات.. يتضح أن الحديث عن تناقض القومية العربية مع الإسلام، أو توافقهما.. حديث لا معنى له؛ إذ المنطق الحوارى يجب أن يلحظ أموراً مهمة.. هى:

أولاً: أن دعاة القومية العربية ـ فى عصرنا هذا ـ لا يرفعون دعوتهم القومية فى مواجهة الجامعة الإسلامية، وإنما يواجهون بذلك الدعوة إلى الإقليمية، والانحصار داخل حدود الدول والكيانات العربية المجزأة.

وهى ثانياً: أن كثيراً من دعاة القومية العربية يدافعون بدعوتهم تلك عن العروبة والحضارة العربية، فى مواجهة الحملات الضارية التى تهدف إلى التقليل من شأن الأمة العربية، واتهام العرب بالعجز والخواء الحضارى فى جميع مراحلهم التاريخية؛ فموقف هؤلاء القوميين ليس عنصرياً، يزعم تفوق الجنس العربى على سائر الأجناس، فلا يمكن فصلهم عن الإسلام الذى يقرر وحدة النوع الإنسانى، ويرفض العصبية والعنصرية بكل صورها.

وما الانبعاث العربى فى مواجهة التتريك إلا تمرد عربى على التأخر الحضارى، والجمود الذى طبع الحياة الاجتماعية والسياسية فى أواخر الدولة العثمانية، ومن هنا.. نرى أن تأييد الدعاة الإسلاميين لحركة الانفصال عن دولة الخلافة العثمانية كان تأييداً مستنيراً ناشئاً عن شعورهم بالمفارقة الهائلة بين التحدى الكبير الذى بدأ يواجه الأمة الإسلامية، وهو تحدى الحضارة الغربية الزاحفة بأسلحة العقل، والتنظيم، والقوة العسكرية.. وبين ضآلة ما أعدته الدولة العثمانية لمقاومة هذا الزحف.

ثالثاً: إن الباحث لا يستطيع أن يفصل بين حدود التوسع العربى والتوسع

الإسلامى؛ فالتوحد الإسلامى أو العربى لم يكن مجرد توحد قومى، بل كان ـ فى جوهره ـ توحداً إسلامياً على أيد عربية.

رابعاً: إن القوميين المعاصرين مطالبون بأن يصرحوا تصريحاً محدداً يؤكد أن هدفهم السياسى هو السعى للتوحد العربى، وليس الاستعلاء العنصرى، وأن يصرحوا ـ كذلك ـ بأنهم يرفضون الإصرار على وجود محتوى حضارى عربى مستقل عن الإسلام.

عندئذ.. تسقط الحواجز بين أبناء الأمة، ويصبحون جميعاً مدعوين إلى أن يطوروا رؤيتهم لحركتى القومية العربية، والجامعة الإسلامية، حتى يشتغل الساسة المؤمنون بالقومية.. بطرح جديد للتوحد العربى، يقوم على أسس موضوعية من المصالح المشتركة، ويوجه الدعاة إلى الإسلام جهودهم لترشيد حركة الصحوة الإسلامية، واستشراف مهامها الجديدة فى المستقبل القريب والبعيد، ولتصفية القضايا المنهجية المعلقة فى سمائها، حتى تكون حركتها تقدماً، ويكون نموها رحمة.

من أجل استعادة الإرادة الفاعلة

ويذكر الدكتور أبوالمجد: أن استعادة الإرادة العربية الإسلامية الفاعلة.. تفرض علينا استشرافاً جاداً لآفاق المستقبل، بعد أن أصبح هذا الاستشراف ـ فى ظل التقدم العلمى الحديث ـ أقرب إلى التقدير العلمى منه إلى الرجم بالظنون.

وهذا يعنى: أن علينا أن نستقصى كل عناصر الواقع العربى ومكوناته، وكل عناصر الواقع الإسلامى ومكوناته، ومن أبرز ما يجب ملاحظته فى الواقع العربى.. ظواهر ثلاثة:

أولاً: خطر فوات الفرصة التاريخية العظيمة التى صاحبت تدفق النفط من آباره الغنية، واشتداد الطلب عليه، بما يمنح الوطن العربى فرصة العمر لإقامة مشروع تنموى قومى، تتخطى به أمة العرب حواجز التخلف.

ثانياً: تفكك أواصر الرابطة العربية، وتعثر المحاولات الوحدوية المختلفة، وتراجع المد القومى فى صوره العملية.

ثالثاً: تهديد استقلال الأمة العربية فى صميمه بسبب أساطيل الدول الكبرى التى تجوب البحرين الأبيض والأحمر، بدعوى توفير الأمن لبعض الحكام العرب.

أما الواقع الإسلامى فيبرز فيه ـ إلى جانب الفرقة والشتات السائدة، والاحتماء فى الأقوياء من غير العرب والمسلمين ـ عنصران.. هما: الأول: عدم حسم عدد من القضايا الأساسية فى البنيان الفكرى والوجدانى.. وعلى رأسها قضية القضايا فى تاريخها الطويل، وهى كيفية وصل القديم بالجديد، وإدخال العصر على التراث أو التراث على العصر، والاهتداء إلى صيغة سوية هادئة، يستقيم فيها المسلم على أمر الله فى سماحة، مع الاستقبال الفعال لثمرات العقل والتجربة من مستحدثات الزمان.

الثاني منهما: الحاجة الماسة إلى مواجهة الشذوذ الغريب الذى أصاب مسار الصحوة الإسلامية ـ فى توجهها إلى النهضة ـ سواء كان هذا الشذوذ من هؤلاء الذين أصابهم التخوف الشديد من تلك الصحوة فنهضوا لمحاربتها بكل وسيلة، أو كان هذا الشذوذ من أولئك الذين اشتط بهم الحماس للصحوة فاعتقدوا أن كل مخالف لهم محالف لقوى الشر ومتآمر معها على صحوة المسلمين.

وهذا يعنى: أننا نحتاج أول ما نحتاج إلى تحريك عقولنا، وتحرير إرادتنا، حتى نكون ممن يصنعون المستقبل، ولا نكون جزءاً من مادته الساكنة التى تحركها إرادة الآخرين.

من أيــــن نبــدأ..؟

ويرى الدكتور: أن وقوفنا على واقعنا الإسلامى والعربى يمنحنا من العلم بأحوالنا ما يسمح لنا بأن ننطلق فى سبيل العمل الجاد، وأن علينا ـ قبل أن ننطلق فى هذا السبيل ـ أن نتعرف على الطرق المختلفة لنحدد بدقة نقطة البداية ـ بما يستلزم من ترتيب الأولويات ـ من أعقد المشكلات التى تواجه حركات التغيير.

وذلك.. لحاجتنا إلى أن لا نغفل الواقع الاجتماعى الذى نعمل فى إطاره.

وأن علينا كذلك تذكر أن على الناس أن يعيدوا ترتيب حياتهم على أساس الأولويات الإسلامية فى الرؤية البصيرة المتوازنة، باجتهادها المتجدد.. ويأتى على رأس هذه الأولويات:

١ ـ المشاركة مع القوى السياسية والاجتماعية الأخرى فى العمل على دفع أخطار التبعية السياسية والاقتصادية عن العرب والمسلمين.

٢ ـ لفت الأنظار إلى ما يحمله الإسلام لإنسان هذا العصر ـ فى عمومه ـ من وسائل فعالة ومجدية فى علاج الآثار الجانبية المسيئة للثورة العلمية والتقنية الحديثة.

٣ ـ جمع شمل المسلمين، وتصفية المعارك الداخلية بين روافد التيار الإسلامى، سواء تمثلت تلك المعارك فى التمزق على مستوى الأقطار والدول والأنظمة، أو فى التمزق على مستوى روافد التيار الإسلامى، التى تلتقى على ساحة الإصلاح، ولا تستطيع أن توحد صفوفها، ولا أن تجتمع على مواقف، ولا أن تضم جهداً مبذولاً إلى جهد.

ولن يتحقق لنا النجاح فى هذا المسعى، إذا لم يستوعب الجيل المعاصر من المسلمين حجم الأخطار القائمة والقادمة، ويدرك حقيقة استحالة استقلال قطر مسلم واحد فى دفع هذه الأخطار عن نفسه وعن سائر المسلمين.

كما إن النجاح فى هذا المسعى لن يتحقق لنا إذا لم يعلم الجيل كله أن اختلاف الرأى سنة من سنن الله فى الناس، وأن المسلمين الأوائل ـ منذ بعث الرسول ﷺ ـ قد اختلفوا فيما بينهم.

فالقضية ليست أن لا نختلف، وإنما هى أن نتعاون على الخير حين نختلف.

بين يدى التحديات الحضارية التى تواجه المسلمين

للدكتور/ عبد الحليم عويس

عندما نتحدث عن التحديات الحضارية التى تواجه الأمة الإسلامية فى الألفية الميلادية الثالثة، فإننا يجب أن نتذكر أن هذه الألفية ليست شاطئا آخر سننتقل إليه، وأن هذا الشاطىء الآخر يختلف عن الشاطىء الذى عبرناه، فالتقدم الحضارى يتقدم عبر صور من التراكمات المعرفية بعد أن قفز قفزاته الكبرى فى القرن العشرين!!

وإذا افترضنا جدلا أن العالم المحيط بنا يحاول أن يقفز قفزات نوعية وكيفية مع بداية الألفية الثالثة ذلك لأنه يشعر بأنه يعيش فى القمة التى لا تقبل التباطؤ أو السكون، وأن كل ساعة لا يتقدم فيها قد تحسب لخصمه، وقد يدفع ثمنها غاليا.. إذا افترضنا ذلك ـ وهو فرضية صحيحة ـ فإن هذه القمة بعيدة عنا نحن العرب والمسلمين بصفة عامة إذ أننا نعيش هناك قريبا من القاع، نمارس عمليات التآكل الداخلى وتفكيك النسيج الاجتماعى، وصهر الثوابت التى تمثل قواعد انطلاقنا الحضارى، ودوافعنا لممارسة التنافس ودخول السباق ـ فى بوتقة العالمية والكوكبة والعالمانية وغيرها من الشعارات التى تفقدنا بالتأكيد شعورنا بوجود ذاتى وبعبقرية خاصة وبرسالة يحتاج إليها الآخرون كما نحتاج نحن إلى ما عندهم من تقدم مادى وتكنولوجى ونظم وآليات.

ولو كان الأمر بيدى لقدمت تحليلا للخلاصات الفكرية والثقافية التى دونت خلال القرن الرابع عشر للهجرة (العشرين من الميلاد) حول أسباب تخلف المسلمين وعوامل تقدمهم بدءا مما جاء فى أفكار «جمال الدين الأفغانى» و«محمد عبده» و«رشيد رضا» و«الكواكبى» و«شكيب أرسلان» ومرورا «بأنور الجندى» و«محمد جلال كشك» و«محمد الغزالى» وغيرهم من الذين عانوا وعالجوا أزمة التطور الحضارى ومشكلة النهضة، بيد أن هناك مجموعة خاصة يمكن أن نسميهم فلاسفة التاريخ الإسلامى المعاصر، على الرغم من أنهم ليسوا متخصصين فى الدراسات التاريخية ولا فى الدراسات الفلسفية بطريقة مباشرة، لكن دراساتهم تحتاج منا إلى وقفة خاصة،


الشيخ الغزالى


شكيب ارسلان


جمال الدين الأفغانى


عبدالرحمن الكواكبى

وإلى إعادة قراءة لأننا عبرناها على أنها فكرة من الفكر، وتحليلات من جملة التحليلات، بيد أنها كانت فى حاجة إلى من يتبناها منهجا وإطارا للحركة والفعالية وأسلوبا فى العمل على مستوى التربية والتثقيف والتوجيه والتكوين للأفراد والجماعات.

إن مالك بن نبى المهندس الكهربائى الجزائرى، الذى عاش فى فرنسا ثلاثين سنة، وكتب بواكير كتبه باللغة الفرنسية، هو فى الطليعة من هؤلاء، ومازال هناك من يبعدنا عن تحليلاته وأفكاره عبر مرئيات تبالغ فى الإفراط. فتجعل السياسة والحركية قبل التغيير النفسى والتربية الداخلية الوجدانية والعقلية. فهى تضع العربة أمام الحصان، والنتائج قبل الأسباب... وعبر مرئيات أخرى تبالغ فى التفريط فهى تحول الرؤية الحضارية الإسلامية إلى رؤية انعزالية عبادية سكونية تترك الدنيا لأهلها، وتعيش فى الآخرة قبل الآخرة.

أما المنظومة الفكرية لمالك فهى - بيقين من وجهة نظرى على الأقل - المنظومة التى قدمت منهجا فكريا يستوعب الحضارة الأوروبية من قلب باريس، ومن خلال البحث عن الذات المهددة بالضياع تحت هيمنة الحضارة الأوروبية، متمسكة بعجلة قيادة وأشرعة أصيلة مكنتها من الارتفاع عن مستوى الضبابية فى الرؤية ومستوى التذبذب بين الثوابت والمتغيرات، والخلط بينهما خلطا يظهر عند البعض فى قتالهم من أجل الفروع، ويظهر عند آخرين فى بيعهم للثوابت والأصول.

لقد برئت منظومة مالك بن نبى الفكرية فى تقعيدها لشروط النهضة وتعاملها مع مشكلات الحضارة من هذا السقوط الفكرى الذى يحول دون الفقه الصحيح لأصول الحوار الحضارى وأساليب التفاعل الإيجابى مع الحضارات، فهى تعرف حدود الاحتفاظ بالذات، وحدود الأخذ من الآخرين أخذا يدفع إلى الإنتاج لا الاستهلاك، والإبداع وما يقتضيه من معاناة لا تقل عن معاناة الحمل والولادة، وليس الاستيراد الذى يخدع صاحبه فيعطيه منتوج حضارة الآخرين ووسائلهم ومظاهرهم دون أن يكون هو فى مستوى هذا المنتوج الحضارى وهو الواقع المر الذى تعيشه الأمة الإسلامية الآن وستعيشه

أكثر إذا ظلت على مسيرتها، ووصلنا إلى الألفية الثالثة ونحن مكبلون بالأوضاع الحضارية الداخلية المختلفة، وبالنظام الدولى الخارجى القاتل الذى تقف اتفاقية الجات على رأس قيوده وسجونه التى تمنعنا من حماية الإبداع، وتفرض علينا ونحن فى المرحلة الإعدادية أن نواجه الفلاسفة الحاصلين على شهادات دكتوراه الدولة.

إننى أدعو إلى أن نعود إلى مناقشة قواعد الانطلاق الصحيح، لكى يواكب قطارنا قضبان الحضارة الصحيحة، وأنا أقدم فكر «مالك بن نبى»، وقد يستطيع غيرى أن يقدم فكر «محمد إقبال»، أو فكر «منير شفيق» أو فكر «جلال كشك»، أو فكر «رجاء جارودى»، أو غيرهم من الذين اعتدل الميزان لديهم بدرجة كبيرة، فلم يتكلموا عن وسائل نهضة المسلمين ومواجهة المسلمين للتحديات الحضارية وهم - سلفا - منهزمون متغربون مؤمنون بأن الشرق لاشىء، وبأن الغرب نمو كل شىء، جاهلون طورا بسنن الله المبثوثة فى القرآن الكريم، وجاهلون طورا آخر بالسنن المحايدة فى عملية صناعة الحضارة والتفاعل الخلاق مع الحضارات، مع أن أمامهم تجربتين معاصرتين لم يلتفتوا إليهما وهما تجربة اليهود الذين يملكون مائتى رأس نووية، ومعدلات اقتصادية وإبداعية عالية، مع تمسكهم تماما بثوابتهم دينا ولغة وتاريخيا....

وتجربة اليابان التى انهزمت هزيمة مدوية فى الحرب العالمية الثانية، واستسلم الشعب اليابانى بقيادة هيروهيتو (الإمبراطور الإله أو نصف الإله) وقبل كل شروط الاستسلام إلا الشروط التى تمس دينه وعقيدته فى الإمبراطور المهزوم، وفى تقاليده، وفى بقايا البوذية المبثوثة فى القرى والمدن اليابانية، كما رفض كل ما يمس تاريخه ولغته وحقه فى تربية أجياله تربية يابانية خالصة... وكما نجح اليهود نجحت اليابان المنطلقة فى ثوابتها فى تحقيق فعالية حضارية تدهش العالم كله فى الجوانب التقنية والاقتصادية.

ويؤسفنى أن أقول: إننا لن نستطيع دخول القرن الواحد والعشرين إلا دخولا زمنيا قدريا، فنحن بعد لم نقرر التصالح والتفاهم والإيمان بمعطيات السنن الحضارية (الكونية والاجتماعية) التى يلتقى الإسلام فيها مع العلم ومع فقه التاريخ.

وأخشى أن أقول: إننا واقفون منذ نصف قرن على الأقل فى محلنا، فلم تقع صور إبداعية من التقدم أو من التلاحم الداخلى بين الأمة العربية والإسلامية، بل إن الدول العربية والإسلامية تشعر بمزيد من الضياع وغياب الأهداف. ولئن كانت عملية الاستقلال السياسى ومقاومة الاستعمار قد مثلت هدفا كان يوحدنا فى النصف الأول من القرن العشرين وما قبله، فإننا نجد أنفسنا اليوم بعيدين عن الغايات الكبرى، حتى إن كثيرا من الدول فى المحيط العربى والإسلامى بدأت تفقد مقومات الدولة، وتترنح معظم مقوماتها آيلة للسقوط، فالدين واللغة والتاريخ والقضاء والتربية... كلها - وغيرها - يتعرض لضربات

خارجية وداخلية، مع أنه لا تقوم دولة دون قانون ضابط ولا روابط عقدية وفكرية ولا تربية تحقق الانتماء وتدفع إلى الإبداع والتنافس وتحقيق ذات متميزة.

فلا يعيبني - وأرجو ألا يعيبنا جميعا - أن نتعرف على مواقع أقدامنا الحقيقية في الزمان والحضارة، فنحن لا نعيش كالعالم المحيط بنا في السنوات الأولى من القرن الحادى والعشرين بكل ما تعطيه هذه السنوات من دلالات.

إننا لا نعيش عالم التكنولوجيا المتطورة ونحن لم نصنع بعد في المحيط العربي والإسلامي أية سيارة أو طائرة.

ونحن لا نعيش عالم الاقتصاد، فعالمنا العربي والإسلامي (- ولنطرح النفط جانبا -) لا يمثله كتلة اقتصادية متحدة متنافسة مع قوى عصرها.

ونحن لا نعيش عالم الثقافة والفكر والإعلام الذى يمثل إفرازا حقيقيا لرؤيتنا وفلسفتنا، أو تعبيرا عن هويتنا ورسالتنا. إننا مجرد انعكاس لمرايا الآخرين.

ومن هنا يكون ضروريا ألا نقفز فوق حقائق الأشياء، وعلينا من جديد أن نفكر في صناعة الإنسان الذى تكون وفق مفاهيم إيجابية تجعل العلم والعمل غاية وقضية وجود، ولا تفرط في الزمان، بل تعمل عشر ساعات في اليوم، كما لا تفرط في الأرض أو (التراب) حسب اصطلاح مالك بن نبي، فبدون الإنسان العقدى المتفاعل - كما ينبغي - مع الزمان والمكان، لا أمل في الإنطلاق، وبدون هذا الإنسان ما كان ممكنا لليهود ولا لليابانيين أن يكونوا كما نعرفهم اليوم.

لقد كتبت بحثا عن التحديات الحضارية الخارجية التى تواجه الحضارة الإسلامية والإنسان المسلم اليوم، وقد رسمت مثلثها من خلال أضلاعه الثلاثة: التغريب العلماني الأمريكي والأوروبي، والصهيونية العالمية.

لكني أقول: إنه لا أمل في مقاومة هذه التحديات الخارجية دون أن نقوم بإعادة البناء لبيتنا الإسلامي والعربي من الداخل في ضوء سنن الله، وثوابتنا، ومنطلقاتنا الحضارية.

وقبل أن أختم هذه الوقفة العابرة أنوه بأمور ثلاثة أقدمها بين يدى الحديث عن التحديات الحضارية، وواجب المسلمين نحوها:

الأمر الأول: استيعاب وتلخيص - بل وتحليل الجهود التى بذلت خلال القرن العشرين (الرابع عشر للهجرة) في دراسة الأزمة الحضارية للمسلمين والعرب.

الأمر الثاني: تقديم أعمال بعض المفكرين، وعلى رأسهم أعمال «مالك بن نبي» الذى أطلق عليه كثيرون «ابن خلدون العصر الحديث» لتكون دليل عمل في ظل الارتباك الفكرى الذى تحدثه الآن الغارة العالمية الصليبية، والصهيونية، والعلمانية.

الأمر الثالث: أن يكون التحدى الحضارى هو المحور الأول لأى محاولات نهضة، لأنه - في رأيي - الأرضية التى تقف عليها بقية التحديات السياسية والاقتصادية والإعلامية وغيرها.

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ النساء: ٣٢

المَرأةُ المُسلِمَة
بين النعم الإلهية والنقم البشرية

للأستاذ الدكتور / زينب صالح الأشوح

كثر الجدال حول حقوق المرأة، واحتدم، وتجاوز حدود المعقول، واللامعقول أيضا، حتى اختلطت الأمور والأوامر الأصيلة بالشعارات المصطنعة الزائفة. وعلى عكس الأهداف التى يدعى أصحاب تلك الشعارات بأنهم يبتغون تحقيقها للمرأة للارتفاع بها إلى أعلى شأن، فإن كل الأحداث والحقائق الفعلية تشير بوضوح شديد إلى تدنى مكانتها، وإيقاع المرأة في فخاخ الحرية المزعومة التى أسقطتها من عرش عزها إلى أوضاع أكثر تبعية للرجل، مما أدى إلى قلب أوضاعها وحياتها المعيشية رأسا على عقب وتحميلها من التكاليف بما لا يقدر على تحمله، تكوينها الرقيق بطبيعته، ولا يتلاءم مع أنوثتها العزبة التى حباها الله سبحانه وتعالى بها، وخلقها على هذه الحالة باستخدام أحد ضلوع الرجل حتى تظل العلاقة الطبيعية بين الرجل والمرأة علاقة تكاملية (لا تنافسية)، وحتى تظل المرأة دائما في وضع المحتمى بكنف الرجل والمستظل بحمايته وبكيانه الأكثر قوة واحتمالا للمشاق وللمخاطر.

وحتى نبتعد عن الخوض في عبارات لا مغزى لها ولا نفع، فسوف نقدم فيما يلى عددا من النقاط المحورية التى تناولتها الحركات المعاصرة المدعية بأنها تسعى لتحرير المرأة وللرفع من شأنها ولتخليصها

من ظلم الرجل (متناسية أن ذلك الرجل هو والدها وابنها وزوجها واستاذها فى محافل العلم وطبيبها فى كثير من الحالات.

وسوف يتم عرض تلك النقاط المحورية الجدلية فى إطار مناظرة مع حقيقة الحال الذى فرضته الأوامر الإلهية وشرعته فى مثل تلك الأمور.

وسوف نبدأ عرضنا بالقضية الأساسية وهى الادعاء بعدم وجود فرق (إطلاقا) بين الرجل والمرأة مما يستدعى تحقيق المساواة (المطلقة) بينهما فى الحقوق والواجبات والمكانة.

وقبل الاستدلال بأنوار التوجيهات الشرعية الحقة للرد على ذلك التوجه الاستفزازى غير الطبيعى، نود أولا أن نبدأ برد مشتق من قصص التاريخ وشواهد النظم المعاصرة وغير المعاصرة والتى لن يستطيع أحد أبدا أن ينكرها مهما كان توجهه. فأبو البشرية كلها كان رجلاً وليس امرأة، والأنبياء والرسل الذين جاءوا بجميع الديانات السماوية كلهم رجال، وحتى فى حالة مريم عليها السلام. فعلى الرغم من أن الله سبحانه وتعالى حباها بنعم خاصة، وأنها قد ولدت بعد أن نذرت والدتها ما فى بطنها لله بحيث توجهه لعبادته سبحانه وكانت وقتها تتصور أنها ستنجب ذكرا وقد وفت بنذرها مع تحققها:

﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ﴾[1]. وبرغم قبول الله سبحانه وتعالى لمريم كهبة من والدتها إياها له

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾[2].

مع هذا القبول فقد أرادت مشيئة الله سبحانه ألا تتولى مريم مهمة النبوة والدعوة وإنما أوكل تلك المهمة إلى ابنها المسيح عليه السلام الذى لم يولد من أم وأب على الوجه المعتاد، وكان الله سبحانه وتعالى خلق مريم عليها السلام لتكون سببا ووسيلة لظهور النبى المكلف بالرسالة الإلهية.. وقد كان عليه السلام رجلا! كما أن الغالبية العظمى من حكام العالم ومن قواد الحملات العسكرية هم من الرجال وحتى فى الدول التى تعتبر مصادرا رئيسية لإصدار الشعارات التحريرية المزيفة يحكمها رؤساء من الرجال.. وكما نوهنا من قبل، فإن الأب رجل والابن رجل والمرأة -فى الأحوال الطبيعية- لا تتزوج إلا من رجل، وفى كثير من الأحيان، بل فى الغالبية العظمى يكون هناك رجال للدين والدعوة وليس نساء. ولنترك للجميع الاستطراد فى تلك التأملات العقلانية التى لا تنتهى. فإن كان ذلك يحدث فإنما وفقا للفطرة التى فطر

(1) آل عمران (36).

(2) آل عمران (37).

الله البشر عليها والتى إن حدث مساس بها فسوف يختل النظام البشرى كله.

ولقد أراد الله سبحانه وتعالى للبشر أن يتواجدوا -مثل المخلوقات الأخرى- كذكر وأنثى لكل منهما خصائصه التى تؤهله للقيام بأعمال وظيفية ثم توجيهه إليها بحكم طبيعته وتكوينه على سبيل (تقسيم العمل والتخصص) الذى تطبقه الأجيال قديمها وحديثها كقاعدة جوهرية تحكم الأنشطة المختلفة للبشر ولكل من يسخر لهم من مخلوقات بل ومصنوعات كذلك، اعتبرت تلك القاعدة معيارا أساسيا لتقييم مستوى الأداء بشكل علمى دقيق ولا أفهم لماذا إذن لا نحترم تطبيق ذات القاعدة وذات المعيار على الذكر والأنثى كفئتين بشريتين تلقى على عاتقهما مهمة استمرارية الكون وإعماره مع حسم تصنيفهما النوعى كما جاء فى كثير من الآيات مثل قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾[3]

الواقع أن من أسوأ نتائج ذلك الخلط غير الصحيح بين نوعى البشر (الذكر والأنثى) انتشار ظاهرة الشذوذ وتضاؤل نسب الزواج، وارتفاع نسب الطلاق، والاتجاه إلى عمليات الاستنساخ كبديل للتوالد البشرى بالشكل الطبيعى، وبطبيعة الحال فإن الاستمرار فى تلك العمليات المجنونة سوف يقضى على مشاعر السكن والمودة والرحمة التى عادة ما ترتبط بالعلاقات الخاصة بين الأزواج، وإن كان ذلك سوف يؤدى إلى مزيد من (الاستقلالية) الزائفة للمرأة عن الرجل فإنه سيزيد من تحول الأوضاع بين الرجل والمرأة من التكاملية إلى التنافسية ومن التعاون والتدافع معا قدما إلى التناحر والتصارع، مما سيسهم فى النهاية إلى التدمير الذاتى للبشر.

وجدير بالذكر أن الإسلام يقوم أساسا على مبدأ المساواة، ولكن بشكل يختلف عما ينادى به البشر ذوى المعرفة القاصرة على طبيعة الخلق وكيفية صيانته والحفاظ عليه وعلى العلاقات الصحية له فهى أكثر منطقية وملاءمة للتطبيق.. فعلى سبيل المثال، هناك مساواة بين الرجل والمرأة فى التكليف وفى توقيع الجزاءات أو منح المكافآت حيث يستدل على ذلك بقوله تعالى:

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ﴾[4].

وكذلك بقوله تعالى:

﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ﴾[5].

(3) الحجرات (13).

(4) آل عمران (195).

(5) غافر (40).

غير أن تلك المساواة تتم في حدود الخصائص المختلفة لكل نوع كتقسيم وتخصيص وظيفي لكل منهما ومن الآيات التي تدل على ذلك قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾[٦].

وعلى عكس الاتجاه الوضعي الذي يعتقد أن العدالة المثلى تقوم على المساواة المطلقة، فإن الدين الإسلامي يقدم معيارا أكثر منطقية وعدلا وهو أن العدالة تكمن في (المعاملة بقدر الحال) حيث إن الأصل في الإسلام هو عدم المساواة المطلقة في الأحوال وذلك حفاظا على التوازن المعيشي للكون وللبشر وضمانا لاستمرارية التواصل بين البشر ونتيجة لاحتياج الكل للكل وتتجلى تلك التوجيهات في كثير من الآيات الكريمة مثلما نجد في قوله تعالى:

﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[٧].

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾[٨].

فإن كان الاختلاف وعدم المساواة هما أصل الخلق ضمانا للإعمار وللتواصل، فكيف يكون الحال بالنسبة للرجل والمرأة كنوعين تم خلقهما كي يتكاملا، ألا ترون معي أن تحقيق تلك المساواة المطلقة ستؤدي إلى انفصالهما تماما وإلى القضاء التام على حاجة كل منهما للآخر مما لابد أن ينعكس آثاره الحتمية على الإخلال بتوازن الحياة الطبيعية والمعيشية التي تم تسخيرها لهما بشرط أن يكونا معا على نفس الدرب؟!

ولننتقل إلى مثال آخر مازالت الحوارات المحتدمة تشتعل حوله، وبشأنه، وهو عمل المرأة والسعي إلى مزاحمتها للرجل في كل ما كان ينفرد به من أنشطة، وتحويل الوضع التكاملي للمرأة مع الرجل إلى وضع تنافسي شرس في جميع ميادين الحياة علمية وتكسبية وسياسية.. إلخ.

وعلى عكس الشائع، فقد انتقل ذلك التحيز ضد الرجل بالتشجيع الجائر على مزاحمة المرأة للرجل في ميادين العمل حتى ما لا يتلاءم منها مع طبيعة المرأة وتكوينها

(٦) النساء (٣٢).
(٧) الزخرف (٣٢).
(٨) الحج (٤٠).

الرقيق، وتناسي الجميع عن عمد أن المكان الطبيعي الأساسي للمرأة هو في عقر دارها وأن الوظيفة الأساسية التي يجب أولا أن تقوم بها على خير وجه هو رعاية أسرتها لقوله تعالى:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾[٩].

بل إنه حتى الصلاة والتعبد يفضل للمرأة أن تقوم بها ليس في دارها إجمالا، بل في (عقر) دارها وذلك كما جاء في الحديث الصحيح: «خير صلاة النساء في عقر بيوتهن» (عن أم سلمة، الطبراني الكبير، في صحيح الجامع الصغير جـ١، ٣٣/١)[١٠]. وعن خير النساء، لم ترد أبدا فئة عاملة في نشاط اقتصادي، بل وردت الأحاديث كلها فيما يتعلق بعلاقتها بزوجها وبرها إياه ومن ذلك قوله ﷺ «خير النساء التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره» (صحيح الجامع الصغير، جـ١، ٣٢٩٨) (عن أبي هريرة)[١١]. وبالتالي فحتى إن احتاجت المرأة لممارسة عمل اقتصادي بهدف التكسب فيفضل أن يكون في بيتها أو فيما يمكن أن يأخذ حكمه مثل بيت الأهل أو أي مكان يتيح للمرأة فرصة القيام بوظيفتها الأساسية القائمة على رعاية أسرتها (أولاً) على أكمل وجه.

وبالاستعانة بشهادة (بعض من أهلها) فستجد أن الكثير من الدراسات المتعلقة بصحة وبتغذية الأطفال قد أثبتت أن المشاكل الصحية والغذائية تتركز بين أطفال الأمهات العاملات خارج المنزل بشكل أكثر بكثير من الوضع بالنسبة لأطفال الأمهات غير العاملات أو العاملات داخل المنزل على حد سواء وكان من أسباب انتشار المشاكل المذكورة بين الفئة الأولى، أن الوقت الذي تقضيه أولئك الأمهات خارج منازلهن لممارسة أعمالهن الاقتصادية، بالإضافة إلى الوقت المستغرق في رحلات العمل اليومية، يتم اقتطاعه من الوقت المتاح لأولئك العاملات بالخارج لرعاية صغارهن، كما أن عملهن الخارجي مع رحلات الذهاب والإياب اليومية يصيبهن بمشقة تقلل من قدرتهن البدنية والذهنية على القيام بدورهن الأساسي في رعاية أسرهن. بالإضافة إلى ذلك فإن الأطفال خاصة ذوي الأعمار المبكرة يحتاجون إلى تقديم جرعات غذائية (متتابعة) على فترات (متقاربة). وذلك بطبيعة الحال لا يتاح لأولئك العاملات اللائي يضطررن إلى إعطاء جرعات غذائية ثقيلة ومكثفة لأطفالهن دفعة واحدة في الوقت المتاح لديهن مع تركهن بدون طعام لفترات طويلة وفي حالة الاستعانة

(٩) الأحزاب (٣٣).
(١٠) عن أم سلمة، الطبراني الكبير، صحيح الجامع الصغير ٦/ ٣٣.
(١١) صحيح الجامع الصغير ٣٢٩٨.

بأم بديلة تتمثل غالبا فى خادمة أو دار للحضانة لا يضمن معها تقديم الرعاية الكافية، إما لجهل تلك الأم البديلة، أو نتيجة لضعف عنصر انتماء الطفل لها، أو لتعدد الأطفال الواجب تقديم الرعاية اللازمة لهم[12].

ولقد أصبحت المرأة فى ظل الحركات التحررية (المتطرفة) التى تستظل بها وتسترشد بشعاراتها، تطمح للعمل ليس فقط خارج منزلها كضرورة لا مبرر لها فى كثير من الأحيان، ولكنها أصبحت تسعى أيضاً لجميع المجالات التى يمكن فى كثير من الأحيان أن تضر بتكوينها وتنال من أنوثتها بل ومن كرامتها أيضا، وذلك مثل القيام بالأعمال الشاقة أو المنافية للضوابط الشرعية وتلك التى تكتظ بالرجال دون النساء بما يفرض جو من الاختلاط غير الشرعى والذى يتيح للشيطان مجالا خصبا للعمل بمعاوله الهدامة فى ظله، والذى يرتد بآثاره السلبية فى النهاية على المرأة وعلى استقرار بيتها.

وفى ذلك الصدد، تحضرنا قصة امرأتى مدين وإعانة موسى عليه السلام لهما فى الحصول على الماء وحمايتهما ليس فقط من (مشقة) ذلك العمل ولكن أيضا من الاضطرار إلى (التزاحم) مع الرجال والتعرض للاحتكاك الجسدى والمعنوى بما لاتحمد عواقبهما.. وتتجلى تلك الدلالات وغيرها فى قوله تعالى:

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (23) فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾[13].

ويتضح من تلك القصة أيضا متى يمكن للمرأة أن تكون (عائلة) وأن تتولى وظيفة العيالة دون الرجل المكلف بتلك الوظيفة بشكل أساسى، فمن بين مبررات القيام الاستثنائى للمرأة بتلك الوظيفة أن يكون الرجل المكلف بعيالتها غير موجود، أو أن يكون عاجزا نتيجة لظروف حقيقية وفعلية عن القيام بتلك الوظيفة كبلوغه لسن متقدمة وإصابته بأمراض الشيخوخة والعجز. ومن الدروس الأخرى المستفادة أن عمل المرأة خارج المنزل إنما يقدر بضرورة تحققه والحاجة إليه وحتى فى تلك الحالة فلابد أن يتم فى إطار ضوابط معينة مثل عدم الاختلاط بالرجال وتحاشى التزاحم الاحتكاكى بهم، والقيام بالأعمال الخفيفة التى تتلاءم مع المرأة والتى لا تضرها بدنيا ولا نفسيا، وفى حالة حتمية القيام بمثل تلك الأعمال، فإن أمكن، يجب الاستعانة بمساعدة الرجال حتى الغرباء منهم واستطرادا لهدف الحفاظ على المرأة بدنيا ونفسيا يجب أن

(١٢) ارجع إلى: دافالزوودونالد ٨٣، كينج روبرت ٨٣، حايل جريفيث ٨٤، بوكن (٨٠).
(١٣) القصص (٢٣، ٢٤).

تتوافر فى الرجال المستعان بهم ضوابط معينة أولها القوة (التى تضمن مقدرتهم على أداء ما يطلب منهم) والأمانة (التى تضمن عدم استغلالهم السيء لحاجة النساء لمساعدتهم) وذلك كما جاء فى الآية الكريمة:

﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾[14].

وهكذا تكون الأخلاق المهنية الضابطة للعمل بين الجنسين.. ولا أدرى لماذا تترك تلك التوجيهات النموذجية الرائعة التى تتميز بمرونة التطبيق مع الحرص على الحفاظ على كرامة المرأة وإبقائها على عرش عزها وتسخير الرجل لخدمتها، لتسعى إلى محاكاة حركات تدعى التحرر والدفاع عن حقوق المرأة والنهوض بها بينما هى فى الواقع تسقطها- بعمد أو عن جهل مستقر- فى بؤر المهانة وتنقلها من دنيا الراحة والاسترخاء إلى الدفع بها بين فكاك ورحى المشقة الدنيوية الخارجة.. وبالاسترشاد بأدلة من بعض ما أقره بعض الشاهدين (من أهلها)، نلاحظ أن تطبيق تلك الحركات التحررية الواهمة انتهى بتفشى ما يسمى بظاهرة (تأنيث الفقر) التى تتجلى أحد مؤشراتها فى تعرض المرأة للطرد ولفقد وظيفتها، وفى انخفاض دخلها الحقيقى من العمل نتيجة لزيادة عرض العمالة النسائية عن الطلب الفعلى عليها فى سوق العمل خاصة فى ظل نظام التخصيصية الذى يقوم على استهداف تحقيق أكبر ربح ممكن. وهنا تجلت الحقيقة المضحكة، أنه عندما استهدف القطاع الخاص تحقيق مصلحته الخاصة، سعى إلى توظيف العنصر الأكثر كفاءة ضماناً لتحقيق مصالحه وأهدافه وهو الرجل، بينما توقف عن المجاملات المصطنعة التى يمكن أن تتعارض مع مصالحه الفعلية بتوظيف المرأة.

ومن النتائج السيئة المصاحبة للتطبيق غير المحكوم أو المبرر لسياسات تحرير المرأة، أنه حدثت ارتفاعات كبيرة فى معدلات إعالة المرأة وتكليفها بذلك الدور الذى كان موكلا أصلا للرجل حيث ارتفعت معدلات الإعالة النسائية إلى نحو ٢٢٪ فى أفريقيا، و٢٠٪ فى مناطق البحر الكاريبى و١٨٪ فى آسيا (زينب الأشوح، المرجع السابق، ص٨٤) كما أدت المبالغة فى السياسات التحررية للمرأة وإقحامها فى مجالات الرجال إلى محاولة كثير من النساء التشبه بالرجال وعصيان الأمر الشرعى الحاسم بتحريم ذلك كما جاء فى الحديث الشريف «لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال، والمتشبهين من الرجال بالنساء»[15]. وللأسف أن التشبه بالرجال تجاوز نطاق مزاحمتهم فى المجالات

(١٤) القصص (٢٦).
(١٥) صحيح الجامع الصغير ٣/١٠٠/٥.

الوظيفية المنوطة أصلا إليهم، إلى محاكاتهم حتى فى مظهرهم الخارجى. إن كان ذلك يحدث على اعتقاد منهم بأنه وسيلة لإثبات تساوى مكانتهن بالرجل، إلا أنه للأسف يدل فى واقع الأمر على أنه يمثل تأصيل لتبعية (غير مبررة) للرجل بتقليدهن إياهم حتى فى مظهرهم الخارجى. ولم يعد التشبه المظهرى يقتصر على الشكليات فقط (مثل ارتداء البنطال) ولكن الكارثة أن ذلك تجاوز الحدود المسموح بها شرعا، فخلعت المرأة الحجاب، وتدهور ذلك الحال المزرى إلى انتشار الكاسيات العاريات فى كل مكان حتى فى مساجد الله وفى أماكن التعبد أصبح تواجدهن يهدد قدسية المكان بالتلوث البصرى والفكرى ليس فقط للمترددين على تلك الأماكن المقدسة من الرجال، بل أيضا على النساء الملتزمات.

ولقد تمادت الحركات التحررية الحدود الحمراء حين بدأت بعض الأبواق فى الادعاء بعدم وجود حكم شرعى يلزم المرأة بارتداء الحجاب ادعاء بأن ذلك كان مقصوراً على زوجات النبى فقط.. وقبل الاستطراد فى توضيح بعض الكوارث الناجمة عن سفور المرأة المرفوض شرعا ومنطقيا، نود أولا تذكير الجميع بالنص القرآنى الذى لا لبث فيه ولا غموض:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَ ﴾(١٦).

كما قال الله تعالى فى كتابه الكريم:

﴿ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾(١٧)

والمتأمل فى تلك النصوص الشرعية الحاسمة يجد أن المرأة ليست مطالبة فقط بالحجاب ولكن بضوابط أخرى لابد أن تراعى فى مظهرها الذى تتواجد به أمام غير المحارم.

والواقع أن السفور والمظهر الخليع الذى أصبحت عليه المرأة المعاصرة فى كثير من المواقع خارج منزلها وبين غير المحارم قد أدى إلى كوارث لا تخفى على أحد ولا تحتاج إلى

---

(١٦) الأحزاب (٥٩).

(١٧) النور (٣١).

دلائل رقمية لتأكيدها ومن ذلك انتشار حالات الشذوذ وظهور ما يسمى بالجنس (الثالث) فلا هو رجل ولا هو امرأة كما أدى ذلك إلى التأثير السلبى على تركيز الرجل التائه فى خضم المظاهر النسائية الملوثة للبصر وللذهن مما أدى إلى انخفاض أدائه وإنتاجيته فى محافل العمل، وقد يكون فى ذلك ما يفسر تقهقر الرجل أحياناً إلى صفوف الكفاءة الخلفية، وحتى المرأة التى أصبحت تتباهى بتقدمها عليه فى كثير من الصفوف التى اقتحمتها وسلبتها منه، فهى فى كثير من الأحوال لا تستطيع الاحتفاظ بوضعها التقدمى لأنه يتناقض مع طبيعتها الأنثوية ودورها الذى خلقها الله أصلا من أجله، كما أن اهتمامها المتطرف بمظهرها الخارجى واضطرارها للتردد كثيراً على مراكز التجميل أصبح يأخذ الكثير من وقتها المخصص للعمل الاقتصادى -من ناحية- ولرعاية الأسرة من ناحية أخرى وبعد سلسلة اخطبوطية محكمة الانغلاق من السلبيات المصاحبة لذلك السفور الموجه لإغراء غير المحارم، ينتهى الوضع بارتفاع معدلات الطلاق وبتشريد أعداد متزايدة من الأطفال مما يؤدى بدوره إلى انخفاض درجات انتماء تلك الطلائع المستقبلية لأسرهم، وبالتالى لمجتمعاتهم، وتتفشى مشاعر الحقد على نظرائهم ممن يحظون بأوضاع أسرية صحية، فتنتشر الجرائم الاقتصادية والاجتماعية وتتفاقم ظواهر مرضية متفرعة مثل الإدمان، فتبدأ الحكومات بالصراخ طالبة العون والنجدة للتغلب على تلك المشاكل- وبينما تطالب بعض الدول بتحديد نسل المتزوجين خشية (الانفجار السكانى)، يزداد النسل بين غير المتزوجين، فالسفور ينتشر والاختلاط لا حدود له، ولا أدرى - والله - أى حرية أو منافع تلك التى تنادى بها تلك الأصوات المتهورة ولا أدرى كيف تستمر الأبواق فى دعاياتها المغرضة باسم تحرير المرأة، بينما تتزايد الأخبار المعلنة عن التحرش المنافى للآداب من قبل الرجل بالمرأة التى اقتحمت مجال عمله، وعن الحوادث المتزايدة للاغتصاب وعن القصص المتزايدة عن الخيانة الزوجية من قبل الطرفين.. تبا لتلك الحريات الزائفة المدمرة.. وألف تب!!

وفى النهاية، نود أن نختم النقاط محل الاعتبار بقضية بالغة الأهمية تتعلق بالذمة المالية للمرأة وما يقابلها من التزامات اتفاقية مع مقارنة الوضع بحال الرجل مغبون الحق فى الحقيقة! فعلى الرغم من أن المرأة الغربية التى تتصور تمتعها بأفضل درجات التحرر لا تستطيع أن تتمتع بذمة مالية مستقلة، وأنها هى التى تلتزم بدفع (المهر) لكى تتزوج بالرجل، كما أنها تخسر نصف ثروتها فى حال طلاقها حيث ينص القانون الوضعى الغربى بضرورة اقتسام كل الممتلكات بين الزوجين المطلقين مناصفة بصرف النظر عمن كان يمتلك الحصة الأكبر من تلك الممتلكات، نجد المرأة المسلمة تتمتع بمكانة مادية مدللة..

فيما تملكه بخصها وحدها ولا يحق لأحد حتى الزوج أن يتصرف في أي من تلك الممتلكات إلا إذا كان ذلك بإذنها وبرضاها:

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ﴾(١٨)

وفي نفس الوقت يلزم الرجل بالإنفاق على مستلزمات الأسرة بدون فرض أي إلزام إنفاقي مقابل على المرأة، ولهذا أعطى الرجل حق القوامة في المقابل:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾(١٩).

وبل إن الرجل هو الملتزم بكل نفقات الزواج والطلاق أيضا:

﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾(٢٠).

ولقد أوضح فقه المذاهب الأربعة(٢١) أن الرجل المتزوج يلتزم بثلاثة بنود رئيسية من الإنفاق على زوجته «فقط» هي إطعامها، وكسوتها وإسكانها ولقد ذكرت بعض المذاهب أنه عليه أيضا توفير خادم لها إذا كانت في الأصل ممن تخدم في بيتها وذلك مثلما أقر المذهبين الحنفي والمالكي ويوضح المذهب الشافعي أن الزوج يجب عليه الطحن والعجن والخبز إن لم تكن الزوجة ممن لا يقمن بذلك في الأصل ويفرض عليه أيضا توفير الأغذية الترفية من لحوم وفواكه إن كانت من بنود أغذيتها المعتادة في بيت أبيها أما أدوات الزينة فلا يلزم بها الزوج وعليها الالتزام بها لأنها شيء كمالي يختص بها وحدها أما الجميل حقا فإن للمرأة حق اكتساب ذات ثواب الإنفاق التطوعي الذي يحصل عليه زوجها إذا كان ذلك الذي تقوم بإنفاقه من مال زوجها وليس من مالها وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: «إذا انفقت المرأة من بيت زوجها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت، ولزوجها أجره بما كسب، وللخازن مثل ذلك لا ينقص بعضهم من أجر بعض شيئا» (٢٢).

ومما تقدم يمكن استنباط بعض المبررات المنطقية التي من أجلها يمنح الرجل ضعف ما تأخذه المرأة من ميراث:

﴿ فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾(٢٣).

وعند تلك القضية نود إرسال إشارة تحذير من تزايد المحاولات المغرضة لإلغاء العمل بتلك القاعدة الشرعية التي ورد بشأنها

---

(١٨) النساء (٣٢). (١٩) النساء (٣٤).

(٢٠) النساء (٤).

(٢١) عبدالرحمن الجزيري، بدون تاريخ، الجزء الرابع، مبحث نفقة الزوجة، ص٤٩٨-٥٠٦.

(٢٢) متفق عليه، عن عائشة، صحيح الجامع الصغير جـ١/ ٤٠١. (٢٣) النساء (١٧٦).

نصوصا واضحة وصريحة في القرآن حيث تتعلل تلك المحاولات بأنها تتناقض ومبدأ المساواة النوعية التي تصرح مطالبة بتحقيقها بشكل مطلق.. ويحاول أصحاب تلك الشعارات السعي إلى (مناصفة) الميراث بين الجنسين بحجة أن المرأة أصبحت عائلة لنفسها، بل ولأسرتها ولزوجها في بعض الأحوال، مع أن تلك الظاهرة الجديدة حدثت بفعل البشر في خضم محاولاتهم لقلب الأوضاع، وعلى المذنب أن يتحمل نتيجة ما اقترفت يداه.

وعلى عكس الافتراءات الموجهة لقضية الميراث وتوزيعه بين الرجل والمرأة، نجد أن الشرع قد منح المرأة في الواقع ميزة أفضل على الرجل، حيث تمنح حصة من الميراث يمكن أن تمثل (صافي) ملكية يحق لها أن تتمتع بها وحدها وتتصرف فيها كيفما تشاء، بينما الحصتين اللتين يأخذهما الرجل لا يمثلان صافي ملكية، حيث إن الفئات التي يجب عليه الإنفاق عليهم (والتي تمتد من الزوجة والأولاد إلى الوالدين والأشقاء).. تتشارك معه بشكل غير مباشر في ملكية ذلك النصيب المتضاعف ظاهريا.

ولو تأملنا فيما يحدث في الأوطان التي تصدر منها تلك الأصوات التحررية الزائفة، فسوف نلاحظ أن قوانين الميراث فيها تتم بأسلوب غير عادل، حيث تعطى كلها للابن الأكبر فقط (مثلا)، بل كثير من الأخبار الطريفة تؤكد لنا كل يوم أن كثير من تلك المواريث تذهب برمتها إلى القطط والكلاب مع حرمان الأبناء من تلك المواريث لسبب أو لآخر. ذلك الذي يوصي بأن ما يحدث من محاولات لتحريف قوانين الميراث الإسلامية، إنما هي حركات نابعة من مواطن حقد وحسد للوضع الذي تتميز به المرأة المسلمة عن غيرها، وليس شفقة عليها واستهدافا للنهوض بأوضاعها كما تدعي تلك الحركات التحررية، وأود إنهاء الحديث بأن تحسين وضع المرأة شيء جميل ورائع ويشكر المسئولون عن استهدافه أما أن يتم ذلك بشكل منفصل عن تحسين وضع الرجل أو على حسابه فذلك ما نرفضه تماما فالنساء شقائق الرجال.

وإن استمرارنا في محاولات الفصل النوعي هذه يهدم الكيان الأسري الذي يقوم على الجنسين ويتكون منهما، وتحاول التدخل -والعياذ بالله في الإرادة الإلهية التي شاءت أن يقوم الخلق على الفصل الصريح بين الذكر والأنثى.

***

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

ما أبقيت إلا الرحا

أفلس بعض الصالحين، فقال لزوجته:

أخرجي كل مافي البيت، فتصدقي به ففعلت إلا الرحا، فإنها قالت: لعلنا نحتاج إليها ولانجد مثلها؟ وإذا بالباب يدق، فقيل: هذا قمح أرسل إلى الشيخ، فلما رجع زوجها

قال: أخرجت كل مافي البيت؟

قالت: نعم.

قال: وليس الأمر كذلك.

قالت: ماتركت إلا الرحا، خيفة أن نحتاج إليها.

قال: لو أخرجت الرحا، لجاءك دقيق ولكن أبقيتها فجاءك مابه تتعبين.

قال حكيم لابنه

يابني استعذ بالله من شرار الناس، وكن من خيارهم على حذر.

أفضل النساء

سئل أعرابي عن النساء، وكان ذا تجربة وعلم بهن فقال: أفضل النساء أطولهن إذا قامت، وأعظمهن إذا قعدت، وأصدقهن إذا قالت التي إذا غضبت حلمت، وإذا ضحكت تبسمت، وإذا صنعت شيئاً جودت، التي تطيع زوجها وتلزم بيتها، العزيزة في قومها، الذليلة في نفسها، الودود الولود، وكل أمرها محمود.

حقا

إذا لم تخش عاقبة الليالي
ولم تستح فافعل ماتشاء
فلا والله مافي العيش خير
ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير
ويبقى العود مابقي اللحاء

أيها الناس

وجد مكتوب على قبر:

يا أيها الناس كان لي أمل
قصر بي عن بلوغه الأجل
فليتق الله ربه رجل
أمكنه في حياته العمل
ما أنا وحدى نقلت حيث ترى
كل إلي مثله سينتقل

الثناء على سيدنا عمر رضي الله عنه

قال ابن عباس:

دخلت على عمر حين طعن، فجعلت أثنى عليه وقلت: مصّر الله بك الأمصار، وفتح بك الفتوح، وفعل بك وفعل.

فقال:

بالإمارة تغبطونني؟ فوالله لوددت أن أنجو كفافاً لا أجر ولاوزر.

وقت الأكل

سأل رجل أحد الفلاسفة عن الوقت الذي يجب أن يأكل فيه، فقال الفيلسوف:

إن كنت غنيا فكل في الوقت الذي يعجبك، وإن كنت فقيراً فكل في الوقت الذي يمكنك.

أيكم الشعبي؟

دخل رجل من الحمقى على الشعبي وهو جالس مع امرأته، فقال: أيكم الشعبي؟

فقال الشعبي:

هذه وأشار إلي امرأته،

فقال: ماتقول أصلحك الله في رجل شتمني في أول يوم من رمضان هل يؤجر؟

قال: إن كان قال لك يا أحمق، فإني أرجو له الأجر.

أريد الحج

وفد رجل على المأمون، وقال له: أنا رجل من الأعراب يا أمير المؤمنين!

فقال: لا عجب.

فقال: أريد الحج!

فقال له: الطريق واسعة.

فقال له: لقد أتيتك يا أمير المؤمنين مستجديا لا مستفتيا!

فضحك المأمون وأحسن صلته.

دعاء

«اللهم إني أسألك خلاصاً من النار سالماً، وأدخلني الجنة آمناً».

المؤسسات العلمية في العصر الإسلامي

١- المراصد الفلكية

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا

المرصد الفلكي observatory بناء يتم فيه رصد الأجرام السماوية المختلفة، من نجوم وكواكب وأقمار وشهب ونيازك ومذنبات، وكل الظواهر الكونية المتاحة، وتسجيل ما يتوفر عن ذلك من ملاحظات ومعلومات يفيد منها الباحثون في كشف المزيد من أسرار النظام الكوني.

ولابد أن المرصد كان في البداية بدائياً مجرداً، تقوم العين وحدها بأعبائه نظراً لعدم توفر الأجهزة والأدوات العلمية اللازمة، ومع التقدم العلمي أدخلت الأدوات المساعدة لتعزيز مهمة العين، ولتسهيل عمليات الرصد والحساب، فاستخدمت آلات بسيطة، تطورت فيما بعد إلى أن بلغت في عصرنا الحاضر درجة عالية من الدقة والكفاءة والتعقيد.

ومن أهم المراصد القديمة التي اشتهرت في التاريخ ذلك المرصد الذي بُني في الإسكندرية بمصر في القرن الثالث قبل الميلاد، وقد ظل هذا المرصد الذي طوّره «بطليموس القلوذي» وحيداً في العالم حتى إنشاء المراصد في عصر الحضارة العربية والإسلامية، وتزويدها بالعديد من الآلات والأدوات الرصدية مثل المزولة «الساعة الشمسية» والساعة المائية وآلات «الاسطرلاب» وغيرها.

وقد أجريت أول أرصاد علمية في الإسلام في عهد الخليفة المأمون العباسي (ت ٢١٨هـ/ ٨٣٣م)، في دمشق من أرض الشام والشماسّية ببغداد (عند محلة الصليخ إحدى محلات الأعظمية اليوم)، وذلك سنة ٢١٤ هجرية.

ويوضح حاجي خليفة - صاحب كتاب «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» - هذا الأمر بكلام صاعد الأندلسي، فيقول: «لما أفضت الخلافة إلى عبدالله المأمون بن الرشيد العباسي، وطمحت نفسه الفاضلة إلى إدراك الحكمة، وسمت همته الشريفة إلى الإشراف على علوم الفلسفة، ووقف العلماء في وقته على كتاب «المجسطي» وفهموا صورة آلات الرصد الموصوفة فيه، بعثه شرفه وحداه نبله على أن جمع علماء عصره من أقطار مملكته، وأمرهم أن يصنعوا مثل تلك الآلات وأن يقيسوا بها الكواكب ويتعرفوا أحوالها بها كما صنعه «بطليموس» ومن كان قبله، ففعلوا ذلك وتولوا الرصد بها بمدينة الشماسّية وبلاد دمشق من أرض الشام سنة ٢١٤ أربع عشرة ومائتين».

بعد ذلك تعددت المراصد الفلكية وزادت بزيادة الفلكيين وتطورات علم الفلك، فأنشىء في بغداد عدد من المراصد منها مرصد «ابن الأعلم» سنة ٢٥٠هـ، ومرصد بني موسى القائم على قنطرة بغداد المؤدية إلى باب الطاق، والمرصد الشرقي المنسوب إلى شرف الدولة بن عضد الدولة البويهي، وقد بناه في حديقة قصره بدار المملكة ببغداد.

وفي بلاد الشام أنشأ البتاني مرصداً، وأنشأ ابن الشاطر مرصداً آخر، وفي مصر أنشيء المرصد الحاكمي.

ومنذ القرن الرابع الهجري «العاشر الميلادي» بدأت أعمال الرصد الفلكي في الانتشار غربا، وتحظى أرصاد ابن يونس (ت ٣٩٩هـ/ ١٠٠٩م) في مصر بأهمية خاصة، ولا يبدو أنه عمل من خلال مؤسسة دائمة، فقد حصل على نتائجه المتازة بواسطة آلات محمولة. أما سلسلة الأرصاد التي قام بها «الزرقال» ومعاونوه لدراسة القمر والنجوم الثابتة فقد أجريت في طليطلة وقرطبة على مدى خمسة وعشرين عاماً.

على أن المرصد، باعتباره مؤسسة دامت لفترة طويلة من الزمن، وعمل بها فريق من الباحثين، يؤرخ له بالمرصد الذي أسسه ملكشاه (١٠٧١-١٠٩٢م) في أصفهان، وأكمل فيه عمر الخيام وأعوانه أعمالاً فلكية مهمة.

أما أشهر المراصد الفلكية التي عرفتها الحضارة العربية الإسلامية فهو المرصد الذي أنشأه العالم والفيلسوف نصير الدين الطوسي ومعاونوه سنة ٦٥٧ هجرية، ١٢٥٨ ميلادية، في مراغة بأذربيجان، مستغلاً علاقته الجيدة بهولاكو المغولي (ت ٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م) الذي كان محبًا للتنجيم والعلوم. وكان مرصد مراغة

مؤلفا من عدة بنايات تشمل قصر هولاكو ومسجداً وخزانة كتب عظيمة ثرية فسيحة الأرجاء. ويذكر الصفدى فى «الوافى بالوفيات» عمّن شاهد هذا المرصد: «سافرتُ إلى مراغة وتفرجت فى هذا الرَّصد «أى المرصد» ومتوليه صدر الدين على بن الخواجا نصير الدين الطوسى، وكان شابا فاضلاً فى التنجيم (أى علم النجوم) والشعر بالفارسية، وصادفت شمس الدين محمد بن المؤيد العُرضى، وشمس الدين الشروانى، والشيخ كمال الدين الأيكى، وحسام الدين الشامى، فرأيت فيه من آلات الرصد شيئاً كثيراً، منها ذات الحلق وهى خمس دوائر متخذة من نحاس: الأولى دائرة نصف النهار وهى مركوزة على الأرض، ودائرة معدل النهار، ودائرة منطقة البروج، ودائرة العرض ودائرة الميل، ورأيت الدائرة الشمسية يعرف بها سمت الكواكب، واصطرلابا تكون سعة قطره ذراعا، واصطرلابات كثيرة وكتبا كثيرة».

وقد ألف مؤيد الدين العُرضى، أحد علماء مرصد مراغة، كتاباً شرح فيه الآلات المستخدمة فى المرصد وسماه «فى كيفية الأرصاد»، وفيه الكثير من المعلومات القيمة عن أجهزة المرصد، والكتاب لايزال مخطوطًا لم يقم بطبعه ونشره أحد إلى الآن- على حد علمنا.

ويذكر المستشرق الفرنسى سيديو أن الطوسى أحدث ثقبا فى قبة المرصد تنفذ منه أشعة الشمس على وجه تعرف به درجات حركتها اليومية ودقائقها وارتفاعها فى مختلف فصول السنة، وتعاقب الساعات، وهذا يعنى تطبيقاً جديداً للميل ذى الثقب الذى استعان به العرب منذ القرن العاشر الميلادى، ومن هذا الميل وذات الحلق الكبرى التى تشابه آلة «تيكوبراها»، وأرباع الدائرة المتحركة والكرات السماوية والأرضية وأنواع الاسطرلابات تتألف مجموعة آلات مهمة استعان بها نصير الدين الطوسى».

وتذكر المراجع عدداً كبيراً من الفريق العلمى الذى عمل فى هذا المرصد، نذكر منهم:

- نصير الدين الطوسى، الرئيس والمشرف على مرصد مراغة.
- نجم الدين الكاتبى القزوينى.
- ركن الدين الاسترابادى.
- الفخر الخلاطى من تبليس (عاصمة جورجيا السوفيتية الآن).
- مؤيد الدين العُرضى، من بلاد الشام.
- الفخر المراغى، من الموصل بالعراق.
- محيى الدين المغربى، ومهندس وراصد.
- قطب الدين الشيرازى.

- شمس الدين الشيروانى.
- الشيخ كمال الدين الإيجى.
- حسام الدين الشامى.
- نجم الدين الاسطرلابى.
- صدر الدين على بن نصير الدين الطوسى.
- أصيل الدين بن نصير الدين الطوسى.
- نجم الدين على بن محمود الحكيم الكاتب البغدادى.
- قومنجى (تومة جى) الصينى الملقب (سينك سينك) العارف.
- ابن الغوطى، تولى إدارة خزانة مراغة.
- شمس الدين بن محيى الدين بن عربى.

لقد قدم هذا الفريق العلمى خدمات جليلة لعلم الفلك بما توصل إليه من نتائج ومؤلفات، يقف فى طليعتها «الزيج الإيلخانى» الذى كتبه الطوسى نفسه بالفارسية منسوبا إلى الاسم الأصلى لهولاكو، وظل مرجعًا معتمداً فى الدراسات الفلكية الأوروبية حتى عهد قريب.

وتجدر الإشارة إلى أن مرصد مراغة هو المرصد الأول فى العالم الإسلامى الذى استفاد من ربع الأوقاف، وهذا ما أثار - على ما يبدو- بعض الاحتجاجات لأنه لم يكن يشكل مؤسسة دينية أو خيرية. وهكذا فإن هذه المؤسسة العلمية، وبفضل هذه التخصصات، لم تكن لتتأثر بموت مؤسسها هولاكو، واستمر نشاطها حتى أوائل القرن الثامن للهجرة (الرابع عشر للميلاد)، والدليل على ذلك أن أحد أبناء نصير الدين كان قد عين مديراً للمرصد سنة ٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م. ولكن بعد ذلك بثلاثة عقود لم يُر منه سوى الأنقاض. ومع ذلك فإن تلك الأنقاض كانت مؤثرة فى نفس الفتى «أولغ بك» عندما زارها وأوحت إليه بإنشاء مرصد مماثل فى سمرقند فى عام ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م على الأرجح، فهو نفسه رياضى وفلكى جدير بالاهتمام.

ومن بين رجال العلم الذين اشتهروا فى سمرقند أدى قاضى زاده دوراً مهما على المستوى التعليمى شهد به الكاشى فى رسالة لأبيه القاطن فى كاشان، حيث يروى أنه عندما أتى إلى سمرقند وكان المرصد فى طور البناء وجد جميع الأجهزة المصنعة لهذا المرصد قائمة على تصور خاطىء، الأمر الذى اضطره إلى صنع غيرها برعاية من أولغ بك، وقاضى زاده. وقد وضع موت أولغ بك سنة ٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م حداً لنشاط المرصد.

واكتشفت آثاره سنة ١٩٠٨م على رابية في الضواحي الشمالية الشرقية للمدينة على يد عالم الآثار الروسي ف. ل. فياتكين. وبعد الحرب العالمية الثانية جاءت حملة تنقيب ثانية حصلت على نتائج مثيرة للاهتمام، وقد نشرت بالروسية تحت رعاية أكاديمية العلوم الأوزبكية، وأفضت إلى ترميم المتبقى، وهو بشكل أساسي جزء من مزولة كبيرة كانت تستعمل لتحديد ارتفاع الشمس بواسطة طول الظل. وتدل الآثار على أن المكان كان يحتوى على تمثيل للكرات السماوية وخرائط ولوحات جدارية.

وهناك مرصد آخر أسسه تقى الدين بن معروف في استنبول عام ١٥٧٥م، ويعتبر المؤسسات العلمية الضخمة في فترة ما قبل العصر الحديث، على غرار مرصدى مراغة وسمرقند، ولكنه دمّر عام ١٥٨٠م.

نعم، لقد كانت المراصد الفلكية في العصر الإسلامي قليلة العدد كمؤسسات متخصصة مثل مرصدى مراغة وسمرقند، ولكنها قدمت دليلاً واضحاً على نضج المنهج العلمي الذي اتبعه المسلمون، وأكدت سبقهم إلى الأخذ بعمل الفريق كنموذج رائد لممارسة البحث العلمي السليم، وربما كان السبب في قلة عدد هذه المراصد كمؤسسات علمية أنها لم تحظ برعاية دائمة كمؤسسات خيرية أو دينية، بخلاف بقية المؤسسات العلمية والثقافية الأخرى كالمكتبات والمدارس والمستشفيات والجوامع، التي كانت الأوقاف تؤمن لها ما يساعدها على البقاء لفترات أطول.

أهم المراجع:

١- د. أحمد فؤاد باشا، التراث العلمي للحضارة الإسلامية، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣م.

٢- عبدالأمير المؤمن، التراث الفلكي عند العرب والمسلمين وأثره في علم الفلك الحديث، منشورات جامعة حلب ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٣- فرنسواز ميشو، المؤسسات العلمية في الشرق الأدنى في القرون الوسطى، موسوعة تاريخ العلوم العربية، الجزء الثالث، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان ١٩٩٧م.

***

واجب المجتمع في مقاومة ظاهرة الإدمان

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

● إن واجب أمتنا الإسلامية، أفراداً وجماعات، وشعوبا وحكومات أن تصون حماها من اقتحام أسلحة الشر، والعدوان على دمارها وأوطانها، من الأعداء الذين يصوبون لها سهاما ظاهرة تظهر في الحروب، وفي أسلحة الدمار الشامل كما تظهر وسائل العدوان وظواهره في الاعتداء على الدين والقيم، وعلى المبادىء والأخلاق بما يحدث من محاكاة شباب الأمة لأعدائها في السلوك وفي إعصار العولمة وما تهاجم بها تياراتها قيمنا وأخلاقنا فيقع كثير من الشباب فريسة التقليد الأعمى، ويكون ظلا لغيره، وتبعًا لسواه، مع أن الإسلام حثنا على أن تكون لنا شخصيتنا المستقلة، وهويتنا الإسلامية، فلم يُبح لنا أن نأخذ عن الغير إلا الخير وما فيه نفع للأمة أما ما فيه شر أو لا يتمشى مع تعاليم الإسلام فنهانا عنه ديننا الحنيف، فقال رسول الله ﷺ: «لا يكن أحدكم إمَّعة يقول: إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت، ولكن وطّنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا»(١).

● وكما يظهر اقتحام أعدائنا بأسلحة الحرب لبعض الأوطان، وبأسلحة الرذيلة والقضاء على الفضيلة بتيارات الفساد، يظهر هذا الاقتحام أيضا من خلال الغزو الفكري الذي يتسرب من خلال الكتب وما يُنشر وما يُبث وما يُذاع من محاولة انتشار أفكار مسمومة، ونظريات محمومة، وكتب وصحف ملغومة، تخفى بين طياتها الشر والعدوان، للقضاء على القيم والمبادىء والأخلاق التي بها بقاء الأمة وبذهابها تذهب الأمة.

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

(١) مجمع الزوائد ١/ ١٨٠.

● أما رابع هذه الظواهر التى يحاول أعداء أمتنا اقتحام الوطن بها فهى المسكرات، والخمور، والمخدرات، وغيرها من السموم البيضاء التى تنتشر بين أفراد المجتمعات بالبيع حيناً والزراعة لها أحياناً أخرى، وبتسريبها من المنافذ لدولنا.

ومما لا ريب فيه أن فى انتشار هذه الخمور والمسكرات والمخدرات وغيرها قضاء على صحة أبناء الوطن وقضاء على العقل الذى يصبح مغيباً بسبب تعاطيها، وقوة الأمة تتمثل فى قوة الشباب والنشء، لأنهم أمل الأمة وعدة الغد والمستقبل فإذا كانوا ضعفاء ضعفت الأمة، وإذا كانوا أقوياء قويت الأمة، إن هذه المسكرات والمخدرات تقضى على خلايا الأجسام، وتقضى على خلايا الكبد والكلى والقلب وتجعل متعاطيها يتساوى مع المخلوقات التى لا عقل لها، ويصبح أشبه بالحيوان والجماد، لأنه غطى عقله بهذه المسكرات والمخدرات.

والأمر العجيب أن مقاومة هذا العدوان الذى يصوبه الأعداء إلى أمتنا من خلال المسكرات والمخدرات، يواجه بمقاومة شديدة، وبقوانين قوية وصلت فى بعض الأحيان العقوبة إلى القتل.. والسؤال الآن هو؟ لماذا بقيت هذه الظواهر؟ ولماذا لم يقض عليها؟ وكيف يستمر المتعاطون والمتاجرون رغم كل القوانين والجهود المبذولة؟

والجواب على هذا السؤال هو: أنه يجب قبل مطالبة الغير بفعل شىء أو ترك شىء، أن يكون الذى تأمره أو تنهاه أو توجهه مؤمناً بالفكرة، مقتنعاً بما توجهه به، فإذا وجد الإيمان الذى هو أساس كل إصلاح أمكن للدعوة الإصلاحية أن تنجح، والدليل على ذلك أن رسول الله ﷺ قبل أن يأتى بالأحكام الشرعية التفصيلية قضى شطر الدعوة الأول فى مكة المكرمة يدعو الناس إلى الإيمان وإلى توحيد الله وإلى تثبيت العقيدة فى القلوب، فإذا ماثبتت العقيدة، ورسخ الإيمان استقبل الناس الدعوة بالقبول وأجابوا من يدعوهم إن أمرهم أجابوه، وإن نهاهم انتهوا عما نهاهم عنه..

فعلينا - أولا - أن نعمل على تثبيت الإيمان وغرس الوازع الدينى، فإذا ما تم ذلك فإن الذين ندعوهم يستجيبون إلى الدعوة أما محاولة القيام بمقاومة ظاهرة الإدمان من خلال القوانين الوضعية، فلا يكون ناجعا، لأنها ليس لها قداسة الدين وروحه ولا يشك أحد أن الناس يتحايلون على القوانين الوضعية ويتهربون منها، لأنهم لا يشعرون حيالها بقدسية القوانين الربانية ويستطيعون الإفلات من طائلة القانون وعقوبته بالحيل القانونية والتذرع بأهل القانون أنفسهم.. أما حين يكون الإنسان مؤمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره يكون مقتنعا بأنه إن لم يطبق ما

أمر الإسلام به وإن لم ينته عما نهى عنه فإنه سيحاسب ويعاقب، وأنه إن لم يره أحد فإن رب العزة سبحانه لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء.

وعندئذ يراقب الإنسان سلوك نفسه ولا يقع فى محظور، ولا يرتكب مخالفة.

وكيف يتم غرس الوازع الإيمانى والضمير الدينى؟

إنه يتم من خلال تمكين الدعوة والدعاة للوصول إلى قلوب الناس، وألا تعترض الدعوة وسائل الهدم بنشر ظواهر المسكرات والمخدرات.

متى يبلغ البنيان يوما تمامه
إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

ويكون - أيضا - من خلال تقديم نماذج القدوة، فعلى الدعاة أن يكونوا أبعد الناس عن ظواهر التدخين والإدمان.

وعلى الأطباء أن يكونوا أبعد الناس أيضا عن هذه الظواهر، وعلى المعلمين فى مدارسهم ومعاهدهم وجامعاتهم أن يكونوا قدوة لغيرهم، وعلى الوالدين أن يكونا قدوة لأبنائهم وهكذا...

كما يجب أن تتضافر سائر قطاعات المجتمع فى مناهضة كل آفة أو عادة سيئة أو منكر من المنكرات أو المسكرات والمخدرات، لأن أخطارها حين تتسرب بالإدمان وتتفشى فى البلدان يعم خطرها وشرها جميع الناس، وفى صدد قيام الرأى العام بمسئوليته ووجوب التعاون لمناهضة الفساد ونشر الخير، يقول الرسول ﷺ.

«مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا».

(رواه البخارى)

ومما لاشك فيه أن خطر الإدمان لا يقتصر على المدمن وحده بل يتعداه إلى غيره من أفراد المجتمعات، فهو يضر الجالسين حوله، ويلوث البيئة وتحدث بسبب تعاطيه المخدرات الجرائم والمخالفات التى تكون نتيجة غياب العقل أو ذهوله أو ضعفه أو انفلات الأعصاب لأتفه الأسباب.

من أجل هذا كان على جميع أفراد المجتمع أن يتعاونوا فى مقاومة ظاهرة الإدمان، وألا يقول البعض: علىّ نفسى، فلا يكفى أن تكف نفسك عن الشر بل لابد أن تعمل على الأخذ على أيدى الظالمين والعابثين بحقوق المجتمع.

عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال: «يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾

سورة المائدة: ١٠٥

وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه» (رواه أبو داود والترمذى).

وهنا تتجلى مسئولية الفرد والجماعة والأمة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كما قال الله تعالى:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

سورة آل عمران (١٠٤)

وإن أفراد المجتمع إذا سكتوا على ظاهرة الإدمان وتركوها تستشرى فى المجتمع وتنتقل العدوى من شخص لآخر سيترتب على ذلك هلاك العاصين والصالحين معا، أما العاصون فبعصيانهم وأما الصالحون فبسكوتهم، قال الله تعالى:

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾

سورة الأنفال: ٢٥

وإن عدم القيام بمقاومة ظاهرة الإدمان، وعدم النهى عن المنكرات من الذنوب الكبيرة التى يصبح صاحبها بسببها ملعونا ومطرودا من رحمة الله تعالى، قال الله سبحانه:

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾

سورة المائدة (٧٨، ٧٩)

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول له: يا هذا اتق الله ودع ما تفعل فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه فى الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال:

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾

ثم قال:

«كلا والله لتأمُرنَّ بالمعروف ولتنهوُنَّ عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطْرا ولتقصرنَّه على الحق قصرا أو ليضربن قلوب بعضكم ببعض ثم يلعنكم كما لعنهم».

رواه أبو داود والترمذى

ومعنى: «ولتأطرنه» تعطفونه ومعنى: «ولتقصرنه»: أى لتحبسنَّه.

ولابد أن يعلم الناس جميعا أن تحريم المسكرات والمخدرات جاء صريحا فى القرآن الكريم في قول الله تعالي:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾

سورة المائدة: «٩٠، ٩١»

وإن الخمر كل ما خامر العقل أى غطاه وستره ومنعه من الاعتدال سواء كان مائعا أو جامدا أو مشموما أو محقونًا أو مأكولا أو مشروبا وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «الخمر ما خامر العقل». وسواء كان المتعاطى تعاطى كثيرا أو قليلا فهو حرام، لقول الرسول ﷺ: «ما أسكر كثيره فقليله حرام».

(رواه أحمد)

ومتى وجدت العلة وهى تغطية العقل فى القليل أو الكثير وبأى اسم كان من الأسماء فهى حرام، لقوله ﷺ: «ليشربن أناس من أمتى الخمر ويسمونها بغير اسمها».

(رواه أحمد وأبو داود)

هذا إلى جانب ما فيها من أضرار صحية اكتشف الطب الحديث أن المسكرات والمخدرات سبب لكثير من أمراض القلب والكلى، ومرض السرطان، وقد حرم الإسلام كل ما فيه ضرر أو ضرار قال عليه الصلاة والسلام: «لا ضرر ولا ضرار»[٢] وحرم كل ما فيه إسكار أو تفتير ففى الحديث: «نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر»

(رواه أبو داود).

***

(٢) ابن ماجة ٢٣٤٠، ٢٣٤١ السنن الكبرى. البيهقى ٦/٦٩، ٧٠. الطبرانى فى الكبير ٢/٨١، ١١/٣٠٢.

مفهوم الإنسانية

للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومي

أقبل عليَّ طالب من طلاب الدراسات العليا وطلب منى الإذن فى الحديث إلى فأذنت له؟ فسألنى عن عدة مفاهيم تدور كلها حول مفهوم الإنسانية فقلت له: ذلك هو الإنسان آية الله فى كونه.. فقلت أيها الطالب إسمع منى ما أمليه عليك، ولك حق التعليق.. فقال لى: أكتب. فقلت له لك ماتشاء، ثم أقبلت عليه بحديثى وقلت له: إن الإنسان يتكون من:

١- جسد ونفس:

يقرر الإسلام أن الإنسان جسد ونفس، ويشير إليه فى آية بالتكريم فى قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾[1]. الآية.. إنه مخلوق يشبهه الفلاسفة بعملاق انغرزت رجلاه فى التراب وتطلعت باصرتاه إلى أعلى، إلى المثل الأعلى.

إنه حيوان يأكل ويشرب ويمارس حاجاته الجنسية ويتصف بما يتصف به أى حيوان من حب للبقاء وجهد للحفاظ على هذا البقاء ونزاع مع غيره من الناس والحيوانات من أجل ذلك البقاء ولكنه فى الوقت ذاته يحب ويبغض، يريد ولا يريد، ويؤمن ويتعصب، يعطى ويأخذ، يضحى ويستأثر.

إن لجسد الإنسان حقوقاً ومطالب وله دوافع وحوافز، تنتج عن حاجات ومتطلبات ولكن له إلى ذلك نفساً هى عقل، وهى إرادة وهى عاطفة إنها معرفة وعمل وانفعال وهى قادرة على السمو بصاحبها إلى آفاق المثل العليا، آفاق الحب والحق، والخير والجمال كما أنها قادرة على الهبوط بصاحبها إلى درك الحيوانية ومهاوى الشر والأذى.

(١) الإسراء (٧٠).

إن الإنسان عاجز عن الانفلات من جسده والتحرر منه، وهو لذلك ملزم بتلبية حاجات هذا الجسد والإلتفات إلى مطالبه، ولكنه قادر على التسامى بجسده والتنسيق بين مطالبه ومطالب النفس الطيبة بحيث لا يطغى الجسد على النفس ولاتميت النفس الجسد. والسعيد السعيد من يوفق بين نفسه وجسده وبين روحه وبدنه فلا يضطهد جسده ويميته، ولايجعل من نفسه عبداً لأهوائه الجسدية وشهواته البدنية إن جسداً متناغما مع الروح وإن نفسا متسقة مع الجسد هى غاية الغايات وطريق الإنسان إلى الراحة النفسية والراحة الجسدية وبالتالى إلى السعادة الأبدية.

وشبه القرآن فتل الذين يعرضون عن آياته بالكلب قال:

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾[2].

٢- أخلاق وسلوك أخلاقى:

إن جوهر إنسانية الإنسان قلب واع وضمير حى ذكى واع مفعم بالدين يأمر وينهى، يسمح ويمنع يرضى ويغضب، يمدح ويوبخ، ومهما اختلفت أراء الفلاسفة فى أصل هذا الضمير، فيما إذا كان وراثياً أم مكتسباً، فإنهم يتفقون على أن للتربية الصحيحة والممارسة قيمتها، والإبقاء عليها متوهجة. طوبى للذين يملكون ضميرا حياً يحاسبهم حساباً عسيرا، ويبشرهم بالسعادة إذا رضى وبالشقاء إذا غضب، طوبى للذين يضعون رؤسهم على وساداتهم فى المساء وقد استعرضوا ما مر بهم فى يومهم وحكموا بالصلاح فرضوا، وعاهدوا نفوسهم على أن يستمروا فيه، أو حكموا عليه بالطلاح، فأسفوا وندموا وعاهدوا نفوسهم على أن يكفوا عنه ويتركوه.

طوبى للذين يخافون ضمائرهم وترتعد فرائصهم من حسابهم، إنهم جديرون بأن يسلكوا الصراط المستقيم وإذا ماصدق أو خرجوا عنه لسبب من الأسباب عادوا إليه تائبين مستغفرين.

إن الخلق الحسن صفة الإنسان المميزة وسمته الأعظم ولقد وصف الله عز وجل رسوله الكريم فقال له:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[3].

وإذا كان صحيحا أن الأخلاق

(٢) الأعراف (١٧٦).

(٣) القلم (٤).

التطبيقية تختلف من زمان إلى زمان ومن مكان إلى مكان فإن المبادىء الأخلاقية الصحيحة واحدة فى كل زمان ومكان وهى خالدة سرمدية واضحة وبينة ويهمنى فى هذا المجال أن أؤكد أن الأخلاق ليست مبادىء تقال ولا شعارات تطلق وإنما هى سلوك وتصرف يوحيان فصاحب الخلق القويم هو صاحب التصرف الأخلاقى الصحيح وكل محاولة للفصل فى الأخلاق بين القول والعمل غش صريح ومخادعة بينة.

وإذا كان صحيحا أن صاحب مثل هذا الخلق القويم يتمتع بضمير يقظ يحاسبه حساباً عسيراً ويؤنبه تأنيباً شديداً، ويدفعه إلى التوبة والتفكير عن ذنبه.

ثم إنه يهمنى فى هذا المقال أيضاً أن أؤكد أنه لاصحة لما يعمد إليه بعض الناس من التفريق بين الأخلاق الخاصة والاخلاق العامة مؤكدين أن الإنسان قد يرتشى مثلاً ويكون مع ذلك إنساناً صادقاً وصاحب ضمير حى. إن هذا التفريق خطأ واضح بل هو خطأ خطير ذلك بأن الأخلاق وحدة لاتتجزأ فإما أن يكون الإنسان أخلاقيا، أو لايكون، ومن كان فى تصرفاته العامة غير أخلاقى كان كذلك فى تصرفاته الخاصة والعكس على العكس.

وليس معنى هذا الذى أقول أن سلوك صاحب الخلق القويم يكون أخلاقياً دوماً فالكمال لله وحده، ولكن معناه أن صاحب الخلق القويم إن أخطأ ندم وتاب وعاد عن خطئه مستغفرا وحريصاً على أن لايعود إلى الخطأ أبداً.

ويتصل بهذا الذى أقوله السلوك فى السر والسلوك فى العلن، أن صاحب الخلق القويم لايفعل فى السر ما يستحى منه فى العلن. إن سلوكه واحد فى الخفاء والعلن، وأن رقيبه واحد ألا وهو ضميره الحى اليقظان الذى لا يتسامح فى شاردة أو واردة.

٣- المثالية:

والإنسان الحقيقى الذى يستحق صفة «الإنسانية» إنسان مثالى إنه يؤمن بالمثل الأعلى ويعيش للمثل الأعلى ويتصرف بوحى من المثل الأعلى وها هنا أمر لابد من الوقوف عنده وقفة قصيرة ألا وهو الالتباس فى أذهان العامة بين المثالية والخيالية.

إن الخيالية تعنى بمعناها البسيط البعد عن الواقعية والابتعاد عن العملى الممكن أما المثالية فشىء مختلف تماماً إنها تقوم على فهم ووعى عميقين كما تقوم على إيمان شديد وإرادة حديدية. أما الوعى والفهم فللمثل العليا: مثل القيم الدينية والقيم الإنسانية مثل الحق والخير والعدل

والجمال وغيرها من المثل. إن الذى لايفهم هذه المثل ويعيها وعياً عميقاً لا يستطيع أن يؤمن بها فالإيمان لايقوم إلا على أساس من الفهم والوعى.

والإيمان بالمثل الأعلى يدفع المؤمن إلى البذل والتضحية.

المثالية قمة الإنسانية وزينتها، ولايستطيع إنسان أن يكون إنساناً بالمعنى الصحيح إذا لم يكن مثالياً: يتفهم المثل العليا، ويؤمن بها ويعيش من أجلها. وما البطل إلا الإنسان الذى آمن بمثل أعلى وعاش له وضحى فى سبيله حتى حقق مثله الأعلى أو استشهد دونه.

٤- الغيرية:

كون الإنسان مثالياً معناه كونه غيرياً ولذلك فأنا إذ أفصل مفهوم الغيرية إنما أشرح منحى من مناحى كون الإنسان مثاليا.

يقول بعض العلماء أن الإنسان أنانى بطبعه، وهو قول على شىء كثير من الصحة ولكنه ليس صحيحا كل الصحة ذلك بأن الإنسان مضطر لأن يكون أنانياً لكى يحفظ بقاءه ويبقى على ذاته، وحفظ البقاء هو أقوى الدوافع الإنسانية إن لم يكن أقواها على الإطلاق وهو بطبيعة الحال ميل أصيل حتى لقد قال بعض العلماء أنه غريزة لا يمكن أن تستمر أيضا الحياة بدونه، ولكن هذا جميعه لا يمنع أن الغيرية أيضا ميل قوى ودافع أصيل من دوافع الإنسان ويرى العلماء أن الغيرية موجودة أصلا فى ميل الأم للحفاظ على مواليدها وميل الأب إلى مثل هذا الحفاظ وإن كان بدرجة أقل، ولقد دلت دراسات علمية فاضلت بين الدوافع عند الحيوان ولاسيما الأنثى منه على أن ميل الأم للاتصال بمواليدها والحفاظ عليها هو أقوى الميول إنه أقوى من الطعام والشراب وهما أداتان من أدوات الحفاظ على البقاء أساسيتان.

وإذن فإن الغيرية ليست ميلا طارئا على النفس ولا دخيلا عليها، بل إن الإنسان غيرى بطبعه تماما كما هو أنانى بطبعه ولكن بعض الناس يغلبون أنانيتهم على غيرتهم لدرجة تفقدهم مثاليتهم وبالتالى إنسانيتهم.

إن الإنسان الحق إنسان غيرى، كما هو إنسان أنانى إنه على الأصح إنسان يوازى بين أنانيته وغيرته فلا يغلب أنانيته على غيرته ولا يجعل من نفسه محورا للعلم يدور حوله وحده.

ويتصل بهذه الغيرية مفهوم اجتماعى هام، هو مفهوم التعاون والتكافل والتراحم بدلا من التنافس والتضارب والتزاحم إن الإنسان الحق إنسان يتمتع بروح رياضية لا يزاحم غيره إلا مزاحمة

شريفة عادلة ويتعاون مع غيره كلما كان ذلك ممكنا .

٥- المحبة والتسامح:

ومن صفات المثالية أن يكون محبا متسامحا ، ولكن لابد من وقفة قصيرة عند هاتين الصفتين لأنهما تقعان من الإنسانية فى الصميم .

يجمع علماء النفس على أن حاجة الإنسان للحب حاجة أساسية لا تقل أهمية عن حاجاته الأخرى الجسدية منها والنفسية والاجتماعية .

إن الإنسان بحاجة لأن يحب (بكسر الحاء) ويحب (بفتح الحاء) وهم يرون ان هذه الحاجة ضرورية لحسن البقاء النفسى وللصحة العقلية، إن إنسانا يشعر بأن من حوله غير راضين عنه إنسان لا يكون تعيسا فحسب بل هو إنسان محكوم عليه بأن يضيع توازنه النفسى إذا استمر معه الحال على هذا المنوال، ثم إن الإنسان بحاجة ماسة إلى أن يحب غيره وأن يعطيه وأن يضحى فى سبيله والحب هو الشيء الوحيد فى الدنيا الذى يتعاظم .

ولذلك كله فإن الإنسان هو الذى يحب (بكسر الحاء)، وبالتالى يحب (بفتح الحاء) إن إنسانا يكره الناس ويبنى علاقاته معهم على البغضاء والحقد يفقد سمة من أهم سمات الإنسانية وعنصرا جوهريا من عناصرها ثم إن الذى يحب ويحب يكون سعيدا هانئا راضيا ، بخلاف الذى يبغض أو يكون مبغوضا إنه إنسان تعيس شقى بائس .

والحب الحقيقى لا يكون إلا متسامحا انه يرى العيوب ، ويعرف الأخطاء ويدرك الهنات ولكنه يغفرها ويتجاوز عنها ويتسامح فيها .

وأحب أن أفرق بين التسامح والتهاون فالتهاون تقصير وهو يقوم على أساس من جهل وغفلة وعدم اكتراث بل انه قد يقوم على أساس من كراهية وبغضاء أما التسامح فيقوم على أساس من الفهم والتقدير والإدراك والمحبة وشتان ما بين الإثنين إن المحب المتسامح هانىء سعيد أما المبغض الكاره المتهاون أو المتزمت تعيس يعيش فى الكراهية ويتنفس البغضاء .

٦- المواطنة الصالحة:

الإنسان الحقيقى لا يمكن إلا أن يكون مواطنا صالحا يعرف حقوقه ويطالب بها ولكنه يعرف قبلها أى واجباتها ويؤديها ، كيف يستطيع إنسان أن يكون إنسانا حقيقيا دون أن يحب وطنه ويضحى فى سبيله ويعمل على رفعته وتقدمه ويدافع عنه حين يلزم الدفاع ويحميه حين تكون الحماية ضرورية ويقدم له خير ما عنده من عقل ووجدان وفعل ؟؟

كيف يستطيع إنسان أن يكون إنسانا إذا لم يكن وطنيا يعرف واجباته معرفة دقيقة ويحرص على القيام بها بأمانة وإخلاص وشرف وتجرد دون حاجة إلى حافز خارجي أو دافع مفروض ؟

كيف يستطيع إنسان أن يكون إنسانا بالمعنى الصحيح للكلمة إذا لم يعرف حقوقه ويطالب بها ويحافظ عليها ويموت فى سبيلها إذا لزم الأمر ؟ كيف يستطيع إنسان أن يكون إنسانا إذا لم يؤمن بحقه فى الحرية والعدالة والديمقراطية وتكافؤ الفرص ؟

ان المواطن الصالح إنسان يوازن بين أناه وغيره بين وطنيته وإنسانيته بين حقوقه وواجبه .

٧- الثقافة وحب المعرفة:

والإنسان الحقيقى إنسان مثقف محب للمعرفة ، مؤمن بالعلم باحث عن الحقيقة إنه الإنسان المتعلم الذى يواصل تعليمه مواصلته لحياته ، إنه المثقف الذى يعرف شيئا عن كل شيء وكل شيء عن شيء انه الطُلَعة الذى يحب المعرفة ويؤمن بالحقيقة ويتحلى بالروح العلمية وما تستتبعه من منطق سليم وموضوعية تامة وفضول ذكى ، إن الإنسان الحقيقى يملك شوق العلماء إلى المعرفة وتواضع المثقفين الحقيقيين وفضل الباحثين الأذكياء وصبر العارفين للحصول على مزيد من المعرفة .

٨- حب النضال:

وأخيرا فإن الإنسان الحق لا يمكن إلا أن يكون مناضلا ، انه يرفض أن يقف من الأحداث وقفة المتفرج ويصر على أن يناضل فى سبيل الحق وأن يضحى من أجل الخير وأن يهب ما يملك من أجل الجمال .

إنه الإنسان ينخرط فى الحياة ويخوض عبابها ويناضل من أجل سيادة الأخلاق ورفعة المثل العليا وإحقاق الحق لو كلفه ذلك راحته الجسدية وتضحيته بكثير من الوقت والجهد والمال .

واستمع لى صاحبى الطالب ولم يعترض ولكنه أصر على أن يختم حديثنا بقول الشاعر الفيلسوف : أبى العلا المعرى حين يقول :

ولتفعل النفس الجميل لأنه
خير وأحسن لا لأجل ثوابها

***

قصة العدد

القلبُ الرحيمُ[1]

لعميد الأدب العربي

الأستاذ الدكتور/ طه حسين



لم يبتسم الأمير حنظلة بن عمير الخزاعي حين أدخل عليه، ولم يبسط له ذلك الوجه الذي تعود زواره أن يروه مشرقاً سمحاً، بل لم ينظر إليه، ولم يرفع رأسه عن ذلك الكتاب الذي كان ينظر فيه، وإنما تلقى من الشيخ تحيته وردها عليه بمثلها، وكأنه نسي مكانته منه فلم يأذن له بالجلوس. وظل الشيخ قائماً حائراً، مطرقاً حيناً ثم ناظراً عن يمين وشمال حيناً آخر، والناس من حول الأمير ومن حوله ساهمون واجمون، ينكرون في أنفسهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يقولوا شيئاً تهيباً للأمير. وكانت للشيخ في نفوس الناس بالفسطاط مكانة حسنة ومنزلة رفيعة. عرفوا ورعه، وكرم نفسه، وتنزهه عن الصغائر، وحسن بلائه في المشاهد، وحسن رعايته لحرمات الدين، وأكبروا منزلته من قومه، ونباهة شأنه فيهم، وحسن صنيعه إليهم. وكثير منهم كانوا يكبرون عظم ثروته، وسعة ذات يده. وكلهم كان يرى على كل حال أن الأمير لم يلقه بما تعود أن يلقاه به من البشر والإيناس. وكلهم كان يود لو استطاع أن ينبه الأمير إلى مكان الشيخ، ولكنه كان يشفق أن يجاوز حقه ويعدو حده ويدخل على الأمير بما لا يحب.

(١) مختارة من الجزء الثالث من كتاب على هامش السيرة

وقد طال إطراق الأمير وصمته، وطال وقوف الشيخ وحيرته. ثم تحول الشيخ عن موقفه فجأة، وسلم على الأمير سلام المنصرف. فرفع الأمير إليه وجهاً عابساً وهو يقول: «إلى أين ياحنظلة؟». قال الشيخ: «إلى حيث يلقاني الناس بغير ما لقيتني به أيها الأمير». قال الأمير: «لا بأس عليك! إجلس فإن لي معك شأناً». قال الشيخ: «لقد علمت أن لك معي شأناً، ولكني علمت أيضاً أن مثلي لا يلقى بمثل ما لقيتني به. فإن كنت قد دعوتني لخصومة أو ملامة، فقد كنت حرياً أن تقدم بين يدي خصومتك أو ملامتك خيراً مما قدمت، أو تكلف قاضيك أن يدعوني كما يدعى المتهم المليم».

قال الأمير: «اجلس فليس عليك من بأس! إني لم أدعك لخصومة ولا لملامة، وإنما دعوتك لبعض الأمر. ولعل ما بيني وبينك لا يعدو العتب عليك والنصح لك».

قال الشيخ: «وما ذاك؟».

قال الأمير: فخذ مكانك؛ فإنا سنتحدث عما قليل».

وسعى الشيخ هادئاً مطمئناً حتى جلس وهو لا يكاد يخفي ما يظهر على وجهه وفي عينيه من آيات الغيظ. وأحس جلساء الأمير أن الأمير يريد الخلوة إلى حنظلة فجعلوا ينصرفون متتابعين، حتى لم يبق في مجلس الأمير أحد إلا هذا الشيخ. هنالك نظر الأمير إلى حنظلة نظرة طويلة فيها حب ورفق، وفيها حزم وعزم أيضاً، ثم قال وهو يبتسم متكلفاً: «إن لبيت مال المسلمين عندك لثأراً ما أظنه يستطيع أن يدركه منك مهما تضخم ثروتك ومهما تغل هذه الأرض التي تملكها، ومهما يكسب لك هذا العدد العظيم من الرقيق الذين تصرفهم في هذه الصناعات المختلفة المربحة».

قال حنظلة: «أين عما تريد أيها الأمير: فإني لا أفهم عنك منذ اليوم». قال الأمير: «فإنك قد رزأت بيت المال رزءاً ما أظن ثروتك تستطيع أن تنهض به». قال حنظلة: «فإنك لم تولني عملاً من أعمالك، ولم تأتمني على ما تحتوي خزائنك من مال، وما أعرف أن بيني وبين السلطان سبباً من أسباب التجارة أو الالتزام، فكيف رزأت بيت المال؟ وبم رزأته؟».

قال الأمير: «ما هذا الحديث الذي بلغني عنك؟ ألم ترتفع إلى الأنباء بأنك قد زرت قرية عامرة من قرى الريف تريد أن تتعهد فيها بعض أرضك، فلم تنصرف عنها حتى أسلم أهلها جميعاً، ولم يبق منهم معاهد يؤدي إلى بيت المال درهماً أو ديناراً! أفتظن أنك لم ترزأ بذلك بيت مال المسلمين!! فإذا مضيت على سيرتك هذه، وإذا تأثرك جماعة أمثالك، فجعلوا كلما زاروا قرية من قرى الريف حملوا أهلها على الإسلام وصرفوا عن بيت المال مورداً من موارده، فإلام نحن صائرون؟ ومن أين ننفق على هذه المرافق؟! ومن أين نرزق أهل الديوان، ونوفر على الجند أعطياتهم؟ وكيف نحمل إلى دمشق ما تريد

دمشق أن يحمل إليها من المال ؟». فلم يستطع الشيخ أن يملك نفسه ولا أن يحتفظ بما ينبغى من الوقار لنفسه أولا ولمجلس الأمير بعد ذلك، ولكنه اندفع فى ضحك حر مطلق لا تحفظ فيه ولا اتزان. وجعل الأمير ينظر إليه دهشا لا يدرى أيغضب أم يرضى. فلما سكت الضحك عن الشيخ قال فى صوت مضطرب بعض الشيء: «أضلحك الله أيها الأمير وغفر لك! ما كنت أظن أن الله قد بعثنا جباة للمال نملأ به خزائنك ونحمله إلى دمشق، وإنما علمت أن الله قد بعثنا دعاة إليه، وهداة إلى الحق، ومبشرين برحمة الله، ومخوفين من نقمته، ما يعنينا بعد ذلك أن تمتلئ خزائنكم بالمال أو تصفر منه».

قال الأمير وهو يبتسم ويكظم غيظاً يريد أن ينفجر: «حسبك يا حنظلة! هذا كلام كان يقال منذ أذاعه عمر بن عبد العزيز رحمه الله فى الناس وكتبه إلى الولاة والعمال، وقد قبلته أنت ونفر من أمثالك، ومضيتم فى إنفاذه جادين جاهدين. ولكن عمر رحمه الله قضى ولم يطل به العهد، وعادت أمور الناس إلى من تعلم من الخلفاء والأمراء، وعادت سياسة الناس سيرتها الأولى. فلابد من أن تنفق على المرافق، ولابد من أن ترزق الجند، ولابد من أن نحمل إلى بنى مروان فى كل عام ما ينهض بأعبائهم، وإنها لأعباء ثقال!».

قال حنظلة: «فإن أمر هذا كله لا يعنينى، وإنما يعنى أمير المؤمنين وولاته وعماله والمدبرين لأمواله، فأما أنا فرجل من المسلمين أتيح له أن يدعو الناس إلى الحق، فاستجابوا له وهداهم الله به إلى دينه؛ فلا على أن ينصرف عن بيت المال بعض موارده. وإن كان لك أيها الأمير أو لأمير المؤمنين أرب فيما أملك من ثروة فما أستطيع أن أدفعكما عنه، وما أريد أن أفعل، فخذا منه ما تشاءان، وخذاه كله أن أحببتما؛ فإن المال يغدو ويروح. وما أكره أن أشترى هدى هؤلاء الناس بمال مهما يكثر، وما أكره أن أعين بيت المال على بعض أعبائه بثروة مهما تضخم، فإنى أرى ذلك صدقة وأعلم أن الله لا يضيع أجر المتصدقين».

قال الأمير وقد عاد إليه هدوءه واطمأن فى مجلسه وأشرقت فى وجهه ابتسامة حلوة عرفها حنظلة، فنظر إلى الأمير نظرة الصديق قد لقى صديقه بعد طول الغيبة - قال الأمير: «ليس عليك ولا على مالك بأس! ولكنى أريد أن تقتصد فى هذا الجهد وترفق فى هذه الدعوة».

قال حنظلة: «فإنى لم أبذل جهدا ولم أشتد فى دعوة. ولوددت لو استطيع أن أبذل فى ذلك الجهد وأن أبلغ من هداية الناس إلى الحق ما أريد! فما أعرف أن شيئا يؤذى نفسى كما يؤذيها منظر هؤلاء المعاهدين وهم يؤدون الجزية عن يد وهم صاغرون. وإنى لأرى فى دعوتهم إلى الإسلام وهدايتهم إليه إنقاذا لنفوسهم وإنقاذا لمروءتهم وإمتاعا لهم بهذه الحرية التى تتمتع بها وهم مبعدون

عنها مصروفون عما تكفل لأصحابها من الشرف والكرامة وكمال الرجولة. ألم تضع نفسك قط أيها الأمير موضع واحد من هؤلاء الناس الذين يشترون أمنهم على أنفسهم ودينهم بالمال يؤدونه إلينا صاغرين؟».

قال الأمير: «وفيم تريد أن أضع نفسى موضع هؤلاء الناس، وقد من الله علينا بالعروبة والإسلام فجنبنا هذا الصغار؟».

قال حنظلة: «فإن الله قد أمرنا أن نسوى بين الناس وبين أنفسنا، وأن ندعوهم إلى الإسلام لنرفع عنهم هذا الإصر، ولنردهم إلى مشاركتنا فى هذه النعمة التى أنعم الله بها علينا».

قال الأمير: «ألم تنبئنى أنك لم تبذل فيما صنعت جهداً، ولم تحتمل فيه مشقة ولا عنفا؟».

قال حنظلة: «بلى! ولو قد علمت كيف كان اهتداء هؤلاء الناس إلى الحق واستجابتهم لدعوة الله لراعك من ذلك ما راعنى، ولأعجبك من ذلك ما أعجبنى؛ فإنى لا أقضى العجب من هذه القصة التى أجرى الله بها الخير على يدى. وما رأيت أعجب من أمر محمد ﷺ فيما رأيت وما علمت من أمور الأنبياء. رجل كان يطالبه خصومه وأعداؤه بالمعجزات، فيبرأ منها ويعلن إليهم أنه بشر مثلهم، وأنه لم يرسل ليبهر العقول بالأحداث العظام، وإنما أرسل ليتلو على الناس قرآنا يتحدث إلى عقولهم فيملؤها هدى، ويتحدث إلى قلوبهم فيشعرها رحمة وبرا، ثم لا يخلو أمره من هذه المعجزات التى تبهر العقول وتسحر الألباب، دون أن تحدث فى طبيعة الأشياء حدثا أو تتجاوز بعادات الناس الجارية طريقها المألوف! إنما هى معجزات ممتازات يراها الناس مألوفة يسيرة، ويراها المفكرون نادرة باهرة ومقنعة مفحمة للمكابرين.

لقد كان محمد رجلاً لا كالرجال. ولقد كان بشراً، ولكنه امتاز بين الناس بخصال أحسها وأحققها فى قلبى وفى عقلى، ولكنى لا أجد إلى تصويرها سبيلا».

قال الأمير: «فأفصح عما تريد واقصص علىّ قصتك؛ فإنك قد أثرت فى نفسى عجباً من العجب».

قال الشيخ: «فإن قصتى يسيرة كبيرة ككل ما يتصل بهذا الرجل الكريم الرحيم. إنك لتعلم أنى ذهبت إلى تلك القرية أتعهد بعض أعمالى، فما أبلغها وما أستقر فيها حتى أعرف أن عظيما من عظمائها النصارى.

قد رزئ فى صبى له، فأرى من الخير والبر أن أسعى إليه مواسياً ومعزيا فأفعل. ويلقانى الرجل حفيا بى وقد ملك الجزع كل أمره وأخرجه عن طوره، ولقد كنت أعرفه جلداً صبوراً وقوراً. ولكن هذا الصبى قد كان وحيده، وقد كان قرة عين له حين تولى عنه الشباب وأدركته الشيخوخة. فلما نزل به الخطب لم يثبت له ولم يستطع عليه صبرا، وقد عجز من كان يحيط به من القسيسين

والرهبان عن تعزيته وتسليته. ويأخذني الرفق به والإشفاق عليه، فأتحدث إليه في لغته القبطية مواسيا مسليا، وأقول له فيما أقول: «لو عرفت أن أحاديث نبينا تعزيك أو تسليك لقصصت عليك منها طرفا. فقد رزئ نبينا في صبي وحيد له، كما رزئت في صبيك هذا الوحيد. فتلقى الرزء لقاءا كريما يملأ قلوبنا نحن المسلمين إكبارا له وإعجابا به ورحمة للصبية من أبنائنا، في احتفاظ بالرجولة، وثبات على المروءة، واصطناع للوقار، واعتراف بحق الله فيما يمن به علينا من المال والولد، يأخذه كما أعطاه دون أن يكون لنا أن نضيق بذلك أو نثور عليه، وإنما هي نعمة أهديت إلينا ثم أخذت منا، وقد ابتلينا بإهدائها إلينا كما ابتلينا بأخذها منا، ونحن بعد ذلك مثابون إن ثبتنا للمحنة وصبرنا على الابتلاء.

قال الرجل: «فحدثني بحديثك؛ فإن ما تقوله يبعث في نفسي شيئا من راحة وأمن ودعة». قلت: «فإن نبينا قد رزق في آخر أيامه صبيا ابتهج لمولده ابتهاجا عظيما وسر به سرورا لا يقدر. ولكن نبينا كان يحسن لقاء النعمة كما كان يحسن لقاء المحنة، كان لا يخرجه الابتهاج عن طوره، وكان البطر والأشر أبعد الأشياء عنه. وكان إذا رضى لم يستأثر بلذة الرضا، وإنما يشرك فيها الناس. فلم يكد يرزق هذا الصبي حتى أعلن ذلك إلى الناس مغتبطا، ثم تصدق على الفقراء، ووسع على من ضيقت عليهم الحياة. وكان رفيقا بابنه هذا، يسعى إليه، فيأخذه ويقبله ويقول له ما شاء الله أن يقول من هذه الألفاظ الحلوة التي تصور أجمل تصوير حنان الآباء ورحمتهم لأبنائهم. وقد كانت نعمة الله على نبينا لا تحصى، وكان منها امتحان الله له في أحب الأشياء إليه وآثر الناس عنده. فما يبلغ ابنه ستة عشر أو ثمانية عشر شهرا حتى تسعى إليه العلة. ويمضي النبي مع صفي من أصفيائه يقال له عبد الرحمن بن عوف ليعوده فيبلغه وهو يجود بنفسه. وينظر الأب إلى صبيه الوحيد الذي جاءه حين تولى عنه الشباب، وحين أقبلت عليه الشيخوخة، ينظر الأب إلى ابنه هذا أسفا محزونا، ولكنه ينظر إليه مع ذلك راضيا مطمئنا مذعنا لقضاء الله. وهذه عينه تدمع، وهذا صفيه ينكر منه ذلك ويقول له: «أتبكي وقد نهيت الناس عن البكاء؟». فيجيبه: «إنما هذا رحم، وإن من لا يرحم لا يرحم، إنما ننهى الناس عن النياحة وأن يندب الرجل بما ليس فيه». ثم قال: «لولا أنه وعد جامع، وسبيل متئاء، وأن آخرنا لاحق بأولنا، لوجدنا عليه وجدا غير هذا! وإنا عليه لمحزونون! تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب، وفضل رضاعه في الجنة»[٢].

(٢) طبقات ابن سعد الجزء الأول صفحة ٨٦.

وهنا تنحدر من عيني الرجل دموع غزار، وتأخذه عبرة شديدة يهتز لها جسمه كله اهتزازا عنيفا. فإذا انجلت عنه قال: «أعد على حديثك هذا. فإني أجد له عذوبة ما وجدتها لحديث قط». فأعيد عليه الحديث، فيسمعه مصغيا إليه أشد الإصغاء ولا تنهمر عبرته ولا تأخذه الرعدة هذه المرة، وإنما يقول في صوت هادئ: «امض في حديثك». فأقول: «لقد بلغت آخره أو كدت أبلغه. فهذا الأب يحمل ابنه إلى القبر، ويجلس لينظر والناس يوارونه في التراب. ويرى فرجة قد تركت في اللحد، فيأخذ حجرا ويناوله من قام على تسوية القبر ويقول: «إنها لا تضر ولا تنفع ولكنها تقر عين الحي»[٣].

وهنا يعود الرجل إلى استعباره، ولكنه في هذه المرة لا يبكي وحده وإنما يبكي معه من حوله من الناس. ويقول راهب من رهبانهم: «ما هذا بكلام رجل كالرجال». ثم يسأل الشيخ أن أمضي في حديثي. فأقول: «لقد انتهيت منه أو كدت أنتهي. فقد عاد نبينا إلى بيته محزونا جلدا، وانكسفت الشمس في ذلك اليوم، فيتحدث الناس بالمعجزة، ويقول بعضهم لبعض: «إنما انكسفت الشمس حزنا لموت ابراهيم ابن النبي». وينتهي حديث الناس إلى نبينا، فيخرج ساعيا حتى يأتي المنبر، فيرقاه ويحمد الله ويثني عليه فيقول: «أما بعد: أيها الناس إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياة أحد. فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى المساجد».

وأقف بحديثي عند هذه الغاية وأنظر، فإذا من حولي في صمت عميق تنحدر على وجوههم دموع هادئة لا تمثل حزنا ولا جزعا، وإنما تصور قلوبا لينة رحيمة، ونفوسا قد كشف عنها الغطاء، وإذا الشيخ ينهض من مجلسه رزينا ويسعى إليَّ هادئا وهو يقول: «ابسط يدك، فما أرى إلا أن نبيك قد جاء بالهدى». وما أكاد أتلقى منه إسلامه حتى يكون الرهبان والقسيسون الذين حضروا المجلس أسرع الناس إلى، كلهم يعلن إسلامه، ويتبعهم من حضرنا من عامة الناس. وما أبرح القرية من الغد حتى يكون أهلها جميعا قد ساروا سيرة عظيمهم وقسيسهم ومن وفد عليهم من القرى المجاورة، وحتى يكون بيت مالك أيها الأمير قد رزئ فيما رزئ فيه من الجزية».

قال الأمير بعد صمت طويل: «فهل تعلم أن لهذا الحديث وجها آخر من الإعجاز؟». قال حنظلة: «وماذاك؟». قال الأمير: «قد سمعت من كان يتحدث في الشام عن موت إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ويقول: «إن النبي ﷺ قال: «لو عاش ابراهيم لوضعت الجزية عن كل قبطي»[٤].

«فإنك ياحنظلة قد أحييت ذكرى إبراهيم في هذه القرية فوضعت الجزية عن أهلها».

(٣) طبقات ابن سعد الجزء الأول صفحة ٩١.

(٤) طبقات ابن سعد الجزء الأول صفحة ٩٣.

ملامح .. من عبقرية الدعوة والداعية

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

في عالم لاغط بأنماط الاتجاهات والمذاهب والفلسفات، يلوح رجوعنا إلى الأصول العقيدية حتمية بادهة، لأن هذا الرجوع وحده، هو الذي يعصمنا من الانهيار والتمزق، وتسوّل الحلول المجلوبة من شرق الأرض وغربها على السواء.

وحين لا نجد مفرا من التسليم بذكاء الاتجاهات والمذاهب والفلسفات المعاصرة في عرض مقولاتها الجانحة، وأفكارها السوداء، بما تصطنعه لها من أطر فنية وفكرية وجماهيرية جاذبة، فإنه لا مفر لنا كذلك من الالتجاء إلى حضن أصولنا الأولى، ليس لمجرد اللياذ بها، والتجمد اليابس عند مجرد التغني بمضامينها النبيلة، وإنما لتحريكها في اتجاه الجدل مع واقع العصر الذي نعيشه، واستلهامها في حركة صدامنا الحتمي مع فكر المرحلة الذي يريد اقتلاعنا بلا حدود!!

فإذا عرفنا أن تراثنا العقيدي حاشد بعناصر الخلود والأصالة ورحابة الاستجابات، وأنه قادر بلا توقف على مناجزة الواقع غير الإسلامي من منطلق موضوعي ناهض على خبرة كونية شاملة بطبائع الأحياء والأشياء، فإننا نواجه - من جهة أخرى - بحاجتنا الهائلة إلى بصائر داعية مثقفة، تستلهم في سلوكها الحياتي، وفهمها لطبائع النفوس، وتوجيه جموعها نحو نبالة الفكر ونبالة التطبيق، منهج قائد هذه الدعوة ﷺ، الذي خاض أشرس معارك التحدي مع أشرس وضعية تاريخية وحضارية على الأرض، ثم انتصر هذا الانتصار الهائل الذي ما تزال ثماره ملء أيدينا وأيدي كل التواريخ.

كان النبي ﷺ كقائد وداعية - يعرف كيف يضيء مجاهل النفس بومضة واحدة، وكان هذا التهدي إلى مسارب الأعماق يتيح له دائما أن يصنع رعيلا من الدعاة العقائديين الذين يرون في المسافة الزمنية التي تتسع لأكل تمرة، حياة طويلة، إذا أبطأت بهم عن ورود الموت، واحتضان الشهادة.. وكان ﷺ يعرف من يخاطب، فإذا كان هذا المخاطب راعش الثقة بالنفس، منحه هذا اليقين الراسخ الذي لا يرتعش.

وإذا كان هذا المخاطب باحثا عن منهج وانتماء، منحه هذا المنهج وأصّل انتماءه على أساس من الطهر والحب وفاعلية العلاقات.

وإذا كان هذا المخاطب حائرا بين نقيضين، منحه هذا القرار الرضيّ الذي يوائم بين المنع والمنح، وبين التخلي والتحلي، فعاد متناغم الأحاسيس.. وإذا كان هذا المخاطب غير واثق من عمله واتجاهه، منحه هذا الأمن الذي يرفض الشك كهاجس يصيب صاحبه بركاكة الفعل وركاكة الاتجاه.. وإذا كان هذا المخاطب باحثا عن قضية وتطبيق، منحه هذا الأساس الرائع الذي يضيء ظلام الداخل الذاتي.. ويضع له التطبيق في قلب الشعار.. وإذا كان هذا المخاطب مليئا بالحياة إلى حد الشره، منحه هذا الحس المسلم الصاعد الذي يرى في الحياة كما محضا، بقدر ما هي قيمة تميز الكم.. وإذا كان هذا المخاطب ممزقا بين محدودية الطاقة وطموح الغرائز، منحه هذا السواء المعتدل الذي يرفض التمزق اللا مجدي، من خلال تعويض إيماني قدير.. وإذا كان هذا المخاطب باحثا عن موقف يجذّر وجوده في الوجود، منحه هذا الرسوخ في قلب حركة الدائرة فأصبح به ما هو بلا متابعة ركيكة.. وإذا كان هذا المخاطب غير فاهم لذاته ولا مدرك لطاقاتها، منحه هذا الضوء الذي يقفه وجها لوجه مع ما يستطيع وما لا يستطيع!!

روى عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: (كنت رديف - رسول الله ﷺ - فقال لي: يا غلام، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك - أو قال: أمامك - تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، فإن العباد لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك، لم يقدروا على ذلك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك، لم يقدروا على ذلك، جفت الأقلام، وطويت الصحف، فإن استطعت أن تعمل لله بالرضى في اليقين فافعل، وإن لم تستطع، فإن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا، ولن يغلب عسر يسرين).

فإذا تخطّينا شخصية المخاطَب - وهو ابن عباس رضي الله عنه - واستطردنا مع القاعدة الجليلة التي تقول: إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وفهمنا أن التوجه هنا إلى كل مفردات

الظاهرة المسلمة فى كل بقاعها وأجيالها جميعا، وجدنا فى هذه الكلمات الجليلة استنقاذاً لإنسانية الإنسان من براثن الخوف والتردد، وإقامته على شريعة من الثقة المطلقة فى واهب الوجود، ومصدر العدل، ومسيِّر قوانين الأشياء.. ومتى استقر الإنسان على هذا الأساس المطمئن فإن العالم كله لن يثنى ذراعه أبداً، وسيجد دائما أنه يخطو إلى قدره بملء وثوقه، لا يحْرفه عنه خوف من هنا، ولا تردد من هناك.. وهذه قمة اليقين الراسخ التى يفجِّرها فينا هذا التحريض النبيل على ديمومة التماسك، ورفض كل الهزائم الداخلية!!

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: (قال رسول الله ﷺ يوما لأصحابه: من يأخذ عنى هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يعلِّم من يعمل بهنَّ؟ قال أبوهريرة: قلت: أنا يا رسول الله، فأخذ بيدى وعدَّ خمسا، فقال: أتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما، ولا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب).

وعنه - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (أمرنى ربى بتسع: خشية الله فى السر والعلانية، وكلمة العدل فى الغضب والرضى، والقصد فى الفقر والغنى، وأن أصل من قطعنى، وأعطى من حرمنى، وأعفو عمن ظلمنى، وأن يكون صمتى فكرا، ونطقى ذكرا، ونظرى عبرة، وآمر بالعرف).

وقال زيد الخير قلت لرسول الله ﷺ: «يا رسول الله، لتخبرنِّى: ما علامة الله فيمن يريد، وما علامته فيمن لا يريد؟ قال لى: كيف أصبحت يا زيد؟ قلت: أصبحت أحب الخير وأهله، وإن قدرت عليه بادرت إليه وإن فاتنى حزنت عليه، وحننت إليه. قال رسول الله ﷺ: فتلك علامة الله فيمن يريد، ولو أرادك لغيرها لهيأك لها».

ففى حديث أبى هريرة تخطيط شامل لمنهج من الطهر والحب ونبالة العلاقات.. وفى حديثه الآخر رسم لنموذج المسلم المثالى الذى يتأبى على الكبر، والجور، والخرق، والقطع، والانتقام، ويعش فى محاريب كونه صامتا مفكرا، أو ناطقا ذاكرا، أو ناظرا معتبرا، آمرا بالعرف.. وفى حديث زيد الخير تجسيد حقيقى لميزان الخير والشر، بالفعل وبالقوة جميعا، ومتى استطاع القائد أن يمنح جماهيره إمكان أن يعرفوا صواب الاتجاه وخطل الاتجاه، فقد عصمهم من استيراد موازينهم من سواهم، ومن التلكؤ الباطل على قارعة الأسئلة الحائرة!!

وروى عبدالله بن عمر - رضى الله عنهما: قال: (قال رسول الله ﷺ: من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه).

هنا دعوة إلى التخلى.. ودعوة مرافقة إلى التحلى.. التخلى عن حسِّ الانتقام وشهوة المغالبة.. والتحلى بقيم العطاء والنجدة والمكافأة.. فإن فقدنا القدرة على المكافأة المادية الموازية فلنكافىء بما نستطيع من العطاء الإيمانى الذى يوازى، وهو الدعاء.. إن شرط الدعاء هنا أن يكون مقبولا ليكافىء، ولن يكون مقبولا إلا إذا كان طاهر اليد والفم والضمير، فهل تراها مجرد دعوة للأغيار، أم هى دعوة تستقطب طهر الأنا والآخرين؟

وروى جابر بن عبدالله - رضى الله عنه - قال: (قال رسول الله ﷺ: لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله - تعالى).

وتلك دعوة حميمة إلى رفض الشك وركاكة الفعل، كهاجس يبطل عزيمة الفاعل، وقد يصيبه بالإحباط وفشل المحاولة.. إن الذى يعمل وهو واثق من رحابة القبول فى المصدر الذى يتوجه إليه بهذا العمل، قادر على الإبداع والتواصل وإيجابية التفكير فى الجدوى.. وهذه بداية الزحف نحو فعل جماعى متهلل الأسارير، قادر بلا توقف على أن يرى فى النقمة نعمة، وفى الظلام ضوءا، وفى هاجس الشك طلائع قرار إيمانى ركين.

وروى أبو ذرالغفارى - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن».

هنا يطرح القائد النبى ﷺ نوعية من المثل ونوعية موازية من التطبيق، فقوله: «اتق الله حيثما كنت» هذا هو المثال، وقوله: «واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن» هذا هو التطبيق.. والمثال هنا شامل لمحورى الزمان والمكان، فالتقوى منشودة حيثما كنا مكانياً هنا أو هناك.. وهى كذلك منشودة زمانياً الآن وفى كل الآناء.. وإذا تحقَّق للإنسان العقائدى نوع من المثل الفاضلة. وإمكانٌ من التطبيق الصوابى، فقد تحقق له منهج شامل يلبى طموحاته، الروحية المادية على السواء، وتلك قمة التناغم فى سياق دعوة من الدعوات.

وروى أبوبكرة - رضى الله عنه - أن رجلا قال: (يا رسول الله، أى الناس خير؟ قال: من طال عمره، وحسن عمله، قال: فأى الناس شر؟ قال: من طال عمره، وساء عمله).

هنا يعلم النبى ﷺ أتباعه بأن الحياة ليست كماً ولا تراكما ولا مجرد استطراد وجودى، وإنما هى قيمة تميز الكم، وفحوى تضع شروطها فى قلب التراكم، وغاية تجعل من الحركة اتجاها وليس مجرد خبط بلا رشاد.. وإذن فقد نعيش أعمارا ولا نعيش، لأننا لم نترك على وجه الأرض ما يشير إلى أننا كنا هنا مقيمين.. وقد نعيش عمرا خاطفا، ونفرض وجودنا على كل الزمن، لأننا تركنا وراءنا تاريخا من القيم والفعل والجدوى التى تعطى أى وجود معنى كونه وجودا.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكرا صابرا، ومن لم تكونا فيه لم يكتبه الله لا شاكرا ولا صابرا: من نظر فى دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به، ونظر فى دنياه إلى من هو دونه فحمد الله على ما فضله به عليه، كتبه الله شاكرا صابرا، ومن نظر فى دينه إلى من هو دونه، ونظر فى دنياه إلى من هو فوقه، فأسف على ما فات منه، لم يكتبه الله لا شاكرا ولا صابرا).

أليس ذلك تعويضا إيمانيا يرفض التمزق اللامجدى؟ إن حركة الاجتماع البشرى محكومة بالأعلى والأدنى، بالأغنى والأفقر، بالأقوى والأضعف، وهى حين تحكم بهذه القوانين الطبيعية تومىء من قريب أو من بعيد إلى احتمالات الغضب والانقضاض وتمرد قبيل على قبيل، وتومىء كذلك إلى حتمية طرح أسئلة كثيرة ومثيرة: لماذا؟ وكيف؟ وإلى متى؟؟؟ وهنا يتدخل الموقف العقيدى ليقرر حتمية هذه الوضعية الوجودية، وليسلّ من طوايا الطبائع ما تنطوى عليه من تربص كاسر، فيلفتها إلى أن موقعها على خريطة الواقع لا يحكمها بالدونية المطلقة، فهى دون مستوى نعم، ولكنها فوق مستوى كذلك، وهنا لا مجال للتربص بالأعلى، لأنك تتيح بذلك نوعا من التربص بك ممن هو أدنى.. على أن الأعلى والأدنى - من الوجهة الإسلامية - لا يقاس بالامتلاء المادى وحده، وإنما بتوظيف هذا الامتلاء فى مناطه الطبيعى من جهة، وبالإيمان بعرضيته من جهة ثانية، وبموازاته الحتمية بالامتلاء الروحى من جهة ثالثة.. وهنا تدخل المعادلة عناصر قد تغلب الأدنى على الأعلى، إذا كان هذا الأدنى معتصما بسلوكية المؤمن، وبتعاليه العقيدىّ، وبانفتاحه على أبعاد المعادلة الوجودية جميعها وليس على جانبها المادى الناتىء وحده بلا تبرير!!

وروى أبوسعيد الخدرى - رضى الله عنه: (أن رسول الله ﷺ قال: لا حليم إلا ذو عثرة، ولا حكيم إلا ذو تجربة).

وعن حذيفة وابن مسعود - رضى الله عنهما - قالا: (قال رسول الله ﷺ: لا يكن

أحدكم إمعة، يقول: أنا مع الناس، إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا أن لا تظلموا).

وهذه دعوة إلى شخصية إسلامية بلا انطفاء، إن قيمة الإنسان ليس فى متابعته الذليلة، ولكنها تنطلق أساسا من قدرته على الإبداع والذود عن إيمانه البصير، قد تولد من رحم التجارب والمصادمات، وتلك ولادة شرعية، وقد نكتسب من كل أولئك خبرات وقد لا نكتسب سوى مزيد من الانهيار، فإذا أفادتنا التجارب خبرة بمعاركة الواقع التاريخى الغليظ، وخبرة أخرى بكيفية الانتصار عليه، وتطويعه لإراداتنا المسلمة، فنحن محور الكون والأشياء وخلفاء الله فى الأرض، وإذا أعطتنا التجارب حسّ التمزق والقنوط والقهر، فنحن هذا الغثاء الذى ينفر منه ذوْقُ الكون والأشياء.. إن الإيمان وحده هو ما يعصم المؤمن من قدَر التذْويب والمتابعة والاحتذاء الذليل، وليذهب الناس فى أقطار الأرض أوزاعا، فسيعودون إلينا فى نهاية الشوط، بشرط أن نكون نحن، إسلاميين حتى آخر نبضة من نبضات العروق، مثقفين حتى آخر تخوم الثقافة، حضاريين حتى آخر شوط من أشواط الحضارة، ودائما ينبغى أن نتواصى بأن إسلامنا يريد العقل الفاعل وليس القاعد، والسيف الضارب وليس الصدىء، والكلمة الشريفة وليست الداهنة، والقلب الجسور وليس المنخلع، والحضارة الفاتحة وليست المدافعة، والإيمان الموصول وليس الموْسمىّ!!

قبل هذه الوضعية المسْلمة يجب أن نعمل على خط المواجهة الذاتية، لنصحح كثيرا من الخطل فى أحكامنا على الأشياء، ولنجعل من القرآن الكريم سيفا ومصباحا، ومن سنة النبى ﷺ شارحا ومرشدا، ومن قدرتنا على الفعل مدخلا إلى فتح العالم من جديد.

ألم نقل فى مطالع هذه السطور: فى عالم لاغط بأنماط الاتجاهات والمذاهب والفلسفات يلوح رجوعنا إلى الأصول العقيدية حتمية بادهة، لأن هذا الرجوع وحده هو الذى يعصمنا من الانهيار والتمزق، وتسول الحلول المجلوبة من شرق الأرض وغربها على السواء؟

يقى أن نقول: هذه ملامح من عبقرية الدعوة والداعية، عرف بها النبى ﷺ كيف يقود النفوس إلى مواطن العطاء، وكيف يفجر فيها طاقات الفعل والانفعال، وكيف يكشف عن أعمق أعماقها حتى تواجه ذاتها بنوع من الفهم الرشيد، الذى يضع الطاقة أمام العبء، والاستبصار أمام المعْضل، والإيمان فى مواجهة كل التحديات!!

أما ماذا ينبغى أن نفعل نحن، فهو أن نعى هذا الدرس العظيم، وأن نسلحّ أنفسنا بثقافة العصر، وأن نخوض إلى غاياتنا كل بحار المخاطرة فى إيمان رصين.!!!

مِن سبحات الخيال

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

وسط الجموع الحاشدة التى جاءت من كل فج عميق خلتنى أقف فى عرفات. الأعين دامعة والقلوب خاشعة والأرواح طامحة.

سألت نفسى سؤالا لم أحر له جوابا: ترى من جمع هذه الجماهير الغفيرة فى ذلك الصعيد الطيب برغم اختلاف أوطانهم وتعدد لغاتهم وألوانهم وتباين مشاربهم؟

نعم إنه الإيمان الذى جعل الصعب سهلا والعسير يسيرا.

أخذتنى الخواطر: «إن الكل إلى زوال ولا يبقى إلا العمل الصالح والذكر الحسن والسيرة الطيبة». ووجدت كوامنى مولعة بلحن أخاذ ونغم يطرب الألباب ذكرته فى قول الشاعر أبو العتاهية:

سل القصر أودى أهله أين أهله
أكلهمو عنه تبدد شمله

وأخذت النغمة تتصاعد كلما رأت عين قلبى هذه الأمواج الهادرة بالتضرع والدعاء والتلبية وقد ألقوا الدنيا عن كاهلهم.

الكل فى مشهد مهيب يذكر بالآخرة يوم تكون الخلائق فيها حفاة عراة غرلا، لكنهم فى هذا البحر الخضم قد غطى جسد كل منهم رداء وإزار من قماش أبيض ولا شئ سواه جاءوا شعثا غبرا ضاحين فيتردد فى صدرى قول الشاعر فى تصوير بديع:

خليلى ما الدنيا بدار مقامة
ولا دار لذات لمن صح عقله
تزودت تشمير الشيب وجده
وفارقنى زهر الشباب وهزله

نعم فهاهنا تسكب العبرات وتستلذ الزفرات وتتجلى الحقائق التى طالما حادت عنها النفوس وغفت عن ساطع شمسها الأبصار.

لعمرك إن الحق للناس واسع
ولكن رأيت الحق يكره ثقله

كيف غابت عن الأذهان فى زحمة الأيام قوارع القرآن حين يقول:

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ «سورة ق: (١٩: ٢٢)»



ساعتها فقط حين تغرب شمس ذلك اليوم يوم عرفة وتغرب معها ذنوب الحجيج وخطاياهم تنجلى الغمة وتبيد الظلمة ويشرق الصباح ولايكون شئ أحب إليهم من الحق الصراح.

نعم فهؤلاء الحجيج الذين تركوا الأهل والأوطان وبذلوا المال والجهد ابتغاء رضوان الرحمن يحدوهم أمل لايتطرق إليه يأس فى غد أفضل هم بالغوه إن شاء الله إن وضعوا نصب أعينهم قول الرسول الكريم ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات»، وقول الله -عز وجل-:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

سورة الحجرات: (١٣).

وهو قانون أحسه يسرى فى جنباتى ويملأ أعماقى وأنا اقرأ:

وحسبك ممن إن نوى الخير قاله
وإن قال خيرا لم يكذبه فعله

وأفيق من أمان عذاب عشتها لحظات على قيثارة شاعر وسبحة خيال ومنية نفس لا تسأم من دعاء الخير، فإن تحقق كان فى انبلاج نوره انتشاؤها وهيامها وإلا فمبتغاها وعد إلهى كريم منجز ممن إذا وعد وفى، وإذا أوعد عفى. فاللهم تقبل من كل مؤمن عمله الخالص واكتب لنا اللهم حجا مبرورا وذنبا مغفورا وسعيا مشكورا.

***

لا خوف على الإسلام

للأستاذ الدكتور/ عبد الحليم عويس

حتى لايحدث لبس يؤدى إلى التعميم الذى يخلط بين الإسلام بوصفه ديناً وبين المسلمين بوصفهم أمة، فإن الحديث هنا منصب على الإسلام بوصفه ديناً، وهو الذى لاخوف عليه مهما وجهت إليه السهام، لأن الله سبحانه جعله خارج نطاق القانون البشرى الذى يخضع الأشياء للظروف والملابسات، حيث أكد سبحانه الوعد بحفظه، أما المسلمون بوصفهم أمة فهم فى نطاق القانون البشرى الذى يحقق لهم الكرامة أو النصر إذا أعدوا أنفسهم له، أو الهوان أو الهزيمة إذا غفلت أعينهم.

واللافت للنظر بوضوح شديد أن أعداء الإسلام المعاصرين لايركزون اهتمامهم فى توجيه سهامهم نحو المسلمين بوصفهم أمة، حيث يجدون المسلمين لايمثلون خطراً على أحد، ولاتمثل مقاومتهم شيئاً يذكر، ولذلك صرفوا جل جهدهم نحو الدين الإسلامى بوصفه عقيدة وشريعة حيث وجدوه العقبة الكئود فى سبيل استسلام المسلمين أو التفريط فى مقومات كيانهم مهما اشتد عليهم البلاء أو تناوشتهم السهام من كل جانب، كما يبسط العقاد فى ملاحظاته التاريخية أن الكيان الإسلامى هو الكيان الوحيد الذى استعصى على الذوبان فى كيان الأمم الغازية والفاتحة بينما ذاب كيان أمم عظيمة مثل الكيان الفرعونى والفارسى فى حضارة الإسلام، ويجعل العقاد القرآن هو السبب المباشر فى هذا حيث يجد المسلمون أنفسهم مرتبطين به ومشدودين إليه مهما تقلبت بهم الظروف، والقرآن هو الإسلام.

وإذا كان أعداء الإسلام لايؤمنون بأن الله حافظ للقرآن، لأنهم لايؤمنون بالقرآن نفسه الذى ورد به هذا الوعد المؤكد بحفظ الله للقرآن، فقد كان عليهم أن يراجعوا التاريخ ليروا كيف كان إخوانهم الأسبقين فى عداوة الإسلام، وكيف كانت نهاية عداوتهم، وقد يظن أعداء الإسلام اليوم والذين يسيرون فى ركابهم من أشباه المنافقين أنهم بلغوا من التفنن فى عداوة الإسلام مالم يبلغه السابقون، وهم فى ذلك واهمون أو جاهلون، فإن الحرب ضد الإسلام بلغت فى حياة النبى ﷺ الذروة والقمة التى لاتطاولها أو تدانيها قمة، أما الوهم كل الوهم فهو

تصور أن أعداء الإسلام فى حياة النبى كانوا سذجا أو محدودى التفكير، فإن القمم التى برزت فى الإسلام كانت هى نفسها وأشباهها التى تحارب الإسلام قبل أن تستضئ بنور الله، فعبقرية عمر الإدارية التى لازالت تبهر العالم هى التى كانت من أسلحة الحرب ضد الإسلام فى أول أمرها، وعبقرية خالد بن الوليد العسكرية كانت كذلك، ومن العبقريات التى كانت فى صفوف أعداء الإسلام فى جاهليتها فى حياة النبى ﷺ عبقرية معاوية بن أبى سفيان السياسية فى أساليبها المتنوعة التى استطاع بها معاوية أن يخمد كل الفتن فى كل أرجاء امبراطوريته المترامية، ومن أشهرها شعرة معاوية حيث قال لو أن بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت، فإنهم إذا شدوا أرخيت، وإذا أرخوا شددت، وهذه السياسة مما يتداوله الدارسون لعلوم السياسة فى أنحاء العالم.

ولم تكن هذه العبقريات وحدها هى السهام الموجهة ضد الإسلام، بل لاشك أنه كانت هناك عبقريات تكافئها أو تربو عليها بين أعداء الإسلام فى حياة النبى ومن أمثلتها أبوجهل عمرو بن هشام الذى تتفق الروايات على أنه كان القرين والمكافئ لعمر بن الخطاب فى كل صفاته ومقومات شخصيته، حتى فى صفاته الجسدية، ومن أمثلتها فى المجال العسكرى شخصية عمرو بن عبد ود، الذى ظل يختال أمام المسلمين في المدينة يوم الأحزاب، متحدياً المسلمين جميعا أن يستطيع أحد منهم مبارزته، وقد هم على بن أبى طالب أكثر من مرة أن يخرج إليه، ولكن النبى كان يقول له ياعلى اجلس إنه عمرو بن عبد ود، لولا أن علياً لم يحتمل هوان التحدى فقال أخيراً، وأنا على بن أبى طالب، وبارزه فكان النصر لعلى وكبر المسلمون فرحاً بالنصر.

ومن أمثلة العبقريات التى حاربت الإسلام فى حياة النبى هذه العبقرية التى أشاد القرآن بعمقها وخطورتها برغم أن صاحبها من ألد أعداء الإسلام، والذى يروى أنه الوليد بن المغيرة، فقد كان السلاح الذى أعطاه الله لرسوله ليقاوم به كل عداوات البشر إلى يوم القيامة هو القرآن الذى بهر الفطرة العربية النقية، وأصبح حديث الركبان وسمر السمار، سواء استجابوا له أو رفضوه، فأخذت عقول أعدائه تتنافس فى إيجاد الوسيلة التى تصد الناس عن الانبهار به، فقال قائلهم انه شعر، وقالوا: إنه كهانة، وقالوا: إنه هذيان من الجنون، وقالوا: إنه أساطير مروية عن الأقدمين، ولكن شيئاً من ذلك لم يكن ليقنع الناس، لأن هذه الأمور التى ينسبونه إليها معروفة لديهم، فجاء صاحب هذه العبقرية التى نوه القرآن بها فشغله أيما شغل أن تكون لوجوه الناس ومفكريهم آراء فى هذا القرآن، وليس له هو رأى، بينما الناس يتطلعون إلى رأيه هو وإن لم يعلنوا ذلك، فأخذ يدير الأمر فى نفسه أمداً غير قصير، يقلب احتمالات ثم ينبذها، ويوازن بين وجهات نظر ثم يطرحها، وينشئ أفكاراً ثم يلغيها، وأخيراً لمعت فى

ذهنه هذه الفكرة التى كانت أخطر دعاية حورب بها القرآن، فأخذ ينقدها ويراجعها فى نفسه حتى إذا اطمأن اليها ورضى عنها أعلنها فقال لمستمعيه أنصتوا إلىّ: أليس الساحر يستطيع أن يلقى فى نفس الزوج وزوجه من الكراهية والنفور مايفرق بينهما؟ وكذلك يفعل بين الابن وأبيه، والصديق وصديقه؟ قالوا بلى، هو ذاك، قال: وأليس محمد فعل كل هذا، حين يجتذب إلى دينه المزعوم أحد الزوجين فيتحول عدواً للآخر، أو أحد الصديقين فيتحول عدواً للذى بقى على دينه، وهكذا؟ قالوا: بلى فهذا ما نغص به محمد عيشنا وحياتنا، قال: وقد تقولون فإن محمداً لايعقد العقد، ولاينفث فيها، ولايتمتم عليها بكلام كما يفعل السحرة، فأقول لكم ولكن محمداً يتمتم بأخطر مما يهمهم به السحرة، وهو هذا القرآن الذى لانعلم من الذى تسلل به إليه من الكهان أو أحبار اليهود مما جمعوه وتناقلوه من سحر الأقدمين، والذى يزعم محمد أنه من عند الله وإذن أليس محمد ساحرا، وقرآنه هذا هو السحر الذى يسبى به العقول ويسحر به الألباب فكيف غاب عنا ذلك، وكيف لم ندرك هذا منذ بدأ محمد ينشر هذا السحر بين الناس، وكيف لم نلفت نظر الناس إلى ذلك، ولم ننبه وفود القبائل وحجيجهم إلى هذه الحقيقة؟ وأخذت هذه الدعاية تنتشر فى طول القبائل وعرضها، فكانت أخطر دعاية حورب بها القرآن، وأهم مواطن خطورتها أنها لم تصوب هجومها نحو القرآن ذاته فى أسلوبه أو مضمونه، فهذا ما لم تتقبله أذواق العقلاء من العرب مهما بلغت عداوتهم له، وإنما ركزت هجومها فى آثار القرآن وتأثيره فى النفوس والعقول بأنه سحر، ومصدر نجاح هذه الدعاية أن بينها وبين الحقيقة سببا مهما يكن واهيا، فمن الشائع فى كل العصور أن يقال لكل كلام بليغ أو خطابة مؤثرة إنه يفعل فى النفوس فعل السحر، ومن الخطأ الذى قد يقع فيه البعض أن يتصوروا أن الدعايات التى حورب بها القرآن مناقضة للحقيقة كل المناقضة، فلولم يكن بينها وبين الحقيقة سبب وإن وهى ما أثارها مبدعوها، وما اهتم القرآن بأن يسجلها، فمثلا دعاية أن القرآن شعر أساسها أن إحدى مقومات الشعر العربى اتحاد الحروف الأخيرة من كل بيت فى القصيدة فيما يعرف بالقافية، وفى كثير من القرآن ورد هذا، وخصوصا فى السور المكية حيث انتشرت هذه الدعاية، ومن ذلك أن سورة القمر كلها بما فى ذلك اسمها تنتهى آياتها بحرف الراء برغم أن آياتها تبلغ خمسا وخمسين آية، ولكن العقلاء يعرفون أن القافية رغم أهميتها ليست صلب الشعر، وإنما صلبه وجوهر بنائه هو النسج الموسيقى المعروف ببحور الشعر، حيث يجب أن تلتزم القصيدة العربية بحرا معينا لا تخرج عن موسيقاه، والقرآن أبعد ما يكون عن ذلك، وكذلك دعاية أن القرآن هذيان جنون يهذى به محمد، أساسها أن القرآن يتحدث كثيرا عن البعث والحساب بعد الموت، وهذا كان أشد ما أثار

استنكار المشركين وسخريتهم، وقد حكى عنهم القرآن كثيرا من هذا، كقولهم ساخرين:

﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾(١)

فالله فى زعمهم لم يقل بالبعث، وإذن فهو هذيان جنون حيث لا يعقل عندهم إن يبعث الميت بعد أن يصير ترابا وعظاما بالية، ومن هنا جاء وصفهم للنبى ﷺ بالجنون، وكذلك دعاية وصف النبى بالكهانة أساسها حديث الغيب والمغيبات مما تحدث به النبى وخصوصا فى القرآن حتى عن علم الله لكل ما هو خاف فضلا عن الظاهر، وفضلا عن المغيبات كالجن والملائكة وكل ما يدور فى فلك الغيبيات، فهم يعرفون الكهان هم الذين يتحدثون بالغيب، ويستشفون الخبايا، وقد تعودوا الرجوع إلى الكهان فى كل أمر خفى يهمهم أو يوجد خلافات وخصومات بينهم، فحين وجدوا فى القرآن هذه الغيبيات أشاعوا أن محمدا كاهن.

وهكذا كل الإشاعات التى حورب بها الإسلام فى بدء أمره كان بينها وبين الحقيقة شبه وإن كان واهيا، ولكن أقواها شبها بالحقيقة كانت إشاعة ان القرآن سحر، وقد نوه القرآن بخطورة هذه الإشاعة تنويها بارزا، وأسهب فى وصف الجهد الذى بذله صاحب هذه العبقرية الشريرة حتى وصل إلى صياغة هذه الإشاعة حيث يقول عنه:

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۝٢٣ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾(٢)

فهذا الزعيم الكبير ﴿فَكَّرَ﴾ بعقله كيف يخترع دعاية يحارب بها هذا القرآن الذى أخذ يغزو القبائل والبيوت والنفوس، ثم ﴿قَدَّرَ﴾ فى نفسه أمورا ووجوها من وجوه الرأى والتخمين أخذ يرتبها ويراجعها وينقدها، واذا تأملنا وصف القرآن الكريم لمدى إدارته هذه الأفكار وهذا التدبير نلحظ أنه كان تفكيرا غير عادى، وأن عمق هذا التدبير والتقدير كان مثار الإعجاب برغم أنه من ألد الأعداء، وبرغم اختلاف المفسرين فى التفاصيل فإنهم يتفقون على أصل المعنى فى قوله تعالى: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ وهو أنه تعجب من عمق هذا التقدير والتدبير وإصابته الهدف الذى يقصده هذا المفكر وقومه من المشركين، ولكن القرآن يكرر هذا العجب:

﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾.

والمفسرون يقولون إن هذا التكرير للدلالة على أن كل معاودة للتفكير فى عقل هذا المفكر كانت أبلغ وأنجح من خطوتها السابقة(٣)، ولا غرابة فى أن يدعو القرآن إلى

---

(١) سبأ ٧، ٨.

(٢) المدثر ١٨ - ٢٤.

(٣) انظر فى تفسير هذه الآيات: الكشاف للزمخشرى وغيره.

الإعجاب بفكر معاد له، بل هو تطبيق لمبدأ من مبادىء القرآن الكريم وهو:

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ ﴾[4].

والشنآن العداوة، أى لا ينبغى أن تحملكم العداوة على عدم العدل، ومن العدل الإشادة بعقلية هذا المفكر ومدى نجاحه فى إصابة هدفه.

ومن قبيل هذا الإنصاف كانت شهادة القرآن لأعدائه بأن مكرهم وكيدهم وما دبروه ضد الإسلام كان بالغ الخطورة حتى لقد يقال إنه يمكن أن يزحزح الجبال، بل أن يزيل الجبال من أماكنها، وذلك فى قوله تعالى:

﴿ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾[5]

وإذا ألقينا نظرة إلى أصحاب هذه العبقريات الشريرة التى تصدت للإسلام فى بدء أمره وهو أبو جهل عمرو بن هشام لعلمنا كيف كانت خطورتهم على الإسلام، فقد كان الناس حينذاك يستهينون بمحمد المنعزل نسبيا عن الناس، وبدعوته التى يسخرون منها، وبالأفراد القلائل من العبيد والضعفاء الذين اتبعوه، ولكن أبا جهل ببعد نظر، وثاقب فكر، أدرك قبل غيره أن محمدا مهما قل نصيره لا ينبغى أن يستهان به، وأن هذا الدين الجديد لا ينبغى أن يستخف به مهما بدا لهم مستهجنا أو منكرا، وإذا كان بعض الناس فى مكة قد وجدوا لديهم راحة نفسية فى التخلص من أتباع محمد بهجرتهم إلى الحبشة أو غيرها، فإن أبا جهل أدرك أن خروج أتباع محمد من حصارهم فى مكة سيتيح لهم حرية نشر دينهم الجديد فيزداد خطرهم فينبغى بكل جهد وكل وسيلة أن يعادوا، وهكذا كانت العداوة للإسلام فى مكة، ثم انضمت إليها عقليات اليهود والمنافقين فى المدينة، يواصلون ليلهم بنهارهم فى التدبير والتخطيط والعمل ضد هذا الدين الجديد، وضد رسوله الأمين، فهل نالوا من الدين نفسه شيئا؟ وهل عرف العالم حتى اليوم عداوة أشد وأدهى وأعتى من تلك العدواة للإسلام؟ وألم يتعظ إعداء الإسلام من أن أكثر من ألف وأربعمائة عام تمر دون أن يستطيع أعداء هذا الدين أن ينالوا ولن ينالوا منه شيئا إلى يوم الدين، لأن الله جعل الإسلام نفسه - وليس المسلمين - خارج نطاق القانون البشرى، حيث تعهد سبحانه بحفظه:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾[6].

(٤) المائدة ٨.

(٥) إبراهيم ٤٦.

(٦) الحجر ٩.

دانيال النبى الكريم بين أيدى المسلمين

للأستاذ الدكتور/ على أحمد الخطيب

للكرم - على الكرم - أسمى التكريم: وكرامة النفس على صاحبها هى - حقا - أرفع ما تكون فى نفوس الأنبياء - على نبينا وعليهم - أفضل الصلاة والسلام - هكذا شاء الله - تعالى - أن يكونوا.

قال رسول الله - ﷺ -:

«الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم»[1] عليهم السلام.

من هذا النسل الكريم: «دانيال» نبى كريم من نسل إسرائيل يعقوب - عليهما السلام، من حين خلص النسل فيهم ليعقوب، ولم تعلق به أمشاج الأمم، التى علقت به - فعلا - حتى فى ذلك الحين[2].

«ولدانيال» كان هذا التكريم الذى تتحدث عنه على أيدى المسلمين فى خلافة عُمر بن الخطاب وقواد عُمر - رضى الله عنهم.

إن دانيال النبى أحد حفظة التوراة فى بنى إسرائيل، بعثوا لوقايتها من خبط كثير من أحبارهم وظل - عليه السلام - يحفظها قلبا وكتابا حتى إذا شعر باقتراب نهايته أودعها أعماق البحر حتى لا ينالها رجس الكفرة من بنى إسرائيل[3].

فمن دانيال؟.

وأين هو من المسلمين؟ وبخاصة، وبينه وبين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - نحو من اثنى عشر قرنا من الزمان!

(١) صحيح البخارى - كتاب الأنبياء - الباب التاسع عشر «أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت».

(٢) انظر - من العهد القديم - سفر أستير، وراجع للأستاذ الدكتور عوض محمد عوض كتابه «الاستعمار» فقد أودع فيه دراسته عن اعتناق كثير من الناس للديانة الإسرائيلية - بحث طبعه منه جامعة الدول العربية.

(٣) انظر: ابن جرير الطبرى - تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبرى) ٩٢/٤ ط المعارف - مصر وابن الأثير - الكامل فى التاريخ ٥٥١/٢ ط دار صادر، دار بيروت (١٣٨٥) هـ.

ليس من شيء عجيب في قدر الله - عز وجل.

لقد تم اللقاء بـ «الأهواز» من أرض فارس، وكانت - وقتها - من أملاك الأمبراطورية البابلية التي عاش فيها دانيال، وفي عاصمتها «بابل» أينعت حكمته، وتوالت معجزاته، ثم طوف بالامبراطورية ما شاء الله - تعالى له من تطواف إلى أن ألقى عصا التسيار بالأهواز في الجنوب من فارس، وكانت تعتبر جزءاً من أراضيها الخصبة.

●●●

لقد دفعنا الحديث عن لقاء المسلمين بنبي الله دانيال إلى ذكر ختام حياته بالأهواز، فأما مولده - عليه السلام - فكان بأرض «يهوذا» من فلسطين عام «٦٠٥ ق. م»[٤] أثناء حكم «يهو ياقيم» لها؛ فقد تولى المُلك بها عام «٦٠٨ - أو - ٦٠٩ ق. م»[٥] أي قبل ولادة «دانيال» بثلاث أو أربع سنين فقط.

وإذا كان المؤرخون يختلفون في بداية تنصيب «يهوياقيم» ملكاً بين إحدى هاتين السنتين، فهم متفقون على نهاية حكمه لها عام (٥٩٨ ق. م)[٦].

وتمضي الحياة بالنبي «دانيال» حتى يُشْرف على الثامنة والستين، فتتم حياته الدنيا ويلقى الرفيق الأعلى بـ «الأهواز» عام (٥٣٧ ق. م).

ويتفق المؤرخون - أيضا - على نهاية «يهوذا» نفسها إلى الأبد بعد (يهو ياقيم) بثنتي عشرة سنة عام (٥٨٦ ق. م).

●●●

كانت أرض «يهوذا» هي الجزء الجنوبي من مملكة «داود وسليمان» عليهما السلام، تلك المملكة التي كانت أزهى ممالك عصرها!! إذْ كان قوامُها النبوة والوحي والعدل، ورزقها الله - سبحانه وتعالى - من القوة، وبخاصة - في عهد سليمان - مالم يستقر مثله لبشر، حتى إذا مات سليمان ذهبت معه النبوة ولحقها الوحي والعدل، وانقسمت المملكة إلى جزأين:

جزء في الشمال هو «إسرائيل» وآخر في الجنوب - هو «يهوذا» وناصبت كلتاهما الأخرى العداء وما لبثتا أن استعانت كل منهما بملوك - أو - أباطرة الدول المجاورة لتحميها من شقيقتها، وفي

---

(٤) راجع د/ عبدالوهاب المسيري - موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٥/١٢١ ط اولى - دار الشروق ١٩٩٩م

(٥) د/ محمد مهران - دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم - إسرائيل ص ٥٢٩. مطبعة الأمانة - مصر.

(٦) د/ المسيري - في تاريخ ميلاد دانيال ووفاته - تقدم. انظر - في قبره بالأهواز: تاريخ الطبري (٤/ ٩٣) طبع المعارف - مصر، ابن الأثير (٢/٥٥١)، دار صادر وبيروت ١٣٨٥ هـ البلاذري - فتوح البلدان ص ٣٧٦ - ط السعادة ١٩٥٩ مصر، ياقوت - معجم البلدان حرف (١ هـ = أهواز).

سبيل السلامة بذلت كلتاهما كل شيء، من عقيدة أو مال (جزية) أو تراث[٧].

ونشأ عن هذه السياسة أن أقام «يهو ياقيم» ملك «يهوذا» علاقة بإمبراطورية «بابل» وهي وثنية من دول الشمال - شرق فلسطين - بسطت سلطانها على معظم أراضي فارس والعراق، يحكمها وقتئذ «نبوخذ ناصر» امبراطورها الشهير[٨] كما رأى «ياهوياقيم» أن يقيم نفس العلاقة مع (مصر) ولنفس الهدف وما استشعر «نبوخذ ناصر» بميل يهو ياقيم إلى مصر وتأكد له هوى يهوياقيم بتأخره في دفع الجزية لبابل حتى شن «نبوخذ ناصر» حملته المدمرة على «يهوذا» وساق الملكَ وعظماء المملكة وأحبارها أسرى إلى «بابل» عاصمته، عام (٥٩٧) ق. م[٩].

وفي الحق أن شكوك الدول المجاورة لإخلاص كل من «إسرائيل» و«يهوذا» كان السبب المباشر في القضاء عليهما تماما، فانتهت «إسرائيل» في الشمال عام (٧٥١ ق. م) ولحقتها «يهوذا» عام (٥٨٦ ق. م). وهكذا بادت كلتا الدولتين.

يعقب د. محمد بيومي مهران تعقيبا دقيقا على هذا الأمر بقوله:

«وأهمية سبي يهوياكين [يهو ياقيم] ومن معه لا تقاس بعدد المَسْبيّين، ولكن بنوعيتهم، فقد سُبيت الطبقات الحاكمة، وكبار رجال الدولة، والعائلة المالكة، والوزراء، والأرستقراطيون والكهنة والأنبياء»[١٠].

أي لم يبق بأرض يهوذا إلا من لا حيلة له في نفوذ، ولا مطمع له في جاه. أي أراذل الناس.

●●●

من هذا السبي: دانيال عليه السلام.

وبمقارنة تاريخ ميلاده، وواقعة السبي تتبين أنه أُسر صغيرا، وأيا ما كان فقد عاش بقية حياته بهذه الإمبراطورية، وفيها رعاه الله - سبحانه - وحفظه من كيد رجال القصر وكهنة بابل الذين أحفظهم جدا حُبُّ (نبوخذ ناصر) لدانيال، وتقريبه له، واتخاذهُ مشيرا يعمل بمشورته الطيبة الخالصة التي هدته السبيل في أحلك ظروفه حتى

---

(٧) راجع في العهد القديم - بداية من الملوك الثاني - إصحاح ٢٤، ونظيره من (أخبار الأيام الثاني).

(٨) هذا هو اسمه في العهد القديم - الملوك الثاني ٢٤/١ وما بعده، وفي نقوش المنطقة، وعنها نقل (ديلا ورت) في كتابه (حضارة ما بين النهرين: ميزوبوتاميا) اسمه: نبوخذ دور سور ص ٦٩ - سلسلة الألف كتاب رقم (٣٤) واختصر في العربية إلى بختنصر.

(٩) انظر: ديلا ورت ص ٦٩ ود/ مهران ص ٥٢٩.

(١٠) انظر مهران ص ٥٢٩.

ليذكر العهد القديم أن «نبوخذ ناصر» اعتنق الوحدانية، ونبذ عبادة الأوثان ومات على التوحيد».

يقول (نبوخذ ناصر) وقد عَبّر له دانيال «رؤيا» مفادها أنه سيعزل عن مملكته، ثم يعود إليها عزيزاً بعزة الله – عز وجل، فلما تم ذلك، آمن نبوخذ ناصر – بعد انتهاء محنته – بالله وحده، وكانت منه هذه المناجاة:

«أنا نبوخذ ناصر رفعتُ عينيّ إلى السماء فرجع إليّ عقلي، وباركتُ العليّ، وسبحتُ وحمدتُ الحيَّ إلى الأبد الذى سلطانه سلطان أبدى، وملكوته إلى دور فـــدور[11].. وهو يفعل كما يشاء فى جُند السماء وسكان الأرض، ولا يوجد من يمنع يده، أو يقول له: ماذا تفعل؟

فى ذلك الوقت رجع إليّ عقلي، وعاد إليّ جلال مملكتى ومجدى وبهائى، وطلبنى مُشيرىّ وعظمائى، وتثبّتُ على مملكتى، وازدادت لى عظمة كثيرة، فالآن:

أنا نبوخذ ناصر أُسَبح وأعظم وأحمد ملك السماء الذى كل أعماله حق، وطُرُقُهُ عَدْلٌ، ومَنْ يَسْلُكُ بالكبرياء فهو قادر على أن يذله..»[12] ٤ / ٢٤، ٢٧.

عاش دانيال بعد نبوخذ ناصر دهرا طويلا.. عاش كريما مُهابا مهيبا، مَثَلُهُ – فى الزهد – مَثَلُ الأنبياء، زاهد، وبين يديه متاع الدنيا.. لكن شيئا منها لم يجذبه إلى زهراتها، وهذا عين الزهد، أى أن تَمْلك وتعاف، وإلا؛ فإن الله – تعالى – يكره زهد الخصيّ.

وليس يذكر لنا «سفر دانيال» أنه تزوج، بينما ذكر الطبرى وابن الأثير – رحمهما الله – أن له ولدا، وتلك سنة الأنبياء، فقد تزوج دانيال – إذًا – وأنجب، وما من نبى إلا تزوج إلا من شاء الله – تعالى – أن يكون حصورا.

ولقد يخطر ببال القارىء الحصيف أن يسأل:

من أين للطبرى وابن الأثير، أو غيرهما، هذه الأخبار.. لاسيما، وهى ليست بالعهد؟

نقول: إن يهود الشرق احتفظوا بالكثير من الأسفار التى أبعدها كتبة العهد، وكانت أسفارًا لها قيمتها عند أحبارهم، ولم يكن النزاع حولها بمستطيع ردها، فضلا عن القضاء عليها، وكان لها حَفَظَتُها باليمن، ومراكز اليهود فى «المدينة»، و«أذرعات» وغيرها، ثم كان (إسلام) السلالة التى أسلمت من بنى قريظة مع غيرهم فى اليمن تحمل هذه الأخبار، وفيهم رواة ثقات، أدّوا الأمانة فيما حملوا كما كانوا – فى إسلامهم

(11) أى دائم الوجود أبداً.

(12) دانيال ٤/٢٤ – ٢٧.

– ثقة فى رواية الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ من هؤلاء وغيرهم – وهم كثير، زادهم الإسلامُ حرصا وأمانة – انتشرت أخبار كثير من الأسفار القديمة حتى ليقول وَهْبُ بن منبه بن ذى كناز – وكان حبراً أسلم وحسن إسلامه، وتعمق فى الإلهيات – يقول:

«كنت أقول بالقدر حتى قرأت بضعة وسبعين كتابا من كتب الأنبياء، فى كُلِّهَا: (مَنْ جَعَلَ إلى نفسه شيئا من المشيئة فقد كفر) فتركت قولى»[13].

يقول: «بضعة وسبعين كتابا من كتب الأنبياء»، والعهد القديم كله تسعة وثلاثون سفراً أى كتابا ليس غير، وفى ذلك دلالة على سعة مصادر أهل الشرق باليهودية حتى لو قيل فى الأمر مبالغة. وكان وهب – رحمه الله – تعالى – ثقة، روى له البخارى – رضى الله عنهما.

ومثله: كعب بن ماتع الحميرى، أبو إسحاق المعروف بكعب الأحبار من (آل ذى رُعَين) من اليمن أسلم فى عهد عمر، قال عنه أبو الدرداء – رضى الله عنه: «إن عند ابن الحميرى لعلما كثيرا، وقال عنه معاوية – رضى الله عنه: ألا إن كعب الأحبار أحد العلماء، إن كان عنده لعلما كالثمار، وإن كنا فيه لمفرطين»

روى له مسلم – رضى الله عنه – فى مواضع من صحيحه فى كتاب الإيمان»[14].

ومثل هذين من علماء بنى قريظة المسلمين: محمد بن عقبة بن أبى مالك، ومحمد بن عمار بن سعد، ومحمد بن كعب بن سليم، وكلهم قُرَظى، صاحب رواية وأمانة وثقة[15].

عن هؤلاء وأمثالهم اتسع علم المسلمين بالأخبار القديمة عن بنى إسرائيل.

●●●

مات «نبوخذ ناصر»، وكان «دانيال» – على ما يبدو – يلازم القرب منه لحاجة هذا الإمبراطور إليه، بل ولشغفه به، فلما مات، كان – فى موته – فسحة أمام «دانيال»، فأخذ يتنقل كيف يشاء حتى استقر به الأمر فى «الأهواز» وفيها كان ختام حياته.

ويبدو أن «الأهواز» هو الاسم الإسلامى الذى عرف به المسلمون هذه المنطقة بعد فتحها[16]، واسمها – فى الفارسية – على ما ذكره ياقوت – فى معجمه: «هرمشير» أو

(13) ابن حجر – تهذيب التهذيب ١١/١٦٨ ط أولى – الهند.

(14) ابن حجر – تهذيب التهذيب ٨/ ٤٣٨.

(15) ابن حجر – تهذيب التهذيب ٩/٣٤٦، ٩/٣٥٨، ٩/٤٢٠.

(16) أى أن أصلها (أحواز) جمع (حَوْز) من الحيازة، وهى تحصيل الشىء وامتلاكه، واستبدلت (الحاء) فى اللسان الفارسى (هاء).

«هرمز شهر»، وهى صقع عريض يضم قُرى عدة، بل مدنا لها قيمتها التاريخية، منها:

تستر، وسوس، وجنديسابور، وسوق الأهواز وغيرها كما تخترقها - أى عند فتح المسلمين لها - أنهار عدة، منها (ماء تستر) وله أكثر من فرع، ونهر (تيرى) وغيرهما فى المنطقة

ويحدثنا ياقوت الرومى عن أنهارها زَمَن داود وسليمان - على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام - وهو زمن قريب إلى زمن دانيال، لايبدو أن الأرض تتحول أثناءه تحولا جذريا - يقول:

ووجدتُ - فى بعض كتب الفرس القديمة: أن «أردشير بهمن بن اسفنديار» حفر نهر المَسْرُقان بالأهواز، ودُجيل بالأهواز، وأنهار الكور السبع:

سُرَق، ورامهرمز وسوس، وجنديسابور، ومناذر، ونهر تيرى[17].

ولعل السابع هو نهر (تستر) المتقدم، أو الأهواز أو دُجَيل المتقدمين.

ورقد دانيال رقدته الأخيرة من دنياه راضيا عن ربه، راضيا بالخلاص من وزر الدنيا وثقل الأمانة، وظل - فى رقدته - حتى فتح أبو موسى الأشعرى - رضوان الله عليه - الأهواز عام (١٧ هـ - ٦٣٨ م) فى أوسط الأقوال - حتى إذا دخل أرض «السوس» من الأهواز، رأى فى قلعتهم بيتا، وعليه ستر، فسأل عنه، فقيل: إن فيه جثة دانيال النبى - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام» فدخل أبو موسى الإيوان، فوجد النبى دانيال «فالتزمه أبو موسى وقَبَّلَهُ، وقال:

دانيال ورب الكعبة، ثم كتب فى شأنه إلى عمر، فكتب إليه عمر: «أنْ كَفِنْهُ وَحَنِّطْهُ، وصلِّ عليه، وادفنه كما دُفنت الأنبياء - صلوات الله عليهم»[18].

فكفنه فى قباطىّ بيض وصلى عليه، ثم سكَرَ أبو موسى نهرا[19]، حتى إذا انقطع الماء عَمَّق فى الحفر ثم دفنه أكرم دفن، حتى إذا اطمئن على منزله هذا، أجرى الماء عليه[20].

ومضى الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام - فى الحديث عن متعلقاته.

ومضى «دانيال» عليه السلام فى الطريق إلى ربه عز وجل.

---

(١٧) راجع للإمام شهاب الدين أبى عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموى الرومى - معجم البلدان ٢٨٤/١، ٣١٩/٥ دار صادر - بيروت ١٣٩٧ هـ.

(١٨) أبو عبيد القاسم بن سلام - الأموال ص ٣٥٢، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ١٤٠٦ هـ.

(١٩) راجع: تاريخ الطبرى ٩٢/٤ ط المعارف - مصر - ابن الأثير - الكامل فى التاريخ ٥٥١/٢ دار صادر بيروت البلاذرى - فتوح البلدان ص ٣٧١، ٣٧٢ - مطبعة السعادة - مصر ١٩٥٩ م - أبو عبيد - الأموال - تقدم.

(٢٠) البلاذرى السابق ص ٣٧٢.

حق العودة من المنظور الإسرائيلى

للأستاذ
صلاح عبدالرحيم محمد

إذا كان حق عودة الفلسطينيين إلى ديارهم، فى فلسطين التاريخية يمثل مطلبا وطنيا وقوميا، بالنسبة للعرب وللفلسطينيين على السواء، فإن إسرائيل ترى هذا الحق الفلسطينى الأصيل، مصدر تهديد لوجودها، كدولة يهودية فى المقام الأول، وخطرا ديموجرافيا على أمنها القومى لأنه يتعلق بعودة مئات الآلاف من اللاجئين الفلسطينيين من مواطن شتاتهم، إلى داخل الوطن الأم السليب، بمدنه، وقراه، وكفوره وبلداته التى يسكنها اليهود اليوم. وترجع المخاوف الإسرائيلية من هذه العودة، بسبب التفوق الديموجرافى الفلسطينى الذى يمكن، فى خلال عقدين من الزمان، أن يحول الأغلبية اليهودية إلى أقلية مهمشة، مما قد يفضى إلى القضاء على الدولة اليهودية التى هى حلم الصهيونية الأوحد.

لذلك فإنه منذ حرب ١٩٤٨، كان موقف إسرائيل من حق العودة هو الرفض القاطع له، وهى فى ذلك تستند إلى وجهة النظر التى تذهب إلى القول بأن إسرائيل ليست المسئولة الوحيدة عن نتائج هذه الحرب التى أفرزت مشكلة اللاجئين، بل يشترك معها الدول العربية التى حاربتها. وقد وصف «موشيه شاريت»، وزير الخارجية فى حكومة «دفيد بن جوريون»، فى بيان له أمام الكنيست فى الرابع عشر من نوفمبر ١٩٥١ قضية عودة اللاجئين، بأنها مسئولية مشتركة بقوله: «تقع على كاهل الحكومات العربية مسئولية استيعاب الغالبية العظمى من اللاجئين الفلسطينيين، كما تقع على عاتق إسرائيل أيضا مسئولية دفع تعويضات لهم عن أراضيهم التى تركوها». أما فيما يتعلق بأعداد اللاجئين الفلسطينيين الذين أجبرتهم القوات الغازية اليهودية على ترك ديارهم، وأموالهم، وأرضهم فى حرب ١٩٤٨، فتشير تقديرات وكالة غوث وتشغيل اللاجئين (الأونروا) إلى أن عددهم كان يبلغ ٧٢٦ ألفا، موزعين على عدد من الدول العربية المجاورة لإسرائيل، وهى ٩٧ ألف لاجئ فى لبنان، ٧٥ ألف لاجئ فى سوريا، ٢٠٠ ألف لاجئ فى قطاع غزة، ٢٨٠ ألف لاجئ فى الضفة الغربية، ٧٠ ألف لاجئ فى الأردن، ٤٠٠٠ لاجئ فى العراق،

٧٠٠٠ لاجئ في مصر، وتذكر تقديرات «الأونروا» أن أعداد اللاجئين الفلسطينيين في العالم الآن بما فيهم اللاجئون في الدول العربية هي حوالي ٥,١ مليون لاجئ فلسطيني منهم ٦٠٠ ألف لاجئ في الضفة الغربية، ٨٠٠ ألف لاجئ في قطاع غزة، ١,٧ مليون لاجئ في الأردن، ٣٨٠ ألف لاجئ في لبنان، ٤٣١ ألف لاجئ في سوريا، ٤٠ ألف لاجئ في مصر.

وفي أعقاب حرب ١٩٤٨، أعلنت إسرائيل استعدادها لاستيعاب عدد محدود من اللاجئين فيها، وذلك في إطار تسوية سياسية نهائية مع العرب.

ولقد جاء في تقرير الكونت «برنادوت» وسيط الأمم المتحدة الذى قدمه يوم ١٦ / ٩ / ١٩٤٨ «قبل يوم واحد من اغتياله» إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة: «أنه إذا حُرِم ضحايا الصراع الأبرياء من العودة إلى ديارهم، فإن هذا سيمس بمبادئ العدالة، في حين يواصل المهاجرون اليهود التدفق إلى فلسطين». ويضيف «برنادوت» مطالبا المنظمة الدولية بسرعة إعادة اللاجئين إلى ديارهم بقوله: «على الأمم المتحدة أن توافق على حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة إلى ديارهم في الأرض التي يسيطر عليها اليهود بأسرع مايمكن، وعلى لجنة الوفاق أن تشرف على عودة اللاجئين، وإعادة توطينهم، وتأهيلهم اقتصاديا واجتماعيا، ودفع تعويضات مناسبة عن ممتلكات أولئك الذين يختارون عدم العودة».

والجدير بالذكر أن مقترحات «برنادوت» حول حق العودة تضمنها قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم١٩٤ الصادر في ١١ ديسمبر ١٩٤٨، فقد جاء في البند (١١) من هذا القرار «إن الذين يرغبون في العودة إلى ديارهم، والعيش في سلام مع جيرانهم، سيسمح لهم بذلك، في أقرب وقت، ويجب دفع تعويضات عن ممتلكات من لايرغبون في العودة»، وقد قررت لجنة الوفاق التابعة للأمم المتحدة، عام ١٩٥١، قيمة الممتلكات التي أجبر اللاجئون على تركها في «فلسطين ٤٨» حوالي ١٢٢مليون ليرة إسرائيلية، تعادل بقيم عام ١٩٩٩، حوالي مليار وتسعمائة مليون دولار أمريكي بينما قدرها الوفد العربي بحوالي مليار وتسعمائة مليون جنيه استرليني، تعادل بقيم عام ٢٠٠٠ حوالي ٣١,٢ مليار دولار امريكي، واللافت للانتباه أن إسرائيل منذ بروز مشكلة اللاجئين الفلسطينيين وهي ترفض حق العودة، ففي المناقشات التي جرت في الكنيست يوم ٢٧ / ١٠ / ١٩٦١ حول قضية اللاجئين وحقهم في العودة، قال «ديفيد بن جوريون» رئيس الوزراء الإسرائيلي: «إن إسرائيل ترفض تماما الاقتراح الخاص بإعطاء اللاجئين حرية الاختيار بين الحصول على تعويضات أو العودة، لأنها مقتنعة أن هذا الاقتراح مطروح فقط لمجرد القضاء على إسرائيل».

وفي هذا السياق يُذكر أنه في يوم ١٧ مايو ٢٠٠٠، وافق الكنيست بأغلبية كبيرة (٦٦ عضواً من ١٢٠) في القراءة التمهيدية

على مشروع قانون برفض حق عودة اللاجئين الفلسطينيين (١٩٤٨، ١٩٦٧) فقال الوزير «حاييم رامون» ممثل الحكومة الإسرائيلية مخاطبا الكنيست: «إن حكومة إسرائيل تعترض على حق العودة بشدة، وإن إسرائيل في كل محادثاتها مع الجانب الفلسطيني ترفض مطالبتها بالاعتراف بمسئوليتها السياسية والأدبية عن خلق مشكلة اللاجئين رفضاً تاماً.. ومن جانب آخر برزت على الساحة السياسية في إسرائيل ثلاث وجهات نظر حول قضية حق العودة من خلال وثيقة أعدها أعضاء الكنيست من حزبي الليكود والعمل.

الأولى تذهب إلى القول بأن في إمكان السلطة الفلسطينية استيعاب ما ترغب في استيعابه من اللاجئين.

والثانية ترى أن السلطة الفلسطينية لا يمكنها أن تستوعب إلا حوالى ١٥ألف لاجيء في العام وذلك لأسباب أمنية واقتصادية، ولدواعي النظام العام.

والثالثة تذهب إلى تأجيل قضية حق العودة إلى مفاوضات الوضع النهائي.

ويجدر لفت الأنظار إلى أنه يدور، حاليا في إسرائيل كثير من الجدل والنقاش بين الباحثين ومعظم المحللين السياسين حول مشكلة اللاجئين، وحقهم في العودة، فيعتقد البعض أن حق العودة يتنافى مع الحل الذى يقضي بوجود دولتين، فلسطينية ويهودية ومن ثم فيمكن للاجئين الفلسطينين العودة إلى الدولة الفلسطينية القادمة والتي قد تشرع في سن «قانون للعودة» على غرار «قانون العودة» لإسرائيل لعام ١٩٥٠ الخاص بحق عودة أي يهودي من بلاد الشتات إلى إسرائيل، واكتساب الجنسية الإسرائيلية بمجرد هذه العودة، ويرى البعض الآخر أنه يمكن توطين اللاجئين الفلسطينين على أية مساحة من الأراضي التي ستقتطع من إسرائيل لصالح الدولة الفلسطينية المقبلة بشرط موافقة السلطة الفلسطينية على سيطرة إسرائيلية مستمرة على المستوطنات اليهودية في المناطق المحتلة عام ١٩٦٧، أما معظم الكتاب الإسرائيليين الذين كتبوا ضد حق العودة، فيذهبون إلى القول بأن عودة اللاجئين إلى ديارهم في إسرائيل يمثل «كارثة ديموجرافية» يمكن أن تصيب دولة إسرائيل في مقتل، ومن ناحية أخرى اقترح «شلومو جازيت» في دراسة كتبها تحت عنوان «قضية اللاجئين الفلسطينيين- الحل الدائم من منظور إسرائيلي» أن الحل الدائم يختلف باختلاف الاحتمالات التي يمكن أن يصبح عليها الكيان الفلسطيني المزمع إقامته، ومن خلال المفاوضات، مع إسرائيل، وأن ثمة احتمالات ثلاث للحل:

الأول: إقامة حكم ذاتي فلسطيني، لا يبلغ مرحلة السيادة.

الثاني: قيام دولة فلسطينية ذات سيادة في الضفة وقطاع غزة. والثالث: قيام وحدة فيدرالية أردنية ـ فلسطينية.

ويضيف «شلومو جازيت» قوله: إنه فى إطار هذه الاحتمالات الثلاثة للحل، فيجب على إسرائيل أن تصر على عدم الإقرار بحق العودة ورفض القرارات الدولية ذات الصلة به، مع إمكانية السماح بعودة فلسطينية محدودة العدد إلى إسرائيل لجمع شمل العائلات، وذلك بقرار سيادى إسرائيلى.

وفى الجانب الآخر الذى يدافع عن حق عودة الفلسطينيين إلى ديارهم فى فلسطين التاريخية يتحدث الباحث الفلسطينى «سلمان أبوستة» فى كتابه «حق العودة مقدس، وقانونى، وممكن» عن ٤,٩٤٢,٢٩٩ مليون لاجىء فلسطينى، ويقول «إن عودة اللاجئين إلى ديارهم ممكنة، من غير ترحيل أى يهودى، وأن دعوى إسرائيل برفض عودة اللاجئين بحجة ضيق المساحة، وعدم كفاية الموارد المائية هى دعوى باطلة لأن ٧٨٪ من اليهود يعيشون على ١٥٪ فقط من مساحة إسرائيل» ومن هنا يواصل الكاتب الفلسطينى مفندا المزاعم الإسرائيلية برفض حق العودة فيقول: «إنه لو عاد جميع اللاجئين فى لبنان إلى الشمال الفلسطينى، وجميع اللاجئين فى غزة إلي الجنوب الفلسطينى، وغادر جميع المستوطنين اليهود إلى المنطقة الوسطى، لما زادت الكثافة السكانية فى هاتين المنطقتين على ٥٪، ولما ارتفعت الكثافة السكانية العامة إلى أكثر من ٤٨٢ شخصا فى الكيلومتر المربع الواحد، وهو رقم مقبول، ولتحقيق هذا الأمر، لن يكون على إسرائيل أن تفعل شيئا إلا نقل ١٥٤ ألف إسرائيلى من الجليل فى الشمال إلى المنطقة الوسطى، و٧٨ ألف إسرائيلى من المنطقة الجنوبية إلى المنطقة الوسطى أيضا، ولاشك أن هذه العملية تتيح العودة لحوالى ٤٠٠ ألف لاجىء من لبنان، ونحو ٨٠٠ ألف لاجىء من غزة، ويبدو أن هذا الباحث الفلسطينى يعرف جيدا جغرافية وطنه الفلسطينى، فيقول «إن عودة اللاجئين لا تحتاج إلا ساعة أوساعتين من الزمن، إذ يمكن عودة سكان قضاء بئر سبع، وغزة، والرملة، ويافا من قطاع غزة، متجهين شمالاً، ويعود سكان الوسط من الضفة الغربية غرباً، ويعود سكان الجليل من سوريا ولبنان جنوباً، وتعود كل قرية إلى مكانها المعروف، والمحدد على الخرائط بدقة.

والسؤال الذى يتبادر إلى الذهن، بعد ذلك، هو:

هل تقبل إسرائيل هذه المقترحات بسهولة.

وهل يمكن أن تسمح بعودة اللاجئين إلى ديارهم فى فلسطين ٤٨.

والإجابة عن هذين السؤالين كما يعرفها الجميع هى بالنفى طبعا.

وفى إطار البحث عن حلول لقضية حق عودة اللاجئين إلى الوطن السليب، يمكن أن يقبل بها الجانبان الإسرائيلى والفلسطينى، فقد خاضت هذه القضية مفاوضات عسيرة بين الطرفين الرئيسيين، ومرت بثلاثة مراحل متتالية:

المرحلة الأولى: من خلال مفاوضات «كامب ديفيد ـ٢»، التى دعا إليها الرئيس الأمريكى السابق «بيل كلينتون» فى يوليو ٢٠٠٠، وقد توصل الجانبان إلى العديد من التفاهمات، كان أبرزها أن تعلن إسرائيل استعدادها لاستقبال فئة محدودة من اللاجئين الفلسطينيين، على دفعات، وعلى فترات زمنية بين ١٠ ـ ٢٠ سنة، وأن أقصى ما يمكن أن تستقبله إسرائيل هى فئة محدودة من اللاجئين يجب ألا تتجاوز ١٠٠ ألف لاجىء فلسطينى، من الذين ولدوا قبل عام ١٩٤٨، ومن دون ذريتهم، بشرط أن يكون لهم أقرباء داخل إسرائيل، على أن تعلن إسرائيل أن هذه العملية تتم بهدف جمع شمل العائلات، ولأسباب إنسانية بحتة، ولا تمت بصلة، على الإطلاق بمبدأ حق العودة.

والمرحلة الثانية: تتعلق باستئناف المفاوضات بين الجانبين الإسرائيلى والفلسطينى حول المقترحات الأمريكية التى قدمها الرئيس الأمريكى «بيل كلينتون» فى ديسمبر ٢٠٠٠، وتدعو هذه المقترحات إلى حل قضية اللاجئين وفق مبدأ «دولة واحدة لكل شعب» بحيث يكون للفلسطينيين دولتهم على أجزاء من الضفة الغربية وقطاع غزة، ويكون لليهود دولتهم، وبالتالى فإن عودة اللاجئين الفلسطينيين تكون إلى دولتهم، وليس لدولة إسرائيل وتستند هذه المقترحات الأمريكية إلى الزعم الإسرائيلى القائل بأن عودة أربعة ملايين لاجىء فلسطينى سوف يحول دولة إسرائيل من دولة لليهود إلى دولة ذات أغلبية عربية، أو فى أفضل الأحوال «دولة ثنائية القومية».

أما المرحلة الثالثة: فهى مفاوضات طابا، فى يناير ٢٠٠١ بين الطرفين الفلسطينى والإسرائيلى، والتى استندت إلى تفاهمات «كامب ديفيد ـ٢»، وقد توصلت هذه المفاوضات إلى تفاهمات حول إقامة دولتين لشعبين، دولة فلسطينية، ودولة يهودية، على أن تكون عودة اللاجئين إلى الدولة الفلسطينية، على أن تستوعب ١٠٠ ألف لاجىء سنويا، ومن ناحية أخرى تستوعب إسرائيل عددا من اللاجئين الفلسطينيين من مواليد ما قبل ١٩٤٨، على أن يكون لهم أقارب داخل إسرائيل، بحيث لا يتجاوز العدد ٥٠ ألف لاجىء، إلا أن «نبيل شعث» من الجانب الفلسطينى، اقترح ١٠٠ ألف لاجىء سنوياً، وعلى مدى ١٠ سنوات.

وبالرغم من المرونة التى أبداها الجانب الفلسطينى حول حق العودة، فإن إسرائيل أصرت على التهرب من تنفيذ الشق الخاص بها من هذا الحق، ولم تحاول الإدارة الأمريكية أن تفعل شيئا حيال ذلك، حتى أن خريطة الطريق التى تبنتها الولايات المتحدة الأمريكية تجاهلت حق العودة، وتركته لمفاوضات الوضع النهائى بين الطرفين الإسرائيلى والفلسطينى.

ومازال حق العودة ضائعا بين الرفض الإسرائيلى والأمل الفلسطينى فيه.

التغيير المنشود

للأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

● «إننا لا ندين للعرب بشيء، فقيما عدا البترول الذى تم اكتشافه ويجرى إنتاجه ودفع ثمنه من جانبنا ما الذى يساهمون به فى المدنية والحضارة؟؟!».

● «إنهم ليسوا غير باترى أطراف، ومضطهدى نساء، وانتحاريين».

● «لا أعتقد أن الدول العربية تستطيع أن تبدأ نقاشا حول ما هو السيء».

إنها عبارات تضمنها مقال صحفى لواحد من أشهر معلقى التليفزيون البريطانى (روبرت كيلروى سيلك) فى القناة الأولى لهيئة التليفزيون البريطانية (بى بى سى) وأثارت ضجة هائلة فى الأوساط البريطانية خاصة بين المسلمين الذين رأوا أن المقال يحض على كراهية كل ما هو عربى وكل ما هو مسلم.

التليفزيون البريطانى أكد أن هذه التعليقات لا تعكس وجهات نظر الـ (بى بى سى) وأن ذلك البرنامج الذى يذاع على القناة الأولى سيتم وقفه.

أما (روبرت كيلروى) وهو نائب سابق فى مجلس العموم صاحب المقال البريطانى، فقد جاء اعتذاره على نفس مستوى الوقاحة التى صاغ بها مقاله الذى نشرته صحيفة (صنداى اكسبريس) حيث قال: إنه يأسف بشدة على أية إساءة تسبب فيها المقال معتبراً أنه احتوى على أخطاء واقعية واضحة وأنه يعتذر عن هذه الأخطاء.

وأضاف بأن المقال كتب فى الأساس للرد على ما أثاره معارضو الحرب على العراق بأن تلك الحرب ستؤدى إلى اشمئزاز ونفور من جانب الدول العربية تجاه الغرب مؤكدا بأن مقاله كان ينصب على سياسات الدول العربية وليس على العرب أنفسهم وختم المذيع البريطانى اعتذاره بقوله: «إنه بعيدا عن أى مبررات فمن الواضح أن هذا المقال تسبب فى الكثير من الألم والإساءة للعرب

والمسلمين وهو ما أستطيع أن أجدد اعتذارى عنه من أعماق قلبى».

أين هذا الاعتذار؟! لقد أصر على التمسك بكل كلمة كتبها بحجة أنه يتحدث عن السياسات العربية وليس عن العرب! ما هو الفارق بين السياسات العربية وبين الشعوب العربية؟ ومن الذى قال إن الشعوب العربية ترفض سياسات حكوماتها؟!

والمؤكد أن السيد (كيلروى) ما كان ليتحدث أبدا عن أى اعتذار لولا تلك الحملة الشديدة التى فوجىء بها والتى تزعمتها منظمات الجالية البريطانية المسلمة، حيث دعا المجلس الإسلامى البريطانى هيئة الادعاء العام لفتح تحقيق قضائى فى الموضوع معتبرة أن المقال شجع على العنصرية ضد العرب فى بريطانيا، ووجه الآلاف من العرب والمسلمين رسائل احتجاج إلى هيئة الإذاعة البريطانية (بى بى سى) التى يعمل بها (كيلروى)، وإلى لجنة المساواة العرقية، ولجنة شكاوى الإعلام، وصحيفة (صنداى إكسبريس) التى نشرت المقال.

وكم كان مؤلماً ألا نسمع عن أى تحرك سياسى عربى ضد (كيلروى) الذى سب العرب والمسلمين، وشوه تاريخهم، وحقر شأنهم، ولم تقدم الهيئات الإعلامية والدبلوماسية العربية أى نوع من أنواع الدعم للمسلمين البريطانيين، بل إن وسائل الإعلام العربية لم تكلف نفسها بتناول هذا الموضوع بجدية، واكتفت فقط بنشر قصاصات صحفية منقولة عن الصحف البريطانية.

فى حين أن دولة مثل الولايات المتحدة الأمريكية تعتبر من يتحدث عنها بسوء عدوا لها فى إطار المنطق الذى رفعته (من ليس معنا فهو ضدنا) ولذلك فقد بذلت جهداً هائلاً من أجل إسقاط نظام صدام حسين الذى تطاول عليها فى أجهزة الإعلام، وحرصت على تعقبه والقبض عليه وتصويره بشكل مهين، فى الوقت الذى لم تبذل فيه الجهد نفسه من أجل اعتقال اثنين قتلا عشرات الآلاف من المسلمين وهما: (رادوفان كاراجيتش) الذى كان رئيسا لما يعرف بـ (جمهورية صرب البوسنة) والثانى هو (راتكوميلاد) قائد الجيش الصربى، برغم أنهما ارتكبا من الفظاعات ما يماثل أو يفوق ما نسب إلى صدام حسين من جرائم.

ولكن الواقع يقول إن هذين المجرمين حالا دون إنشاء دولة إسلامية فى قلب أوروبا، وبالتالى فلا غضاضة من التستر عليهما وتهيئة الملاذ الآمن لهما بعيدا

عن يد العدالة المزعومة، وإلا فخبرونى: كيف عجزت أجهزة المخابرات الأوروبية والأمريكية بكل ما تملكه من إمكانات هائلة عن القبض عليهما، وهل إذا قبض عليهما سيتم تصويرهما بالشكل الذى تم مع صدام حسين؟!

إنه اتجاه دولى عام يتعامل مع العرب على أنهم (حثالة) لا يستحقون شيئا سوى سلة المهملات، وإلا كيف يمكن للولايات المتحدة الأمريكية وتابعتها بريطانيا أن يقوما باحتلال الدول الإسلامية واحدة تلو الأخرى، أفغانستان، ثم العراق، ثم التهديد بأن الدور على سوريا ثم إيران؟!

هل يستطيع أحد على ظهر الكرة الأرضية أن ينتقد مواد الدستور الأمريكى ويطالب بحذف بند من بنوده علما بأن الولايات المتحدة أعطت نفسها هذا الحق، عندما اعترضت منذ بضعة أيام على نص فى الدستور الأفغانى المقترح ينص على أن «الإسلام هو الدين الرسمى للدولة» لم تعترض سرا عبر القنوات الدبلوماسية، وإنما اعترضت علنا تأكيدا لسيادتها ليس على أفغانستان وحدها، وإنما على الأمة الإسلامية كلها التى تنص دساتيرها على أن «الإسلام هو الدين الرسمى للدولة»

وأن الشريعة الإسلامية هى المصدر الأول للتشريع فيها

ثم لم يكتفوا بذلك بل إنهم اليوم يتحدثون عن الديمقراطية المفقودة فى العالم العربى، ولعمرى عن أى ديمقراطية يتحدثون..؟! ديمقراطية «البرنو» و الشذوذ والزواج المثلى؟! أو فلنقل الديمقراطية وفق النموذج الأمريكى.

إن لم تتغير مفاهيمنا نحن، إن لم نسع لأن نكون كيانا قويا متحدا، متكافلا، متآلفا، متعاونا، فسنستيقظ ذات يوم وعلى باب كل فرد منا (بول بريمر).

يقول البعض إن الوقت قد فات.. ولكننا لازلنا نملك الكثير والتغيير المنشود ينبغى أن يأتى من داخلنا وفقا لمعتقداتنا وثقافتنا وتقاليدنا، لا وفقا لما يفرضه علينا الآخرون:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

الرعد (١١)

***

عن التوسل وبعض ما له وما عليه

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

سألت نفسى هل التوسل ممنوع؟ وبعبارة أخرى هل التوسل غير جائز؟ وهل هو شرك؟ نعوذ بالله من ذلك.

ثم أجبت عن السؤال بأنه ثمة أدلة شرعية ثابتة بوقوعه والعمل به وأنه جائز.

ثم أضفت سؤالا آخر: هل هذه الأدلة كافية للرد على من ينكرون التوسل وهل يعلمونها؟

ثم أجبت إنهم يعلمونها وذلك لأن القائلين بالتوسل لم يخترعوها لأنها موجودة ومسطرة فى الكتب والكتب موجودة بين أيديهم ثم سألت نفسى: هل هذه الأدلة واضحة الاستدلال أو أن الاستنباط منها غير صحيح؟

ثم أجبت: بالقطع ليست كلها على درجة عالية من وضوح الدلالة وأن فى بعضها بعض غلو وشطط، ولكن بالقطع أن البعض الآخر يدفع دفعا إلى اليقين فهو واضح الدلالة وواضح الاستنباط وحسن مقبول.

وسألت نفسى أخيرا: هل ما يفعله التوسل كله صحيح ومقبول؟

ثم أجبت: ليس كله مقبولا وبعضه صحيح.

فلماذا لانجتمع فى لقاء ود وصفاء على مائدة حوار صادق تسلم فيه جميع الأطراف بالحجة الصادقة والدليل البين الواضح ونترك جميعا الشغب والصياح مادمنا ننشد الحقيقة والحق إننى أحس أن كثيرا من الأطراف فى كلا الجانبين لاتدافع عن قضية ولاتبغى حقا ولاتبحث عن يقين تسرب من بين يديها لكن أكثر الصائحين هنا وهناك يدافعون عن مراكز وأوضاع بل ومزايا أدبية ومادية وزعامة وقيادة سعوا إليها فى كل دروب الحياة ولم تتح لهم إلا فى هذا الجانب أو ذاك فاهتبلوا الفرصة غير مصغين إلى وازع من دين أو ضمير.

وأبادر فأقول: إن الذى أخشاه على كل الأطراف رغم صدق الحوار - إن شاء الله - حالة يطلقون عليها فى علم النفس (النفور المعرفى) وهى حالة يرفض الشخص فيها أن يصدق ما هو كائن وواقع برغم وضوح البراهين وصدق الأدلة وهى حالة تنتاب الإنسان رغما عنه إذا كبلته شهوات النفس

وبواعث الهوى وإلف العادة وركون الطبع فهل تستطيع الأطراف جميعها أن تتخلص من أشغالها وأدرانها وتتخطى جميع العقبات وتفيء إلى رضوان الله؟

وأحب أن يعرف القارئ أني بتاريخي وسلوكي أنتمي إلى الفكر الصوفي والقائلين بالتوسل لكني أسأل الله أن أكون محايدا قدر استطاعتي فيما أعرض والذي أتوقعه ولا أحبه أن يشنأ عليّ بعض المتصوفين فقد يضيقون بما أقول بعضه أو كله لكني على يقين من أني لن أغضب التصوف!! ولابد أن تكون عارفا بالفرق بين المتصوفين والتصوف.

إذ هو كالفرق بين الإسلام والمسلمين فمهما انحرف بعض المسلمين أو حرفوا فلن يضير انحرافهم أو تحريفهم الإسلام في شيء لأن تاريخ التصوف فيه بعض المثالب لطخته بتصرفات شائنة أساءت إلى التصوف وطالت إساءتها الإسلام نفسه أما أخطاء المتصوفة في العصور المتأخرة حتى عصرنا الحاضر فقد فاقت كل حد وتجاوزت كل محظور ولن يشفع للمتصوفين أن الانحراف والهرطقة التي بلغت حد التضليل عبثت بكل الطوائف والفئات وطالت القيم في الناس والحياة فهل يعقل أن الجامعة والأستاذ الجامعي المعلم يدلس ويرتشي ويسرق؟ مع أنه كان يقال عن الجامعة إنها محراب العلم وأن الطالب والمدرس كلاهما راهب في محرابه وناسك يتعبد في قدسه فكيف بالراهب يتفسق وكيف بقدس الأقداس يناله الدنس؟

لن يشفع للمتصوفة فساد الآخرين حيث يزعمون أنهم طائفة ممتازة وانحازو إليها بمحض إرادتهم يبغون التميز وينشدون الرقي فلن يشفع لهم أن الفساد في غيرهم أكثر وأعم فكم تشدقوا أزمانا بأنهم هم الطائفة الممتازة التي عناها النبي ﷺ حينما قال (لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله) فلا يقبل منهم بل لايجوز لهم أن يتعللوا بفساد الزمان.

قال صاحبي: مالك تركت قضية التوسل وأسئلة وإجابات زعمت أنك موردها وجنحت إلى قومك المتصوفة تعاركهم ويعاركونك كأنك تريد أن تدخل حلبة صراع بينك وبينهم؟

قلت لصاحبي: لم أترك قضية التوسل ولا ما دار حولها فالأمر أن ما أصاب فكرة التوسل رفضا واستهجانا أو استنكارا إنما هو من تأثير فساد نماذج كثيرة من المتصوفة كما هو الحال فيمن ينسب إلى الإسلام زور وبهتانا فإنما هو بفعل كثير من المسلمين كسلا وتواكلا وجهلا بل وتعصبا وعنادً والحق الذي قد يرفضه بعض المتصوفة أو قل ترفضه جماهيرهم العريضة أنهم ساهموا بقدر كبير في تعطيل الأسباب أو إلغائها من حياة المسلمين.

يقول الشيخ محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ معبرا مزدريا فعل مرتزقة نسبوا إلى التصوف

يقول في لهجة صادقة وعبارة لاذعة تعبر في أمانة ووعي عن واقع سخيف مؤلم:

«من أسباب انهيار الثقافة الإسلامية [بين جماهير المتصوفة] أن قانون السببية دعي [دخيل] مع المتصوفة فإن كل رجل طيب فيهم جعلوا خوارق العادات تحشو حياته فهو يفتح بغير مفتاح ويطير بغير جناح كل شيء سهل» [راجع كتاب مجموعة خطب الشيخ الغزالي في شئون الدين والحساب].

وذلك حق كله لكن يبقى بعد ذلك حوار التوسل قائما والدفاع عنه واجب وضرورة تحتمها منهجية الدين السليم.

ثم قلت لصاحبي: إنه من المعروف المسلم به ما روى عن سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه لما أجدبت الأرض وقحط الناس وأراد سيدنا عمر بن الخطاب أن يستسقي للناس جاء بسيدنا العباس بن عبدالمطلب عم النبي ﷺ وروى عنه أنه قال (اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقنا فإنا نتوسل إليك بعم نبيك فاسقنا) يقول الراوي: فسقوا وأمطرت السماء.

قال صاحبي في اندفاع غير متريث، كأنه يهتبل فرصة سنحت له يخشى أن تمضي دون أن يحقق مطلبه ـ قال: هذا دليل عليك لا لك قلت: رعاك الله يا صاحبي وألهمني وإياك الرشد فإن التسرع وطبيعة العراك التي تحكمنا في كثير من حياتنا والتي سيطرت علينا في حياتنا العلمية أفسدت علينا ديننا في كثير من الأمور.

ثم قاطعني صاحبي متسرعاً مرة أخرى أليس فيما فعل عمر دليل على أن التوسل بغير الأحياء لا يجوز؟ فإنه رضي الله عنه توسل بالعباس رضي الله عنه لأنه حي ولم يتوسل بالنبي ﷺ لأنه ميت؟ فلماذا تهرعون إلى القبور تتوسلون وتتمسحون بها.

فقلت لصاحبي: محاولاً أن أيسر لي سبيلاً بين حنايا تعصبه واندفاعه: ألا تحتمل الواقعة رأياً آخر، أو فهماً رشيداً إلى جانب ما عرفته وأوضحته.

قال في نفور عجيب: مالكم تتلاعبون بالألفاظ وتصرفونها عن مرادها؟!

قلت: سامحك الله فلسنا نتلاعب بالألفاظ ولا نصرفها عن مرادها إنما نحن نتوسل لفهم مراد الشارع بكل السبل المشروعة العلمية السليمة. إن كان مراد الشارع فهم من غير تدخل أو كان من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى تفسير أو تأويل لانتهى الأمر ولما كنا في حاجة إلى تفسير أو توضيح ونتعامل مع النصوص بقلب سليم لا نعمد إلى ليها وتأويلها لتؤدي معنى نريده لنحقق هدفاً نقصده أو فكراً نروج له أو ندعيه.

اسمح لي أن أقول لك أولاً أن ما قلته في فعل سيدنا عمر وتوسله بسيدنا العباس أن فيه دليلا على جواز التوسل بالأحياء فقط وأنه يفيد منع التوسل بالأموات وإلا لتوسل سيدنا عمر بالنبي ﷺ وهو ميت.

اسمح لى أن أقول لك إن قولك بجواز التوسل بالأحياء ومنع التوسل بالأموات هو عين الخطأ. بل هو منكر يضر بالعقيدة. لأنك بذلك تنسب فعلاً وقدرة للحى دون الميت مع أن التوسل كله بجاه الرجل الصالح حياً وميتاً، والفاعل الحقيقى هو ـ الله سبحانه وتعالى ـ فإن الذى يعتقد أن ثمة فاعلاً غير الله تعالى أو أن أحداً من الخلق نبياً أو رسولاً أو ولياً له فعل مع الله فقد أشرك. أرأيت أن المتوسلين بجاه النبى والصالحين أصفى قلباً وأنقى عقيدة ممن يجيزون التوسل بالأحياء دون الأموات لأنهم يفهمون النصوص أو قل يأولونها حسب هواهم:

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾(1).

ثم قلت: يا صاحبى إن أمانة العلم تقتضى علىّ وتلزمنى أن أبين لك ما سر تعبير سيدنا عمر بقوله: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك فتسقنا ونحن نتوسل بعم نبيك فاسقنا»، وليس كما قلت إنه يفيد جواز التوسل بالأحياء ويمنع التوسل بالأموات إنما الذى نفهمه منه ـ والله أعلم ـ أن قول عمر يفيد جواز التوسل بمن هو دون النبى قدراً وشأناً، ومنزلة إن عمر رضى الله عنه يفهم أن الفعل لله سبحانه وتعالى وليس لأحد سواه وأن الحى والميت يستويان فى عدم القدرة على الفعل ولهذا لزم أن نفهم قول عمر على أنه يفيد جواز التوسل بمن هو دون النبى ﷺ كما أسلفنا. هذا وثمة دليل آخر على جواز التوسل لا يحتمل التأويل وهو حديث الضرير المشهور ونصه، «عن عثمان بن حنيف رضى الله عنه أنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يشتكى إليه فقد بصره وقال له النبى ﷺ: ألا تصبر ولك الجنة قال: لا أستطيع يا رسول الله. قال له النبى ﷺ: اذهب إلى الميضأة وتوضأ ثم صلِّ ركعتين ثم قل: «اللهم إنى أتوسل إليك بمحمد نبيك نبى الرحمة يا رسول الله إنى متوجه بك إلى ربى فى أن ترد إلىّ بصرى». يقول عثمان بن حنيف ـ راوى الحديث: فما لبثنا أن رجع إلينا الرجل وقد ردَّ إليه بصره. هذا دليل واضح كل الوضوح:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾(2).

وإنما ذكرناه آخراً بعد قصة سيدنا عمر بن الخطاب لأنهم ـ الرافضون للتوسل المنكرون له ـ لايزالون يثيرون اللغط حول هذا الحديث لكنهم يرون ما حدث فى استسقاء سيدنا عمر لأنهم يفهمون قول عمر على أنه منع من التوسل بالأموات وليس ذلك كما أسلفنا والله يهديهم إلى سواء السبيل. والله أعلم.

---

(1) القصص [50].

(2) ق [37].

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم
عادل رفاعى خفاجة

الحرية فى الإسلام

لفظ الحرية من الألفاظ التى تضم العديد من المعانى، ومنها: ما يقصد به خلاف الرق.

ولقد جاء الإسلامُ والبشريةُ بأسرها ترزح تحت ظلم جهول، وكان الرق من أشد المظالم التى تجرعتها البشرية آنذاك، حيث ضرب الظلام أطنابه حتى اعتاده الناس، وأصبح الرق أمراً مقبولاً لا يعارضه أحد إلى أن جاء الإسلام الحنيف ليعيد الأمور إلى نصابها، فحض على تحرير الإنسان فى غير ما موضع من القرآن والسنة المشرفة، وحث الأفراد والجماعات على التخلق بهذا الخلق الكريم، وجعل تحرير الإنسان كفارة لبعض الذنوب.

غير أننا لا نقصد هنا هذا المعنى للحرية ـ وقد انتهى عصر الرق والرقيق بفضل الله تعالى ـ إنما نقصد بالحرية:

استقلال الإنسان فى اتخاذ قراراته الخاصة، دون تدخل الآخرين أى: صدور القول أو الفعل عن الذات باقتناع تام دون تأثير خارجى لإجبار تلك الذات أو إكراهها.

حرية الاعتقاد

ويأتى على قمة أفعال وأقوال الإنسان ما يتصل بعقيدته، وهنا نجد الإسلام يؤكد على حرية الاعتقاد تأكيداً لا يشوبه شك، من ذلك قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾

البقرة ٢٥٦

وقوله تعالى:

﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾

يونس: ٩٩

فالإسلام لا يعترف بإيمان المكره، وكذلك لا يؤاخذ المؤمن المكره إذا نطق بكلمة الكفر، يقول الله تبارك وتعالى:

﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾

النحل: ١٠٦

والحرية في الإسلام حرية منطقية ومتزنة، لأن المشرع يراعي عند تقريرها مصلحة المجتمع، وعدم إلحاق الضرر بالآخرين وحرياتهم كذلك.

فهذا حديث الرسول الكريم:

«لا ضرر ولا ضرار»[1].

ولله در القائل: «أنت حر ما لم تضر».

وإذا كنا نطالب لأنفسنا بأقصى درجات الحرية، واضعين في الاعتبار حرية الآخرين، فلابد من نظام نرتضيه جميعاً، وهو ما نجده في الإسلام حيث لم يضع قيداً على حرية أحد إلا مراعاة لحرية الآخرين.

وهي قضية عقلية لا تحتاج كثير عناء، فالإسلام حين يقيد حرية الفرد في إنزال الضرر بغيره، إنما يحمي الغير ويحمي الفرد في ذات الوقت.

غير أن جموح بعض الغارقين في المادية يخيل إليهم أن حرية الفرد يمكن أن تكون مطلقة بغير حدود!!

وهؤلاء على وجه التحديد لا يمكنهم أن يستوعبوا أن الحرية الحقيقية تنبع من إخلاص العبودية لله والخضوع التام له سبحانه وتعالى فأنى لهؤلاء أن يفهموا السلف الصالح من مثل قول أبي القاسم القشيري - يرحمه الله: «الإخلاص إفراد الحق بالطاعة بالقصد وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله - تعالى - دون شيء آخر من تصنع لمخلوق أو اكتساب محمدة ثم الناس أو محبة أو مدح من الخلق أو معنى من المعاني سوى التقرب إلى الله تعالى، قال: ويصح أن الإخلاص تصفية الفعل من ملاحظة المخلوقين»[2].

والمتأمل لهذا القول يرى بوضوح أن من يخلص العبادة لله مولاه فقد نجا من الخضوع لسواه.. وهنا فقط يذوق معنى الحرية.

إن خضوع الإنسان لله إنما يحرره من سلطان آلهة أخرى كثيرة أخطرها: هواه الذي يأمره ويزين له أن يفعل كل شيء سواء بحق أو بغير حق تحت ما يسمى الحرية!!

ولذلك نجد القرآن يذم من اتخذ إلهه هواه، لأن من يسير وفق هواه إنما يورد نفسه موارد التهلكة، فأي نفع جناه من وراء هذه الحرية الزائفة؟!

---

(١) سنن ابن ماجه حديث، رقم ٢٣٤٠.

(٢) التبيان من آداب حملة القرآن جـ١ صـ١٧.

وأي نفع جناه المريض إذا رفض تناول الدواء، لأنه جاء على غير إرادته الحرة!! وما فائدة الطبيب إذا جاء فقط ليكتب ما يريده ذلك المريض الحر!!

هناك من الغربيين من يقول: أي حرية تلك التي تتحدثون عنها وعندكم في كتابكم - أي القرآن الكريم -:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾

الأحزاب: ٣٦

ولنا - أيضا - تساؤل، نزيل به ما حدث من لبس: هل لأي مواطن أن يخرج على نظام الدولة عندكم؟ أو حتى على نظام المرور؟!

جميعنا يعلم أن من يخالف نظام المرور في أي دولة - وفي الدول الغربية المتقدمة على وجه الخصوص - فإنه يواجه بعقاب رادع.

أإذا قضى البشر نسمع ونطيع وإذا قضى الله نجادل؟!

أإذا قضى البشر لم تقيد الحريات، وإذا قضى الله كان في قضائه ما يقيد الحريات؟! ما لكم كيف تحكمون؟!

إن المسألة لا تخرج عن أنها نظام أبدعه الله تعالى، أما أن نؤمن - نحن البشر - بهذا النظام أو لا نؤمن، فهنا تبدو الحرية التامة في الإسلام.

والآيات لا تدع مجالاً للشك في أن من يريد أن يؤمن لابد أن يأتي مختاراً غير مكره من هذه الآيات:

﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾

الإنسان: ٣

﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾

الكهف: ٢٩

والإسلام لا يدعو إلى مجرد الحرية - التي قد ينتج عنها أفعال عشوائية - وإنما يدعو إلى حرية متعقلة عن علم وبصيرة لأن الاتباع الأعمى يُضيع على الإنسان فرصة الاختيار عن اقتناع ورضا والإنسان الذي يختار بحرية تامة وبدون علم إنما يستخدم حريته في انتقاء واختيار ما يجهل ولا يعلم عنه شيئاً!!

لذلك فقد نبه الله تعالى إلى هذه القاعدة وهي «ضرورة الإيمان عن علم» فقال تعالى:

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴾

الأنعام: ٥٠

وعاب على من يجعلون عقيدتهم تبعاً لعقيدة آبائهم دون تبصر، لأن الأصل في الإيمان الاقتناع القلبي وليس التقليد والمحاكاة.

فإذا اقتنع الإنسان بهذا الدين بعد التروي والدراسة والاطمئنان واختاره بحرية تامة سبيلاً للحياة وعلم أن الله هو موجد هذا النظام ومبدعه، فما عليه بعد ذلك إلا أن ينضوي تحته، وليس في ذلك تقليل من شأن الحرية التي يتمتع بها.

وإلا فإن كل من يلتزم قواعد المرور فهو ناقص الحرية، وكل من يلتزم النظام العام فهو ناقص الحرية!! ولم يقل بذلك عاقل.

إن ممارسة الإنسان لحريته بعيداً عن الإضرار بالآخرين هو ما ينادى به الإسلام ويحض عليه.

وبعد حرية الاعتقاد تأتى صور أخرى من صور الحرية مثل:

حرية المناقشة والجدال

إن نظرة على حال المسلمين أيام نزول الوحى لتخبرنا بما كانوا عليه من حرية.

فقد جاءت خولة بنت ثعلبة إلى النبى ﷺ تشكو زوجها لأنه قال لها «أنت علىّ كظهر أمى»[3] وكان هذا اللفظ من ألفاظ الطلاق أيام الجاهلية، ولم يكن قد نزل فى شأن الظهار حكم، فقال لها النبى ﷺ «حرمت عليه»[4].

ولنتأمل الموقف.. لقد جاءت المرأة تستفتى.. وجاءها الرد من النبى الكريم.. فماذا بعد؟! إن شعور المرأة بالظلم الذى حاق بها فى مجتمع تحكمه حرية إبداء الرأى دفعها إلى الجدال ومناقشة الأمر قالت: «والله ما ذكر طلاقاً»[5].

إنها بذلك تطلب الحكم فى الظهار، الذى ترى فيه الظلم البيّن على المرأة وهو ما أوضحته بقولها: «أشكو إلى الله فاقتى ووحدتى ووحشتى، وفراق زوجى وابن عمى وقد نفضت له بطنى»[6].

ألا تبدو الحرية واضحة فى هذه المراجعة لرسول الله؟!

حرية إبداء الرأى

وتضرب خولة بنت ثعلبة المثل فى حرية إبداء الرأى فى الحاكم فقد ورد أنها استوقفت عمر -رضى الله عنه- أيام خلافته- وقالت تعظه: «يا عمر قد كنت تدعى عميراً ثم قيل لك عمر ثم قيل لك أمير المؤمنين فاتق الله يا عمر إنه من أيقن الموت خاف الفوت..»[7].

والإسلام يؤكد على ضرورة أن يعلن الإنسان رأيه المستقل حتى لو خالف رأى الجماعة أو رأى الحاكم على أن يكون لديه الحجة القوية التى تدعم هذا الرأى المخالف، وهو ما جعل امرأة تعارض عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين أراد تحديد المهور، فقالت: «ما ذلك لك» قال: ولم؟ قالت: لأن الله عز وجل يقول:

﴿ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا ﴾

النساء: ٢٠

فقال عمر: «امرأة أصابت ورجل أخطأ»[8] يعنى بالرجل نفسه.

(٣)، (٤)، (٥)، (٦) تفسير القرطبى جـ ١٧ صـ ٢٧٠.

(٧) المرجع السابق.

(٨) المرجع السابق جـ ٦ ص ٢٨٧.

حرية التنقل

والدعوة إلى الحرية مبثوثة فى آيات كثيرة من آيات القرآن المجيد فى مثل قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾

النساء: ٩٧

يقول أهل العلم فى هذه الآية دليل على هجران الأرض التى يعمل فيها بالمعاصى.

أليس فى ذلك دعوة إلى أن يستخدم الإنسان كامل حريته فى التنقل والذهاب إلى الأرض التى يرى أن فيها صلاح دينه ودنياه؟!

إن المتأمل لأحوال المسلمين يعلم أن الحرية تملأ حياتهم وأفعالهم وأقوالهم، ولكن أى حرية؟

إنها الحرية التى يحكمها قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾

الإسراء: ٣٦

وقول الحق تبارك وتعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾

التوبة: ١١٩

وقوله: ﴿ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾.

الأحزاب: ٧٠

وقول الرسول الكريم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»[10].

ويحذر النبى ﷺ أتباعه من جريمة الخروج عن النهج القويم قائلاً: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه أو شرابه»[11]، ألا فليعلم المطالبون بالتحرر أن الحرية كلها فى الخضوع لله واتباع منهجه الذى ينادى بحرية القول البعيد عن الزور..

اللهم بصرنا بديننا آمين.

عادل خفاجة

وإلى رسائل القراء

(٩) انظر تفسير القرطبى جـ ٥ صـ ٣٧٤.

(١٠) البخارى جـ ٥/حديث ٢٣٧٢.

(١١) صحيح البخارى جـ ٥/ ٦٧٣.

استقبال عشر ذى الحجة

أرسل فضيلة الشيخ/ محمد محمود حمودة / وكيل معهد كرداسة يقول:

قال رسولنا ﷺ : «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله عز وجل من هذه الأيام العشر ـ فقالوا : يارسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله؟ إلا رجل خرج بنفسه وماله ، فلم يرجع من ذلك بشىء» سنن الترمذى عن ابن عباس» ألا إن الله تعالى ـ يحب الأعمال الصالحة الخالصة له ، فى كل وقت وأحبها إليه ـ ما كانت فى العشر الأول من ذى الحجة ، لأن النفس بها وقد اعتدت تمضى سائر شهر ذى الحجة فى طاعة الله ، وبذلك تختم عامها وهى عظيمة الرجاء فى رضاء تعالى ـ مع من منّ الله عليهم بزيارة الحبيب المصطفى ، وحج البيت الحرام ، حيث يطوفون به ، ويسعون بين الصفا والمروة ، ويقفون بعرفات ، ويرمون الجمرات ، فى خشوع وخضوع وامتثال وابتهال ، وتضرع لله ، والعيون باكية ، والألسنة تردد قائلة : «لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك» هناك تتخلع القلوب هيبة وإكبارا ، وتذل النفوس خشية واعتبارا ، ويتفضل الجليل سبحانه على عباده ـ بالعفو والغفران ، والصفاء والرضوان» فمن منّ الله عليه بالحج ، وتأدب بآدابه ـ يمضى أيام العشر مطيعا لله ، وفق كلمة التلبية ، فبذلك يكون حجه مبرورا . ومن لم يكن له نصيب فى الحج ـ فليشارك الحجاج فى السعى إلى رضا الله ، ومضاعفة الحسنات ، بالمحافظة على أداء الصلوات فى أوقاتها فى جماعة فى بيوت الله ، وليصم يومى الاثنين والخميس وليحرص على صيام يوم عرفة الذى يكفر ذنوب السنة الماضية ، ويقى ذنوب السنة المقبلة هدانا وإياكم لخير ما يحب ويرضى .

الإسلام والبيئة

أما الشيخ/ محروس عبد الفتاح ياسين - إمام وخطيب مسجد «السيدة عائشة» بالإسماعيلية فيقول:

إن مشكلة البيئة قد باتت تؤرق القاصى والدانى فى أرجاء المعمورة . حيث وصل الإفساد فى البر والبحر والجو إلى حد إفناء كثير من الكائنات الحية من عوالم : الطير والحيوان والنبات والجماد .

هذه الكائنات التى يعد وجودها مظهرا من مظاهر الحفاظ على التوازن البيئى فى

الحياة . بينما يؤدى فقدها إلى اضطراب الموازين فى الكون . وإحداث خلل فى العناصر المكونة له .

وكل فساد فى الكون إنما جاء من الذى تدخل فيه الإنسان بغير منهج خالق الأكوان .

فالإنسان بتدخله غير المدروس فى تغيير نظام البيئة يدفع بنفسه وبنى جنسه إلى مواطن الضرر والعذاب من جانب . وإلحاق المعاناة والأذى لكل عناصر الحياة من جانب آخر .

فتعامل الإنسان مع البيئة فى اتجاه معاكس لقوانينها يجعله لا يظفر بشىء من عطائها . بل قد يعود عليه بالضر من حيث يرجو النفع .

ومن ثم دعا الإسلام الإنسان إلى الحفاظ على التوازن البيئى فى الكون والتعامل مع المكونات البيئية من : ماء ، وهواء ، وتربة ، وغذاء ، وفقًا لمنهج الله ورعايتها طبقًا لأمره وتوجيهه .

فلقد خلق الله كل ما فى الكون للإنسان وجعله مستخلفا فى هذه الأرض ومن أوجب واجبات الاستخلاف ان نحافظ على ما سخر الله لنا لنظفر بحياة طيبة لنا ولأبنائنا والأجيال من بعدنا .

لغة القرآن

ويقول القارئ أحمد عبد المقصود أحمد حصانين - قنا - فرشوط:

إن مما يصيب بالأسى والحزن العميق ، ما نراه اليوم من تهاون فى لغتنا العربية «لغة القرآن العظيم» واللجوء إلى لغات أعجمية ، تفتقر إلى كثير من درجات العذوبة والصفاء .

ومما لا جدال فيه أن اللغة العربية ، أفضل اللغات كلها لأن القرآن الكريم نزل بها ، كما كانت لغة أفضل الأنبياء سيدنا محمد ﷺ ولغة أفاضل الناس وهم أصحاب النبى ﷺ ، فلم نتركها؟ . . .
وهى صالحة لكل زمان ومكان ، كما أنه لا
يوجد بها قصور ولا جمود .

لم نتركها؟ . . . . ونحن نرى اليهود قد
أحيوا لغتهم من الموات ، وهم الآن
يحافظون عليها ، ويرفضون الحديث
بغيرها ، وإننى لأسمع لغتنا تنادى علينا :

أنا البحر فى أحشائه الدر كامن
فهل سألوا الغواص عن صدفاتى

وأخيرًا وليس آخرًا أتمنى أن تجد هذ
الصرخة آذانا مصغية لدى الكتاب ورجال
التربية والتعليم .

من أعلامنا المنسيين:

الشيخ محمد فرج السنهوري

ويواصل الأستاذ الأديب/ فرج مجاهد عبد الوهاب - شربين - دقهلية حديث الوفاء، فيقول:

ولد في ٤ يناير ١٨٩١م بقرية المندورة مركز دسوق محافظة كفر الشيخ، وحفظ القرآن في كتاب القرية والتحق بالأزهر ومنه إلى مدرسة القضاء الشرعي فحصل منها على شهادة العالمية عام ١٩١٧م.

عين في سلك القضاء الشرعي وأخذ يتبوأ مناصبه بجدارة حتى أصبح نائبا لرئيس المحكمة العليا الشرعية ثم وقع عليه الاختيار ليكون وزيرا للأوقاف في وزارات ما قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ ثم استأنف عمله بالمحاماة بعد استقالة الوزارة.

اشترك في لجان متعددة منها (أ) اللجنة العليا لتطوير القوانين المصرية (ب) لجنة تطوير الأزهر (ج) اللجنة العليا لتطوير الجامعات (د) اللجنة العليا لوضع دائرة المعارف العربية (هـ) لجنة التراث كما أنه كان عضوا بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف حتى وفاته في ١٤ مارس ١٩٧٧ وكان له أحاديث دينية أذيعت في الاذاعة أثناء حياته وجمعتها وزارة الثقافة في كتابين هما:

١- كتاب الأسرة في التشريع الإسلامي

٢- كتاب حاجة المجتمع إلى الدين

شهد له العلماء بأنه الباحث المدقق وأنه متحدث مقنع دأب على احترام الأخلاق والغيرة على الدين، كما كان قاضيا منصفا عندما ولي القضاء الشرعي قبل ادماجه في نظام القضاء الوطني.

وكان من ابرز اسهاماته ايضا - لغزارة علمه وسعة أفق وتنوع معارفه - أن عهد إليه بتدريس العلوم الشرعية في مدرسة القضاء الشرعي، وألقى محاضرات في أقسام التخصص بالأزهر الشريف، وكلف بالتدريس في معهد الدراسات العربية، وكان من هيئة التدريس في أقسام الدراسات العليا بكليتي الحقوق بجامعة القاهرة وجامعة الإسكندرية وفي كتابه الهام عن الأسرة في التشريع الإسلامي يعالج كثيرا من الأمور التي تخص الأسرة فيتكلم عن الاختيار في الزواج، والخطبة، وحقوق الزوج على زوجته، ومسئولية رب الأسرة، وتنقية الأسرة من الدخيل، واستيفاء حقوق الأسرة، وأسباب الشقاق بين الزوجين، وحماية الأعراض مما يعطي صورة جلية واضحة عن عناية التشريع الإسلامي بالأسرة المسلمة.

من حلمه «ﷺ»

ويواصل الأستاذ/ محمد عبد الغني اسماعيل أحمد - قنا - الشيانية حديثه عن أخلاق الرسول ﷺ فيقول:

يقرر القرآن الكريم مبدأ الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة العظيمة خاتم الأنبياء «محمد ﷺ» فيقول الله عز وجل في كتابه المعجز «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا».

فكل لحظة من لحظات الرسول الكريم في حياته التي عاشها على هذه الأرض تعتبر أسوة حسنة ومثالا بالغ الكمال في العفة والطهر.

وكان عليه الصلاة والسلام يعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه ويصل من قطعه وقال أنس رضي الله عنه «خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي أف قط، ولا قال لشيء صنعته: لم صنعته؟ ولا لشيء تركته لم تركته؟

ولما كان ﷺ يوم الفتح الأعظم وأمكن الله
رسوله من قريش التي بالغت في ايذائه
وفعلت كل سبيل للكيد له ونالت منه ومن
المسلمين وقف الرسول ﷺ، وأعلن العفو
العام عن قريش قائلا لهم «اذهبوا فأنتم
الطلقاء» فأي رحمة تفوق هذه الرحمة وأي
صفح وعفو يفوق صفحه ﷺ.

ولما كان ﷺ يقسم الغنائم يوم خيبر جاء
رجل وقال «اعدل يارسول الله فقال الرسول
ويحك فمن يعدل إذا لم أعدل؟ فقد خبت إن
وخسرت إن كنت لا أعدل. فقال عمر وأراد
أن يضرب عنقه فلم يرض الرسول بذلك
وعفر للرجل خطيئته».

وأي عالم يعدل مثل عدله ﷺ وأي عال
يعفو مثل عفوه ﷺ

فمبلغ العلم فيه أنه بشر .... وانه خير
خلق الله كلهم

فاللهم صل على سيدنا ومولانا محمد في ك
زمان ومكان حتى لا يكون هناك زمان ومكان إ
صلى فيه على الحبيب منذ خلقت الأكوان.

نعتذر للسادة القراء لعدم نشر رسائلهم كاملة، وذلك حرصا من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من
القراء. ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق في اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها. كما
نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم ونواصل نشرها تباعا بمشيئة الله تعالى.

بين الصحف و المجلات

إعداد
أ/ محمود الفشنى
أ/ عبدالموجود أمين

اقتصادى أمريكى ينتقد أفكار الاقتصاديين الغربيين حول الإسلام

● فى جريدة الشرق الأوسط فى عددها الصادر فى ٣٠/١٢/٢٠٠٣ قال (ديفيد فرنسيس) معلقا على بحث نشر للاقتصادى ماركوس نولاند قال فيه: ليس هناك شيئا متأصلا فى كيانات المجتمعات الاسلامية يجعلها ذات أداء اقتصادى فقير وإذا كان هناك شىء يروج له الإسلام فهو النمو.

● وقال: لكن هناك الكثير من المعارضين لفرضية نولاند حول بحثه (الدين والثقافة والأداء الاقتصادى) وجذب هذا البحث الذى نشر على (الإنترنت) عددا كبيرا من الردود لكن أغلبها كان مع المعارضين وكانت وجهة نظرهم أن بعض التفسيرات الإسلامية تحرم الفوائد وتضع قيودا مشددة على التوريث وعلى دور المرأة فى بعض القطاعات ولاحظ البعض أن مستوى تعليم الإناث هو مؤشر رئيسى عن مدى التقدم الاقتصادى فى البلدان النامية ذات المستويات المرتفعة من التعليم للبنات حيث تميل إلى أن تكون قادرة على التطور أسرع من غيرها.

● وقال نولاند: عند العودة إلى التاريخ نلاحظ أن العالم الإسلامى كان أكثر تقدما من أوروبا الغربية فى القرن العاشر على سبيل المثال ولم يتمكن الغرب من اللحاق بالعالم الإسلامى حتى القرنين السابع عشر والثامن عشر ثم تقدم متجاوزا إياه وقد قارن (نولاند) الأداء الاقتصادى للبلدان الإسلامية ووصل إلى استنتاجه بأن أفكار الإسلام ليست مؤذية اقتصاديا فقد قارن ذلك مع بلدان أخرى بين عامى ١٩٥٠/١٩٧٢ وهى فترة كانت سابقة للثورة النفطية بمعدل ثلاث أضعاف وشهدت فيها العديد من بلدان الشرق الأوسط دفعا اقتصاديا كبيرا.

● قارن أيضا ما بين المناطق أو السكان الذين يعتنقون ديانات مختلفة، والنتيجة التى توصل إليها هى أنه «لا يوجد أى دليل يثبت أن الإسلام هو عائق أمام النمو الاقتصادى.

الحضارة الغربية لا تقدم غير الخراب والفساد

● فى حوار أجرته صحيفة «اللواء الإسلامى» فى عددها الصادر فى ٨/١/٢٠٠٤ مع الدكتور «محمد أبو ليلة» أستاذ ورئيس قسمى الدراسات الإسلامية والأدب الانجليزى بكلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر حيث قال: إن ما يعانيه المسلمون اليوم من هزائم متكررة هو نتاج طبيعى لفرقتهم وبعدهم عن تعاليم الله سبحانه وتعالى محذرا من خطورة الانبهار بالغرب أو الانهزام أمام طغيانه وغطرسته التى يحاول أن يهيمن بها على العالم.

● واستطرد أبو ليلة قائلا: ما يدور فى العالم اليوم يمثل اعتداء سافرا على المسلمين لأن السياسة الأمريكية تفرغت لحرب المسلمين بعدما صورتهم للعالم على أنهم العدو الوحيد لأمريكا والحضارة وهذا «وهم» لأن الإسلام يبنى الإنسان على أساس من الفطرة السليمة والمسلمون لا يعادون الحضارة ولا أمريكا ولهم أصول ثابتة يتحركون منها ويتعاملون على أساسها مع الآخر.

الكتاب المشبوه

فى جريدة الجمهورية العدد الصادر يوم
٨/١/٢٠٠٤ كتب الأستاذ/ السيد البابلى
تحت عنوان: «الكتاب المشبوه» يقول:
كتاب مشبوه بعنوان «الشخصية المحمدية
ظهر فجأة فى العديد من الدول العربية
والإسلامية يدعو إلى التشكيك فى العقيدة
السلامية ومصداقية الرسول ويتهجم علي
بذاءة، وينتسب هذا الكتاب إلى الشاعر
العراقى «الرصافى» الذى توفى منذ سنوات
عديدة وتاريخ تأليف هذا الكتاب عام ١٩٣٣
مما يؤكد على أن هذا الكتاب مدسوس.
وقد تنبهت الدول العربية والاسلامية
ومنعت توزيعه ومهما كان أى كاتب مسلم
على درجة كبيرة من التهور والمراهقة
الفكرية فلن يبلغ تلك الدرجة من التهكم
على الإسلام وليس من قبيل المصادفة أ
يتزامن هذا النشر مع تلك الحملة الأمريكية
الغربية ضد الإسلام والمسلمين وخاصة ضد
المناهج الدينية ونحن فى مواجهة تلك الحملة
الخبيثة لضرب الإسلام والمسلمين مازلنا
نتعامل بالأسلوب التصادمى العنيف رغم أ
هذا ما يحاولون جرنا إليه لإظهارنا بالتطرف
والتعصب فى الفكر الإسلامى.
إن الدفاع عن الإسلام لا يكون بالكلمات
والهتافات والدعوة للموت ولكن الدفاع عن
الإسلام يبدأ بالتمسك به فى أوطاننا والعمل
بتعاليمه نصا وروحاً.



أنباء العالم الإسلامى

للأستاذ / محمد الشرقاوى

مساجد بريطانيا تنظم حملة احتجاج على اعتقال المسلمين

نظمت عشرات المساجد فى بريطانيا حملة احتجاج كبيرة شارك فيها المئات للتعبير عن سخطهم على أسلوب معاملة مسلمين بريطانيين اعتقلوا ضمن ماتسمى «بالحرب على الإرهاب»، وقالت صحيفة «الجارديان» البريطانية: إن خطباء المساجد فى لندن دعو المصلين إلى توجيه رسائل احتجاج لوزير الداخلية «ديفيد بلنكت»، تتضمن شكوى من ضياع حقوقهم الإنسانية.

مؤتمر لإحياء الروح الإسلامية بكندا

شاركت ستة آلاف شخصية إسلامية من أمريكا الشمالية فى مؤتمر «إحياء الروح الإسلامية»، الذى اختتم أعماله بمدينة «تورنتو» الكندية.

وقال «فوزان خان» منسق عام المؤتمر أن المناقشات استهدفت توضيح أوجه إقناع الجالية المسلمة بالعمل على إحياء القيم الإسلامية، كما استهدفت المناقشات تقوية التزام وتوجه المسلمين نحو المشاركة الكاملة والنشطة فى المجتمع الكندى.

جاء المؤتمر فى إطار النشاط الملاحظ الذى أبداه مسلمو كندا خلال السنوات الماضية والذى تمثل فى إقامة العديد من الأنشطة الإسلامية وورش العمل والمعسكرات والمؤتمرات وتوطيد العلاقات مع وسائل الإعلام.

يذكر أن عدد المسلمين بكندا يقدر بنحو مليون مسلم من بين عدد السكان البالغ ٣٠ مليون نسمة.

أمريكا تنتقد اعتبار الإسلام دين الأغلبية فى أفغانستان

وجهت الإدارة الأمريكية انتقادات لمسودة الدستور الجديد لأفغانستان الجارى مناقشته فى كابول بسبب نصوصه التى تعطى وضعا خاصا للإسلام باعتباره دين الأغلبية الساحقة من المواطنين الأفغان وهو ماتراه واشنطن أنه أمر مثير للقلق حول مستقبل الحريات الدينية فى أفغانستان!! وجاء هذا الانتقاد على لسان «جون هانفورد» السفير المتجول بوزارة الخارجية الأمريكية للحريات الدينية الذى أشاد فى البداية بنص الدستور على أن الإسلام هو الدين المقدس لأفغانستان مع عدم منع ممارسة الأديان الأخرى.

إلا أن «هانفورد» أشار بقلق إلى عبارة تقول: إنه لن يتم إقرار أى قانون يتعارض مع تعاليم الإسلام والقيم التى يتضمنها الدستور الأفغانى الجارى مناقشته. وقال: من سيقوم بتفسير تلك العبارة وكيف سيتم تفسيرها؟

نحن لانقول إنه يوجد إنكار للحريات الدينية إلا أنه لايوجد ضمان كامل لها بالتأكيد وأضاف بأن الولايات المتحدة تتشاور مع حكومة أفغانستان للتأكد من أن النظام الجديد فى أفغانستان لن يتحول إلى نظام مماثل لما كانت عليه البلاد فى ظل حكومة طالبان.

يذكر أن بعض قوى اليمين المسيحى المتشدد فى الإدارة الأمريكية بدأت فى الفترة الأخيرة تروج لفكرة أنه لايمكن ضمان الحرية الدينية أو الديمقراطية فى ظل وجود نص على أن الإسلام هو أساس التشريع سواء فى العراق أو أفغانستان أو أى من البلدان ذات الأغلبية المسلمة.

مسلمو هولندا يطالبون بكيان مستقل

دعا عدد كبير من مسلمى هولندا الحكومة الهولندية للموافقة على إنشاء كيان أو نقابة إسلامية عامة لرعاية وحماية مصالحهم وحقوقهم.

وأكد ٥٠٪ من المسلمين الهولنديين البالغ عددهم نحو مليون شخص فى استطلاع للرأى أن إنشاء مثل هذا الكيان أصبح ضروريا وملحاً فى ظل إحجام المسلمين عن الانضمام للنقابات الهولندية.

وأوضح الاستطلاع الذى أجراه مكتب أبحاث المواطنة والاندماج أن ٥٣٪ من المسلمين على استعداد للانضمام لهذه النقابة فور إنشائها لأنها أمر ضرورى فى ظل الظروف والتغيرات التى يواجهها المسلمون بهولندا مثل الفصل التعسفى والإيقاف عن العمل.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسي

الإمام الأكبر يستقبل وزير داخلية فرنسا

- استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد وزير الداخلية الفرنسي مسيو نيكولاس ساركوزى والوفد المرافق لسيادته فى الأزهر الشريف فى ٦ من ذى القعدة ١٤٢٤هـ الموافق ٣٠ من ديسمبر ٢٠٠٣ م بمشيخة الأزهر الشريف وتحدث فضيلته قائلا: الأزهر الشريف يرحب بالسيد وزير داخلية فرنسا والوفد الموافق لسيادته، وأرجو أن تبلغ تحيات الأزهر الشريف إلى السيد الرئيس شيراك وإلى الشعب الفرنسي، ويسعدنى أن أعطيك بعض الحقائق عن شريعة الإسلام.

الحقيقة الأولى : أن شريعة الاسلام تقوم على إعطاء كل ذى حق حقه.

الحقيقة الثانية: أن مسألة الحجاب بالنسبة للمرأة المسلمة البالغة فرض إلهى، وإذا قصرت فى أدائه حسابها الله تعالى على ذلك، ولا يستطيع مسلم سواء أكان حاكما أم محكوما أن يخالف ذلك ولا تسمح لغيرنا أن يتدخل فى شئوننا كدولة مسلمة.

هذا إذا كانت المرأة المسلمة تعيش فى دولة مسلمة، أما إذا كانت المرأة المسلمة تعيش فى غير دولة الإسلام كدولة فرنسا مثلا، وأراد المسئولون فيها أن يقرروا قوانين تتعارض مع مسألة الحجاب بالنسبة للمرأة المسلمة. فهذا حقهم الذى لا أستطيع أن أعارض فيه أنا كمسلم، لأنهم هم غير مسلمين، وفى هذه الحالة عندما تستجيب المرأة المسلمة لقوانين الدولة غير المسلمة، تكون من الناحية الشرعية الإسلامية فى حكم المضطرة، والقرآن الكريم الذى هو دستور الأمة الإسلامية يقول لأتباعه:

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

(سورة البقرة الآية ١٧٣)

والخلاصة: أننى باسم شيخ الأزهر أقول: كما أننى لا أسمح لغير المسلم أن يتدخل فى شئونى كمسلم، فإننى فى الوقت نفسه لا أسمح لنفسى أن أتدخل فى شئون غير المسلم، وبعد هذا الترحيب أنا قلبى مفتوح للاستماع إلى سيادتك.

ورد السيد الوزير على كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف قائلا: إننى سعيد بلقاء فضيلة شيخ الأزهر الذى يرأس الأزهر الشريف، وأنا أعرب عن تقديرى للدور الذى يلعبه والحكمة التى يبادر بها دوما، وأن الحوار بين الحضارات والثقافات أمر ضرورى، ولا أريد أن يكون هناك لبس بيننا، وأن عددا من مواطنى فرنسا لا بأس به من الفرنسيين مسلمين، والإسلام فى فرنسا أصبح من أكبر الديانات التى يؤمن بها مسلمون، وأستطيع أن أؤكد لكم أنه ما من دولة فى أوروبا قامت بما قامت به فرنسا من أجل الحرية، فقامت الدولة بإنشاء مجلس تمثيل المسلمين فى فرنسا، وبالتالى فإن مسلمى فرنسا مثلهم مثل الكاثوليك والبروتستانت واليهود، يجدون من يمثلهم، ويعاملون معاملة متساوية، وأن مسلمى فرنسا يحرصون على ممارسة شعائر دينهم، ولهم حقوقهم مثل مواطنى فرنسا، وفرنسا تعتبر مثل يحتذى به فى ممارسة حقوق الإنسان، والشعائر الدينية، وكما قلت فإن فرنسا تعتبر من الدول التى تحترم حقوق الأقليات، وخاصة بعد إنشاء المجلس الفرنسى فرنسا، والرئيس شيراك قال: إن الإسلام دين من الأديان فى فرنسا ومن حقهم ممارسة شعائر دينهم مثل باقى الأديان فى فرنسا، وكما تعلمون أنه ليس هناك حقوق بلا واجبات. وإذا كان للمسلمين فى فرنسا حقوق فعليهم باقى الواجبات التى يتبعها باقى الأديان الأخرى، فنحن متمسكون بمبدأ العلمانية، وهى نوع من الحياد فى التعليم فى المدارس الحكومية فى فرنسا، وهو يطبق على كافة الأديان، ولا تقصد المسلمين، ولكن كل الأديان، والواقع أن العلمانية تطبق على الجميع وليس على المسلمين، فهى تطبق على الكاثوليك واليهود بعدم وضع أى علامات تميز دين عن غيره، وهذا ليس من قبيل عدم احترام الدين الإسلامى، بل ينبغى أن يفهم الجميع أن العلمانية هى أحد تقاليد فرنسا.

حضر اللقاء الدكتور/ على جمعة مفتى الجمهورية، والدكتور أحمد الطيب رئيس جامعة الأزهر الشريف، وفضيلة الشيخ فوزى الزفزاف رئيس لجنة الحوار بالأزهر الشريف والدكتور/ محمد الفيومى والدكتور/ عبدالصبور مرزوق، والدكتور/ صوفى أبوطالب، والدكتور/ محمد رأفت عثمان، والشيخ/ على فتح الله، والدكتور/ عبدالله النجار، والدكتور/ طه أبوكريشة والدكتور/ نصر فريد واصل.

وهم جميعا أعضاء بمجمع البحوث الإسلامية، كما حضر عدد كبير من رجال الصحافة والإعلام ووكالات الأنباء والتليفزيون المصرى.

رسالة عميد المعهد الإسلامى لمسجد باريس الدكتور دليل أبوبكر:

إلى صاحب المقام العالى والفضيلة شيخ الأزهر الشريف إنه لمن عظيم الشرف أن تتاح لى هذه الفرصة الطيبة للاتصال بشخصكم الكريم، عبر هذه الكلمات الأخوية، التى تفيض تقديرا وامتنانا ومودة، مستهلا بالحمد والثناء لله الواحد الجليل، ومهنئا بمطلع عام جديد، نرجو أن يكون فاتحة عهد جديد للمسلمين، يرقى فيه فكرهم وسلوكهم إلى مستوى دينهم الحنيف.

صاحب الفضيلة: إنكم بحق تقودون أعلى سلطة دينية فى عالمنا الاسلامى قيادة مؤسسة على الأصول والحكمة، والاعتدال، وبعد النظر، ومواقفكم فى مختلف المسائل الكبيرة ذات دلالة على هذا المقام.

إن رأيكم الدينى فى مسألة الحجاب فى فرنسا، قد كان له أثر طيب فى كل الأوساط والمستويات، لأنه مبنى على الشرع أولا، ومراع للمصالح العامة من جهة أخرى، فالعلماء، ينيرون السبيل للذين يقودون، وما أجمل أن تكون القيادة من جنس التوجيه.

سيدى الفاضل وشيخى المبجل، فباسمى وباسم العاملين معى فى مسجد باريس، وباسم الجالية المسلمة بفرنسا، أزف إليكم لطائف المودة، ومعالى التقدير، وخالص التحية، متمنيا أن نحظى خلال هذه السنة الجديدة بزيارتكم لمسجد باريس الكبير، والله أسأل أن يحيطكم دوما بلطفه وعنايته، وتقبلوا فائق التقدير.

باريس ٣١ من ديسمبر ٢٠٠٣
أخوكم الدكتور/ دليل أبوبكر
عميد المعهد الاسلامى لمسجد باريس

رسالة أ.د عبدالحميد الأنصارى الأستاذ بكلية الشريعة والقانون جامعة قطر والعميد السابق للكلية:

بسم الله الرحمن الرحيم: سماحة الإمام الأكبر فضيلة الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف حفظه الله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: تؤيدكم كل التأييد فى موقفكم الصائب من قضية الحجاب فى فرنسا، وكما ذكرتم حقا وصدقا إذا كنا لانسمح لغير المسلمين بالتدخل فى شئوننا كمسلمين، فكذلك لانسمح لأنفسنا بالتدخل فى شئون الآخرين، وهؤلاء الذين عارضوكم يريدون تسييس القضية لأغراض معينة لاغير، هذا الموقف الحق يضاف إلى سلسلة مواقفكم الحقة، فجزاكم الله خيرا وسدد خطواتكم وحفظكم ومتعكم بالصحة والعافية وطول العمر.

الدوحة قطر أ.د عبدالحميد الانصارى
الأستاذ بكلية الشريعة والقانون جامعة قطر
والعميد السابق للكلية ١/١/٢٠٠٤

بيان مجمع البحوث الإسلامية

وفى يوم ١٥ من ذى القعدة ١٤٢٤هـ الموافق ٨ من يناير ٢٠٠٤م اجتمع مجمع البحوث الإسلامية برئاسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وذلك لمناقشة ما دار من حديث فى الصحف وبعض الشبكات الفضائية حول لقاء فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف ووزير داخلية فرنسا، وما صدر خلال هذا اللقاء من تصريحات وبيانات تتعلق بموضوع الحجاب، وما يتوقع من فرنسا من إصدار تشريع خاص يحظر ارتداء الحجاب فى بعض مراحل التعليم قبل الجامعى، وبعد أن استمع المجلس إلى فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر رئيس المجمع وإلى أعضاء المجمع قرر المجلس ما يلى:-

١- إن ما صدر من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف من قول: (إن الحجاب فريضة إسلامية على المسلمة البالغة الالتزام بها، وأنه ليس مجرد رمز أو علامة) هو قول مطابق للشرع الإسلامى ويوافق عليه جميع الأعضاء.

٢- إن الجدل الطويل الذى دار حول هذه القضية لايتناسب مطلقا مع الأولويات التى تفرض نفسها على الأمة الإسلامية، وهى تواجه ما تواجه من مشكلات حياتها، ورد الحملة الظالمة على دينها وثقافتها.

٣- استنكر المجمع ما وقع من البعض من تجاوز لأدب الحوار، ومن الانتقال من إبداء الرأى إلى الإساءة والتجريح، وهو أمر لايقبل مطلقا خاصة إذا وقع فى حق الأزهر وشيخه الإمام الأكبر.

٤- وفى خصوص التشريع المزمع إصدار[...] فى فرنسا يسجل المجلس ما يلى:

أ- إن فرنسا دولة علمانية تفصل الدين عن [...] الدولة، وتسير تشريعاتها فى هذا الإطار [...] وهذا شأنها، على أن يتم هذا بطبيعة الحال فى [...] إطار الحقوق والحريات المعمول بها فى الدستور [...] الفرنسى وفى العهود والمعاهدات الدولية.

ب- إننا جرينا على حث أبنائنا وبناتنا [...] المقيمين فى دول غير إسلامية على الالتزام [...] بأنظمة تلك الدول مع الحفاظ على هويتهم [...] الدينية والثقافية، وأن مما يتمم هذا، ويعين عليه [...] أن تعاملهم الدول التى يقيمون فيها على أساس [...] المساواة التامة بينهم وبين سائر مواطنيها.

جـ- إن ما تدعوهم إليه من الالتزام [...] بأنظمة تلك الدول لايحرمهم حقهم المقرر [...] فى تلك الأنظمة من الاعتراض أو التحفظ [...] على أى إجراء يرونه ماسا بتلك الحقوق [...] والحريات، شريطة أن يتم ذلك من خلال [...] القنوات الشرعية، والقضائية المقررة فى تلك [...] البلاد، فإذا استفرغن الجهد فى هذا السبيل [...] والتزمن بتلك التشريعات كن فى حكم [...] المضطرات، إعمالا لقول الله تعالى:

﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ [...] إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

شيخ الأزهر الشريف
رئيس مجمع البحوث الإسلامية
٨/١/٢٠٠٤ محمد سيد طنطاوى

الإمام الأكبر يستقبل وفد القضاة الشرعيين لدولة فلسطين

- استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد القضاة الشرعيين لدولة فلسطين برئاسة فضيلة الشيخ حاتم البكرى، وذلك فى إطار الدورة التدريبية المتخصصة لشئون الأحوال الشخصية والقضاء الشرعى، بمركز الدراسات القضائية التابع لوزارة العدل، ويضم الوفد قضاة من القدس الشريف والضفة الغربية وقطاع غزة.

وقد رحب فضيلته بالوفد فى مصر وأزهرها الشريف، والقضاة فى الأمة هم ميزان العدل بها، وهم المنوط بهم تحقيق العدل، لأن العدل أساس الملك، وقد أمرنا الله - تعالى - أن نكون عادلين فى أقوالنا وأحكامنا وأن نكون عادلين فى شهاداتنا، وفى كل ما يتعلق بأمور حياتنا وفى الصلح بين الناس، والعدل يكون مع القوى والضعيف ومع الغنى والفقير، ومع العدو والصديق، والعلماء لم يختلفوا فى الأصول الشرعية، وأما الاختلاف فيكون فى الفروع وفى الأمور التى تقبل الاجتهاد، والاجتهاد موجود، ولانستطيع أن نحجر على مجتهد، وقد اجتهد الأنبياء والرسل والخلفاء الأربعة والأئمة من السلف الصالح، ونحن نأخذ بما نراه أنسب وأقرب إلى البيئة التى نعيش فيها دون التقيد بمذهب معين، ولابد أن نرجع إلى ما قاله جمهور الفقهاء إذا رأينا أنه يتفق وطبيعة المشكلة، ولدينا مجمع البحوث الإسلامية الذى يضم صفوة من العلماء من كل مذهب، ولدينا دار الإفتاء المصرية ونحن على استعداد للرد على ما تطلبونه من أسئلة واستفسارات.

ومن جانبه شكر رئيس الوفد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وقدم تحيات الرئيس ياسر عرفات وتحيات قاضى القضاة بفلسطين إلى فضيلة شيخ الأزهر الشريف، وقال:

إن الوفد يمثل القضاة الشرعيين فى فلسطين، والأحوال الشخصية يتم الفصل فيها بالشريعة الإسلامية، ونطبق الأحوال الشخصية على الأسر المسلمة، كما أكد على أن الأزهر الشريف هو قمة المرجعية الدينية للمسلمين، وطلب أن يحصل علماء فلسطين على الدراسات العليا من الأزهر الشريف لما يعود به ذلك من النفع على المجتمع.

الإمام الأكبر يستقبل مفتى الفلبين

- استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد دار الافتاء بدولة الفلبين برئاسة عمر بوه مفتى الفلبين،

رحب فضيلته بالوفد فى مصر وأزهرها الشريف موضحا بأن الأزهر الشريف يستقبل أبناء الفلبين للدراسة بالأزهر الشريف على منح دراسية من الأزهر ويصل عددهم إلى ٤٠٠ طالب وطالبة، كما يوجد علماء من الأزهر الشريف موفدين من الأزهر إلى دولة الفلبين وعددهم ٤٠ عالما يقومون بالتدريس وإلقاء المحاضرات ويعلمون أبناء الفلبين كما يقومون بخطبة الجمعة بالمساجد، وقام فضيلة الدكتور/ محمود إمبابى وكيل الأزهر الشريف بتوضيح موقف الإسلام

من تنظيم الأسرة، والفرق بين التحديد والتنظيم، وتم توزيع كتيب تنظيم الأسرة باللغتين العربية والإنجليزية على السادة الضيوف ثم أجاب عن أسئلتهم واستفساراتهم، وفى نهاية اللقاء شكر الوفد على حسن الاستقبال وعلى المعلومات القيمة التى حصلوا عليها وفهموها.

الإمام الأكبر يؤكد:

لا فرق بين مسلم شيعى ومسلم سنى

- استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيدة/ زبيدة جلال وزير التعليم بدولة باكستان الشقيقة يرافقها وفد من السادة وزراء التعليم بولايات باكستان المختلفة، وأيضا سفير باكستان بالقاهرة.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف موضحا بأن الأزهر الشريف لايتوانى عن تقديم كل عون ومساعدة علمية لدولة باكستان، والأزهر يرسل علماءه إلى شتى أنحاء المعمورة وذلك ليعلم أبناء المسلمين أمور دينهم بكل سهولة ويسر ووضوح، ومن جانبها شكرت الوزيرة فضيلة الإمام الأكبر على حسن اللقاء والاستقبال مشيدة بدور الأزهر الشريف ومكانته العالمية فى تعليم أبناء باكستان، وأوضحت أن باكستان تمر الآن بأزمة وفتن وخاصة فى خضم التحولات العالمية التى تحدث الآن، وبرغم ذلك لدينا مدارس دينية ومدارس للتعليم، وتم إعداد صياغة حول دور المدارس الدينية، وقال: نحن فى حاجة لرؤية فضيلتكم وعلماء الأزهر الشريف، لتعليم الأطفال قواعد تدريس اللغة العربية لإصلاح ما فسد فى الماضى، وأشار فضيلته إلى الترحيب بوجود مدارس تدرس منهج اللغة العربية فى مراحل التعليم، بل وطوال مدة الدراسة وحتى يفهم المسلمون الإسلام فهما صحيحا، ومن أجل أن يعرف المسلمون أمور دينهم لابد من معرفة اللغة العربية حتى يحفظوا القرآن الكريم باللغة التى أنزل بها، والأزهر على استعداد لتزويد المدارس بالكتب والمناهج التى تطلبونها وسيتم التنسيق مع السفارة لتذليل كل الطلبات، لأن التعليم المعتدل يساعد على إذابة العصبية ونحن نقول: إن كل من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ فهو مسلم ولافرق فى ذلك بين مسلم شيعى ومسلم سنى فالكل مسلم ويجب أن يتعاون الجميع ليعيش الباكستانيون فى سلام تحت مظلة واحدة.

وأن يعمل الجميع بروح الأخوة، وأن يكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، وبتعلم اللغة العربية، وحفظ القرآن الكريم تزول كل الخلافات، وقد طلبت الوزيرة الدعاء من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر لها وللباكستانيين ونحن فى مصر حكومة وشعبا ندعو لباكستان رئيسا وحكومة وشعبا للخروج من محنتها بسلام.

وفى نهاية اللقاء قدم فضيلته كتاب الأزهر الشريف باللغتين: العربية والإنجليزية) للوزيرة

حضر اللقاء أ.د أحمد الطيب رئيس جامعة الأزهر الشريف وفضيلة الدكتور محمود إمبابى وكيل الأزهر الشريف.

*The Accepted Pilgrimage

By: The Dignified Sheikh Mu`awad Awad Ibrahim

The Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) exhorts wills toward performing Pilgrimage (i.e., Pilgrimage to Mecca). He says, *"Those who perform Pilgrimage or `Umrah (i.e., minor Pilgrimage) are the immigrants of Allah, if they invoke Him, He will respond to them, and if they ask His forgiveness, He will grant it to them."*

Allah, Glorified be He, says, {And perfect the Pilgrimage and the Visitation (i.e., `Umrah) (to Mecca) to Allah.} [Al-Baqarah (The Cow): 196] This verse provides a hard proof that both `Umrah and Pilgrimage are equal in ruling as stated by the majority of scholars and mentioned in *sahih* (authentic) *hadiths*.

It is authentically narrated that the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said, *"Performing an `Umrah in the month of Ramadan equals the reward of performing Pilgrimage."* Abu Hurairah (may Allah be pleased with him) narrated that the Prophet said, *"The time from an `Umrah to the following one is an expiation for that which may be committed (of sins) between them, and the accepted Pilgrimage has no reward but Paradise."*

Ash-Shafi`i and Ahmad Ibn Hanbal view that `Umrah is obligatory the same as Pilgrimage. They base their view on the Qur'anic verse in which Allah says, {And perfect the Pilgrimage and the Visitation (i.e., `Umrah) (to Mecca) to Allah} and the *hadith* related by Imam Muslim on the authority of Jabir saying, *"In the Farewell Pilgrimage, Allah's Messenger said, "`Umrah is to be treated like Pilgrimage until the Day of Resurrection.'"* On the other hand, Imams Abu Hanifah and Malik view `Umrah as an act of the Sunnah and a supererogatory act of worship. This is because the Qur'anic signs indicating the obligation of Pilgrimage as well as the Prophetic *hadiths* have not stated that the `Umrah is obligatory. Such Qur'anic signs include the statement of Allah in which He says,

{And it is (a duty) upon mankind towards Allah (to come) to the House on Pilgrimage, for whomsoever is able to make a way to it.} [Al-Imran (The Household of Imran):97]

* An Article Published (In Arabic) At Al-Azhar Magazine.

and {And announce to mankind the Pilgrimage, and they shall come up (hurriedly) to you…} [Al-Hajj (Pilgrimage):27]

It has been reported that Jabir (may Allah be pleased with him) narrated that Allah's Messenger said, *"This House (i.e., the Ka`bah) is the Pillar of Islam. So whoever heads for this House, whether aiming at performing Pilgrimage or `Umrah, is secured by Allah; if He makes him to die, He admits him to Paradise, and if He makes him return (i.e., live), He makes him return rewarded and benefited."*

There is something that must be stressed on; namely, those who intend performing Pilgrimage or `Umrah must make sure that whatever money they spend on either be lawfully gained. That is, their money must be free of debts and rights due to other people. In support of this, At-Tabarany narrated on the authority of Abu Hurairah that the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) says, "As soon as a pilgrim sets out for Pilgrimage with a lawful provision, and puts his foot in the stirrup (i.e., rides his mount) and calls out, 'O Allah! Here I am in response to Your call,' an announcer answers him from the heavens above saying, 'Your call has been heard; you are a happy one, your provisions are lawful, your mount is lawful and your Pilgrimage is free of sin and acceptable.' But if his provisions are unlawfully acquired, and he puts his foot in the stirrup and calls out, 'O Allah! Here I am in response to Your call,' an announcer answers him from the heavens above, 'Your call is not accepted nor are you welcome; your food is unlawful, your provisions are unlawful and your Pilgrimage is not free of sin and is unacceptable.'"

The one performing Pilgrimage or `Umrah, whether a male or a female, can be rightly guided by the Prophetic acts with regard to the rituals of Pilgrimage and `Umrah. In this respect, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) says, *"Take your rites from me (i.e., follow my footsteps)."* In addition, the Prophetic Sunnah has explained everything related to the performance of both Pilgrimage and `Umrah, so one can easily follow and apply them.

May Allah grant our Prophet the best of rewards due to what he has instructed us with; he has not left any matter in the religion without explaining and clarifying.

The Pilgrimage
By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Pilgrimage is one of the Five Pillars of Islam. It is obligated only on those who can afford it. It is a stated obligation and an act of worship that requires man's pure heart, body and wealth. When standing on Mount Arafat (a mount at Mecca), one of the most important pillars of Pilgrimage is achieved. In support of this, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) says, "Pilgrimage is Arafat (i.e., the most important pillar of Pilgrimage is standing on Arafat)."

Pilgrimage is considered an universal gathering for the aim of acquaintance, consultation, exchanging experiences, studying the problems of the Islamic Nation and assuring its unity, and remembering the Day of the Great Gathering (i.e., the Day of Resurrection). The Pilgrim (i.e., the one performing pilgrimage to Mecca) leaves his people, wealth and home behind and stands alone before Allah, the Almighty; he does not lean on the power of his family, party, position, or social rank. In such a gathering, there is no distinction between the rich and the poor, the ruler and the ruled, or the strong and the weak. In addition, there is no difference between one Pilgrim and another concerning clothing, titles, or ranks.

The Pilgrimage is an obligation that requires the best way of performance; namely, preserving the virtuousness of one's tongue, keeping away from what is prohibited, continuous remembrance of Allah, and avoidance of argument and dispute that cause aversion and break of relations. In this connection, Allah, Glorified and Exalted be He, says:

{The Pilgrimage is (in) months well-known; so, whosoever ordains (upon himself) the Pilgrimage in them, then there shall be no lying with (womenfolk), nor evident immorality nor disputing in the Pilgrimage.} [Al-Baqarah (The Cow): 197]

For those who intend performing Pilgrimage, they should make sure that whatever money they spend on Pilgrimage be lawfully acquired. In this relation, Abu Hurairah narrated that the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) says, "As soon as a pilgrim sets out for Pilgrimage with a provision which is lawful, and puts his foot in the stirrup (i.e., rides his mount) and calls out, 'O Allah! Here I am in response to Your call,' an announcer answers him from the heavens above saying, 'Your call has been heard; you are a happy one, your provisions are lawful, your mount is lawful

and your Pilgrimage is free of sin and acceptable.' But if his provisions are unlawfully acquired, and he puts his foot in the stirrup and calls out, 'O Allah! Here I am in response to Your call,' an announcer answers him from the heavens above, 'Your call is not accepted nor are you welcome; your food is unlawful, your provisions are unlawful and your Pilgrimage is not free of sin and is unacceptable.'"

The Pilgrim must apply and follow the obligatory and legislated acts as shown by Allah's Messenger in his one and only Pilgrimage; namely, the Farewell Pilgrimage. In that Pilgrimage, he (may the blessings and peace of Allah be upon him) said, "Take your rites from me (i.e., follow my footsteps)." According to the most preponderant opinion, one hundred thousand and twenty-four Muslims accompanied the Prophet in the Farewell Pilgrimage. In the Farewell Pilgrimage, the Prophet delivered a comprehensive sermon in which he commanded Muslims with certain matters tackling the stated issues of the religion that must be kept until the Day of Resurrection. The Prophet commenced saying:

"O people, lend me an attentive ear, for I know not whether, after this year, I shall ever be amongst you again... O people, just as you regard this month, this day, this city as sacred, so regard the life and property of every Muslim as a sacred trust... Everything that belongs to the pre-Islamic days shall henceforth be waived; Allah has forbidden you to take usury, therefore, all interest obligations shall henceforth be waived, and every right arising out of homicide in pre-Islamic days is henceforth waived..."

" O people, it is true that you have certain right with regard to your women, but they also have rights over you. Do treat your women well and be kind to them for they are your partners and committed helpers..."

"Reason well, therefore, O people, and understand my words which I convey to you. I leave behind me two things, the Qur'an and my example, the Sunnah, and if you follow these you will never go astray."

"O people, no prophet or apostle will come after me and no nation will come after you. Worship Allah, say your five daily prayers, fast during the month of Ramadan, give your wealth in zakat (i.e., almsgiving) willingly, perform Pilgrimage if you can afford to and obey those of authority among you; thus, you be admitted to the Paradise of your Lord."

AL-AZHAR MAGAZINE
Dhul-Hijjah 1424 A. H.

ENGLISH SECTION
February, 2004

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

الفهرس السنوى لعام ١٤٢٤هـ

المحـــــرم

صفر ١٤٢٤هـ

ربيع الأول ١٤٢٤هـ

ربيع الآخر ١٤٢٤هـ

جمادى الأولى ١٤٢٤هـ

جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ

رجب ١٤٢٤هـ

شعبان ١٤٢٤هـ

رمضـــان ١٤٢٤هـ

شــــوال ١٤٢٤هـ

ذو القعـــدة ١٤٢٤هـ

ذو الحجة ١٤٢٤هـ